

صفوة البيان لمعاني القرآن

تفسير القرآن الكريم لفضيلة الأستاذ

الشيخ حسنين محمد مخلوف

مفتي الديار المصرية السابق وعضو جماعة كبار العلماء

لجنة الاحتفالات بمقدم
القرن الخامس عشر الهجري

دولة الإمارات
العربية المتحدة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

« الرَّحْمنُ ، عَلَّمَ القرآنَ ، خَلَقَ الإنْسَانَ ، علَّمهُ البيانَ » فله الحمد على جليل نعمه ، وله الشكر على وفير مننه ، والصّلاة والسلام على أشرف خلقه ، وصفوة أنبيائه ورسله ، سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وأصحابه ومن والاه .

أما بعد ، فقد قال الله تبارك وتعالى :

« وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَهُدًى وَرَحْمَةً وبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ »[١] .

ذلك هو القرآنُ الكريم ، الذى قال فيه ربُنا جلَّ شأنُه : « لقَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نورٌ وكتابٌ مُبِينٌ ، يَهْدِى بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ، ويُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بإذْنِهِ ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ »[٢] .

وأمرنا الله باتّباع هديه والتمسّك بأحكامه ، وفى ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أبشروا فإنّ هذا القرآن طرفه بيد الله ، وطرفه بأيديكم ، فتمسّكوا به فإنكم لن تهلكوا ولن تضلوا بعده أبدا »[٣] .

ومن نعم الله تبارك وتعالى أن جعل لنا فى تلاوة القرآن الكريم حقّ التلاوة ، مع العمل به واتّباع أحكامه ، المثوبةَ والجزاء الأوفى . وجاءت البشرى بتلك المثوبة الإلهية فى الأحاديث النبوية الشريفة ، ومنها عن أنسٍ رضى الله عنه (مرفوعا) : « من قرأ القرآن يقوم به آناء الليل والنهار ، يُحلّ حلاله ويحرّم حرامه ، حرّم الله لحمه ودمه على النّار ، وجعله مع السفرة ، الكرام البررة ، حتى إذا كان يوم القيامة كان القرآنُ حجّةً له »[٤] .

وعن عليّ رضى الله عنه (مرفوعًا) : « البيت الذى يُقرأ فيه القرآن يتراءى لأهل السَّماء كما تتراءى النجوم لأهل الأرض »[٥] .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تلقّى الصحابة رضوان الله عليهم كيفيّة تلاوة القرآن الكريم ، وعنهم تلقى السّلف الصالح ذلك . فكانت قراءتهم هى ترتيل وتدبّر ، واتعاظ وتذكّر ، وأدب وخشوع ، ورهبة وخضوع ، ورغبة ورجاء ، وخشية وبكاء ، لعظيم معرفتهم بالله ، وفهمهم لكتابه ، وتدبّرهم لآياته ، وتفكّرهم فى حكمه وأسراره .

---

(١) آية ٨٩ من سورة النحل .
(٢) الآيتان ١٥ ، ١٦ من سورة المائدة .
(٣) رواه الطبرانى عن جبير رضى الله عنه .
(٤) أخرجه الطبرانى فى الصغير .
(٥) أخرجه البيهقى .

قال تعالى : «كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ ، لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ »[1] .

ومن نعم الله تعالى على أهل هذا الزّمان ، تيسير طباعة القرآن الكريم ونشره . فأصبح المصحف الشريف في متناول الملايين من المسلمين . كما اتسع مجال إذاعة القرآن الكريم بأصوات القراء ، فدخل إلى كل بيت من بيوت المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، صوتُ قراء القرآن الكريم على موجات الأثير بالترتيل والتجويد لآى الذكر الحكيم . وفى السنوات الأخيرة مع تقدم العلم والاختراع وانتشار الأجهزة العلمية ، أصبحت تسجيلات القرآن الكريم المسموعة والمرئية في متناول كثير من الناس ، ويُستمع إليها في البيوت والأماكن الخاصة والعامّة .

مثل هذا التطور والاتساع فى انتشار المصاحف الشريفة ، وإذاعة القرآن الكريم ، لا بدّ وأن يواكبه جهدٌ متزايد فى مجال تيسير فهم معانى القرآن الكريم لجمهور الناس وعامتهم فضلاً عن كثير من الخاصة ، وذلك لمساعدتهم على حسن تدبّر معانى كتاب الله ، ومن ثَمَّ تلاوته حقّ التلاوة . وقد وصف حجّة الإسلام الإمام الغزالى شروط التلاوة الحقة فأبلغ حيث قال : «تلاوة يشترك فيها اللسان والعقل والقلب . فحظّ اللسان : تصحيح الحروف بالترتيل ، وحظّ العقل : تدبّر المعانى ، وحظّ القلب : الاتّعاظ والتأثّر ، بالانزجار والائتمار . فاللسان يرتّل ، والعقل يترجم ، والقلب يتّعظ» .

وممّا يساعد على تحقيق ذلك الغرض : إيراد تفسير للقرآن الكريم على هوامش المصحف الشريف ، بنسق يسهل معه الرجوع إلى التفسير أثناء التلاوة . وأن يكون التفسير سهلاً شاملاً وموجزًا ويعين التّالى على فهم الآيات وتدبّر المعنى فى يسر ودون عناء .

لذلك رأينا ، بمناسبة مطلع القرن الهجرى الخامس عشر ، أن نقدم لإخواننا المسلمين مع المصحف الشريف ، التفسير المعروف باسم «صفوة البيان لمعاني القرآن»[2] . الذي وضعه العالم العلاّمة الأستاذ الجليل فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف[3] ، المفتى السابق للديار المصرية وعضو جماعة كبار العلماء بالأزهر

---

(١) الآية ٢٩ من سورة : ص .

(٢) صورت الطبعة الأولى منه بمصر فى عام ١٣٧٧هـ الموافق ١٩٥٧م .

(٣) ولد بباب الفتوح بالقاهرة عام ١٨٩٠م وحفظ القرآن الكريم بالأزهر الشريف وأتم العلوم الأزهرية والتحق بالقسم العالى بمدرسة القضاء الشرعى وتخرج بتفوق فى عام ١٩١٤م واشتغل بالتدريس بالأزهر الشريف ، ثم عين قاضيًا شرعيًّا وتدرج فى مناصب القضاء إلى أن عين نائبًا للمحكمة العليا الشرعية عام ١٩٤٤م ، ثم عين مفتيًا للديار المصرية عام ١٩٤٥م ثم رئيسًا للجنة الفتوى بالأزهر الشريف .

وفضيلته من رواد الفكر الإسلاميّ فى عصره ومن أئمة الباحثين فى علوم الدين واللغة ويعتبر من العلماء العاملين لما له فى خدمة الإسلام من أعمال وآثار ذات نفع عميم للمسلمين . فكما كان له فى مجال القضاء الشرعى الكثير من الأحكام التى لها صفة المبادئ والقواعد التى يُرْجَعُ إليها بعدَه فى مجالها ، فإنّ له العديد من الفتاوى ، والبحوث الإسلامية والمؤلفات الدينية ، والمقالات التى اتسمت بطابعها الخاص وتأثيرها فى عصره . كما عمل على إحياء كثير من كتب التراث الإسلامى النافعة بالشرح والتحقيق .

وقد انتشرت آثاره فى حينها ـ ومازالت تنتشر ـ فى جميع أقطار العالم الإسلامى . جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

الشريف ، وعضو مجمع البحوث الإسلامية بمصر ، وعضو المجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة .

ذلك لأن هذا التفسير يفى بالغرض المنشود ، حيث توافرت به عدة خصائص منها على سبيل الذكر الخصائص التالية :

١ ـ أنه يعنى بالجانب اللغوي عناية خاصة ، باعتبار أن فقه لغة القرآن الكريم هو المدخل الطبيعى إلى حسن فهم معانيه . وقد تناول الكلمة القرآنية فى أبعادها النحوية والصرفية والبلاغية تناولاً مُجيدًا فى وفاء مادته ، مُبَسَّطًا فى أسلوب عرضه . فهو يجمع إلى سهولة المأخذ ، بُعْدَ الغَوْر ، ودقَّةَ المعنى ، وحسنَ اختيار الكلمات ، فهو بهذا ضربٌ من الأدب الرفيع إلى جانب ما حواه من علم غزير .

٢ ـ أنه يسير وفق منهج السلف الصالح فى التفسير . فهو كثيرًا ما يفسر القرآن بالقرآن أو بما ورد عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أو الصحابة أو التابعين . متحرِّيًا البعد عن الإسرائيليات التى شابت كثيرًا من التفاسير ، متجنِّبًا الآراء الشاذة والخلافات المذهبية والآثار المشبوهة والتأويلات الباطلة .

٣ ـ أنّه أشار فى المواضع المناسبة ، إلى عدد من العلوم والمعارف التى شملها القرآنُ الكريم ، كالعقيدة والفقه ، من عبادات ومعاملات ، وكذلك الأخلاق والسلوك ، وذلك فضلاً عن عدد من علوم القرآن التقليدية : كالقراءات ، والناسخ والمنسوخ ، والمكيّ والمدني وترتيب السور والآيات ، وأسباب النزول وغيرها وبالقدر الذي يستلزمه التفسير ، ويحتاج إليه إيضاح المعاني .

كما أن هذا التفسير يشير أحيانًا ـ وفى المواضع المناسبة ـ إلى بعض العلوم الحديثة ، ممّا يساعد على إيضاح بعض وجوه الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم . كما أنه كثيرًا ما يستعين على تقريب المعانى العميقة بضرب الأمثال وذكر الأشباه ، وسَوْقِ فرائد الحكم ، ومخاطبة العقل بما ألفته العقول ، وتواضعت عليه الأفهام .

فلهذه الخصائص التى تميَّز بها هذا التفسير رأينا أنه يصلح أكثر من غيره للشباب ، ولجمهرة المثقفين ، ولا يصعب على مَنْ هم دونَهم من عامة المسلمين ، ولا يَقْصُرُ عن حاجة الخاصة من العلماء والباحثين .

واللهَ سبحانه نسأل أن يجزي صاحب هذا التفسير خير الجزاء ، وأن ينفع به عامة المسلمين وخاصَّتهم ، وأن يوفقنا وإياهم للسير على هدي كتابه ، والتمسُّك بأحكامه ، وأن يهدينا جميعًا إلى سواء السبيل .

محمد عبد الرحمن البكر

رئيس اللجنة الوطنية لاحتفالات القرن الهجرى الخامس عشر
وزير العدل والشئون الإسلامية والأوقاف

أبوظبى فى : ٢٥ من شوال ١٤٠١ هـ

الموافق ١٩٨١/٨/٢٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة الطبعة الأولى[1]

الحمد لله الذي أنزل القرآن هُدى ونوراً ، وأرسل به رسوله الأعظم مبشّراً ونذيراً ؛ فبلّغ الرسالة ، وأدّى الأمانة ، واهتدى به من استمسك بهدْيه فسَعِد ، وضلّ عن الحقّ من أعرض عنه فبَعِد . وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده ، تقدَّست ذاته ، وتنزّهت صفاته ، عما لا يليق بجلاله ، ولا ينبغي لكماله . وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه ومجُتباه ، صلىّ الله عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن والاه .

أمّا بعد ، فإن القرآن العظيم كتابُ الله ، أوحى به إلى أفضل خلقه وأكمل رسله ، بلاغاً للناس ولينذَروا به ، وليعلموا أنما هو إله واحدٌ ، وليذكّرَ أولُو الألباب ، وأودعه من العقائد والعبادات ، والأحكام والحكم ، وفنون العلوم وأصول الفضائل ؛ ما به قِوَامُ الملّة الكاملة ، والأمة الفاضلة ، والدولة الراشدة ، وما به سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة . فكان أفضل الكتب السماوية وأجمعَها للخير ، وأوفاها بحاجة البشر ، وأبقاها على الدهر : مصدّقاً لها ومُهيمناً عليها . وكان دعوةَ الحق لسائر الخلق إلى يوم الدين . لا قبول للإيمان إلا به ، ولا نجاة في الآخرة إلا باتّباعه ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ .

* * *

وقد أنزله الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، بلسان عربيّ مبين؛ كما قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ . وكان قومه أئمة البيان وفرسان البلاغة وأعلام الفصاحة ؛ فبهرهم بآياته البيّنة ، وحُججه الدامغة ، وحِكمه البالغة ، وأخباره الصادقة ، وفصاحة لفظه ، ورصانة نَظْمِه ، وبلاغة أسلوبه ؛ فخرّوا له سُجَّداً ، وأذعنوا له خُضَّعاً ، وأيقنوا أنه كلام رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلب رسوله العظيم ؛ ليكون من المنذرين . إلاّ مَن فسدت فطرته ، وضعفت مُنّته ، واتخذ إلهه هواه ؛ فجحد عناداً ، وأبى استكباراً أن يؤمن به ويُذعن له . فما إنْ تحدّاهم بقول الله تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرآنِ لاَ يأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَو كانَ بعضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ ، وبأن يأتوا بسورة من مثله ، فصاحةً وبلاغة ، ونظماً وحُكْماً ، وأحكاماً وأمثالاً ، ومواعظ وقصصاً ، وأغراضاً ومرامي : حتى ألقوْا باليدين عجزاً ، وولّوا الأدبار هزيمة ، ونكصوا على الأعقاب هرباً .

فهو المعجزةُ الكبرى ، الدالةُ على صدق الرسالة ، والدعوةُ العظمى من الله تعالى إلى التوحيد والإسلام ، القائمة ما بقي الدهر . وقد تولّى الله حفظه من التحريف والتبديل ، والتغيير والمعارضة ؛ كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾ ؛ فلا يزيد فيه المفترون ولا ينقصون .

وها هو ذا ، قد مضى من وقت نزوله أربعة عشر قرناً ، ولا يزال كما وعد الله محفوظاً في الصدور ، مقروءًا بالألسنة ، مكتوباً في المصاحف كما أُنْزِلَ ، لم يُغَيَّرْ فيه عمّا أنزل حرف ولا كلمة ولا ترتيب . ولم يستطع أحد – كائناً من كان – أن يعارضه بمثله أو بما يدانيه ؛ وسيبقى محفوظاً كما أنزل إلى آخر الدهر ، إيماناً بصدق الخبر ، والوعد الحق .

وكيف لا ؟ وهو حجَّة الله على خلقه إلى انقضاء الدنيا ، ودعوتُه القائمةُ إلى آخر الزمان ، ورسالته العظمى إلى البشر ؛ ما بقي التكليف بالشريعة المحمدية ، الخاتمةِ لجميع الشرائع السماوية .

* * *

ومن عناية الله به ورحمته بخلقه ، أن جعل القرآن محفوظاً في كل العصور بالتواتر الصادق القاطع ، يرويه الخلف عن السلف بألفاظه وحروفه المنزلة ، وكيفيات أدائه المرويّة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، بما لا مزيد عليه في الحفظ والضبط . ووفّق له في كل عصر حفّاظاً متقنين ، وأئمة ثقات اختصُّوا بحفظه ونقله وروايته ، ودراسة علومه وفنونه ، وتفسيره روايةً ودرايةً ، وتدوين تفسيره من جهة أحكامه ، ومن جهة إعرابه ، ومن جهة بلاغته وإعجازه ، ومن جهة قَصصه وأخباره ، ومن جهة أمثاله ومواعظه ، ومن جهة تعاليمه ومبادئه ، ومن جهة قراءاته ، ومن جهة ألفاظه ولغته ؛ إلى غير ذلك من الجهات .

وقد أيقظ القرآن الفكرَ الإنساني من رقاده ، وحرَّكه من جموده ، وأزاح عنه رَين الجهالة ، ووجّهه إلى العلم ، وعلّمه سلوك مناهج الحياة . وفتح للعقول أبواباً من العلوم ، وسَلَك بها سُبلا من المعارف لم يكن لها عهد بها من قبل ؛ فكانت نوراً وهدىً للناس في سائر العصور . وكان القرآن – كما ورد – مأدبة الله لخلقه ، يطعم منها من يشاء بما يشاء ، ويُفيد منها كلّ إنسان بقدر استعداده ، وتهيؤ فطرته لقبول فيْضه .

وكان المسلمون – بدراسة هذه العلوم وتدوينها ، وإرساء قواعدها ، وتقرير أحكامها ، وتفريع أصولها – الرُّوادَ الأوَلَ في مجال البحث ، والقادةَ الفاتحين في مجال العلم والعرفان .

* * *

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه والتابعين : حثُّ المسلمين في كل العصور ، على أن يتّخذوا إمامهم القرآن ، يهتدون بهديه ، ويخضعون لحكمه ، ويجتهدون في تعلّمه ، وتفهّم أسراره ، وتدبر معانيه ؛ كما يرشد إليه قولُه تعالى ﴿ ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ وقولُه تعالى : ﴿ إِنَّ هَـٰذَا القُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ ، وقولُه تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ولِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ ﴾ ،

وقولُه تعالى : ﴿ أَفَـلاَ يَتَدَبَّرُونَ القُرآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ ، وما رواه أبو هريرة مرفوعاً : (أعربــوا القرآن والتمسوا غرائبه) .

وإعرابُه : معرفةُ معاني ألفاظه ، لا الإعراب المصطلح عليه عند النُّحاة المقابل لِلَّحْنِ ، لأن القراءة مع فقده ليست قراءة ولا ثواب لها . والتماسُ غرائبه : طلبُ معرفة هذه المعاني من مصادرها ، وهي الرواية واللغة الفصحى .

وفى القرطبى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قرأ القرآن فلم يُعربه وُكّل به مَلَكٌ يكتب له كما أنزل بكل حرف عشر حَسنات ، فإن أعرب بعضَه وُكّل به ملكان يكتبان له بكل حرف عشرين حسنة ، فإن أعربه وُكل به أربعة أملاك يكتبون له بكل حرف سبعين حسنة) .

وعن إياس بن معاويةَ : مَثَلُ الذين يقرأون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره ، كمَثَلِ قوم جاءهم كتاب من مليكهم ليلاً وليس عندهم مصباح ؛ فتداخلتهم رَوعةٌ ولا يدرون ما في الكتاب ، ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرأوا ما في الكتاب .

فقـارئ القرآن وسامعُه ينبغي له أن يعرف تفسير ما يحتاج إلى التفسير من آياته ؛ إذ كانت هي الصراط المستقيم ، وهي النور والهدى ، وهي الحجة والبرهان ، وهي أصل كل علم ومنبع كل خير ، وأن يلتمس حقائق مفرداته ومعانيها المستعملة فيها ، التي يتوقف على معرفتها فهم آياته ، بل الفهم في كل علم ؛ إذ ألفاظ القرآن كما قال الراغب : « لُبُّ كلام العرب وزبدته ، وواسطتُه وكرائمه ، وعليها اعتماد الفقهاء في أحكامهم ، والحكماء في حِكَمهم ، وإليها مفزعُ حُذّاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم » . وكلها في الفصاحة بالمحلِّ الأرفع ، ولها الصدارة التي لا تُدفع ، ومنها ألفاظ لا يقف على معانيها إلا الراسخون في اللغة ، المتمرّسون بأساليب العرب ولهجاتهم ؛ مثل : حناناً وأبًّا والبَحِيرة والسائبة والوصيلة والحامي وغسلِين وسِجّين وأوّاه وافتح بيننا ويؤفكون ويُصرفون وسويًّا وكأيّن والقُمّل والمَثُلات والنَّكال وأغْطَش وأَحْوَى وهُمَزَةٍ لُمَزَةٍ والفَلَق والغسَق وضَبْحاً وكَنُود وفاكِهِين ، ونحو ذلك ؛ وتسمىَّ « غرائب القرآن » .

وقد عُني بشرحها وبيان معانيها الوضعية ، وما أريد بها في الآيات المشتملة عليها : أئمةُ اللغة والتفسير ؛ كأبي عُبيدة ، وابنِ دُريد ، والزجّاج ، والفرّاء ، والأخفش ، وابن الأنباري ، والرّاغب ، والسّجستاني ، وأضرابهم . وفي ذلك مطوَّلات ومختصَرات .

* * *

وقد رَغب إليّ كثيرٌ من طُلاّب العِلم : أن أضع تفسيراً للقرآن الكريم ، واضح العبارة ، داني المجتَنَى ، مقتصراً على ما لا بدّ من تفسيره من الآيات والمفردات ، يُستَغْنَى به عن استيعاب المطَّولات ـ وفيها من تشعّب المباحث وكثرة الأقوال ، ما قد يعسُر معه استخلاص المعاني القرآنية منها على من لم يألف أساليبها واصطلاحاتها ـ كما يُستغنَى به عن المختصرات التي يَدِقّ على الأذهان فهمها ، وتنبو عنها إشاراتها . فاستخرت الله تعالى على ضعفي وصعوبة المقام في وضعه ، مستعيناً بحوْله وقوّته ، وهو خير معين ، متوكلاً

عليه ، وهو نعم الوكيل . مبتهلاً إليه عزّ شأنه أن يوفّقني للصواب ، ويحفظني مما يُذَمّ ويُعاب ، ويُقيل عثرتي يومَ الحساب .

وبدأت بشرح مفردات القرآن شرحاً وافياً على ترتيب النظم الكريم ، لا على ترتيب المعاجم اللغوية ؛ يوقف منه على المعنى بسهولة أثناء التلاوة أو السماع ، مع بيان معنى بعض الآيات التى انتظمت هذه المفردات .

ولدى إعادة النظر فيه ، وجدتُ الحاجة ماسّة إلى تفسير آيات أخرى على النّحو الذي قصدت ، وإن لم تشتمل على غريب القرآن . فضممت تفسيرها إلى ما بدأت به . واكتمل من الجميع هذا التفسيرُ الذي سميته : « **صفوة البيان ، لمعاني القرآن** » راجياً من الله تعالى النفعَ به ؛ كما نفع بأصوله ، والمثوبةَ عليه يوم الجزاء . وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، إنه تعالى خير مرجوّ ، وأكرم مسؤول .

راجي عفو ربّه الرءوف

حسنين محمد مخلوف

مُفتي الديار المصريّة السّابق وَعضو جَماعة كبار العُلمَاء

مُقَـــدّمَـــة

تشـتمِل عَلى مَسَـائِل يَـنبغي مَعرفتهَـا

الأولى – في المكيّ والمدنيّ :

أشهر الأقوال في تعريف الْمَكِّيِّ والمدنيّ : أن المكيّ ما نزل قبل الهجرة في مكة أو في ضواحيها ؛ كمنى وعرفات والحُديْبِيَةَ . ومنه ما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغها النبـي صلىّ الله عليه وسلم .

والمدني : ما نزل بعد الهجرة في المدينة أو في ضواحيها ؛ كبدْر وأُحُد وسَلْع . ومنه ما نزل بمكة عام الفتح ، أو عام حَجّة الوَداع ، وما نزل في سَفر من الأسفار بعد الهجرة .

والمرجع في معرفة المكيّ والمدنِيّ إلى حفظ الصحابة والتابعين . ومعرفتهُ تُعين على معرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ .

الثانية – في معنى السورة :

السورة طائفة من القرآن، لها ابتداء وانتهاء ، وترجمة باسم خاص بها أو بعدة أسماء ، عُرِف المشهور منها بالتوقيف من النبي صلىّ الله عليه وسلم . مأخوذة من سور المدينة ؛ لاحتوائها على فنون من العلوم ، احتواءَ سُور المدينة على ما فيها ، أو لارتفاع رتبتها كارتفاعه . أو من السُّورة ، وهي المنزلة الرفيعة . أو من التّسَوُّر ، وهو العلوّ والارتفاع ؛ لارتفاعها بكونها من كلامه تعالى .

وأجمعوا على أن عدد سُوَر القرآن مائة وأربعَ عشرةَ سورة . وَمَنْ عدّها مائة وثلاث عشرة جعل الأنفال والتوبة سورة واحدة .

والحكمة في تسوير القرآن سوَراً أن يكون أنشط للقارئ ، وأبعث على التحصيل ، وأن الجنس إذا انطوت تحته أنواع كان أحسن من أن يكون باباً واحداً . وفي التسوير إشارةٌ إلى أن كلّ سورة نمطٌ مستقل .

الثالثة – في ترتيب الآيات والسُّوَر وتسميتها :

ترتيب الآيات في السُّوَر بتوقيف منه صلىّ الله عليه وسلّم ، وبأمره إجماعاً . وترتيبُ السوَر توقيفيّ عند الجمهور . قال أبو بكر الأنباري : « إن جميع القرآن الذي أنزله الله تعالى ، وأمر بإثبات رسمه ، ولم

ينسخه ، ولا رفع تلاوته بعد نزوله ، هو هذا الذي بين الدّفتين ، الذي حواه مصحف عثمان ، وأنه لم ينقص منه شيء ولا زيد فيه شيء ، وأن ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظمه الله ورتبه عليه رسوله من آي السُّور ، لم يقدَّم من ذلك مؤخَّر ، ولا أخِّر منه مقدَّم . وأن الأمة ضبطت عن النبي صلىّ الله عليه وسلّم ترتيب آي السور كلها ومواضعها ، وعرفت مواقعها : كما ضبطت عنه نفس القراءات ، وذات التلاوة » .

وقال البغوِيّ : « إن الصحابة جمعوا بين الدّفتين القرآن كما أنزله الله على رسوله ، من غير أن زادوا فيه أو نقصوا منه شيئاً ؛ خوف ذهاب بعضه بذهاب حَفَظته : فكتبوه كما سمعوه من رسول الله صلىّ الله عليه وسلم ، من غير أن قدّموا شيئاً أو أخّروا شيئاً ، أووضعوا له ترتيباً لم يأخذوه منه صلىّ الله عليه وسلم . وكان رسول الله يلقّن أصحابه ويعلّمهم ما نزل عليه من القرآن ، على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا ؛ بتوقيف جبريل عليه السلام إياه على ذلك ، وإعلامه عند نزول كل آية ، أنّ هذه الآية تُكتب عقب آية كذا في سورة كذا » . ومنه يعلم أن أسماء السور توقيفية .

وقال ابن الحصّار : « ترتيب السُّور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحْي ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ضعوا آية كذا في موضع كذا . وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف » .

الرابعة – في المُحْكَم والمتشابه :

من آيات القرآن آياتٌ محكَمات هنّ أمّ الكتاب وأصله ، وأُخَرُ متشابهات .

والمحكَم : ما عُرف المعنى المراد منه . والمتشابه : ما استأثر الله تعالى بعلمه ؛ كقيام الساعة ، والحروف المقطّعة في فواتح السُّور .

وقيل : المحكَم ما لا يحتمل من التأويل بحسب وضع اللغة إلاّ وجهاً واحداً . والمتشابه : ما احتمل أوجهاً عديدة واحتاج إلى النظر ؛ لحمله على الوجه المطابق .

وقيل : المحكَم ما اتضح معناه . والمتشابه بخلافه . وهناك أقوال أخرى في تفسيرهما . وسيأتي لذلك مزيد بيان أول سورة آل عمران .

وجعل الخطابي المتشابه على ضربين : أحدهما ما إذا رُدّ إلى المحكَم واعتُبر به عُرف معناه . والآخر ما لا سبيل إلى الوقوف على حقيقته . فمن المتشابه ما يمكن الاطلاع على معناه ، ومنه ما لا يعلمه إلا الله تعالى .

ومن المتشابه آيات الصفات ، نحو : ﴿ الرَّحْمَـٰنُ على العَرْشِ استوَى . كُلُّ شَيءٍ هَالِكٌ إلاَّ وَجْهَهُ ولتُصنَع على عيني . يدُ الله فوق أيديهم . والسموات مطويات بيمينه ﴾ . ومنه أحاديث الصفات .

ومذهب جمهور أهل السُّنة – ومنهم سفيان الثّوري وابن المبارك وابن عُيينة ووكيع ، والأئمة الأربعة – أنه يجب الإيمان بها وتفويض علم معناها المراد منها إلى الله تعالى ، وترك تأويلها مع تنزيهه تعالى عن حقيقتها ؛ لاستحالة مشابهته تعالى للحوادث ؛ قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ .

عن أمّ سَلَمَةَ – رضي الله عنها – في تفسير قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَـٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ : الكَيْف غير معقول ، والاستواء غير مجهول ، والإقرار به من الإيمان ، والجحود به كفر .

وعن مالك فيه : الكيف غير معقول ، والاستواء غير مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة .

وعن محمد بن الحسن : اتفق الفقهاء كلهم على الإيمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه .

وقال ابن الصلاح : على هذه الطريقة مضى صدر الأمة وساداتُها ، وإيّاها اختار أئمة الفقهاء وقادتها ، وإليها دعا أئمة الحديث وأعلامُهم .

وقال إمام الحرمَيْن أخيراً في الرسالة النظامية : الذي نرتضيه ديناً ، وندين به عقداً ، اتباع سلف الأمة ؛ فإنهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها .

وممن ذهب إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ، والإمام ابن القيّم ومن تبعهما ، وكثير من المفسرين كالبغويّ والرازي والجلالين والآلوسي ، وصاحب فتح البيان ، وغيرهم .

وذهبت طائفة من أهل السُّنة إلى تأويل هذه الآيات والأحاديث الواردة في الصفات بما يليق بجلاله تعالى ، مع تنزيهه عن حقيقتها ؛ وهو مذهب الخَلَف .

وقال الإمام الرازي : إن الذي اختاره الأئمة المحقّقون من السلف والخلف ترك الخوض في تعيين التأويل ، بعد إقامة الدليل القاطع على أن حمل اللفظ على ظاهره محال .

ومن المتشابه : الحروف المقطّعة في أوائل السُّوَر ؛ فقد افتُتحت تسع وعشرون سورة من القرآن بنصف أسماء حروف المعجم ؛ وهي : الألف واللام ، والميم والصاد ، والراء والكاف ، والهاء والياء ، والعين والطاء ، والسين والحاء ، والقاف والنون .

فالمبدوء منها بالألف واللام ثلاث عشرة ، وبالحاء والميم سبع ، وبالطاء أربع ، وبكل من الكاف والياء والصاد والقاف والنون واحدة . وبعض هذه الحروف المبدوء بها أحادي ، وهو : صٓ ، قٓ ، نٓ . وبعضها ثنائي ، وهو : طه ، وطسٓ ، ويسٓ ، وحمٓ . وبعضها ثلاثي ، وهو : الٓمٓ ، و الرٓ ، وطسٓمٓ . وبعضها رباعي ، وهو : الٓمٓصٓ ، والٓمٓر . وبعضها خماسي ، وهو : كٓهيعٓصٓ ، وحمٓ عٓسٓقٓ . ولا تزيد على ذلك .

والمختار فيها – كما ذكره الجلال في الإتقان – : أنها من الأسرار التي لا يعلمها إلا الله تعالى .

وعن أبي بكر الصديق : في كل كتاب سِرّ ، وسِرُّه في القرآن أوائل السور .

وعن ابن عباس : عجزت العلماء عن إدراكها . وعن الشَّعبيّ : هي سِرّ الله فلا تطلبوه . وممن ذهب إلى ذلك عمر وعثمان وعليّ وابن مسعود وسفيان والربيع .

وخاض في معناها آخرون ؛ فقال بعضهم : إن كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسمائه تعالى ؛ والعرب تنطق بالحرف الواحد ، تدلّ به على الكلمة التي هو منها . وقيل : هي أسماء للسوَر . قال الزَّمَخْشَريّ : وعليه إطباق الأكثر .

وأما الحكمة التي اقتضت إيراد هذه الحروف في أوائل السُّوَر مع قطع النظر عن معانيها في أنفسها فقيل : إنما ذكرت في مفتتح السور بياناً لإعجاز القرآن ، وأنه كلمات مركبة من حروف الهجاء التي تتألف منها الكلمات التي ينطقون بها ، وقد عجز الخلق عن معارضته ؛ فلو لم يكن وحياً من عند الله تعالى لم تتساقط مقدرتهم دون معارضته . حكاه الرازي عن المبرد وجمع من المحققين ، وحكاه القرطبي عن الفراء ، ورجّحه الزمخشري ، وإليه ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ المِزِّيّ .

وقد ذكر العلماء لوقوع المتشابه في القرآن فوائد ، منها في المتشابه الذي يمكن علمه : أنه يوجب مزيد المشقة في الوصول إلى المراد ، وهي توجب مزيد الثواب . ومنها : ظهور التفاضل وتفاوت درجات الخلق في معرفة القرآن ؛ إذ لو كان كله محكماً لا يحتاج إلى تأويل ونظر ، لاَستوت منازل الخلق فيه ، ولم يظهر فضل العالم على غيره . ومنها في المتشابه الذي لا يمكن علمه : ابتلاء العباد بالوقوف عنده ، والتوقف فيه ، والتفويض والتسليم ، والتعبد بالاشتغال به من جهة التلاوة ، وإقامة الحجة عليهم ؛ لأنه لما نزل بلسانهم وعجزوا عن الوقوف على معناه مع بلاغتهم وأفهامهم ، دلّ على أنه منزّل من عند الله تعالى .

الخامسة – في أقسام القرآن :

أنزل الله تعالى القرآن بلسان عربي مبين ، وجاء فيه في مجادلة المنكرين ومراغمة الجاحدين ، وفي تقرير الحقائق ، والكشف عن الدقائق ، وبيان عظيم قدرته تعالى ، وبديع صنعته ، وبالغ حكمته ، وعظمة ملكه ، وسننه في خلقه – بالحجج الدّامغة ، والبراهين الساطعة ، يصرّف الآيات للناس لعلهم يفقهون ، ويضرب لهم الأمثال لعلهم يتذكّرون ، ويؤكد لهم الأخبار بمختلف الأقسام على أسلوب فصحاء العرب في مخاطباتهم ومحاوراتهم ؛ فقد كانوا إذا أرادوا توكيد الأمر وتحقيقه ، أقسموا عليه بالعظيم الخطير الشأن ، أو الكثير النفع ، أو الظاهر الفضل .

وتوكيد الكلام بالقَسم إذا اقتضاه الحال أسلوبٌ بليغ رصين . ولله تعالى أن يُقسم بما شاء . فأقسم تعالى بنفسه في القرآن في سبعة مواضع ؛ لتقرير وجوب الإيمان به ، والطاعة له . وأقسم بأفعاله العجيبة ، ومصنوعاته البديعة ، فقال : ﴿ والسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ، والْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴾ . وقال : ﴿ والنَّجْمِ إِذَا هَوَى – وَالطُّورِ ، وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ – وَالضُّحَى ، واللَّيْلِ إِذَا سَجَى – وَالْفَجْرِ ، وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ . والقَسَمُ بها في معنى القسَم به تعالى ؛ إذ هو صانعها ومبدعها .

قال ابن القيّم : إنه يقسم في القرآن بأمور على أمور ؛ فيقسم بذاته الموصوفة بصفاته ، وبآياته المستلزمة لإثبات ذاته وصفاته ، ويُقسم ببعض مخلوقاته ؛ للدلالة على أنها من عظيم آياته .

وقد يأتي في القرآن بالقَسَم الظاهر كقوله تعالى : ﴿ والضحَى ، واللَّيْلِ إِذَا سَجَى – تَاللّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ . وقد يأتي بنحو قوله : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾ وبنحو قوله : ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ .

وقد أقسم تعالى على التوحيد ، وعلى أن القرآن حق ، وعلى أن الرسول حق ، وعلى الوعد والوعيد والجزاء ، وعلى حال الإنسان وطبيعته ، وكثيراً ما يُذكر جواب القَسَم ، وقد يحذف للعلم به ، أو لوجود ما يدلّ عليه .

وبالتأمل في كل قَسم من أقسام القرآن تظهر المناسبة الدقيقة بينه وبين المُقَسم عليه ، وهو نوع بديع من وجوه بلاغة القرآن .

السادسة – في الاستعاذة :

لما كانت الاستعاذة بالله من الشيطان الرّجيم تطهّر القلب ، وتطرد عنه الوساوس والهـواجس ، وخواطر السوء ؛ كان من السُّنة الاستعاذة عند إرادة القراءة خارج الصلاة ؛ قال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ . فيقول القارىء : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ؛ على ما اختاره مالك وأبو حنيفة والشافعي . أو أعوذ بالله السميع العليم ، من الشيطان الرجيم ؛ على ما اختاره أحمد ، رضي الله عنهم . أي ألتجىءُ إلى لله تعالى ، وأستجير به ، وأتحصّن مما أخشاه من الشيطان الطريد من رحمته تعالى ؛ يقال : عُذْتُ بفلان ، واستعذت به ؛ أي التجأت إليه وتعلّقت به . ومنه : أعيذك بالله أن تفعل كذا . ومعاذَ الله ، وعِياذَ الله .

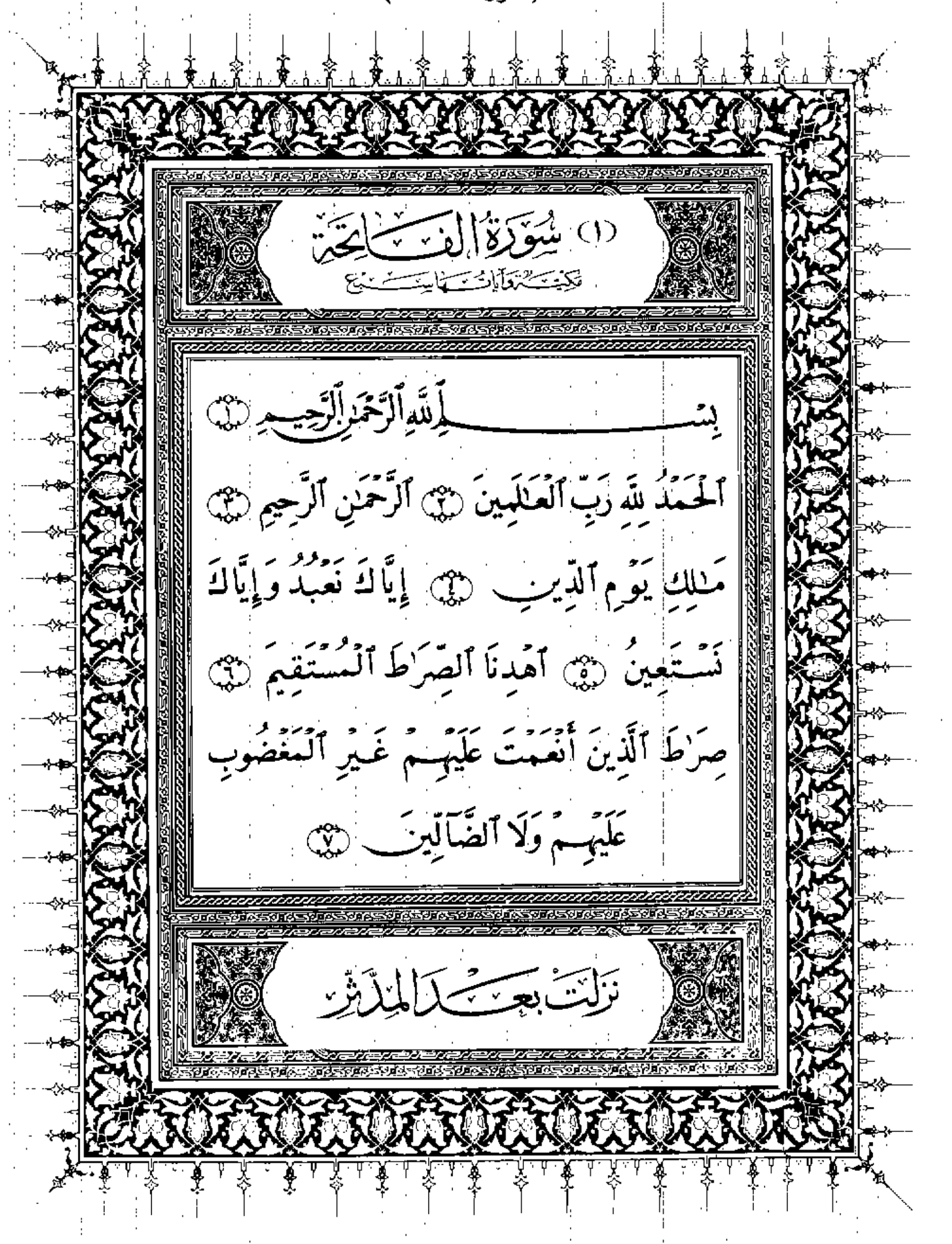
السابعة – في البسملة :

ذهب كثير من القراء والأئمة إلى أن البسملة ليست آية من الفاتحة ، ولا من غيرها من السوَر ، وإنما هي آيةٌ واحدة من القرآن ، أنزلت للفصل بين السّور والتبرك بها في الابتداء . وإليه ذهب أبو حنيفة ومالك . وذهب آخرون إلى أنها آيةٌ من الفاتحة ، ومن كل سورة غيرِ براءة . وإليه ذهب الشافعي ، وأحمد في إحدى الروايتين عنه . وهذا كله في غير بسملة النمل « آية ٣٠ » فإنها جزء آية باتفاق .

الثامنة – في التأمين :

يُندب للقارئ بعد الفراغ من الفاتحة أن يقول « آمين » ؛ مفصولةً عنها بسكتة خفيفة ، ومعناها : استجب يا الله ، أو افعل . وليست من القرآن باتفاق ؛ ولذا أجمعوا على عدم كتابتها في المصاحف .

صفوة البيان
لمعاني القرآن



بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفاتحة

٢ ـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ثناء أثنى الله به على نفسه. وفى ضمنه تعليمُ عباده كيف يُثنون عليه، وأمْرُهم به. وعن ابن عباس: الحمد لله هو الشكر لله، وهو الاستخذاء له، والإقرار بنعمته وهدايته. ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مالكهم. وكلُّ من ملك شيئًا يدعَى ربَّه، أو مُرَبِّيهم ومتولّى أمورهم، والقائم عليهم بما يصلحهم؛ يقال لمن قام بإصلاح الشيء وإتمامه: قد رَبّه. ويقال: فلان يُرَبُّ صَنيعته عند فلان إذا كان يحفظها ويربّيها عنده، وفى الحديث: (هل لك من نعمة تربُّها عليه؟)[1] أي

(١) رواه مسلم.

تحفظها وتربّيها كما يربّى الرجل ولده. وأصل الرَّب. مصدر بمعنى التربية. وهى تبليغ الشىء إلى كماله بحسب استعداده شيئًا فشيئًا. واستعير للفاعل أى المربّى. والرَّبُّ على الأول صفة ذات، وعلى الثانى صفة فعل. و ﴿العالَمين﴾ جمع عالَم. وهو ما سوى الله تعالى؛ وسمّىَ بذلك لأنه علَم على وجود الخالق. وجُمع جَمع العقلاء تغليبًا.

٣ - ﴿الرَّحْمٰنِ﴾ بما سَتَرَ في الدنيا وأفاض من الخير على خَلْقِه. ﴿الرَّحِيمِ﴾ بما غفر في العُقبى وجاد بالفضل على عباده.

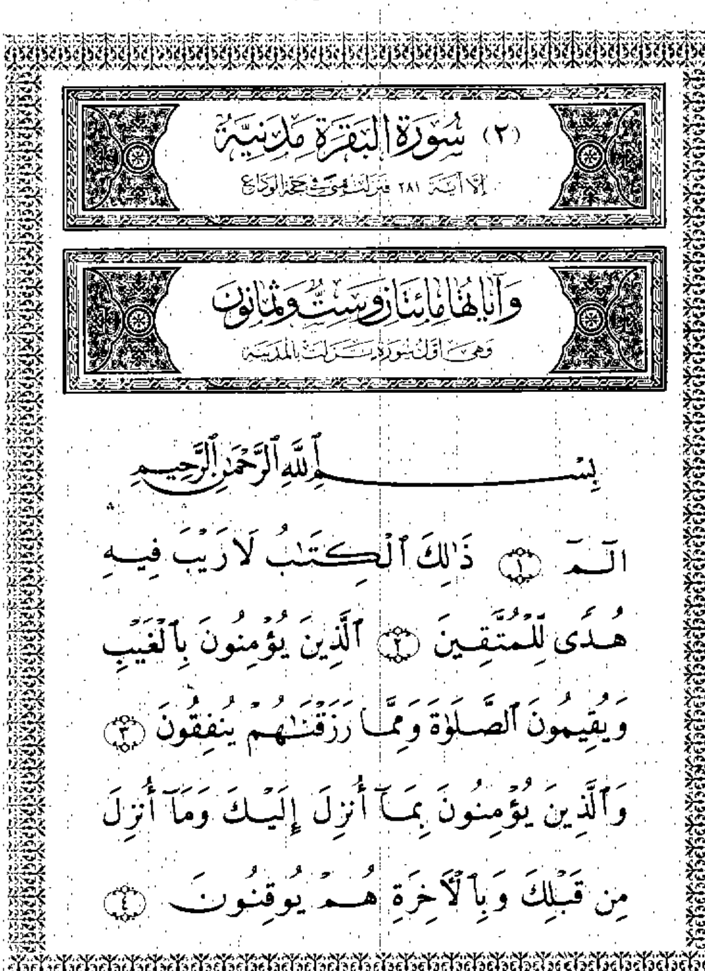
٤ - ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ صاحب المُلك فى ذلك اليوم الذى يكون فيه الجزاء والحساب على الأعمال. والمتصرّفُ فيه بالأمر والنهي وحده؛ قال تعالى: (اليومَ تُجزَى كُلُّ نَفْسٍ بمَا كَسبَتْ)[1]. (يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الحقَّ)[2] ويقال: دِنْته بما صنع دِينًا - بفتح الدال وكسرها - جزيتُه. وكما تدين تُدان. والله الدّيان؛ أى المجازى.

٥ - ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لا نخضع ونَذِلّ إلاَّ لك. إقرارًا لك بالرُّبوبية. فلا نعبد سواك. والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلّل. وتستعمل بمعنى الطاعة؛ ومنه: (أَلَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ)[3]. وبمعنى الدعاء؛ ومنه: (إنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي)[4]. وبمعنى التوحيد؛ ومنه: (وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإنسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ)[5]. وكلها متقاربة المعنى. ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لانستعين إلا بك على عبادتنا وطاعتنا لك فى جميع أمورنا؛ مخلصين لك؛ فلا نستعين بغيرك؛ وفى الحديث: (إذا استعنتَ فاستعن بالله)[6]. وقُدّمت العبادة على الاستعانة لأنها وسيلة الإجابة، وتقديمُ الوسيلة قبل طلب الحاجة أقرب إلى الإجابة.

٦ - ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ﴾ أرشدْنا إلى الاستقامة على امتثال أوامرك، واجتناب نواهيك. أو أرنا طريق هدايتك الموصّلةَ إلى قُربك. أو ألهمنا الطريقَ الهادى، وهو دين الله الذى لا عِوَج له. والهدايةُ: الدّلالة بلطف على ما يوصّل إلى المطلوب. وقيل: هى الدلالة الموصّلةُ إليه. و «الصراط المستقيم»: الطريق السهل السويّ الذى لا اعوجاج فيه. والمراد منه: الطريق الحق، أو دين الإسلام.

٧ - ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أى **بطاعتك** من ملائكتك وأنبيائك والصدِّيقين والشهداء والصالحين؛ وإليه الإشارة بقوله تعالى: (فأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ والشُّهَدَاءِ والصَّالِحِينَ)[7]. ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ رُوِىَ مرفوعًا تفسيرُ «المغضوب عليهم» باليهود. و «الضَّالين» بالنصارى؛ قال تعالى فى اليهود: (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبةً عِنْدَ اللهِ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وغَضِبَ عليه وجَعَلَ مِنْهُمُ القِرَدَةَ والخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ)[8]. وقال تعالى فى النصارى: (يَا أَهْلَ الكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الحَقِّ ولا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وأَضَلُّوا كَثِيراً وضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ)[9]. واليهود قد عرفوا الحق وانحرفوا عنه؛ فغضب الله عليهم. والنصارى جهلوه وعمُوا عنه؛ فضلُّوا وأضلّوا. وفى حُكم اليهود والنصارى مَن هم على شاكلتهم من أهل النِّحَل الأخرى من غير المسلمين. والغضب: صفة أثبتها الله تعالى لنفسه على الوجه اللائق بجلال ذاته؛ نؤمن بها. ونفوّض إليه تعالى علم حقيقتها بالنسبة إليه. مع تنزيهه عن مشابهة الحوادث. وأثرها الانتقام والعذاب. والضلال: العدول عن الطريق السَّوِيّ. والذَّهاب عن سَنَن القصد، وطريق الحق؛ ومنه: ضَلَّ اللبنُ فى الماء إذا غاب.

(١) آية ١٧ غافر. (٢) آية ٢٥ النور. (٣) آية ٦٠ يس. (٤) آية ٦٠ غافر. (٥) آية ٥٦ الذاريات. (٦) رواه الترمذي.
(٧) آية ٦٩ النساء. (٨) آية ٦٠ المائدة. (٩) آية ٧٧ المائدة.



سورة البقرة

١ - ﴿الٓمٓ﴾ [راجع المسألة الرابعة من المقدمة ص «و»] .

٢ - ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾ ذلك الكتاب الكامل ، وهو القرآن العظيم . والكتاب : مصدر كَتَب كالكَتْب . وأصل الكَتْب ضمّ أديم إلى أديم بالخياطة ؛ واستعمل عُرفًا فى ضم الحروف بعضها إلى بعض بالخطّ . وأريدَ به هنا المنظومُ عبارةً قبل أن تُنظم حروفه التى يتألف منها فى الخطّ ؛ تسميةً للشىء باسم ما يئول إليه . ﴿لا رَيْبَ فِيهِ﴾ أى ليس هذا الكتاب محلا لأن يرتاب عاقلٌ منصفٌ فى أنه منزّل من عند الله ، أو فى هدايته للبشر ؛ لأن معه من الدلائل ما لو تأمله لم يتطرّق إلى نفسه أدنى شك فى ذلك . والرَّيْبُ : الشكّ والظِّنة والتهمَة . مصدر رابه الأمر إذا حصل عنده فيه ريبة ، وقال ابن الأثير : هو الشك مع التهمَة . ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ هو هدايةٌ وإرشاد لهم . مصدر هداه هُدًى وهِدايةً وهِدْيةً - بكسرهما - فهُدِىَ . ومعناه الدلالة الموصّلة إلى البُغية ؛ وضدُّه الضلال . والمتّقون : هم الذين يجتنبون كلَّ ما يُؤَثِّم من قول أو فعل . أو يمتثلون ما أمر الله به ويجتنبون ما نهى عنه ؛ وقايةً لأنفسهم من عذاب الله وسخطه . جمع مُتَّق ؛ اسم فاعل من اتّقَى وأصله اوْتَقَى - بوزن افتعل - من وَقَى الشىء وقايةً ؛ أى صانه وحفظه مما يضرّه ويؤذيه . فإذا بنيت منه افتعَل قلبت الواو تاءً وأدغمت فى التاء الأخرى فصارت اتّقى . وخصّ المتقين بالذكر لأنهم هم الذين ينتفعون به .

٣ - ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ يصدّقون بما غاب عن حواسهم ؛ كالصانع وصفاته ، واليوم الآخر وما فيه من البعث والحساب والجزاء . والإيمانُ لغةً : التصديق والإذعان . وهو إفعال من الأمن ؛ كأن حقيقة قولهم : آمن به ، آمنه التكذيبَ والمخالفة . وشرعًا : التصديق بما عُلم بالضرورة أنه من دين محمد صلّى الله عليه وسلّم ؛ كالتوحيد والنبوّة والمعاد والجزاء . والغَيْبُ : مصدر غاب ، أقيم مقامَ اسم الفاعل وهو غائب مبالغةً بجعله كأنه هو . وهو الخفىّ الذى لا يُدركه الحسّ ، ولا تقتضيه بديهةُ العَقل . وإنما يُعلم بخبر الأنبياء عليهم السلام . ومنه ما لم يُنصَب عليه دليل ؛ وهو الذى استأثر الله تعالى بعلمه كالقدَر . ومنه ما نُصبت عليه الدلائل كوجود الصانع وصفاته .

أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾

والباء صلة للإيمان لتضمينه معنى الاعتراف. ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ﴾ يعدّلون أركانها، ويوفون شرائطها، ويحفظونها من أن يقع زَيغ فى أفعالها. من أقام العودَ إقامة إذا أزال عِوجه؛ كقوّمه. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُم يُنْفِقُونَ﴾ ومما أعطيناهم وملّكناهم يتصدّقون فى سُبل الخير تطوُّعًا أو فَرْضًا. من الإنفاق، وهو إخراج المال وإنفاده وصرفه. يقال: نفِقَ - كفرِح ونصر - نَفِد وفنِيَ أو قَلّ. وأنفق ماله أنفده. والهمزة للتّعدية. وأصل المادة يدلّ على الخروج والذهاب. ومنه: نافق فلان، والنَّافِقَاء، والنَّفَق.

٤ - ﴿وبالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ وبالنشأة الآخرة هم يعلمون علمًا قطعيًّا، لا أثَر فيه للادعاءات الكاذبة والأوهام. من الإيقان، وهو التحقق؛ يقال: يَقِنَ الماءُ، إذا سكن وظهر ما تحته. وهو واليقين: العلم وزوال الشك؛ يقال: يقِنتُ - بالكسر - يَقْنًا، وأيقنتُ وتيقّنت واستيقنت بمعنًى واحد. وهو درجة من العلم فوق المعرفة والدراية وأخواتها. يصحبها ثباتُ الحُكْم وسكون النّفس وطمأنينتها.

٥ - ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بما طلبوا، الناجون مما منه هربوا. من الفلاح؛ وهو الفوز والظَّفَر بدرْك البُغية. وأصله من الفَلْح - بسكون اللام - وهو الشّق والقطع؛ ومنه فلاحة الأرض وهو شقها للحرث. واستعمل منه الفَلاَح فى الفوز؛ كأنّ الفائز شقّ طريقَه وفَلَحه للوصول إلى البُغية. أو انفتحت له طريق الظّفَر وانشقّت.

٦ - ﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ جحدوا الرسالة. والمراد بهم هنا المشركون؛ لذكرهم بعد المؤمنين. وذكر المنافقين بعدهم بقوله تعالى: (وِمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمنّا بالله وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ). والكُفْر - بالضم - ضدّ الإيمان. وأصله المأخوذ منه: الكَفْر - بالفتح - وهو ستر الشيء وتغطيته؛ ومنه قيل: كافر للسحاب؛ لستره ضوءَ الشمس، والليل لستره الأشياءَ بظُلمته، وللزارع لستره البَذْرَ فى الأرض. والكافر عند الإطلاق ينصرف إلى من يجحد الوحدانيةَ أو النبوّةَ أو الشريعة، أو يجحدها كلّها؛ فهو أعمّ من المشرك. وقد يطلق على جاحد النّعمة، وعلى الفاسق عن أمر ربّه؛ ويتبيّن المراد بالقرائن. ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُم لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أى مُستوٍ عندهم إنذارك وعدمُه، فهم لا يصدّقون فى أى حال. والإنذار: إخبارٌ معه تخويف فى مدّة تتسع للتحفُّظ من المَخُوف، فإن لم تتّسع له فهو إعلام وإشعار، لا إنذار. وأكثرُ ما يُستعملُ فى القرآن فى التّخويف من عذاب الله تعالى. والآية فيمن شافههم النبىّ صلى الله عليه وسلم بالإنذار وهم مصرُّون على الكفر والجحود، وقد حقّت عليهم كلمة العذاب لسبق علم الله تعالى بأنهم لا يؤمنون؛ لسوء استعدادهم وفساد فِطَرهم. وسواء: اسم مصدر بمعنى الاستواء خبر «إنّ»، والجملة الاستفهامية

يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْـدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُـمْ عَذَابٌ أَلِـيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَـكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُـمْ لَا تُفْسِـدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَـا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾

بعده مرفوعة به على الفاعلية لتأويلها بمفرد.

٧ ـ ﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ طبع عليها؛ فلا يصل إليها الحقّ ولا ينفُذ فيها، كما سبق في علمه تعالى أزلاً أنهم لا يؤمنون. من الختم، وهو وضع الخاتم على الشيء وطبعه فيه؛ لكيلا يخرج منه ما حصل فيه، ولا يدخله ما خرج منه. وفيه ـ كما قال الراغب ـ: «إشارةٌ إلى ما أجرى الله به العادة أن الإنسان إذا تناهَى في اعتقاد الباطل أو ارتكاب المحظور، دون تلفّت بوجهٍ إلى الحق يورثه ذلك هيئةً تمرّنه على استحسان المعاصي؛ وكأنما يُختَم بذلك على قلبه». وإنما خصّ القلب بالختم لأنه محل الفهم والعلم. ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ غطاء. والغِشاوة: ما يغطَّى به الشيء؛ من غشاه إذا غطّاه. يقال: غشيَه غِشاوةً ـ مثلّثة ـ وغِشاية، ستره وغطّاه. وهو هنا غطاء التعامي عن آيات الله ودلائل توحيده. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أصل العذاب: المنع. يقال: عذَب الفرسُ ـ كضرب ـ امتنع عن العَلَف. وعذَب الرجلُ إذا ترك المأكل والنوم؛ فهو عاذب وعذوب. ثم أطلق على الإيجاع الشديد؛ لما فيه من المنع عن اقتراف الذنب. والعظيم: الكبير؛ من عظم الشيء، وأصله كَبُر عظمه، ثم استعير لكل كبير، محسوسًا كان أو معقولا، عينًا كان أو معنًى.

٨ ـ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ﴾ هذه الآية إلى قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ) في وصف المنافقين بعد وصف المؤمنين والمشركين.

٩ ـ ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ﴾ يخادعون رسول الله بإظهار الإيمان وإبطان الكفر؛ ليدفعوا عن أنفسهم القتلَ والأسْر والجزْية، ويفوزوا بسهم من الغنائم، وليعلَموا أسرار المؤمنين ثم يُفشوها لأعدائهم نكايةً بهم. يقال: خدعه ـ كمنعه ـ خَدْعًا، ختَله وأراد به مكروها من حيث لا يعلم؛ كاختدعه. والاسْم منه الخديعة. ونُسب ذلك إلى الله تعالى للتنبيه إلى علوّ منزلته ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ حيث جعل خداعَه خداعًا له تعالى. وصيغةُ المفاعلة تقع كثيرًا لغير اثنين؛ نحو عافاك الله، وعاقبت اللص. وقرئ «يَخْدَعُونَ الله». أو المراد أن صورة صنيعهم مع الله حيث أظهروا الإيمان وأخفَوا الكفر، وصورةَ صنيع الله معهم حيث أمَر بإجراء أحكام الإسلام عليهم في الدنيا وأخّر عقابهم إلى الآخرة ـ تُشْبه صورة المخادعة؛ وهو كقوله تعالى: (إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ)[1]. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي يَفْطِنُون إلى أن وبال خداعهم عائدٌ عليهم بالشقاء الأبديّ. يقال: شَعُرَ بالشيء ـ كنصر وكرم ـ أي فطِن له؛ ومنه الشاعر لفطنته؛ لأنه يفطِن لما لا يفطِن له غيره من غريب المعاني ودقيقها.

١٠ ـ ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ هو النّفاق والكفر. وسُمّيَ مرضًا لكونه مانعًا من إدراك الفضائل؛ كالمرض المانع للبدن من التصرُّف الكامل. أو لكونه مانعًا من تحصيل السعادة الأخرويّة. أو لميْل النفس به إلى الاعتقادات الفاسدة ميلَ المريض

(١) آية ١٤٢ النساء.

أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ

إلى الأشياء المضِرّة. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم، أى موجع وجعًا شديدًا. من أَلِمَ - كفرح - فهو أَلِم. وآلمه يؤلمه إيلامًا، أوجعه إيجاعًا شديدًا.

١١ - ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أى لا تفسدوا فى جنس الأرض، أو أرض المدينة؛ بالكفر وموالاة أهله، وتعويق الناس عن الإيمان بالرسول والقرآن. والفسادُ: خروجُ الشىء عن حالة الاعتدال والاستقامة. وضدُّه الصلاح. يقال منه: فَسَد الشىءُ فسادًا، وأفسده إفسادًا.

١٣ - ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ أى الجُهّال الخُرْقَى. وكان المنافقون يصفون المسلمين بذلك فيما بينهم. وأصل السّفه: الخفّةُ والرّقة والتحرُّك والاضطراب. يقال: ثوبٌ سفيه، إذا كان ردىء النسج خفيفَه، أو كان باليًا رقيقًا. وتسفّهت الريحُ الشجرَ: مالت به. وزمامٌ سفيه: كثير الاضطراب؛ لمنازعة الناقة إيّاه. وشاع فى خفة العقل وضعف الرأى.

١٤ - ﴿وإذا خَلَوْا إلى شَيَاطِينِهِمْ﴾ انفردوا مع رؤسائهم وقادتهم المشبِهين للشياطين فى تمرّدهم وعتوّهم، وهم اليهود. يقال: خلا به وإليه ومعه، خلْوًا وخَلاءً وخَلْوةً، سأله أن يجتمع به فى خَلْوة ففعَل، وأخلاه معه. أو مضَوْا وذهبوا إلى شياطينهم. يقال: خلا بمعنى مضى وذهب. ومنه: (قد خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ)[1]. ﴿إِنَّا نَحْنُ مُسْتَهزِئُونَ﴾ ساخرون مستخفّون بالمؤمنين. والاستهزاءُ: السُّخْرية والاستخفاف؛ يقال: هَزَأ منه وبه - كمنع وسمع - واستهزأ به؛ أى سَخِر، كعجِب واستَعجب.

١٥ - ﴿اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ يُحقِّرهم تحقيرًا يتَعجَّب منه. أو يجازيهم بالعذاب على استهزائهم بالمؤمنين، وسُمِّىَ ذلك استهزاءً مشاكلة؛ كما فى قوله تعالى: (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا)[2]. ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ يُمهلهم ويُملى لهم؛ ليزدادوا إثمًا. من المدّ بمعنى الإمهال؛ يقال: مدّه فى غَيِّه - من باب ردّ - أمهله وطوّل له. أو يزيدهم ويقوّيهم على وجه الإملاء والإرخاء؛ يقال: مَدّ الجيش وأمدّه، إذا ألحق به ما يقوّيه ويكثره. وقيل: أكثر ما يستعمل المدّ فى المكروه. والإمدادُ فى المحبوب. ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ فى ضلالهم وكفرهم. والطُّغيانُ: مجاوزة الحدّ. ومنه طغا الماء: أى ارتفع. ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يعمَوْن عن الرشد. أو يتحيّرون ويتردّدون بين الإظهار والإخفاء، أو بين البقاء على الكفر وتركه إلى

(١) آية ١٣٧ آل عمران. (٢) آية ٤٠ الشورى.

أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ
لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾
أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ
أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ
مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ
كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ

الإيمان. يقال: عَمِهَ ـ كفَرِح ومَنَع ـ عَمَهًا: إذا تردّد وتحيّر؛ فهو عَمِهٌ وعامِهٌ. وهم عَمِهون وعُمّه، كرُكّع. والعَمَه في البصيرة كالعمَى في البصر، وهو التحيّر في الأمر. والجملة حال من الضمير في «يمدّهم».

١٧ ـ ﴿مَثَلُهُمْ﴾ أي صفة المنافقين. والمَثَل: الصفة؛ ومنه: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾[1]. أي الصفات العُلا. وأصل المَثَل بمعنى المِثْل. النظير والشبيه. ثم أطلق على القول السائر المعروف؛ لمماثلة مضربه وهو الذي يُضرَب فيه لمورده الذي ورد فيه أوّلاً؛ ولا يكون إلا فيما فيه غرابة. ثم استعير للصفة أو الحال أو القصة، إذا كان لها شأن عجيب وفيها غرابة. ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أي أوقد نارًا عظيمة. والسين والتاء مزيدتان وليستا للطلب؛ كاستجاب وأجاب. وتنكير «نارًا» للتفخيم. والإضاءةُ: فَرْط الإنارة. شُبّهت حَيْرة المنافقين في ضلالهم وشدّة الأمر عليهم، بما يكابده مَن طُفئت ناره بعد إيقادها في ظلمة الليل. أو شُبّه المنافق بموقد النار، وإظهارُه الإيمان لاجتناء ثمراته بالإضاءة، وانقطاعُ انتفاعه بإهلاكه، وإفشاءُ حاله بانطفاء النار وذهاب نورها.

١٨ ـ ﴿بُكْمٌ﴾ خُرسٌ عن الهدى والحق فلا ينطقون بهما. جمع أبكم وبَكيم، وهو الذي يولد أخرس. أوْ مَن به داء في اللسان يمنع من الكلام.

١٩ ـ ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ الصيِّبُ ـ كسيّد ـ: المطر؛ من الصَّوْب وهو النزول. يقال: صاب صَوْبًا، إذا نزل وانحدر؛ سُمّيَ به المطر لنزوله. أي كمثل قوم نزل بهم المطر من السماء، وهي جهة العلوّ والمراد السحاب. وهو مَثَل آخر للمنافقين، يصف حَيرتهم وشدّة الأمر عليهم. ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ تصحب الأمطارَ الشديدة التي تحدث عند تكاثف السُّحب في السماء وحَجْبها ضوءَ الشمس عن الأرض ـ ظلماتٌ كأنها سواد الليل، ورعدٌ يصمّ الآذان، وبرقٌ يخطَف الأبصار، وصواعق تحْرق ما تصيبه. وهذه ظواهرُ مُدْرَكةٌ بالحواس، واقعة في كل زمان، تحدث عند حدوث أسبابها التي أوجدها مقدِّر الأسباب والمسبّبات، ومُودع الخواص في المخلوقات؛ تعالى شأنه! وعظُمت قدرته. وقد بيّنت العلوم الكونية أسباب حدوثها؛ فليراجعها من أراد الوقوف عليها فيما أُلّف في الكهرباء التي أودعها الله تعالى في الأجسام وفي آثارها وتفاعلها. ففيها البيان الشافي.

٢٠ ـ ﴿يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾

(١) آية ٦٠ النحل.

وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ * إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي



يذهب بها ويستلبها . من الخَطْف بمعنى السَّلْب . وفعله من باب تعِب . ﴿وإذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ وإذا اختفى عنهم وقفوا عن المشى فى أماكنهم ، متحيّرين مترصّدين ومْضةً أخرى ليصلوا إلى مقاصدهم . يقال : قامت الدابة إذا وقفت . وقام الماء إذا جَمد .

٢٢ ـ ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ صيّرها لأجلكم مهادًا ؛ كالبساط المفروش . فذلّلها لكم ، ولم يجعلها حَزْنةً غليظةً ؛ لإمكان الاستقرار عليها . ويقال للمفروش : فَرْش وفِراش . وهذا لا ينافى كُرويّتها فى الجملة ؛ لأن الكُرة إذا عظمت كانت كل قطعة منها كالسطح فى افتراشه . ذكره النيسابورى والآلوسى . ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ سقفا مرفوعا أو كالقبة المضروبة . ﴿أَندَادًا﴾ أمثالاً ونُظراءَ تعبدونها وتسمّونها آلهة ، وتعتقدون فيها النفع والضّر ، وتجعلون لها ما لله تعالى وحده ؛ فأشبهت حالُكم حالَ من يعتقد أنها آلهة حقيقة ، قادرةٌ على أن تدفع عنكم عذاب الله ، وتمنحكم ما لم يُرد الله بكم من خير . جمع نِدٍّ ، وهو مِثْل الشىء الذى يضادّه وينافره ويتباعد عنه . وأصله من : ندّ البعير يَندّ نَدًّا ونِدادًا ونُدودًا ، نَفر وذهب على وجهه شاردًا .

٢٣ ـ ﴿وإنْ كُنْتُمْ فِى رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِن مِثْلِهِ﴾ أى إن ارتبتم فى شأن ما نزّلناه على مَهَل وتدريج ، وظننتم أن تنزّله كذلك دليل على أنه ليس وحيًا من عند الله تعالى ؛ فأتوا أنتم بسورة من مثله فى سُمُوّ الرُّتبة ، وعُلُوّ الطَّبقة فى النَّظم البديع ، والأسلوب البليغ . ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾ أى ادعوا إلى المعارضة من يحضركم ؛ أو من ينصركم ـ بزعمكم ـ من دون الله ، أو من يشهد لكم أنكم أتيتم بما يماثله . جمع شهيد ؛ بمعنى حاضرٍ أو ناصرٍ ، أو قائمٍ بالشهادة .

٢٤ ـ ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ الوَقود : ما تُوقد به النار وترفع . والمراد بالحجارة : الأصنامُ التى اتخذوها آلهة وقُرنت بهم فى العذاب فى الآخرة كما اقترنوا بها فى الدنيا . وهو نظير قوله تعالى : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[1] أى حطبها ووَقودها .

٢٥ ـ ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ جمع

(١) آية ٩٨ الأنبياء .

أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ

جنّة ، وهى كل بستان ذى شجر متكاثف ، مُلتفّ الأغصان ، يُظَلِّلُ ما تحته ويستره . من الجَنّ ، وهو ستر الشيء عن الحاسّة . وهى سبع درجات : جنة الفردوْس ، وجنة عدْن ، وجنة النّعيم ، ودار الخُلد ، وجنة المأْوَى ، ودار السلام ، وعِلِّيون . وتتفاوت منازل المؤمنين فى كل درجة بتفاوت الأعمال الصّالحة . ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ يُشْبه بعضُه بعضًا فى الصورة والرائحة ، ويختلف فى اللّذة والطَّعم ، أو فى الشرف والمزيّة والحُسن . وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : ليس فى الدنيا مما فى الجنة إلا الأسامى ، وفى الصحيحين : (أعددتُ لعبادى الصالحين ما لا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمعتْ ولا خطَرَ على قلب بَشَر) . ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ نساء مختصّات بهم ، مطهَّراتٌ غاية التطهّر من كل دَنَس وقَذَر ، حسّىّ ومعنوىّ ؛ لا كنساء الدنيا . جمع زوج ، ويُطلق على الذكر والأنثى ، قال تعالى : (اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ)[1] .

٢٦ ـ ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا﴾ أى ليس الحياء بمانع لله تعالى من ضرْب الأمثال بهذه المخلوقات الحقيرة الصغيرة فى نظركم ؛ كالبَعوض والذباب والعنكبوت ، فإن فيها من دلائل القدرة وبدائع الصنعة ما تحار فيه العقول ، ويشهد بحكمة الخالق . وقد جعلوا ضرْب المثل بها ذريعةً إلى إنكار كون القرآن من عند الله تعالى . وفى الآية إشعارٌ بصحّة نسبة الحياء إليه تعالى . ومذهب السلف : إمرارُ هذا وأمثاله على ما ورد ، وتفويض عِلم كُنهه وكيفيّته إلى الله تعالى ، مع وجوب تنزيهه عما لا يليق بجلاله من صفات المحدَثات ؛ واختاره الآلوسى . وذهب جمعٌ من المفسرين إلى تأويله بإرادة لازمِهِ ، وهو ترك ضرْب الأمثال بها ؛ لأن الاستحياء من الحياء ، وهو تغيّرٌ وانكسارٌ يعترى الإنسانَ من تخوّفِ ما يُعاب ويُذمّ به . أو هو انقباض النفْس عن القبائح . وهذا المعنى محال فى حقه تعالى ؛ فيُصرَف اللفظ إلى لازم معناه وهو الترك . ﴿بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ البَعُوض : ضربٌ من الذباب ، ويطلق على البَقّ المعروف وعلى الناموس . «فما فوقها» أى فى الحجم . أو فى المعنى الذى وقع التمثيل فيه . وهو الصغر والحقارة . ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ الفِسْق : الخروج عن الطاعة ؛ من قولهم : فَسَق الرُّطبُ فُسوقًا ـ من باب قعد ـ إذا خرج عن قشره . ويقع بالقليل والكثير من الذنوب ، ولكن تُعورف فيما كان كثيرًا . وهو أعمّ من الكفر ؛ فيقال للعاصى : فاسق . وللكافر : فاسق ؛ لخروجه عما ألزمه العقل واقتضته الفِطْرة . والمراد بالفاسقين هنا : الكفّار جميعًا ، أو المنافقون ، أو أحبار اليهود المتعنِّتون ؛ بدليل الأوصاف الآتية . والإضلال : خلقُ فعلِ الضلال فى العبد ، كما أن الهداية خلقُ الاهتداء فيه .

٢٧ ـ ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ﴾ صفة للفاسقين . والعهد : اسم للمَوْثِق الذى يلزم مراعاته وحفظه . يقال : عَهِد إليه فى كذا ، إذا أوصاه به ووثّقه عليه . وعهدُ الله : تارةً يكون بما رُكِّز

(١) آية ٣٥ من هذه السورة .

مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا

فى العقول من الحُجّة على التوحيد . وتارةً يكون بما أوجبه الله على الناس على لسان رسله ، صلوات الله وسلامه عليهم . وتارةً بما يلتزمه المؤمن وليس بلازم له فى أصل الشرع مما ليس بمعصية ؛ كالنذور وما يجرى مجراها . ونقضُه : فسْخُه وإبطاله .

٢٩ - ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ علا إليها وارتفع ، من غير تكييف ولا تحديد ولا تشبيه ؛ مع كمال التنزيه عن سِمات المحدَثات . وقد سئل مالك - رضى الله عنه - عن الاستواء على العرش فقال : الاستواء غير مجهول ، والكيْف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدْعة . أو المعنى : أقبل وعمَد إلى خلقها بإرادته . والمراد بالسماء : الأجرام العُلوِيّة ، أو جهة العلوّ .

٣٠ - ﴿لِلْمَلاَئِكَةِ﴾ هم جُندٌ من خلق الله . ركّز الله فيهم العقل والفهم ، وفطَرهم على الطاعة ، وأقدرهم على التشكّل بأشكال مختلفة ، وعلى الأعمال العظيمة الشاقة ، ووصفهم فى القرآن بأوصاف كثيرة ؛ منها أنهم : (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَيَفْتُرُونَ)(١) ، و (لاَيَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)(٢) . ومنها : أنهم رسل الله أرسلهم بأمره ، ومنهم رسل الوَحْي إلى مَن اصطفاهم من خلقه للنبوّة والرسالة ؛ قال تعالى : (جَاعِلِ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً)(٣) ، وقال تعالى : (اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ)(٤) . (يُنَزِّلُ الْمَلاَئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ)(٥) . جمع ملَك . والتاء لتأنيث الجمع ، وأصله مَلْأَك ، من مَلَك ؛ نحو شمأل من شَمَل ، والهمزة زائدة ، وهو مقلوب مألك ، ثم سهّلوه فقالوا : مَلك . وقيل : إن مَلْأك من لَأَك إذا أرسل ؛ ومنه : الألُوكة ، أى الرسالة . ﴿خَلِيفَةً﴾ هو مَن يخلُف غيره وينوب منابه ؛ فهو فعيل بمعنى فاعل ، والتاء فيه للمبالغة . والمراد به آدم عليه السلام ؛ لأنه كان خليفةَ الله فى الأرض . وكذلك سائر الأنبياء ، استخلفهم الله تعالى فى عمارة الأرض وسياسة الناس ، وتكميلِ نفوسهم ، وإجراءِ أحكامه عليهم ، وتنفيذِ أوامره فيهم . وقيل : آدم وذرّيته ؛ لأنه يخلف بعضهم بعضًا فى عمارة الأرض ، واستُغنى بذكره عن ذكر ذرّيته لكونه الأصل . ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ الفساد : الخروج عن الاعتدال والاستقامة ، ويضادّه الصلاح . يقال : فسَد الشىء فسادًا وفُسودًا ، وأفسده

(١) آية ٢٠ الأنبياء . (٢) آية ٦ التحريم . (٣) آية ١ فاطر . (٤) آية ٧٥ الحج . (٥) آية ٢ النحل .

ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَٰفِرِينَ (٣٤)

غيره. وقد عرف الملائكةُ وقوع ذلك من الإنسان بإخبار من الله تعالى أو إلهام ، ولم يقصّ علينا فيما حكى الله عنهم للإيجاز على عادة القرآن. والاستفهامُ: استكشافٌ عن الحكمة الخفيّة في هذا الاستخلاف ، مع ما سيترتّب عليه من الإفساد وسفك الدماء. ﴿ويَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ السَّفْك: الصَّب والإهراق ؛ يقال: سفكت الدّمَ والدمعَ سَفْكًا – من باب ضرب – صببته. والفاعل سافك وسفّاك. والمراد به حصول التّقاتل بين أفراد بني الإنسان ظلمًا وعدوانًا. ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ ننزّهك عما لا يليق بعظمتك ، تنزيهًا متلبّسًا بحمدك والثناء عليك. من التسبيح ، وهو تنزيه الله من السُّوء على وجه التعظيم. وهو مشتقّ من السَّبْح ، وهو المرّ السريع في الماء أو في الهواء ؛ فالمسبِّحُ مسرعٌ في تنزيه الله وتبرئته من السُّوء. ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ نطهّر ذكرك عما لا يليق بك ، تعظيمًا لك وتمجيدًا. من التقديس بمعنى التطهير ؛ ومنه: الأرض المقدّسة ، وروح القُدُس. واسمه تعالى القدوس ، أي الطاهر. واللام في «لك» زائدةٌ لتأكيد التخصيص.

٣١ – ﴿وعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ ألهمه معرفةَ ذوات الأشياء التي خلقها الله تعالى في الجنة ، ومعرفةَ أسمائها ومنافعها. أو ألهمه معرفةَ أجناس الأشياء وأنواعها ، ومعرفةَ أسمائها وخواصّها ، ثم عرض هذه المُسمَّيات على الملائكة فقال لهم على سبيل التعجيز: ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيما اختلج في خواطركم من أني لا أخلق خلقًا إلّا أنتم أعلم منه وأفضل. فلما اعترفوا بعجزهم وقالوا: (لَا عِلْمَ لنا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا) وليس ذلك منه. أمر آدم أن ينبئهم بها ؛ فأنبأهم بها إظهارًا لأحقّيته في الاستخلاف في الأرض التي من شأنها أن توجَد فيها هذه المسمّيات.

٣٢ – ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ تنزيهًا لك عن أن يكون فعلُك لغير حكمة ، أو عن عدم قدرتك على خلق من هو أعلم وأفضلُ منّا. وهو مصدر منصوب بفعل محذوف وجوبًا. وهو سَبَحَ – مخفّفًا – بمعنى نَزّه. أو معناه: إسراعًا إليك ، وخفّةً في طاعتك ، والرضا بفعلك ؛ كما يفعل السَّابح في الماء.

٣٤ – ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ السجود لغةً: التذلّلُ والخضوع مع انخفاض بانحناء وغيره. وخُصّ في الشرع بوضع الجبهة في الأرض على قصد العبادة. والأظهرُ أن المأمور به: السجودُ بالمعنى اللغوي ، وهو التواضع والخضوع لآدمَ تحيّةً وتعظيمًا ، وإقرارًا له بالفضل دون وضع الجباه ؛ كسجود إخوة يوسفَ له ، وهو إنما كان بالانحناء. وقد أبطل الإسلام ذلك ، وجعل التحيّة السلامَ والمصافحة. وهذا الأمر

وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟

ابتلاءٌ واختبارٌ ؛ ليميز الله الخبيثَ من الطيّب وينفذ ما سبَق به العلمُ ، واقتضته المشيئة والحكمة . ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ .هو أبو الجنّ ، مشتقٌ من الإبلاس ، وهو الحُزن الناشئ عن شدّة اليأس . وفِعلُه أبلس ، ولم ينصرف لأنه معرفة ، ولا نظير له فى الأسماء فأشبه الأعجميّة . وقيل : هو أعجميّ لا اشتقاق له . فلم يَنصرف للعلميّة والعُجمة . والاستثناء منقطع . وقيل متّصل ، وأن إبليس كان من الملائكة ؛ ورجّحه الطبَرىّ .

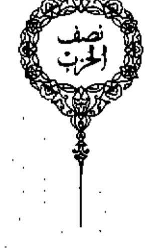
٣٥ ـ ﴿ وَزَوْجُكَ ﴾ تقول العرب للمرأة : زوج ، ولا تكاد تقول زوجة . ﴿ الجَنَّةَ ﴾ جمهور أهل السُّنة على أنها جنّة المأوى ، وهى دار الثواب والخلود للمؤمنين فى الآخرة . وذهب آخرون منهم أبو مسلم الأصفهانى : إلى أنها بستان فى الأرض خلقه الله امتحانًا لآدم وزوجه . وساق أدلّة الفريقين الإمامُ ابن القيّم ولم يرجّح شيئًا منها . والأحْوطُ الأسلمُ : الكفُّ عن تعيينها وعن القطع به ، وإليه مال أبو حنيفة وأبو منصور الماتُريدى فى التأويلات . ﴿ رَغَدًا ﴾ أى أكْلاً كثيرًا واسعًا بلا عَناء ؛ يقال : رغِدَ عيشُه ـ كسَمِع وكَرُم ـ رَغْدًا ورَغَدًا ، اتّسع وطاب . وأرغد القومُ : أخصبوا وصاروا فى رَغَد من العيش . ﴿ هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ أبْهم القرآن تعيينها ولم يقم دليل عليه ؛ فالأوْلى عدم القطع به . والتاء فيها للوحدة الشخصيّة . ولذلك ظنّ آدم أنه إنما نُهى عن عينها فأكل غيرها من جنسها . وقيل : للوحدة النوعيّة . وإنما أكل منها ناسيًا أو متأوّلا أن النَّهْىَ نهىُ إرشاد فقط .

٣٦ ـ ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ﴾ أذهبهما وأبعدهما عن الجنة بكذبه عليهما ، ومقاسمته أنه لهما من الناصحين ؛ من الإزلال وهو الإزلاق . يقال : زَلّ يَزِل زَلاً وزَلَلاً : زَلِق فى طين أو منطق . والاسم الزَّلة . وأزلّه غيره واستزلّه : أزلقه فيه . أُطلق وأريد به لازمه وهو الإذهاب . وقُرِئَ « فأزالهما » أى نحّاهما ؛ من الإزالة . تقول : أزلت الشىء عن مكانه إزالةً . نحّيته وأذهبته عنه . ﴿ اهْبِطُوا ﴾ الهبوطُ : النزولُ من أعلى إلى أسفل . ضد الصعود . يقال : هَبَطَ يهبُط ويهبِط . أى نزل من عُلو إلى سُفْل . والخطاب لآدم وزوجه ؛ كما قال تعالى : (قال اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا)[1] . وهما المقصودان بالخطاب فى قوله تعالى : (قال اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ)[2] . والقصّة واحدة . ﴿ وَمَتَاعٌ ﴾ المتاعُ : اسمٌ لما يُستمتَع به من أكل وشُرب ولبس وحياة وأُنْس وغير ذلك ؛ من مَتَع النهارُ مُتوعاً إذا ارتفع . ويطلق على الانتفاع الممتدّ الوقت .

٣٧ ـ ﴿ كَلِمَاتٍ ﴾ هى كلمات التّوبة والاستغفار . والمأثور أنها (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)[3] . وعن ابن مسعود أنها : سبحانك اللّهُمّ وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جَدُّك ، لا إله إلاّ أنت ، ظلمتُ نفسى

(١) آية ١٢٣ طه . (٢) آية ٢٤ الأعراف . (٣) آية ٢٣ الأعراف .

مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾
يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ
وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾
وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ
بِهِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا
تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾



۞ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ
إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ

فاغفر لى ؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . ﴿التَّوَّابُ﴾ الرجّاع على عباده بقبول توبتهم . أو بإعانتهم وتوفيقهم إليها . ويقال للعبد : توّاب ؛ بمعنى كثير التوبة والنّدم والاستغفار من الذنوب . من التَّوْب وهو الرجوع ؛ لرجوعه إلى ربه فى ذلك . ويلزمه ترك الذنب . والتوبةُ فى الشرع : تركُ الذنب لقُبْحه . والندمُ على فعله . والعزمُ على ترك معاودته ، وتداركُ ما فات من حقوق العباد بقدر الإمكان .

٤٠ - ﴿يا بَنِى إِسْرَائِيلَ﴾ لَقَبُ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيمَ عليهم السلام . ومعناه بالعِبريّة : عبد الله ، أو صفْوة الله . وقد عدّد الله فى هذه السورة على بنى إسرائيل من هذه الآية إلى آية ١٤٢ نِعمًا عشراً ، حباهم بها رحمةً وفضلاً . وقبائحَ عشراً ، ارتكبوها جحودًا وإثمًا . وانتقاماتٍ عشرة ، أنزلها الله بهم جزاءً وفاقًا . ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِى﴾ أدُّوا ما عاهدتمونى عليه من الإيمان والتزام الطاعة ، وأتمّوه واحفظوه . يقال : أوْفَى بعهده ، ووفى - مشدّدًا ومخفّفًا ، إذا أتمّه ولم ينقض حفظه . والوفاءُ ضد الغدْر . ﴿وَإِيَّاىَ فَارْهَبُونِ﴾ فخافونى فى نقض العهد ، أو فى جميع ما تأتون وتذَرُون . من الرَّهْبة ، وهى الخوف مطلقا ، أو خوفٌ معه تحرُّز . وفِعْلُه كعَلِمَ .

٤٢ - ﴿وَلَا تَلْبِسُوا﴾ ولا تَخلطوا . يقال : لَبَسَ عليه الأمرَ - كضرب - خلطه ؛ ومنه التلبيس ، بمعنى التخليط والتدليس . وتلبّس بالأمر : اختلط . ولابسه : خالطه .

٤٤ - ﴿بِالْبِرِّ﴾ هو التوسّع فى الخير ؛ مأخوذ من البَرِّ - بالفتح - وهو الفضاء الواسع . وأصلُ كلِّ برّ : الإيمانُ بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم . وكان أحْبار اليهود يأمرون الناس بالطاعة والكفّ عن المعصية ولا يفعلون ذلك .

٤٥ - ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ أى وإن الصلاة لثقيلةٌ شاقّةٌ ؛ كما قال تعالى : (وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى)[1] . يقال : كبُر - ككرم - كِبَراً وكُبْرًا ؛ أى عظُم . ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ أى المتضرّعين المخبتين للطّاعة ، الذين

(١) آية ١٤٢ النساء .

وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ

اطمأنّت قلوبهم إليها ؛ وفى الحديث : (وجُعلت قُرَّة عينى فى الصلاة)[1] ، من الخشوع وهو الضَّراعة ، وأكثر ما يستعمل فيما يظهر على الجوارح ؛ قال تعالى : (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ)[2] .

٤٦ - ﴿الَّذِينَ يَظُنُّون﴾ المراد بالظّن هنا اليقين ؛ كما فى قوله تعالى : (إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ)[3] .

٤٧ - ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أى على الموجودين فى زمانهم بالفعل ؛ فلا يتناول اللفظ مَنْ مضى ولا مَن يُوجد بعدهم .

٤٨ - ﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ أى لا تقضى فيه نفسٌ عن نفس شيئًا مما وجب عليها ولا تنوب عنها فيه . من الجزاء ؛ يقال : جَزَى عنه ، أى قضى . و «شيئًا» مفعول به . وقُرئ «تُجْزِى» - بضم التاء - من أجزأ عنه ؛ أى أغنى عنه . أى لا تغنى نفس عن نفس شيئًا - من الإغناء - ، ولا تجديها نفعًا . و «شيئًا» مفعول مطلق . ﴿عَدْلٌ﴾ فِدْيَة وبَدَل . وأصل العَدْل - بالفتح - : ما يساوى الشىء قيمةً وقدرًا وإن لم يكن من جنسه . والعِدْل - بالكسر - : المساوى من الجنس ؛ ومن العرب من يَكسر العين من معنى الفِدْية . وقيل للفدية : عِدْل لما فيها من معنى المساواة والمماثلة والمعادلة . ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ يُعانون ، من النصر وهو العَوْن . والمراد أنهم لا يُمنعون من عذاب الله .

٤٩ - ﴿فِرْعَوْنَ﴾ لَقَبٌ لكل مَن مَلك مِصْرَ فى ذلك العهد . وفرعونُ الذى وُلد موسى فى زمنه ، ورُبِّىَ فى بيته ، وكان يسومهم سوء العذاب ، هو رعمسيس الثانى من الأُسْرة التاسعةَ عشرةَ . أما فرعون الذى أُغْرق فهو ابنه منفتاح ؛ على ما نقله صاحب قصص الأنبياء[4] عن علماء الآثار . ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ يبغُون لكم أشدّ العذاب وأفظعَه . من السَّوْم ، وهو مطلق الذهاب ، أو الذهاب فى ابتغاء الشىء . يقال : سامت الإبل فهى سائمة ؛ أى ذهبت إلى المرعى . وسام السِّلْعَةَ : إذا طلبها وابتغاها . والسُّوءُ - بالضم - : كل ما يَغُمّ الإنسانَ من أمر دنيوىّ أو أخروىّ . وهو فى الأصل مَصْدر ، ويؤنّث بالألف فيقال : السُّوءَى . ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ يستبقون بناتِكم ولا يقتلونهن ليستخدموهن . يقال : استحياه ؛ أى استبقاه . وأصله : طلبَ له الحياة والبقاء . ﴿بَلَاءٌ﴾ اختبارٌ وامتحانٌ بالمحِن المقتضية للصبر ، أو المِنَح المقتضية للشكر ، أوْلها للتّرغيب والتّرهيب . يقال : بلوْتُه بَلْوًا وبَلاءً ، اختبرته وامتحنته . والاسم البَلْوَى والبَلِيّة والبِلْوَة .

٥٠ - ﴿فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ الفَرْق : الفصل والتمييز . يقال :

(١) رواه أحمد والنسائي . (٢) آية ٢ المؤمنون . (٣) آية ٢٠ الحاقة . (٤) هو الأستاذ العلامة الشيخ عبد الوهاب النجار رحمه الله .

ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ

فَرَقت بين الشيئين فَرْقًا ـ من باب قتل ـ فصَلْتُ بينهما ؛ ومنه الفُرقان ، وقولُه تعالى : (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ)[1] فصّلناه وميّزناه بالبيان ؛ أى فصَلنا لأجلكم البحر بعضه عن بعض . والباء بمنزلة لام التّعليل . والبحرُ : بحرُ القُلْزُم ، وهو البحر الأحمر . وكان عبورهم من مكان شماليّ المكان المعروف بـ « عيون موسى » فى البرّ الأسيَوىّ ، وهى لا تبعد عن السويس كثيرًا ؛ كما فى قَصَص الأنبياء . وهذا الفَرْق إحدى معجزات موسى عليه السلام .

٥١ ـ ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ أى اتخذتم العِجْل الذى صنعه السّامِرىّ إلـهًا معبودًا . والمراد : أنهم اتخذوا ما يُشبه العجل فى الصورة والشكل . ونسبة الخُوار إليه فى قوله تعالى : (عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ)[2] مجاز ؛ وهو الذى ذهب إليه الجمهور ، كما ذكره الآلوسىّ .

٥٣ ـ ﴿الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ الكتاب : هو التّوراة . والفُرقان : هو التّوراة أيضًا ؛ لفَرْقها بين الحق والباطل ، والعطف من قبيل عطف الصفات . وقيل : هو المعجزات الفارقة بين دعوى الصّادق والكاذب ؛ كالعصا واليد وغيرها . أو الشرع الفارق بين الحلال والحرام ، والعطف من قبيل عطف الخاص على العام .

٥٤ ـ ﴿بَارِئِكُمْ﴾ خالقكم من العدم على أبدع صورة . يقال : برأ الله الخلق ـ كجعل ـ خلقهم من العَدَم ، وأصل مادة « برأ » يدلّ على انفصال شىء عن شىء ؛ يقال : برأ المريضُ يبرَأ ويبرُؤ بُرْءًا وبُرُوءًا ، إذا نَقِه وزال عنه المرض وانفصل . وبَرِئ من الدَّين ـ كسلِم ـ يبرأ ؛ إذا زال عنه الدَّين وسقط ، ومنه البرِيّة للخليقة ؛ لانفصالهم من العَدَم إلى الوجود ﴿فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ فليقتل البرىء منكم المجرم .

٥٥ ـ ﴿جَهْرَةً﴾ جهارًا عِيانًا بحاسّة البصر . يقال : جَهَر البئرَ ـ كمنع ـ واجتهرها ، إذا أظهر ماءها . وجهَر الشىءَ : كشفه . وجهَر الرجلَ : رآه بلا حجاب . ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ فأحاطت بكم نار من السماء أحرقتكم ؛ عقابًا لكم لفرط عنادكم ، أو لظلمكم بطلب رؤية الحق فى الدنيا . ونزولُ الصواعق المُهْلِكة من السماء واقعٌ مشاهَد .

٥٦ ـ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ الجمهور على أن الموت هنا هو مفارقة الرُّوح للجسد . والبعثُ : إحياؤه بإعادة الروح إليه . ومِن المفسرين من حَمَل الموت على الغشيان والهمود ؛ كما

(١) آية ١٠٦ الإسراء . (٢) آية ١٤٨ الأعراف ، ٨٨ طه .

وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ * وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ



في قوله تعالى : (وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ)[1] ، والبَعْثَ على الإفاقة . ومنهم من حمل الموت على الجهل ؛ كما في قوله تعالى : (أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ)[2] ، والبعثَ على التعليم .

٥٧ ـ ﴿الغَمَامَ﴾ سحابًا أبيضَ ، ظُلِّلوا به في التِّيه ـ بشبه جزيرة سيناء ـ مِن حَرّ الشمس ؛ واحدُهُ غَمامة ؛ كسحابة . وأصلُ الغَمِّ : سَتْر الشيء ؛ وسُمّيَ السحابُ غمامًا لستره ضوءَ الشمس . ﴿الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ «المنُّ» : مادَّةٌ حُلوة لَزِجة تشبه العسل ـ كالطَّل ـ تسقط على الشجر من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس . «والسَّلْوَى» : طائر معروف بالسُّمانَى ، أو طيرٌ يشبهه ؛ أُطعِموا بهما في التِّيه . وقيل : هما كناية عما أنعم الله به عليهم ، وهما شيء واحد ؛ سُمِّيَ مَنًّا لامتنان الله به عليهم ، وسَلْوَى لتسليّهم به .

٥٨ ـ ﴿رَغَدًا﴾ كثيرًا واسعًا بلا عَناء[3] . ﴿وادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ خُضَّعًا متواضعين خاشعين ، شأن التائب من ذنوبه . ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ أي شأنك يا ربَّنا حِطَّةٌ ؛ أي أن تحطّ عنّا ذنوبنا وتغفرها . والحِطَّة ـ كجلسة ـ اسم للهيئة ، من الحَطّ بمعنى الوضع والإنزال ، وأصله إنزال الشيء من عُلُوّ . يقال : استحطّه وِزْرَه ، سأله أن يحطّه عنه ويُنزله . أُمِرُوا أن يقولوا قولاً دالاً على التوبة وإظهار الندم ؛ فخالفوا وجَهَروا بما يدلّ على الكفر والعصيان .

٥٩ ـ ﴿رِجْزًا﴾ عذابًا ؛ قيل هو الطاعون . وأصلُ الرِّجْز الاضطراب ؛ ومنه : ناقة رَجْزاء ، إذا تقارب خطوُها واضطربت لضَعفٍ فيها . وسُمّيَ العذاب رجزًا لما يلازمه من الفزع والاضطراب . ﴿يَفْسُقُونَ﴾ يخرجون عن الطاعة . يقال : فسق فلان عن أمر ربّه ـ كنصر وضرب وكرُم ـ فِسقًا وفسوقًا ، إذا خرج عن حَجْر الشّرع[4] .

٦٠ ـ ﴿فانْفَجَرَتْ﴾ انبجست وانشقّت وسالت . يقال : فجَر الماءَ فانفجر ، أي بجَسَه فانبجس ؛ وبابه نصر . وفجر القناة : شقّها . وفجر الماء : فتح له طريقًا فجرَى وسال . ﴿اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ لكل سِبْط عينٌ تجرى بالماء يشرب منها ؛ حتى لا تقع بينهم شحناء وكانوا متضاغنين . وكانت العيون بالبرّ الشرقى من مصر ، قرب مدينة السويس . ﴿مَشْرَبَهُمْ﴾ موضع شربهم . ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ

(١) آية ١٧ إبراهيم . (٢) آية ١٢٢ الأنعام . (٣) راجع آية ٣٥ من هذه السورة . (٤) راجع آية ٢٦ من هذه السورة .

وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ
بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ
الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا
سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ
مِنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ
آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا
مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ
وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ

مُفْسِدِينَ﴾ أي لا تتمادَوْا في الفساد حال إفسادكم في الأرض. والمقصودُ النهيُ عمّا كانوا عليه من التمادي في الفساد. مأخوذ من العَيْث وهو أشد الفساد؛ يقال: عَثِيَ – كرضِيَ – عُثُوًّا إذا أفسد أشدّ الإفساد.

٦١ – ﴿وَفُومِهَا﴾ الفوم: الحنطة، أو جميع ما يُخبَز من الحبوب، أو هو الثُّوم. ﴿وضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ جُعلتا مُحيطتين بهم، إحاطةَ القُبّة بمن ضُربت عليه؛ مجازاةً لهم على كفرانهم. وجُمْلَتُهم في غالب الأمر في ذِلّة ومَسْكنة. أو هم مستحقّون للذلّة والهوان؛ بسبب ارتكاب المعاصي والاعتداء على حدود الله في كل شيء، والإفسادِ في الأرض وجحودِ الحق عنادًا، وقَتْلِ الأنبياء ظلمًا، وبما طُبعوا عليه من الكذب والنّفاق، والمكرِ السّيِّئ والخداع، وعبادةِ المال وشدّةِ الحرص على جَمْعه والشُّح به. وأمّا إحاطةُ المَسْكنة بهم فلِمَا يبدو عليهم من الاستكانة والخضوع عند الضعف، والخوفِ من القهر. والمسكنةُ: الخضوعُ – مَفْعَلة من السكون – لأن صاحبها قليلُ الحركة والنهوض؛ لما به من الحاجة والذّلة وشدّةِ المحنة. ﴿وَبَاؤُوا بِغَضَبٍ﴾ رجعوا به مستحقين له.

٦٢ – ﴿هَادُوا﴾ صاروا يهودًا. يقال: هاد وتهوّد، أي دخل في اليهودية. وسُمُّوا يهودًا نسبةً إلى يهوذا أكبرِ أولاد يعقوب؛ بقلب الذال دالاً في التعريب. أو لمّا تابوا من عبادة العجل؛ من هاد يهود هَوْدًا بمعنى تاب؛ ومنه: (إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ)[1] أي تُبنا. ﴿وَالنَّصَارَى﴾ جمع نصْران بمعنى نصرانيّ؛ كندامى ونَدْمان، والياء في نصرانيّ للمبالغة؛ كما في أحْمَريّ. سُمُّوا بذلك في الأصل لأنهم نصروا المسيح. ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾ جمع صابئ، وهو الخارج من دين إلى دين. يقال: صَبأ الظِّلْفُ والنّاب والنَّجْم – كمنع وكرم – إذا طلع. والمراد بهم الخارجون من الدِّين الحقِّ إلى الدِّين الباطل. وهم قوم يعبدون الكواكب أو الملائكة، ويزعمون أنهم على دِينِ صابئ ابن شيث بن آدم.

٦٣ – ﴿مِيثَاقَكُمْ﴾ العهد عليكم بالعمل بما في التوراة. ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ الطور: الجبل

(١) آية ١٥٦ الأعراف.

فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾
وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ
كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا
وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ
إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا
قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا
رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ
وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾
قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ
إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾

المعروف بسيناء ، وهو جبل المناجاة الذى أنزلت فيه التوراة على موسى . ورفعُه : إعلاؤه عن مقرّه ، وهو نَتْقُه المذكور فى قوله تعالى : (وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ)[1] . وهذا من الآيات التى رأوها بعد أخذ الميثاق عليهم تقويةً لإيمانهم .

٦٥ ـ ﴿ اعْتَدَوْا مِنْكُم فِى السَّبْتِ ﴾ تجاوزوا الحدّ بصيد الحيتان فيه وقد نُهُوا عنه ، وأمِروا بتعظيم السبت والتّجرد للعبادة فيه ؛ قال تعالى : (واسأَلْهُم عَنِ القَرْيَةِ الّتِى كانَتْ حَاضِرَةَ البَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَايَسْبِتُونَ لَاتَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)[2] . والاعتداء : مجاوزةُ الحَدّ ؛ يقال : اعتدى وتعدّى إذا ظَلَم . والظالم : مجاوزٌ للحدّ وللحق . ﴿خَاسِئِينَ﴾ مُبعَدين عن رحمة الله ، مطرودين كما يُخسأ الكلب . والخُسُوء : الطّرد والإبعاد . يقال : خسأت الكلب خَسْأً وخسوءًا ـ من باب منع ـ طردته وزجرته ؛ وذلك إذا قلت له اخسأ . وخسأ الكلبُ ـ كخضع ـ بَعُد . والجمهور على أنهم مُسخُوا حقيقةً . وعن مجاهد : لم تمسخ صُورهم ، ولكن مُسخت قلوبهم ؛ فلم تقبل وَعظًا ولم تَعِ زجرًا . فمُثِّلوا هنا بالقردة ، كما مُثّلوا بالحمار فى قوله تعالى : (مَثَلُ الّذِينَ حُمِّلُوا التّوراةَ ثُمّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا)[3] والقِردة من أخسّ الحيوان وأدْنئه .

٦٦ ـ ﴿نَكَالاً﴾ عقوبة . يقال : نكّل به تنكيلا إذا صنع به صنيعاً يحذِّرُ غيرَه ، والاسمُ النَّكال وهو ما نكّلت به غيرك . وأصله من النَّكل ـ بالكسر ـ وهو القَيْد الشديد ، وحديدةُ اللّجام ؛ لكونهما مانعَيْن ، وجمعه أنكال . وسُمِّيت العقوبةُ نَكالاً لأنها تحذِّرُ غيرَ مَن نزلت به ارتكابَ ما أوجبها .

٦٧ ـ ﴿هُزُواً﴾ سخرية .

٦٨ ـ ﴿لَا فَارِضٌ﴾ لا كبيرةٌ هَرِمة ، ولا فَتِيَّة صغيرةٌ لم يلحقها الفَحْل ، بل نَصَفٌ بين السِّنّين . يقال : فَرَضَتِ البقرة ـ كجلس وظَرُف ـ فروضاً وفَراضة ، طعنت فى السّن . ﴿ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ نَصَفٌ ، (وسط) بين السنين والعَوَانُ مِن البقر : التى نُتِجت بعد بطنها البِكر ، وجمعها عُون .

٦٩ ـ ﴿فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ صادقُ الصُّفْرة . يقال : أصفرُ فاقعٌ ،

(١) آية ١٧١ الأعراف . (٢) آية ١٦٣ الأعراف . (٣) آية ٥ الجمعة .

قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا
وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ
لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ
قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾
وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ
تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ
ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ
قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ
وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا
يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ
وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟
لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ
مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ



وأبيضُ ناصعٌ . وفَقَع لونُه يَفْقَع ويَفْقُع فَقْعاً وفقوعاً : اشتدّت صُفرته أو خَلَصت .

٧١ – ﴿لَا ذَلُولٌ﴾ لم تُذلَّل بالعمل . يقال : بقرةٌ ذَلول بيّنة الذِّل – بالكسر – أى هيّنة سهلة الانقياد ﴿ تُثِيرُ الأَرْضَ ﴾ تقلب الأرض للزراعه . ﴿الْحَرْثَ﴾ هو الأرض المهيّأة للزرع ، أو نفسُ الزرع . ويُطلق الحرثُ على إلقاء البَذر فى الأرض ، وعلى إعدادِها للزراعة . ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ بريئة من العيوب . من السلامة ، وهى التّعرّى من الآفات . ﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾ لا لونَ فيها يخالف لونَ سائر جلدها . وأصلها «وَشْيٌ» لحقَها من النّقص ما لحق زِنَة وعِدَة . يقال : وشَيْت الثوبَ أشيه وَشْياً وشِيَةً ، إذا جعلت فيه أثراً يخالف مُعْظمَ لونه .

٧٢ – ﴿فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ تخاصمتم أو تدافعتم فى شأن هذه النفس التى قُتلت ، فألقَى كلٌّ منكم تهمة القتل على الآخر . وأصله تدارأتم من الدَّرْء وهو الدفع ؛ لأن المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضاً ويدفعه . يقال : درأت عنه ، دفعت عن جانبه ؛ فقُلبت التاء دالاً لتقارب مخرجِها ، وسكنت للإدغام فاجتُلبت الهمزة للنطق بالساكن .

٧٣ – ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ أى اضربوا القتيل ببعض البقرة المذبوحة ؛ فضربوه بها ، فأحياه الله وأخبر عن قاتله ثم سقط ميتاً . وهذه معجزة أجراها الله تعالى على يد موسى عليه السلام فى هذه الحادثة ؛ للدّلالة على صدق رسالته ووجوب اتباعه ، كما أجرى على يد عيسى عليه السلام إحياء الموتى .

٧٤ – ﴿ يَتَفَجَّرُ ﴾ يتفتح بسعة وكثرة ﴿ يشَّقَّقُ ﴾ يتصدع بطول أو بعرض .

٧٥ – ﴿ يُحَرِّفُونَهُ ﴾ يبدلونه أو يؤوّلونه بالباطل .

ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾

٧٦ - ﴿ خَلاَ بَعْضُهُم ﴾ مضى اليه ، أو انفرد معه ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أتخبرون المؤمنين بما بيّن الله لكم فى التوراة من نعْت محمد وصفته . من قولهم : فتح الله على فلان عِلْم كذا ، أى رزقه ذلك وسهّله له . أو أتخبرونهم بما حكم الله به عليكم فى التوراة من أخذ الميثاق على أنبيائكم بالإيمان بمحمد ونصرته . من الفتح بمعنى الحُكم والقضاء ؛ ومنه : (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ)[1] أى احكم بيننا وبينهم بالحق .

٧٨ - ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ ﴾ أى جُهّال بالتوراة . جمعُ أُمّيّ ، وهو الذى لا يقرأ ولا يكتب ، نسبةً إلى الأُمّ ؛ لأن الكِتاب كان فى الرجال دون النساء ، فنُسب من لا يكتب ولا يقرأ من الرجال إلى أُمّه فى جهله بهما دون أبيه . ﴿ إِلَّا أَمَانِيَّ ﴾ أى لكن يعتقدون أكاذيبَ وأباطيلَ افتعلها أحبارُهم ؛ فأخذوها عنهم تقليدًا لهم لفرط جهلهم . جمع أُمْنِيّة ، وهى الصورة الحاصلة فى النفس من تمنّى الشىء وتقديره . من مَنَى الشىءَ : قدّره ؛ وأكثر ما يكون التمنّى فى تصوّر الشىء عن ظنّ وتخمين ؛ فصار الكذب له أملك ، وساغ أن يعبّر عن الكذب بالتمنّى ، وعن الأكاذيب بالأمانى ؛ كما فسّره مجاهد . والاستثناء منقطع .

٧٩ - ﴿ فَوَيْلٌ ﴾ أى عذاب أليم ، أو فضيحة أو حَسرَة أو هَلَكة ، أو وادٍ فى جهنم . وهو فى الأصل مصدر لا فِعل له من لفظه ؛ مثل : ويْح ، ولا يثنّى ولا يُجمع .

٨٠ - ﴿ أَيَّاماً مَعْدُودَةً ﴾ أى أربعين يوماً ؛ كما يزعمون . وهى مدة عبادتهم العجل .

٨١ - ﴿بَلَى﴾ تمسّكم النار مخلّدين فيها . وهى حرف جواب كنَعَم وأجَل ؛ إلاّ أنها لا تقع جواباً إلا لنَفْى متقدّم ، إبطالاً ونقضاً وإيجاباً له ، سواء دخله استفهام أم لا . ففى نحو : ما قام زيد . تقول بلى ؛ أى قد قام . وفى نحو : أليس زيد قائماً ؟ تقول بلى ؛ أى هو قائم . ومنه : (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى)[2] أى أنت ربُّنا . ولو قالوا نعم ، لكفروا . ﴿ كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ هى هنا الكفر ﴿ أَحَاطَتْ بِهِ .. ﴾ أحدقت به واستولت عليه .

---

(١) آية ٨٩ الأعراف (٢) آية ١٧٢ الأعراف .

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَاءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

٨٥ـ ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ﴾ تتظاهرون عليهم بحلفائكم من العرب . من التظاهر ، وهو التعاون . وأصله من الظَّهْر ؛ كأن المتعاونين يسند كل واحد منهم ظهره إلى الآخر . ﴿بِالْإِثْمِ﴾ هو اسم للفعل المُبْطِئ عن الثواب ، وجمعه آثام . ولذا يطلق على الذنب والمعصية ؛ يقال : أَثِم يأثَم إثماً ومأثماً ؛ فهو آثم وأثيم . وقيل : اسم للفعل الذى يستحق عليه صاحبهُ الذمَّ واللَّوم . أو هو ما تنفر منه النفس ، ولا يطمئن إليه القلب . ﴿أُسَارَى﴾ جمع أسير بمعنى مأسور ، وهو من يؤخذ على سبيل القهر والغَلَبة فيُشدّ بالإسار ، وهو القِدّ . والقِدُّ : سيْرٌ يُقَدّ من جلد غير مدبوغ . ﴿تُفَادُوهُمْ﴾ تنقذوهم من الأسْر بالفداء . يقال : فاداه وفَدَاه ، أعطى فِداءه فأنقذه . ﴿خِزْيٌ﴾ بلاءٌ وفضيحة . مَصْدرُ خَزِيَ الرجل يَخْزَى خِزْياً وخَزًى : وقع فى بليّة فذلّ بذلك ؛ وهو خزيان ، وهن خزايا . وأخزاه الله : فضحه .

٨٧ ـ ﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ أرسلنا على أثره الرسلَ متتابعين . يقال : قفا أثَره يقفوه قَفْواً وقُفُوًّا ، إذا تبعه . وقفّى على أثره بفلان ، إذا أتْبعه إيّاه . وقفّيته زيداً وبه : أتبعته إيّاه .

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ



واشتقاقه من: قَفَوته إذا اتَّبعت قفاه. والقفا: مؤخّر العنق؛ ثم أطلق على كل تابع ولو بعُد الزمن بينه وبين متبوعه. ﴿بِرُوحِ القُدُسِ﴾ هو جبريل عليه السلام؛ قال تعالى: (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ)[1] والإضافة فيه من إضافة الموصوف إلى الصفة؛ أى الرُّوح المقدَّس، ووُصف بالقُدس لطهارته عن مخالفة ربّه فى شيء. وسُمِّيَ رُوحاً لمشابهته الرُّوحَ الحقيقيَّ فى أن كلاًّ منهما مادّةُ الحياة للبشر. فجبريلُ من حيث ما يحمل من الرسالة الإلهيّة تحيا به القلوب. والروح تحيا به الأجسام.

٨٨ - ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ مغشّاةٌ بأغطية حِسّية مانعة من نفوذ ما جئت به فيها. جمع أغلف، وهو الذى جُعل له غِلاف؛ ومنه قيل للقلب الذى لا يَعِى ولا يفهم: قلبٌ أغلف؛ كأنه حُجب عن الفهم بالغِلاف.

٨٩ - ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ يطلبون من الله النّصر على المشركين بالنّبى العربيّ المبعوثِ فى آخر الزمان، الذى يجدون صفته فى التوراة. والاستفتاحُ: الاستنصار؛ من الفتح وهو النصر، كالفَتّاحة.

٩٠ - ﴿اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ باعوا به أنفسهم ﴿بَغْياً﴾ حسداً لأجل تنزيل الله الكتابَ على محمد صلى الله عليه وسلم. وأصلُ البَغْيِ: الظُّلْمُ، وأطلق على الحسد؛ لأن الحاسد يظلم المحسودَ جهدَه بتمنّى زوال نعمة الله عنه. وهو منصوب على أنه مفعول له لـ «يكفروا». ﴿فباءُوا بِغَضَبٍ ...﴾ رجعوا بغضب فوق غضب. يقال: باء بإثمه يَبُوء رجع؛ وهما كفرهم بعيسى عليه السلام، وكفرُهم بمحمد صلى الله عليه وسلم.

٩٢ - ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ العِجْلَ﴾ الذى صنعه لكم السّامِرىّ إلهاً تعبدونه.

٩٣ - ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ

(١) آية ١٠٢ النحل.

ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ

﴿العِجْلَ﴾ أى داخل قلوبَهم وخالطها حبُّ عبادته ؛ كما يُداخلُ الصِّبغُ الثوبَ . وأصلُ الإشراب : مخالطةُ المائع للجامد ، ثم اتُّسِع فيه حتى قيل فى الألوان ؛ نحو أُشرِب بياضُه حُمرةً . وحُذف المضافان للعلم بهما ؛ وفى ذلك مبالغةٌ لا تخفى .

٩٤ ـ ﴿خَالِصَةً﴾ أى مخصوصة بكم كما تزعمون . يقال : هذا الشيء خالصةٌ لك ؛ أى خالصٌ لك خاصّةً .

٩٦ ـ ﴿ومِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ أى وأحْرَصُ على الحياة من المشركين الذين لا يرجُون بعثاً بعد الموت ؛ فهم يحبون طول الحياة . واليهودُ أحْرَص على الحياة منهم ؛ لعلمهم بأنهم صائرون إلى العذاب ، ومَن توقّع ذلك كان أحرصَ الناس على أسباب التباعد منه . ﴿لَو يُعَمَّرُ﴾ لو يطول عمره .

٩٧ ـ ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لجبريلَ﴾ عادى اليهودُ جبريلَ لزعمهم أنه أُمر أن يجعل النبوّة فيهم فجعلها فى غيرهم . أو لأنه لا يأتى إلّا بالشّدة والحرب والقتال . أو لنزوله بالقرآن على محمد مصدِّقاً لكتابهم وهم كارهون للقرآن ؛ ولذلك حرّفوا التوراة . فأخبر تعالى أن من كان عدوًّا لجبريل فلا حقّ له فى عداوته ؛ لأنه لم ينزل بالقرآن من تلقاء نفسه ، وإنما جاء به بأمره تعالى مصدقاً لما سبقه من الكتب ، وهادياً ومبشِّرًا للمؤمنين . فهو من حيث إنه مأمور وجب أن يكون معذورًا ، ومن حيث إتيانه بالهداية والبشارة وجب أن يكون مشكورًا ؛ وعداوةُ مَن هذا سبيلُه عداوةٌ لله تعالى . ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ أى نزّله عليك . وذكرُ القلب لأنه هو القابلُ الأوّلُ للوَحْى ، ومحلُّ الحفظ والفهم .

١٠٠ ـ ﴿أَوَ كُلَّمَا﴾ الهمزة للاستفهام ، والواو للعطف على محذوف ، أىْ أكَفروا بالآيات البينات ؟ وكلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم . أى طرحوه ونقضوه . من النَّبْذ ، وهو إلقاء الشيء وطرحُه لقلّة الاعتداد به . وفِعله من باب ضرب . ﴿نَبَذَهُ﴾ طرحه ونقضه .

١٠٢ ـ ﴿واتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا﴾ أقبل اليهودُ لَمَّا نبذوا التوراة على كُتُب

﴿لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ﴾

السّحرة من أهل بابلَ ، التى كانت تُخبر بها الشياطينُ الكهنةَ في عهد سليمان ، وزعموا أنها علم سليمان ، وأنه كان ساحراً ولم يَتِمّ له الملك والسلطان على الإنس والجنّ والطير والرّيح إلا به ؛ فأكذبهم الله بهذه الآية . فالتلاوة بمعنى الإخبار والتحديث . ولتضمُّن الفعل معنى الكذب عُدّىَ بعلى . ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ الضمير للشياطين أو لليهود . وقد ذكر العلامة ابن خلدون فى مقدّمته : أن السِّحر والطِّلّسمات علومٌ بكيفيّة استعدادات ، تقتدِر النفوسُ البشريةُ بها على التأثير فى عالم العناصر بغير آلة ولا مُعين ، أو بمُعين من مزاج الأفلاك أو العناصر أو خواصّ الأعداد وبعض الموجودات . فالنفوس الساحرة تؤثّر بالهمة والتوجّه فى الأشياء ؛ فإن كان بغير مُعين وآلةٍ فهو السّحر ، وإن كان بمُعين فهو الطِّلّسم . وأنّ هذه العلوم كانت شائعة فى أهل بابل من السُّريانيين والكلدانييّن ، وفى أهل مصر من القبط وغيرهم قبل بعثة موسى عليه السلام . وكان لها فى زمن بعثته أسواق نافِقة ؛ ولهذا كانت معجزته من جنس ما يدّعون ويتناغوْن فيه . وهنالك نوع ثالث من التأثير ، وهو تأثير النفوس فى القوى المتخيّلة بإلقاء أنواع من

الخيالات والمحاكاة والصور فيها ، حتى تُرى كأنها واقعيّة وليست إلا خيالاً ، وهو المسمّى بالشّعْوَذة . وأن خلاف العلماء فى أن السّحر حقيقةٌ أو تخييلٌ خلافٌ لفظىّ . فالقائلون بأن له حقيقةً نظروا إلى النوعيْن الأوّليْن ، والقائلون بأنه تخييل نظروا إلى النوع الثالث . والشريعة لم تفرّق بين السّحر والطِّلّسمات ؛ وحرمتها جميعاً لما فيهما من الضرر . وأما النوع الثالث فقد قال ابن خلدون : إنه ملحق بهذين النوعين فى التحريم ؛ لما فيه من الضرر .

والحقُّ أنه لا يَحْرُم منه إلاّ ما فيه مضرّة ، وأما ما ليس فيه مضرّة فلا يحرُمُ ، وإنما ينبغى تركه لأنه لا يَعنى الجادّين ، و(من حُسْن إسلام المرء تَرْكُهُ ما لا يَعنيه)[1] . وما جاء فى الحديث من عدّ السحر من الكبائر ، وعدِّه كفراً ، إذا كان الساحر يتّجه فى رياضته بالتعظيم والعبادة والخضوع والتذلّل لغير الله تعالى ، فهو محمول على النوعيْن الأوّليْن . ثم ذكر الفرق بين المعجزة والسّحر بأنه راجع إلى التحدّى ، وهو دعوى وقوع

(١) رواه الترمذي .

وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ * مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ



المعجزة على وَفق ما ادّعاه ، وأن الساحر مصروف عن مثل هذا التحدّى ؛ فلا يصح منه . ووقوعُ المعجزة على وَفق دعوى الكاذب غيرُ مقدور ؛ فراجعه . وفى الآية إشارة إلى أن تعليم السحر مُوجِبٌ للكفر . ﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَى المَلَكَيْنِ بِبَابِلَ﴾ أى ويعلّمون ما أنزل على الملكَين : هاروت وماروت ، ببابل : أى ما أُلهِماه وعُلّماه وهو السحر . وعطفُه على ما قبله لتنزيل تغاير المفهوم منزلةَ تغاير الذات ، وكان نزولها لتعليم السحر ابتلاءً من الله تعالى وامتحاناً للناس . فمن تعلّمه وعَمِل به كفر ، ومَن تعلّمه وتوقّى العمل به ثبت على الإيمان ؛ ولله تعالى أن يمتحن عباده بما شاء ، كما امتحن قوم طالوت بالنهر . وكانا يحذّران الناس أشدَّ التحذير من العمل به ، فلا يصفانه لأحد ، ولا يكشفان له وجوه الاحتيال فيه حتى يبذلا له النصيحة ، فيقولا له : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ . وكذلك كان للتّمييز بين السّحر والمعجزة ، حيث كثر السحر فى ذلك الزمان ، وأظهر السّحرة من الأمور الغريبة ما يوقع الشك فى النبوّة ؛ فبعث الله تعالى هذين المَلَكين لتعليم أبواب السحر ، حتى يزيلا الشُّبَه ، ويُميطا الأذى عن الطريق . والظاهر أنهما نزلا بصورة آدَمِيّة ، ولا بُعد فى ذلك ؛ فقد كان جبريل عليه السلام ينزل بصورة دِحْيَةَ الكَلْبىّ وغيره . وما يرويه المفسرون فى قصّة هاروتَ وماروتَ لا أصل له ، وهو من أكاذيب الإسرائيليِّين فلا يُعَوّل عليه . وقد أنكره من الأئمة : القاضى عِيَاض والإمامُ الرَّازى والشهابُ العراقى وابنُ كَثِير والآلوسى . ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾ ابتلاءٌ من الله ، واختبارٌ للناس ، أيتّبعون النّصح ولا يعملون السحر ، أم يخالفونه ويعملون السحر . من الفِتْن ، وأصلُه إدخالُ الذهب النارَ لتظهر جوْدته من رداءته . ثم استُعمل فى الاختبار والامتحان بالمِحَن والشدائد ، وبالمِنَح واللطائف ؛ لما فيه من إظهار الحال والحقيقة . وأكثر ما تُستعمل فيه الفتنةُ : الامتحانُ بالمحن . وعليه يُحمل تفسير بعضهم الفتنةَ بالمحنة . وابتلاءُ الله العبادَ ، ليس ليعلم أحوالَهم ؛ لأنه تعالى عالِم بجميع المعلومات التى لا نهاية لها على سبيل التفصيل من الأزل ، ولكن ليعلم العبادُ أحوالَهم من ظهور جَودة ورداءة ، وهى الأحوال التى يعلمها الله تعالى أزلاً . ﴿ خَلَاقٍ ﴾ نصيبٍ من الخير ، هو ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة وتخلّق به . وفُسّر الخَلَاقُ : بالقَوَام وبالقَدْر ؛ والمعانى متقاربة ﴿ شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ﴾ باعوا به أنفسهم .

١٠٣ ـ ﴿ لَمَثُوبَةٌ ﴾ لأَجْرٌ وجزاء . وسُمِّىَ بذلك لأن المحسن يثوب إليه ويرجع .

أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ

١٠٤ - ﴿ لَا تَقُولُوا رَاعِنَا ﴾ كان المؤمنون إذا حدّثهم رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقولون له : «راعِنَا» . من المراعاة . وهى المبالغة فى الرّعْى . وهو حفظ الغير وتدبير أموره ، وتدارك مصالحه ، يريدون : راقِبْنا وتأنّ بنا ، حتى نفهم كلامك ونحفظه . وكانت هذه اللفظة بلغة اليهود سبًّا قبيحاً . أو بمعنى : اسمعْ لا سمعتَ . أو يا أحمق ، من الرُّعونة . وهى الحماقة والخفّة . فلما سمع اليهود هذه اللفظة من المسلمين ، أخذوا يخاطبونه صلّى الله عليه وسلم بها ، ويضحكون فيما بينهم ، قاصدين بها سبّه والاستهزاء به ؛ كما قال تعالى : (مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا واسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ)(١) . فنُهِىَ المؤمنون عن مخاطبته بهذه اللفظة ، قطعاً لألسنة اليهود حتى لا يتّخذوها ذريعةً إلى سبّه صلّى الله عليه وسلم وإيذائه . وأُمِروا بأن يقولوا ما فى معناها ، مما لا يمكن التذرّع به إلى ذلك . وهو انظرنا ؛ أى انتظرنا وتأنّ ، أو انظر إلينا . وهذه الآية أصلٌ فى سدّ الذّرائع .

١٠٦ - ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ ﴾ لما قال الكافرون : إن محمداً يأمر أصحابَه بأمرٍ ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه . ويقول اليوم قولاً ويرجع عنه غدًا . وأنه ما يقول إلا من تلقاء نفسه - أنزل الله هذه الآية بياناً لوجه حِكمة النسخ ، وأنها رِعايةُ مصالح العباد ، وأنّ النسخ من عند الله لا من عند محمد صلّى الله عليه وسلّم . والنَّسخُ : الرفعُ والإزالة ، يقال : نسخت الشمسُ الظلَّ تَنْسَخُه . إذا أذهبته وأبطلته ، ونسخُ الآية تارةً برفع حُكمها مع بقاء تلاوتها ، وتارةً برفع تلاوتها مع بقاء حُكمها ، وتارةً برفعها معاً . وتارةً يكون النسخ ببدل ، وتارةً بغير بدل ؛ كما تقرر فى الأصول . والمرادُ به فى الآية نسخُ الحكم ببدل ، وإنْساءُ الآية - من النسيان - : إذهابُها من القلوب حتى لا تذكرها . وهو النوع الثالث من النسخ . والمعنى : ما ننسخ من آية فنرفع حكمها . أو نَمْحُها من القلوب . نأت بدلها بما هو أنفع لكم وأسهل . وأكثرُ لأجركم . أو بمثلها فى المنفعة والثواب . فما نُسخ بالأخفّ فهو فى العمل أيْسر . وما نُسخ بالأشد فهو فى الثواب أكثر . وقرئ «نَنْسَأها» ، من النَّسْء بمعنى التأخير ، أى نُؤَخر إنزالها من اللوح المحفوظ .

١٠٧ - ﴿ وَلِيٍّ ﴾ مالك ، أو مُتَولٍّ لأموركم .

١٠٨ - ﴿ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ قصد الطريق ووسطه .

(١) آية ٤٦ النساء .

بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ
عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ
ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ
قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ
وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ
عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ
يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ
فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾

١٠٩ ـ ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا ﴾ فتجاوزوا عما كان منهم من عداوة وحَسَد ، والعَفْوُ : تركُ العقوبة على الذّنب ، والصفحُ : تركُ اللّوْم والعقابِ عليه ، وهو أبلغ من العفو ؛ إذ قد يعفو الإنسان ولا يصفح . ﴿ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ أى بأمره بقتالهم . أو بالجزاء يوم القيامة . والأمرُ على الأوّل واحد الأوامر ، وعلى الثانى واحد الأمور .

١١١ ـ ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾ أى دعوى اليهود : لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا ، ودعوى النصارى : لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى ؛ وزعْمُهم جميعاً حرمانَ المسلمين منها أمانيٌّ باطلة ، تمنَّوْها على الله بغير حق . ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾ أى أحضروا حجّتكم على ما ادّعيتموه من اختصاصكم بدخول الجنة . و « هاتوا » فعل أمر ، وهاؤه أصلية . والبرهانُ : الحُجةُ على صحة الدعوى ، مصدرُ بَرِه يَبْرَهُ إذا ابيضّ ، سُمِّيت به الحجةُ لنصوع دلالتها على المطلوب ؛ ومنه : أبْرَهَ إذا أتى بالبرهان ، أو من البَرْه ، وهو القطع ؛ ومنه : البُرْهةُ وهى القطعة من الزمان ، وسُمِّيت به الحجةُ لأن بها قطْع دعوى الخصم ، أو من البَرْهنة بمعنى البيان .

١١٢ ـ ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ ﴾ أى ليس الأمر كما زعمتم ، وإنما يدخل الجنة من أخلص دينَه وعبادتَه لله وحده ، وهو متّبعٌ فيه أمر ربّه ، محسنٌ فى عمله .

١١٣ ـ ﴿ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ أى جنس الكتاب ، فيصدُق على التوراة والإنجيل وليس فيهما شيء مما يزعمون . ﴿ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ قال مشركو العرب الذين لا كتاب لهم يتعلّمون منه فى محمد وأصحابه : إنهم ليسوا على شيء من الدِّين . كما قال أهل الكتاب فيمن خالفهم : لستم على شيء من الدِّين ؛ فتشابهت قلوبهم .

١١٤ ـ ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ .. ﴾ هم المشركون الذين حالُوا بين الرسول صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه وبين المسجد الحرام يوم الحُدَيْبِيَة . وقيل : هم النصارى الذين كانوا يمنعون الناس من الصلاة فى بيت المَقْدِس ، ويظاهرون بُخْتَنَصَّر على خرابه . والتعبيرُ بصيغة الجمع لأن كل موضع منه

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ

مسجد . ﴿ مَا كَانَ لَهُمْ ... ﴾ أي ما صحّ لهم دخولها إلا خائفين من الله تعالى ؛ لمكانها من الشّرف والكرامة بإضافتها إليه تعالى . أو من المؤمنين أن يَبطِشوا بهم ، فضلاً عن أن يستولُوا عليها ويمنعوا المؤمنين منها . ﴿ خِزْيٌ ﴾ ذل وصغار ، وقتل وأسر .

١١٥ - ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ﴾ ففي أي مكان من المشرِق والمغرِب تولّيتم شطرَ القِبلة ، التي أمركم الله بها ورضِيَها لكم ؛ فهناك جهته سبحانه التي أُمِرتم بها .

١١٦ - ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً﴾ زَعم بعض اليهود أن عُزيْراً ابنُ الله . وزعم نصارى نَجْران أن المسيح ابنُ الله . وزعـم بعض مشركي العرب أن الملائكة بناتُ الله . تعالى الله عما يقولون عُلوًّا كبيراً ! وكيف ذلك وله تعالى جميعُ ما في السموات والأرض عبيداً وملكاً وخَلْقاً ، وتدبيراً وتسخيراً وتصريفاً ؛ وكلُّها مربوبةٌ له تعالى ، فكيف يُنْسَب إليه منها ولد ! ﴿ سُبْحَانَهُ ﴾ تنزيهاً له عما هو نقصٌ في حقّه ، ومحالٌ عليه من اتخاذ الولد ؛ لاقتضاء الوالديّة النوعيّة ، والجنسيّة والتناسل والافتقار ، والتشبيه والحدوث . وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا أحدَ أصبرُ على أذًى سَمعه من الله إنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويكافئهم) . ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ مطيعون طاعةَ تسخير وانقيـاد ، خاضعـون : لا يَستعصى منهم شيء على مشيئته وتكوينه . شاهدون بلسان الحال والمقـال بوحدانيّتـه ، من القنوت ، وهو لزوم الطاعة مع الخضوع (ولِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ والأرضِ طَوْعاً وكَرْهاً وظِلالُهُمْ بالغُدُوِّ والآصالِ)[1] .

١١٧ - ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ ... ﴾ مُبْدعها ومُنْشئهما بلا احتذاء ولا اقتداء ، وبلا آلة ولا مادّة . صفة مشبّهةٌ من أبدع ؛ والذى ابتدعها من غير أصل ولا مثال هو الله تعالى . الذى ابتدع المسيح عليه السلام من غير أب بقدرته سبحانه ، وابتدع عُزَيْرًا والملائكة ؛ فكيف يُضيفون إليه تعالى بُنُوّة شيء من هذه المخلـوقـات . ﴿ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا ... ﴾ أي إذا أراد سبحانه إحداثَ أمرٍ من الأمور حدَث فورًا؛ قال تعالى: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرادَ شَيْئًا أن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيكُونُ)[2] وهو على ما ذهب إليه كثير من أهل السُّنّة تمثيلٌ لحدوث ما تتعلّق به إرادته تعالى بلا مهلة بطاعة المأمور المطيع بلا توقُّف . وليس المراد أنه إذا أراد إحداثَ أمْرٍ أتى بالكاف والنون ؛ ففي الكلام استعارةٌ تمثيلية . وذهب آخرون إلى أن الأمر بـ « كُنْ » محمولٌ على حقيقته ،

(١) آية ١٥ الرعد . (٢) آية ٨٢ يس .

أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ * وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾

ثلاثة أرباع الحزب

وأنه تعالى أجرى سُنّته فى تكوين الأشياء أن يكوّنها بكلمة «كن» أزلاً .. ومن ذلك عيسى عليه السلام خُلق بكلمة «كن» فكان .

١١٨ ـ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ هم مشركو العرب .

[آية ١١٣ من هذه السورة ص ٢٨] . ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ هم أهل الكتاب .

١٢٠ ـ ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ، والمقصودُ منه أمّتُه .

١٢١ ـ ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ﴾ هم مؤمنو أهل الكتاب ، والكتابُ : التوراة أو الإنجيل . أو هم أصحابه صلى الله عليه وسلم ، والكتاب : القرآن .

١٢٢ ـ ﴿العَالَمِينَ﴾ عالَمَىْ زمانكم .

١٢٣ ـ ﴿لَا تَجْزِى نَفْسٌ..﴾ [آية ٤٨ من هذه السورة ص ١٥] . ﴿عَدْلٌ﴾ فدية .

١٢٤ ـ ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ...﴾ اختبره ربُّه تعالى بما كلّفه به من الأوامر والنواهى . ومعنى اختبار الله تعالى العبدَ معاملتُه إياه معاملةَ المختبِر مجازاً ، إذ حقيقة الاختبار محالةٌ عليه تعالى ، لعلمه المحيط بالأشياء . أو الاختبار لإظهار ما فى المبتلَى من جودة ورداءة ، وطاعة وعصيان ، دون التعرّف لحاله والوقوف على حقيقة أمره . وهو تعالى يختبر عباده تارةً بالمضارّ ليصبروا ، وأخرى بالمسارّ ليشكروا ، وفى كلا الحالين تبدو النفس على حقيقتها . ﴿بِكَلِمَاتٍ﴾ بأوامر ونواه . ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أتى بهنّ على الوجه الأكمل ، وأدّاهن كما يليق به عليه السلام ؛ قال تعالى : (وإبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى)[1]

(١) آية ٣٧ النجم .

وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ

١٢٥ - ﴿ مَثَابَةً لِلنَّاسِ ﴾ مرجعاً للناس يرجعون إليه من كل جانب ويحجُّون ، مصْدرٌ ميميٌّ ، من ثاب القوم إلى المكان رجعوا إليه ، فهم يثوبون إليه ثَوْباً وثُؤوباً . أو معاذاً لهم يلجأون إليه . أو موضع ثواب يُثابون بحجّه واعتماره . ﴿ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ هو الحَجَر الذى قام عليه إبراهيم عليه السلام عند بناء البيت ، وهو على المشهور تحت المصلّى المعروف الآن . ﴿ عَهِدْنَا ﴾ وصينا أو أمرنا أو أوحينا .. ﴿ بَيْتِىَ ﴾ الكعبة المشرفة بمكة المكرمة .

١٢٦ - ﴿ أَضْطَرُّهُ ﴾ أدفعه وأسوقه وألجئه .

١٢٨ - ﴿ مُسْلِمَيْنِ لَكَ ﴾ مخلصيْن موحِّديْن لك . من أسْلم وجهَهُ : إذا أخلص نفسه أو قصْده ، أو منقاديْن لك . قائميْن بشرائع الإسلام . من استسلم : إذا انقاد . ﴿ وأرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ علِّمنا شرائعَ ديننا وأعمال حَجِّنا ؛ كالطّواف والسّعى والوقوف . أو متعبَّداتنا التى تقام فيها شرائعه ؛ كمِنىً وعرفاتٍ ونحوهما . جَمعُ مَنْسِك - بفتح السين وكسرها - بمعنى الفعل ، وبمعنى الموضع . من النُّسُك - مثلّثة النون ؛ وبضمها وضم السين - وهو غاية العبادة ، وشاع فى الحجّ ، لمَا فيه من الكُلْفة غالباً والبُعد عن العادة .

١٢٩ - ﴿ وابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ ﴾ وابعثْ فى الأمَّة المسلمة . أو فى ذُرّيتنا - وهم العرب - رسولاً منهم ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم ؛ إذ لم يُبْعث فى ذرّيتهما غيره . ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ أى يعلّمهم معانى الكتاب وحقائقه ، وهو القرآن . ويعلِّمهم الحكمة ، وهى فى الأصل إصابةُ الحق فى القول والعملِ . والمراد بها هنا : الفقهُ فى الدِّين ومعرفةُ أسراره ، وحِكَمِه ومقاصده التى يكمُلُ بها العلم بالكتاب . ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ يطهّرهم من أرجاس الشّرك وأدران المعاصى ، يقال : زكّاه الله أى طهّره وأصلحه . ومنه زكاة المال ؛ لتطهّره بها وطهارةِ

إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ

النَّفْس بإخراجها . وأصلُ الزكاء - بالمدّ - : النماءُ والزيادة ؛ ومنه : زكا الزرعُ والأرضُ زَكاءً وزكُوًّا ، أى نَما ونَمَت .

١٣٠ - ﴿يَرْغَبُ عَنْ ..﴾ يزهد وينصرف عن .. ﴿سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ خسِر نفسه ، أو جهلها أو امتهنها وأذلّها واستخفّ بها . والسَّفهُ : خفّةٌ فى النّفْس لنقصان العقل فى أمور الدنيا أو الدِّين . و«سَفِه» متعدٍّ بنفسه . و«نفسَه» مفعول به .

١٣١ - ﴿أَسْلِمْ﴾ انْقَدْ ، أو أخلص العبادة لى .

١٣٢ - ﴿اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ اختار لكم دِينَ التوحيد ، وهو دينُ الإخلاص لله فى العبادة والطاعة والانقياد لحكمه ؛ فليس عند الله دين مَرْضيٌّ سواه ، وهو دين الإسلام .

١٣٤ - ﴿خَلَتْ﴾ مضت وسلفت

١٣٥ - ﴿حَنِيفاً﴾ مائلاً عن الضّلال والباطل إلى الهدى والحقّ . جمعه حُنَفاء ، وأصلُه من الحَنَفِ ، وهو مَيْلٌ فى إبهام القدمين من كل واحدة إلى صاحبتها ؛ يقال : حَنَف يَحْنِف مال ، وتحنَّف إليه : مال . وتحنّف : تحرّى طريق الاستقامة . والحَنِيفُ : المسلم . و«حنيفاً» حالٌ من إبراهيم .

١٣٦ - ﴿وَالأَسْبَاطِ﴾ هم أولاد يعقوب الاثنا عشر ، جمع سِبْط وهو ولدُ الولدِ ؛ وسُمُّوا أسباطاً بالنسبة لإسحاق وإبراهيم عليهما السلام . وقيل : هم أحفاد يعقوب ، وهم أولاد أولاده ؛ وكانوا كثيرين . والأسباطُ فى بنى إسرائيل كالقبائل فى العرب من ولد إسماعيل ، وسُمُّوا أسباطاً من السَّبَط ، وهو الشجرة ذات الأغصان الكثيرة ؛ لأنهم فى الكثرة بمنزلتها .

١٣٧ - ﴿فِي شِقَاقٍ﴾ فى مخالفة لله تعالى ومعاداة . من الشّق وهو

فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ



الجانب ؛ لأن كلَّ واحد من الفريقين يكون فى شِقّ غير شِق صاحبه . أو من قولهم : شَق العصا ، إذا أظهر العداوة .

١٣٨ - ﴿صِبْغَةَ اللهِ﴾ دينَ الله ، أو فِطرةَ الله التى فطَر الناس عليها ؛ وهى الإيمان . والصِّبغة - كجلسة - من صَبَغ ؛ وهى الحالة التى يقع عليها الصِّبغ ، عبّر بها عن التطهير بالإيمان بما ذكر ؛ لظهور أثره عليهم ، كظهور أثر الصبغ على المصبوغ ، ولتداخله فى قلوبهم تداخله وصيرورته حليةً لهم . و«صِبْغَةَ اللّهِ» مصدرٌ مؤكِّدٌ لـ «آمنّا» ، منصوب بفعل مقدّر ، أى صبغنا اللهُ صبغته .

١٤٢ - ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ جمع سفيه ؛ من السَّفه وهو الخفة الناشئة من نقصان العقل . أىْ سيقول الخفافُ الأحلام ، الطاعنون فى تحويل القبلة إلى الكعبة ، وهم اليهود والمنافقون والمشركون : أىُّ شىء صرفهم عن قبلتهم التى كانوا يصلُّون إليها ، وهى بيت المقدس ؟ ! وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى إليها منذ قدم المدينة ، وبعد ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا - على الأرجح - أُمِر بالصلاة إلى الكعبة ؛ فأخبره الله تعالى بما سيقولونه قبل أن يقولوه ؛ ليوطِّن نفسه عليه ، وأعلمه الجواب عنه ، وهو من أعلام النبوّة . وقيل : إنه أخبره به بعد ما وقع ، وأتى بالسين مع مُضىّ القول لاستمرارهم عليه .

﴿مَاوَلَّاهُمْ﴾ أىُّ شىء صرفهم ﴿عَنْ قِبْلَتِهِمُ﴾ عن بيت المقدس .

١٤٣ - ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً

فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ
وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ
وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ
وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم
مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾

وَسَطاً﴾ أي كما هديناكم إلى قبلة هي أوْسط القِبَل جعلناكم أمَّةً وسَطاً. أو مثل ذلك الجَعْل العجيب جعلناكم أمة وسطاً. أي عدولا خياراً، أو متوسِّطين؛ أي معتدلين في الدِّين غير مُفْرطين ولا مُفَرِّطين فيه؛ كاليهود والمشركين، وكالنصارى والصابئين. ووَسَطُ الشيء في الأصل: مالَه طرفان متساويا القدر، استعير للخصال الحميدة، لكونها أوساطاً لطرفي الخصال الذميمة؛ ثم أطلق على المتّصف بها، من إطلاق اسم الحال على المحلّ، لاعتداله وبُعده عن طرفي الإفراط والتفريط الذّميمين. وخيرُ الأمور: الوسطُ. ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ﴾ بيانٌ للحكمة في جَعْل بيت المقْدس قبلةً له ثم صرفه عنها إلى الكعبة. أيْ أن أصل أمرك أنْ تستقبل الكعبة، وأنَّ استقبالك لبيت المقدس هذه المدة ثم صرفك عنه، إنما كان ليظهر حال مَن يتبعك ويستقبل معك حيثما توجَّهت ممن ينقلب على عقبَيْه مرتدًّا عن دينه، فنجازي كلاًّ بعمله. وعبَّر عن ذلك بالعلم لترتُّبه عليه. ﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ يرتدّ عن دين الإسلام، ويرجع إلى ما كان عليه، إلْفاً لقبلة آبائه؛ وهو كقوله تعالى: (نَكَصَ على عَقِبَيْهِ)[1]. (فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً)[2]، وقولهم: رجعتُ على حافرتي، أي طريقي الذى أصعدت فيه. والحافرةُ: العَوْد في الشيء حتى يردّ آخره على أوّله. ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ أي وإن كانت هذه التّولية لشاقّةً ثقيلةً على النفوس إلاّ على الذين هدى اللّهُ قلوبهم إلى اتّباعك، والإيمان بك، والعلم بأن الله تعالى أن يكلّف عباده بما يشاء ويَنسَخ ما يشاء؛ وله الحكمة البالغة في ذلك. ﴿وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ لما وُجّه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في صلاته إلى الكعبة قالوا: يارسول الله؛ كيف بالذين ماتوا منّا وهم يصلُّون إلى بيت المقدس!؟ فنزلت. أى وما كان الله مريدًا لإضاعة إيمانكم، أى صلاتكم إلى القبلة المنسوخة. فالإيمانُ مجازٌ عن الصلاة، من إطلاق اللّازم على ملزومه بقرينة المقام. أو لإضاعة ثباتكم على الإيمان بالرسول، بل يجازيكم عليه بالحسنى.

١٤٤ - ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ...﴾ كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقلِّب وجهه نحو السماء في الدعاء إلى الله تعالى أن يحوّله إلى الكعبة، قبلةِ أبيه ابراهيم عليه السلام. فاستجاب الله له وحوّله إليها. ﴿تَرْضَاهَا﴾ تحبّها وتهواها، لأنها قبلة ابراهيم عليه السلام، وأقدم القبلتين، وأدعىٰ للعرب إلى الإيمان؛ فوافقت أغراضه الشريفة - صلى الله عليه وسلم - مشيئةَ الله وحكمتَه. ﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ نحوه وجهته وتلقاءه؛ منصوبٌ على الظّرفية. والمراد من المسجد الحرام: الكعبةُ؛ كما في الصحيحين. أى فَولّ وجهك في

(١) آية ٤٨ الأنفال. (٢) آية ٦٤ الكهف.

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرْسَلْنَا

الصلاة جهتها ، وحيثما كنتم من برّ أو بحر ، شرقٍ أو غربٍ فولُّوا وجوهكم في الصّلاة جهتها . وفي ذكر المسجد الحرام دون الكعبة التي هي القبلة إيذانٌ بكفاية محاذاة الجهة للبعيد ؛ لأن في وجوب محاذاة عينها على البعيد حَرَجاً عظيما دون القريب . وروى عن ابن عباس : أن البيت قبلةٌ لأهل المسجد ، والمسجدَ قبلةٌ لأهل الحرم ، والحَرَم قبلةٌ لأهل المَشْرق والمغرب . وإليه ذهب مالك .

١٤٦ - ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ أى يعرفون محمداً صلى الله عليه وسلّم بالنعوت المسطورة فى التوراة ، التى من جملتها أنه صلّى الله عليه وسلّم يُصلّي إلى القبلتين .

١٤٧ - ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ أى الشاكّين أو المتردّدين فى كتمانهم الحق مع العلم به . من الامتراء فى الشىء ، وهو الشك فيه ، والشاكّ فى الشىء يتردّد فيه ، ويدافع اليقين ويجادل فيه ؛ ليستخرج ما عند خصمه من القول والحجة . من مَرَيْتُ الناقةَ إذا مسحتُ ضَرعها لتَدِرّ . ومَرَيْتُ الفرس إذا استخرجت ما عنده من الجَرْى بسوط أو غيره . والخطاب له صلى الله عليه وسلّم والمرادُ أمتهُ ، كما فى نظائره .

١٤٩ - ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ﴾ أعاد سبحانه هذا الأمر ثلاثَ مرات ، وفى كل مرة فائدةٌ زائدةٌ . فعلّل الأمر الأوّل بإكرامه تعالى لرسوله والمؤمنين بالقبلة التى يحبُّونها ويَرضَوْنها ، وهى قِبلة أبيهم إبراهيم . وعلّل الثانى بما جرت به العادة الإلهيّةُ من أن يؤتى أهل كلِّ مِلةٍ قبلة ، وقد شرع للمؤمنين أشرف الجهات التى يعلم أنها حقٌّ ، وهى بيته المعظّم قبلةً لهم . وعلّل الثالث بدفع شُبَه الطاعنين الجاحدين . كأنه تعالى يقول : الزم هذه القبلةَ ، فإنها التى كنت تهواها . ثم يقول : الزم هذه القبلة ، فإنها قبلةُ الحقِّ لا قبلةُ الهوى . ثم يقول : الزم هذه القبلةَ ؛ فإن فى ذلك انقطاعَ حُجج الطاعنين .

١٥٠ - ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ أى لينتفى احتجاج اليهود بقولهم : يَجْحَد ديننا ويتّبع قِبلَتنا . والمشركين بقولهم : يَدّعى مِلّةَ إبراهيمَ ويخالف قبلته ؛ ويتبعهم المنافقون فى كل باطل من القول . فلما حُوّلتم إلى الكعبة انتفى احتجاجهم جميعا . وسُمّى قولهم حجةً لأنهم يسوقونه مساق الحُجة وإن كان في نفسه باطلا .

فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ
ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾
فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ
مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم
بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ
وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ
أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾
أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ * إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ
فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا
وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ

ربع الحزب

﴿ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ أى لكن الذين ظلموا منهم يتعلّقون بالشُّبَه ويجادلونكم بالباطل ؛ فيقول اليهود : ما تحوّل إلى الكعبة إلاّ ميْلاً لدين قومه وحبًّا لبلده . ويقول المشركون بَداله فرجع إلى قبلة آبائه ويوشك أن يرجع إلى دينهم .

١٥١ ـ ﴿ وَيُزَكِّيكُمْ ﴾ يطهّركم من الشرك والذنوب ؛ ومن رذائل الأخلاق وأعمال الجاهلية . ﴿ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ القرآن والسنن والفقه فى الدين .

١٥٢ـ ﴿ فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ ﴾ فاذكرونى بطاعتى ، أذكركم بمغفرتى . وفى الحديث الصحيح : (يقول الله تعالى : فإن ذكرني فى نفسه ذكرته فى نفسي وإن ذكرنى فى ملأٍ ذكرته فى ملأٍ خيرٍ منه)[1]

١٥٤ ـ ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ ... ﴾ إخبارٌ بأن الشهادة فى سبيل الله حياةٌ أبديّة خالدة ؛ بعد بيان أن أقوى ما يُستعان به على تحمُّل المصائب والشدائد : الصبرُ والصلاة ؛ كما قال تعالى : (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ)[2] .
﴿ بَلْ أَحْيَاءٌ ... ﴾ أى بل هم أحياء يُرزقون ، حياةً برزخيّة خاصّةً ، لا يَعلم حقيقتها إلا الله تعالى ، تمتاز عن حياة سائر المؤمنين فى البَرْزَخ . وقال الآلوسى : إن الرُّوح تتعلّق بعد الموت ببدن برزخىّ ، مغايرٍ لهذا البدن الكثيف ، وأرواحُ الشهداء يثبت لها هذا التعلّق ، على وجه يمتازون فيه عمَّن عداهم من المؤمنين ، إما فى نفس التعلّق أو فى نفس الحياة ، أو فى نفس المتعلَّق به ، مع ما ينضمّ إلى ذلك من البهجة والنعيم اللائقيْن بهم ، ولهذه الأبدان البرزخيّة شَبَهٌ صورىٌ بالأبدان الدنيويّة . والله أعلم . وقد أسهبَ القولَ فى ذلك والدُنا ـ رحمه الله ـ فى كتابه « المطالب القدسيّة ، فى أحكام الروح وآثارها الكونية » .

١٥٥ ـ ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ ﴾ والله لنختبرنكم ، من الابتلاء بمعنى الاختبار : أى لنعاملنّكم بقليل

(١) متفق عليه . (٢) آية ٤٥ البقرة .

يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

من المحن والبلايا معامَلةَ المختَبِر لأحوالكم ؛ ليظهر : هل تصبرون على ما أنتم عليه من الطاعة أو لا تصبرون . وقد أخبرهم الله تعالى بذلك قبل وقوعه ليوطِّنوا عليه نفوسهم ، ويزداد يقينهم عند مشاهدتهم له ، وليعلموا أنه شيء يسير هيِّن ، له عاقبة حميدة .

١٥٧ - ﴿ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ ثناء أو مغفرة منه تعالى .

١٥٨ - ﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أى من أعلام دينه ومتعبَّداته . تعبَّدنا الله بالسَّعْى بينهما فى الحجّ والعُمْرة . وشعائرُ الحج : معالمه الظاهرةُ للحواس ، التى جعلها الله أعلاماً لطاعته ومواضعَ نسكه وعبادته ؛ كالمَطاف والمَسْعَى والمَوْقف والمَرْمَى والمَنْحَر . جمعُ شعيرة وهى العلامة . وقيل للبَدَنة المُهداة إلى البيت المعظَّم : شعيرة ؛ لأنها تُشعَر ، أى تُعَلَّم . ويقال لمواضع النّسك : مشاعر ، جمع مَشْعر وهو المَعْلم والمتعبَّد من متعبَّداته ، من الإشعار وهو الإعلام . ومنه المَشْعر الحرام للمُزْدَلِفة ؛ لأنها مَعْلَمٌ للعبادة وموضعٌ لها . وتطلق الشعائر على العبادات التى تعبّدنا الله بها فى هذه المواضع ، لكونها علامات على الخضوع والطاعة والتسليم لله تعالى . ﴿اعْتَمَرَ﴾ زار . والعُمْرة : زيارة البيت المعظَّم على وجهٍ مخصوص ، أخذًا من العِمارة ؛ كأن الزائر يَعْمُرُ البيت بزيارته ، وجمعها عُمَر وعُمرات ، كغرف وغرفات ، فى جمع غرفة . ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ أى فلا إثم عليه فى التطوُّف بهما . من جَنَح ، أى مال عن القصد ؛ وسُمِّيَ الإثمُ به للمَيْل فيه من الحق إلى الباطل . وقد كان على الصّفا صَنم يسمّى « إسافاً » وعلى المرْوَة صنم يسمّى « نائلة » ، وكانوا فى الجاهلية يستلمونهما ويتمسَّحون بهما ؛ فتحرَّجوا بعد الإسلام وتكسير الأصنام من السَّعى بين الصفا والمروة . فنزلت هذه الآية ، وأخبر الله أنه من شعائر الله ولا جناح فيه .

١٥٩ - ﴿يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ يطردهم ويُبعدهم من رحمته . يقال : لَعَنه ، أى طرده وأبعده ساخطاً عليه ، فهو لعِين وملعُون ، وجمعه ملاعين . واللّاعنون هم الملائكة والمؤمنون . والمراد دوام اللّعن واستمراره .

١٦٢ - ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ أى لا يُمْهَلون ويؤخَّرون عن العذاب ساعةً . من الإنظار بمعنى التأخير والإمهال . أو من النّظر بمعنى الانتظار . يقال : نظرته وانتظرته وأنظرته ، أخَّرته وأمهلته ؛ ومنه : (فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ)[1] . أو من النّظر بمعنى الرؤية ؛ أى لا ينظر الله إليهم نظَر رحمة ورِضًا .

(١) آية ٢٨٠ البقرة .

وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ

١٦٤ - ﴿بَثَّ فِيهَا﴾ فرق ونشر فيها بالتوالد ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾ تقليبها جنوباً وشمالاً ودبورًا ، حارَّةً وباردةً ، عاصفةً ولَيِّنةً ، عقيماً ولواقِحَ ، بالرحمة تارةً وبالعذاب أخرى . و «تَصْرِيفِ» مصْدر مضافٌ للمفعول ، والفاعلُ هو الله ؛ أى وتصريف الله الرياحَ . أو مضاف للفاعل ، والمفعول السحاب ؛ أى وتصريف الرياح السحابَ .

١٦٥ - ﴿أَندَادًا﴾ أمثالا ونظراء جمع نِدّ[١] . والمراد بها الأصنامُ والأوثان التى اتخذوها آلهة ، ورجَوْا منها النّفع وخافوا الضُّر وقرَّبوا لها القربان . وقيل : الرؤساء الذين يطيعونهم طاعةَ الأرباب . وقيل الأعمُّ مما ذكر . ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أىْ ولو يعلم الذين ظلموا أنفسهم بالشّرك شدّةَ عذاب الله وعقوبته حين يعاينون العذاب المُعَدّ لهم يوم القيامة لوقعوا من الحسرة والندامة فيما لا يكاد يوصف .

١٦٦ - ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ الأسباب : جمع سَبَب . وهو فى الأصل الحبل الذى يُرتَقى به الشَّجر ونحوه ، ثم سُمِّىَ به كلُّ ما يُتوصَّل به إلى غيره ، عينًا كان أو معنًى . والمراد بها هنا : الوشائج التى كانت بين الأتباع والمتبوعين فى الدنيا ، من القرابات والمودّات والاتفاق على الدِّين والاتِّباع . وتقطيعُها : فصلُها فصلاً شديدًا . والباء فى «بهم» للسببيّة ؛ أى وتقطَّعت بسبب كفرهم الأسبابُ التى كانوا يرجُون بها النجاة .

١٦٧ - ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ لوثبت أن لنا عودةً ورجعةً إلى الدنيا لتبرّأنا منهم كما تبرّءوا منّا . والكَرَّةُ : العودة والرجوع . يقال : كَرَّ يَكُرُّ كرًّا ، رجع . ﴿حَسَرَاتٍ﴾ جمع حَسْرة ، وهى أعلى درجات النّدم والغمّ على ما فات . يقال : حَسِر يَحْسَر حَسَرًا وحَسْرة ، فهو حَسِير ، إذا اشتدت ندامته على أمر فاته . وأصلُه من الحَسْر بمعنى الكشف أو الإعياء ؛ كأنه انحسرت قواه من فَرْط الغَمِّ ، أو

(١) راجع آية ٢٢ من هذه السورة.

إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوٓءِ وَالْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ

أدركه الإعياء عن تدارك ما فَرَط منه . يُرى الله المشركين أعمالَهم السيئة يوم القيامة فى الصحائف ، ويتيقّنون الجزاء عليها فيتحسّرون ويندمون .

١٦٨ - ﴿حَلالاً طَيِّبًا﴾ الحَلال : المباح الذى انحلّت عُقدة الحَظْر عنه . من الحَل الذى هو نقيض العَقد . والطَّيبُ : المستلذّ ، أو المباحُ الذى لا يتعلّق به حق الغير ، أو كما قال الإمام مالك : ما يجده فَمُ الشرع لذيذاً لا يَعافه ولا يكرهه ، أو تراه عينه طاهرًا من دَنَس الشُّبهة. نزلت فى الذين حَرّموا على أنفسهم البَحيرة والسائبة ونحوهما . ﴿خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ آثاره وزلّاته وطُرُقه التى يحرّم بها الحلال ويحلّل الحرام . جمع خطوة كغرفة ، وأصلها ما بين القدمين ، ثم استعيرت لما ذُكر ، وقرئ بسكون الطاء .

١٦٩ - ﴿بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾ السوء : ما يُكره من الأمور والأحوال . وهو فى الأصل مصدر ساءه يسوؤه سوءًا ومَساءةً إذا أحزنه . والمراد به هنا كلُّ ما يُغضب الله تعالى من المعاصى ، لأنه يسوء صاحبه . والفَحشاءُ والفاحشةُ والفُحْشُ : ما عَظُم قُبْحُه ـ شرعاً ـ من الأفعال والأقوال .

١٧٠ - ﴿أَلْفَيْنَا﴾ وجدنا

١٧١ - ﴿كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ﴾ النَّعيقُ : دعاءُ الراعى الشَّاءَ . يقال : نَعَق الراعى بالغنم يَنْعِق نَعْقًا ونعيقًا ونُعاقًا ونَعَقانًا ، صاح بها وزجرها . أى مَثَلُ داعى الذين كفروا كَمَثَل الناعق بغنمه ، فى كون الكافر لا يفهم مما يخاطبه به داعيه إلا دَوِىّ الصوت دون إلقاء فِكْر وذِهن ، كما أن البهيمة كذلك . فالكلام على حذف مضاف من الأوّل. ﴿بُكْمٌ﴾ خرس عن النطق بالحق.

١٧٢ - ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ أى من مستلَذّات ما أحْللناه لكم .

١٧٣ - ﴿وَالدَّمَ﴾ أى المسفوح المُهراق ؛ لآية : (أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا)[1] وهى خاصّةٌ ، والآية هنا عامّةٌ ، والخاصُّ مقدَّم على العام . ﴿وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾ المراد به جميعُ أجزائه . وعُبّر عن ذلك باللحم لأنه معظمه والمقصودُ بالأكل . ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ﴾ الإهلالُ : رفعُ الصوت عند رؤية الهلال ، ثم استعمل لرفع الصّوت مطلقاً ؛ ومنه : إهلالُ الصّبى ، والإهلالُ بالحجّ . وكانوا فى الجاهلية إذا أرادوا ذبح ما قرّبوه إلى آلهتهم سَمّوْا عليها أسماءها ـ

(١) آية ١٤٥ الأنعام .

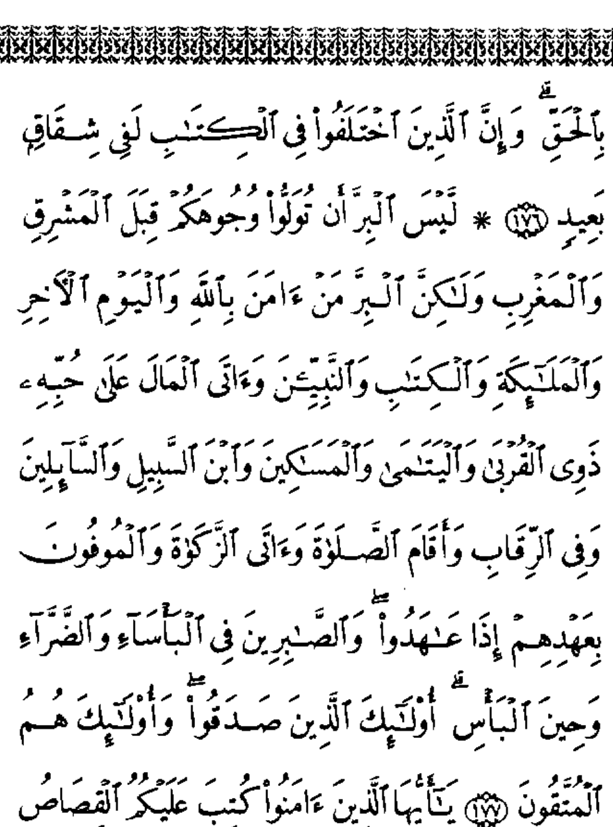
يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٤) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (١٧٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ

كاللّات والعُزّى- ورفعوا بها أصواتهم ؛ وسُمّى ذلك إهلالا . ثم تُوسّع فيه فقيل لكل ذابح : مُهِلٌّ ، سمّى أو لم يُسَمِّ ، جَهَر بالتَّسمِيةِ أو لم يَجْهَر . والمراد بما أُهِلَّ به لغير الله : ما ذُبح للأصنام ونحوها ؛ ومنه ما يذبحه المجوسىّ للنار . ومنه عند الجمهور : ذبائح أهل الكتاب إذا ذَكَروا عليها اسم عُزَير أو عيسى عليهما السلام ؛ لأنها مما أُهِلّ به لغير الله . وذهب جماعة من التابعين إلى تخصيص الغير بالأصنام ، وإلى حِلِّ ذبائح أهل الكتاب مطلقًا ؛ لعموم قوله تعالى فى سورة المائدة وهى آخر السور نزولا : (وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ)[1] أى ذبائحهم ، وهو سبحانه يعلم ما يقولون . وروَى الحسن عن علىّ رضى الله عنه : إذا ذَكر الكتابىُّ اسمَ غيرِ الله وأنت تسمع فلا تأكل ؛ فإذا غاب عنك فكُلْ ؛ فإن الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون . ذكره الرازىُّ والنَّيْسابورى والآلوسى وغيرهم. وظاهر الآية يقتضى ألّا يحرم من المطعومات سوى هذه الأربعة ؛ لكنا نعلم أن فى الشرع مطعوماتٍ أخرى محرمةً كلحوم الحمر الأهلية ، فتصير كلمة «إنما» متروكة الظاهر فى العمل ، كما قاله الرّازي . ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ أى فمن أُلْجِئَ بإكراه أو جوع مُهْلك - مع فقد الحلال - إلى أكل شىء من هذه المحرّمات الأربع ، التى كانوا فى الجاهلية يستحلونها ، أو التى اعتقد المؤمنون حُرْمتها ولو فى حالة الاضطرار فلا إثم عليه فى أكلها . من الاضطرار وهو الاحتياج إلى الشىء . يقال : اضطره إليه أحوجه وألجأه فاضطُرّ . مأخوذ من الإضرار ، وهو حَمْلُ الإنسان على أمر يكرهه ، وقَهْرُه عليه بقوّة يناله بدفعها الهلاك . والآية استثناء لحالة الضرورة الملجئة . ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ «غيرَ باغٍ» فى أكله ، أى غير طالب للمحرّم وهو يجد غيره . أو غير طالب له للذَّته ، أو على جهة الاستئثار به على مضطر آخر ؛ بأن ينفرد بتناوله فيهلك الآخر . من البُغاء ، وهو الطلب تقول : بغيْتُه بُغاءً وبُغًى وبُغْية وبِغْية ، طلبته . «ولا عادٍ» فيه ، أى متجاوز سَدّ الجَوْعة . اسم فاعل بمعنى مُتَعَدّ ؛ تقول : عدَا طَوْرَه ، إذا تجاوز حدَّه وتعدَّاه إلى غيره ، فهو عادٍ . ومنه : (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ)[2] و«غيرَ» منصوب على الحال من الضمير المستتر فى «اضْطُرّ» . ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ أى فى أكله ؛ فسقطت الحُرمة للاضطرار . وقيل : سقط الإثم مع بقاء الحُرْمة للاضطرار . رُوِىَ عن مسروق : من اضْطُرّ فلم يأكل ولم يشرب ثم مات دخل النار . فجعل الأكل عزيمة لا رُخصة .

١٧٤ - ﴿ثَمَناً قَلِيلاً﴾ عوضا يسيرا ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ ولا يُطَهرهم من دَنَس الكفر والذنوب بالمغفرة . من التزكية بمعنى التطهير . [آية ١٢٩ من هذه السورة] .

١٧٥ - ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ فما أدْوَمَهم على عمل المعاصى التى تُفضى بهم إلى النار . والمراد بالتَّعجب فى هذه الآية ونظائرِها الإعلامُ بحالهم ، وأنه ينبغى أن يتعجّب منها كل أحد .

(١) آية ٥ المائدة . (٢) آية ١٦٦ الشعراء .


بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ ۞ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ۖ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ

نصف الحزب

١٧٦ ـ ﴿ شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ خلاف ونزاع بعيد عن الحق .

١٧٧ ـ ﴿ولَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ﴾ البِرُّ : اسمٌ جامعٌ لكل خير ، ولكل طاعة وقربة إلى الله تعالى . أى ولكنّ البِرَّ بِرُّ مَنْ آمن ؛ وحُذف المضاف على حدّ : الجودُ حاتمٌ ؛ أى الجودُ جودُ حاتم . أو ولكنّ البرّ ـ أى البارّ ـ من آمن ؛ على أنه اسم فاعل من بَرّ يَبر فهو بَرّ ، وأصله بَرِر ، فلما أريد الإدغام نُقلت كسرة الراء إلى ما قبلها بعد سلب حركتها . وقد اشتملت الآية على خمسةَ عشرَ نوعاً من أنواع البرّ . وهى رَدٌّ لما زعمته اليهود من أن البرّ هو مجرد التّوجه إلى جهة المغرب ، وما زعمته النصارى من أنه مجرد التوجُّه إلى جهة المشرق . أى ليس البر كلُّه فيما زعموا ، وإنما فيما بيَّنته هذه الآية . ﴿وابْنَ السَّبِيلِ﴾ هو المسافر المنقطع عن أهله ووطنه ؛ الذى قد فرغت نفقته . وسُمِّىَ ابنَ سبيل لملازمته السَّبيل ؛ أى الطريق فى سفره . ﴿ وَفِى الرِّقَابِ ﴾ أى فى فَكِّ الرقاب وتخليصها من الاسترقاق أو الأسْر . أو شراء رقابٍ وعِتقها . ﴿وَالصَّابِرِينَ فِى الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ البأساءُ : ما يصيب الناسَ فى الأموال ؛ كالفقر . والضّراءُ : ما يصيبهم فى الأنفس ؛ كالمرض . مشتقّان من البُؤس والضُّر ، وألفها للتأنيث . يقال : بَئِس يَبْأَس بُؤْسًا وبَأْساً ، اشتدَّت حاجته . وضَرَّه وأضَرَّه وضارَّه ضُرًّا وضَرًّا ، ضدُّ نفع . «وَالصَّابِرِينَ» منصوب على المدح بتقدير أَخُصُّ ، وغيّر سبكه عما قبله تنبيهاً على فضيلة الصبر ومزيَّته على سائر الأعمال ؛ حتى كأنه ليس من جنس ما قبله . وهذا الضرب من الأسلوب يُسمّى القطع ، وهو أبلغ من الإتباع . ﴿ وَحِينَ الْبَأْسِ ﴾ أى ووقت القتال فى سبيل الله . يقال : بَؤُسَ يَبْؤُس بأساً فهو بئيس ؛ أى شديد شجاع . وهو ظرف منصوب بالصَّابرين .

١٧٨ ـ ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ ﴾ أى فُرِض عليكم . من الكَتْب ، وهو فى الأصل

حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ
إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ
وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ
بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا
فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى

ضمُّ أديم إلى أديم بالخياطة . وتُعورف في ضمِّ الحروف بعضها إلى بعض بالخط ؛ وأطلق على المضموم في اللفظ وإن لم يكتب بالخط ، ومنه الكتابة . ويُطلق الكَتب والكتاب والكتابة على الإيجاب والفَرْض ؛ لأن الشّأن فيما يُوجَب ويُفرَض أن يراد ثم يقال ثم يكتب ؛ ومنه ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾[1] ، ﴿كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاَءَ﴾[2] . و «القِصَاصُ» : تتبُّع الدم بالقَوَد . وأصلُه من القَصّ ، وهو تتبُّع الأثر . يقال : قَصَّ أثَرَه أى تتبّعه . ومنه : القِصّة والقَصَص ؛ لما فيهما من التتبُّع . ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ ...﴾ أى فالقاتل عمدًا إذا عُفِىَ له عن جنايته من جهة أخيه ولىِّ الدم ، بأن صَفَح عنه من القصاص الواجب عليه ، ورَضِىَ منه بالدِّيَة بدلَ الدَّم ؛ فالواجب اتّباعُ ولىِّ الدم له بالمعروف بألاّ يأخذ منه أكثرَ من حقِّه ولا يُرهقه ، وأداءُ القاتل إليه الدِّية أداءً حسناً لا مَطْلَ فيه ولا بَخْس . ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ ففى شرع العفو تسهيلٌ على القاتل ، وفى شرع الدِّية نفعٌ لأولياء المقتول . وقد كُتب على اليهود : القصاصُ وحده ، وحُرِّم عليهم أخذ الدِّية والعفو . وكُتب على النصارى : العفو ، وحُرِّم عليهم الدية والقصاص . فخيّر الله هذه الأمة بين القصاص والعفو وأخذ الدية ؛ توسعةً عليهم ، وتيسيراً وتفضيلاً لهم على غيرهم .

١٧٩ - ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ أى لكم في تشريع القصاص في القتل العَمْد بقاءٌ ؛ فإن من هَمَّ بالقتل إذا علِم أنه إذا قَتل اقتُصّ منه ارتَدع وانكفّ ؛ فسَلِمَ هو وسَلِم صاحبه من القتل . ومَن قَتل إنساناً واقتُصّ منه ، ارتدع غيرُه ممن كان يَهُمّ بالقتل ؛ فسَلِم الناس من يده . ولولا هذا التشريع الحكيم العادل لفشا القتل بين الناس فُشُوَّ صغائر الذنوب ، وهان أمْرُ الدِّماء على الناس .

١٨٠ - ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْراً﴾ أى مالاً يُعَدُّ كثيراً في العُرف . ﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ فُرض الإيصاء في بدء الإسلام للوالدَيْن والأقربين - وارثين أو غير وارثين - على من حضره الموت وله مال . ثم نُسخ بآية المواريث ، وبحديث : (لا وصيّةَ لوارث)[3] وهو مذهب جمهور الأئمة . وذهب ابن عباس إلى أن المنسوخ وجوبُ الوصية للوارثين منهم ، وبقى الوجوب في حق من لا يَرِث منهم . وهو قول الحسن ومسروق وطاوس والضّحاك ومُسلم بن يَسَار والعلاء بن زياد .

١٨٢ - ﴿جَنَفاً أَوْ إِثْماً﴾ الجَنَف : المَيْل والجور . يقال : جَنِف في وصيّته وأجنف ؛ مال وجار ؛ فهو جَنِف وأجنف . وقيل : أجنف مختصٌّ بالوصية ، وجَنِف في مطلق الميل عن الحق . ويقال :

(١) آية ١٨٣ البقرة . (٢) آية ٣ الحشر . (٣) رواه أبو داود والترمذي .

ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾

جَنِف وجَنَف عن طريقه جَنَفاً وجُنُوفاً . والإثمُ : عَمَلٌ مالا يَحلّ . يقال : أَثِم يَأْثَمُ فهو آثم وأثيم . والمراد بالجَنَف هنا : الميْلُ عن الحق فى الوصية خطأً ، بقرينة مُقابلته بالإثم وهو الميل عن الحق فيها عمدًا .

١٨٣ ـ ﴿ مِنْ قَبْلِكُمْ ... ﴾ من لَدُن آدمَ إلى عهدكم . والمماثلة فى أصلِ الوجوب ، فما أخْلَى الله أمة من فَرْضه عليها .

١٨٤ ـ ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ ﴾ ذهب أكثر المفسرين والفقهاء إلى أن هذه الآية منسوخةٌ ، ففى الصحيحين عن سَلمة بن الأكْوَع قال : لما نزلت هذه الآيةُ كان من شاء منّا صام ومن شاء أفطر ويَفتدِى : حتى نزلت الآية بعدها فنسختها : ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ أى أنها نسخت هذا التخيير . وذهب ابن عباس إلى أنها مُحْكَمة غير منسوخة ـ كما رواه البخارى وأبو داود وغيرهما ـ وأنها نزلت فى الشيخ الكبير الهرِم والعجوز الكبيرة الهرِمة ، اللذَيْن لا يستطيعان الصوم ، فعليهما إطعام مسكين عن كل يوم . وذهب آخرون إلى أنها غير منسوخة ، وأن المعنى : وعلى الذين يصومونه مع الشّدة والمشقّة إذا أفطروا فِدْيَةٌ ؛ فتشمل الآيةُ من ذُكر ، والمرضعَ والحامل إذا خافتا على أنفسهما أو ولديهما ، ومن فى حكمها . بناء على أن الوسع اسمٌ للقدرة على الشىء على جهة السهولة ، والطاقةَ اسمٌ للقدرة عليه مع الشدة والمشقة ، وعلى أنه من أطاق الفعلَ إذا بلغ غايةَ طوْقه أو فرغ طوقه فيه . ولا تقول العرب : أطاق الشىء إلا إذا كانت قدرته عليه فى غاية الضعف بحيث يتحمّل به مشقّة شديدة . قال الراغب : « الطاقةُ اسم لمقدار ما يمكن للإنسان أن يفعله بمشقّة ، وذلك تشبيه بالطّوْق المحيط بالشىء ؛ ومنه : (وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ)[1] أى ما يصعب علينا مزاولته ؛ وليس معناه : لا تحملنا مالا قدرة لنا به . وفى اللُّغة : الطّاقةُ أقصى الغاية ، وهى اسم لمقدار ما يمكن أن يفعله الإنسان بمشقة . والطاقة اسم يوضع موضع المصدر ، وهو الإطاقة ، كالطاعة . وقيل : يجوز أن تكون الهمزة فى أطاق للسَّلب ؛ كأنه سَلب طاقته بأن كلَّف نفسه المجهود ، فسلب طاقته وقدرته عند تمامه .

﴿ تَطَوَّعَ خَيْراً ﴾ زاد فى الفدية .

١٨٥ ـ ﴿ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ أى ٱبْتُدِئَ فيه إنزاله ـ قاله ابن إسحق ـ وكان ذلك ليلةَ القَدْر ؛ ويدلُّ عليه قوله تعالى : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ) وهى الليلة المباركة ؛ كما قال تعالى : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ)[2] . وقيل : أُنزل فى فضله أو فى

(١) آخر سورة البقرة . (٢) آية ٣ الدخان .

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ * يَسْأَلُونَكَ



إيجاب صومه القرآنَ (وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ) لتحمدوا الله وتثنوا عليه.

١٨٦ - ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ ...﴾ أَقْبَل عبادة مَن عبدنى. فالدُّعاءُ: العبادةُ. والإجابةُ: القبول. وقيل: الدعاءُ الابتهالُ إليه تعالى، وفى الحديث: (ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثمٌ ولا قطيعةُ رَحِم إلا أعطاه الله تبارك وتعالى إحدى ثلاث: إمّا أن يُعجِّلَ له دعوته، وإما أن يدَّخرها له فى الأخرى، وإما أن يَكُفَّ عنه من السوء مثلها)[1]. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ ليكونوا على رجاء من إصابة الرُّشد؛ وهو الاستقامة على طريق الحق مع تصلُّب فيه. يقال: رَشَدَ ورَشِدَ، يَرْشُد ويَرْشَد رُشْداً ورَشَداً: اهتدى.

١٨٧ - ﴿الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ الإفضاء إليهن؛ أى مباشرتهنّ. والرَّفَثُ فى الأصل: الفُحْشُ من القول، وكلامُ النساء حين الجماع، كُنِّى به عن المباشرة للزومه لها غالبا. يقال: رَفَث فى كلامه - كنصر وفرِح وكرُم - وأرفث: إذا أفحش فيه. وقيل: أفحش فى شأن النساء. وحِلُّ الرَّفثِ فى ليالى الصيام رخصةٌ ورَفْعٌ لما كان عليه الأمر فى ابتداء الإسلام؛ فإنه كان إذا أفطر أحدهم إنما يحلّ له الطعام والشراب والنساء إلى أن يصلّى العشاء أو ينام قبلها؛ فإذا صلّى العشاء أو نام قبلها حَرُم عليه ذلك إلى الليلة القابلة، فوجدوا فى ذلك مشقة عظيمة؛ فنزلت هذه الآية. ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ﴾ سكن أو ستر لكم عن الحرام ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ أباح الله الأكل والشرب مع ما سلف من إباحة الجماع فى الليل فى أى وقت فيه، إلى أن يتبيّن بياض النهار من سواد الليل. ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ أى محارمه ومناهيه؛ فلا تقربوها. أو أحكامه المتضمّنة لما نهاكم عنه؛ فلا تقربوا ما نُهيتم عنه. ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ منهياته ومحرماته.

١٨٨ - ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ الباطلُ: الذاهب الزائل. يقال: بَطَل بُطْلاً وبُطْلاناً وبُطولاً: ذهب ضياعاً وخُسْرًا. والمراد به هنا: كل ما لم يُبِح الشرع أخذَه من المال وإن طابت به النفس؛ كالرِّبا والمَيْسِر؛ وثمن الخمر والرِّشوة، وشهادة الزور واليمين

(١) رواه أحمد والحاكم.

عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾

الكاذبة، والغِشِّ والخيانة، والسّرقة والغصْب، ونحو ذلك؛ والباء للسّببيّة. والجارّ والمجرور متعلّق بالفعل قبله؛ أى لا يأخذ بعضكم مالَ بعض بالسبب الباطل. ﴿وتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ أى تُلقوا. يقال: أدْلَيْت دَلْوِى فى البئر، إذا أرسلتها للاستقاء. ثم جُعل كلُّ إلقاء قول أو فعل إدْلاءً؛ ومنه: أدْلَى بحجّته. والمعنى: ولا تلقُوا بأمور تلك الأموال التى فيها الخصومة إلى الحُكّام. أى لا تُسرعوا بالخصومة فى الأموال إلى الحُكام ليعينوكم على إبطال حقّ أو تحقيق باطل.

١٨٩ - ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ كانوا فى الجاهلية إذا أحرموا أتَوْا البيت من ظهره، وكانوا يتحرّجون من الدخول من الباب؛ فأنزل الله هذه الآية مبيِّناً لهم أن ذلك ليس ببرّ، ولكن البرّ برُّ من اتّقَى المحارم والشهوات.

١٩٠ - ﴿وقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ هذه أوّلُ آيةٍ نزلَت فى القتال بالمدينة. رُوِىَ عن ابن عباس: أن المشركين لمّا صَدُّوا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم عن البيت عامَ الحُدَيْبِيَة، وصالحوه على أن يرجع عامَه المقبل للعُمْرَة؛ تجهّز - صلّى الله عليه وسلم - وأصحابُه لعُمرة القضاء فى ذى القَعدة من السّنة السابعة، ولكنّ أصحابَه خافوا ألاّ تَفِىَ لهم قريش بالعهد وتقاتلهم. وكَرِه المسلمون قتالَهم فى الحَرَم وفى الشهر الحرام؛ فأنزل الله هذه الآية بياناً لكيفيّة المقاتلة إن احتاجوا إليها. أى قاتلوا فى طاعة الله تعالى الذين يناجزونكم فيهما القتال بالفعل، ولا تعتدُوا بالبَدْء به؛ وكان هذا فى الابتداء، ثم أمر بقتال المشركين كافة بدءوا أو لم يبدءوا. أو قاتلوا فى سبيل الله الذين أعدُّوا أنفسهم للقتال فيهما وتهيّئوا له، ولا تعتدُوا بقتال من لم يُعِدّ نفسه له؛ كالصبيان والنساء والعَجَزَة، ونحوهم. أو لا يكن منكم اعتداءٌ بالقتال بوجه من الوجوه.

١٩١ - ﴿واقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ أى اقتلوا هؤلاء الذين أُذِنتم بقتالهم دون اعتداء منكم؛ حيث وجدتموهم وظفرتم بهم، فى حِلّ أو حَرَم، أو شهر حلال أو حرام، وبالغوا فى تخويفهم، وتشديد الأمر عليهم؛ حتى يُضطرّوا إلى الخروج من مكة، كما فعلوا معكم مثل ذلك. يقال: ثَقِف الرجل - كسمِع - ظَفِر به. وثَقِفته: صادفته. ﴿والْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ أى ولا تستعظموا قتالهم فى الحَرَم والأشهر الحُرُم إذا بدءوا به، أو إذا تهيّئوا له؛ فإن شركهم فى الحَرَم أشدُّ قبحاً من القتل. أو فإنّ فتنتهم للمؤمنين بالتخويف والإيذاء والإلجاء إلى مفارقة الأهل والوطن أصعبُ من القتل. وأصلُ الفتنة: عَرْضُ

فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٢) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ
لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ
إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣) الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ
وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ
بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ
الْمُتَّقِينَ (١٩٤) وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ
إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥)

الذهب على النار ؛ لاستخلاصه من الغشّ ؛ ثم استعملت فى الشّرْك وفى الابتلاء بما ذُكر . ورُوِىَ أن بعض الصحابة قَتل فى سَرِيّة رجلاً من المشركين فى شهر حرام ؛ فعابه المؤمنون ؛ وقيل عابه المشركون ؛ فسألوا الرسول صلى الله عليه وسلم سؤال تبْكِيت ؛ فنزلت الآية : ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أى الحَرَم . نُهى المؤمنون عن القتال فى هذا الموطن الشريف ، إلا إذا بدأهم المشركون به . وهتكوا حرمته ؛ فيكون قتالهم فيه عندئذٍ اضطراريًّا . والآية مُحْكَمةٌ غيرُ منسوخة ، وهى تخصيصٌ لقوله تعالى : «وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ» بالنسبة للمكان .

١٩٣ ـ ﴿وقاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أى وقاتلوا المشركين قاصدين إزالَة الفتنة وإعلاءَ الإسلام ؛ حتى يَضمحلّ الشرك ، ويكون الدين لله خالصاً .

١٩٤ ـ ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ بيانٌ للحكمة فى إباحة القتال فى الأشهر الحُرُم . وقد وقع من المشركين يومَ الحُدَيْبِيَة قتالٌ خفيفٌ بالرَّمْى بالسّهام والحجارة : أى هذا الشهرُ الحرام الذى تؤدُّون فيه عُمْرة القضاء بذلك الشهر الذى قُوتلتم فيه قتالاً خفيفاً ؛ فإذْ بدءوا بانتهاك حُرْمته بالقتال فيه ؛ فلا تُبالوا أن تقاتلوهم فيه لابتدائهم بهتْك حُرْمته . أو فلمّا لم تمنع حُرْمتُه المشركين من الشرك والأفعال القبيحة ، فكيف تمنع المؤمنين من قتالهم ؛ دفعاً لشرورهم ، وإصلاحاً لفسادهم . ﴿وَالحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ جمعُ حُرْمة ، وهى ما مُنِع من انتهاكه . والقصاصُ : المساواة . أى وكلُّ حُرْمة يجرى فيها القصاص . فمن هتك أيّةَ حُرمة اقْتُصّ منه بأن تُهتك له حُرمة . والمراد : أنهم إذا أقدموا على مقاتلتكم فى الحَرَم والشهر الحرام والإحرام ، فقاتلوهم أنتم أيضاً على سبيل القصاص . ثم أكّد ذلك بقوله : ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ .

١٩٥ ـ ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ التهْلُكَة : الهلاك والموت . أو كلُّ شىء تصير عاقبته إليه . مصْدَر هَلَك يَهْلِك هُلْكًا وهلاكًا وتهلكة . والأَيْدِى : كنايةٌ عن الأنفس ؛ أى ولا تُلقوا أنفسكم فيما فيه هلاككم ، فى دِين أو دنيا ؛ بترك الجهاد والإمساك عن الإنفاق فيه ، مع القدرة على ذلك .

١٩٦ ـ ﴿أُحْصِرْتُمْ﴾ مُنِعتم بعد الإحرام من الوصول إلى البيت ؛ بسبب عدوّ أو مرض ، أو نحوهما . أو بسبب العدوّ فقط . من الإحصار ، وهو الحبس والتضييق . ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ أى فعليكم إذا أردتم التَّحَلُّلَ من الإحرام ذَبحُ ما تيسَّر لكم من الهَدْى ؛ وهو

وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا

ما يُهدَى إلى البيت ، من بَدَنة أو بقرة أو شاة . مصْدَرٌ بمعنى المفعول ؛ أي المُهْدَى . ﴿وَلا تحْلقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الهَدْىُ مَحِلَّهُ﴾ أى ولا تتحلّلوا بالحَلْق حتى تعلموا أن الهَدْى المبعوث قد بلغ مكانه الذى يجب أن يُراق فيه دَمُه ، وهو الحَرَام ؛ لقوله تعالى : (ثُمَّ مَحِلُّها إِلَى البَيْتِ العَتِيقِ)(1) ، وقوله : (هَدْيًا بَالِغَ الكَعْبَةِ)(2) . وإليه ذهب أبو حنيفة . أو لا تَحِلّوا حتى يبلغ الهَدْى مَحِلّه ؛ أى يُذبح فى موضع الإحصار ، حِلًا كان أو حَرَمًا ؛ وإليه ذهب جمهور الأئمة . ويُستفاد حكم غير المحصر من الآية بدلالة النّص ؛ كما ذكره الآلوسيّ . ﴿فَفِدْيَةٌ﴾ فعليه إذا حلق فدية . ﴿نُسُكٍ﴾ ذبيحةٍ ، وأقلُّها شاة . وأصل النُّسُك : سبائكُ الفضّة التى خَلَصت من الخَبَث ؛ وكلُّ سَبيكة منها نسيكة . ومنه قيل للمتَعبِّد : ناسكٌ ؛ لأنه خلّص نفسه لله تعالى من دنس الآثام ، كالسَّبيكة المخلَصة من الخبث . ثم قيل للذبيحة : نُسُك ونسيكة ؛ لأنها من أشرف العبادات والقُرُبات . ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الهَدْيِ﴾ أى فعليه ما تيسّر له من الهدْى بسبب التّمتُّع . ﴿ذَلِكَ﴾ أى التّمتُّعُ أو الحُكْم المذكور . أى لزوم الهَدْى أو بدله على المتمتّع . ﴿حَاضِرِى المَسْجِدِ الحَرَامِ﴾ حاضرو المسجد الحرام : هم أهل مكة وأهلُ الحِلّ الذين منازلهم داخل المواقيت . أو هم أهل مكة خاصّةً . أو هم أهل مكة ومن كان بينه وبين مكة مسافة لا تقصر فيها الصلاة ؛ وإلى الأول ذهب الحنفيّة ، وإلى الثانى المالكيّة ، وإلى الثالث أحمد والشافعىّ رحمهما الله . وتفصيل الأدلة فى الفروع.

١٩٧ - ﴿فَرَضَ﴾ ألزم نفسه بالإحرام . ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ الرَّفَثُ : الجِماعُ . أو الكلام المتضمِّن لمَا يُستقبَح ذِكره ؛ من ذِكر الجماع ودواعيه . أو هو الفُحْش والخَنَا والقولُ القبيح . أو هو التعريض للنساء بالفُحْش من الكلام . ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ لا خروج عن طاعة الله تعالى بارتكاب المعاصى ؛ ومنها السِّباب ، وفعلُ محظورات الإحرام . ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ

(1) آية ٣٣ الحج . (2) آية ٩٥ المائدة .

مِّن رَّبِّكُمْۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ۞ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ

حزب ٤

﴿الزَّادِ التَّقْوَى﴾ تزوّدوا ماتتبلّغون به فى سفركم ، وتكفّون به وجوهكم عن الناس . أو تزوّدُوا لمعادكم بالتقوى ؛ فإنها خير زاد فى الآخرة .

١٩٨ - ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ كانت عُكاظُ ومَجَنَّةُ وذو المجاز أسواقًا فى الجاهلية ؛ فتأثّموا أن يتّجروا فيها فى المَوْسِم ؛ فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية . أى ليس عليكم حَرَج أن تبتغُوا رزقًا من ربكم بالتجارة فى مواسم الحج . وسئل عمر - رضى الله عنه - : هل كنتم تتّجرون فى الحج ؟ فقال : وهل كانت معايشهم إلا فى الحجّ ! ﴿فَضْلاً﴾ رزقًا بالتجارة والاكتساب فى الحج . ﴿أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ﴾ دفعتم أنفسكم بكثرةٍ للخروج منها إلى مُزْدَلِفة . من الإفاضة ، وهى دفعٌ بكثرة ؛ تشبيهاً بفيض الماء الكثير . يقال : أفضت الماءَ إذا صببته بكثرة . وعَرفاتٌ : جَمْعٌ ، سُمِّيت به البقعة المعروفة ، كأذرعات . ﴿الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ هو مُزْدَلِفة . أو جبلُ قُزَح . وسُمّى مَشْعَرًا من الشِّعار وهو العلامة ، لأنه من معالم الحج . ووُصف بالحرام لحرمته . وقال ابن كثير : وإنما سُمّيت المزدلفة بالمشعَر الحرام لأنها داخل الحَرَم .

٢٠٠ - ﴿مَنَاسِكَكُمْ﴾ عباداتكم الحجية . ﴿مِنْ خَلاَقٍ﴾ من نصيبٍ وحظٍّ من الخير . بوزن سحاب .

٢٠١ - ﴿فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ النعمة والعافية والتوفيق . ﴿وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ الرحمة والإحسان والنجاة .

٢٠٢ - ﴿فِى أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ هى أيام التَّشريق الثلاثة التالية ليوم النَّحْر .

٢٠٤ - ﴿أَلَدُّ الخِصَامِ﴾ شديدُ الخصومة فى الباطل . صفةٌ مشبَّهة كأحمر ، وتُجمع على لُدّ . وأصل الألَدّ : الشديدُ اللَّديد -

فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ

أى الشديد صفحة العنق – وهو الذى لا يمكن صرفه عما يريد ؛ واستُعمل فى الخصْم الشديد التَّأَبِّى. والخِصامُ : مصدرُ خاصم. أو جمع خَصْم ؛ أى أشدّ الخصوم خصومةً.

٢٠٥ – ﴿الْحَرْثَ﴾ الزرع.

٢٠٦ – ﴿أَخَذَتْهُ العِزَّةُ بِالإِثْمِ﴾ العِزَّة فى الأصل خلافُ الذّل ؛ وأريد بها الأَنَفة والحَمِيّة مجازًا. أى حملتهُ الأَنَفة وحميّةُ الجاهلية على فعل الإثم الذى أمِر باجتنابه. تقول : أخذته بكذا ، إذا حملته عليه وألزمته إيّاه. والباءُ للتّعدية. ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ المِهَادُ﴾ كافيه جهنّمُ جزاءً. والمِهاد : الفِراش. وأصله ما يُوطَّأ للصبىّ لينام عليه. والآية نزلت فى الأَخنس ابن شَرِيق ، وكان منافقًا. وعن ابن مسعود : أنّ من أكبر الذنب عند الله أن يقال للعبد اتّقِ الله ؛ فيقول : عليك بنفسك !؟ وروى أنه قيل لعمر : اتّق الله ؛ فوضع خدّهُ على الأرض ؛ تواضعًا لله عزّ وجلّ.

٢٠٧ – ﴿يَشْرِى نَفْسَهُ ...﴾ أى يبيعها ويبذلها لمرضاة الله تعالى ؛ كالجهاد والأمر بالمعروف والنّهى عن المنكر.

٢٠٨ – ﴿ادْخُلُوا فِى السِّلْمِ كَافَّةً﴾ أمرَ الله المؤمنين أن يعملوا بجميع أحكام الإسلام وشرائعه ، ويحافظوا على فرائضه وإقامة حدوده. والسِّلْم – بكسر السين وفتحها وسكون اللام – : الإسلامُ ؛ لما فيه من الاستسلام والانقياد لله تعالى. و « كافّة » أى جميعًا حالٌ من « السّلم ». من الكفّ بمعنى المنع. واستُعمل بمعنى الجملة والجميع ؛ بعلاقة أنها مانعةٌ للأجزاء من التفرّق. ﴿خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ آثاره وطرائقه التى يزيِّن لكم بها المعاصى. جمع خُطْوة – بالضم – وأصلها ما بين قدمى الماشى.

٢٠٩ – ﴿زَلَلْتُمْ﴾ ملتم وضللتم عن الحق. ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ عزيزٌ فى انتقامه لا يفوته هارب ولا يغلبه غالب ، حكيمٌ فى أحكامه ، ونقضه وإبرامه.

٢١٠ – ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ﴾ أى ما ينتظر أولئك الذين أبَوْا الدخولَ فى الإسلام من بعد ما جاءتهم البينات ، إلا أن يأتيهم الله يوم القيامة فى ظُلَل من الغمام للحساب والجزاء. وإتيانُه تعالى إنما هو بالمعنى اللائق به سبحانه مع تنزيهه عن مشابهة المحدَثات ، وتفويضِ علم كيفيته إليه تعالى ؛ كما ذهب إليه السلف

ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

في آيات الصفات وأحاديثها . وقد بيّناه في المسألة الرابعة من المقدمة ، وفي تفسير قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا)[1] وقوله تعالى : (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ)[2] . ومذهب جمهور المتكلمين أن ظواهر هذه الآياتِ غيرُ مرادة بالإجماع ؛ لاستحالتها عليه تعالى ، إذ صفاتُه مغايرةٌ لصفات خلقه ، كما أن ذاته مغايرةٌ لذواتهم ؛ فوجب تأويلها على سبيل التفصيل ، فيُحْملُ الإتيانُ على الإتيان بأمره أو بأسه ؛ كما قال تعالى : (أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ)[3] ، (فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا)[4] . ﴿فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ جمع ظُلَّة ـ كغُرْفة ـ وهي ما يُظِلّك . والغَمامُ : السّحابُ الأبيض الرقيق ؛ جمع غمامة . ولا يكون ظُلّة إلا حيث يكون متراكبًا . أي يأتيهم الله في ظُلَل كائنة من الغمام ؛ أي في قطع متفرقة منه ، كلُّ قطعة منها في غاية الكثافة والعِظَم . وقيل : إن «في» بمعنى الباء ؛ أي يأتيهم الله بظلل من الغمام ، أي بالعذاب الذي يأتيهم في الغمام مع الملائكة .

٢١١ ـ ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ سؤالَ تقريع وتوبيخ . وهو تهديدٌ لليهود بالعقاب الشديد إذا سلكوا مسلك أسلافهم في جحود الآيات البيّنات .

٢١٢ ـ ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي بغير حساب من المرزوق . أو بلا حَصْر وعَدٍّ لما يعطيه . أو أنه لا يخاف نفاد ما في خزائنه حتى يحتاج إلى حساب لما يخرج منها . أو يُعطي للمتّقين في الآخرة ما يشاء بغير محاسبة منه لهم على ما منَّ به عليهم .

٢١٣ ـ ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ كان الناس جميعاً على شريعة من الحق ثم اختلفوا ؛ فبعث الله النبيين مبشّرين ومنذِرين ، وأنزل معهم الكِتابَ بشرائعه ليحكم بين الناس بالحق فيما اختلفوا فيه . ولم يختلف أهل التوراة والإنجيل إلا من بعد ما جاءتهم البينات ؛ فكان اختلافهم ضلالاً وبغيًا وحسدًا ، ولكن الله تعالى هدى الذين آمنوا للحق بإرادته . فكانت هذه الأمة خيرَ الأمم . ﴿بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾ حَسدًا وحِرْصاً على الدنيا ، أو ظلمًا ومجاوزة للحدّ . يقال : بَغى عليه

(١) آية ٢٦ البقرة . (٢) آية ٢٩ البقرة . (٣) آية ٣٣ النحل . (٤) آية ٤٣ الأنعام .

مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴿٢١٤﴾ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

استطال ؛ وبابه رَمَى . وكلُّ مجاوزة وإفراط على المقدار الذى هو حدّ الشيء : بَغْيٌ .

٢١٤ - ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا﴾ حال الذين مضوا من المؤمنين . ﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ﴾ [آية ١٧٧ من هذه السورة] والجملة بيان للمَثَل . ﴿وزُلْزِلُوا﴾ أزعجوا إزعاجًا شديدًا بالبلايا .

٢١٥ - ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ نزلت فى عَمرو بن الجَمُوح ، وكان كثير المال فقال : يا رسول الله ، بماذا نتصدّق ؟ وعلى مَن نُنفق ؟ فبيّن الله فيها مَن ينفق عليه .

٢١٦ - ﴿كُرْهٌ لَكُمْ﴾ مكروه لكم طبعًا .

٢١٧ - ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ بعث الرسول صلّى الله عليه وسلّم عبد الله بن جَحْش الأسدى فى سَرِيّة لاستطلاع أخبار قريش ولم يأمرهم بقتال ؛ فقتلوا أحد المشركين ، وقد أهَلَّ رجبُ وكانوا لا يعلمون بإهلاله ؛ فتحدّث المسلمون فى ذلك ، وسألوا الرسول صلّى الله عليه وسلّم : هل يحلّ لهم القتال فيه ؟ فنزلت . وقيل : السائلون هم المشركون ، وقد قالوا : إن محمدًا وأصحابه استحلّوا الدماء فى الشهر الحرام . ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ أى عظيم مستنكَر . وفيه تقريرٌ لحُرْمة القتال فى الشهر الحرام . والجمهور على أن هذا الحكم منسوخ ، وأنه لا حَرَج فى قتالهم فى الأشهر الحُرُم ، قَاتَلُوا أو لم يقاتلوا ــ بقوله تعالى : (فإذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الحُرُمُ فاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ)(١) فإن المراد بالأشهر الحُرم هنا : هى أشهرُ العهد الأربعة التى أبيح للمشركين السّياحة فيها ، لا الأشهر الحُرُم الأربعة المعروفة ؛ فالتقييد بها يفيد أن قتلهم بعد انسلاخها مأمورٌ به فى جميع الأزمنة والأمكنة . وذهب عطاء بن أبى رَبَاح إلى أنه لا يحلّ القتال فى الحَرَم ولا فى الأشهر الحُرُم إلا أن يقاتلهم المشركون فيهما ؛ فلم يجز القتال فيهما إلا دفاعًا . قال الآلوسىّ :

(١) آية ٥ التوبة .



وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ * يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

والأمّةُ اليوم على خلافه فى سائر الأمصار. ﴿وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وكُفْرٌ بِهِ﴾ أى وصَرْفُهم المسلمين عن كل ما يوصّل إلى طاعة الله تعالى وعن المسجد الحرام، وشركُهم بالله فى بيته وحَرَمه، وإخراجُهم أهله منه، أعظمُ وزرًا عند الله من القتال فى الشهر الحرام؛ فإن كنتم قتلتموهم فى الشهر الحرام فقد انتهكوا حُرمةً أعظمَ وأفظع. ﴿والفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ القَتْلِ﴾ أى والشركُ. أو امتحان المسلمين بأنواع التعذيب والأذى والبلايا لصرفهم عن دينهم، أعظمُ وزرًا من القتل؛ لأن الفتنة عن الدِّين تُفضى إلى القتل الكثير فى الدنيا، وإلى استحقاق العذاب الدائم فى الآخرة. ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بَطلَت أعمالهم. من قولهم: حَبِطت الدابة تحبَط حَبَطًا وحبُوطًا، إذا أصابت مرعًى طيّبًا، فأفرطَت فى الأكل حتى انتفخت فماتت.

٢١٩ - ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ﴾ سأل بعض الصحابة رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فقالوا: أفتنا فى الخمر والمَيْسِر، فإنهما مَذهبة للعقل، مَسلبة للمال. فنزلت هذه الآية؛ فتركها قوم وشربها آخرون. ثم صلّى أحدُ الصحابة المغربَ إمامًا؛ فلم يُحسن القراءة لسُكْره، فنزل: (لَا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وأنتم سُكارَى حتى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ)[1]. فحرمت تحريمًا بَاتًّا فى الصلاة. ثم اجتمع بعض الصحابة يومًا فى دار عِتبان بن مالك؛ فلما سَكِروا افتخروا وتناشدوا أشعار الهجاء وتضاربوا؛ فشكا بعضهم إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم فقال: اللّهمّ بيّن لنا فى الخمر بيانًا شافيًا؛ فنزل: (إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ - إلى قوله - فَهَلْ أَنْتُم مُنْتَهُونَ)[2] فقال عمر: انتهينا، انتهينا. وحَرُمت الخمر بهذه الآية تحريمًا مؤبّدًا. وللتّدرّج فى التحريم حكمةٌ بالغة؛ فإنهم وقد ألفوا الخمر لو مُنعوا منها دَفعةً واحدة لشقّ الأمر عليهم. فكان فى التدريج فى التحريم رِفقٌ عظيمٌ. والخمرُ: اسمٌ لكل ما خامر العقلَ؛ أى خالطه، أو ستره وغطّاه، سواء اتُّخِذ من العنب أو من غيره، وفى الأحاديث الصحيحة: (كلُّ مُسْكِرٍ خمرٌ)[3] (وما أسكر منه الفَرَق[4] فملءُ الكفّ منه حرام)[5]. ولعن رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم (عاصرَها ومعتصِرَها، وشاربَها وساقِيَها، وحاملَها والمحمولةَ إليه، وبائعَها والمبتاعةَ إليه، وواهبَها وآكلَ ثمنِها). أخرجه الترمذى. والخمرُ: يؤنّث ويُذكّر. ﴿والمَيْسِرِ﴾ القمار؛ مصدرٌ ميمىٌّ من يَسَر؛ كالمَوْعِد من وَعد. مشتقٌّ من اليَسَر؛ لأنه كسبُ المال بسهولة. وأصلُه: قِمارُ العرب بالأزلام والأقلام؛ وفى حُكمه كلُّ شىء فيه خطرٌ؛ أى رهان. ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ سألوا الرّسولَ صلى الله عليه وسلم حين حثّهم على الصدقة ماذا ينفقون؟ فقال تعالى: ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾ أى أنفقوا العَفْو، وهو ما يفضل عن الأهل ويزيد عن الحاجة. وهذا القدر هو الذى يتيسّر إخراجُه ويسهُل بذْله، ولا يَجْهَد صاحبَه؛ وقد بُيّن بآية الزكاة. وأصلُ العَفْو:

(١) آية ٤٣ النساء. (٢) آية ٩٠ المائدة. (٣) رواه مسلم. (٤) الفرق - بالتحريك -: مكيال يسع ستة عشر رطلاً. (٥) متفق عليه.

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٠) وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٢١) وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢) نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ

نقيضُ الجهد ؛ ولذا يقال للأرض الممهّدة السّهلة الوطْء : عَفْوٌ.

٢٢٠ - ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى ﴾ لمّا نزل قولُه تعالى : (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)[1] وقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا ...)[2] انطلق مَن كان عنده مالٌ ليتيم يَعزل طعامَه من طعامه ، وشرابَه من شرابه ، ويحبس له ما يفضُل من طعامه ؛ حتى يأكلَه أو يفسُد . فاشتدّ ذلك عليهم ؛ فسألوا الرسول صلّى الله عليه وسلّم فنزلت الآية . ﴿ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ﴾ أى مداخلتُهم مداخلةً يترتّب عليها إصلاحُهم فى أنفسهم بتقويمهم وتهذيبهم ، وفى أموالهم بالرّعاية والاستثمار - خيرٌ لهم وللقائمين بأمورهم من مجانبتهم . ﴿ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ﴾ أى وإن تخالطوهم فى المعيشة والمصاهرة تؤدُّوا اللائق بكم ؛ لأنهم إخوانُكم فى الدّين ، وقد تكون لهم مع ذلك أخوّةٌ فى النّسب ، أو قرابةٌ في العشيرة . ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ﴾ العَنَتُ : الشدّةُ والمشقّة . يقال : أعنته فى كذا يُعْنِتُه إعناتًا ، إذا أجهده وألزمه ما يشقّ عليه . أى ولو شاء الله لضيّق عليكم ، وأحرجَكم بتحريم المخالطة لهم ؛ ولكنه وسّع عليكم وخفّف عنكم ، فأباح لكم مخالطتهم بالتى هى أحسن .

٢٢١ - ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ .. ﴾ حرّم الله فى هذه الآية نكاحَ المشركات ، وهنّ الوثنيّات والمجوسيّات . وأحلّ نكاح الكتابيّات بقوله تعالى فى آية المائدة : (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ)[3] . وقيل : المرادُ بالمشركات غيرُ المؤمنات ؛ فيحرمُ نكاحهنّ ولو كنّ كتابيّات . وقد نسخ الحُكم أو خُصّص فى حق الكتابيّات خاصّةً ، فأُجيز نكاحهن وإن كان مع الكراهة . وحرّم الله زواج الكفار مطلقًا بالمؤمنات ولو كانوا كتابيّين .

٢٢٢ - ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ﴾ الْمَحِيضُ : الحَيْضُ . مصدرُ حاضت المرأة تحيض حيضاً ومَحِيضاً ومحَاضاً ؛ وأصلُه السّيَلان . يقال : حاض الوادى إذا سال ؛ ومنه الحوضُ لسيلان الماء

(١) آية ١٥٢ الأنعام . (٢) آية ١٠ النساء . (٣) آية ٥ .

فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ

إليه . وقيل : المحيضُ هنا اسمُ مكان . ﴿ هُوَ أَذًى ﴾ أى قَذَر ، أو موضعُ قَذَر . يقال : أَذِيَ الشيءُ يأْذَى أذًى ، أى قَذِر . ويطلق الأذى على الضرر . والحيضُ : ضَرَرٌ شرعًا وطِبًّا . ﴿ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ﴾ أى فى زمن الحيض . أو فى مكانه ، وهو الفرج ؛ فلا تواقعوهنّ فيه . ﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ ... ﴾ أى فى المكان الذى أمركم الله باجتنابه لعارض الأذى ، وهو الفرج ، ولا تَعَدَّوْه إلى غيره . و « مِن » بمعنى فى .

٢٢٣ ـ ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ ... ﴾ الحَرْثُ فى الأصل : إلقاءُ البَذْر فى الأرض ، أو هو الزرع . والمرادُ : أنهن مواضعُ حرث ؛ أى هن مَزْرعٌ لكم ومَنبِت للولد ؛ أعدهنّ الله لذلك ، فأتوهن إذا تطهّرن من الحيض فى موضع الحرث كيف شئتم : قائماتٍ قاعداتٍ مستلقياتٍ ؛ مادام ذلك فى صِمام واحد وهو الفرج . وفى الآية دليلٌ على تحريم إتيانهن فى أدبارهن .

٢٢٤ ـ ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً .. ﴾ لا تجعلوا الله حاجزًا ـ لأجل حَلفكم به ـ عن البِرّ والتقوى والإصلاح بين الناس . وكان أحدهم يُدْعَى إلى بِرٍّ فيقول : حلفت ألّا أفعله ؛ فيعتَلُّ بيمينه فى تركه . والعُرْضةُ : كلُّ ما يعترض الشيء فيمنع منه . يقال : عرض العودَ على الإناء إذا كان معترِضًا دونه وحاجزًا ومانعًا منه . وفلانٌ عرضةٌ دون الخير ، أى حاجز عنه . واللامُ فى « لأيمانكم » للتعليل . و « أنْ تَبَرُّوا » أى عرضة لأن تَبَرُّوا ، بمعنى مانع من البر .

٢٢٥ ـ ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ ﴾ لغْوُ اليمين : أن يحلف على شيء يرى أنّه صادقٌ فيه ثم يتبيّن له خلافُ ذلك . أى لا يعاقبكم بلَغْو اليمين فى الدنيا بالكفارة ولا فى الآخرة بالعقوبة . وقيل : هو الذى يجرى على اللسان بلا قصد ؛ كقولك : لا والله ، وبلى والله . ولا كفارة فيه . ﴿ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم .. ﴾ أى ولكن يؤاخذكم بالعقوبة فى الآخرة بما تعمّدتم فيه الكذب . وهو أن يحلف أحدُكم على شيء ماضٍ كذبًا ؛ ويُسمَّى اليمينَ الغَمُوس ، ولا كفارةَ فيها . أو ولكن يؤاخذكم بوجوب الكفارة فيها ؛ والأولُ مذهبُ جمهور الأئمة ، والثانى مذهبُ الشافعية .

٢٢٦ ـ ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ ... ﴾ الإيلاءُ : الحَلِفُ على ترك مباشرة الزوجة . يقال : آلَى إيلاء ، وائتلى ائتلاء : حَلَف . وكانوا فى الجاهلية يحلفون ألا يقربوا نساءهم السنةَ والأكثرَ إضراراً بهن ؛ فنُهُوا عن ذلك وحُدِّدَ للإيلاء مدةُ أربعة أشهر فقط ؛ رحمةً بالنساء . والتربُّصُ : انتظارُ هذه المدة . ﴿ فَإِنْ فَاءُوا ﴾ رجعوا فى هذه المدة عما حلفوا

عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ
يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ
مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ
وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ
وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ
دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌ
بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا
مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۖ
فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا
افْتَدَتْ بِهِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ
حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا
تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا
جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۗ
وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ
النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ
بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ۚ وَمَن يَفْعَلْ
ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ۚ
وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ
وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ

عليه . يقال : فاء يفىء فيئاً وفَيْئةً ، إذا رجع . وأحكامُ الإيلاء مبيّنةٌ فى الفقه .

٢٢٨ ـ ﴿ ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ ﴾ جمعُ قَرْءٍ ـ بالفتح والضم ـ وهو الحَيْضُ ، أو الطّهرُ الفاصلُ بين الحيضتين . وإلى الأول ذهب أبو حنيفة وأحمد ، وإلى الثاني ذهب مالك والشافعىّ . ﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ ﴾ أى أزواجُهن أَوْلى برجعتهن إليهم فى حال العِدّة . جمعُ بَعْل ، وهو الذكر من الزوجين . يقال : بَعَل الرجُل يَبْعَل بُعولةً ، إذا صار زوجاً . ﴿ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ زيادةٌ فى الحق . أو فضيلة بالقيام بأمرهن والحماية لهن . والدرجةُ فى الأصل : ما يُرتقى عليه ، واستُعملت فى المنزلة الرفيعة وفيما ذكرنا مجازاً .

٢٢٩ ـ ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ﴾ أى التطليقُ الشرعىُّ : تطليقةٌ بعد تطليقة على التفريق . أو الطلاقُ الرجعيُّ : مرّتان . وأما الثالثةُ فلا رجعةَ بعدها . ﴿ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ أى طلاقٌ مصاحِبٌ لجَبْر الخاطر وأداء الحقوق ، وعدم المضارّة . ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ﴾ أى أحكامه المفروضة .

٢٣٠ ـ ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ ﴾ أى فإن طلّقها الطلقةَ الثالثة فلا تحلّ له حتى تَنكح زوجاً آخر . والمرادُ بالنكاح هنا : الوطءُ ؛ فلا تحلّ بمجرّد العَقْد .

شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ
فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم
بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ
وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ (٢٣٢) ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ
كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ
رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ
لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ
مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُواْ
ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٣) وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ

نصف الحزب

٢٣١ ـ ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أى شارفن انقضاء عدتهن . ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾ أى مضارة لهن . ﴿آيَاتِ اللهِ هُزُوًا﴾ أى سخرية بالتهاون فى المحافظة عليها . ﴿وَالْحِكْمَةِ﴾ هى السُّنَّةُ ، وهى وَحْىٌ غيرُ متلوّ . أو هى إصابةُ الحقّ فى القول والعمل . وإنزالُها عليهم : إنزالُ ما يرشدهم إليها ؛ وهى فى الأصل مصدرٌ من الإحكام ، وهو الإتقان فى علم أو قول أو عمل ، أو فيها كلها .

٢٣٢ ـ ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ فلا تَمْنعُوهُنّ من الزّواج بمن يُردْن تضييقًا عليهن . والعَضْلُ : التضييقُ والمنع الشديد . يقال : عضّلت الناقة بولدها ، إذا نَشِب فى بطنها ، وتعسّر عليه الخروج . ومنه : أعْضَلَ به الأمرُ إذا اشتدّ . والخطابُ للناس كافّةً ؛ فيشملُ عَضَلَ الأزواج والأولياء لهنّ . ﴿أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ أنمى وأنفع لكم .

٢٣٣ ـ ﴿وُسْعَهَا﴾ طاقتها وقدرتها ، لا ما يشقّ عليها وتعجز عنه . ﴿لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ﴾ نهىٌ عن أن يُلحِق أحدُهما بالآخر ضررًا بسبب الولد ؛ فلا ينزعه الزوج منها إذا أرادت إرضاعه ، ولا يُكرهها عليه إذا أبته ، ولا يمنعها شيئًا مما وجب لها عليه . وكذلك لا تدفعه هى إليه لتضرّه بتربيته ، ولا تطلب منه ما ليس حقًّا لها ، ولا تشغل قَلْبَه بالتفريط فى شأن الولد . ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ﴾ وارث الولد عند عدم الأب . ﴿أَرَادَا فِصَالاً﴾ أى فطامًا للولد قبل الحولين . ﴿وتَشَاوُرٍ﴾ أى وتداولٍ فى الرأى بينهما ، أو مع أهل الخبرة فى أمر الفطام قبل الحولين . والمشاورةُ : استخراجُ الرأى بما فيه المصلحة ؛ من الشَّوْر وهو اجتناء العسل . يقال : شُرْتَ العسلَ إذا استخرجته من مواضعه . ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ فلا حَرَجَ ولا إثم عليهما فى ذلك ؛ من الجُنُوح ؛ وهو المَيْلُ ؛ لميل الآثم عن الحق . ﴿تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُم﴾ أى تسترضعوا المراضعَ أولادَكم . يقال : أرضَعَتُ المرأةُ الطفلَ ، واسترضعتها إياه . أو تسترضعوا المراضع لأولادكم . وحذف حرف الجرّ من المفعول الثانى ؛ كما فى قوله تعالى : (وَإِذَا كَالُوهُمْ)[1] .

(١) آية ٣ المطففين .

مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ

٢٣٤ ـ ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ أى فلا حَرج ولا إثمَ عليكم أيها القادرون عليهنّ ، فيما فعلن بأنفسهن بعد انقضاء العدة ، مما كان محرَّمًا عليهن أثناءها بالوجه الذى يعرفه الشرع ولا ينكره .

٢٣٥ ـ ﴿ عَرَّضْتُم بِهِ ﴾ لوّحتم وأشرتم به . من التعريض ، وهو إمالةُ الكلام عن نهجه إلى عُرْض منه وجانب . وضدُّه : التصريحُ والإفصاحُ . ﴿أَكْنَنتُمْ﴾ أى أسررتم وأخفيتم . ﴿لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ السرُّ ضدُّ الجهر ، أريد منه هنا الوطء ؛ لأنه لا يكون إلا سرًّا ، ثم العقد لأنه سببُه ، فهو مجاز على مجاز . أى لا تأخذوا عليهن وهن فى العدّة عهدًا ألا يتزوّجن غيركم بعد انقضائها . أو لا يقل الرجل للمعتدّة : تزوَّجيني ؛ بل يعرِّض لها تعريضًا غير مفصِح . ﴿يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ أى ينتهى المفروض من العدة .

٢٣٦ ـ ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ أى لا تَبِعة عليكم من مهرٍ إذا طلّقتم النساء ولم تكونوا دخلتم بهن ولم تفرضوا لهن مهرًا ؛ بل عليكم لهن مُتعةٌ بقدر وُسْعكم وطاقتكم . والمتعةُ : اسمٌ لما يُتمتّع به من المال والكسوة ، وتقدّر باجتهاد الحاكم كالنفقة . والمُوسِعُ : ذو السَّعة والغنى . يقال : أَوْسَع الرجلُ ، اتّسعت حاله . والمُقْتِرُ : ضيّق الحال . يقال : أقتر الرجلُ ، افتقر وقلّ ما فى يده . ولا تجب المتعة لغيرهن من المطلّقات ، وإنما تستحبّ لهن . ﴿فَرِيضَةً﴾ أى مهرًا . ﴿مَتِّعُوهُنَّ﴾ أى أعطوهن ما يتمتعن به . ﴿الْمُوسِعِ﴾ أى ذى السعة والغنى . ﴿قَدَرُهُ﴾ أى قدر إمكانه وطاقته . ﴿الْمُقْتِرِ﴾ أى الفقير الضيق الحال .

٢٣٧ ـ ﴿وإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ أى

وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ

ثلاثة أرباع الحزب

وإن طلّقتموهن قبل الدخول وقد سمَّيتم لهن مهرًا ، فلهن نصفُ المهر ولا متعةَ لهن . أمّا المطلقاتُ بعد الدخول ولهنّ مهرٌ مسمًّى ؛ فيجب لهن المهرُ كاملا ، وإن لم يُسمَّ لهن مهرٌ وجب لهن مهرُ المثل ؛ ولا مُتعةَ لهن فى الحالتين . وقيل : تجب فيهما مع المهر. ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ﴾ أى إلاّ أن تترك المطلّقات نصيبَهن من الصّداق للأزواج ، أو يترك الأزواجُ ما يعود إليهم من نصف المهر الذى ساقوه كاملاً إلى زوجاتهم .

٢٣٨ ـ ﴿وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ هى صلاة العصر على الراجح ؛ لتوسّطها بين الصلوات الخمس أو لأنها الفُضْلَى ؛ وفى الحديث : (الذي يفوته صلاة العصر فكأنما وُتِرَ أهلَه ومالَه)[1] أى نقص وسُلب أهلَه ومالَه فبقى فردًا . والوسطى : مؤنّث الأوسط ؛ يقال : وسطت القوم أَسِطُهم ، إذا صرت فى وسطهم . وأوسط الشيء ووسطُه : خيارُه . ﴿قَانِتِينَ﴾ مطيعين لله خاضعين . من القنوت ، وهو لزوم الطاعة مع الخضوع .

٢٣٩ ـ ﴿فَإِنْ خِفْتُم فَرِجَالاً﴾ فإن خفتم العدوَّ فى حال المقاتلة فى الحرب ، فصلُّوا مشاةً أو راكبين على ركائبكم بإيماء ؛ سواء ولّيتم شطر القبلة أو لا . ورجالاً : جمعُ راجل ، وهو القوىّ على المشى برجليه . ويُلحق بما ذكر : الخوفُ بسبب آخر ؛ كالهارب من العدوّ ، أو من قصده سبع هائج ، أو غَشيَه سيلٌ جارفٌ . وسيأتى حكمُ خوفِ العدوّ فى غير حال المقاتلة فى قوله تعالى : (وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ)[2] .

٢٤٠ ـ ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾ أى يجب على الزوج حين مشارفة الموت أن يوصِىَ لزوجته بالنفقة والسكنى حولاً ، ويجب عليها الاعتداد حولاً . وهى مخيّرة بين السكنى فى بيته حولاً ولها النفقة ، وبين أن تخرج منه ولا نفقة لها ؛ ولم يكن لها ميراث من زوجها . وقد نُسخ وجوبُ الوصية بالنفقة والسكنى بآية المواريث ، وبحديث : (ألا لا وصيّةَ لوارث)[3] . ووجوبُ العدة حوْلاً بقوله تعالى : (يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً) المتأخرِ نزولا والمتقدمِ تلاوةً . واختار الفخر ما ذهب إليه أبو مسلم من أن المعنى : والذين يتوفون منكم وقد أوصوْا وصيةً لأزواجهم بالنفقة والسكنى حولاً ، فإن خرجن قبل ذلك وخالفن وصيةَ الزوج بعد أن يُقِمْنَ المدة التى ضربها الشارع لهن ، وهى أربعة أشهر وعشر فلا حَرَج فيما فعلن فى أنفسهن من معروف ، أى الزواج الصحيح ؛ لأن إقامتهن بهذه الوصية غير لازمة .

٢٤١ ـ ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ﴾ أى نفقة . والنفقةُ : تسمَّى

(١) متفق عليه . (٢) آية ١٠٢ النساء . (٣) رواه أبو داود والترمذي .

وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُواْ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَـٰتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَـٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَـٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَـٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ

متاعًا . أو لهن مُتعة ؛ والمراد ما يشمل الواجبة والمستحبَّة .

٢٤٣ - ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا ﴾ كان المشركون يستفتُون اليهود في كثير من الأمور . وكانت هذه القصة معلومةً لليهود في أسفارهم وتواريخهم ؛ فنزل القرآن بالإشارة إليها ، ليرتدع المشركون عمّا هم فيه من الضلال وإنكار البعث . ويعلموا أن دلائل القدرة على البعث مشهورةٌ ، وأن عند اليهود منها ما لو رجعوا إليهم فيه لعلموا أنه حق لا ريب فيه . وفي ذكر هذه القصة مع ذلك تشجيع للمؤمنين على الجهاد والتعرُّض للشهادة ، وتمهيدٌ لما بعد هذه الآية . ومعنى «أَلَمْ تَرَ» : ألم تعلم . وتُستعمل فيما تقدم للمخاطَب العلمُ به . وفيما لم يعلم به من قبل . والخطابُ للرسول صلّى الله عليه وسلّم ، والمرادُ أمّته . والمقصودُ : حثُّهم على العلم بها ، والاعتبار بشأنها .

٢٤٥ - ﴿ يُقْرِضُ اللَّهَ ﴾ القرضُ الحسنُ : الإنفاقُ في سبيل الله . أو مطلقُ العملِ الصالح . ﴿ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ احتسابًا به عن طيبة نفس . ﴿ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ ﴾ يَسْلُب تارةً ويُعطِي أخرى . أو يسلُب قومًا ويُعطي آخرين . أو يضيّق على بعض ويوسع على بعض ؛ حسبما اقتضته مشيئته المبنيّة على الحكمة والمصلحة . أي فلا تبخلوا بما وسّع عليكم كيلا تُبدَّل أحوالكم . والقَبْضُ : ضدُّ البسط . يقال : قَبَضه بيده يَقْبِضه ، تناوله . وقبَضَ عليه بيده ، أمسكه . وبَسَط يده : مَدَّها . وبَسَط المكانُ القومَ : وَسِعَهم . والآيةُ تحريضٌ على الإقراض الحَسَن ، وزجرٌ عن تركه .

٢٤٦ - ﴿ الْمَلَإِ ﴾ أشراف القوم ووجوههم ؛ سُمُّوا مَلأً لأنهم مليئون بما يُحتاج إليه منهم . أو لأن هيبتهم تملأ الصدور . وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه ؛ كرهط . ﴿ هَلْ عَسَيْتُمْ ﴾ هل الأمر كما أتوقّعه منكم أنكم تجبُنون عن القتال معه ؟ . والاستفهام لتقرير أن المتوقَّع كائن .

بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ
وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ
أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ
آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ
بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ
مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً
بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ
آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ
قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ
غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾
وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا
وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾
فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ
وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم
بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى
الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ

٢٤٧ - ﴿أنّى يكونُ﴾ كيف أو من أين يكون؟ ﴿زادَهُ بَسْطَةً﴾ سعة وامتدادا وفضيلة .

٢٤٨ - ﴿التَّابُوتُ﴾ صُندوق التّوراة . من التّوب وهو الرجوع ؛ لأنه لايزال يَرجع إليه ما يخرج منه . وتاؤه مزيدة لغير التأنيث ؛ كجبروت . ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ أى فى إتيانه سُكونٌ لكم وطُمأنينة . أو فى التّابوت ما تسكنون إليه وتطمئنُّون وهو التوراة . والسَّكِينَةُ : من السّكون ، وهو ثبوت الشيء بعد التّحرك . أو من السَّكَن - بالتحريك - : وهو كل ما سكنتَ إليه واطمأننتَ به من أهل وغيرهم .

٢٤٩ - ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ﴾ خرج بجنوده من بيت المقْدس لمحاربة العمالقة قوم جالوت . ﴿مُبْتَلِيكُمْ﴾ مختبركم وهو أعلم بأمركم . ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ﴾ من لم يذقه أصلاً ، لا قليلاً ولا كثيراً . من طَعِم الشيءَ يَطْعَمُه ، إذا ذاقه مأكولاً أو مشروباً . واستعمالُ طَعِمَ الماءَ بمعنى ذاق طَعْمَه مستفيضٌ . ﴿غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ الغُرْفةُ : اسمٌ للشيء المغترَف ، وجمعه غِراف . وأمّا الغَرْفةُ فهى اسمٌ لِلْمرَّةِ الواحدة من الغَرْف . وقيل : هما لغتان بمعنًى واحد . رخّص لهم فى الأخذ باليد دون الكَرْع . ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا﴾ لا قدرة ولا قوة لنا ﴿فِئَةٌ﴾ جماعة من الناس .

٢٥٠ - ﴿بَرَزُوا﴾ ظهروا وانكشفوا .

٢٥١ - ﴿وقَتَلَ دَاوُدُ﴾ وكان داود فى عسكر طالوت . ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ هى النبوّة . ولم



وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ * تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ
وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ
الْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾
يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ
يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَالْكَٰفِرُونَ
هُمُ الظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ
لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ
وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُ حِفْظُهُمَا
وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ

يجتمع المُلْك والنبوّة لأحدٍ قبلَه في بني إسرائيل، ووَرِثه فيهما ابنُه سليمان عليهما السلام.

٢٥٣ - ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ جبريل عليه السلام [آية ٨٧ من هذه السورة ص ٢٢].

٢٥٤ - ﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ بضم الخاء. ولا خالصُ مودّة وصداقة. أي لا يمكن في هذا اليوم استجلابُ حسنة بمودّة وصداقة؛ وسُمِّيت المودّةُ خُلّةً لتخلّلها النّفس، وجمْعها خلال. ﴿وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ أي لأحدٍ إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى. فالإطلاقُ هنا مقيّدٌ بآية (إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا)[1] والنبيُّ مأذونٌ له، أو يستأذن فيُؤذَن له.

٢٥٥ - ﴿الْحَيُّ﴾ أي الباقي الذي له الحياة الدائمة التي لا فناء لها. لم تَحدُث له الحياة بعد موتٍ، ولا يعتريه الموتُ بعد الحياة؛ وسائرُ الأحياء سواه يعتريهم الموت والفناء. ﴿الْقَيُّومُ﴾ الدائمُ القيامِ بتدبير أمر الخلق وحفظهم، والمعطي لهم ما به قِوامهم. وهو مبالغة في القيام، وأصلُه قَيْووم - بوزن فَيْعُول - من قام بالأمر إذا حَفِظه ودبّره. ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ﴾ أي نُعاس، وهو الفتور أوّل النوم مع بقاء الشّعور والإدراك، ويقال له غَفْوة. مصدرُ وَسِنَ الرجلُ يَوْسَن وَسَناً وسِنَةً؛ فهو وَسِنٌ ووَسْنان، إذا نَعَس. والمراد أنه تعالى لا يَغْفُلُ عن تدبير أمرِ خلقه أبداً. ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ الكُرسيُّ غيرُ العرش، وهما مخلوقان لله تعالى؛ كالسماوات والأرض. ومن المتشابه الذي استأثر الله بعلمه؛ فنفوّض علم حقيقتها إليه تعالى، مع كمال تنزيهه عن الجسميّة، وعن مشابهة المحدثات؛ (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)[2]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما تفسيرُ الكرسي بالعلم؛ وهو قول مجاهد. وفسِّر بالملك والسلطان والقدرة؛ وهي معانٍ مجازية.

(١) آية ١٠٩ طه. (٢) آية ١١ الشورى.

ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ

﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ لا يُثقله ولا يشقّ عليه حفظها. يقال: آده الأمرُ أو الحِمْل ـ من باب قال ـ أثقله فهو مَئُود؛ كمقول.

٢٥٦ ـ ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ معناه على ما ذكره أبو مسلم والقفّال: ليس فى الدِّين ـ وهو عَقْدٌ فى القلب وإذعانٌ فى النفس ـ إكراهٌ وإجبار من الله تعالى؛ بل مبناه على التمكين والاختيار، وهو مناط الثواب والعقاب. ولولا ذلك لما حصل الابتلاء والاختبار، ولبطل الامتحان؛ وهو كقوله تعالى: (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ)[1]. وقيل: معناه إن من حق العاقل بعد ظهور الآيات البينات على أن الإيمان بالله وطاعتَه رُشْد، والكفرَ به ومعصيتَه غَيٌّ ـ ألّا يحتاج إلى الإكراه على التديّن بالإسلام الحَنيف؛ بل يختاره من غير تردّد. والجملةُ على المعنيَيْن خبريَّة. وقيل: هى خبرٌ فى معنى النَّهى؛ أى لا تُكرهوا فى الدِّين ولا تُجبروا عليه أحدًا، فإنه بيِّنٌ واضحُ الدلائل والبراهين. فمن هداه الله له، ونوَّر بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أضلَّه الله وأعمى قلبه لا يفيده الإكراه على الدخول فيه. وهو عامّ منسوخ بقوله تعالى: (جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ)[2]. أو مخصوصٌ بأهل الكتاب الذين قَبِلوا الجِزْية. وعن ابن عباس: أنها نزلت فى أولاد الأنصار الذين تهوّدوا قبل الإسلام، وأراد أهلوهم من الأنصار استردادَهم حين أُجْلِيَت بنو النَّضِير فى السنة الرابعة؛ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم إثر نزول الآية: (قد خُيِّر أصحابُكم فإن اختاروكم فهم منكم وإن اختاروهم فأجْلُوهم معهم). أمّا الجهادُ الذى فرضه الله على المؤمنين فليس للإكراه على الإسلام والعقيدة، وإنما هو من أجل بقاء الكفار على جحود حقّ الله وعصيانِهم أمرَه ومحادَّته، بعد وضوح الحجج وظهور الدلائل والإعذار إليهم؛ ولحملهم على العمل بشريعته والانقياد لأحكامه، ولحماية الدّعوة والحقّ الذى جاءت به من عدوانهم، وليكون الدِّينُ كله لله وحده؛ قال تعالى: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ)[3]. ﴿تَبَيَّنَ الرُّشْدُ﴾ تميّز الحقُّ من الباطل، والهُدَى من الضلال؛ بوضوح الدلائل. والرُّشْدُ: الاستقامة على طريق الحقّ مع تصلُّب فيه؛ مصدرُ رَشِدَ يَرْشُد ويَرْشَد، أى اهتدى. والمرادُ هنا: الحق والهُدَى. والغَيُّ: الضلالُ؛ مصدرُ غَوَى يَغْوِي أى ضلّ، والاسمُ الغَواية. ﴿بالطَّاغُوتِ﴾ اسمٌ لكل ما يُطغِى الإنسان؛ كالأصنام والأوثان والشّيطان والكاهن والساحِر، وكلِّ رأسٍ فى الضلال، وكلِّ ما عُبد من دون الله تعالى. من طَغَا يَطْغُو طُغْواً وطُغْواناً. أو طغى ـ كرَضِيَ وسَعَى ـ طَغياً وطُغْيَانا؛ إذا جاوز الحد وغلا فى الكفر، وأسرف فى المعاصى والظلم. ﴿اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ﴾ ثبت فى أمره واستقام

(١) آية ٢٩ الكهف. (٢) آية ٧٣ التوبة. (٣) آية ١٩٣ من هذه السورة.

أَنْ ءَاتَـٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ

على الطريقة المُثْلَى ؛ وهى الإيمان أو القرآن أو الاعتقاد الحق ، أو السببُ الموصّل إلى رضا الله تعالى . والعُرْوةُ من الدَّلو والكُوز : مَقْبِضُه . ومن الثوب : مَدْخلُ زرِّه . استُعملت فى المعانى المذكورة على سبيل التجوّز . والوُثْقَى : تأنيث الأَوْثق ؛ من وَثُقَ - بالضم - وَثاقةً ، قَوِىَ وثبت فهو وَثيق ؛ أى ثابت مُحْكَم . ﴿لاَ انْفِصَامَ لَهَا﴾ لا انقطاع ولا زوال لها .

٢٥٨ - ﴿الَّذِى حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ﴾ هو نمروذ بن كنعان . وهو أوّل من ادَّعى الرُّبوبية ؛ فهو رأس الطواغيت . أى ألم ينته علمك إلى قصة هذا الكافر الذى لستُ له بولىّ ، كيف تصدَّى لمحاجة من تكفّلت بنصرته وأخبرت أنى ولىٌّ له . وكيف خذلتُه ونصرت عليه خليلى الذى اصطفيته وواليته ! . ﴿فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ﴾ غُلب وقُهر وتحيّر وانقطع فى حِجاجه ، وهو فعل جاء على صورة المبنى للمفعول كزُهِىَ وزُكِمَ ، والمعنى فيه على البناء للفاعل . و« الذى كفر » فاعله . والبَهْتُ : الانقطاعُ والحَيرة . وقرئ أيضا بوزن عَلِم ونَصَر وكَرُم .

٢٥٩ - ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ﴾ أى أوْ رأيت مَثَل الذى مَرّ على قرية - وهو عند أكثر المفسرين عُزَيْر - أراد أن يعاين إحياء الموتى ليزداد بصيرة ؛ كما طلب ذلك إبراهيمُ عليه السلام ليطمئن قلبه . ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطةٌ حيطانُها على سقوفها التى سقطت . يقال : خَوَىَ البيت ، سَقَط . أو خاليةٌ من الناس ثابتة على عروشها . يقال : خَوَت الدّارُ تَخْوِى خُوِيًّا وخَوَاءً ، أَقْوَت وخَلَت . والعروشُ : جمع عَرْش ، وهو سقف البيت ؛ ويُسمّى العريش . وكلُّ ما يُهيَّأ لِيُظِلَّ أو يُكِنَّ فهو عَريش وعَرْش . ﴿أَنَّى يُحْيِى﴾ كيف أو متى يحيي ؟ ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لم يتغيّر بمرّ السنين الطويلة عليه ، ولم تذهب طراوته ؛ فكأنه لم تمرّ عليه السِّنون . مشتقٌّ من السَّنة ، والهاء فيه أصلية إذا قُدّر لام سنة هاءً ، وأصلها سَنْهَةٌ لتصغيرها على سُنَيْهة ، وجمعها على سَنَهات كسَجْدة وسجدات ، ولقولهم : سانَهْتُه إذا عاملته سَنَةً فسَنَةً . وتَسَنَّه عند القوم إذا أقام فيهم سنةً . أو الهاء فيه للوقف نحو كتابيَهْ . وجَزْمُه بحذف حرف العلة إذا قُدّر لامُ سنة واوًا ، وأصلُها سَنَوة لتصغيرها على سُنَيّة

ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ * قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ربع الحزب

وجمعها على سنوات ، وقولهم : سانيته وتسنيتُ عنده ، أقمت سنين . ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً﴾ أى وفعلنا ما فعلنا من الإماتة والإحياء لنجعلك آية للناس وعبرة ، ودلالةً على البعث بعد الموت . ﴿كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾ كيف نرفعها من أماكنها من الأرض فنردّها إلى أماكنها من الجسم ، ونؤلف بينها ؛ من الإنشاز وهو الرفع . يقال : أنشز الشيء رفعه من مكانه . وأصلُه النَّشَز ـ بفتحتين وبالسكون ـ وهو المكان المرتفع . وقرئَ «نُنْشِرُها» بضم النون والراء ، أى نحييها ؛ من أنشر الله الموتى أى أحياهم .

٢٦٠ ـ ﴿أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِى﴾ بَصِّرنى كيفيّة إحيائك للموتى . وسؤاله عليه السلام ذلك لينتقل من مرتبة علم اليقين إلى مرتبة عين اليقين . أو من مرتبة العلم الاستدلالىّ إلى مرتبة العلم الضرورىّ الناشئ عن الحِسّ . ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ فأمِلْهن واضممهن إليك ؛ لتتأمّلهن وتعرف أشكالهن وهيئاتهن ، كيلا تلتبس عليك بعد الإحياء . ثم جزّئهن أجزاء ، أو فقطعهن . قُرئ بضم الصَّاد وكسرها وتخفيف الراء . يقال : صارَه يَصُورُه ويَصيره ، أماله . وصار الشيءَ : قطَّعه وفصله . و«إليك» متعلّق بـ «صُرْهُنّ» على الأول . وبـ «خُذ» على الثانى ، باعتبار تضمينه معنى الضّم .

٢٦١ ـ ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهمْ﴾ بيانٌ لكيفية الإنفاق الذى بُيِّن فضله .

٢٦٢ ـ ﴿مَنًّا وَلَا أَذًى﴾ المَنُّ : إظهارُ الاصطناع ، وأن يعتدّ الإنسان بإحسانه على من أحسن إليه . يقال : منَّ عليه يَمُنُّ ، أى امتنّ عليه ؛ وهو من كبائر الذنوب . ويقال : المِنّة تَهدِم الصَّنيعة . والأذى : ما يصل إلى الحيوان من الضّرر ؛ يقال : آذاه يُؤْذيه أذًى وأذاةً وأذِية . والمرادُ هنا : التّطاولُ والتّفاخرُ على المنعَم عليه .

٢٦٣ ـ ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ كلامٌ جميلٌ يُرَدُّ به السائل ، وصفحٌ وعفوٌ عما يفرُط منه عند الرّد وعدم الإعطاء ، خيرٌ وأفضلُ من صدقة عليه يتبعها أذًى ؛ لما فيها من المضرة له . وهو تقرير لقبح المنّ والأذى ؛ ولم يُذكر المَنّ هنا لشمول الأذى له .

٢٦٤ ـ ﴿رِئَاءَ النَّاسِ﴾ مُراءاةً للناس وسُمعةً . أى لا تبطلوا صدقاتكم بالمَنّ والأذى ؛ كإبطال المنافق المرائى عمله الذى لا يبغى به رضاءَ الله ، ولا ثوابَه

ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟

الآخرة . ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ أى فمثَلُ المرائى فى الإنفاق كمثل حجر كبير أملسَ صُلْب ؛ من الصَّفاء وهو خلوص الشىء مما يشوبه . يقال : يومٌ صفوان ، أى صافى الشمس . وقيل : هو جمعٌ ، واحده صفوانة . ﴿فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾ أى مطرٌ شديدٌ عظيمُ القَطْرِ . يقال : وبَلَت السماء تَبِل وَبْلاً ووبُولاً ، اشتد مطرها . ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ أى أجْرَدَ نقيًّا من التراب الذى كان عليه ؛ ومنه رأسٌ أصلدُ ، إذا كان لا يُنبت شعرًا . وصَلَد الزَّنْدُ يَصْلِد ، لم يُخرج نارًا . والمقصود : أن أعمال هؤلاء المرائين بالإنفاق تَبْطُل يوم القيامة وتضمحلّ ؛ كما يُذهب المطر ما على الصَّفْوان من التراب .

٢٦٥ – ﴿وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ أى كما أنفقوا أموالهم فى سبيل الله ابتغاء مَرضاته أنفقوها توطيناً لأنفسهم على حفظ هذه الطاعة وترك ما يفسدها ؛ فـ « مِنْ » بمعنى اللام . أو تثبيتاً للإسلام وتصديقاً به ، وتحقيقاً للجزاء الموعود به من أصل أنفسهم ؛ فهى الدافعة له وهى المنشأ والمبتدأ . ﴿جَنَّةٍ﴾ تطلق الجنة على الأشجار الملتفة المتكاثفة ، وهو الأنسب هنا . وعلى الأرض المشتملة عليها . ﴿بِرَبْوَةٍ﴾ بمكان من الأرض مرتفع عن السَّيْل . والعادةُ فى أشجار الرُّبَى أن تكون أحسن منظَرًا وأزكى ثمرًا .

﴿أُكُلَهَا﴾ ثمرها . وكلُّ مأكولٍ : أُكُلٌ . ﴿فَطَلٌّ﴾ فمطر خفيف يكفيها لِطيبها وكَرَم منبتها . والطَّلُّ : أضعفُ المطر وهو الرَّذاذ ، وجمعه طِلال وطِلَل . والمرادُ : أن هذه الجنة تزكو وتثمر ، كثُر المطر أو قلّ ؛ فكذلك نفقة هؤلاء ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم تزكو عند الله وتَطيب ، كثُرت أو قلّت .

٢٦٦ – ﴿إِعْصَارٌ﴾ رِيحٌ عاصفةٌ تنعكس من الأرض إلى السماء ، مستديرةٌ كعمود ، وتُسَمَّى زَوْبعة ؛ وسُمِّيت إعصارًا لأنها تَعْصِر ما تمرّ به من الأجسام ، أو تلتفّ كما يلتفّ الثوب المعصور . والريحُ مؤنثة ، وكذا سائر أسمائها إلا الإعصار ؛ ولذا قيل : « فِيهِ نَارٌ » أى سَمُوم أو صواعق . وهو مَثَلٌ لحبوط عمل المرائى يوم القيامة أحوجَ ما يكون إليه .

مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ * لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ

نصف الحزب

٢٦٧ - ﴿طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ أى حلال ما كسبتموه ، أو كسبكم ، أو جياده . ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ ..﴾ ولا تقصدوا الرّدىء من أموالكم تنفقون منه . يقال : تيمّمت الشىء ويمّمته ، إذا قصدته . ﴿وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ﴾ والحال أنكم لا تأخذونه لأنفسكم إلا بأن تتساهلوا فيه ، وتغضُّوا الطَّرف عن رداءته ؛ من الإغماض ، وأصلُه غَمْضُ البصر وإطباقُ الجَفْن على الجفن ، ثم استعير للتغافل والتساهل . ﴿تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ تتساهلوا وتتسامحوا فى أخذه .

٢٦٨ - ﴿يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ يخوّفكم سوءَ الحال والضّعفَ بسبب قلّة المال . وأصلُه كسرُ فَقَار الظَّهْر ؛ يقال : رجل فَقِر وفقير ، إذا كان مكسور الفَقَار . ﴿وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ يُغريكم بالبخل . والفاحِشُ عند العرب : البخيل . قيل : كلُّ فحشاء فى القرآن فهى الزّنى إلا فى هذه الآية . أو ويأمركم بالْخَصْلَة الفحشاء ، وهى إنفاق الردىء من المال لا الجيّد خشيةَ الفقر .

٢٦٩ - ﴿الحِكْمَةَ﴾ إصابة الحق فى القول والعمل ، أو العلم النافع .

٢٧٠ - ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾ أى أعوانٍ ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله ، جمعُ نصير أو ناصر . وفيه وعيدٌ عظيمٌ لكلّ ظالم .

٢٧١ - ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ﴾ الصدقةُ ما يُخرجه الإنسان من ماله على جهة القُرْبة ؛ وتشمل الفَرْض والتطوُّع . وإبداؤها : علانيتها . وإخفاؤها : إسرارُها . والجمهورُ على أن الآية فى صدقة التطوّع ، وأن إخفاءها أفضلُ من إظهارها ؛ لما فيه من شائبة الرّياء ، وهتْك سَتر الفقير . وفى الصحيحين فى السبعة الذين يُظلُّهم الله فى ظلّه يوم لا ظلَّ الا ظلّه : (... ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تَعلَمَ شِمالُه ما تُنفق يمينه) . وأما الصدقة

اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢٧٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٤) الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۗ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ۗ وَاللَّهُ

المفروضةُ فالإظهارُ فيها أفضلُ . لأنها من شعائر الإسلام كالصلاة المكتوبة . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : صدقةُ السرِّ فى التطوع تفضُلُ علانيتَها سبعين ضِعفاً ؛ وصدقةُ الفريضة علانيتُها أفضلُ من سرِّها بخمسة وعشرين ضعفاً . وكذلك جميع الفرائض والنوافل .

٢٧٢ ـ ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ الخطابُ للرسول صلّى الله عليه وسلّم ، والمرادُ هو وأمّته . وقد كان لبعض الأنصار قرابةٌ من اليهود ؛ فلما أسلموا كرهوا أن يتصدّقوا عليهم وراودوهم أن يُسلموا ؛ فنزلت الآية . أى ليس عليك هُدَى هؤلاء الكافرين فتمنعهم الصدقة ، ولا تعطيهم منها ليدخلوا فى الإسلام ؛ ولكن الله تعالى هو الذى يَهدى من يشاء إلى الإسلام فيوفّقه له ؛ فتصدّق عليهم لوجه الله تعالى . والمرادُ صدقةُ التطوع ؛ للإجماع على أنه لا يجوز صرفُ الزكاة إلى غير المسلم .

٢٧٣ ـ ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا﴾ بيانٌ لمن هم أشدُّ الناس حاجةً إلى الصدقة ، بعد بيان جواز التصدّق على الفقراء عامّةً ولو من غير المسلمين ، وهم فقراء المهاجرين أصحابُ الصُّفَّة ، وكانوا يستغرقون أوقاتهم بالتعلُّم والجهاد ، ويخرجون فى كل سَرِيَّة يبعثها الرسولُ صلى الله عليه وسلم . أى ذلك الإنفاقُ المحثوثُ عليه للفقراء . أو اجعلوا ما تنفقون للفقراء الذين حبسوا أنفسهم فى سبيل الله . ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً﴾ سيراً فى البلاد وتقلُّباً فيها ؛ ابتغاءَ المكاسب والعيش ؛ لاشتغالهم بالجهاد والتعلّم . وسُمّىَ السيرُ ضرباً لما فيه من ضرب الأرض بالأرجل . ﴿مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ أى من أجل تعفُّفهم عن السؤال . والتعفف : تركُ الشىء والإعراضُ عنه ؛ بقهر النفس وحملها عليه . يقال : عفّ عن الشىء يَعِفّ ، إذا كفّ عنه . وتعفّف : إذا تكلّف الإمساكَ عنه . ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ تعرِفُ فقرهم بما يُرى عليهم من الضَّعف والرَّثاثة . أو تعرفهم بما يبدو عليهم من الخشوع والتواضع . أو بما ألبسهم الله من الهَيْبة والوقار . والسِّيما ـ بالقصر وتمد ـ : أصلها من الوَسْم بمعنى العلامة . ﴿إِلْحَافاً﴾ أى إلحاحاً . يقال : ألحفَ عليه فى المسألة ؛ أى ألح فهو مُلْحِف . والنَّفْىُ منصبٌ على القَيد والمُقَيَّد معاً بقرينة السياق ؛ أى أنّهم لا يَسألون أصلا تعففاً منهم .

لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ

٢٧٥ ـ ﴿يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ يتعاملون به أخذاً وإعطاء. وخُصَّ الأكل بالذكر لأنه معظم المقصود من المال. والرِّبا: الزيادة. يقال: رَبَا الشيء يربو إذا زاد وكثُر. وفى الشرع: فضلُ مالٍ لا يقابله عِوَض فى معاوضة مال بمال، قلّت الفائدةُ أو كَثُرت. وهو رِبَا نسيئة، وربا فَضْلٍ، وكلٌّ منهما محرّمٌ شرعاً. وسيأتى تتمة لهذا فى آية ١٣٠ من آل عمران. ﴿يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ﴾ يتخبّله الشيطان ويَصرَعه بسبب مسّه إيّاه. وأصلُ التَخبُّط: الضربُ على غير استواء واتّساق؛ كخبط البعير الأرضَ بيديه. وفعلُه من باب ضرب. والمَسُّ: الخَبَلُ والجنون. يقال: مُسَّ الرجلُ فهو مَمْسُوس، إذا أَلَمَّ به مُلِمٌّ فجُنَّ. والمعنى: أن المتعاملين بالرِّبا المستحلّين له لا يقومون يوم البعث إلا كقيام المصروع الذى تَخبّلَهُ الشيطان وصَرَعه. وهو ـ كما اختاره الإمام القَفّال ـ: تشبيه جاء على ما تعارفوه من إضافة الصّرع وكلٌّ شىء قبيح إلى الشيطان؛ ونظيره قوله تعالى: (طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ)[1]. واختار الفخر أن المراد بمس الشيطان: دعاؤه إلى طلب الملذّات والشهوات والاشتغالِ بغير الله؛ ومن استجاب له كان متخبّطًا فى أمر الدنيا، فتارةً يجرُّه الشيّطان إلى الهوَى، وتارةَ يجرّه المَلَك إلى الهدى. وآكلُ الرِّبا مُفْرِطٌ فى حبّ الدنيا؛ فإذا مات على ذلك الحب صار حجاباً بينه وبين الله تعالى. فالخَبْطُ الذى كان حاصلا له فى الدنيا بسبب حبّ المال أورثه خبطاً فى الآخرة، أوقعه فى ذل الحجاب. ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ زعموا أنه حيث حلّ بيع ما قيمته درهم بدرهمين حالاً أو مؤجّلاً يحلّ بيع درهم بدرهمين. وجعلُهم الربا أصلاً وتشبيه البيع به مُبالغةٌ منهم فى التماثل. ﴿وأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ إبطالٌ من الله تعالى لقول الكفار: «إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا».

٢٧٦ ـ ﴿يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا﴾ المَحْقُ: النقصان وذهابُ البركة. تقول: محقه الله فامّحق وامْتَحَق؛ أى ذهب خيره وبركته. ويقال: محقه مَحْقًا؛ أى أبطله ومحاه. ولما كان الباعثُ على الربا تحصيلَ المزيد من المال، والصارفُ عن الصدقات الاحترازَ عن نقصانه، بيّن الله تعالى فى هذه الآية: أن الربا وإن كان زيادةً فى الحال فهو نقصان فى الحقيقة؛ لذهاب بركة المال به لا محالة. وأن الصدقة وإن كانت نقصانًا فى الحال للمال صورةً فهى زيادةٌ فيه معنًى، وذلك فى الدنيا والآخرة. ﴿يُرْبِى الصَّدَقَاتِ﴾ ينمى المال الذى أخرجت منه.

٢٧٨ ـ ﴿وَذَرُوا مَا بَقِىَ﴾ دَعُوا واتركوا مَا بَقى مما شرطتم من الرِّبَا، ولا تطالبوا به بعد أن علمتم حرمته؛ فليس لكم إلاّ رءوس أموالكم.

٢٧٩ ـ ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ﴾

(١) آية ٦٥ الصافات.

وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُواْ وَلَا تَسْأَمُوْاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُواْ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوْاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

فكونوا على علم ويقين بها ؛ من أذن بالشيء يأذَن إذا عَلِم . وقُرِئ «فآذِنوا» من آذنه الأمر وآذنه به ، أعلمه إيَّاه ؛ أي أعْلِموا من لم ينته عن الرّبا بحربٍ من الله ورسوله . وهو وعيدٌ وتهديدٌ شديدٌ للمرابين .

٢٨٠ - ﴿عُسْرَةٍ﴾ ضيق الحال من عدم المال . ﴿فَنَظِرَةٌ﴾ فعليكم تأخيره وإمهاله . والنَّظِرَةُ : . اسمٌ من الإنظار وهو الإمهال . يقال : نَظَره وانتظره وتنظّره ، تأنّى عليه وأمهله . وهذا الحكمُ عامٌّ فى كل دَين ؛ على ما ذهب إليه الجمهور . وفى الحديث الصحيح : (من أنظر معسرًا أو وضع عنه أظلَّه الله عزّ وجلّ فى ظلّه يوم لا ظلَّ إلا ظلّه [1]

٢٨٢ - ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ أمْرُ استحباب . وقيل للوجوب . وعن ابن عباس : أن المراد بالدَّين فى الآية السَّلَم [2] . ﴿لَا يَأْبَ﴾ لا يمتنع . ﴿وَلْيُمْلِلِ﴾ ولْيكن المُمْلي مَن عليه الحق ؛ لأنه المُقِرّ المشهودُ عليه . والإملالُ والإملاءُ لغتان بمعنًى واحد . يقال : أمَلّ وأمْلَى . ﴿وَلَا يَبْخَسْ﴾ ولا ينقص من الحقّ الذى عليه شيئاً فى الإملاء . يقال : بَخَس زيد عمرًا حقَّه يَبْخَسُه ، نقصه . ومنه : (وشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ) [3] . ﴿واسْتَشْهِدُوا﴾ الأمرُ للنّدب . وقيل للوجوب . ﴿أَنْ تَضِلَّ إحْدَاهُمَا﴾ الضّلالُ : تركُ الطريق المستقيم ؛ عمدًا كان أو سهوًا ، قليلاً كان أو كثيرًا . أى خشية أن تنسَى إحداهما الشهادة

(١) رواه مسلم . (٢) السلم : السلف . (٣) آية ٢٠ يوسف .



* وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

فتذكّرها الأخرى . وهو بيانٌ لحكمة اشتراط العدد فى شهادة النساء فى الأموال . ﴿وَلَا تَسْأَمُوا﴾ أى ولا تضجَروا ولا تملُّوا . يقال : سَئِمت الشىء أسأَمه سأَمًا وسآمةً ، ضَجرته ومَلَلته . ويقال : سَئِمت منه ؛ ومنه : (لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ)[1] . ﴿أَقْسَطُ﴾ أعْدَل وأحفظ . يقال : أقسط الحاكم يُقسط إقساطاً وهو مُقْسط ، إذا عَدَل فى حُكمه وأصاب الحق فيه ، ومنه : (إنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)[2] . ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾ أثبت لها وأعون على أدائها . ﴿أَدْنَى﴾ أقرب . ﴿تِجَارَةً﴾ التّجارة : التصرّفُ فى رأس المال طلباً للربح . يقال : تَجَر يَتْجُر وهو تاجر والجمع تَجْر وتِجارٌ وتُجّار . أى لكن التجارة الحاضرة يجوز عدم الإشهاد والكَتْب فيها . ﴿فُسُوقٌ﴾ خروج عن الطاعه إلى المعصيه .

٢٨٣ ـ ﴿فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ﴾ جمعُ رَهْن بمعنى مرهون . وأصلُ الرّهن الدوامُ . يقال : رَهَن الشىءُ إذا دام وثبت . ورَهَنه وعنده الشىء ـ كمنع ـ وأرهنه ، جعله رَهْنًا . ورِهانٌ خبرُ مبتدأ محذوف ؛ أى فعليكم رهانٌ مقبوضة .

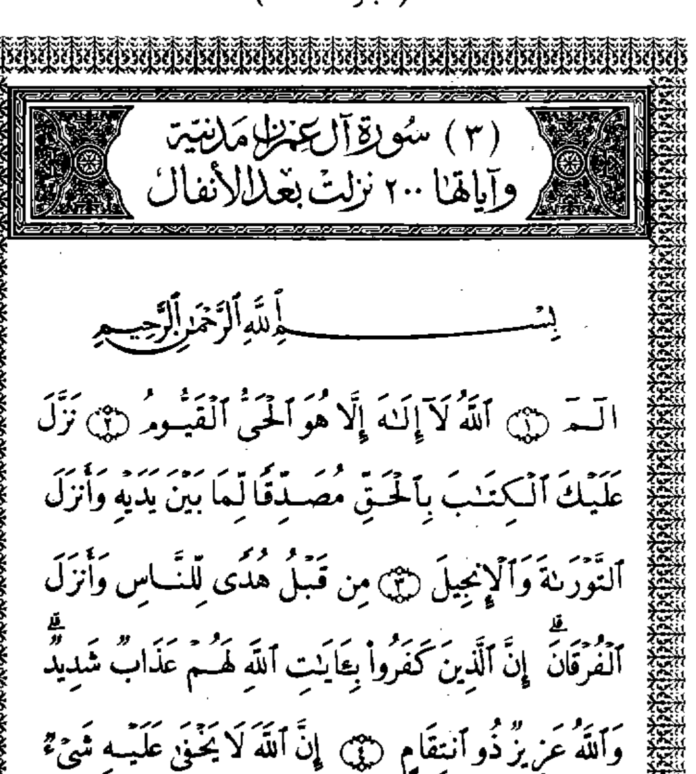
٢٨٤ ـ ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ وإن تُظهروا ما استقرّ فى أنفسكم مما عزمتم عليه من السُّوء أو تخفُوه ، يجازكم به الله . فالعَزْمُ على المعصية ، والتصميمُ عليها مؤاخَذٌ عليه . وأمّا حديثُ النّفس بها ، والخواطرُ الفاسدةُ التى ترِد على القلب دون أن يصحبها عزمٌ وتصميمٌ فعفوٌّ عنها ؛ إذ ليس فى الوسع الخلوُّ عنها . وفى الحديث : (إن الله

(١) آية ٤٩ فصلت . (٢) آية ٤٢ المائدة .

تجاوز لأمّتى ما حدّثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به)[1] .

٢٨٥ ـ ﴿ وَمَلَائِكَتِهِ ﴾ الإيمانُ بالملائكة : هو التصديقُ بوجودهم ، وبأنهم معصومون مطهَّرون ، وبسائر صفاتهم التى جاء بها التنزيل . ﴿غُفْرَانَكَ﴾ مصدرٌ نائبٌ عن فعله ؛ أى اغفر غفرانَك ؛ على حدّ سَقْياً ورَعْياً . والمرادُ : نسألك غفرانَ ذنوبنا .

٢٨٦ ـ ﴿ وُسْعَهَا ﴾ طاقتها وقدرتها ؛ فضلاً منه ورحمةً . ﴿ لَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً ﴾ الإصْرُ : الثِّقْل والعَهْد الثقيل . أى لا تُكلِّفنَا أمرًا يثقل علينا . أو عهدًا ثقيلا لا نَفِى به ؛ كما كلَّفت بنى إسرائيل مِن قبلنا ؛ فلا تمتحنّا بمثله ؛ رأفةً منك وفضلاً . والله أعلم .



سورة آل عِمْران

٢ ـ ﴿الحَىُّ القَيُّومُ﴾ [راجع آية ٢٥٥ البقرة ص ٦١] .

٣ ـ ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ أى القرآن . وفى تخصيص القرآن بصيغة التنزيل إيماءٌ إلى أنه نزل مُنَجَّماً على التدريج ؛ بخلاف التوراة والإنجيل فقد نزلا جملة .

٤ ـ ﴿ وَأَنْزَلَ الفُرْقَانَ ﴾ الفُرْقانُ : كلُّ ما فُرق به بين الحق والباطل . مصدرُ فَرَق يَفْرُق بين الشيئين فَرْقاً وفُرْقَاناً ، إذا فصل بينهما . أى وأنزل بهذه الكتب الفرقانَ بين الحق والباطل ؛ فلم يبق لأحد عذرٌ فى جحودها والكفر بها . ﴿عَزِيزٌ﴾ منيعُ الجانب . أو قوىٌّ غالبٌ كلَّ شىء ؛ من العِزَّة وهى حالة تمنع الإنسان أن يُغلب ويُقهر . يقال : عَزَّ يَعِزّ عِزًّا وعِزَّة ، صار عزيزًا وقوىَ بعد ذِلَّة . ﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾ ذو عقوبة شديدةٍ لمن يكفر به لا يقدر على مثلها منتقِم . يقال : انتقم منه إذا عاقبه بجنايته . والفعل المجرد منه نَقِمَ ؛ كضَرب وعلِم .

(١) متفق عليه .

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾

٧ ـ ﴿آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ آياتٌ بيّناتٌ واضحاتُ الدّلالة ، لا التباس فيها ولا اشتباه . من الإحكام بمعنى الإتقان . يقال : أحكمه أى أتقنه ، فاستحكم ومنعه من الفساد ؛ كحكَمه حَكْماً . وذلك لإحكام عبارتها عن احتمال التأويل والاشتباه ، ولمنع الخلق من التصرّف فيها ؛ لظهورها ووضوح معانيها ، وإقامتها حجّةً من الله على عباده . وعِصمةً لهم من الزّيْغ . وإلى هذا المعنى يرجع تفسير بعضهم المُحْكَمات : بما عُرف تأويلُها وفُهم معناها المراد منها ، أو مالا التباس فيها ، ولا تحتمل من التأويل إلا وجهاً واحدًا . [المسألة الرابعة من المقدمة ص و] . ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أى أصلُه الذى يُعوّل عليه فى الأحكام ، ويُرجَع إليه فى الحلال والحرام . ويُرَدّ إليه ما تشابه من آياته وأشكل من معانيها . وأمُّ كلِّ شىء : أصلُه وعِمادُه ؛ قال الخليل : كلُّ شىء ضُمّ إليه سائرُ ما يليه يسمَّى فى لغة العرب أمًّا . ﴿وأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ ومنه آياتٌ أُخرُ متشابهاتٌ ، وهى غير المُحْكَمات . والمتشابهُ : ما استأثر الله بعلمه ؛ كوقت الساعة والروح والحروف المقطعة فى أوائل السور ؛ وإليه ذهب الحنفية . أو ما لا يتّضح معناه إلا بالنظر الدقيق وهو يشمل المُجمَل ونحوه ؛ وإليه ذهب الشافعية . أو ما دَلّ الدليل القاطع على أن ظاهره غيرُ مراد ، ولم يقم دليل على تعيين المراد منه ؛ كآيات الصفات مثل : الاستواء واليد والقَدَم ، والتعجّب والضّحك ، والفوقيّة ، والنزول والرحمة والغضب ، ونحو ذلك . يقال : اشتبه الأمران ، إذا أشبه كلُّ واحد منهما الآخرَ حتى التبسا . وأمورٌ مشتَبِهَةٌ ومشبَّهة ـ كمعظَّمة ـ : مُشكِلةٌ . وشُبِّه عليه الأمرُ تشبيهًا : لُبِّس عليه . ﴿فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ مَيْلٌ عن الاستقامة وانحرافٌ عن الحق ، وطرحٌ للقصد السَّوى . يقال : زاغ يزيغ ، مال . ومنه : زاغت الشمس إذا مالت . ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ الابتغاءُ : الاجتهادُ فى الطلب . يقال : بغيتُ الشىء وابتغيتُه ، إذا طلبت أكثر ما يجب . والفتنةُ : ما يُدفع إليه الإنسان من شدّة . وابتغاءُ الفتنة : طلبُ فتنة المؤمنين عن دينهم ؛ بالتشكيك والتلبيس ، وإثارةِ الشُّبَه ومناقضةِ المُحكَم بالمتشابه . أو فَتْن أتباعهم الجهال بذلك . ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ وطلبَ تأويلِ الكتاب وتحريفه . التأويلَ الباطل الذى يشتهونه ، والتحريفَ السقيم الذى يقصدونه ، زاعمين أنه الغاية المرادة منه ؛ وذلك شأن أهل البدَع والأهواء والملاحدة فى كل عصر . وتبعهم فى ذلك الذين سَمّوْا أنفسهم مبشّرين فى هذا العصر . والتأويلُ : يُطلق بمعنى التفسير والبيان ؛ ومنه : (نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ)(١) ، وقولُ المفسّرين : تأويلُ هذه الآية كذا وكذا . وبمعنى حقيقةِ الشىء وما يئول إليه ؛ من الأَوْل وهو الرجوع إلى الأصل ، وردُّ الشىء إلى الغاية المرادة منه . يقال : آل الأمر إلى كذا يئول أَوْلاً ؛ رجع . وأوّلته

(١) آية ٣٦ يوسف .

إليه رَجْعته ؛ ومنه : ﴿هَلْ يَنْظُرُون إِلَّا تَأْوِيلَه يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾[1] أي مَا ينتظرون إلاّ حقيقةَ ومآلَ ما أُخبروا به من أمر المعاد . والمرادُ هنا المعنى الثانى ، على ما اختاره الراغب . وذهب آخرون إلى اختيار المعنى الأوّل . ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِى العِلْمِ﴾ أى الثابتون المتمكّنون فيه ، وهم الذين أتقنُوا علمَهم ؛ فلم يداخلهم فيه شكّ ولم تعرض لهم فيه شبهة . وأصله فى الأجرام أن يَرْسَخَ الجبل والشجر فى الأرض ، واستُعمل فى المعانى ؛ ومنه : رسَخَ الإيمان فى قلبه ، أى ثبت واستقر . فإذا فُسّر المتشابه بما استأثر الله بعلمه فالوقف على لفظ الجلالة ، وما بعده استئناف ؛ أى والراسخون فى العلم يقولون آمنا به ، ويفوّضون علمه إليه سبحانه ، ولا يقتحمون أسواره ؛ كأهل الزّيْغ والضلال الذين خلطوا فيه بغير علم ، واتّبعوا أهواءهم بغير هُدًى . وإذا فُسّر بما لا يتّضح معناه إلاّ بنظر دقيق ، فالحقُّ الوقف على لفظ «العِلْم» ؛ أى أنه لا يعلم تأويلَه الحقَّ المطابقَ للواقع إلاّ اللهُ والراسخون فى العلم ؛ دون أولئك الزائغين . ويجوز الوقف على لفظ الجلالة ؛ لأنه لا يعلمه كله إلّا الله تعالى ، أو لا يعلمه بالكُنْه سواه . وإذا فُسّر بما قام الدليل القاطع على أن ظاهره غيرُ مراد ، مع عدم قيام الدليل على تعيينه ، جاز الوقف والعطف عند من يجوّز الخوضَ فيه ، وتأويله بما يرجع إلى الجادّة فى مثله ؛ وهم جمهور الخَلَف . ووجب الوقف على لفظ الجلالة عند من يمنع الخوض فيه ويمنع تأويله ؛ وهم جمهور السَّلَف . ونقل ابن كَثير : أنه إذا أريد من التأويل المعنى الأوّلُ الذى أسلفناه فالوقف على لفظ «العلم» ؛ لأن الراسخين يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به ، وإن لم يُحِيطُوا علماً بحقائق الأشياء على ما هى عليه . وإذا أريد منه المعنى الثانى فالوقف على لفظ الجلالة ؛ لأن الحقائق لا يعلمها على الجليّة إلا الله عزّ وجلّ . والحكمةُ فى إنزال المتشابه على التفسير الأوّل : الابتلاء به ؛ ليخضع العبدُ لسلطان الربوبيّة ويُقرّ بالعجز والقصور . وفى ذلك غايةُ التربية ونهايةُ المصلحة ؛ كما ابتلى سبحانه عبادَه بسائر التكاليف والعبادات . وعلى التفسير الثانى وكذا الثالث : أن يشتغل أهل النظر والفقه فى الدّين بردّ المتشابه إلى المُحْكَم ؛ فيطول بذلك نظرهم ، ويتّصل بالبحث عن معانيه فكرهم ؛ فيثابون على اجتهادهم كما أثيبوا على عباداتهم . ولو أنزِل القرآن كلّه محكَماً لاستوى فى معرفته العالِمُ والجاهل ، ولم يَفْضُل العالِم على غيره ، ولماتت الخواطر وخَمَدَت القرائح ؛ ومع الغموض والخفاء تقع الحاجة إلى الفكرة ، والحيلةُ إلى استخراج المعانى . هذا ، إلى أن القرآن فى أعلى طبقات البلاغة والإعجاز ، وفى ألفاظه وآياته وأسلوبه من المجازات والكنايات ، والتشبيهات والإشارات ، ما يوجب كَدَّ الأذهان وشَحْذَ القرائح ؛ لاستخراج معانيه واستقصاء مراميه ، وذلك مما لا يَقدِر عليه إلّا من أوتى أوْفر حظٍّ من العلم والفقه ، وكانت له قَدَمٌ راسخةٌ فى البحث والفهم . هذا ، ومن المتشابه آياتُ الصفات وأحاديث الصفات كما قدّمنا . ومذهب السَّلَف فيها : أنها صفات ثابتة لله تعالى وراء العقل ، جاء بها السمع ؛ فيجب الإيمان بها كما وردت ، مع وجوب اعتقاد تنزيهه تعالى عن التجسيم والتشبيه ؛ لئلا يضادّ النّقلُ العقلَ ، وأن ظاهرها غير مراد قطعاً لاستحالته عليه تعالى ؛ فإن ذاتَه وصفاته مخالفةٌ لذوات المحدَثات وصفاتهم . قال الإمام الشعرانى وغيره : إن مذهب السّلف أسلَم وأحكمُ ، وقد دَرَج عليه صدر الأمة وساداتُها ، واختاره أئمة الفقه والحديث ، حتى قال الإمام محمد بن الحسن : اتّفق الفقهاء كلّهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه . اهـ . أى من غير تأويل على سبيل التفصيل ، ولا تمثيل

(١) آية ٥٣ الأعراف .

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾

له بالحوادث ؛ تعالى الله عن الشبيه والمثال . [راجع المسألة الرابعة من المقدمة ص و] .

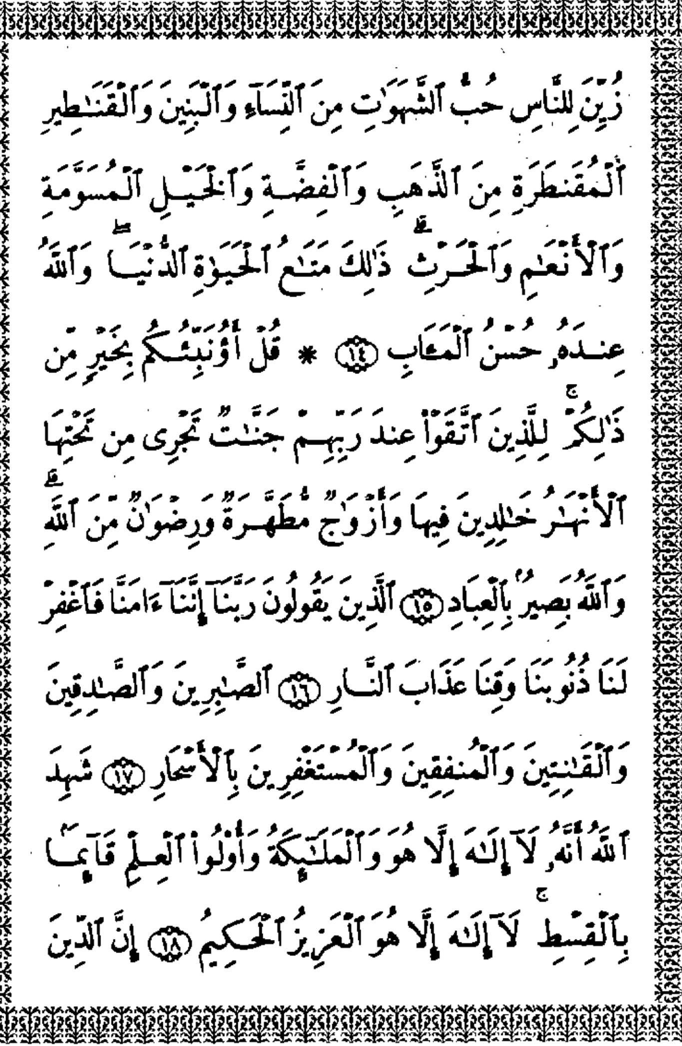
٨ - ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ أى لا تُمِلْها عن الحقّ والإيمان بك والتسليم لك . يقال : زاغت الشمس تزيغ زيغاً ، مالت . وهو من قول الراسخين . وقيل من كلامه تعالى ؛ أى قولوا ذلك .

١١ - ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ أى حالُ هؤلاء فى الكفر واستحقاق العذاب كحال آل فرعونَ والذين من قبلهم من الأمم . وأصلُ الدَّأْب : الدّوام ؛ يقال : دأب على كذا يدأب دَأْبًا ودأَبًا ودُؤوبًا، إذا داوم عليه وجدّ فيه وتَعِب . ثم غلب استعماله فى الحال والشأن والعادة .

١٢ - ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قل لليهود الذين دعوتهم إلى الإسلام فتمرّدوا عليك بنقض العهد ، ومُمالأة قريش عليك بعد غَزْوة أُحُد ، وقالوا : لسنا أمثالَ قريش فى الضّعف وقلة المعرفة بالقتال ، بل نحن أُولُو قوّة ومعرفة به - : إنكم ستُغلبون فى القتال كما غُلب المشركون فى بَدْر . ﴿وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ ما مهّدتموه لأنفسكم فى الآخرة . والمِهادُ - كفِراش وزنًا ومعنًى - وهو الموضع الذى يُوَطَّأ للصبىّ ويُمهّد له ؛ وجمعه مُهُد ، ككتاب وكتب .

١٣ - ﴿فِى فِئَتَيْنِ﴾ جماعتَين التقتا فى القتال يومَ بدْر ، جماعةِ المسلمين وجماعةِ المشركين . وأصلُ الفِئة : من الفَىْء ، وهو الرجوع . وسُمّيت الجماعة فئةً لأنه يُرْجع إليها فى وقت الشدّة ، وجمعها فئات وفئون . ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ ..﴾ يرى الكفارُ المسلمينَ مِثْلَيْهِم ، أى مثلَى الكفار فى العدد ، وذلك عند الالتحام فى ساحة القتال ؛ لتضعف قلوبهم وينهزموا ، فيتمكّن منهم المسلمون قتلاً وأسرًا . وأما تقليلُهم فى أعين الكفار فى قوله تعالى : «ويُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ»(١) فهو قبل ذلك ؛ ليطمعوا فى المسلمين ولا يَجْبُنُوا عن قتالهم . ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ﴾ يقوّى بنصره ولو بدون الأسباب العاديّة . يقال : أيّدته تأييدًا فهو مؤيَّد - أى قوّيته تقويةً وأعنته ؛ ومنه : «ذَا

(١) آية ٤٤ الأنفال .


زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَٰتِ مِنَ النِّسَآءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَٰطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَٰمِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ الْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ * قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌۢ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّٰبِرِينَ وَالصَّٰدِقِينَ وَالْقَٰنِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِالْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ



الأَيْدِ »[1] أى القوّة . ﴿إِنَّ فِى ذَلِكَ لَعِبْرَةً﴾ لعظة . من العُبور ، وهو التجاوز من حالٍ إلى حال ؛ ومنه : عبَر الوادى يَعْبُره عَبْرًا وعبورًا ، قطعه من عِبْره إلى عِبْره ؛ أى من شاطئه إلى شاطئه . وسُمِّىَ الاتّعاظُ عِبْرَةً لأن المتّعظ يعبُر به من الجهل إلى العلم ، ومن الهلاك إلى النجاة .

١٤ - ﴿حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ المشتهيات بالطبع . ﴿وَالْبَنِينَ﴾ لم يذكر البناتِ لشمول البنينَ لهنّ على سبيل التّغليب . ﴿وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ﴾ جمعُ قِنطار ، وهو المال الكثير الذى يتوثّق به فى دفع الحاجة . مأخوذ من الإحكام ؛ تقول : قَنْطرت الشىء إذا أحكمته ؛ ومنه القنطرة لتوثّقها بعقد الطاق . والمُقَنْطَرَة : أى المجموعة قنطارًا قنطارًا ؛ كقولهم : دراهمُ مدرهَمة ، وإبلٌ مؤبَّلة . وذكره للتأكيد . ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ أى الراعية فى المُروج والمسارح . يقال : سوَّم ماشيته إذا أرسلها فى المرعى . أو المطهَّمة الحسان ؛ من السِّيما بمعنى الحسن . أو المعلَّمة ذات الغُرّة والتحجيل ؛ من السِّمة أو السُّومة بمعنى العلامة . والخيلُ : اسمُ جَمْع كرهط . أو جمع خائلٍ ؛ كطير وطائر . وسُمّيت خيلاً لاختيالها فى مشيتها بطول أذنابها . ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ الإبل والبقر والغنم ، جمع نَعَم . ولا يقال للجنس الواحد منها نَعَم إلا للإبل خاصّةً . ﴿الْحَرْثِ﴾ أى المزروعات . ﴿حُسْنُ الْمَآبِ﴾ المرجعُ الحسَن وهو الجنة ؛ فهىَ الأحق بالرغبة فيها لبقائها دون المُتَعِ الفانية . والمآبُ : إسمُ مصدر بوزن مَفْعَل ؛ من آب - كقال - إيابًا وأَوْبًا ومآبًا ، إذا رجع . وأصلُه مأوب ، نقلت حركة الواو إلى الهمزة ثم قُلبت الواو ألفًا ، مثلُ مقال .

١٥ - ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ﴾ رضاءٌ عظيم منه تعالى ، لا سخط بعده أبدا .

١٧ - ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾ المطيعين الخاضعين لله ؛ من القنوت ، وهو لزوم الطاعة مع الخضوع . ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ جمعُ سَحَر ، وهو من ثلث الليل الأخير . أو من حين يُدبر الليل إلى طلوع الفجر . وتخصيصُ الأسحار بالاستغفار لأن الدعاء فيها أقرب إلى الإجابة ؛ إذ العبادة حينئذ أشقُّ ، والنفسُ أصفى ، والرُّوعُ أجمع . وَعن أنس : كنّا نُؤمَر إذا صلّينا من

(١) آية ١٧ ص .

عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾

الليل أن نستغفرَ فى آخر السَّحَر سبعين مَرّةً .

١٨ - ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ قائمًا بالعدل فى قَسْمه وحكمه ، وتدبير أمر خلقه . والقِسْطُ والإقساطُ : العدل . يقال : قسَط يقسِط ويقسُط قِسطًا ، وأقسط إقساطًا فهو مُقْسِط ، إذا عدل ؛ ومنه : «إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ»[1] . ويُطلق القِسْط على الجَوْر ، والفاعلُ قاسط ؛ ومنه : «وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً»[2] .

١٩ - ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ﴾ أى إن الشريعة المرضيّة عند الله تعالى هى : الاستسلامُ والانقيادُ إليه ، والدخولُ فى طاعته . يقال : أسلم أى انقاد واستسلم ، وأسلم أمره لله سلّمه إليه . وفسّر قَتادةُ الإسلامَ بأنه : شهادة أن لا إله إلّا الله ، والإقرارُ بما جاء من عند الله ؛ وهو دين الله الذى شرعَه وبَعث به رسلَه ، ودلّ عليه أولياءه ، فلا يَقبل غيره ولا يَجزى بالإحسان إلا به . وهو الدّين الحنيف الذى جاء به خاتَم رسلِ الله صلى الله عليه وسلم . ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ هم اليهود والنصارى ، وقد اختلفوا فى الإسلام أو فى التوحيد من بعد قيام الدلائل على صحته ، وشهادة كتبهم به . ﴿بَغْياً﴾ حسدًا وطلبًا للرياسة .

٢٠ - ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ أخلصتُ عبادتى لله وحده ، وأطعتهُ وانقدت له . وعبّر عن الذات بالوجه لأنه أشرف الأعضاء ، وبه يحصل التوجّه إلى كل شىء . ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ هذه الآية من أصرح الأدلّة على عموم بعثته صلى الله عليه وسلّم للخلق كافّةً . وقد نطقت بذلك الآيات والأحاديث الصحيحة ، قال تعالى : «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً»[3] وقال : «لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً»[4] . وقال صلى الله عليه وسلّم : (والذى نفسى بيده لا يسمع بى أحدٌ من هذه الأمّة يهودىٌّ ولا نصرانىٌّ ومات ولم يؤمن بالذى أرسِلتُ به إلا كان من أهل النار)[5]. وقال : (بُعِثتُ إلى الأحمر والأسْود)[6] والأُمّيونَ : من ليس لهم كتاب ، والمرادُ مشركو العرب .

٢٢ - ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ أى

(١) آية ٤٢ المائدة . (٢) آية ١٥ الجن . (٣) آية ١٥٨ الأعراف . (٤) آية ١ الفرقان . (٥) رواه مسلم . (٦) أخرجه ابن سعد .

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ

بطلت أعمالهم وخلت عن ثمراتها .

٢٣ - ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ خطابٌ لكل من يَتأتّى منه الرؤية ؛ على طريق الاستفهام التّعجيبىّ من حال اليهود من أهل الكتاب . أى ألم ينته علمك إلى الذين ... الآية . والكتابُ : التوراةُ .

٢٤ - ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ أربعين يومًا ، وهى مدّة عبادتهم العجل . فهوّنوا على أنفسهم الخطوب ، ولم يبالوا بالمعاصى والذنوب . ﴿وَغَرَّهُمْ﴾ أى خدعهم وأطمعهم فى غير مطمع . ﴿يَفْتَرُونَ﴾ أى يكذبون على الله .

٢٦ - ﴿اللَّهُمَّ﴾ أصله : يا الله ؛ فحُذِف حرفُ النداء وعُوِّض عنه الميمُ المشدّدة .

٢٧ - ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهَارِ ..﴾ تُدخل طائفةً من الليل فى النهار ؛ فيَقْصُر اللّيْلُ ويزيد النهارُ ، وتُدخل طائفةً من النهار فى الليل ؛ فيَقْصُر النهارُ ويزيد الليلُ . من الولوج وهو الدخول ؛ يقال : وَلَجَ منزلَه يَلِجُه ، دخله . ويقال : أولجه ، أدخله . ﴿وَتُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ ..﴾ تخرج الحيوان من النُّطْفة ، والنطفة من الحيوان ، وتُخرج النبات الغَضَّ الطَّرِىّ من الحَبّ اليابس ، وتخرج الحبَّ اليابس من النبات الحىّ النّامى . ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آية ٢١٢ البقرة ص ٥٠] . وفى الآية دليلٌ على مزيد عظمته ، وكمال قدرته على البعث والجزاء .

٢٨ - ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ ...﴾ كان بعض اليهود يباطنون نفرًا من الأنصار لِيَفْتِنُوهُمْ عن دينهم ؛ فقال لهم بعض الصحابة : اجتنبوهم ، واحذروا مباطنتهم ، لا يفتنوكم عن دينكم ؛ فأبَوْا إلّا ملازمتهم ، فنزلت الآية . أى لا تتخذوا لكم أنصارًا وبطانةً من الكافرين ، متجاوزين إخوانكم المؤمنين ، تُسِرُّونَ إليهم بالمودّة وتركنون إليهم ، وتُلقون إليهم ذات صدوركم ؛ فإنهم لا يألون جهدًا فى مضرتكم والنكاية بكم . ومثلُه قولُه تعالى : (لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا)[1] . وقولُه تعالى : (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)[2] وقوله : (لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى

(١) آية ١١٨ آل عمران . (٢) آية ٢٢ المجادلة .

تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٢٩) يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌۢ بِالْعِبَادِ (٣٠) قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَٰفِرِينَ (٣٢) * إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى الْعَٰلَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ

ربع الحزب

أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ)[1] وقوله : (لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ)[2] . والأولياءُ : جَمْعُ وَلِىّ ، بمعنى المُوالى ؛ من الوَلْى وهو القُرْب . ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ أى ومَن يُوالِ الكفارَ هذه الموالاة ، فليس من ولاية الله فى شىء يقع عليه اسم الولاية ؛ يعنى أنه منسلخ من ولاية الله رأسًا . ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ أى إلا أن تخافوا منهم مخافةً . أو تخافوا من جهتهم أمراً يجب اتّقاؤه ؛ من الضَّرَر فى النفس أو المال أو العِرض . وذلك إذا كان الكفار غالبين ظاهرين ، أو كنتم فى قوم كفار ؛ فيرخّص لكم فى مداراتهم باللّسان ، على ألّا تنطوى قلوبكم على شىء من مودّتهم ، بل تدارونهم وأنتم لهم كارهون . وألّا تعملوا ما هو محرّم ؛ كشرب الخمر ، وإطْلاعِهِم على عورات المسلمين ، والانحياز إليهم فى مجافاة بعض المسلمين ؛ فلا رُخصة إلا فى المداراة باللسان . وعن معاذ ومجاهد : أن هذا الحكم قد نُسخ بعد قوة الإسلام . وعن الحسن : جواز التَّقِيّة فى كل وَقت ؛ لدفع الضَّرر بقدر الإمكان . و ﴿تُقَاةً﴾ مصدرُ تقيتُه – كرميته – بمعنى اتقيته ، ووزنه فُعَلَة ، ويُجمع على تُقىً ؛ كرُطَبة ورُطَب . وأصلُ تقاةٍ : وُقَيَة من الوقاية ، فأُبدلت الواوُ المضمومة تاءً والياءُ ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها . و «تقاة» على المعنى الأول مفعول مطلق ؛ والتقدير : إلا أن تتقوا منهم اتّقاءً ؛ فوقع «تقاة» موقع اتقاء ، والعرب تُنيب المصادرَ بعضها عن بعض . وعلى المعنى الثانى مصدرٌ مفعول به ؛ وتقديره : إلّا أن تتّقوا منهم متّقًى ؛ أى أمرًا يُتّقى ويُخاف ويُحذر . ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ يخوّفكم عقابَه وانتقامَه .

٣٠ – ﴿مُحْضَرًا﴾ مشاهَدًا فى الصحف لم يُبْخَس منه شىء ؛ قال تعالى : «وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا»[3] .

٣١ – ﴿تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ أى تُحبُّونَ طاعتَه أو ثوابَه . وأكملُ من ذلك : محبّتُه تعالى لذاته ؛ لا طمعًا فى ثوابه ، ولا خوفًا من عقابه .

٣٣ – ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ﴾ نزلت حين قال اليهود : نحن أبناء إبراهيم وإسحق ويعقوب ، ونحن على دينهم . أى أن الله تعالى اختار هؤلاء لأداء رسالته وهى الإسلام ، وأنتم على غير دين الإسلام ؛ إذ أمركم باتّباعه فخالفتم . وأرسل إليكم رسولاً بَشّر به موسى وعيسى فكذّبتم ، وهو من بيت النبوّة ، ومن ذرّية إبراهيم ، كموسى وعيسى عليهما

(١) آية ٥١ المائدة . (٢) آية ١ الممتحنة . (٣) آية ٤٩ الكهف .

عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾

السلام ؛ وقد اصطفاه كما اصطفى مَن قبله فلمَ كفرتم به !؟ .

٣٥ ـ ﴿ امْرَأَةُ عِمْرَانَ ﴾ هي حَنّة أمُّ مريم . وعمرانُ هذا ، غير عمران أبي موسى عليه السلام ؛ وبينهما نحو ألف وثمانمائة سنة . ﴿ مُحَرَّرًا ﴾ مُخْلَصًا لعبادتك وخدمةِ بيت المَقْدس ، معتَقًا من أمر الدنيا ؛ مِن حرَّرت العبد : خلّصته من الرّق وأعتقته . ورجلٌ حُرٌّ : إذا كان خالصًا لنفسه ، ليس لأحد عليه يَدٌ وتصرُّف .

٣٦ ـ ﴿ أُعِيذُهَا بِكَ ﴾ أمنعها وأجيرها بحفظك ؛ من العَوْذ ، وهو أن تلتجيء إلى غيرك وتتعلّق به . يقال : عاذ فلان بفلان إذا استجار به ؛ ومنه العُوذَة ، وهي التميمة والرُّقْية .

٣٧ ـ ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ ضمَّها الله تعالى إلى زكريّا وجعله كافلاً لها ، وضامنًا لمصالحها ـ وهو زوج خالتها ـ بالقُرعة التي أجروْها حينما اختلفوا فيمن يكفلها ؛ من الكفالة بمعنى الضمان . يقال : كَفَلَه وتكفّل به وأكفله إياه ، ضَمِنَه . والكفيلُ : الضامنُ ، كالكافل ، وهو الذي يعُول غيره . ﴿ الْمِحْرَابَ ﴾ هو غرفةٌ في بيت المقدس ، لا يُصعَد إليها إلا بسُلّم . أو هو المسجد ؛ وكانت مساجدُهم تسمّى المحاريب . وسُمِّيَ محرابًا لأنه محلُّ محاربة الشيطان والهوى . ﴿ أَنَّى لَكِ هَذَا ﴾ من أين يجيء لك هذا الرزق الذي أرى عندك في غير أوانه !؟ وتُستعمل « أنّى » بمعنى من أين ومتى وكيف ؛ لتضمُّنها معانيها .

٣٩ ـ ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ ﴾ أي بكلمة كائنة من الله ، يعني عيسى بنَ مريم . وسُمِّيَ كلمةً لأن الله تعالى خَلَقَهُ بكلمة « كُنْ » من غير توسّط سبب عادِيّ فكان ؛ وكان تأثير الكلمة في حقّه أظهر . أو مصدّقًا بكتاب من الله ، والمراد به الإنجيل وإطلاقُ الكلمة عليه ؛ كما تقول العرب : أنشدني كلمة ؛ يريدون قصيدة . ﴿ وَحَصُوراً ﴾ هو من لا يأتي النساء وهو قادر على ذلك ؛ من

قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي

الحَصْر وهو الحبس ، لحبسه نفسه عن شهوتها .

٤٠ ـ ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ ﴾ كيف أَوْ مِنْ أين يكون ؟ ﴿ عَاقِرٌ ﴾ عقيم لا تلد لكبر سنِّها ، من العَقْر وهو العُقْم . يقال : عَقَرت المرأةُ تعقِر عَقْرًا ، فهى عاقر .

٤١ ـ ﴿رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ علامة تدلّني على حصول الحمل ؛ لأبادر إلى شكر هذه النعمة والقيام بحقها . ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ أى تعجز عن تكليمهم بغير آفة . ﴿ إِلَّا رَمْزًا ﴾ إيماءً وإشارةً ، حيث حُبس عن النطق من غير آفة . وفعْلُه من بابَيْ نصر وضرب . والاستثناء منقطع ؛ لأن الرَّمز ليس من جنس الكلام ، أى النطقِ باللسان . ﴿ وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ ﴾ التسبيحُ : الصلاة . والعشيُّ : جَمْعُ عشيّة ، وهى من الزوال إلى الغروب . والإبكارُ : مصدرُ أبكر بمعنى بكّر ، أريد به الوقت الذى هو البُكرة ، وهو من طلوع الفجر إلى الضُّحى . ويقال : التسبيحُ التنزيه ، والمرادُ نزِّهه تعالى دائمًا عما لا يليق به من العجز والنقص .

٤٢ ـ ﴿ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ أى عالمى زمانها ؛ كما فى نظائِره .

٤٣ ـ ﴿اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾ أخلصى له وحدَه العبادةَ ، وأَديمى له الطاعة ؛ من القنوت ، وهو لزوم الطاعة مع الخضوع .

٤٤ ـ ﴿يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ﴾ يرمون سهامَهم فى الماء الجارى للاقتراع على من يكفُلُ مريم ؛ فمن وقف قلَمُه عن الجرى مع الماء فهو أحقُّ بها ، فجرت كلها مع الماء إلا قلمَ زكريا فإنه ثبت فكفَّلها الله له . والأقلامُ والسِّهامُ والأزلامُ والقداحُ بمعْنًى

٤٥ ـ ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ أى كائنة من الله ، أى مبتدأة منه من غير توسّط الأسباب العادية ، قال له كن فكان . ﴿ الْمَسِيحُ ﴾ فَعِيلٌ بمعنى فاعل ؛ للمبالغة فى مَسْحه الأرضَ بالسياحة للعبادة ؛ أو مَسْحِه ذا العاهة ليبْرَأ ؛ أو بمعنى مفعول ، أى ممسوح ؛ لأن الله مسحه بالبركة ، أو طهّره من الذنوب . وهو لَقَبٌ منقولٌ

بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا
يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ
وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى
قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ
كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ
ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم
بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ
إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ
وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن
رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ

عن الصفة . ﴿وَجِيهًا﴾ أى ذا جاه وقدر وشرف .

٤٦ ـ ﴿فِى الْمَهْدِ وَكَهْلاً﴾ أى فى حال كونه صغيرًا قبل أوان الكلام ، وفى حال الكهولة . والمَهْدُ : اسمٌ للمضجع الذى يُهيَّأ للصبى فى رَضاعه . وهو فى الأصل مصدرُ مَهَده يَمْهَدُه ، إذا بسطه وسوّاه . والكهلُ : مَن وخَطَه الشيبُ ، أو اجتمعت قوّته وكَمُل شبابه ؛ ومنه : اكتهل النبات إذا طال وقوِىَ . فهو عليه السلام يكلّمهم بكلام الأنبياء ، من غير تفاوت بين حالتى الطفولة والكهولة ؛ وهو إحدى معجزاته عليه السلام . وفى تغيّر أطوار حياته من طفولة إلى كهولة ردٌّ على النصارى الذين يزعمون ألوهيّته .

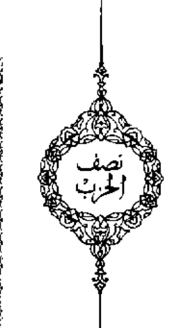
٤٧ ـ ﴿إِذَا قَضَى أَمْراً﴾ أى إذا أراد شيئًا فإنما يقول له كن فـيـكـون ، ويحدث فورًا بلا مهلة ؛ قال تعالى : (وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ)[1] . وأكثر المفسرين على أنه تمثيلٌ لتأثير قدرته فى مراده ، بأمر المطاع للمطيع فى حصول المأمور من غير امتناع وتوقّف ، وافتقار إلى مزاولة عملٍ واستعمالِ آلةٍ . وكأنّ أصلَ الكلام : إذا قضى أمرًا فيحصل عَقِبه دَفعةً ؛ فكأنما يقول له كن فيكون . وقيل هو حقيقة [آية ١١٧ البقرة ص ٢٩] .

٤٨ ـ ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ﴾ أى الكتابة والخطّ ليستفيد بهما . ﴿وَالحِكْمَةَ﴾ وهى الإصابة فى القـول والعمـل . أو أحكـام الشرائع .

٤٩ ـ ﴿أَخْلُقُ﴾ أصوّر وأقدّر . ﴿لَكُمْ﴾ لأجل تصديقكم بى . ﴿وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ﴾ أشفى بإذن الله مَن وُلد أعمى فيُبْصِر . يقال : برأ المريض يبرأ ويبرُؤ بُرْءًا وبُرُوءًا . وبرؤ ـ ككرم وفرح ـ بَرْءا وبُرْءا وبُروءًا ، إذا نَقِهَ من مرضه . وأبرأه الله فهو بارئٌ وبرئٌ . وكَمِه يَكْمَه كَمَهاً ، إذا ولد أعمى ؛ فهو أكمه ، وامرأة كمهاء . ﴿تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ تَخْبَئُونَه فيها لحاجتكم إليه ؛ من الادّخار ، وهو إعداد الشىء لوقت الحاجة إليه . يقال : ذخرته وادّخرته ، إذا أعددته للعُقْبى . وأصله «تذتخرون» ـ بالذال المُعْجَمَة ـ من اذتخر الشىء ـ بوزن افتعل ـ ثم دخله الإبدال .

٥٠ ـ ﴿حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ أى فى التوراة . وهو صريحٌ فى أن شريعة عيسى نَسخت شريعةَ موسى عليهما السلام فى بعض الأحكام .

(١) آية ٥٠ القمر .



فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ * فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ

٥٢ ـ ﴿ أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ ﴾ أى علِمَه يقيناً، وتحقّقه تحقُّقَ ما يُدرَك بالحواسّ. يقال: أحسَّ الشيء، علمه بالحِس. وأحسّ بالشيء، شعر به بحاسته. ومنه: (هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ)[1]. ﴿ أَنْصَارِى إِلَى اللَّهِ ﴾ أى أعوانى، حالَ كونى ذاهباً إلى الله، أى ملتجئاً إليه؛ جمعُ نصير. ﴿ الْحَوَارِيُّونَ ﴾ أصفياء عيسى؛ جمع حَوارىّ. وحوارىُّ الرَّجُلِ: ناصره وخالصتُه؛ من الحَوَر، وهو شدة البياض. ومنه قيل: الحُوَّارَى للخبز الخالص الدقيق. وسُمُّوا حواريّين لخلوص نيّاتهم ونقاء سرائرهم من النفاق والريبة؛ كنَقاء الثوب الأبيض من الدَّنَس.

٥٤ ـ ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ﴾ دبّر اليهود الذين أحسّ عيسى منهم الكفر قتلَه غِيلةً، وتواطئوا عليه؛ فأحبط الله تعالى تدبيرهم برفعه إلى محل كرامته، وإلقاء شَبَهه على من قصد اغتياله فقتلوه. والمكرُ: التدبيرُ المحكَم. أو صرف غيرك عما يريده بحيلة. وهو مذموم إن تحرّى به الفاعلُ الشرَّ والقبيح؛ كمكر هؤلاء اليهود. ومحمودٌ إن تحرّى به الفاعلُ الخيرَ والجميل؛ ومنه «مكر الله» حيث نجّى رسوله منهم. فلا ضرورة لادعاء المشاكلة اللفظية فى إطلاق المكر فى حقّه تعالى؛ وإنما يراد به فى حقّه سبحانه المعنى اللّائق بكماله.

٥٥ ـ ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ أى آخذك وافيًا بروحك وجسمك، ورافعُك إلى محلّ كرامتى؛ فالعطف للتفسير. يقال: وفّيت فلانا حقّه، أى أعطيته إيّاه وافيًا؛ فاستوفاه وتوفّاه؛ أى أخذه وافيًا. أو قابضُك ومستوفِى شخصك من الأرض؛ مِن توفّى المالَ بمعنى استوفاه وقبضه. واعلم أن عيسى عليه السلام لم يُقتل ولم يُصلب؛ كما قال تعالى: (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ)[2] وقال: (وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً)[2]. فاعتقادُ النصارى القتلَ والصَّلبَ كفرٌ لا ريْب فيه. وقد أخبر الله تعالى أنه رَفع إليه عيسى؛ كما قال: ﴿ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ وقال: «بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ»[3] فيجب الإيمان به. والجمهورُ على أنه رُفع حيًّا من غير موت ولا غفْوة بجسده وروحه إلى السماء. والخصوصيّةُ له عليه السلام هى فى رفعه بجسده وبقائه فيها إلى الأمد المقدَّر له. وأمّا التوفّى المذكور فى هذه الآية، وفى قوله تعالى: (فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ)[4] فالمراد منه ما ذكرنا على الرواية

(١) آية ٩٨ مريم. (٢) آية ١٥٧ النساء. (٣) آية ١٥٨ النساء. (٤) آية ١١٧ المائدة.

ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾

الصحيحة عن ابن عباس والصحيحِ من الأقوال ؛ كما قاله القُرْطُبيّ ؛ وهو اختيار الطّبريّ وغيره . وكما كان عليه السلام فى مبدإِ خَلْقِه آيةً للناس ومعجزةً ظاهرةً ، كان فى نهاية أمره آيةً ومعجزةً باهرة . والمعجزاتُ بأسرها فوق قدرة البشر ومداركِ العقول ؛ وهى من متعلّقات القدرة الإلـهيّة ومن الأدلة على صدق الرسل عليهم السلام . ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بتبعيدك منهم برفعك ، وبنجاتك مما قصدوا بك . ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ ..﴾ هم كلُّ مَن آمن بأنه عبدُ الله ورسولُه ، وكَلِمَتُه ألقاها إلى مريم ورُوحٌ منه ؛ وآمن بما جاء به من التوحيد الذى جاء به جميع الرسل . ويَندرج فيهم المسلمون من أمّة محمد صلّى الله عليه وسلّم ، الذين آمنوا برسل الله جميعًا . ولم يفرّقوا بين أحد منهم . وهم فوق الذين كفروا بالحجّة والبرهان إلى يوم القيامة .

٥٩ ـ ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ﴾ إن شأن عيسى بالنّسبة لقدرة الله حيث خَلقَه من غير أب كشأن آدمَ حيث خلقه من غير أبوين ؛ بل شأن آدمَ أعجبُ حيث خلقه من تراب يابس . فمن آمن بقدرته تعالى فى خلقه آدم من تراب ، كيف لا يؤمن بها فى خلقه عيسى بن مريم من غير أب ! ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ كلامٌ مستأنَفٌ ؛ لبيان أن المشبّه به أخْرَقُ للعادة وأغرب .

٦٠ ـ ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ أى الشاكّين فى أن ذلك كذلك . والامتراء : الشك ؛ من قولهم : مَرَيْت الناقة والشاة إذا حلبتها . فكأن الشاكّ يجتذب بشكّه مِرَاءً ؛ كاللّبَن الذى يُجتذَبُ عند الحَلْب . ويقال : مارَى فلان فلانًا إذا جادله ، كأنه يستخرج غَضبه . والخطابُ له صلى الله عليه وسلم والمراد به أمّته ، أو لكل مَن يصلح للخطاب .

٦١ ـ ﴿تَعَالَوْا﴾ أى هلموا ، أقبلوا بالعزم والرأى . ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا ...﴾ أى يَدْعُ كلّ منّا ومنكم ابناءه ونساءه ونفسَه إلى المُباهَلة ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ أى نتباهلِ ونتلاعن ، بأن نقول : بُهْلةُ اللهِ على الكاذب منّا ومنكم ؛ وافتعل وتفاعل أخوان ، كاقتتل وتقاتل . والبُهْلةُ والبَهْلةُ : اللعنة . يقال : بَهَله الله يَبْهَلُه بهلاً ، لعنه وأبعده من رحمته ؛ ثم شاعت فى كل دعاء مجتَهَدٍ فيه وإن لم يكن التعانًا . والآية نزلت فى محاجّة نصارى نَجْرانَ للنبيّ صلى الله عليه

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ

وسلم ، ولما دعاهم إلى المباهلة امتنعوا وقالوا : إنّه واللهِ النبيُّ المبشَّر به فى التوراة والإنجيل ! ولو باهلناه لم يبق نصرانيّ على وجه الأرض .

٦٤ - ﴿ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ ... ﴾ السَّواءُ : العدْل والنَّصفَةُ . أى هَلُمُّوا إلى كلمة ذات عدْل وإنصاف بيننا وبينكم . أو السَّواءُ مصدرٌ بمعنى مستوية ، لا تختلف فيها الرسل والكتب المنزّلة ، وهي : ﴿ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ .

٦٥ - ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أى أتقولون ذلك فلا تعقلون بطلانه ؟! وقد زعم اليهود أن إبراهيم كان يهوديًّا يَدِين بما يَدِينون ، وزعم النّصارى أنه كان نصرانيًّا كذلك ؛ فكذّبهم الله تعالى بأنه لم يكن كما قالوا . وإنما كان «حَنيفًا مُسْلمًا وما كان» مثلَهم «منَ المشركين» . فإن النصارى أشركوا بزعم ألوهيّة المسيح ، واليهود أشركوا بزعم التشبيه .

٦٦ - ﴿هاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ «ها» حرف تنبيه ، و «أنتم» مبتدأٌ خبرُه «حاججتم» ، و «هَؤُلَاءِ» منادَى حُذف منه حرف النداء . وقيل : خبره «هؤلاء» وجملة «حاججتم» مستأنفة مبيّنة للجملة الأولى .

٦٧ - ﴿حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾ مائلاً عن الأديان الباطلة إلى الدِّين الحق ؛ منقادًا لطاعته ؛ أو موحِّدًا . والإسلامُ يُطلق بمعنى التوحيد ؛ ومنه : (إنّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ)[1] .

٦٨ - ﴿ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أى ناصرهم ومجازيهم بالحسنى .

٧٠ - ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ بآيَاتِ اللهِ﴾ أى لِمَ تكفرون بآيات الله المنزّلة فى كتبه ، الدّالةِ على صدق نبوّته صلى الله عليه وسلم ! وأنتم تعلمون أنها حقٌّ بما قام عليها من دلائل الصدق .

٧١ - ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ

(١) آية ١٩ من هذه السورة .

وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِى أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ * وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِى الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾



بِالْبَاطِلِ﴾ تخلطونه به بتحريفكم التوراة والإنجيل ، أو بإظهار تكذيبه مع علمكم بصدقه صلى الله عليه وسلم ؛ من اللَّبْس وهو الخلط . يقال : لَبَسَ عليه الأمرَ يَلبِسهُ فالتبس ، إذا خلطه عليه حتى لا يعرف جهته . وأمرٌ مُلبِسٌ ومُلْتبِس ، أى مُشْتَبِهٌ .

٧٢ ـ ﴿آمِنُوا بِالَّذِى أُنْزِلَ﴾ مكيدةٌ دبّرها اليهودُ ليُلبِّسوا على الضعفاء من المسلمين أمرَ دينهم ؛ فتشاوروا بينهم أن يُظهروا الإسلام أوّلَ النهار ، فإذا جاء آخرُه أظهروا الكفر ؛ ليقول الجهال : إنما ردّهم إلى دينهم إطلاعُهم على نقيصة وعيْبٍ فى دين الإسلام ؛ وهم أهل كتاب ؛ فيرتدُّوا عن الإسلام مثلَهُم . فأطلع الله نبيّه بهذه الآية على ما دبّروا .

٧٣ ـ ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ ...﴾ هذا من قول اليهود . يقول بعضهم لبعض : لا تصدّقوا إلّا نبيًّا يُقرِّر شرائع التوراة ؛ فأمّا من جاء بما يخالفها كمحمد فلا تصدّقوه . واللام زائدة ؛ كما فى قوله تعالى : (رَدِفَ لَكُمْ)[1] أى رَدِفكم . ﴿إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللهِ﴾ أى قل جواباً لهم : إن الدِّين دينُ الله ، فكلُّ مارضيَه ديناً فهو الدِّين الذى يجب اتِّباعه ؛ وقد رَضِىَ الإسلامَ ديناً ناسخاً لبعض شرائع التوراة فيجب اتباعه . ﴿أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ﴾ أى وقل لهم : لأنْ ؛ أيْ منْ أجل أنْ يُؤتَى أحد شريعةً مثل ما أُوتيتم ، ولما يتصل به من الغَلبة بالحجة يوم القيامة ؛ دبّرتم ما دبرتم ؟ لاجَرَمَ أنه لم يَدْعُكم إلى ذلك إلا الحسد ؛ فحذف الجواب اختصاراً ، وهو كثير فى لغة العرب . ويؤيّده قراءة ابن كَثير بهمزتين وتليين الثانية .

٧٥ ـ ﴿عَلَيْهِ قَائِماً﴾ ملازما له تطالبه وتقاضيه . ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِى الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ ليس علينا فيما أصبناه من أموال العرب إثمٌ ولا حَرَج ؛ مبالغةً منهم فى التعصُّب لدينهم ، حتى استحلُّوا ظلم من خالفهم فيه وأخذ ماله بأى طريق . أو لأنهم قالوا : نحن أبناءُ الله وأحبّاؤه ، والْخَلقُ لنا عبيد ؛ فلا سبيل علينا إذا أكلنا أموالهم . فأكذبهم الله فى ذلك بقوله : ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم

(١) آية ٧٢ النمل .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٨١﴾

كاذبون جراءةً منهم على الله . أو يعلمون أن الخيانة محرَّمةٌ فى كل شريعة .

٧٧ ـ ﴿لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِى ٱلآخِرَةِ﴾ لا نصيبَ لهم ولا حظّ فى نعيمها . ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ أى كلامَ لُطف بهم ؛ بل كلامَ نِقمة وغضب . ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ أى لا يرحمهم ولا يُحسن إليهم ، ولا ينيلهم خيراً . ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ أى لا يطهّرهم من دنس الذنوب والأوزار بالمغفرة . أو لا يُثْنى عليهم بجميل .

٧٨ ـ ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ﴾ يحرّفون التوراة فيَفتِلون ألسنتهم بها ، ويُميلونها عن المنزَّل إلى المحرّف المبدَّل كذباً على الله ؛ ولهم فى ذلك ما لا يحصى . من اللَّىّ ، وهو الفَتْل والميْل . يقال : لَوَى فلان يد فلان يَلْويها ليًّا ، فَتَلَها وأمالها . ولَوَى لسانه بكذا ، كناية عن الكذب وتخرُّص الحديث .

٧٩ ـ ﴿وَالْحُكْمَ﴾ الحكمة أو الفهم والعلم . ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ ولكن يقول : كونوا رَبَّانِيِّينَ ؛ جمع رَبّانى ، وهو العالِم الفقيه أو المدبّر أمر الناس ؛ نسبةً إلى الرَّبّ ، بزيادة الألف والنون للمبالغة ؛ كما فى رَقَبانىّ للغليظ الرَّقبة . أو إلى رَبّان ـ كعطشان ـ بمعنى مُرَبّ ، وهو المعلِّم للخير ، ومن يسوس الناس ويعرِّفهم أمور دينهم . ﴿تَدْرُسُونَ﴾ تقرأون الكتاب .

٨٠ ـ ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ بالنصب عطفاً على يقول ، و«لا» مزيدة لتأكيد معنى النّفى ، وهو شائع فى الاستعمال . أى ما كان لبشر أن يؤتيَه الله ما ذُكر ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ، أو باتخاذ الملائكة والنّبيّين أرباباً . وقُرئ بالرفع على الاستئناف ؛ أى ولا يأمركم الله .

٨١ ـ ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ

فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾

النَّبِيِّينَ﴾ أخذ الله الميثاق من النبيين أن يصدّق بعضهم بعضاً ، وأخذ العهدَ على كل نبيّ أن يؤمن بمن يأتى بعده من الأنبياء وينصره إن أدركه ؛ فإن لم يدركه يأمر قومه بنصرته إن أدركوه . فأخذ الميثاق من موسى أن يؤمن بعيسى ، ومن عيسى أن يؤمن بمحمد ؛ صلواتُ الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين . وإذا كان هذا حكم الأنبياء ، كانت الأمم بذلك أوْلَى وأحْرَى . وأصلُ الميثاق : العقدُ المؤكّد باليمين. ﴿لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ اللاّم موطّئة للقسَم ، و«ما» شرطية فى موضع النصب بآتيت ، والمفعول الثانى ضمير المخاطَب ؛ و«من» بيـــانٌ لـ«ما» ، وقوله :﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾ جواب القسَم . وهو دليل جواب الشرط . ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِى﴾ قبلتم عهدى . والإِصْرُ : العهدُ . وأصلُه من الإصار ، وهو الطُّنُب والأوتاد التى يُشَد بها البيت ؛ وأطلِق على العهد إصرٌ لأنه مما يؤصَر ؛ أى يُشد ويُعقد .

٨٣ ـ ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِى السَّماوَاتِ ..﴾ أى وله تعالى استسلم وانقاد كلٌّ من فى السـموات والأرض ، من الملائكة والإنس والجن ؛ طائعين وكارهين ؛ فالكلُّ تحت قهره وسلطانه ، وفى قبضة قدرته وتسخير إرادته . والطَّوْعُ : الانقيادُ بسهولة ؛ يقال : طاعه وطاع له طوعا ـ من باب قال ـ وفى لغة من بابى باع وخاف ـ انقاد له . والكُرْهُ : الإباءُ . يقال : كَرِهه ـ كسمعه ـ كَرْهاً وكُرْهاً وكَراهيةً وكراهةً . إذا أباه . والجملة حالية ؛ أى كيف يبْغُون غير دينه والحالُ هذه !

٨٤ ـ ﴿وَالأَسْبَــاطِ﴾ أولاد يعقوب لصُلْبه . أو أولاد أولاده [آية ١٣٦ البقرة ص ٣٢] .

٨٥ ـ ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ﴾ مَن يطلب بعد مَبْعثه صلى الله عليه وسلم ديناً غيرَدين الإسلام ، وشريعةً غيرَ شريعته ، فلن يرضى الله منه ذلك ؛ لأن الإسلام الذى جاء به هو الدِّين المرضىُّ عند الله تعالى ؛ قال تعالى : (وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً)[1] . وقيل : الإِسْلَامَ التوحيدُ ، وهو الذى أجمعت عليه الشرائع الإِلٰهيَّة ؛ لما فيه من إسلام الوجه لله تعالى .

٨٨ ـ ﴿يُنْظَرُونَ﴾ يؤخرون عن

(١) آية ٣ المائدة .

إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٩٢﴾ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي

حزب ٧ جزء ٤

العذاب لحظة .

٩٠ - ﴿ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾ ضَمُّوا إلى كفرهم ما به ازدادوا فيه . وذلك كالإصرار عليه . وكطعن أهل الكتاب فى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ونقضِهم ميثاقه ، وفتنتِهم للمؤمنين ، وطعنِهم فى القرآن . ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ أى لن يُتوقّع منهم توبةٌ حتى تُقبل ؛ لأنهم غير أهلٍ لأن يوفَّقوا لها . فهو من قبيل : ـ ولا ترى الضَّبَّ بها يَنْجحِر * أى لا تراه أصلا حتى يَنْجَحر .

٩٢ - ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ لن تبلغوا حقيقة البرّ . أو لن تنالوا ثوابه حتى يكون ما تبذلونه فى سبيل الله مما تحبُّونه وتؤثرونه من الأموال وغيرها . والنَّيْلُ : الإصابةُ . يقال : نال يَنالُ نيلاً ، إذا أصاب ووجد . والبرُّ : الإحسانُ وكمالُ الخير . وأصلُه التوسُّعُ فى فعل الخير . يقال : برَّ العبدُ ربّه ، أى توسّع فى طاعته . والإنفاقُ : البَذْلُ ؛ ومنه إنفاق المال . وعن الحسَن : كلُّ شىء أنفقَه المسلم من ماله يبتغى به وجهَ الله تعالى ويطلب ثوابه حتى الثمرة يدخل فى هذه الآية .

٩٣ - ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا﴾ قالت اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف تزعم أنك على مِلّة إبراهيم وأنت تأكل لحوم الإبل وتشرب ألبانها ، وهى محرمة فى مِلّته ؟ فقال لهم : كان ذلك حلالاً لإبراهيم . فقالوا : كلُّ شىء نحرِّمه فإنه كان محرَّماً فى مِلّة نوح وإبراهيمَ حتى انتهى إلينا ؛ فأنزل الله الآية مكذِّباً لهم . والمعنى : كلُّ الطعام كان حلا لبنى إسرائيل من قبل أن تُنزَّل التوراة مشتملةً على تحريم ما حُرِّم عليهم بسبب بَغْيِهمْ وظلمهم ؛ إلا ما حرّمه إسرائيل ـ وهو يعقوب عليه السلام ـ على نفسه وعلى بنيه . باجتهاد منه ؛ وهو لحوم الإبل وألبانها ، وكانت أحبَّ شىء إليه ، فحرِّمت عليهم فى التوراة ، ولم تكن محرّمة من قبلُ فى مِلة إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب عليهم السلام . ﴿فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فلم يجسُروا على الإتيان بها فَبُهتوا .

٩٥ - ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ وهى ملّة الإسلام التى أنا عليها ؛

بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾

حتى تتخلّصوا من اليهوديّة التي اضطرتكم إلى الكذب على الله بتحريف آياته، والتشديد على أنفسكم بتحريم الطّيبات. ﴿حَنِيفاً﴾ أى مائلاً عن سائر الأديان الباطلة إلى الدِّين الحق [آية ١٣٥ البقرة ص ٣٢].

٩٦ - ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ ... ﴾ قالت اليهود للمسلمين: بيتُ المقْدس قبلتُنا، وهو أفضل من الكعبة وأقدم، وهو مُهاجَر الأنبياء. وقال المسلمون: بل الكعبةُ أفضل؛ فأنزل الله الآية. أى إن أوّل بيت وضعه الله متعبَّدًا للناس وقبلةً للصلاة، وموضعاً للحجّ والطواف، سواء العاكف فيه والباد، لهو الكعبة التى بناها إبراهيم عليه السلام بمكة، وأنتم تزعمون أنكم على دِينه ومنْهَجه؛ فكيف لا تصلُّون إليها، ولا تنسُكون فيها، مؤمنين بشريعته! ﴿بِبَكَّةَ﴾ لغةٌ فى مكة، والميم والباء يتعاقبان لغةً؛ كما فى لازم ولازب. ﴿مُبَارَكاً﴾ كثير الخير والنفع لمن حجّه أو اعتمره، أو اعتكف فيه أو طاف حوله؛ لمضاعفة ثواب العبادة فيه. من البَرَكة، وهى النماء والزيادة.

٩٧ - ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ على حُرْمته ومزيد فضله؛ منها: أن الآمر ببنائه الربُّ الجليل، وبانيه إبراهيم الخليل، وهو مهبط الخيرات ومصعَد الطاعات. ومنها: الحجرُ الأسود، والحَطيمُ وزمزمُ، والمشاعرُ كلّها، ومقامُ إبراهيم وهو الحجر الذى قام عليه أثناء البناء. ومنها: إهلاكُ مَن قصده من الجبابرة بسوءٍ؛ كأصحاب الفيل وغيرهم. وعدمُ تعرّض ضوارى السباع للصيود فيه. ومنها: أمْنُ من دخله. ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ وقد كان ملتصِقاً بجدار البيت، حتى أخّره عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته إلى ناحية المشرق حيث هو الآن؛ ليتمكّن الطائفون من الطواف، وليصلّى المصلّون عنده دون تشويش عليهم من الطائفين. ﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾ الضمير المنصوب عائدٌ إلى البيت بمعنى الحَرَم كلّه؛ بقرينة أن بعض هذه الآيات موجودٌ فى كل الحَرَم لا فى خصوص البيت. فهو من باب الاستخدام، وهو ذكر اللّفظ بمعنًى وإعادة الضمير إليه بمعنًى آخر. والمرادُ أمْنُ مَنْ دخله فى الدنيا وفى الآخرة. ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ أى جَحد فرضيّة الحجّ، فلم ير فعلَه برًّا ولا تركَه مأثماً.

٩٩ - ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾ تطلبون لسبيل الله - وهى ملّة الإسلام - إعوجاجاً ومَيلاً عن القصد والاستقامة. أو تطلبونها معوجَّةً أى مائلة زائغة عن الحق. والمرادُ طلبُ ذلك لأهلها، وذلك بالتحريش والإغراء بينهم؛ لتختلف كلمتهم ويختلّ أمر دينهم. من البُغاء - بالضم - وهو الطلب؛ يقال: بغيت له كذا وبُغْيةً، أبغيه بُغاءً وبُغًى وبُغْيَةً وبِغْيةً، إذا طلبته. والعَوَج - بكَسر العين وفتحها - : مصدرُ عَوِج، كتَعِب. قال ابن

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾

الأثير : إن مكسور العين مختصٌّ بما ليس بمرئىّ ؛ كالرأى والقول . والمفتوح مختصٌّ بما هو مرئىٌّ ؛ كالأجساد . وعن ابن السِّكِّيت : أن المكسور أعمُّ من المفتوح . واختار المَرْزُوقىُّ أنه لا فرق بينهما .

١٠٠ - ﴿إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً﴾ أى من اليهود فى إثارة الإِحَن التى كانت بينكم فى الجاهلية وتهييج الفتن ، كراهةً لما أنتم عليه بعد الإسلام من التآخى والتراحُم ، يصيروكم بعد إيمانكم كافرين ؛ فاحذروهم أشدَّ الحذَر .

١٠١ - ﴿يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ﴾ يمتنع بالله ويستمسك بدينه أو كتابه ؛ من الاعتصام ، وهو الاستمساك بالشىء فى منع النفس من الوقوع فى آفة . ويقال : اعتصم بالله ، أى امتنع بلطفه من المعصية .

١٠٢ - ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ أى اتّقاءً حقًّا ، أى ثابتاً واجبًا ؛ من حَقَّ الشىءُ بمعنى ثبت ووجب . وذلك بأداء ما كُلِّفتم به على قدر الطاقة ؛ كما قال تعالى بياناً لذلك : (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) (١) والتقاةُ : اسمُ مصدرٍ من اتَّقَى ، كالتُّؤَدة من اتَّأَد .

١٠٣ - ﴿بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ أى بعهد الله ، أو بدينه ، أو بالقرآن ؛ لأنه سبب يوصِّل إليه . وأصلُ الحبل : السببُ الذى يتوصّل به إلى البُغْيَة . ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا ..﴾ على طَرَف ﴿حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ ليس بينكم وبينها إلا أن تموتوا كفارًا . والشَّفَا : طرفُ الشىء وحَرْفُه ؛ مثل شفا البئر . ﴿فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ بمحمد صلى الله عليه وسلم .

١٠٤ - ﴿أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ الأُمَّةُ : الجماعة التى تُؤمّ وتُقصد لأمرٍ مَّا . وتُطلق فى القرآن أيضاً على أتباع الأنبياء ، وعلى القُدْوة ، وعلى المِلّة ، وعلى الطائفة من الزمان ؛ إلى غير ذلك من معانيها . والمرادُ بالخير : ما فيه صلاحٌ للناس ، دينىٌّ أو دنيوىٌّ . وبالمعروف : ما عُرِف بالعقل والشرع حُسنُه . أو ما وافق الكتابَ والسُّنة . وبالمنكر : ضدُّ ذلك .

١٠٥ - ﴿كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾ هم اليهود والنصارى . وفيه زجرٌ

(١) آية ١٦ التغابن .

يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ * لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ



للمؤمنين عن التَّفرُّق والاختلاف للهوى.

١١٠ - ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ أفاد أن هذه الأمةَ خيرُ الأمم، وأنفعُ الناس للناس؛ لاتّصافها بما وصفها الله به فى هذه الآية.

١١١ - ﴿إِلَّا أَذًى﴾ أى لن يضركم اليهود إلا ضررًا يسيرًا لا يبالَى به؛ كالسبّ والطّعن والتهديد ونحوه؛ فلا تبالوا بهم. ﴿يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ ينهزموا ويخذلوا.

١١٢ - ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ...﴾ [راجع آية ٦١ البقرة ص ١٨]، و﴿ثُقِفُوا﴾ أى وُجدوا، أو ظُفِر بهم. ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ..﴾ أى لا يَسلمون من الذّلة فى أى حال إلاَّ فى حال اعتصامهم بحبلٍ من الله: وهو دينه أو كتابُه، ﴿وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ وهو عهدُ الذمة والأمان. والواو بمعنى أو. ﴿بَاءُوا بِغَضَبٍ﴾ رجعوا به مستحقين له. ﴿ٱلْمَسْكَنَةُ﴾ فقر النفس وشحها.

١١٣ - ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ تمهيدٌ لتعداد محاسن مؤمنى أهل الكتاب؛ كعبد الله بن سَلَام وأضرابه، والنَّجاشىّ وأصحابه. أى ليس أهل الكتاب متساوين فى الاتّصاف بما ذُكر من القبائح؛ بل منهم طائفةٌ سَلمت منها، واتَّصَفَتْ بالخير، وقد وصفها الله هنا بثمانية أوصاف. ﴿مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ مستقيمةٌ ثابتةٌ على طاعة الله؛ مِن قام بمعنى استقام. تقول: أقمت العودَ

وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ
فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟
مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ
شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ
مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ
أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ
ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ
قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ
قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ

فقام ؛ أى استقام واعتدل . ﴿آناءَ ٱللَّيلِ﴾ أى ساعاته . جمعُ إِنًى وأَنًى وإِنْىٍ وإِنْوٍ . فالهمزة فى «آناء» منقلبةٌ عن ياء ؛ كرداء . أو عن واو ككساء .

١١٦ ـ ﴿لَنْ تُغْنِىَ عَنْهُمْ﴾ لن تدفع عنهم أو تجزى عنهم .

١١٧ ـ ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ﴾ أى حالُ ما ينفقه الكفار فى الدنيا ـ قُرْبةً أو مُفاخرةً وسُمعةً فى ضَياعِه وذهابِه وقتَ الحاجة إليه فى الآخرَة ، من غير أن يعود عليهم بفائدة ـ كحال زرعٍ لقوم ظالمين ، أصابته ريحٌ مُهلِكة فاستأصلته ؛ ولم ينتفع أصحابه منه بشىء . وهو من التشبيه المركَّب . ﴿فِيهَا صِرٌّ﴾ بكسر أوله : بردٌ شديد . أو سَمومٌ حارّةٌ مهلِكةٌ . ﴿حَرْثَ قَوْمٍ﴾ زرعهم .

١١٨ ـ ﴿لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً﴾ أى لا تتَّخذوا أولياءَ وأصفياءَ لكم من غير إخوانكم المؤمنين ؛ كاليهود والمنافقين ، تُصافونهم وتُطلعونهم على أسراركم ؛ لأنهم لا يألون جَهدًا فى إفساد أمركم ، ويودّون مضرّتكم ومشقّتَكُم فى دنياكم ودينكم . وآيةُ ذلك ظهور عداوتهم لكم ، وما يخفونه منها أشدّ وأفظع ، إنهم يكرهونكم وأنتم تحبونهم ، والحال أنكم تؤمنون بكتابهم وهم يكفرون بكتابكم ، وينافقونكم بإظهار الإيمان إذا لقُوكم ؛ فإذا خلَوْا إلى أنفسهم عضُّوا عليكم الأناملَ من الغيظ والحَنَق ، وإن تنلكم حسنةٌ أساءتهم ، وإن أصابتكم سيئةٌ أفرحتهم ؛ فكيف تنخدعون بهم ، وتتخذونهم بِطَانَةً لكم ! ؟ وبطانةُ الرجل وَوَليجتُه : خاصّتُه الذين يستبطنون أمره ويداخلونه ؛ تشبيهاً ببطانة الثوب للوجه الذى يلى البدن لقُربه ؛ وهى ضدُّ الظِّهارة . ويُسمَّى بها الواحد والجمع ، والمذكّر والمؤنّث . ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً﴾ أصلُ الألْوِ : التّقصيرُ . يقال : ألَا فى الأمرِ يألُو ألْوًا وأُلُوًّا ، إذا قصَّر فيه . وهو لازم يتعدّى بالحرف ، ويستعمل متعدياً إلى مفعولين ؛ فيقال : لا آلوك نُصحاً ، على تضمين الفعل معنى المنع ، أى لا أمنعك ذلك . والخَبالُ : الشرُّ والفسادُ ؛ أى لا يقصّرون لكم عن جُهد فيما يورثكم شرًّا وفسادًا . أو لا يمنعونكم خبالا ، أى أنهم يفعلون معكم ما يقدرون عليه من الفساد ولا يُبقون شيئاً منه عندهم . ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾

تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن

أحبُّوا عنَتَكم ، أى مشقّتَكم وشدّةَ ضرركم ؛ من العَنَت ، وهو الوقوع فى أمر شاقّ ، أو الإثم . وفعلُه من باب طَرِب . و« ما » مصدريّة .

١١٩ - ﴿خَلَوْا﴾ خلا بعضهم ببعض ، حيث لا يراهم المؤمنون [آية ١٤ البقرة ص ٧] . ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ﴾ أى لأجلكم . والعَضّ معروفٌ ؛ مصدرُ عضّ ، من باب فَرِح . والأناملُ : رءوسُ الأصابع ، جمع أنملة . والغيظُ : أشدُّ الغضب . وعضُّهم الأناملَ : كنايةٌ عن شدّة غضبهم وتحسّرهم : لما يرَوْن من ائتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم ، وعجزهم عن أن يجدوا سبيلاً إلى التّشفّى منهم .

١٢١ - ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ واذكر لهم وقت خروجك غُدْوَةً إلى غَزْوةِ أُحُد من حُجرة عائشة ؛ ليتذكروا ما وقع فيه من الأحوال الناشئة عن عدم الصبر ، فيعلموا أنهم إذا لزموا الصبر والتقوى لا يضرّهم كيدُ أعدائهم . ﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ تُنزلهم وتُهيِّىء لهم مواطنَ وأماكنَ للقتال . يقال : بوّأته وبوّأت له منزلاً أنزلتُه فيه . ﴿مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ مواطن ومواقف له يوم أحد .

١٢٢ - ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ ..﴾ هما حيّان من الأنصار : بنو سَلِمة من الخَزْرَج ، وبنو حارثة من الأوْس ، وكانا جناحي العسكر . والفَشَلُ : الجُبنُ والخَوَر . يقال : يَفْشَل فَشَلاً فهو فَشِل ، أى جَبانٌ ضعيف القلب . والظاهرُ أن ذلك كان مجرّدَ حديثِ نفس عند رؤية انْخذال رأس المنافقين : عبدِ الله بن أبَيّ مع أصحابه عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

١٢٣ - ﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ أى ضعفاء لقلّة العدد والعُدَد . فقابِلُوا هذه النّعمة بامتثال أمر الله وطاعته وشكره على ما أنعم .

١٢٤ ، ١٢٥ - ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ ..﴾ أى فى يوم بَدْر ، وقد أمدَّ الله فيه المؤمنين بألف من الملائكة ؛ كما قال تعالى : (فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ)[1] . ثم زاد عددهم إلى ثلاثة آلاف ؛ كما قال

(١) آية ٩ الأنفال .

فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾

تعالى : ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ﴾ أى يكفيكم ذلك ؟ ولذا قال تعالى : ﴿بَلَى﴾ . ثم صار خمسة آلاف ؛ لقوله تعالى : ﴿إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبكم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ﴾ وقد صبروا واتّقوا ، وأتاهم المشركون من مكة فوراً حين استنفرهم أبو سفيان لإنقاذ العير . فكان المَدَدُ خمسة آلاف ؛ كما رُوِىَ عن قتادة . وقال الشَّعْبِىّ : إن المدد لم يزد على الألف ، وقد بلغ المسلمين أَنَّ كُرْزَ بنَ جابر المُحارِبِىّ يريد أن يمدّ المشركين ؛ فشَقّ ذلك عليهم فأنزل الله «أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ» إلى قوله «مُسَوِّمِينَ» فبلغ كُرْزًا الهزيمة فرجع ولم يمدّهم ؛ فلم يمدّ الله المسلمين بالخمسة الآلاف أيضا . واختار ابن جَرير أنهم وُعدوا بالمدد بعد الألف ، ولا دلالة فى الآية على أنهم أُمِدُّوا بما زاد عن ذلك ، ولا على أنهم لم يُمَدُّوا به ، ولا يثبت شىء من ذلك إلا بنصٍّ . ﴿وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ ويأتوكم ــ أى المشركون ــ من ساعتكم هذه . والفَوْرُ : مصدرُ فارت القِدر ، أى اشتد غليانها ، ثم استُعير للسرعة ، ثم أُطلق على الحالة التى لا بُطْء فيها . وقد تحقّق من المشركين ذلك حيث أتَوْا على عجل دون إبطاء لإنقاذ العير من المسلمين . ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ معلِّمين أنفسَهم أو خيلَهم بعلامات مخصوصة . وقُرِئَ بالفتح ؛ أى معلَّمين من جهته تعالى بعلامات القتال ؛ من التَّسويم ، وهو إظهار علامة الشىء .

١٢٧ ــ ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفاً ..﴾ أى ولقد نصركم الله يوم بَدْر ليهلك طائفةً ﴿مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالقتل والأسْر . أو يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة . أو يتوب عليهم إن أسلموا . أو يعذّبهم العذابَ الشديدَ فى الآخرة إن ماتوا مصرِّين على الكفر ؛ وليس لك من أمرهم شىء ؛ إنما أنت عبد مأمور بإنذارهم وجهادهم . فجملة «ليس لك من الأمر شىء» اعتراضٌ بين المعطوف والمعطوف عليه . وأصلُ الكَبْت : الخزىُ والإذلال . ﴿يَكْبِتَهُمْ﴾ يخزيهم ويغمهم بالهزيمة .

١٣٠ ــ ﴿لا تَأْكُلُوا الرِّبَا ..﴾ نهىٌ عن تعاطى الرّبا ، مع تقريعهم لما كانوا عليه من تضعيف الفائدة الرّبويّة . فقوله : ﴿أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً﴾ ليس لتقييد النّهْى به ، بل هو بيانٌ لما كانوا عليه فى الجاهلية من التّعامل الفاسد المؤدِّى إلى استئصال المال . وقد حرّم الله أصلَ الرِّبَا ومضاعفتَه .

وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ * وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ

نصف الحزب

١٣٣ - ﴿ عَرْضُها السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ .. ﴾ عرضُها كعرضها . والمرادُ أنها في غاية السَّعة والبَسْط ؛ فشُبِّهت بأوسع ما يتصوَّره الإنسان . وخُصَّ العرضُ بالذكر للمبالغة في ذلك ؛ لأنه غالباً يكون أدنى من الطول . أي فإذا كان عرضها كذلك فما بالك بطولها ؟

١٣٤ - ﴿ في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ ﴾ في اليُسْر والعُسْر . والمراد أنهم لا يتركون الإنفاق في الخير في جميع الأحوال . ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ﴾ المُمْسكين عليه ، الكافِّين عن إمضائه مع القدرة عليه ؛ من الكَظْم ، وهو الحبس . يقال : كَظَم البعيرُ جِرَّته : إذا ردَّها وكفَّ عن الاجترار . وكَظَم القِربة : ملأها وشدّ على رأسها مانعاً من خروج ما فيها . والغَيْظُ : توقّدُ حرارة القلب من الغضب .

١٣٥ - ﴿ فَاحِشَةً ﴾ فَعْلَة بالغةً في القُبح كالزنا ؛ من الفُحْش ، وهو مجاوزة الحدّ في السُّوء . ﴿ أَوْظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ بارتكاب أيِّ ذنب . وعطفُه على ما قبلَه من عطْف العامّ على الخاصّ .

١٣٧ - ﴿ سُنَنٌ ﴾ وقائع في الأمم المكذِّبة ، أجراها الله حسبَ عادته ؛ وهي الإهلاك عند التمرّد والعصيان .

١٣٩ - ﴿ وَلَا تَهِنُوا ﴾ تحريضٌ على الجهاد والصَّبر ، وتشجيعٌ للمؤمنين وتسليةٌ لهم عما أصابهم يومَ أُحُد . أي لا تضعفوا بالذى نالكم من عدوِّكم يومَ أحد عن القتال في سبيل الله ، ولا تحزَنوا على من قُتِلَ منكم ولا على ما فاتكم من الغنيمة . والوَهْن - بالسكون والتحريك - : الضَّعف .

١٤٠ - ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ ﴾ القَرْحُ - بفتح القاف وضمها - : عضُّ السلاح ونحوه مما يَجرح الجسد ؛ فيشمل القتل

وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا
يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾
وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ
وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ
مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ
وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ
ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ

والجراح . أو هو الجراح . أى إنْ نالوا منكم يومَ أُحُد فقد نلتم منهم قبله يومَ بَدْر ، ثم لم يثبِّطهم ذلك عن العودة إلى قتالكم ؛ فأنتم أَوْلى ألّا تضعُفُوا إذ أنكم ترجُونَ من الله مالا يرجُون . ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ نصرِّفها بينهم فنُديل لهؤلاء مرّةً ولهؤلاء أخرى : أُديل المسلمون من المشركين يومَ بَدْر فقتلوا منهم سبعينَ وأسَرُوا سبعين ، وأُديل المشركون من المسلمين يوم أُحُد حتى جرحوا سبعين وقتلوا خمسةً وسبعين ؛ من المداولة ، وهى نقل الشيء من واحد إلى آخر . يقال : تداولَتْه الأيدى ، إذا انتقل من واحد إلى آخر . ومنه قولُهم : الدُّولة ــ بالضم ــ للكَرّة . والأيامُ دُوَل : يومٌ لهؤلاء ويومٌ لهؤلاء . ﴿وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أى نداولها بينكم وبين عدوِّكم ؛ ليظهر أمركم ، وليعاملكم الله معاملةَ من يريد أن يعلم المخلصين من غيرهم . أى يميز الثابتين على الإيمان من غيرهم . وإطلاقُ العلم على التمييز مجازٌ ، من إطلاق اسم السَّبب على المسبَّب .

١٤١ ــ ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وليطهّرهم ويصفّيهم من الذنوب ؛ من المَحْص ، أو التمحيص . يقال : مَحصْت الذهب بالنار ومحَّصته ، إذا أزلت عنه ما يشوبه من خبَث . أو من التمحيص بمعنى الابتلاء والاختبار . ﴿وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ يهلكهم إن كانت الدَّولةُ عليهم ؛ من المَحْق ؛ وهو مَحْوُ الشيء والذهابُ به . وأصلُه : نقصُ الشيء قليلاً حتى يفنى . يقال : مَحَق فلان هذا الطعام ، إذا نقصه حتى أفناه محقاً .

١٤٢ ــ ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا ..﴾ عتابٌ للمنهزمين يوم أُحُد ؛ أى بل أظننتم أن تدخلوا الجنة وتنالوا درجة القُرب والرِّضا ، ولمَّا تجاهدوا فى سبيل الله جهادَ الصابرين على مُرّه وشدائده ! ولقد كنتم قبل هذا اليوم تتمنَّونَ أن تنالوا مرتبة الشهادة ؛ لتلحقوا بمن استُشهد من إخوانكم ببَدْر ، وتُلحّون من أجل ذلك على الرسول صلى الله عليه وسلم فى الخروج إلى القتال ؛ فلما حَمِيَ وطِيسُه ورأيتم بأعينكم ما تمنّيتم حين استُشهد بعضُ إخوانكم لم تلبثوا أن انهزمتم ، ولم تثبتوا لأعدائكم ! ﴿وَلَمَّا يَعلَمِ اللهُ الَّذِينَ﴾ أى ولم تجاهدوا جهاد الصابرين فيعلم الله ذلك منكم . وهو مِثْل ما يقال : ما علِمَ اللهُ فى فلان خيرًا ؛ ويراد : ما فيه خيرٌ حتى يعلمه . فهو كنايةٌ عن نفى تحقق هذا الجهاد منهم فى الماضى مع توقّعه فى المستقبل .

كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ

١٤٤ – ﴿ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ رجعتم إلى ما كنتم عليه من الكفر والضلال . يقال لكل من رجع إلى حاله السيء الأول : نكَص على عقبيه ، وارتد على عقبيه . والعَقِبُ : مؤخّر الرِّجْل ، وجمعُه أعقاب .

١٤٥ – ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ .. ﴾ تحريضٌ على الجهاد ، وإعلامٌ بأن الحَذَر لا يدفع القدر ، وأن أحدًا لن يموت قبل أجله ، وإن خاض المهالك واقتحم المعارك ؛ فقد كتب الله ذلك كتاباً مؤقّتاً ، قدّر فيه الأجل المعلوم ، فلا يتقدّم ولا يتأخر . ﴿ كِتَاباً مُؤَجَّلاً ﴾ مؤقتا بوقت معلوم .

١٤٦ – ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ ...﴾ كلامٌ مستأنَف ، سيق توبيخاً للمنهزمين ، حيث لم يستنّوا بسنن الرّبانيّين المجاهدين مع الرسل ، مع أنهم أوْلى بذلك حيث كانوا خيرَ أمّة أُخرجت للناس . « وَكَأَيِّن » كلمةٌ مركّبةٌ من كاف التشبيه وأى الاستفهامية المنوّنة ، ثم هُجر معنى جزئيها وصارت كلمة واحدةً بمعنى كم الخبرية المفيدة للتكثير ، يُكْنَى بها عن عدد مُبْهَم فتفتقر إلى تمييز بعدها . وهى مبتدأ خبرُه جملةُ ﴿قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ﴾ أى وكثير من الأنبياء قاتل معه لإعلاء كلمة الله وإعزاز دينه علماءُ أتقياءُ . أو عابدون أو جماعاتٌ كثيرة ؛ فما جَبُنُوا وما ضعفُوا عن الجهاد وما خضعوا للأعداء . و« رِبِّيُّونَ » جمعُ رِبِّيّ وهو العالم بربّه ، منسوب إلى الرَّب كالرَّبانى ؛ وكسرُ الراء من تغييرات النّسب . أو منسوبٌ إلى الرِّبّة وهى الجماعة . ﴿فَمَا وَهَنُوا ..﴾ أى فما جَبُنُوا عن الجهاد . وأصْلُ الوَهن : الضَّعفُ . أريد به ما ذُكر بقرينة عطف قوله : « وما ضعفوا » عليه . ﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ أى ما خضعوا ؛ من الاستكانة وهى الخضوع . وأصلُها من السكون ؛ لأن الخاضع يسكن لمن خضع له . أو ماذَلُّوا ؛ من الكَوْن . يقال : أكانه يُكينُه إذا ذلَّه .

١٥٠ – ﴿ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ ﴾ الله ناصركم لا غيره .

١٥١ – ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ...﴾ أى

إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ * إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ

ثلاثة أرباع الحزب

الخوف والفزع . يقال : رَعَبَه يَرْعَبُه ، خوَّفه . وأصلُه من الملء ؛ يقال : سَيْلٌ راعبٌ ، إذا ملأ الأودية . ورعَبت الحوضَ : ملأته . أى سنملأ قلوب المشركين خوفاً وفزعاً . ﴿مَالَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ أى أشركوا به آلهةً لم ينزِّل اللهُ بها حُجَّةً . والمراد : أنه لا حُجَّة لهم حتى ينزلها . وسُمِّيت الحجَّةُ سلطاناً لقوّتها ونفوذها . وأصلُ المادّة يدلّ لغةً على الشدة والقوة ؛ ومنها السَّلِيط للشّديد ، واللسانِ الطويل . والتَّسليطُ : التَّغليبُ . وإطلاقُ القهر والقدرةِ . ﴿مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ مكانُ إقامتهم واستقرارهم . يقال : ثَوى بالمكانِ وفيه يَثْوى ثَواءً وثُويًّا ، وأثوى به ، أطال الإقامة به أو نزل .

١٥٢ - ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُمْ﴾ تقتلونهم قتلاً ذَريعًا . يقال : حسَّه حَسًّا ، إذا قتله . وحقيقتُه : أصاب حاسَّته بآفة فأبطلها ؛ نحو كَبَده وفَأَده ، أى أصاب كَبِدَه وفؤاده . ومنه : جرادٌ محسوس ؛ وهو الذى قتله البرد ، أو مَسَّته النار . ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ جَبُنتم وضعُفتم أمامَ عدوِّكم ﴿وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ﴾ أمْرَ نبيّكم منعكم الله النصر ؛ فجواب الشرط محذوف . ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾ ردّكم عنهم بهزيمتكم . ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ ليعاملكم معاملة من يَمْتَحِنُ غيرَهُ ، ليتميّز الصابر المخلص من غيره .

١٥٣ - ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ متعلّق بـ « صَرَفَكُم » ، أى تذهبون فى الوادى وتمضُون فيه هربًا من عدوّكم ؛ من الإصعاد ، وهو الذهاب فى صعيد الأرض والإبعادُ فيه . يقال : أصعد فى الأرض ، إذا أبعد فى الذهاب وأمعن فيه ؛ فهو مُصْعِد . ﴿وَلَا تَلْوُونَ﴾ لا تعرّجون على أحد منكم ، ولا تلتفتون إلى ما وراءكم من شدّة الهرب ؛ من لَوَى بمعنى عطف . ﴿غَمًّا بِغَمٍّ﴾ أى حزنًا متصلاً بحزن .

١٥٤ - ﴿أَمَنَةً نُعَاسًا﴾ الأَمَنَةُ - بفتحتين - : الأَمْنُ . والنُّعاسُ : الفتورُ فى أوائل النوم . أى ثم أعقبكم بما أصابكم من الخوف والرُّعب أمْنًا تنامون معه أيها المؤمنون وأنتم فى مصافّكم . أما المنافقون فلم يُلق عليهم النعاس وبقُوا فى خوفهم فزعين . و « نعاسا » بدل من « أَمَنَةً » . ﴿يَغْشَى﴾ يلابس كالغشاء . ﴿لَبَرَزَ﴾ لخرج . ﴿إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ مصارعهم التى قدّر الله قتلهم فيها بأُحُد ؛ وقُتلوا هنالك ألبتّةَ . فإن قضاء

الْجَـٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَـٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾

الله لا مردَّ له ، ولا ينفع الحذَرُ مع القَدَر . جمعُ مَضْجَع ، وهو مكان الاضطجاع . ﴿وَلِيَبْتَلِيَ﴾ ليختبر وليمتحن وهو العليم الخبير . ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ ليخلص ويزيل أو ليكشف ويميز .

١٥٥ ـ ﴿اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ طلبَ زلّتهم وخطيئتهم . أو حملهم عليها بوسوسته لهم : أن يخالفوا أمر الرسولِ صلّى الله عليه وسلّم لهم بالثّبات فى مواقفهم التى عيّنها لهم ؛ فأطاعوه فحُرِموا التأييد وتقويةَ القلوب حتى تولّوْا .

١٥٦ ـ ﴿ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ﴾ سافروا فيها لتجارة أو غيرها فماتوا . وأصلُ الضّرب : إيقاعُ شىء على شىء ، ثم استُعمل فى السير ؛ لما فيه من ضرب الأرض بالأرجل ، ثم صار حقيقة فيه . ﴿أَوْ كَانُوا غُزًّى﴾ أى غُزاةً فقتلوا . جمع غازٍ ؛ كصائم وصُوّم . والغَزْوُ : الخروجُ لمحاربة العدوّ . وأصلُه قصدُ الشىء ؛ ومنه المَغْزَى . أى المقصِد .

١٥٩ ـ ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾ فبرحمة عظيمة . ﴿لِنْتَ لَهُمْ﴾ سهلت لهم أخلاقك ولم تعنفهم . ﴿فَظًّا﴾ كريه الخلق ، خشِن الجانب ، جافيًا فى المعاشرة قولا وفعلاً . وفعلُه من باب تعب . وأصلُ الفظّ : ماءُ الكَرِش ، وهو مكروه طبعًا . ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ قاسيه ؛ من الغِلظة ضد الرقّة ، وتنشأ عنها الفظاظة . وفعلُه ككَرُم وضرب .

إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ

﴿ لَانفَضُّوا ﴾ لتفرقوا ونفروا. ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى الأَمْرِ﴾ أى فى أمْرِ الحرب ونحوه مما تجرى فيه المشاورة عادةً، وفى أمْرِ الدِّين الذى لم ينزل فيه وَحْىٌ؛ للاستظهار بآرائهم، ولتطييب قلوبهم، ولتستنَّ بك أُمَّتُك فى ذلك. رُوِىَ عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أمَا إن الله ورسولَه لغَنِيّان عنها، ولكن جعلها الله تعالى رحمةً لأمّتى؛ فمن استشار منهم لم يَعْدَم رشدًا، ومن تركها لم يَعْدَم غيًا)[1]. وقد دَرَج الأئمة الراشدون من بعده صلى الله عليه وسلم على هذه السُّنّة التى هى من أهمّ عزائم الأحكام فى الإسلام. وإنما كانوا يستشيرون الأمناء الصلحاء من أهل العلم والدِّين، والبصر بالأمور، والصدق والأمانة، والشجاعة فى الحق. والمشورةُ والمشاورةُ: استخراجُ الرأى بمراجعة البعض البعضَ. مأخوذةٌ من قولهم: شُرتُ الدابةَ، إذا علمت خُبْرها بجَرْى أو غيره. أو من قولهم: شُرت العسلَ واشترتُه، إذا أخذته من الخليَّة. ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ أى فإذا عقدت قلبَك على الأمر بعد المشورة، فاعتمد على الله فى إمضائه وفَوِّضْ أمرك إليه؛ فإنّ بيده مقاليدَ الأمور كلها، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن. والتّوكلُ: الاعتماد على الله والتفويضُ إليه. وهو لا ينافى الأخذ بالأسباب؛ ومنها الشُّورَى، كما تشير إليه الآيةُ، وحديث: (اعْقِلْها وتوكّل)[2]. واللهُ تعالى خلق الأسباب والمسبّبات، وربط بينهما ربطًا عاديًا، وجعلها من سُنَّتِهِ الكونية؛ فتَرْكُ الأخذ بها جهلٌ، وتركُ التوكّل عليه زندقةٌ.

١٦٠ – ﴿ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ﴾ فلا قاهر ولا خاذل لكم.

١٦١ – ﴿أَنْ يَغُلَّ﴾ يخون فى الغنائم، من الغُلول، وهو الأخذ من الغنيمة خفْيَةً قبل قسمتها. يقال: غلّ شيئا من المغنم يغُلّ غلولاً، أخذه خفية. وأصلُه من الغَلَل، وهو دخول الماء فى خَلَل الشجر. وسُمِّيت هذه الخيانةُ غُلولاً؛ لأنها تجرى فى المال على خفاء من وجه لا يحلّ. والمرادُ: تنزيهه صلى الله عليه وسلم عما اتّهمه به بعض المنافقين يوم بَدْر. أو المرادُ نهىُ أمّتِه صلى الله عليه وسلم عن الغلول.

١٦٢ – ﴿بَاءَ بِسَخَطٍ﴾ رجع متلبسًا بغضب شديد.

(١) أخرجه البيهقي وابن عدي. (٢) رواه الترمذي.

قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ
إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى
الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ
نَافَقُوا ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا ۖ
قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ
مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا
لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ۗ قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن
كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا
آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا
بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾
* يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ
أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ
مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ
عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ
فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾
فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا
رِضْوَانَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ



١٦٤ ـ ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ ﴾ أى من قومه ، أو من العرب مطلقاً . ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ يطهّرهم من الكفر والذنوب . أو يدعوهم إلى ما يكونون به زاكين طاهرين مما كانوا عليه من دَنَس الجاهلية ، والاعتقادات الفاسدة .

١٦٥ ـ ﴿ أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ ﴾ أحين نالكم من المشركين يومَ أُحُد نصفُ ما نالهم منكم قبل ذلك يومَ بَدْر ، رجعتم وقلتم : من أين لنا هذا القتل والخذلان ونحن مسلمون نقاتل غضبًا لله وفينا رسوله ، وهؤلاء مشركون ! ؟ ﴿أَنَّى هَذَا﴾ من أين لنا هذا الخذلان ؟ ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ أى الذى نالكم إنما هو من شؤم مخالفتكم أمْرَ الرسول صلّى الله عليه وسلّم .

١٦٨ ـ ﴿فَادْرَءُوا﴾ فادفعوا ﴿ عَنْ أَنْفُسِكُمُ المَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فى أن الحَذَر يدفع القَدَر .

١٦٩ ـ ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آية ١٥٤ البقرة ص ٣٦] .

١٧٢ ـ ﴿أَصَابَهُمُ القَرْحُ﴾ نالهم القتل والجراح بالسلاح يومَ أُحُد [آية ١٤٠ من هذه السورة ص ٩٥] .

الشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَاءُ فَـَٔامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا ءَاتَىٰهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِۦ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنۢبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾

١٧٥ - ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ أى في قلوبكم. وهم أبو سفيان وأصحابه. يخوّفكم أولياءه ؛ بأن يعظّمهم

١٧٨ - ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ولا يظنّن الذين كفروا أن إمهالنا لهم بإطالة أعمارهم - مع ما هم فيه من التّمتّع بطيّبات الدنيا وزينتها ، وعلى ما هم عليه من الكفر والطغيان - خيرٌ لأنفسهم ؛ إنما نمهلهم لازدياد ذنوبهم وآثامهم بتعزّزهم وتجبُّرهم . والإملاء في الأصل : إطالةُ المدّة . يقال : أملَى عليه الزمانُ ، طال عليه . وأملى له : طوّل له وأمهله .

١٧٩ - ﴿مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ..﴾ ما كان الله مريدًا لأن يَذَركم ، على ما أنتم عليه أيها المؤمنون من اختلاط المخلص بالمنافق ، حتى يميّز المنافق منكم من المخلص ؛ بالامتحان والابتلاء ، وقد وقع ذلك في يوم أُحُد . يقال : مِزْت الشيء أميزه ميْزًا ؛ فصَلت بعضه عن بعض . وميَّزته : فرّقت بين جزئيه . ﴿يَجْتَبِى مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ فيطلعه على بعض غَيْبه ، ومن ذلك نفاق المنافقين وإخلاص المؤمنين ؛ كما قال تعالى : «عَالِمُ الغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ»(١) . من الاجتباء بمعنى الاختيار . واجتباءُ اللهِ العبدَ : تخصيصُه إيّاه بفيْض إلهيٍّ ، يحصل له منه أنواعٌ من النِّعم بلا كسب منه .

١٨٠ - ﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾ سيُجعل ما بَخلوا به من المال الواجب عليهم أداؤه طوقًا من نار في

(١) آية ٢٦ ، ٢٧ الجن .

ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾



أعناقهم يوم القيامة . أو سيُلزمون وبالَ ما بَخلوا به إلزامَ الطّوق .

١٨٢ - ﴿لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ أى ليس بذى ظُلم لهم أصلاً حتّى يعذّبهم بدون جُرم ؛ بل هو عادل ، ومن العدل أن يُثيب المطيع ويعذّب العاصى . وصيغةُ «ظلّام» صيغةُ نَسَبٍ ؛ كعطّار ولبّان .

١٨٣ - ﴿عَهِدَ إِلَيْنَا﴾ أمرنا وأوصانا فى التوراة . ﴿بِقُرْبَانٍ﴾ ما يُتقرّب به إلى الله من أنواع البِرّ . مصدرٌ كالغُفران والرّجحان ؛ من قولك : قربت قُربانًا ؛ سُمّىَ به المتقرَّب به إلى الله تعالى من نَعَم وغيرها .

١٨٤ - ﴿وَالزُّبُرِ﴾ أى الكتب . جمع زَبور ، وهو الكتاب المقصور على الحِكَم والمواعظ ؛ كزَبور داود عليه السلام . من الزَّبْر وهو الزجر ؛ لزجره عن الباطل . وأمّا الكتاب فهو ما تضمّن الأحكامَ والحِكم .

١٨٥ - ﴿زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ﴾ بُعِّدَ ونُحِّيَ عنها . ﴿الْغُرُورِ﴾ الخداع أو الباطل الفانى .

١٨٦ - ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ واللهِ لَتُختبَرُنَّ وتُمتَحَنُنَّ فى أموالكم وأنفسكم حتى يتبيّن الجازعُ من الصابر ، والمخلصُ من المنافق ؛ من الابتلاء وهو الاختبار والامتحان . والمرادُ : أنه تعالى يعاملهم بهذه المحن معاملةَ من يَختبر غيره ليتميّز الصادق من الكاذب . وقد أخبرهم الله بذلك ليوطّنوا أنفسهم على احتماله عند وقوعه ، ويستعدّوا للقائه ، ويقابلوه بحسن الصبر والثبات .

١٨٧ - ﴿فَنَبَذُوهُ﴾ أى طرحوه ولم يراعوه .

١٨٨ - ﴿بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ﴾

وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ

بمَنْجاة من العذاب. مصدرٌ بمعنى الفوز. تقول: فاز يفوز إذا نجا.

١٩٠ ـ ﴿ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ العقول الخالصة عن شوائب الحسّ والوَهم، خلوصَ اللبّ عن القشر. جمعُ لُبّ بوزن قُفْل.

١٩١ ـ ﴿بَاطِلاً﴾ عَبَثًا وهَزْلاً، عاريًا عن الحكمة، خاليًا عن المصلحة؛ بل خلقته مشتملاً على حِكَم جليلة، منتظمًا لمصالحَ عظيمةٍ؛ يدور عليها أمر معاش العباد، ومعرفةُ أحوال المبدأ والمعاد. ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيهًا لك عما لا يليق بك من خَلْق الباطل! ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ فاحفظنا من عذابها.

١٩٢ ـ ﴿أَخْزَيْتَهُ﴾ فضحته أو أهنته أو أهلكته.

١٩٣ ـ ﴿مُنَادِيًا﴾ الرسول أو القرآن. ﴿ذُنُوبَنَا﴾ أي الكبائر. ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ أزل عنا صغائر ذنوبنا. ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴾ أي في زُمرتهم، وعلى مثل أعمالهم. والأبرارُ: الأنبياء والصّالحون. جمعُ بَرٍّ؛ كربٍّ وأربابٍ. أو جمعُ بارٍّ؛ كصاحب وأصحاب. وهو الكثير الخير والاتساع في الإحسان.

١٩٦ ـ ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ﴾ الخطاب للرسول صلّى الله عليه وسلم والمرادُ أمّته. أي لا يغرنَّكم ضربُهم في الأرض، وتصرّفهم في البلاد للتجارات وطلب المكاسب والأرباح، وما هم فيه من رَغَد العيش.

١٩٧ ـ ﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ ما مَهَّدُوا لأنفسهم في جهنم بكفرهم. وأصلُ المهاد:

جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

(٤) سُورَةُ النِّسَاءِ مَدَنِيَّة
وآياتها ١٧٦ نزلت بعد الممتحنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ



يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا

الفِرَاشُ الذى يوطَّأُ للصبىّ ويمهَّد .

١٩٨ ـ ﴿نُزُلاً﴾ أى حال كون الجنات ضيافةً وإكرامًا من الله تعالى ، أعدَّها لهم كما يُعَدُّ القِرَى للضيف . وأصلُ النزل ـ بضمتين وبضم فسكون ـ : ما يُعَدُّ للضيف أولَ نزوله من الطعام والشراب والصّلة ، ثم اتّسع فيه فأطلِق على الرزق والغذاء وإن لم يكن ضيف ؛ وجمعه أنزال .

٢٠٠ ـ ﴿اصْبِرُوا﴾ أى على المصائب فلا تجزعوا ، وعلى الطاعات فلا تضجروا ، وعن المعاصى فلا تشتهوا . ﴿وَصَابِرُوا﴾ غالبوا الأعداء فى الصبر على شدائد الحرب ، ولا تكونوا أضعفَ منهم فيكونوا أشدَّ منكم صبرًا . ﴿وَرَابِطُوا﴾ أقيموا فى الثغور ، رابطين خيْلكم فيها ، مترصِّدين للغزْو ، مستعدّين له أكثرَ من أعدائكم . والمرادُ به : الحثُّ على مداومة الجهاد فى سبيل الله ؛ إذ هو سبيل الفلاح . والله أعلم .

سورة النســاء

١ ـ ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ هى آدمُ عليه السلام . وذلك من أظهر الأدلّة على كمال القدرة ، وأقوى الدواعى إلى اتّقاء موجبات نقمته ، وإلى مراعاة حقوق الأُخوّة فيما بينكم . وخلَق من آدمَ زوجَهُ حوّاءَ ؛ كما قال تعالى : (وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا

ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ

لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا)[1] . ﴿بَثَّ مِنْهُمَا﴾ أى نشر وفرق منهما بالتناسل . ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ واتّقوا الأرحامَ أن تقطعوها فلا تصلوها بالبرّ والإحسان . جمعُ رَحِم ، وهى القرابة ؛ مشتقّةٌ من الرَّحمة ؛ لأن القرابة من شأنهم أن يتراحموا ، ويعطفَ بعضُهم على بعض . ﴿رَقِيبًا﴾ حافظًا يُحصى كل شىء ؛ من رَقَبه إذا حَفِظه . أو مطَّلِعًا ؛ ومنه : المَرْقَبُ للمكان العالى الذى يُشرِف منه الرّقيبُ ليَطَّلع على ما دونه . وإذ كان الله رقيبًا وجب أن يُخاف ويُتَّقى .

٢ ـ ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾ مما يجب تقوى الله تعالى فيه : اليتامى والنساءُ والصغارُ . أى اتركوا أموال اليتامى التى فى تصرُّفكم سالمةً غيرَ متعرِّضين لها بسوء ؛ حتى تؤدوها إليهم حين بلوغهم الرُّشدَ كاملةً . ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ لا تأكلوها مع أموالكم ؛ أى لا تسوُّوا بينهما فى الانتفاع ؛ وهذا حلال وذاك حرام . والمرادُ : تحريمُ التصرُّف فيها بسائر التصرُّفات الضارّة باليتامى . وخُصّ الأكلُ بالذِّكر لأنه معظم ما يقع لأجله التصرُّف . ﴿حُوبًا كَبِيرًا﴾ إثمًا عظيمًا . اسمُ مصدر من حاب يحوب حَوْبًا ، إذا اكتسب إثمًا . ويُطلق الحُوبُ على الهلاك والبلاء .

٣ ـ ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا ..﴾ كانت اليتيمةُ فى الجاهليّة تكون فى حِجر وليِّها ، فيرغَب فى مالها وجمالها ، ويريد التزوّج بها دون أن يعدل فى صداقها ؛ فنُهوا أن ينكحوهن إلا أن يعدلوا فيهن بإكمال الصّداق رعايةً ليُتْمِهنّ . وأُمِرُوا أن ينكحوا من غيرهن ما حلّ لهم ، أو ما لا تحرُّج منه من النساء . والمعنى : وإن خفتم أيها الأولياء الجوْرَ والظلم فى نكاح اليتامى اللّاتى فى ولايتكم فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم من النساء . وقد علم الله تعالى أن مصلحة الرجال والنساء ـ بل مصلحة المسلمين ـ قد تستدعى تعدُّد الزوجات ؛ بل قد توجبه فى بعض الحالات . وعَلِم أن التعدُّد المطلق مَظِنّةُ الجور والفساد ؛ فأباح التعدُّد وحدّد غايته بأربع بحيث لا يجوز الزيادة عليهن . وقيّد الإباحةَ بالعدل بينهن فيما يستطيع الإنسان العدلَ فيه بحسب طاقته البشرية ؛ فإن عجز عنه لم يُبَح له التعدُّد . وقوله : ﴿مَثْنَى﴾ أى اثنتين اثنتين ، و ﴿ثُلَاثَ﴾ أى ثلاثًا ثلاثًا ، و ﴿رُبَاعَ﴾ أى أربعًا أربعًا . وهو كما تقول للجماعة : اقتسِمُوا هذا المالَ ، وهو ألف درهم : درهمين درهمين ، وثلاثةً ثلاثةً ، وأربعةً أربعةً ؛ فيصيب كلَّ واحد ما أراد من العدد بعد قصره على أربعة ، وعدم جواز الزيادة عليه . وقد أَمَر الرسولُ صلى الله عليه وسلم غَيْلانَ الثَّقفىَّ حين أسلم وأسلم نِسْوَتُه ـ وكنّ عشرًا ـ أن يختار أربعًا منهن ويفارقَ سائرَهن . ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ أى فإن علمتم أنكم لا تعدِلون بين الأكثر من الواحدة فى القَسْم والنفقة وحقوق الزوجية بحسب طاقتكم ، كما علمتم فى حق اليتامى أنكم لا تعدلون ؛ فالزموا

(١) آية ١٨٩ الأعراف .

صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ
هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ
ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا
مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ
ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ
إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ
وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ
أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ لِّلرِّجَالِ

زوجةً واحدة . ومفهومُه : إباحةُ الزيادة على الواحدة إذا أمن الجوْر فيما ذكر . ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ أى اختيارُ الواحدة والتسرِّى أقربُ من ألّا تميلوا الميلَ المحظورَ المقابلَ للعدل . والعَوْلُ فى الأصل : الميلُ المحسوس . يقال : عال الميزانُ عَوْلاً إذا مال . ثم نُقل إلى الميل المعنوىّ وهو الجوْر ؛ ومنه : عال الحاكمُ إذا جار . وقيل : «ألاّ تعولوا» أى لا تكثُر عيالُكم . يقال : عال يعول ، إذا كثر عياله .

٤ ـ ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ أَعْطُوهنَّ مهورَهن عطيّةً عن طِيبة نَفْس منكم ؛ والخطابُ للأزواج . والصَّدُقات : جمع صَدُقة ـ بفتح فضم ، وهى كالصَّداق ـ ، ما يُعطَى للزوجة من المهر ، ويُسَمَّى أجرًا وفريضة . والنِّحْلَةُ فى الأصل : العطيّةُ على سبيل التبرُّع . يقال : نَحَله كذا نِحْلَةً ونُحْلاً ، إذا أعطاه إيّاه عن طِيب نفس بلا مقابلة عِوَض . ﴿هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ أى أكلاً سائغًا حميدَ المَغَبّة ؛ والمرادُ أنه حلالٌ خالصٌ من الشوائب . يقال : هَنِئَ الطعامُ وهَنُؤ هناءةً ، وهَنَأنى الطعامُ وهَنأ لى يَهْنِئنى ويَهْنُؤنى ، صار هنيئًا أى سائغًا . ومَرَأَ الطعامُ ـ مثلّثَةَ الراء ـ مَراءة فهو مَرِىءٌ ، هنىءٌ حميدُ المَغَبّة .

٥ ـ ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ﴾ نُهِيَ الأولياء عن إيتاء السفهاء من اليتامى أموالَهم التى جعلها الله مناطَ تعيُّشهم ؛ خشيةَ إساءة التصرُّف فيها لخفّة أحلامهم . وأضيفت الأموالُ إلى الأولياء للتّنبيه إلى أن أموال اليتامى كأنها عينُ أموالهم ، مبالغةً فى حملهم على وجوب المحافظة عليها . ﴿قِيَامًا﴾ أى قوام معايشكم وصلاح أموركم .

٦ ـ ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ﴾ خطابٌ للأولياء . أى اختبروهم قبل البلوغ بتتبُّع أحوالهم فى الاهتداء إلى ضبط الأموال ، وحسن التصرُّف فيها ، وجرِّبوهم بما يليق بأحوالهم . وزاد بعض الأئمة : تعرُّف صلاحهم فى دينهم . ﴿آنَسْتُمْ﴾ أى علمتم وتبينتم . ﴿رُشْدًا﴾ أى اهتداء لحسن التصرف فى الأموال . ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا﴾ لا تأكلوها مُسْرفين ومبادرين كِبَرهم ، بأن تفرِّطوا فى إنفاقها وتقولوا : نُنْفِقُها كما نشتهى قبل أن يَكْبَر اليتامى فينتزعوها من أيدينا . والإسرافُ : التبذير ؛ ضد القصد . والبِدارُ : المبادرةُ والمسارعة إلى الشىء . و «يَكْبَرُ» مضارع كَبِر ، من باب تعب ؛ يستعمل فى السِّن . ﴿وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا﴾ أى مبادرين كبرهم ورشدهم . ﴿فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ أى فليكف عن أكل أموالهم . ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ شهيدًا عليكم فى كل ما تعملونه . أو محاسبًا لكم ؛ فلا تخالفوا

نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ
مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ
نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُولُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ
وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا
مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً
ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ
فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ

ما أُمرتم به. يقال: حسَبه يَحْسُبُه حَسْبًا، إذا عدّه؛ وهو حال أو تمييز. وفاعل «كفى»: الاسمُ الجليل، والباء زائدة.

٧ - ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ﴾ أوجب الله تعالى للذكور من الأولاد، وللإناث منهم: نصيبًا ممّا تركه الوالدان والأقربون من المال، قليلاً أو كثيرًا؛ وقد بيّنه الله فيما يأتى من الآيات. وكانوا لا يُوَرِّثون النساء والصغار. ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ أى واجبًا. أو مقتطَعًا محدودًا.

٨ - ﴿فَارْزُقُوهُمْ مِّنْهُ﴾ أى ارضخوا[1] من مال المتوفَّى للقرابة غير الوارثين، ولليتامى والمساكين الأجانب منه قبل قسمته. وهو أمْرُ نَدْب واستحباب؛ تطييبًا لقلوبهم وتصدُّقًا عليهم.

٩ - ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا﴾ أمرَ اللهُ الذين يخافون على ذرِّيتهم الضعفاء العَيْلَةَ والضَّيْعةَ من بعدهم، وألّا يُحسِن إليهم مَن يليهم - أن يخشَوْهُ ويتّقُوه فيمن يتولَّوْن أمرهم من اليتامى، ويقولوا لهم قولاً جميلاً، هاديًا لهم إلى محاسن الآداب والأفعال، وإلى ما ينفعهم فى دينهم ودنياهم؛ كما يقولون ذلك لأولادهم. يقال: سدّ يَسِدّ سَدادًا وسُدودًا، أصاب فى قوله وفعله؛ فهو سَديد. وأمرٌ سديدٌ وأسَدُّ: قاصدٌ. ﴿قَوْلاً سَدِيداً﴾ أى جميلاً. أو صوابًا وعدلاً.

١٠ - ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ سيدخلون نارًا هائلة جزاءَ أكلهم أموالَ اليتامى ظلمًا. يقال: صَلَيْت الرجُلَ نارًا، إذا أدخلته فيها وجعلته يَصْلاها. وصَلَيْت اللحمَ وغيرَه - من باب رمى - إذا شوَيته. والسَّعيرُ: الجمْرُ المشتعِل؛ من سَعَرْت النارَ - كمنع - وأسعرتها وسعَّرتها، إذا أوقدتها وألهبتها.

١١ - ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِى أَوْلَادِكُمْ﴾ فى هذه الآية والتى بعدها وآية ١٧٦ من هذه السورة بيانُ الفرائض. أى يفرض الله عليكم فى شأن أولادكم ما بيّنه لكم. ﴿فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ وكذلك ميراثُ الاثنتين؛ كما قضى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنَتَيْ سعد بن الربيع. ﴿فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ أى والباقى للأب تعصيبًا. فإذا كان معهما أحد الزوجين كان للأم ثلث الباقى بعد نصيب الزوج أو الزوجة، وثلثاه للأب. ﴿فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ والباقى للأب. ولا ميراث للإخوة لحجْبهم بالأب. ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ أى أن هذه الفرائض إنما تُقسم بعد قضاء الدَّين وإخراج وصيّة الميّت من الثلث. وقُدِّمت الوصيةُ على الدَّين فى التلاوة مع تأخُّرها فى الحكم لإظهار كمال العناية بتنفيذها؛ لكونها مظنّة التفريط فى الأداء. ﴿فَرِيضَةً﴾ أى فُرِض ذلك فرضًا من الله العليم الحكيم

(١) الرضخ: إعطاء الشيء ليس بالكثير.

فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ * وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ



فيما فَرض وقدّر .

١٢ - ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾ تُطلق الكلالة على الميّت الذى لم يُخلّف ولدًا ولا والدًا ، وعلى الوارث الذى ليس بولد ولا والد للميّت . والأوّلُ قولُ علىّ وابن مسعود ؛ لأنه مات عن ذهاب طرفيه فكَلَّ عمودُ نسبه ؛ مِن الكَلال وهو ذهاب القوة من الإعياء والضعف . والثانى قولُ سعيد بن جُبير ؛ لأن هؤلاء الوارثين يتكلّلون الميّتَ من جوانبه ، وليسوا فى عمود نسبه ؛ كالإكليل يحيط بالرأس ووسطُ الرأس منه خالٍ ؛ من تكلّله الشَّيْءُ إذا أحاط به . و « رجلٌ » اسم كان ، وجملة « يورَث » خبرها ، و « كلالةً » حال من الضمير فى « يُورَث » . أى وإن كان رجل موروثًا حالَ كونه كلالةً ؛ على المعنى الأوّل . أو حال كونه ذا كلالةٍ ، أى ذا وارثٍ هو كلالة ؛ على المعنى الثانى . و « امرأةٌ » عطفٌ على « رجل » . ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ أى لأمٍّ ؛ باتفاق . ويؤيّده قراءة سعد بن أبى وَقّاص : « وله أخٌ أو أختٌ من أمٍّ » .

١٣ - ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللهِ﴾ إشارةٌ إلى الأحكام التى تقدّمت فى شأن اليتامى والوصايا والمواريث . وسُمِّيت حدودًا لأن الشرائع كالحدود المضروبة للمكلفين لا يجوز لهم أن يتجاوزوها ويتخطّوها إلى غيرها .

يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ
الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ
فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ
الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ
فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ
كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ
لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ
قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ
أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا
بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ

١٤ ـ ﴿مُهِينٌ﴾ مُذِلٌّ ؛ من الهوان وهو الذُّلّ .

١٥ ـ ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ﴾ والنّساء اللّاتي يفعلن الفاحشةَ وهي الزّنا . وأصلُ الفاحشةِ : ما عَظُمَ قُبْحُه حتى بلغ الغاية في جنسه من الأقوال والأفعال . والمرادُ بالنّساء : الزوجاتُ ؛ عند الجمهور . ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾ أي مخرَجًا من هذه العقوبة ، وقد جعله الله تعالى بما شَرَعه من الحدّ ؛ فالزّاني البِكْرُ : يُجْلَد . والزّاني الثّيِّبُ : يُرْجَم . وقد رَجَم النّبيُّ صلى الله عليه وسلم ماعِزَ بنَ مالك الأَسْلَمِيّ والغامِديَّة ، وكانا محصنَيْن .

١٦ ـ ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ﴾ أي والزّاني والزّانيةُ من رجالكم ونسائكم ، اللّذان يأتيان هذه الفاحشة ، فآذوهما بالتّعيير والتّوبيخ أو بهما ، وبالضرب بالنّعال . والمراد بهما : البكران اللّذان لم يُحْصَنا . وقيل المراد بالنساء في الآية الأولى جنسُ النساء ، وبقوله : «واللّذان» في الآية الثانية الرجلان يفعلان اللِّواط ؛ وهو رواية عن مجاهد . والحكْمُ منسوخٌ بالحدّ المفروض . وذهب أبو مسلم الأصفهاني : إلى أن الآية الأولى في السحّاقَات اللّاتي يستمتع بعضُهن ببعض ؛ وحدُّهنَّ الحبس . والثانية في اللّائطين ؛ وحدُّهما الإيذاء . وأما حُكمُ الزِّنا ففي سورة النُّور ، وزيَّفه الآلوسيُّ ، واختاره بعض المفسِّرين .

١٧ ـ ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ..﴾ أي إنما التوبة المقبولة عند الله : هي توبةُ الّذين يعملون السّيّئات جهالةً وسفَهًا . ﴿بِجَهَالَةٍ﴾ بسفه وكل من عصي جاهل . ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ﴾ إلى الله تعالى منها وهم في فُسحة من العمر قبل وقت الاحتضار والغَرْغرة ، ولا توبةَ تُقبل منهم إذا تابوا في هذا الوقت ؛ لأنها حالةُ اضطرار لا حالةُ اختيار . وكذلك لا تُقبلُ توبةُ الذين يموتون على الكفر ؛ فلا ينفعهم النّدمُ ولا يُقبل منهم الفداء ولو بملء الأرض .

١٩ ـ ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا

وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ * وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ



النِّسَاءَ﴾ أى تأخذوهن على سبيل الإرث ، كما يؤخذ المالُ الموروث بعد موت أزواجهن مُكْرِهين لهنّ على ذلك ، وكانوا يفعلون ذلك فى الجاهلية . و ﴿كَرْهاً﴾ - بالفتح والضم - بمعنًى واحد. والخطابُ لأقارب الميّت . ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ نهىٌ للأزواج عن إمساك النساء من غير حاجة لهم إليهن ، مضارّةً ومضايقةً لحملهن على الاختلاع بمهورهن ؛ من العَضْل ، وهو التضييق والمنع . يقال : عضَّلَت الدَّجاجةُ ببيضها ، والمرأةُ بولدها : إذا تعسَّر خروجها . ﴿إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ استثناءٌ متّصلٌ من أعمّ العِلل . أى لا تعضلوهن لعلّة من العِلل ، إلّا أن يأتين بفاحشة مبيّنة أخلاقَهن ، وكاشفةٍ عن أحوالهن ، وهى النشوزُ وسوءُ الخلق ، وإيذاءُ الزّوج وأهلِه بالبَذاء وفُحش القول ونحوه ؛ فلكم العذرُ فى طلب الخُلع منهن ، وأخذِ ما آتيتموهن من المهر لوجود السبب من جهتهنّ . والأصلُ فى الباب قولُه تعالى : (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ)[1] وقوله : (فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَىْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا)[2] .

٢٠ - ﴿أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً﴾ ظلماً أو باطلاً . وأصلُه الكذبُ الذى يبهَت المكذوبَ عليه . أو الباطلُ الذى يتحيّر من بطلانه . وكان الرجلُ فى الجاهلية إذا أراد التزوّج بأخرى بهَت التى تحته بفاحشة حتى يُلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها من المهر ؛ ليصرفه فى زواج الأخرى ، فحرم ذلك عليهم .

٢١ - ﴿أَفْضَى بَعْضُكُمْ ..﴾ وَصَل ، بالوقاع أو الخلوة الصحيحة ﴿مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾ عهدا وثيقا .

٢٢ - ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ﴾ كانوا فى الجاهلية

(١) آية ٢٢٩ البقرة . (٢) آية ٤ النساء .

إِلَّا مَامَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۖ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم
مَّاوَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَـٰفِحِينَ ۚ
فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ
وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ

يتزوّجون بزوجات آبائهم ، فنهاهم الله عنه بهذه الآية ، وعفا عمّا قد سلف قبل نزولها . وقد وصفه الله تعالى بأنه فاحشةٌ ؛ أى أمرٌ مستقبَحٌ غايةَ القُبح ، وبأنه مَقْتٌ . وأصلُه بُغْضٌ مقرونٌ باستحقار حصل بسبب أمر قبيح ارتكبه صاحبُه . وكانوا فى الجاهلية يُسمُّون الولدَ الذى يأتى به الرجلُ من زوجة أبيه : المَقْتِيّ . ثم قال : ﴿وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ أى طريقاً يسلكه الأبناء .

٢٣ ـ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ..﴾ جملةُ المحرَّمات من النساء بنصّ الكتاب أربعةَ عَشَر صنفاً : سبع بالنَّسَب من قوله «أُمَّهَاتُكُمْ» إلى قوله «وبَنَاتُ الأُخْتِ» ، وسبع بالسَّبَبِ من قوله «وَأُمَّهَاتُكُمْ اللاَّتِى أَرْضَعْنَكُمْ» إلى قوله «وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ» . وقد ثبت بالسُّنة تحريمُ أصنافٍ أُخَر ؛ كالْجمع بين المرأة وعمّتها ، وبين المرأة وخالتها ، ونكاحِ المعتدّة ، ونكاحِ الخامسة لمن كان عنده أربع . والأُمّهاتُ تعمُّ الجدّات حيث كنّ ؛ لأن الأُمَّ هى الأصل ، كأمّ الكتاب . ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ المراد بهن الفروع . ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾ زوجاتكم . وحرمتُهنّ بمجرّد العَقْد عند الجمهور . ﴿وَرَبَائِبُكُمْ﴾ جمعُ رَبيبة ، بمعنى مَرْبوبة ، ولحقتها الياء لصيرورتها اسماً ؛ وهى بنت امرأة الرجل من زوج آخر . وسُمِّيت ربيبةً لأن الزوج يَرُبُّها ويَسُوسها كما يَرُبُّ وليدَه غالباً . وقوله : ﴿اللاَّتِى فِى حُجُورِكُمْ﴾ أى فى تربيتكم ؛ وصفٌ لبيان الشأن الغالب فى الرَّبيبة فلا مفهومَ له . وإنما تحرُم الربيبة بالدخول بالأم ، لا بمجرَّد العقد عليها . ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فلا إثم عليكم . ﴿وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمْ﴾ أى وزوجاتُ أبنائكم . جمعُ حليلة : وهى الزوجة . ويقال للزّوج حَليل .

٢٤ ـ ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ أى وحُرِّمت عليكم ذواتُ الأزواج من النساء قبل مفارقة أزواجهم لهن . سُمِّين محصناتٍ لأن الأزواج أحصنوهن عن الفاحشة . أو هن أحصَنَّ أنفسهن عنها ؛ من الإحصان ، وهو المنع الشديد . وأصلُه من الحِصْن ، وهو المكان المنيع الحِمَى . يقال : أحصنتِ المرأة وحُصُنت ، أعفّت ؛ فهى حاصِنٌ وحاصنة وحَصَان . وأحصنها زوجُها فهى محصَنة . ويقال : رجلٌ مُحْصَن ، إذا تزوّج . ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ استثناءٌ من تحريم نكاح ذواتِ الأزواج . والمرادُ به المَسْبِيَّاتُ اللاّتى سُبين ولهنّ أزواج فى دار الحرب ، فيحِلّ لمالكهن وطْؤهنّ بعد الاستبراء ؛ لارتفاع النكاح بينهنّ وبين أزواجهن بمجرّد السَّبْى ، أو بسبْيهنَّ وحْدَهنَّ دون أزواجهن . ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أى كتَب الله عليكم تحريمَ هذه المحرَّمات المذكورات كتاباً ، وفرَضه فريضةً . ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ مُحْصِنين أنفسَكم بمن تطلبونهنّ بأموالكم من الاستمتاع المحرَّم ، غيرَ زانين . فالمرادُ بالإحصانِ هنا : العِفّة ، وتحصينُ النفس من الوقوع فى

طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ

الفاحشة . وبالسِّفاح : الزِّنى ؛ من السَّفْح وهو صبُّ الماء وسيلانُه ، وسُمِّىَ به الزِّنا لأن الزَّانى لا غَرَضَ له إلّا صبّ النُّطفة فقط دون النَّسْل . و« مُحْصِنين » و « غيرَ مُسافحين » حالان من فاعل « تَبْتَغُوا » . ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ فرض الله تعالى على الأزواج الذين ابتغَوْا الزَّوجات محصنين غيرَ مسافحين أن يعطوهنّ مهورَهنَّ عِوضاً عن انتفاعهم بهن . ومعلومٌ أن النكاح الذى يُحَقِّق الإحصان ولا يكون الزَّوج به مسافحاً ، هو النكاح الصحيح الدائمُ المستوفى شرائطَه . فبطل نكاح المُتْعَة بهذا القَيْد ؛ لأنه لا يحقِّق الإحصان ، ولا يُقصَد به إلا سَفْحُ الماء وقضاءُ الشهوة . وجملةُ القول فى المُتْعة : أنها أُحِلّت فى السَّفر للضرورة ، ثم حُرِّمت يومَ خَيْبَر ، ثم أبيحت يومَ فتحِ مكَّة ، وهو يوم أوْطاس[1] لا تصالها ، ثم حُرِّمت بعد ثلاثٍ تحريماً مؤبَّدًا إلى يوم القيامة ؛ كما فى حديث سَبْرَة بن مَعْبَد الجُهَنِىّ ، وعليه انعقد إجماع الأئمة . وما نُسب إلى ابن عباس من حِلِّها مطلقاً غيرُ صحيح ؛ فإنه ما كان يُحلّها إلا للمضطَر ، وكان يقول : ما هى إلا كالمَيْتَة والدَّمِ ولحمِ الخنزير . على أنه قد صحَّ رجوعُه عن القول بحِلّها بقوله ـ فيما رواه عنه التِّرمذِىّ والبَيْهَقِىّ والطبرانى ـ : إن المُتْعَة كانت فى أوّل الإسلام حتى نزلت الآية : (إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُم)[2] فكُلُّ فَرْجٍ سواهما فهو حرام .

٢٥ ـ ﴿طَوْلاً﴾ غِنًى وسَعَةً . وهو كناية عما يُصرف إلى المهر والنفقات . ﴿أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ أى الحرائر ؛ بدليل مقابلتهن بالمملوكات . وعبّر عنهن بذلك لأن حرمتهنّ أحصنتهنّ عن نَقْص الإماء . ﴿وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أى أدُّوا إلى مواليهنّ مهورَهن عن طِيبِ نَفْس منكم ، دون مَطْلٍ أو مُضارَّة ، ولا تبخسوا منه شيئاً استهانةً بهن لكونهنّ مملوكات . ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾ عفائفَ غيرَ معلنات بالزِّنا ، ولا متخذاتِ أصدقاء يَزنون بهن سِرًّا ، جمعُ خِدْن ، وهو الصاحب والخليل . وكانوا فى الجاهليَّة يحرّمون ما ظهر من الزِّنا ويستحلُّون ما خَفِىَ منه ؛ فحرَّمها الله بقوله : (وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ)[3] . و « محصناتٍ » منصوبٌ على الحال من المفعول فى قوله : « فانكحوهن » . ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ﴾ أى نكاح الإماء لمن خاف الإثم بسبب غلبة الشهوة ، وشقّ عليه الصبر عن الجماع ، وأصلُ العَنَت : انكسارُ العظم بعد جَبْر ، فاستُعير لكل مشقّة وضَرر ؛ ولا ضررَ أعظمُ من

---

(١) أوطاس : واد فى ديار هوازان ، جنوبى مكة بنحو ثلاث مراحل . وكانت وقعتها بعد فتح مكة بشهر .

(٢) آية ٦ المؤمنون ، وآية ٣٠ المعارج . (٣) آية ١٥١ الأنعام .

ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾
وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ
أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ
وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟
أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ۚ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ
مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾
وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ
وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ
عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾
وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ
نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ
وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾

مواقعة المآثم . ﴿ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ﴾ مصاحبات أصدقاء للزنى سرًّا .

٢٦ ـ ﴿سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ طرائقَ مَن تقدّمكم من أهل الرُّشْد لتسلكوها . جمعُ سُنَّة ، وهى الطريقة .

٢٨ ـ ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً﴾ لا يصبر عن الشّهوات ولا على مَشاقّ الطاعات ؛ فكان من رحمة الله تعالى به التخفيفُ عنه فى التكاليف .

٢٩ ـ ﴿بِالْبَاطِلِ ..﴾ أى بالحرام ؛ كالرِّبا والمَيْسر ، والغَصْب والسّرقة ، وشهادةِ الزور ، والخيانةِ والظلم ، ونحو ذلك . ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً﴾ أى لكن يَحِلُّ أكلُها بالتجارة عن طِيبة نفس كلٍّ واحد منكم . وخُصَّت التجارةُ بالذكر من بين أسباب التَّمَلُّك لكونها أغلبَ وقوعاً وعن معاذ بن جَبَل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أطيبُ الكسبِ كسبُ التجار الذين إذا حدّثوا لم يكذبوا ، وإذا وَعدوا لم يُخلِفوا ، وإذا ائتُمِنوا لم يخونوا ، وإذا اشترَوْا لم يذمُّوا ، وإذا باعوا لم يمدحوا ، وإذا كان عليهم لم يَمْطُلوا ، وإذا كان لهم لم يُعَسِّروا)[1] . ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ لا تهلكوها بارتكاب الآثام ؛ ومنها : أكلُ الأموال بالباطل ، وقتلُ النفس بغير حق ، وقتلُ الإنسان نفسَه .

٣٠ ـ ﴿ نُصْلِيهِ نَاراً ﴾ ندخله إياها ونحرقه بها .

٣١ ـ ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ﴾ اجتنابُ الشىء : المباعدةُ عنه وتركُه جانباً . وكبائرُ الذّنوب : ما عَظُمَ منها وعظُمت عقوبته ؛ كالشِّرك ، وقَتلِ النفس بغير حق ، ونحوه . ﴿نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ أى صغائرَ ذنوبكم ، بدليل مقابلتها بالكبائر . جمعُ سَيِّئة ، وهى الفَعْلة القبيحة التى تسوء صاحبَها أو غيرَه ، عاجلاً أو آجلاً . ضدُّ الحسنة . ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً﴾ مكاناً حسناً ، وهو الجنة . وقرئ «مَدخلاً» بفتح الميم ؛ أى وندخلكم فتدخلون مَدخلاً كريماً .

٣٣ ـ ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ ولكلّ واحد من الرجال والنساء جعلنا ورثةً عَصَبةً ، يرثون مما تركه الوالدان والأقربون من المال . والعربُ تسمِّى ابنَ العمّ

(١) رواه البيهقى .

وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ * وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾



مَوْلًى . أو ولكلّ مالٍ مما تركه الوالدان والأقربون جعلنا موالىَ ؛ أى ورثةً يَلُونه ويحوزونه . ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ عَاقَدْتُهُم أيمانُكم ﴿فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ أى حظّهم من الميراث . ويسمَّى عقدَ الموالاة ، وكانوا يتماسكون بالأيدى عند المعاقدة والمحالفة . وكان الرجل فى الجاهلِيَّة يُعاقد الرجلَ الأجنبىَّ منه على التَّوارث ؛ فجُعل له فى بدء الإسلام السُّدُس من جميع المال ، والباق للورثة . ثم نُسخ ذلك بقوله تعالى : (وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ)[1] . وذهب الحنفيّة إلى أنه إذا أسلم الرجلُ على يد رجلٍ آخرَ ، وتعاقدا على أن يَرِثه صحَّ ، وله إرثُه إن لم يكن له وارثٌ أصلاً . والآيةُ غيرُ منسوخة .

٣٤ـ ﴿قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ قيام الولاة المصلحين على الرعية . ﴿قَانِتَاتٌ﴾ مطيعات لله ولأزواجهن . ﴿حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ﴾ يحفظْنَ فى غيبة أزواجهنّ ما يجب حفظه فى النّفس والمالِ . فاللامُ بمعنى فى ، والغيْبُ بمعنى الغَيْبة . أو حافظاتٌ لأسرار أزواجهنّ ؛ وهى ما يقع بينهم وبينهنّ فى الخَلْوة . ﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ لهن من حقوقهن على أزواجهن . ﴿نُشُوزَهُنَّ﴾ عصيانَهن لكم وترفّعَهنّ عن مطاوعتكم . يقال : نَشَزت المرأةُ تَنْشُز وتَنْشِز ، عَصَت زوجَها وامتنعت عليه . وأصلُ النشوز : الارتفاعُ

٣٥ـ ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا ..﴾ أى وإنْ علمتم أو ظننتم شِقاقاً وخلافاً بينهما ﴿فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا﴾ لينظرا فى أمرهما ويحكما بما يريانه مصلحةً من الجمعِ أو التفريق . وقيل : لا يحكمان إلا بالجمع . واتفقوا على أنهما إذا كانا موكَّلَيْن من جهة الزوجين يَنْفذُ حكمهما في الجمْع والتّفريق . ونقَل الحافظ ابنُ كثير عن ابن عبد البَرّ : أن الإجماع

(١) آية ٧٥ الأنفال .

ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴿٤١﴾ يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾

منعقِد على نفاذ قولهما فى الجمع وإن لم يُوَكّلهما الزّوجان ؛ واختلفوا فى نفاذه فى التفرقة . والجمهورُ على نفاذه فيها أيضاً من غير توكيل .

٣٦ ـ ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ ..﴾ أى البعيدِ مكاناً ؛ من الجنابة ضدُّ القرابة . يقال : اجتنب فلانٌ فلاناً إذا بَعُد عنه . وقيل : هو الذي لا قرابة فى النّسب بينه وبين جاره . ويقابله الجارُ ذو القربى ، بمعنى القريب مكاناً أو نسباً . والجُنُب يستوى فيه المفرد والجمع ، والمذكَّر والمؤنَّث . ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾ الرَّفيق فى أمْرٍ حَسَن ؛ كتعلُّمٍ وتجارةٍ وصناعةٍ وسفر . وهو الذى يصحبك فى ذلك ، ويكون فى جَنْبك وجوارك . ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ هو المسافر المجتاز بك ، الذى انقطع به الطريق . أو هو الضَّيفُ يمرُّ بك فتكرمه . ﴿مُخْتَالاً فَخُوراً﴾ متكبِّرًا معجبًا بنفسه ، يَعُدُّ مَنَاقِبَهُ ؛ تكبُّرًا وتطاوُلاً على الناس .

٣٨ ـ ﴿رِئَاءَ النَّاسِ﴾ أى قاصدين بإنفاقهم الرِّياءَ والسُّمعة ، لا وَجْهَ الله تعالى ؛ وهم المنافقون أو المشركون . ﴿فَسَاءَ قَرِيناً﴾ مصاحِباً ملازماً له فى الدنيا أو الآخرة . فعِيلٌ بمعنى مُفاعل ؛ كخليطٍ بمعنى مُخالِط .

٤٠ ـ ﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أى لا يظلِم أحداً شيئاً ولو مقدارَ ذَرَّة ، وهى النَّملة الصغيرة الحمراء التى لا تكاد تُرى . أو هى جزء من أجزاء الهَبَاء فى الكُوَّة ونحوها . ومثقالُ الشىء : ميزانُه من مِثْله ، وجَمْعُه مثاقيل . وهو مَثَلٌ ضربه الله لأقلّ الأشياء .

٤٢ ـ ﴿لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ أنْ يُدْفَنوا فتُسوَّى عليهم الأرض كما تُسَوَّى على الموتى .

٤٣ ـ ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ

سُكَارَى ..﴾ المرادُ بالصلاة هنا : إمّا الهيئةُ المخصوصة ، وإمَّا مواضعُها وهي المساجد . و«سُكارَى» : جمعُ سكران . والجُنُب : مَن أصابته الجنابة ، ويستوي فيه الواحد والأكثر والمذكّر والمؤنّث . وعابِرُ السَّبيلِ : مجتازُ الطريق وهو المسافر . أو مَن يَعبُر الطريق من جانبها إلى جانب . والمعنى : لا تصلوا في حالة السُّكْر ، حتى تكونوا بحيث تعلمون ما تقولون ، ولا في حالة الجنابة حتى تغتسلوا ؛ إلّا أن تكونوا مسافرين ولم تجدوا ماءً فتيمَّمُوا للصلاة . أو لا تقربوا المساجد وأنتم سكارى ، ولا تقربوها جُنُبًا إلا أن تكونوا مجتازي المسجد من باب إلى آخرَ من غير مُكْث . ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ بيانٌ للأعذار المبيحةِ للتيمّم ولكيفيّته . والمَرَضُ المُبيحُ له : هو الذي يمنع من استعمال الماء ؛ مِثْلَ الجُدَرِيِّ والجراحةِ التي يُخشى من استعمالِ الماء فيها التّلفُ أو زيادةُ المرض . ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ أي المطمئن من الأرض ، وكانوا يأتونه لقضاء الحاجة ، وَكُنِّيَ به عن الحَدَث . ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ أي واقعتموهن ، أو ماسستم بَشَرَتَهنَّ ببشرتكم . ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ الصَّعِيدُ : وجهُ الأرض البارز ، تراباً كان أو غيرَه . وقيل الترابُ . والطَّيِّبُ : الطاهرُ .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا

٤٤ - ﴿الَّذِين أُوتُوا نَصِيباً﴾ هم يهود المدينة .

٤٦ - ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ..﴾ يُميلونه عن مواضعه ، ويجعلون مكانَه غيرَه . أو يتأوّلونه على ما يشتهون ؛ مِن التَّحريف وهو التغيير . ومنه قولهم : طاعونٌ يُحَرِّف القلوب ؛ أي يميلها ويجعلها على حَرف ، أي جانب وطَرَف . وأصلُه من الحَرْف ؛ يقال : حرَّف الشيء عن وجهه ، صرفه عنه . ﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ هي كلمةٌ ذاتُ وجهين ، تحتمل معنًى : اسْمع ! مدعُوًّا عليك بلا سمعتَ ، أو غير مُسْمَعٍ كلاماً ترضاه . ومعنًى : اسْمع مِنّا غيرَ مسمَعٍ مكروهاً . كانوا يخاطبون بها النبيَّ صلى الله عليه وسلم استهزاءً به ؛ مُضمرين إرادة المعنى الأوّل ، وهم مظهرون له إرادة المعنى الثاني . ﴿وَرَاعِنَا﴾ وكذلك كانوا يخاطبونه صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة ، وهي محتملة معنًى : راقِبْنا وانتظرنا نكلِّمْك . ومعنى السَّبِّ بالرُّعونة والحُمْق . أو تنقيصه بإرادة : راعِي غَنَمِنا ؛ مظهرين إرادة المعنى الأوّل ، وهم يضمرون الثاني [آية ١٠٤ البقرة ص ٣٣] . ﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ فَتْلاً بها وانحرافاً ؛ بصرف الكلام عن جانب الخير إلى جانب الشر ، كما كانوا يحيُّونه بقولهم : السَّامُ عليكم ، يَعْنُونَ به الموت . وأصلُهُ : لَوْياً ؛ من لَوَى

نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ

الشيء – كرمى – إذا فتله. مفعول به أو حال ، أى لاوين .
﴿أَقْوَمَ﴾ أعدل وأصوب وأسدّ .

٤٧ – ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا﴾ أصلُ الطَّمْس : الصَّرْفُ والإفسادُ والتحويلُ. وهو مَثَلٌ ضربه الله لهم فى صرفهم عن الحق ، وردِّهم إلى الباطل ، ورجوعهم على أعقابهم عن المحجّة البيضاء . وهو نظير قوله تعالى : (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالاً فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ . وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا)[1] . وقال مجاهد : المرادُ طمسُ وجه القلب ؛ أى من قبل أن نطمس قلوبًا عن صراط الحق فنردَّها على أدبارها فى الضلال .

٤٨ – ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ المرادُ بالشرك هنا : مطلقُ الكفر ؛ فيدخل فيه كفرُ اليهود دخولاً أوّليًّا . أى إن الله لا يغفر لكافر مات على كفره ، ويغفر ما دون الكفر من الذنوب والمعاصى لمن يشاء أن يغفر له ممن اقترفها إذا مات من غير توبة . فمن مات منهم بدونها فهو فى خطَر المشيئة ، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة ، وإن شاء عذَّبه ثم أدخله الجنة . وأمّا قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا)[2] فمقيَّدٌ بالمشيئة ، وبما عدا الشركَ لمن مات مُصِرًّا عليه .

٤٩ – ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ تعجيبٌ للنبىّ صلى الله عليه وسلّم أو لكل سامع ، من ادّعاء اليهود أنهم أزكياء عند الله تعالى مع ما هم عليه من الكفر والإثم العظيم . ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ أى مقدارَ فتيل ؛ وهو الخيط الذى فى شَقّ النّواة . يُضرب مثلاً فى القِلّة والحقارة ، كالنَّقير للنُّقرة في ظهر النواة ، والقِطْمِير لقشرتها الرّقيقة . وفى الكلام جملةٌ مطويّة ؛ أى يعاقَبون على تلك التزكية الكاذبة عقابًا عادلاً ، ولا يُظلمون فيه أدنى ظلم وأصغرَه .

٥١ – ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ الجِبْتُ فى الأصل : اسمُ صَنَم ، واستُعمل فى كل معبودٍ غيرِ الله تعالى . والطاغوتُ : يُطلق على كل باطلٍ ، وعلى كلِّ ما عُبد من دون الله ، أو كلِّ من دعا إلى ضلالة . أى يصدّقون بأنهما آلهةٌ ويشركونهما فى العبادة مع الله تعالى ، أو يطيعونهما فى الباطل .

٥٣ – ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ﴾ أى بل ألهم . والمعنى ليس لهم نصيب من المُلك

(١) آية ٨ ، ٩ يس . (٢) آية ٥٣ الزمر.

مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ * إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟



الْبَتَّةَ . وإذا كان لهم منه نصيب فهم من شدّة الحرص والبخل بحيث لو أوتُوا شيئًا منه لما أعْطوا الناس منه أقلَّ قليل ؛ وقد كُنِّيَ عنه بالنَّقير . ﴿نَقِيرًا﴾ قدر النقرة فى ظهر النواة .

٥٤ ـ ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ ..﴾ ثم وصفهم الله تعالى بالحَسد بعد وصفهم بالبُخل ؛ والحسودُ يتمنَّى زوال النِّعَم عن العباد . والمرادُ من الناس : النبيُّ صلّى الله عليه وسلم ، أو هو والمؤمنون ، أو العربُ عامّةً . ﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ الكتابُ : التوراة والإنجيل ، أو هما والزَّبُور . والحكمةُ : النبوّةُ ، أو إتقان العلم والعمل ، أو فهمُ الأسرار المودَعةِ فى الكتاب .

٥٥ ـ ﴿سَعِيرًا﴾ نارًا مسعَّرة ؛ أى موقدةً إيقادًا شديدًا للصادِّين عنه . يقال : سَعَر النارَ ـ كمنع ـ وسعَّرها وأسعرها ، أوْقدها .

٥٦ ـ ﴿نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾ أى ندخلهم نارًا هائلة نشويهم فيها . ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ﴾ كلّما احترقت جلودُهم ، وتهرّت وتلاشت ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً﴾ غير محترقة . يقال : نضِج الثَّمرُ واللحمُ يَنْضَجُ نُضْجًا ونَضْجًا ، إذا أدرك ؛ فهو نضيج وناضج . والنّضجُ والتبديلُ فى جهنم حقيقىٌّ . وقيل : هو كناية عن دوام العذاب لهم .

٥٧ ـ ﴿أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ..﴾ بريئاتٌ من جميع الأدناس الحسِّية والمعنويَّة . والتنوين للتكثير . ﴿ظِلاًّ ظَلِيلاً﴾ الظِّلُّ معروفٌ . والظّليل : صفةٌ مشتقّة من الظِّل للتأكيد ؛ على حدِّ : يومٌ أيْوَمُ ، وليلٌ أَلْيَلُ . أى ظلاًّ وارفًا لا يصيب صاحِبَه حرٌّ ولا سَموم ، دائماً لا يُنْسَخُ .

٥٨ ـ ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ ..﴾ أى ما اؤتُمِنتم عليه من الحقوق ، سواءٌ أكانت لله تعالى أم للعباد ؛ فعليَّةً أم قولية أم اعتقادية . جمعُ أمانة ، مصدرٌ سُمِّىَ به المفعول . ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ﴾ أى ويأمركم إذا قضيتم بين الناس فى حقوقهم أن تقضُوا بالعدل والإنصاف .

ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ
إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِۚ
ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ
أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ
أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ
وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ
لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ
يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم
مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ
أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنٗا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ
مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ
قَوْلَۢا بَلِيغٗا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ
ٱللَّهِۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ
وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴿٦٤﴾ فَلَا
وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ
فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمٗا ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّا

وأصلُ العدل : التّسْوِيَةُ . ﴿نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ﴾ أَصْلُه : نِعْمَ ما يعظكم به ؛ فأدغمت «ما» فى ميم «نعم» وكُسرت العَيْن للتّوصُّل إلى النطق بالساكن . و «ما» موصولةٌ أو نكرةٌ موصوفة ؛ أى نعم الذى يعظكم به . أو نعم هو ، أى نِعْمَ الشيءُ شيئاً يعظكم به تأدية الأمانة والحُكم بالعدل .

٥٩ ـ ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ أمراء الحق ووُلاةَ العدل من المسلمين ، أو العلماء المجتهدين . أُمِرَ المؤمنون بطاعتهم إذا أَمَروا بما فيه طاعةٌ لله ولرسوله ؛ إذ لا طاعةَ لمخلوق فى معصية الخالق ، وإنما الطاعة فى المعروف . ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ﴾ أُمِروا بردّ ما يختلفون فيه من أمور الدِّين إلى كتاب الله تعالى ، وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم فى حياته وسُنّته من بعده ؛ لينزلوا على حُكمها . ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ أحْمَدُ مَغَبَّةً ، وأجملُ عاقبةً . وأصلُه من آل هذا الأمرُ إلى كذا ، أى رجع إليه . أو أحسنُ تأويلاً من تأويلكم أنتم إياه ، من غير ردّ إلى أصلٍ من الكتاب والسُّنّة . والتأويلُ على الأوّل بمعنى الرجوع إلى المآل والعاقبة . وعلى الثانى بمعنى التفسير والتبيين ؛ وهو فيهما حقيقة .

٦٠ ـ ﴿إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ [راجع آية ٢٥٦ البقرة ص ٦٢ ، وآية ٥١ من هذه السورة . وقيل : المراد به هنا كعبُ بن الأشرف اليهودىّ ، وكان مفرطًا فى الطغيان وعداوةِ الرسول صلى الله عليه وسلم ، ورأسًا فى الضلال والفتنة .

٦١ ـ ﴿يَصُدُّونَ عَنْكَ﴾ أى يعرضون عنك .

٦٥ ـ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا

كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ

يُؤْمِنُونَ ...﴾ «لا» الأولى نافيةٌ لكلام سبق ؛ تقديرُه : ليس الأمر كما يزعمون من أنهم آمنوا بما أُنزل إليك ، ثم استأنف القَسَم فقال : وربِّكَ لا يؤمنون ﴿حَتَّى يُحَكِّمُوكَ﴾ فيما اختلفوا فيه من الأمور ، والتبَس عليهم منها. وقيل : إنها زائدةٌ لتأكيد معنى القَسَم ؛ كما زيدت في قوله : (لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ)[1] لتأكيد وجوب العلم. ويقال : شَجَر بينهم الأمرُ يَشْجُر شَجْراً وشُجُورًا ، إذا تنازعوا فيه. وأصلُه التداخلُ والاختلاط ؛ ومنه شَجَر الكلامُ ، إذا دخل بعضُه في بعض واختلط. ﴿حَرَجًا﴾ ضيقًا. وأصلُ الحَرَج : مجتَمعُ الشيء ، وتُصُوِّرُ منه ضِيق ما بينها ، فقيل للضِّيق : حَرَجٌ. وللإثم أيضًا : حرج ؛ ومنه : (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ)[2] ، أي ضِيقٌ بالإثم لترك الجهاد. ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ينقادوا لقضائك انقيادًا لا شائبةَ فيه بظاهرهم وباطنهم. وهذا الحُكْمُ باقٍ إلى يوم القيامة ، وليس مخصوصًا بمن كان في عهده صلى الله عليه وسلم.

٦٦ - ﴿أَشَدَّ تَثْبِيتاً﴾ أي أقرب إلى ثبات إيمانهم.

٧١ - ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ ..﴾ الحِذْر والحَذَر بمعنًى ، وهو الاحتراز مما يخاف. يقال : أخذ حذره ، إذا تَيَقَّظ واحترز مما يخاف منه. وقيل : الحِذْر ما به الحَذَر من السلاح ونحوه ؛ أي احترزوا من عدوّكم وتيقّظوا له. أو خُذُوا عُدَّتكم من السلاح واستعدُّوا لعدوّكم. وفيه دلالة على وجوب الأخذ بالأسباب. ﴿فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ﴾ اخرُجُوا إلى قتال عدوّكم مجدِّينَ جماعةً في إثْر جماعة ، فصائلَ وسرايَا. ﴿أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا﴾ مجتمعين جماعةً واحدةً. والنَّفْرُ : الفَزَع. يقال : نَفَر إلى الحرب يَنْفِرُ ويَنْفُر نَفْرًا ونُفورًا ، إذا فزع إليه. والثُّباتُ : جمعُ ثُبَةٍ ، وهي الجماعةُ والعُصْبةُ من الفرسان ؛ مشتقّةٌ من ثبا يثبو ، أي اجتمع.

٧٢ - ﴿لَيُبَطِّئَنَّ﴾ ليتأخرنّ ويتثاقلنّ عن الجهاد ؛ من بَطَّأ اللازم - بالتشديد - بمعنى أبطأ ؛ كعتَّم بمعنى أعتم إذا أبطأ. أو ليُبَطِّئَنَّ غيرَه ، أي يُجَبِّنَنَّه ويُثَبِّطَنَّهُ عن الجهاد ؛ من بطَّأ المتعدّى ، بالتشديد نزلت في المنافقين.

٧٣ - ﴿كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ يتمنّى المنافق إذا

(١) آية ٢٩ الحديد. (٢) آية ٦١ النور.

لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ
مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ *



فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ
ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾
وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ
ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ
هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا
وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ
فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾
أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ
كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ
ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾

انتصر المؤمنون لو كان معهم في القتال ، ويأسف لتخلّفه عنه ؛ لا لمودّة في قلبه تحمله على مشاركتهم في الجهاد والبلاء في كل حال ، بل لمجرّد حرمانه من حظّه من الغنيمة . والجملةُ معترضةٌ بين القول والمقُول ؛ لدفع توهّم أن تمنّيه المعيّةَ للنصرة والمظاهرة .

٧٤ - ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ فليقاتل في سبيل الله المؤمنون الذين يبيعون الحياة الدنيا ، ويختارون الآخرة وثوابها على الدنيا الفانية . ﴿يَشْرُونَ﴾ يبيعون وهم المؤمنون .

٧٦ - ﴿الطَّاغُوتِ﴾ الشيطان وسبيله الكفر .

٧٧ - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ﴾ كان بعضُ الصحابة بمكّة يلقَوْن من المشركين أذًى كثيرًا ، ويتمنَّوْن أن يقاتلوهم ؛ فكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يكفُّهم عن القتال لأنه لم يؤمَر به . فلما فُرض القتال بالمدينة وقد هاجروا إليها ، جبُنوا عن القتال وخافوا المشركين خوفًا شديدًا ؛ جزَعًا من الموت بمقتضى الجبلّة البشريّة ، فنزلت الآية . ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ ولا تُنقصون أدنى شيء من أجوركم على الجهاد ؛ فلا ترغبوا عنه . [آية ٤٩ من هذه السورة ص ١١٨] .

٧٨ - ﴿فِي بُرُوجٍ ...﴾ أي في حصون وقلاع ؛ جمعُ بُرْج وهو الحصن . وأصلُه من التبرُّج وهو الإظهار . ﴿مُشَيَّدَةٍ﴾ أي مطوّلة بارتفاع ؛ مِن شيّد البناء رَفعه . أو مطليّة بالشِّيد ، وهو الجصُّ لتقويتها . أي فأنتم صائرون إلى الموت لا محالة ، ولا يُنْجى حذَرٌ من قَدَر ؛ فما بالُكم تجبُنون عن القتال ! ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾ نزلت في اليهود والمنافقين حين أبدَوُا التّشاؤم من الرسول صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وقُحِطُوا . والمرادُ من الحسنة والسيئة : النّعمةُ والبليّة ، وقد

أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ

شاع استعمالها فى ذلك ؛ كما شاع فى الطاعة والمعصية . فكذَّبهم الله تعالى بقوله : (كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ) خلْقًا وإيجادًا ، وتقديرًا نافذًا فى البرِّ والفاجر ، والمؤمن والكافر ، جاريًا على مقتضى الحكمة والمشيئة .

٧٩ - ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ..﴾ أى ما أصابك أيها الإنسان من نعمة فمن الله تفضُّلاً وإحسانًا . ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ﴾ بليّة ﴿فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ أى فبسَبب اقترافك الذنوب عقوبةً لك من الله ؛ وإن كان كلاهما من عند الله خلقًا وتقديرًا . وهو كقوله تعالى : (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ)[1] . وعن ابن عباس : ما كان من نكبة فبذنبك ، وأنا قدَّرت ذلك عليك . وعن عائشة نحوه .

٨٠ - ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ حافظًا ورقيبًا ، تحفظ أعمالهم وتجازيهم عليها ، إنما أنت نذير .

٨١ - ﴿بَرَزُوا﴾ خرجوا . ﴿بَيَّتَ طَائِفَةٌ﴾ دبرت بليل .

٨٣ - ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ..﴾ نزلت فى ضعفاء المؤمنين ، فقد كانوا يسمعون من المنافقين أخبارًا عن السّرايا مظنونةً غيرَ معلومٍ صحتها ، وقد تكون مختَلَقةً ؛ فيُذيعونها قبل التثبُّت منها وتشيع بين الناس ، فلا تخلو من وَبَالٍ يعود على المسلمين . فنعى الله ذلك عليهم ، وقال إنهم لو ردُّوا الأمر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى كبار أصحابه ، وقالوا : نسكت حتى نسمعه منهم ، ونتلّقى علمَه من جهتهم ، وهل هو مما يصحّ أن يُذاع أو لا يذاع ، لعلموا الحقيقة وما يجب عليهم إزاءها من كتمانٍ

(١) آية ٣٠ الشورى .

وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ * فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ

حزب ١٠

أو إذاعة . وقوله : (الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) أي يتلقّونه منهم ويستخرجون علمَه من جهتهم ؛ والمستنبطون هم المذيعون . وفى الكلام إظهارٌ فى مقام الإضمار ، والأصلُ : لعلموه . ولولا فضلُ الله على هؤلاء المذيعين بإرشادهم إلى ما يجب عليهم من الردّ إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى كبار أصحابه فيما يسمعونه من هذه الأخبار لضلُّوا باتباع آراء المنافقين فيما يأتون ويذرون . وقوله : (إِلَّا قَلِيلاً) استثناء من قوله (أذاعُوا به) أي إلّا قليلاً منهم لم يُذيعوه ، أى لم يُفشُوه . يقال : أذاع الخبرَ وأذاع به ، إذا أشاعه وأفشاه . وقيل : عُدِّيَ بالباء لتضمّنه معنى التّحديث .

٨٤ ـ ﴿وأَشَدُّ تَنكِيلاً﴾ تعذيبًا . وأصلُه التّعذيب بالنّكْل وهو القَيْد ، ثم استُعمل فى كل تعذيب . يقال : نكَلَ به يَنْكُل ، أصابه بنازلة . ونكَّل به ، مبالغةً .

٨٥ ـ ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً﴾ الشفاعةُ : التوسُّط بالقول فى وصول إنسان إلى منفعة دنيويّة أو أخرويّة ، أو إلى خلاصه من مضرّة كذلك . من الشَّفع ضدُّ الوتر ؛ كأن المشفوع له كان وِتراً فجعله الشفيع شَفعًا . فمن يسعى فى الخير أو فى الشرّ يكون له نصيبٌ من الجزاء ، خيرًا أو شرًّا . وإطلاقُ الشفاعة على السّعى فى الشرّ مشاكلةٌ . والكِفْلُ : النّصيب والحظ ، واستعمالُه فى الشرّ أكثرُ من استعمال النصيب فيه . مأخوذ من قولهم : اكتفلتُ البعيرَ ، إذا أدرْتَ على سَنامه ، أو على موضعٍ من ظهره كساءً رَكِبْتَ عليه ؛ فكان لك نصيبٌ من الانتفاع به . ﴿كِفْلٌ مِنْهَا﴾ نصيب وحظ من وزرها . ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً﴾ مقتدرًا أو حفيظًا ؛ من أقات على الشيء : اقتدر عليه . أو من القُوت ، وهو ما يُمسك الرّمق من الرزق ، وتحفظ به الحياة .

٨٦ ـ ﴿حَسِيباً﴾ محاسبا ومجازيا ، أو شهيدا .

٨٨ ـ ﴿فَمَا لَكُمْ فِى الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ نزلت فى قوم خرجوا إلى المدينة يزعمون أنهم مهاجرون ، ثم ارتدُّوا فى أنفسهم واستأذنوا الرسولَ صلّى الله عليه وسلّم فى الخروج إلى مكة ؛ ليأتُوا ببضائعَ لهم يتَّجرون فيها . فخرجوا وأقاموا بمكة ، فاختلف المسلمون فيهم ؛ فقائل : هم منافقون ، وقائل : هم مؤمنون ؛ فبيَّن الله نفاقَهم وأمر بقتلهم لردّتهم . وقيل : نزلت فى قوم تخلّفوا عن الرسول

كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾ وَمَا كَانَ

صلّى الله عليه وسلّم ، وأقاموا بمكة وأعلنوا الإيمانَ ولم يهاجروا ؛ فاختلف فيهم المسلمون ، فتولاّهم أناسٌ وتبرّأ من ولايتهم آخرون ؛ فسمّاهم الله منافقين ، وبرّأ المؤمنين من ولايتهم ، وأمرهم ألاّ يتولّوهم حتى يهاجروا . أى فما لكم تفرّقتم فى شأن المنافقين فرقتين ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ ردّهم إلى الكفر بعد الإيمان بسبب ما كسبوه من الرّدة ؛ من الرَّكْس ، وهو ردُّ أوّلِ الشىء على آخره . يقال : رَكَس الشىء يَرْكُسه رَكْسًا ، إذا قلبه على رأسه . والرَّكس والنَّكْس بمعنًى .

٨٩ - ﴿حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾ حتى يؤمنوا ، وتتحقّقوا إيمانَهم بهجرتهم فى سبيل الله ؛ أى بخروجهم للقتال مع الرسول صلى الله عليه وسلم لوجه الله ، لا لغرض دنيوىّ .

٩٠ - ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ استُثْنِىَ من المأمور بقتلهم فريقان : مَن ترك المحاربين من الأعداء ولَحِق بالمعاهَدين ؛ فكان معهم على عهدهم . ومَن أتى المؤمنين وكَفَّ عن قتال الفريقين . وقولُه : ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ أى ضاقت عن أن يقاتلوكم مع قومهم ، أو يقاتلوا قومهم معكم . يقال : حَصِرَ صدرُه يَحْصَر ، ضاق . وهذه الآيةُ منسوخةٌ بآية : (فإذا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ)[1] .

٩١ - ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ﴾ نزلت فى أناس كانوا يأتون الرّسول صلى الله عليه وسلم فيُسْلِمُونَ رياءً ونفاقاً ، ثم يرجعون إلى قريش فيَرْتَكِسُون فى الشّرك ، يبتغون بذلك أن يأمنوا نبىَّ الله ويأمنوا قومهم ؛ فأبى الله ذلك عليهم . ﴿رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ﴾ دُعُوا إلى الشرك ﴿أُرْكِسُوا فِيهَا﴾ أى قُلبوا فيها أقبحَ قلْب وأشنَعه . يقال : أركسته فرُكس ، أى قلبته على رأسه فقُلب . ﴿حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ أى وجدتموهم ، أو تمكّنتم منهم . يقال : ثقفت الرجلَ فى الحرب أثقفُه ، أدركته أو ظفرت به . ﴿السَّلَمَ﴾ الاستسلام والانقياد للصلح .

٩٢ - ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ أى فعليه إعتاق نَسَمة مؤمنة . ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ أى مؤدّاة إلى ورثته يقتسمونها بينهم

(١) آية ٥ التوبة .

لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾

قسمةَ الميراث . والدِّيَةُ : مِن دِيَةً ، إذا أعطى وليّه المالَ الذى هو بدَلُ النَّفس . وسُمِّىَ المالُ دية تسمية بالمصدر . وأحكامُ الدِّيَةِ الوَدْى ، كالعِدَة من الوَعد . يقال : وَدَى القاتلُ القتيلَ يَدِيه

مبسوطةٌ فى الفقه . ﴿فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ﴾ أى فإن كان المقتول خطأً من قوم محاربين لكم ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ وقد قتله مسلمٌ لكونه بين أَظْهُرِ قومه . فعلى القاتل تحريرُ رقبةٍ مؤمنةٍ ، ولا دية له ؛ إذ لا وراثة بينه وبين أهله .

﴿وإِنْ كَانَ﴾ المقتولُ المؤمن ﴿مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ أىَ معاهدة ، فعلى القاتل ديةٌ مؤدّاةٌ إلى أهله المسلمين إن وُجِدُوا ، ولا تُدفع إلى أهله الكفار ؛ إذ لا يرث الكافرُ المسلمَ ، وعليه عِتْق نَسَمة مؤمنة .

٩٣ ـ ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ المرادُ من الخلود هنا : المكثُ الطويلُ لا الدوام ؛ لتظاهر النصوص على أنَّ عُصاة المؤمنين لا يخلَّدون فى النار . والجمهورُ على أن القاتلَ إذا تاب وأناب ، وعمل عملاً صالحاً ، بدّل الله سيئاتِه حسناتٍ ، وعوّض المقتولَ من ظُلامته ، وأرضاه عن طِلَابته . وما قيل من أنه : لا تَوْبَةَ لقاتل المؤمن عمدًا ؛ محمولٌ على التغليظ فى الزَّجْر .

٩٤ ـ ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ اللهِ﴾ أى سافرتم للجهاد ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ فاطلبوا بيانَ الأمر فى كل ما تفعلون وتتركون . ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾ أى حيّاكم بتحيّة الإسلام ، أو استسلم وانقاد ﴿لَسْتَ مُؤْمِناً﴾ وإنما فعلت ذلك تقِيَّةً ؛ بل اقبلوا

دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا ﴿٩٩﴾ * وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ



منه ما أظهر ، وعاملوه بموجبه ؛ وأمرُ القلوب بيد الله ، وسِرُّها لا يعلمه سواه . ﴿ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ الغنيمة وهى مال زائل .

٩٥ ، ٩٦ - ﴿لَا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وهم مَنْ لم يخرجوا يومَ بَدْر لعُذر . أو مَنْ أذن لهم فى التخلُّف عن الجهاد . ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ أى غيرُ أصحاب الأمراض والعِلَل التى لا سبيل معها إلى الجهاد ؛ من نحو عَمًى أو زَمانةٍ أو ضَعْفِ بَدَن أو عَجْز عن الأهْبة . ﴿ والْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ﴾ بل هؤلاء أفضل ﴿ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ ﴾ أى بعذر ، وهم أولو الضَّرر ﴿دَرَجَةً﴾ ومنزلةً ﴿وفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ أى بغير عذر بأمره صلى الله عليه وسلم اكتفاءً بغيرهم ﴿أَجْرًا عَظِيمًا . دَرَجاتٍ مِنْهُ﴾ كثيرة .

٩٧ - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ نزلت فى أناس بمكّة أسلموا بألسنتهم ولم يهاجروا معه صلى الله عليه وسلم ؛ حتى إذا خرج المشركون إلى بدْر خرجوا معهم وقاتلوا المسلمين ، فقُتِلوا بها كفّارًا .

٩٨ - ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ استثناء مُنقطع .

٩٩ - ﴿عَسَى اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ يتجاوز عنهم بفضله . و« عَسَى » من الله تعالى واجب ؛ لأنه إطماعٌ وتَرَجٍّ ، والله تعالى إذا أطمع عبدَه وَصَله .

١٠٠ - ﴿يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً﴾ متحَوَّلًا ومهاجَرًا . اسم مكان ، وعبّر عنه بالمراغَم للإشعار بأن المهاجر فى سبيل الله يصل فى الموضع الذى يُهاجر إليه ، إلى ما يكون سبباً لرغم أنوف قومه الذين فارقهم ؛ من الرَّغْم - بتثليث الراء - وهو الذُّلُّ والهوان . وأصلُه لصوقُ الأنف بالرَّغام ، وهو التراب . وفعْله من باب قَتَل وفى لغة من باب تَعِب . ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾ أى وجب له الأجرُ تفضُّلاً منه تعالى . وفى الآية ترغيبٌ عظيم فى الهجرة فى سبيل الله ، وكذلك كلُّ مَن قصد بهجرته فِعْلَ طاعة من الطاعات ثم مات قبل إتمامها ؛ فإنه يُكتب له ثوابُها كاملاً .

١٠١ - ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أى إذا سافرتم أىَّ

فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ

سفر ، فلا حَرَج ولا إثمَ عليكم فى قصر الصلاة إن خفتم أن يتعرَّض لكم الأعداء فى الصلاة بقَتْل أو جَرْح أو أسْر ؛ فتُصَلى الرباعيّة ركعتين . وجمهورُ الأئمة على أنّ قَصْر الصلاة مشروعٌ فى السفر فى حالَتى الخَوْف والأمن ، وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم قصرُها فى الأمن ؛ كما فى الصحيحين وغيرهما . والتقييد بالشرط فى الآية إنما يدلّ على ثبوت القَصْر فى حالة الخوف ، ولا يدلّ على عَدَمه فى حالة عَدَم الخوف ؛ بل هو مسكوتٌ عنه ، ويستفاد حُكمه من دليل آخر ، وقد ثبت بالسُّنة قصرُها فى الأمن . ولا مفهومَ له عند القائلين بالمفهوم من الأصوليين ؛ لخروجه مخرج الغالب ، حيث لم تخلُ أسفارُه صلى الله عليه وسلم فى الغالب من خوف الأعداء ؛ لكثرتهم إذ ذاك . وأحكامُ القَصْر مبيَّنةٌ فى الفقه . ﴿يَفْتِنَكُمُ﴾ ينالكم بمكروه .

١٠٢ - ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾ بيانٌ لكيفيّة القَصْر عند الضرورة التّامة ، بعد النّص المجمل فى مشروعِيَّته . والخطابُ له صلى الله عليه وسلم يتناول الأئمة بعده ، فإنهم نوابُه والقائمون بما كان يقوم به ؛ فهو كقوله تعالى : (خُذْ مِنْ أمْوَالِهِمْ صَدَقَةً)[1] . وقد أُمِرَ أنْ يجعل المجاهدين طائفتين : طائفة تُصلّى معه ومعهم أسلحتهم التى لا تشغلهم عن الصلاة . وطائفة أخرى تقف تُجاه العدوّ للحراسة ، فاذا أتمّت الطائفة الأولى ركعةً ، أتت الطائفةُ الأخرى فصلّت معه صلى الله عليه وسلم الركعةَ الباقيةَ من صلاته . وكيفيّاتُ صلاةِ الخوف مُبيَّنةٌ فى الفقه . وظاهرٌ أن الآية فى صلاة الخوف فى غير حالة الالتحام . وأمّا فى حالته فقيل : يؤخّرون الصلاة إلى أن يَأْمَنوا ، ثم يقضُون ما فاتهم منها . وقيل : يصلون بالإيماء بالركوع والسجود إلى أى جهة ، رجالاً وركبانا . وقد تقدم طَرَفٌ من ذلك فى آية ٢٣٩ البقرة[2] . ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [راجع آية

(١) آية ١٠٣ التوبة . (٢) صفحة ٥٨ .

وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ

٧١ من هـذه السورة] . ﴿ حِذْرَهُمْ ﴾ احترازهم من عدوهم . ﴿تَغْفُلُونَ﴾ تسهون .

١٠٣ ـ ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ أى إذا فرغتم من صلاة الخَوْف فداوموا على ذكر الله تعالى فى جميع الأحوال ، حتى فى حال المقارعة والالتحام . ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ﴾ سكنت قلوبكم بالعودة إلى أوطانكم ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أدُّوها فى أوقاتها بأركانها وشروطها وحدودها ، تامَّةً كاملةً . ﴿ كِتَاباً مَوْقُوتاً ﴾ مكتوبا محدود الأوقات مقدرا .

١٠٤ ـ ﴿وَلَا تَهِنُوا فِى ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ لا تضعفوا ولا تتوانَوْا فى طلب الكفار بالقتال ؛ مِن الوَهْن وهو الضَّعْف .

١٠٥ ـ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ نزلت فى طُعْمةَ بْنِ أُبَيْرِق من بنى ظَفَر ـ وكان هو وقومُه منافقين ـ سَرَق درعاً من جار له كانت فى جِراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خَرْق فى الْجِراب ، ثم خبّأها عند يهودى ؛ فالتُمست عند طُعمة بدلالة أثر الدقيق فى الطريق . فحلَف ما أخذها ، وما له علمٌ بها ؛ فتركوه واتّبعوا الأثر حتى انتهوْا إلى دار اليهودى فوجدوها عنده فقال : دفعها إلىّ طُعْمةُ ، وشهد له بذلك ناسٌ من اليهود . فانطلق قوم طُعمةَ إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وشهدوا زورًا أن اليهوديَّ هو السارق ، وسألوا الرسولَ صلّى الله عليه وسلّم أن يجادل عن صاحبهم ؛ فهمَّ أن يفعل ويعاقب اليهودى ، فنزلت الآية فلم يفعل . وهمَّ أن يقضى على طُعمة فهرب إلى مكة وارتدّ ، ونَقَب حائطاً ليَسْرق متاعَ أهله فسقط عليه ومات مرتدًّا . ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً﴾ أى ولا تكن لأجل الخَائنِين ـ وهم طُعمةُ وقومُه ـ مخاصِماً للبرىء من السرقة . وأصلُه من الخُصْم ـ بضم فسكون ـ وهو ناحية الشىء وطَرَفُه ؛ كأنّ كلّ واحد من الخصْمين فى ناحية من الدّعوى والحجّة ؛ واللّامُ للتعليل .

١٠٦ ـ ﴿واسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ أى ممّا هَمَمْت به فى أمر طُعمةَ واليهودى لظنّ صدق طُعمةَ وقومِه . أُمِر صلى الله عليه وسلم بالاستغفار ، وإن كان معذورًا ؛ لزيادة الثواب وإرشاده إلى التثبُّت ، وإلى أن ما ليس بذنب مما يكاد يُعَدّ حسنةً من غيره ، إذا صدر منه صلى الله عليه وسلم ـ بالنسبة لمقامه المحمود ـ يوشِك أن يكون كالذنب .

١٠٧ ـ ﴿وَلَا تُجَادِلْ﴾ لا تخاصم عن الذين يخونون أنفسهم بارتكاب المعاصى ؛ من المجادلة وهى شدّةُ المخاصمة . وأصلُها من الجَدْل ، وهو شدّة الفَتْل . ﴿ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ ﴾ يخونونها بارتكاب المعاصى .

١٠٨ ـ ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾ يدبّرون فيما بينهم قولاً باطلاً لا يرضاه الله ؛ من شهادة الزور ، ورَمْى البرىء بالسرقة ، وأصلُ التَّبْييت : تدبيرُ الفِعل ليلاً ، ثم أطلَق على كل

هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ
عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴿١٠٩﴾ وَمَن
يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ
غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ
عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ
خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا
وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿١١٢﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ
لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ
وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ
وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ
عَظِيمٗا ﴿١١٣﴾ ۞ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ
بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۢ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ
ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١١٤﴾
وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ
غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ
مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ

نصف الحزب

تدبير وإن لم يكن بالليل .

١٠٩ - ﴿وَكِيلاً﴾ محافظاً ومحامياً عنهم من عقاب الله تعالى . وأصلُ معنى الوكيلِ : مَن يُوكَل له الأمر ويُسند إليه ، ثم أطلق على ما ذكر مجازاً ، من استعمال الشيء في لازم معناه .

١١٠ - ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾ أى ومن يعمل عملاً يُسيء به غيرَه ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾ بارتكاب المعاصى ، ثم يَتُبْ توبةً صادقةً ﴿يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ ؛ وهو كقوله تعالى : (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ . أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ)[1] .

١١٢ - ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾ الخطيئة : الصغيرة من الذنوب . والإثمُ : الكبيرةُ منها . أو الأُولى الذنب المختصُّ بفاعله ، والثانى الذّنب المتعدّى إلى الغير . والبُهتانُ : الكذبُ على الناس بما يَبْهتُون به ، ويتحيّرون عند سماعه لفظاعته .

١١٤ - ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ﴾ أى مما يَتناجَى به النـاس ويخوضون فيه . والنَّجْوَى : اسمُ مَصْدَر بمعنى المُسارَّة . يقال : نجَوْته نجْوًا ونجوَى ، وناجيته مناجاةً ؛ أى ساررته . وأصلُه : أن تخلوَ بمَنْ تسارّه فى نَجْوة من الأرض ؛ وهى المكان المرتفع المنفصل بارتفاعه عما حوله . ويطلق على القوم المتناجين ؛ كما فى قوله تعالى : (وَإِذْ هُمْ نَجْوَى)[2] مبالغةً ، على حدّ : قومٌ عَدْلٌ . أو بتقدير مضاف ؛ أى ذَوُو

(١) آية ١٣٥ ، ١٣٦ آل عمران . (٢) آية ٤٧ الإسراء .

ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ

نجوى . ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ﴾ أى إلا فى نجوى الذين يأمرون بالصدقة ، أو بالبرّ والخير الذى يصل نفعُه إلى الناس ؛ فيسدّ حاجتهم ، أو يرشدهم إلى ما فيه خيرهم ودفع الشر عنهم ، أو بإصلاح ذات البَيْن عند المشاحنة والمُعاداة .

١١٥ - ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾ نُخلِ بينه وبين ما اختاره لنفسه من الضلال فى الدنيا ﴿وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ﴾ نُدْخله فيها فى الآخرة .

١١٦ - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [آية ٤٨ من هذه السورة] . وذُكرت هنا تكميلاً لقصّة من سبق بذكر الوعد بعد ذكر الوعيد فى ضمن الآيات السابقة .

١١٧ - ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثاً﴾ أى ما يعبدون من دون الله إلا أصنامًا سَمَّوْها بأسماء الإناث ؛ كاللّاتِ والعُزَّى ومَناةَ ، وكان لكل حيٍّ من أحياء العرب صنمٌ يعبدونه ، ويسمُّونه أنثى بنى فلان ، ويزيّنونه بالحلى كالنساء . ﴿وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَاناً مَرِيداً﴾ أى وما يعبدون بعبادة هذه الأصنام إلا شيطاناً عاتياً ؛ أغراهم بعبادتها فأطاعوه فكانوا له عابدين . والمَرِيدُ والمُتَمَرِّدُ : البالغُ الغايةَ فى الشرّ والفساد . يقال : مَرَد - كنَصَر وظَرُف - إذا عَتَا وتجبّر ، فهو ماردٌ ومريدٌ ومتمرِّدٌ . وأصلُ المادة للملاسة والتجرُّد ؛ ومنه صرحٌ ممرَّدٌ ، أى أملس . وشجرةٌ مرداءُ ، للتى تناثر ورقها . وغلامٌ أمردُ : لم ينبت فى وجهه شعر . ووُصف الشيطان بالتمرُّد لتجرّده للشّر ، أو لظهور شرّه ظهورَ عيدان الشجرة المرداء .

١١٨ - ﴿نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾ حظًّا مقدّرًا معلوماً ؛ مِن الفَرْض ، وأصلُه القَطْع . وأطلق هنا على المقدار المعلوم ؛ لاقتطاعه عمّن سواه من صالحى المؤمنين . فكلُّ من أطاع الشيطان فهو نصيبه المفروض .

١١٩ - ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ أى لأزيغنّهم عن طاعتك وتوحيدك ، ولأُلقيَنَّ فى صدورهم الأمانى الباطلة الميسِّرة للعصيان ﴿فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ﴾ أى فَلَيُقَطِّعُنَّها من أصلها ، أوليشقُّنَّها ؛ مِن البَتْك وهو القطع . ومنه : سيفٌ باتِك ، أى صارمٌ . وكانوا فى الجاهلية إذا ولَدت الناقة خمسةَ أبطن وجاء الخامسُ ذكرًا قطعوا أُذُنَها أو شقُّوها شقًّا واسعاً ؛ علامةً على أنهم حرّموا على أنفسهم الانتفاعَ بها وجعلوها للطواغيت ، وسمَّوْها البَحِيرة ؛ أى المشقوقة الأُذُن . والمرادُ : أنّه يُغريهم بعبادة الطواغيت . ويدعوهم إلى التقرُّب إليها بالبحائر ونحوها ؛ فيسارعون إلى إجابته . ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ أى فليغيِّرُنَّ ما خلقه الله عن نَهْجه صورةً وصفةً ؛ كفَقْء عين فَحْلِ الإبل فى بعض الأحوال ، وخِصَاءِ الإنسان والوَشْم ، واللّواطة والسِّحاقِ

إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا
مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ وَعْدَ
اللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ
وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا
يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ
مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ
يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا
مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ
وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ﴿١٢٦﴾

والتَّخنُّث ، وعبادةِ الكواكب والنار والأحجار ، وتغيير دينِ الله وأحكامِه .

١٢٠ - ﴿ غُروراً ﴾ خداعاً وباطلا .

١٢١ - ﴿وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ معدَلاً ومهرَباً . يفرُّون إليه للنجاة من عذابها . يقال : حاص عنه يَحيص حَيْصاً وحُيُوصاً ومحيصاً ، حاد وعدل .

١٢٢ - ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾ أى قَوْلاً . وهو مَصْدر قال ، أو اسمُ مصدر .

١٢٣ - ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ أى ليس ما وعد الله به من الثواب أو إدخال الجنة . أو ليس ما تحاورتم فيه حاصلاً بمجرّد أمانيّكم أيها المسلمون ، أو أمانيّ أهل الكتاب ، وإنما يحصل بالسّعْى والجدّ فى طاعة الله والعمل الصالح . والأمانيُّ : جمعُ أمنيّة ، وهى ما يَودّه الإنسان ويشتهيه . ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ من يرتكب معصِيَةً ، مؤمناً كان أو كافرًا ، يُجازه الله بها ، عاجلاً أو آجلاً ، أى إلّا إذا تاب أو تفضّل الله تعالى عليه بالمغفرة إذا كان مؤمناً . وأجمع العلماء على أن الأمراض والأسقام ، ومصائبَ الدنيا وهمومَها يكفّر الله بها الخطيئات . والأكثرون على أنها أيضا تُرفع بها الدرجات ، وتُكتب الحسنات .

١٢٤ - ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً﴾ لا يُبخسون من ثواب أعمالهم شيئاً مَا ، ولو تافهاً حقيراً كالنَّقير [آية ٤٩ ، ٥٣ من هذه السورة ص ١١٨ ، ١١٩] .

١٢٥ - ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أخلص نفسه أو توجهه وعبادته لله . ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً﴾ مائلاً عن سائر الأديان الزائغة إلى الدِّين الحق ؛ حالٌ من « إبْراهيمَ » . ومِلّتُه : شريعته الموافقة للإسلام . ﴿واتَّخَذَ اللَّهُ إبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ صفيًّا . مشتقٌّ من الخُلَّة ، وهى صفاء المودّة التى توجب الاختصاص بتخلّل الأسرار .

١٢٧ - ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى النِّسَاءِ﴾ ويطلبون منك الفَتْوَى ، أى تبيين المُشْكِل من الأحكام فى حقّ النساء من الميراث وغيره ؛ فقل لهم : الله يُفتيكم فى شأنهن ، ويُفتيكم ما يُتلى عليكم فى القرآن فى شأن اليتامى اللّاتى تمنعونهنّ ما فُرض لهن من الميراث وغيره ، وترغبون فى

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ۖ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ ۚ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾

نكاحهنّ لما لهن وجمالهن بأقلَّ من صداقهن . أو ترغبون عن نكاحهن وتعضُلونهنّ طمعاً فى أموالهن ؛ أى يبّين لكم ألا تفعلوا شيئاً من ذلك . ويُفتيكم أيضا فى شأن الصغار من الولدان أن تُورِّثوهم ؛ وكانوا لا يورّثونهم كما لا يورّثون النساء . ويُفتيكم أيضا فى شأن اليتامى ـ ذكورًا كانوا أو إناثًا ـ أن تقوموا بالعدل فى ميراثهم وسائر أموالهم وأحوالهم . ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ أو شرّ فى ذلك وغيره يعلمه الله ويحاسبكم عليه . فقوله : ﴿وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ معطوفٌ على اسم الجلالة ، أو على الضمير فى «يُفْتِيكم» و ﴿فِي يَتَامَى النِّسَاءِ﴾ متعلق بـ ﴿يُتْلَى﴾ . و﴿تَرْغَبُونَ﴾ أى فى نكاحهن أو عنه ، وكلٌّ من الحرفين مرادٌ على سبيل البدل . ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾ معطوفٌ على «يتامى النساء» . ﴿وَأَنْ تَقُومُوا﴾ عطف على ما قبله . ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل فى الميراث والأموال .

١٢٨ ـ ﴿بَعْلِهَا﴾ زوجها . ﴿نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً﴾ النُّشوزُ : أن يتجافى عنها بأن يمنعها نفسَه ونفقتَه ومودّته ، ويؤذيها بسببٍ أو ضرب . والإعراضُ : أن يقلّل محادثتَها ومؤانستَها ، وهو أخفّ من النُّشوز . ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ أى جُبلت على الإفراط فى الحِرْص والبخل ؛ فكأنّه حاضِرُها لا يَنْفَكُّ عنها أبدًا .

١٢٩ ـ ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا﴾ أى العدل المطلق الكامل بين زوجاتكم فى القَسْم والنفقة ، والتَّعهُّدِ والنظر ، والإقبالِ والمجالَةِ والمفاكهةِ ، والمحبةِ والانعطافِ وغيرِ ذلك . ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ عليه أتمّ الحرص ، ولذلك لم يكلفكم الله به ؛ إذ التّكليف الشّرعى إنما يكون بما فى الوسع والطّاقة ، فقاربوا واجتهدوا ألّا تميلوا المَيْلَ المحظورَ إلى واحدة منهن فى حقوق الزوجيّة ، بحيثُ تكون الأخرى كأنها معلَّقةٌ لا هى مطلقة ولا هى ذات بَعْل ، وجاهدوا أنفسَكم حتى تصِلُوا إلى الحدّ المستطاع من العدل الذى يباح لكم معه تعدُّد الزوجات . [راجع آية ٣ من هذه السورة ص ١٠٦] .

١٣٠ ـ ﴿سَعَتِهِ﴾ فضله وغناه ورزقه .

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ
أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن
تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ
وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ
وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن
كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟
قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ
وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ
فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ
ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟
ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ
وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ
وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ
ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟
ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ
وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا
أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ

ثلاثة أرباع الحزب

١٣٢ - ﴿وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً﴾ كفيلاً بالأمر معتمَدًا عليه . يقال : وكّل فلانٌ فلاناً ، إذا استكفاه أمْرَه ثقةً بكفايته ، أو عجزًا عن القيام بأمر نفسه .

١٣٥ - ﴿قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ مواظبين على إقامة العَدْل فى جميع الأمور ، لا تميلون عنه ، ولا يَصرفكم عنه صارف ؛ متعاونين متناصرين فيه . ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا﴾ أى أنهاكم عن اتّباع أهواء نفوسكم ، لتتّصفوا إذا انتهيتم عنها بصفة العدل . كما يقال : لا تتبع هواك لتُرْضِىَ ربَّك ؛ أى أنهاك عنه كيْما تُرضي ربَّك بتركه . فقوله «أَنْ تَعْدِلُوا» من العدل ضِدُّ الجَوْر ، وهو علّةٌ للنّهى بتقدير اللام . ﴿وَإِنْ تَلْوُوا﴾ أى وإن تَلْوُوا ألسنتكم عن الشهادة بالحق ، بأن تحرّفوها وتقيموها على غير وجهها الذى تستحقّه ؛ من اللّىّ وهو الفَتْل ؛ كما فى قوله تعالى : (لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ)[1] . ﴿أَوْ تُعْرِضُوا﴾ عنها بترك إقامتها رأساً ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ فيجازيكم بما عملتم . وقُرِئَ «تَلُوا» بضم اللام وبواو واحدة ؛ من الولاية بمعنى مباشرة الشهادة .

١٣٧ - ﴿ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾ بتكرُّر الارتداد منهم وإصرارهم على الكفر ، وتماديهم فى الغىّ حتى ماتوا على كفرهم . ﴿لَمْ

(١) آية ٤٦ النساء .

يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ لأنه تعالى لا يغفر أن يُشرك به . ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً﴾ أى طريقاً إلى الجنّة ؛ لأنهم ليسوا من أهلها لسوء اختيارهم وفساد استعدادهم . وهو نظير قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً . إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا) [1] .

الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ

١٣٩ - ﴿أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ﴾ أى أيطلب المنافقون عند اليهود المَنعةَ والقوّة والغلبة ؛ فيتّخذونهم أولياء وأنصارًا لهم من دون المؤمنين ؟! وقد كانوا يقولون فيما بينهم : إنّ أمْرَ محمد لا يتمّ فتولّوا اليهود . وأصلُ العزّة : الشدّةُ . يقال : عَزَّ عليّ أن يكون كذا ، أى اشتدَّ عليَّ ذلك . ومنه استعزَّ عليه المرض ، أى اشتدّ عليه وغلبه . والعَزازُ للأرض الصُّلبة الشديدة . والاستفهام للإنكار . وقيل للتعجُّب .

١٤٠ - ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ الخطابُ للمنافقين الذين تولّوا اليهود ، وخاضوا معهم فى الاستهزاء بالقرآن ؛ كما خاض مشركو مكّةَ من قبلُ فى ذلك . وفيه توبيخٌ شديدٌ لهم ، حيث فعلوا ذلك مع تحقُّق ما يمنعهم منه ، وهو نزول القرآن بالنّهى عن مجالسة المشركين الذين يخوضون فى آيات الله بالباطل فى قوله تعالى فى سورة الأنعام وهى مكيّة : (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ) [2] وهو يستلزم النّهيَ عن موالاتهم على أبلغ وجْهٍ وآكده . ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ أى إنكم إنْ قعدتم معهم كنتم مثلَهم فى الكفر واستحقاق العذاب . ثم أخبر اللهُ أنه جامع المنافقين والكافرين من المشركين واليهود فى جهنّمَ جميعاً ؛ لاشتراكهم فى موجب هذا العذاب الخالد . والخوضُ فى الأصل : الدخولُ فى مائع كالماء والطّين . يقال : خاض يخوض خوضاً ، دخل ، واسمُ المكان مَخاض جمع مخاضة ، ثم صار اسماً لكل دخول فيه تلويث ؛ وتُجُوِّز به إلى القول الباطل ، واستعمالُه فى ضدّه للمشاكلة . ويؤخذ من الآية النّهيُ عن مجالسة أهل الباطل عامّةً عند خوضهم فى باطلهم ؛ كالمُبْتَدِعة والفُسّاق والملاحدة .

١٤١ - ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ وَصفَ اللهُ المنافقين بأنهم ينتظرون ما يحدث للمؤمنين من خير أو شر ، أو من نصر أو هزيمة . ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ﴾ أى نصرٌ منه وخيْر لكم ﴿قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ فى

(١) آية ١٦٨ ، ١٦٩ النساء . (٢) آية ٦٨ الأنعام .

وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ

حزب ١١ جزء ٦

الجهاد فأعطونا نصيباً من الغنائم . والفتحُ : النَّصرُ ؛ كالفَتاحة . ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ أى دُولَةٌ وظهورٌ على المؤمنين ﴿قَالُوا﴾ للكافرين ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾ أى ألم نغلبكم ونتمكّن من قتلكم وأسْركم فأبْقينا عليكم ﴿وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أى ألم ندفع المؤمنين عنكم بتخذيلهم ، ومراسلتِنا إياكم بأخبارهم وأسرارهم ؛ فأعطونا نصيباً مما أصبتم منهم . والاستحواذُ : الاستيلاء والغَلَبةُ . يقال : استحوذ عليه ، أى غَلَب عليه . ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ أى حجةً يوم القيامة . وقيل فى الدنيا ؛ فلا حُجةَ لهم يغلبون بها المؤمنين ؛ لأنهم على الباطل والمؤمنون على الحق . والسبيلُ : الطريقُ ، وما يُتوصّل به إلى الشيء ، وأطلق على الحُجّة مجازًا .

١٤٢ - ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ يفعلون ما يفعل المخادع ، حيث أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر ، وهو تعالى فاعل بهم ما يفعل الغالب فى الخداع ؛ حيث تركهم فى الدنيا معصومى الدّماء والأموال ، تجرى عليهم أحكام الإسلام بحسب الظاهر ، وأعدَّ لهم فى الآخرة الدَّرْكَ الأسفلَ من النار . وخَادِعٌ : اسمُ فاعل ؛ من خادعته فخدعته ، إذا غلبته وكنت أخدعَ منه .

١٤٣ - ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ مُرَدَّدِين متحيِّرين بين الكفر والإيمان ، قد ذبذبهم الشيطان بينهما أو بين المؤمنين والكافرين المعلنين . وأصلُ الذّبْذَبة : حكايةُ صوت الحركة للشيء المعَلّق ، ثم استعير لكل حركة واضطراب ، أو تردّد بين شيئين . يقال : ذبذبه ذبذبةً ، أى تركه حيرانَ متردِّدًا ؛ كالشاة العائرة - وهى المتردِّدة - بين قطيعين لا تدرى أيّهما تتبع .

١٤٤ - ﴿سُلْطَاناً مُبِيناً﴾ حجة ظاهرة فى العذاب .

١٤٥ - ﴿فِى الدَّرْكِ الأَسْفَلِ﴾ أى فى الطّبَق الأسفل من أطباقها السَّبعة . وسُمّيَتْ دركاتٍ لكونها متداركة ، أى متتابعة بعضها تحت بعض . والدَّرْك لغة فى الدَّرَك وهو كالدَّرَج ؛ إلّا أن الدّرج يقال باعتبار الصعود ، والدّرك باعتبار النزول والحدور . ولذا قيل : درجاتُ الجنة ، ودركات النار .

مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

١٤٨ - ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ﴾ أى إعلانَه وإظهارَه. وكذا الإسرارُ به . ﴿مِنَ الْقَوْلِ﴾ ومثلُه الفعل ، لكن يباح للمظلوم أن يَجْهَر بما فى ظالمه من السُّوء ليدفع عن نفسه شرَّه .

١٥٠ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ نزلت فى اليهود الذين آمنوا بموسى وكفروا بعيسى ومحمد . وفى النصارى الذين آمنوا بعيسى وكفروا بمحمد - عليهم الصلاة والسلام - تفريقاً بين الله ورسله ، واللهُ سبحانه قد أمرهم بالإيمان بجميع رسله .

١٥٣ - ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ نزلت فى أحبار اليهود حين سألوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم تعنتاً: أن يأتيَهم من السماء بكتاب جملةً واحدةً ، كما أتى موسى عليه السلام بالتوراة ؛ وجَهلوا الحكمةَ فى تفصيل آيات القرآن وجَعْلِه نُجومًا . ﴿جَهْرَةً﴾ عيانًا بالبصر . ﴿الصَّاعِقَةُ﴾ نار من السماء أو صيحة منها .

١٥٤ - ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾ حين امتنعوا من قبول التوراة ؛ ليخافوا فيقبلوها ولا ينقضوا العهد والميثاق ؛ وهو كقوله تعالى : (وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(١) . ﴿لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾ لا تجاوزوا فى يوم السبت ما أبيح لكم إلى ما حُرِّم عليكم ، وهو الاصطياد فيه . ﴿مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ أى عهدًا وثيقًا مؤكَّدًا بأن يطيعوا الله ؛ فعصَوْا ونقضوا العهد .

١٥٥ - ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [راجع آية ٨٨ البقرة ص ٢٢] . ﴿طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا﴾ أى ختم عليها فحجبها عن العلم .

١٥٦ - ﴿بُهْتَاناً عَظِيماً﴾ أى كذباً وباطلاً فاحشاً .

١٥٧ - ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾

(١) آية ١٧١ الأعراف .

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ
ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا
بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ
عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ
عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن
شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم
بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل
رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ
أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا
عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ
ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾
لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ
إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ * إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ

ربع الحزب

زعم أكثر اليهود أنهم قتلوا المسيح وصلبوه ؛ فأكذبهم الله تعالى فى ذلك وقال : ﴿وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ أى شُبِّه لهم المقتولُ بأن أُلقِى عليه شَبَهُ المسيح ؛ فلما دخلوا ليقتلوا المسيح وجدوا الشّبيه فقتلوه وصلبوه ، يظنُّونه المسيح وما هو به فى الواقع ؛ إذ قد رفع الله عيسى إلى السماء ، ونجّاه من شر الأعداء . وقيل : المعنى ولكن التبس عليهم الأمر حيث ظنّوا المقتول عيسى كما أوْهَمَهُم ذلك أحبارُهم . ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِنْهُ﴾ وهم اليهود ؛ حيث قال بعضهم : قتلناه حقًّا ، وتردَّد فيه آخرون . والنصارى حيث قال بعضهم : صُلب النّاسوتُ ورُفع اللاّهوتُ . وقال بعضهم : قُتِلَا معًا . وقال فريق : رأيناه قُتل . وفريق : رأيناه رُفع . وكلُّهم ضُلّال كَذَبة ، وما لهم بذلك من علم ! ولكنهم يظُنّون ظنًّا ويتّبعون وهمًا ، وما قتلوه متيقِّنين أنه هو ، بل رفعه الله إلى السماء التى لا حُكمَ فيها إلا لله تعالى ، وطهّره من الذين كفروا .

١٥٩ - ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ أى ما أحدٌ من أهل الكتاب الموجودين عند نزول عيسى عليه السلام آخرَ الزمان إلا ليؤمننّ بأنه عبدُ الله ورسولُه وكلُمته ، قبل أن يموتَ عيسى وتكونَ الأديان كلُّها دينًا واحداً ، وهو دين الإسلام الحنيف ، دينُ إبراهيم عليه السلام . ونزولُ عيسى عليه السلام ثابتٌ فى الصحيحين ، وهو من أشراط الساعة .

١٦٢ - ﴿والْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ أى وأخصّ المقيمين الصلاة

إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ
وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ
وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾
وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ
نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾
رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ
حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ
يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ
وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾
إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى
ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ
بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟
فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا
تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ
مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ
فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا

بالذِّكْر أو بالمدح . وقُرِئ « والمقيمون » .

١٦٣ - ﴿وَالْأَسْبَاطِ﴾ أولاد يعقوب عليه السلام لصُلْبه ، وقيل : أولادُهم . وفى نبوّة مَنْ عدا يوسفَ منهم خلاف ؛ وصحّح السُّيوطى والآلوسىّ عدمَها . فالمرادُ من الإيحاء إليهم : الإيحاءُ إلى الأنبياء منهم ؛ كما تقول : أرسلت إلى بنى تميم ؛ تريد أرسلت إلى رؤسائهم ووجوههم . ﴿زَبُورًا﴾ أى مزبورًا بمعنى مكتوب ، ولم يكن فيه أحكام ؛ بل فيه تقديسٌ وتحميدٌ وثناءٌ على الله عزّ وجلّ ، ومواعظ وحِكَم .

١٦٦ - ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ أى بعلم تامّ وحِكمة بالغة منه تعالى . أو بما علِمَهُ من مصالح عباده فى إنزاله عليك .

١٦٨ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا﴾ أى وظلموا أنفسهم بالضلال البعيد والصدِّ عن سبيل الله ؛ فازدادوا بذلك كفرًا وأصرُّوا عليه إلى المات ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ كما قال تعالى : « إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ » (١) . ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا . إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ لفساد استعدادهم [راجع آية ١٣٧ من هذه السورة ص ١٣٤] . والتعبيرُ بالهداية فى جانب طريق النار ضَرْبٌ من التّهكم بهم .

١٧١ - ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾

(١) النساء آية ٤٨ .

لَكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾

خطابٌ للنصارى ، زجرًا لهم تفرطوا . والغُلُوّ : مجاوزةُ الحدّ .
عمّا هم عليه من الضلال البعيد . وقد غلَوْا في الدِّين فقالوا على الله
﴿لَا تَغْلُوا﴾ لا تجاوزوا الحد ولا غيرَ الحق ، ونسبُوا له ابنًا

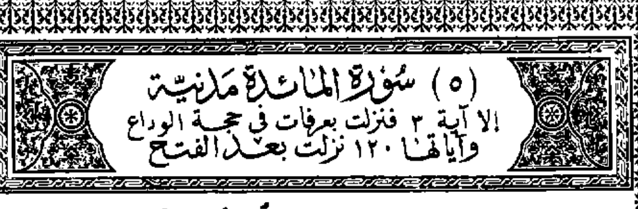
وشريكًا ، تعالى الله عما يقولون عُلُوًّا كبيرًا ! ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ [راجع آية ٣٩ آل عمران ص ٧٩] . ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ أي وذو روحٍ من أمر الله تعالى ، خلقه كسائر الأرواح .

١٧٢ - ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ﴾ لن يأنف ولن يترفّع عن عبوديّته وطاعته لخالقه تعالى . والاستنكافُ : الأَنَفَةُ والترفعُ ؛ يقال : استنكف أي استكبر . وأصلُه من النَّكْف ، وهو تنحية الدَّمع عن الخَدّ بالإِصْبَع ورفعُه عنه .

١٧٤ - ﴿بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ هو رسوله محمد صلى الله عليه وسلّم ، وما جاء به من البيّنات من ربّه . وعبّر عنه صلى الله عليه وسلم بذلك لما معه من المعجزات الباهرة الشاهدة بصدقه ؛ كما عبّر عنه بالبيّنة في قوله تعالى : (حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ)[1] ﴿وَنُورًا مُبِينًا﴾ : هو القرآن الكريم .

١٧٦ - ﴿يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [راجع آية ١٢ من هذه السورة ص ١٠٩] . ﴿لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾ أي ولا والد ؛ ولم يُذكر في الآية لعلمه من لفظ الكلالة . ﴿وَلَهُ أُخْتٌ﴾ أي لأبوين أو لأب . وأمّا الأختُ لأمٍّ ففرضُها السُّدُس ؛ كما في آية ١٢ من هذه السُّورة[2] . والله أعلم .

(١) آية ١ البينة . (٢) صفحة ١٠٩ .



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نصف الحزب

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾

١ - ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ بالعهود المؤكّدة ، وهى ما ألزمه الله عبادَه وعقدَه عليهم من التكاليف ، وما يَعقدونه فيما بينهم من عقود المعاملات والأمانات ونحوها ؛ مما يُطلب شرعًا الوفاءُ به . والإيفاءُ والوفاءُ : الإتيانُ بالشىء وافيًا . يقال : وفَى ووفى وأوفى بمعنًى . والعقودُ : جمعُ عَقْد ؛ وأصلُه الرّبطُ محكمًا ، تُجوِّز به عن العهد الموثّق ، وهو المراد هنا . ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ البهيمةُ : اسمٌ لذوات الأربع من دوابّ البرّ والبحر . والأنعامُ : الإبلُ والبقرُ والغنمُ ؛ ولا يدخلُ فيها الحافرُ لغةً . والإضافةُ للبيان ، وهى بمعنى «مِن» ؛ كخاتم فضّة . وأُلحِق بها فى حِلّ الأكل ما يماثلها فى الاجترار وعدمِ الأنياب ؛ كالظِّباء وبَقَر الوَحْش . ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ أى إلّا ما يُتلى عليكم تحريمُه فى الآية الثالثة . ﴿غَيْرَ مُحِلِّى الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ أى أُحلّت لكم بهيمةُ الأنعام كلِّها ، غيرَ مُجوِّزين للاصطياد أو الانتفاع بالمَصِيد وأنتم مُحرِمُون بحجٍّ أو عُمْرة ، سواءٌ أكنتم فى الحِلّ أم فى الحَرَم . يقال : أحْرَم فهو مُحْرِم وحَرَامٌ وهم حُرُم . فإذا تحلّلتم من الإحرام حلّ لكم ذلك ؛ لقوله تعالى : «وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا» . وفى حكم المُحْرِم من كان فى الحَرَم وليس مُحْرِمًا . و «غَيْرَ» حالٌ من الضمير فى «لكم» . و ﴿مُحِلِّى﴾ : جمعُ مُحِلٍّ بمعنى مستحِلّ . و ﴿الصَّيْدِ﴾ : مصدرٌ بمعنى الاصطياد ، أو اسمٌ للحيوان المَصِيد . وجملةُ «وَأَنْتُمْ حُرُمٌ» حالٌ من الضمير فى «مُحِلِّى» .

٢ - ﴿لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ﴾ لا تنتهكوا حُرمةَ أعلام دين الله ومتعبَّداته فى الحجّ وهى مناسكه . أو الأعمال الحجّية التى جعلها الله علامةً على طاعته والتسليم إليه . جمعُ شعيرة بمعنى العلامة . [آية ١٥٣ البقرة ص ٣٦] . ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ ولا تُحِلُّوا الأشهرَ الحُرُمَ الأربعةَ بالقتال فيها ، وهو عند الجمهور منسوخ بآية : (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ)(١) . ﴿وَلَا الْهَدْىَ﴾ ولا تُحِلُّوا حُرمة

(١) آية ٥ التوبة .

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ

ما يُهدَى إلى البيت الحرام من الأنعام تقرُّبًا إلى الله تعالى بالتعرُّض له ؛ بنحو غَصْب أو سَرقة أو حَبْس عن بلوغه مَحِلَّه[1] . ﴿ وَلَا الْقَلَائِدَ ﴾ جمعُ قِلادة وهى ما يُقَلَّدُ به الهَدْىُ ليُعلمَ أنه مُهْدًى إلى البيت الحرام فلا يَتعرَّض له أحد بسوء . والمرادُ : لا تُحِلُّوا ذوات القلائد وهى البُدْنُ بالتعرُّض لها . وخُصَّت بالذكر مع أنها من الهَدْى اعتناءً بها ؛ لأن الثوابَ فيها أكثرُ ، وبهاءَ الحجّ بها أظهرُ . ﴿وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ أى ولا تُحلُّوا أذى قوم قاصدين البيتَ الحرامَ . جمعُ آمٍّ ؛ من الأَمّ وهو القصد المستقيم . والمراد بهم المشركون ، وهو منسوخ بآية : (فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا)[2] أو بآية السيف أو بهما . ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا﴾ المرادُ منه : التجارة والمكاسب . ﴿وَرِضْوَانًا﴾ هو ما يطلبونه من الرضاء بزعمهم . ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ﴾ لا يَحملنَّكم بغضُكم للمشركين من أجل صدِّهم إيّاكم عن المسجد الحرام يومَ الحُدَيْبِيَة على اعتدائكم عليهم انتقامًا منهم ؛ من جَرَمه على كذا حمله عليه . أو لا يَكْسِبَنَّكُمْ بغضُكم لهم الاعتداءَ عليهم ؛ من جَرَم بمعنى كَسَب ، غير أنه يُستعمل غالبًا فى كَسْب مالا خيرَ فيه ؛ ومنه الجريمة . وأصل الجَرْم قَطْعُ الثمرة من الشجرة ، وأطلِق على الكسب لأن الكاسب ينقطع لكسبه . والشَّنَآن : البُغض أو البغضُ المصحوبُ بتقزُّز . مصدرُ شنأه - كمَنَعه وسَمِعه - أى أبغضه . ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ أى على فعل الطاعات واجتناب المنكَرات والمنهيّات . ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ﴾ وهو تركُ ما أمَرَ الله بفعله ، وفعلُ ما أمر بتركه . ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ وهو مجاوزةُ حدودِ الله .

٣ - ﴿وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾ يعنى الخنزير بجميع أجزائه . ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ ما ذُكر على ذبحه غيرُ اسمه تعالى ، من صَنَم أو وَثَن أو طاغوت أو نحو ذلك [آية ١٧٣ البقرة ص ٣٩] . ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ البهيمةُ التى تموت بالخَنْق ، سواءٌ أكان بفعلها كأن تُدخل رأسها فى موضع لا تستطيع التخلّص منه فتموت ؛ أم بفعل غيرها . ﴿ وَالْمَوْقُوذَةُ ﴾ البهيمةُ التى تُضرب بمثقل غير محدَّد ، كخشب أو حجر حتى تموت ؛ وكانوا فى الجاهلية يضربونها بالعِصىّ حتى إذا ماتت أكلوها . ﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾ البهيمةُ التى تسقط من عُلُوٍّ فتموت من التردى ؛ مأخوذٌ من الرَّدَى بمعنى الهلاك . ﴿ وَالنَّطِيحَةُ ﴾ التى تَنْطَحُها أخرى فتموت من النِّطَاح . يقال : نطحه يَنْطَحُه ويَنْطِحُه ، أصابه بقَرْنه . ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾ أى ما بقِىَ من الحيوان بعد أكل السَّبُع منه ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ استثناء من التحريم ؛

(١) أى موضعه الذى يحل فيه إراقة دمه . (٢) آية ٢٨ التوبة .

لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى

أي إلّا ما أدركتم ذكاته من المُنْخَنِقَة وما عُطف عليها وفيه بقيةُ حياة ، يضطّرب اضطرابَ المذبوح وذكّيتموه فإنه يحلّ ؛ مِن التذكية وهى الإتمام . يقال : ذكّيتُ النارَ إذا أتممتُ اشتعالَها . والمراد هنا : إتمامُ فَرْى الأوداج وإنهارُ الدّم . والتفصيلُ فى الفقه . ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ جمعُ نِصاب ، ككتب وكتاب . أو نَصْب ؛ كسُقُف وسَقْف . أو واحد الأنصاب ، وهى والنُّصُب أحجارٌ نصبوها حولَ الكعبة ، كانوا يذبحون عليها ويعظّمونها ويلطخونها بالدماء ، وهى غير الأصنام ، إنما الأصنام المصوَّرة المنقوشة . ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ وأن تطلبوا عِلْمَ ما قُسم لكمْ فى سفر أو غَزْوٍ ونحو ذلك بواسطة الأزلام ، وتُسمَّى القِدَاح ، وهى سِهامٌ كانت لديهم فى الجاهلية مكتوبٌ على أحدها : أمَرنى ربّى ، وعلى الآخر : نهانى ربّى ، والثالث غُفْلٌ من الكتابة ؛ فإذا أرادوا شيئًا من ذلك أتَوْا إلى بيت الأصنام واستقسموها ؛ فإن خرج الآمِرُ أقدموا على الأمر ، وإن خرج الناهي أمسكوا عنه ، وإن خرج الغُفْل أجالوها ثانيًا حتى يخرج الآمرُ أو الناهى . وواحدُ الأزلام : زُلَم ؛ كجَمَل وصُرَد . ﴿ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ أى الاستقسامُ بالأزلام . أو تناول جميع ما ذُكر من المحرّمات خروجٌ عن طاعة الله تعالى . ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ المرادُ به : يومُ عَرَفَة ، وهو يومُ الجُمُعة عامَ حَجّة الوداع . واليأسُ : انقطاعُ الرجاء ، وهو ضد الطمع . ﴿مِنْ دِينِكُمْ﴾ أى من إبطال أمر دينكم . ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾ أى فمن ألجأته الضرورةُ إلى أكل شيء من هذه المحرّمات فى مجاعة شديدة ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ أى غيرَ مائلٍ إليه بأن يكونَ غير باغٍ ولا عادٍ فأكل فلا إثم عليه . والاضطرارُ : الوقوعُ فى الضرورة . والمَخْمَصَةُ : خلوُّ البطن من الغذاء عند شدّة الجوع . و «مُتَجَانِفٍ» من الْجَنَفِ وهو الميل . يقال : جَنِفَ عن الحق كفرِح – إذا مال عنه . وَجَنَفَ عن طريقه – كفرح وضرب – جَنَفًا وجُنُوفًا ، مال عنه .

٤ – ﴿الطَّيِّبَاتُ﴾ ما أذن الشارع فى أكله . ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾ وأحلّ لكم صيدُ ما درّبتم على الصيد من سباع البهائم ؛ كالفهود والكلاب . وسباعِ الطير ؛ كالصُّقور ونحوها

ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾

مما يقبل التعليم والتدريب . وسمّيت جوارحَ لكسبها القُوت لأصحابها من الصيد . يقال : جَرحَ فلان أهله يجرَح ويجترح ، أى تكسّب لعياله . ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ أى مؤدِّبين ومعوِّدين لها على الصيد ؛ من الكَلَب بمعنى الضَّراوة . يقال : كَلِبَ الكلبُ يكلَبُ واستكلب ، ضرِىَ وتعوّدَ أكلَ الناس . ﴿واذْكُروا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ﴾ أى على ما علّمتم من الجوارح عند إرساله .

٥ ـ ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أى وذبائحُهم حلالٌ لكم إذا ذكروا عليها اسمَ الله تعالى عند الذّبح ؛ فإن ذكروا عليها اسمَ غيره قيل لا تحلّ . وذهب أكثر أهل العلم إلى أنها تحلّ ؛ وهو قول الشَّعْبىّ وعطَاء قالا : فإن الله قد أحلَّ ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون . ﴿والمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ ...﴾ وأُحِلَّ لكم العفائفُ من المؤمنات ومن الكتابيّات . وخُصّ المحصناتُ بهذا المعنى بالذِّكر للترغيب فى نكاحهنّ ، والحثّ على اختيارهن . ﴿أُجُورَهُنَّ﴾ أى مهورهن . ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ أعفّاءَ بالنكاح ، غيرَ مجاهرين بالزّنا . يقال : سَفَح الماءَ يَسْفَحُه إذا صبّه . ﴿وَلَا مُتَّخِذِى أَخْدَانٍ﴾ أى صديقات للزّنا بهن سرًّا جمعُ خِدْن وهو الصّديق ؛ يُطلق على الذَّكر والأنثى [آية ٢٤ النساء ص ١١٢] .

٦ ـ ﴿قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ أردتم القيام إليها وأنتم محدِثون حَدَثًا أصغر . ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ أى واغسلوا أيديكم مع المرافق ، وأرجلكم مع الكعبين . فـ «إلى» بمعنى مع ؛ كما فى قوله تعالى : (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ)[1] أى مع أموالكم . ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ [آية ٤٣ النساء ص ١١٦] . ﴿الْغَائِطِ﴾ موضع قضاء الحاجة (كناية عن الحدث) . ﴿لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ واقعتموهن أو مسستم بشرتهن . ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ ترابًا . أو وجه الأرض ـ طاهرًا . ﴿حَرَجٍ﴾ ضيق فى دينه وتشريعه . .

٧ ـ ﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِى وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾ واذكروا عهد الله الذى عاهدكم عليه ؛ وهو الميثاق الذى أخذه عليكم حين بايعتم الرسول صلى الله عليه وسلم على السّمع والطّاعة فيما أحببتم وكرهتم فى ليلةِ العَقَبة أو تحتَ الشجرة .

٨ ـ ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلهِ﴾ ليكن من دأبكم أن تقوموا لله بالحقّ فى كل ما يلزمكم القيام به ، من العمل بطاعته واجتناب منهيّاته . ﴿شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ شاهدين بالعدل . ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ﴾ [آية ٢ من هذه السورة

(١) آية ٢ النساء .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾



* وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ

ص ١٤١] . ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ تذكيرٌ بنعمةٍ خاصّةٍ بعد التذكير بنعمةٍ عامّةٍ ؛ وهي إنجاؤهم من كيدِ أعدائهم . ﴿أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ أي يَبْطِشُوا بكم بالقتل والإهلاك . يقال : بَسَط يده إليه ، إذا بطش به . وبَسَط إليه لسانه ، إذا شتمه . والبَسْطُ فى الأصل : مطلقُ المدّ ، وإذا استُعْمِلَ فى اليد واللسان كان كنايةً عما ذُكر .

١٢ - ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بيانٌ لما كانوا عليه من نقض العهود والمواثيق ، وتحريفِ التوراة والإعراض عنها ، والخيانةِ للرسل . ﴿نَقِيبًا﴾ كفيلاً ، كفلوا عليهم بالوفاء لله بما واثقوه عليه من العهود ؛ من التّنْقيب وهو البحثُ والتّفتيش . والنّقيبُ : من يُنَقِّب عن أحوال القوم وأسرارهم فيكون شاهدَهم وضمينَهم وعريفَهم . وأصلُه من النَّقْب وهو الثقْبُ الواسعُ والطريقُ فى الجبل . ﴿وعزّرْتُمُوهُمْ﴾ نصرتموهم مع تعظيمهم وطاعتهم ؛ من التعزير وهو النصر والإعانة مع التعظيم والتفخيم ، وذلك بالذّبِّ عنهم والاعانة لهم والانقيادِ إليهم . ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ هو ما كان عن طِيب نفْسٍ . أو ما لا يتبعه منٌّ ولا أذًى أو ما كان من حلال .

١٣ - ﴿لَعَنَّاهُمْ﴾ طردناهم من

ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ
بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ
رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ
وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ
مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ
وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ
ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ
أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ
جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ
مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ
وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم
بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ
وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ
رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا
مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ
كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ
ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم

رحمتنا بسبب نقْضهم ميثاقهم عقوبةً لهم. ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ يغيرونه. أو يؤولونه بالباطل. ﴿عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾ على خيانة وغدْرٍ منهم. اسمٌ وُضع موضع المصدر، كقائلةٍ فى موضع القيلولة. وتلك عادتهم مع رسلهم.

١٤ - ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ بيانٌ لقبائح النصارى وجناياتهم إثْر بيان قبائح اليهود وشرورهم. و «نَصارَى» جمع نصران؛ كندامى جمع نُدمان، ولم يُستعمل نصران إلا بياء النَّسب. وقد صارت كلمة نصرانىّ لقبًا لكل من اعتنق المسيحيَّة. أى وأخذنا من الذين قالوا إنَّا نصارى ميثاقهم. ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ...﴾ ألزمْنا أو ألصقْنا بينهم العداوة والبغضاء. يقال: أغريْتُ فلانًا بكذا حتى غَرِىَ به، نحو ألزمتُه به وألصقته، وأصلُ ذلك من الغِراء وهو ما يُلصق به.

١٥ - ﴿نُورٌ﴾ هو محمد صلى الله عليه وسلم.

١٩ - ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾ أى يبيّن لكم شرائع الدِّين على انقطاع من الرُّسُل، وطمُوسٍ من السُّبُل، وتغيّر الأديان، وكثرة عبادة الأوثان؛ فكانت النِّعمة به أتمَّ النِّعَم. وأصلُ الفَترة: الانقطاعُ؛ يقال: فَتَر الماءُ إذا انقطع عما كان

مُلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ * وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾



عليه من البرودة إلى السخونة . وفَتَر عن عمله يَفْتُر ويَفْتِر فتورًا ، إذا انقطع عما كان عليه من الجدّ . وسُمِّيت المُدّةُ التى بين النبيّين فَتْرةً ؛ لفتور الدواعى فيها إلى العمل بتلك الشرائع .

٢١ - ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ هى بيت المَقْدس ، وقيل : دِمَشْق وفِلَسْطِين والأرْدُنّ . وقيل : أرض الطور وما حوْلَه .

٢٢ - ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ شديدى البَطْش متغلِّبين ، لا تتأتّى مقاومتهم ، وكانوا من العَمالقة بقايا قوم عاد ، استحوذوا عليها وملكوها بعد أن كانت فى حَوْزة اليهود فى زمن يعقوب عليه السلام . جمعُ جَبَّار ، صيغةُ مبالغة ؛ من جَبَر - الثلاثى - وهو الذى يَقْهَر الناس ويُكرههم على ما يريده .

٢٥ - ﴿فَافْرُقْ﴾ فافصل بحكمك .

٢٦ - ﴿يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أى يسيرون متحيّرين فى الأرض ، عقوبةً لهم على تفريطهم فى أمر الله تعالى ؛ من التّيه وهو الحَيْرة . يقال : تاه يَتيه ويَتُوه إذا تحيّر . وتوّهه إذا حيّره . ووقع فى التّيه والتّوْه ، أى فى مواضع الحَيْرة . وأرضٌ تِيهٌ أى مضِلّة ؛ ومنه سُمّيت هذه الأرض البرّية التى بين مصر والشام بالتّيه . ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ فلا تحزن أى حَزن ، فهو أسيٌّ مثل حزين . وأسًا على مصيبته - من باب عدا - حَزِن . ﴿قَرَّبَا عليهم ؛ من الأسَى وهو الحزن . يقال : أسِيَ أسًى - كتَعب - حَزِن .

إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ

قُرْبَانًا﴾ اسمٌ لمَا يُتقرَّب به إلى الله تعالى من صدقة أو ذبيحة أو نحوهما. وهو فى الأصل مصدر قَرُب منه ـ ككَرُم ـ إذا دنا. وكانت أمارة قبول القرابين أن تنزل من السماء نارٌ بيضاءُ فتأكلها؛ فإن لم تنزل لم تكن مقبولة، فتأكلها السباع والطير لعدم جواز أكل القرابين إذ ذاك.

٢٩ ـ ﴿أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ تَرجع وتُقِرّ؛ من البَوْء وهو الرجوع واللّزوم، يقال. باء إليه رجع، وبُؤْت به إليه رجعت. وباء بحقّه أقرّ ولزم؛ أى أنى أريد أن تبوء بإثم قتلك لى، وبإثمك الذى قد صار إليك بذنوبك من قبل قتلى.

٣٠ ـ ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ سهّلته له وزيّنته بعد هذه الموعظة وهذا الزّجْر. يقال: طَاعَ الشيءُ يَطُوع ويطَاع أى سهل وانقاد. وطوّعه فلان له سَهَّلَهُ.

٣١ ـ ﴿يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾ يحفر فيها ليدفن غرابا قتله. ﴿سَوْءَةَ أَخِي﴾ جيفته أو عورته. ﴿يَاوَيْلَتَا﴾ أصلُها: يا ويلتى، وهى كلمة جَزَع وتحَسُّر، تُستعمل عند وقوع الدّاهية العظيمة؛ كأنّ المتحسّر ينادى ويْلته ويطلب حضورها، بعد تنزيلها منزلة مَن ينادَى؛ ولا يكون ذلك إلا فى أشد حال. والوَيْلَةُ كَالْوَيْل: الفضيحةُ والبَلِيَّةُ والهلاك.

٣٢ ـ ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ أصل معنى الأجْل: الجنايةُ التى يخاف منها آجلاً. يقال: أجَل الرجُل على أهله شرًّا يأجُله ـ بضم الجيم وكسرها ـ أجْلاً، إذا جناه أو أثاره وهيّجه، ثم استعمل فى تعليل الجنايات، كما فى قولهم: من أجلك فعلت كذا، أى من جرَّاك وجنايتك، ثم اتُّسِعَ فيه فاستُعمل فى كل تعليل. والمعنى: من أجل هذه المفاسد الحاصلة بسبب هذه الجريمة الفظيعة، شرعنا القصاص، وكتبنا فى التوراة تعظيم القتل العمد العدوان، وشدّدنا على بنى إسرائيل فيه؛ لشيوعه فيهم؛ حتى إنهم تَجرَّءُوا على قتل الأنبياء. وهم أوّل أمة نزل الوعيد عليهم فى القتل العمد العدوان مكتوبًا. ﴿لَمُسْرِفُونَ﴾ لمجاوزون الحدّ بارتكاب المعاصى والآثام؛ ومنها القتل بغير حقّ. والإسرافُ: مجاوزةُ حدّ الحق. أو هو التباعد عن حدّ الاعتدال

وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾

مع عدم المبالاة به.

٣٣ - ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ نزلت فى قُطّاع الطريق ومحاربتهم الله والرسولَ، ومخالفتهم الأمر، وخروجهم عن الطاعة؛ فإذا قَتَلوا فقط قُتِلوا حدًّا، وإذا قَتَلوا وأخذوا المالَ قُتِلوا وصُلبوا، وإذا أخذوا المالَ فقط قُطِّعت أيديهم وأرجلهم من خلاف. الأوّل – لأخذ المال. والثانى – لإخافة الطريق. وإذا أخافوا السبيل ولم يَقْتُلوا ولم يأخذوا مالاً نُفُوا من الأرض؛ أى أُخرجوا إلى بلد آخر من بلاد الإسلام وسُجِنوا فيه. وقيل. المرادُ بالنفى السَّجن دون إخراج من البلد. قال الآلوسى: والظاهر أن هذا التفصيل عُلِم بالوحى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم. وقيل: الإمام مُخيَّر بين هذه العقوبات فى كل قاطع طريق. ﴿يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ﴾ يبعدوا أو يسجنوا. ﴿خِزْيٌ﴾ ذل وفضيحة وعقوبة.

٣٥ - ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ اجتنبوا المعاصى، التى منها المحاربةُ والفساد. وافعلوا الطاعات، التى منها التوبةُ والاستغفار ودفع الفساد. ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ أى اطلبوا الزُّلْفَى إليه بالأعمال المرضية عنده وبهجر معاصيه، والابتغاءُ: الطلبُ. والوسيلةُ هنا: ما يُتقرّب به إلى الله تعالى من فعل الطاعات واجتناب المعاصى؛ من وسَلَ إلى كذا، أى تقرّب إليه بشىء، وقيل: الوسيلة الحاجة؛ أى اطلبوا متوجّهين إليه تعالى حاجتكم؛ فإن بيده مقاليد السموات والأرض، ولا تطلبوها متوجّهين إلى غيره.

٣٨ - ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ أى يديهما. والمرادُ. اليدُ اليمنى من كلٍّ منهما؛ وحَدُّها لغةً: من رءوس الأصابع إلى الرُّسغ. ﴿نَكَالاً﴾: عقوبة منه تعالى على انتهاك حرمة المال. [راجع فى معنى النكال آية ٦٦ البقرة ص ١٩]. والخطابُ للرسول صلى الله عليه وسلم. أو لولاة الأمور ومَن أُذِن له فى إقامة الحدود.

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٠) * يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ۛ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ۚ وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤١) سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٤٢) وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٣) إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا

٤١ - ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ﴾ نزلت فى المتهافتين فى الكفر من المنافقين واليهود ؛ نعيًا عليهم ، ووعيدًا لهم. ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ أى هم جميعًا مستجيبون للكذب قابلون له. مستجيبون لقوم آخرين منهم لم يحضروا مجلسك ، ولم يسمعوا منك تكبُّرًا وعتُوًّا. ثم وصفهم الله بأن دأبهم تحريفُ جنس الكلم عن مواضعه ؛ فيحرِّفون كلامك ويحرّفون التوراة ، ويحرفون القرآن حسب أهوائهم وأغراضهم. ومع ذلك يقولون لأتباعهم : إن أتاكم محمد بما نقوله فخذوه ، وإن أتاكم بغيره فارفضوه. وما يقولون إلا كذبًا وباطلاً وقولاً محرفًا. ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ فخزىُ المنافقين بافتضاحهم ، وازدياد غمّهم بسرعة انتشار الإسلام وقوة شوكته. وخزىُ اليهود بالذلّ وظهورِ كذبهم فى كتمان ما فى التوراة ، وإجلاء بنى النَّضِير من ديارهم. ﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ هم أكَّالون للمال الحرام كالرّبا والرّشوة. سُمّى سُحْتًا من سحته إذا استأصله ؛ لأنه مَسْحوتُ البركة أى مقطوعها. أو لأنه يُذْهِبُ فضيلة الإنسان ويستأصلها. واليهودُ أرغبُ الناس فى المال الحرام وأحرصهم عليه.

٤٢ - ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ﴾ خُيِّر الرسول صلى الله عليه وسلم إذا ترافع إليه أهل الكتاب بين الحكم بينهم ، والإعراض عنهم ؛ ثم نسخ التخيير بقوله تعالى : (وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ)[1]. وقيل : إن التخيير ثابتٌ بهذه الآية ؛ وقولُه تعالى : (وَأَنِ احْكُمْ) بيانٌ لكيفيّة الحكم عند اختياره ، وأنه لا يحكم إلا بأحكام الإسلام. وأما إذا تحاكم مسلمٌ وذمِّىٌّ فإنه يجب الحكم بينهما بأحكام الإسلام اتفاقًا. وتفصيل الأحكام فى الفقه.

(١) آية ٤٩ المائدة.

هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ

﴿بِالْقِسْطِ﴾ أى بالعدل ، وهو ما جاء به الإسلام من الأحكام .

٤٣ - ﴿يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ يُعرضون عن حكمك الموافق .

٤٤ - ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾ أى يحكم بالتوراة لليهود أنبياؤهم الّذين بُعثوا فيهم بين موسى وعيسى عليهما السلام ، وانقادوا لله تعالى وأطاعوه بإقامتها وتنفيذ أحكامها . ﴿وَ﴾ يحكم بها هم ﴿الرَّبَّانِيُّونَ﴾ وهم العُبّاد من اليهود ﴿وَالْأَحْبَارُ﴾ وهم العلماءُ منهم جمع حَبْر ؛ مأخوذٌ من التّحبير والتّحسين . وقيل : الربّانيُّون علماءُ النصارى . والأحبارُ : علماءُ اليهود . ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ﴾ أى بالذى سألهم النبيُّون أن يحفظوه من كتاب الله من التغيير والتّبديل . والضّميرُ عائدٌ إلى الرّبانيين والأحبار . ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ﴾ خطابٌ لرؤساء اليهود المعاصِرين له صلى الله عليه وسلم ، وحَثٌّ لهم على الاقتداء بمن سَلَفهم من النّبيين والربّانيِّين والأحبار ؛ فى إقامة التّوراة وحفظِها من التحريف ، وعلى إظهار ما كتموه من نَعْته صلى الله عليه وسلم ، وحكم الرَّجْم المذكورَيْن بها . ويتناول غيرهم بطريق الدلالة . ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ اختلف المفسرون فيمن نزلت فيهم هذه الآية والآيتان بعدها ؛ فقيل : فى اليهود خاصّةً ، قُرَيظةَ والنَّضِير . وقيل : فى الكفّار عامّةً . وقيل : الأولى فى هذه الأمة . والثانية فى اليهود . والثالثة فى النصارى . والكُفرُ إذا نُسِبَ إلى المؤمنين حُمِل على التشديد والتغليظ ، لا على الكفر الذى ينقل عن المِلّة . والكافرُ إذا وُصف بالفسق والظلم أريد منهما العُتُوُّ والتمرُّد فى الكفر . وعن ابن عباس : مَنْ لم يحكم بما أنزل الله جاحدًا به فهو كافر ، ومن أقرّ به ولم يحكم به فهو ظالمٌ فاسقٌ . وهو اختيارُ الزجّاج .

٤٥ - ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ فمن عفا من أصحاب الحقّ عن القصاص وتصدّق به على الجانى فذلك كفارةٌ لذنوبه . والضمير فى «له» يعود إلى المتصدّق .

٤٦ - ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ

أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ

بِعِيسَى﴾ أتبعْناهم على آثارهم بعيسى ؛ أى جعلناه يقفو آثارَهم ويتّبعهم . [راجع آية ٨٧ البقرة ص ٢٢] .

٤٨ ـ ﴿ومُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ رقيبًا على ما سبقه من الكتب السّماويّة المحفوظة من التغيير ؛ حيث يشهد لها بالصحة ، ويُقرّر أصولَ شرائعها ، وما شُرِع مؤبّدًا من فروعها ، وما نُسخ منها ؛ من الهَيْمَنة وهى الحفظ والارتقاب . يقال إذا رَقَبَ الرجلُ الشىء وحفظه : قد هَيْمَن عليه ؛ وهو مُهَيْمِنٌ . ﴿عَمَّا جَاءَكَ﴾ عادلاً عما جاءك . ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً ومِنْهَاجًا﴾ الخطابُ للأمم الثلاث . والشِّرعةُ : الشريعة وهى الطريق الظاهر الموصل للماء . والمرادُ بها الدين . وسُمِّىَ الدِّينُ شريعةً تشبيهًا بشريعة الماء ؛ من حيث إنّ كلا سبب الحياة . والمنهاجُ : الطّريقُ الواضح فى الدِّين ؛ مِن نَهج الأمرُ يَنْهَج إذا وضَحَ . والعطف باعتبار جَمْع الأوصاف . وقيل : هما بمعنًى واحدٍ وهو الطريق ، والتكريرُ للتأكيد . أى ولكلٍّ أمّةٍ من الأمم الحاضرةِ والغابرة وضعنا شِرعةً ومنهاجًا خاصَّيْن بها . فالأمّةُ التى كانت مِن مبعث موسى إلى مبعث عيسى عليهما السلام شِرعتُها ما فى التوراة ، والتى كانت من مَبعث عيسى إلى مبعث محمّد عليهما الصلاة والسلام شِرعتُها ما فى الإنجيل ، وأما هذه الأمّةُ فشِرْعتُها ما فى القرآن فقط ؛ فآمنوا به واعملوا به . وليس لأحد بعدَ بعْثته صلى الله عليه وسلم إيمانٌ مقبولٌ إلّا الإيمان به . ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أى ولو شاء الله أن يجعل الأممَ جميعًا تَدين بدين واحدٍ ومِلّةٍ واحدة فى جميع الأعصار لفعل . ولكنّه تعالى حكيمٌ خبيرٌ يعلم ما للأمم والعصور من خصائصَ وطبائعَ ، وما يناسب كلّ أمّة من أحكامٍ وشرائعَ يستقيم بها أمرُها وتقتَضِيه مصلحتُها ؛ فأنزل شرائعَ شتَّى ، تتّفِق جميعُها فى الأصول ، ويختلف بعضُ أحكامها فى الفروع باختلاف الأمم والعصور . ومن الطبيعى أن يَنْسَخ بعضُها بعضًا فى بعض الأحكام . واقتضت حكمته تعالى أن يختِم شرائعه بشريعة عامّةٍ كاملةٍ كفيلةٍ بمصالح الناس إلى يوم الدين ؛ فأنزل بها القرآنَ وميّزه على سائر كتبه السابقة بما يعلمه الراسخون فى العلم ؛ وبعث به خاتمَ رسله وأفضلَ خَلْقه ، وأمره ببيانه للناس ؛ فنهم من أدرك هذه الحكمة ، فعرف ربَّه حقَّ المعرفة ، وآمن به وبكتبه ورسله وعَمِل بأحكامه . ومنهم من جَهِلها فجَمدَت قريحتُه وفسدَت سريرته ، وآمن ببعض وكفر ببعض ؛ فكان لله عاصيًا ، ولحكمته جاحدًا ، ولرسله مكذّبًا ، وعن كتبه معرضًا ، وبغضب الله حقيقًا ، ولنقمته أهلاً . ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم

وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ
مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ
أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ
لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ
مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ
وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ
فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن
يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟
فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ
ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ
حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ



وهو أعلم بأمركم . .

٤٩ ـ ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ﴾ أى واحذر فتنتهم لك ، وأن يَصرفوك عن بعض ما أُنزلَ إليك ولو كان أقلَّ قليل ؛ بتصوير الباطل بصورة الحق ، أو بالكذب على التوراة بإنكار بعض أحكامها .

٥٠ ـ ﴿أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ أى أينصرفون عن قبول حُكمك بما أنزل الله ويُعرِضون عنه ، فيبغُونَ حكم الجاهليّة ؟

٥١ ـ ﴿لَا تَتَّخِذُوا اليَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ نهى الله المؤمنينَ أن يتّخذَ أحدٌ منهم أحدًا من اليهود والنصارى وَليًّا ونصيرًا ؛ أى لا تصافُوهم مصافاةَ الأحباب ، ولا تستنصِرُوا بهم ، فإنهم جميعًا يدٌ واحدةٌ عليكم ، يبغُونكم الغوائل ، ويتربَّصُون بكم الدوائر ؛ فكيف يُتوَهّم بينكم وبينهم موالاةٌ ؟ . ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ أى من جملتهم ، وحكمهُ حكمهم [راجع الآيات ١١٨ ـ ١٢٠ آل عمران ص ٩٢ ، ٩٣] .

٥٢ ـ ﴿يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ كان المنافقون يعتذرون عن موالاة اليهود بقولهم : إننا نخشى أن تدورَ علينا دائرةٌ من دوائر الدّهر ، ودُولةٌ من دُوَله ، بأن ينقلب الأمرُ للكفار ، وتكون الدُّولة لهم على المسلمين فنحتاج إليهم . أو نخشى أن يدور علينا الزمن بمكروه ، كالجَدْب والقَحْط ، فلا يَميروننا ولا يُقرضوننا . والدائرةُ : النائبةُ من حوادث الدهر ، التى تحيط بالناس إحاطة الدائرة بما فيها . وأصلها ما أحاط بالشىء ، ثم استعير لما ذُكر ، وتُطلق على الهزيمة . ﴿بِالْفَتْحِ﴾ بالنصر لرسوله صلى الله عليه وسلم .

٥٣ ـ ﴿أَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ الجَهْد : الوُسْع والطاقةُ ، من جَهَد نفسَه يَجْهَدها فى الأمر ، إذا بلغ أقصى وُسعها وطاقتها فيه ؛ أى أقسموا مجتهدين فى أيمانهم . والمرادُ أنهم أكّدُوا الأيمان وشدَّدوها بأقصى وُسْعِهم . ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾

ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ
يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ
يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ج ذَٰلِكَ
فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ج وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا
وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا
وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ج
وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ
ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ج ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾
قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ
وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ
فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ
ٱللَّهِ ج مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ
وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ج أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ
عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد

بطلت وضاعت .

٥٤ ـ ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ عاطفين عليهم متذللين لهم ، ليِّني الجانب معهم . جمعُ ذليل ؛ من تذلّل إذا تواضع . ولتضمينه معنى الحنُوِّ عُدِّى بعلى . ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أشداءُ غلظاءُ عليهم ؛ مِن أعزَّني فلانٌ ، إذا أظهر العزَّة من نفسه ، وأبدَى الجَفْوَةَ والغِلظة . والعزةُ : حالةٌ تمنع الإنسان من أن يُغْلَب ويُقهر . ﴿لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ اعتراض معترض فى نصرهم الدين . ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ كثير الفضل والجود .

٥٧ ـ ﴿هُزُوًا﴾ سُخرية . وأصله هُزُءًا ، فأُبدلت الهمزة واوًا لضم ما قبلها . يقال : هزأ منه وبه ـ كمنع وسمع ـ هُزْءًا وهُزُوًا ، سَخِرَ كاستهزأ . ﴿وَلَعِبًا﴾ أخذًا على غير طريق الجدّ . مصدرُ لَعِب يَلْعب ، كسمع .

٥٩ ـ ﴿هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا﴾ هل تكرهون منّا وتعيبون علينا . يقال : نَقَم عليه أمرَه ونَقَمت منه نَقْمًا ـ من باب ضرب ـ عِبته وكرهته أشدَّ الكراهة ، والواو فى ﴿وَأَنَّ﴾ بمعنى مع .

٦٠ ـ ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً ..﴾ خطابٌ لليهود وقد قالوا للمسلمين : لا نَعْلَم دِينًا شرًّا من دينكم . ومرادُهم لا نعلم أهل دينٍ شرًّا من أهل دينكم ؛ فأنزل الله الآية . أى قل لهم : هل أخبركم بشرّ من أهل ذلك الدين عقوبة عند الله يوم القيامة هو من أبعده الله عن رحمته وغضب عليه ، وجعلَ منهم قِردةً وخنازيرَ فى طباعهم وقلوبهم ،

دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًاۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ

وأطاع الشيطانَ وكلَّ داعٍ إلى ضلالة . ﴿عَبَدَ الطَّٰغُوتَ﴾ أطاع الشيطان فى معصية الله . ﴿أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾ من غيرهم . ﴿وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ أكثر ضلالاً عن السبيل السَّواء ، وهو المِلّة الحنيفيّة الحقّة . والسّواءُ : الوسط المعتدل .

٦١ - ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾ نزلت فى منافقى اليهود الذين كانوا يدخلون على الرسول صلى الله عليه وسلم يُظْهِرُون له الإيمان به وبما جاء به نفاقًا . ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ فى قلوبهم من الكفر ؛ وهو وعيدٌ لهم .

٦٢ - ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ يُبادِرُون إلى ارتكاب الحرام ؛ من الكفر والكذب ، وأكل السُّحْت والرِّبا ، وإلى الظلم أو مجاوزة الحدّ فى العصيان .

٦٣ - ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ﴾ أى هلّا ينهاهم عن ذلك علماءُ أهلِ الإنجيل ، وعلماءُ أهل التوراة من اليهود !! وهو توبيخٌ شديدٌ وذمٌّ بليغ ؛ لأولئك القادة الذين تركوا النّهىَ عن هذه المنكرات ، ولذا قال تعالى فيهم : ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ .

٦٤ - ﴿يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾ قال اليهود ذلك حين كفّ الله عنهم ما بسط لهم من الرزق ، عقوبةً على عصيانهم أمرَ الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكَنَوْا بذلك عن بخله تعالى بالعطاء ، كما يُكْنَى ببسْط اليد عن الجُود والسّخاء . ومثله فى الكناية عن البخل : فلانٌ جَعْدُ الأناملِ ، ومقبوضُ الكفّ . ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ دعاءٌ عليهم بالبخل ، ومن ثَمَّ كان اليهود أبخلَ خلقِ الله . أو دعاءٌ عليهم بأن يعذَّبوا فى جهنم بالأغلال ؛ فتُشَدُّ أيديهم إلى أعناقهم بها جزاءَ هذه الكلمة الشنيعة . ﴿وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ أى أبعدوا عن رحمة الله بسببه . وهو دعاءٌ ثانٍ عليهم . ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ أى بالجود والعطاء الذى لا نهاية له . ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ (إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ



إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ * يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ

لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ)[1]. وتقدّم القول فى آيات الصفات ومنها صفة اليد فى المقدمة[2] ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ أى بين طوائف اليهود، فهم طوائفُ متعاديةٌ متباغضةٌ فى الدِّين ولا يزالون كذلك. ولا يخلو أحد منهم من الحسد والأَثَرة، وهما غرسٌ نكِدٌ خبيث، لا ينبت إلا شرًّا وعداوة وبغضًا. والعداوةُ: أخصُّ من البغضاء؛ فإن كلَّ عدوّ مبغِض، وقد يبغض من ليس بعدوٍّ. ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ﴾ أى كلما أرادوا كيدًا وشرًّا للمؤمنين صرفه الله عنهم، وكلما أرادوا حَرْبًا غُلبُوا. وقيل: المرادُ كلما أرادوا محاربةَ الرسول صلى الله عليه وسلم ردّهم الله وقهرهم؛ بحلّ عزائمهم وإلقاء الرُّعب فى قلوبهم.

٦٦ - ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ﴾ من أهل الكتاب طائفةٌ معتدلة لم تَغْلُ ولم تُقَصِّر، وهم مَن أسلم منهم؛ كعبد الله بن سَلَام وأصحابه، والنجاشيِّ وأصحابِه، ومن نَهَج نهجهم.

٦٧ - ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ أُمِر صلّى الله عليه وسلّم بالبلاغ للثَّقَلَيْنِ كافَّةً؛ فبلّغ الرسالة وأدّى الأمانة. رُوى عن عائشة رضى الله عنها قالت: (مَن حدّثك أن محمدًا كتم شيئًا مما أنزل الله عليه فقد كذب - وقرأت - (يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) وفى رواية[3]: (لو كان محمد صلى الله عليه وسلم كاتمًا شيئًا من القرآن لكتم هذه الآية: (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ)[4]. نزلت - حين ضاق ذَرعاً بقَوْمِه، وعرف أن مِن الناس مَن يكذبه - لتثبيته وبشارته بحفظ الله تعالى له وكفالته إيّاه. ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ يحفظك من الكفّار أن يعتدوا عليك بالقتل.

٦٨ - ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ فلا تحزن ولا تتأسّف على القوم الكافرين لزيادة طغيانهم؛ فإنهم هم الذين ظلموا أنفسهم، وضررُه عائدٌ إليهم. وفى المؤمنين غنًى لك عنهم.

٦٩ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ نظمُ الآية: إن الذين آمنوا - أى بألسنتهم - ولم تؤمن قلوبهم. والذين هادوا والنصارى، مَن آمن منهم بالله واليوم الآخر إيمانًا حقًا؛ ويندرج

(١) آية ٣٠ الإسراء. (٢) المسألة الرابعة. (٣) رواه البخاري. (٤) آية ٣٧ الأحزاب.

بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

فى ذلك : الإيمانُ برسالة محمد صلّى الله عليه وسلّم وبما جاء به . وعَمِلَ صالحًا فلا خوفٌ عليهم ، حين يخاف الكفار العذاب . ولا هم يحزنون ، حين يحزَن المقصِّرون على تضييع العمر وتفويت الثواب . والصابئون كذلك ؛ فحذف خبره . وإنما عُطفت جملة (الصَّابِئُونَ) على ما قبله للإشارة إلى أنهم من أشد الفِرق المذكورة ضلالاً . فكأنه قيل : كل هذه الفرق إذا آمنت وَعمِلت صالحًا قَبِل الله توبتها ، حتى الصابئة فإنه تعالى يقبل توبتها . و (مَنْ آمَنَ) مبتدأ خبره جملة (فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) ، والجملة من المبتدأ والخبر ، خبر (إنّ) .

٧١ ـ ﴿وَحَسِبُوا أَنْ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ..﴾ أى ظنّ اليهود أنه لا يصيبهم من الله بلاءٌ ولا عذاب بقتل الأنبياء وتكذيب الرسل ؛ لزعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه ، أو لإمهال الله إيّاهم ، أو لنحو ذلك . فتمادَوْا فى فنون الغىّ والفساد ، وعَمُوا عن الدِّين الذى جاء به الرسل ، وصَمُّوا عن استماع الحق الذى ألْقَوْه إليهم . وهذه هى المَرة الأولى من مرّتَىْ إفساد بنى إسرائيل ، حين خالفوا التوراة وارتكبوا المحرّمات . ثم عَمُوا وصَمُّوا بعد أن تابوا مما كانوا عليه من الفساد ، وأنعم الله عليهم بفكاكهم من أسر الذل والمهانة التى لبثوا فيها دهرًا طويلاً تحت قَهْر بُخْتَنَصَّر ، ورجوعهم إلى بيت المقدس بعد التفرُّق فى الأكناف والتشتت فى الأرض . فاجترأوا ـ إلّا قليلاً منهم ـ على قتل زكريا ويحيى ، وهمُّوا بقتل عيسى عليهم السلام . فكان ذلك هو المَرّة الأخرى من مرّتَىِ الإفساد . وقيل : إن العَمَى والصَّمَم الأوّلَ إشارةٌ إلى ما كان منهم فى عهد زكريا ويحيى ، والثانى إشارة إلى ما كان منهم فى زمن محمد صلّى الله عليه وسلّم . و (كَثِيرٌ مِنْهُمْ) بدلٌ من الواو فى (عَمُوا وَصَمُّوا) .

٧٢ ، ٧٣ ـ ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا ..﴾ للنصارى عقائد مختلفة متضاربة فى عيسى عليه السلام ، تُنكرها العقول ، وتأباها الفِطَر ؛ وهم فِرَقٌ شتَّى وشِيعٌ متكاذبة ، كلُّ شيعةٍ تكفّر الأخرى . فمنهم من يزعم أن الله هو المسيح ، ومنهم من يزعم أن الله ثالث آلهة ثلاثة ، ومنهم من يزعم أن المسيح ابن الله تعالى . وقد كذّبهم الله جميعًا ، وسجّل عليهم الكفر فى غير آية ، وندّد بعقولهم وهددهم أشد التهديد بما ذكره من الآيات البيّنات ، التى منها هذه الآيات .

أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾

٧٥ ـ ﴿مَا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ﴾ فهو بشرٌ مخلوقٌ لله تعالى، وعبدٌ من أصفياء عباده، اختاره للرّسالة؛ كسائر الرسل الذين مَضَوا قبله، وسيَمضِي كما مَضَوْا؛ فكيف يكون إلـهًا أو جزء إله ؟! إنّ ذلك باطلٌ من القول. ﴿وأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ أي وما أُمُّهُ إلّا أَمَةٌ من إماء الله كسائر النساء دَيْدَنُها الصدقُ مع الله، أو التصديق له في سائر أمورها؛ فمن أين لكم وصفها بما وصفتموها به ؟ ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ أي كانا محتاجيْن إلى القوت، وإلى القُوَى التي لابدّ منها في هَضمه، وإحالته إلى ما به قِوام الجسم والحياة، وفي نفض ما لابُدّ من نفضه من المواد؛ وليس شيء من ذلك في قدرتهما، وإنما هو بقدرة الله تعالى وتدبيره؛ فهما في ذلك كسائر البشر، فكيف تنسبُون إليهما ما نسبتم من الباطل المحال !؟ وقيل ـ كما نقله الآلوسي ـ : إنه كناية عن قضاء الحاجة؛ لأن مَن أكل الطعام احتاج إلى التّفض. وهذا أمرٌ مذاقًا في أفواه مُدّعِي ألوهيّتهما؛ لما في ذلك ـ مع الدّلالة على الاحتياج المنافي للألوهية ـ من البشاعة ما لا يخفى. ﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ كيف يُصرفون عن استماع الحق وتَبيُّنِه مع ما بيّنا من دلائله. إنَّ ذلك لشيء يُتعجب منه غاية التعجب. يقال: أفكه عن الشيء يأفِكه أَفْكًا، صرفه، عنه وقَلَبه؛ فأنا آفِكه وهو مأفوك. وقد أُفكت الأرضُ أَفْكًا: صُرِف عنها المطرُ.

٧٧ ـ ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ لا تجاوزوا الحدّ في دينكم، فترفعوا عيسى عن رُتبة الرسالة، وأُمَّه عن رتبة الصدِّيقيّة إلى ما انتحلتموه في حقهما. ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ غُلُوًّا باطلاً. ﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ وهم أسلافكم الذين كانوا قبل البعثة. ﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ أى عن قَصْد طريق الحقِّ الذى هو الإسلام بعد البعثة، بسبب حسدهم وبَغْيِهِمْ، وتكذيبهم الرسولَ صلى الله عليه وسلم. والسواءُ في الأصل: الوسطُ المعتدل،



وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ * لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا

والمرادُ به الدِّينُ الحقّ .

٨٠ - ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أى ترى كثيرًا من اليهود ، وهم كَعْبُ بن الأشرف وأصحابه ، يُوالون المشركين ويصافُونَهم ؛ لعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويتواطئون معهم على محاربته . ﴿سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ غضب عليهم بما فعلوا .

٨٢ - ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ..﴾ أى لتجدَنَّ أشدَّ الكفار عداوةً للمؤمنين اليهودَ ؛ لشدّة شكيمتهم وتضاعف كفرهم ، وانهماكهم فى اتباع أهوائهم وتمرُّنهم على التمرُّد ، والاستعصاء على الأنبياء ، وتمكُّن الحسد والبغى فى قلوبهم ؛ إلى حدّ استيجاب إيصال الأذى والشرّ إلى من خالفهم فى الدين ، وقد جعلهم الله قُرَناءَ المشركين فى شدّة العداوة للمؤمنين ؛ بل هم أعرق فيها ولذا قُدِّموا فى الذكر عليهم . ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ فهم أَلْيَنُ عريكةً وأسلسُ انقيادًا إلى الحق ، وفيهم من هو معرضٌ عن الدنيا ولذّاتها والتنافس فيها ، ومن كان شأنُه ذلك لا يحسُد الناسَ ولا يعاديهم . والآيةُ نزلت فى النّجاشيّ وأصحابه . وقيل : فى الوفد الذين قدموا مع جعفر بن أبى طالب مسلمين . وقيل : فى جماعة من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى عليه السلام ، فلما بُعث محمدٌ صلى الله عليه وسلم آمنوا به وصدقوه ؛ فأثنى الله تعالى عليهم فى هذه الآية . ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن اتباع الحقّ والانقياد له إذا فهموه . أو أنهم يتواضعون ولا يتكبّرون كاليهود .

و ﴿قِسِّيسِينَ﴾ أى علماء ، جمعُ قسِّيس صيغة مبالغة ؛ من تقَسَّسَ الشيء إذا تتبَّعه بالليل . سُمُّوا بذلك فى الأصل لتتبعهم العلمَ بكثرة ﴿وَرُهْبَانًا﴾ أى عُبّادا ، جمعُ راهب ؛ من الرَّهْبة وهى المخافة . ومنه الترهُّب وهو التعبُّد . والرَّهبانيّةُ وهى الغلوُّ

رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِي ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾

فى تحمّل التعبدُ من فَرْط الرَّهْبة.

٨٣ - ﴿تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ تمتلىء أعينهم بالدمع فتصبه.

٨٧ - ﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ نزلت فى جماعة من الصحابة اعتزموا المبالغةَ فى الزُّهْد والتَّقشُّف والعُزوفِ عن متاع الدنيا ؛ مبالغةً منهم فى التعبُّد ، فنُهوا عن ذلك ؛ أى لا تحرِّموا على أنفسكم ما لذَّ وطـــابَ من الحلال ، ولا تتجاوزوا الحلالَ إلى الحرام ، وتمتّعوا بأنواع الرّزق الحلال الطيّب.

٨٩ - ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [آية ٢٢٥ البقرة ص ٥٤]. و ﴿فِي﴾ بمعنى من . أو متعلق باللّغو. ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ﴾ أي بتعقيدكم الأيْمانَ وتوثيقها بالقصد والنيّة ، أى إذا حنثتم فيها ؛ وحُذِف للعلم به . والمرادُ بالمؤاخذة : المؤاخذةُ الدّنيويّة بوجوب الكفارة . ﴿فَكَفَّارَتُهُ﴾ أى فكفارةُ الحِنث فيه . والكفارةُ : اسمٌ للفَعْلة التى من شأنها أن تكفّر الخطيئة . أى تسترها وتمحُوها ؛ إذ الممحوُّ لا يُرى كالمستور . ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أى عِتق نَسَمة من الرِّقّ . ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ...﴾ فمن لم يجد شيئًا من الأمور الثلاثة المخيَّر بينها ، فعليه صومُ ثلاثة أيام . وأحكامُ الكفارة مفصَّلة فى الفقه ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ أى عن الحِنْث فبرُّوا بها ؛ إذا لم يكن الحِنث خيرًا وأفضلَ.

٩٠ ، ٩١ - ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ﴾ [راجع فى تفسير الخمر والميسر آية ٢١٩ من البقرة ص ٥٢] وفى تفسير الأنصاب والأزلام [آية ٣ من هذه السورة]. ﴿رِجْسٌ﴾ أى خَبثٌ مستقذَر ، أو إثمٌ أو شرٌّ. وعن الزجّاج : الرجسُ اسمٌ لكل ما استُقذِر من عمل قبيح . يقال : رَجس - كفرِح وكرُم - عمِلَ عملاً قبيحًا . وأصله من الرَّجس ، وهو شدة صوْتِ الرعد وهَدير البعير ؛ فسُمّى العملُ الشديد فى القبح رجسًا. ﴿فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فكونوا جانبًا من هذا الرِّجس بعيدين عنه ؛ لكى تُفلحوا بالاجتناب عنه ؛ والأمرُ

لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ

للوجوب . ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ استفهامٌ إنكاريٌ بمعنى انتهوا ! وهو من أبلغ ما يُنهَى به ؛ ولذا قالوا : قد انتهينا ياربّ ! إذ فهموا التحريم المؤكّد القاطع .

٩٣ - ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا..﴾ مات نَاسٌ من الصحابة قبل تحريم الخمر والميسر وقد طعموهما فقال بعض الصحابة : كيف بأصحابنا الذين ماتوا قبل تحريمها ؟ فنزلت الآية مبينةً حالَ من مات قبل التحريم وحالَ من مات بعده . أى لا إثم على الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيما تناولوه منهما قبل التحريم إذا ما اتقَوْا الشرك - أو ما حُرّم عليهم قبل ذلك - وثبتُوا على الإيمان والأعمال الصالحة ، ثم اتقَوا الخمر والميسر بعد التحريم وآمنوا بتحريمها ، ثم ثبتُوا على اتّقاء جميع ما شُرِع تحريمه وأحسنوا العمل ؛ فتكرير الاتقاء باعتبار الأوقات الثلاثة . والمرادُ أنه لا جناح عليهم إذا كان من شأنهم أنهم كلما أُمروا بشيء أو نُهُوا عن شيء سارعوا إلى الطاعة والامتثال ؛ فكلّما حرّم الله عليهم مباحاً اتّقوه . وظاهرٌ أن انتفاء الجُناح إنما يَعْتمد اتّقاء المحرّمات ، ولا دخل فيه لباقى الصّفات الحميدة المذكورة ، وإنما ذُكرت شهادةً باتّصاف هؤلاء الصحابة بها .

٩٤ - ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ﴾ ليختبرنّكم بنوع من البلايا - وهو تحريم مَصيد البَرّ صغارًا وكبارًا - وأنتم محرمون أو فى الحَرَم ؛ ليتميّز من يخاف الله وهو لم يره ممن لا يخافه . فمن اصطاده منكم بعد ما أعلمكم الله بذلك فله عذاب أليم ؛ لاعتدائه وعدم مبالاته بطاعة ربه ، ومَن لم يتعوّد كَبْحَ نفسِه وطاعةَ ربّه فى الهيِّن من هذه البلايا لا يكاد يكبحها عن العظائم والمزالق . وهذا سرٌّ من أسرار الابتلاء .

٩٥ - ﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ أى لا تقتلوا صيدَ البرّ - وهو ما توالُدُه ومثواه فى البرّ مما هو ممتنع لتوحُّشه خلقةً وطبعًا - وأنتم مُحْرِمون ولو كنتم خارج الحَرَم ؛ ومثلُه لو كنتم فى الحَرَم وأنتم حلالٌ . وقيل : (حُرُمٌ) جمع حَرَام ، وهو يقع على المُحْرِم وإن كان فى الحِلِّ ،

وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ * جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟

ربع الحزب

وعلى من في الحَرَم وإن كان حَلالاً ؛ وهما سيّان في النهي عن قتل الصيد. واسْتُثْنِيَ من ذلك الحِدَأَةُ والغُرابُ والفأرةُ والعقربُ والكلبُ العَقُور ؛ وسُمّيتْ في الحديث فواسق. ولا شيء على المُحْرِم إذا قتل نحو السَّبُع والنمر والفهد إذا ابتدأت بالأذى والتعدّي. وقيل مطلقًا ؛ وتفصيل الأحكام في الفقه. ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ أي فعليه جزاءٌ من النَّعَم مماثلٌ للمقتول في الخِلْقة والمَنْظَر ؛ ففي النَّعامة بَدَنَةٌ ، وفي حمار الوَحْش بقرةٌ ، وفي الظبي شاةٌ ، وفي الأرنب سَخْلٌ ؛ أو ما يساوي قيمةَ هذا الجزاء طعامًا ، فيعطَى لكل مسكين مُدٌّ. أو ما يعادل هذا الطعام صيامًا ؛ فيصوم عن كل مُدٍّ يومًا. وإن لم يوجد للمقتول مماثلٌ كالعصفور والجراد فعليه قيمتهُ يُشترى بها طعام لكل مسكين مُدٌّ ، أو يصوم عن كل مُدٍّ يومًا. وقوله : (مِنَ النَّعَم) حالٌ من (مِثْل) أو صفةٌ له. وذهب آخرون إلى أن المماثلة إنما تعتبر ابتداءً بحسب القيمة ؛ فيقوَّم المقتولُ من حيث هو ؛ فإن بلغت قيمته قيمةَ هَدْي يُخيَّر الجاني بين أن يشتري بها هَدْيًا يُهْدَى إلى الكعبة ويُذبح في الحرم ويتصدق بلحمه على من يشاء ، وبين أن يشتري بها طعامًا للمساكين ؛ لكل مسكين نصفُ صاع من بُرٍّ أو صاعٌ من غيره ، وبين أن يصوم عن طعام كل مسكين يومًا. وإن لم تبلغ قيمتُه قيمة هَدْي يُخيّر بين إعطائها لمسكين وصوم يوم كامل. وقوله (من النعم) تفسير للهَدْي المشترَى بالقيمة على أحد وجوه التخيير. ﴿هَدْيًا بَالِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ أي الحَرَم. وخُصّت الكعبة بالذكر للتعظيم إذْ هِيَ الأصل. ولا يُجزئُ الذبح في غيره. ﴿أَوْ كَفَّارَةٌ﴾ معطوف على ﴿جَزَاءٌ﴾ و ﴿أَوْ﴾ للتخيير ، وكذلك في قوله : ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ أي ما يُعادِلُ ذلك الطعامَ صيامًا ؛ فيصوم عن طعام كلّ مسكين يومًا. والعَدْلُ - بالفتح - : ما عادل الشيء من غير جنسه. وأمّا بالكسر : فما عادله من جنسه. وقيل هما سيّان ومعناهما المِثل مطلقاً. وقرئ بالكسر. والتفصيل في الفقه. ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾ أي جزاء ذنبه وسوءَ عاقبته. والوَبالُ في الأصل : الثِّقَلُ والشدّة والوخامة. يقال : وبُل المطر إذا اشتدّ فهو وبيل. ووَبُل المرْتع وَبالاً ووَبالةً بمعنى وَخُم. ثم قيل في سوء العاقبة : وَبالٌ. وفي العمل السيِّئ : هو وبالٌ على صاحبه.

٩٦ - ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ..﴾ هو ما توالُدُه ومثواه في الماء. والمرادُ بالبحر : جميعُ المياه ، بحرًا أو نهرًا أو غديرًا أو بِرْكة. وبالصَّيد : الاصطيادُ أو ما يُصاد منه. وبطعام البحر : ما يؤكل من صيده. أي أحلَّ لكم الصيدُ وأكلُ ما يؤكل منه ، أو الانتفاعُ بما يُصاد منه ، وأكل ما يُؤْكل من حيوان البحر. وقيل : طعامُ البحر ما يقذفه ميتًا. ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ﴾ تمتيعًا لكم ﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ المسافرين منكم يتزوَّدونه قديدًا.

٩٧ - ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ الجَعْلُ :

أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩٨) مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٩٩) قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠٠) يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٠١) قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَـٰفِرِينَ (١٠٢) مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَـٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (١٠٣) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ

التصيير و(الكعْبَةَ) و(قِيَامًا) مفعولا جَعَلَ . و ﴿ الْبَيْتَ الْحَرَامَ ﴾ بدل من الكعبة . والمراد به الحرم كله . والقِيامُ والقِوَامُ : ما به صلاحُ الشيء ؛ كما يقال : المَلِكُ العادِلُ قِوامُ رعيّته ؛ لأنه يدبّر أمرَهم ، ويَردع ظالمهم ، ويدفع أعداءَهم . وقد صيّر الله تعالى البيت للناس سبباً لإصلاح أمورهم ؛ حيث جعله مَثابةً وأمنًا ومَلجأً ، ومجمعًا للتجارات والتعارف والتشاوُر ، وحرَّمه إلى يوم القيامة ؛ لا يُعْضَدُ[1] شجرُه ولا يُنَفَّرُ صيدُه[2] ، ولا يلتقط لُقَطَته إلّا من عرَّفها[3] ، ولا يُختَلَى خلاه[4] . كما جعله محجًّا للناس ومنسكًا وسببًا لتكفير الخطيئات وزيادة المثوبات . وجعل الأشهرَ الحُرُمَ قوامًا للناس يأمنون فيها القتلَ والقتال[5] ، ويسافرون فيها فى أمن ؛ لتحصيل قدرِ ما يكفيهم من الأقوات طول العام . ﴿ الهَدْىَ ﴾ ما يهدى من الأنعام إلى الكعبة . ﴿ الْقَلَائِدَ ﴾ ما يقلد به الهدى علامة له . وجُعِل الهَدْى وذوات القلائد منه قواماً لمعايش الفقراء . وكل ذلك لحكمٍ سامية ، ومصالحَ ظاهرةٍ ، اقتضتها حكمة العليم الخبير ، ورأفته بعباده .

١٠١ — ﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ ﴾ نزلت حينما أكثروا من السؤال عن أمور يسوءهم إبداؤها ؛ لكون التكليف بها شاقًّا عليهم ، أو لكونها مستورةً وفى إظهارها فضيحةٌ للسائل . فالأولُ : كسؤالهم عن الحج ، هل يجب فى كلّ عام ؟ والثانى : كسؤال بعضهم عن أبيه بقوله : أين أبى ؟ فقال له النبىُّ : أبوك فى النار ؛ فنُهوا عن السؤال عن أمثال هذه الأمور لاستتباعه إبداءها وقتَ التنزيل وقد يكون فيه فضيحة ، وقد يكون فيه مشقة . وقد سأل السّابقون أنبياءهم عن أمثالها فأجابوهم ببيان أحكامها فلم يقوموا بها لمشقتها ، فضلُّوا بترك العمل بها .

١٠٣ — ﴿ مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ ﴾ ما شَرَعَ اللهُ هذه المحرَّمات التى حرّمتموها على أنفسكم ، وزعمتم أنه حرَّمها كذباً على الله تعالى . وكانوا فى الجاهلية إذا ولَدَت الناقةُ خمسةَ أبطن آخرها ذكر شقُّوا أذنها ومنعوا ركوبها ، وتركوها لآلهتهم ، لا تُنحر ولا يُحمل عليها ، ولا تُطرد عن ماء أو مرعىً ، وسمَّوْها « البحيرة » أى مشقوقة الأذن ؛ من البَحْر وهو

(١) لا يقطع . (٢) لا يشرد ولا يزعج . (٣) لا يحل الانتفاع باللقطة إلا بعد التعريف عنها .
(٤) الخلا — بالقصر — : النبات الرطب الرقيق ما دام رطباً . واختلاؤه : قطعه . (٥) راجع آية ٢ من هذه السورة .

وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾

الشقّ . وكان الرجل إذا قدِم من سفر ، أو نجت ناقته من حرب ، أو برأ من مرض سيَّب ناقته وخلّاها وجعلها كالبحيرة ، وتسمَّى « السّائبة » . وقيل : هي الناقة التي تُعتق للأصنام . وكانت الشاة إذا ولدت أنثى فهي لهم ، وإذا وَلدت ذكرًا فهو لآلهتهم ، وإن ولدت ذكرًا وأنثى قالوا : وصَلت أخاها ؛ فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم ، وتُسَمَّى « الوَصيلة » . وقيل : هي الناقة تُبكّر بأنثى ثم تُثنّي بأنثى ؛ فكانوا يتركونها للطواغيت ويقولون : قد وصلت أنثى بأنثى ليس بينهما ذكر . وكان الفحلُ إذا لَقِحَ ولدُ ولده قالوا قد حَمَى ظهرَه فلا يُركب ولا يُحمل عليه ، ولا يُمنع ماءً ولا مرعًى حتى يموت . يقال : حماه يحميه إذا حفظه ، ويُسَمَّى « الحامى » . وفى تفسير الأربعة خلافٌ كثير . وأوّلُ من ابتدعَ هذه المنكرات عمرو بنُ لُحَيّ . وكان قد ملك مكة فاتّخذَ الأصنام ونَصَب الأوثان ، وغيّر دينَ إسماعيلَ عليه السلام .

١٠٤ - ﴿حَسْبُنَا﴾ كافينا .

١٠٥ - ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ الزَمُوا العملَ بطاعة الله ؛ فأْتُوا بما أمركم به ، وانتَهُوا عما نهاكم عنه ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ أى لا يضرّكم ضلالُ من ضلّ إذا أنتم رُمْتُمْ العملَ بطاعة الله ، وأدّيتم فيمن ضلّ من الناس ما ألزمكم الله به ؛ من الأمر بالمعروف والنّهى عن المنكر ؛ والأخذ على يدى الظالم إذا أراد ظلماً لمسلم أو معاهَد ومنعه منه . فإذا أبى النزوعَ عن ذلك فلا ضَيْر عليكم فى تماديه فى غيّه وضلاله ، إذا أنتم اهتديتم وأدّيتم حق الله تعالى .

١٠٦ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ ..﴾ أى أن المحتضَر إذا أراد الوصيّة وكان فى سفر فليُحضر من يوصى له بإيصال ماله لورثته مسلماً ، فإن لم يجد فكافرًا ، والاثنان أحوط ؛ فإذا جاءَا بما عندهما ووقعت ريبة فى كتم بعضه أو فى الخيانة فيه فليُحَلَّفا ؛ لأنهما مودَعَان مصدَّقان بيمينهما . فإذا وُجد ما خانا فيه وادّعَيَا أنهما تملّكاه بشراء ونحوه ولا بيِّنة لهما على ذلك ، يحلف المدَّعَى عليه على عدم العلم بما ادعياه من التملك ، وأنه مِلْك لمورِّثهما لا نعلم انتقاله عن مِلكه . والشهادة الأولى بمعنى الحضور أو الإحضار ؛ تقول : شهدت وصيّةَ فلان بمعنى حضرتُ . والشهادةُ الثانيةُ فى قوله تعالى : ﴿لَشَهَادَتُنَا﴾ بمعنى العلم المشاهَد أو ما هو بمنزلته . والثالثةُ فى قوله : ﴿أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا﴾ بهذا المعنى أو بمعنى اليمين .

فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَـٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ * يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى

نصف الحزب

والاثنان الكافران وصيّان لا شاهدان بالمعنى المتبادر . وفى تفسير الآية أقوالٌ أخرى . وقوله : ﴿شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ﴾ مبتدأ حُذِف خبره ؛ أى فيما فُرض عليكم شهادةُ ما بينكم . ﴿اثنانِ﴾ فاعل بـ «شهادة» أى أن يشهد اثنان . ﴿مِنْكُم﴾ أى من المسلمين . ﴿ضَرَبْتُمْ فى الأَرْضِ﴾ سافرتم . ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ تُوقفانهما للحَلِف بعد صلاتهما ، أو بَعد صلاة العصر ، وهو الوقت الذى يجتمع فيه الناس ، ويتحاشى فيه أهلُ الأديان الكذب فى الحَلِف . ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا﴾ لا نحلف بالله كذباً لأجل عَرَض الدنيا ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ أى ولو كان المُقْسَم له قريباً منّا .

١٠٧ ـ ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْماً﴾ أى اطُّلِع على خيانتهما بوجود ما خانا فيه عندهما . ﴿فَآخَرَانِ﴾ مبتدأ خبره جملةُ ﴿يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ أى يَقِفَان موقفهما فى الحبس من بعد الصلاة والحلف . ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ﴾ صفةٌ للمبتدأ . و«اسْتَحَقَّ» بالبناء للفاعل . ﴿الأَوْلَيَانِ﴾ تثنية أَوْلَى بمعنى أقرب فاعلُه . والمرادُ بالموصول : أهـلُ الميت . وبالأوليان : الأقربان إليه الوارثان له ، الأحقّان بالشهادة ؛ لعلمهما واطلاعهما . ومفعول «استحق» محذوفٌ ، تقديره : أن يجرّدوهما للقيام بالشهادة ليُظهروا كِذبَ الكاذبين .

١٠٨ ـ ﴿أنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا﴾ أى يصدُقوا فى حَلِفهما ولا يكذِبَا فيه . والله أعلم .

١٠٩ ـ ﴿فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ أىْ أىَّ إجابة أجابتكم بها

وَبِرَسُولِي قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ

أممكم ، حين دعوتموهم إلى توحيدى وطاعتى ، أهى إجابةُ قبولٍ ، أم إجابةُ رَدٍّ وإباء ؟! ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾ أىْ بالنّسبة إلى علمك المحيطِ بكلّ شيء ، سِرِّه وعلانيته ، ظاهره وخفيه ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ .

١١٠ - ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ جبريل عليه السلام . ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾ فى زمن الرضاعة قبل أوان الكلام [راجع آية ٤٦ آل عمران ص ٨١] . ﴿وَكَهْلًا﴾ فى حال اكتمال القوة (بعد نزوله) . ﴿عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ أى الكتابة والفهمَ لأسرار العلوم . ﴿تَخْلُقُ﴾ تُصوِّر وتقدِّر . ﴿الْأَكْمَهَ﴾ الأعمى المطموس البصر خلقةً . ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ واذكر نعمتى عليك إذ صرفت عنك بنى إسرائيل حين دبَّروا قتلك ، فأحبطتُ كيدَهم ونجّيتك منهم . ﴿أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ ألهمتهم وقذفت فى قلوبهم . أو أمرتهم على لسانك . والحواريُّونَ . خاصّتُه وأنصارُه .

١١٢ - ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ هل ينزّل علينا ربُّك مائدةً من السماء إن سألته أن ينزلها ! وهو كما يقول الرجل لصاحبه : هل تستطيع أن تقوم ؟ وهو يعلم أنه يستطيع . وقد طلبوا إنزالها لاعتقادهم قدرته تعالى على ذلك ؛ فإنهم مؤمنون . وقيل : إن سؤالهم ذلك من قبيل قول إبراهيم عليه السلام : (رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى)(1) . فقال لهم عيسى : ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ أن تسألوا مثل هذا ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بكمال قدرته ! والمائدةُ : الخِوَانُ إذا كان عليه الطعام ؛ مِن مادَه يَميدُه ، إذا أعطاه وأطعمه . ويُطلَق على نفس الطعام مائدةٌ لعلاقة المجاورة .

١١٣ - ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ تسكن قلوبُنا وتزداد يقيناً ﴿وَنَعْلَمَ﴾ علمَ مشاهدةٍ ﴿أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ فيما جئتَ به ﴿وَنَكُونَ﴾ لك ﴿عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ عند الذين لم يَرَوْها من قومنا ؛ ليؤمن كافرهم ، ويَزدادَ الذين آمنوا إيماناً .

١١٤ - ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ يكون يومُ نزولها عيداً لنا ولمن يأتى بعدنا . والعيدُ : بمعنى العائد ؛ مشتقٌّ من العَوْد ؛ لعَوْده بالفرح والسرور . ﴿وَآيَةً مِنْكَ﴾ وتكون دلالةً منك على كمال قدرتك ووحدانيّتك ، وحجّةً يُصدّقون بها رسولك .

١١٥ - ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ وعدٌ بالإنزال مرّة بَعد

(1) آية ٢٦٠ البقرة .

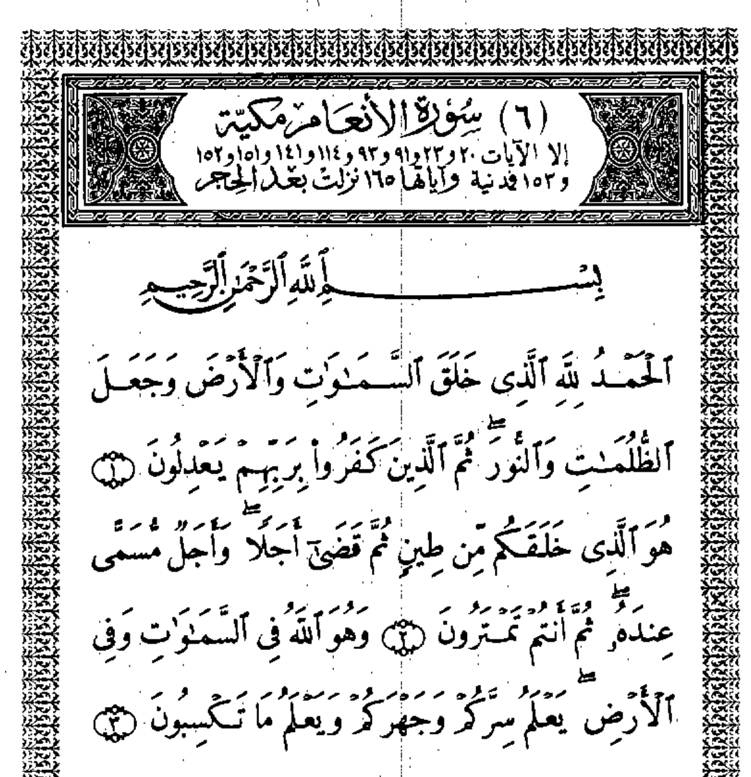
ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾

أخرى ، مع تهديد بأشدّ العذاب وأفظعه ، إذا كفروا بعد إنزالها . وجمهورُ المفسرين على أنها أنزلت عدّة مرّات . وعن الحسن ومجاهد : أنها لم تنزل ؛ لأنهم خافوا بعد هذا الوعيد أن يكفر بعضهم ، فاستعفَوْا وقالوا لا نريدها . والله أعلم .

١١٦ - ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى﴾ أى يقول له ذلك يوم القيامة توبيخاً لقومه على رءوس الأشهاد . ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى﴾ وقد اتخذ النصارى عيسى إلهاً ؛ كفرًا منهم وضلالاً . واتّخذ قومٌ منهم فيما مضى أُمَّه إلهاً ويُسَمَّوْنَ الْمَرْيَمِيِّين . كما اتخذ قومٌ من اليهود عُزَيرًا ابناً لله تعالى ؛ فتجاوزوا بذلك ربّهم وإلههم الحق . ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى﴾ تعلم ما فى ذاتى ولا أعلم ما فى ذاتك . والمرادُ : تعلم ما أعلمُ ولا أعلمُ ما تعلم ، وتعلم ما فى غَيْبى ولا أعلم ما فى غيبك ، وتعلمُ ما أقول وأفعل ولا أعلم ما تقول وتفعل . وإطلاقُ النّفس على الذّات بالنسبة إليه تعالى جائزٌ .

١١٧ - ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى﴾ فلما أخذتنى وافياً بالرفع إلى السماء حيًّا . إنجاءً لى مما دبّروه من قتلى ؛ من التّوَفّى وهو أخذ الشيء وافياً أى كاملاً . وقد جاء التّوَفّى بهذا المعنى فى قوله تعالى : (يَا عِيسَى إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا)[1] . ولا يصحّ أن يُحمل على الإماتة ؛ لأن إماتة عيسى فى وقت حصار أعدائه له ليس فيها ما يسوِّغ الامتنان بها . ورَفْعُه إلى السماء بعد الموت جُثّةً هامدةً سُخْفٌ من القول . وقد نزّه الله السماء أن تكون قبورًا لجُثَث الموتى . وإن كان الرفع بالروح فقط ، فأىّ مزيّة لعيسى فى ذلك على سائر الأنبياء ، والسماءُ مستقرُّ أرواحهم الطاهرة . فالحقُّ أنه عليه السلام رُفِع إلى السماء حيًّا بجسده ؛ وقد جعله الله وأمَّه آيةً ، والله على كل شىء قدير . ﴿الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ الحفيظَ عليهم ، المراقبَ لأعمالهم ، الذى لا يغيب عنه شىء من أحوالهم . والله أعلم .

(١) آية ٥٥ آل عمران .



سُورة الانعام

١ - ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إعلامٌ بأنه تعالى حقيقٌ بالحمد والثّناء ، مستوْجبٌ لهما ؛ لخلْقه السّماوات والأرضَ ، على ما هما عليه من بديع الصُّنع والإحكام . وخلْقِه الظلماتِ والنُّورَ ، أو ظلماتِ الليل ونورَ النهار ؛ منفعةً للعباد ، وآياتٍ للمتفكّرين ، ودلائلَ على وحدانّيته وقدرته وتدبيره . ﴿وَجَعَلَ﴾ أى أحدث وخلَق . ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أى ثم الذين كفروا مع قيام هذه الدلائل الظاهرة يسوُّون بربّهم غيرَه مما لا يقدر على شيء من ذلك ؛ فيكفرون به ، أو يجحدون نِعمته ؛ فأىّ شيء أعجبُ من ذلك وأبعد عن الحق ! ، من العَدْل بمعنى التّسوية . وقوله ﴿بِرَبِّهِمْ﴾ متعلّق بقوله ﴿يَعْدِلُونَ﴾ . أو ثم الذين كفروا بربهم يميلون عنه ، وينصرفون إلى غيره من خلْقه ؛ فيعبدون ما لا يستحق العبادة ؛ من العدول . وقولُه «بربهم» متعلّق بقوله «كفروا» . و«ثمّ» على المعنيين لاستبعاد وقوع ذلك منهم .

٢ - ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ ابتدأ خلْقكم من المادّة الطّينيّة بخلق أصلكم منها ، ثم قدّر حدًّا معيّناً من الزمان للموت . وأجلٌ آخَرُ مستأثَرٌ بعلمه تعالى ؛ لا يَعلمُ وقتَ حلوله سواه تعالى ؛ وهو وقت البَعْث للحساب والجزاء .

وقيل : الأجلُ الأوّلُ ما بين الخلق والموت ، والثانى ما بين الموت والبَعْث ؛ وهو البَرْزخ . ﴿قضى أجلا﴾ كتب وقدر زمانًا معينا للموت . ﴿أَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ زمن معين للبعث مستأثر بعلمه . ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ أى ثم أنتم تشكُّون فى البعث . أو تجادلون فيه . أو تجحدونه مع قيام الدلائل المشاهَدة على القدرة عليه ؛ فإنّ من قَدَر على إحياء ما لم يَشُمّ رائحة الحياة قطّ ، قادرٌ على إحياء ما قارنها مدّةً ؛ من المِرْيَة ، وهى الشك والتّردد فى الأمر . وأصلُها من مَرَى الناقةَ يَمْرِيها ، إذا مَسح ضَرعَها للدَّر ؛ واستُعملت فى الشّك لأنه سببٌ لاستخراج العلم الذى هو كاللّبن الخالص من بين فَرْث ودَم . أو من المِراء بمعنى المجادلة . أو من مَرَى حقّه ، إذا جحده . و«ثُمّ» للاستبعاد .

٣ - ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ أى وهو الإله ، أو المعبود ، أو المدبِّر فيهما . فقوله : «فى السَّماوَاتِ» متعلّق بلفظ الجلالة ؛ باعتبار المعنى الوصفِيّ الذى تضمّنه . ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ أى أعمالَ قلوبكم وأعمالَ جوارحكم . ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ أى ما تستحقّونه عليها من ثواب أو عقاب . أو يعلم ما تُسرُّونه وما تجهرون به من أقوالكم وأعمالكم ، وما تفعلونه لجلب

وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا

نفع أو دفع ضرّ من أعمالكم التى تكتسبونها بقلوبكم وجوارحكم ، سرًّا وعلنًا .

٤ ، ٥ - ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ﴾ أى وما ننزّل إليهم آيةً من آيات القرآن ، ناطقةً ببدائع صُنْعِه ، منبئةً بجَرَيان أحكام ألوهيّته على سائر خلقه ، وإحاطة علمه بجميع أحوالهم ، وبأنباء اليوم الآخِر ؛ إلاّ أعرضوا عنها ، ولم يعتنوا بها ، أو كذّبوا بها ؛ كما يُنبئ عنه قوله تعالى : ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ أى بالقرآن . والفاءُ لترتيب ما بعدها على ما قبلها ؛ إذ التكذيبُ مرتّبٌ على الإعراض ، بمعنى عدم القبول والاعتناء به . وقد توعّدهم الله على سُوء صنيعهم بقوله : ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ كما أتى مَن قبلهم من المكذّبين لرسلهم .

٦ - ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ أى ألم يُبصروا ، أو ألم يعرفوا ! ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ من أُمّة فعلت مثل ما فعلوا ! . والقَرْنُ : مُدَّةٌ مُعيّنةٌ من الزمان . وهو حقيقةٌ فى ذلك وفى أهله ؛ على ما اختاره بعض المحققين . والمراد هنا : أهلُه ، ولا حاجةَ إلى تقدير مضاف . وقيل : هو حقيقة فى الأوّل ، واستعمالُه فى الأهل مجازٌ بالحذف . وأصلُه من الاقتران بمعنى الاجتماع . ﴿مَكَّنَّاهُمْ فِى الْأَرْضِ﴾ أعطيناهم فى أرضهم من القوّة والبَسْطَةِ فى الأجسام والأموال ما لم نعط أهل مكة . يقال : مكّنته ومكّنت له ، مثلُ نصحته ونصحت له ؛ من التّمكين ، وهو إعطاء المَكِنَة - بفتح الميم وكسر الكاف - أى القوة والشّدة . ﴿السَّمَاءَ﴾ المطر . ﴿مِدْرَارًا﴾ غزيرًا متتابعاً فى أوقات الحاجة ؛ رحمةً منّا وإنعاماً ؛ فعاشوا فى خصْب وَسَعة . يقال : دَرّتْ السماء بالمطر تَدِرُّ وتدُرّ دَرًّا ودرورًا فهى مِدْرَار ، صبته صبًّا . وأصلُه من الدَّر ، أى سيلان اللبن وكثرته ؛ ثم استُعير للمطر الغزير . ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أى ومع ذلك التَّمْكين وهذه القوّة أهلكناهم بسبب كفرهم . أفلا يعتبر أهل مكة بذلك فلا يستمروا فى كفرهم وعنادهم !

٧ - ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِى قِرْطَاسٍ﴾ القرطاسُ - بتثليث القاف ، والكسر أشهر - : ما يُكتَب فيه . أى ولو نزلنا عليك مكتوباً من عندنا فى قرطاس كما اقترحوا فرأوْه ولمسُوه بأيديهم لقالوا : ما هذا إلّا سِحرٌ بيِّن ظاهر ؛ إمعاناً منهم فى الجحود والعناد .

وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ * وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ

ثلاثة أرباع الحزب

٨ - ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ أى هلاَّ أُنْزِلَ على محمّد مَلَكٌ نشاهده معه ، ويخبرنا أنه رسولٌ من عند ربه ؛ فيكون معه نذيرا . ﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ جوابٌ عن اقتراحهم . أى لو أنزلنا عليه مَلَكاً فى صورته الحقيقية ، وشاهدوه بأعينهم لزهقت أرواحُهم من هوْل ما يشاهدون . ﴿ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾ أى لا يُمهلون طرفة عين بعد إنزاله ومشاهدتهم له ؛ مِن النَّظَر . يقال : نظرته وأنظرته ، أى أخّرته .

٩ - ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً﴾ أى ولو جعلنا النّذيرَ - الذى اقترحوا إنزاله معه - مَلَكاً لمَثّلناه رجلاً ؛ لعدم استطاعتهم معاينةَ المَلَك على صورته الأصلية . وهذا على فرض عدم الهلاك برؤيته . ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ أى ولَخَلَطنا عليهم بتمثيله رجلاً ما يخلطون على أنفسهم بأن يقولوا له : إنما أنت بشر مثلنا ولستَ بملَك ؛ من اللَّبْس وهو الخَلْط ، وأصلُه السَّتْرُ بالثوب ؛ ومنه اللِّباس . ويُستعمل فى المعانى فيقال : لَبَس الحقَّ بالباطل يَلْبِسه ، ستره به . ولَبَستُ عليه الأمر : خلطته عليه ، وجعلته مشتبهاً حتى لا يعرف جهته .

١٠ - ﴿فَحَاقَ﴾ أى أحاط بالذين سَخِروا من الرُّسل العذابُ الذى كانوا يستهزئون به حين يخوفهم الرسل إيَّاه . يقال : حاق به الأمر يَحيق حَيْقاً وحُيُوقاً ، أحاط به كأحاق . والْحَيْقُ : ما يشتمل على الإنسان من مكروهِ فِعلِه . والسُّخْرِيةُ : الاستهزاءُ والتهكم .

١١ - ﴿عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ آخرتُهم ونهايتُهم . مصدرٌ كالعافية ؛ وهى منتهى الشىء وما يصير إليه .

١٢ - ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ أوجبَ على نفسه رحمةَ عباده ؛ تفضُّلاً منه وإحساناً ، فلا يعجل عليهم بالعقوبة حين يستوجبونها بما يعملون . ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ أى والله ليجمعنّكم إلى يوم القيامة للجزاء ، فلا يَغُرَّنّكم هذا الإمهالُ ؟ . ﴿خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أهلكوها وغبنوها بالكفر .

١٣ - ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ﴾ أى ولله وحده جميع ما ثبت واستقرّ فيهما ؛ من السُّكْنَى ، فيتناول السَّاكن والمتحرِّك . وقال ابن جرير : كلُّ ما طلعت عليه الشمس وغَربت ، فهو من ساكن اللّيل والنهار . والمرادُ أنّه تعالى هو ربُّ جميع ما وُجد فى الأرض برًّا وبحراً

١٤ - ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ ناصرًا ومُعِينًا ، أستنصره وأستعين به على النوائب ، فضلا عن أن أتخذه معبودًا ؟ من الوَلاية بمعنى النُّصْرة . ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟

والْأَرْضِ﴾ مُبْدِعِهِمَا على غير مثال يُحتذَى ؛ مِنَ الْفَطْرِ ، وهو الإبداع والإيجاد من غير سَبْق مِثال . وأصلُه : الشقُّ وفصلُ شيء عن شيء ؛ ومنه فَطَر نابُ البعير أى طلع . واستُعمل فيما ذكر ؛ لاقتضائه التركيبَ الذى سبيلُه الشقُّ والتأليف . أو لما فيه من الإخراج من العَدَم إلى الوجود . ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ يَرزق ولا يُرزق . والمرادُ أن له تعالى الغنَى المطلق ، وأن الخلقَ جميعاً محتاجون إليه وجودًا وبقاءً . ﴿مَنْ أَسْلَمَ﴾ خضع لله بالعبودية وانقاد له .

١٨ ـ ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ أى الغالبُ لعباده ، المُقْتَدِرُ عليهم ، الذى لا يُعْجزه شىء أراده ، ولا يستطيع أحدٌ من خلقه ردَّ تدبيره ، والخروجَ من تحت قهْره وتقديره . قال الطبرى : القاهرُ : المتعبِّدُ خلقَه ، العالى عليهم . وإنَّما قال «فوق عباده» لأنه تعالى وصف نفسه بقهره إيَّاهم ، ومن صفة كلِّ قاهرٍ شيئاً أن يكون مستعلياً عليه . والمعنى : واللهُ الغالبُ عبادَه ، المذلِّل لهم ، العالى عليهم بتذليله إيَّاهم ؛ فهو فوقهم بقهره إياهم ، وهم دونه . [راجع المسألة الرابعة من المقدمة فى مذهب السلَف والخلَف فى آيات الصفات] .

١٩ ـ ﴿أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم شاهدًا يشهد له بالنبوّة ؛ فنزلت الآيـة . أىْ أىُّ شىء أعظمُ شهادةً ؟ فإن أجابوا وإلاَّ فـ ﴿قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُم﴾ يشهد لى بالحق ، وعليكم بباطِلِكُم ؛ بما أنزَله من القرآن ، وهو أكبرُ مُعجزةٍ وأصْدقُ دليلٍ . ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾ أى وأنذر من بلغه القرآنُ ممن سيوجَد إلى يوم القيامة من سائر الأمم . وفى هذا دلالةٌ على عموم الرسالة ، وأن أحكام القرآن تعمُّ

أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا

الثقلَيْن إلى يوم الدِّين . وفى الحديث : (مَن بلغه القرآن فكأنما شافهتُه)[1].

٢٣ - ﴿لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ﴾ الفتنةُ من الفَتْن ، وهو إدخال الذهب النارَ لتُعلم جوْدته من رداءته ، ثم استُعمل فى معان ؛ كالمَعذِرة والاختبار ، والكُفر والإثم والضلالِ ، والبليّة والمصيبة . أى لم تكن معذرتهم عن كفرهم ، أو عاقبةُ كفرهم ، إلا التبرّى من الشرك والشركاء فى ذلك اليوم ، فقد كذبوا فى الآخرة كما اعتادوا الكذب فى الدنيا .

٢٤ - ﴿ضَلَّ عَنْهُمْ﴾ غاب وزال عنهم ﴿مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ يكذبون - الأصنام وشفاعتهم .

٢٥ - ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أى أغطيَةً تمنعهم أن يفقهوا ما يسمعونه من القرآن ؛ جمعُ كِنَان . يقال : كَنَّ الشىء يكنُّه ستره . وأكننته : أخفيته . واستكنّ : استتر . ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ أى وجعلنا فى آذانهم صَمماً وثقَلاً يمنعهم من استماع القرآن على وجه القبول . يُقالُ : وَقِرت أذنُه - من باب تَعِب ووَعَد - صَمَّت وثقُل سمعها . والكلامُ تمثيلٌ لِعظم جهلهم بشئون النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وفرطِ نُبُوّ قلوبهم وأسماعهم عن فهم القرآن والانتفاع به ؛ وقد خلق الله فيهم داعيةَ الكفر وعَلِم أنهم لا يؤمنون ، فيستحيل إيمانهم مع ذلك مهما رأوْا من الآيات الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم ؛ وهو قولُه تعالى : ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ . ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أكاذيبُهم ، أو أقاصيصهم ، أو تُرّهاتهم المسطورة التى لا أصل لها . جمعُ أُسطورة ؛ كأحدوثة وأحاديث . وقيل : جمعٌ لا واحد له ؛ كأبابيل .

٢٦ - ﴿وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ يتباعدون بأنفسهم عن القرآن ، أو عن الرسول فلا يؤمنون به إظهارًا لغاية نفورهم منه . يقال : نأى ينأى نأْيًا ، أى بَعُدَ . ونأَيْتُه ونأيْت عنه وأنأيته عنه .

٢٧ - ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾ حُبِسُوا عليها يوم القيامة . يقال : وَقَفه وقفاً ، حبسه . وجوابُ الشّرط : لرأيتَ هوْلًا عظيماً .

٢٨ - ﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ ...﴾ أى بل

(١) أخرجه أبو نعيم .

وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِىْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِن

ظهر لهم فى وقوفهم هذا ما كانوا ينكرونه ولا يؤمنون به ، وهو نار الآخرة . فالمرادُ من «ما» : النارُ ، ومن الإخفاء : السَّتْرُ بمعنى الإنكار والجحود . ومع ذلك لو رُدُّوا إلى الدنيا لعادوا إلى الكفر والتكذيب ؛ لسوء استعدادهم ، وإنهم لكاذبون لا يوفون بما وَعدوا به .

٣٠ ـ ﴿وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ حُبسوا على حُكم ربّهم للحساب والجزاء . وجوابُ الشَّرط : لرأيت أمرًا عظيمًا . ﴿قَالُوا بَلَى﴾ أى إنه لحق . و«بلى» حرفُ جواب لاستفهام دخل على نَفْي فتفيدُ إبطاله ؛ [راجع آية ٨١ البقرة ص ٢١] .

٣١ ـ ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة . والمراد بالساعة : يومُ القيامة . والبَغْتُ والبَغْتَةُ : مفاجأةُ الشيء بسرعة من غير اعتدادٍ به ، ولا إلقاء بَال إليه . ﴿يَاحَسْرَتَنَا﴾ الحَسْرَةُ : شدّة الندم على ما فات . [راجع آية ١٦٧ سورة البقرة ص ٣٨] . ﴿فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ قصرنا وضيعنا فى الحياة الدنيا . ﴿يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾ آثامهم وخطاياهم . جمع وِزْر ؛ وأصلُه الحِمل الثقيل ، وأُطلِق على الذنب لِثقله . والمرادُ : بيانُ شدّةِ ما يلاقُونه من العذاب بسبب ذنوبهم .

٣٢ ـ ﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ اللعِبُ واللّهوُ : كلاهما الاشتغال بما لا يَعنى العاقِلَ ولا يُهِمُّهُ ؛ من هوًى وطَرَبٍ ، حراماً كان أو حلالاً . غيرَ أن اللّعبَ ما قُصد به تعجيل المسرّة والاسترواح به . واللّهوُ : ما شَغل من هوًى وطَرب وإن لم يُقصد به ذلك . أى وما طُلّاب لذّات الحياة الدنيا ومسرّاتها ونعمائها المتنافسون فيها إلّا فى لعب ولهو ؛ لأنها عما قليلٍ تزول وتضمحل ، كما يزول لَعِبُ اللاّعب ولهْوُ اللاّهى ، ولا يبقى له أثر ؛ فلا يغترّ بها العاقل .

٣٣ ـ ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ أى فى الحقيقة ، وإنمّا يكذبون آيات الله وأنك رسول الله ؛ فلا تحزن مما يقوله هؤلاء الظالمون الجاحدون .

٣٤ ـ ﴿لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ آيات وعده بنصر رسله .

٣٥ ـ ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ﴾ أى وإن كان قد عَظُم ، وشَقَّ على نفسك تكذيبُهم وكفرُهم وعدمُ



ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾

إجابتهم إلى ما اقترحوا ، وأخذ منك الحُزنُ على ذلك مأخذَه ، وأحببت أن تجيبهم إلى ما اقترحوا ، فإن كنت تقدر على أن تتخذ سَرَباً فى أعماق الأرض ، أو مصعدًا تصعد به إلى السماء لتأتيهم بآيةٍ مما اقترحوا عليك فافعل ؛ وإذا كنت لا تقدر على ذلك فاصبر على شدائدهم وعلى تكذيبهم ومعارضتهم الآيات التى نصبها الله تعالى للناظرين المتأملين ؛ ولو شاء الله أن يجمعهم على الهُدَى لجمعهم ، ولكن لم يُرد ذلك لعلمه بسوء اختيارهم . ﴿نَفَقاً فِى الْأَرْضِ﴾ سربا فيها ينفذ إلى ما تحتها . ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ بدقائق شئونه تعالى التى منها عدم تعلُّق مشيئته بإيمانهم لفساد استعدادهم .

٣٦ ـ ﴿وَالْمَوْتَى﴾ أى الكفار الذين لا يسمعون ولا يستجيبون ﴿يَبْعَثُهُمُ اللهُ﴾ يوم القيامة من قبورهم ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ لا إلى غيره ؛ فيجازيهم على جحودهم وإصرارهم على الكفر .

٣٨ ـ ﴿إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ طوائفُ مختلفةٌ أمثالكُم فى الخلق والموت ، والحاجةِ إلينا فى الرزق والتدبير فى جميع أمورها ؛ والدلالةِ على كمال القدرة وبديع الصنعة فى تسخيرها وتصريفها بقدرتنا ؛ فكيف تظنون عدم قدرتنا على إنزال ما اقترحتم من الآيات ! إن ذلك جهل منكم عظيم ! وما نُنَزِّلُ الآيات وما نترك إنزالها إلا على حسب ما تقتضيه الحكمةُ والمصلحةُ والمشيئةُ المبنيَّةُ عليهما . ﴿مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شَىْءٍ﴾ ما تركنا فى القرآن شيئاً مما يحتاج إليه الناس فى أمر الدِّين والدنيا ، إمّا مفصَّلاً وإمّا مُجْمَلاً ، أو شيئاً يحتاج إليه المكلَّفون من أصول الدِّين وأحكامه وحِكَمه ، وضروبِ الهُدَى التى جاء بها الرسل . وقيل : الكتابُ اللّوحُ المحفوظ ؛ وفرَّطْنا من التَّفريط وهو التقصير . يقال : فرَّطَ فى الأمر تفريطاً ؛ قَصَّر فيه وضَيَّعه وقدّم العجز فيه . والجملةُ معترضةٌ لتقرير مضمون ما قبلها .

٣٩ ـ ﴿فِى الظُّلُمَاتِ﴾ ظلمات الجهل والعناد والفكر . ﴿مَنْ يَشَإِ اللهُ يُضْلِلْهُ﴾ من يُرد سبحانه خَلْقَ الضلال فيه يخلقه فيه حسب اختياره الناشئ عن استعداده ؛ بحيث لو خُلِّيَ ونفسَه لاختاره .

بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ

٤٠ – ﴿أَرَأَيْتَكُمْ﴾ أى أخبِرُونى عن حالتكم العجيبة ؟ والهمزة للاستفهام ، ورأى بمعنى عَلِمَ ، وتتعدّى إلى مفعولين ، والتاءُ ضمير الفاعل ، وما بعده حرف خطاب يدلّ على اختلاف المخاطَب ، أُتِىَ به للتأكيد ، والمفعولُ الأوّلُ محذوف تقديره : أغيرَ الله تدعونه لكشفه ؟ والمعنى : أرأيتكم عبادتكم الأصنام هل تنفعكم ؟ أو هل تكشف عنكم ضرّكم ؟ أى أخبرونى عن ذلك إن كنتم صادقين فى أن أصنامكم آلهةٌ ، وأن عبادتكم لها نافعةٌ . وفى استعمال أرأيت بمعنى أخبرنى تجُوز : إطلاقُ الرؤية وإرادةُ الأخبار ؛ لأن الرؤية سببٌ له . وجعلُ الاستفهام بمعنى الأمر بجامع الطلب فى كل منهما .

٤٢ – ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ أى فكذَّبوا رسلَهم فانتقمنا منهم ﴿بِالْبَأْسَاءِ﴾ وهى الفقرُ والضِّيقُ فى المعيشة . ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ وهى الأسقامُ والعللُ العارضةُ للأجسام ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ يتذلّلون لله تعالى ويتوبون من كفرهم ؛ من الضّراعة ؛ وهى الذِّلة والهيئة المنبئة عن الانقياد والطاعة . يقال : ضَرِعَ الرجل يَضْرَع ضراعةً ، خضع وذَلَّ ؛ فهو ضارعٌ وضَرِعٌ .

٤٣ – ﴿جَاءَهُمْ بَأْسُنَا﴾ أتاهم عذابنا .

٤٤ – ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أى من النّعم الكثيرة بدل البأساء والضراء ، إلزاماً للحجة واستدراجاً لهم . وفى الحديث : (إذا رأيت الله يُعطى العبد فى الدنيا وهو مقيم على معاصيه فإنما هو استدراج)(١) . ﴿مُبْلِسُونَ﴾ آيسون من النجاة والرحمة ؛ من الإبلاس ، وهو اليأس والقنوط . يقال : أبلس من رحمة الله أى يئس . أو مكتئبون متحسّرون .

٤٥ – ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ﴾ آخرُهم الذى يَدْبُرهم . والدّابرُ : التابعُ من خلْف . يقال : دَبَرَ القومَ يَدْبُرهم دُبورًا ، إذا كان آخرَهم فى المجىء . والمرادُ أنهم استُؤصِلوا بالعذاب استئصالاً .

٤٦ – ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروهم . ﴿نُصَرِّفُ الآيَاتِ﴾ نكررها على أنحاء مختلفة . ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ يُعرضون عن الآيات مكذّبين . يقال : صدَف عن الشىء يَصْدِفُ صَدْفاً وصُدُوفاً ، إذا أعرض عنه . وأصدفه عن كذا : أماله عنه وصرفه . وأصله

(١) رواه أحمد والطبراني .

عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ

صَدَفَةُ الجبل ؛ أى جانبه ومُنقَطعه .

٤٧ ـ ﴿بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾ مفاجأة . أو ظاهرًا عياناً .

٥٠ ـ ﴿قُل لَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ اقترحوا على الرسول صلى الله عليه وسلّم أشياء تعجيزًا وتعنُّتاً ! ؟ فنزلت الآية . أى قل لهم لا أدّعى أنّ عندى مقدورات الله فأتصرّف فيها كيف أشاء ! ولا أنى أعلم الغيبَ فأخبركم بما سيكون ! ولا أنى مَلَكٌ حتى لا آكل ولا أشرب ولا أتزوّج ! وما أنا إلا عبدٌ لله يتّبع ما أوحاه الله إليه ؛ فكيف تقترحون علىّ ما لا شأن لى به ! .

والخزائنُ : جمعُ خزانة ، وهى ما يُخزَن فيه الشيء النفيس . وخَزْنُ الشيء : إحرازُه حيث لا تناله الأيدى . ﴿خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ مرزوقاته أو مقدراته .

٥١ ـ ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ خوِّف بالقرآن الذى أوحِىَ إليك القومَ الذين يخافون ﴿أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ غير منصورين ولا مشفوعاً لهم . والمرادُ بهم عصاةُ المؤمنين . وقيل : المقرُّون بالبعث ، سواء كانوا جازمين بأصله ، أو مترددين فى شفاعة الأنبياء أو فى شفاعة الأصنام . وهو أمرٌ من الله لرسوله بتذكيرهم وإنذارهم . وتنديدٌ بالمشركين الذين لا ينفع فيهم الوعظ والتذكير .

٥٢ ـ ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ ولا تُبعد عنك ضعفاء المؤمنين الذين سارعوا إلى الإيمان بك ، واستداموا على عبادة ربّهم يبتغون بها وجهه الكريم ، مثل : سلْمان ، وبلال ، وصُهَيْب ، وعَمَّار ، وخبَّاب ؛ أملاً فى إسلام رؤساء المشركين وسادتهم الذين استنكفوا منهم وقالوا : لو طردتَ هؤلاء السُّقّاط لجالسناك . بل اجعلهم جلساءك وأخصّاءك فهم عند الله أفضل وأزكى ؛ كما قال تعالى : (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا)[1] . ولم يقع منه صلى الله عليه وسلم طردٌ لهم ، وإنما هَمَّ بإبعادهم وقت حضور هؤلاء السادة ، لمصلحة أخرى ، وهى التلطف لهم أملاً فى إسلامهم . والغداةُ لغةً : كالبُكرة ، ما بين

(١) آية ٢٨ الكهف .

فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ



صلاة الفجر وطلوع الشمس . والعشيُّ : آخرُ النهار . أو من الزوال إلى الغروب . والمرادُ بهما هنا جميع الأوقات . ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ لمّا قال المشركون فى حق هؤلاء الضعفاء : إنهم ما قَبلوا دِينَك ولازَموك إلا لحاجتهم إلى المأكول والملبوس ؛ قال تعالى إن كان الأمركما زعموا فما يلزمك إلا اعتبار الظاهر ، وحسابُهم على الباطن لا يتعدّى إليك ، كما أن حسابك لا يتعدّى إليهم . وهوكقوله تعالى : (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)[1] . وقولُه ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ جوابٌ لقوله ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ . وقولُه ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ جوابٌ لقوله ﴿وَلَا تَطْرُدِ﴾ أى فتكون من الذين يضعون الشيء فى غير موضعه .

٥٣ ـ ﴿فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ جعلنا بعضهم فتنةً لبعضٍ ؛ أى ابتلاء تظهر به حقائقُ أنفسِهم غيرَ مشوبة بالشوائب التى تلتبس بها عادة . فابتلينا الفقراء بالأغنياء ، والأغنياءَ بالفقراء ، وكلٌّ فريق بضدّه .

٥٤ ـ ﴿مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ﴾ أى وهو جاهل بمقدار ما يستحقّ عليه من العقاب وما يفوته من الثواب . أو لإيثاره اللذة العاجلة على الآجلة .

٥٧ ـ ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ ليس فى مقدرتى إنزالُ العذاب الذى استعجلتموه بقولكم : (فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ ...)[2] وما الحُكم فى ذلك إلاّ لله وحده ، يتبع الحقّ والحكمة فيما يقدّره ويحكم به ، وهو خير من يفصل بين الحق والباطل . والاستعجالُ : المطالبةُ بالشيء قبل وقته . ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ﴾ من قصَّ الأثر : تتبّعه . ﴿خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ بين الحق والباطل بحكمه العدل .

٥٩ ـ ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ جمعُ مِفْتَح ـ كمنبر ـ : وهو آلة الفتح ، وتسمَّى المفتاح . أو جمعُ مَفْتَح ـ كمسجد ـ : وهو الخزانة التى تُحفَظ بها الأشياء . والغَيْبُ : ما استأثر الله بعلمه . أى وعنده المفاتيح التى يفتح بها الغيب ، وهو مجاز عن علمه تعالى

(١) آية ١٦٤ الأنعام . (٢) آية ٣٢ الأنفال .

إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾

جمعَ المعلومات ، ما غاب عنّا وما لم يَغِب ؛ لأن المفاتيح هي التي يُتوصّل بها إلى ما في الخزائن المُسْتَوْثَق منها بالإغلاق ؛ فمن علم كيف يفتح بها ويتوصّل إلى ما فيها فهو عالم . أو عنده خزائن الغيب ، والمراد بها القدرة الكاملة على كلّ الممكنات ؛ كما في قوله تعالى : (وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ)[1] . ﴿إِلَّا فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ إلاّ في علمه تعالى المحيط بجميع الأشياء إحاطةَ الكتاب بما فيه . أو إلاّ في اللّوح المحفوظ الذي خُطّ فيه بقلم القدرة أزلاً ، ما كان وما سيكون . وهو بدلٌ من ﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ بدلُ كلّ على المعنى الأول ، واشتمال على الثاني .

٦٠ - ﴿وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ يَقْبِض أرواحكم إذا نمتم ليلاً . وأصلُ التوفّي : أخذُ الشيء وافيًا . ويقال : توفّيتُ الشيء واستوفيته بمعنًى ؛ وهو كقوله تعالى : (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى)[2] . ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ ما كسبتم فيه بجوارحكم من الخير والشّر . والاجتراحُ : الاكتسابُ . يقال : جَرَح - من باب نفع - واجترح ، أي اكتسب بيده أو رجله أو فمه . وتخصيصُ التوفّي بالليل ، والجَرْح بالنهار ؛ باعتبار الغالب وإلا فقد يُعكس الأمر .

٦١ - ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [راجع آية ١٨ من هذه السورة ص ١٧١] . ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ ملائكةً يكتبون أعمالكم ويحفظونها ؛ لتُعرض على رءوس الأشهاد يوم الحساب ؛ وهم الكرام الكاتبون . وذلك من جملة القهر لعباده . ﴿لَا يُفَرِّطُونَ﴾ لا يتوانون . أو لا يقصرون .

٦٣ - ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ معلنين الضراعة والذّلة ، ومسرّين في

(١) آية ٢١ الحجر . (٢) آية ٤٢ الزمر .

وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ

أنفسكم بها .

٦٥ - ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ يخلطكم فرقًا مختلفةَ الأهواء ، كلُّ فرقة تتبع إمامًا ، تختصمون وتشتبكون فى ملاحم القتال (١) . و﴿شِيَعًا﴾ جمعُ شيعة ، وهم الأتباع والأنصار . وكلُّ قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة . ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ يسلِّط بعضكم على بعض بالعذاب والقتل . والبأسُ : الشدة . وهذا ما ابتُلِىَ به الناس فى سائر العصور . ﴿نُصَرِّفُ الآياتِ﴾ نكررها بأساليب مختلفة .

٦٦ - ﴿بِوَكِيلٍ﴾ بحفيظ وكل إلى أمركم فأجازيكم .

٦٨ - ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِى آيَاتِنَا﴾ أى استهزاءً وطعنًا فيها . وأصلُ الخوض : العبورُ فى الماء . ثم استُعير للأخذ فى الحديث فقيل : تخاوضوا فى الحديث ، أى أخذوا فيه . وأكثر ما يُستعمل الخوضُ فيما كان على وجه اللعب والعبث . والخطابُ لكلّ من يتأتّى مخاطبته . أو للرسول والمرادُ أمّته .

٧٠ - ﴿غَرَّتْهُمُ﴾ خدعتهم وأطمعتهم بالباطل . ﴿وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾ أى وذكّر الناسَ بالقرآن أو بالحساب مخافةَ أن تُسْلَم نفس إلى الهلاك ، أو تُحبس أو تُرتَهن أو تُفتَضح ، أو تُحرم الثوابَ بسبب كفرها وذنوبها ؛ من البَسْل بمعنى المَنْع بالقهر ، أو التحريم ، أو الحبس والرهن ، أو الاستسلام . ومنه : أسدٌ باسلٌ ؛ لمنعه فريسته من الإفلات . وشرابٌ بسيلٌ ؛ أى متروك . وهذا بسيلٌ عليك ، أى محرّم . ﴿وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ وإن تفتد تلك النَّفس بكل فداء لا يُقبل منها ما تَفْتَدِى به .

(١) راجع آية ٩ من هذه السورة .

وَٱتَّقُوهُ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ



والعَدْلُ : الفداءُ ؛ وهو كقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ)[1] . ﴿أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾ أُسلِمُوا إلى الهلاك ، أو بأحد المعانى السابقة لِلإبسالِ ؛ بسبب أعمالهم القبيحة . ﴿حَمِيمٍ﴾ ماءٍ بالغ نهاية الحرارة ، يَتَجَرْجَرُ فى بطونهم ، وتتقطّع به أمعاؤهم .

٧١ ـ ﴿وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا﴾ أى نرجع إلى الشرك الذى كنا فيه . يقال لمن رُدَّ عن حاجته ولم يَظفر بها : قد رُدَّ على عقبَيْه ؛ مثل : رجعَ القَهْقَرَى . ﴿كَالَّذِى اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ﴾ أى أَنُرَدُّ إلى الشرك ردًّا مثلَ الذى ذهبت به المَرَدَة فألقته فى المهامه والقفار ، تائهًا ضالًّا عن الجادّة لا يدرى ما يصنع ، له رُفقة تدعوه إلى الطريق المستقيم قائلةً له : إئتنا ؛ فلا يجيبهم . والكلامُ من باب التمثيل . ﴿أُمِرْنَا لِنُسْلِمَ﴾ أمرنا بأن نسلم ونخلص العبادة .

٧٣ ـ ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ ، قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ أى وقضاؤه المعروف بالحَقِّيَة كائن ، حين يقول سبحانه لشىء من الأشياء (كُنْ فَيَكُونُ) ذلك الشىء ويَحدُث . و(يَوْمَ) خبر مقدم و(قَوْلُهُ) مبتدأ مؤخَّر و(الحَقُّ) صفته . ﴿فِى الصُّورِ﴾ هو قَرْنٌ يَنفخ فيه المَلَكُ نَفْخَةَ الصَّعْق والموت ، ونفخة البعث والنشور ؛ واللهُ أعلم بحقيقته . أى واستقرّ المُلْك لله تعالى وحده فى ذلك اليوم ، فلا مُلْكَ لسواه (وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ)[2] .

٧٤ ـ ﴿آزَرَ﴾ لقبٌ لأبى إبراهيم عليه السلام المسمى تارَخ ، أو هو اسم آخر له . ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾ جمعُ صنم ، وهو والتمثالُ والوَثَنُ بمعنًى ، وهو الذى يُتّخذ من حجر أو خشب أو مَعْدِن على صورة إنسان . أى تتّخذُها آلهةً تعبدها من دون الله الذى خلقك ورزقك ! وهى لا تنفع ولا تضرّ ، ولا تستحقّ الألوهيّة ؛ بل هى مما تصنعون بأيديكم .

٧٥ ـ ﴿وَكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ﴾ أى كما أريناه الحقَّ فى خلاف ما عليه قومُه من الشرك نُريه ربوبيته تعالى ، ومالكيّته للسماوات والأرض . والملكوتُ : الملكُ العظيم ؛ مصدرٌ زيدت فيه الواو والتاء للمبالغة فى الصفة ؛ كالرّحَمُوت من الرّحمة . وهو مختصٌّ بمُلْكه تعالى ؛ كما ذكره الرّاغب .

٧٦ ـ ﴿جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ ستره الليل وتغشّاهُ بظلمته ، وأصلُ الجَنّ : السَّتْرُ عن الحاسة . يقال : جنَّه الليلُ وجَنّ عليه يَجُن جنًّا وجنونًا ، وأجنَّه وأجَنَّ عليه إجنانًا ؛ ومنه الجنّ والجِنّة ـ بالكسر ـ والجُنّةُ ـ بالضم ـ وهى

(١) آية ٩١ آل عمران . (٢) آية ١٩ الانفطار .

هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ

ما يتّقى به المحاربُ ضربَ قِرنه ، والجَنّة - بالفتح - وهى البستان الذى يستر بأشجاره الأرض . ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ قال هذا على سبيل الفَرْض وإرخاء العِنَان ، مجاراةً مع عُبّاد الأصنام والكواكب ، ليَكُرّ عليه بالإبطال ، ويُثبت أن الربّ لا يجوز عليه التغيير والانتقال ، وكذا يقال فيما بعده . ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ غاب وغَرَب . يقال : أفَل الشىءُ يأفِلُ أفْلاً وأُفولاً ، غاب . ﴿قَالَ لَا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾ أى لا أعبد الأرباب أو لا أحبُّ عبادة المنتقلين من حال إلى حال ، ومن مكان إلى مكان .

٧٧ - ﴿رَأَى القَمَرَ بَازِغًا﴾ مبتدئًا فى الطلوع منتشرَ الضوء ؛ من البُزُوغ وهو الطلوعُ والظهور . يقال : بَزَغ النابُ بزوغا إذا طلع .

٧٩ - ﴿لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أى للذى أوجدهما وأنشأهما على غير مِثال سابق . ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً عن الأديان الباطلة ، والعقائد الزائغة كلها إلى الدين الحق .

٨٠ - ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾ خاصموه فى التوحيد . ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّى شَيْئًا﴾ أى إلا وقت مشيئة ربّى شيئًا من المكروه يصيبنى من جهتها . والاستثناء متّصلٌ بتقدير الوقت .

٨١ - ﴿سُلْطَانًا﴾ حُجّةً وبرهانًا . ﴿فَأَىُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ أى فأى الفريقين حقيقٌ بالأمن من عذاب الله يوم القيامة : الذى عبَد مالا يضرّ ولا ينفع أم الذى عبَد من بيده النّفع والضّر ، بلا دليل ولا برهان !؟

كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾

٨٢ ـ ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ لم يَخلِطوا إيمانَهم بشرك ، كما يفعل المشركون حيث يزعمون أنهم مؤمنون بالله ، وأن عبادتهم لغيره من تتمّات إيمانِهم وأحكامه ، لكونها لأجل التقريب والشفاعة .

٨٥ ـ ﴿وإِلْيَاسَ﴾ هو من أسباط هارون أخي موسى بن عمران عليهم السلام .

٨٧ ـ ﴿اجْتَبَيْنَاهُمْ﴾ اصطفيناهم للنبوة .

٨٨ ـ ﴿لَحَبِطَ عَنْهُمْ﴾ أى لبَطل وسقط عنهم . يقال : حَبِطَ العمل ـ كسَمِع وضرب ـ حَبْطًا وحبوطًا ، بَطَل .

٨٩ ـ ﴿والْحُكْمَ﴾ أى القضاء بين الناس بالحق . أو الحِكْمَة ، وهى علمُ الكتاب ومعرفةُ ما فيه من الأحكام . أو الإصابةُ فى القول والعمل . ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا﴾ أى بهذه الثلاثة ﴿هَؤُلَاءِ﴾ أى أهل مكة ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾ أى أعددنا ووفَّقنا للإيمان بها والقيام بحقوقها ﴿قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ وهم أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم .

٩٠ ـ ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ أى بطريقهم من الإيمان بالله وتوحيده وأصول الدين اقْتَد ؛ دون فروع الشرائع القابلة للنسخ فإنهم يختلفون فيها ، فلا يمكن الاقتداء بهم فيها . والهاء للسكت .

٩١ ـ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ما عظَّموا الله حقَّ تعظيمه . أو ما عرفوه سبحانه حقَّ معرفته ، أى معرفته الحقّ فى اللّطف بعباده والرّحمة بهم ، ولم يراعوا حقوقه تعالى فى ذلك ؛ بل أخلوا بها إخلالاً عظيمًا ، إذ أنكروا بعثةَ الرسل وإنزالَ الكتب . ومرادهم بذلك : الطعنُ فى رسالته صلى الله عليه وسلم . يقال : قَدَرَه يَقْدُرُه ـ من باب نَصَر ـ عظّمه . وأصلُ القَدْر : معرفةُ المِقدار بالسَّبْر والحَزْر . يقال : قدَرَ الشىءَ يَقْدُرُه ، إذا سَبَرَه وحَزَرَه ليعرف مقداره ؛ ثم استُعمل فى معرفة الشىء على أتمّ الوجوه ، حتى صار حقيقة فيه . ﴿تَجْعَلُونَهُ

وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

* إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾



﴿قَرَاطِيسَ﴾ أى أوراقًا مكتوبةً مفرَّقةً لتتمكّنوا من إبداء ما تريدون إبداءه منها، وإخفاء الكثير منها، ومنه نُعوت محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم. والقِرْطاسُ: ما يُكتب فيه. ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ أى قُلِ: الله تعالى أنزله. أو أنزله الله؛ إن لم يجيبوك بأنه تعالى هو الذى أنزل التوراة. ﴿خَوْضِهِمْ﴾ باطلهم.

٩٢ - ﴿مُبَارَكٌ﴾ القرآن ﴿أُمَّ الْقُرَىٰ﴾ مكّة والمراد أهلها؛ وسُمِّيت بذلك لأنها قبلة أهل القرى ومحجُّهم. ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ من أهل المشارق والمغارب؛ لعموم بعثته صلى الله عليه وسلم للناس كافّةً.

٩٣ - ﴿فِى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ شدائده وسكراته. جمعُ غَمْرة، وهى الشدة. وأصلُها الشىءُ الذى يَغْمُرُ الأشياء فيغطّيها. يقال: غمره الماءُ - كنصر - إذا علاه وستره، ثم استُعمل فى الشدائد والمكاره. ﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمْ﴾ أى قائلين لهم أخرجوا أرواحكم. وهو كنايةٌ عن العُنف فى السّياق والإلحاح، والتشديد فى الإزهاق من غير تنفيس وإمهال. وجواب (لو) مقدَّر؛ أى لرأيت أمرًا فظيعًا هائلاً. ﴿عَذَابَ الْهُونِ﴾ أى الهَوان والذُّل.

٩٤ - ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ﴾ أى ما أعطيناكم وملّكناكم فى الدنيا من الأولاد والأموال والخدم، وجئتمونا فرادى. والخَوَلُ: ما أعطاه الله من النّعم. يقال: خوّله الشئ تخويلاً، ملكه إياه ومكّنه منه ومنه التّخوُّل بمعنى التعهّد. ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ لقد تقطّع الاتصال الذى كان بينكم فى الدنيا واضمحلّ، ففاعل (تقطّع) ضمير يعود على الاتصال المدلول عليه بلفظ (شركاء) و(بينكم) منصوب على الظرفية، وقرئ بالرفع، أى لقد تقطّع وصلُكُم. و(بَيْن) مصدرٌ يُستعمل فى الوصل وفى الفراق بالاشتراك؛ كالجَوْن للأسود والأبيض، والمراد هنا الأوّل.

فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ

٩٥ ـ ﴿إِنَّ اللهَ فَالِقُ الْحَبِّ والنَّوى﴾ شروع فى ذكر دلائل كمال القدرة والعلم والحكمة ، بعد تقرير دلائل التوحيد والنبوّة . و(فالق) أى شاقّ ، يشُقُّ الحبة اليابسة كالحنطة فيخرج منها النبات الأخضر النّامى . ويشُقُّ النَّواةَ اليابسةَ فيخرج منها النخلة والشجرة النامية . ﴿يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ أى يُخرج ما ينمو من الحيوان والنبات مما لا ينمو ؛ كالنُّطفة والحبة ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَىِّ﴾ أى كالنطفة والبيضة من الحيوان . وهو معطوف على (فَالِقُ) . ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ فكيف تُصرفون عن عبادته ، وتُشركون به مالا يقدر على شئ من فعله [آية ٧٥ المائدة ص ١٥٨] .

٩٦ ـ ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ الإصباحُ : مصدرٌ سُمِّىَ به الصُّبح ، أى شاقٌّ ظلمة الصبح ـ وهى الغَبَش فى آخر الليل الذى يلى الفجر المستطيل الكاذب ـ عن بياض النهار ، فيضىء الوجود ويضمحلّ الظلام ، ويذهب الليل بسواده ويجىء النهار بضيائه .

﴿وجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ يسكن إليه من يتعب بالنهار ويستأنس به لإسترواحه فيه . ﴿والشَّمْسَ والْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ أى يجريان فى الفَلَك بحساب مقدّر معلوم ، لا يتغير ولا يضطرب حتى ينتهيا إلى أقصى منازلها . بحيث تتمّ الشمس دوْرتها فى سنة ، ويتمّ القمر دوْرته فى شهر ؛ وبذلك تنتظم المصالح المتعلقة بالفصول الأربعة وغيرها . والحُسْبانُ : مصدرُ حَسَبْت المال حَسْبًا ـ من باب قتل ـ أحصيته عددًا .

٩٨ ـ ﴿أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ من آدم عليه السلام . وهو تذكير بنعمةٍ أخرى ؛ فإن رجوع الناس جميعًا إلى أصل واحد أدعى إلى التوادّ والتراحُم . ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ فلكم موضعُ استقرارٍ فى الأرحام ، وموضعُ استيداعٍ فى الأصلاب . وقُرئ (مُسْتَقِرٌّ) بكسر القاف ؛ أى فمنكم مستقِرٌّ فى الأرحام .

٩٩ ـ ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾ أى أخرجنا من النبات الذى لا ساق له نباتًا غضًّا أخضرَ ؛ وهو ما تشعّب من أصل النبات الخارج من الحبّة . وخَضِرٌ بمعنى أخضر ، اسم فاعل . يقال : خَضِر الزرع ـ من باب فرح ـ واخضرَّ ، فهو خَضِرٌ وأخضر . ﴿نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾ أى سنابلَ فيها الحب يركب بعضُه بعضًا ؛ كما فى الحنطة والشعير وسائر الحبوب . يقال : رَكِبَه ـ كسمعه ـ ركوبًا ومركبًا ،

وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ

علاه ، كارتكبه . ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ ومن طَلْع النَّخْل قِنوانٌ دَانِيَةٌ . والطَّلْعُ : أوّلُ ما يبدو ويخرج من ثمر النخل كالكيزان . وقشْرُه يسمَّى الكُفُرَّى ، وما فى داخله يُسمَّى الإغريض لبياضه . والقِنوانُ : العراجينُ ، جمع قِنْو وهو العِذْق ، وهو للتَّمر بمنزلة العُنْقود للعنب . و(دَانِيَةٌ) أى متدلِّية ، أو قريبة من يد المتناول . ﴿وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ﴾ عطفٌ على (نَبَاتَ) أى وأخرجنا به جنّاتٍ كائنةً من أعناب . ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ أى بعضه متشابه ، وبعضه غير متشابه فى الهيئة واللّوْن والطّعم وغير ذلك ؛ مما يدلّ على كمال قدرة الصانع ؛ كما قال تعالى : (يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ)[1] . ﴿وَيَنْعِهِ﴾ أى وانظروا إلى حال نُضجه وإدراكه نظرَ استدلال واستبصار ؛ كيف يعود شيئًا قويًّا بعد الضّعْف ، جامعًا لمنافعَ شتَّى . مصْدَرُ يَنَعَت الثمرة كأينعت ، تَيْنَعُ وتينِع يَنْعًا ويُنُوعًا ، إذا نَضِجت .

١٠٠ - ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ شروعٌ فى بيان جحودهم فى معاملة خالقهم ، بعد أن مَنَّ عليهم بالإيجاد وبما يحتاجون إليه فى المعاش . أى وجعلوا الجنَّ شركاء لله تعالى فى الألوهيّة والعبادة ، وقد خلقهم من العدم ؛ فكيف يُجعل المخلوقُ شريكًا للخالق ؟ . والمرادُ بهم الملائكةُ حيث عبدوهم وقالوا : هنَّ بناتُ الله ؛ وأُطلق عليهم جنٌّ لاستتارهم . أو المرادُ الشياطينُ ؛ حيث أطاعوهم فى عبادة غير الله تعالى من الأصنام والطواغيت . ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ ...﴾ واختلقُوا وافترَوْا له سبحانه بنين وبنات ! يقال : خَرَق الكذبَ يَخْرِقُه ، صنَعَه . وأصلُ الخَرْق : قطعُ الشئِ على سبيل الفساد من غير تدبُّر وتفكُّر ؛ وذلك كما افترى بعض أهل الكتاب أنّ عُزَيرًا ابنُ الله ، وأن المسيحَ ابنُ الله . فالمشركون واليهود والنصارى سواء فى الافتراء على الله بغير علم ؛ سبحانه وتعالى عما يصفون !

١٠١ - ﴿بَدِيعُ ..﴾ مبدع ومخترع .. ﴿أَنَّى يَكُونُ﴾ كيف . أو من أين يكون ؟

١٠٢ - ﴿وَكِيلٌ﴾ رقيب ومتولٍّ .

١٠٣ - ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ لا تُحيط بعظمته وجلاله على ما هو عليه أبصارُ الخلائق فى الدنيا والآخرة ، أولا تدركه الأبصارُ إدراكَ إحاطة بكُنْهه وحقيقته ؛ فإن ذلك محال . والإدراكُ بهذا المعنى أخصُّ من الرؤية التى هى مجرّد المعاينة ؛ فنفيُه لا يقتضى نفيَ الرؤية ؛ إذ نفى الأخص لا يستلزم نفيَ الأعم . فأنت ترى القمر ولا تدرك حقيقته ، ولذلك أثبت أهل السنة رؤية المؤمنين له تعالى فى الآخرة ؛ كما قال تعالى : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)[2] . وذهب بعض السلف إلى أن الآية مخصوصةٌ بالدنيا . ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ أى وهو يدرك القوة

(١) آية ٤ الرعد . (٢) آية ٢٢ ، ٢٣ القيامة .

فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ

التى تُدرَك بها المبصرات ويحيط بها علمًا ، إذ هو خالق القُوى والحواسّ .

١٠٤ ـ ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ﴾ هى آيات القرآن وحُجَجُه التى يهتدون بها إلى الحق . جمعُ بصيرة ، وهى للقلب بمنزلة البصر للعين ؛ فهى النور الذى يَبْصُر به القلب ، كما أن البصر هو النور الذى تبصُر به العين . وإطلاقُ البصائر على هذه الآيات من إطلاق اسم المسبِّب على السّبب . ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ برقيب أُحصى عليكم أعمالكم ، وإنما الله هو الذى يحصيها عليكم ويجازيكم عليها .

١٠٥ ـ ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ﴾ أى وكما فصّلنا الآيات الدّالة على التوحيد فى هذه السورة تفصيلاً بديعًا مُحكماً ، نفصِّل الآيات ونبيِّنها فى كل موطن لتلزمهم الحجة ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ أى قرأت الكتب على أهل الكتاب ، ثم جئتنا تزعم أنه من عند الله . يقال : درس الكتاب ، إذا أكثر قراءته وذلّله للحفظ . وأصلُه من دَرَس الحِنْطة يدرُسها دَرْسًا ودِراسًا ، إذا داسها ، كأن التّالى يدوس الكلام فَيَخِفُّ على لسانه . وقرئ (دارَسْت) أى قارأت أهل الكتاب ؛ من المدارسة بين الاثنين ، أى قرأت عليهم وقرأوا عليك .

١٠٦ ـ ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ لا تعتدّ بأقوالهم الباطلة ، التى من جملتها ما حُكى عنهم آنفًا ، ولا تُبالِ بها .

١٠٨ ـ ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ ..﴾ السَّبُّ : الشتم الوجيع ، وذكرُ المساوى لمجرّد التحقير والإهانة . ﴿عَدْوًا﴾ اعتداء وظلمًا . والعَدْو : الاعتداءُ والتجاوز عن الحق إلى الباطل ، نُهُوا عن سبِّ الأوثان ولعنها قبل الأمر بالقتال ـ كما قاله الزجاج وابنُ الأنبارى ـ ثم نُسخ بآية القتال حين قوى المسلمون .

١٠٩ ـ ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أبلغَ ما فى وسعهم فى تغليظ الحَلِف [٢١ ، ٥٣ المائدة] . ﴿قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللهِ﴾ أعلِمهم بأن مرجعَ الآيات كلها إلى حُكمه تعالى خاصّةً ، يقضى فيها حسب مشيئته المبنيّة على الحكم البالغة ، لا قدرةَ لأحد عليها ؛ فكيف أتصدَّى لاستدعاء إنزالها ؛ وأمْرُهَا لله وحده . ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ أى وما يُدْرِيكم أيُّهَا المؤمنون الراغبون



يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ * وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ

فى إنزالها طمعًا فى إسلامهم ﴿أَنَّهَا إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ . أى أنا أعلم أنهم لا يؤمنون وأنتم لا تعلمون ذلك ، ولذا توقّعتم إيمانهم ، ورَغبتم فى نزولها . فالاستفهامُ فى معنى النّفى ، وهو إخبار عنهم بعدم العلم لا إنكار عليهم . وقيل : (أَنَّ) - بالفتح - بمعنى لعل ، أى وما يدريكم حالهم عند مجىء الآيات ، لعلها إذا جاءت لا يؤمنون ، فما لكم تتمنّوْنَ مجيئها !

١١٠ - ﴿وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾ وندعُهم فى تجاوزهم الحدّ فى العصيان يترددون متحيّرين [آية ١٥ البقرة ص ٧] . ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يعمون عن الرشد أو يتحيرون .

١١١ - ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا﴾ ولو أننا آتيناهم ما اقترحوا فنزّلنا إليهم الملائكة ، وأحيينا لهم الموتى يشهدون عيانًا بصدقك ، وزدنا على ذلك فجمعنا لهم جميعَ الخلائق مقابلةً ومعاينةً حتى يواجهوهم ، يشهدون لك بالرسالة ، أو كُفلاء بصدقك - ما استقام لهم الإيمان ؛ لسوء استعدادهم وفساد فِطَرِهم . والحشرُ : الجمعُ ، وفعلُه من باب قَتل . و﴿قُبُلًا﴾ - بضمتين - بمعنى مواجهة ومعاينة . تقول : لقيته قُبُلاً ومقابلةً وقَبيلاً ، أى مواجهة ، وهو بمعنى قِبلاً فى القراءة الأخرى . وقيل : جمعُ قبيل بمعنى كفيل ، أو بمعنى جماعة جماعةً ، أو صنفًا صنفًا .

١١٢ - ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ مَرَدَةَ النّوعَين . والشيطانُ : كلُّ عاتٍ متمرِّدٍ من الإنس والجنّ . أى جعلنا لكل نبىٍّ أعداءً من شياطين الإنس والجن ، يُسِرُّ بعضُهم إلى بعض ما يَفتِنُون به المؤمنين الصالحين ، ويزيّنون لهم الباطل والمعاصى ليُغروهم ويخدعوهم . وزُخْرُفُ القولِ : باطِلُه الذى زُيِّنَ ومُوِّهَ بالكذب . وأصْلُ الزُّخْرُفِ : الزينةُ المزَوَّقة ؛ ومنه قيل للذهب : زُخْرف ، ولكلِّ شىء حسَنٍ مُمَوَّهٍ زُخرفٌ . والغُرُورُ : الخداعُ والأخذُ على غِرَّة .

١١٣ - ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ﴾ ولتميل إلى هذا الزُّخْرُف الباطل قلوبُ الكافرين . معطوف على (غُرُوراً) المنصوب على أنه مفعول له . وأصلُ الصَّغْو : الميلُ . يقال : صغا يَصغُو ويَصْغَى صَغْواً ، وصَغِيَ يصغَى صَغًا وصُغِيًّا ، مال . وأصغَى إليه : مال بسمعه . وأصغى الإناء : أماله . ﴿وَلِيَقْتَرِفُواْ﴾ وليكتسبوا من الأعمال الخبيثة ما هم مكتسبون . وأصلُ القَرْف والاقتراف : قَشرُ اللّحاء عن الشجر ، والجلدة عن الجرْح . واستُعير الاقترافُ للاكتساب مطلقًا ، ولكنّه فى الإساءة أكثر ؛ فيقال : قرفته بكذا ، إذا عِبته به وَاتّهمْته . قال أبو حيّان : ترتيب هذه المفاعيل فى غاية الفصاحة ؛ لأنه أوّلاً يكون الخداع فيكون الميل فيكون

أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ۚ
وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ
بِالْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ
رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ
عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا
يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ ۖ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ
إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا
ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا
مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ
عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ

الرضا فيكون الاقتراف ، فكلٌّ واحد مسبَّب عما قبله .

١١٤ ـ ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ أى من الشاكِّين فى أن أهل الكتاب يعلمون أن القرآن منزَّلٌ من عند ربك بالحق . وقيل : الخطابُ لكلِّ من يتأتَّى منه الامتراء . أو للرسول صلى الله عليه وسلم والمقصودُ أمَّته .

١١٥ ـ ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ أى كَمُل كلامُه تعالى ـ وهو القرآن ـ وبلغ الغاية ؛ صادقًا فى أخباره ، عادلاً فى أحكامه .
﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ لا مغيِّر لها بخُلْفٍ فى الأخبار ، أو نقضٍ فى الأحكام ، أو تحريفٍ أو تبديلٍ ؛ وهذا ضمانٌ من الله تعالى لكتابه بالحفظ .

١١٦ ـ ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ الخطابُ له صلى الله عليه وسلم ولأمّته . وقيل له ، والمرادُ أمَّـتُـه . ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ أى يكذبون ، أى أن شأنَهم الكذب ، فهم مستمرُّون عليه مع ماهم عليه من اتّباع الظَّنّ فى شأن خالقهم ؛ ومن ذلك تحريمُ الحلال وتحليلُ الحرام . وأصلُ الخَرْص : القولُ بالظن . يقال : خَرَصتُ النخل خَرْصًا ـ من باب قتل ـ حَزَرْتُ ثمره وقدرته بالظّن والتخمين . واستُعمل فى الكذب لما يداخله من الظنون الكاذبة ؛ فيقال : خَرَصَ فى قوله ـ كنصر ـ أى كذب .

١١٨ ـ ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ لما قال المشركون : أتأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل ربُّكم ! نزلت الآية . والخطاب للمسلمين ؛ أى كلوا مما ذُكر على ذبحه اسمُ الله خاصَّةً ، دون ما ذكر عليه اسمُ غيره كالأوثان ، أو ما ذُبح على النُّصُب ، أو اسمٌ مع اسمه تعالى ، أو مات حَتْفَ أنفه ؛ كما قال تعالى (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ) .

١١٩ ـ ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ وقد بيّن لكم ما حرّمه عليكم من المطعومات ؛ إلا ما دعتكم إليه الضرورةُ بوَحْى غير مَتْلُوّ . أو بقوله تعالى : (قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا)[1] . والتأخرُ فى التلاوة لا يوجب التأخّرَ فى النزول .

١٢٠ ـ ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ﴾ اتركوا جميعَ المعاصى سِرّها

(١) آية ١٤٥ من هذه السورة .

وَبَاطِنَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

وعلانيتها ، أو ما كان منها بالجوارح وما كان بالقلوب . ﴿يَقْتَرِفُونَ﴾ يكتسبون من الإثم أيًّا كان .

١٢١ - ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ﴾ نُهوا عن أكل الميتات بأنواعها ، وما أُهلّ به لغير الله من ذبائح المشركين ، وما ذُبح على النُّصُب ونحوه ، وما ذكر عليه اسمٌ مع اسمه تعالى . أمّا ذبائحُ المسلمين وذبائح أهل الكتاب إذا ذكروا عليها اسم الله فحلال . وتقدّم الخلاف فى ذبائح أهل الكتاب إذا ذكروا عليها اسمَ عُزَير أو المسيح فى تفسير آيتى البقرة والمائدة[1] . ﴿وإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ وإنّ أكلَ ذلك لخروجٌ عن طاعة الله . وقد اختلف الأئمةُ فى ذبيحة المسلم إذا لم يَذكر اسمَ الله عليها ؛ فذهب قوم إلى تحريمها ، سواءٌ تركها عمدًا أو سهوًا . وذهب قومٌ إلى حِلّها . وآخرون إلى حِلّها إن تُركت التسميةُ سهوًا ، وإلى حُرْمتها إن تُركَت عمدًا . والمذاهبُ والأدلةُ مبسوطةٌ فى الفقه .

١٢٢ - ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ أى أأنتم مثلُهم ، ومن كان ميتًا فأعطيناه الحياة وجعلنا له نورًا عظيمًا يمشى به فيما بين الناس آمنًا ، كمن مَثَلُه فى الظُّلُمات ليس بخارج منها . وهو تمثيل للمؤمن والكافر لتنفير المسلمين عن طاعة المشركين ؛ فمَثَلُ المؤمن المهتدى كمن كان ميتًا هالكًا فأحياه الله ، وأعطاه نورًا يستضىء به فى مصالحه ، ويهتدى به إلى طرقه . ومثلُ الكافر الضالّ كمن هو منغمس فى الظلمات لا خلاص له منها فهو على الدوام متحيرٌ لا يهتدى ؛ فكيف يستويان !؟ والنُّورُ : هو القرآن أو الإسلام . والظلمَاتُ : ظلمةُ الكفر ، وظلمةُ الجهل ، وظلمةُ عَمَى البصيرة ؛ وهو كقوله تعالى : (وَمَا يَسْتَوِى الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ . وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ . وَلَا الظِّلُّ وَلَا الحَرُورُ . وَمَا يَسْتَوِى الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ)[2] .

١٢٣ - ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ﴾ أى وكما جعلنا فى قريتك رؤساءَ دعاةً إلى الكفر وإلى عداوتك جعلنا فى كل قرية من قُرى الرسل من قبلك رؤساءَ من المجرمين مثلهم ؛ ليمكروا فيها ويتجبّروا على الناس ، ثم كانت

(١) آية ١٧٣ البقرة وآية ٣ المائدة . (٢) آية ١٩ - ٢٢ فاطر .

فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ * لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾

ربع الحزب

العاقبة للرسل. والأكابرُ: جمعُ أكبر، وهم الرؤساء والعظماء. والمجرمون: جمعُ مُجرم؛ من أجرَم إذا اكتسب أمرًا مكروهًا، ومنه الجُرم والجريمة؛ للذنب والإثم.

١٢٤ ـ ﴿صَغَارٌ﴾ ذُلٌّ وَهَوانٌ بعد استكبارهم. يقال: صَغِرَ يَصْغَر صَغَرًا وصَغارًا فهو صاغر، إذا ذلَّ وهان.

١٢٥ ـ ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ..﴾ أى فمن يُرد الله أن يهديَه للإسلام ويوفّقه له يوسّع صدرَه لقبوله، ويسهّله له بفضله وإحسانه. ومَن يرد أن يُضلّه يُصيّر صدرَه ضيّقًا متزايد الضيق، لا منفذَ فيه للإسلام؛ كأنّما إذا دُعى إليه قد كُلّف الصعود إلى السماء وهو لا يستطيعه بحال. وشَرْحُ الصدرِ: تَوْسِعَتُه. يقال: شرح الله صدرَه فانشَرح، أى وسّعه فاتّسع. ﴿حَرَجًا﴾ شديد الضيق. والحَرَجُ: مصدرُ حَرِج صدرُه حَرَجًا فهو حرِجٌ، أى ضاق ضيقًا شديدًا. وُصِفَ به الضِّيقُ للمبالغة، كأنه نفس الضِّيق. وأصلُ الْحَرَج: مجتمَعُ الشىء، ويقال للغَيْضَة الملتفة الأشجارِ التى يصعب دخولها: حَرَجة. و ﴿يَصَّعَّدُ﴾ أى يتصعدّ، بمعنى يتكلّف الصعود فلا يستطيعه. ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ..﴾ أى مِثل جَعْلِ صدرِهِ ضيّقًا حَرَجًا يجعل الله العذاب على الكافرين. وأصلُ الرّجس: النَّتْنُ والقَذَر.. أو المأثم. أو العمل المؤدِّى إلى العذاب. [آية ٩٠ المائدة ص ١٦٠].

١٢٧ ـ ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ..﴾ متولِّى إيصال الخير إليهم. أو مواليهم أو ناصرُهم؛ بسبب أعمالهم الصالحة.

١٢٨ ـ ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ..﴾ المَعْشَرُ: الجماعةُ أمرُهم واحد. والمراد بالجن هنا: الشياطينُ. ﴿اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ أكثرتم من دعوتهم للضلال والغواية. أى ويقال لهم فى ذلك اليوم: قد أكثرتم من إغوائكم الإنسَ وإضلالِكم إيّاهم. أو أكثرتم منهم بأن جعلتموهم أتباعكم. ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ أى انتفع الإنسُ بالجنّ؛ حيث دلّوهم على المفاسد وما يوصّل إليها. والجنُّ بالإنس؛ حيث أطاعوهم وانقادوا إليهم فصاروا كالأتباع لهم. والمرادُ بهم الكفارُ. ﴿النَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾ مأواكم ومستقركم ومقامكم. ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ﴾ الأرجحُ أن المرادَ بهذا الاستثناء وبنظائره فى آيات أخر ـ المبالغةُ فى الخلود. أى أنه لا ينتفى فى وقتٍ مَا إلّا وقت مشيئته تعالى، وهو تعالى لا يشاء

وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ

ذلك ؛ فقد أخبر أن هؤلاء الكفار لا يخرجون من النار أبدًا . وفي إيراد المعنى في هذه الصورة بيانُ أن مَرَدَّ الأمور كلِّها إلى مشيئته تعالى ، وأن خلودهم إنما كان بمحض المشيئة ، ولو شاء الله عدمَه لم يخلَّدوا . وفيه تنكيلٌ آخرُ بهم ، وهو إبقاؤهم في حيْرة دائمة وتردّد ، بين الطَّمَع في الخروج واليأس منه .

١٣٠ - ﴿وغَرَّتْهُمُ الحَيَاةُ﴾ خدعتهم ببهرجها .

١٣١ - ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ﴾ أي إتيان الرسل وإنذارُهم ثابت ؛ لأنه لم يكن ربك مهلكَ أهلِ القرى بسبب أيّ ظلم فعلوه قبل أن ينبَّهوا إلى بطلانه ويُنْهَوْا عنه ؛ قال تعالى : (وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ)[1] وقال : (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً)[2] .

١٣٤ - ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أي بجاعِليه عاجزًا عنكم ، غيرَ قادر على إدراككم ؛ مِن أعجزه بمعنى جعله عاجزًا . أو بفائتين العذابَ ؛ مِن أعجزه الأمرُ ، إذا فاته .

١٣٥ - ﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ أي على غاية تمكُّنكم من أمركم ، وأقصى استطاعتكم . مصدرُ مَكُن - ككرم - مَكانةً ، إذا تمكّن أبلغَ التمكن . والأمرُ للتّهديد والوعيد .

١٣٦ - ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾ شروعٌ في ذكر أحكامٍ لهم فاسدةٍ درَجُوا عليها في الجاهلية ؛ فقد كانوا يجعلون من زروعهم وأنعامهم وسائر أموالهم نصيبًا لله ، ونصيبًا لأوثانهم ؛ فيشركونها في أموالهم . فما كان لله صرفوه إلى الضِّيفان والمساكين ، وما كان للأوثان أنفقوه عليها وعلى

(١) آية ٢٤ فاطر . (٢) آية ١٥ الإسراء .

قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُواْ هَـٰذِهِۦٓ أَنْعَـٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَـٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَـٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَـٰذِهِ ٱلْأَنْعَـٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ * وَهُوَ ٱلَّذِىٓ

سَدَنَتها . فإذا رأَوْا ما جعلوه لله أزكى بدَّلوه بما للأوثان ، وإذا رأَوْا ما جعلوا للأوثان أزكى تركوه لها ؛ فنزلت الآية . و ﴿ذَرَأَ﴾ بمعنى خلق . يقال : ذرأ الله الخلق يَذْرَؤُهم ذرءًا . أى خلقهم وأوجدهم . وقيل : الذَّرءُ الخَلْقُ على وجه الاختراع . ﴿الْحَرْثِ﴾ الزرع . ﴿الْأَنْعَامِ﴾ الإبل والبقر والضأن والمعز .

١٣٧ - ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ ..﴾ أى ومثل ذلك التّزيين فى قسمة الأموال بَيْنَ الله والأوثان ، زَيَّن لهم شركاؤُهم من الشياطين أو السَّدَنَة قتلَ بناتهم خشيةَ العَيْلة أو العار ، فأطاعوهم فيما أمروهم به من المعصية . وسُمُّوا شركاء لأنهم أشركوهم مع الله فى أموالهم أو فى الطاعة لهم . ﴿قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ﴾ وأد البنات الصغار أحياء . ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ ليهلكوهم بالإغواء ؛ من الرَّدى وهو الهلاك . يقال : رَدِىَ - كرضِىَ - هلك . ﴿وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ ليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين إسماعيل عليه السلام حتى زلُّوا عنه إلى الشرك ؛ مِن الَّلبس ، وهو الخلط بين الأشياء التى يُشبه بعضُها بعضًا [آية ٩ من هذه السورة ص ١٧٠] . ﴿يَفْتَرُونَ﴾ يختلقونه من الكذب . .

١٣٨ - ﴿هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ أى ما جعلوه لآلهتهم أنعامٌ وحرثٌ محجورةٌ ، أى ممنوعة محرَّمةٌ لا يَطعَمها إلا الرجال دون النساء ، وأنعامٌ حُرِّمت ظهورُها فلا تُركب ولا يُحمل عليها ، وهى البحائر والسوائب والوصائل والحوامى ، وأنعامٌ ذُبحت للأصنام فيذكرون عليها عند الذبح أسماء أصنامهم دون اسم الله تعالى .

١٣٩ - ﴿مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ ..﴾ أرادوا أجنّة البحائر والسّوائب المحرّمة ، فزعموا أن ما وُلد منها حيًّا فهو حلالٌ للرجال ومحرمٌ على النساء ، وما وُلد ميّتًا اشترك فى أكله الرجالُ والنساءُ . وهذا نوعٌ آخرُ من جهالاتهم . ﴿وَصْفَهُمْ﴾ كذبهم على الله بالتحليل والتحريم .

١٤١ - ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ﴾ أى الله عزّ شأنه هو الذى أبدع هذه الجنّاتِ والثمارَ والزروعَ ، المختلفةَ الأنواعِ والأشكالِ والروائح والطعومِ والألوانِ ، التى يَنتفع بها الإنسان والحيوانُ ؛ وليس لأحد من خلقه فى ذلك شِرْكةٌ أو تأثير ، فكيف يُشركون معه غيره ؟ أو يتصرّفون فيما خلقه لهم بالتحليل والتحريم ؟ والقِسْمةِ بين الله وآلهتهم الباطلة

أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّـٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لَّآ أَجِدُ

افتراءً على الله ؟ ﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾ وهى ما انبسط على وجه الأرض وانتشر ، مما يحتاج إلى أن يُتخذ له عريش يحمل عليه ؛ كالكَرْم والبطيخ والقرع ، جَمعُ معْروش . والعَرْشُ : عيدان تُصنع كهيئة السقف فتُمسكه . ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ وهو ما قام على ساق واستغنى باستوائه وقوّة ساقه عن التعريش ؛ كالنخل والشجر . ﴿مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ﴾ أى ثمره الذى يؤكل منه ، فى الهيئة والطّعم . ﴿مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ أى متشابهًا فى المَنْظَر ، وغيرَ متشابهٍ فى المَطْعم . أو متشابهًا بعض أفرادهما فى اللّون أو الطعم أو الهيئة ، وغير متشابه فى بعضها . ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ أدُّوا زكاته المفروضة يومَ قطعهِ وجَذاذه . وهذه الآيةُ مدنيّةٌ وإن كانت السورة مكيّة .

١٤٢ - ﴿وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً﴾ أى وأنشأ لكم من الأنعام حَمُولةً ، وهى الكبار الصالحة للحمل ﴿وَفَرْشًا﴾ وهى صغارها الدانية من الأرض ؛ مثل الفرش المفروش عليها . ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ لا تسلكوا طُرُقَه فى التحريم والتحليل ، كأهل الجاهليّة افتراءً على الله . جمعُ خُطوة ، وأصلها ما بين قدمى الماشى . أريد بها ما ذكر مجازًا .

١٤٣ - ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ بدل من (حَمُولَةً وَفَرْشاً) أى ثمانية أصناف : أربعةُ ذُكورٍ من الإبلِ والبقر والضأن والمعز . وأربعةُ إناثٌ كذلك خلقها الله لتنتفعوا بها أكلاً وركوبًا وحَملا وحلبًا وغير ذلك ، ولم يحرّم شيئًا منها ولا من أولادها ؛ فمن الافتراء على الله تحريمُ ما لم يحرّمه .

١٤٤ - ﴿وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَـٰذَا﴾ أمركم الله بهذا التحريم .

١٤٥ - ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ..﴾ قل لهم : قد تتبّعت ما أوحِيَ إلىَّ إلى الآن فلم أجد من المطاعم المحرّمة إلا هذه الأربعة ، وليس فيها ما زعمتم من المحرّمات ؛ كالبحائر والسوائب ونحوها . والحصرُ حقيقىٌّ بالنسبة لما نزل تحريمه . وقد وردت السُّنّة بعد نزول هذه الآية بتحريم لحوم

فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ
مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا
أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ ۖ
وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ
ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم
بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ
ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾
سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا
وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۖ
إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ

الحُمرُ الأهلية . وكلُّ ذى ناب من السِّباع وَمِخْلَب من الطير . وقيل : الحصر إضافيٌّ بالنسبة لما زعموه من تحريم البحائر والسوائب ؛ أى إنما حرّم هذه الأربعة دون ما يزعمون من ذلك . فلا ينافى تحريم غيرها مما ذكر . ﴿عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ أىْ على أىّ آكل يأكله . ﴿دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ سائلا مهراقا . ﴿فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ أى فإن لحم الخنزير نَتْن قَذِرٌ . أو نَجسٌ أو خبيثٌ مُخْبث . ﴿أَوْ فِسْقًا﴾ عطفٌ على (لَحْمَ) . وسُمّىَ فِسقًا لتوغّله فى الخروج عن الطاعة . ﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ أى ذبح على غير اسم الله تعالى . ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ [آية ١٧٣ البقرة ص ٣٩ ، ٣ المائدة ص ١٤٢] . ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ غير طالب للمحرم للذة أو استئثار . ﴿وَلَا عَادٍ﴾ ولا متجاوز ما يسد الرمق .

١٤٦ ـ ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ حرّم الله على اليهود خاصةً أشياء أخرى غير هذه الأربعة بسبب بغيهم ؛ فحرّم عليهم ﴿كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ لحمًا وشحمًا . وهو ما لم يكن مشقوق الأصابع من بهيمة أو طير ؛ ويدخل فيه الإبل والنَّعام والبَط والإوَز . وحَرَّمَ عليهم من شحوم البقر والغنم شحمَ الكليتين ، والشحمَ الذى على الكَرِش . وأحلّ لهم :

١ ـ الشحمَ العالق بظهورها . وقيل : العالق بالظهر والجنب من داخل بطونها .

٢ ـ ما حملته الحوايا من الشحوم وهى المباعر ، أو المصارين ؛ جمعُ حاوية أو حَوِيّة أو حاوياء . وهى ما تَحوّى من الأمعاء أى تجمّع واستدار .

٣ ـ ما اختلط بعظم ، وهو شحم الألْيَة المتّصل بالعُصْعُص فى الضأن .

١٤٧ ـ ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ﴾ عذابهُ ونقمتُه ؛ إذا جاء وقتُها المقدَّر فى علمه سبحانه .

١٤٨ ـ ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ احتجّ المشركون لمَا ارتكبوا من الشرك وتحريم ما حرّموه ، بأنه واقع بمشيئة الله تعالى . وزعموا أنه مادام كذلك فهو مَرْضِىٌّ عنده ؛ فردَّ الله عليهم بأنه لو كان مرضيًّا عنده لما أذاق أسلافهُم المكذِّبينَ الذين قالوا لرسلهم الداعين إلى التوحيد مثلَ قولهم ـ عذابه

الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ
شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُوا
فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾
* قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ
شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ
نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا
وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ
ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ
الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا
الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا

ثلاثة أرباع الحزب

ونقمتَهُ . ولَمّا دمَّر عليهم وأدَالَ عليهم رسلَه . وبأنه لا حجةَ لهم على ما زعموا ، وما يتّبعون فيه إلا الاعتقادَ الفاسد ، والكذبَ الفاضح . كيف وقد بعث رسله جميعًا إلى الخلق ؛ بالدعوة إلى التوحيد ، والتنديد بالشرك ، وإنذار المشركين ، وتخويفهم عذابَ الله وبأسَه الشديد . وهو نظير قوله تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ)(١) وقوله تعالى : (وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ)(٢) . وقوله تعالى : (إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ)(٣) . ﴿ تَخْرُصُونَ ﴾ تكذبون على الله فيما ادّعيتموه [آية ١١٦ من هذه السورة ص ١٨٨] .

١٤٩ - ﴿الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ بإرسال الرسل وإنزال الكتب . . (فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) فهو تعالى يهدِي من هُدِيَ ، ويُضِل من ضَلَّ ؛ وكلٌّ من الهُدَى والضّلال واقعٌ بمشيئته تعالى ، ولكنّه لا يرضى لعباده الكفر ، ولا يأمر بالفحشاء ، ولذلك أرسل الرّسلَ ، وأنزل الكتبَ بأوامره ونواهيه : (مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ)(٤) .

١٥٠ - ﴿هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ﴾ أحضروهم للشهادة لكم . و ﴿هَلُمَّ﴾ كلمةُ دعوة إلى الشيء ، وهي اسم فعل بمعنى أَقْبِل ، إذا كان لازمًا ، وبمعنى احْضُرْ وائْتِ ، إذا كان متعديًّا كما هنا . يستوى فيه الواحد والمثنّى والجمع ، والمذكّر والمؤنّث في لغة الحجازيّين . ﴿وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ يجعلون له عديلاً من مخلوقاته [آية ١ من هذه السورة ص ١٦٨] .

١٥١ - ﴿تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ أُخبرْكم بما نهاكم عنه ربُّكم ، وبما أمركم به يقينًا لا ظنًّا ولا كذبًا كما زعمتم . والأصلُ فى كلمة (تَعَالَ) أن يقولها من كان فى مكان عالٍ لمن هو أسفل منه ، ثم اتُّسعَ فيها حتى عمّت . والمذكورُ فى الآيتين خمسةُ محرّمات بصيَغ النّهى ، وخمسةُ واجبات بصيَغ الأمر ، وهى أحكام لا تختلف باختلاف الأمم والعصور . و (أنْ) فى قوله : (أَلَّا تُشْرِكُوا) تفسيريَّة . ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾

(١) آية ٣٥ النحل . (٢) آية ٢٠ الزخرف . (٣) آية ٧ الزمر . (٤ آية ١٦٥ النساء .

وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ
ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا
صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ
عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾
ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ
وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ
يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ
طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾

أى وأحسنوا بهما إحسانًا . ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ نُهوا عما كانوا يفعلونه من وَأْد البنات . ﴿مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ أو من خشيته . والإملاقُ : الفقرُ ، مصدرُ أملق الرجُلُ إملاقًا ، إذا افتقر واحتاج . ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾ كبائرَ المعاصى عَلَنيَّها وسرَّها . جمعُ فاحشة ، وهو كقوله تعالى : (وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ)[1] . وقوله تعالى : (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ)[2] . ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ الذى يوجب قتلها شرعًا ؛ كرِدّة أو قِصاص أو زِنا يوجب الرجم ، أو منع الزكاة أو ترك الصلاة . ﴿وَصَّاكُم بِهِ﴾ أمركم وألزمكم به .

١٥٢ ـ ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ أى احفظوه حتى يبلغ الحُلُمَ فإذا بلغه فادفعوه إليه . والأَشُدُّ : قوة الإنسان وشدّته واشتعالُ حرارته ؛ من الشدة بمعنى القوة والارتفاع . يقال : شدَّ النهارُ إذا ارتفع . وهو مفرد جاء بصيغة الجمع . أو جمعٌ لا واحدَ له . أو جمعُ شِدَّة ؛ كأنْعُم ونعمْة . ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ أمرٌ بإقامة العَدل فى التّعامُل . وإيفاءُ الكيل والوزنِ بالعَدْل : إتمامُها بحيث يُعطَى صاحبُ الحق حقَّه من غير نقصان ولا بَخْسٍ ، ويأخذُ صاحبُ الحق حقَّه من غير طلب الزيادة . والكيلُ والوزنُ : مصدران أريد بهما ما يُكال وما يوزن به ؛ كالعيش بمعنى ما يُعاش به . أو المكيل والموزون . ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل دون زيادة ونقص . ﴿وُسْعَهَا﴾ طاقتها وما تقدر عليه . ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ وإذا قلتم قولاً فى حكم أو شهادة أو رواية ونحو ذلك ، فاصْدُقوا فيه وقولوا الحق . ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ أى أَوْفُوا بما عَهِدَ إليكم من هذه الأمور المعدودة ، أو أيّ عهد كان .

١٥٣ ـ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي﴾ أى ولأن هذا ـ أى المذكورَ فى هاتين الآيتين أو فى هذه السورة بأسرها ـ دِينى وطريق الذى لا اعوجاج فيه فاتّبعوه واعمَلوا به ، ولا تتّبعوا الطرق الضالة المخالفة له . ﴿لَعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ لعلهم يصدّقون بالبعث والجزاء .

١٥٥ ـ ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ﴾ إشارةٌ إلى القرآن .

١٥٦ ـ ﴿أَن تَقُولُوا﴾ أى أنزلنا إليكم القرآن كراهةَ أن تقولوا . أو لئلا تقولوا يوم القيامة لو لم ينزله . ﴿إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾ والخطابُ لأهل مكة .

١٥٧ ـ ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ أعرض عنها غير مفكِّر فيها أو صرف الناس عنها . يقال :

(١) آية ١٢٠ الأنعام . (٢) آية ٣٣ الأعراف .

أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ
فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِي
الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا
يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ
أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي
بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ
مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا
مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ
مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا
يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن
جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾
قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ

صَدَف عنه – من بابي ضرب وجلس – أعرض . وصدف فلانا وأصدفه عن كذا ، صرفه وأماله عنه .

١٥٨ – ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ما ينتظر مشركو مكةَ بعد تكذيبهم بالآيات إلا أن تأتيهم ملائكةُ الموت لقبض أرواحهم . ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ أى فى ظُلَلٍ من الغمام كما أخبر . أو يأتى أمره بقتلهم ؛ كما فسّره ابن عباس . أو بعذابهم ؛ كما فسّره الحسن ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ أى ببعض أشراط الساعة . وفُسِّر فى الحديث بطلوع الشمس من مغربها . فمن آمن من شركٍ أو تاب من معصيةٍ عند ظهور بعض الآيات لا يُقبل منه ، لأنه رجوعٌ اضطراريٌّ . كما لو أرسل الله عذابًا على قوم فآمنوا أو تابوا ، فإنه لا ينفعهم ذلك لمعاينتهم الأهوال والشدائد التى تضطرهم إلى الإيمان والتوبة . فقولُه : ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا﴾ كافرةً أو مؤمنةً ﴿إِيمَانُهَا﴾ أى ولا توبتُها من المعاصى ﴿لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ صفةٌ راجعة إلى الأولى . ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ راجعة إلى الثانية . والآيةُ وعيدٌ للمكذّبين ، وتيئيسٌ من إيمان مشركى مكة ، وتمثيلٌ لحالهم بحال من ينتظر ذلك .

١٥٩ – ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ : هم المشركون تفرّقوا شيَعًا ، فمنهم عبَدة الملائكة ، ومنهم عبَدة الأصنام . وقيل : هم اليهود والنصارى ، تفرّقوا فِرَقًا يكفّر بعضهم بعضًا . وقيل : هم أهل الأهواء والبدَع من هذه الأمة . ﴿كَانُوا شِيَعًا﴾ فرقًا وأحزابًا فى الضلالة . تفرّقوا شيَعًا واختلفوا ضلالاً . واختار الطبرىُّ التعميم ؛ وهو الأولى . فكلُّ مَن فارق دين الإسلام مشركًا كان أو يهوديًّا أو نصرانيًّا ، أو مبتدِعًا ضالاًّ كالفرق المعروفة التى خلعت رِبْقة الإسلام ، ومنها فِرَق البهائية والقاديانيّة والإسماعيلية الباطنية – فمحمدٌ صلى الله عليه وسلم برىء منه .

١٦١ – ﴿دِينًا قِيَماً﴾ مستقيمًا . والقِيَمُ وَالقَيِّمُ لغتان بمعنًى

صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾

واحد . وقرئ بهما . ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق [راجع آية ١٣٥ البقرة ص ٣٢] .

١٦٢ - ﴿وَنُسُكِي﴾ أى عبادتى كلّها وتقرُّبى إليه تعالى . وهو من عطف العام على الخاص . وقيل : المرادُ به ذبائح الحجّ والعُمْرة ؛ واختاره الطبريُّ .

١٦٤ - ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ..﴾ لا تجتَرِحُ نفسٌ إثمًا إلّا عليها من حيث عقابُه ، فلا يؤاخذُ سواها به . وكلُّ ذى إثم فهو المعاقَب بإثمه ، والمأخوذ بذنبه . ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾ ولا تحمل نفسٌ آثمةٌ ولا غير آثمة إثمَ نفسٍ أخرى حتى تخلص هذه الثانية من وزرها ، وإنما تحمل الآثمةُ إثم ذنبها الذى فعلته بالمباشرة أو التسبّب فتُعاقَبُ هى عليه ؛ من الوِزْر ، وهو الإثم والثِّقْل . وقُيّد فى الآية بالوازرة موافقة لسبب النزول .

١٦٥ - ﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ﴾ أى خلائف من القرون الماضية ، فأورثكم أرضهم لتخلفوهم فيها وتعمروها بعدهم . جمعُ خليفة . وكلُّ مَن جاء بعد مَن مضى فهو خليفة ؛ لأنه يخلفه . ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم وهو بكم عليم . والله أعلم .

سورة الأعراف

٢ - ﴿فَلَا يَكُنْ فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾ لا يكن فى صدرك ضيقٌ بسبب إبلاغ الكتاب وتأدية ما أُرسلت به إلى قوم لم يؤمنوا بكتاب ، ولم يعتقدوا صدق رسالة ؛ فتلقَّوْك بالتكذيب والإعراض والأذى والتعنت . فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ، ولا تُبالِ بما يلْقَوْنك به ؛ وهو كقوله تعالى : (فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ)[1] . والحَرَجُ : شدةُ الضِّيق [آية ١٢٥ الأنعام ص ١٩٠] ﴿لِتُنْذِرَ بِهِ﴾ متعلق بـ (أنزلَ) .

٤ - ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ وكثير من أهل القرى الذين أعرضوا عن الحقّ ، وأصرُّوا على الكفر ، قصدنا إهلاكهم بسبب ذلك ، فجاءهم عذابُنا مَرّةً وهم نائمون ليلاً كقوم لوط ، ومرة وهم قائلون نهارًا كقوم شعيب ، وهو إنذارٌ لمشركى مكة . والبَيَاتُ : قَصْدُ العدوِّ ليلاً . يقال : بيّتَ القومُ العدوَّ بياتًا ، إذا أوْقعوا به ليلاً ؛ وهو حال بمعنى بائتين . والقيلولةُ : نومةُ الظهيرة ، أو الاستراحة نصفَ النهار ولو بلا نوم . يقال : قال يَقيل قَيْلاً وقيلولةً ، فهو قائل . والجملةُ حالٌ بمعنى أو قائلين . وإنزال

(١) آية ١٢ هود .

العذاب فى هذين الوقتين وهما وقت الغفلة والدَّعة ـ أقسى وأفظع . ﴿بَأْسُنَا﴾ عذابنا . ﴿بَيَاتًا﴾ بائتين أو ليلا وهم نائمون . ﴿هُمْ قَائِلُونَ﴾ مستريحون نصف النهار (القيلولة) .

٥ ـ ﴿دَعْوَاهُمْ﴾ دعاؤهم وتضرعهم .

٦ ـ ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ﴾ أى فلنسألَنَّ يومَ القيامة الأمم المرسلَ إليهم المكذّبين لرسلهم عما أجابوا به رسلَهم . والسؤالُ للتوبيخ ؛ ولنسألنَّ الرسلَ عن إبلاغ رسالاتهم ؛ لتقريع الأمم إذا أنكروا التبليغ .

٨ ـ ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ أى والوزن الحقُّ ـ أى العدل الذى لا ظلم فيه لصحائف الأعمال ـ كائنٌ يومَ يسأل الله الأممَ ورسلَهم . وإنما توزن الصحائفُ يومئذ بميزان ؛ لإظهار العدل الإلهىّ على رءوس الأشهاد . وقيل : المرادُ بالوزن الحقِّ العدلُ التامُّ فى القضاء بين العباد . ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ بأن رَجَحت حسناتُه على سيئاته ، جمع موزون .

٩ ـ ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بأن رجحت سيئاته على حسناته .

١٠ ـ ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ﴾ تذكيرٌ بفنونٍ من النعم توجب الإيمان . ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ ما تعيشون به وتحيَوْن من المطاعم والمشارب ، ونحوهـا . أو ما تتوصَّلون به إلى ذلك من المكاسب والتجارات . جمعُ معِيشة . وهى فى الأصل مصدرُ عاش يعيش عَيْشًا وعَيْشة ومَعاشًا ومَعِيشَةً ، إذا صار ذا حياة ، ثم

(٧) سُورَةُ الأعرافِ مكيّة

إلا من آية ١٦٣ إلى غاية آية ١٧٠ فمدنية
وآياتها ٢٠٦ نزلت بعد ص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ



الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ
خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ
مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ
مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾
قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ
لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ
وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ
أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ
لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾
وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ

استُعمل فيما يُعاش به أو يُتوصّل به إلى العَيْش .

١١ ـ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ..﴾ تذكيرٌ بنعمةٍ أخرى ؛ تستوجب شكرهم لسريانها إليهم . أى خلقنا أباكم آدمَ طينًا غير مصوَّر ، ثم صوّرناه أبدعَ تصوير بأحسن تقويم سَرَى إليكم . أو ابتدأنا خلقكم ثم تصويركم ، بأن خلقنا أباكم آدم ثم صورّناه . و «ثُمَّ» على المعنيين للترتيب الزمانى ، وكذا فى قوله «ثم قلنا» .

١٢ ـ ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ أى ما ألزمك واضطرّك إلى ألّا تسجد ؛ فالمنعُ مجازٌ عن الإلجاء والاضطرار . أو ما حملك ودعاك إلى ألّا تسجد ؛ فالمنعُ مجازٌ عن الحَمْل . والاستفهامُ للتوبيخ والتقريع ، ولإظهار معاندته وكفره ، وافتخاره بأصله ، وحسدِه لآدمَ عليه السلام .

١٣ ـ ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ أى من الجنّة التى هى دار المتقين . أو من رَوْضةٍ كانت على نَشَز من الأرض خلق فيها آدم عليه السلام . ﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ أى من أهل الصَّغار والهوان على الله تعالى وعلى أوليائه لتكبّرك .

١٤ ـ ﴿أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أخّرنى ولا تُمتنى إلى يوم البَعْث ، وهو وقت النفخة الثانية عند قيام الساعة . وقد طلب بذلك النجاةَ من الموت ، إذ لا موْتَ بعد البَعْث ؛ من الإنظار . تقول : أنظرته بحقّى ، أُنظِره إنظارًا ، أى أمهلته .

١٥ ـ ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ من المؤخَّرين . أى إلى يوم الوقت المعلوم ؛ كما فى آية ٣٨ من سورة الحجر وآية ٨١ من سورة ص . وهو على المشهور : وقتُ النفخة الأولى فيموت كما يموت غيره . وقيل : المراد به الوقت المعلوم فى علم الله أنه يموت فيه .

١٦ ـ ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي ..﴾ أى فأقسم بإغوائك إيّاى . أو فبسبب ذلك لأترصّدنّهم على طريق الحق وسبيل النجاة ، كما يَتَرصّدُ قطّاع الطريق السابلة فأصدنّهم عنها . والإغواءُ : خلْقُ الغَيِّ بمعنى الضلال . وأصل الغَيِّ الفسادُ ؛ ومنه غَوِىَ الفصيل ـ كرَضِىَ ورَمَى ـ غَوًى ، إذا بَشِمَ من اللّبن ففسدت مَعِدتُه ، أو مُنع الرَّضاع فهُزل وكاد يهلك ، ثم استُعمل فى الضلال . يقال : غَوَى يَغْوِى غَيًّا وغَوايةً فهو غاوٍ وغَوِىٌّ ؛ وإذا ضلَّ . وأغواه غيرُه وغوَّاه : أضلّه . ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ لأترصدنهم ولأجلسن لهم .

١٨ ـ ﴿اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا﴾ أى

شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا

اخرج من الجنة أو من تلك الروضة معيبًا مهانًا . يقال : ذأَمه يذأَمه ذأْما : إذا عابه وحقَّره ، فهو مَذْءُوم ﴿مَدْحُورًا﴾ مطرودًا مُبعَدًا . يقال : دحره دَحْرًا ودُحورًا ، طردَه وأبعده .

٢٠ - ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ..﴾ ألقى إليهما الوَسْوسة . يقال : وسوس له وإليه . وهى فى الأصل : الصوتُ الخفىّ المكرّر ، ومنه قيل لصوت الحلْى : وَسْواسٌ . وأريد بها الحديث الخفِىّ الّذى يُلقيه الشيطان فى قلب الإنسان ليقارف الذنب . ﴿لِيُبْدِىَ لَهُمَا ..﴾ لتكون عاقبة ذلك أن يظهر لها ما سُتِر عنهما من عوراتهما ، وكانا لا يَريانِهَا من أنفسها ولا أحدهما من الآخر . و ﴿وُورِىَ﴾ من المواراة وهى الستر . والسَّوْأَةُ : فرجُ الرجل والمرأة ؛ من السَّوْء . وسُمّيت العَوْرةُ سَوْأَةً لأن انكشافها يسوء صاحبها . وقيل : الكلامُ كنايةٌ عن إزالة الحُرمة وإسقاط الجاه . ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ أى كراهة أن تكونا . أو لئلاّ تكونا ملَكين .

٢٢ - ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ فأنزلها عن رتبة الطاعة إلى رتبة المعصية بما غرّهما به من القَسَم ؛ من التّدلِيَة ، وهى إرسال الشىء من أعلى إلى أسفل ، ومنه دَلَى الدَّلْوَ فى البئر . والغرورُ : إظهارُ النُّصح مع إبطان الغِشِّ . وأصله من غررت فلانا ، أى أصبت غِرّته وغفلته ، ونلت منه ما أريد .

﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ ..﴾ شَرَعا وأخذا يَلْزقَان من ورَق الجنة ورقةً فوق أخــرى على عوراتهما لسَترِهما ؛ من الخَصْف ، وهو خَرْز طاقات النّعل ونحوه بإلصاق بعضها ببعض . وفعله من باب ضرب . ولعلّ المعنى والله أعلم : أنهما لما ذاقا الشجرة وقد نُهيَا عن الأكل منها ظهر لها أنهما قد زلّا ، وخلعا ثوب الطاعة وبَدَت منهما سوْأة المعصية ، فاستحوذ عليهما الخوف والحياء من ربّهما ؛ فأخذا يفعلان ما يفعل الخائف الخَجِل عادةً من الاستتار والاستخفاء حتى لا يُرى ، وذلك بخصف أوراق الجنة عليهما يَجتنَّان بها ويستتران ، وما لها إذ ذاك حيلةٌ سوى ذلك . فلما سمعا النداء الرّبانى بتقريعهما ولَوْمهما أُلْهمَا أن يتوبا إلى الله ويستغفرا من ذنبهما ، بكلماتٍ من فَيْض الرحمة الإلٰهيّة ، فتاب الله عليهما وهو التواب الرحيم ، وقال لهما فقط أوْلهما ولذرّيتهما ، أوْلَهُمَا ولإبليس : اهبطوا من الجنة إلى الأرض ، لينفذ ما أراده الله من استخلاف آدمَ وذريّته فى

تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ
أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ
ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾
يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ
ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ
هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ
أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟
وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ
بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ
رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ
مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ

الأرض ، وعمارة الدنيا بهم إلى الأجل المُسَمَّى ، ومنازعة عدوّهم لهم فيها ؛ والله بالغ أمره ، قد جعل الله لكل شيء قدرًا . والله أعلم بأسرار كتابه .

٢٦ ـ ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ أى وَهَبْنا لكم بما هيّأناه من الأسباب لِبَاسَيْن : لباسَ مُداراةٍ لعوراتكم وأجسامكم ، ولباسَ زينةٍ وتجمُّل . فقولُه : ﴿وَرِيشًا﴾ أى لباسًا ريشا ، أى ذا ريش وزينة ، أخذًا من ريش الطائر وهو زينته . وقيل : «وريشًا» أى مالا ؛ من قولهم : تريّش الرجل إذا تموّل . والمراد أعطيناكم اللّباس للمواراة ، والمالَ لتحصيل ما تحتاجون إليه . وهو امتنانٌ منه تعالى على عباده بهذه النعم . ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ﴾ الإيمان وثمراته .

٢٧ ـ ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا﴾ يزيل عنهما ، استلابا بخداعه . ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ تعليلٌ للتحذير من متابعته بقوله : ﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ ببيان أنه بمنزلة العدوّ المداجى يكيد لكم فى خُفْية واستتار . وإنّ عدوًّا يراك ولا تراه لشديدُ المؤنة إلا من عصَمه الله . ﴿وَقَبِيلُهُ﴾ جنودُه من الجنّ ، أو نسْله . ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ أى بصورهم الخلقيّة . أما إذا تمثّلوا بصُور أخرى فإنا نراهم كما وقع كثيرا .

٢٨ ـ ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ أى وإذا فعل المشركون فَعلةً متناهيةً فى القبح ؛ كالشرك ، والطّواف عراة بالبيت المعظم ، واتخاذ البحائر والسّوائب وغير ذلك من الكبائر فنُهُوا عنه ـ احتجُّوا بتقليد آبائهم ، وأن الله تعالى أمرهم بها ، فردَّ الله عليهم بأنه ﴿لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ وإنما يأمر بمحاسن الأعمال ومكارم الأخلاق والخصال ، ويأمر بالعدل فى الأمور كلها ؛ وبأن تخلصوا له عبادتكم ، والطاعةَ فى عامّة أموركم .

٢٩ ـ ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل وهو جميع الطاعات والقرب . ﴿أَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ﴾ توجهوا إلى عبادته مستقيمين . وقولُه : ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أى فى وقت كل سجود ، أو فى مكان كل سجود . والمرادُ بالسجود : الصلاة . والمقصودُ بذلك إخلاص العبادة لله تعالى . ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ تعليلٌ للأمرين السابقين فى قوله : (وَأَقِيمُوا) وقوله : (وَادْعُوهُ) أى أنه تعالى يعيدكم أحياءً يومَ القيامة للحساب والجزاء كما بدأكم ، لا يعجزه عن



وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (٣٠) * يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٣٤) يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ

ذلك شيء ؛ فإن القادر على البَدْء قادرٌ على الإعادة . وقيل : هو كلام مستأنف لتقرير قدرته على البعث ، والرّد على منكريه .

٣١ - ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ كان بعض جهلة العرب يطوفون بالبيت عُراة ، ويحرّمون على أنفسهم فى أيام الحجّ اللحمَ والدَّسم ؛ فأنزل الله الآية . أى البسوا ثيابَكم مداراةً لعوراتكم عند كل عبادة من طواف وصلاة ، وكلوا واشربوا ما أحلّ الله لكم ، ولا تُسرفوا بتحريم الحلال .

٣٢ - وأمرَ الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم : ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ وهى ما أحلّه لهم ، ومالا يحرّمه الله فلا محرّمَ له . ويقولَ لهم : إن النِّعم التى قد أفاضها الله على المؤمنين وأجراها عليهم ، وهى غير خالصة لهم فى الدنيا لمشاركة غيرهم لهم فيها ، هىَ خالصةٌ لهم يوم القيامة لحرمان الكفار من المتاع فى الآخرة .

٣٣ - ويقولَ لهم : ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ الْفَوَاحِشَ﴾ وهى كبائر المعاصى والآثام التى ترتكبون كثيرًا منها ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ جَهْرَها وسرّها ﴿وَالْإِثْمَ﴾ وحرّم الإثم كله لما فيه من المفاسد ﴿وَالْبَغْىَ﴾ وحرّم البَغْىَ والظّلم لما فيه من الضرر بالعباد . وعطفُ «الإثم» على ما قبله من عطف العامّ على الخاصّ . وعطف «البَغْىَ» على «الإثمَ» من عطف الخاص على العام . وكذا ما بعده لمزيد الاعتناء به ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ﴾ وحرم عليكم أن تُسوُّوا به فى العبادة إلهًا آخرَ لم يُنزل به الله ﴿سُلْطَانًا﴾ حجة وبرهانا . ﴿وَأَنْ تَقُولُوا ..﴾ وحرّم عليكم الافتراء على الله بتحريم الحلال وتحليل الحرام . وغير ذلك مما تتقوّلونه على الله .

٣٤ - ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ..﴾ أى مدّةُ عُمْر وبقاء محدودةٌ فى علمه تعالى لا تتغيّر ولا تتبدّل ؛ كآجال آحاد الناس . فإذا جاء آخر عمرها فنيَت لا محالةَ ؛ لا يتأخر فناؤها عنه لحظةً من الزمن ولا يتقدم عليه لحظة . والكلامُ كناية عن ذلك . وفيه وعيد لكفار مكة الذين كانوا يستعجلون العذابَ الموعودَ استهزاءً .

يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾

٣٧ ـ ﴿أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ﴾ أى ينالهم فى الدنيا نصيبهم مما كتب لهم ، من الأعمال والأرزاق والأعمار ـ مع ظلمهم وافترائهم لا يحرمون منه إلى انقضاء آجالهم ، تفضُّلاً منه تعالى ، رجاء أن يصلُحوا ويتوبوا : فإذا فرغ أجلُهم جاءتهم رسلُ الموت يتوفَّوْنهم قائلين لهم توبيخاً وتقريعاً : ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أى تعبدونهم من دونه لِيَمْنَعُوكم من عذابه .

٣٨ ـ ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ﴾ أى يقول تعالى لهم يومَ القيامة : ادخلوا النار فى زُمرة أمم مكذِّبة قد مضت من قبلكم ؛ فقد حقّت عليكم جميعاً كلمةُ العذاب . ﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا﴾ تلاحقوا فى النار فأدرك بعضُهم بعضاً واجتمعوا فيها ﴿قَالَتْ أُخْرَاهُمْ﴾ دخولا فى النار . أو هم الأتباع ﴿لِأُولَاهُمْ﴾ السابقة دخولاً أوْهم المتبوعون ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾ بدعوتهم إيّانا إلى الضلال ، أو بسَنّهم لنا ما سنُّوا من طرائقَ فاقتدَيْنا بهم ﴿فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ مُضاعفاً . والضِّعفُ : المثلُ مرّةً واحدةً . وقيل : ضعفُ الشيء مثلُه إلى ما زاد عليه بلا نهاية ، وليس مقصوراً على المثلين . ﴿مِنَ النَّارِ﴾ أى من عذابها .

٣٩ ـ ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ أى فى الدنيا بالاقتداء ، بل كفرتم باختياركم ؛ فلا دَخْلَ لنا فى كفركم .

٤٠ ـ ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ أى لا تُفتح لأعمالهم ولا لأرواحهم لفرط خُبثها وفسادها . ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ..﴾ أى ولا يدخلون الجنّةَ حتى يدخلَ ما هو مَثَلٌ فى عظم الجسم فيا هو مَثَلٌ فى

لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا

ضيق المسلك ؛ وذلك مما لا يكون فكذا ما توقّف عليه . والمرادُ : أنهم لا يدخلونها أبدًا ؛ لأن الشيء إذا عُلّق بما يستحيل حصوله دلّ ذلك على استحالته ؛ نحو : لا أفعل كذا حتى يشيبَ الغراب ، أو يبيضّ القار ؛ أى لا أفعله أبدًا . والوُلوجُ : الدخولُ بشدّة ؛ والسَّمُّ : ثَقْبُ الإبرة ، وفيه اللغات الثلاث ، والفتح أشهر . وجمعه سِمَام وسُمُوم وكلُّ ثقب فى البدن فهو سَمّ . والخِيَاط والمِخْيَط - كإزار ومِئْزر - : ما يُخاط به . والمراد هنا الإبرة .

٤١ - ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ أى لهم فِراشٌ من تحتهم فيها . وأصلُ المهادِ : المُتَمَهَّدُ الذى يُقعد ويُضْطجَع عليه كالفراش ﴿وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ أغطيةٌ . جمعُ غاشية ، وهى ما غَشّاهم فغطّاهم كاللّحاف ونحوه . والمرادُ : أن النار تحيط بهم من تحتهم ومن فوقهم ؛ كما فى قوله تعالى : (لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ)[1] .

٤٢ - ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أى طاقتها وما تقدر عليه بسهولة ، دون ما تضيق به ذَرْعاً . وأصلُ الوُسْع : الجِدَةُ والطاقةُ . والجملة معترضة بين المبتدأ والخبر ؛ لبيان أن الصالحات التى كانت سبباً لدخولهم الجنة هى فى وُسْعِهم وطاقتهم .

٤٣ - ﴿مِنْ غِلٍّ﴾ حقد وعداوة كانت بينهم فى الدنيا بمقتضى الطبيعة البشرية ، والتدافع فى المجتمع . والمرادُ أنه تعالى يُنْشِئهم نشأةً أخرى لا تحمل فيها صدورُهم غِلاًّ ؛ كما كانت فى الدنيا . ﴿أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أى بسبب ما عملتم فى الدنيا من الأعمال الصالحة . ولما كانت الأعمال الصالحةُ لا تُنال إلا بتوفيق الله ورحمته ، ولا يترتّبُ عليها دخول الجنة إلا بقبول الله لها ، كان دخول الجنة فى الحقيقة برحمته وتوفيقه وقبوله تعالى ، لا بذات العمل ؛ وفى الحديث : (لن يدخل الجنة أحدٌ بعمله وإنما يدخلها برحمة الله)[2] .

٤٤ - ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ فأعلم مُعلمٌ ، أى منادٍ بين الفريقين ؛ من التأذين وهو النداء والتصويت للإعلام . ومنه الأذان للصلاة .

٤٥ - ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ يطلُبونَ

(١) آية ١٦ الزمر . (٢) المعنى متفق عليه .



حِجَابٌ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾ * وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ

السبيل معوَجّة ؛ أى مائلة عن الحق [آية ٩٩ آل عمران ص ٨٩] .

٤٦ ـ ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ وبين أهل الجنة وأهل النار حاجز عظيم ؛ وهو السور المذكور فى قوله تعالى : (فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ)[1] . ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ أى وعلى أعراف الحجاب ـ أى أعاليه ـ رجال . جمع عُرْف ، وهو كل مرتفع من الأرض ؛ لأنه بسبب ارتفاعه يصير أعرف مما انخفض عنه . ومنه عُرف الفَرَس . وعُرف الديك ؛ لارتفاعه على ما سواه من الجسد . وهؤلاء الرجالُ : أقوامٌ من المؤمنين استوت حسناتهم وسيئاتهم ؛ فقصرت بهم سيّئاتهم عن الجنة ، وتجاوزت بهم حسناتُهم عن النار ؛ فحُبِسُوا هناك حتى يقضى الله فيهم بما يشاء . فبينما هم كذلك إذ قال الله لهم : أنتم عُتقائى فارعَوْا من الجنة حيث شئتم ؛ فيكونون آخرَ أهل الجنة دخولاً ممن لم يدخل النار . ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا﴾ يعرفون كُلاً من أهل الجنة وأهل النار ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾ بعلاماتهم التى أعلمهم الله بها ؛ كبياض الوجوه . ونُضْرة النعيم لأهل الجنّة . وسوادِ الوجوه . وزُرقة العيون لأهل النّار . والسِّيما : العلامة . ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ أى حين عرفوهم ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا ..﴾ أى نادوهم وهم لم يدخلوا الجنة حال كونهم طامعين فى دخولها مترقّبين له .

٤٧ ـ ﴿تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ حيالَهم ووُجاههم . ظرفُ مكان بمعنى جهة اللّقاء والمقابلة .

٤٩ ـ ﴿أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ ..﴾ يقول الله تعالى أو بعض الملائكة لأهل النار : أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمته ؟ مشيرًا إلى ضعفاء المؤمنين قد قيل لهم : ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ أو مشيراً إلى أصحاب الأعراف ثم يقول لهم : ادخلوا الجنة .

٥٠ ـ ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا﴾ صُبُّوا علينا شيئاً ﴿مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من سائر الأشربة ؛ ليخفّف عنا ما نحن فيه من شدّة العطش والعذاب . أو أفيضوا

(١) آية ١٣ الحديد .

عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾

علينا من الماء ، وأطعمونا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة .

٥١ ـ ﴿اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِباً﴾ فلم يرفعوا به رأساً ولم يعبأوا به . ﴿وغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ خدعهم عاجلُ ما هم فيه من الدَّعة وخَفْض العيش والرَّفاهية ، عن الأخذ بنصيبهم من الآخرة ؛ حتى اجتالتهم المنايا (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)[1] . يقال : غرّه يَغُرُّه غَرًّا وغُروراً وغِرَّةً . فهو مغرورٌ وغَرِيرٌ . خدَعه وأطمعه بالباطل . ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ ..﴾ فيوم القيامة نتركهم فى العذاب جياعاً عِطاشاً ؛ لتركهم العمل والاستعداد للقاء يومهم هذا ، ولجحودهم آيات الله وتكذيبها . فالكافُ فى قوله «كما» للتعليل و «ما» فى قوله «وَمَا كانوا» معطوفةٌ على «ما» فى «كما نَسُوا» .

٥٣ ـ ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ أى هل ينتظرون إلا عاقبة هذا الكتاب وما يئُول إليه أمره ؛ من تبيّن صدقه ، وظهورِ صحة ما أخبر به من الوعيد ، والبعْثِ والحسابِ . وتأويلُ الشىء : مرجعهُ ومصيرُه الذى يئول إليه ذلك الشىء . والمرادُ أنهم بمنزلة المنتظرين ؛ من حيث أن ما ذكر يأتيهم لا محالة . ﴿يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُ يَقُولُ ..﴾ أى يومَ القيامة يقول هؤلاء الذين تركوا القرآن وأعرضوا عنه ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ . ﴿يَفْتَرُونَ﴾ يكذبونه من الشركاء وشفاعتهم .

٥٤ ـ ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أنشأهن على غير مثال سابق ، وأنشأ ما بينهما كذلك فى مقدار ستة أيام من أيام الدنيا . أو فى ستة أيام ، وكلُّ يوم مقدارُه ألفُ سنةٍ من السنين التى نَعُدُّهَا . قال سعيد بن جُبير : كان الله قادرًا على خلق السماوات والأرض ـ أى وما بينهما ـ فى لمحة ولحظة ؛ فخلقهن فى ستة أيام ؛ تعليماً لخلقه التثبُّت والتأنّى فى الأمور . ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ عرشُ الله تعالى ـ كما قال الراغب ـ : مما لا يعلمه البشر إلا بالاسم ، وليس كما تذهب إليه أوهام العامة ؛ فإنه لو كان كذلك لكان حاملاً له ـ تعالى عن ذلك ـ لا محمولاً ؛ والله تعالى يقول : (إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ)[2] . وقد ذُكر العرش فى إحدى وعشرين آيةً . أما الاستواءُ على العرش فذهب سلف الأمة ـ ومنهم الأئمة الأربعة ـ إلى أنه صفةٌ لله تعالى بلا كيْفٍ ولا انحصار ولا تشبيهٍ وتمثيلٍ ؛ لاستحالة اتصافه تعالى بصفاتِ المحدَثين . ولوجوب تنزيهه تعالى عما لا يليق به (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)[3] وأنه يجب الإيمانُ بها

(١) آية ١٨٥ آل عمران . (٢) آية ٤١ فاطر . (٣) آية ١١ الشورى .

﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ﴾

كما وَرَدَتْ . وتفويضُ العِلْم بحقيقتها إليه تعالى . وقال الإمام الرازى : إن هذا المذهب هو الذى نختاره ونقول به ونعتمد عليه . وذهب جمهور المتكلمين إلى وجوب صرْفه عن ظاهره لاستحالته . وإلى تأويله على التفصيل ، وأن المراد منه - كما قال الإمام القفّال - أنه استقام ملكُه ، واطَّردَ أمْره ، ونفذ حكمه تعالى فى مخلوقاته ، والله تعالى دلّ على ذاته وصفاته وكيفية تدبيره للعالم على الوجه الذى أَلِفوه من ملوكهم ، واستقرّ فى قلوبهم ؛ تنبيهاً على عظمته وكمال قدرته ، وذلك مشروط بنفى التشبيه ؛ ويشهد بذلك قوله تعالى : (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ)[1] [راجع المسألة الرابعة من المقدمة ص و] وقد ذُكر الاستواء على العرش فى سبع آيات من القرآن . ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ التَّغْشِيَةُ : التغطيةُ والسَّتر . أى يجعل الليل غاشياً للنهار مغطيًا له فيذهب بنوره ؛ وهكذا دَوَالَيْك فى كل ليل ونهار ، وبتعاقُب الأمثال يستمرّ الاستبدال ؛ فيتغيّر كل واحد منهما بالآخر ؛ فكما يغطِّى النّهارَ بالليل يغطِّى الليلَ بالنهار ، وفى ذلك من منافع الخلق ما فيه وبه تتمّ الحياة ، وهو دليل القدرة والحكمة والتدبير من الإله العلىّ العظيم . ﴿يَطْلُبُهُ حَثِيثاً﴾ يطلب الليلُ النهارَ طلباً سريعاً حتى يَلحقه ويُدركه . وهو كنايةٌ عن أن أحدهما يأتى عَقِب الآخر ويَخلفه بلا فاصل ؛ فكأنه يطلبه طلباً سريعاً لا يفتّر عنه حتى يلحقه . والحثُّ على الشىء : الحضُّ عليه . يقال : حثّ الفرس على العَدْو يَحُثُّه حثًّا ، صاح به أو وكزه برجل أو ضرب . وذهب حثيثاً أى مسرعاً . ﴿لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ الخلقُ : إيجادُ الأشياء من العَدم . والأمرُ : التدبيرُ والتّصرف على حسب الإرادة لما خلقه . فهو سبحانه الخالق والمدبِّر للعالَم على حسب إرادته وحكمته ؛ لا شريك له فى ذلك . ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ كَثُرَ خيرُه وإحسانُه ؛ من البَرَكة بمعنى الكثرة من كل خير . وأصلُها : النّماءُ والزيادة . أو ثبتَ ودَام كما لم يزل ولا يزال ؛ من البركة بمعنى الثبوت . يقال : بَرَكَ البعيرُ - إذا أناخ فى موضعه فلزمه وثبت فيه . وكلُّ شىء ثبت ودام فقد بَرَك . أو تعالى وتعظّم وارتفع . أو تقدّس وتنزّه عن كل نقص .

٥٥ - ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ﴾ سَلُوا ربَّكم حوائجَكم ؛ فإنه تعالى يسمع الدعاء ويُجيب المضطر . وهو القادر على إيصالها إليكم ؛ وغيرُه عن ذلك عاجز . ﴿تَضَرُّعًا﴾ : تذللاً واستكانة ؛ من الضّراعة ، وهى الذِّلةُ والاستكانة . يقال : ضَرَع ضراعةً ، خضع وذل . وتضرَّع : أظهر الضراعة . حالٌ من الضمير فى «ادْعُوا» أى متضرّعين . ﴿وَخُفْيَةً﴾ أى سِرًّا فى أنفسكم . وقد كان المسلمون يجتهدون فى الدعاء وما يُسمع لهم صوت ؛ إن كان إلّا هَمْسًا بينهم وبين ربّهم . وفى حديث أبى موسى الأشعرىّ أنه صلّى الله عليه وسلّم قال لقوم يَجهرون : (أيُّها الناس ارْبَعُوا على أنفسكم - أى ارفُقُوا بها وأقصِروا من الصياح - إنكم ليس تَدْعُون أصمَّ ولا غائباً إنكم تَدْعُونَ سميعاً قريباً وهو معكم وهو أقربُ إلى أحدكم من عُنُق راحلته)[2] وهو تعليمٌ للأدب فى الدعاء .

٥٦ - ﴿وَادْعُوهُ خَوْفاً ..﴾ خائفين من الرّد ؛ لقصوركم عن أهليّة الإجابة . طامِعين فى الإجابة

(١) آية ٣ يونس . (٢) رواه ابن جرير وابن المبارك .

ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلۡمَلَأُ

تفضُّلاً منه تعالى وكرَماً . أو خائفين من عقابه ، طامعين فى ثوابه . والخَوْفُ : انزعاجٌ فى الباطن يحصل من توقع أمرٍ مكروه يقع فى المستقبل . والطمَعُ : توقُّعُ أمرٍ محبوبٍ يحصل فى المستقبل . ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ رحمةُ الله : إفضالُه وإنعامُه على عباده ، أو ثوابه . وتذكيرُ « قريب » باعتبار معناها . أو لكون تأنيثها مجازيًّا ؛ فيجوز فى خبرها التذكير والتأنيث .

٥٧ ـ ﴿بُشْرًا﴾ بضمٍّ فسكون الشين ، مخفَّف « بُشُرًا » بضمتين جمع بَشير ؛ كنُذُر ونذير ؛ أى مبشِّرات بنزول الغَيْث المستتبع لمنفعة الخلق . ﴿أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً﴾ بما فيه من الماء . وحقيقة أقلّه : وجده قليلا ثم استعمل بمعنى حَمَلَه ؛ لأن الحامل يستقل ما يحمله بزعم أن ما يرفعه قليل . و« سحاباً » اسمُ جنس جمعىّ يفرق بينه وبين واحده بالتاء ، روعى معناه فى قوله : « ثِقالاً » ، ولفظه فى قوله : « سُقْناه » . و« ثقالاً » جمع ثقيلة ؛ من الثِّقَل ـ كعِنَب ـ ضدّ الخفّة . يقال : ثَقُل ـ ككرُم ـ ثِقَلاً وثَقالةً ، فهو ثقيلٌ وهى ثقيلة . ﴿لِبَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ مجدب لا ماء فيه ولا نبات . ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ أى كما أحيْنا الأرض بعد موتها بإحداث القوى النامية فيها ، وإنزال الماء عليها ، وتَطْرِيَتها بأنواع النَّبات والثمَرات نخرج الموتى من الأرض ، ونبعثهم أحياءً فى اليوم الآخر .

٥٨ ـ ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ ..﴾ الأوّلُ مثلٌ ضربه الله تعالى للمؤمن ، يقول : هو طيّبٌ وعملُه طيّبٌ . والثانى مثل للكافر ، يقول : هو خبيثٌ وعملُه خبيثٌ ؛ وفيهما بيانُ أن القرآن يُثمر فى القلوب التى تشبه الأرض الطّيبةَ التُّربة ، ولا يُثمر فى القلوب التى تشبه الأرض الرديئة السَّبخة . ﴿لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ أى لا يخرج نباته إلا قليلاً عديمَ النفع . وأصلُ النَّكِد : العَسِرُ القليل الذى لا يخرج إلا بعناء ومشقّة . يقال : نَكِدَ عيشُه يَنْكَدُ ، اشتد وعَسُر . ونَكِدت البئرُ : قلَّ ماؤها ؛ ومنه : رجلٌ نَكِدٌ ونَكْدٌ وأنكد : شُؤْمٌ عَسِرٌ . وهم أنكاد ومناكيد . ﴿نُصَرِّفُ الآيَاتِ﴾ نكررها بأساليب مختلفة .

٥٩ ـ ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ شروعٌ فى ذكر أنباء بعض الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وما وقع لهم مع أممهم المكذِّبة ؛ تسليةً له صلى الله عليه وسلم ، وتثبيتاً للمؤمنين ، ووعيدًا وإنذارًا للمكذّبين . ﴿اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ هذه دعوةُ جميع رسل الله إلى أقوامهم ، فتوحيدُ العبادة شرعتُهم كافة ؛ صلوات الله وسلامُه عليهم أجمعين . وهو الدِّينُ القيِّم والملّةُ الحنيفية والإسلام .

٦٠ ـ ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾ أشراف

مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ * وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ

ثلاثة أرباع الحزب

القوم وسادتهم [آية ٢٤٦ البقرة ص ٥٩] . ﴿فِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ فى ذهاب عن الحق والصواب بيّن واضح . يقال : ضل الطريق يَضِل وضلَّ عنه ضلالاً وضلالةً ، زلّ عنه فلم يهتد إليه .

٦٢ - ﴿وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾ أتحرّى ما فيه صلاحُكم وأرشدكم إليه ؛ من النُّصح وهو تحرّى قولٍ أو فعل فيه صلاح للغير . أو تعريف وجه المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه . وأصلُه الخلوصُ ؛ من قولهم : نصحت له الوُدَّ . أى أخلصته ؛ وأريدَ منه ما ذكر مجازًا . ويقال : نصحته ونصحت له ؛ وباللام أفصح .

٦٤ - ﴿فِى الْفُلْكِ﴾ أى السفينة . ويُذكَّر ويستعمل واحداً وجمعاً . ﴿قَوْماً عَمِينَ﴾ عُمْىَ البصائر عن الحق والإيمان . لا تنفع فيهم الموعظة ، ولا يفيدهم التذكير . جمعُ عَمٍ صفة مشبَّهة . يقال : هو عمٍ - كفرح - لأعمى البصيرة . وهو أعمى لأعمى البصر . وقيل هما بمعنًى ؛ كخَضِرٍ وأخضرَ .

٦٥ - ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ وأرسلنا إلى عادٍ - وهم عادٌ الأُولى - أخاهم هُودًا ؛ وكانوا بالأحقاف باليمن . والأحقافُ : الرملُ الذى بين عُمَان وحَضْرَمَوْت . وكانوا عبّادَ أصنام .

٦٦ - ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ أى متمكِّنًا فى الحماقة وخفّة العقل ؛ حيث هجرت دين قومك إلى دين آخرَ لا يُعرف .

مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَـٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَـٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟

٦٩ - ﴿بَسْطَةً﴾ قوة وعظم أجسام. ﴿فَاذْكُرُوا آلاءَ اللهِ﴾ نِعَمَهُ الكثيرة عليكم بشكرها. جمعُ إِلْيٍ كحِمْلٍ وأحمال. أو أَلْيٍ. كقُفْلٍ وأقفال. أو إِلًى؛ كمِعًى وأمعاء. أو أَلًى كقَفًا وأقفاء.

٧١ - ﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ﴾ أي نزل ووَجَب عليكم من قِبَل ربِّكم عذابٌ وسخطٌ. والرِّجْسُ: العذابُ؛ من الارتجاس وهو الاضطرابُ. ثم شاع في العذاب لاضطراب من ينزل به. والغضبُ: السُّخط، أو اللَّعْنُ والطردُ. وعبَّر بالماضي لتحقُّق وقوعه.

٧٢ - ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ..﴾ استأصلناهم عن آخرهم بالرِّيح العقيم. وهي ريحُ الدَّبُور [آية ٤٥ الأنعام ص ١٧٥].

٧٣ - ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ أي أرسلناهُ إليهم. وهي قبيلة من العرب تسمى عادًا الثانية. وكانت مساكنهم الحِجْر بين الحجاز والشام إلى وادي القُرَى. في طريق الذاهب من المدينة إلى تَبُوكَ. ﴿نَاقَةُ اللَّهِ﴾ خلقها الله من صخر لا من أبوين. ﴿آيَةً﴾ معجزة دالة على صدق.

٧٤ - ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ جعل لكم مَباءة فيها، أي منازل تسكنونها. يقال: بوَّأهُ منزلا: أنزله وهيَّأه له ومكَّنَ له فيه. ﴿وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ﴾ تنجرونها ﴿بُيُوتًا﴾ تسكنون فيها؛ من النَّحْت، وهو نَجْرُ الشيء الصُّلب. يقال: نَحَته ينحته - كيَضْرِبُه وينْصُره ويعْلَمه - بَرَاه. ﴿آلَاءَ اللَّهِ﴾ نعمه وإحساناته. ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ العُثُوّ: أشد الفساد [راجع آية ٦٠ البقرة

عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ

ص ١٧] .

٧٧ ـ ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ نحروها . وأصْلُ العَقْر : قطعُ عُرقوب البعير ، ثم استُعمل فى النَّحْر ؛ لأن نَاحِرَ البعير يَعْقِرُه ثم يَنْحَرُه . ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ استكبروا عن امتثاله ، من العُتُوّ وهو النبُوّ ، أى الارتفاع عن الطاعة والتكبُّر عن الحق غُلُوًّا فى الباطل . يقال : عتا يَعْتُو عُتُوًّا وعُتِيًّا وعِتِيًّا ، إذا تجاوز الحدّ فى الاستكبار ؛ فهو عاتٍ وعَتِيّ .

٧٨ ـ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ أهلكتهم الزَّلزلةُ الشديدةُ . يقال : رَجَفت الأرضُ ترجُف رَجْفاً ، إذا اضطربت وزُلزلت ؛ ومنه الرَّجَفان للاضطراب الشديد . وجاء فى آية ٦٧ من سورة هود إهلاكُهم بالصَّيحة من السماء التى زُلزلت بها الأرض فكان إهلاكُهم بهما . وذُكر فى كل موضع واحدةٌ منها . ﴿جَاثِمِينَ﴾ باركين على الركب ، أو مقيمين . والمرادُ أنهم هامدون صَرْعَى لا حَرَاكَ بهم ؛ من الجُثُوم ، وهو للناس والطير بمنزلة البروك للإبل . يقال : جَثَم الطائرُ يَجْثِمُ جَثْماً وجُثوماً ، فهو جاثمٌ وجَثوم ، إذا وقع على صدره ، أو لزم مكانه فلم يَبْرَح .

٨٠ ـ ﴿وَلُوطًا﴾ أى وأرسلنا لوطاً ، وهو ابن أخى إبراهيم عليهما السلام ، وكان قد هاجر مع إبراهيم من أرض بابلَ إلى الشام ؛ فنزل فِلَسْطِينَ ، ونزل لوطٌ الأُرْدُنّ ، وبعثه الله إلى أهل سَدُوم وما حولها من القرى ، وهى من بلاد الشام ومن فِلَسْطِينَ مسيرة يوم وليلة ، وهى القرى المؤتفكات ، بُعث إليهم يدعوهم إلى عبادة الله ، وينهاهم عن الفاحشة التى اخترعوها ولم تكن معروفةً فى الناس قبلهم .

٨٢ ـ ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ أى يتنزّهون عن الإتيان فى هذا المأْتى . يقال : تطهّر الرجل أى تنزّه عن الإثم . أرادوا به السخريةَ والاستهزاء بلوطٍ ومن معه .

٨٣ ـ ﴿مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ أى الباقين فى العذاب . أو الباقين المُعَمَّرين ، ثم هلكت فيمن هلك من قومها . والغابرُ : الباقى . يقال : غبر الشىء يَغْبُر غبورًا : بقى .

٨٤ ـ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ أى نوعاً عجيباً من المطر . بيّنه الله تعالى بقوله : (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ)(١) .

٨٥ ـ ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ﴾ أى وأرسلنا إلى مَدْيَنَ ـ وهو ابن

(١) آية ٧٤ الحجر .

شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ * قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

حزب ١٧ جزء ٩

إبراهيم عليه السلام ، سُمِّيت به القبيلة - شعيباً عليه السلام . وكانوا أهل كفر وبَخْسٍ للمكيال والميزان ؛ فدعاهم إلى التوحيد ، ونهاهم عن الخيانة فيهما . وعن السُّدِّيِّ وعِكْرِمة : أن شُعَيْباً أرسِل إلى أُمَّتَيْنِ : أهل مَدْين الذين أُهلكوا بالصَّيحة ، وأصحاب الأَيْكة الذين أخذهم الله بعذاب يوم الظُّلَّة ؛ وأنه لم يُبعث نبيٌّ مرتين إلا شعيب عليه السلام . واختار ابن كثير : أنهما أمة واحدة ، أخذتهم الرَّجفةُ والصيحةُ وعَذابُ يوم الظُّلَّة أي السحابة ؛ كما قال تعالى : (فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ)[1] ، (وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ)[2] ، (فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ)[3] . ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ [آية ١٥٢ سورة الأنعام ص ١٩٦] ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ ..﴾ ولا تنقصوهم حقوقهم بتطفيف الكيل ونقصان الوزن في المبايعات ؛ فإن ذلك خيانة . يقال : بَخَسه حقّه يَبْخَسُه . إذا نقصه إيّاه .

٨٦ - ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾ ولا تقعدوا بكل طريق من الطُّرق المسلوكة تخوّفون من آمن بالقتل . أو تخوّفون الناس أن يأتوا شعيباً ، وتقولون لهم : إنه كذّاب يريد أن يفتنكم عن دينكم . وجملة «توعِدُونَ» وما عُطف عليها في محل نصب على الحال من ضمير «تَقْعُدُوا» . ﴿وَتَبْغُونَها عِوَجًا﴾ تَوَدُّون سبيل الله مُعْوَجَّةً [آية ٩٩ آل عمران ص ٨٩] .

٨٨ - ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ أي أنعود إلى ملّتكم - بمعنى نصير إليها - ولو كنا كارهين لها ؟ والاستفهامُ للإنكار . أي لا نصير

(١) آية ٩١ من هذه السورة . (٢) آية ٩٤ هود . (٣) آية ١٨٩ الشعراء .

مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟

إليها فى أىِّ حالٍ . وكلامُ شعيبٍ فى قوله ﴿إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا﴾ مبنىٌّ على التغليب ؛ وإلّا فإنه لم يكن فى ملّتهم من قبلُ ونجاه الله منها .

٨٩ ـ ﴿رَبَّنَا افْتَحْ ..﴾ اقْض واحكم بيننا وبينهم بالحق ؛ من الفتح ، وأصلُه إزالة الأغلاق ، واستُعمل فى الحكم ؛ لما فيه من إزالة الإشكال فى الأمر . ومنه قيل للحاكم : فاتح وفتّاح ـ فى لغة ـ لفتحه أغلاق الحق . وقيل للحكومة : الفُتاحة والفِتاحة ؛ بضمّ الفاء وكسرها .

٩١ ـ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزّلزلةُ الشديدة . وإسنادُ الإهلاك إليها هنا من الإسناد إلى السبب القريب . وإسنادُه إلى الصيحة فى آية ٩٤ من سورة هود من الإسناد إلى السبب البعيد ؛ إذ هى من أسباب الرجفة . وعلى ما اختاره ابن كَثير يكون إهلاكهم بهما وبعذاب يوم الظُّلّة كما سلف . ﴿جَاثِمِينَ﴾ [آية ٧٨ من هذه السورة] .

٩٢ ـ ﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ كأن لم يقيموا فى ديارهم ناعمى البال رَخِيِّى العيش . يقال : غَنِىَ بالمكان يغْنَى ، أقام به وعاش فى نَعْمة ورَغَد .

٩٣ ـ ﴿فَكَيْفَ آسَى﴾ أى فكيف أحزن عليكم ! يريد : أنكم لستم مستحقّين لأن يُحزن عليكم . والأَسَى : الحزنُ . وحقيقتُه إتْباعُ الفائت بالغمّ . يقال : أَسِيت عليه ـ كرَضِيت ـ أسًى ، حَزِنت .

٩٤ ـ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ﴾ أى وما أرسلنا فى قرية من القُرَى المُهْلَكة نبيًّا فكذّبه أهلها ، إلّا أخذناهم بالبُؤْس والفقر والضُّر والمرض ؛ كى يتذلّلوا ويخضعوا ويبتهلوا إلى الله تعالى فى كشف ما نزل بهم . ﴿بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ الفقر والبؤس والسقم والألم . ﴿يَضَّرَّعُونَ﴾ يتذللون ويخضعون ويتوبون .

٩٥ ـ ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ ..﴾ ثم لمّا لم يفعلوا ذلك ، واستمرُّوا فى كفرهم وعنادهم امتحنّاهم بضدِّ تلك المِحَن استدراجاً لهم ؛ فأعطيناهم رَخاءً وخصباً ، وغِنى وسَعةً ، وصحةً وعافية . ﴿حَتَّى عَفَوْا﴾ كَثُروا ونَمَوْا فى أنفسهم وأموالهم . يقال : عفا النباتُ ، وعفا الشحمُ إذا كَثُر وتكاثف ، وأعفيته : تركته يعفو ويكثر ؛ ومنه حديث (اعْفُوا اللِّحَى)[1] . ﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا ..﴾ وقالوا ـ لجهلهم أن ما أصابهم فى الحالَيْن ابتلاءٌ من الله وامتحانٌ ـ : إن تلك عادةُ الدهر ، يُداول الضَّراءَ والسرّاءَ بين الناس ، من غير أن تكون

(١) متفق عليه .

لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ

هناك داعيةٌ إليها . أو تَبِعَةٌ تترتّب عليها . ﴿بَغْتَةً﴾ فجأةً ؛ فأخذناهم إثر ذلك بالعقوبة فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ليكون ذلك أعظمَ لحسرتهم . وفى هذه الآية بيانٌ لسُنن الله فى الأمم المهلكة بسبب تكذيبها ؛ تحذيرًا وتخويفاً من سوء العاقبة لمن هم على شاكلتهم فى الكفر والتكذيب ؛ ككفار قريش .

٩٦ - ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى﴾ أى ولو أنّ أهل تلك القرى المُهْلَكة آمنُوا بما جاء به الرسلُ . واتّقَوْا ما حرّمه الله عليهم ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ ..﴾ لآتيناهم بركات من السماء والأرض ؛ كالمطر والنبات والثمار ، والأنعام والأرزاق ، والأمن والسلامة من الآفات . جمعُ بَرَكَةٍ . وهى ثبوت الخير الإلٰهىّ فى الشىء ؛ وسُمّىَ بذلك لثبوت الخير فيه ، ثُبوتَ الماء فى البِرْكة .

٩٧ - ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى ..﴾ أى أبَعْدَ ذلك الأخذِ - لمن كذّب واستكبر وعاند - والعلمِ به يأمنُ أهلُ مكة - وما حولها من القرَى - المماثلون لمن سبقهم فى التكذيب والعناد . أن ينزل بهم عذابُنا ليلاً وهم فى غفلة وطمأنينة . أو نهارًا وهم ساهُون لاهُون [آية ٤ من هذه السورة] . ﴿يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا﴾ ينزل بهم عذابنا ﴿بَيَاتاً﴾ وقت بيات أى ليلا .

٩٩ - ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ﴾ أى عذابَه ونقمتَه ليلاً أو نهاراً ؛ آمَنَ ما يكونون منه . أو إدْرارَ نِعَمِه عليهم استدراجاً لهم ؛ حتى يُمْعِنوا فى الطغيان . ويزدَادُوا فى العُتوِّ ، فيُهلكَهُم كما أهلك مَن قبلهم .

١٠٠ - ﴿أَوَ لَمْ يَهْدِ ..﴾ أى أو لم يبيّن لأهل مكة وما حولها ما جرى للأمم السابقة إصابتَنا إيّاهم بذنوبهم لو شئنا ذلك ؛ كما أصبنا مَن قبلهم . و«يَهْدِ» أى يبيِّن . والفاعلُ ضميرٌ عائدٌ على ما يُفهم من سياق الكلام ؛ أى ما جرى للأمم المهلكة السابقة . و«أنْ» وما فى حيّزها فى تأويل مصدر مفعول . ﴿أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ﴾ إصابتَنا إياهم لو شئنا . ﴿وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أى ونحن نختم على قلوبهم ، والجملةُ مستأنَفة لإثبات حصول الطبع على قلوبهم .

١٠٢ - ﴿مِنْ عَهْدٍ﴾ من وفاء بما أوصيناهم .

بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَا ۖ
فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ
يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ
أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن
رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ
جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾
فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا
هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ
هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ
فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ
حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ
فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾
قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ
أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُواْ ۖ
فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو
بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ

ربع الحزب

١٠٣ – ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾ أى فجحدوا وكفروا بها ظُلْماً وعُلُوًّا ؛ والباء للتّعدية . أو فظلموا أنفسهم بتكذيبها . أو ظلموا الناس بسبب صدّهم عن الإيمان ؛ والباء للسّببيّة .

١٠٥ – ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ ...﴾ أى جديرٌ بألّا أقول على الله غير الحق . وهو صفة « رسولٌ » أو خبرٌ بعد خبر ، أو خبرُ مبتدإٍ محذوف ؛ أى أنا حقيقٌ . و« عَلَى » بمعنى الباء .

١٠٧ – ﴿فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ﴾ أى حيّةٌ عظيمةٌ ضخمةٌ فى الجثّة ، وإن كانت فى خفّة الحركة وسُرعتها كأنها جَانٌّ - وهى الحية الصغيرة . ﴿مُبِينٌ﴾ ظاهرٌ أمرُه لا يُشكُّ فيه .

١٠٨ – ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ أى أخرج يده اليمنى من طَوْق قميصه ؛ لقوله تعالى : (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ)(١) . والجَيْبُ : طَوْقُ القميص . أو أخرَجها من تحت إبطه ؛ لقوله تعالى : (واضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ)(٢) . والنَّزعُ : إخراجُ الشيء عن مكانه . ﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَاءُ﴾ بياضاً عجيباً خارقاً للعادة ؛ إذْ كان لها شُعاعٌ يغلِبُ ضوءَ الشمس .

١١١ – ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ أى قال الملأ لفرعون : أخِّرْ أمرَهما ، ولا تَعجلْ بقضاء فى شأنهما . وأصلُه : أرجئْه ، حُذفت الهمزة وسكنت الهاء ؛ تشبيهاً للضّمير المنفصل بالضّمير المتّصل . والإرجاءُ : التأخيرُ . يقال : أرجَيْت هذا الأمر وأرجأته ، إذا أخرته ؛ ومنه : (تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ)(٣) . ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ وابعث فى مدائن الصعيد بمصر رجالاً يجمعون إليك السّحَرة منها ؛ إذ

(١) آية ١٢ النمل . (٢) آية ٢٢ طه . (٣) آية ٥١ الأحزاب .

عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ السَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوٓا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَالْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ

كانت مقرَّهم . وكان السِّحرُ فى زمن فرعون غالباً . يقال : حَشَر النـاس ـ من باب ضرب ونصر ـ ، جَمَعهم ؛ ومنه : يومُ الحَشْر والمحْشَر .

١١٦ ـ ﴿سَحَرُوٓا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ خيَّلوا لها ما يخالف الحقيقه . ﴿اسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ خوفوهم تخويفا شديدا .

١١٧ ـ ﴿تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ تبتلع وتلْقَم بسرعة ما يكذِبون ويُموِّهُونَ به . واللَّقْفُ : التناول بسرعة . يقال : لقِف الشىء يَلْقَفه لَقْفًا ولقَفانًا ، أخذه بسرعة . والإفكُ : الكذبُ . يقال : أفَكَ يَأْفِك ، وأفِك يأفك إفْكا وأفكاً ـ كضَرَب وعَلِم ـ إذا كَذَب . وأصلُه من الأفك ـ بفتح أوّله ـ وهو صرف الشىء عن وجهه الذى يجب أن يكون عليه . وأطلـق على الكذب إفْكٌ ـ بالكسر ـ لكونه مصروفاً عن وجه الحق ثم صار حقيقة فيه .

١١٨ ـ ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾ ظهر وتبين أمر موسى عليه السلام .

١٢٦ ـ ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّا﴾ أى ما تكره منا وتَعيبُ . [آية ٥٩ المائدة ص ١٥٤] . ﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا﴾ أفض أو صب علينا .

١٢٧ ـ ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ قال جمهور المفسرين : إن فرعون كان قد صنع لقومه أصناماً صِغارًا وأمرهم بعبادتها ، وسَمّى نفسه الرّبّ الأعلى . وقال الحسن : إنه كان يعبد الكواكب ويعتقد أنها المربِّيَةُ للعالَم السُّفْلى كلِّه ، وهو رَبّ النوع الإنسانى . ﴿نَسْتَحْيِى

مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ

نِسَاءَهُمْ﴾ نستبقي بناتهم للخدمة .

١٣٠ ـ ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ شروعٌ في تفصيل مبادئ هلاكهم . والسِّنين : جمعُ سَنَة ، أي عام الجدْب والقحْط . تقول العرب : مستّهم السَّنَةُ ، وأَسْنَتُوا إذا قَحِطوا وأجدبوا . وأصابتنا سُنَيَّةٌ حمراءُ : أي جَدْبٌ شديد ، ومنه حديث : (اللّهُمَّ اجعلها عليهم سنين كسِنِي يوسفَ)[1] .

١٣١ ـ ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أي قَحْطٌ وَجَدْبٌ ، وبلاءٌ ومرضٌ ﴿يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ أي يتطيّروا ويتشاءموا بهم . والأصلُ في إطلاق التَّطيُّر على التشاؤُم : أن العرب كانت تزجر الطير فتتشاءم بالبارح ، وهو ما ولّاك مُياسرةً . وتتيمَّنُ بالسّانح ، وهو ما ولّاك مُيامنةً . ومنه سَمَّوُا الشؤم طيرًا وطائرًا ، والتشاؤمَ تطيُّرًا . وقد يُطلق الطائر على الحظّ والنّصيب ، خيرًا كان أو شرًّا ، ولكنه غالبٌ في الشرّ . ﴿إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ﴾ إنما سببُ شؤمهم أعمالُهم السَّيِّئةُ المكتوبةُ عند الله ، فهي التي ساقت إليهم ما يسوؤهم ، وليس موسى عليه السلام ومن معه .

١٣٣ ـ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ هو المعروف . وقيل : هو الموت الجارف ، وكان بسبب الطاعون أو الجُدَرِيّ . والطُّوفانُ في الأصل : اسمٌ لكل شيء حادثٍ يحيط بالجهات ويعمّ ؛ كالماء الكثير ، والقتل الذّريع ، والموت الجارف . ﴿والقُمَّلَ﴾ ضربٌ من القُراد . أو هو السوسُ أو القَمْلُ المعروفان .

١٣٤ ـ ﴿وقعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ أي نزل بهم العذاب بهذه الأمور الخمسة التي أرسلها الله عليهم .

(١) رواه البخاري .

فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ * وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ

نصف الحزب

١٣٥ - ﴿يَنكُثُونَ﴾ ينقضون العهدَ الذى عاهدوه بقولهم : «لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ» . من النَّكث ، وأصلُه فكّ طاقات الصُّوف المغزول ليُغزَل ثانياً ، ثم استُعير لنقض العهد بعد إبرامه . يقال : نكث العَهْد والحَبْل ينكُثُه وينكِثُه ، نقضه .

١٣٧ - ﴿دَمَّرْنَا﴾ أهلكنا وخربنا . ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ يرفعون من الأبنية والقصور المشيَّدة . أو يجعلون له العروشَ من الثمارِ والأعناب .

١٣٨ - ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ شروعٌ فى قصّتهم ، وما أحدثوه بعد أن منّ الله تعالى عليهم بما مَنّ فيما ذكَر من قصة فرعونَ معهم ؛ تسليةً للرسول صلى الله عليه وسلم عما رآه من اليهود فى المدينة من الكيْد والمكر والتّدبير السّيء ، والعناد والجحود . ﴿الْبَحْرَ﴾ : بحرَ القُلْزُم ؛ وهو البحر الأحمر .

١٣٩ - ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ﴾ مكسَّرٌ مُهْلَك ما هم فيه من الدِّين الباطلِ وعبادةِ الأصنام . والتتبيرُ : الإهلاكُ ، أو التكسير والتحطيم . يقال : تَبِره يتبرُه وتبّره ، أهلكه .

١٤٠ - ﴿أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا﴾ أطلب لكم إلٰهاً معبودا .

١٤١ - ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَاكُمْ﴾ تذكيرٌ بنعم الله عليهم ؛ إذ أنقذهم من أسر فرعون وقهْره ، ومما كانوا فيه من الهوان ، وبما صاروا إليه من العزّة ، وبإغراق عدوّهم وهم ينظرون ؛ ومع ذلك قالوا : «اجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ» . ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ يذيقونكم أو يكلِّفونكم أشدَّ العذاب وأسوأه [آية ٤٩ سورة البقرة ص ١٥] . ﴿يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ يستبقون بناتكم للخدمة . ﴿بَلَاءٌ﴾ ابتلاء وامتحان بالنعم والنقم .

١٤٢ - ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ..﴾

عَلَى النَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾

وعدهُ الله تعالى أن يُكلّمه عند انتهاء ثلاثين ليلةً يصومها ، وهي شهر ذي القِعْدة ، وقد صام أيّامَه ولياليه ، ثم أمره أن يصوم عشرًا بعدها ، هي عشر ذي الحجّة . ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ وهو كما قال تعالى في سورة البقرة : (وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)[1] .

١٤٣ - ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ أي أزال الحجاب بين موسى وبين كلامه ؛ فسمعه من غير واسطةٍ بحرف وصوت ، وهو لا يشبه كلام المخلوقين . ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ أي أرني ذاتك . والمرادُ : مكّنّي من رؤيتك . أو تجلَّ لي أنظرْ إليك وأرَكَ . ﴿قَالَ لَن تَرَانِي﴾ أي لن تُطيق رؤيتي وأنت في هذه النشأة وعلى الحالة التي أنت عليها ؛ وتأبيدُ النّفي باعتبارها . وأمّا في النشأة الأخرى فقد ثبت في الحديث الصحيح أن المؤمنين يَرَوْنَ ربَّهم في عَرَصاتِ يوم القيامة وفي رَوْضاتِ الجنّات . ويدلّ عليه قوله تعالى : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)[2] . وقد تقدّمت الإشارة إلى ذلك في تفسير قوله تعالى : (لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ)[3] . وفي الآية دلالةٌ على إمكان الرُّؤية في ذاتها ؛ لأنه تعالى علّقها على استقرار الجبل وهو ممكن ، وتعليقُ الشيء بما هو ممكنٌ يدلّ على إمكانه ، وإليه ذهب أهل السُّنّة . ﴿فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ﴾ ولم يفتْه التجلّي ﴿فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ إذا تجلّيت لك . ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ ظهر له على الوجه اللائق بجلاله ، ﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾ أي مدقوقًا مفتّتاً . والدّكُّ والدّقُّ بمعنًى ، وهو تفتيت الشيء وسَحْقُه . وفِعلُه من باب رَدّ . قال الآلوسيُّ : وهو من المتشابهات التي يُسلك فيها طريق التسليم ، وهو أسلم وأحكم . ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ مغشيًّا عليه ؛ لعِظَم ما رأى من النور الذي حصل به التّجلي . يقال : صَعَقَتْهم السماءُ تصعَقهم - كمَنَع - صاعقةً . وكسَمِع صعْقاً وصَعَقاً وصَعْقةً فهو صَعِق ، غُشِيَ عليه . ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ تنزيهاً لك من مشابهة خلقِك في شيء . ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ من الإقدام على السؤال بغير إذن .

١٤٥ - ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ﴾ أي في ألواح التوراة من كل شيء يحتاجون إليه من الحلال والحرام ، والمحاسن والقبائح . ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ أي بحسَنِها وكلها حَسَنٌ ، أو بما هو أحسنُ وأكثر ثوابًا في كل شيء .

١٤٦ - ﴿سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾ طريق الهدى والسداد . ﴿سَبِيلَ الْغَيِّ﴾ طريق الضلال والفساد .

١٤٧ - ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بَطلت أعمالهم التي عملوها في الدنيا من البرّ والإحسان والخير ؛ فلا ثوابَ لهم عليها .

(١) آية ٥١ . (٢) آية ٢٢ ، ٢٣ القيامة . (٣) آية ١٠٣ الأنعام .

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي

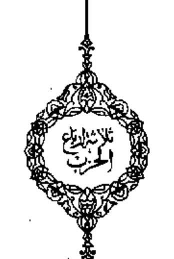
١٤٨ ـ ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ ..﴾ أى من بعد ذهاب موسى إلى جبل المناجاة إلهًا معبودًا على صورة العِجْل المعروف ؛ صاغه لهم موسى السامِرِيُّ ـ وكانت صناعتُه الصِّياغةَ ـ من الحليِّ الذى استعاروه من القِبط قُبيل الغَرق ، وبَقِيَ فى أيديهم بعده . وطلب منهم أن يعبدوه ، وقال لهم : (هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ)[1] فعكفوا على عبادته . ﴿عِجْلًا جَسَدًا﴾ أى جُثَّةً لا يعقِل ولا يُميِّز . أو جَسَدًا ، أى أحمرَ ظاهرَ الحمرة لكونه مصنوعاً من الذهب . والجَسَدُ : الدمُ اليابسُ ، والزعفران أو نحوه من الصِّبغ ؛ ومنه ثوبٌ مُجَسَّدٌ ، مصبوغٌ بالزعفران أو أحمرُ . ﴿لَهُ خُوَارٌ﴾ أى صوتٌ يُشبه صوتَ البقر ، إذ صاغه على صورة العجل ، وجعله مُجَوَّفاً ، ووضع فى جوفه أنابيبَ على شكل مخصوص ، وجعله فى مهبّ الريح ، فإذا هبّت الريح سُمع لهذه الأنابيب صوتٌ يشبه خوار العجل . وقُرئ «جُؤَارٌ» أى صوتٌ شديدٌ . وفى هذين الوصفين تقريعٌ لهم ، وتبكيتٌ بشدّة الجهل ؛ إذ ليس من شأن الإله أن يكون كذلك ! . ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ هو كقوله تعالى : (أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا)[2] ، يُقرّعهم على فَرْط جهالتهم وضلالتهم ، إذ عبدوا

عجلاً جسدًا له خُوار ، لا يكلّمهم ولا يُرشدهم إلى خير ، ولا يملك لهم نفعاً ولا ضرًّا ، وذَهَلُوا عن عبادة الخالق ربّ العالمين . ﴿اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ أى اتخذوا هذا العجلَ إلهًا معبودًا ، مع كونه مصنوعاً بأيديهم ؛ فظلموا أنفسهم بهذا الجهل ، وأوردوها مَوْرد الهلاك .

١٤٩ ـ ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ أى ولمّا نَدِمُوا أشدَّ النَدم على عبادة العجل ، وتبيّنوا ضَلالَهم بها تبيُّنًا ظاهرًا ﴿قَالُوا لَئِن لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ وكان ذلك بعد عودة موسى من الميقات . يقال للنادم المتحيِّر : سُقِط فى يده ؛ والأصلُ سَقَط فَمُهُ فى يده ، فحذف الفاعل وبُنِىَ الفعل للمفعول ؛ كما فى مُرَّ بزيد . وهو من الكناية ؛ لأن من شأن الإنسان إذا اشتدّ ندمُه على شىء أن يَعَضَّ يدَه ، فتصير يدُه مسقوطاً فيها ، لأن فَمَه وقع فيها . ولما كان سقوط الأفواه فى الأيدى لازماً للنّدم أُطلِق اسمُ اللّازم

(١) آية ٨٨ طه . (٢) آية ٨٩ فاطر .

وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ * وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا



وأريد الملزوم على سبيل الكناية . وهذا التركيب لم تعرفه العرب إلا بعد نزول القرآن ، ولم يوجد فى أشعارهم ومنثورهم ؛ فهو من فرائده البليغة .

١٥٠ – ﴿ أَسِفاً ﴾ شديدَ الغضب . أو حزيناً مما حدث منهم من عبادة العجل . يقال : أسِفَ يأسَف أسفاً : اشتدَّ غضبه أو حزن ، فهو أسِف وأسيف . ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ أسبقتم بعبادة العجل ما أمركم به ربُّكم ! وهو انتظارى حافظين لعهدى ، وما وصّيتكم به من التوحيد وإخلاص العبادة لله ، حتى آتيكم بكتاب الله فغيّرتم وعبدتم العجل ! . يقال : عَجِلت الشىء ، أى سبقته . ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ﴾ وضعها على الأرض حين رأى ما رأى من قومه ، واشتدّ غضبه حَمِيَّةً للدِّين ، أو غَيرةً من الشرك بربّ العالمين ، لتفرُغ يدُه فيأخذ برأس أخيه . وعُبِّر عن هذا الوضع بالإلقاء تفظيعاً لفعل قومه ؛ حيث كانت معاينته سبباً لذلك وداعياً إليه . ﴿وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِى﴾ قاربُوا قتلى حين نهيتهم عن عبادة العجل ، فلم أقصّر فى منعهم منها . ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ الْأَعْدَاءَ﴾ لا تَسُرَّهُمْ بما تنال منّى من مكروه . والشَّماتةُ : الفرحُ ببليَّةِ مَن تُعاديه ويُعاديك . يقال : شَمِت به يَشْمَتُ شَماتاً وشَماتةً ، إذا فرح بمصيبة نزلت به . وأشمتَه الله به .

١٥٤ – ﴿سَكَتَ﴾ سكن . ﴿أَخَذَ الْأَلْوَاحَ﴾ أى التى كان ألقاها . وظاهرُ الآية أن الألواح لم تتكسّر ، ولم يُرفع من التوراة شىء وأنه أخذها بعينها . ﴿وَفِى نُسْخَتِهَا﴾ أى فيما نُسخ فيها وكُتب . فنُسْخَةٌ بمعنى منسوخة ، كخُطْبَة بمعنى مخطوبة . والنَّسخُ : الكتابة . والإضافة بيانيَّة أو بمعنى فى . ﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ أى يخافون أشدَّ الخوف من ربّهم .

١٥٥ – ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ أمر الله موسى أن يأتيَه فى ناس من قومه ممن لم يعبدوا العجل ، يعتذرون عمن تركوهم وراءهم من عَبَدَةِ العجل ، ووَعَدَهم موعِدًا ؛ فاختار موسى منهم سبعين رجلا وذهب بهم إلى الطُّور ، وسألوا الله أن يكشف عنهم البلاء ويتوب على مَن عبد العجل ؛ فأخذتهم فى ذلك المكان

حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ

الرَّجفةُ ، وهى الزَّلزلة الشديدة التى غُشِىَ عليهم بها من أجل أنهم لم ينهوْهم عن المنكر ، ولم يأمروهم بالمعروف ، ثم أفاقوا ؛ وكان ذلك لتأديبهم على تقصيرهم . فالسبعون هنا غيرُ السّبعين الذين كانوا مع موسى حين التكليم ، والميقات غيرُ الميقات ، وإلى ذلك ذهب بعض المفسرين ، وهو الذى يقتضيه ظاهرُ النظم . ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ ..﴾ قال موسى هذا القولَ لاستجلاب العفوِ عن هذه الجريمة التى اقترفها قومه ، بعد ما منَّ الله عليهم بالنّعم السابغة الوافرة ، وأنقذهم من فرعون وقومه . ﴿فِتْنَتُكَ﴾ محنتك وابتلاؤك .

١٥٦ - ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ اقْسِمْ لنا فى الدنيا ما يَحْسُن من نعمةٍ وطاعةٍ ، وعافيةٍ وتوفيق . ﴿وَفِى الْآخِرَةِ﴾ المثوبةَ الحُسْنَى ، أو المغفرةَ والرَّحمةَ ، أو الجنة . ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ تعليلٌ لطلب الحسنة فى الدّاريْن ؛ أى لأنّا تُبنا إليك من المعاصى التى جئناك للاعتذار منها .. يقال : هاد يهود ، إذا رجع وتاب . ﴿قَالَ عَذَابِى أُصِيبُ بِهِ ..﴾ جوابٌ من الله تعالى لنبيّه موسى بإجابة سؤْله بقبول توبة قومه . وحاصلُه - كما قاله الآلوسى - : إن عذابى الذى تخشى أن يُصيب قومَك أصيب به من أشاء ، فلا يتعيّن قومُك لأن يكونوا غرضاً له بعد توبتهم ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ فلا تضيق عن قومك . كيف - وقد تابوا ووَفَدُوا إلىَّ - أرُدُّهم خائبين ؛ بل إنى سأرحمهم ، وأكتب الحظ الأوفر من رحمتى لأخلافهم وذراريهم الذين يأتون من بعْدِهم ، ويتّصفون بما يُرضينى ويقومون بما آمرهم به ، وهم من أدركوا بعثة النبىّ محمد صلى الله عليه وسلم ، واتبعوه إيماناً به وبما جاء من نعوته فى التوراة والإنجيل ، فيكونون ممن آمن بالكتابيْن ، وأفلَح فى الداريْن . ووصْفُ أخلافِهم بما وُصفوا به لاستنهاضِ همَم بنى إسرائيل إلى الثبات على التوبة ، وما يوجب الفلاح من الطاعة . والقصرُ المستفادُ من الجملة قصرٌ نِسْبىٌّ ، أى فَسَأَجْعَلُها خاصّةً بهؤلاء دون من بقىَ منهم على دينه ولم يؤمن بالنبىّ صلى الله عليه وسلم حين بعثته .

١٥٧ - ﴿النَّبِىَّ الْأُمِّىَّ﴾ الذى لا يكتب ولا يقرأ ؛ نسبةً إلى أُمّة العرب ، لأن الغالب عليهم ذلك . أو إلى الأم ؛ كأنّ الذى لا يكتب ولا يقرأ باقٍ على حالته التى وُلد عليها . وفى وَصفِه صلّى الله عليه وسلّم بالأُمّيّة إشارةٌ إلى أن كمال علمه مع ذلك إحدى معجزاته ؛ فإنه عليه الصلاة والسلام لم يَتّفق له مطالعةُ كتاب ، ولا مصاحبةُ معلّم ؛ لأن

إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ

مَكَّةَ لم تكن بلدةَ العلماء ، ولا غاب عنها غَيْبَةً طويلةً يمكن التعلُّم فيها ؛ ومع ذلك فتح الله عليه أبواب العلم ، وعلّمه ما لم يكن يعلم من سائر العلوم والفنون التى اشتملت عليها أحاديثه ، وتعلّمها الناس منه ، وكانوا بها أئمّةَ العلماء ، وقادةَ المفكرين . فما من شىء يحتاج إليه الفردُ أو الأُمَّةُ فى الحياتيْن إلا للرسول صلى الله عليه وسلم هَدْىٌ فيه ، وقولٌ سديدٌ وبيانٌ شافٍ ؛ فأكرِم بأميّةٍ تضاءل عندها علمُ العلماء فى كل العصور ! وأعظِمْ بها ! وهى الهُدَى والأسْوَةُ والنور . وقد ذكره الله فى التوراة والإنجيل باسمه ونعوته ، صلى الله عليه وسلم . ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ أى ما طاب فى حكم الشَّرع كالشُّحوم ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ أى ما خَبُث فى حكم الشَّرع كالربا ؛ فالمدارُ على حكم الشّرع فى حِلِّ الأشياء وحُرْمتها ، لا على الرأى والفكر . ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ ..﴾ يخفف عنهم ما أُلزِموا العملَ به من التكاليف الشاقة الشديدة فى التوراة ؛ كقطع موضع النجاسة من الثوب ، وإحراق الغنائم وتحريم السَّبْت ، وَتَعَيُّنِ القصاص فى القتل مطلقا دون شرع الدّية ونحو ذلك . والإصْرُ فى الأصل : الثّقل الذى يأصِر صاحبه أى يحبسه عن الحراك . والأغلالُ : جمعُ غُلّ ، وهو الحديدة التى تجمع يد الأسير إلى عنقه ، وتُسمَّى الجامعة . والمراد بهما ما ذُكر . ﴿وعَزَّرُوهُ﴾ عظّموه ووقّروه ﴿وَنَصَرُوهُ﴾ أى على أعدائه فى الدِّين . وإذا أُخذَ فى معنى التّعزير النُّصْرةُ يكون عطفُ «نَصَرُوهُ» عليه من عطف اللازم على ملزومه .

١٥٨ ـ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أمْرٌ للرسول صلى الله عليه وسلم بأن يَصدع بما فيه تبكيتٌ لليهود ، وإعلامٌ بعموم رسالته صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافّةً ؛ رَدًّا على زعمهم أنه مرسل للعرب خاصّةً .

١٥٩ ـ ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى ..﴾ وهم أناس كانوا على خير وصلاح فى عهد موسى عليه السلام ، مخالفين لأولئك السفهاء من قومه . وقيل : هم مَن آمن مِن اليهود بعد مبعث النبىّ صلى الله عليه وسلم . ﴿وبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ بالحق يحكمون فى الخصومات بينهم .

١٦٠ ـ ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً ..﴾ أى صيّرناهم اثنتى عشرة أمّة لتتميزَ كل أمة عن الأخرى ؛ ويقال لكل واحدة :

لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا

سِبْطٌ . والأسباطُ في بني إسرائيل كالقبائل في العرب . والسِّبْطُ : ولدُ الولد أو الولدُ ﴿فَانْبَجَسَتْ﴾ انفجرت . يقال : بجستُ الماء أبْجُسُه فانبجس ، بمعنى فَجَّرْتُه فانفجر . ﴿اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً﴾ لكل سِبْطٍ عينٌ ، وكان ذلك في التِّيه . ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ المَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ . المَنُّ مادة صمغية حلوة كالعسل . ﴿السَّلْوَى﴾ الطائر المعروف بالسماني . [آية ٥٧ البقرة ص ١٧] .

١٦١ - ﴿هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ هي بيت المَقْدِس أو أريحاء . ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ أي قولوا مسألتُنا حِطّة ، أي أن تحطّ عنا خطايانا [آية ٥٨ البقرة ص ١٧] .

١٦٢ - ﴿رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ﴾ عذاباً من السماء أهلكهم [آية ٥٩ البقرة ص ١٧] .

١٦٣ - ﴿حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ أي قريبةً من بحر القُلْزُم - البحر الأحمر - مشرفةً على شاطئه . والأكثرون عَلَى أنها أَيْلَةُ . وقيل مَدْيَن ، وقيل طَبَرِيّة . ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ يعتدون في يوم السبت حدودَ الله بصيد الحيتَانِ فيه وقد نُهوا عنه . يقال : عدا فلان الأمْرَ واعتدى ، إذا تجاوزه . ﴿شُرَّعًا﴾ شارعةً ظاهرةً على وجه الماء من كل ناحية كشوارع الطرق ، دانيةً من الساحل . جمعُ شارع ؛ مِن شَرَع عليه إذا دنا وأشرف . وكلُّ شيء دنا من شيء فهو شارعٌ . ودارٌ شارعةٌ : إذا دَنَت من الطريق . ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾ ويوم لا يعظِّمونه تعظيمَ السَّبت ، وذلك سائر الأيام غير يوم السَّبت . يقال : سَبَت فلان - كنَصَر وضَرَب - إذا عظّم السَّبْت . ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ حيتانُهم . اختبرهم الله بإظهار الحيتَانِ لهم على ظهر الماء يومَ السبت وإخفائها عنهم في غيره . ﴿نَبْلُوهُمْ﴾ نمتحنهم ونختبرهم بالشدة .

١٦٤ - ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ﴾ افترق أهل القرية ثلاثَ فِرَق : فرقةٌ اعتدت بالصَّيْد يومَ السبت . وفرقةٌ نَهت عنه . وفرقةٌ سكتت فلم تفعل ولم تَنْه عنه ، وقالت للنّاهية : ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً﴾ فأجابتها بأنّا فعلنا ذلك معذرةً إلى الله لوجوب النّهي عن المنكر ، وجائز أن ينتفعوا بها . فلما تركوا ما وُعظوا به أخذهم الله بالعذاب الشديد ، ونجّى الفرقة الناهية . وأما الثالثةُ فقيل إنها ناجيةٌ ، وقيل هالكةٌ ؛ والأوّل أصحّ . ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً﴾ أي نعظهم لأجل المعذرة إلى الله تعالى ، وطَلَبِ عفوه ومغفرته ؛ فهو منصوب على المفعول لأجله .

مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ

والمعذِرةُ : مصدرٌ كالمَغْفِرة . يقال : عَذَره يَعْذِره عُذْرًا ومَعْذِرة ، وهى التنصُّل من الذنب .

١٦٥ ـ ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ شديدٍ وجيع ؛ مِن بُؤس يَبْؤُس بأساً ، إذا اشتدّ .

١٦٦ ـ ﴿عَتَوْا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ﴾ تكبّروا عن ترك ما نُهُوا عنه وأبَوْا أن يرجعوا عن المعصية . يقال : عتا يعتُو عُتُوًّا وعِتِيًّا ، استكبَر وجاوز الحدّ . ﴿خَاسِئِينَ﴾ صاغرين أذِلّاء ، مُبْعَدين عن كلّ خير . [آية ٦٥ البقرة ص ١٩] .

١٦٧ ـ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ أى أعلمَ ربُّك أسلافَ اليهود بأنهم إن غيّروا وبدّلوا ، ولم يؤمنوا بأنبيائهم ليسلّطنّ عليهم إلى يوم القيامة مَن يُذيقهم ما يسوؤهم ويَعُمُّهُمْ مِن أنواع العذاب . و«تأذَّنَ» بمعنى آذَنَ أى أعلم . يقال : آذنه الأمرَ وبالأمر ، أعلمه . وأذّن تأْذيناً : أكثَرَ الإعلام . ﴿يَسُومُهُمْ﴾ يذيقهم ويكلفهم .

١٦٨ ـ ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِى الْأَرْضِ أُمَماً﴾ فرّقناهم فى أقطار الأرض فِرَقاً حتى لا تكون لهم شوْكة ﴿مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ﴾ أى المؤمنون ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾ وهم غير المؤمنين . ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ﴾ عاملناهم معاملة المبتلَى المُخْتَبِر بالنِّعَم والخصب والعافية ، وبالجَدْب والشدائد ؛ ليَتُوبُوا ويرجعوا إلى ربِّهم . يقال : بلاه يَبلُوه بَلْوًا ، وابتلاه ابتلاءً ، إذا جرّبه واختبره .

١٦٩ ـ ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ ..﴾ فجاء من بعد هؤلاء الذين فيهم الصّالحُ وغير الصالح خلْفٌ لا خير فيهم ، وهم اليهود الذين كانوا فى عهده صلى الله عليه وسلم . والخَلْفُ : القَرْنُ يجىء بعد القَرْن . وهو بسكون اللام شائع فيمن يخْلُف بالسوء ، وبفتحها فيمن يخلف بالخير . ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ ..﴾ يأخذون عِوَضاً عن قَوْل الحقّ متاعَ هذه الحياة الدنيا ؛ وهو الرّشوة فى الأحكام ، والرشوة على التحريف . والعَرَضُ : متاعُ الدنيا وحُطامُها . و﴿الْأَدْنَى﴾ الأقرب ؛ والمراد به الدنيا ، وهى من الدُّنُوّ للقرب بالنسبة إلى



ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ

الآخرة . ﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ ..﴾ أي وإن أتاهم شيء من حُطام الدنيا أخذوه ، حلالاً كان أو حراماً ، ويتمنّون على الله المغفرة . وإن وجدوا من الغد مثله أخذوه ؛ وذلك لشدة حرصهم على الدنيا وإصرارهم على المعاصي . ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ قرأوا ما فى الكتاب وهو التوراة وتدبّروه مراراً ؛ فَلِمَ كذبوا على الله ؟ .

١٧٠ ـ ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ ..﴾ أى والذين يتمسّكون بالكتاب الأوّل وهو التوراة فلم يحرّفوه ولم يغيّروه ، فأدّاهم ذلك إلى الإيمان بالكتاب التّالى والعمل به وهو القرآن ـ فإنّا لا نضيع أجرهم . نزلت فى مؤمنى أهل الكتاب . يقال : مَسّكْتُ ومسكت بالشيء وتمسّكت به ، واستمسكت به وأمسكت به بمعنًى .

١٧١ ـ ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ ...﴾ زعزعنا جبل الطُّور ، ورفعناه فوق رءوسهم كأنه غمامةٌ أو سقيفة ؛ وهو كما قال تعالى : (وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ)[1] من النَّتْق وهو الزّعزعةُ والرفعُ والْجَذْبُ بشدّة . يقال : نَتَق الشيء يَنْتُقُه ويَنْتِقُه نَتْقاً ، جذبه واقتلعه . والظُّلَّةُ فى الأصل : كلُّ ما أظلّك من سقف أو غيره .

١٧٢ ـ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ ..﴾ أى أخرج من ظهر آدمَ ذرّيته كهيئة الذَّر ، ثم أخرج من هذا الذّر ذرّيته كذلك ، ثم أخرج من الذّر الآخر ذريّته كذلك . وهكذا إلى آخر النوع الإنسانى . ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ قرّرهم جميعاً بربوبيّته لهم . والشهادةُ على النفس إقرارٌ . ﴿قَالُوا بَلَى﴾ أى قالوا أنت ربُّنا ﴿شَهِدْنَا﴾ أقررنا على أنفسنا برُبُوبيّتك . ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ أى لئلا تقولوا . أوكراهة أن تقولوا . والمعنى على ما ذهب إليه جمعٌ من المفسرين : أنه تعالى نَصب للناس فى كل شيء من مخلوقاته ومنها أنفسهم ـ دلائلَ توحيده ورُبُوبيّته ، وركّز فيهم عقولاً وبصائرَ يتمكّنون بها تمكّنًا تامًّا من معرفتها ، والاستدلال بها على التوحيد والرُّبوبيّة ؛ حتى صاروا بمنزلة من إذا دُعى إلى الاعتراف بها سارع إليه دون شك أو تردُّد . فالكلامُ على سبيل المجاز التّمثيلى ؛ لكونهم فى مبدأ الفِطْرة مستعدين جميعا للنظر المؤدِّى إلى التوحيد ، ولا إخراجَ للذُّرّيّة ، ولا قولَ ولا إشهاد بالفعل . وذهب جمعٌ من السّلَف : إلى أن الله تعالى أخرج من ظهر آدمَ ذرّيته كالذّرّ . وأحياهم وجعل لهم العقل والنُّطق ، وألهمهم ذلك الإقرارَ ؛ لحديثٍ رواه عمر رضى الله عنه . وقد أفاض العلّامة الآلوسيُّ فى هذا المقام ، فارجع إليه إن شئت .

(١) آية ٦٣ ، ٩٣ البقرة .

ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ
ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى
ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ
عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ
كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾
سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟
يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا
مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ
لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾
وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ
يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾

١٧٥ ـ ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ..﴾ أي اذكر لهم قصّة رجل من بني إسرائيل أوتيَ علماً ببعض كتب الله ، ثم كفر بها ونبذها وراءَ ظهره . ﴿فَانسَلَخ مِنْهَا﴾ فخرج منها بكفره بها . ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ لَحِقَه وأدركه فصار قُدْوَةً ومتبوعاً للشيطان . أو فَأَتْبَعَهُ الشيطانُ خطواته وجعله تابعاً لها ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ فصار في زُمرة الضّالين الرّاسخين في الغواية بعد أن كان مهتدياً .

١٧٦ ـ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ أي لرفعناه إلى منازل الأبرار ، بسبب تلك الآيات التي آتيناه إيّاها والعمل بما فيها ﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ رَكَن إلى الدنيا واطمأنّ بها . يقال : خلد إلى كذا وأخلد إليه : رَكَن . ﴿إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ ..﴾ أي إن شدّدت عليه وأجهدته لَهَثَ وإن تركته على حاله لَهَثَ : فهو دائم اللّهث في الحالين ؛ لأن اللّهث طبيعةٌ فيه ، فكذلك حال الحريص على الدنيا ، إن وعظته فهو لحرصه لا يقبل الوعظ ، وإن تركت وعظه فهو حريص ؛ لأن الحرص طبيعةٌ فيه ، كما أن اللّهثَ طبيعةٌ في الكلب . واللَّهْثُ : إدْلاعُ اللسان بالتّنفس الشديد . يقال : لَهَثَ الكلب ـ كسَمِع ومَنَع ـ يلْهَث لَهثاً ولُهاثاً ، إذا أخرج لسانه في التّنفّس .

١٧٩ ـ ﴿ذَرَأْنَا ..﴾ خلقنا . يقال : ذرأ الله خلقَه يذرؤُهم ذَرْءًا : خلقهم . أخبر الله أنه خلق كثيرًا من الثقلَيْن لجهنم ، وهم الكفار المعرضون عن الآيات وتدبّرها ، الذين علم منهم أزلاً اختيارهم الكفر ، فشاءه منهم وخلقه فيهم ، وجعل مصيرهم النارَ لذلك . واللاّمُ في « لِجهنم » للعاقبة والصيرورة .

١٨٠ ـ ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ يَميلون وينحرفون فيها عن الحقّ إلى الباطل . يقال : ألحد إلحادًا : إذا مال عن القصد والاستقامة . وأَلْحَدَ في دِين الله : حاد عنه . ومِنْ إلحادِهم في أسمائه تسميةُ أصنامهم بأسماء مشتقّة منها ؛ كاللاّت : من الله ، والعُزّى : من العزيز ، ومناةَ : من المنّان .

وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا

وتسميتُه تعالى بما يُوهِمُ معنى فاسدًا ؛ كقولهم له : يا أبيضَ الوجه .

١٨١ – ﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ وبالحقّ يَقْضُون ويُنْصِفون الناس . والمرادُ بهذه الأُمّة : أمّةُ محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : (لا تزال من أمّتى أمّةٌ قائمةٌ بأمر الله لا يضُرُّهم من خَذَلَهم حتى يأتى أمرُ الله تعالى وُهمْ على ذلك) رواه الشيخان . وقيل : هم مَن آمن مِن أهل الكتاب .

١٨٢ – ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ سَنَسْتَدْنِيهِمْ قليلاً قليلاً إلى ما يهلكهم ويضاعف عقابَهم ؛ بإدْرار النِّعم وتواترها عليهم مع انهماكهم فى الضلال ، حتى يفاجئهم الهلاك وهم غافلون . وقد قيل : إذا رأيت الله تعالى أنعم على عبد وهو مقيم على معصيته فاعلم أنه مُسْتَدْرَجٌ . وأصلُ الاستدراج : الاستصعادُ أو الاستنزال درجةً بعد درجة . وهو استفعالٌ من الدرجة بمعنى النّقل درجةً بعد أخرى ، من سُفل إلى عُلو ، أو بالعكس .

١٨٣ – ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ﴾ أمهلهم ملاوَةً من الدهر وهى المدة الطويلة ؛ من الإملاء ، وهو الإمهال وإطالةُ المدة ﴿كَيْدِى مَتِينٌ﴾ أخذى شديد قوى .

١٨٤ – ﴿مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ من خَبَل وجنون ؛ من الْجَنّ ؛ وهو السَّتر عن الحاسة [آية ٧٦ الأنعام ص ١٨٠] . والخَبَلُ يجُنّ العقل ويستره ، و(ما) نافية ؛ والمقصودُ تنزيهٌ للنبىّ صلى الله عليه وسلم عما نسبوه إليه . وقيل : استفهامية إنكارية ؛ أىْ أىُّ شىء بصاحبهم من الجنون .

١٨٥ – ﴿مَلَكُوتِ﴾ هو المُلْك العظيم . زيدت فيه الواو والتاء للمبالغة ؛ كما فى جَبَرُوت . ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ أى فبأىِّ كلامٍ بعد القرآن العظيم يصدقون .

١٨٦ – ﴿طُغْيَانِهِمْ﴾ تجاوزهم الحد فى الكفر . ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتردّدون متحيّرين [آية ١٥ البقرة ص ٧] .

١٨٧ – ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ أى متى



مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ * هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ

إثباتها واستقرارُها ؛ والمرادُ متى قيامُها . أَيَّانَ : ظرفُ زمانٍ متضمِّنٌ معنى الاستفهام بمعنى مَتَى ، فى محلّ رفع خبرٌ مقدم ، و(مُرْسَاهَا) مبتدأٌ مؤخّر . وهو مَصْدرٌ ميميٌّ ؛ من أرساه إذا أثبته وأقرّه . ﴿لَا يُجَلِّيهَا﴾ لا يظهرها ولا يكشف عنها . ﴿ثَقُلَتْ فِى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ شَقَّت أو عَظُمت على أهلها ؛ لخوفهم من شدائدها وأهوالها ؛ من الثِّقَل ضدّ الخفّة . و(فى) بمعنى على . ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ، على حين غفلة منكم . ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ أى كأنك عالمٌ بها ؛ مِن حَفِيَ عن الشىء ، إذا بحث عن تعرُّف حاله . وَمن بحث عن شىءٍ وسأل عنه استحكم عِلْمُهُ به ؛ فأريد به لازمُ معناه مجازًا أو كناية . وعُدِّىَ (حَفِىٌّ) بِعَنْ اعتبارًا لأصل معناه ، وهو السؤال والبحث .

١٨٩ ــ ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ نزلت الآية فى تسميةِ آدمَ وحوّاء ولدَيْهما بعبد الحرث ؛ بوسوسة إبليس لحواء ــ وكان يُسَمَّى بين الملائكة الحرث ــ حين علم موت أولادها ، وحرصها على حياتهم ، فزيّن لها أنها إذا سمّت ابنها بهذا الاسم عاش ، ففعلت وأقرّها آدم على هذه التسمية . وهو ليس شِرْكًا فى العبادة وإنما هو شِرْك فى التّسمية ، وهو خلاف اللائق بهما ، ولذا عوتبا عليه . والتعبير بالجمع فى قوله (شُرَكَاءَ) لأن من استساغ الشركة فى التسمية فى واحد استساغها فى الأكثر . وقيل : المرادُ بالنّفس الواحدة آدمُ ، وبالزّوج حوّاءُ ؛ وقد دَعَوَا ربَّهما حين أثقلها الحمل : لئن آتيْتَنا ولدًا صالحًا لنكونَنَّ من الشاكرين ؛ فلما آتاهما صالحًا جعل أولادُهما من بعدهما لله شركاء فيما آتى أولادهما من الأولاد . وعلى المعنيين قد تَمَّ الكلام بقوله: (فِيمَا آتاهُمَا) ثم ابتدأ بالخبر عن الكفار بقوله : ﴿فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ . وقوله : ﴿تَغَشَّاهَا﴾ أى تدثّرها لقضاء شهوته ، وهو كنايةٌ عن ذلك بديعة ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ فاستمرت به بغير مشقه . ﴿أَثْقَلَتْ﴾ صارت ذات ثقل بكبر الحمل ؛ فالهمزة للصّيرورة . ﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا﴾ رزقْتَنا نَسْلاً سَوِيًّا صالحًا لعمارة الأرض ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لنعمائك .

١٩٠ ــ ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ﴾ بتسمية ولديهما عبد الحارث بوسوسة إبليس مريدا بالحرث

مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُواْ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا

نفسه . ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أى العرب بعبادة الأصنام .

١٩٤ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ أى إن هذه الأصنام التى تعبدونها من دون الله ، وتعتقدون فيها النّفع والضّر إنما هى عبادٌ مملوكةٌ لله تعالى ، مُسَخَّرةٌ مُذَلَّلةٌ لقدرته ـ أمثالُكُمْ فكيف تعبدونها !؟ وأطلق عليها (عِبَادٌ) مع أنها جمادٌ وَفْق اعتقادهم فيها ، تبكيتًا لهم وتوبيخًا .

١٩٥ ـ ﴿فَلاَ تُنْظِرُونِ﴾ فلا تمهلونى ساعةً بعد تدبير كيدكم مستعينين بشركائكم ، فإنّى لا أبالى بكم ؛ من النَّظَر بمعنى التأخير والإمهال .

١٩٩ ـ ﴿خُذِ الْعَفْوَ..﴾ أى اقْبَل ما عفا وتيسَّر من أخلاق الناس ، وارْضَ منهم بما تيسَّر من أعمالهم وتسهَّل من غير كُلْفة ، ولا تطلب منهم ما يشقّ عليهم ويرهقهم حتى لا يَنْفِروا . ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ أى بالمعروف المستحسَن من الأفعال ، وهو كلُّ ما عُرف حُسْنُه فى الشّرع ؛ فإن ذلك أقربُ إلى قبول الناس من غير نكير . ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ وهذه الآيةُ أجمعُ آيةٍ فى القرآن لمكارم الأخلاق .

٢٠٠ ـ ﴿وإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ وإن تعرض لك من الشيطان وَسْوسةٌ فاَستَجِر بالله والجأ إليه فى دفعها عنك ؛ من النَّزْغ بمعنى النَّخْس والغَرز ، وهو إدخال الإبرة أو طَرَف العصا ونحوها فى الجلد ؛ وإطلاقُه على الوسوسة مجازٌ .

٢٠١ ـ ﴿مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ لَمَّةٌ منه ووسْوَسةٌ ، بما فيه صَدٌّ عما يجب حقًّا لله تعالى أو للعباد ؛ مريدًا بذلك اقتناصَهم وإفسادَهم . يقال : طَاف الشىء ، إذا دار حوله ﴿تَذَكَّرُوا﴾ أمر الله ونهيه وعداوة الشيطان .

٢٠٢ ـ ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ﴾ وإخوانُ الشياطين من المشركين تزيدهم الشَّياطينُ فى الضَّلال بالوَسْوَسَة والإغراء بالمعاصى ؛ من المَدّ وهو الزيادة . يقال : مَدّه

قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾

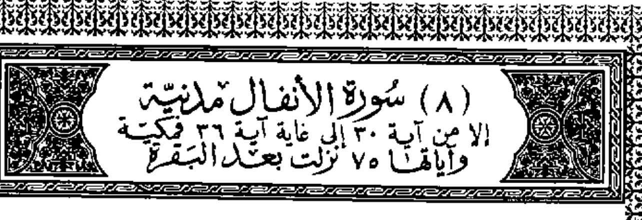
سجدة

بمُدُّه زاده. و(ٱلْغَيِّ) مصدرُ غَوَى يغوى غيًّا وغوايةً. ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ ثم لا يكفُّون عن ذلك الإغواء حتى يُرْدُوهم بالكليّة؛ من أقصر عن الشيء: إذا كَفَّ عنه ونزع مع القدرة عليه. أو ثم لا يَكُفُّ هؤلاء النّاس عن الغَيّ بل يتمادَوْن فيه.

٢٠٣ ـ ﴿قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا﴾ قالوا تهكُّمًا: هلّا جمعتها من عند نفسك! . يقال: جَبَيْتُ الماء في الحوض؛ جمعته؛ ومنه قيل للحوض: جابية لجمعه الماء. أو هلاّ اخترعته عن نفسك. يقال: اجتبيت الكلام واختلقته وانتحلته واخترعته؛ إذا افتعلته من قبل نفسك ﴿هَذَا بَصَائِرُ﴾ القرآن حجج بينة وبراهين نيرة.

٢٠٥ ـ ﴿وَٱذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ أي استحضر عظمته جلّ جلالُه في قلبك ﴿تَضَرُّعًا﴾ متضرِّعًا متذلِّلاً له. ﴿وَخِيفَةً﴾ خائفًا منه تعالى متذلّلاً له. ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ عطفٌ على (فِي نَفْسِكَ) أي اذكر ربَّك ذكرًا في نفسك. وذكرًا بلسانك دون الجهر. والمرادُ بالجهر: رفعُ الصوت بإفراط. وبما دونه ما هو أقلّ منه، وهو الوسط بين الجهر والمخافتة. ﴿بِٱلْغُدُوِّ﴾ وهو ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس. ﴿وَٱلْآصَالِ﴾ جمعُ أصيل: وهو من العصر إلى الغروب. والمرادُ: دوامُ الذكر واتّصالُه بقدر الإمكان. أي اذكر الله في كل وقت، وراقِبْه في كل حال.

٢٠٦ ـ ﴿وَيُسَبِّحُونَهُ﴾ ينزّهونه عن كل ما لا يليق بجلاله على أبلغ وجه وأكمله. ﴿يَسْجُدُونَ﴾ يخضعون له تعالى ويعبدونه. والله أعلم.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ

نصف الحزب

سورة الأنفال

١ - ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ أى عن الغنائم ، وهى الأموال المأخوذة من الكفار قهرًا بقتال . جمعُ نفَل ، وأصله الزيادة . تقول : نَفَلتك وأنفلتك ، أى زدتك . وسُمِّيت أنفالاً لأنها زيادةٌ خصَّ الله تعالى بها هذه الأمةَ ؛ إذ كانت محرّمةً على من قبلهم من الأمم . سأل بعضُ أهل بَدْر النبى صلى الله عليه وسلم عن حكمها ، حين تنازعوا فى قسمتها ؛ فنزلت الآية باختصاص حُكمها بالله ورسوله ، يَقْسِمُها الرسولُ صلى الله عليه وسلم كما أمره الله تعالى ؛ فقسمها بينهم على السَّواء . ﴿لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ مفوض إليهما أمرها ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ بعد أن أمرهم الله تعالى بالتقوى وامتثال أمره وأمرِ رسوله ، أمَرَهم بإصلاح ذات بَيْنِهم . ﴿ ذَاتَ ﴾ كلمةٌ بمعنى صاحبة ، ولا تُستعمل إلا مضافةً إلى الظاهر ؛ كذات الصدور ، وذات الشَّوْكة . والبَيْنُ : يُطلق على الوُصلة وعلى الفُرْقة ؛ أى راعُوا أحوالاً تُحقق اتصالكم ، وهى ما يقتضيه كمال الإيمان من الموادّة والمصافاة فاحرصوا عليها . أو راعُوا أحوالاً توجب فرقتكم فاجتنبوها . ثم وصف كاملى الإيمان بالصفات الخمس الآتية ؛ ترغيبًا للسائلين فى الاتصاف بها .

٢ - ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ خافت وفزعت ، استعظامًا لجلاله ، وحذرًا من عقابه . والوَجَلُ : استشعارُ الخوف . يقال : وَجِل وَجَلاً فهو وَجِلٌ ، إذا خاف . ﴿ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً ﴾ أى زادتهم تلاوتها تصديقًا ويقينًا . والتصديقُ لا شك فى تفاوته للفرق الظاهر بين تصديق الأنبياء وآحاد الناس ، ولتفاوت مراتب اليقين إلى علم اليقين ، وحقّ اليقين ، وعين اليقين . ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ يعتمدون فيفوِّضون أمورَهم كلَّها إليه تعالى وحدَه ؛ فلا يرجون غيرَه ، ولا يطلبون إلّا منه ، ولا يرغبون إلّا إليه .

٣ - ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [آية ٣ البقرة ص ٤] .

٤ - ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أى أولئك المتّصفون بهذه الصفات ،

مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ

الجامعون بين الإيمان والعمل ، هم المؤمنون إيمانًا حقًّا ؛ أى ثابتًا صِدقًا ، وهو الإيمان الكامل .

٥ ـ ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾ أى حالُ بعض أهل بَدْر فى كراهة قسمة الغنيمة بالسَّوية ، مثلُ حال بعضهم فى كراهة الخروج للقتال ؛ مع ما فى هذه القسمة والقتال من الخير . فالكاف بمعنى مثل ، خبرٌ لمبتدأ محذوف وهو المشبّه ، والمذكور هو المشبَّه به ، ووجهُ الشّبَه مطلقُ الكراهة ، وما تَرتب على كلٍّ من المكروهيْن من الخير للمؤمنين . وقد وقعت فى هذه الغزوةِ كراهتان بحكم الطبيعة البشريّة ، أعقبها إذعانٌ وتسليمٌ ورضى من الصحابة رضوان الله عليهم . الأولى ـ كراهةُ شُبّان أهل بدر قسمةَ الغنيمة بالسَّوية ، وكانوا يُحبّون الاستئثار بها ؛ لأنهم هم الذين باشروا القتال دون الشيوخ الذين كانوا معهم فى الغزوة ؛ مع أنهم كانوا رِدْءًا لهم . فكان فى الأمر بالقسمة بالسّوية خيرٌ للمؤمنين ، إذ أصلح الله بينهم وردّهم إلى حالة الرضا والصّفاء . والثانية كراهة بعض أهل بدر قتالَ قريش ، بعد نجاة العِير التى خرجوا لأجلها ؛ لخروجهم من غير استعداد للقتال لا بعَدَد ولا بعُدَد ، فكان فى القتال الذى أمروا به عزّةُ الإسلام وخَضْدُ شَوْكة الكفر والطغيان . وفى هذه الآية تنويهٌ بأن الخير فيما قدّره الله لا فيما يظنّون .

٦ ـ ﴿يُجَادِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ . .﴾ أى يجادلونك فى أمر القتال بقولهم : ما كان خروجُنا إلا للعِير دون تأهُّبٍ للقتال . ﴿بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ الحقُّ بإعلامك أنهم يُنْصرون أينما توجَّهوا ، وقد أخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم قبل نجاة العِير بأن الله وعده الظفر بإحدى الطائفتين : العِير أو النَّفير ؛ فلما نجت العير عُلِم أن الظفر الموعودَ به إنما هو على النفير . والعِيرُ : الإبل الحاملةُ لأموالهم ، الآتيةُ من الشام إلى مكة . والنَّفِيرُ : المشركون الذين استنفرهم أبوسفيان للقتال دون العِير . والطائفةُ من الناس : الجماعةُ منهم . ومن الشىء : القطعةُ منه .

٧ ـ ﴿ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ﴾ أى السلاح : أو الشدّة والقوّة . وذاتُ الشَّوْكة هى النّفير . وقد أحبُّوا أن تكون لهم طائفة العِير دون طائفة النفير التى فيها القتال بالسلاح ؛ ولكن الله أراد لهم وللإسلام ما هو خير ، فمكّنهم من أعدائهم وأعزّ الإسلام بنصرهم . ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَافِرِينَ﴾ أى آخرهم [آية ٤٥ الأنعام ص ١٧٥] . وقد هلك فى هذه الغزوة صناديدُ قريش وعصابةُ المستهزئين ؛ وهم أئمة الكفر فى مكة . ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ تطلبون منه الغَوْث والنّصر على عدوّكم . والغَوْثُ : التخليصُ من الشدة ؛ فأجاب دعاءكم بأنه مرسلٌ إليكم مددًا ألفًا من الملائكة ﴿مُرْدِفِينَ﴾ أى متتابعين بعضُهم فى إثر بعض . يقال : أردفْتُه وردِفْتُه بمعنى تبعته . وقد قاتلت الملائكةُ فى بَدْر على الصحيح ، ولم تقاتل فى غيرها ، وإنما كانت تنزل لتكثير عدد المسلمين [آية ١٢٤ ، ١٢٥

رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ

آل عمران ص ٩٣] .

١١ - ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ﴾ يجعله غاشيًا لكم كالغطاء من حيث اشتماله عليكم ؛ من غشّاه تغشيةً غطّاه . والنُّعاسُ : أوّل النوم قبل أن يَثْقُلَ . ﴿أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ تعالى لكم ، يزيل به عن قلوبكم الرُّعب ويقوّيكم بالاستراحة به على القتال فى الغد . مصدرٌ بمعنى الأمن ، وهو طمأنينة القلب وزوال الخوف . يقال : أمِنْتُ من كذا أَمَنَةً وَأَمْنًا وأمانًا ، بمعنى ﴿رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ وسوسته لكم وتخويفه إيّاكم من العطش . وأصلُ الرِّجْز : الاضطرابُ ، ويُطلق على كل ما تشتدّ مشقّته على النفوس ﴿لِيَرْبِطَ﴾ يشدُّ ويقوّى باليقين والصبر .

١٢ - ﴿أَنِّي مَعَكُمْ﴾ أى بالعوْن والنّصر. وقد بيَّنَ الله ذلك بقوله : ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ أى الخوفَ والانزعاجَ . وأصلُه : الانقطاعُ من امتلاء النفس بالخوف من المكروه ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ بيانٌ لكيفيّة التّثبيت . والأعناقُ : الرءوس . والبَنَانُ : الأصابعُ ، جمعُ بنانة ؛ من قولهم : أَبَنَّ الرجلُ بالمكان ، وبَنَّ يَبِنُّ إذا أقام به . وسُمِّيت بنانًا لأن بها إصلاح الأحوال التى بها يمكن أن يَبِنَّ ، أى يقيم . وقيل البنان هنا : مطلق الأطراف لوقوعها فى مقابلة الأعناق .

١٣ - ﴿شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ خالفوا أمرهما . والمُشَاقَّةُ : المخالفَة وأصلُها المجانَبة ؛ لأنهم صاروا فى شِقٍّ وجانب عن شِقِّ المؤمنين وجانبهم .

١٥ - ﴿زَحْفًا﴾ زاحفين نحوكم ، أو يزحفون زحفًا لقتالكم . والزَّحْفُ : انبعاثٌ من جَرِّ الرِّجل ، كانبعاث الصَّبِيِّ قبل أن يمشى ، والبعيرِ إذا أعيا . أو هو الدَّبيب فى السير . سُمِّيَ به الجيشُ الكثيفُ المتوجّه للعدوّ ؛ لأنه لكثرته وتكاثفه يُرَى كأنه جسمٌ واحدٌ يزحف ببُطء وإن كان سريع السير . ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ أى تديروا لهم ظهورَكم

دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ ۚ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ



منهزمين ؛ والمنهزم يولّي ظهرَه مَن انهزم منه . والأدبارُ : جمعُ دُبُر ، وهو خلاف القُبُل ، ويطلق على الظَّهْر وهو المراد هنا .

١٦ – ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ أى إلا أن يكون فى توليه منعطفًا عن موقفه إلى موقف آخَرَ أصلح للقتال فيه . أو إلى قتالِ طائفةٍ أخرى أهمّ من هؤلاء . أو خادعًا للعدوّ بالفَرّة ، مريدًا الكَرّة ؛ والْحَرْبُ خدْعة . وأصلُ التّحرُّفِ : الزوالُ عن جهة الاستواء إلى جهة الحرف والطّرَف ؛ ومنه الاحتراف والتحريف . ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ أو إلّا أن يكون فى توليه منحازًا إلى جماعة أخرى من الجيش ، ومنضمًّا إليها للتعاون معها على القتال ؛ من التَحيُّز وهو الانضمام . يقال : حُزت الشّيء أحوزه ، إذا ضممته . والفِئَةُ : الجماعةُ من الناس ؛ سُمِّيت فِئةً لرجوع بعضهم إلى بعض فى التعاضد ؛ وجمعها فئات ﴿بَآءَ بِغَضَبٍ﴾ رجع متلبسًا به مستحقًّا له .

١٧ – ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ أى فلم تقتلوهم بحولكم وقوّتكم مع كثرة عددهم وقلّة عَدَدِكُم ؛ ولكن الله هو الذى أظفركم بهم بحوله وقوّته . ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ بالرُّعب يومَ بَدْرٍ فى قلوب الأعداء ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ فى وجوههم بالحصباء ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ بالرُّعْب فى قلوبهم فهزمهم ونصركم عليهم . أو لَمَا أوصلتَ الحصباء إلى أعينهم ، إذ رميتهم بها ولكن الله هو الذى أوصلها إليها . ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ﴾ اللاّم للتعليل متعلقةٌ بمحذوف مؤخَّر ؛ وليُحسِنَ إليهم ويُنعِمَ عليهم بالنّصر والغنيمة فعلَ ما فَعل ، لا لشىء آخر ؛ والبلاءُ هنا محمولٌ على الإحسان والنّعمة . ويطلق أيضًا على المِحْنة . وأصلُه الاختبار ، وهو كما يكون بالنعمة لإظهار الشكر ، يكون بالمِحْنة لإظهار الصبر .

١٨ – ﴿مُوهِنُ . .﴾ مضعف .

١٩ – ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا﴾ إنْ تطلُبوا النّصر لِأعْلى الجُنديْن وأهْدَى الفئتيْن فقد جاءكم النصرُ ؛ حيث نُصِر الأعلى والأهْدَى . قيل لهم هذا تهكُّمًا بهم . رُوِىَ أنهم حين أرادوا الخروج إلى بَدْر تعلّقوا بأستار الكعبة وقالوا : اللَّهُمَّ انصر أعلى الجُنديْن وأهدى الفئتيْن ،

الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ

وأكْرَم الحزبيْن ؛ فكان ذلك فى نفس الأمر دعاءً على أنفسهم ، لا على الرسول وأصحابه .

٢٢ - ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ ﴾ نزلت فى نَفَر من بنى عبد الدار بن قُصَىّ ، كانوا يقولون : نحن صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ عما جاء به محمد ؛ فقُتلوا جمعًا يومَ بَدْرٍ ، ولم يَسْلَم منهم إلا رجلان . وإطلاقُ الدّابة على الإنسان حقيقىٌّ ؛ لأنها تُطلق على كل حيوان فى الأرض مُميِّز أو غير مُميِّز .

٢٤ - ﴿يُحْيِيكُمْ﴾ يورثكم حياة أبدية فى نعيم سرمدى . ﴿أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ أى يحول بين المرء وخواطر قلبه ، فيمنعه من حصول ما لم يُرِدْهُ منه ؛ فلا يقدر الإنسان أن يُدرك من إيمان أو كفر ، أو أن يَعِى شيئًا إلا بمشيئته تعالى ؛ من الحَوْل بين الشىء والشىء ، بمعنى الحجز والفصل بينهما . وهو مُجاز عن غاية قُربه تعالى من العبد .

٢٥ - ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً ﴾ احذروا ابتلاءً من الله تعالى ومحنةً تنزل بكم ، تعمُّ المسىء وغيره ؛ كالقَحْط والغلاء ، وتسلّط الظَّلَمة وغير ذلك . والمرادُ التّحذيرُ من الذنوب التى هى أسباب الابتلاء ، كإقرار المنكرات والبِدَع والرّضا بها ، والمداهنة فى الأمر بالمعروف ، وافْتِرَاقِ الكلمة فى الحق ، وتعطيل الحدود ، وفَشْوِ المعاصى ونحو ذلك . وفى حديث عائشة مرفوعًا : (إذا ظهر السُّوءُ فى الأرض أنزل الله بأهل الأرض بأسَه) فقالت : وفيهم أهلُ طاعة الله ؟ قال : (نعم ثم يصيرون إلى رحمة الله) (١) .

٢٦ - ﴿ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ ﴾ يستلبوكم ويصطلموكم بسرعة .

٢٧ - ﴿ لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ أى بترك فرائض الله وسننِ رسوله وارتكاب المعاصى ؛ من الخَوْن وهو النّقص . يقال : خوَّنه تخوينًا ، نسبهُ إلى الخيانة ونَقَصه . والخائن : ينقص المخُون شيئًا مما خانه فيه .

(١) رواه الطبراني .

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾

٢٩ ـ ﴿ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ هدايةً فى قلوبكم ، تفرقون بها بين الحق والباطل . أو نصرًا يفرق بين المُحِقّ والمُبطل . أو مخرجًا من الشُّبهات . أو نجاةً مما تخافون . أو جميعَ ذلك .

٣٠ ـ ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ أى بالوَثاق . أو بالإثخان بالجراح حتى لا تستطيع حَراكًا ؛ ومنه : رجل مُثْبِتٌ ، لا حَراك به من المرض . وأثبته السّقم : إذا لم يفارقه . ﴿وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾ يردّ مكرهم ، ويُحبط كيدهم ، ويدبّر أمرك ويحفظك منهم . أو يجازيهم على مكرهم [آية ٥٤ آل عمران ص ٨٢] .

٣١ ـ ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ أى مثل هذا القرآن ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ماسطَّروه فى كتبهم من الأحاديث المكذوبة ، والقِصص المتخيَّلة [آية ٢٥ الأنعام ص ١٧٢] .

٣٢ ـ ﴿وَإِذْ قَالُوا ..﴾ القائل هو النّضْر بن الحارث من بنى عبد الدّار ، قاله استهزاءً وإمعانًا فى الجحود ؛ فنزل جوابًا له :

٣٣ ـ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ أى وما كان الله مريدًا لتعذيبهم تعذيبَ استئصال ، وأنت مقيم بين أظهرهم بمكة . وقد جرَت سنّة الله ألّا يُهلك قريةً مكذِّبةً وفيها نبيُّها والمؤمنون به ؛ حتى يخرجهم منها ثم يعذّب الكافرين ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ ..﴾ أى وما كان الله معذِّب هؤلاء الكافرين وبين أظهرهم بمكة من المؤمنين المستضعَفين مَن يستغفر الله ، وهم الذين لم يستطيعوا الهجرة حين هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ وهو كقوله تعالى (لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)[1] وإسناد الاستغفار إلى ضمير الجمع لوقوعه فيما بينهم ؛ ولجعْل ما صدر عن البعض بمنزلة ما صدر عن الكلّ ؛ كقولهم : بنو تميم قتلوا فلانًا ، والقاتل أحدهم .

٣٤ ـ ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ وأىُّ شئٍ يمنع من عذابهم بعد خروجك وخروج المستضعَفين من بين أظهرهم ؛ أى لا مانع منه بعد ذلك خصوصًا بعد مقتضيه . وقد أوقع الله بهم بأسَه يومَ بَدْر فَقُتِلَ صناديدُهم ، وأُسِرَ سَراتُهم وأُذِلوا .

٣٥ ـ ﴿ مُكَاءً ﴾ صفيرًا . يقال :

(١) آية ٢٥ الفتح .

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ * وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ



مكا الطيرُ يمكو مَكْوًا ومُكاءً ، إذا صفَّر . وهو فى الأصل اسمُ طائر أبيض يوجد بالحجاز له صفير. ﴿وتَصْدِيَةً﴾ تصفيقًا . وكانوا يَطوفون بالبيت عراةً ، يَصْفِرون ويصفّقون ، وكانوا إذا سمعوا الرسول صلى الله عليه وسلم يصلى ويتلو القرآن صَفَّروا وصفَّقوا ؛ ليخلِطوا عليه قراءته ، ويَشغلوا عنه من يسمعه .

٣٦ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ نزلت فى المُطْعِمين يوم بَدْر ، وكانوا اثنى عشر رجلاً من قريش - منهم أبو جَهْل - يُطعِم كلٌّ واحد منهم كلَّ يوم عشرَ جُزُر . ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ أى ندامةً وأسفًا لفواتها من غير ثمرة . يقال : حَسِر يَحْسَر ، ندم . والحسرةُ اسمٌ منه ، وهى التلهُّف والتأسُّف على الفائت [آية ١٦٧ البقرة ص ٣٨] .

٣٧ - ﴿فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا﴾ يَجمعه ويضمّ بعضَه إلى بعض . يقال : رَكَم الشىء يَركُمُه ، إذا جمعه وألقى بعضه على بعض . وارتكم الشىءُ وتراكم : اجتمع ؛ ومنه : (سَحَابٌ مَرْكُومٌ)[1] .

٣٨ - ﴿سُنَّتُ الأَوَّلِينَ﴾ عادة الله فى المكذبين لرسله .

٣٩ - ﴿لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ لا يوجد منهم شِرك . أو لا يفتتِن مؤمنٌ عن دينه .

٤١ - ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ ...﴾ الغَنِيمَةُ : ما أُخذ من أموال الكفار قهرًا بقتال أو إيجافِ خيل أو ركاب ؛ من الغُنْم وهو الفوز . يقال : غُنْمًا وغَنِيمةً ، إذا ظفِر بالشىء . وأما ما أُخذ منها بغير قتال ولا إيجافٍ فهو الفىء ؛ وسيأتى فى سورة الحَشْر . والغنيمةُ تُخمَّس ؛ فيعطَى أربعةُ أخماسها مِلْكًا للمقاتلة الذين أحرزوها . والخمسُ الباقى كان فى عهد النُّبوَّة خمسةَ أسهم : للرسول ولذى القُربَى واليتامى والمساكين وابن السبيل . وقولُه :

(١) آية ٤٤ الطور .

ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟

﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ أى فحكمُه أن لله خُمُسَه وذُكِرَ الله تعالى لبيان أنه لا بدَّ فى الخمس من إخلاصه له تعالى ، وأنه هو الحاكم به فيَقسِمه كيف شاء . وليس المراد أن له سهمًا منه مفردًا ؛ لأن له كلَّ شىء ، فسهمُ الله وسهمُ رسوله شىءٌ واحدٌ . وأمّا بعده صلى الله عليه وسلم فقد سقط سهمُه كما سقط سهمُ ذوى القُربَى ، وإنما يُعطَوْن لفقرهم ولا يعطَى أغنياؤهم ؛ فيقسم الخُمس على اليتامى والمساكين وأبناء السبيل . وقيل : يُصرف سهمُ الرسول صلى الله عليه وسلم بعده لمصالح المسلمين وما فيه قوةٌ لهم . وتفصيلُ المذاهب فى قسمة الخمس وفى الفَىء فى كتب الفروع . ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ أى يومَ بَدْر ، الذى فُرِقَ فيه بين الحق والباطل .

٤٢ ـ ﴿بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا ..﴾ بجانب الوادى وحافته الأقرب إلى المدينة ، ﴿وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾ أى بالجانب الآخر الأبعد منها . و(الدُّنْيَا) تأنيثُ الأدنى بمعنى الأقرب . و(القُصْوَى) : مؤنّث الأقصى أى الأبعد . و﴿ٱلرَّكْبُ﴾ أى العِير وأصحابُها أبو سفيان ومن معه ﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ أى فى مكان أسفلَ من مكانكم إلى ساحل البحر الأحمر ، على ثلاثة أميال من بَدْر . ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ﴾ أى لو تواعدتم أنتم وهم للقتال ، ثم علمتم حالَهم وحالَكم لتخلّفتم عن لقائهم فى الميعاد ؛ هيبةً منهم ويأسًا من الظَّفَر بهم ؛ بسبب قِلّتِكم وكثرتهم ، وضعفِكم وقوّتهم ، ﴿وَلَٰكِن﴾ تلاقيتم على غير موعد ﴿لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ وهو نَصْرُكم وخِذلانهم ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ ليموت من يموت عن حُجّة عاينها ﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ ويعيش من يعيش عن حُجّة شاهدها ؛ فلا يبقى مجالٌ للتعلُّل بالأعذار . أو ليَكْفُر من كَفَر ، ويؤمن من آمن عن حُجّة واضحة ظاهرة .

٤٣ ـ ﴿لَّفَشِلْتُمْ﴾ لَجَبُنْتُمْ وتهيّبتم الإقدامَ عليهم ؛ لكثرة عَددهم وعُددهم . من الفَشَل وهو ضَعف مع جُبْن .

٤٤ ـ ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ حين الالتقاء قبل الالتحام ؛ حتى قال أبو جهل : إنما هم أَكلة جَزُور . وذلك ليجترئوا عليكم ، ويتركوا الاستعداد والاستمداد . ثم عند الالتحام كثّركُم فى أعينهم حتى رأَوْكم مثليْهم ؛ لتفاجئهم الكثرة فيَبهتوا ويَهابوا [آية ١٣ آل

ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ

عمران ص ٧٤].

٤٦ ـ ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ قوّتكم ودَوْلتكم. وأطلق على الدَّوْلة ـ بالفتح ـ ريحٌ لشبهها بها فى نفوذ الأمر وتمشّيه. تقول العرب: هبّت رياحُ فلان. إذا دالت له الدَّوْلة، وجرى أمره على ما يريد. وذهبت رياحُه: إذا ولّت عنه وأدبر أمره.

٤٧ ـ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا﴾ نزلت فى مشركى مكة الذين خرجوا لاستنقاذ العِير ﴿بَطَرًا﴾ طغيانًا فى النعمة بترك شكرها، واتخاذِها وسيلةً إلى مالا يرضِى الله. أو فخرًا وخُيَلاء. والبَطَر: دَهَشٌ يعترى الإنسان من سوء احتمال النعمة وقلة القيام بحقّها، وصرفها إلى غير وجهها. وفعلُه كفَرِح. ﴿وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾ ومُراءاةً للناس ليحمدوا لهم شجاعتهم وسماحتهم.

٤٨ ـ ﴿وَإِنِّى جَارٌ لَكُمْ﴾ مجيرٌ ومعينٌ وناصرٌ لكم. والجارُ: الذى يُجير غيره؛ أى يؤمّنه مما يخاف. والجارُ: الناصرُ والحليف. ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ رجع القَهْقَرَى وولّى هاربًا. أو بطل كيدُه وذهب ما خيّله إليهم من النُّصْرة والعوْن. يقال: نكص عن الأمر نكوصًا ونَكْصًا، تكأكأ عنه وأحجم. والعَقِبُ: مؤخّر القَدَم. ونكص على عقبيْه: رجع عما كان عليه من خير.

٥٠ ـ ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى..﴾ ولو رأيت ما يُصيب قتلى بَدْر من أشدّ صنوف العذاب حين تقبض الملائكةُ أرواحَهم، لرأيتَ منظرًا فظيعًا.

٥١ ـ ﴿لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ أى ليس بذى ظُلْم لهم؛ إذ يعذّبهم بسبب ما قدّمت أيديهم من الذنوب؛ بل ذلك عَدْلٌ. فظَلّامٌ صيغةُ نَسَب؛ كلبّان وتمّار. أوهى صيغة مبالغةٍ والتّكثير لكثرة العبيد؛ كأنه قيل: ليس بظالم لفلان ولا بظالم لفلان، وهكذا؛ فلما جُمع هؤلاء عُدِل إلى ظلّام لذلك.

فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

٥٢ ـ ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ [آية ١١ آل عمران ص ٧٤] .

٥٣ ـ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً..﴾ ذلك التعذيبُ على الأعمال السيئة عدلٌ إلهي ؛ فقد جرَت سنّته تعالى فى خلقه ، واقتضت حكمته فى حُكمه ألّا يُبدِّل نَعْمةً بنقمة إلا بسبب ارتكاب الذنوب ، فإذا لم يتلقّ المنعَمُ عليهم نعمته تعالى بالشكر والطاعة ، وقابلوها بالكفر والعصيان ، بدّل نِعَمهم بِنِقَم جزاءً وفاقًا ؛ وهو كقوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ)(١) .

٥٥ ـ ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ نزلت فى يهود قُرَيْظَةَ ، الذين عاهدوا الرّسول صلى الله عليه وسلم على ألّا يمالئوا عليه ، فأعانوا المشركين بالسلاح واعتذروا ، ثم عاهدهم بعد ذلك فنكثُوا ومالئُوا المشركين عليه يومَ الخَنْدَق ، ورَكِب زعيمُهم كعبُ بن الأشرف إلى مكة فحالف المشركين على حرب الرسول صلى الله عليه وسلم . فهم شرُّ الدوابّ ؛ لتماديهم فى الكفر ورسوخهم فيه ، ولذا قال تعالى : ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ .

٥٧ ـ ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى الْحَرْبِ..﴾ فإن ظَفِرت بهم فى الحرب فافعل بهم فعلاً من القتل والتنكيل تُفرِّق به جمعَ كلّ ناقض للعهد ؛ حتى يخافك مَن وراءهم من أهل مكة وغيرها . يقال : ثقِفَه يَثْقَفُه : صادفه أو ظفر به أو أدركه . وشرَّدْتُ بنى فلان : قلعتُهم عن مواطنهم وطردتهم عنها حتى فارقوها .

٥٨ ـ ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ أى وإما تعلمنّ من قوم بينك وبينهم عهدٌ مشارَفتهم نقضَه خيانةً منهم ، بأمارات تلوح لك كما ظهر من بنى النَّضير فاطرح إليهم عهدَهم . ﴿فَانْبِذْ إِلَيهِمْ﴾ فاطرح اليهم عهدهم وحاربهم . ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾ أى على طريق مُسْتوٍ ظاهر ؛ بأن تُعلمهم بنبْذكَ عهدَهم قبل أن تحاربهم ؛ حتى تكون أنت وهم فى العلم بنَبْذِ العهد سواءً ، فلا يتوهَّم أحدٌ فيك الغدر . أمّا إذا ظهر نقضهم العهد ظهورًا مقطوعاً به ، فلا حاجة إلى إعلامهم بالنّبذ . والنَّبذُ : إلقاءُ الشيء وطرحُه لقلّة الاعتداد به ؛

(١) آية ١١ الرعد .

سَبَقُوٓاْ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ * وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ

ربع الحزب

وفعلُه كضرب . والسواءُ : المساواةُ والعدلُ والوَسَطُ .

٥٩ - ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ..﴾ لا يحسبنّ كفّار مكة الذين نَجَوْا يومَ بَدْرٍ من القتل والأسْر أنفسَهم قد سبقوا الله ، فخلَصوا من عذابه ونجَوْا منه . ﴿سَبَقُوا﴾ خلصوا وأفلتوا من العذاب . ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ أى لا يجدونه عاجزًا عن إدراكهم . أو لا يفوتونه بل يدركهم بعذابه لا محالةَ . يقال : أعجزه الشيء أى فاته . وقوله : ﴿إِنَّهُمْ﴾ تعليلٌ للنهى .

٦٠ - ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ أى أعِدُّوا لقتال أعدائكم : ما أمكنكم من كلِّ ما يُتقوّى به عليهم فى الحرب ، من نحو حصون وقلاعٍ وسلاحٍ ، وآلات ومصانعَ ، وتعليم للفروسيّة وفنونِ الحرب . وما رُوِىَ من تفسير القوّة بالرّمى فإنّما هو على سبيل المثال ، وخُصَّ بالذكْر لأنه كان إذ ذاك أقوى ما يُتقوّى به ؛ فهو من قبيل : (الحجُّ عَرَفة ، والنَّدَمُ توْبة) . ولذا فسّرها ابنُ عباس بأنواع الأسلحة ، وعكرمةُ بالحصون والمعاقل . ﴿وَمِنْ رِبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ أى ومن رَبْطِ الخيْل للغزْو ، وخُصَّت بالذكْر من بين ما يُتقوّى به لمزيد فضْلها وغَنائها فى الحرب . ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ ٱللَّهِ﴾ تخوّفون بهذا الإعدادِ أعداءَ الله ﴿وَعَدُوَّكُمْ﴾ أعداءكم وهم كفارمكة ﴿وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ أى من غيرهم من الكفار كالمنافقين واليهود . والرَّهْبَةُ والرُّهْب : مخافةٌ مع تحرُّز واضطراب . يقال : رَهِبَ يَرْهَب رَهْبَةً ورُهْباً ، خاف .

٦١ - ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ﴾ أىْ إن مال الأعداء المحاربون إلى المُسالمة والمُصالحة على المُهادنة والأمان فمِلْ إليها ، واقْبَلْ ذلك منهم ، مادام فيه خيرٌ وصلاحٌ بيِّنٌ للإسلام وأهله ؛ ولذلك قَبِلَ الرسول صلى الله عليه وسلم الصُّلحَ مع المشركين عام الْحُدَيْبِيَةَ على وضع الحرب بينه وبينهم عشر سنين ، مع ما اشترطوا من الشروط . أمّا المصالحة على الجزية فلا تصح إلاّ مع أهل الكتاب ؛ لأن المشركين لا يُقبل منهم إلا الإسلامُ أو السيف . يقال : جنح إليه يَجْنَح - مُثَلَّث النون - جُنوحاً ، مال . والسَّلْمُ - بفتح السين وكسرها يُؤنّث ويذكّر - : الاستسلامُ والصّلح والمُهادنة .

٦٢ - ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾ نزلت فى بنى قُرَيْظَة . أىْ وإن أرادوا بإظهار المَيْلِ إلى السّلم الخديعةَ لتكُفَّ عنهم أو

ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ

ليستعدُّوا ؛ فصالحهم مع ذلك إذا كان فيه مصلحةٌ ظاهرةٌ للإسلام وأهلِه ، ولا تخش منهم ؛ فإن الله كافيك بنصره ومعونته ، وقد أيّدك الله بنصره وبالمؤمنين ، وألّف بين قلوبهم فتحابّوا فى الله ، واجتمعوا لإعلاء كلمته ، واتّبعوا أمرك وأطاعوك . ويظهرُ لى ـ والله أعلم ـ أنها من قضايا الأعيان الخاصّة بالرسول المقطوع بتأييده ونصره ؛ كما يشير إليه التعليل فى الآية .

٦٤ ـ ﴿حَسْـبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ﴾ أى كافيك اللهُ وكافى متَّبعيك من المؤمنين ، وناصرُكم ومؤيّدُكم على عدوّكم ؛ وإن كَثُر عددُهم وقلّ عددُكم . وحَسْبُ : صفةٌ مشبّهةٌ بمعنى اسم الفاعل . والكافُ فى محل جرّ .

٦٥ ـ ﴿حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ بالِغْ فى حثّهم وإحمائهم على القتال بصبْر وجلَد ؛ من التَّحريض وهو الحثُّ على الشىء بكثرة التّزيين له وتسهيل الخطْب فيه . كأنه فى الأصل إزالةُ الحَرَض ، وهو الإشراف على الهلاك من شدّة الضّنَى ؛ نحو مرّضته ، أى أزلت عنه المرض . ﴿إِن يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ ..﴾ خبرٌ بمعنى الأمر . ففرَض الله على المؤمنين أوّلَ الأمر ألاّ يفِرَّ الواحدُ من العشرة من الكفار ؛ وكان ذلك فى وسعهم ، فأعزّ الله بهم الدِّين على قلّتهم ، وخذَل بأيديهم المشركين على كثرتهم ، وكانت السّرايا تهْزم من المشركين أكثرَ من عشر أمثالها تأييدًا من الله لدينه . ولمَّا شقّ على المؤمنين الاستمرارُ على ذلك ، وضعُفُوا عن تحمُّله ، ولم تبق ضرورةٌ لدوام هذا الحُكم لكثرة عدد المسلمين ممن دخلوا فى دين الله أفواجاً نزل التخفيف ؛ ففُرِض على الواحد الثباتُ للاثنين من الكفار ، ورُخّص له فى الفرار إذا كان العدوُّ أكثرَ من اثنين . وهو ـ كما اختاره مكّىٌّ ـ رُخْصَةٌ كالفطر للمسافر . وذهب الجمهور إلى أنه نَسْخ .

٦٧ ـ ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ﴾ استشار النبىُّ صلى الله عليه وسلم أصحابَه فى أسارى بَدْر ؛ فأشار أبو بكر باستبقائهم رجاء توبتهم ، وأخذِ فديةٍ منهم تكون قوّةً للمسلمين . وأشار عمر ـ اجتهادًا منه ـ وآخرون بقتلهم إعزازًا للإسلام . فمال صلى الله عليه وسلم إلى الرأى الأوّل . وكان فداءُ كلّ أسير أربعين أُوقيّةً من الذهب ؛ إلا العباس ففداؤه ثمانون . فنزلت الآية عتاباً على الإقدام على الفداء قبل الإثخان اللازم له قوةُ الإسلام وعزّته . والمعنى : ما ينبغى لنبىّ أن يكون

سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ

له أسرى ﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أى حتى يُبالِغَ فى قتال الأعداء ، إذلالاً للكفر وإعزازًا لدين الله ؛ من الثَّخانة ، وهى فى الأصل الغِلظُ والصّلابة . يقال : ثَخُنَ الشىء يثْخُن ثخونةً وثخانةً وثِخَنًا ، غَلظَ وصَلُب فهو ثخين . ثم استُعمل فى النّكاية فى العدوّ فقيل : أثخن فيه ، أى بالغ فيه قتلاً وجراحةً ؛ لأنه بذلك يمنعه من الحركة فيصير كالثّخين الذى لا يَسيل . ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ أى حُطامَها وهو الفداء ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ أى يريد لكم ثوابَها بسبب الإثخان فى أعداء دينه .

٦٨ ـ ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ﴾ لولا حُكمٌ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ فى كتابه ألاّ يعذِّبَ قوماً قبل تقديم البيان إليهم . أو ألّا يعذِّبَ المخطئَ فى الاجتهاد . أو سَبَقَ بإحلال الغنائم ومنها الفداء ؛ لأصابكم بسبب ما أخذتم من الفِداء قبل أن تؤمروا به ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .

٦٩ ـ ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ ..﴾ لمّا نزلت الآية السابقة كفَّ الصحابة عما أخذوا من الفداء ؛ فنزلت هذه الآية بياناً لِحلِّ أخذِه ؛ إذ هو من الغنيمة .

٧١ ـ ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ فأقدرك الله عليهم حسبما رأيت يومَ بَدْر ؛ فإن عادوا إلى الخيانة فَسيُمْكِنُكَ الله منهم ويُقْدِرك عليهم . يقال : مكَّنته من الشيء وأمكنته منه فتمكّن واستمكن .

٧٢ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟﴾ أى سبقوا إلى الهجرة بأن هاجروا قبل عام الْحُدَيْبِيَة ، وهو عامُ ستّ من الهجرة . ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟﴾ هم أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد سمّاهم الأنصارَ لنُصرتهم له ولدين الله ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ فى النُّصْرَة والميراث . روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبيّ صلى الله عليه وسلم آخَى بين هؤلاء المهاجرين والأنصار ، فكان المهاجريُّ يرثه أخوه الأنصاريُّ ، إذا لم يكن له بالمدينة وليٌّ مهاجريّ وبالعكس ، واستمر ذلك إلى فتح مكة . ثم توارثوا بالنّسب بعد إذ لم تكن هجرة ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ

أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾

يُهَاجِرُوا۟ ..﴾ أى ليس بين المؤمنين الذين لم يهاجروا وبين المهاجرين والأنصار وَلايةُ الإرث ، إذا كان بينهم وبينهم قرابةٌ وعُصوبةٌ لانقطاع حكمها بسبب عدم الهجرة ، وإنما بينهم بحكم الإسلام ولايةُ النصرة إلا على قوم معاهَدين .

٧٥ - ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا ..﴾ أى من بعد صُلْح الْحُدَيْبِيَةِ وقبلَ الفتح وهاجروا ؛ وهى الهجرة الثانية ﴿فَأُولَئِكَ مِنكُمْ﴾ أى مثلكم فى النُّصرة والموالاة ، وإن كانوا أنزلَ درجةً من السابقين فى الهجرة . ﴿وَأُولُو ٱلْأَرْحَامِ ..﴾ وأولو القرابات بعضُهم أَوْلَى ببعض فى الميراث . فنُسخ بهذه الآية ما كان بين المهاجرين والأنصار من التوارث بالهجرة والمؤاخاة . والله أعلم .

سورة التَّوْبة

وتُسمَّى سورةَ براءةَ ، والفاضحةَ ؛ لأنها فضَحت المنافقين . ولم تُكتَب فى أوّلها البَسْملةُ لعدم أمره صلى الله عليه وسلم بكتابتها ؛ إذ لم يَنْزِلْ بها جبريلُ عليه السلام . والأصل فى ذلك التوقيفُ . وقيل : إنها هى والأنفالَ سورةٌ واحدةٌ ، ومجموعُهما السُّورة السابعةُ من السّبع الطُّوَل .

١ - ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ ..﴾ لمّا خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى تَبُوكَ ، جعَل المشركون ينقضُون العهودَ التى كانت بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم ؛ فأمره الله بنَبْذ عهودهم ؛ كما قال تعالى : (وإمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ)[1] ففَعل صلى الله عليه وسلم ما أُمِرَ به . أى هذه براءةٌ واصلةٌ من الله ورسوله إلى المشركينَ ؛ بسبب خيانتهم بنكْث العهودِ التى كانت بينه وبينهم . وأَصلُ البراءة : التباعدُ والتَّقَصِّى مما يُكره مجاورتُه . يقال : بَرِىءَ منه يَبْرأُ بَرَاءةً ، إذا تخلَّص منه وتباعد عنه . ويقال : بَرِئَ ، إذا أعْذر وأنذر ؛ أى هذا إعذارٌ وإنذارٌ إلى الذين عاهدتم من المشركين .

٢ - ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ ولكى لا يُنسب إلى

(١) آية ٥٨ الأنفال

(٩) سُورَةُ التَّوبَةِ مَدَنِيَّة
إلا الآيتين الأخيرتين فمكيتان
وآياتها ١٢٩ نزلت بعد المائدة

نصف الحزب

بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟

المسلمين الغدرُ ونبذُ العهد دون إعلامٍ وإنذارٍ ، أُمهِل الناكثون مدّةَ أربعةِ أشهر ، يباح لهم فيها أن يسيروا فى الأرض حيث شاءوا آمنين من القتل والقتال ؛ ليتفكّروا ويحتاطوا ويستعدُّوا ، ويعلموا أنْ ليس لهم بعدها إلا الإسلامُ أو السيفُ . وبعث الرسول صلى الله عليه وسلم عليًّا - كرّم الله وجهه - بالأربعين آيةً الأولى من هذه السورة ؛ فأعلمهم بها فى يوم الحج الأكبر - وهو يومُ النَّحْرِ - فى السنة التاسعة ، وقد كان فيها عاشرَ ذى القعدة بسبب النَّسِيء الذى ابتدعه المشركون ؛ فيكونُ آخرُ مدّة الإمهال اليومَ العاشرَ من شهر ربيع الأوّل من السنة العاشرة . وقيل : إنَّ يومَ النحر فى السنة التاسعة كان عاشرَ ذى الحجّة ، فيكون نهايةُ المدّة العاشرَ فى شهر ربيع الآخر من السنة العاشرة . والسِّياحةُ فى الأصل : جَرَيان الماء وانبساطُه على موجب طبيعته ، ثم استعملت فى الضرب والاتّساع فى السير ؛ فيقال : ساح فى الأرض سَيْحًا وسياحةً ، إذا مرَّ فيها مرَّ السائح .

٣ - ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ أىْ إيذانٌ وإعلامٌ من الله ورسوله إلى الناس عامّةً يومَ الحجِّ الأكبر - وهو يوم النحر - بأنّ الله ورسولَه قد بَرِئَا من عهود المشركين ، وأنها قد نُبذت إليهم . يقال : آذَنَهُ الأمرَ وبه ، أعلمه .

٤ - ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ﴾ أى لكن الذين لم ينكثُوا العهد من المشركين ﴿ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا﴾ من شروطه ﴿وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ لم يعاونوا عليكم أحدًا من أعدائكم ؛ كما عاونت قريشٌ بنى بكر على خُزاعةَ ، وكانت خُزاعةُ فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ﴾ ولا تُجْروهم مجرى الناكثين إذا بقَوْا على ما هم عليه من الوفاء بالعهد ، وهم بنو ضَمْرَةَ وبنو مُدْلِج من كِنانةَ ، وقد بَقِيَ من عهدهم تسعةُ أشهر فأُتِمّ إليهم عهدهم . وسيأتى ذكرهم فى الآية السابعة من هذه السورة .

٥ - ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ

ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ
وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾
وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ
كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾
كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ
إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ فَمَا ٱسْتَقَـٰمُوا۟
لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ
وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً
يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨﴾
ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ
إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا

﴿الحُرُمُ﴾ فإذا انقضت ، أو خرجت أشهرُ الأمان الأربعة المذكورة ؛ ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ الناكثين ﴿حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ . وسُمِّيَتْ حُرُماً لأنه تعالى جعلها مدّة أمانٍ لهم يحرُم قتالهم فيها ؛ من السَّلْخ بمعنى الكَشْط . يقال : سَلَخ الإهابَ عن الشاة يَسْلُخه ويَسْلَخه سَلْخاً ، كشَطَه ونزعه عنها . أو بمعنى الإخراج ؛ من قولهم : سلخت الشاةَ عن الإهاب إذا أخرجتها منه ، ثم استعير للانقضاء . ﴿وَاحْصُرُوهُمْ﴾ احبسوهم ، أو ضيقوا عليهم وامنعوهم من التصرف في البلاد . ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ أي في كل طريق يجتازون منه في أسفارهم حتى تأخذوهم من أيّ وجهة توجّهوا . والمَرْصَدُ : الموضعُ الذي يُرقب فيه العدوّ . يقال : رَصَدت الشيء أرْصُده رَصْدًا ، إذا ترقّبته .

٦ ـ ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ بعد انسلاخ أشهر العهد ، أي استأمنك بعد انقضاء مدّة الأمان ، وطلبَ جوارَك وحمايتك أحد من المشركين الذين أُمِرْتَ بقتالهم وقتْلهم ليَسْمَع القرآن ويتدبّره ، ويطّلعَ على حقيقة الإسلام ؛ فأجِرْه وأمّنه حتى يسمع كلام الله ولا يبقى له عذر ، ثم أبْلغه موضع أمْنه إن لم يُسلم . وهذه الآيةُ ـ كما قال الحسن ـ محكمةٌ غير منسوخةٍ بآيةِ : «وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً» .

٧ ـ ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾ استفهامٌ في معنى الإنكار ، أي مستنكرٌ أن يكون لهؤلاء المشركين الناكثين عهودٌ عند الله ورسوله فإنهم قومُ خيانةٍ وغَدْرٍ ؛ وليس لِمَنْ لم يَفِ بعهد أن يَفِيَ الله ورسولُه له بالعهد . ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ﴾ أي لكن الذين عاهدتم ولم ينكثوا ، وهم الذين سبق استثناؤهم في الآية الرابعة ، فاستقيموا لهم على العهد مدّةَ استقامتهم لكم عليه . والمرادُ بالمسجد الحرام : الحَرَمُ كلُّه . ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ﴾ فما أقاموا على العهد معكم .

٨ ـ ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ أي كيف يكون لهؤلاء الناكثين

وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ

عهدٌ عند الله وعند رسوله والحالُ أنهم ﴿إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ يظفَروا بكم ويغلبوكم ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ﴾ لا يراعُوا فى أمركم ﴿إِلًّا﴾ عهدًا ، أو حِلْفًا أو قرابةً ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾ حقًّا أو عهدًا . يقال : ظَهَرَ عليه يظهَر ، غلبه . وأظهره الله على عدوّه : أعانه عليه . والذِّمةُ : كلُّ أمرٍ لَزِمك بحيث إذا ضيّعته لزمك مذَمّة . أو هى : ما يُتذمّمُ به ، أى يُجتنب فيه الذّم .

١٢ - ﴿وإنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ نقضوا أيمانهم من بعد عهدهم الموثّق . يقال : نكث العهدَ والحبلَ ينكُثه وَينكِثه ، نقضه فانتكث . وأصلُه من النّكث ، وهو أن تُنْقَض أخلاقُ الأكسية لتُغزل ثانية .

١٤ - ﴿قَاتِلُوهُمْ ..﴾ قاتلوا هؤلاء الناكثين الذين طعَنُوا فى دينكم وبدأوكم بالقتالِ ، حيث همُّوا بإخراج الرّسول من مكة ، وقاتلوا خُزاعةَ حلفاءكم ؛ فليس لهؤلاء عهدٌ ولا ذِمّةٌ ، إلا من تاب منهم ورجع إلى الله فكفُّوا عن قتاله .

١٥ - ﴿غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ غضبها ووجدها الشديد .

١٦ - ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا ...﴾ خطابٌ لمن شقّ عليهم القتال من المؤمنين أو المنافقين ، وبيانٌ للحكمة فى الأمر به ، وأنها الامتحانُ والتمحيص . أى بل أظننتم أن تُتركوا دونَ أن تؤمَروا بقتال المشركين ، ولمّا يعلم الله المخلصين منكم فيه غيرَ المتّخذين بطانةً من المشركين ، يُفْشون إليهم أسرارهم ويُداخلونهم فى أمورهم ! أى ولم يُظْهِر الله الذين جاهدوا منكم مع الإخلاص ممن جاهدوا بدونه ، ولم يُميّزْ لكم هؤلاء من أولئك . فَنَفْيُ العلمِ مجازٌ عن نَفْى التبيين والإظهار . فكلمة «أمْ» بمعنى بل التى للإضراب الانتقالى وهمزةِ الاستفهام الإنكارى . و«لَمَّا» للنّفى مع توقُّع الحصول . و﴿وَلِيجَةً﴾ أى بطانةً ؛ من الوُلُوج وهو الدُّخول . ووليجةُ الرّجُلِ : مَن يداخله فى باطن

أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ شَـٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ
أُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾
إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ
وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ
أُو۟لَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ
ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ
وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَجَـٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ
ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ
أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾
يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا
نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ
أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ
وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ
وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن



أموره ، وهو صاحبُ سرِّه . وقولُه ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا﴾ معطوفٌ على «جاهدوا» داخلٌ فى حيِّز صلةِ الموصول . ونظيرُ هذه الآية قولُه تعالى : (أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكاذِبِينَ)(١) ، وقولُه تعالى : (مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ على مَا أَنْتُمْ عليه حتَّى يَميزَ الخَبيثَ مِنَ الطَّيِّبِ)(٢) .

١٧ ـ ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ ..﴾ افتخر المشركون بأنهم عُمَّارُ المسجد الحرام ، وحَجَبَةُ الكعبة ، وأنهم يَقْرُون الحجيجَ وَيَفُكُّون العانى أى الأسير ؛ فنزلت الآية . أى ما ينبغى للمشركين أن يَعْمُرُوا المسجد الحرام بدخوله والخدمة فيه ، حالَ كونهم مُقِرِّين على أنفسهم بالكفر بسجودهم للأصنام ، وهو مُحْبِطٌ لكل ما عملوا من برّ وخير وافتخروا به ، موجبٌ لخلودهم فى النار . وذُكِر المسجدُ الحرامُ بلفظ الجمع لأنه قِبلةُ المساجد كلِّها ؛ فعامِرُه كعامرها . ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بطلت وذهبت أجورها لكفرهم .

١٨ ـ ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ ..﴾ بيانٌ لصفات مَن هم أهلٌ لعمارة المساجد ، وهى الأربعةُ المذكورةُ الجامعةُ لخيرَى الدنيا والآخرة .

١٩ ـ ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ﴾ أى أتُسَوُّونَ أهلَ سقايةِ الحجيج وعمارة المسجد الحرام منكم ، وأنتم على هذا الشرك ، بمن آمن بالله وأخلص له العبادة ، وجاهد فى سبيله بالنفس والمال !؟ كلاَّ ! وقد بيّن الله فضلَهم وعِظَمَ منزلتهم فى الآية التالية .

٢٣ ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ...﴾

(١) آية ١ ـ ٣ العنكبوت (٢) آية ١٧٩ آل عمران .

كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

لمّا أُمِر المهاجرون بالهجرة شقّ عليهم هَجْرُ أهليهم وأموالهم وديارهم ؛ فنزلت الآية فهاجَروا طائعين ابتغاءَ رضوان الله ، وامتثالاً لأمر رسوله صلى الله عليه وسلم . ﴿اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ﴾ اختاروه وأقاموا عليه .

٢٤ - ﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ اكتسبتموها [آية ١١٣ الأنعام ص ١٨٧] . ﴿كَسَادَهَا﴾ بوارَها بفوات وقت رواجها بسبب غيابكم عن مكّةَ أيامَ الموْسِم . مصدرُ كَسَد الشيءُ - من باب نصر وكرُم - كسادًا وكُسودًا ، لم يَنْفُق ؛ فهو كاسد وكسِيد ، أى غير رابح . ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ أى انتظروا ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾ أى بعقوبته . وهو تهديدٌ وتخويفٌ لمَنْ آثر محبّة من ذكر على محبة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم . وفى الآية دليلٌ على أنه إذا تعارضت مصلحةٌ من مصالح الدِّين مع مُهِمَّات الدنيا وجب ترجيح جانب الدِّين على الدنيا ليبقى الدِّين سليماً . وهذا موقفٌ تزِلُّ فيه الأقدام .

٢٥ - ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ امتنانٌ على المؤمنين بالنّصر على الأعداء الذى يَبْذُل الغيور فى سبيله أحبَّ الأشياء إليه . أى لقد نصركم الله على أعدائكم فى مواقع حرب كثيرة ، ومن أعظمها غَزْوَةُ بَدْرٍ وقُرَيْظَةَ وخَيْبَر ومكّة . ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ أى ونصركم يومَ غزوة حُنَيْن ؛ وهو وادٍ معروفٌ بين مكة والطّائف . وتُسَمَّى غزوةَ هوازنَ وثَقِيف . وكانت فى شوّال عقبَ رمضانَ الذى وقع فيه فتحُ مكة سنةَ ثمانٍ من الهجرة . وكان عدد المسلمين اثنى عشر ألفاً ، وعددُ الكفار أربعة آلاف . ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً﴾ فلم تنفعكم تلك الكثرةُ شيئًا من النفع فى أمر العدوّ ؛ من الغَنَاء وهو النّفْع . تقول : ما يُغنى عنك هذا ، أى ما يجزئ عنك وما ينفعك . ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ أى برُحْبِها وسَعَتها .

٢٦ - ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ﴾ رحمتَه التى تسكن إليها القلوبُ ، وتطمئن اطمئناناً يستتبع النصر القريب ؛ من السكون ، وهو الثبوت بعد التّحرُّك . أو من السَّكَن ، وهو زوال الرُّعب .

٢٨ - ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾

ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾

قَذَر . مصدرُ نَجِسَ الشيء يَنْجَس ، إذا كان قَذِرًا غيرَ نظيف . أُخبر عنهم بالمصدر مبالغةً ؛ كأنّهم عينُ النجاسة . ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ أى الحَرَم كلّه . والمرادُ نهيُ المسلمين عن تمكينهم من قربانه ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ وهو التاسع من الهجرة ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ فقرًا وفاقةً بسبب منعهم من دخول أرض الحرم ، إذ كانوا يأتون فى الموسم للمتاجر . يقال : عال يَعيل عَيْلةً وعُيولاً ؛ إذا افتقر فهو عائل ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وقد أغناهم وأفضل عليهم كثيرًا .

٢٩ ـ ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أمرٌ بقتال أهل الكتابيْن بعد الأمر بقتال المشركين ؛ بسبب أنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، وإيمانهم الذى يزعمونه كلا إيمان . ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ وهو دينُ الإسلام ، وهو الدِّين الذى ارتضاه الله لعباده . ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ وهى ما قُدّر على رءوسهم من المال ، نظيرَ كفِّنا عن قتالهم واسترقاقهم وحمايتنا لهم ؛ من الجزاء بمعنى القضاء . أو من المجازاة بمعنى المكافأة ؛ لأنهم يجزوننا عن الإحسان إليهم بذلك . ﴿عَن يَدٍ﴾ عن طوْع وانقياد . ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ أذِلّاء ؛ والذليلُ مَن أذلّه الله ، والعزيزُ من أعزّه الله . وأصلُ اليَدِ الجارحةُ ؛ كُنِّىَ بها عما ذُكر . يقال : أعطى فلان يَده ، إذا سلَّم وانقاد ؛ لأن من أبى لا يُعطى يَده .

٣٠ ـ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ ..﴾ قائلُ ذلك بعض مُتقدِّميهم ، أو بعض من كانوا بالمدينة . ونسبةُ القبيح الصّادر من البعض إلى الكلّ شائعٌ . وكذا القائل ببنوّة المسيح له تعالى بعضُ النصارى . ﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ أى يشابهون فى هذه الأقوال الشنيعة قولَ المشركين الذين قالوا : الملائكةُ بناتُ الله . والمضاهأةُ والمضاهاةُ : المشابهةُ والمشاكلةُ ، أو الموافقةُ . ﴿قَاتَلَهُمُ اللهُ﴾ دعاءٌ عليهم بالإهلاك . ﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾



كيف يُصرفون عن الحق إلى الباطل ، بعد وضوح الدليل على استحالة أن يكون له تعالى ولدٌ [آية ٧٥ المائدة ص ١٥٨] .

٣١ - ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ﴾ أى اتخذ اليهودُ علماءهم ، والنصارى نُسّاكَهم كالأرباب من دون الله ، حيث أطاعوهم فى تحريم ما أحلّ الله وتحليلِ ما حرّمه [آية ٤٤ ، ٨٢ المائدة ص ١٥١ ، ١٥٩] . ﴿أَرْبَاباً﴾ أطاعوهم كما يطاع الرب . ﴿وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ واتَّخذُوا المسيح ربًّا معبودًا من دون الله . أو ابناً لله تعالى . ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ أىْ والحالُ أنهم ما أُمِرُوا فى الكتب الإلٰهيّة وعلى لسان موسى وعيسى عليهما السلام إلا ليُخلِصوا العبادةَ لله تعالى وحدَه .

٣٣ - ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾ ليعليه .

٣٤ - ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ ..﴾ بيانٌ لحال الأحبار والرُّهبان فى إغوائهم لأراذلهم ، بعد بيان سوء حال الأتباع باتّخاذهم كالأرباب ، وانقيادهم لهم فيما يأتون ويذَرُون . ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ..﴾ لما وصف الله أهلَ الكتاب بالْحِرْصِ على أكل أموال الناس بالباطل ، ذكَر بعده وعيدَ مَن جمع المالَ ، ومَنع الحقوق الواجبةَ فيه ، سواء أكان من أهل الكتاب أم من المسلمين . والمرادُ بالإنفاق فى سبيل الله : أداءُ الزكاة . وكلُّ شيء مجموعٍ بعضُه إلى بعض فى بطن الأرض أو على ظهرها : كنزٌ ، وجمعُه كنوزٌ . وعن ابن عمرَ رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مَا أُدِّيَ زكاته فليسَ بكنزٍ)[1] أى بكنز أُوعِدَ عليه .

٣٦ - ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ ..﴾ كانت الأشهرُ الحرُمُ الأربعةُ : رجبٌ وذو القِعْدَة وذو الْحِجَّة والمحرَّم - معظَّمةً فى الجاهلية ومحرّماً

(١) رواه الطبراني والبيهقى .

إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ

فيها القتال ، فإذا جاء شهرٌ حرامٌ وهم محاربون أَحلُّوه وحرَّموا مكانه شهرًا آخرَ ؛ فيستحلُّون المحرَّمَ ويحرِّمون صَفَرًا ، فإذا احتاجُوا إليه أحلُّوه وحرَّموا ما بعده ، وهكذا حتى استدار التحريمُ على شهور السنة كلِّها ، وقد يجعلون السَّنةَ ثلاثةَ عشر شهرًا ، أو أربعةَ عشر ليتّسع لهم الوقت ، ويحرّموا أربعةَ أشهر منها . وكان يختلف وقتُ حجّهم تبعاً لذلك . وقد أبطل الله هذا النَّسِيء الذى ابتدعوه وحرّمه فى هذه الآية ، وأخبر الرسولُ صلى الله عليه وسلم فى خطبة الوَداع بمنًى فى أوسط أيام التَّشريق بـ (أن الزمن قد استدار كهيئته يومَ خلق اللهُ السموات والأرضَ ، السنةُ اثنا عشر شهرًا منها أربعةٌ حُرُمٌ ثلاثةٌ متوالياتٌ ورَجَبُ مُضَر)[1] ، وعاد يومُ الحج الأكبر إلى ما كان عليه فى عهد إبراهيم وإسماعيل وهو العاشر من ذى الحجَّة كل عام . وعُظِّمَت الأشهرُ الحرُمُ فى الإسلام ، وجُعلت المعصيةُ فيها أعظمَ وزرًا منها فى غيرها ؛ كارتكابها فى الحَرَم وفى حال الإحرام ، ولله تعالى أن يميّز بعضَ الأزمنة عن بعض بالفضل والتعظيم ؛ إلاّ أن القتال فيها إعلاءً لكلمة الله غيرُ محرَّمٍ فى الإسلام ، كما كان محرّماً فى الجاهلية ، لأن الشركَ ظلمٌ وفتنةٌ وفسادٌ ، وخطرُه أشدُّ من خطر القتال فيها ؛ كما قال تعالى . (والْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ)[2] ولذا قال تعالى : ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ ولم يستثن القتالَ فى الأشهر الحُرُم ؛ فدلَّ على جوازه فيها كغيرها من الأشهر ، وإليه ذهب الجمهور . وخالف فى ذلك عطاءُ بن أبى رَباح ، فذهب إلى أنه لا يحلّ القتالُ فيها ولا فى الحَرَم إلا أن يكون دفاعاً . ويؤيِّد الجمهور أنّه صلى الله عليه وسلم حاصر الطّائفَ وغزا هوازنَ بحُنَيْن فى شوال وذى القعدة سنةَ ثمانٍ من الهجرة .

وقوله : ﴿ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ أى كون العدّة كذلك ، وتحريمُ الأربعة منها هو الدِّين المستقيم دينُ إبراهيم وإسماعيلَ عليهما السلام . ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ بارتكاب المعاصى ؛ فإنّها فيهنّ أعظمُ وزرًا .

٣٧ ـ ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾ أى تأخيرُ حُرمة شهر إلى شهر آخر ؛ مصدرُ نسأهُ أى أخَّره فهو منسوء كقتيل بمعنى مقتول . ﴿لِيُوَاطِئُوا﴾ ليوافقوا بما يصنعون من النّسيء عدّةَ الأشهر الحُرُم بحيث تكون أربعةً فى العدد ، وإن لم تكن عيْنَ الأشهر المحرّمة فى دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام .

٣٨ ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ..﴾ نزلت فى غزوة تَبُوكَ ، وهى على طرف الشام بينها وبين المدينة أربعَ عشرة مرحلة ، وكانت فى رجب سنَةَ تسعٍ بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطائف ، حين بلغه

(١) رواه البخاري . (٢) آية ١٩١ البقرة .

عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾

أن هِرَقْلَ جمعَ أهلَ الروم وأهل الشام لمحاربته ؛ فاستنفر الناس فى وقت عُسْرة وشدّة من الحرّ وجَدْبٍ فى البلاد ، حتى بلغ الجَهْد بهم مبلَغه ، وكان العشرة منهم يعتقبون بعيرًا واحدًا ، وكان زادهم التمر المدوَّد ، والشعير المسوّس ؛ فشقّ ذلك عليهم . ولكن المخلصين من المؤمنين صبروا على هذه الشدائد ، احتساباً لله تعالى ، ولم يتخلّف منهم إلا القليل . وتخلّف عنها المنافقون وكثير من الأعراب . وتُسَمَّى غَزْوةَ العُسْرة ، ويقال لها : الفاضحة ؛ لأنها أظهرت حال كثير من المنافقين . وهى آخر غزواته صلى الله عليه وسلم . وقد أنفق فيها عثمان رضى الله عنه نفقةً عظيمةً لم يُنفِق أحدٌ مثلها . وأوّل من أنفق فيها أبو بكر رضى الله عنه فجاء بجميع ماله ، وعمر رضى الله عنه فجاء بنصف ماله ، وعبدُ الرحمن بن عوف وطلحةُ والنّساءُ بحليهنّ . ﴿انْفِرُوا﴾ اخرجوا للجهاد ﴿فِى سَبِيلِ اللهِ﴾ يقال : نَفَرَ إلى الحرب يَنْفُر وينفِر نَفْرًا ونفورا ، خرج إليه بسرعة . واستنفر الإمامُ الناسَ : حثّهم على الخروج للجهاد . واسمُ القوم الذين يخرجون : النّفير والنُّفْرة والنَّفر . ﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ تباطأتم فى الخروج مائلين إلى الإقامة بأرضكم ودياركم ؛ من الثّقل : ضدُّ الخفة . يقال : تثاقل عنه ، أى ثَقُل وتباطأ . وتثاقل القومُ : لم ينهضوا للنّجدة وقد استُنْهضوا لها .

٤٠ - ﴿ثَانِىَ اثْنَيْنِ﴾ أحد اثنين . والثانى هو الصّدّيق رضى الله عنه ﴿إِذْ هُمَا فِى الْغَارِ﴾ بأعلى جبل ثَوْر بمكة ﴿فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ﴾ طمأنينته على النبىّ صلى الله عليه وسلم ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ وهم الملائكة يحرسونه ويسكّنون رَوْعه ، ويصرفون أبصار الكفار عنه .

٤١ - ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً ..﴾ أى على الصّفة التى يخفّ عليكم الجهادُ فيها ، وعلى الصّفة التى يَثْقُل عليكم الجهاد فيها . جمعُ خفيف وثقيل .

لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن
يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾
إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ
وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾
۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ
ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾
لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ
يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ
بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ
ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾
وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ
وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ

ربع الحزب

٤٢ – ﴿لَوْ كَانَ عَرَضاً ..﴾ نزلت فى المنافقين الذين تخلّفوا عن غَزْوَةِ تَبُوكَ ، واستأذنوا فى القعود عنها بأعذار كاذبة ؛ فأذن لهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم . أى لو كان ما دُعُوا إليه غُنماً سهلَ المأخذ ، وسفرًا متوسِّطاً بين القرب والبُعد لا مشقّةَ فيه ، لخرجوا معك طمعاً فى المنافع التى تصل إليهم . والعَرَضُ : ما عَرَض لك من منافع الدنيا ومتاعها . والسَّفَرُ القاصدُ : ما بيّنا . وكلُّ متوسِّط بين الإفراط والتفريط فهو قاصد ، أى ذو قصد ؛ لأن كل واحد يقصده . والقاصدُ والقَصْدُ : المعتدل . ﴿بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ أى المسافة التى تُقطَع بمشقّة . وتُطلق على الناحية يقصدها المسافر وتلحقه المشقة فى الوصول إليها . وعلى السفر البعيد .

٤٥ – ﴿فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ في شكّهم الذى حلّ بقلوبهم يتحيّرون ، لا مع المؤمنين ولا مع الكفار . وأصلُ معنى التردُّد : الذهابُ والمجيء ، استُعمل فى التحيُّر مجازًا أو كناية ؛ لأن المتحيِّر لا يقرُّ فى مكانه .

٤٦ – ﴿انبِعَاثَهُمْ﴾ نهوضهم للخروج معكم . ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ منعهم وحبسهم . يقال : ثبّطه تثبيطًا ، قعَد به عن الأمر ؛ وشغله عنه ومنعه ؛ تخذيلاً ونحوه .

٤٧ – ﴿مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً﴾ شرًّا وفسادًا ؛ لأنهم جبناء مُخَذِّلُونَ . وأصلُ الخَبَال : اضطرابٌ ومرضٌ يؤثّر فى العقل كالجنون . أو هو الاضطراب فى الرأى . ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ ..﴾ ولسعَوْا بينكم مسرعين بالنّمائم وإفساد ذات البين ؛ من الإيضاع ، وهو فى الأصل : سرعةُ سير الإبل . يقال : أوضعتِ النّاقةُ إذا أسرعت فى سيرها . وأوْضَعْتُها أنا : حملتُها على السير بسرعة ؛ فيُستعمَل لازماً ومتعدِّياً . والخِلالُ : جمع خَلَل وهو الفرجة بين الشيئين ؛ واستُعمل ظرفاً بمعنى بين . ومفعولُ الإيضاع محذوف ، تقديره النّمائم . ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ أى باغين لكم ما تُفتنون به من الخُلْفِ فيما بينكم ، وتهويلِ أمر العدوّ

تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾

عليكم ، وإلقاء الرُّعْب فى قلوبكم . يقال : ابْغِنى كذا ، وابغ لى كذا ، أى اطلبه لأجلى .

٤٨ ـ ﴿قَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ دبروا لك الحيل والمكايد .

٤٩ ـ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ..﴾ أى من المنافقين من يقول : ائذن لى فى التخلف فى المدينة ﴿وَلَا تَفْتِنِّى﴾ أى ولا تُوقعنى فى المعصية والإثم ، إذا لم تأذن لى فتخلّفت بغير إذنك . والقائل هو الجَدُّ بن قيس وكان رأساً فى المنافقين ؛ زعم أنه مُغْرَمٌ بالنساء ، ويخشى إذا رأى نساء بنى الأصفر أن يَفْتَتِن بهن . وقال : أنا أعطيكم مالى .

٥٢ ـ ﴿هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا ..﴾ أى ما تنتظرون بنا إلا إحدى العاقبتَيْن اللّتَيْن كلٌّ منهما أحسنُ من جميع العواقب : إمّا ظفَرُنا بالعدوّ ، وفيه الأجر والمغنم والسلامة ! ؟ وإمّا قتلُ العدوّ لنا ، وفيه الشهادة والفوز بالجنة والنجاةُ من النار ! ؟ وكلاهما مما نحبّ ولا نكره . والاستفهامُ للتقريع والتوبيخ . ﴿الْحُسْنَيَيْنِ﴾ النصرة والشهاده .

٥٣ ـ ﴿لَن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ ما أنْفَقْتُمُوهُ أى لن يؤخذ منكم ، أو لن تثابوا عليه ، لعُتوّكم وتمرّدكم على الله ورسوله ، وخروجكم عن الطاعة والاستقامة .

٥٤ ـ ﴿وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ متثاقلون بها ؛ لأنهم لا يرجون بأدائها ثواباً ، ولا يخافون بتركها عقاباً ، وإنما يقيمونها نفاقاً . جمعُ كسلان ؛ من الكَسَل وهو التثاقل عن الشيء والفتور فيه . وفعله كفَرِح .

٥٥ ـ ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ﴾ وَلتَخْرُجَ أرواحُهم وتهلك فيموتوا على الكفر . يقال : زَهَقت نفسُه تَزْهَق ، خرجَت . وزَهَقَ الشيء هلك .

٥٦ ـ ﴿يَفْرَقُونَ﴾ يخافون أن ينزل بهم ما نَزل بالمشركين من القَتْل

وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾

* إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

نصف الحزب

والنَّبى ؛ فيُظهرون لكم الإسلامَ تَقِيَّةً ويؤيّدونه بالأَيمان الفاجرة ، ويبطنون الكفر فى قلوبهم ؛ من الفَرَق ، وأصلُه انزعاجُ النفس بتوقع الضّرر . يقال : فَرِق فَرَقاً إذا خاف ، وأفرقته أى أخفته .

٥٧ ـ ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً﴾ أى حِصناً ومَعْقِلاً يلجأون إليه ﴿أَوْ مَغَارَاتٍ﴾ كهوفاً فى الجبال يستخفُونَ فيها . ﴿أَوْ مُدَّخَلاً﴾ سرداباً فى الأرض ، أو نفقاً كنَفَق اليَرْبُوع يَنْجَحِرون فيه ﴿لَوَلَّوْا إِلَيْهِ﴾ أى لأقبلوا إليه ﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ يُسرعون أشدّ الإسراع ؛ لا يردُّهم شىءٌ كالفرس الجموح ؛ لشدة بغضهم إياكم . وخوفهم من القتل . والجُموحُ : أن يَغلِب الفرسُ صاحبَه فى سَيْره وجَرْيه . يقال : جَمَح الفرس براكبه يَجْمَحُ جَمْحاً وجُموحاً ، استعصى عليه حتى غلبه ؛ فهو جَمُوحٌ وجامحٌ .

٥٨ ـ ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ﴾ ومن المنافقين من يَعيبك ويَطعن عليك فى قِسمة أموال الزكاة ، أو فيها وفى قسمة الغنائم ؛ مِنَ اللَّمز وهو العيب . يقال : لَمَزَهُ وهَمَزَه يَلْمِزُه ، إذا أعابه .

٥٩ ـ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا﴾ الجوابُ مقدَّر ؛ أى لكان خيرًا لهم . ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ كافينا فضل الله وقسمته .

٦٠ ـ ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾ أى الزكوات المفروضة مقصورةٌ على هذه الأصناف الثمانية . والفقيرُ : مَن له أدنى شىء من المال . والمسكينُ : من لا شىء له ؛ فيحتاج إلى المسألة لِقُوتِهِ ومداراة بدنه . وقيل : الفقيرُ من لا مال له ولا كسبَ يقع موقعاً من حاجته . والمسكين : من له مالٌ أو كسبٌ لا يكفيه . وأصْلُ الفقير : المكسورُ فَقَار الظَّهْر . أو هو من الفُقرة أى الحُفْرة ، ثم استُعمل فيما ذُكر لانكساره بعُدْمه وحاجته . أو لكونه أدنى حالا من أكثر الناس ؛ كما أن الحفرة أدنى من سطح الأرض المستوِيَة . والمسكين مأخوذٌ من السكون ضدّ الحركة ؛ لأن العُدم أسكنه وأذله . ﴿الْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾ كالجباة والكتاب والحراس . ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ أى فى فكّها ؛ بأن يُعان المكاتبون بشىء منها على أداء بدل الكتابة . أو يُشترى بها رقابٌ فتُعتق . أو يُفْدَى بها الأسارى [آية ١٧٧ البقرة ص ٤١] . ﴿وَالْغَارِمِينَ﴾ المديونين الذين لا يجدون قضاءً .

يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ

وفى الفقه تفصيلٌ لهذا الصنف . ﴿وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فسّره الجمهور بالغُزاةِ الفقراء . وقيل : طلبة العلم الفقراء . وقيل : منقطعو الحجيج . وفسره فى البدائع بجميع القُرُبات . ونقل القفّالُ جوازَ صرفِ هذا السهم إلى جميع وجوه الخير ، من تكفين الموتى وبناء الحصون وعمارةِ المساجد ؛ لعموم قوله «فى سبيل الله» . ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ المسافر المنقطع عن ماله فى سفره وإن كان غنيًّا فى بلده ؛ وأُلحِقَ به كلُّ من غاب عن ماله ، وإن كان فى بلده . وقيل : هو الحاجُّ المنقطع فى سفره . أو هو الضيف . أمّا المؤلّفةُ قلوبُهم فهم أصناف ، وفى حكم سهمهم بعده صلى الله عليه وسلم أقوال مبيَّنةٌ فى الفقه .

٦١ ـ ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾ أىْ يصدّق كل ما يقال له . يريدون أنه سريع الاغترار بكل ما يسمع . وحاشاه ذلك ! أُطلق عليه اسم الجارحة التى هى آلة السمع ؛ كما قيل للرَّبيئة عَيْن . ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ أى أذنٌ فى الخير والحقّ . وفيما يجب سماعه وقبوله ؛ وليس بأذُن فى غير ذلك كما تقصدون . والإضافة على معنى فى . وهذا أبلغ أسلوب فى الردّ على المنافقين . ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ يصدّق بالله . ويسمع للمؤمنين ؛ لكونهم صادقين عنده .

٦٣ ـ ﴿يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ يخالف الله ورسولَه . وأصلُ المحادّة : المخالَفَةُ والمجانَبَةُ والمعاداة ؛ مشتقّةٌ من الحدّ . يقال : حادّ فلان فلاناً . إذا صار فى غير حدّه وجهته ؛ وجانَبَه وخالَفَه ؛ كالمُشاقّة .

٦٤ ـ ﴿مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ مُظهرٌ ما تخافونه من الفضيحة ؛ مأخوذ من الحِذْر ـ بالكَسْر ويحرّك ـ بمعنى التحرُّز ، وفعلُه كطَرِب .

٦٥ ـ ﴿كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ كنا نتحدّث ونخوض فى الكلام ؛ لقصر مسافة السفر بالحديث . أجابوا بذلك حين أطلع الله رسوله على ما قالوه استهزاءً به فى مسيره فى غزوة تَبُوك [راجع آية ١٤٠ النساء ص ١٣٥] .

٦٧ ـ ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ أى عن الإنفاق فى طاعة الله ومرضاته ؛ كناية عن الشُّحِّ والبخل ؛ كما أن بسطها كنايةٌ عن

ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا هِىَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ

الجود والسخاء ، لأن مَن يُعطى يمدّ يدَه بالعطاء ، بخلاف من يمنع . ﴿نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ تركوا أمرَ اللهِ حتى صاروا كالناسين له ؛ فجازاهم بأن صيّرهم بمنزلة المَنْسِيّ من ثوابه ورحمته .

٦٨ ـ ﴿هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ كافِيَتُهم جزاءً وعقاباً ، لا يحتاجون إلى زيادة على عذابها . يقال : حَسْبُك ! أى كفاك . وشيءٌ حِسَابٌ : أى كافٍ .

٦٩ ـ ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ﴾ تمتّعوا بنصيبهم الذى قُدّر لهم من ملاذّ الدنيا . والْخَلَاقُ : مشتق من الْخَلْق بمعنى التقدير ، وأطلِق على النّصيب لأنه مقدَّر لصاحبه . ﴿خُضْتُمْ﴾ دخلتم فى الباطل . ﴿كَالَّذِى خَاضُوا﴾ أى كالخوض الذى خاضوه . ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بطلت وذهبت أجورها لكفرهم .

٧٠ ـ ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾ أى أصحاب قُرَى قوم لوط ـ عليه السلام ـ التى قلبت أعاليها أسافلَها ؛ من الائتفاك ، وهو الانقلاب بجعل أعلى الشيء أسفلَ بالخَسْف . يقال : أفكَه يأفِكُه ، إذا قلَبه رأساً على عَقِب . وذَكَرَ الله هذه الطوائف الستّ ؛ لأن آثارهم باقيةٌ ، وبلادهم بالشام والعِراق واليمن . وكلها قريبةٌ من أرض العرب ؛ فكانوا يمرُّون عليها فى أسفارهم ويعرفون الكثير من أخبارهم .

وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾



٧٢ - ﴿فِى جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ أى إقامةٍ وخلودٍ . وقيل : هى اسمٌ لمكانٍ مخصوص فى الجنة .

٧٣ - ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾ بالقتال ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ باللّسان بالوعظ وإلزام الحجة . ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ وشدّد عليهم جميعاً فى الجهاد بِقِسْمَيْه .

٧٤ - ﴿وَمَا نَقَمُوا﴾ ما كرهوا وما عابُوا شيئاً ﴿إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ﴾ بالغنائم [آية ٥٩ المائدة ص ١٥٤] .

٧٥ - ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ﴾ أى من المنافقين . نزلت فى شأن ثَعْلَبَةَ بن حاطِب من بنى أميّة بن زيد .

٧٨ - ﴿يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ يعلم ما انطوَتْ عليه صدورُهم من النفاق ، وما تناجَوْا به بينهم من المطاعن . والسِّرُّ : هو الحديث المكتَتَم فى النّفْس . والنّجْوى : المسارّةُ بالحديث [آية ١٤ النساء ص ١١٠] .

٧٩ - ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ﴾ يعيبون (هم المنافقون) . ﴿جُهْدَهُمْ﴾ أى طاقتهم وما تبلغه قوّتهم ، وهم الفقراء .

٨٠ - ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ ..﴾ أمرٌ بمعنى الخبر ، أى استغفارُك لهؤلاء المنافقين وعدمُه سِيّان ، ومهما أكثرت منه فلن يغفر الله لهم ، لإصرارهم على الكفر والفسوق .

وعن ابن عباس فى سبب نزول الآية : أنه لما نزل قولُه تعالى : «سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ» سأل اللّامزون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الاستغفارَ لهم ، فهمَّ أن يفعل ، فنزلت فلم يفعل . وذِكْرُ السبعين لإرادة التكثير والمبالغة على ما جرى عليه العرب فى أساليبهم عند إرادة ذلك . ونظيرُه قولُه تعالى : (ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً)[1] ، وقولُه صلى الله عليه وسلم : (مَن صام يوماً فى سبيل الله باعدَ اللهُ

(١) آية ٣٢ الحاقة .

فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾

وجهَه عن النار سبعين خريفاً)[1]. وليس المراد بها التحديد ؛ فلا مفهوم للعدد هنا . ويؤيّد ذلك : التعليلُ بالكفر والفسق المذكورَيْن بعدُ ؛ فإنهما قائمان بهم مع الزيادة على السبعين .

٨١ – ﴿خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ بعد خروجه ، أو لأجل مخالفته .

٨٣ – ﴿فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ مع المتخلّفين بعد القوم عن الجهاد لعدم لياقتكم له ؛ كالنساء والصبيان ونحوهم . وجُمِعَ جمعَ المذكّر للتّغليب .

٨٤ – ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ ..﴾ نُهِيَ صلى الله عليه وسلم عن صلاة الجنازة على مَن مات منهم وفيها الدعاء والاستغفار ، وعن القيام عند قبره للدّفن أو للزيارة والدعاء له ؛ لأنهم كفروا بالله ورسوله ، وماتوا على فسقهم . وكان من عادته صلى الله عليه وسلم أن يفعل ذلك لمن مات من المسلمين ، وكان يعامل المنافقين بحكم الظاهر معاملةَ المسلمين ؛ حتى نزلت هذه الآية ، فما صلّى بعدها على منافق ، ولا قام على قبره حتى قُبض صلى الله عليه وسلم .

٨٥ – ﴿تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ﴾ تخرج أرواحهم .

٨٦ – ﴿اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾ أى استأذنك فى التخلّف عن الجهاد أصحابُ الغِنَى والسَّعة من المنافقين .

٨٧ – ﴿مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ أى مع النساء اللاّتى تخلّفن عن أعمال الرجال وقعدن فى البيوت . أو مع

(١) متفق عليه .

أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ
ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ
لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ
وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ
إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ
وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ
لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ
تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾
۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ
رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ
فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ



الرجال العاجزين عن القتال. يقال: امرأةٌ خالفة، ورجلٌ خالفة، أي لا خير فيه. والتاءُ للنّقل إلى الاسميّة ﴿وَطُبِعَ﴾ خُتم.

٩٠ - ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ..﴾ شروعٌ فى بيان أحوال منافقى الأعْراب، بعد بيان أحوال منافقى أهل المدينة. وكان منافقو الأعراب قسمين: قسمٌ جاء إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم معتذرًا بأعذار كاذبة، وهم أَسَد وغَطَفان، اعتذروا بالْجَهْد وكثرة العيال. وقيل: هم رهط عامر ابن الطُّفَيْل، اعتذروا بخوف إغارة طيِّئ على أهليهم ومواشيهم، وهؤلاء هم المعذِّرُون، من عَذَر فى الأمر، إذا قصّر فيه مُوهِماً أن له عذرًا ولا عذر له. وقسمٌ لم يجئ ولم يعتذر، وهم الذين ذكرهم الله تعالى بقوله: ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أى قعدوا عن المجىء إليه للاعتذار. والأعرابُ: سُكَّان البادية. والعربُ: سُكَّانُ المدن والقرى.

٩١ - ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ..﴾ شروعٌ فى ذكر أرباب الأعذار الحقيقيّة، بعد ذكر أرباب الأعذار المختلَقة. أى لا إثم فى التخلُّف عن الجهاد على العاجزين عنه وهم: الضُّعَفَاءُ كالشيوخ والنساء والصبيان. والمرضى كالعُمْى والزَّمْنَى والعُرْج. والفقراءُ العاجزون عن أُهْبة السفر والجهاد كجُهَيْنة ومُزَينة وبنى عُذرة. ﴿حَرَجٌ﴾ إثم أو ذنب فى التخلف عن الجهاد. ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ بالإيمان والطاعة ظاهرًا وباطناً. والنُّصْحُ فى الأصل: الخلاص. يقال: نصحته ونصحت له. واستُعمل فى إرادة الخير للمنصوح له، وأريد منه ما ذكرنا مجازًا.

٩٢ - ﴿وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ أى تسيل دمعاً من الحزن على فقدان ما ينفقونه على أنفسهم فى الجهاد. والفَيْضُ: انصبابٌ عن امتلاء؛ وإسنادُه إلى العين للمبالغة، كما فى جرَى النهر.

٩٣ - ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾ أى الطريق للمعاقبة. والمرادُ بالطريق: الأعمالُ السيّئةُ المُفْضيةُ للعقاب.

٩٤ - ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ يعتذر المنافقون إليكم بعد عودتكم من الجهاد عن تخلّفهم أعذارًا باطلة.

قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ
وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ
بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا
عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا
عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾
الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ
مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾
وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ
الدَّوَائِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ
الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ
قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ۚ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ
سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾

ويُروى أنهم كانوا بضعةً وثمانين رجلاً .

٩٥ - ﴿لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ لتتركوهم ولا تؤنّبوهم ، ولتصفحوا عنهم . ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ إنهم قَذَرٌ أو نَجَسٌ فاجتنبوهم . جُعلوا نَفْسَ الرِّجس مبالغةً فى نجاسة أعمالهم .

٩٧ - ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ نزلت فى أَسَد وغَطَفان ؛ والعبرةُ بعموم اللفظ . أى أهلُ البادية أشدُّ كُفرًا ونفاقاً من أهل الحَضَر الكفار والمنافقين ؛ لجفائهم وقساوة قلوبهم ، وتوحّشهم ونشأتهم فى معزل عن مخالطة العلماء بالدِّين ، والتعلم منهم ، وجهلهم بالقرآن والسُّنَن . ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ وأخلق بألاّ يعلموا فرائضَ الله وأوامرَه ونواهيه . يقال : هو جدير بكذا وأجدر ، أى خليق به وأخلق . مشتقٌّ من الجدْر وهو أصل الشجرة ، فكأنه ثابت ثبوتَ الجِدْر فى قولك : جديرٌ وأجدر . والمرادُ وصفُ جنس الأعراب ؛ بدليل قوله تعالى : (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) .

٩٨ - ﴿مَغْرَمًا﴾ غَرامةً وخَسَارةً ؛ لأنّهم لا ينفقونه رجاءً لثوابٍ ، بل تَقيَّةً ورياءً ؛ من الغَرام بمعنى الهلاك لأنه سببه . ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾ ينتظر بكم صروفَ الدهر ومصائبَه التى يتبدّل بها حالُكم إلى سُوء . والتَّربُّصُ : الانتظارُ . والدّوائرُ : جمع دائرة وهى النائبة [آية ٥٢ المائدة ص١٥٣] . ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ دعاءٌ بنحوِ ما يتربَّصون به . والسَّوْءُ : مصدر ساءَه يسوءُه سَوْءًا ، إذا فَعل به ما يَكرَه فاستاءَ هُوَ . والسُّوء - بالضم - اسمٌ منه . وقيل : المفتوحُ بمعنى الذّم ، والمضمومُ بمعنى العذاب والضرر . وإضافة « دائرة » إلى « السَّوْء » من إضافة الموصوف إلى الصفة ؛ كما فى رجلِ صدقٍ .

٩٩ - ﴿صَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾ دعواته واستغفاره (للمنفقين) .

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (١٠٠) وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ (١٠١) وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٠٢) خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣) أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (١٠٤) وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥) وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ

١٠١ - ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعْرَابِ ..﴾ شروعٌ فى ذكر أنواع المتخلِّفين عن غزوة تَبُوك . أى ومن الأعراب الذين حول المدينة كبعض أناس من قبائل سُلَيم وأشْجعَ وغِفار ومُزَيْنة وجُهَيْنة . ومن أهل المدينة منافقون ﴿مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ مَرَنُوا عليه وتمهَّروا فيه ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ لعراقتهم فى النفاق والتَّقِيَّة ، مع كمال فِطْنتك وصِدْق فِراستك ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ لا يخفى علينا ما فى سرائرهم ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ فى الدنيا بالفضيحة وعذاب القبر ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ فى الآخرة .

١٠٢ - ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ أى ومن المتخلِّفين قوم آخرون اعترفوا بذنوبهم ؛ وهى تخلُّفهم عن الغَزْو وعن صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، وإيثارُهم الدَّعة . ﴿خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا﴾ وهو جهادهم فى سبيل الله قبل هذه الغزوة ﴿وَآخَرَ سَيِّئاً﴾ وهو تخلُّفهم عن هذه الغزوة ، ونَدِمُوا وتابوا إلى الله منه . وكانوا عشرةً أو أقلّ ؛ منهم : أبو لُبَابَةَ بن عبد المنذر . ولمَّا بلغهم ما نزل فى المتخلِّفين أَوْثَقُوا أنفسهم فى سَوارى المسجد ، وحلَفوا لا يَحُلّهم إلا النبيّ صلى الله عليه وسلم ؛ فأعرض عنهم حتى نزلت الآية فحلَّ وثاقهم ؛ إذْ قَبِلَ الله توبتهم كما يفيده قولُه تعالى : ﴿عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ فإن الترجِّى فى حقّه تعالى إطماعٌ ، وهو من أكرم الأكرمين إيجابٌ . ولمّا أطلقهم طلبوا منه صلى الله عليه وسلم أن يأخذ أموالَهم صدقةً طُهرةً لهم ، وكفّارةً عن ذنوبهم ؛ فنزل ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً ..﴾ .

١٠٣ - ﴿تُزَكِّيهِم بِهَا﴾ تنمى بها حسناتهم وأموالهم . ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ ادع لهم واستغفر لهم . ﴿سَكَنٌ لَهُمْ﴾ طمأنينة . أو رحمة لهم .

لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾

١٠٦ - ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ﴾ أى ومن المتخلِّفين قومٌ موقوفٌ أمرُهم إلى أن يظهر أمرُ الله فيهم ، وهم : مُرارةُ بن الرَّبيع وكعبُ بن مالك وهلالُ بن أميّة ، تخلّفوا عن الغزوة كسَلاً مع الهمِّ باللّحاق به عليه الصلاة والسلام فلم يتيسّر لهم ؛ فلما قدم النبيّ صلى الله عليه وسلم وكان قد نزل ما نزل فى المتخلِّفين قالوا : لا عُذْرَ لنا إلا الخطيئة ، ولم يعتذروا كأصحاب السّوارى ، فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم باجتنابهم إلى أن نزلت آية ١١٧ : «لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ» . وكانت مدّةُ وقفهم خمسين ليلةً بقدر مدة التخلُّف ، إذ كانت مدة غيبته صلى الله عليه وسلم عن المدينة خمسينَ ليلةً . فلما تمتّعوا بالراحة فيها مع تعب إخوانهم فى السفر عوقبوا بهجرهم ووقفهم تلك المدة .

١٠٧ - ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ منصوبٌ على الذّم . أى وأَذُمُّ الذين اتخذوا . أو مبتدأ بتقدير مضاف خبرُه : «لَا تَقُمْ» أى ومسجدُ الذين اتخذوا .. لا تقم فيه . و« ضِرَارًا » مفعول له ، وكذا ما بعده . وهؤلاء الذين اتخذوه اثنا عشر رجلاً من كبار المنافقين ، كانوا يصلُّون بمسجد قُباء فقال لهم أبو عامر الراهب : ابنُوا مسجدًا واستعدّوا بما استطعتم من قوّة وسلاح فإنى ذاهب إلى قَيْصرَ ملكِ الرُّوم ، فآتى بجند من الروم فأُخرِجَ محمدًا وأصحابَه ؛ فلما بنَوْه رغبوا إليه صلى الله عليه وسلم أن يصلّيَ فيه ، فوعدهم أن يصلّيَ فيه إذا عاد من تَبُوكَ إن شاء الله تعالى . فأوحى إليه خبَرَهم وأعلمه بتآمرهم ؛ فلما عاد أمر بحرقه فحُرِق . والضِّرارُ : طلبُ المضارّة ومحاولتُه ؛ ومن ثَمَّ سُمِّيَ مسجدَ الضِّرار . ﴿وَكُفْرًا﴾ أى وتقوية للكفر الذى يضمرونه ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وهم أهل قُبَاء ؛ حسدًا لهم على اجتماعهم ، وطمعاً فى اختلاف كلمتهم . ﴿وَإِرْصَادًا﴾ أى انتظارًا وإعدادًا لمن حارب الله ورسوله ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أى من قبل بناء هذا المسجد ـ وهو أبو عامر الراهب الذى سمّاه الرسول صلى الله عليه وسلم أبا عامر الفاسق . يقال : أرصدته له أعددته . ورَصَدته وأرصدته فى الخير ، وأرصدت له فى الشّر .

١٠٨ - ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى﴾ هو مسجدُ قباء .

١٠٩ - ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ ..﴾ أى أبعدَ ما عُلِمَ حالُهم ؛ فمن أسَّس بُنيان دينه على



لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ * إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ

تقوى الله وطاعته وطلبه رضوانَه خيرٌ ، أم من أسَّس بنيان دينه على ضلال وكفر ونفاق ! ؟ والشَّفَا : الحَرْفُ والشَّفِيرُ . والجُرُف ـ بضمّتين ـ : البئرُ التى لم تُطْوَ . أو الهُوَّةُ . أو المكانُ الذى يجرُفه الماء ويذهب به . وهارٍ : أى هائرٌ ساقط . يقال : هار البناء إذا سقط . وهو نعتٌ لـ «جُرُف» . وقد مُثِّل بناءُ الدِّين على الباطل بالبناء على شفا جُرُفٍ هارٍ ﴿فَانْهَارَ بِهِ﴾ أى فسقط الجُرُفُ بالبنيان مع المبانى ﴿فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ .

١١٠ ـ ﴿لَايَزَالُ بُنْيَانُهُمْ ..﴾ أى لايزال ما بنوْه سببَ ريبةٍ وشكٍّ فى الدِّين ؛ لأنه حين بُنِىَ إنما بُنِى لتفريق كلمة المؤمنين وتشتيت وَحدتهم ، وليتمكنوا فيه من إظهار ما فى قلوبهم من كفر وضلال ، وليدبِّروا فيه الكيْد للمسلمين . وحين هُدم رَسخ ما فى قلوبهم من الشرّ ، وتضاعفت آثاره ومفاسده . ﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ أى إلا أن تتمزّق قلوبُهم ؛ فحينئذ يَسْلُون ذلك . والمرادُ أنهم لا يزالون كذلك ماداموا أحياء .

١١٢ ـ ﴿ السَّائِحُـونَ ﴾ أى الصائمون . سُمُّوا سائحين لتركهم الملاذّ كالسائحين . وقيل : الغزاة المجاهـدون . ﴿لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ لأوامره ونواهيه .

١١٣ ـ ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ...﴾ نزلت حين أراد النبىُّ صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لعَمِّه أبى طالب بعد موته ؛ فنهاه الله عن ذلك .

١١٤ ـ ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ خاشعٌ متضرِّعٌ فى الدعاء . أو كثيرُ التأوُّه من خوف الله . قال أبو عُبيدة : الأوّاه : المتأوِّه فَرَقاً ، المتضرِّعُ يقيناً ولزوماً للطاعة . وأصل التأوُّه : قولُ الرجل أوَّه . أو أوْه ؛ أى أتوَجّع . و«حليمٌ» صبورٌ على الأذى ، صفوحٌ عن الجناية ، يقابلها بالإحسان والعطف .

١١٧ ـ ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِىِّ ..﴾ أى غفر الله للمؤمنين بسبب صبرهم على شدائد هذه الغزوة ما عساه قد فَرط منهم من

قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهۡلِ

الزّلات . وضُمّ ذكرُ النبىّ صلى الله عليه وسلم إلى ذكرهم تنبيهاً على عِظَم مرتبتهم فى الدِّين ، وأنهم بلغوا الرتبة التى لأجلها ضُمّ ذكرُه صلى الله عليه وسلم إلى ذكرهم . والعُسْرةُ : ضدُّ اليُسْرة ، فهى الشِّدّة والضّيق . ﴿يَزِيغُ قُلُوبُ﴾ تميلُ عن الخروج مع الرسول صلى الله عليه وسلم لما فيه من الشدّة والمشقّة . والزّيغُ المَيْلُ . ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ تأكيدٌ للتوبة والعَفْو .

١١٨ ـ ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ...﴾ أى وتاب على الثلاثة السابقِ ذكرهم فى تفسير آية ١٠٦ الذين تخلّفوا عن الغزو . ﴿بِمَا رَحُبَتْ﴾ أى مع رُحْبها أى سَعتها . وأما الرَّحبُ ـ بالفتح ـ : فهو المكان المتّسع . ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ تأكيدٌ للتوبة المفهومة مما سبق . ﴿لِيَتُوبُوا﴾ ليدوموا على التوبة ويثبتوا عليها .

١٢٠ ـ ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ ..﴾ المرادُ بالنّفْى هنا : النهىُ . أى ليس لهم أن يتخلّفوا عن رسول الله فى الجهاد ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ أى لا يجعلوا أنفسَهم راغبةً عما ألقى فيه نَفْسَه ، والباء للتّعدية . أو لا يرغبوا عن نفسه بأنفسهم ، أى بسبب صوْنها ؛ والباءُ للسببيّة . وهو متضمِّنٌ أمرَهم بأن يصحبوه على البأساء والضراء ، ويكابدوا معه الشدائد والأهوال برغبة ونشاط ، وأن يُلْقُوا أنفسهم فى الشدائد ما تلقاه نفسه الكريمة ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ عطش ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ تعبٌ ومشقّة ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ مجاعةٌ شديدة تُظهر خَمْصَ البطن وضُمورَه ؛ وفعلُها كنصر . ﴿وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا﴾ ولا يدوسون مكاناً من أمكنة الكفّار بأرجلهم أو حوافر خيلهم وأخفافِ رواحلهم . أو هو مصدرٌ بمعنى وَطْأً ودوْساً ؛ من وَطِئ كفَهِم . ﴿يَغِيظُ الْكُفَّارَ﴾ يغضبهم ويغمهم . ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا﴾ بقتْل أو أسْر ، أو جراحة أو غنيمة ، ونحو ذلك .

١٢٢ ـ ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ..﴾ أى ما ينبغى للمؤمنين ولا يجوز أن ينفِروا جميعاً للجهاد ، ويتركوا النبىّ صلى الله عليه وسلم وحدَه فى حالة عدم خروجه بنفسه للجهاد وعدم النّفير للكافّة . بل يجب أن ينقسموا قسمين : طائفةٌ تبقى معَه لتعلّم العلم والفقه فى الدّين ، والتلقّى من مِشْكاة النبوّة . وطائفةٌ تنفر

ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ * وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ صَرَفَ ٱللَّهُ



للجهاد . فالماكثون يحفظون ما تجدّد من الأحكام ؛ فإذا قدم الغزاة علّموهم ما تجدّد فى غيبتهم . فالتّفقُّه والإنذارُ إنما هو عمل الطائفة الماكثة . وفى هذا التقسيم رعايةُ المصلحة فى الجانبين .

١٢٣ - ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم ..﴾ لمّا أمِروا بقتال المشركين كافّةً ؛ أرشدهم الله إلى الطريق الأصلح ؛ وهو أن يبدأوا بقتال الأقرب فالأقرب ، حتى يصلُوا إلى الأبعد فالأبعد ؛ لعدم تصوّر القتال دفعةً واحدةً ، ولهذا قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أوّلاً قومَه ، ثم انتقل إلى قتال سائر العرب ، ثم إلى قتال أهل الكتاب ، وهم قُرَيْظةُ والنَّضِير وخَيْبَر وفَدَك . ثم انتقل إلى غزْو الرُّوم والشام ، وتمّ فتحه فى زمن الصحابة . ثم إنهم انقلبوا إلى العراق ، ثم إلى سائر الأمصار . وإذا قاتل الأقربَ أوّلاً تقوّى بما ينال منه على الأبعد . ﴿غِلْظَةً﴾ شدة وشجاعة ، وحمية ، وصبرا .

١٢٥ - ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شكٌّ ونفاقٌ وكفرٌ . ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا﴾ شكًّا ونفاقًا وكفرًا مضمومًا ﴿إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ لأنهم كلما جحدوا سورةً أو آيةً ، أو استهزأوا بها ازدادوا فيما هم فيه . وأصلُ الرِّجْس : الشىء المستقذر . وما هم فيه أقذر شىء !

قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ
مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

(١٠) سُورَةُ يُونُسَ مَكِّيَّة
إلا الآيات ٤٠ و٩٤ و٩٥ و٩٦ فمدنية
وآياتها ١٠٩ نزلت بعد الإسراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ
لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ
النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ
رَبِّهِمْ ۗ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾
إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ
أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ

١٢٦ ـ ﴿يُفْتَنُونَ ..﴾ يُبتَلَونَ بالشدائد.

١٢٧ ـ ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ لا يتدبّرون ، أو لا يفهمون لسوء استعدادهم . يقال : فَقِه يَفْقَه ، وفَقُه يَفْقُه ، إذا فهِم وعَلِم.

١٢٨ ـ ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ شديدٌ وشاقٌّ عليه عنَتُكم ومشقّتكم ؛ لكونه بعضًا منكم . يقال : عزَّ عليه ، أى صعُب وشقّ . والعَنَتُ المشقّةُ . يقال : أَكمةٌ عَنُوتٌ ، أى شاقّة ؛ وفعلُه كفَرِح.

١٢٩ ـ ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ كافيني الله ومعيني والله أعلم.

سورة يونس

٢ ـ ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ القَدَمُ : السّابقةُ والسّالفةُ . والعربُ تُسَمِّى كلَّ سابقٍ فى خيرٍ أو شرٍّ قَدَمًا . وإضافتُه إلى الصِّدق من إضافة الموصوف إلى الصفة ؛ كما فى مسجدِ الجامع ، فتفيد المدْح . وما قدَّموه هو الإيمان . أو الأعمالُ الصالحةُ المستتبعة للثّواب . أى أن لهم سابقةَ فضلٍ ومنزلةً رفيعةً عند ربِّهم . أو أجرًا حَسنًا . أو ثوابًا كريمًا بما أسلفوا . وسُمِّىَ قَدَمًا لأنه لا يُنال إلا بالسَّعى وهو لا يحصل إلا بالقَدَم ؛ فسُمِّىَ المسبَّبُ باسم السّبب.

٣ ـ ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [آية ٥٤ الأعراف ص ٢٠٧] . ﴿اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ استواءً يليق به سبحانه . ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ يقضى ويُقدّر شئون جميع الكائنات على وَفْق الحكمة والوجه الأكمل . وأصلُ التدبير : النّظرُ فى أدبار الأمور وأعقابها ؛ لتقع على الوجه المحمود.

٤ ـ ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾ وعدَكم بالبعْث والرُّجوع إليه وَعدًا ، وحَقَّ ذلك الوعدُ حقًّا ؛ أى ثبت ووَجَب ثباتًا ووجوبًا لاشكّ فيه ، فيجازيكم على جحودكم . ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ..﴾ دليل على قدرته ؛ وهو كالتّعليل لما قبله . ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل . ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أى وَليَجزِىَ الذين كفروا

إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ * وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ

ثلاثة أرباع الحزب

بكفرهم ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ أى ماءٍ حارٍّ بالغٍ نهايةَ الحرارة . والجملةُ بيانٌ لجزائهم فى الآخرة .

٥ - ﴿جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَاءً ..﴾ شروعٌ فى بيان أدلّة كمالِ قدرته تعالى وعظيمِ حكمته وتدبيره ، ردًّا على منكرى البعث . أى هو الذى جعل الشمسَ ذاتَ ضِيَاءٍ فى النهار ، والقمرَ ذا نور فى الليل ، وقدَّر سيرَ القمر فى منازله الثمانيةِ والعشرين فى كل شهر ، تقديرًا بديعًا محكمًا ؛ لِيُعرفَ بذلك ابتداءُ الشهور والسنين وانتهاؤها وعددُها والحسابُ بالأوقات من الأشهر والأيام . وبذلك تنتظم مصالحُ العباد فى العبادات والمعاملات وسائر الشئون المعاشيّة .. وهو الذى جعل الليلَ والنهارَ خِلْفةً يتعاقبان دائمًا بحسب طلوع الشمس وغروبها ، ويتفاوتان بحسب الأمكنة طولاً وقصرًا . ﴿قَدَّرَهُ مَنَازِلَ﴾ صير القمر ذا منازل يسير فيها .

٧ - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ..﴾ لا يتوقعون لقاءَ حسابنا ، فلا يأمُلون ثوابَنا ، ولا يخشَوْن عقابَنا ؛ لإنكارهم البعثَ . والرّجاء فى الأصل : توقُّع الخير ، كالأمل . ويُستعمل فى الخوف وتوقُّع الشّر ، وفى مطلق التوقُّعِ الشاملِ للأمل والخوف ؛ وهو المراد هنا .

١٠ - ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ﴾ أى دعاؤهم فى الجنّة التسبيحُ والتّنزيه ، الذى هو إشارةٌ إلى وصفه تعالى بصفات الجلال ، فيُقابَلون بالتحيّة منه تعالى ، أو من الملائكة بالسّلام ؛ أى بالدعاء لهم بالسّلامة من كل مكروه . والتّحيةُ : التّكرمةُ بالحالة الجليلة . وأصلُها من الحياة ؛ أى

لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ

أحياك اللهُ حياةً طيّبةً. ثم يختمون دعاءهم بالتحميد، الذى هو إشارة إلى وصفه بنعوت الجلال والإكرام.

١١ ـ ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ..﴾ نزلت فى المشركين حين استعجلوا العذابَ الذى أُوعِدُوا به؛ استهزاءً وتكذيبًا لإنكارهم البعث، فقالوا: (اللَّهُمَّ إِنْ كانَ هذا هوَ الحقَّ مِنْ عندك فأَمْطِرْ علينا حجارةً مِنَ السَّمَاءِ أو ائتِنا بعذابٍ أليم)[1]. أى ولو يُعجِّلُ اللهُ لهم الشرَّ الذى استعجلوه ﴿اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ﴾ أى تعجيله لهم بالخير. فوُضع الاستعجالُ بالخير ـ وهو طلب التعجيل به ـ موضعَ التعجيل به لهم؛ لإفادة سرعة إجابته تعالى لهم، وإسعافهم بالخير؛ حتى كأنَّ استعجالَهم بالخير تعجيلٌ له، لسبْق رحمته تعالى لعباده. ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ لأُهلكوا جميعًا. يقال: قضى إليه أَجلَه، أى أنْهى إليه مدّته التى قدّرها لموته فهلك. ولكنه تعالى لا يُعجّل الشرَّ لهم، ولا يقضى آجالهم استدراجًا لهم. ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ وهو إنكارُهم البَعْثَ، وما يتفرّع عليه من الأعمال الفاسدة. ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتردّدُون ويتحيَّرون. أو يَعْمَوْن عن الرُّشد. والجملةُ حاليّةٌ [آية ١٥ البقرة ص ٧].

١٢ ـ ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ..﴾ أى إذا أصاب الإنسان. ﴿الضُّرُّ﴾ الجهد والبلاء والشدة. أىُّ شدّةٍ ومكروهٍ ـ ولو قليلاً يسيرًا ـ دعانا لكشْفه فى كل أحواله؛ فإذا استجبنا له استمرّ على حالته الأُولى ونَسِيَ ما كان فيه من البلاء؛ كأنّه لم يَدْعُنا إلى كشْفه. والمرادُ جنسُ الإنسان، أو الكافرُ من الناس باعتبار حال بعض أفراده، وهو مَن يذكر الله عند البلاء وينساه عند الرخاء. والآيةُ بيانٌ لكذب الذين استعجلوا العذاب؛ لأنهم سيضرعون إلى الله عند نزوله، لكشفه وعجزهم عن احتماله. ﴿دَعَانَا لِجَنبِهِ﴾ استغاث بنا لكشفه مُلْقياً لجنبه. ﴿مَرَّ﴾ استمر على كفره ولم يتعظ.

١٣ ـ ﴿أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ﴾ الأممَ الماضيةَ [آية ٦ الأنعام ص ١٦٩]. ﴿ظَلَمُوا﴾ بالكفر وتكذيب الرسل.

١٤ ـ ﴿خَلَائِفَ﴾ خالفين لمن سبقكم. جمعُ خليفة [آية ١٦٥ الأنعام ص ١٩٨]. ﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ أىْ لنعلم أىَّ عمل تعملون، خيرًا أو شرًّا. والمرادُ: لنعاملكم معاملةَ من يطلب العلم بما يكون منكم لنجازيَكم بحسبه؛ وإلا فهو تعالى عالم بما يكون منهم.

(١) آية ٣٢ الأنفال.

ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ

١٥ - ﴿مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾ من قِبَل نفسى ومن عندى . مصدرٌ على تِفعال ، ولا نظير له غيرُ تِبْيان .

١٦ - ﴿وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾ ولا أعلمكم الله بالقرآن على لسانى . يقال : دريْته وبه أدرى دَرْيًا ودِرَايَةً ، عَلِمْتُه . أو علمته بضَرْبٍ من الحيلة . وأدراه به : أعلمهُ . و « لا » مؤكِّدةٌ للنّفى .

١٧ - ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ ..﴾ أى وإذا كان القرآن بمشيئته تعالى وأمره ؛ فمن اختلق من تلقاء نفسه كلامًا وقال هو من عند الله . أو بَدَّلَ بعضَ آياته ببعض ، كما يُجوِّزون ذلك فى شأنى . أو كذّب ببعض آياته كما يفعلون ؛ فهو أظلمُ من كلّ ظالم ! و « افْتَرَى » اختلق . يقال : افترى الكذب اختلقه ؛ ومنه الفِرْية أى الكذب . والفَرِيُّ : الأمرُ المختلَق المصنوع . وزيادةُ « كَذِبًا » مع أن الافتراء لا يكون إلا كذلك ؛ للإشارة إلى أن ما نسبوه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم مع كونه افتراءً على الله هو كذب فى نفسه . ﴿لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ لا يفوزون بمطلوب .

١٨ - ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا﴾ كان المشركون يُنكرون البَعْث ، وقد حاجّهم الله فى ذلك فى غير آية . وكانوا يقولون : (لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ)[1] . ويقولون : (إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ)[2] . ومع ذلك قالوا : ﴿هَؤُلَاءِ﴾ أى الأصنامُ ﴿شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ . ورُوى عن بعضهم القولُ بشفاعة اللاّتِ والْعُزَّى لهم يوم القيامة . فذهب الجمهور إلى أنه إنما قيل على سبيل الفرض والتقدير ؛ أى إن كان هناك بعثٌ كما ترعمون فهؤلاء يشفعون لنا . وذهب الحسنُ إلى أن مرادَهم الشفاعةُ فى الدنيا لإصلاح المعاش لا فى الآخرة لإنكارهم البعث . والحقُّ أنهم فى أمر مَرِيجٍ من البعث ، وأنهم فيه حيارى مضطربون ، ولذلك اختلفت كلماتهم . وسيأتى لذلك تتمّةٌ فى موضعه . ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ﴾ أى قل لهم تبكيتًا : أتخبرونه بما لا وجودَ له أصلاً وهو شفاعةُ الأصنام عنده ؛ إذ لو كان

(١) آية ٣٨ النحل . (٢) آية ٢٩ الأنعام .

عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ

موجودًا لعَلِمه ، وحيث كان غيرَ معلوم له تعالى استحال وجوده ؛ لأنه لا يعْزُبُ عن علمه شيء . ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيها له تعالى .

٢٠ - ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ﴾ أى هلّا أظهر الله على يديه آيةً من الآيات التى اقترحناها ؛ كآية موسى وعيسى عليهما السلام . ولم يَرْدَعْهم عن هذا القول ما يروْن من المعجزات الباهرة ؛ التى أعلاها القرآنُ العظيم ، المعجز للبشر على وجه الدّهر إلى يوم القيامة ؛ وأىُّ آيةٍ من الآيات السابقة تدانيه ! ولكنّه الضّلال والعناد !؟

٢١ - ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾ يَنْعَى على كفّار مكة غُلوَّهم فى كفرهم ؛ فقد ابتلاهم بحبس المطر عنهم سبعَ سنينَ حتى كادوا يهلكون . فطلبوا منه صلى الله عليه وسلم أن يدعوَ لهم بالخِصْب ووعدوه بالإيمان ؛ فلما دعا لهم ورحمهم الله بالحَيَا طفِقوا يطعنون فى آيات الله ؛ وذلك قوله تعالى : ﴿إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِى آيَاتِنَا﴾ أى بالطعن فيها وعدم الاعتداد بها . ﴿ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ﴾ نائبة أصابتهم (الجوع والقحط) . ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ أعجلُ عقوبةً وأشدّ أخذًا ؛ جزاءً لكم على مكركم السىّء .

٢٢ - ﴿هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُمْ﴾ تفسيرٌ لما أجمل فى قوله تعالى : « وَإِذَا أَذَقْنَا » . وضربُ مَثَلٍ ليظهر ما هم عليه . ﴿الْفُلْكِ﴾ السُّفن ﴿طَيِّبَةٍ﴾ ليِّنةِ الهبوبِ موافقةٍ للمقصد . ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ أى ذاتُ عَصْفٍ ؛ على النّسب كلابن وتامر ، والعَصْفُ : الكَسْرُ والنباتُ المتكسِّر . والمرادُ : شديدة الهبوب . ﴿أُحِيطَ بِهِمْ﴾ أحدق بهم الهلاك .

٢٣ - ﴿يَبْغُونَ فِى الْأَرْضِ﴾ يفسدون فيها ؛ متجاوزين إلى غير ما أمر الله به . يقال : بَغَى الجُرْحُ ، إذا تراخى فى الفساد وجاوز الحدّ فيه . ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ تأكيدٌ لما يفيده البغْى .

٢٤ - ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ..﴾ بيانٌ لشأن الحياة الدّنيا وقِصَرِ مُدّة التمتّع بها مهما طالت . وقربِ زمان الرجوع الموعود به . أىْ إنما حالُها فى سرعة تقضِّيها وانصرامِ ملاذّها ، بعد كثرتها والاغترار بها ؛ كحال ماءٍ

أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا
يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَـٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ
زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ
أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ
بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾
وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ * لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ
وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ
هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ
سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ
كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ
أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا
ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا
بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾



أنزلناه .. ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ استكملت حسْنَها وبهاءَها ﴿وَازَّيَّنَتْ﴾ بأصناف النّبات وأشكالها وألوانها المختلفة . وأصلُ الزُّخْرُف : الزينةُ المزوَّقة . ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾ فجعلنا زرْعَها كالمَحْصُود من أصله بالمناجل ؛ مِن الحَصْدِ وهو قطع الزرع . يقال : حَصَد الزرعَ يَحْصِده ويحْصُده حَصْدًا وَحِصَادًا : قطعه بالمِنْجَل ؛ فهو حصِيد ومحصُود . ﴿كَأَنْ لَمْ تَغْنَ﴾ كأن لم تمكُث تلك الزروعُ قائمةً على ظهر الأرض فى الماضى القريب ؛ من غَنِيَ بالمكان ـ كَرَضِيَ ـ ، إذا طال مقامه به مستغنيًا عن غيره . أى فكذلك الدنيا فى سرعة تقضِّيها وانصرام نعيمها ، بعد إقبالها واغترار الناس بها .

٢٥ ـ ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ ترغيبٌ فى الآخرة بعد التّوهين من شأن الدنيا .

٢٦ ـ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى﴾ أى لهم المثُوبةُ الحسنى ، وهى الجنة . والعرَبُ تُوقع هذه اللفظةَ على الْخلّة المحبوبة ، والخصْلة المرغوب فيها ؛ ولذلك تُرك موصوفها . ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ هى النّظر إلى وجه الله الكريم . أو هى المغفرة والرضوان . ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ ..﴾ الرَّهَقُ : الغَشَيان . يقال : رَهِقَه يَرْهَقه ، إذا غَشِيَه بقهر . والْقَتَرُ : الدُّخانَ الساطع من الشِّواء والعُودِ ونحوهما ؛ يصيب الوجوه فتغبرّ وتسودّ . ﴿ذِلَّةٌ﴾ : الهوان ؛ أى لا يصيبهم ما يصيب أهلَ النارِ من ذلك .

٢٧ ـ ﴿عَاصِمٍ﴾ مانع يمنع سخطه وعذابه . ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ﴾ أى أنّ وجوههم فى شدّة سوادها كأنما أُلبست ﴿قِطَعًا﴾ أى أجزاءً من اللّيل المُظْلم الحالك السّواد . و ﴿مُظْلِمًا﴾ حالٌ من الليل ، وقرئ «قِطْعا» أى بسواد .

٢٨ ـ ﴿مَكَانَكُمْ﴾ الزموا مكانكم فى الموقف ﴿أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ﴾ أى الأصنام حتى تنظروا ما يُفعل بكم وبهم .

فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾

﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ فرّقنا بين المشركين وشركائهم ، وقطّعنا الوُصَل التي كانت بينهم في الدنيا . وذلك حتى يتبرأ كلُّ معبود ممن عبده ؛ مِن زَيَّلَ - بمعنى فرّق وميّز . والتّضعيف فيه للتّكثير لا للتّعدية ؛ لأن زال ثُلاثيّه متعدٍّ بنفسه . تقول : زِلْت الضأنَ من المعَز - إذا فرّقتَ بينهما . وزلتُ الشيء عن مكانه أزيله زَيْلا - إذا أزلته .

٣٠ - ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو ..﴾ في هذا الموقف الدَّحْضِ الزَّلِق - وهو موقف الحشر - تَخْبُرُ وتَعْلَمُ كلُّ نفسٍ ما قدّمت من عمل وتعاينه بكُنهه ، متتبِّعةً لآثاره من خير أو شرّ ؛ من البَلْو وهو الاختبار . تقول : بَلَوْتُه أي اختبرته . وأصلُه من بَلِيَ الثوبُ بلىً وبَلاءً - إذا خلَق ؛ فكأنّ المختبِر للشيء أخلقه من كثرة اختباره له . وقُرِئ « تتلو » بتاءين ؛ أي تقرأ كلُّ نفس كتابَ حسناتها وسيئاتها .

٣١ - ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ ...﴾ هذه ثمانيةُ أسئلةٍ أجابوا عن خَمْسَة منها . وأجاب الرسول صلى الله عليه وسلم عن اثنين منها بتعليم الله إيّاه ؛ لعدم قدرتهم على الإجابة عنهما . ولم يُذكر جوابُ الأخير منها لشهرته والعلم به ؛ وهو قولُه : « أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ » .

٣٢ - ﴿رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾ الثابتة ربوبيته بالبرهان ثبوتا لا ريب فيه . ﴿فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ فكيف مع ذلك تُصرفون عن الحقّ إلى الضّلال ، وعن التّوحيد إلى الشّرك ؟

٣٣ - ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ﴾ كما حقّتْ كلمةُ الربوبيّة لله تعالى . أو كما صُرفوا عن الحق بعد الإقرار به ، حقّتْ ﴿كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ على هؤلاء المتمرِّدين في الكفر ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي وجب وثبت حُكمُه عليهم بذلك . يقال : حَقّ الأمرُ يَحِقّ ويَحُقّ حَقَّةً - وجب ووقع بلاشكّ . وحَقّ الشيءَ أوجبَه ؛ كأحَقّه . لازمٌ مُتعدٍّ .

٣٤ - ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ فكيف

وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾

تُصرفون مع ذلك عن التّوحيد إلى الشّرك [آية ٧٥ المائدة ص ١٥٨] .

٣٥ - ﴿ أَمَّن لَّا يَهِدِّي ... ﴾ هذه قراءة حفص ويعقوب ، أى لا يهتدى ؛ أبدلت التاءُ دالاً - لاتحاد مخرجها - وأدغمت فى الدال ، وكُسرت الهاء تخلُّصًا من التقاء الساكنين . والمعنى : وإذا كان شركاؤكم لا يهدون إلى الحقّ فأنا أسألكم : آللهُ الذى يهدى إلى الحق حقيقٌ بالاتّباع أمْ الأوثانُ التى لا تهتدى إلّا أن تُهْدَى !؟ أى لا تنتقل من مكان إلى مكان إلا أن تُحمل وتُنقل . فبيّن الله بهذا عجزَ الأوثان والأصنام حتى عن حالها فى أنفسها .

٣٧ - ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ .. ﴾ زعم المشركون أن محمدًا صلى الله عليه وسلم قد اختلق القرآنَ من تلقاء نفسه ؛ فأخبر الله تعالى أن هذا القرآنَ وحيٌ أنزله عليه ، وأنه مبرَّأٌ عن الاختلاق والافتراء ، وأنه لا يقدر عليه أحد إلا الله . ثم ذكر ما يؤكّد ذلك بقوله : ﴿ ولَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ أى ما سبقه من الكتب المنزّلة ؛ فهو موافق لها فى أصولها . ﴿ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ ﴾ أى تفصيل ما كُتِبَ وأُثبت من الشرائع . ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ أى لاشكَّ فيه أنه كذلك .

٣٨ - ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾ «أم» منقطعةٌ بمعنى بل التى للانتقال والهمزةِ التى للإنكار ؛ عند الجمهور . أى بل أيقولون افتراه واختلقه !؟ وهو قولٌ منهم فى غاية الشناعة . ﴿ قُلْ ﴾ إن كان الأمر كما تزعمون ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ أى فأتوا من عند أنفسكم ، أو ممن سبقكم من فصحاء العرب وبلغائهم بسورة مماثلةٍ له فى صفاته وخصائصه ؛ فحيثُ عجزتم عن ذلك دَلّ على أنه ليس من كلام البشر . ﴿ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ ﴾ دعاءه والاستعانةَ به من آلهتكم أو من غيرها . ﴿ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فى أنى افْتَرَيْته .

٣٩ - ﴿ بَلْ كَذَّبُوا .. ﴾ أى فما أجابوا وما قدَرُوا ، بل سارعوا إلى تكذيبه من غير أن يتدبّروا ما فيه ، ويقفوا على ما فى تضاعيفه من الأدلّة على صدقه ، وأنه كلامُ ربِّ العالمين . ومسارعةُ الإنسان إلى تكذيب ما لم يُحِط به علمًا من أفحش الجهل ! ﴿ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾ أى ولم يعرفوا معانيه المنبئةَ عن عُلُوّ شأنه مع انسياقها إلى النفوس بنفسها بمجرّد التأمّل والتدبُّر . فالتأويلُ : بمعنى التفسير . والإتيانُ مجازٌ عن المعرفة . أوْ ولمْ ينتظروا وقوعَ ما

وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ
مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم
مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟
لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى
ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ
شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ
كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ
قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾
وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا
مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ
أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ
وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن
كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا
نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ
فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ

أخبر به من الأمور المستقبَلَة مع توقُّعه. ومسارعتُهم إلى التكذيب دون انتظار ذلك مع قيام تلك الأدلة على صدقه ـ غايةٌ فى الجهالة! فالتأويلُ: بمعنى وقوع مدلوله، وهو عاقبته وما يئول إليه.

٤١ ـ ﴿لِى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ لى ثمرةُ عملى، ولكم ثمرةُ أعمالِكم من الثواب والعقاب يوم الحساب.

٤٣ ـ ﴿يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ يعاين دلائل نبوتك الواضحة.

٤٥ ـ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ..﴾ ويومَ يَجمعهم فى موقف الحساب كأنهم لم يلبثوا فى الدنيا إلا بُرهةً يسيرةً من نهار. والمرادُ بهذا التّشبيه: بيانُ تأسّفهم وتمنّيهم طولَ مكثهم قبل ذلك؛ لهَوْل ما يروْن مما لم يكونوا متوقّعين له. ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يعرف بعضهم بعضًا فى هذا الموقف؛ كأنهم لم يتفارقوا إلا قليلاً.

٤٦ ـ ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ..﴾ أى وإن أريناك فى حياتك بعضَ ما نَعِدُهم به من العذاب فذاك؛ وإن توفّيناك قبلَ أن نريكَ فسنريكَه فى الآخرة.

٤٧ ـ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ..﴾ ولكلّ أمّة مكلفةٍ بشريعةٍ رسولٌ يأتى يومَ القيامة يشهد عليها بالبلاغ والكفر والإيمان؛ فإذا شهد بذلك قُضى بينها وبينه بالعدل؛ فحُكِم بنجاة المؤمن وعقاب الكافر. ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل فى الدنيا أو يوم الجزاء. ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئًا أصلاً فى ذلك القضاء.

٤٩ ـ ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ جوابٌ آخر عن استعجالهم العذاب [آية ٣٤ الأعراف ص ٢٠٣].

٥٠ ـ ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ..﴾ أى قل لهم: إنّ عذابكم أمرٌ محتوم، له أجَلٌ معلوم، سنّةَ الله فى الذين خلوْا من قبلكم؛ فأخبرونى إنْ حلّ بكم بغتةً، فى

إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ * وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى

ربع الحزب

أيّ وقتٍ وفى أيّ حالة كنتم عليها : ـ أيّ نوعٍ من أنواعه تطلبونه على عَجَلٍ ؟! والمرادُ تقريعُهم على الاستهزاء بالوعيد وعلى استعجال العذاب ، وتهويلُ أمر العذاب الذى سيحلّ بهم عما قريب . و ﴿ بَيَاتاً ﴾ أى وقتَ بياتٍ ، وهو الليل . [آية ٤ الأعراف ص ١٩٨] .

٥١ ـ ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ﴾ أى أبعد ما وقع العذاب وحلّ بكم ﴿ آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ ﴾ حين لا ينفعكم الإيمان ﴿ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ والمقصودُ الإنكارُ عليهم فى تأخير الإيمان إلى هذا الحدّ . وهمزةُ الاستفهام داخلةٌ على « ثم » المفيدةِ للتراخي . والاستفهامُ للتقريع والتوْبيخ .

٥٣ ـ ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ ﴾ يستخبرونك عن العذاب الموعود . يقال : استنبأتُ زيدًا عن عمرو ، أى طلبت منه أن يخبرنى عنه . ﴿ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ أى نَعَمْ وربّى إنه لحقٌّ واقعٌ . ولا تستعمل « إى » حرفَ جوابٍ بمعنى نعم إلّا مع القَسَم خاصّةً . ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ [راجع آية ١٣٤ الأنعام ص ١٩١] .

٥٤ ـ ﴿ وأسَرُّوا النَّدَامَةَ ﴾ أى أخفَوْا آثارَ الغَمّ والأَسَف على ما فعلوا من الظلم ، كالبكاء والعويل وعضّ الأيدى ، فلم يظهروها لشدّة حَيرتهم وذهولهم حين رأوْا الأهوال الشّداد .

٥٩ ـ ﴿ أَرَأَيْتُمْ ﴾ أخبرونى ما خلقه الله لأجل نفعكم من الأرزاق فبَعّضْتموه ، وجعلتم منه حرامًا كالبَحيرة والسّائبة ، وحلالاً كالميتة ، أأذن لكم الله فيه ؟ أم تفترون على الله الكذب بنسبة ذلك إليه ؟! و « قُلْ » الثانيةُ للتأكيد . ﴿ أَذِنَ لَكُمْ ﴾ أعلمكم بهذا التحليل والتحريم . ﴿ تَفْتَرُونَ ﴾

ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن

تكذبون فى نسبة ذلك إليه .

٦١ - ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ﴾ فى أمر معتنًى به ؛ من شَأَنَهُ - بالهمز - يَشْأَنُه - إذا قصده ؛ فهو مصدرٌ بمعنى المفعول . ﴿وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ﴾ أى وما تتلو قرآنًا من أجل الشأن الذى نزل بك . و«مِن» الأولى تعليليَّة ، والثانيةُ مزيدةٌ للتأكيد . ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ أىَّ عمل كان ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ رُقباءَ مطّلعين عليه حافظين له ؛ لإحاطة علمنا بكل شيء . ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ تَشرعون فيه ، وتتلبّسون به . وأصلُ الإفاضة : الاندفاعُ بكثرة أو شدّة . ثم أقام - جلّ شأنه - البرهانَ على إحاطة علمه بالجزئيّات أو الكلّيات بقوله : ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ﴾ ما يَغيب ويَخفَى عنه تعالى أصغرُ شيء فى الوجود والإمكان . يقال : عَزَب الشيءُ يَعْزِب ويعْزُبُ ؛ غاب وخفِيَ فهو عازب . و (المِثقَال) : ما يوازن الشيء . والذَّرّةُ : النّملةُ الحمراء الصغيرةُ جدًّا . أو الهبَاءةُ التى تُرى فى شُعاع الشّمس الداخل من النافذة .

٦٢ - ﴿إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ﴾ بيانٌ لأحوال أولياء الله المخلصين ، وهم عبادُه الذين يتولّوْنه بالطّاعة ويتولّاهم بالكرامة . جمعُ وَلِيٍّ ، وهو ضدّ العدوّ ؛ فهو المحبُّ . ومحبَّةُ العباد لله طاعتُهم له . ومحبّتُه لهم إكرامُه إيّاهم . وأصلُه من الوَلْى بمعنى القُرْب . وهؤلاء لا يخافون حين يخاف الناس ، ولا يحزنون إذا حَزِن الناس يوم القيامة .

٦٤ - ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ﴾ لا تبديلَ لأقواله تعالى ، التى من جُملتها ما بَشّر به المؤمنين المتّقين .

٦٥ - ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلهِ جَمِيعًا﴾ كلامٌ مستأنَف لتعليل النّهى عن الحزن . أى إن الغلبةَ الشاملةَ ، والقوّةَ الكاملةَ ، والقُدْرةَ التّامةَ لله تعالى وحده ؛ فهو ناصرُك ومعينُك ؛ فلا يَحزُنك ما يقولون فيك وفى القرآن ، وما يدبّرونه فى أمرك .

٦٦ - ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ ...﴾ أى ما يتّبع هؤلاء المشركون شركاءَ فى الحقيقة ، وإن ظنُّوها شركاء جهلاً منهم وسفهًا . ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يحزُرون ويقدّرون أنهم شركاء ؛ فهو مجرّد تخمين . أو يكذِبُون فيما نسبوه إلى الله من ذلك [آية ١١٦ الأنعام ص ١٨٨] .

٦٧ - ﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ ...﴾ بيانٌ لتفرُّده تعالى

فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِي ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ * وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ



بالقدرة الكاملة ، والنعمةِ الشاملة ، ليَدُلَّهم على تفرُّده باستحقاق العبادة .

٦٨ - ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيها له تعالى عما نسبوه إليه . ﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا﴾ أي ما عندكم حجةٌ وبرهانٌ على ما زعمتم من اتخاذه تعالى ولَدًا ؛ حيث قلتم : الملائكةُ بناتُ الله . وقالت اليهودُ : عزيرٌ ابنُ الله . وقالت النصارى : المسيحُ ابنُ الله .

٧١ - ﴿كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي﴾ عظُمَ وشَقّ عليكم قيامي ، أي وجودي بينكم ، أو إقامتي بين أظهركم ، أو على دعوتكم مدّةً طويلة ؛ فهو اسم مكان ، أو مصدرٌ ميميّ . ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ﴾ اعزمُوا وصمّمُوا على إهلاكي . يقال : أجمع أمرَه وأجمع عليه ، أي عزَمَهُ وصمّم عليه . وأصلُه جعلُ أمره مجموعًا بعد ما كان مفرَّقًا . ﴿وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ أي مصاحبين لهم في العزم على إهلاكي . ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ﴾ ثم لا يكن أمرُكم مستورًا عليكم بل أظهروه وجاهروني به ؛ فإن السّتر إنّما يُصار إليه ابتغاء الهرب أو نحوه ؛ وذلك محالٌ في حقّي ؛ فلم يكن للسّتر وجه . والغُمَّةُ : السَّتْر ؛ من غمّه إذا ستره . و «عَلَيْكُمْ» متعلّق بـ «غُمّة» . ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ ..﴾ أدُّوا إليّ ذلك الأمرَ الذي تريدون بي ؛ كما يؤدِّي الرجلُ دَيْنَه إلى غَرِيمه ؛ من القضاء بمعنى الأداء . يقال : قَضَى دَيْنه ، إذا أدَّاه . ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾ ولا تمهلوني بل عجّلوا أشدّ ما تقدرون عليه ! والكلامُ خارجٌ مخرج التهكُّم .

٧٣ - ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ﴾ وصيّرنا النّاجين يخلُفون في الأرض

وَجَعَلْنَـٰهُمْ خَلَـٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَـٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَـٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَـٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَـٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّـٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ

مَن هلكوا بالطُّوفان .

٧٤ ـ ﴿نَطْبَعُ﴾ أى مِثْلَ ذلك الطبع المحكَم نطبع على قلوب المتجاوزين للحدود فى الكفر والفساد ، وذلك بخذلانهم وتخليتهم وشأنهم لانهماكهم فى الضلال . والطَّبعُ : الختمُ والاستيثاق .

٧٨ ـ ﴿لِتَلْفِتَنَا﴾ لتصْرِفَنا وتلوينا ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ من الدِّين . واللَّفْتُ : الصَّرفُ والليُّ . يقال : لَفَته يَلْفِته لَفْتًا ، صرفه إلى ذات اليمين أو الشِّمال . ولفَت الشيءَ وفَتَله : لواه عنه وصرفه .

٨٣ ـ ﴿وَمَلَئِهِمْ﴾ أى أشرافِ قومهم . ﴿أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾ أى يبتليَهم ويعذِّبهم ليحملَهم على الرجوع عن الإيمان ؛ من الفتْن [آية ١٠٢ البقرة ص ٢٥] .

٨٥ ـ ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾ أى موضعَ عذاب لهم ؛ بأن تسلِّطهم علينا فيعذِّبونا أو يفتِنونا عن ديننا .

٨٧ ـ ﴿أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا﴾ أى اتَّخذَا لهم مباءةً ، أى بيوتًا بمصرَ يسكَنون فيها . يقال : بوّأت له مكانًا ، سوّيته وهيّأته له . وتبوَّأ المكانَ : اتَّخذه مباءةً ؛ ومنه (تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ)[1] ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ أى مصلَّى تُصلُّون فيها سرًّا بعد أن خرّب فرعونُ كنائسَكم ؛ حتى تأمنوا وتظهروا على فرعونَ وقومه .

٨٨ ـ ﴿اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ أَهلكها . أو امْحُ أثرها . يقال : طَمَس يطمِس ويطمُس طموسًا ، دَرَسَ وامَّحَى أثره . ﴿وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ اربط عليها واطبع وقسِّها حتى لا تلينَ ولا تنشرحَ للإيمان ؛ من الشَّدِّ على الشَّيْءِ للاستيثاق منه .

(١) آية ١٢١ آل عمران .

عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ
لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ
يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم
مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا
فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا
لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ
وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ
فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا
لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ
عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾
قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ
فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ
ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟
إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ
قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ
لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ
عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ

٩٠ - ﴿ بَغْياً وَعَدْواً ﴾ ظلماً واعتداءً . يقال : بغَى عليه بغْياً ، إذا علا وظلم . وعَدَا عليه عَدْوًا وعُدوانًا : ظلمه ؛ كتعدَّى واعتدَى .

٩١ - ﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾ أى آلآن تؤمن حين يئستَ من الحياة وأيقنتَ الموت !؟ فالظَّرفُ متعلِّقٌ بمحذوف يقدَّر مؤخَّرًا . والاستفهامُ للتوبيخ والإنكار ؛ لتأخيره الإيمانَ إلى وقتٍ لا يُجدى فيه نفعًا لعدم قبوله .

٩٢ - ﴿ءَايَةً﴾ عبرة ونكالا .

٩٣ - ﴿بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ أسكناهم وأنزلناهم منزلَ كرامةٍ ، ومكانًا صالحًا مرضيًّا . وإضافتُه إلى الصِّدق للمدْح ؛ كما فى : قَدَم صدقٍ . ورَجُل صدقٍ .

٩٤ ، ٩٥ - ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ﴾ الخطابُ فى هذه الآية وفى قوله بعدُ : (فَلَا تَكُونَنَّ) (وَلَا تَكُونَنَّ) للرسول صلى الله عليه وسلم والمرادُ غيره ؛ كما فى نظائرها . ﴿ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكِّين المتزلزلين .

٩٨ - ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾ «لَوْلَا» للتحضيض كهَلا ؛ وفيه معنى التوبيخ والنّفى . أى فهلّا كانت قريةٌ من القُرَى التى أُهلكت هلاكَ الاستئصال ، آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخِّر إيمانَها إلى حين معاينته كما أخَّر فرعونُ إيمانَهُ - فنفعها ذلك ! بأن يقبله الله منها

مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ
جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا
كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا
إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ
جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ
الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ
الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا
إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ
لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ
حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾
قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي
الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ
إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّي
مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا ۚ
كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ

ويكشفَ عنها العذابَ بسببه. لكنّ قومَ يونس لم يَجْرُوا على سنّة أسلافهم، بل بادروا إلى الإيمان قبل نزول العذاب حين رأَوْا أماراته، فقَبِل الله إيمانَهم، وكشف عنهم العذاب ومتّعهم إلى حين. ﴿عَذَابَ الْخِزْيِ﴾ الذل والهوان.

٩٩ - ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾ أى لكنه لم يشأ ذلك؛ لكونه مخالفًا للحكمة التى بُنِيَ عليها أساسُ التكوين والتشريع.

١٠٠ - ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ ..﴾ أى وما كان لنفس عَلِم الله تعالى أنها لا تؤمن، أن تؤمن فى حالٍ من الأحوال؛ كسلامة العقل وصحة البدن وغيرهما - إلا فى حال ملابستها إرادةَ الله أن تُؤمن. وإرادتُه تابعةٌ لعلمه به، وعلمُه به محالٌ؛ لتعلّقه بنقيضه وهو عدم الإيمان، فيلزم انقلابُ العلم جهلاً، فتكونُ إرادتُه ذلك محالاً، فيكون إيمانُها محالاً؛ إذ الموقوفُ على المحال محالٌ. ذكره العلامة الآلوسيّ. ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ﴾ العذابَ أو الكفر، أو الخذلان الذى هو سبب العذاب. وأصلُه الشيء المستقذَر.

١٠٥ - ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ ..﴾ وأُوحِيَ إليّ أن أقم نفسك على دين الإسلام، مقبلاً بوجهك عليه غير ملتفتٍ إلى سواه. ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً إليه.

إن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

١٠٨ ـ ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ أي بحفيظ أحفظ أعمالكم وأجازيكم عليها ؛ إنما أنا بشيرٌ ونذير . والله أعلم .

(١١) سُورَةُ هُودٍ مَكِّيَّة

إلا الآيات ١٢ و ١٧ و ١١٤ فمدنية
وآياتها ١٢٣ نزلت بعد سورة يونس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ

سورة هود

١ ـ ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ هذا كتابٌ نُظمت آياتُه تنظيمًا محكمًا متقنًا ، لا يتطرّق إليه نقصٌ ولا خَلَل ؛ مِن الإحكام وهو الإتقان ؛ كالبناء المحكَم الرّصيف . يقال : أَحكمتُ الشيء ، أتقنتُه فاستحكم . ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ جُعلت مفصّلةً كالعقد المفصّل بالفرائد . أو فُرِّقت فى التنزيل ؛ فنُزِّلت نجومًا على حسب

يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾ * وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾

الوقائع والمصالح. و «ثُمَّ» على الأوّل للتّرتيب الإخبارى. وعلى الثانى للتّرتيب الزّمانى.

٢ - ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ﴾ أى أُحكمت وفُصّلت لِتُمْحِضوا العبادةَ لله تعالى؛ فإن الإحكام والتّفصيل يدعوهم إلى الإيمان والتوحيد وما يتفرّع عليه من الطاعات.

٣ - ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا ..﴾ معطوفٌ على «أَلَّا تَعْبُدُوا» أى ولاستغفاركم ربَّكم من ذنوبكم، ولإخلاصكم فى توبتكم منها. و «أَنْ» مصدريّةٌ، وهى تُوصَل بالأمر والنّهى كما تُوصَل بغيره.

٥ - ﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ يطوُونها على ما يستِرونه من العداوة والبغضاء؛ مِن ثَنَيْتُ الثوبَ، إذا طوَيتُه على ما فيه من الأشياء المستورة. نزلت فى الأَخْنَس بن شَرِيق من منافقِى مكّةَ، وكان رجلاً حُلوَ المنطق، حسنَ السّياق للحديث، يُضمر للرسول صلى الله عليه وسلم الكراهةَ، ويطْوى صدرَه على بُغْضه، ويُظْهرُ له المحبةَ والمودّةَ؛ ويظن أنَّ ذلك يخفَى على الله تعالى. ﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ من الله تعالى جهلا منهم. ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ..﴾ أى ألا حين يبالغون فى الاستخفاء، كمن يجعلون ثيابَهم أغشيةً لهم حتى لا يَظهر منهم شىء! ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ أى يعلم الله سرَّهم وعلانيتَهم فيجازيهم على نفاقهم ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

٦ - ﴿وَمَا مِنْ دَآبَّةٍ ..﴾ بيانٌ لإحاطة علمه بكل شىء. ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ موضعَ قرارها فى الأصلاب ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ موضعَ استيداعِها فى الأرحام، وما يجرى مجراهما من البَيْض ونحوه.

٧ - ﴿وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ ..﴾ [آية ٥٤ الأعراف ص ٢٠٧]. ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ أى ليس تحت عرشِه غيرُ الماء قبل خلق السموات والأرض. ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ أى خلق السموات والأرضَ وما فيهما الذى منه أنتم، ورتَّب فيهما جميعَ ما تحتاجون إليه من مبادئ وجودكم وأسبابِ معاشكم؛ ليعاملكم معاملةَ من يختبر غيرَه؛ ليتميّز المحسنُ من المسيىء، والمطيعُ من العاصى. ويظهر للنّاس حاله فى الدنيا وفى يوم الحساب. ويجرى حُكْمُ القضاء الإلٰهىّ فى أمره على حسب ما يظهر من حاله. ﴿أَيُّكُمْ

وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ

﴿أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ أي بطاعة الله . وأوْرَعَ عن محارمه ؛ فيجازيكم على أعمالكم .

٨ - ﴿أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾ طائفةٍ من الأيام معلومةٍ أو قليلة . [آية ١٠٤ آل عمران ص ٩٠] . ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ أحاط بهم العذابُ الذى كانوا يستعجلونه استهزاءً .

٩ - ﴿إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ﴾ أى لشديدُ اليأس من أن يعود إليه مثلُ ما سُلب منه ، كثيرُ الكُفران لما سلف له التقلّب فيه من النعم . يقال : يئس من الشيء يَيْأس : إذا قَنِط منه .

١٠ - ﴿ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾ نائبة ونكبة أصابته . ﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ بَطِرٌ بالنعمة مُغْترٌّ بها ، كثيرُ التّعاظُم على الناس بما أُوتى منها . مشغولٌ بذلك عن القيام بحقّها .

١١ - ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ استثناءٌ منقطِع .

١٢ - ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ ..﴾ أى فلعلّك تاركٌ تبليغَ بعضِ ما يوحَى إليك ؛ وهو ما يثير غضبَ المشركين ، وضائقٌ بتبليغه صدرُك ؛ مخافةَ تكذيبهم واستهزائهم بقولهم : هلّا أُعطِىَ مالاًكثيرًا يغتنِى به ! وهلّا جاء معه ملَك يصدِّقه ويشهد له بالنُّبوّة ! فَدُمْ على التّبليغ ولا تَضِق بأمرهم ذرْعًا ؛ فما عليك إلّا الإنذار وعلينا الحساب . و «لعلّ» للترجّى والتوقُّع ؛ ولا يلزم من توقُّع الشيء وقوعُه ، فقد يمتنع لمانع ، وهنا لا يتوقَّع منه صلى الله عليه وسلم ترك تبليغ شيء مما أُوحىَ إليه ، ولا ضِيقِ الصّدر به ؛ لثبوت عِصمته من ذلك . وفى الآية تنديدٌ بالمشركين وإنذارٌ لهم بسوء العاقبة ، وحَثٌّ له على عدم المبالاة بهم . ﴿وَكِيلٌ﴾ قائم به حافظ له .

١٣ - ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ أى بل أيقولون اختلق محمدٌ القرآن من تلقاء نفسه ؛ فتحدّاهم الله بقوله : ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ﴾ فى البلاغة ﴿مُفْتَرَيَاتٍ﴾ مختلَقاتٍ من عند أنفسكم إن صحّ أنّى

ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾

اختلقته من عند نفسى ! فإنكم عربٌ فصحاء بُلغاء. وقد وقع التّحدّى بالقرآن كلِّه كما فى سورة الإسراء، ثم بعشر سُوَر كما هنا، ثم بسورة واحدة كما فى سورتَى البقرة [آية ٢٣ ص ٩] ويونس [آية ٣٨ ص ٢٧٧]. وقد عجزوا عن الإتيان بمثْل أقصر سورة منه؛ فدلّ على أنه منزَّلٌ من عند الله تعالى.

١٥ ـ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ نزلت فى الكفار الذين يعملون أعمالاً صالحة فى الدنيا مع تشبُّثهم بالكفر؛ فهؤلاء يعجِّل الله لهم ثوابَها كاملاً فى الدنيا، بسطةً فى الأموال والأولاد والجاه والسلطان؛ وليس لهم فى الآخرة إلا النارُ جزاءً على كفرهم. ﴿لَا يُبْخَسُونَ﴾ أى لا يُنقصون؛ من البَخْسِ وهو نقصُ الحق ظلمًا.

١٦ ـ ﴿وَحَبِطَ﴾ أى بَطل فى الآخرة ﴿مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا﴾ أى فى الدنيا. يقال: حَبِطَ ـ كسَمِعَ وضَرَبَ ـ حَبْطًا وحُبُوطًا، بَطَل. وأحبط الله عمله، أبطله.

١٧ ـ ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ..﴾ بيانٌ لحال الذين يريدون بأعمالهم وجهَ الله تعالى، إثْر بيانِ حالِ أضدادهم الذين يريدون بأعمالهم الحياةَ الدنيا. أى أفمن كان على برهان جَلِىّ من ربِّه يدلُّ على حقيَّة الإسلام وهو القرآن، ويؤيّده ويقوِّيه شاهدٌ منه على كوْنه من عند الله وهو إعجازه فى نظمه، وكتابُ موسى من قبله ـ كمن ليس كذلك !؟ لا يستويان؟ والبيِّنةُ: القرآنُ. والتُّلُوُّ: التبعيّةُ بمعنى التقوية. والشاهدُ: إعجازُه، والتوراةُ المؤيِّدةُ له. والضميرُ فى «منه» للقرآن؛ لإفادة أنّ إعجازَه وصفٌ ثابتٌ له فى ذاته غيرُ خارج عنه. و «مِن قَبْلِهِ» حالٌ من «كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ» المعطوف على «شَاهِدٌ». ﴿شَاهِدٌ﴾ على تنزيله وهو إعجاز نظمه. ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ أى فى شكّ من كوْن القرآن نازلا من عند الله. أو من أنّ موعدَهم النارُ. والخطابُ للرسول والمرادُ أمّته؛ كما فى نظائره. أو لكلِّ من يصلح للخطاب. والمرادُ: التّحريضُ على النظر الصحيح المزيلِ للشك.

١٨ ـ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ..﴾ بعد أن بيَّن الله تعالى حالَ المؤمنين المتّصفين بالصِّفة الحميدة السابقة، بيَّن حال الكافرين؛ وذكر من أوصافهم أربعةَ عشرَ وصفًا؛ أوّلُها: افتراءُ الكذب، وآخرُها: الخسران فى الآخرة؛ كَذَبوا على الله تعالى بنسبة ما يستحيل عليه من الشّريك والولد. ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ أى

ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ * مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن



الحاضرون فى موقف العَرْض والحساب ، وهم الملائكة مطلقًا ، أو الحفَظَةُ منهم ، أو الملائكةُ والأنبياءُ والمؤمنون . جمعُ شاهد أو شهيد ، بمعنى حاضر .

١٩ ـ ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾ ويطلبون سبيلَ الله معوَّجَةً [آية ٩٩ آل عمران ص ٨٩] .

٢٠ ـ ﴿لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِى الْأَرْضِ﴾ أى مفلتين أنفسَهم من عذابه لو أراد الله ذلك .

٢٢ ـ ﴿لَا جَرَمَ ..﴾ وردت هذه الكلمة فى القرآن فى خمسة مواضعَ متلوَّةً بـ «أنَّ» واسمها ، وليس بعدها فِعْلٌ . وجمهورُ النحاة على أنها مركَّبةٌ من «لا» و «جَرَم» تركيبَ خمسةَ عشَرَ ، ومعناها بعد التركيب معنى فِعْل ؛ وهو : حقَّ وثبتَ ، والجملةُ بعدها فاعله . أىْ حقّ وثبت كونُهم فى الآخرة هم الأخسرون . وقيل : إن «لا» نافيةٌ للجنس ، و «جَرَم» اسمُها ، وما بعدها خبرُها . والمعنى : لا محالَة فى أنهم فى الآخرة هم الأخسرون ، أى فى خسرانهم .

٢٣ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ..﴾ بيانٌ لأحوال المؤمنين فى الدنيا وربْحِهم فى الآخرة ، إثْرَ بيانِ أحوالِ الكافرين فى الدنيا وخسرانهم فى الآخرة . ﴿وَأَخْبَتُوا﴾ أى اطمأنّوا وخشَعُوا . وأصلُ الإخبات : نزولُ الخَبْتِ ، وهو المطمئنُّ من الأرض ، ثم أُطلق على الاطمئنان والخشوع ؛ تشبيهـاً للمعقـول بالمحسوس ، ثم صار حقيقةً فيه ، ويُعَدَّى بإلى وباللّام .

٢٥ ـ ﴿إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ أى قائلاً لهم ذلك .

٢٦ ـ ﴿أَلاَّ تَعْبُدوا إِلاَّ اللهَ﴾ أى أرسلناه بألّا تعبدوا غير الله تعالى . ﴿عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم .

رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾

ونسبةُ الإيلام إلى اليوم مجازٌ لوقوع العذاب فيه ؛ كما في : نهارُه صائمٌ .

٢٧ ـ ﴿فَقَالَ الْـمَلأُ﴾ الأشرافُ والسّادةُ [آية ٢٤٦ البقرة ص ٥٩] ﴿بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ أى إنسانًا مُماثلاً لنا ، ليس فيك مزيّةٌ تخصّك من بيننا بالنبوّة ! ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ أى اتّبعوك ظاهرًا لا باطنًا . أو فى أوّل الرأى من غير تفكّر وتثبُّت ، ولو تفكّروا ما اتّبعوك . و «بَادِيَ» على الأوّل من البَدْو بمعنى الظهور ؛ يقال : بدا الشيءُ بَدْوًا وبُدُوًّا وبَداءً ، ظهر . وعلى الثانى من البَدْء ؛ يقال : بدأ يَبْدأ ، إذا فعل الشيء أوّلاً . والياءُ مبدَلةٌ من الهمزة لانكسار ما قبلها . ﴿مِنْ فَضْلٍ﴾ زيادةٍ فى شيء تؤهّلكم لاتّباعنا لكم .

٢٨ ـ ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبرونى [آية ٤٠ الأنعام ص ١٧٤] . ﴿عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ حُجّةٍ وبرهانٍ يشهد لى بالنُّبوّة والصِّدق . ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ أُخفيت عليكم عقوبةً لكم . والضميرُ للبيِّنة ، أو للرحمة بمعنى النبوّة . يقال : عُمِّيَ عليه الأمر ؛ أى أُخفي عليه حتى صار هو بالنسبة إليه كالأعمى . وقرئ «عَمِيَتْ» أى خَفِيَت .

٢٩ ـ ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ ..﴾ أى لا أطرد المؤمنين الذين اتّبعونى ، ووصفتموهم بأنهم أراذلُ وأخسّاء ، كما طلبتم منّى ذلك أَنَفةً من مجالستهم ، واستكبارًا عن الانتظام فى سِلْكهم ! ﴿إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ﴾ لقاءَ فوزٍ ورضوان .

٣١ ـ ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ أى خزائنُ رزقِه وماله . رَدٌّ لقولهم : ﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ . ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ رَدٌّ لقولهم : ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ ..﴾ الآية . ﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ رَدٌّ لقولهم : ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾ . ﴿تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ﴾ تستحقرهم وتستصغرهم ؛ من الازدراء وهو الإعابة . يقال : ازْدراه إذا عابه . وزَرَى عليه زَرْيًا وزرايةً : إذا حقّره . وأزرَى به : أدخل عليه عَيْبًا .

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ * وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾



٣٣ ـ ﴿ وَمَا أَنْتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ بمصَيِّرِيه سبحانه عاجزاً بالهرب من عذابه .

٣٤ ـ ﴿ أَن يُغْوِيَكُمْ ﴾ يضلكم .

٣٥ ـ ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾ أي بل أيقول قومُ نوح : إنه اختلق ما جاء به من عند نفسه ونسبه إلى الله تعالى ! فهو من قصّة نوح . ﴿ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي ﴾ فعليّ عقابُ إجرامي . أي عقابُ اكتسابِ الذّنب . والإجرامُ : اكتسابُ الذّنب . يقال : أجرم وجَرَم واجترم ، بمعنى اكتسب الذنب وافتعله .

٣٦ ـ ﴿ فَلَا تَبْتَئِسْ ﴾ فلا تحزن بما كانوا يفعلون في هذه المدة الطويلة ، من التكذيب والاستهزاء والإيذاء ؛ فقد حان وقتُ عقابهم . يقال : ابتأس فلانٌ بالأمر ، إذا بلغه ما يكرهه . والمبتئِسُ : الكارهُ الحزين . وأصلُه من البؤس وهو الحزن .

٣٧ ـ ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ أي واصنع السفينةَ بمرأى منّا ـ أو محفوظًا بكِلَاءتنا ـ أو اصنعْها بعلْمنا . والفُلْكُ يكون واحدًا فيُذكَّر ـ وجمعًا فيؤنَّث .

٣٨ ـ ﴿ سَخِرُوا مِنْهُ ﴾ استهزؤوا به ؛ لصُنعه السفينة . يقال : سَخِر منه وبه يَسْخَر سَخَرًا وسُخْراً ، هَزِئ . والاسمُ السُّخْرِيَةُ .

٣٩ ـ ﴿ يُخْزِيهِ ﴾ يذله ويهينه .

﴿ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ .. ﴾ أي يجب عليه عذابٌ دائمٌ . يقال : حَلّ عليه أمرُ الله يَحِلّ حُلُولاً ـ وَجب .

٤٠ ـ ﴿ جَاءَ أَمْرُنَا ﴾ نَزَل عذابُنا . ﴿ وَفَارَ التَّنُّورُ ﴾ نَبَع الماء منه وارتفع بشدّة ؛ كما تفور القِدر عند غليانها . وكان ذلك علامةً لنوحٍ على بدء الطوفان .

والتَّنُّورُ : الكانُون يُخبَز فيه . وقيل : هو وجهُ الأرض ؛ والعربُ تُسمِّي وجهَ الأرض تَنُّوراً . أو أعلى الأرض وأشرفها . وهو لفظٌ مُعرَّب . وقيل عربيّ . والمشهورُ : أنه مما اتّفقت فيه اللغتان كالصابون .

٤١ ـ ﴿ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾ بفتح

قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟

الميم الأولى مع الإمالة ، وبضمّ الميم الثانية ، مصدران من جَرَى وأرْسَى ؛ أى باسم الله جَرْيُهَا وإرساؤها

٤٢ - ﴿فِى مَوْجٍ﴾ المَوْجُ : ما ارتفع من ماء البحر عند اضطرابه . وأصلُه من ماج يموج إذا اضطرب .

٤٣ - ﴿سَآوِى﴾ سألتجئ وأستند . ﴿لَا عَاصِمَ﴾ لا مانع ولا حافظ .

٤٤ - ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ..﴾ القوْلُ فى هذه الآية مجازٌ عن تعلّق القدرة بزوال الماء وبهلاكهم ؛ كما قيل فى قوله تعالى : (يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)[1] . ﴿وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِى﴾ أمسكى عن إرسال المطر . يقال : أقلعَ عن عمله إقلاعًا ، كفّ عنه . وأقلعَتْ عنه الحُمّى إذا تركته . ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾ نَقَص . يقال : غاض الماءُ يغيض ، قلَّ ونَضَب . ﴿الْجُودِىِّ﴾ جبلٌ بالمَوْصل . ﴿بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ هلاكاً لهم . يقال : بَعُدَ بُعْدًا ، بمعنى هلك ؛ قال تعالى : (أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ)[2] أى ألا هلاكًا لمَدْيَنَ كما هلكت ثمود . وبعض العرب يقول فى المكان : بَعُدَ - بالضم ، وفى الهلاك : بَعِدَ - بالكسر ، ويذهب إلى أن استعمال المضموم فى الهلاك مجازٌ . ومثلُه يقال فى قوله تعالى : (أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ)[3] ، وقوله تعالى : (أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ)[4] .

٤٨ - ﴿وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ﴾ خيراتٍ ونِعَمٍ ثابتةٍ عليك . جمعُ بَرَكة ، وهى ثبوتُ الخير ونَماؤه وزيادته . واشتقاقُها من البَرْك ، وهو صدر البعير . يقال : بَرَك البعير ، إذا ألقى بَرْكه على الأرض

(١) آية ١١٧ البقرة . (٢) آية ٩٥ من هذه السورة . (٣) آية ٦٠ من هذه السورة . (٤) آية ٦٨ من هذه السورة .

اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾

وثَبت . ومنه البِرْكة ؛ لثبوت الماء فيها .

٥٠ ـ ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ ..﴾ [آية ٦٥ الأعراف ص ٢١٠] .

٥١ ـ ﴿فَطَرَنِى﴾ خلقني وأبدعني . يقال : فطَر الأمرَ : ابتدأه وأنشأه . وفطر اللهُ الخلقَ : خلقَهم . وأصلُ الفطْرِ : الشقُّ ، ثم استُعمل في الخلق والإبداع مجازًا .

٥٢ ـ ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِّدْرَاراً﴾ يُنزل المطر عليكم كثيرَ الدُّرور والتتابُع من غير إضرار ؛ وكانوا قد مُنِعوه سنين . [آية ٦ الأنعام ص ١٦٩] .

٥٤ ـ ﴿اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ أصابك بعض أصنامنا بجنون وخَبَل لِسبِّكَ إيّاها . يقال : عَراه الأمرُ واعتراه بمعنى أصابه . وأصلُه من قولهم : عراه يَعْروه ، أي غَشِيَه طالبًا معروفَه ؛ كاعتراه .

٥٥ ـ ﴿فَكِيدُونِى﴾ فاحتالوا في كيدي وضرى . ﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ لا تمهلوني بكيدكم ، بل عاجلوني بالعقوبة ؛ من الإنظار بمعنى الإمهال . قال ذلك لِعظَم وُثوقه بحفظ الله له ، وصوْنه من كيْد أعدائه .

٥٦ ـ ﴿آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ مالكُها وقاهرٌ لها . والأَخذ : التّناولُ بالقَهْر . والنّاصيةُ : منبتُ الشّعَر في مقدَّم الرأس ، ويُطلق على الشعر النّابت نفسِه . والكلامُ كنايةٌ أو مجازٌ عن القَهْر والغَلَبة ، وإن لم يكن هناك أخذٌ بالناصية . والعربُ إذا وصفوا إنسانًا بالذلة والخضوع لغيره قالوا : ما ناصيةُ فلان إلّا بيد فلان ؛ أي أنه في قبضته يصرِّفه كيف شاء .

٥٧ ـ ﴿حَفِيظٌ﴾ رقيب مهيمن .

٥٨ ـ ﴿جَاءَ أَمْرُنَا﴾ نزل عذابُنا وهو الريح ؛ قال تعالى : (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ . تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ)[1] . ﴿عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ شديدٍ

(١) آية ٢٠ القمر .

وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ * وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ

ثلاثة أرباع الحزب

مضاعَفٍ ، هو عذاب الآخرة .

٥٩ - ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ أي اتَّبع سِفْلَتُهم رؤساءَهم . والجبّارُ : المتعاظمُ المتكبِّرُ على العباد ، المُتَرَفِّعُ عن قبول الحق . والعنيدُ : المعانِدُ الذى لا يقبل الحقَّ ولا يتَّبعه . يقال : عَنَد عن الحقّ - من باب نَصَر وضَرَبَ وكَرُم - عُنُودًا ، إذا خالفه وردّه عارفًا به ؛ فهو عنيدٌ وعاندٌ .

٦٠ - ﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ﴾ هلاكًا لهم [آية ٤٤ من هذه السورة] .

٦١ - ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [آية ٧٣ الأعراف ص ٢١١] . ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ جعلكم عُمّارها وسُكّانها . يقال : أعْمَره المكانَ واستعمره ، جعله يَعْمُرُه . وأصلُه من العِمارة ضدُّ الخراب .

٦٢ - ﴿مُرِيبٍ﴾ مُوقِعٍ فى الرِّيبة ؛ أى القلق والاضطراب ، اسمُ فاعلٍ من أراب . يقال . أربتُه فأنا أُرِيبه ، إذا فعلتَ به فعلاً يوجب لديْه الرِّيبة . أو مُرِيبٍ بمعنى ذى ريبة ؛ من أراب اللازم ، أى صار ذا ريبة .

٦٣ - ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ غير أن تجعلونى خاسرًا هالكًا بإبطال أعمالى ، والتعرُّضِ لعذاب الله وسخطه . يقال : خسّره تخسيرًا : أهلكه .

٦٤ - ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ معجزةً دالّةً على صدقى فى الرسالة .

٦٥ - ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ فنحروها [آية ٧٧ الأعراف ص ٢١٢] .

٦٧ - ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [آية ٧٨ الأعراف ص ٢١٢] من الصِّياح ، وهو الصوت الشديد . يقال : صاح إذا صوّت بقُوّة . وأصلُ ذلك تشقيقُ الصَّوت ؛ من قولهم : انْصاح الخَشَبُ أو الثوبُ . إذا انشقّ فسُمع منه صوتٌ . ﴿فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ

ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾

جَاثِمِينَ ﴾ [آية ٧٨ الأعراف] .

٦٨ - ﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ كأن لم يلبثوا فيها أصلاً [آية ٩٢ الأعراف ص ٢١٤] . ﴿أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ﴾ هلاكًا لهم [آية ٤٤ من هذه السورة] .

٦٩ - ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ أى نُسلِّم عليك سلامًا . ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ أى سلام عليكم . ﴿بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ مَشْوِىٌّ على الحجارة المُحْمَاة فى حُفْرة من الأرض ؛ وهو من صُنع أهل البادية . يقال : حَنَذ الشاةَ يَحْنِذُها حَنْذًا ، شواها بهذه الطريقة ؛ فهى حَنِيذ .

٧٠ - ﴿نَكِرَهُمْ﴾ أنكرهم ونَفَر منهم . تقول : نكِرته أنْكَرُه نَكَرًا ونُكورًا ، وأنكرته واستنكرته ، إذا وجدتّه على غير ما تعهد فنَفَرت منه . ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أضْمَر من جهتهم خوفًا وفزعًا . وأصلُ الوَجْسِ : الصّوتُ الخفِىّ . والإيجاسُ : وجودُه فى النّفْس ؛ أُرِيدَ به الفَزَعُ الذى يقع فى القلب من صوت أو غيره .

٧١ - ﴿فَضَحِكَتْ﴾ سرورًا بزوال الخيفة عن إبراهيم وعنها ؛ إثْرَ قولِ المَلائكة : (لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ) .

٧٢ - ﴿يَا وَيْلَتَا﴾ كلمةٌ أرادت بها التّعجُّب ؛ لا الدّعاء على نفسها بالوَيْل والهلاك . وهى كثيرةٌ فى أفواه النساء إذا طرأ عليهن ما يتعجّبن منه .

٧٣ - ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ﴾ محمودٌ فى أفعاله . ﴿مَجِيدٌ﴾ كثيرُ الخير والإحسان . أو ذو الشّرف والكرم . والمَجْدُ : السَّعَةُ فى الكرم والجلال . يقال : مَجَد - كنَصَر وكَرُم - مجْدًا ومَجادةً ، أى كَرُم وشَرُف . وأمجده ومجّده : عظّمه وأثنى عليه . وأصلُه من مَجَدتِ الإبلُ وأمجدَتْ : إذا وقعت فى مرعًى كثيرٍ واسعٍ .

٧٤ - ﴿الرَّوْعُ﴾ بفتح الراء : الخوْفُ والفَزَع . يقال : راعه أى أفزعه ؛ كروَّعه .

٧٥ - ﴿لَحَلِيمٌ﴾ متأن غير

يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا

عجول ﴿أَوَّاهٌ﴾ [آية ١١٤ التوبة ص ٢٦٧] ﴿مُنِيبٌ﴾ راجع إلى الله سبحانه.

٧٧ - ﴿سِىٓءَ بِهِمْ﴾ أى ساءه وأحزنه حضورُهم ؛ لاعتقاده أنهم أناس ، فخاف أن يقصدَهم قومُه بالسوء وهو عاجزٌ عن مدافعتهم. ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ نَفِد طاقةً ووُسْعًا بسببهم ؛ فلم يجد من ذلك المكروه مَخلَصاً. والذَّرْعُ فى الأصل : مصدرُ ذَرَع البعيرُ بيديه يَذْرَع ، إذا سار مادًّا خطْوَه. مأخوذٌ من الذِّراع ، وهو العضو المعروف ؛ فإذا حُمل عليه أكثرُ من طَوْقه ضاق ذَرعُه عنه وضَعُف ومدّ عُنُقَه. فجُعل ضِيقُ الذرع كناية عن نفاد الوُسْع والطّاقة ؛ فيقال : ضاق به ذرعًا ، إذا لم يُطقه ولم يَقدر عليه و(ذرعًا) تمييزٌ مُحوَّل عن الفاعل ؛ أى ضاق بأمرهم ذرعُه. ﴿يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ شديدٌ شرُّه ، عظيمٌ بلاؤه ؛ من العَصْب وهو الشدُّ ؛ كأنه لشدَّة شره قد عُصِبَ به الشرُّ والبلاء ؛ أى شُدَّ به.

٧٨ ، ٧٩ - ﴿يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ أى يسوق بعضهم بعضًا إليه من شدّة فرحهم. يقال : هُرِعَ الرجلُ وأُهرِع ، إذا أعجل. ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى ..﴾ يرشدهم إلى نسائهم ؛ وأضافهنّ إلى نفسه لأنّ كلّ نبيٍّ أبو أُمّته من حيث الشّفقة والتّربية. ﴿وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ﴾ ولا تفضحوني وتذلوني فى أضيافى ؛ من الخزى [آية ٨٥ البقرة ص ٢٢]. وقولهم : ﴿مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ أى قد علمتَ أنّا لا أَرَبَ لنا فى النساء ، وما لنا فيهن كبير حاجة.

٨٠ - ﴿أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ أىْ أو أنّى ألجأ وأنْضَوى إلى عشيرة قويّة تمنعنى منكم. تقول : أوَيْتُ إليك فأنا آوى إليك أُوِيًّا ، بمعنى صرت إليك وانضممتُ. وإنما قال ذلك لأنه لم يكن من قومه نسبًا ؛ بل كان غريبًا فيهم. وجواب (لا) محذوفٌ ؛ أى لمنعتكم بالقوّة.

٨١ - ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ ..﴾ بقطع الهمزة ووصْلِها ؛ من أَسرَى وسَرَى ، ومعناهما : السَّيْرُ ليلاً. وقيل : أسرى سار أوّلَ الّليل. وسَرَى سار آخرَه. والقِطْعُ : الطائفةُ من الليل. أو ظلمةُ آخره.

٨٢ - ﴿جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾

جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ * وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾

حزب ٢٤

أى قلبنا قراهم ، وكانت عند حِمْص ببلاد الشام ، وأكبرها سَدُوم ، وهى المُؤْتفِكات المذكورةُ فى سورة التوبة. ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾ وأمطرنا على هذه القُرى بعد قَلْبها ﴿حِجَارَةً مِن سِجِيلٍ﴾ وهو حجرٌ وطينٌ مختلطٌ ؛ وهو لفظٌ عربيٌّ يُطلق على كل شديد صُلْب. وقيل مُعَرَّب. ﴿مَنضُودٍ﴾ متتابعٍ فى النزول ؛ من النَّضْد ، وهو وضعُ الشيء بعضه على بعض. يقال : نَضَد متاعه يَنْضِده ، جعل بعضه فوق بعض ، كنَضَّده ؛ فهو منضود ونَضيد ومنضَّد.

٨٣ - ﴿مُسَوَّمَةً﴾ مُعَلَّمةً فى حكم الله بسيما تتميَّز بها عن حجارة الأرض. وقد عُذِّب بها أصحابُ الفِيل.

٨٤ - ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾ [آية ٨٥ الأعراف ص ٢١٣] ﴿وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ أى آلتَى الكيل والوزن ، لا عند الأخذ ولا عند الإعطاء ؛ فلا تُعْطُوا غيرَكم ناقصًا ، ولا تزيدوا عن حقِّكم فيما تأخذونه ؛ فيكون نقصًا من مال غيركم. ﴿أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ﴾ بسعة تغنيكم عن التطفيف ﴿يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾ مهلك.

٨٥ - ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل بلا زيادة ولا نقصان. ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ..﴾ ولا تنقصوهم مما استحقّوه شيئًا. وهو تعميمٌ بعد تخصيص ؛ ليشمل غير المكيل والموزون ، كالمذروع والمعدود. ويشمل الجودة والرداءة. يقال : بخسه حقّه ، إذا نقصه. ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ..﴾ لا تسعوْا فى الأرض مفسدين. [آية ٦٠ البقرة ص ١٧] وقد كانوا يقطعون الطريق على السّابلة.

٨٦ - ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أى ما أبقى الله لكم من الحلال - بعد إيفاء الحقوق بالعدل - خيرٌ لكم مما تأخذونه بالحرام. اسمُ مَصْدرٍ من بَقِيَ ضدّ فَنِيَ. ﴿بِحَفِيظٍ﴾ برقيب فأجازيكم بأعمالكم.

٨٧ - ﴿أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ كان شعيبٌ عليه السلام كثيرَ الصلاة ، وكانوا يستهزئون به لذلك ويتضاحكون فقالوا له ذلك. ﴿أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا..﴾ أىْ وأن نترك فِعْلَنَا ما نشاءُ فى أموالنا من التطفيف وغيره. فهو عطفٌ على (ما) فى قوله : (مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا). و(أَوْ) بمعنى الواو. ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ وصفُوه بذلك تهكّمًا وسُخرية.

قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن

٨٨ - ﴿أَرَءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ أى أخبرونى. وجوابُ الشَّرط محذوف ؛ تقديره : فهل يَسعُنِى مع هذا الإنعام العظيم أن أخون فى وَحْيِه ، أو أخالفه فى أمْره ونَهْيه ! ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ..﴾ أى ما أريد بنَهْيِى إيّاكم عن البَخْسِ والتَّطفيف أن أنهاكم عنه ثم أفعله ! وإنما أختار لكم ما أختار لنفسى. يقال : خالفنى فلانٌ إلى كذا ، إذا قصده وأنت مُوَلٍّ عنه. وخالفنى عنه : إذا وَلَّى عنه وأنت تقصِده. ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ أرجع فى كل أمورى لا إلى غيره.

٨٩ - ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِى﴾ لا تكسِبَنَّكم مُعاداتى أن يصيبَكم مثلُ ما أصاب أسلافَكم المكذِّبين. [آية ٢ المائدة ص ١٤١].

٩١ - ﴿رَهْطُكَ﴾ الرَّهْط : اسمُ جَمعٍ ، يُطلق فى المشهور على العِصابة دون العشرة من الرجال ليس فيهم امرأةٌ. ورهطُ الرجل : قومه وقبيلته الأقربون.

٩٢ - ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ نبذتم أمر الله وراء ظهوركم ، وتركتموه كالشىء المُلْقَى الذى لا يُلتفت إليه. والظِّهْرِىُّ : نسبةٌ إلى الظَّهْر ؛ وأصلُه المَرْمِىّ إلى الظهر ، وكَسْرُ الظّاء فيه من تغييرات النسَب ، ثم توسَّعُوا فيه فاستعملوه للمنسِىِّ المتروك.

٩٣ - ﴿اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ على غاية تمكّنكم من أمركم ، وأقصى استطاعتكم [آية ١٣٥ الأنعام ص ١٩١]. ﴿ارْتَقِبُوا﴾ انتظروا العاقبة والمآل.

٩٤ - ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ [آية ٦٧ هذه السورة

لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ

و٧٨ ، ٩١ الأعراف ص ٢١٠]. ﴿جَاثِمِينَ﴾ هامدين ميتين لا يتحركون.
﴿لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ لم يقيموا فيها طويلاً فى رغد ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ﴾ [آية ٤٤ هذه السورة]. ﴿بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ هلكت من قبل.

٩٦ - ﴿سُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ برهان بيّن على صدق رسالته.

٩٨ - ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ﴾ يتقدّمهم ويقودهم إلى النار ، كما قادهم فى الدنيا إلى الكفر والضلال ؛ من قَدَمَ يقْدُم قُدْمًا وقُدُومًا ، أى تقدّم. ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ أدخلهم فيها بكفره وكفرهم. ﴿الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ المدخل المدخول فيه وهو النار.

٩٩ - ﴿بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ الرِّفْدُ : العطاء. يقال : رَفَده يَرْفِدُه رَفْدًا ، أعطاه. والرِّفْدُ - بالكسر - : اسمٌ منه - وأصله ما يضاف إليه غيرُه ليعْمِدَه ويُقيمه ؛ ومنه رَفَدَ الحائطَ : دَعَمه. وقد لُعِنُوا فى الدنيا ولُعِنُوا فى الآخرة. أى بئس العطاءُ المعطَى لهم تلك اللّعْنة المضاعفة. وسُمِّيتِ اللّعنةُ رِفدًا تهكُّمًا بهم.

١٠٠ - ﴿وَحَصِيدٌ﴾ أى ومن القرى ما عفا أثَره ؛ كالزّرع المحصود بالمناجل. مِن قولهم : زرعٌ حصيدٌ ، إذا كان قد استُؤصِل بقطعه.

١٠١ - ﴿غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ غيرَ تخسير وإهلاكٍ. والتَّبُّ والتَّبابُ والتَّتبيبُ : النَّقصُ والخسارةُ. يقال : تَبَّت يداه أى خَسِرتا. وهو كناية عن الهلاك.

١٠٦ - ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا﴾ وهم الكفار ؛ كما أن ﴿الَّذِينَ سُعِدُوا﴾ هم المؤمنون ؛ مطيعين



وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ * وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَا

وعُصاةً. ﴿زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ الزَّفيرُ: إخراجُ النَّفَس من الصدر من شدّة الحزن. مأخوذٌ من الزِّفْر ـ بالكسر ـ وهو الحَمْل على الظهر لشدّته. والشَّهيقُ: ردُّ النَّفَس إلى الصدر. والمرادُ بهما الدّلالةُ على شدّة كَرْبهم وغمّهم.

١٠٧ ـ ﴿مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ أي مدّة دوامها، والمقصودُ التأبيدُ ونَفْيُ الانقطاع؛ على حدِّ قول العرب: لا أفعل كذا ما اختلف الليلُ والنّهار، أو مالاح كوكبٌ. ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ نقل ابنُ عطيّة أنه على طريق الاستثناء الذي نَدب إليه الشرعُ في كل كلام؛ فهو على حدِّ: (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ)[1]. وهذا الاستثناء في معنى الشّرط؛ كأنه قيل: إن شاء ربك؛ فلا يوصف بمتّصل أو منقطع. والنُّكتةُ فيه: إرشادُ العباد إلى تفويض جميع الأمور إليه جلّ شأنه، وإعلامُهم بأنها منوطةٌ بمشيئته، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، لا حقّ لأحد عليه، ولا يجب عليه شيء؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾. وقيل: (إلا) حرفُ عطفٍ بمعنى الواو، والمعنى: وما شاء ربك زائدًا على ذلك. والمرادُ: إفادةُ التأبيدِ والدوام.

١٠٨ ـ ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ غيرَ مقطوعٍ عنهم. يقال: جَذَّهُ يجُذُّهُ جَذًّا: كسره وقطعه؛ ومنه الجُذاذ ـ بضمّ الجيم وكسرها ـ لِمَا تكسّر من الشيء. والضمُّ أفصح. قال تعالى: (فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا)[2].

١٠٩ ـ ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾ أي في شكٍّ من عبادة هؤلاء المشركين أنها ضلالٌ مُؤَدٍّ إلى مثل ما حل بمن قبلَهم من أمثالهم الضّالين. وقوله (مِمَّا يَعْبُدُ) ما: مصدريةٌ.

١١٠ ـ ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ أي وإنّ هؤلاء المكذّبين لفي شكٍّ من القرآن أو من العذاب مُوقعٍ في الرِّيبة. أو ذي ريبة [آية ٦٢ من هذه السورة].

١١١ ـ ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ قُرئ بتشديد (إنَّ) و(لَمَّا). وقد قيل في إعرابها: إن (كُلًّا) اسمُ (إنَّ)، واللّامُ في (لمَّا) هي الداخلة في خبر (إنَّ)، وما بعد اللّام هو (مِنْ) الجارة. و(مَا) الموصولةُ أو الموصوفةُ المرادُ بها هنا مَن يعقل، فقُلبت النونُ ميمًا للإدغام، فاجتمع ثلاث ميماتٍ فحذفت واحدةٌ منها للتخفيف فصارت (لَمَّا). والجارُّ والمجرورُ خبر (إنّ)، وجملة (لَيُوَفِّيَنَّهُمْ) ـ وهي قَسَمٌ وجوابُه ـ صلةٌ أو صفةٌ لـ(مَا). والمعنى: وإنّ كلًّا لمِنَ الذين أو لَمِنْ خَلْقٍ واللهِ لَيُوَفِّيَنَّهُمْ جزاءَ أعمالِهم.

(١) آية ٢٧ الفتح. (٢) آية ٥٨ الأنبياء.

أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا

١١٢ ، ١١٣ ـ ﴿فَٱسْتَقِمْ﴾ أى ألزم النَّهجَ المستقيم المتوسّط بين طَرَفِي الإفراط والتّفريط أنت ومن آمن معك كما أمرك الله تعالى . ﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾ أى لا تُجاوزوا ما حُدّد لكم بإفراط أو تفريط ﴿وَلَا تَرْكَنُوا﴾ أى لا تميلوا ﴿إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أنفسهم بشرك أو معصية . يقال : ركن إليه ـ كنَصر وعَلِمَ ونَفَع ـ إذا اعتمد عليه . ويُستثنى من ذلك للضرورة : صحبةُ الظالم على التّقيّة مع حُرمة المَيْل القلبيّ إليه .

١١٤ ـ ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ أى أدِّ الصلاةَ المكتوبةَ على تمامها فى طَرَفَى النهار ، وهما الغداةُ والعَشِىّ . وصلاةُ الغداةِ : الصبحُ . وصلاةُ العَشِىّ ـ وهو من الزوال إلى الغروب ـ : الظهرُ والعصرُ . ﴿وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ أى طائفةً من أوّله ، وهى صلاتا المغرب والعشاء ؛ جمعُ زُلْفة ، كغُرَف وغُرْفة . ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ إن الأعمال الحسنَة ـ كالصلاة والصّدقة والاستغفار ونحوها من أعمال البرّ . وكالعَزْم على اجتناب الكبيرة ـ يكفِّرْن السّيّئات ويُذهِبْنَ المؤاخذةَ عليها . والمرادُ بها : الذنوبُ الصغائر ، لأن الكبائر تكفّرها التوبة ﴿ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾ عظة للمتعظين .

١١٦ ـ ﴿مِنَ الْقُرُونِ﴾ أى من الأُمَمِ الماضية ﴿أُولُو بَقِيَّةٍ﴾ ذوو خَصْلة باقية من العقل ، أو ذوو فضل . وأصلُ البَقِيَّة : ما يصطفيه الإنسان لنفسه ويدّخره لينتفع به ؛ ومنه فلانٌ من بقيّة القوم ، أى من خيارهم . والمرادُ : أنه لم يكن منهم أولو بقيّة ينهَوْن عن الفساد فى الأرض إلا ما استثنى . ﴿مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾ ما أُنعِمُوا فيه من الثّروة والعيش الهَنِىء ، والشهوات العاجلة ؛ فبَطِرُوا النعمة واستكبروا وكفروا بالله . أو فسَقُوا عن أمره ؛ من التُّرفَة وهى النِّعمةُ والطعامُ الطيِّب ، والشىءُ الطَّريفُ تخصُّ به

يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَـٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

(١٢) سُورَةُ يُوسُفَ مَكِّيَّة

إلا الآيات ١ و ٢ و ٣ و ٧ فمدنية
وآياتها ١١١ نزلت بعد سورة هود

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَـٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَـٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ

صاحبك. يقال: تَرِفَ — كفرِح — تنعّم. وأترفتْه النِّعمةُ: أطغته أو نعّمته. والمُتْرَفُ: المتنعِّمُ لا يُمنع من تنعُّمه.

١١٩ — ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أى خلق الناس مختلفين، بعضُهم على الحق وبعضُهم على الباطل؛ ليكون فريقٌ منهم فى الجنّة وفريقٌ فى السَّعير. أوْ لِرَحْمَتِهِ خَلَقَ مَنْ خلَق. ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ وَجَب حكمه وقضاؤه الأزليّ.

١٢١ — ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ على حالتكم التى أنتم عليها وهى الكفر. والأمرُ للتهديد. [آية ٩٣ من هذه السورة ص ٣١٥]. والله أعلم.

سورة يُوسُف

٣ — ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ نُبيّن لك قِصّة يوسُفَ ابن يَعقوبَ — عليهما السلام — أحسنَ البيان. وإن كانت من قبل ذلك لم تقرَع سمعَك. يقال: قصّ عليه الخبرَ: أعلمه إيّاه. واقتصّ الحديثَ: رواه على وجهه. وأصلُه من قولهم: قَصَّ الأثرَ قصًّا وقَصصًا: تتبعه.

٤ — ﴿يَا أَبَتِ﴾ أصلُه يا أبى، فحُذِفت الياءُ وعُوِّض عنها تاءُ التأنيث اللّفظى، ونُقلت إليها كسرة الباء، ثم فُتِحت الباءُ على القاعدة فى فَتْح ما قبل تاءِ التأنيث.

٥ — ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ فيحتالوا فى هلاكك احتيالاً خَفيًّا لا قِبَلَ لك بدفعه. و(كاد) يتعدّى بنفسه فيقال: كاده يكيده كيدًا، إذا احتال لإهلاكه. ولتضمُّنه معنى احتال عُدّى باللّام.

٦ — ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ أى كما اجتباك لهذه الرؤيا الحسنة يجتبيك لأمور عِظام. والاجتباءُ: الاصطفاءُ والاختيارُ. ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ أى وهو يعلمك تعبيرَ الرؤيا، وهو عِلمُ ما تئول إليه؛ مِن الأَوْل وهو الرجوع.

٧ — ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ ..﴾ سأل اليهودُ النبّى صلى الله عليه

رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ * لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُواْ



وسلم عن قصة يوسف ؛ فنزلت هذه السورةُ جملةً واحدةً فيها كلّ ما فى التوراة من القصة وزيادة ؛ فكان ذلك آيةً له صلى الله عليه وسلم دالّة على صدقه . وفيها من العِبَر الكثيرة مالا غِنَى عنه للناس .

٨ ـ ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ جماعةٌ قادرون على خدمته دون يوسف وأخيه . والعُصْبَةُ : ما بين العشرة إلى الأربعين كالعِصابة ؛ من العصَب وهو الشّدُّ ؛ لأن كلَّ واحد منها يَشدُّ الآخرَ ويَعْضُده . أو لأن الأمور تعصب بهم ؛ أى تشتدّ فتقوَى . ﴿ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ خطأ ظاهرٍ بإيثارهما علينا بالمَحبّة ، مع فضلنا عليهما ، وكونهما بمعْزل عن كفاية الأمور ؛ ولم يريدوا الخطأ فى الدِّين . وأصلُ الضَّلالِ : المَيْلُ عن المَنْهج السَّويِّ . يقال : ضلَّ يَضِلُّ ، إذا خَفِيَ وغاب وضاع .

٩ ـ ﴿اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ ألقوه فى أرضٍ بعيدةٍ عن أبيه . ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ تَخْلُصْ لكم محبّةُ أبيكم دون أن يشارككم فيها أحد ؛ فيقبل عليكم بكُلّيته . يقال : خلا المكانُ يخلو خُلُوًّا وخَلاءً ، فرَغ . ومكانٌ خلاءٌ : ليس به أحد .

١٠ ـ ﴿وَأَلْقُوهُ فِى غَيَابَةِ الجُبِّ﴾ فى قَعْر الجُبِّ حيث يغيب خبرُه . والجُبُّ : البئرُ التى لم تُطْوَ ـ لم تُبْنَ بالحجارة ـ وجمْعُه أجبابٌ وجبابٌ وجِبَبَةٌ ؛ وسُمِّيَتْ جُبًّا لأنها قطعَت فى الأرض قطعًا . والغَيَابَةُ : غَوْرُ الجُبِّ وما غاب منه عن الأعين وأظلم من أسفله . ﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ أى المارّة من المسافرين ؛ فيذهب به إلى ناحية بعيدة فتستريحون منه . جمعُ سَيَّار ، وهو المبالغ فى السَّير .

١٢ ـ ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ يتّسع فى أكل الفواكه ونحوها ، ويلهو

بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا

بالاستباق والانتضال ونحوهما ؛ من الرّتع ، وهو الاتساع فى الملاذّ والتّنعُّم فى العيش ؛ وفعله كمنَع . ومنه للاتساع فى الخِصْب : الرَّتْعةُ .

١٥ - ﴿وأَجْمَعُوا﴾ عزمُوا عزْمًا قويًّا . يقال : أجمعتُ السيرَ والأمرَ وأجمعت عليه : عزمت عليه . ﴿أَنْ يَجْعَلُوهُ فِى غَيَابَةِ الجُبِّ﴾ وهو بئر على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب عليه السلام . ﴿وأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ أى بطريق الإلهام ، أو مبشِّرات الرؤيا ، أو بإرسال جبريل عليه السلام . وكان ذلك قبلَ بلوغه الحُلُم - على الأرجح - تطمينًا له وليس استنباءً .

١٧ - ﴿نَسْتَبِقُ﴾ نتسابق فى الرّمْى بالسِّهام ؛ أو على الخيل أو على الأقدام ، يقال : استبقا ، أى تسابقا حتى يُنظر أيّهما أسبق .

١٨ - ﴿سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ زيّنت وسهّلت لكم أنفسُكم أمرًا عظيمًا فى يوسف فعَلْتُموه ؛ من التّسويل ، وهو تزيينُ النّفس لمَا تحرص عليه ، وتصويرُ القبيح منه بصورة الحَسَن . ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ فصبرى صبرٌ جميلٌ ، وهو مالاشكوى فيه لأحد غير الله تعالى .

١٩ ، ٢٠ - ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ ..﴾ مسافرون من جهة مَدْيَن إلى مصر ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ وهو الذى يتقدّم القوم فيردُ المَنْهل ويستقِى لهم . ويقع على الواحد وعلى الجماعة . ويقال لكلّ من يَرِد الماءَ : واردٌ ، وللماء مَوْرُود . ﴿فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾ فأرسلها إلى الجُبّ ليستخرج الماء منه ؛ فتعلّق بها يوسف ، فلما خرج فَرِح الواردُ وقال : ﴿يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ﴾ . يقال : أَدْلَى دَلْوَه يُدليها فى البئر ، إذا أرسلها فيها ليملأَها ؛ فإذا نزعها وأخرجها ملأى قيل : دَلَا الدّلْوَ يدلوها ؛ من باب عدا . والدّلْو : التى يُستقَى بها تؤنّث وتذكّر . ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً﴾ أى أخفَى

بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ
وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ
إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾
وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ
كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا
ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ

الواردُ وأصحابهُ أمرَه عن باقى الرُّفقة ؛ مخافةَ أن يشاركوهم فيه إذا علموا خبَره ، وقالوا لهم : قد دفعه إلينا أهلُ هذا الماء بضاعةً لنبيعَه لهم بمصر. من الإسرار ، ضد الإعلان. والبضاعةُ : القطعةُ من المال تُتخذ للتجارة ؛ من البَضْع وهو القَطْع ، وأصلُه جملةٌ من اللّحم تُبضع ؛ أى تُقطع . ولما عَلِمَ إخوةُ يوسفَ بأمره أتَوْا الواردَ وأصحابَه وقالوا : إنه عبدٌ آبقٌ منّا ؛ فاشتروْه منهم بثمن ناقص زهدًا فيه لكونه معيبًا. ﴿وَشَرَوْهُ﴾ باعه إخوته. أو السيارة. و﴿بَخْسٍ﴾ أى نَقْص بمعنى ناقص أو منقوص ؛ مصدرُ بَخَسَه يَبْخَسُهُ بخساً ، نقصه أو عابه.

٢١ - ﴿أَكْرِمِى مَثْوَاهُ﴾ ولما اشترى العَزيزُ - الذى كان على خزائن مصرَ مِن قِبَل ملِكها يومئذ - يوسفَ من السيّارة قال لزوجته زُلَيْخَا : اجعلى منزلَه ومُقامَه عندنا حَسَنًا مَرْضِيًّا [آية ١٥١ آل عمران ص ٩٧]. ﴿غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ لا يقهره شىء ، ولا يدفعه عنه أحد.

٢٢ - ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ منتهىَ شِدَّتِه وقوّته ، وذلك بتمام خلْقه واستكمال عقله [آية ١٥٢ الأنعام ص ١٩٦]. وفى سِنّه التى بَلَغ فيها أشدّه أقوال. ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ أى حِكْمةً ، وهى الإصابة فى القول والعمل. أو هى النبوّة. ﴿وَعِلْماً﴾ أى فِقهًا فى الدّين. أو علمَ تعبير الرؤيا.

٢٣ - ﴿وَرَاوَدَتْهُ ..﴾ المراودةُ مفاعلةٌ من الرّويد ، وهو الرِّفْق والتَّمحُّل ، وتعْدِيتُها بـ(عَنْ) لتضمُّنها معنى المخادعة. أى دَعَتْه امرأةُ العَزيزِ إلى نفسها ، وفعلت معه فِعلَ المخادِع لصاحبه عن شىء لا يريد أن يُخرجه من يده ، وهو يحتال أن يأخذه منه ؛ فكان منها الطلبُ ، وكان منه الإباءُ خوفًا من الله تعالى. وقيل : إن المفاعلة من جانب واحد ؛ على حدّ قولهم : مماطلةُ المَدِينِ ، ومداواةُ المريض ، ونظائرها. ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ اسمُ فِعل بمعنى هَلُمّ ؛ أى تعالَ وأقبلْ وأسرِعْ ونحوه ، ويدلّ على الحَثّ والإقبال على الشئ. وقيل : هى لفظةٌ معرَّبةٌ ، أو من الألفاظ التى اتفقت فيها اللّغات. واللام فى (لَكَ) لتبيين المخاطب ؛ كما فى : سَقْيًا لك ، ورَعْيًا لكَ. وهى متعلّقة بمحذوف ؛ كأنها تقول : أقول لك ، أو الخطاب لك. ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ أعوذ بالله مَعاذًا مما تريدين منّى ! أى أعتصم بالله وأستجير به ، وألتجئ إليه التجاءً فى دفع ذلك عنّى. وهو منصوبٌ على المَصْدر بفعل محذوف.

٢٤ - ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ..﴾ الهَمُّ : المقارَبَةُ من الفعل من غير دخول فيه. ولا خلاف فى أنّ هَمَّها كان بالمعصية ، وكان عَزْمًا وجَزْمًا ، ولا فى أنّ يوسفَ عليه السلام لم يأت بفاحشة ، وأن الله برّأه منها وأنطق المرأة ببراءته ، وأنّ هَمَّه عليه السلام كان مجرّدَ خاطرةِ قلْبٍ بمقتضى الطبيعة البشريّة ، من غير جَزْمٍ وعَزْم. وذلك لا يدخل

وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾



* وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾

تحت التكليف ، ولا يخلّ بمقام النبوّة ؛ كالصائم يرى الماء البارد فى اليوم الحارّ فتميل نفسُه إليه ، ولكن يمنعه منه دينُه ؛ فلا يؤاخَذ بهذا الميل . وقولُه تعالى : ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ أى لولا مشاهدتُه البرهانَ الإلهىَّ على شناعة المعصية لجَرَىَ على موجب مَيْله الجِبلِّى ؛ لكنّه لمشاهدته البرهانَ استمرّ على ما هو عليه من الطهارة وإباء المعصية . ولذا قيل : الهَمُّ همَّان : همٌّ ثابت ، وهو ما كان معه عزمٌ وعَقْدٌ ورضًا ؛ مثلُ هَمِّ امرأةِ العزيز . وهَمٌّ عارضٌ ، وهو الخَطْرةُ وحديثُ النفس مِن غير اختيار ولا عزم ؛ مثلُ هم يوسُفَ . وقد عصمه اللهُ وصرَفَ عنه السُّوءَ والفحشاء ؛ كيف وهو من عباد الله المخلَصين ؟ . وقيل : إنه عليه السلام هَمّ بدفعها عن نفسه بالقوّة وكاد ، لولا أنْ أراه الله أنه لو فعل ذلك لفعلتْ معه ما يوجب هلاكه ؛ فكان فى الامتناع عنه صَوْنُ نفسه من الهلاك ، فرُبّما تعلّقتْ به فتمزّق ثوبُه من قُدّام ، وكان فى علم الله أن الشاهد يشهد بأن تمزيقه من الأمام دليلُ جنايته ، وتمزيقَه من الخَلف دليلُ جنايتها وبراءته ؛ فلا جَرَم لم يشتغل بدفعها بالقوّة وفرّ عنها هاربًا ، حتى صارت الشهادةُ حجةً له على براءته . فلم يقع منه هَمٌّ بالفاحشة ، وإنما وقع منه الهَمُّ بدفع امرأة العَزيز عن نفسه ، ولم يحصل الدفع بالفعل لرؤيته برهانَ ربّه . وفى البحر : أنه لم يقع منه هَمٌّ ٱلْبَتَّةَ ، بل هو منفىٌّ لوجود رؤية البرهان ؛ وهو نظير قولك : قارَفْتَ الذَّنبَ لولا أن عَصَمك الله . وجوابُ (لولا) محذوفٌ لدلالة ما قبله عليه ؛ أى لولا أن رأى البرهانَ لهمَّ بها ، أى أن الهمَّ كان يوجَد لو لم يَرَ برهان ربِّه ، لكنّه رآه فانتفَى الهمُّ ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ المختارين لطاعته أو لرسالته .

٢٥ ـ ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾ تسابقَا إليه ، يَقصِد هو الفرار من الفاحشة ، وتقصِد هى منْعَه منه لتقضى حاجتها منه . والتّسابُق والمسابقة بمعنًى واحد . ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ﴾ شَقّته ؛ من القَدّ وهو القطعُ والشّقُّ ، وأكثر ما يُستعمل فيما كان طُولاً ، وهو المراد هنا ؛ لأنها جَذَبته من وراء ، فانخرق القميص إلى أسفله . ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا﴾ وجدا زوجها .

٢٦ ـ ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾ صبى فى المهد أنطقه الله ببراءته .

٣٠ ـ ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ أصاب حبُّها إيّاه شَغَافَ قلبها ، حتى غلب عليه وتمكّن منه . والشَّغافُ : سُوَيداءُ القلب ، أو حجابُه وغِلافُه الذى هو فيه . يقال : شَغَفَ الهوى

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ
مُتَّكَأً وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ
عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ
حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾
قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن
نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ
وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ
إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ
إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ
فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾
ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ
حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ
إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ
فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ
إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ

قلبَه شغفًا ـ من باب نفع ـ بلغ شغافَه. والاسمُ الشَّغفُ. و(حُبًّا) تمييزٌ محوَّلٌ عن الفاعل، والأصلُ: شغفها حبُّها إيّاه.

٣١ ـ ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ باغتيابهنّ إيّاها وسوءِ مقالتهن فيها. وسُمِّيَ ذلك مَكْرًا لشبهه به فى الإخفاء. ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً..﴾ هيّأت لهنّ فى مجلسها ما يتّكئن عليه من النّمارق والوسائد؛ اسمُ مفعول. من الاتّكاء وهو الميل إلى أحد الشقّين فى الجلوس كعادة المترفين. وأحضرت لهن طعامًا يُقطع بالسكّين عند أكله، وآتت كلّ واحدة منهن سكّينًا؛ فلمّا رأين يوسفَ ﴿أَكْبَرْنَهُ﴾ أى أعْظمنه، ودَهِشْن عند رؤيته من فَرْط جماله. يقال: أكْبَرَ الشىءَ، رآه كبيرًا وعَظُمَ عنده. وكبَّر الشىء: جعله كبيرًا؛ من الكِبَر بمعنى العِظَم. ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ خدَشْنها وحَزَزْنها بما فى أيديهن من السّكاكين؛ ولم يشعرن لافتتانهنّ به. يقال إذا خَدَش الإنسانُ يدَ صاحبه: قطع يده. ﴿حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا﴾ معاذَ اللهِ أن يكون هذا بشرًا! أو جانَب يوسفُ ما قُرف به لله؛ أى لأجل مخافة الله ومراقبته. والمرادُ تنزيهُه وبُعده؛ كأنّه صار فى جانبٍ عما اتُّهم به لما رأوْه من آثار العصمة وجلال النبوّة عليه. فـ(حَاش) فعلٌ ماضٍ، واللّامُ فى (للهِ) للتّعليل. وقيل: هو اسم فعلٍ بمعنى بَرِئَ اللهُ من كل سوء. أو تنزيهًا لله سبحانه عن صفات التقصير والعجز عن خلق مثله؛ وفيه معنى التعجُّب من قدرته تعالى مثل هذا الصنيع البديع.

٣٢ ـ ﴿فَاسْتَعْصَمَ﴾ فامتنع امتناعًا بليغًا، وتحفّظ تحفُّظا شديدًا عما طلبَتْه منه؛ من العِصْمة وهى المنع. يقال: عَصَمه الطعامُ، منعه من الجوع. وعَصَم القِربةَ: شدَّها بالعِصام. واعتصم بالله: امتنع بلطفه من المعصية.

تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ (٣٧) وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨) يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠) يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤١) وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢) وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ

٣٣ - ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ أَمِلْ إليهنّ وأُمَالِئْهُنَّ على ما يُرِدْنَ منّي بحكم المَيْل الطّبيعيّ والشّهوة البشريّة ؛ من الصَّبْوة ، وهي المَيْل إلى الهوى . يقال : صَبَا يَصْبُو صُبُوًّا وصَبْوَةً ، إذا مال ؛ ومنه الصَّبَا للرّيح المعروفة ، لمَيْل النفوس إليها لطيب نَسيمها ورَوْحها .

٣٦ - ﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ عنبا يؤول لخمر أسقيه الملك .

٣٧ - ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ ..﴾ وَعَدَهما بإخبارهما بكلّ طعام يأتيهما قبلَ إتيانه بطريق الكشف بنور النُّبوّة ؛ لأجل أن يَعْلما صدقَه فيمتثلا دعاءه لهما إلى التّوحيد . وهذه مُعجزةٌ له كمعجزة عيسى حيث قال : (وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ)[1] . ﴿ذَٰلِكُمَا﴾ التأويل والإخبار بما يأتي .

٤٠ - ﴿الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ المستقيم ، أو الثابت بالبراهين .

٤٢ - ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ..﴾ أنسَى الشيطانُ ذلك النّاجي ذِكرَ يوسفَ عند سيّده ﴿بِضْعَ سِنِينَ﴾ البِضْعُ - بالكسر ويُفتح - : ما بين الثلاث إلى التّسع أو السّبع ؛ من البَضْع بمعنى القَطْع والشقّ . يقال : بَضَعت الشيء ، أي قطعته .

٤٣ - ﴿يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ مهزولة . والعَجَف - بفتحتين - : ذَهابُ السِّمَن ؛ وهو أعْجَف وهي عَجْفاء . وقد عَجُفَ - كفَرِح وكَرُم - : ذَهَب سِمَنُه . ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ أي إن كنتم تعبرون الرؤيا ، أي تعلمون تعبيرَها عِلْماً مستمرًّا ؛ من العبور وهو المجاوزة . يقال : عَبَر الرؤيا يَعْبُرها عَبْرًا وعِبَارةً وعبَّرها : فسَّرها وأوّلها ؛ أي ذكر عاقبتها وآخرَ أمرِها . وعَبَرت النهر عَبْرًا وعبورًا ، إذا قطعته وجاوزته . واللامُ لتقْوية الفعل بعدها .

٤٤ - ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ أي

(١) آية ٤٩ آل عمران .

بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ
وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ
لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ
بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا
وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ﴿٤٥﴾
يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ
سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ
أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزۡرَعُونَ
سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا
مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ
يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي
مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾
وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ
إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ
إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ

هذه تخاليط أحلامٍ ومناماتٍ باطلةٍ . جمعُ ضِغْثٍ ، وأصلُه ما جُمِعَ من أخلاط النّبات وحُزِم كالحُزْمة من الكلأ ؛ استُعير لِمَا تجمعه القُوّةُ المتخيِّلةُ من أحاديث النفس ووساوس الشيطان فى المنام . والأحلامُ جمعُ حُلْم وحُلُم . وهو ما يراه النائم مما ليس بحَسَن .

٤٥ ـ ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ تذكّر بعد حينٍ طويلٍ من الزمن ما سبق له مع يوسف فى السِّجن . وأصلُه اذْتَكَرَ ـ بوزن افتعل ـ من الذُّكْر ، وَدَخَلَه الإبدال . والأُمَّة هُنَا : الطائفة من الزمن [آية ١٠٤ آل عمران ص ٩٠] .

٤٧ ـ ﴿دَأَباً﴾ أى على عادتكم المستمرّةِ فى الزراعة . مصدرُ دَأَب على الشيء يَدْأَب دأْباً ودأَباً ، أى دَاوَم عليه ولازمه . وحاصلُ تعبيره : أنه أوّلَ البَقَراتِ السِّمانَ والسُّنبلاتِ الخضرَ بسنينَ مُخْصِبة ، والعجافَ واليابساتِ بسنينَ مُجْدِبة ، وابتلاعَ العِجافِ السِّمانَ بأكْلِ ما جُمع فى السنين المخصِبة فى السنين المُجْدِبة .

٤٨ ـ ﴿تُحْصِنُونَ﴾ تُحْرِزونه وتَخْبُئونه من البَذْر للزراعة ؛ من الإحصان ، وهو جَعْلُ الشيء فى الحِصْن كالأحراز . يقال : أحصن الشيء ، جعله فى الحصن ، وهو الموضع الحصين الذى لا يوصَل إلى جَوْفه .

٤٩ ـ ﴿فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ يُمْطَرُون ؛ من الغَيْث وهو المطر . يقال : غاث الله البلادَ غَيْثاً ، أنزل بها المطر . وغاث الغيثُ الأرضَ يَغِيثها ، أصابها . أو يغاثون ؛ من الغَوْث وهو زوال الهمّ والكَرْب . يقال : أغاثه الله إغاثة ، أعانه ونصره فهو مُغِيث . واستغاثنى فأغثته إغاثةً ومَغُوثةً . والاسمُ الغَوْثُ والغِيَاث . ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ ما شأنه أن يُعْصَر من نحو العنب والزّيتون والقصب والسِّمْسِم للانتفاع بما يخرج منها ؛

يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ * وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ



وذلك لخضبه .

٥٠ - ﴿مَا بَالُ النِّسْوَةِ﴾ أى ما حالُهنّ . والبالُ : الحالُ التى يُكترَث بها ؛ ومنه : ما باليْتُ بكذا ، أى ما اكترثْت به .

٥١ - ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ﴾ ولمّا أخبر الرسولُ الملكَ بذلك جمعهنّ وقال لهنّ : ما كان شأنكنّ وأمرُكنّ إذ قلتنّ ليوسف ما ما قلتن ! ؟ مصدرُ خَطَب يخطُب ؛ ومنه : هذا خَطْبٌ يسير ، وخَطْبٌ جَلَل ، وجمعه خطوب . وخصّه بعضُهم بما له خطَر ، وأصلُه الأمرُ العظيم الذى يكثر فيه التخاطُب ويُخطَب له .

﴿حَاشَ لِلَّهِ﴾ مَعاذَ الله أن يعمل سوءًا ! أو تنزيهاً لله تعالى عن أن يَعجز عن خلق بشَر عفيف كيوسف . ﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ انكشف الحقُّ وتبيّن بعد خفاء . وأصلُه حَصّ ؛ كما قيل : كَبْكَب فى كَبّ . من الحَصّ وهو استئصال شعر الرأس بحَلْق أو مرض .

٥٢ - ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى﴾ هو من كلام يوسف عليه السلام . وقيل : هو من كلام امرأة العزيز .

٥٤ - ﴿مَكِينٌ﴾ متمكّنٌ نافذُ القول لعِظَم منزلتك . اسمُ فاعل من مَكُن مكانةً ، إذا عَظُمَ وارتفع . يقال : مَكّنْته من الشىء ، جعلت له عليه سلطاناً وقدرةً ؛ فتمكّن منه واستَمْكن ، أى قدَر عليه .

٥٥ - ﴿إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ حفيظٌ للخزائن ، عليمٌ بوجوه مصالحها . أو حفيظٌ لما تستودعنى ، عليمٌ بما تُولينى .

٥٦ - ﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ يتّخذ من أرض مصرَ منزلاً وموطناً ينزله حيث يشاء . يقال : بوّأه منزلاً وفى منزل ، أنزله .

٥٩ - ﴿جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ﴾ هيّأ لهم ما هم فى حاجة إليه من الطعام ، وأوْقَر ركائبَهم به .

فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾

وأصلُ الجَهاز ـ بالفتح ـ والكسرُ لغةٌ قليلة ـ : ما يحتاج إليه المسافر من زاد ومتاع . يقال : جهّزت المسافر تجهيزًا ، هيّأت له جَهازهُ ؛ ومنه جَهازُ العروس وجَهازُ الميِّت .

٦٢ ـ ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ﴾ البضاعة فى الأصل : قِطعةٌ وافرةٌ من المال تُقتنى للتجارة . والمرادُ بها هنا : أثمانُ الطّعام الذى اكتالوه من مصر . والرِّحالُ : الأوْعِيَةُ التى يُحمل فيها الطعامُ وغيره . جمعُ رَحْل ، وأصلُه ما يوضع على البعير للركوب . ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾ لكى يعرفوها . ﴿إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ﴾ رجعوا إليهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ لتحملهم معرفتُهم إيّاها على الرجوع إلينا .

٦٥ ـ ﴿مَا نَبْغِى﴾ أىْ أىَّ شىء نطلب من إحسان المَلِك الذى وصفناه لك وراء ما فعل ؛ من البُغاء وهو الطَّلب . ﴿ونَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ نَجْلِبُ لهم المِيرَة ، وهى الطعامُ يجلِبه الإنسان من بلد إلى بلد . يقال : مَارَ عِيالَه يَمِيرُهم مَيْرًا ، وأمارهم وامتَارَ لَهُم ، بمعنى جَلَب لهم طعاماً ؛ وهو مَيَّارٌ . وهو معطوف على محذوف ؛ أى نستعين بها ونَمِير أهلنا .

٦٦ ـ ﴿مَوْثِقاً مِنَ اللهِ﴾ ميثاقاً وعهداً مؤكّدًا باليمين ، وجَمْعُه مواثيق ومياثيق . ﴿لَتَأْتُنَّنِى بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ أى إلّا أن تَهلكوا جميعاً . تقول العرب : أُحيط بفلان ، إذا هلك أو قارب الهلاك وأصلُه من إحاطة العدوّ ، واستُعمل فى الهلاك ؛ لأنّ من أحاط به العدوُّ يَهلك غالباً . أو إلّا أن تُغلَبوا عليه فلا تُطيقوا الإتيانَ به . ﴿وَكِيلٌ﴾ مطلع رقيب .

٦٧ ، ٦٨ ـ ﴿لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ ...﴾ نهاهم عن الدُّخول من باب واحد ، وأمرَهم بالدُّخول من أبواب متفرّقة ؛

وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾

أخذًا بالسّبب العادى فى اتّقاء الحسد. وأرشدهم إلى التوكُّل على الله مع ذلك ؛ لأنه لا حُكمَ إلّا له تعالى ، ولا يدفع قضاءه شئٌ إلّا أن يكون شيء قد قدَّره الله تعالى سبباً لمنع شيء آخرَ . فكلٌّ من التوكُّل والأخذِ بالأسباب مطلوبٌ من العبد ؛ إلّا أنه حين الأخذ بالأسباب يَجزم بأن الحُكم لله وحدَه فى كل الأمور. وما الأسبابُ إلّا أمورٌ عاديّةٌ يخلُق الله عندها ما يريد ، أو يمنع عندها ما يريد منعه ؛ والله فعّالٌ لما يريد . وقد أخبر الله تعالى أن امتثالهم أمرَ أبيهم ما كان يُغنى عنهم من الله شيئاً لو سبق فى قضائه إصابتُهم بالعين ؛ ولكنّ شفقةَ يعقوب حملته على وصيّتهم بما ذكر ؛ دَفْعًا للخطْرة التى تسبق إلى النّفس ، وهو يعلم أن ذلك لا تأثيرَ له إلا بإذن الله . ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ﴾ بأن الحَذَر لا يدفع القَدَر . ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ سِرَّ القَدَر ، وأنه لا يندفع بالحَذَر .

٦٩ - ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ ضَمَّه إلى نفسه وأنزله معه فى منزله . يقال : آواه إذا ضَمّه . وأويت منزلى وإلى منزلى ، نزلته . وتأوّتِ الطيرُ وتآوت : تجمّعت . ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ فلا تحزن بشيء فعلوه بنا فيما مضى ؛ افتعالٌ من البؤس وهو الشدّة والضُّرر . يقال : بَئِس - كسمع - بُؤْسًا وبُئُوسًا ؛ اشتدّت حاجته . وابتأس يبتئس ابتئاساً ؛ ومنه المبتَئِس ، أى الكاره الحزين .

٧٠ - ﴿السِّقَايَةَ﴾ هى إناء كان يَشْرب به المَلِك ، ويكيل به الطعام للممتارين ؛ لِعزّة ما يُكال به فى ذلك الوقت . وهو الصّاع والصُّوَاع . ﴿أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى منادٍ وأَعْلَمَ مُعْلِمٌ ؛ من التّأذين وهو الإعلام . ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ﴾ هى فى الأصل : الإبلُ التى تحمل المِيرَةَ ؛ والمرادُ هنا أصحابُها . وقيل : العِيرُ قافلةُ الحَمير ، ثم أُطلِقت على كل قافلة .

٧٢ - ﴿نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾ صاعَه ، وهما لغتانِ معناهما آلةُ الكَيل ، وتقدّم أنه هو السِّقاية . والصُّواع يُؤنّث باعتبار السِّقاية ، ويُذكّر باعتبار الصّاع . ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾ كفيلٌ أؤدّيه إليه . وأصلُ الزَّعيم : القائمُ بأمر القوم ، وهو الكَفيلُ والحَميلُ والضّمينُ



فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ * قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى

والقَبِيلُ .

٧٥ ـ ﴿جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِى رَحْلِهِ﴾ أى جزاءُ سرقته : استرقاقُ من وُجد فى رَحْله سنةً . وكان ذلك شريعةَ يعقوب فى حُكم السّارق .

٧٦ ـ ﴿كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ دبّرنا لأجل تحصيل غرضه تلك المقدّمات . وأصلُه الاحتيالُ والمكرُ ، يُستعمل فى المحمود وفى المذموم ، وهو هنا من الأوّل . واللّامُ فى «ليوسف» للتّعليل . ﴿فِى دِينِ المَلِكِ﴾ أى فى حُكْمه ؛ إذ جزاؤه فيه مضاعفةُ الغُرْم لا الاسترقاق . فألهمه الله تعالى أن يسأل إخوته عن الحُكم فيجيبوا بسُنّتهم وطريقتهم ، وذلك قولُه : ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ .

٧٧ ـ ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ يَعنُون شقيقَه يوسف عليه السلام . فقد رُوى أنه دخل كنيسةً فوجد تمثالاً من ذهب يعبدونه فأخذه ودَفَنه . وأنه كان لجَدّه أبى أمّه صنمٌ من ذهب وفضّةٍ فكسره وألقاه على الطريق ؛ فعيَّره إخوتُه بذلك . وليس شىء من ذلك بسرقة ، وإنما هو مِثْلُها فى الظاهر .

٧٩ ـ ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ أستجيرُ بالله استجارةً مِن أن نأخذ بريئاً بغير برىء . والأصلُ : ندعوك عائذين أن نأخذ إلا مَن وجدنا متاعَنا عنده .

٨٠ ـ ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ ...﴾ فَلَمَّا يئسوا من يوسف أن يجيبهم إلى ما سألوه يأساً كاملاً ؛ انفردوا عن الناس يتناجوْن ويَتَشَاوَرُونَ فيما يقولونه لأبيهم فى شأن بنيامين . يقال : خَلَص يَخلُص خلوصاً وخالصةً ، صار خالصاً . والخالصُ الصّافى . والنَّجِىُّ : مَن تُسارُّه ؛ ويُطلق على جماعة القوم يُناجى بعضُهم بعضاً . ﴿وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِى يُوسُفَ﴾ أى ومن قبلِ هذا قصّرتم فى أمر يوسف

كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾
قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى
ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾
وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ
مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ
حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَـٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ
إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَـٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ
وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن
رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ
قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ
مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ
يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ

ولم تحفظوا عهدَ أبيكم فيه . و« ما » زائدة .

٨٣ ـ ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ ..﴾ بل زيّنت لكم أنفسُكم أمرًا أردتموه ؛ فَصَبْرِى صبرٌ جميلٌ ! لا شكوَى معه لغير الله تعالى .

٨٤ ـ ﴿يَا أَسَفَا﴾ يا حُزْنِى عليه . والأَسَفُ : شِدّةُ الحزن على ما فات . يقال : أَسِفَ على كذا يأسَف أسفاً ، حَزِن أشدَّ الحُزن ؛ كأنه يقول : يا أسفا هَلُمَّ فهذا أوانك ؛ وأَلِفُه بدلٌ من ياء المتكلّم . ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مكظومٌ ممتلئٌ من الحُزن ، ممسكٌ عليه لا يَبُثُّه . يقال : كظمتُ الغيظَ أَكْظِمُه كَظْماً وكُظوماً ، أمسكت على ما فى نفسك منه على غَيْظ أو

صَفْح .

٨٥ ـ ﴿تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ أى لا تزال تذكره تَفَجُّعاً عليه ! قال الكِسائىّ : فتَأتُ وفتِئْت أفعل كذا ، أى مازلت . وقال الفرّاء : إن « لا » مضمرةٌ ، أى لا تفتأ ، وإنما أُضمرتْ لأنه لا يلتبس بالإثبات . فإن القَسَم إذا لم يكن معه علامةُ الإثبات ــ وهى اللّام ونونُ التّوكيد ــ كان على النّفى ؛ لأنه لو كان مثبتاً لَزِم أن يكون بهما عند البَصْريين ، أو بأحدهما عند الكوفيِّين ؛ فلما وجدناه خالياً منهما علمنا أن القَسَم على النّفى ، أى أن جوابه منفىٌّ لا مُثْبَت . ﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً﴾ مُشْفِياً على الهلاك لطول مرضك . وهو فى الأصل مصدرُ حَرِض ــ من باب تَعب ــ أشرف على الهلاك ؛ فهو حَرَضٌ . ولكوْنه كذلك فى الأصل يستوى فيه المذكَّرُ والمؤنّثُ ، والواحدُ والجمعُ .

٨٦ ـ ﴿أَشْكُو بَثِّى﴾ هَمِّى الذى انطوت عليه نفسى ! وأصلُه : التّفريقُ وإثارةُ الشىء ؛ كبثِّ الريحِ الترابَ ؛ واستُعمل فى الغَمِّ الذى لا يُطيق صاحبُه الصبرَ عليه .

٨٧ ـ ﴿فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ أى تحسّسُوا خبرًا من أخبارِهما . أو تَحسَّسُوا عنهما . والتّحسُّسُ : التّعرُّف . وأصلُه طلبُ الخبرِ بالحاسّة . واستُعمل فى

وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَـٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَـٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا

التَّعرُّف للزومه له . ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ ٱللَّهِ﴾ ولا تقنطوا من فَرَج الله وتنفيسه . وأصلُ معنى الرَّوْح : التَّنفُّسُ . يقال : أراح الإنسانُ إذا تنفَّس ، ثم استُعير للفَرَج .

٨٨ - ﴿الضُّرُّ﴾ الهزال من شدة الجوع . ﴿وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ﴾ مدفوعةٍ يردُّها كلُّ من يراها لرداءتها . يقال : زَجَاه ، ساقه ودَفَعه ؛ كزجَّاه وأزْجاه . والريحُ تُزْجِي السحابَ : تسوقه سَوْقاً رفيقاً . وكانت بضاعتُهم من متاع الأعراب صُوفاً وسمناً . أو دراهمَ زُيُوفاً ؛ مردودةً لغشٍّ فيها .

٩١ - ﴿آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ اختارك وفضلك علينا .

٩٢ - ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ لا تأنيبَ ولا لَوْمَ عليكم اليوم . يقال : ثَرَبه يثربه ، وثَرَّبه وعليه وأثربه ، إذا بكَّته بفعله وعدَّد عليه ذنوبَه . قيل : أصلُه من التَّرْبِ ، وهو شَحْمٌ رقيقٌ يُغَشِّى الكَرِشَ والأمعاء .

٩٣ - ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا ..﴾ أى اذهبوا بقميصى هذا ، مشيرًا إلى القميص الذى كان عليه حينئذ . وقد عَلِمَ بالوَحْي أن إلقاءه على وجه أبيه يردّ إليه بصره ؛ وهذا من باب خَرْق العادة . وقيل : إن يوسف لما علم أن أباه قد عرّا بصرَه ما عراه من كثرة البكاء عليه وضِيق القلب ، بعث إليه قميصَه ليجدَ ريحَه فيزول بكاؤه ، ويفرحَ قلبُه فرحاً شديدًا ؛ فعند ذلك يزول الضَّعف ويقوى البصر . ﴿يَأْتِ بَصِيرًا﴾ يصير بصيرا من شدة السرور .

٩٤ - ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ خرجت من عَرِيش مصرَ قاصدةً مكانَ يعقوبَ عليه السلام قُربَ بيتِ المَقْدِس . ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ يعقوبُ عليه السلام لمن حضره من ذوى قرابته ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ أى إنى لأَشُمُّ ريحَه ! لولا تفنيدُكم إيَّاى لصدّقتمونى ! وقد أشمَّه الله ما عَبَق من القَمِيص من ريح يوسفَ من مسيرة أيام . وهى معجزةٌ ظاهرةٌ . قال مالك : قد أَوْصلَ ريحَه مَنْ أوْصل عَرْشَ بلْقَيْس قبل أن يرتدَّ إلى سليمانَ طرفُه . والتَّفنيدُ : النِّسْبَةُ إلى الفَنَد ، وهو الكذبُ أو الخطأ فى القول والرأى . أو الخَرَفُ وإنكارُ العقل

كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ * رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ

نصف الحزب

من هَرَم أو مرض .

٩٥ - ﴿إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ أى لفى ذهابك عن طريق الصواب قدْمًا بالإفراط فى محبة يوسفَ والتوقُّع للقائه .

٩٩ - ﴿آوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ ضمَّها إليه واعتنقها . والمرادُ بهما أبوه وخالتُه ؛ لأن أمَّه قد تُوفِّيَتْ قبل ذلك .

١٠٠ - ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ أى على سرير المُلك . ﴿وَخَرُّوا﴾ أى أبواه وإخوتُه ﴿لَهُۥ﴾ أى لأجْله ﴿سُجَّدًا﴾ أى لله تعالى . وقيل : خَرُّوا جميعاً ليوسفَ ساجدين على الجباه ؛ وكان ذلك جائزًا فى شريعة يعقوب ، وجارياً مجرى التحيّة والتّكْرِمة . وقيل : إنه كان بإيماء الرءوس . ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ ..﴾ أى هذا السُّجودُ تصديقُ الرؤيا التى رأيتُها فى الصِّغَر . وكان بين الرؤيا وظهور تأويلها أربعون سنةً ؛ فى قول الأكثرين . ﴿ٱلْبَدْوِ﴾ البادية . ﴿نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ ..﴾ أفسد وأغْرَى . وأصلُه من نَزْغ الرّائضُ الدّابةَ : إذا نَخَسَها وحَملها على الجَرْى . وإلى هنا انتهت القصة ، وفيها عِبَرٌ ومعجزاتٌ وعجائب .

١٠١ - ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى ..﴾ ولمّا أتمّ الله النّعمة على يوسفَ قابلها بالثناء عليه تعالى ، ثم سأله حُسنَ العاقبةِ ، والخاتمةَ الصالحةَ . ﴿فَاطِرَ﴾ يا مبدع ومخترع .

١٠٢ - ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ ..﴾ أى ما ذُكر من قصة يوسفَ وإخوتِه ، من أخبار الغَيْب التى لا سبيلَ لك إلى العِلم بها إلا من طريق الوَحْى ؛ لأنك لم تقرأها فى كتب ، ولم ترْوها عن علماء ، ولم تسافر إلى غير بلدك ، ولم تكن مع إخوة يوسف حين اعتزموا الكيد له ، ودبَّروا ما دبَّروا من الأمر . فنزل القرآن بهذه القصّةِ الطويلةِ على أحسن ترتيب وأفصح عبارة ، وأصْدق بيان . ﴿أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ﴾ عزموا على

لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَـٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ

الكيد ليوسف .

١٠٥ ، ١٠٦ - ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ﴾ أي وكم من آية [آية ١٤٦ آل عمران ص ٩٧] تسليةٌ للرسول صلى الله عليه وسلم ، وتقريرٌ لكون الإعراضِ عن التأمّل في الآيات ، والجحودِ للحقائق شأنَ الكفار دائماً ، ومنهم قريش واليهود الذين سألوا عن قصة يوسفَ تعنيتاً وتعجيزًا ؛ فلما نزلت كاملةً وافيةً لم يُسْلِمُوا ، واستمرُّوا على جحودهم وتكذيبهم . وذلك من فرط الجهل والعناد ؛ مع أن هؤلاء الذين كفروا بالله لو تأمّلوا في الآيات النفسيّة والآفاقيّة لآمنوا به ، وأخلصوا له العبادةَ وحده ؛ ولكنّ أكثرَهم حين تَقْرَعهم الحججُ ، وتُلجئهم الآيات البيّنات إلى الإقرار بوجود الإله ، وبأنه خالقُ كلِّ شيء - يؤمنون به ، ثم يخلطون إيمانَهم بالشرك في العبادة ؛ فيعبدون من دون الله الأصنامَ وغيرَ الأصنام ضلالاً وكفرًا ، وذلك قولُه تعالى : ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ . وعن ابن عباس رضي الله عنهما : أنهم يُقِرُّون أن الله خالقُهم فذلك إيمانُهم ، وهم يعبدون غيرَه فذلك شِرْكُهم .

١٠٧ - ﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ﴾ نائبةٌ تغشاهم وتُجلِّلُهُم ؛ والمرادُ بها عقوبةُ الدنيا . والغاشيةُ : كلُّ ما يغطِّي الشيءَ ويستُره ؛ ومنه غاشيةُ السَّرْج . ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة .

١١٠ - ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ ..﴾ أيْ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا فتراخَى نصرهم ؛ حتى إذا يئسوا من إيمان أُمَمِهم يأساً شديداً ، وظنّ أُمَمُهم أن الرسلَ قد كذَبوهم فيما أخبروا به من العذاب ولم يَصْدُقُوا ، جاءهم نصرُنا . وقُرِئَ «كُذِّبوا» بالتشديد ؛ أي حتَّى إذا يئس الرسلُ من إيمان مَن كذَّبهم من أممهم ، وظنُّوا أن أتباعهم الذين آمنوا بهم كذّبوهم لطول البلاء وتأخر النصر - جاءهم نصرنا . يقال : كَذَبه - بالتخفيف - لم يصدُقْه فقال له الكذب . وكذَّبه - بالتشديد - تكذيباً وكِذَّاباً : جعله كاذباً وقال له كذبت . أو أخبر أنه كاذب . ﴿ظَنُّوا﴾ توهم الرسل أو حدثتهم أنفسهم . ﴿بَأْسُنَا﴾ عذابنا .

١١١ - ﴿عِبْرَةٌ﴾ عظة وتذكرة . ﴿مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى﴾ ما كان

عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

(١٣) سورة الرعد مدنية
وآياتها ٤٣ نزلت بعد سورة محمد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ

هذا القرآنُ حديثاً يُختلق ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب السماوية ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ أى وتبيين كلِّ شىء من أصول الدِّين ، إذ ما من أمر دِينِيّ إلا وهو يستند إلى القرآن بالذّات أو بالواسطة ، أو مما يحتاج إليه العبادُ فى أمور دينهم ودنياهم ؛ على نحو ما بيّناه فى قوله تعالى : ﴿مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شَىْءٍ﴾[1] . والله أعلم .

سُورةُ الرَّعْد

٢ - ﴿اللهُ الَّذِى رَفَعَ السَّمَاوَاتِ﴾ بيَّن الله تعالى فى هذه الآية والآيتيْن بعدَها عشرَةَ أدلةٍ من العالَم العُلْوِىّ والسُّفْلِىّ على كمال قدرته وعظيم حكمته : خلقُه السماواتِ مرتفعةً بغير عَمد . وتسخيرُه الشمسَ والقمرَ لمنافع الخلق . وخلْقُه الأرضَ صالحةً للاستقرار عليها . وخلْقُه الجبالَ فيها لتثبيتها ، والأنهارَ لتسقى الزرعَ . وخلْقُه زوجيْن اثنين من كل نوع من الثمرات . ومعاقبتُه بين اللّيل والنهار . وخلْقُه بقاعاً فى الأرض متلاصقةً مع اختلافها فى الطبيعة والخواص . وخلْقُه جنات من الأعناب للتّفكُّه . وخلْقُه أنواعَ الحبوب المختلفة للغذاء . وخلقُه النخيلَ صِنواناً وغيرَ صنوان . وجميعُها تُسْقَى بماء واحد لا تفاوتَ فيه ، مع اختلاف الثمار والحبوب فى اللَّوْن والطَّعم والرائحة والشكل والخواص . ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ أى بغير دعائمَ ؛ اسمُ جمعٍ مفردُه عِماد . يقال : عَمدْتُ الحائط أعْمِدُه عمدًا وأعمدته ، إذا دَعَمْته ، فانْعَمد واستند . ﴿تَرَوْنَهَا﴾ أى رَفع السماواتِ مرئيّةً لكم بدون دعائمَ تَدْعَمُها . والجملةُ فى محلّ نَصبٍ حالٌ من السماواتِ . ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [آية ٥٤ الأعراف ص ٢٠٧] . ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾ يقضي ويقدّر ويتصرّف فى جميع

[1] آية ٣٨ الأنعام .

يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ * وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾

ثلاثة أرباع الحزب

العوالم على أكمل الوجوه .

٣ ـ ﴿مَدَّ الْأَرْضَ﴾ بسطها طُولاً وعَرْضاً إلى مالا يُدرِك البصرُ منتهاه ؛ لإمكان الاستقرار عليها والمَدُّ البَسْطُ . ولا تنافِيَ بين المَدّ وكُرِيّة الأرض ؛ لأن الأول بحسب رؤية العين ، والثانى بحسب الحقيقة . ﴿رَوَاسِيَ﴾ جبالاً ثوابتَ راسخاتٍ فى أحيازها تُمسكها عن الاضطراب ؛ من الرَّسْو وهو ثبات الأجسام الثقيلة . يقال : رسا الشيءُ يرسُو رَسْوًا وَرُسُوًّا ، ثبت ؛ كأرسى . وأرسيتُ الوَتِدَ فى الأرض : أثبتّه . ﴿زَوْجَيْنِ﴾ نوعين وضربين . ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ يجعل الليلَ غاشياً للنهار وساترًا له ؛ أى يأتى به بَدلَه فيصير الجوُّ مظلماً بعد ما كان مضيئاً [آية ٥٤ الأعراف ص ٢٠٧] .

٤ ـ ﴿قِطَعٌ﴾ بقاع مختلفة الطبائع والصفات . ﴿وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ ..﴾ صفةٌ لنخيل ، وهو جمعُ صِنْو . والصِّنْوُ : الفرعُ الذى يجمعه وآخَرَ أصلٌ واحدٌ ؛ فإذا خرج نخلتان أو ثلاثٌ من أصل واحد فكلٌّ واحدة منهن صِنْوٌ . والاثنتان صِنوانِ «بكسر النون» ، والجمع صِنوانٌ «بضم النون» . وأصله المثل ؛ ومنه قيل لعمّ الرجل : صِنْوُ أبيه ، أى مثله ؛ فأطلِق على كلّ غصن صِنْوٌ لمماثلته للآخَر فى التفرُّع من ذلك الأصل . ﴿الْأُكُلِ﴾ ـ بضمّتين وضمٍّ فسكون ـ : اسمٌ لما يؤكل من التمر والحَبّ ؛ وإنما اقتصر على الأكل لكونه أعظمَ المنافع . قال مجاهد : هذا كمَثَل بنى آدم صالِحِهم وخبيثِهم وأبوهم واحدٌ .

٥ ـ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ أى أولئك المنكرون لقدرته تعالى على البَعث هم الكافرون بربّهم . ﴿وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ وهم أصحاب النار المخلّدون فيها . جمعُ غُلّ ، وهو طَوْقٌ من حديد تشدُّ به اليَدُ إلى العُنُق ؛ من الغَلَل ، وأصلُه تَدرُّعُ الشىء وتوسُّطُه . ومنه قيل للماء الجارى بين الشَّجَر : غَلَلٌ ؛ أى ذلك شأنهم فى الآخرة . وقيل : هو تمثيلٌ لحالهم فى الدنيا ـ من حيث إباؤهم الإيمان وعدم التفاتهم إلى الحق ـ بحال مَن فى أعناقهم أغلالٌ فلا يستطيعون معها التفاتاً .

٦ ـ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ ..﴾ كان صلى الله عليه وسلّم يهدّدهم بعذاب الدنيا وبعذاب الآخرة ؛ فكانوا يستعجلونه فى نزوله ؛ طعناً فى

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ
وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ (٨) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (٩) سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن
جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (١٠)
لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ
أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن
دُونِهِ مِن وَالٍ (١١) هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا

خبره واستهزاءً به ، فنزلت الآية . والاستعجالُ : طلبُ الأمر قبل مجيء وقته . ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ﴾ العقوبات المُنَكِّلاتُ . جمعُ مَثُلةٍ ، وهى العقوبة الفاضحة التى تنزل بالإنسان فيُجعل مثالاً يرتدع غيرُه به . وسُمِّيَتْ مَثُلاتٍ لمماثلتها للأفعال المعاقَب عليها فى السُّوء . ﴿مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ﴾ ستر وإمهال .

٨ ـ ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ ..﴾ بيانٌ لما يدلّ على كمالِ علمه وقدرته تعالى وعظم سلطانه ، وعلى حكمته فى قضائه وقدره . ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ أى يعلم ما تنقصه الأرحام وما تزداده فى البِنْيَة وفى المدَّة وفى العَدَد . يقال : غاض الشيءُ وغاضه غيرُه ؛ نحو نقَص ونقَصه غيرُه ، فيُستعمل لازماً ومتعدِّياً ، وكذا ازداد . ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ أى وكل شيء عنده تعالى بقَدَر وحَدٍّ لا يجاوزه ولا ينقص عنه ؛ قال تعالى : (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)[1] فيعلَم كميّتَه وكيفيّتَه وزمَنَه ومكانَه وسائرَ أحواله ، ويعلم ما غاب عن الحواسّ وما يشاهَد بها ، أو السرّ والعلانية .

٩ ـ ﴿الْكَبِيرُ﴾ العظيم الذى كل شيء دونه . ﴿الْمُتَعَالِ﴾ المستعْلِى على كل شيء فى ذاته وصفاته وأفعاله .

١٠ ـ ﴿وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ أى ومَن هو ذاهبٌ فى سَرْبه وطريقه ، ظاهرًا بالنهار يُبصره كُلُّ أحد . يقال : سَرَب فى الأرض يَسْرُبُ سَرَباً وسُرُوباً ، أى ذهب فى سِرْبه ـ بسكون الراء مع فتح السين وكسرها ـ أى طريقه . والمرادُ : أنه يستوى فى علمه تعالى السِّرُّ والجهرُ ، والخفيُّ والظاهرُ .

١١ ـ ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ﴾ للمذكور ممن أسرَّ القولَ أو جَهَر به : ملائكةٌ يتعاقبون عليه بالليل والنهار ؛ لحفظه وكِلاءته ، ولكتابة أقواله وأعماله ؛ مِن التعقيب ، وهو أن يؤتَى بشيء بعد آخر . يقال : عقَّب الفرسُ فى عَدْوه ، أى جَرَى بعد جَرْيه . وعَقَّبه تعقيباً : جاء عَقِبه . و«معقِّباتٌ» جمعُ معقِّبة بمعنى مُعَقِّب ، أى مَلَك معقِّب ؛ والتّاء للمبالغة ، كما فى علاَّمة . أو بمعنى جماعة معقِّبة . ﴿مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أى بسبب أمره تعالى وإعانته . وهذا ما لم يكن هناك قَدَرٌ ، فإذا كان خلُّوا عنه . فـ«مِن» بمعنى باء السببيَّة . ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ﴾ أى قد جرَت السنّةُ الإلهيةُ بأنه تعالى لا يبدّل ما بقوم مِن نعمة وعافيةٍ وخير بضدّه ؛ حتى يعتدُوا فيبدِّلوا أحوالَهم : من جميل إلى قبيح ، ومن صلاح إلى فساد ، ومن طاعة إلى عصيان ؛ فإذا أراد أن يُنزل بهم نقمته وجزاءه فلا رادّ له ، ولا معقِّبَ لحُكمه . ﴿وَمَا لَهُم مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ ولىّ ناصر ، يَلِى أمورهم ويدفع السوءَ عنهم ؛ من الولاية وهى النُّصرة وتَوَلِّى الأَمر . يقال : وَلِيَ على الشيء وِلايةً فهو

(١) آية ٤٩ القمر .

وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ۩ ﴿١٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ



والٍ .

١٢ ، ١٣ ـ ﴿هُوَ الَّذِى يُرِيكُمُ الْبَرْقَ..﴾ ذكر خمسة أنواع من الظواهر الكونية ، جعل فيها شبهًا بالنِّعم وشبهًا بالنِّقَم ، وكلها دلائلُ على عِظَم قدرته تعالى وبديع صَنعته ، الموجِبيْن لإفراده بالعبادة . ﴿خَوْفًا﴾ من الصواعق ﴿وَطَمَعًا﴾ فى الغيْث . ﴿وَيُنْشِئُ السَّحَابَ﴾ الغيمَ المنسحبَ فى الهواء . ﴿الثِّقَالَ﴾ بالماء . جمع ثقيلة ؛ أى مثقلَة به . ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ تسبيحُه متلبِّسًا بحمده : دلالتُه على كمال قدرته أوضح دلالة ؛ قال تعالى : (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ)[1] . ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ المِحالُ : الكيدُ والمكر ، والتّدبيرُ والقُوّة ، والعذابُ والعقاب ، والإهلاكُ والعداوة ؛ كالمُماحلة . يقال : مَحل به ـ مثلَّثةَ الحاء ـ مَحْلاً ومِحَالاً ، إذا كاده وعرَّضه للهلاك ؛ أى شديد المُماحلة والمكايدة لأعدائه . وفيه من التهديد لهم ما لا يخفى .

١٤ ـ ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ لله الدعوة الحق (كلمة التوحيد) . ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ..﴾ أى والأصنامُ التى يعبدونها من دون الله لا تستجيب لهم بشىء مما يطلبونه منها ؛ إلّا كاستجابة الماء لمن بَسط كفّيه إليه من بعيد ؛ ليطلبه ويدعوه ﴿لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ بنفسه ، من غير أن يؤخذ بشىء كإناء ونحوه . ﴿وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾ لكونه جمادًا لا يشعر بعطشه ، ولا ببسْط كفّيه إليه ولا بدعوته له ؛ فكذلك هذه الأصنامُ جمادات لا تُحِسّ بعبادتهم ، ولا تستطيع إجابتهم بشىء .

١٥ ـ ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أى أن جميع مَن فيهما من الملائكة والثَّقَلَيْن خاضعون لعظمته ، منقادون لأحكامه إيجادًا وإعدامًا ، شاءُوا أو أبَوْا ؛ من غير مداخلة حُكْم غيره . يستوى فى ذلك مؤمنُهم وكافرُهم ؛ إلّا أنّ المؤمنَ خاضعٌ بذاته وبظاهره ، والكافرَ خاضعٌ بذاته متمرِّدٌ بظاهره . وتنقادُ له تعالى ظلالُ مَن له منهم ظِلٌّ ؛ فهى تحت قَهْره ومشيئته فى الامتداد والتقلُّص ، والفَىْء والزّوالِ ؛ إذ الحركةُ والسكونُ بيده تعالى ، والمتحرِّكُ والساكنُ فى قبضته . فالمرادُ من السجود : الخضوعُ والانقياد . والظّلالُ : جمعُ ظِلٍّ ، وهو الخيال الذى يظهر للجرْم . والغُدُوُّ

(١) آية ٤٤ الإسراء .

أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٨﴾

والغَداةُ : البُكْرَةُ ، أو من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. وَالآصالُ : جمعُ أصيل وهو العَشِيّ ، وهو ما بين العصر وغروب الشمس. ﴿ظِلَالُهُمْ﴾ تنقاد لأمره تعالى وتخضع.

١٦ - ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ أي بل أجعلوا ! والاستفهامُ للإنكار. والمعنى أنّهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثلَه ، حتى يتشابه خلقُهم بخلق الله ؛ فيقولون : هؤلاء خلقوا كخلق الله ! واستحقّوا بذلك العبادةَ كما استحقها سبحانه. ولكنّهم اتّخذوا شركاءَ عاجزين لا يقدرون على شيء ، فكيف يصنعون ذلك !؟

١٧ - ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ ضرب الله مَثَلَيْن للحق : هما الماءُ الصَّافي ، والجوهرُ الصافي ؛ اللذان يُنتفع بهما. ومَثَلَيْن للباطل : هما زَبَدُ الماء ، وزَبَدُ الجوهر ، اللذان لا نفعَ فيهما. ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ فسالت المياه في الأودية بمقدارها الذى عيّنه الله تعالى ، واقتضته حكمتُه في نفع الناس أو بمقدارها قلّةً وكثرةً بحسب صِغَر الأودية وكِبَرها. والأَوْدِيَةُ : جمعُ وادٍ ، وهو الموضع الذى يسيل فيه الماء بكثرة ، ويُطلق على الفُرْجة بين الجبلين. ﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ﴾ أي فحمل الماءُ السائلُ في الأودية ﴿زَبَدًا﴾ وهو ما يعلو على وجه الماء عند اشتداد حركته ويُسَمَّى الغُثَاء. وما يعلُو على القِدْر عند الغَلَيان كالرَّغْوَة ويُسَمَّى الوَضَرَ والخَبَثَ. ﴿رَابِيًا﴾ عاليًا مرتفعًا فوق الماء ، طافيًا عليه. وهنا تمّ المَثَلُ الأوّلُ ، ثم ابتدأ في الثاني فقال : ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ أي ومن الذى يفعلون عليه الإيقادَ في النار كالذهب والفضة والنحاس والرَّصاص وغيرها من المعادن. ﴿ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ﴾ أي لأجل اتخاذه حليةً للزّينة والتجمُّل كالأوّلَيْن ﴿أَوْ مَتَاعٍ﴾ أو لأجل اتخاذه متاعًا يُرتفق به كالآخَرَيْن. ﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُ﴾ أي مثلُ ذلك الزّبد في كونه رابيًا فوقه ؛ فقوله « زَبَدٌ » مبتدأ مؤخّر خبرُه « مِمّا يُوقِدُونَ ». ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ أى يضرب مَثَلَهما للناس للاعتبار. ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ فأمّا الزّبدُ من كلٍّ من السّيْل ومما يُوقدون عليه في النار فيذهب مرميًّا به مطروحًا. يقال : جفأ الماءُ بالزّبد ، إذا قذفه ورمَى به. وجفَأت القِدرُ : رمت بزَبَدها عند الغَلَيان. وأجفأتْ به وأجفأته.

١٨ - ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا ..﴾ بيانٌ لمآل حالِ كلٍّ من أهل الحق والباطل ، بعد بيان شأن كلٍّ منهما



* أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۙ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ

حالاً ومآلاً. ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ أى المثوبةُ الحسنَى. ﴿سُوءُ الْحِسَابِ﴾ الحسابُ السَّيِّئُ، وهو المناقشة المشارُ إليها فى حديث: (مَن نُوقش الحسابَ عُذِّب)[1]. ﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ وبئسَ الفِراشُ الذى مهَّدُوه لأنفسهم مهادُهم.

٢٠ : ٢٣ - ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ بدلٌ من «أولى الألْبابِ». وجملةُ ما وُصفوا به ثمانيةُ أوصاف جليلة وهى: «يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً» وآخرُها: ﴿وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ أى يدفعون بالعمل الصالح السيِّئَ من الأعمال؛ فيجازون الإساءةَ بالإحسان. أو يتبعون السيئةَ الحسنةَ فتمحُوها. يقال: درأه دَرْءًا: دفعه. ودرأ السَّيْلُ واندَرأ: اندفع. ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ العُقْبَى والعُقْبُ: الجزاء؛ ومنه: أعْقبه أى جازاه. والمرادُ بـ «عُقْبَى الدار»: الجنةُ. ﴿وَجَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ بدلٌ منه.

٢٥ - ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ..﴾ بيانٌ لأحوال الأشقياء بعد بيان أحوال السُّعداء. وجملةُ أوصافِهم الجامعة ثلاثةٌ: نقضهم للعهد، قطعهم ما أمر الله به أن يوصل، إفسادهم فى الأرض. ﴿سُوءُ الدَّارِ﴾ عاقبتها السيئة وهى النار.

٢٦ - ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أى يضيِّق، ضدُّ يَبْسُطُ بمعنى يوسِّع. يقال: قَدَر - كضرب ونصر - أى قتَّر وضيَّق. وقدَر اللهُ الرزقَ يقدِره - بكسر الدال - ضيَّقَه. فَفتحُ أبوابِ الرزق فى الدنيا لا تعلُّقَ له بالكفر والإيمان، بل هو منوطٌ بمشيئة الله تعالى؛ فقد يُضيِّق على المؤمن امتحانًا لصبره وتكفيرًا لذنوبه. ويوسِّع على الكافر

(١) متفق عليه.

مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ

استدراجًا له . ﴿مَتَاعٌ﴾ شىء قليل ذاهب زائل .

٢٧ ـ ﴿أَنَابَ﴾ رجع إليه وأقبل عليه ؛ من الإنابة بمعنى الرُّجوع إلى نَوْبة الخير .

٢٩ ـ ﴿طُوبَى لَهُمْ﴾ عَيْشٌ طَيِّبٌ لهم فى الآخرة . مصدرٌ كبُشْرَى وزُلْفَى من الطِّيب . وأصلُه طُيْبَى ، قلُبت الياءُ واوًا لوقوعها ساكنةً إثر ضمّة ؛ كما قُلبت فى مُوقِن ومُوسِر من اليقين واليُسْر . وقيل : طوبَى اسمٌ لشجرة فى الجنة . ﴿وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ مَرْجِعٍ ومنقلَبٍ ؛ من الأَوْب وهو الرجوع . يقال : آب يئُوب أَوْبًا وإيابًا ومآبًا ، إذا رجع .

٣٠ ـ ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ أى إليه وحده مرجعى ومرجعُكم ؛ فيُثيبنى على مصابرتكم ومجاهدتكم ، ويجازيكم على كفركم وعصيانكم . يقال : تاب إلى الله تَوْبًا وتوبةً ومتابًا ، رجع عن المعصية .

٣١ ـ ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا﴾ نزلت فى نَفَر من المشركين غلَوْا فى كفرهم وتَمادَوْا فى ضلالهم ؛ حتى اقترحوا على الرسول صلى الله عليه وسلم : أن يسيِّر لهم بالقرآن جبالَ مكّةَ ليتفسّحوا فى أرضها ، ويفجّر لهم فيها الأنهارَ والعيونَ ليزرعوها ويتخذوا فيها البساتين ، ويُحيي لهم الموتى ليخبروهم بصدقه . وجواب «لو» محذوف ؛ أى ما آمنوا به ـ أى بالقرآن ـ إذا فُعلت به هذه الأفاعيلُ العجيبة . ﴿بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ أى بل اللهُ قادرٌ على الإتيان بما اقترحوا من الآيات ، ولكنّ إرادته لم تتعلّق بذلك ، وهو الحكيم الخبير ؛ لعلمه بعتوّهم ونفورهم من الحق . ﴿أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أى أغفَلَ الذين آمنوا فلم يقطعوا أطماعَهم فى إيمان كُفّار قريش مهما نزل من الآيات . أو أغفلوا عن كوْن الأمر جميعًا لله فلم يعلموا . واستعمالُ يئس بمعنى عَلِم حقيقةٌ فى لغةٍ . وقيل مجاز ؛ لتضمّن اليأس معنى العلم ، فإن اليائس من الشىء عالمٌ بأنه لا يكون ، كما استُعمل الرجاءُ فى معنى الخوف ، والنسيانُ فى معنى الترك مجازًا

عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ
أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ ۗ
بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ۗ
وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ
مِنْ وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ۞ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ
اتَّقَوْا ۖ وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ
الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ
يُنْكِرُ بَعْضَهُ ۚ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ۚ
إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا
عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ
مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا
مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ
أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾



لتضمّن ذلك . ﴿قَارِعَةٌ﴾ بليّةٌ وداهيةٌ تَقرَعُهم ، أى تهلكهم وتستأصلهم ؛ من القَرْع وهو ضرب الشىء بالشىء بقوّة . وجمعُها قوارع .

٣٢ - ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أمهلتهم ؛ من الإملاء وهو أن يُترك مُلاوَةً من الزمان فى أمْن ودَعَة .

٣٣ - ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ﴾ أفمن هو رقيبٌ على كلّ نفسٍ ، حفيظٌ عليها ، عالمٌ بما عَمِلت من خير أو شر فمجازيها به ؛ كمن ليس كذلك ؟ والاستفهامُ إنكاريٌّ ، وجوابُه : ليس كذلك . ﴿أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ﴾ أى بل أتسمُّونهم شركاءَ بظاهر من القول ، بسبب ظنٍّ باطلٍ لا حقيقةَ له فى نفس الأمر ! .

٣٤ - ﴿وَاقٍ﴾ حافظٍ يعصمُهم من العذاب . اسمُ فاعلٍ من الوقاية ، وهى الصيانة والحفظ . وفعلُه من باب ضرب .

٣٥ - ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ﴾ ما يؤكل فيها لا انقطاع لأنواعه . ﴿وَظِلُّهَا﴾ دائمٌ لا يزول .

٣٦ - ﴿وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾ إلى الله وحده مرجعى للجزاء .

٣٨ - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا ...﴾ عابُوا الرسولَ صلى الله عليه وسلم بكثرة الزواج فنزل : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا﴾ ، وبعدَم إجابة مقترحاتهم فنزل : ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ، وبعدم نزول ما خوّفهم به من العذاب فنزل : ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ ، وبنسخ الأحكام الثابتة فى الشرائع السابقة فنزل : ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ .

والأجلُ : مدّةُ الشىء . والمرادُ به أزمنةُ الموجودات ؛ فلكلِّ موجودٍ زمانٌ يوجد فيه محدودٌ ، لا يُزاد عليه ولا ينقص . لا فرق فى ذلك بين الأرزاق والآجال ، والأحكامِ والشرائعِ ، وإتيان

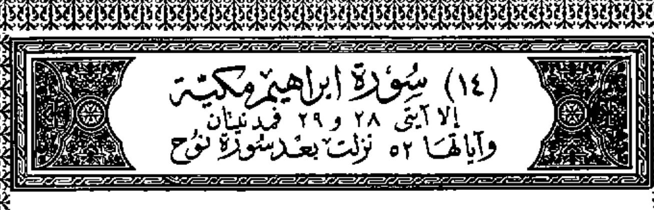
يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّـٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ ﴿٤٣﴾

المعجزات ونزولِ القرآن وغيره . والكتابُ : ما تُكتب فيه أزمنةُ المقدَّرات ، وهو صُحُف الملائكة أو اللَّوحُ المحفوظ . فتأخُّر نزولِ العذاب بهم إنما هو لعدم حلول وقته المقدَّر له ؛ قال تعالى : (وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ)[1] .

٣٩ ـ ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ المَحْوُ : إذهابُ أثرِ الكتابة . والإثباتُ : التَّدوينُ فى الكتاب . فيمحو اللَّهُ ما يشاء ويُثْبت فى صحف الملائكة ، إذ هى القابلة للمَحْو والإثبات ، أو بوقوعها فيه ـ وذلك حسبما تقتضيه المشيئةُ والحكمةُ الإلٰهيّةُ ؛ فَيَنْسَخ ما يشاء نسخه من الأحكام ، لاقتضاء الحكمة ذلك . «ويثبت» أى يُبقى ما يشاء منها غيرَ منسوخ . أو يثبت منها ما يشاء بتبديل المنسوخ بغيره ، أو ببقاء الحكم غيرَ منسوخ ، أو بإنشاء حُكم ابتداءً . ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أمُّ كلِّ شىء : أصلُه ، وهو الذى لا يتغيّر ولا يتبدّل ، ولا يقع فيه محوٌ ولا إثبات . والمرادُ به فى القول المشهور : اللّوحُ المحفوظُ الذى أُثبت فيه جميعُ أحوال الخلق إلى يوم القيامة . والكتابُ الذى يقع فيه المَحْو والإثباتُ هو صحفُ الملائكة دونه . وفى قول آخر : العلمُ الأزليُّ الذى لا يكون شىء إلّا على وَفق ما فيه ، ومحالٌ عليه التّغيير والتّبديل ؛ والكتابُ الذى يقع فيه المَحْوُ والإثباتُ هو اللوحُ المحفوظُ .

٤١ ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِى الْأَرْضَ...﴾ أى أأنكروا نزول ما وعدناهم ، أوَشكُّوا ولم يروْا أننا نفتح أرضَهم من جوانبها ونُلحقُها بدار الإسلام ! أوْ أَوَلم يروْا هلاكَ مَن قبلَهم وخَرابَ ديارهم كقوم عاد وثمود ! فكيف يأمنون حلول ذلك بهم ! . ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ لا رادَّ ولا مبطل له . واللَّهُ أعلمُ .

(١) آية ٤ الحجر .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾

١ ـ ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ ..﴾ أى بدعائك إيَّاهم إلى اتباع ما تضمّنه الكتابُ من التوحيد وغيره ، من ظُلمات الكفر والضلالةِ والجهلِ ، إلى نور الإيمان والعلم . وفى جَمْع «الظُّلُمات» وإفرادِ «النُّور» إشارةٌ إلى أن الكفر طُرقٌ كثيرةٌ ، وأمّا الإيمانُ فطريقٌ واحدٌ . ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ بتيسيره وتوفيقه لهم أو بأمره . ﴿إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ الصِّراطُ : الطريقُ ، استُعير للهُدَى . والعزيزُ : هو الذى لا يغلِبُهُ غالب . والحميدُ : هو المحمود بكل لسانٍ ، المُمَجَّدُ فى كلّ مكان .

٢ ـ ﴿وَوَيْلٌ﴾ هلاكٌ [آية ٧٩ البقرة ص ٢١] وهو وعيدٌ للكافرين .

٣ ـ ﴿يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ..﴾ يختارونها ويؤثرون لذائذَها على الآخرة ونعيمها . ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾ يطلبون لسبيل الله اعوجاجاً وزَيْغاً عن الحق لموافقة أهوائهم . أو يطلبونها معوجّةً غيرَ مستقيمة . [آية ٩٩ آل عمران ص ٨٩] .

٥ ـ ﴿بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ أى بنعمائه وبلائه . ﴿صَبَّارٍ﴾ كثيرِ الصّبر على البلاء ﴿شَكُورٍ﴾ كثيرِ الشكر على النَّعماء . والصّبْرُ : حبسُ النفس على ما يقتضيه العقل والشرعُ فعلاً أو تركاً . يقال : صَبَرَه عن كذا يَصْبِرُه ، إذا حبسه . والشكرُ : عِرفانُ الإحسان ونشرُه . وأصلُه مِن شكَرت الناقةُ ـ كفرح ـ امتلأ ضرعها . ومنه أشكَر الضَّرعُ : امتلأ .

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ

نصف الحزب

٦ - ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ يبغون لكم [آيه ٤٩ البقرة ص ١٥]. ﴿يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ يستبقون بناتكم للخدمه. ﴿بَلَاءٌ﴾ ابتلاء بالنعم والنقم.

٧ - ﴿تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ أعلم إعلاماً لا تبقى معه شُبهةٌ ؛ لدلالة صيغة التفعُّل على المبالغة فى الإعلام.

٩ - ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ عضُّوا على أناملهم غيظاً وحَنَقاً. أو وضعوا أيديَهم على أفواههم ؛ إشارةً منهم إلى الرسل : أنِ اسكتوا. ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ أى بما جئتم به من المعجزات والبيّنات. ﴿وإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ﴾ من الإيمان والتوحيد ﴿مُرِيبٍ﴾ مُوقِع فى الرِّيبة. أو ذى ريبة [آية ٦٢ هود ص ٢٩٤].

١٠ - ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مُبْدِعِها ومُبْدِع ما فيهما على أحكمِ نظام ، دون احتذاء مِثالٍ سابق [آية ١٤ الأنعام ص ١٧١]. ﴿بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ بحجّةٍ ظاهرةٍ على صدقكم ، تتسلّط بقوّتها على نفوسنا وتجذِبها إلى اليقين ؛ مِن السَّلاطة وهى التمكُّنُ من القهر. يقال : سلّطته فتسلّط.

١٤ - ﴿مَقَامِي﴾ قيامى عليه ومُراقبتى له. أو مكانَ وقوفه بين يدىَّ للحساب.

لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ

١٥ - ﴿وَاسْتَفْتَحُوا﴾ استنصروا اللهَ على أعدائهم ؛ مِن الفَتْح بمعنى النَّصر . أو طلبوا من الله الحُكمَ بينهم وبين أعدائهم ؛ مِن الفَتْح بمعنى الحُكم بين الخصمين . والسينُ والتاءُ للطَّلب . ﴿جبَّارٍ﴾ متعظِّم فى نفسه ، متكبِّرٍ على أقرانه : يَجْبُر نقيصَته بادّعاء منزلة من التعالى لا يستحقّها . ﴿عَنِيدٍ﴾ مُعانِدٍ للحقّ ، مُباهٍ بما عنده ؛ مِن العَنْد بمعنى المَيْل . يقال : عَنَدَ عن الطريق - كنَصَر وضرب وكَرُمَ - عُنُودًا ، مال . وعَنَد : خالف الحقّ ؛ ومنه العاند ، للبَعير يَحُورُ عن الطريق ويَعْدِل .

١٦ ، ١٧ - ﴿مَاءٍ صَدِيدٍ﴾ هو ما يسيل من أجساد أهل النار . وأصلُ الصَّديد : ماءُ الجُرْح الرقيقُ ، وهو بدَلٌ من « ماء » . ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾ يتكلَّف بلعَه مرّةً بعد أخرى ؛ لمرارته وحرارته مع غلبة العَطَش عليه . والجَرْعُ : البَلْع . وفعلُه كسَمِع ومَنَع . ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ أى ولا يُقارب أن يُسيغه فضلاً عن الإساغة ؛ بل يَغَصُّ به فيشربه بعد عَناء جَرْعةً غِبَّ جَرْعَة . والسَّوغُ : انحدارُ الشَّراب فى الحَلْق بسهولة وقبول نَفْس . يقال : ساغ الشرابُ سَوْغاً وسَواغاً ، إذا كان سهلَ المدخل .

١٨ - ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا ...﴾ شبَّه ما يعمله الكافرون فى الدنيا من أعمال البِرّ والخير فى حبوطها وذهابها هباءً منثورًا فى الآخرة ؛ لابتنائها على غير أساس من الإيمان والعلم بالله - برَمَادٍ أسرعتْ به الرّيحُ الشديدةُ الهبوبِ ففرّقته ؛ فلم يبق له أثر . و « عَاصِفٍ » شديد الرّيح .

٢١ - ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ خرجوا من قبورهم يوم القيامة ، وظهروا فى الفضاء للجزاء على أعمالهم . وأصلُ البروز : الظهورُ ؛ مأخوذٌ من البَرَاز ، وهو الفضاء الواسعُ ؛ ثم استُعير لمجتمَع الناس يوم القيامة ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا ...﴾ أى مستوٍ علينا الجزعُ والصبرُ . والجَزَعُ : حُزْنٌ يَصرف الإنسانَ عمَّا هو بصدده . يقال : جَزِعَ يَجْزَعُ جَزَعاً وجُزوعاً ، إذا ضَعُف عن حَمل ما

وَعَدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾



نزل به ولم يجد صبرًا . ﴿مُغْنُونَ عَنَّا﴾ دافعون عنا . ﴿مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾ مَحيدٍ ومهربٍ من العذاب . يقال : حاص عنه يحيص حَيصاً ومَحيصاً ، إذا عدل عنه وحاد على جهة الفِرار .

٢٢ - ﴿سُلْطَانٍ﴾ تسلُّط أو حجة . ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ مُغيثكم ومُنقذكم مما أنتم فيه من العذاب . ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾ بمغيثِيّ مما أنا فيه منه . يقال : صرَخ يَصْرُخ صَرْخاً وصُرَاخاً ، إذا استغاث ؛ فهو صارخٌ وصَريخٌ ، أى مستغيثٌ طالبٌ للنُّصرة والمعاونة ، وذاك مُصْرِخٌ أى مغيث . واستصرختُه فأصرخنى : استغثت به فأغاثنى ؛ فهو صريخ ومُصْرِخ ، أى مغيث . مِن الصُّراخ وهو الصّياح الشديدُ عند الفزَع أو المصيبة .

٢٤ ، ٢٦ - ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً﴾ أى لكلمَتَى الإيمانِ والكفر . أو لمعرفة الله تعالى ومَحبَّته وطاعته ، وضِدّ ذلك . ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ كلمة التوحيد والإسلام . ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ ضاربٌ بعروقه فى الأرض . ﴿وَفَرْعُهَا﴾ أى أعلاها . ﴿أُكُلَهَا﴾ ثمرَها الذى يؤكل . ﴿كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ كلمة الكفر والضلال . ﴿اجْتُثَّتْ﴾ اقتُلعت جُثتها ، أى شخصُها وذاتُها . ﴿مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ﴾ لقرب عروقها من سطح الأرض . يقال : اجتثثتُ الشيءَ اجتثاثاً ، إذا اقتلعته واستأصلته . وهو افتعالٌ من لفظ الجُثّة وهى شخص الشيء .

٢٧ - ﴿فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِى الْآخِرَةِ﴾ فى مُدّة الحياة الدنيا وفى القبر عند السؤال . وقيل : فى الحياة الدنيا وفى يوم القيامة .

٢٨ - ﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾ دارَ الهلاك . ويُطلق البَوار أيضاً على الكساد . يقال : بار المتاعُ بَوَارًا ، كَسَدَ . والكاسدُ فى حكم الهالك .

٢٩ - ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها . أو يقاسون حرَّها .

وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ

٣٠ ـ ﴿أَنْدَاداً﴾ أمثالاً فى التّسمية أو فى العبادة ؛ وهى الأصنام والأوثان .

٣١ ـ ﴿وَلَا خِلَالٌ﴾ ولا مُخالّة ، أى لا موادّة فى يوم القيامة بين الناس تنفع فى تدارك ما فات . مصدرُ خاللت . أو جمع خَليل أو خُلّة بمعنى الصداقة ؛ كقُلّة وقِلال .

٣٢ ، ٣٣ ـ ﴿اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ ..﴾ ذُكِرَ لهذا الموصول سبعُ صلات : أولها ـ خلقُ السماوات ، وآخرُها «وآتاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ». وهى تشتمل على عشرة أدلّة على وحدانيته تعالى وعلمه وقدرته : خلقُ السماوات ، وخلقُ الأرض ، وإنزالُ المطر من السماء ، وإخراجُ الثّمرات به ، وتسخيرُ الفلك فى البحار ، وتسخيرُ الأنهار ، وتسخيرُ الشمس ، وتسخيرُ القمرِ دائبيْن ، وتسخيرُ اللّيل والنّهار للتّمكين من السّعى للكسب ، وإعطاءُ ما يحتاج إليه الناس فى معاشهم . ﴿دَائِبَيْنِ﴾ دائميْن فى إصلاح ما يُصلحان من الأبدان والنبات وغيرها . أو دائميْن فى السَّير فى مدارهما بغير اختلالٍ ؛ لا يفْتُران عن ذلك مادامت الدنيا ؛ من الدَّأْب ـ بسكون الهمزة وفتحها ـ وهو العادة المستمرّة على حالة واحدة . [آية ١١ آل عمران ص ٧٤] .

٣٤ ـ ﴿لَا تُحْصُوهَا﴾ لا تطيقوا عدها لعدم تناهيها .

٣٥ ـ ﴿وَاجْنُبْنِى ...﴾ أَبْعِدْنِى وَبَنِيَّ عن عبادة الأصنام ؛ من جَنَبْته عن كذا : أبعدتُه عنه . وجنَّبته ـ بالتشديد ـ مبالغةً .

٣٧ ـ ﴿مِنْ ذُرِّيَّتِى﴾ أى بعضِهم ، وهو ابنُهُ إسماعيلُ عليه السلام الذى رُزق به من السَّيدة هاجَر ، وأوحِيَ إليه أن ينقلها إلى مكّةَ عند المكان الذى سيبنى فيه البيت المحرَّم . ﴿تَهْوِى إِلَيْهِمْ﴾ تُسرع إليهم شوْقاً ووداداً . يقال : هَوَى يَهْوِى هُوِيًّا ، إذا أسرع فى السَّيْر . أو تريدهم ؛ كما تقول : رأيت فلاناً يهْوِى نحوك ، أى يريدك .

٣٩ ـ ﴿إِسْمَاعِيلَ﴾ من السيِّدة هاجَر ﴿وَإِسْحَاقَ﴾ من السيِّدة

غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧) رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ (٣٨) ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ (٣٩) رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ (٤٠) رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ (٤١) وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ (٤٣) وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ (٤٤) وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ (٤٥) وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ (٤٦) فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ (٤٧)

سارة . وإسماعيلُ أَسَنُّ من أخيه ، وبينهما ثلاثَ عشرةَ سنةً ، على ما قيل .

٤١ - ﴿اغْفِرْ لِى وَلِوَالِدَىَّ﴾ طلبَ المغفرةَ لوالديْه قبل أن يتبيَّن له أن والدَه عدوٌّ لله ، وكانت أمُّه مؤمنةً ، ثم لما تبيّن له أنه عدوٌّ لله تبرّأ منه ، ونُهِىَ عن الاستغفار له .

٤٢ - ﴿تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾ ترتفع فيه أبصار أهل الموقف ؛ فلا تَطْرِف أجفانُهم من هوْل ما يروْنه . يقال : شَخَص بصرُه يَشْخَصُ فهو شاخص ، إذا فتح عينيه وجعل لا يَطرِف . وشَخَصَ شُخُوصاً : ارتفع .

٤٣ - ﴿مُهْطِعِينَ﴾ مُسرعين إلى الدّاعى بذلّة واستكانة ، كإسراع الأسير والخائف . يقال : أهطَعَ فى عَدْوه يُهطِع إهطاعاً ، إذا أسْرَعَ . ﴿مُقْنِعِى رُؤُوسِهِمْ﴾ رافعيها إلى السماء مع إدامة النَّظر بأبصارهم إلى ما بين أيديهم من غير التفات إلى شىء . يقال : أقنع رأسه ، إذا نصبه ورفعه ، أو لم يلتفت يميناً وشمالاً ، بل جعل طَرْفه موازياً . ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ أى لا ترجع إليهم أجفانُهم التى يكون فيها الطَّرْف ، أى التّحريك . ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ وقلوبُهم فارغةٌ خاليةٌ عن الفهم ، لا تَعِى شيئاً ، ولا تَعقل من شدة الخوف والدّهشة .

٤٨ - ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ﴾

يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٥٢﴾

(١٥) سُورَةُ الحِجْر مكيّة

إلا آية ٨٧ فمدنية
وآياتها ٩٩ نزلت بعد سورة يوسف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ



ظرفٌ للانتقام . وتبديلُ الأرضِ والسَّموات في ذلك اليوم : تغييرُ صفاتها وهيئآتها عما كانتا عليه فى الدنيا . يقال : بدّلتُ الحلقةَ خاتمًا ، إذا غيّرت شكلها . ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ﴾ خرجوا من أجداثهم ليستوفوا جزاءهم [آية ٢١ من هذه السورة] .

٤٩ ـ ﴿مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ المقرَّنُ : مَن جُمع مع غيره فى قَرَن ، وهو الوَثاق . والأصفادُ : جمعُ صَفَد ، وهو القَيْد الذى يوضع فى الرِّجل . أو الغُلّ الذى تُضمُّ به اليَدُ والرِّجلُ إلى العُنُق ؛ أى قُرن بعضُهم مع بعض ، وضُمَّ كلٌّ لمشاركه فى كفره . أو قُرنت أيديهم وأرجلُهم إلى رقابهم بالأغلال .

٥٠ ـ ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ﴾ أى تُطلَى جلودُهم بالقَطِرَان ، وهو ما تُهنأ به الإبلُ الجَرْبَى ، وهو حارٌّ نَتِنٌ شديدُ الاشتعال بالنار ؛ حتى يكون الطِّلاء كالسرابيل ـ أى القمصان ـ ليجتمع لهم لَذْعُ القطِران وكراهيةُ لونه ونَتْنُ ريحه ، وإسراعُ النار فى جلودهم . ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ تعلوها وتحيط بها النار التى تسعَّر بأجسادهم المسَرْبَلة بالقَطِران ؛ من الغَشْى وهو التَّغطية .

٥٢ ـ ﴿بَلَاغٌ لِلنَّاسِ﴾ كفاية فى العظه والتذكير . والله أعلم .

سُورَةُ الحِجْر

١ ـ ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ «تِلْكَ» : إشارةٌ إلى آيات هذه السُّورة . أى تلك آياتٌ من الكتاب الكامل ، ومن قرآنٍ عظيم الشأن ، بيِّنٍ فى حِكَمِه وأحكامه ، وفى هدايته وإعجازه ؛ فأقبِلوا عليها ، ولا تقابلوها بالتكذيب والإعراض .

٢ ـ ﴿رُبَمَا يَوَدُّ ..﴾ أى يتمنَّى الذين كفروا بالقرآن عند رؤيتهم فى الآخرة رحمةَ الله لعُصاة المؤمنين حين يخرجهم من النار ﴿لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ مثلهم ، منقادين لأحكامه ، حينَ لا يُجديهم التمنّى . و«رُبَّ» : حرفٌ يُستعمل فى التّقليل وفى التّكثير ؛ وقد تزاد بعدها «ما» النافية وتخفَّف باؤها وتُشدَّد . وحَمَلها كثيرٌ من المفسّرين هنا على التّقليل بالنسبة إلى زمان ذهاب عقولهم من

أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ
مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى
نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ
إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا
بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ
وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾
لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا

شدّة الدّهشة ؛ فإنّ أهوال القيامة تُذهلهم فيبهتُون ؛ فإذا وُجدت منهم إفاقةٌ في وقتٍ ما تمنّوا هذه الأمنيّة .

٣ ـ ﴿ذَرْهُمْ ..﴾ خلّهم وشأنهم ، يَتَنعَّمُوا بدنياهم ، وتُلْهِهِمْ آمالُهم الكاذبةُ عن أخراهم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ سوءَ عُقباهم .

٤ ـ ﴿وَلَهَا كِتَابٌ﴾ أجل مقدر مكتوب في اللوح .

٧ ، ٨ ـ ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ﴾ هلا تأتينا بالملائكة يشهدون لك ويَعْضُدونك في الإنذار ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في ادّعائك ما ادّعيت ؛ وهو كقوله تعالى : (وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ)[1] ، (لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ)[2] ، (لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً)[3] ، (لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ)[4] . وقد أجابهم الله تعالى بقوله : ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي إلّا تنْزيلاً ملتبسًا بالحق ؛ أي بالوجه الذي تقتضيه الحكمة والمصلحة ، وجرت به السُّنّة الإلهيّة . ولا حكمةَ ولا مصلحةَ لكم في تَنَزُّلهم إليكم كما اقترحتم ؛ لا بصوَرهم الحقيقيّة لأنكم تهلكون عند رؤيتها ، ولا بصُوَر بَشَريّة لأن ذلك لا يزيدكم إلا لَبْسًا ؛ كما قال تعالى : (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ)[5] . بل في ذلك مضرّةٌ بكم ؛ لأنه لا يكون مع ذلك إلا استئصالُكم في الحال إن لم تؤمنوا وتصدّقوا ؛ كما جرَت بذلك سنّةُ الله في القرون الخالية ، وأنتم غيرُ أهل للإيمان والتصديق .

﴿مُنْظَرِينَ﴾ أي مؤخَّرين مُمْهَلين ، بل يعجَّل لهم العذابُ ؛ من الإنظار بمعنى التأخير والإمهال .

٩ ـ ﴿الذِّكْرَ﴾ القرآن . ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ أي من كل ما يَقدَح فيه ؛ كالتّحريف والتّبديل والزيادةِ والنُّقصان . أو حافظون له بالإعجاز ؛ فلن يقدِر أحد على معارضته . أو بقيام طائفةٍ من الأمة بحفظه والذَّبِّ عنه إلى آخر الدهر .

١٠ ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ رُسُلاً ﴿مِن قَبْلِكَ﴾ في الفِرَق الأوّلين ، يدعونهم إلى ما تدعو إليه ؛ فما قابلوهم إلّا بالاستهزاء بهم وبما جاءوا به من الكتب ، فلستَ بدْعاً من الرّسل ، فتسلَّ بمن سبَقك . والشِّيَعُ : جمعُ شِيعة ؛ وهي الفِرقةُ المتّفقة على طريقة ومَذْهب ؛ من شاعه إذا تبعه .

١٢ ، ١٣ ـ ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ﴾ أي كما سَلَكنا كُتب الرّسل السابقين في قلوب أولئك المستهزئين مستهزَأً بها غيرَ مقبولة ـ نسلك الذّكر الذي أنزلناه إليك في قلوب المجرمين أهلِ مكةَ مستهزَأً به غيرَ

(١) آية ٨ الأنعام . (٢) آية ١٢ هود . (٣) آية ٧ الفرقان . (٤) آية ٢١ الفرقان . (٥) آية ٩ الأنعام .

عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا

مقبول ؛ لكونهم جميعاً من أهل الخذلان الذين ليس لهم استعدادٌ لقبول الحق . والسَّلْكُ : مصدرُ سَلَكَ – من باب نصر – وهو إدخالُ الشيء فى الشيء كإدخال الخيط فى المخيط . ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أى بالذِّكْر . والجملةُ حالٌ من مفعول «نسلكه» أى نسلكه غيرَ مؤمَن به . أو بيانٌ للجملة السابقة . ﴿سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾ أى سنَّةُ الله وعادتُه فيهم ، وهى الإهلاك للتكذيب . وهو وعيدٌ لأهل مكة .

١٤ ، ١٥ – ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ ..﴾ أى ولو فتحنا لكفار مكةَ المعاندين بابًا من السماء ﴿فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ أى يصعدون ؛ فينظرون إلى ملكوت السموات وما فيها من الملائكة والعجائب ﴿لَقَالُوا﴾ لفرْط عنادهم وجحودهم ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ أى سُدَّت ومُنعت من الإبصار ، وما نرى إلّا تخييلاً لا حقيقةَ له ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ فى عقولنا بسحر صنعه محمّدٌ . و «يَعْرُجُونَ» من العُروج وهو الذّهاب فى صعود . وفعلُه من باب دخل ؛ ومنه المعراج والمعارج . و «سُكِّرَتْ» من السَّكْر – بفتح فسكون – وهو سَدُّ الباب أو النّهر . يقال : سَكَرْتُ النهرَ أسْكُرُه سكْرًا ، سَدَدته ؛ والتشديدُ للمبالغة . و «مَسْحُورُونَ» أى مصروفونَ بالسِّحر عن إدراك عقولنا للحقيقة . والسِّحْرُ : الخداعُ وتخييلُ مالا حقيقةَ له . أو ما لَطُفَ مأخذه ودَقّ . وفعلُه كمنع ، والفاعلُ ساحر ، والمفعولُ مسحورٌ [آية ١٠٢ البقرة ص ٢٥] .

١٦ ، ١٧ – ﴿جَعَلْنَا فِى السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ اشتملت هذه الآيةُ وما بعدها إلى آية ٢٧ على أربعةَ عشرَ دليلاً على قدرة الخالق وبداعة صُنعه وتعالِى حكمته ؛ مما يوجب الإيمانَ به وبوحدانيّته ، وإفرادَه بالعبادة ، ومقابلةَ نعمِه بالشكران بدل الكفران . و «جَعَلْنَا» أى خلقنا وأبدعنا فيها منازلَ وطُرُقاً تسير فيها الكواكبُ . وهى الاثنا عشر بُرْجاً المشهورة . وقيل : البروجُ الكواكبُ نفسُها . جمعُ بُرْج ، وهو فى الأصل القَصْر والحِصْن ، واستُعمل فيما ذُكر على سبيل التّشبيه . ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ﴾ منعناه من التعرُّض لها والوقوف على ما فيها فى الجملة . أو من دخولها والاختلاط بأهلها . ﴿رَجِيم﴾ مرجوم مطرودٍ عن الخير ؛ من الرَّجْم بمعنى اللَّعن والطَّرد ؛ فإن من يُطرد يُرجَم بالحجارة .

١٨ – ﴿اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ خطف المسموع من الملأ الأعلى . ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ﴾ لَحِقه وأدركه شِهابٌ يحول بينه وبين الاستراق . وهو الشُّعلةُ السّاطعةُ من النّار المنفصلة من الكواكب ، التى تُرى فى السماء ليلاً كأنها كوكبٌ ينقضُّ بأقصى سرعة . وجَمعُه شُهُب ، وأصلُها من الشُّهْبة وهى بياضٌ مختلطٌ بسواد ؛ وهو كقوله تعالى : (إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ)[1] . ﴿مُبِينٌ﴾ أى ظاهرٌ للمبصرين . والمنعُ الشديدُ من استراق السّمع كان من زمن البعثة ؛ ويشهد له قولُه تعالى : (وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيدًا وَشُهُبًا . وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ

(١) آية ١٠ الصافات .

وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾
وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾
وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ
مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ
نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ
مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ
يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ
مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ

شِهَابًا رَصَدًا)[1] . وقيل : المنعُ من مولده صلى الله عليه وسلم .

١٩ – ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ بسطناها للاستقرار عليها . ﴿وَأَلْقَيْنَا﴾ وضعنا ﴿فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ جبالاً ثوابتَ [آية ٣ سورة الرعد ص ٣١٨] . ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ أى مُقدَّر بمقدار معيَّن حسبما تقتضيه الحكمة ؛ كما قال تعالى : (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)[2] .

٢٠ – ﴿مَعَايِشَ﴾ [آية ١٠ الأعراف ص ١٩٩] . ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ أى وجعلنا لكم فيها من العبيد والخَوَل والدوابّ والأنعام من لستم له برازقين ، وإنما المتكفّل برزقهم خالقُهم ربُّ العالمين . وعبّر بـ «مَن» تغليبًا للعقلاء .

٢١ – ﴿خَزَائِنُهُ﴾ جمعُ خِزانة ، وهى فى الأصل : المكانُ الذى تُخزَن فيه نفائسُ الأموال للحفظ . والكلامُ تمثيلٌ لإفادة أن مقدوراتِه تعالى التى لا تُحصَى – فى كونها محجوبةً عن الخلق ، مصونةً عن الوصول إليها مع وفور رغبتهم فيها ، وكونها متهيِّئةً للإيجاد والتكوين ؛ بحيث متى تعلّقت إرادته تعالى بوجودها وُجدت بلا إبطاء – شَبيهةٌ بنفائس الأموال المخزونة للحفظ ، المعدّة للتصرف فيها بإرادة مالكها . ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ﴾ وما نوجد شيئاً من تلك المقدورات إلا بمقدار معيَّن تقتضيه الحكمة ، وتستدعيه المشيئة .

٢٢ – ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ حواملَ . جمعُ لاقح بمعنى حامل ؛ لحملها الماءَ والترابَ بمرورها عليهما ، وحملِها السحابَ وسوْقِه واستدْراره . وهى مُلقِحة تُلقِح السحابَ بما تمجّه فيها من بخار الماء ، وتُلقِح الشجرَ بنقل الجراثيم الحيّة من ذكوره إلى إناثه .

٢٣ – ﴿وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ لزوال مِلْك كلِّ مالكٍ عما مَلَك ، وبقاء جميع ذلك لنا .

٢٦ – ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ ..﴾ بيانٌ لأطوار خلق آدم أبى البَشر : ابتدأ اللهُ خلقَه من تراب مفرَّق الأجزاء ، ثم بلّه بالماء وتركه حتّى اسودّ وتغيّر ريحه ، ثم صوّر فيه تمثالَ إنسان أجوفَ ؛ فجفّ ويَبِسَ ، حتى إذا نُقِر سُمعت له صَلْصلةٌ ، فغيَّره طَوْرًا بعد طور ، حتى نَفَخ فيه من رُوحه ؛ فتبارك الله أحسنُ الخالقين ! ﴿صَلْصَالٍ﴾ طينٍ يابسٍ غير مطبوخ ، له صلصلةٌ وصوتٌ إذا نُقِر ، كما يصوّت الحديد ؛ فإذا طُبخ بالنار فهو الفَخّار . ﴿حَمَإٍ﴾ طين أسودَ متغيِّر . ﴿مَسْنُونٍ﴾ مصوَّر ؛ من سنَّ الشيءَ صوّره . وعلى هذه الأطوار تُخرَّج الآياتُ الواردةُ فى أطواره الطِّينية ؛ كآية : (خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ)[3] وآية : (بَشَرًا مِن

(١) آية ٨ و٩ الجن . (٢) آية ٤٩ القمر . (٣) آية ٥٩ آل عمران .

مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ

طِينٍ)[1] وهذه الآيةِ .

٢٧ - ﴿مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ السَّمومُ : الريحُ الحارّة التى تَقْتُلُ . وسُمِّيت سَموماً لأنها لشدّة لطافتها وقوّة حرارتها تنفذُ فى مَسامّ البدن . وقيل : هى نارٌ لا دُخانَ لها تنفذ فى المسَامّ .

٢٩ - ﴿سَوَّيْتُهُ﴾ سوّيتُ خلقه وصوّرته بالصورة الإنسانية . ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى﴾ أى أفضتُ عليه ما به حياته ، وهو الرُّوح الذى هو من أمرى . ﴿سَاجِدِينَ﴾ سجود تحية لا سجود عبادة .

٣١ - ﴿أَبَى﴾ امتنع تكبرا .

٣٢ - ﴿مَالَكَ﴾ أىُّ غرض لك أو ما عذرك .

٣٤ - ﴿رَجِيمٌ﴾ مطرود من الرحمة أو مرجوم بالشهب .

٣٥ - ﴿اللَّعْنَةَ﴾ الإبعاد على سبيل السخط .

٣٦ - ﴿فَأَنْظِرْنِى﴾ أخِّرنى إلى يوم البعث ؛ مِن الإنظار بمعنى التأخير والإمهال . طلب ألّا يموت أبدًا ؛ فأُخِّر إلى يوم النّفخة الأولى فقط ، ثم يموت عندها .

٣٨ - ﴿الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ وقت النفخة الأولى .

٣٩ - ﴿لأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ لأحملنهم على الغواية والضلال .

٤٠ - ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾ هم الذين أخلصتَهم بتوفيقك لطاعتك . وقُرِئَ بكسر اللام ؛ أى الذين أخلصوا العبادةَ لك ، ولم يُشركوا معك فيها أحدًا .

٤١ - ﴿قَالَ﴾ الله تعالى ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَىَّ﴾ أى تخليص المخلَصِين من أعوانه حقٌّ علىَّ أن أراعيَه . ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ لا عدولَ عنه .

٤٢ - ﴿سُلْطَانٌ﴾ تسلط وقدرة على الإغواء .

٤٣ - ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ ..﴾ الضميرُ لـ «مَنِ

(١) آية ٧١ سورة ص .

جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾
ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ
غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ
وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ * نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا
ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾
وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟
سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا
نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ
ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن
مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا
ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾
قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ
إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ



اتَّبعَكَ» أو لـ «الْغَاوِينَ» .

٤٤ ـ ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ أى لجهنَّم سبعةُ أطباق بعضها فوقَ بعض ، وكلُّ طبقٍ يُسمَّى دَرَكًا ، ينزلها الغاوُون بحسب تفاوُت مراتبهم فى الغواية والمتابعة . ﴿جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ فريقٌ معيَّن من الأتباع الغاوين مفرزٌ من غيره ؛ مِن القَسْم ، وهو إفرازُ النَّصيب . يقال : قسَمتُ كذا قَسْمًا وقِسْمةً ، فرزْته . وقسَمه يقسِمه وقسَّمه : جزَّأه . وقسَم الدهرُ القومَ : فرّقهم ؛ كقسَّمهم .

٤٧ ـ ﴿مِنْ غِلٍّ﴾ حِقْد وضغينةٍ . وأصلُه من الغِلالة ؛ وهى ما يُلبس بين الثوبيْن : الشِّعارِ والدِّثار . أو من الغَلَل ، وهو الماء المتخلِّل بين الشجر . وهو إشارةٌ إلى أنهم يُنْشأون فى الآخرة نشأةً أخرى صالحةً غيرَ النشأة الدنيويّة .

٤٨ ـ ﴿نَصَبٌ﴾ إعياءٌ وتَعَب . يقال : نَصِب يَنْصَب ، أعْيَا . ونَصِب الرجلُ : ومنه عيشٌ ناصبٌ : فيه كَدٌّ وجَهْد .

٥١ ـ ﴿ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ هم الملائكةُ الذين نزلوا عنده ضيوفًا بصُوَر آدميّةٍ وبشّروه بالولد ، ثمَّ أخبروه بأنهم أُرسلوا لإهلاك قوم لُوط . والضّيفُ : يُطلقُ على الواحد والجمع ؛ وهو فى الأصل مصدرُ ضافه ، أى أماله .

٥٢ ـ ﴿وَجِلُونَ﴾ خائفون لدخولهم بغير إذن ، وفى غير وقتِ دخولِ الضَّيف ، وامتناعِهم من أكل طعامه ؛ مِن الوَجَل ، وهو استشعارُ الخوف [آية ٢ الأنفال ص ٢٣٣] .

٥٥ ـ ﴿الْقَانِطِينَ﴾ الآيسِين من خَرْق العادة لك ؛ مِن القُنوط ، وهو اليأس من الخير .

٥٧ ـ ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ فما شأنُكُمْ الذى أرسلتم لأجله سوى هذه البشارة [آية ٥١ يوسف ص ٣٠٩ ، ٣١٠] .

٦٠ ـ ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ﴾ استثناءٌ من الضمير فى «لَمُنَجُّوهُمْ» . ﴿قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ عَلِمنا أو قضَيْنا أنها من الباقين فى العذاب ؛ من التقدير بمعنى الحُكْم . وإسنادُ الملائكةِ الفعلَ

ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلْ جِئْنَـٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَـٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَـٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ

إلى أنفسهم مجازٌ ؛ على حدّ قول خاصّة المَلِك : نحن فعلنا ؛ وإن كانـوا فعلـوه بأمر الملك . و« الْغَابِرِينَ » من غَبَرَ بمعنى بقِيَ [آية ٨٣ الأعراف ص ٢١٢] .

٦٢ ـ ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ أنكركم ولا أعرفكم .

٦٣ ـ ﴿بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أى بالعذاب الذى كانوا يشكّون أنه نازلٌ بهم ويكذّبونك فيه .

٦٥ ـ ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ ..﴾ سِرْ بهمْ فى طائفة من الليل . أو ظُلمة آخره [آية ٨١ سورة هود ص ٢٩٦] . ﴿بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾ بطائفة منه أو من آخره . ﴿وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾ كُنْ على أثرهم ؛ لتطّلع عليهم وعلى أحوالهم .

٦٦ ـ ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ﴾ أوحينا إليه . ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ﴾ أى آخرهم [آية ٤٥ الأنعام ص ١٧٥] . ﴿مُصْبِحِينَ﴾ أى داخلين فى الصّباح ؛ مِن أصبح التّامة ، وصيغةُ أفْعَل تأتى للدخول فى الشىء ؛ نحو أَنْجَدَ وأَتْهَم ، أى دخل فى نَجْد وفى تِهامة .

٦٩ ـ ﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾ لا تذلُّونى بالتعرُّض بالسُّوء لهم [آية ٧٨ هود ص ٢٩٦] .

٧٠ ـ ﴿عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ عن إجارة أو ضيافة أحد منهم .

٧١ ـ ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِى﴾ يريد نساءهم ، أو بناته حقيقةً ؛ فباشِرُوهُنَّ بالعقد المشروع [آية ٧٨ هود] .

٧٢ ـ ﴿لَعَمْرُكَ﴾ قَسَمٌ من الله تعالى بحياة محمّد صلى الله عليه وسلم . أو من الملائكة بحياة لُوطٍ عليه السلام . والعَمْرُ ـ بفتح العين ـ : لغةٌ فى العُمْرِ ـ بضمها ـ ومعناهما : مُدّةُ حياة الإنسان وبقائه ؛ والتُزم الفتح فى القَسَم . و« عَمْرُ » مبتدأ خبرُه محذوفٌ وجوباً ، تقديره : قَسَمِى أو يمينى ، أو نحوه . ﴿إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ ..﴾ غَوايتهم . أو شِدّةِ غُلْمتهم التى أزالت عقولَهم ، وتمييزَهم بين القبيح والحَسَن . ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتردّدون حيارَى [آية ١٥ البقرة ص ٧] .

٧٣ ـ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ صيحةُ السماء ، وكلُّ شىء أُهلك به قومٌ فهو صيْحةٌ وصاعِقةٌ [آية ٦٧ هـود ص ٢٩٥] . ﴿مُشْرِقِينَ﴾ أى داخلين فى وقت

لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ۖ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ

مساكنُهم قُربَ مَدْيَنَ قريةِ شعيبٍ عليه السلام . وكانوا مع كفرهم يقطعون الطريق ، وينقصون المكيال والميزان فأهلكهم الله [آية ٨٥ الأعراف ص ٢١٢ ، ٢١٣] .

٧٩ - ﴿وإنَّهُمَا لَبِإمَامٍ مُبِينٍ﴾ أى وإنّ قُرَى قوم لوطٍ ومساكنَ قوم شعيب لبطريقٍ واضحٍ يأتمُّون به فى سفرهم ، ويهتدون به إلى الموضع الذى يريدونه .

٨٠ - ﴿أَصْحَابُ الحِجْرِ﴾ هم ثمودُ قومُ صالح عليه السلام . والحِجْرُ : وادٍ بين الشام والمدينة ، كانوا يسكنونه وله آثارٌ باقية . والحِجْرُ فى الأصل : كلُّ ما أحيط به الحجارة .

٨٣ - ﴿مُصْبِحِينَ﴾ داخلين فى وقت الصباح .

٨٧ - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِى﴾ أى أنزلنا عليك سبعاً من المثانى : هى فاتحة الكتاب ، وآياتُها سبعٌ ، آخرُها «غير المغضوبِ عليهم» إن لم تُعَدّ البسملةُ آيةً منها ؛ فإن عُدّت آيةً منها فالآيةُ السابعةُ «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» إلى آخرها . وسُمِّيت المَثَانِيَ لأنها تُثَنَّى في كل صلاة بقراءتها . أو لأنها أُثْنِيَ بها على الله ؛ إذ جَمعت الحمدَ والتّوحيد ومُلْكَه يومَ الدِّين . والمثانى : جمعُ مَثْنًى ومَثْنَاة - بفتح الميم وكسرها ؛ مِن ثَنَى الشىء ثَنْياً : إذا رَدّ بعضه على بعض ؛ فهى بمعنى طاقات الشىء التى يُعطف بعضُها على بعض .

الشروق . فكان ابتداءُ العذاب عند الصبح ، وانتهاؤه وقت الشروق .

٧٤ - ﴿مِن سِجِّيلٍ﴾ طينٍ متحجّرٍ [آية ٨٢ هود ص ٢٩٦ ، ٢٩٧] .

٧٥ - ﴿لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ للمتفكّرين ، المتفرّسين الذين يتثبّتون فى نظرهم حتى يعرفوا حقائق الأشياء بسماتها . تَفَعُّلٌ من الوَسْم ، وأصلُه التثبُّتُ والتفكُّر ؛ مأخوذٌ من الوَسْم وهو التأثير بحديدة مُحمَاة فى جلد البعير أو غيره .

٧٦ - ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ﴾ وإنّ قُرَى قوم لوطٍ المهلكة لفى طريقٍ مُعْلَمٍ واضحٍ يراه كلُّ مجتازٍ به إلى الشّام ، كما قال تعالى : (وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ . وَبِاللَّيْلِ)[1] .

٧٨ - ﴿أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ أصحابُ الغَيْضَة ، وهى الشَّجر الملتفُّ . والمرادُ بها : البقعةُ الكثيفةُ الأشجار التى كانت فيها

(١) آية ١٣٧ - ١٣٨ الصافات .

مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ معطوفٌ على «سَبْعاً» من عطف الكُلِّ على جُزئه .

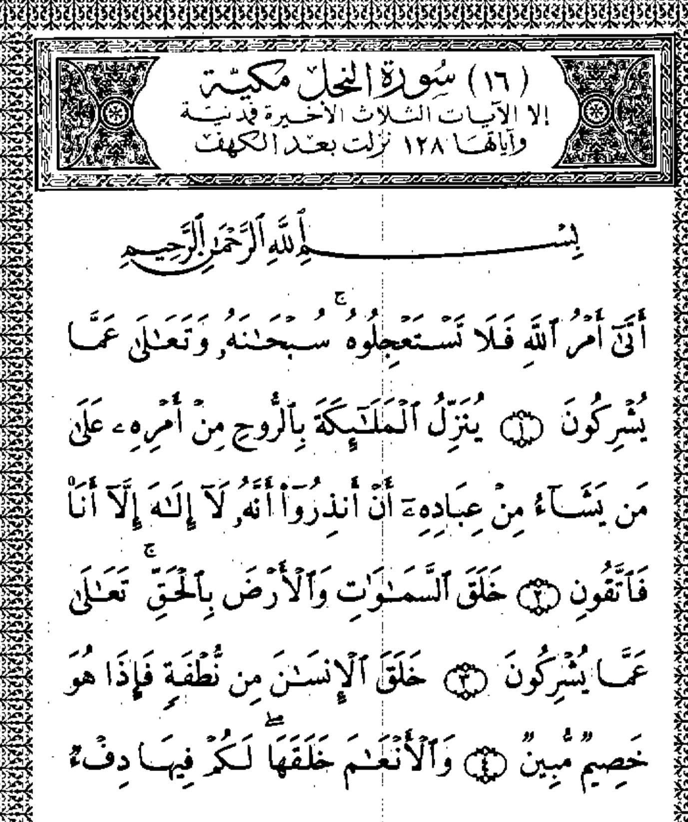
٨٨ - ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ..﴾ أي لا تطمح نفسُك إلى مَا مَتَّعْنَا به ﴿أَزْوَاجاً مِنْهُمْ﴾ أصنافاً من الكفّار من متاع الدنيا وزينتها ؛ فإنه مستحقَرٌ بالنسبة لما آتيناك من عندنا . ﴿واخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ تواضع وألن جانبك .

٩٠ ، ٩١ - ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ..﴾ أي ولقد أنزلنا عليك مِثلَ ما أنزلنا على أهل الكتاب المُقْتَسِمِين ، الذين جعلوا القرآن أجزاء وأعضاء لفَرْط عنادهم ؛ فجعلوا ما يوافق كتابَهم حقًّا ، وما يخالفه باطلاً ، فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه . فقوله : «كَمَا أَنْزَلْنَا» متعلق بقوله : «وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ» لأنه في معنى أنزلنا عليك . و﴿عِضِينَ﴾ أي أجزاءً وأعضاءً متفرّقة ؛ مِن عضَّيتُ الشيء تعضية ، أي فرّقته وجعلته أجزاءً ، كلُّ فرقة عِضَةٌ ، بوزن عِزَةٍ . وأصلُها عِضْوَة كعِزْوة . أو جعلوه أكاذيبَ فأكثروا البَهْت والكذب عليه . جمعُ عِضَة بمعنى الكذب والبهتان ؛ من العَضْه ، وهو أن يقول الإنسان في غيره ما ليس فيه . يقال : عَضَهه عَضْهاً ، رماه بالكذب . وقد أعْضَهْتَ : أي جئت بالبُهتان .

٩٤ ، ٩٥ - ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أظهِرْه واجْهَرْ به . يقال : صدَع بالحجّة . إذا تكلّم بها جهارًا . أو افرق بين الحق والباطل ؛ من الصَّدْع بمعنى الشَّق والفَرْق . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفياً بالدّعوة ، حتى نزلت هذه الآيةُ فخرج هو وأصحابُه معلِنين بها لا يبالون بالمشركين ؛ كما قال تعالى : ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ . ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ تولّينا إهلاكَهم ؛ مِن كفيت فلاناً المئونة : إذا تولّيتَها له ولم تُحْوجه إليها .

٩٨ - ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ فافزع إلى الله تعالى فيما نابك من ضيق الصّدر بالتسبيح والتحميد ؛ يَكْفِك ويكشِف الغمَّ عنك .

٩٩ - ﴿الْيَقِينُ﴾ أي الموت . واللهُ أعلم .



(١٦) سورة النحل مكية
إلا الآيات الثلاث الأخيرة فمدنية
وآياتها ١٢٨ نزلت بعد الكهف

بسم الله الرحمن الرحيم

أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ



سُورَةُ النَّحْل

١ - ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ ..﴾ قَرُب وَدَنَا ما وَعَد الله به نبيَّه صلى الله عليه وسلم ، من النّصر على الأعداء ، والانتقام منهم بالقتل والسَّبْى واستئصالِ الأموال ، والاستيلاء على المنازل والديار . أو قَرُب مجىءُ يوم القيامة الذى فيه عذاب المنكرين . وأُبْرِزَ المتوقَّعُ فى صورة الواقع لتحقُّقه ولصدق المخبر به . ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ أى الأمرَ فإنه واقعٌ لا محالة . وكان الكفارُ يستعجلون الموعودَ به استهزاءً . ﴿سُبْحَانَهُ وتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ تنزَّه وتعاظَم بذاته وصفاته عن إشْراكهم المؤدِّى إلى صدور تلك الأباطيلِ عنهم . أو عن أن يكون له شريكٌ فيدفع ما أراد الله بهم . وكانوا يقولون : إنْ صحّ مجىءُ يومِ القيامة فإن الأصنام تشفع لنا فيه .

٢ - ﴿يُنَزِّلُ المَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ﴾ بالوَحْى ، أى الموحَى به الذى من جملته التوحيد ؛ كما فى قوله تعالى : (يُلْقِى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ)(١) . وإطلاقُ الرُّوح عليه مجازٌ ؛ لأن بالوَحْى تحيا القلوبُ الميّتةُ بداء الجهل والضلال ، كما أن بالرُّوح حياةَ الأبدان . والمرادُ بالملائكة : جبريلُ عليه السلام رسولُ الوحى ومن معه من حَفَظة الوَحْى . وقيل : جبريل خاصّةً ، والواحدُ يسمَّى باسم الجمع إذا كان رئيساً عظيماً .

٣ - ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ ..﴾ شُروعٌ فى بيان أدلّة التوحيد . واتّصافِ ذاته العليّة بصفات الجلال والإكرام ، والتّنبيهِ على أن كلّ واحد منها كافٍ فى صرْف المشركين عمَّا هُمْ فيه من الشرك . والمرادُ بالسماوات والأرض : العالَمُ العُلْوىُّ والسُّفْلِىُّ . وخلْقُها بالحقّ : إيجادُها متلبِّسًا بما يَحِقُّ له بمقتضى الحكمة البالغة .

٤ - ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ ..﴾ أى هذا النوع غيرَ الفَرْد الأوّلِ منه وهو آدم عليه السلام ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ أى من مَنِىّ . وأصلُها الماءُ الصَّافى . أو قليلُ الماء الذى يبقى فى الدَّلو أو القِرْبة ؛ كالنُّطافَة . وجمْعها نُطَفٌ ونِطَافٌ . يقال : نطفت القِربةُ - من باب قتل وضرب - إذا قَطَرت ؛ مِن النَّطْف بمعنى السّيلان والتّقاطُر . ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ مخاصِمٌ ومُجادلٌ فى البَعْث مع خلْقِه من نُطفة مَهينة ؛ يُنكِر على خالقه القدرةَ عليه ويقول : (مَنْ يُحْيِى العِظَامَ وَهِىَ رَمِيمٌ)(٢) . ﴿مُبِينٌ﴾ بيِّنُ الخصومةِ ظاهرُها . يقال : خَصِمَ الرجُل يَخْصَم - من باب تَعِب - إذا أحكم الخصومة ؛ فهو خَصِمٌ وخَصِيمٌ .

٥ - ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا﴾ بعد أن ذَكر خلْقَ السموات والأرضِ ثم خلْقَ الإنسانِ ، ذكَرَ ما ينتفع به

(١) آية ١٥ غافر . (٢) آية ٧٨ يس .

وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ

الإنسانُ، وبدأ بذكر الحيوان المنتفَعِ به وهو الأنعام: الإبلُ والبقرُ والغنمُ. ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ الدِّفْءُ: السُّخونة؛ ويقابله حِدَّةُ البرد. ويُطلق على ما يُدْفِئُ من الأصواف والأوبار. وعلى نِتاج الإبل وألبانها وما يُنتفع به منها. يقال: دَفِئَ الرجل ـ من باب طَرِب ـ فهو دَفِئٌ ـ كَتَعِب ـ ودَفْآن وهى دفْأَى؛ كغضبانَ وغَضْبَى.

٦ ـ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ زينةٌ وعَظَمَةٌ ووجاهةٌ عند الناس ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾ حين تردُّونها بالعَشِيّ من مَسارحها إلى مراحها. يقال: أراح الماشيةَ يُريحها إراحةً، إذا ردّها إلى المَرَاح؛ وهو منزلها الذى تأوى إليه وتروح عشيّةً. ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ حين تُخرجونها غُدْوةً من مَراحها إلى مَسارحها ومَراعيها. يقال: سرحتُ الماشيةَ أَسرَحها سَرْحًا وسُروحًا، أى أخرجتها بالغداة إلى المَرْعَى؛ وسَرَحتْ هى. وسرّح فلانٌ ماشيتَه يُسرّحها تسريحًا: إذا أخرجها للمرعَى غُدْوةً.

٧ ـ ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ..﴾ أى وتحمل الإبلُ أحمالَكم الثقيلةَ إلى بلد لم تكونوا بالغِيه بها إلا بمشقّة أنفسكم وعَنائها. أو إلّا بذهاب نصفِ أنفسِكم، أى نصف قوّتكم. والأثقالُ: جمع ثِقْلٍ، وهو ما يُثقِل الإنسانَ حملُه من متاع وغيره. والشِّقُّ ـ بالكسر ـ: المشقّةُ. ومن كلّ شىء: نِصْفُه. وقُرئَ بفتح الشين بمعنى المشقّةِ أيضاً. وقيل: المفتوحُ المصدرُ، والمكسورُ الاسمُ.

٨ ـ ﴿وَالْخَيْلَ..﴾ ثم ذكر أنواعاً أخرى من الحيوان المنتفَع به. ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ويخلُق لكم غير ذلك أشياءَ ترتفقون بها، وتنتفعون بثمراتها فى الدّنيا؛ لا تعلمونها الآن ولا تخطر لكم ببال، وستعلمونها حين يجىء الوقت المقدّرُ لخلقها؛ والله عليمٌ خبير.

٩ ـ ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ بيانُ طريق الهدى؛ بِنَصْبِ الدلائلِ عليه وإرسال الرُّسل، وإنزالِ الكتب لدعوة الناس إليه. والسَّبيلُ: الطريقُ. والقَصْدُ منه: هو المستقيمُ الذى لا اعوجاج فيه وهو الإسلام. يقال: سبيلٌ قَصْدٌ وقاصدٌ، أى مستقيم؛ كأنّه يَقصد الوجه الذى يؤمّه السالكُ ولا يَعدل عنه، فهو نحو: طريقٌ سائرٌ. ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ أى ومن جنس السبيل سبيلٌ معوَجٌّ منحرفٌ عن الحق؛ وهو مِلَلُ الكفر ونِحَلُ أهل الأهواء الضّالة؛ من الجَوْر ضدُّ العَدْل وضدُّ القَصْد.

١٠ ـ ﴿هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ..﴾ شروعٌ فى ذكْر أنواعٍ أُخْرى من

وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ

النِّعم على الإنسان والحيوان . ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ أي ومن الماء ينبت شجر وهو ما ترعاه الماشية . ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ أي ترعَوْن دوابّكم . يقال : أسام فلانٌ إبلَه يُسيمها إسامةً ، إذا أخرجها إلى المَرْعَى . وسامت هي تَسوم سَوْماً : إذا رَعت حيث شاءت . وأصلُ السَّوم : الإبعادُ في المرعى.

١٢ - ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ..﴾ بيانٌ لأنواع أخرى سماويّةٍ وأرضيّةٍ مما خُلِقَ لنفع الإنسان . ﴿والنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ بتدبيره الجارى على وَفْق مشيئته تعالى . والجملةُ مبتدأٌ وخبرٌ ، والجارُّ والمجرورُ متعلّقٌ بالخبر .

١٣ - ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ معطوفٌ على « النُّجُوم » أي وما خلق لأجلكم فى الأرض من حيوانٍ ونبات ومعادنَ ، حالَ كونه ﴿مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ﴾ أى أصنافُه وأنواعُه فى الخِلْقة والهيئة ، والخواصِّ والمنافع .

١٤ - ﴿وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ الْبَحْرَ ..﴾ بيانٌ لنوع آخر مما خُلق للانتفاع به وهو البحار . ﴿تَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ﴾ من البحر الملح خاصة . ﴿حِلْيَةً﴾ بالكسر : ما يَتحلَّى به نساؤكم ويَتَزيَّنَّ به ؛ كاللُّؤلُؤ والمرّجان . وجمعُها حِلًى وحُلًى . أمّا جمعُ الحَلْي - بفتح فسكون- فهو حُلِيّ . ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ جوارىَ فى البحر ، تشقُّ الماء شقًّا . يقال : مَخَرت السفينةُ تَمْخَرُ وتَمْخُرُ مَخْرًا ومُخُورًا ، إذا جَرَت تشقّ الماءَ بمقدَّمها . وأصلُ المَخْرِ : الشقُّ . يقال : مَخرَ الماءُ الأرض ، إذا شقّها .

١٥ - ﴿رَوَاسِيَ ..﴾ جبالاً ثوابتَ . ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ كراهةَ أن تميدَ ، أولئلا تميدَ ؛ أى تميلَ بكم وتضطرب . يقال : مادتِ السفينة تميدُ مَيْدًا ، إذا تحرّكت ومالت . ومادت الأغصانُ : تمايلت .

١٦ - ﴿وَعَلَامَاتٍ﴾ معالم للطرق تهتدون إليها .

١٧ - ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ من هذه الآية إلى آية ٢٩ ، ومن آية ٣٣ إلى آية ٣٩ فى مُحاجَّة عَبَدة الأصنام ومُنكرى البَعْث ، بعد بيان دلائل القدرة الباهرة والوحدانيّة ، وخلْقِ هذه النّعم الوافرة التى يتقّلب فيها العباد . أى أفمن يخلق هذه المخلوقات البديعةَ وغيرَها كمن لا يخلق شيئاً ! فكيف تعبدون من لا يستحقّ العبادة ، وتتركون عبادة من يستحقُّها وهو الله وحده ! ؟ .

١٨ - ﴿لَا تُحْصُوهَا﴾ لا تطيقوا حصرها لعدم تناهيها .

يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾

٢٣ - ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقٌّ وثبتَ أن الله يعلم [آية ٢٢ هود ص ٢٨٩].

٢٤ - ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أباطيلُهم وتُرهاتُهم. جمعُ أُسطورة؛ كأعاجيب وأُعجوبة [آية ٢٥ الأنعام ص ١٧٢].

٢٥ - ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ ..﴾ آثامَ ضلالهم كاملةً، ويحملوا معها آثام إضلالهم لأتباعهم؛ فضاعَف لهم العذابَ على الضلال والإضلال. ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أى من المضِلّين بما يستحقونه من العقاب الشديد على الإضلال؛ بل يُقْدِمون عليه جهلاً منهم بما يستحقُّونه منه.

٢٦ - ﴿الْقَوَاعِدِ﴾ الدعائم والعمد. أو الأساس.

٢٧، ٢٨ - ﴿تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾ تُخاصمون المؤمنين فى شأنهم، وتزعمون أنهم شركاءُ حقًّا. ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ﴾ أى الذلَّ والهوان يوم القيامة ﴿وَالسُّوءَ﴾ أى العذاب ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ وأبدل منهم: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أى توفّتهم. وعبّر بالمضارع حكايةً للحالة الماضية. ﴿فَأَلْقَوُا السَّلَمَ﴾ فاستسلموا لأمره تعالى وانقادُوا حين رأَوْا عذابَ الآخرة، وجحدوا ما كان منهم فى الدنيا من الشرك والعصيان، وقالوا كاذبين: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ﴾ وهو - كما قالوا -: (وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ)[1]. فردَّ الله أو الّذين أوتوا العلم عليهم بقولهم: ﴿بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجاريكم عليه؛ ولا يُجديكم نفعاً إنكارُكم له!.

٢٩ - ﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى

(١) آية ٢٣ الأنعام.



* وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ
لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ
وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ
ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ
سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ۙ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ
يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ
كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَـٰكِن
كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟
وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ
وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾
وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟
ٱلطَّـٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ
ٱلضَّلَـٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ
عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ

الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ أى فَلَبِئْسَ مقامُ المتعاظمين عن الإيمان بالله : جهنّم .

٣٠ ـ ﴿ حَسَنَةٌ ﴾ أى مثوبةٌ حسنةٌ جزاءَ إحسانهم .

٣٢ ـ ﴿ طَيِّبِينَ ﴾ طاهرين من دنس الشرك والمعاصى . ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ هو نظيرُ قوله تعالى : (وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِى أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)[1] . أى بسبب أعمالكم الصالحة ؛ وسببيّتُها عاديّة ، والسّببُ الحقيقىّ فضلُ الله ورحمتُه بقبولها وجعلها سببًا .

٣٣ ـ ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ [آية ٢١٠ البقرة ص ٤٩ ، ١٥٨ الأنعام ص ١٩٧] . ﴿ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ أى القيامةُ التى فيها عذابهم . أو العذاب المستأصِل لهم فى الدنيا .

٣٤ ـ ﴿ حَاقَ بِهِمْ ﴾ أحاط . أو نزل بهم .

٣٥ ـ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ هو كقوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا ﴾ [آية ١٤٨ الأنعام ص ١٩٤] .

٣٦ ـ ﴿ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [آية ٢٥٦ البقرة ص ٦١ ، ٦٢ ، ٥١ النساء ص ١١٨] . ﴿ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾ وَجبت عليه بالقضاء السّابق حتى مات مُصِرًّا على الكفر .

٣٧ ـ ﴿ إِنْ تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ ﴾ أى إن تطلب بجُهْدك هُدَاهم لم تقدِر عليه ؛ فإن الله لا يهدى من يخلُق فيه الضّلالَة بسوء اختياره ، وفسادِ استعداده . يقال : حَرَص عليه ـ كضَرب وسَمِع ـ ، إذا اجتهد .

(١) آية ٧٢ الزخرف .

لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ

والاسمُ الحِرْص ؛ بالكسر.

٣٨ ـ ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أكّدوا الأيمانَ وشدّدوها بأقصى وسعهم [آية ٥٣ المائدة ص ١٥٣].

٤٠ ـ ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ﴾ أى إنما إيجادُنا لشيء عند تعلق مشيئتنا به أن نوجدَه فى أسرع ما يكون [آية ١١٧ البقرة ص ٢٩]. والآيةُ لتقرير إمكان البَعْث. وقيل: لبيان كيفيّة التكوين مطلقًا ؛ ومنه التكوين فى الإعادة.

٤١ ـ ﴿هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾ أى فى سبيل الله ابتغاءَ مرضاته وإعلاءً لكلمته. ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ لنُنْزِلَنَّهُمْ فى الدنيا دارًا حسنةً وهى المدينة [آية ٧٤ الأعراف ص ٢١١].

٤٤ ـ ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ أى أرسلناهم بالمعجزات للدّلالة على صدقهم ، وبالكُتب لبيان الشرائع والتكاليف. يقال: زَبَرت الكتابَ ـ من باب نَصَر وضَرَب ـ . أى كتبته كتابةً عظيمةً. والزُّبُر: جمعُ زَبور بمعنى مزبور ؛ وهو الكتاب. ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ من الأحكام والشرائع وأحوالَ القرون الماضية. وأسرارِ القرآن وعلومه ـ بيانًا شافيًا وافيًا ؛ فكانت السُّنَنُ مفسِّرةً للقرآن.

٤٥ ـ ٤٧ ـ ﴿أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾ يُهلكهم بالخَسْف وهو التّغييب فى الأرض ، أو تغييبُ الأرضِ بهم. يقال: خَسَفَ الله به الأَرضَ خسوفًا ، غيّبه فيها. وخَسَفَ هو فى الأرض وخُسِفَ به. ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ أى يصيبَهم العذابُ فى أسفارهم. والأخذُ فى الأصل: حَوْزُ الشيء وتحصيلُه ؛ والمرادُ به: القهرُ والإهلاكُ.

يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ۩ * وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا



والتقلُّبُ : الحركةُ إقبالاً وإدبارًا ؛ والمرادُ الأسفار . ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾ فائتين من عذاب الله بالهرب . ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ على مَخافةٍ وحَذَرٍ من أنْ يَهْلِكوا كمَن هلك قبلهم . أو من الهلاك لظهور أماراته . أو على تَنَقُّصٍ شيئًا فشيئًا فى الأموال والأنفس والثّمرات حتى يُهلكهم جميعًا . يقال : تخوَّفته إذا تنقّصته .

٤٨ ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا ..﴾ أى أعَمُوا ولم يروْا ما خَلَق الله من الأشياء ذواتِ الظِّلال ـ كالجبال والأشجار ونحوها ـ تنتقل ظلالُها وترجع من جانب إلى جانب ؛ فتكون أوّلَ النهار على حال ، وآخرَه على حال . أو تكون قبل الزّوال على حال ، وأثناءه على حال ، وبعدَه على حال . منقادةً فى كل ذلك لله ، جارية على ما أراده لها من امتدادٍ وتقلّصٍ ، غيرَ ممتنعةٍ عليه سبحانه فيما سخّرها له ؛ وهو المراد بسجودها . والتّفيُّؤ : تفعُّلٌ ؛ من فاء يفيء إذا رجع . وفاءَ لازمٌ ويُعدَّى بالهمزة ، كأفاءه الله ؛ وبالتّضعيف نحو فيَّأ اللهُ الظِّلَّ فتفيَّأَ . فتفيُّؤُ الظِّلالِ : رجوعُها بعد انتصاف النهار ؛ فلا يكون إلا بالعشِيّ . والظِّلُّ يكون بالغداة . وقيل مطلقًا ﴿سُجَّداً لِلَّهِ﴾ منقادة لحكمه وتسخيره تعالى . ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ أى وهذه الأشياءُ ذواتُ الظِّلال أذلّاءُ منقادون لحُكْمه تعالى . يقال : دَخَر يَدْخَر دُخُرًا ، ودَخِرَ يدخَرُ دَخَرًا : صَغُرَ وذَلّ . وأدْخَره فدَخَر : أذلّه فذَلّ وجُمعت جَمْعَ العُقلاء لوصفها بصفتهم ، وهى الانقياد والطاعة .

٤٩ ـ ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ﴾ سجودُ المؤمنين والملائكة لله تعالى سجودُ طاعةٍ وعبادةٍ ؛ وسجودُ غيرهم سجودُ خضوع وتسخير ؛ بمعنى أنها لا تستطيع أن تستعصى على ما يريده منها .

٥١ ـ ﴿فَارْهَبُونِ﴾ أى إن رَهِبتم شيئًا فإيّايَ ارهبوا ـ أى خافوا ؛ من الرّهبة وهى خوفٌ معه تحرُّز .

٥٢ ـ ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾ وله العبادةُ أو الطاعةُ والانقيادُ دائمًا ، أو واجبًا لازمًا . يقال : وصَبَ الشىءُ يَصِب وصُوبًا ـ دام وثَبَت ؛ كأوْصَب . ووَصَب على الأمر : واظَب عليه . ووَصَب الدَّيْنُ : وَجَب . و(واصبًا) حالٌ من الضمير فى (لَهُ) .

٥٣ ـ ﴿فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ ترفعون أصواتكم بالتضرُّع فى كشفه . يقال : جأر يجأرُ جأْرًا وجُؤارًا ؛

رَزَقْنَـٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَـٰتِ سُبْحَـٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَـٰبِ تَتَّخِذُونَ

رَفع صوته بالدعاء وتضرّع واستغاث. وأصله صياحُ الوحْشِ.

٥٦ - ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي لآلهتهم التي ليس من شأنها العلمُ؛ لكونها جماداتٍ لا تحسّ ولا تشعر ﴿تَفْتَرُونَ﴾ تكذبونه على الله.

٥٨ - ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مملوءٌ غيظًا وغمًّا [آية ١٣٤ آل عمران ص ٩٥، ٨٤ يوسف ص ٣١٤].

٥٩ - ﴿يَتَوَارَى﴾ يستخفي ويتغيب ﴿عَلَى هُونٍ﴾ على هوانٍ وذُلٍّ. ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ يُخفيه فيه. والمرادُ: أنه يَئِدُه ويَدفنه حيًّا حتى يموت. أو يهلكه مطلقًا؛ وكانوا يفعلون ببناتهم ذلك. من الدَّسّ - وهو إخفاءُ الشيء في الشيء؛ وبابُه ردَّ.

٦٠ - ﴿مَثَلُ السَّوْءِ﴾ أي صفةُ السَّوْءِ التي هي كالمَثَلِ في القُبح والسَّوءِ - وهي كراهةُ الإناث ووأْدُهنَّ خشيةَ الإملاق أو العار [آية ٩٨ التوبة ص ٢٦٤].

٦٢ - ﴿لَا جَرَمَ﴾ أي حقٌّ وثبتَ ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾ [آية ٢٢ هود ص ٢٨٩]. ﴿وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾ مقدَّمون يُعجَّل بهم إلى النار. يقال: أفرطته إلى كذا، وهو مُعدًّى بالهمزة؛ من فَرَط إلى كذا تقدّم إليه. أو منسيُّون مُتركون في النار أبدًا؛ من أفرطت فلانًا خلْفي: تركتُه ونسيتُه.

٦٦ - ﴿لَعِبْرَةً﴾ لَعِظَةً؛ مِن

مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ

العبور [آية ١٣ آل عمران ص ٧٤]. ﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ﴾ هو الأشياء المأكولة المنهضمة بعضَ الانهضام في الكَرِش؛ فإذا خرجت من الكَرِش سُمّيتْ رَوْثًا.

٦٧ ـ ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ﴾ أي ومن ثمراتها ثمرٌ ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ أي خمرًا ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ وهو نحو الزّبيب والتمر والدِّبس والخَلّ. والسَّكَر كالسُّكْر: مصدرٌ سُمّيَ به الخمر. وقد كانت حين الامتنان بها حلالاً؛ إذ السُّورةُ مكّيّةٌ، والتحريمُ في سورة المائدة وهي آخر السُّوَر نزولاً بالمدينة [آية ٩٠ ص ١٦٠]. وفي الآية إشارةٌ إلى عدم حُسنِها؛ لمقابلتها بالرِّزق الحَسَن.

٦٨ ـ ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ..﴾ لمّا ذكر الله تعالى من دلائل قدرته وبديع صنعته إخراجَ اللّبن من بين فَرْث ودَم، وإخراجَ السَّكَر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والأعناب، ذَكَر في هذه الآية إخراجَ العسل ـ وهو شفاءٌ للناس ـ من طائر ضعيفٍ وهو النّحل. ﴿بُيُوتاً﴾ أوكارًا تبنيها لتعسل فيها. ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ أي يَبنُون للنّحل من الخلايا. يقال: عَرَش يَعْرِش ويَعْرُش، أي بَنَى عريشًا؛ كأعرشَ وعرَّش؛ من العَرْش وهو سقفُ البيت. ومنه عَرَشت الكَرْم وعرَّشته، إذا جعلتَ له كهيئة السَّقف لرفعه عن الأرض. والمرادُ: أنه تعالى ألْهَم النّحل أن تتّخذ بيوتًا من الشّمع الذي تَمُجّ فيه العسلَ شيئًا فشيئًا، في كهوف الجبال وفي متجوّف الأشجار، وفي الخلايا التي يبنيها الناسُ لذلك. ولولا هذا الإلهامُ لم تأْوِ إلى هذه الأماكن ولم تمجّ فيها العسل. وفي بنائها هذه البيوتَ الدقيقة المحكمةَ البديعةَ؛ من مسدَّسات متساوية الأضلاع لا خَلَل فيها ولا تفاوت؛ وفي غدوّها لاقتطاف الأزاهير والثمار، ورواحِها إلى خليّاتها من مسافات بعيدة دون أن تخطئها، وفي تنصيب أُمّة النّحل في الخلايا مَلِكةً عليها نافذةَ الحكم والسلطان، وإقامةِ حاجب على كل خَليّة يحرُسها ولا يمكّن غيرَ أهلها من الدخول فيها؛ مع صِغر حجم النحلة وضعف بنيتها، ودأبها على العمل بنظام دقيق ـ أدلةٌ متضافرةٌ على كمال قدرةِ مُبدعِها، وبَداعةِ صُنعِ مُلْهِمِها. وكم في هذه المخلوقات الصغيرةِ من عجائبَ ودلائلَ كالنَّمل والعنكبوت والذُّباب: (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ. مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)[1].

٦٩ ـ ﴿سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً﴾ مُذلَّلةً، ذلّلها الله تعالى وسهّلها لك. جَمْعُ ذَلول، وهو حالٌ من (سُبُلَ) أي الطُّرُق التي هداها إليها وهي راجعةٌ إلى خلاياها وبيوتها. ﴿شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ تبعًا لاختلاف سنّ النحل صِغرًا وكِبرًا، ولاختلاف المرعَى. ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ أي في العسل شِفاءٌ للمرضى الذين يَنْجَعُ العسلُ في أمراضهم، وذلك من نعمه تعالى؛ إذ خلق الدّاء

(١) آية ٧٣ ـ ٧٤ الحج.

وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَـٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ * ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَـٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ

ربع الحزب

والدّواء ، وسَنّ التّداوى لعباده .

٧٠ - ﴿أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ أخسّه وأحقره . وهو وقت الهَرَم الذى تنقص فيه القُوَى وتضعُفُ . ويكون حالُ الإنسان فيه كحالته وقتَ الطفولة . من ضَعف العقل والقوّة ؛ وهو كقوله تعالى : (وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ)[1] وليس لذلك سِنٌّ معيَّنةٌ على الصحيح .

٧١ - ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ﴾ مَثَلٌ ضربه الله لِلّذين جعلوا له شركاء . فقال لهم : إنكم لا ترضَوْن أن تُسوُّوا بينكم وبين مماليككم فيما أنعمتُ به عليكم من الأرزاق ، ولا أن تجعلوهم فيه شركاء ؛ فكيف رَضِيتم أن تجعلوا عبيدى شركاءَ لى فى مُلكى وسلطانى !

٧٢ - ﴿وَحَفَدَةً﴾ أى أولادَ أولادٍ . أو أعوانًا وخدَمًا ؛ يحفِدون فى مصالحكم ويُعينونكم . يقال : حَفَدَ يَحْفِدُ حَفْدًا وحفودًا . إذا أسرع فى الخدمة والطاعة ؛ ومنه : (وإليك نَسْعَى ونَحْفِد) أى نسرع إلى طاعتك .

٧٤ - ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ جَمْعُ مثل - بالسكون - . أى فلا تجعلوا له أمثالاً وأكفاءً ؛ فهو كقوله تعالى : (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا)[2] . أو جمعُ مَثَل - بالتّحريك - . أى فلا تُشبّهوه بخلقه ولا تُشركوا به أحدًا .

٧٥ - ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ أى مَثلُكم فى إشراككم بالله الأوثانَ . كَمثل من سوَّى بين عبدٍ مملوك عاجزٍ عن التّرف فى أىّ شىء . وبين حُرٍّ كريم قد رزقه الله مالاً طيّبًا كثيرًا فهو يتصرّف فيه كما يشاء . فهل يستوى العبدُ والحرُّ الموصوفان بهذه الصفات . مع أنهما مشتركان فى البشريّة والمخلوقيّة لله تعالى !؟ وأن ما ينفقه الحرّ لا دخلَ له فى إيجاده ولا تملّكه وإنما أعطاه الله إياه ؛ فإذا لم يستويا مع ذلك فما ظنُّكم برب العالمين حيث تشركون معه الأصنام !؟ والأوّلُ مَثلٌ للصّنَم . والثانى مَثلٌ لله العلىّ الأعلى .

٧٦ - ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ﴾ أى ومَثَل هؤلاء فى إشراكهم بالله هذه الأوثانَ - مَثَلُ من سوَّى بين رجلين : أحدُهما

(١) آية ٦٨ يس . (٢) آية ٢٢ البقرة .

أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا

أخرسُ أصمُّ لا يَفهَم ولا يُفهِم، ولا يَقدر على شيء، وهو عيالٌ على من يَلِي أمرَه ويعوله؛ حينما يُرسله لأمرٍ لا يَأتي بنُجح ولا يكفي لمُهمّ. والآخرُ منطيقٌ فَهِمٌ ذو رشد ورأيٍ، يكفي الناسَ في مهمّاتهم وينفعهم، يحثُّهم على العَدْل؛ وهو في نفسه على صراط مستقيم وسيرةٍ صالحة، ولا يتوجّه لغَرَض إلا ويَبلُغه بأقرب سَعْي. ﴿أَبْكَمُ﴾ أي وُلد أخرسَ. ﴿كَلٌّ﴾ ثِقْلٌ وعيالٌ على غيره. أو ثقيلٌ لا خيرَ فيه؛ وجمعه كُلُول.

٧٧ - ﴿كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾ أي وما شأنُ السَّاعةِ في سُرْعة مجيئها إلا كفَتْح العين. يقال: لَمَحْتُ الشيء ألْمَحُه لَمْحًا: نظرتُ إليه باختلاس البصر. ولَمَحه لَمحًا ولَمَحانًا: إذا نظره بسرعة، أو كرَجع الطَّرْف من أعلى الحَدَقة إلى أسفلها. ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ أي بل هو أقربُ من ذلك وأسرعُ. والمقصودُ: تمثيلُ سرعة المجيء على وجه المبالغة.

٧٨ - ﴿وَالْأَفْئِدَةَ﴾ جمعُ فؤاد، وهو وَسط القلب. والفؤادُ من القلب كالقلب من الصَّدر.

٨٠ - ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ تجدونها خفيفةَ الحمل وقتَ سفركم، ووقت نزولكم وإقامتكم في مسيركم. يقال ظَعَنَ يظعَنُ ظَعْنًا وظَعَنًا: سار. ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾ أي وجعل لكم من أصوافها ﴿وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا﴾ متاعًا كثيرًا لبيوتكم من الفَرْش والأكسية ونحوها؛ من أثَّ يَئِثُّ - مثلّثة الهمزة - أثاثةً وأثاثًا، إذا كثُر وتكاثف. ﴿وَمَتَاعًا﴾ وشيئًا تنتفعون به في المَتْجَر والمعاش [آية ٣٦ البقرة ص ١٣]. وقيل: الأثاثُ والمتاعُ شيءٌ واحد؛ وجُمع بينهما لاختلاف لفظهما.

٨١ - ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ

عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ * إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ



ظِلَالاً ﴾ أى ما تستظلّون به من شدّة الحرّ . من الغمام والجبال والأشجار ونحوها . ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً﴾ أماكنَ تستكنُّونَ فيها ، وهى الكهوفُ والغِيرانُ والأسرابُ . أو حصوناً ومعاقلَ تستترون فيها . جمعُ كِنٍ وهو وقاءُ كلّ شىء وسِترُه . يقال : كَنَّهُ وكَنَّنَهُ ، ستره . ويُجْمَعُ أيضًا على أَكِنَّةَ . ﴿سَرَابِيلَ﴾ قُمُصًا وثيابًا من القطن والصُّوف والكَتَّان ونحو ذلك . ﴿تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ أى والبردَ ؛ ففيه اكتفاءٌ لدلالة الكلام عليه . وخصّ الحرّ بالذكر لأهمّيته عندهم ؛ إذ هو أكثر نكايةً من البرد . ﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ﴾ أى فى حَرْبكم . وهي الدُّروع ونحوُها . والبأسُ : شدّة الحرب .

٨٤ - ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ الاستعتابُ : طلبُك إلى المسىء الرجوعَ عن إساءته . والعُتْبى : رجوعُه عنها إلى ما يُرضيك . وأصلُ الكلمة من العَتْب . وهو لَوْمُك صاحبَك على إساءةٍ كانت منه إليك ؛ فإذا ذكّر كلٌّ منهما صاحبَه بما فَرَط منه كان عتابًا ومُعاتبةً . أى لا يُطلب منهم العُتْبى . أى الرجوع عما أغضب الله تعالى منهم إلى ما يرضيه ؛ إذ الدّارُ الآخرة دارُ جزاءٍ لا دارُ عملٍ وتكليفٍ .

٨٥ - ﴿يُنْظَرُونَ﴾ يمهلون ويؤخرون .

٨٦ - ﴿فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ﴾ أى قال الذين اتخذهم الكفارُ شركاءَ لله وعبدوهم من دونه ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فى زعمكم أننا شركاءُ لله . مبطلون فى عبادتكم إيّانا من دونه .

٨٧ - ﴿وَأَلْقَوْا إِلَى اللهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾ أى الاستسلامَ والانقيادَ لحُكْمه فى ذلك اليوم . بعد أن كانوا فى الدنيا متكبّرين عن حُكمه تعالى . ولم تُغن عنهم آلهتُهم شيئًا .

٨٨ - ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا ..﴾ فلهم عذابان : عذابٌ على الكفر . وعذابٌ على الصدّ عن سبيل الله .

٩٠ - ﴿يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ العدلُ : كلمةٌ جامعةٌ لمعَنى المُماثلة والمُساواةِ والاستقامةِ والتوسُّطِ . شاملةٌ للعَدْل بين العبد وربِّه ؛ بإيثار حقِّه تعالى على حظّ نفسه .

بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ

وتقديم رضاه على هواه ، وامتثالِ أوامره واجتنابِ منهيّاته . وللعَدْلِ بين العبد ونفسه ؛ بمنعها مما فيه هلاكُها وفسادُها . وللعَدْلِ بين العبد والخَلْق ؛ بالإنصاف من نفسِه ، وبَذلِ النّصيحة وترك الخيانة والإساءة إليهم ، والصبر على الأذى . ويتحقّقُ العدلُ بالتوسُّط في كل الأمور . بين طرفَي الإفراط والتّفريط ، اعتقادًا كالتّوحيد المتوسّط بين التّعطيل والتّشريك . وعملاً كالتعبُّد بأداء الواجبات المتوسِّط بين البطالة والترهُّب . وخُلقًا كالجود المتوسّط بين البخل والتّبذير . وبالعدل الإلهيّ قامت السماوات والأرض . والعدلُ خاصّةُ هذه الأمّة ؛ كما قال تعالى : (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)[1] أي عدولاً خيارًا .

﴿ والْإِحْسَانِ ﴾ يُطلق الإحسانُ على إتقانِ العملِ وإكمالِه ، وعلى إيصال النّفع إلى الخَلْق . وهو مَصْدَرُ أحسنَ يُحسنُ إحسانًا ؛ فيقال : أحسنت كذا ، أي أتقنته وأكملته . وأحسنت إلى فلان : أي أوصلت إليه ما يَنتفع به ؛ وكلاهما مأمور به شرعًا . ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ أي ما عَظُمَ قُبْحُه من الذنوب ؛ قولاً أو فعلاً . ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ أي ما أنكره الشرعُ . وهو يعمُّ جميعَ الذّنوب والمعاصي . ﴿ وَالْبَغْيِ ﴾ أي التطاوُلِ على النّاس بالظلم والعُدوان .

٩١ - ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ﴾ نزلت في الوفاء بالعهود والمواثيق ، والمحافظةِ على الأَيْمان المؤكّدة لها ؛ ومنها مبايعتهم الرسولَ صلى الله عليه وسلم على الإسلام . وتوكيدُ اليمين : توثيقها . ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً﴾ أي شاهدًا رقيبًا . أو ضامنًا . والجملةُ حالٌ من فاعل (تَنْقُضُوا) .

٩٢ - ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ﴾ مَثَلٌ ضُرِبَ لناقضِي العهود بعد توثيقها . أي ولا تكونوا فيما تُقدِمون عليه من النَّقْض كمن أنحتْ على غَزلها بعد إحكامه وإبرامه فنقضته . ﴿قُوَّةٍ﴾ إبرام وإحكام . ﴿أَنْكَاثًا﴾ حماقةً منها جمعُ نِكْث وهو ما نُقض ليُغزل ثانيًا . وفعلُه من باب قَتَل . ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ﴾ أي

(١) آية ١٤٣ البقرة .

اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ
وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ
بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ
بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ
عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا
بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا
إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ

لا تكونوا متشبّهين بامرأةٍ هذا شأنُها ، مُتَّخذين أيمانكم وسيلةً للغَدْر والخيانة . أو للفساد بينكم . والدَّخَلُ : العَيْبُ ؛ واستُعمل فيما يدخل الشيءَ وليس منه ، ثم كُنِّيَ به عن الغَدْر أو الفساد والعداوةِ المستبطِنة . ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ﴾ أى لأجل وُجدانِكم جماعةً أخرى ﴿هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾ أكثرُ عددًا وأعزُّ نفرًا من التى عاهدتموها ـ وكانت قريش تفعل ذلك ؛ بل عليكم الوفاءُ بالعهد وإن قلّ من عاهدتموهم عن أولئك . و(أَرْبَى) : أزيدُ عددًا وأقوى . يقال : رَبَا الشيءُ يربُو ، إذا كثُرَ ﴿يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾ يختبركم به هل توفون بعهدكم .

٩٤ ـ ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ ..﴾ تصريحٌ بالنَّهى عن اتخاذ الأيمان دَخَلاً ، بعدَ النَّهى الضِّمْنِيّ عنه فى الآية السابقة ، حيث وقع قيدًا لقوله : (وَلَا تَكُونُوا) ـ مبالغةً فى قُبْح المنْهىّ عنه ، وتمهيدًا لقوله تعالى : ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ ورسوخها عن محجّة الإسلام . وهو مَثَلٌ يُضرب لكلّ من وقع فى بليّة ومِحنة بعد عافية ونعمة .

٩٦ ـ ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ﴾ أى ما عندكم من متاع الدنيا ونعيمها يَنْقَضِي ويفنَى . يقال : نَفِدَ الشيء يَنْفَدُ نفادًا ونَفَدًا ونُفُودًا ، ذهب وفَنِيَ ؛ ضِدُّ بَقِيَ . ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ فى الآخرة ﴿بَاقٍ﴾ لا يزول ولا يفنَى .

٩٧ ـ ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا ..﴾ ترغيبٌ للمؤمنين فى الإتيان بكل ما كان من شرائع الإسلام . ﴿حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ فى الآخرة ، أو فى القبر ، أو فى الدنيا ؛ بالقناعة والرضا بما قسم الله له وقدّره . وذلك شأنُ كامل الإيمان .

٩٨ ـ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ ..﴾ أى فإذا أردت قراءةَ القرآن فاسأل الله أن يُعيذك من وساوس الشيطان ؛ حتى لا يَصرف قلبك عن التأمّل فيه ، ولا يُلقى فيه الشُّبَه والشُّكوك ، ولا يزيّنَ لك الانصرافَ عنه .

٩٩ ـ ﴿سُلْطَانٌ﴾ تسلط وولاية .

١٠٠ ـ ﴿يَتَوَلَّوْنَهُ﴾ يتخذونه وليًّا مطاعًا .

١٠١ ـ ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً ..﴾ رَدٌّ لقول المشركين : إن محمدًا يسخَر بأصحابه ، يأمرهم اليومَ بأمر وينهاهم عنه غدًا ، ما هو إلا مُفتر يتقوّل من تلقاءِ نفسه . أى وإذا نسخنا آيةً بآيةٍ أخرى . ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ أى بما هو أصلح لخلقه ، وبما يُغيِّر ويُبدّل من أحكامه ؛ فلعلّ ما يكون مصلحةً في وقت ؛ يصير مفسدةً بعده فيَنْسَخه ، وما لا يكون مصلحةً حينئذٍ ؛ يكون مصلحةً الآن فيثبته

رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ * يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ

ثلاثة أرباع الحزب

مكانه . ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ﴾ تختلقه من عندك ؛ قال تعالى : (مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[1] ويُبْعِدُ حَمْلَ الآية على الآية التكوينيّة صريح هذه الآية وما بعدها . وما وقع فى القرآن من نسخ بعض الأحكام إلى بَدَلٍ وإلى غير بَدَل .

١٠٢ - ﴿رُوحُ القُدُسِ﴾ جبريلُ عليه السلام [آية ٨٧ البقرة ص ٢٢] .

١٠٣ - ﴿لِسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ..﴾ أى لغةُ الذى يُميلون قولَهم عن الاستقامة إليه ؛ فيُضيفون إليه أنّه يعلِّم النبىَّ صلى الله عليه وسلم - لغةٌ أعجميَّةٌ غيرُ عربيَّةٍ . وهذا القرآن عربىٌّ مبينٌ . أعجزكم بفصاحته وبلاغته . وأنتم أهل اللَّسَنِ والبيان ؛ فكيف يقدر من هو أعجمىٌّ على مثله ! وأين فصاحةُ القرآن من عُجمته ! والإلحادُ : المَيْلُ . يقال : لَحَد وألحد ، إذا مال عن القصد ؛ ومنه لَحْدُ القبر لأنه حفرةٌ مائلةٌ عن وسطه ، والملحِدُ لأنه أمال مذهبَه عن الأديان كلِّها . والأعجمىُّ : منسوبٌ إلى الأعجم وهو الذى لا يُفصح فى كلامه ، سواء أكان من العرب أم من العجم ؛ زيدت فيه ياءُ النّسب توكيدًا .

١٠٦ - ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللهِ﴾ مبتدأٌ خبرُه محذوف ؛ تقديرُه : فعليه غضبٌ من الله .

١٠٧ - ﴿اسْتَحَبُّوا﴾ اختاروا وآثروا .

١٠٨ - ﴿طَبَعَ﴾ ختم .

١٠٩ - ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقَّ وثبتَ . أو لا محالةَ [آية ٢٢ هود ص ٢٨٩] .

١١٠ - ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ أى إنَّه لهم لا عليهم ؛

(١) ١٠٦ - البقرة .

تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ

بمعنى أنه ناصرُهم لا خاذلهم . ﴿ فُتِنُوا ﴾ عُذِّبوا لأجل أن يرتدُّوا عن الإسلام ؛ مِن الفَتنِ [آية ١٠٢ البقرة ص ٢٥] .

١١٢ - ﴿ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً ﴾ جعل الله قرية موصوفةً بهذه الصّفات مثلاً لكلّ قومٍ أنعم الله عليهم بهذه النِّعَم فأبْطرتهمْ . وكفروا بالله فانتقمَ منهم . ويدخل فى هؤلاء دخولاً أوّليًّا أهلُ مكة . والمرادُ بالقرية : أهلُها . ﴿ آمِنَةً ﴾ لا يُغار عليهم ﴿ مُطْمَئِنَّةً ﴾ قارَّةً بأهلها لا يحتاجون لِلنُّجْعَةِ كما يحتاج سائر العرب . ﴿ رَغَدًا ﴾ واسعًا . ﴿ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الجُوعِ وَالخَوْفِ ﴾ فأذاقها الله ما غشيهَا من صنوف البلاء بسبب صنيعهم ؛ وهكذا أهل مكة .

١١٥ - ﴿ الدَّمَ ﴾ المسفوح وهو السائل . ﴿ وَلَحْمَ الخِنْزِيرِ ﴾ أى الخنزير بجميع أجزائه . ﴿ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ .. ﴾ [آية ١٧٣ البقرة ص ٣٩ ، ٣ المائدة ص ١٤٢] . ﴿ اضْطُرَّ ﴾ دعته الضرورة إلى التناول منه . ﴿ غَيْرَ بَاغٍ ﴾ غير طالب للمحرَّم للذة أو استئثار ﴿ وَلَا عَادٍ ﴾ ولا متجاوز ما يسد الرمق .

١١٩ - ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ ﴾ بعد أن هدَّد المشركين على أنواع من قبائحهم كإنكار البعث والنبوّة ، وكونِ القرآن من عند الله ، وتحريمِ ما أحلَّ الله وتحليلِ ما حرّم الله -

صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

(١٧) سُورَةُ الإِسْرَاءِ مَكِّيَّة

إلا الآيات ٢٦ و ٣٢ و ٣٣ و ٥٧ ومن آية ٧٣ الى غاية آية ٨٠ فمدنية وآياتها ١١١ نزلت بعد القصص

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ

بيّن أن كلَّ ذلك لا يمنع من قبول توبتهم وغفرانِ ذنوبهم إذا تابوا وأصْلَحُوا. ﴿بِجَهَالَةٍ﴾ جاهلين بالله وبعقابه. أو غير متدبّرين فى العواقب لغلبة الشهوات عليهم.

١٢٠ ، ١٢١ - ﴿كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾ أى كان أُمَّةً وَحْدَه ؛ إذ كان عنده من الخير ما كان عند أُمّة بأسرها. أو كان منفردًا بالإيمان فى وقته مدةً مَا ، والناسُ كلّهم كفار. ﴿قَانِتًا﴾ مطيعًا لله خاضعًا له ؛ من القنوت وهو الطّاعة مع الخضوع. ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً عن الأديان الباطلة إلى الدّين الحق. ﴿اجْتَبَاهُ﴾ اختاره واصطفاه للنبوّة [١٧٩ آل عمران ص ١٠٢].

١٢٣ - ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ شريعتَه وهى التوحيد ، وهى الإسلامُ الحنيفُ المعبَّر عنه آنفًا بالصِّراط المستقيم.

١٢٧ - ﴿فِى ضَيْقٍ﴾ أى فى ضِيقِ صدْرٍ وحَرَج. قُرِئ بفتح الضّاد وكسرها ، وهما لغتان فى المصدر. يقال : ضاق الشىء يَضيق ضَيْقًا وضِيقًا ، خلاف اتّسع ؛ فهو ضَيِّق. وضاق صدرُه : حَرِج ؛ فهو ضَيِّق أيضًا ، والاسمُ الضِّيق. والله أعلم.

سُورَةُ الإِسْرَاء

١ - ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى﴾ اسمُ مَصدرٍ لـ (سَبَّح) ، منصوبٌ بفعْلٍ مُضمرٍ تقديره : سبّحت الله

وَجَعَلْنَـٰهُ هُـدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَـٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾

سُبْحانًا أى تسبيحًا ؛ بمعنى نزّهتُه تنزيهًا ، وباعدتُه تبعيدًا من كلّ سوء . وفيه معنى التعجُّب من باهر قدرته فى إسرائه بِعَبْدِهِ . والإسراءُ . السيرُ باللّيل خاصّةً ، مصدرُ أسْرَيت . ﴿بِعَبْدِهِ﴾ أى بمحمَّد صلى الله عليه وسلم . ﴿لَيْلاً﴾ أى فى جزء قليل من الليل . وفائدةُ ذكره مع أن الإسراء لا يكون إلا ليلاً : الإشارةُ بتنكيره إلى تقليل مدّة السَّيْر . وكان الإسراءُ يقظةً بالجسد والرُّوح . ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ فى السّنة الثانيةَ عشرةَ مِن البعثة فى قولٍ . والمشهورُ أنه كان فى ليلة السّابع والعشرين من شهر رجب . وعُرِج به صلى الله عليه وسلم فى هذه الليلة إلى السماء ، وفيها فُرضت الصلواتُ الخمس . وكان عروجُه بالجسد والرُّوح أيضًا ؛ وذلك من المعجزات ، والله على كل شىء قدير . ﴿لِنُرِيَهُ..﴾ لنرفعه إلى السماء فنريه ..

٢ - ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ..﴾ فمحمَّدٌ صلى الله عليه وسلم أُسرِىَ به ، وكلّمه الله تعالى ليلةَ الإسراء حين عُرِج به إلى السماء ، وأُعطِىَ القرآنَ الذى يَهْدِى للتى هى أقْوَمُ . وموسى عليه السلام سار إلى الطُّور ، وناجاه الله ، وأعطاه التوراةَ وهى هُدًى لبنى إسرائيلَ . ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِى وَكِيلاً﴾ أى لئلّا تتّخذوا ربًّا غيرى تَكِلُونَ إليه أمورَكم وتُفوِّضونها إليه .

والمرادُ : النَّهْىُ عن الإشراك بالله تعالى .

٣ - ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ منصوبٌ على الاختصاص . والمرادُ : حملهم على التوحيد بذكر إنعامه عليهم فى ضمن إنعامه على آبائهم من قبلُ ؛ حين لم يكن لهم وكيلٌ سواه تعالى . ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ أى إن نوحًا عليه السلام كان عبدًا كثيرَ الشكر لله تعالى على نِعَمِهِ ؛ من الشُّكَر . وأصلُه الامتلاء . يقال : عَيْنٌ شَكْرَى . أى ممتلئةٌ . ثم استُعير للامتلاء مِن ذكر المنعِم بالثناء وإظهار نعمه .

٤ - ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ ..﴾ أوحينا إليهم ؛ بمعنى أعلمناهم وأخبرناهم فى التَّوراة بما سيقع منهم من الفساد مرّتين فى أرض الشام . قيل : الأولى - تغييرُ التوراة وعدمُ العمل بها ، وحبسُ إرمْياء وجَرْحُه ؛ إذ بشّرهم بمحمّد صلى الله عليه وسلم . والأخرى - قتلُ زكريا ويحيى عليهما السلام . وقال الجُبَّائىُّ : إنه تعالى لم يُبيِّن ذلك فلا يُقطع فيه بخبر . وقولُه تعالى : ﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾ جوابُ قَسَم محذوف . ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ أى لتتكبَّرنّ عن طاعة الله . أو لتغلبنّ الناس بالظلم والعدوان . وتُفرطنّ فى ذلك إفراطًا مجاوزًا للحَدّ .

٥ - ﴿وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾ العقاب الموعود على أولاهما . ﴿أُولِى بَأْسٍ﴾ ذوى قوّةٍ وبَطْشٍ فى الحروب . والبأسُ : الشّدَّةُ والمكروه . ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ توسَّطُوها وتردّدُوا بينها . ذاهبين وجائين لقتلكم ؛ من الجَوْس وهو طلبُ الشىء باستِقْصَاءٍ ، والتردّدُ خلالَ الدُّور والبيوتِ فى الغارة والطّوْفُ فيها . يقال : جاس يجوس جَوْسًا

ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَـٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ
وَجَعَلْنَـٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ
وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟
وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ
وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَـٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾
إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ
ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ
ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾
وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ
عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ
ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ
وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَـٰهُ
تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ

وجَوْسانًا ؛ أى فتّش ونقّب . (خِلَالَ الدِّيَارِ) ما حوالَىْ جُدُرِها وما بين بيوتها .

٦ ـ ﴿الْكَرَّةَ﴾ الدَّولةَ والغَلَبَة . والكَرَّةُ : المرّةُ من الشىء ؛ وأصلها الكَرُّ وهو الرجوع ؛ مَصدرُ كَرَّ يكُرُّ: أى رجع . واستعمالُ الكَرّةِ فى الدّولة والغَلَبَةِ مجازٌ شائع ؛ كما يقال : تراجع الأمرُ . ﴿أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ أى أكثرَ من أعدائكم نافرًا . والنَّفيرُ والنّافِرُ : مَن يَنْفِرُ مع الرجل من عَشيرته للذهاب إلى العدوّ .

٧ ـ ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ ..﴾ أى بعثناهم ليجعلوا آثارَ المساءة والكآبة باديةً فى وجوهكم . وليدخلوا بيت المَقْدِس بالسّيْف والقهر والإذلال ﴿وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا ..﴾ ليُدمِّروا ويُهْلِكُوا ما استولَوْا عليه تدميرًا ؛ من التَّبْر وهو الإهلاك [آية ١٣٩ الأعراف ص ٢١٩] .

٨ ـ ﴿وإنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ أى وإن عدتم إلى الإفساد عُدْنا إلى العقوبة كما فعلتم وفعلنا من قبلُ . وقد عادوا بتكذيب النبىّ صلى الله عليه وسلم فعاد الله بتسليطه عليهم ؛ فقتل قُرَيْظَةَ وأجْلَى بنى النَّضِير . وضَرَبَ الجزْيَةَ على الباقين . ﴿حَصِيرًا﴾ مَحْبَسًا وسِجْنًا يُحبسون ويُسْجَنون فيه ؛ مِن الحَصْر بمعنى التَّضييق .

٩ ـ ﴿إنّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ مقابلٌ لقوله تعالى : (وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِى إِسْرَائِيلَ) أى أن القرآن يدعو الإنسانَ إلى الخير الذى لا خيرَ فوْقَه من الأجر العظيم . ويحذّرُ من الشّر الذى لا شرَّ وراءَه من العذاب الأليم .

١١ ـ ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ﴾ أى أن بعضَ أفرادِ الإنسانِ ـ وهو الكافر ـ يدعو لنفسه بما هو الشّرُّ من العذاب الأليم بلسانه ، أو بأعماله السيّئةِ المُفْضِيَةِ إليه ـ دعاءً كدعائه بالخير لو فُرِض أنه دَعَا به . ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً﴾ فى دعائه بالشرّ متسرّعًا فى طلب ما يضرُّه ، متعاميًا عن ضرره ؛ من العَجَلة وهى طلب الشىء قبل أوانه .

وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا

١٢ - ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ بيانٌ لبعض الدّلائل الآفاقية التي تدلُّ على قدرته تعالى . أي خلقْنا المَلَوَيْنِ بهيئاتهما وتعاقبهما واختلافهما فى الطُّول والقِصَر على وتيرةٍ عجيبة - آيتَيْن دالَّتين على أن لهما صانعًا قادرًا حكيمًا ، وعلى ما هَدَى إليه القرآنُ من الإسلام والتوحيد . ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ أى الآية التى هى الليل أى جعلنا الليلَ مَمْحُوَّ الضَوْءِ مطموسَهُ ، مظلمًا لا يظهر فيه شيء . ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ أى جعلنا الآيةَ التى هى النهار مُضِيئةً . أو مُبْصَرًا فيها . من قولهم : أبصر النهارُ ، إذا أضاء وصار بحالة يُبْصَر فيها .

١٣ - ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ ..﴾ وألزمنا كلَّ إنسانٍ مكلَّفٍ عمَله الصّادرَ منه باختياره ، حسبما قدّرناه له من خيرٍ وشرّ ؛ كأنّه طار إليه من عُشّ الغيْب ووَكْر القَدَر ، فلازمه ملازمةً لانفكاك منها . وكانوا يتفاءلون بزَجْر الطّير ، ويَنْسِبُون إليه الخير والشّر ؛ فاستُعير الطائر لما يشبه ذلك من قَدَر الله وعَمَل العبد ، لأنه سببٌ للخير والشر . ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا﴾ هو صحيفةُ عَمَله .

١٤ - ﴿حَسِيبًا﴾ مُحاسبًا كجليس بمعنى مُجالِس . أو حاسبًا وعادًّا عليه ؛ كصَريم بمعنى صارم . يقال : حَسَب عليه كذا يَحْسُبُه ، عدَّه عليه .

١٥ - ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾ أى لا تحمل نفسٌ آثمةٌ إثمَ نفسٍ أخرى حتى يمكن تخلّص النّفس الثانية من وزرها ، وإنّما تحمل كلٌّ منهما إثمَ ما باشرته أو تسبّبت فيه . [آية ١٦٤ الأنعام ص ١٩٨] .

١٦ - ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ ..﴾ أى وإذا دنا وقتُ تعلّقِ إرادتنا بإهلاك أهلِ قرية بعذابِ الاستئصال لِمَا اقترفوه من الظُّلْم والمعاصى - أمَرْنا بالطاعة مُتنعِّميها وجبّاريها وقادتَها ففسَقُوا فيها وتمرّدُوا . وهو من باب قولهم : أمَرْتُه فعصانى . مِن التُّرْفَة [آية ١١٦ هود ص ٣٠١] . وخُصُّوا بالذِّكر مع توجّه الأمر بالطاعة إلى الكلّ ؛ لأنهم أئمةُ الفِسْق ورؤساءُ الضلال ، وغيرُهم تبعٌ لهم . أو المعنى : وإذا دنا ذلك الوقتُ أفَضْنا عليهم النِّعَمَ المبطِّرةَ لهم وصببناها عليهم ؛ كأننا أمرناهم بالفسق ففسَقوا فيها وعصوْا . وقيل (أمَرْنَا) بمعنى كثَّرْنا كآمَرْنا ، وبها قُرِئ . وقُرِئ (أمَّرْنا) بتشديد الميم ؛ أى كثّرناهم أو جعلناهم أمراءَ مسلّطين . ﴿فَدَمَّرْنَاهَا﴾ فاستأصلناها بالهلاك ؛ لأن غيرَ المترَف يتبع المترَف فى فسقه

سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ * وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾

ربع الحزب

عادةً ؛ مِن التَّدمير وهو إدخال الهلاك على الشيء مع طَمْس الأثر. ﴿ القُرُونِ ﴾ الأمم المكذبة.

١٨ - ﴿ يَصْلَاهَا ﴾ يدخلها ؛ مِن صَلَيْت الرجلَ النارَ ، أدخلته فيها . وصَلَيت الشاةَ : شَوَيتها . ﴿ مَدْحُوراً ﴾ مطرودًا مُبْعَدًا من رحمة الله [آية ١٨ الأعراف ص ٢٠٠] .

٢٠ - ﴿ كُلًّا نُمِدُّ ﴾ أى نزيد كلاًّ من الفريقين مرّةً بعد أخرى ؛ فنزيد المعجَّلَ لهم من العطايا العاجلة ، ونزيد المشكورَ لهم من العطايا الآجلة . يقال : أمدَّ الجيش بالجند ، إذا زاده وقوّاه . ﴿ مَحْظُورًا ﴾ ممنوعًا عن أحد ممن يريد إعطاءه ، مؤمنًا كان أو كافرًا ، تفضلا منه تعالى ؛ مِن الحَظْر بمعنى الحَجْر . يقال : حَظره يَحْظُره فهو محظور ، أى ممنوع .

٢٢ - ﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ... ﴾ لما بيَّن سبحانه أن سعادةَ الآخرةِ منوطةٌ بإرادتها وبأن يسعَى الإنسانُ لها سعيَها ، وبأن يكون مؤمنًا - فصَّلَ ذلك بذكر خمسةٍ وعشرين نوعًا من أنواع التكاليف : ١ - التوحيدُ بقوله : (لَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ) . ٢ ، ٣ - الأمرُ بعبادة الله ، والنهىُ عن عبادة غيره بقوله : (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) . ٤ - (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) . ٥ - (فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ) . ٦ - (وَلَا تَنْهَرْهُمَا) . ٧ - (وقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا) . ٨ - (واخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ) . ٩ - (وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا) . ١٠ - (وآتِ ذَا القُرْبَى حَقَّهُ) . ١١ - (وَالْمِسْكِينَ) . ١٢ - (وابنَ السَّبِيلِ) . ١٣ - (وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا) . ١٤ - (فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُورًا) . ١٥ - (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ) . ١٦ - (وَلَا تَبْسُطْهَا ..) ﴿ مَخْذُولًا ﴾ غير منصور ولا معان من الله . ١٧ - (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ) ١٨ - (وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا) . ١٩ - (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ) . ٢٠ - (فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ) . والباقى : (وأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ، وَأَوْفُوا الْكَيْلَ ، وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ ، وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، ولَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) .

٢٣ - ﴿ قَضَى رَبُّكَ ﴾ أمر وألزم وحكم . ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ ﴾ لا تقل لهما : أنا أتضجَّر وأقلَق من كل فعلٍ لكما تضجُّرًا . وأفٍّ : اسمُ فعلٍ مضارعٍ هو اتضجَّر . والنَّهىُ عن ذلك يدلّ على النَّهى عن سائر أنواع الأذى بدلالة النّص ﴿ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ لا تزجرهما عمّا يتعاطيانه مما لا يعجبك ، والنَّهْرُ : الزَّجْرُ بمغالظة . يقال : نهره وانتهره بمعنًى . والمرادُ من النَّهى الأوّلِ : المنعُ من إظهار الضَّجَر منهما مطلقًا . ومن الثانى : المنعُ من إظهار المخالفة فى القول على سبيل الرد والتكذيب . ﴿ قَوْلاً كَرِيماً ﴾ حسنًا جميلاً ليِّنًا .

وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾

٢٤ - ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ..﴾ أَلِنْ جانبَك متذلِّلاً لهما من مبالغتك فى الرّحمة بهما .

٢٥ - ﴿لِلْأَوَّابِينَ﴾ الرّجّاعين إليه تعالى بالتوبة مما فرط منهم . جمعُ أوّاب ؛ بمعنى كثير الأوْبة والرجوع إلى طاعة الله . يقال : آب يئوب ، أى رجع .

٢٦ - ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى﴾ أعْطِ ذوى قُرباك حقوقَهم من صلة الرَّحِم ، والمودّةِ والمعاضدةِ ، والزيارةِ وحُسنِ المعاشرة ، والمؤالفة على السّرّاء والضّراء ، ونحو ذلك .

٢٩ - ﴿مَغْلُولَةً﴾ مقبوضةً عن الإنفاق فى سبيل الخير . وأصلُ الغُلِّ : الطَّوْقُ الذى يُجعل فى العنق وتضمُّ به اليَدُ إليه ؛ كُنِّيَ به عما ذُكر . ﴿تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ كناية عن التبذير والإسراف . ﴿مَحْسُورًا﴾ منقطعًا بك ، لاشىءَ عندك بسبب الإسراف وإتلاف المال ؛ مِن حَسَره السيْرُ يحسِرُه ويحسُرُه . إذا أثّر فيه أثرًا بليغًا . ويقال : بعيرٌ محسورٌ ، إذا ذهبت قُوّته فلا انبعاثَ به . نُهوا عن البُخل والإسراف . وهو حثٌّ على التوسُّط والاعتدال فى إنفاق المال .

٣٠ - ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يُضيِّقُ ويقتِّر على حسب ما تقتضيه الحكمةُ الإلـٰهية .

٣١ - ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ أى خوفَ فاقةٍ وفقر . وهو نهىٌ للموسرين ، كما نَهيَ المُعْسرين بقوله تعالى : (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ) . والمرادُ النّهيُ عن وَأْد البناتِ لذلك ؛ لما فيه من سُوء الظنّ بالله تعالى . يقال : أملق الرجلُ ، افتقر . وأصلُه من أملق الرجلُ بمعنى لم يبق له إلا المَلَقُ - محركة - وهو ما استوى من الأرض ؛ بمعنى أنه قاعٌ لا نباتَ فيه . ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا﴾

وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا

إثمًا – وزنًا ومعنًى – مصدرُ خَطِئَ خطئًا ، كأَثِمَ إثمًا . وقُرِئ : (خَطأً وخطَاءً) وهما لغةٌ فى (خِطْأً) . ﴿كَبِيرًا﴾ عظيمًا فاحشًا .

٣٣ – ﴿سُلْطَانًا﴾ تسلطًا على القاتل بالقصاص أو الدية .

٣٤ – ﴿يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ قوّته . أى زمنَ قوّتِه واشتدادِه ، بحيث يمكنه بسبب عقله ورُشْده القيامُ بمصالح مالِه ، فتزول الولاية عنه فيه [آية ١٥٢ سورة الأنعام ص ١٩٦] .

٣٥ – ﴿بِالْقِسْطَاسِ﴾ بالميزان ، أو بالعدل . وفيه لغتان : كسرُ القاف وضمُّها . وهو لفظٌ معرَّبٌ . ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ مآلاً وعاقبةً ؛ لما يترتّب عليه من الثواب فى الآخرة ؛ مِن الأَوْل وهو الرجوع . [آية ٥٩ سورة النساء ص ١١٩ ، ١٢٠] .

٣٦ – ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ لا تَتّبع ما لا علمَ لك به من قولٍ أو فعلٍ . ويندرج فى ذلك شهادةُ الزُّور والكذبُ ، وأن تقول للناس وفى الناس مالا علمَ لك به ، وترميهم بالباطل . يقال : قفوتُه أَقْفُوه . وقُفْتُه أَقُوفُه وقَفَّيْتُه ، إذا اتبعت أثَرَه . وأصلُ القَفْو : العَضْهُ والبَهْتُ والقَذْفُ بالباطل .

٣٧ – ﴿وَلَا تَمْشِ فِى الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ فخرًا وكبرًا وخُيَلاء . والمَرَحُ فى الأصل : شدّةُ الفرح والتوسُّعُ فيه . والمذموم منه أن يكون متلبِّسًا بكِبْر وخُيَلاء ، وتجاوُز للقَدْر . وفعله من باب فَرِح . وتقييدُ النّهى بقوله : (فِى الْأَرْضِ) للتذكر بالمبدأ والمعاد المانعين من الكِبْر والخُيَلاء ، وللتمهيد للتعليل الآتى .

٣٨ – ﴿كَانَ سَيِّئُهُ ..﴾ أى السيئ منه وهو المنهيّات الاثنتا عشرة ﴿عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ أى وأمّا حسنُه وهو المأمورات فهو مرضىٌّ عند الله محمودٌ .

٣٩ – ﴿ذَٰلِكَ﴾ أى المتقدّم من التكاليف والأحكام المحكَمة التى لا يتطرّق إليها النَّسْخ والنقض ، المذكورةِ فى الآيات الثانى عشرة : من آية ٢٢ إلى هذه الآية . ﴿مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ﴾ . وعن ابن عباس : أن التوراة كلَّها فى هذه الآيات .

لَّابْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾

﴿مَدْحُورًا﴾ أى مطرودًا مبعدًا من رحمة الله تعالى .

٤٠ - ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ﴾ أفضلكم ربكم فخصكم ؟

٤١ - ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ بيّنّا فيه أحسنَ بيانٍ ضروبًا من الأمثال والمواعظِ والقصص والأخبار والأحكام ، مِن التَّصريف ، وهو كثرة صَرْفِ الشيء من حالة إلى أخرى ، ومن أمرٍ إلى آخر . ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ أى وما يزيدهم ذلك التصريفُ والتذكيرُ إلا تباعُدًا وشرودًا عن الحق ، وغفلةً عن الاعتبار . يقال : نَفَرت الدابة تنفِر وتنفُر نُفورًا ونِفارًا فهى نافر ونَفور ، جَزِعت وتباعدت . ونَفَرَ الظَّبْيُ نَفْرًا ونفراناً : شَرَد .

٤٢ - ﴿لَابْتَغَوْا﴾ لطلبوا . ﴿سَبِيلاً﴾ بالمبالغة والممانعة .

٤٤ - ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ﴾ تَسْبيحُ هذه الكائناتِ لله تعالى هو دلالتُها بإمكانها وحدوثها وتغيّر شئونها وبديع صُنعها ، على وجود مبدعها ووحدته وقدرته ، وتنزُّهه عن لوازم الإمكان والحدوث ؛ كما يدل الأثرعلى المؤثّر . فهى دلالةٌ بلسان الحال لا يفقهها إلاّ ذوو البصائر . أمّا الكافرون فلا يفقهون هذا التسبيح ؛ لفرط جهلهم وانطماس بصائرهم وكثافة حُجُبهم ، والله تعالى لم يعاجلهم بالعقوبة حلمًا منه ، وهو غفور لذنوبهم إذا تابوا إليه وأنابوا .

وقيل : تسبيحُها بلسان المقال ، وقد خلق الله فيها القدرةَ على ذلك ولم يَرْتَضِ الإمامُ هذا القول . وقيل : تسبيحُ العقلاء بلسان المقال ، وتسبيحُ غيرهم بلسان الحال .

٤٥ - ﴿وإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ ...﴾ بعد أن بيَّن سبحانه عدمَ فِقْه هؤلاء الكافرين الجاحدين للبَعْث دلالةَ المحدَثات على صانعها وعلى وحدانيته وقدرته ، مثّلهم - فى جهلهم بشئونه صلى الله عليه وسلم وبصدق رسالته ، وفَرْط نبوّ قلوبهم عن فهم القرآن الكريم ، ومَجِّ أسماعهم له - بمن أُقيمَ حجابٌ ساترٌ بينه وبين مخاطبِه . وجُعلت على قلبه أغطيةٌ تحول دون فهم كلامه ، وصُمَّت آذانُه صَمَمًا ثقيلاً يمنع من سماعه ؛ فهو لا يرى ولا يفقه ولا يسمَع . ﴿مَسْتُورًا﴾ أى ساترًا لك عنهم . ومفعولٌ يَرِدُ بمعنى فاعل ؛ كميمون بمعنى يامن .

٤٦ - ﴿أَكِنَّةً﴾ أى أغطيةً ، جمعُ كِنان وهى ما يتغشّاهم من خذلان الله لهم فى فهم ما يُتلَى عليهم . ﴿وَقْرًا﴾ أى صَمَمًا وثِقَلا .

٤٧ - ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ ...﴾ نزلت تهديدًا للمشركين على استهزائهم



ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ * قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ

بالقرآن وبالرسول صلى الله عليه وسلم وتكذيبهما ، وعلى تناجيهم فيما بينهم بقولهم : ساحرٌ ، أو شاعرٌ ، أو كاهنٌ ، أو مجنونٌ. وتسليةً له صلى الله عليه وسلم ؛ أى نحن أعلم بما يستمعون القرآن متلبّسين به من اللَّغْو والاستهزاء والتكذيب حين استماعهم إليك ، وحين تَناجيهم بما ذكر. و «إذْ» فى قوله «إذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وإذْ هُمْ نَجْوَى» : ظَرفٌ لقوله «أَعْلَمُ». ﴿نَجْوَى﴾ مصدرٌ بمعنى التّناجى والمسارّة فى الحديث. وقد جُعلوا عَيْنَ النَّجْوَى مبالغةً ، على حَدّ : قومٌ عدلٌ ، وقومٌ رِضًا. جمعُ نَجِيّ كقَتيل وقَتْلَى ؛ أى متناجون فى أمرك. ﴿مَسْحُورًا﴾ قد خبله السِّحْرُ فاختلط عقله ؛ وهو كما قالوا فى حقّه : (إنْ هُوَ إِلّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ)[1]. اسمُ مفعول ، من سَحَره يَسْحَرُهُ سِحْرًا : وهو الأُخْذة وكلُّ ما لَطُف مأخذُه ودَقّ.

٤٩ – ﴿أَئِذَا كُنّا عِظَامًا﴾ أى أَنُبعثُ خَلقًا جديدًا إذا صِرْنا عظامًا نَخِرَةً ﴿وَرُفَاتًا﴾ تُرابًا أو أجزاءً متفتّتة !؟ والرُّفاتُ : ما تكسَّر وبَلِيَ من كل شىء ؛ كالفُتَات. يقال : رَفَت الشىءَ يَرْفِته ويَرْفُته ، كسرَه ودقَّه..

٥١ – ﴿يَكْبُرُ﴾ يعظم عن قبول الحياة كالسماوات. ﴿الَّذِى فَطَرَكُمْ﴾ أى الذى أبدعكم من غير مِثال هو الذى يُعيدكم بعد الموت بقدرته التى لا يتعاظمها شىء. ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ سيحرّكونها نحوك تعجُّبًا واستهزاءً. يقال : نَغَض رأسُه يَنْغُض ويَنْغِض نَغْضاً ونُغوضًا ، إذا تحرّك واضطَرب. وأنغض رأسَه : حرّكه بارتفاع وانخفاض ؛ كالمتعجّب من الشىء.

٥٢ – ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ أى منقادين لبَعْثه انقيادَ الحامدين له.

٥٣ – ﴿وَقُلْ لِعِبَادِى ..﴾ أَمَرَ المؤمنين أن يقولوا عند محاورة المشركين الكلمةَ التى هى أحسنُ وأقربُ إلى استمالتهم للإيمان ، حتى لا يَلجُّوا فى العناد. وهو كقوله تعالى : (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ)[2] كأن تقولوا لهم : (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ..). ﴿يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ يُفسد ويُهيّجُ الشّرَّ بينهم. يقال : نَزَغه يَنْزَغه ، طعن فيه واغتابه. ونَزَغَ بينهم : أفسد وأغرَى ووسْوس.

٥٤ – ﴿وَكِيلاً﴾ موكولا إليك أمرهم.

(١) آية ٢٥ المؤمنون. (٢) آية ٤٦ العنكبوت.

بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا

٥٥ ـ ﴿زَبُورًا﴾ كتابًا فيه تحميد وتمجيد ومواعظ .

٥٦ ـ ﴿تَحْوِيلاً﴾ نَقْلَهُ إلى غيركم ممن لم يعبدهم .

٥٧ ـ ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ أى الذين اتخذهم الكفارُ آلهةً من العقلاء ؛ كالملائكة وبعض الإنس والجن . ﴿الْوَسِيلَةَ﴾ القربة بالطاعة والعبادة .

٥٩ ـ ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ ..﴾ وما كان سببَ تركنا إرسال الآيات التى اقترحها المشركون إلا علمُنا بأنهم سيكذّبون بها كما كذّب بأمثالها الأوّلون ؛ فيستوْجبون مثلَهم عذابَ الاستئصال على ما جرت به السُّنةُ الإلٰهية . وقد قَضَيْنا بإمهال المكذّبين من هذه الأمّة لحِكَم نعلمها . ﴿مُبْصِرَةً﴾ آيةً بَيِّنَةً واضحةً . ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾ أى فظلموا أنفسهم وعرّضوها للهلاك بسبب عَقْرِها .

٦٠ ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ فهم فى قبضة قدرته ، ومنهم كفارُ مكّةَ فسيهلكهم . ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا ..﴾ وهى ما عاينه صلى الله عليه وسلم ليلةَ الإسراء من العجائب السماويّة والأرضيّة . وأُطلق على ذلك رُؤْيَا مع أنّه كان يقظةً ؛ لأن الرُّؤيا تُطلق حقيقةً على رؤيا المنام ورُؤيةِ اليقظة ليلاً . أو على سبيل التّشبيه بالرؤيا ؛ لما فيها من العجائبِ ، أو لوقوعها ليلاً وسرعةِ تقضّيها كأنها منام . وقد كانت سببَ افتتانِ الضعفاء من المسلمين ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ﴾ أى وما جعلنا الشجرةَ التى جاء القرآنُ بلَعْن آكليها ـ وهى شجرةُ الزَّقُّوم ـ إلّا فتنةً لبعض الناس ؛ حيث كذّبوا خلقَ شجرةٍ فى النّار . ﴿طُغْيَاناً﴾ تجاوزا للحد فى كفرهم وتمردا .

٦٢ ـ ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا ..﴾ أخبرنى عن هذا الذى كرّمته علىّ ! لِمَ كرّمته علىّ وأنا أكرمُ منه [آية ٤٠ الأنعام ص١٧٤] . ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ

ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ
ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ
فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ
ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ
وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ
ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ
سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى
لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ
رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ
إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ
كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ
عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن
يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ
فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾

﴿ذُرِّيَّتَهُ﴾ لأستولِيَنَّ عليهم استيلاءً قويًّا ، ولأقودنَّهم حيثُ شئتُ ؛ من قولهم : حَنَك الدّابة يحْنُكها ويَحْنِكُها وأحنكها ، إذا جعَل في حَنَكِها الرَّسنَ ليقودها به . أو لأستأصلنّهم بالإغواء ؛ من قولهم : احتنك الجرادُ الأرضَ ، إذ أكل نباتها وأتى عليه .

٦٤ ـ ﴿وَاسْتَفْزِزْ﴾ استخفَّ أو أزعِج . يقال : استفزّه ، إذا استخفّه فخدَعه وأوقعه فيما أراده منه . واستفزّني فلان أزعجني . ﴿بِصَوْتِكَ﴾ أي بدعائك إيّاهم إلى معصية الله تعالى . ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ﴾ أي صِح عليهم وسُقهم ؛ مِن الجَلَبَة بمعنى الصياح . يقال : جَلَب على فرسه وأجلب ، إذا صاح به من خَلْفِه واستحثّه للسّبق . أو أجْمِع عليهم خيْلَك ورَجلك . يقال : أجلبَ على العدوّ بخَيله ، أي جمع عليه الخيل . ﴿بِخَيْلِكَ﴾ أي بفُرسانك الراكبين على الخيل . ﴿وَرَجِلِكَ﴾ أي وبجندك المشاة . يقال : فلان يمشي رَجلاً ، أي غير راكب . والمرادُ : تمثيلُ تسلّطه عليهم بالإغواء والإضلال بقائد جُنْد يفعل ذلك بعدوّه للتمكُّن منه وإهلاكه . ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ أي إلّا وعدًا باطلا خادعًا . وأصل الغرور : تزيينُ الباطلِ بما يُوهِم أنه حقٌّ . يقال : غَرَّ فلاناً ، إذا أصاب غِرَّته ـ أي غفلته ـ ونال منه ما يريد . وغرَّه يَغُرُّه غرورًا : خدعه . وأصلُه مِن الغُرّ ، وهو الأثر الظّاهر من الشيء ؛ ومنه غُرَّةُ الفرس .

٦٥ ـ ﴿عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ تسلُّطٌ وقدرة على إغوائهم .

٦٦ ـ ﴿يُزْجِي﴾ يسوق ويدفع برفْق . يقال : أزجى الإبلَ : ساقها برفق . والرّيحُ تُزْجي السحابَ : تسوقه سوْقًا رفيقًا .

٦٧ ـ ﴿إِلَّا إِيَّاهُ﴾ استثناءٌ منقطعٌ إذا أريد بـ «مَنْ تَدْعُونَ» آلهتُهم . ومتّصلٌ إذا أريد به آلهتُهم والله تعالى .

٦٨ ـ ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمْ﴾ يغور ويغيب بكم تحت الثرى . ﴿حَاصِبًا﴾ ريحًا شديدةً ترميكم بالحصْباء ، وهي الحجارة



﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ﴾

الصِّغار ، واحدتها حصَبة . يقال : حَصَبَ فلانٌ فلاناً ، إذا رماه بها .

٦٩ ـ ﴿قَاصِفاً مِّنَ الرِّيحِ﴾ ريحاً شديدةً تَقْصِفُ لشدّتها ما مرَّت به من الأشجار وغيرها فتَحْطِمه وتدقُّه ؛ من قولهم : قَصَفَ فلان ظهر فلان ، إذا كسَره . أو ريحاً لها قصيفٌ ، أى صوتٌ شديد ؛ كأنها تتقصّف أى تتكسَّر . ﴿تَبِيعاً﴾ مطالباً يطالبنا بما فعلنا انتصاراً لكم ، ودركاً للثأر من جهتنا . فعيلٌ بمعنى فاعل أى تابع ، بمعنى مطالب بالثأر . ويقال لكلِّ من طَالَبَ بثأر أو غيره : تابعٌ وتَبيع .

٧١ ، ٧٢ ـ ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ أى بِنَبِيِّهِمْ ، أو بكتاب أعمالهم ؛ فيقال : يا أتباعَ موسَى ، ويا أتباعَ عيسى ، ويا أتباعَ محمَّد . أو يا أصحابَ كتابَ الخير ، ويا أصحابَ كتابَ الشرّ . ﴿فَمَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ أى أُعْطِى صحائفَ أعماله بيمينه تشريفاً وبشارةً . ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ من أجورهم ﴿فَتِيلاً﴾ أى قدر فتيل ، وهو الخيط الرَّقيقُ الذى فى الحزِّ الكائن فى ظهر النَّواة طُولاً . وهو كنايةٌ عن أنهم لا يَنقصون أدْنَى شىءٍ من ثوابهم . وأمَّا الذين يؤتَوْن كتبَهم بشمالهم فهم الذين عناهم الله تعالى بقوله : ﴿وَمَنْ كَانَ فِى هَذِهِ﴾ أى فى الدنيا ﴿أَعْمَى﴾ البصيرة ﴿فَهُوَ فِى الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ لا يهتدى إلى سبيل النجاة ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ منه فى الدنيا ؛ لاستحالة تداركه ما فات .

٧٣ ـ ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ ..﴾ «إِنْ» مخفَّفَةٌ من الثقيلة ، واسمُها ضميرُ الشّأن ، و«كَادُوا» قاربوا ؛ أى إن الشأن قاربوا فى ظنهم الباطلِ لَيصرفونَك بفتنتهم عما أوحينا إليك . والآيةُ مكيَّةٌ ، نزلت فيما عرضه كفار قريش عليه صلى الله عليه وسلم ، من جعل آية الرحمة آية عذاب وبالعكس ، وقيل مَدنيَّةٌ ، نزلت فى وَفد ثقيف . ﴿لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا﴾ لتختلق وتتقول علينا .

٧٤ ـ ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ ..﴾ أى ولولا تَثْبيتُنا إيَّاك على الحقّ بالعصمة لقاربت أن تميل إليهم شيئًا من الميل فيما اقترحوه عليك بقوّة خَدْعهم وشدَّةِ احتيالهم ؛ لكنَّ الله تعالى ثَبتك تثبيتاً ، فمنعك بالعِصْمة من أن تقارب الميل ، فضلاً عن المَيْل نفسه إليهم . و«لَوْلَا» حرفٌ يدلُّ على امتناع الجواب لوجود الشرط ؛ أى امتناع القُرْب من الرُّكون لوجود التثبيت ، وإذا امتنع القُرْبُ منه امتنع هو بالضرورة . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : كان رسول الله معصومًا ، ولكن هذا تعريفٌ للأمة لئلا يَرْكَنَ أحدٌ منهم

ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَـٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى

إلى المشركين فى شىء من أحكام الله تعالى وشرائعه. ﴿تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾ تميل إليهم.

٧٥ - ﴿لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ..﴾ أى عذابًا مضاعفًا فى الحياة الدنيا، وعذابًا مضاعفًا فى الممات. والمرادُ به: ما يشمل العذابَ فى القبر والعذاب بعد البعث. أو ضِعفَ العذاب المعجَّل للعُصاة فى الدنيا، وضعفَ العذاب المؤجَّل لهم بعد الموت. وضِعفُ الشىء: مثله [آية ٣٨ الأعراف ص ٢٠٤].

٧٦ - ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ..﴾ أى وإنَّ الشأنَ قاربوا لَيُزْعِجُونك بعداوتهم ومكرهم ليخرجوك من مكة، ولو أخرجوك لاستُؤصِلوا على بَكْرَة أبيهم؛ ولم يُخرجوه بل هاجر بأمر ربّه. أخبره الله تعالى بذلك قبل الهجرة. والآيةُ مكيَّةٌ. وقيل مدنيَّةٌ. قال فى لباب التأويل: إنَّ الأوّلَ أليَقُ بالآية؛ لأن ما قبلها خبرٌ عن أهل مكة، والسّورةُ مكيَّة. [راجع فى معنى الاستفزاز آية ٦٤ من هذه السورة].

٧٧ - ﴿تَحْوِيلًا﴾ تغييرًا وتبديلا.

٧٨ - ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ أى بعد زوالها وهو مَيْلها عن وسط السماء لجهة الغَرْب. يقال: دَلَكت الشمس تدلُك، أى مالت وانتقلت من وَسط السماء إلى ما يليه. ومادّةُ «دَلَكَ» تدل على التحوُّل والانتقال. ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ أى شدّة ظُلمته. يقال: غسَقَ اللّيْلُ وأغسق، وظَلِم وأظْلَم، ودَجَا وأدجى، وغَبَس وأغبس، وغَبِش وأغبش، بمعنًى. وأصلُ معنى الغَسَق: السَّيَلان. يقال: غَسِقَت العينُ - كضَرَب وسَمِع - أى سال دمعها؛ فكأنَّ الظلمة تنصبّ على العالم وتسيل عليهم. والمرادُ بالصلاة التى تُقام من بعد الدُّلوك إلى الغَسق: صلاةُ الظهر والعصر والمغرب والعشاء. ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ أى وأقم قراءة الفجر أى صلاتَه. وسُمِّيتْ قرآنًا لأن القراءة ركنُها؛ من تسمية الشىء باسم جزئه. كتسمية الصلاة ركوعًا وسجودًا وقنوتًا.

٧٩ - ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾ أى وتيقظْ من نومك فى بعض الليل فتهجَّد بالقرآن، أى بالصلاة. ﴿نَافِلَةً لَكَ﴾ فريضةً زائدةً على الصلوات الخمس خاصَّةً بك دون أمّتك؛ بناءً على أن فرض التهجُّد لم يُنسخ فى حقّه صلى الله عليه وسلم. أو فضيلةً وزيادةَ درجاتٍ؛ بناءً على أنه مندوب فى حقّه، وأنَّ الوجوبَ منسوخٌ فى حقّه كما نُسخ فى حق أُمّته والتهجُّدُ: الصلاةُ بعد القيام من النوم ليلا، وقيل: الاستيقاظ من النوم ليلاً للصلاة؛ من الهجود، وهو النوم ليلاً. ثم استُعملت صيغة «تهجّد» فى إزالته؛ كتأثّم وتحرّج فى إزالة الحرج والإثم. ﴿مَقَامًا

مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾
وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ
زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ
وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى
الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ
يَئُوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ
بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ
الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾
وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ
بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُ
كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ

مَحْمُوداً﴾ هو مقامُ الشفاعة العظمَى فى فصل القضاء . أو مقامُ الشفاعة لِأمَّته صلى الله عليه وسلم يوم القيامة .

٨٠ ـ ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ إدخالاً مَرْضِيًّا جيّدًا فى كل ما أُدخُلُ فيه من أمرٍ أوْ مكان . فهو مصدرٌ بمعنى الإدخَال ، كالمُجرَى والمُرسَى ، وإضافتُه من إضافة الموصوف لصفته [آية ٣ يونس ص ٢٧١] . ﴿سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ قهرًا وعزًّا ننصر به الإسلام .

٨١ ـ ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ أى جاء الإسلامُ أو الدِّينُ الحقّ . وزال واضمحلّ بمجيئه الشِّرك . يقال : زهَقَت نفسُه تَزْهَق زُهوقًا ـ خرجتْ من الأسف على الشىء . وزهَق السهمُ : جاوز المرْمَى إلى ما وراءه .

٨٢ ـ ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ . . .﴾ أى لا يزيد القرآنُ المكذّبين به إلا هلاكًا ؛ فكلَّما نزلت آيةٌ تَجدّدَ تكذيبُهم وكفرُهم بها فازدادوا هلاكًا . والخسارُ والخَسارةُ : الهلاكُ والضّلالُ . ﴿خَسَارًا﴾ هلاكًا بسبب كفرهم به .

٨٣ ـ ﴿ونَأَى بجَانِبِهِ . .﴾ بَعُد منَّا بنفسه تكبُّرًا وتعاظُمًا ؛ كأن لم تنله نِعمةٌ منَّا ؛ مِن النَّأْى وهو البُعْد . والجانِبُ : النّفسُ . يقال : جاء من جانب فلان كذا ـ أى منه ـ وهو كناية ؛ كما يُعَبَّر بالمقام والمجلس عن صاحبه .

﴿يَئُوسًا﴾ شديدَ اليأس من رحمتنا .

٨٤ ـ ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ أى كلُّ واحدٍ من المُعْرِض والمُقبل ـ أو من المؤمن والكافر ـ يعمل على طريقته ومذهبه الذى يشاكِل حالَه ويشابهه فى الهُدَى والضلال ، والحُسْن والقُبْح . من قولهم : طريقٌ ذو شواكِلَ ، أى طُرق تتشعَّب منه ؛ مأخوذةٌ من الشَّكْل ـ بالفتح ـ وهو المِثْل والنَّظيرُ يقال : لستَ على شَكْلى ولا شاكلتى .

٨٥ ـ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ سأل اليهودُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن كُنْه الرُّوح تعنتا وامتحانًا ؛ فأُمِرَ أن يُجيبَهُم بأنه مما استأثر الله بعلمه . وعن عبد الله بن بُريدة : أنَّ الله تعالى لم يُطلع على الرُّوح مَلَكًا مقرَّبًا ولا نبيًّا مرسَلا ؛ بدليل هذه الآية .

٨٦ ـ ﴿ولَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ . .﴾ فى الآية امتنانٌ من الله تعالى بإبقاء القرآن أى إلى قرب قيام الساعة . ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً﴾ أى مَن يتعهَّد باسترداده بعد

عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا

إذهابه ، كما يلتزم الوكيل ذلك فيما يوَكَّل فيه .

٨٨ - ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ..﴾ أى لا يقدرون على الإتيان بمثله فى بلاغته وحسن نظمه ، وتأليفه وأسلوبه البديع ، ولو تعاونوا جميعًا على ذلك . وقد عَجز فصحاءُ العرب - وهم أئمةُ البيان وفرسانُ البلاغة وذوو اللسَن فى الخطب - عن معارضته بعد التحدى . فكان غيرُهم أعجز ! وتتابعت القرون وتضافر الأعداءُ فلم يستطع أحدٌ أن يأتى بمثله ؛ فكان ذلك آيةً من آيات الله ، ودليلاً على أنه من وَحْى الله وليس من كلام البشر . ﴿ظَهِيرًا﴾ أى مُعينًا ؛ ومنه : أظهره الله على عدوِّه ، وأعانه .

واستظهر به : استعان .

٨٩ - ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا ..﴾ أى كرّرنا وردَّدنا البيناتِ والعبرَ فى القرآن بأساليبَ مختلفةٍ ، وأتينا فيه من البدائع ما يشبه فى حسنه وغرابته الأمثالَ ؛ ليَهتدىَ الناسُ بهدْيه ، فأبى أكثرهم إلا جحودًا للحقّ . وحين قرعَتهم حُجَجُه وألقوْا بأيديهم عجزًا ، اقترحوا واحدًا من هذه الأمور الستّة التى اشتملت عليها الآياتُ ؛ تعَنُّتًا واستخفافًا وإمعانًا فى التكذيب . ﴿فَأَبَىٰ﴾ فلم يرض ﴿كُفُورًا﴾ أى جُحودًا ؛ مِن الكفْر وهو السَّتر والتَّغطية .

٩٠ - ﴿يَنْبُوعًا﴾ أى عَيْنًا لا يَنضُب ماؤها ولا يغور . مِن نَبَعَ الماءُ من العين : يَنْبع - بتثليث الباء فيهما - خرج .

٩١ - ﴿فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ﴾ أى تشقِّقَها . والمرادُ : فتجريها .

٩٢ - ﴿كِسَفًا﴾ أى قِطَعًا . جَمْعُ كِسْفة . يقال : كسَفْتُ الثوبَ ، قطعته . ﴿قَبِيلاً﴾ أى مُقابلةً وعيانًا . أو كفيلاً بما تدّعيه شاهدًا بصحّته .

٩٣ - ﴿مِنْ زُخْرُفٍ﴾ أى ذَهب ، وأصلُه الزينةُ ، وإطلاقُه على الذّهب لأن الزينة به أعجب . ﴿تَرْقَىٰ فِى السَّمَاءِ﴾ تَصْعَد فى مَعارجها . يقال : رَقِىَ يَرْقَى رَقْيًا ورُقِيًّا ، صَعِد .

٩٧ - ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ

بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا

حزب ٣٠

ٱلْقِيَامَةِ ... ﴾ أى نبعثهم يوم القيامة منكبين على وجوههم ، إهانةً لهم وتعذيباً ، إمّا مَشْيًا وَإمّا سَحْبًا عليها . وجائزٌ أن يكون الأمران فى حالَيْن قبل دخولهم النار ، وأمّا فيها فيُسحبون على وجوههم ويقال لهم : (ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ)[1] .

﴿عُمْيًا وبُكْمًا وصُمًّا﴾ فلا يُبصرون ولا يَنطقون ولا يَسمعون . وهذا هو شأنهم فى بعض المواقف يومَ القيامة . ﴿خَبَتْ﴾ سكن لهَبُها ، وصار عليها خِباءٌ من رَماد ، أى غِشاء . وقيل : سكنت وطُفِئَتْ أى ذهب لهبُها . ﴿سَعِيرًا﴾ لهبًا وتوقدًا .

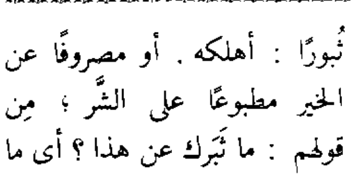
٩٨ - ﴿رُفَاتًا﴾ ترابًا أو أجزاءً مُتفتّتةً [آية ٤٩ هذه السورة] .

٩٩ - ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا﴾ جوابٌ عن استبعادهم قدرتَه تعالى على الإعادة فى اليوم الآخر .

١٠٠ - ﴿قَتُورًا﴾ مُبالغًا فى التّقتير والبُخل . يقال : قَتَرَ يَقْتُرُ ويَقْتِر ، وأقتر وقتّر : قلّل . وفلانٌ مُقْتِرٌ : أى فقير . وأصلُه من القُتَار ، وهو الدُّخَان من الشّواء والعُودِ ونحوهما .

١٠١ - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آياتٍ﴾ وهى فى رواية عن ابن عباس : العصا واليدُ والطُّوفانُ والجرادُ والقُمّلُ والضفادعُ والدَّمُ والجَدْبُ ، أى فى بواديهم والنَّقصُ من الثّمرات ، أى فى مزارعهم . ﴿مَسْحُورًا﴾ سُحِرتَ فخُولط عقلُك واختلّ ، وادّعيت ما ادّعيت [آية ٤٧ هذه السورة] .

١٠٢ - ﴿بَصَائِرَ﴾ بينات تُبَصِّر من يشهدها بصدق . ﴿مَثْبُوراً﴾ مُهلَكًا ، من ثَبَر اللهُ الكافرَ يَثْبُرُه



ثُبورًا : أهلكه . أو مصروفًا عن الخير مطبوعًا على الشّر ؛ من قولهم : ما ثَبَرك عن هذا ؟ أى ما منعك وصرفك عنه .

(١) آية ٤٨ القمر .

مِنۢ بَعۡدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا ﴿١٠٤﴾ وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿١٠٥﴾ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴿١٠٦﴾ قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا ۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ﴿١١١﴾

سجدة

١٠٣ – ﴿أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ﴾ يُزعجهم أو يَستخفّهم ويخرجهم من أرض مصر. [آية ٦٤ هذه السورة].

١٠٤ – ﴿لَفِيفًا﴾ مختلطين أنتم وهم. واللّفيفُ: اسمُ جمعٍ لا واحدَ له من لفظه - ومعناه: الجماعةُ من قبائلَ شتّى.

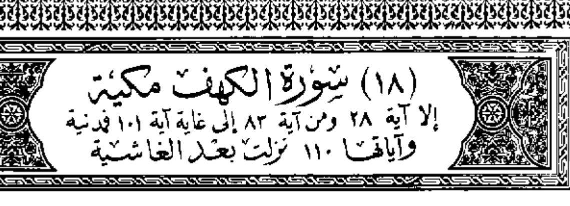
١٠٥ – ﴿وَبالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبالْحَقِّ نَزَلَ﴾ أى وما أنزلنا القرآنَ إلا ملتَبِسًا بالحكمة الإلٰهيّة التى اقتضت إنزالَه. وما نزل إلّا مُلتبسًا بالحق: أى العقائد والأحكام ونحوها مما اشتمل عليه. أو ما أردنا بإنزال القرآن إلا تقريرَه للحق، فلما أردنا ذلك وقع وحصل كما أردنا.

١٠٦ – ﴿فَرَقْنَاهُ..﴾ فصَّلنا، أو فَرَقْنا فيه بين الحق والباطل. أو أنزلناه مُنجّمًا على تفريق. وقُرِئَ بالتّشديد - أى أنزلناه مفرَّقًا لا جملةً. ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ أى على تُؤَدَةٍ وتأنٍّ وترتيل فى التّلاوة: ليفهموه ويتيسَّر لهم حِفْظُه. والمُكْثُ: التلبُّثُ فى المكان والإقامةُ مع الانتظار. ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ أى على حسب الحوادث والمصالح.

١٠٧ – ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ يسقطون بسرعة على وجوههم ساجدين تعظيمًا لله تعالى وشكرًا له لإنجاز وعده ببعثتك. يقال: خرَّ لله ساجدًا يَخِرُّ خُرورًا، أى سقط. والآيةُ فى مؤمنى أهل الكتاب.

١١٠ – ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ أى بقراءتها حتى لا يسمعَها المشركون فيسبوا القرآنَ ومُنْزِلَه. ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ حتى لا يسمعُها مَن خلفك. والمُخافتةُ: إسرارُ الحديث لا يسمعهُ المتكلم، وهى ضدُّ المجاهرة به. يقال: خفَتَ الرجلُ بصوته: إذا لم يرفعه. وخافَتَ بقراءته مخافتةً: إذا لم يرفع صوته بها. وقيل: الصلاةُ الدعاء. ﴿سَبِيلًا﴾ طريقاً وسطاً.

١١١ – ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ عظِّمه تعظيمًا عن أن يكونَ له ولدٌ أو شريك، أو ناصرٌ معينٌ. والله أعلم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ



سُورَةُ الكَهْف

١ ، ٢ – ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ أى لم يجعل فيه شيئًا من العِوَج بنوع من أنواع الاختلال والاختلاف ، لا فى اللّفظ ولا فى المعنى. ﴿قَيِّمًا﴾ أى مستقيمًا معتدلاً . لا إفراطَ فيما اشتمل عليه من التكاليف حتى يشقَّ على العباد ، ولا تفريطَ فيه بإهمال ما هم فى حاجة إليه ؛ حتى يحتاج إلى كتاب آخر. أو قيِّمًا بمصالح العباد ؛ متكفِّلاً بها وببيانها لهم ؛ لاشتماله على ما ينتظم به المعاشُ والمعاد. والعِوَجُ : الانحرافُ عن الاستقامة [آية ٩٩ آل عمران ص ٨٩] . ﴿لِيُنْذِرَ بَأْسًا..﴾ لِيُنذِر الذين كفروا عذابًا شديدًا فى الآخرة. وأصلُ البأس : الشدّةُ فى الحرب .

٥ – ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ أى عَظُمت فى الشناعة والقُبح تلك الكلمةُ التى تفوّهوا بها دون تعقُّلٍ وفَهْم ، وهى قولهم : «اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا» . وكَبُرَ : فعلٌ ماض ؛ لإنشاء الذّم ، وفاعله ضميرٌ مفسَّرٌ بالنكرة بعده المنصوبةِ على التمييز. والمخصوصُ بالذّم محذوفٌ . أى كَبُرَتْ هى . أى المقالةُ التى قالوها كلمةً خارجةً من أفواههم تلك المقالةُ الشنعاءُ .

٦ – ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ﴾ قاتلٌ نفسك حزناً وغضبًا لإعراضهم عن الإيمان وتكذيبهم بالقرآن . والمرادُ : لا يكنْ منك ذلك . يقال : بخَع نفسه بخْعاً وبخوعًا ، قتلها من شدّة الوَجْد أو الغَيْظ . وأصلُ البَخْع : أن تبلغ بالذّبح البِخَاعَ – بكسر أوله – وهو عرق فى الصُّلب يجرى فى عظم الرقبة ، وذلك أقصى حَدِّ الذبح . ﴿أَسَفًا﴾ مفعولٌ لأجله .

٧ – ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ..﴾ تعليلٌ للنّهى المقصود من كلمة الترجّى . تسليةً له صلى الله عليه وسلم وتسكينًا لأسفه ؛ لأنه تعالى مختبرٌ لأعمالهم ومجازيهم عليها . فكأنه تعالى يقول له : لا تحزن فإنى منتقم لك منهم . ﴿لِنَبْلُوَهُمْ﴾ لنختبرهم بما خلقنا من هذه الزينة ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ أى أتبعُ لأمرنا ونهْينا ، وأعْمَلُ بطاعتنا ، وأبعدُ من الاغترار بزينة الدنيا . أى لنعاملهم معاملةَ المختبِر ؛ من الابتلاء بمعنى

وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَـٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَـٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَـٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

الاختبار [آية ٤٩ البقرة ص ١٥].

٨ - ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ﴾ أى وإنّا لَمُصَيِّرون عند انقضاء الدنيا ﴿مَا عَلَيْهَا﴾ مما جعلناه زينةً لها ﴿صَعِيدًا﴾ تُرابًا ﴿جُرُزًا﴾ لا نباتَ فيه . يقال : أَرْضٌ جُرُزٌ ، لا تُنبت ، أو أُكِل نباتُها ، أو لم يصبها مطر . وجُرِزت الأرض : إذا ذهب نباتها بقَحْط أو جراد . وهو كنايةٌ عن إفناء متاع الدنيا ، ويعقب ذلك الجزاءُ على الأعمال ؛ فلا يَحْزُنْكَ أمرهم فإنّا سنجازيهم على ما عَمِلوا يومَ الحساب .

٩ - ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ بل أظننت . ﴿الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ﴾ الْكَهْفُ : النَّقبُ المتّسعُ فى الجبل ؛ فإن لم يكن فيه سَعة فهو غارٌ . وجمعهُ كُهوفٌ وأَكْهُف . والمرادُ : الكهفُ الذى اتخذه هؤلاء الفتيةُ بمدينة أَفْسوس أو طَرَسوس[1] . والرَّقيمُ : لَوحٌ رُقِمت فيه أسماءُ أهل الكَهف وقصّتُهم . أو ما تمسّكوا به من شرع عيسى عليه السلام ؛ فهو مصْدرٌ بمعنى المرْقوم أى المكتوب . أو هو اسْمٌ للوادى الذى كانوا فيه .

١٠ - ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ ..﴾ التجأوا إلى الكهف واتخذوه مأوًى لهم . يعبدون الله وحدَه فيه ؛ فِرارًا بدينهم من قومهم الذين كانوا يعبدون غيرَ الله . ومن مَلِكِهم الذى كان يأمرهم بذلك واسمه دقيانوس . يقال : أوَى إلى منزله يَأْوِى أُوِيًّا . نزله بنفسه وسكَنَه . والفِتْيَةُ : جمعُ فَتِيٌّ وهو الطَّرِيُّ من الشَّباب . ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا﴾ الذى نحن عليه من مهاجرة الكفار والمثابرة على الإيمان والطاعة ﴿رَشَدًا﴾ اهتداءً إلى الطريق الحق ، وسَدَادًا إلى العمل الذى تحبُّ . والرَّشَدُ والرُّشْدُ : ضدُّ الغَيِّ والضلال . يقال : رَشِد يَرْشَد ، ورَشَد يَرْشُد . رُشْدًا ورَشَدًا ورشادًا : اهتدى .

١١ - ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾ أنمناهم إنامة ثقيلة .

١٢ - ﴿بَعَثْنَاهُمْ﴾ أيقظناهم من نومهم . ﴿أَمَدًا﴾ مدة وعدد سنين أو غاية .

١٤ - ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ قوّيناها بالصّبر والتّثبيت على الحق ؛ حين وقفوا بين يدى مَلِكِهم الجبّار . موقفَ صدقٍ وعزمٍ ، وأعلنوا التوحيدَ بنوعيْه : تَوحيدَ الرُّبوبيّة . وتوحيدَ الألوهيّة ؛ نَبْذًا لما دعاهم إليه من عبادة الأوثان . وأصلُ الرَّبْطِ : الشدُّ . يقال : ربطتُ الدّابةَ ، شددتُها برباط . واستعمالُه فيما ذكر مجازٌ ؛ كما فى قولهم : هو رابط الجَأْش ؛ إذا كان قلبُه لا يَفْرَق ولا يفزع عند الحرب والشدّة . ﴿قُلْنَا إِذًا﴾ أى

[1] أفسوس : بلد بثغر طرسوس . وطرسوس : مدينة شهيرة بآسيا الصغرى .

وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ * وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ

ربع الحزب

إن دعونا غيره تعالى ﴿شَطَطًا﴾ أى قولاً هو عينُ الشَّطَط والبُعد المُفْرِط عن الحق . والشَّطَطُ : مصدرٌ بمعنى مجاوزة القدر فى كل شىء . وُصف به القولُ مبالغةً . ثم اقتُصر على الوصف مبالغةً على المبالغة . يقال : شطّ يَشِطّ ويَشُطّ شَطَطًا وشُطوطًا . بَعُدَ .

١٦ - ﴿مِرْفَقًا﴾ ما ترتفقون وتنتفعون به من الأشياء . وقُرِئَ ﴿مَرْفِقًا﴾ بفتح الميم وكسر الفاء بهذا المعنى . وفى الآية امتداح الهجرة لسلامة الدِّين .

١٧ - ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ﴾ تَعْدِل وتَميل ﴿عَن كَهْفِهِمْ﴾ مِن الزَّوَر بمعنى المَيْل . ومنه : زاره إذا مَالَ إليه . والأَزْوَارُ : المائـلُ الزَّوْر أى الصدر . وازْوَرَّ عن الشىء ازورارًا ، وتزاور عنه تَزَاوُرًا : عَـدَل وانحرف . وأصـلـه : تتزاورُ ، فحُذفت إحدى التاءين تخفيفًا . ﴿ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ جهةَ يمينِ الكَهْف ، أى يمينِ الداخلِ فيه ﴿وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ﴾ تتركهم وتعدل عنهم . يقال : قَرَض المكانَ ، عَدَل عنه وتنكَّبه . أو تـقـطعهم بمعنى تتجاوزهم وتتركهم ؛ مِن القَرْض بمعنى القَطْع . يقال : قَرَض المكانَ يَقْرِضُه ، أى قطعه . ﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِنْه﴾ أى فى متَّسَع منه وهو وَسَطه . والـفَـجْوَةُ : ساحةُ الدّار ؛ مأخوذةٌ من الفَجَا وهو تباعد ما بين الفخذَيْن . يقال : رجلٌ أفْجَى ، وامرأةٌ فَجْواء . والمرادُ : أن الشمس تَميل عنهم طـالـعةً وغاربةً ؛ لا تبلغهم لتؤذيَهم بحرِّها ، وتُغيّر ألوانَهم ، وتُبلى ثيابَهم . وهم فى وسط الكهف بحيث ينالهم رَوْحُ الهواء ، ولا يؤذيهم كربُ الغار ولا حَرُّ الشمس . ﴿ذَلِكَ﴾ أى ما ذُكر من هذه الأوضاع والحالات ﴿مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ الدّالّةِ على قدرته ، وعجيب صنعته .

١٨ - ﴿بِالْوَصِيدِ﴾ أى بِرَحَبَة الكَهْف ، أو بعتبة الباب ؛ كأنّه يحفظه عليهم . وجمعه وصائد

يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ

ووُصِد . ﴿رُعْبًا﴾ أى خوفًا وفزعًا . مصدرُ رَعَبَه يَرْعَبُه ، أى خوّفه ؛ فهو مرعُوبٌ ورَعِيبٌ .

١٩ – ﴿بَعَثْنَاهُمْ﴾ أيقظناهم من موتتهم الطويلة . ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ﴾ بدراهمكم المضروبة . ﴿أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾ أىْ أىُّ أطعمةِ المدينة أحَلُّ وأطهرُ ، أو أجْود أو أكثر بركة . ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ وليتكلّف اللُّطفَ فى الاستخفاء دخولاً وخروجًا ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ لا يخبرنّ أحدًا بأمركم خشيةَ تعذيبكم .

٢٠ – ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ أى يَطّلِعُوا عليكم ، أو يَظْفَروا بكم . وأصلُ معنى «ظَهر» : صار على ظَهر الأرض ، ولمّا كان ما عليها مشاهَدًا متمكّنًا منه ، استُعمل تارةً فى الإطلاع ، وأخرى فى الظَّفَر والغَلَبة ، وعُدِّىَ بعلى .

٢١ – ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أى كما أنمناهم وبعثناهم هذا البعثَ الخاصَّ ، أطلعنا الناسَ عليهم . ﴿إِذْ يَتَنَازَعُونَ﴾ ظَرْفٌ لِـ «أَعْثَرْنَا» ؛ أى يتنازع المؤمنون والكافرون فى أمرهم .

٢٢ – ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ ..﴾ سَيَختَلِفُ الناسُ فى عِدّة أصحاب الكهْف ؛ فحكى الله تعالى عنهم ثلاثةَ أقوال لا غير . فدَلّ على أنه لا قائلَ برابع ؛ وأتبع القوْلين الأوّليْن – وهما لغير المؤمنين – بقوله : «رَجْمًا بِالغَيْبِ» أى قولاً بلا علم ولا اطّلاع ؛ فدلّ على بُعدهما عن الصواب . وحكى الثالث – وهو للمؤمنين – وأعقبه بقوله : «وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ» فدلّ على أنه الواقع فى نفس الأمر . وإنما استُفيد منه التقرير ؛ لأن الكلام قد تمَّ عند قوله : «وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ» ثم عطف عليه قوله : «وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ» والثامنُ لا يكون ثامنًا إلا بعد سابع ؛ فكأنه قيل : هم سبعة وثامنُهم كلبهم . ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ أى يَرمون رَمْيًا بالخبر الغائب عنهم ، الذى لا مُطّلَعَ لهم عليه ويأتون به . والرَّجْمُ فى الأصل : الرَّمْىُ بالرَّجَم ، وهو الحجارة الصغيرةُ ، استُعير للتكلم بما لا عِلْمَ به ، ولا اطّلاعَ عليه لخفائه ؛ تشبيهًا له بالرَّمْى بالحجارة التى لا تصيب المَرْمَى . ﴿قُلْ رَبِّى أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ﴾ أى أقوى وأقدم فى العلم بها . وفيه إرشادٌ إلى أن الأفضل فى مثل هذا رَدُّ العلم إليه تعالى ، وعدمُ الخوْض فيه ؛ فإذا أطلعنا اللهُ على أمره قلنا به ، وإلا وقفنا . وثبوتُ الأعلميّة له تعالى لا ينافى علمَ قليلٍ من الناس به ؛ وهو قوله تعالى : ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ أى ما يعلم عِدّتهم إلا قليلٌ من الناس ، والأكثرون لا يعلمونها .

وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾

﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾ أى فلا تجادل فى شأن أصحاب الكهف أحدًا من الخائضين فيه ﴿إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ واضحًا بذكر ما قصصنا عليك من شأنهم ولا تزد عليه. يقال: ماراه مِراءً: جادله. ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ فإنّ فيما أوحينا إليك لمندوحةً عن غيره.

٢٣، ٢٤ - ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَىْءٍ..﴾ أى لا تقولنّ أفعلُ غدًا إلّا متلبّسًا بقول: إن شاء الله. نزلت إرشادًا له صلى الله عليه وسلم حين سألته قريش عن الرُّوح وعن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين فقال: (ائتونى غدًا أُخبِرْكُمْ)، ولم يقل إن شاء الله. فأبطأ عليه الوَحْىُ بضعةَ عشرَ يومًا حتى شَقّ عليه. ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ أى إذا نسيت تعليقَ القول بالمشيئة، ثم ذكرتَ أنك لم تعلّقه بها فائتِ بها؛ أى مادمتَ فى مجلس الذكر - كما روى عن الحسن - أو ما لم تأخذ فى كلام آخَرَ.

٢٦ - ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ أى بالزمن الذى لبثوه فى كهفهم ممن اختلفوا فيه. وقد أخبر أنه ثلاثمائة سنةٍ وتسعُ سنينَ قمريّة. فهو الحقّ الصحيح الذى لاشك فيه. وهو إحدى معجزاته صلى الله عليه وسلم. ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ صيغتًا تعجُّب؛ أى ما أبْصَره وما أسْمَعه تعالى. والمرادُ: الإخبارُ بأنه تعالى لا يغيب عن بصره وسمعه شىء. وذُكر بصيغة التعجُّب للدّلالة على أن أمره فى الإدراك خارجٌ عمّا عليه إدراكُ المبصرين والسامعين؛ إذ لا يحجبه شىء ولا يتفاوت عنده لَطيفٌ وكَثيفٌ، وصغيرٌ وكبيرٌ، وخفِيٌّ وجَلِيٌّ.

٢٧ - ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ ملجأً تعدل إليه وتميل عند إلمام مُلِمّة؛ من الالتحاد بمعنى المَيْل. يقال: ألحد، مال وعدل. والْتحد إلى كذا: مال إليه.

٢٨ - ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ نزلت فى شأن فقراء الصحابة وضُعفائهم؛ كعمّار وصُهَيْبٍ وبلالٍ وأضرابهم. حين طلب سادةُ قريْش من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يُنَحّيَهُمْ عن مجلسه وقالوا: لو نَحَّيْتَ هؤلاء لجالسناك واتّبعناك؛ أى احبِسْ نَفْسَك وثبِّتْها. يقال: صَبَرْتُ زيدًا أَصْبِرُه صَبْرًا، أى حبسته. ﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ أى يعبدونه بذكره، وحمده وتهليله وتسبيحه وتكبيره. أو بتلاوة القرآن. ﴿بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ أى فى طرَفى النهار. وهو كنايةٌ عن دوام العبادة. ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ أى لا تصرف عيناك النّظَرَ عنهم إلى هؤلاء المتغطرسين

وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ * وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ

نصف الحزب

المستكبرين . يقال : عداه عن الأمر عَدْوانًا : صَرَفه وشَغَله . ﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾ جعلناه غافلا ساهيا . ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ أى إفراطًا وإسرافًا . أو ضياعًا وهلاكًا . أو مجاوَزًا فيه الحدّ .

٢٩ ـ ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ السُّرادقُ : كلُّ ما أحاط بشىء من حائط أو مِضْرَب أو خِباء . أو كلُّ بيت من كُرْسُف أى قطن ، أو الحجرة التى تكون حول الفسطاط تمنع من الوصول إليه ؛ وجمعُه سُرادِقات . ﴿يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ هو ماءٌ غليظٌ كدُرْدِىّ الزّيْت . أو هو دُرْدِيُّه وعكَرُه . أو ما أذيب من معادن الأرض أو من النحاس فانْماع وتموّج بالغَلَيان حتى بلغ أقصى الغاية فى الحرارة . أو هو القَطِران الرقيق . ﴿وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ متَّكأً . من الارتفاق وهو الاتكاء على مِرْفق اليد . وأُطلق عليها مرتفق مشاكلة لقوله بعدُ : «وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا» وإلّا فلا ارتفاق لأهل النار .

٣١ ـ ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ جناتُ إقامة واستقرار . ﴿مِنْ سُنْدُسٍ﴾ ما رَقَّ من الحرير . ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ ما غَلُظ منه وثَخُن . ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ جمع أريكة ، وهى كلُّ ما يُتوكَّأ عليه من سرير أو مِنَصّة أو فِراش . أو هى السرير فى الحَجَلة ، وهى بيت كالقُبَّة يزيَّن للعروس بالثياب والستور والأسِرّة ، ويكون له أزرار كبار .

٣٢ ـ ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً ..﴾ أى اضرب مثلاً للمؤمنين الذين يدعُون ربَّهم بالغداة والعشىّ مع مكابدة مشاقّ الفقر . وللكافرين المستكبرين على الله مع تقلُّبهم فى نعمه تعالى ﴿جَنَّتَيْنِ﴾ بستانين . ﴿وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾ جعلنا النّخلَ محيطًا بكلٍّ منهما .

٣٣ ـ ﴿آتَتْ أُكُلَهَا﴾ ثَمرَها ، وهو ما يُؤكل من ثمر النّخل والكَرْم وصنوف الزرع . ﴿وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ أى ولم تنقص منه شيئًا مِن النقص فى سائر السِّنين . وهوكناية عن تمامها ونموّها دائمًا . ﴿فَجَّرْنَا خِلاَلَهُمَا﴾ شققنا وأجرينا وسطها .

٣٤ ـ ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ ..﴾ أى وكان لصاحب الجنّتيْن : أموال كثيرة أخرى غيرهما . جمعُ ثَمَرة ، وهو يجمع على ثِمار وجمعُه ثُمُر . ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ أى يراجعه الكلام . يقال : تحاوَرُوا إذا تراجعوا الكلام بينهم . ﴿وَأَعَزُّ

ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ

نَفَراً﴾ أى عشيرةً ، أو حَشَمًا وأعوانًا . والنَّفَرُ : من ينفِرُ مع الرّجل من قومه وعشيرته لقتال عدوّه .

٣٥ ـ ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ﴾ تهلك وتفنَى . يقال : باد يَبِيد بَيْدًا وبيودًا ، إذا هَلك .

٣٦ ـ ﴿خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ مَرْجعًا وعاقبةً . اسمُ مكانٍ ؛ من الانـقلاب بمعنى الـرجوع والانصراف عن الشيء إلى غيره . أقسم أنه إذا فُرض بعثٌ فى الآخرة ليجدَنَّ فيها خيرًا من جنّته التى فى الدنيا .

٣٨ ـ ﴿لَكِنَّا هُوَ اللهُ﴾ أى لكنْ أنا أقول : هو الله ربّى .

٣٩ ـ ﴿وَلَوْلَا﴾ كلمةُ تحضيضٍ كَهَلّا ، وإذا دخلت على الماضى أفادت التّوبيخ . أى هلّا قلتَ ـ عند دخولك جنّتك وإعجابك بها ـ ما أراه بها من الحُسن والنّضارة هو ما شاءه الله تعالى ؟ فرددتَ الأمرَ إلى المشيئة الإلـٰهيّة ؟

٤٠ ، ٤١ ـ ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا﴾ عذابًا ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ كالصواعق والسَّموم . أو مَرَامِيَ من عذابه ، إمّا بَرَدًا وإمّا حجارةً ، وإمّا غيرهما مما يشاء . ﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا﴾ ترابًا أو أرضًا ﴿زَلَقًا﴾ لا نبات فيها . أو مُزْلِقةً لا تثبت عليها قَدَمٌ . والمراد أنها تُصبح عديمةَ النّفع حتى منفعة المشى عليها . يقال : مكان زَلَقٌ ، أى دَحْض ؛ وهو فى الأصل مصدرُ زَلِقت رجلُه تزْلَق زلقًا ، ومعناه الزّللُ فى المشى لوَحْلٍ ونحوه . ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا﴾ غائرًا ذاهبًا فى الأرض ؛ مصدرٌ وُصف به للمبالغة وهو بمعنى الفاعل . يقال : غار الماء يغور غَوْرًا وغُئورًا ، أى سَفَل فى الأرض وذهب فيها .

٤٢ ـ ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ أهلكت أثماره وأُفنيت كلّها ، مأخوذٌ من إحاطة العدوّ بالإنسان ، وهى استدارته به من جميع جوانبه ؛ ومنه ﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ (١) .

(١) آية ٦٦ يوسف .

ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾

﴿يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ كناية عن الندم والتحسر. ﴿خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ [آية ٢٥٩ البقرة ص ٦٣].

٤٤ ـ ﴿الْوَلَايَةُ لِلَّهِ﴾ النصرة له تعالى وحده. ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ أى وهو تعالى خيرٌ عاقبةً لمن والاه. والعُقْب والعُقُبُ: العاقبة. يقال: عاقبةُ أمره كذا وعُقْباه وعُقُبه، أى آخرُه وما يصير إليه منتهاه.

٤٥ ـ ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾ يابسًا متفتتًا بعد البهجة والنَّضارة؛ مِن الهَشْم وهو كَسْرُ الشيء اليابس؛ ومنه هَشَمَ الثريد يَهْشِمه: كسره وثَرَده. ﴿تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾ تفرّقه وتنسِفُه. يقال: ذَرَتِ الريحُ الشيءَ تذروه وذَرْوًا وتذرية، أطارته وأذهبته.

٤٦ ـ ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ الطاعاتُ وأعمالُ الحسنات.

٤٧ ـ ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ ظاهرةً للأعين، من غير شيء يسترها من جبل أو شجر أو بنيان. يقال: بَرَز بروزًا، خرج إلى البَرَاز ـ أى الفضاء ـ وظهر بعد الخفاء. ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ جمعناهم إلى الموقف من كل صَوْب. ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ فلم نترك منهم أحدًا دون أن نبعثَه من قبره حيًّا.

٤٨ ـ ﴿مَوْعِدًا﴾ وقتًا لإنجازنا الوعد بالبعث والجزاء.

٤٩ ـ ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ صحائفُ أعمالِ العباد. ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين وجلين. ﴿لَا يُغَادِرُ﴾ لا يترك ولا يبقى. ﴿أَحْصَاهَا﴾ عدَّها وضبطها وأثبتها. ﴿يَاوَيْلَتَنَا﴾ نداءٌ لهَلَكتهم؛ كأنهم يقولون: ياهلاكنا أقبل، فهذا أوانك! والوَيْلَةُ: الهلاكُ وحلولُ الشّر والقُبح والحَسْرة.

٥٠ ـ ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سجود تحية وتعظيم لا عبادة. ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ خرج عن طاعته [آية ٢٦ البقرة ص ٩، ١٠].



* مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾ وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلٗا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ﴿٥٦﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ

٥١ - ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ أعوانًا وأنصارًا فى شأن من شئونى. يقال: فلانٌ يَعْضُد فلانًا، إذا كان يقوّيه ويُعينه. والعَضُدُ فى الأصل: ما بين المِرْفَق إلى الكَتِف، ويُستعار للمُعِين والنّاصر فيقال: فلان عَضُدِى؛ ومنه (سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ)[1] لأن اليدَ قوامُها العَضد.

٥٢ - ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾ وجعلنا بين الدّاعين والمدعوِّين مَهْلِكًا يشتركون فيه وهو جهنم. اسمُ مكانٍ من وبَقَ وبُوقًا - كوَثَب وُثُوبا - ، أو وَبِقَ وبَقًا - كفَرِح فرحًا - : إذا هَلَك.

٥٣ - ﴿فَظَنُّوا﴾ أى علموا. ﴿مُوَاقِعُوهَا﴾ واقعون فيها أو داخلون فيها. ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ أى مَعدِلاً عنها، ومكانًا ينصرفون إليه.

٥٤ - ﴿صَرَّفْنَا﴾ كررنا بأساليب مختلفة. ﴿كُلِّ مَثَلٍ﴾ معنى غريب بديع كالمثل فى غرابته.

٥٥ - ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا..﴾ أى وما منع كفارَ مكّةَ من الإيمان بالله ونَبْذِ الشرك، ومن الاستغفار مما فرط منهم من الآثام إلا تقديرُ الله إتيانَهم ما جَرَت به سنّته فى الأمم المكذِّبة السابقة من الهلاك الدُّنيوىّ أو العذاب الأخروىّ. أو إرادتُه تعالى ذلك؛ بناءً على ما عَلِم سبحانه من سوء استعدادهم وخُبْثِ نفوسهم؛ فـ «أنْ» وما بعدها فى تأويل مَصْدَرٍ فاعلُ «منع» بتقدير مضافٍ وهو: تقديرُ أو إرادةُ. وفى الآية إنذار لهم بأن شأنهم وعاقبةَ أمرهم شأنُ الأوّلين المكذِّبين. ﴿سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ عذاب الاستئصال إذا لم يؤمنوا. ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً﴾ أى صنوفًا وألوانًا، أو عِيانًا ومُقابَلَةً.

٥٦ - ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ ليُزيلوا أو يُبطلوا الحقّ بجدالهم؛ من إدحاض القَدَم، وهو إزلاقها. يقال: أدْحض قدمه، أى أزلقها وأزلّها عن موضعها. والدَّحْضُ: الطِّينُ الذى يزلق فيه. ﴿هُزُوًا﴾ استهزاء وسخرية.

٥٧ - ﴿أَكِنَّةً﴾ أغطيةً. ﴿وَقْرًا﴾ أى ثِقلاً وصممًا [آية ٢٥ الأنعام ص ١٧٢]. والآيةُ فيمن علم الله أنهم يموتون على الكفر من مشركى مكة.

٥٨ - ﴿مَوْئِلاً﴾ مَلْجَأً يلجأون

(١) آية ٣٥ القصص.

عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا ﴿٥٨﴾ وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ﴿٥٩﴾ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ

إليه . يقال : وألَ إليه يَئِل وَأْلًا وَوُءولًا ـ بوزن وُعُولا ـ لجأ .

٥٩ ـ ﴿لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ لهلاكهم ميقاتًا وأجلاً معيّنًا ، لا يستأخرون عنه ساعةً ولا يستقدمون .

٦٠ ـ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى﴾ شروعٌ في قصة موسى الكليم عليه السلام . ﴿لِفَتَاهُ﴾ يُوشع بن نُون . وقيل : إنه ابن أخت موسى عليه السلام . ﴿مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ أي قرب ملتقاهما مما يلي المشرق ، وهما على ما يظهر البحر الأحمر ، والبحر الأبيض . ﴿أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ أي أسير دهرًا طويلاً ؛ جمعُه أحقاب ، وفى معناه الحِقْبة من الدَّهْر وجمعُها حِقَب ـ كسِدْرة وسِدَر ـ ، والحُقْبة وجمعها حُقَب ؛ كغُرْفة وغُرَف .

٦١ ـ ﴿مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا ..﴾ أى المكان الذى وعد موسى أن يجتمع فيه بالخَضِر عليه السلام . و «بَيْنَ» ظرفٌ أُضيف إلى البَحْرَين على الاتساع . ﴿سَرَبًا﴾ مَسْلَكًا ومَذهبًا ؛ كالسَّرَب فى الأرض . والسَّرَبُ : النَّفقُ والحفيرُ تحت الأرض ، والقناةُ يدخل منها الماءُ البستانَ .

٦٢ ـ ﴿نَصَبًا﴾ تعبًا وإعياءً .

٦٣ ـ ﴿أَرَأَيْتَ﴾ أخبرنى . أو تنبه وتذكر . ﴿أَوَيْنَا﴾ التجأنا . ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ أى سبيلاً يُعجَب منه ، أو اتخاذًا عجبًا وهو كون مسلكه كالطَّاق والسَّرَب .

٦٤ ـ ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ أى ذلك الذى ذكرتَ من أمر الحُوت هو الذى كنَّا نطلبه ونلتمسه ، من حيث إنه أمارةٌ على الفوز بالمطلوب ؛ مِن البُغاء بمعنى الطلب . ﴿فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ فرجعَا فى طريقهما الذى سلكاه يتتبّعان آثارَهما اتّباعاً حتى انتهيَا إلى مَدْخَل الحُوت . يقال : قصَّ أثَرَه قَصًّا وقَصَصًا ، تتبّعه .

٦٥ ـ ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا﴾ هو الْخَضِرُ ، وهو نبيٌّ عند الجمهور . واختُلف فى حياته ؛

رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَـٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ * قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَـٰحِبْنِى قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾

حزب ٣١
جزء ١٦

فذهب جمعٌ من الأئمة إلى أنه ليس بحيّ اليوم ، منهم البُخاريُّ وإبراهيم الحربيُّ وعليُّ بنُ موسى الرِّضا وأبو يَعْلَى وشيخُ الإسلام ابنُ تَيْمِية . وذهب آخرون إلى أنه حيٌّ وسيموت آخرَ الزمان . وقال ابنُ القَيِّم : إن الأحاديث التى يُذكر فيها حياتُه كلُّها كذب ، ولا يصحّ فى حياته حديثٌ واحد .

٦٦ - ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ علمًا ذَا رشد أُصيبُ به الخيرَ فى ديني .

٦٨ - ﴿تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ عِلْمًا . يقال : خَبَرَ الأمرَ يَخْبُرُه ، عَلِمه ، والاسمُ الخُبْر ، وهو العلم بالشيء ، ومنه الخبير ، أى العالم .

٧١ - ﴿شَيْئًا إِمْرًا﴾ عظيمًا مُنْكَرًا . والإمْرُ : الدّاهيةُ ، وأصلُه كلُّ شيء شديدٍ كثير ؛ ومنه قيل للقوم : قد أَمِرُوا ، إذا كثُروا واشتدّ أمرُهم . وأَمْرٌ إِمْرٌ : منكرٌ عجيبٌ .

٧٣ - ﴿وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا﴾ لا تكلِّفني من أمرى مَشَقَّةً فى صُحبتى إيّاك . يقال : أرهقه طُغيانًا ، أغشاه إيّاه وألحق ذلك به . وأرهقه عُسْرًا : كلّفه إيّاه . والإرهاقُ : أن يُحمل الإنسانُ على ما لا يطيقه .

٧٤ - ﴿شَيْئًا نُكْرًا﴾ مُنكرًا عظيمًا . يقال : نَكُرَ الأمرُ ، أى صَعُب واشتدّ . وعن قتادة : النُّكْرُ أشدُّ من الإمر .

٧٦ - ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّى عُذْرًا﴾ أى قد بلغت إلى الغاية التى تُعذَر بسببها فى فراقى حيث خالفتك مرارًا .

٧٧ - ﴿فَأَبَوْا﴾ فامتنعوا . ﴿يَنقَضَّ﴾ ينهدم ويسقط بسرعة .

٧٨ - ﴿بِتَأْوِيلِ﴾ بمآل وعاقبة .

٧٩ - ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾ من دَأْبه تعقُّبُ السُّفنِ الصالحةِ للاستيلاء عليها . ومَن تعقّب الشيء وتتبّعه يقال : إنه وراءه بحثًا واستقصاءً ، سواءٌ أتاه من الأمام أو من الخلف . قال الزجاج : «وراء» يكون لخَلْف وقُدّام ، ومعناها : ما توارى

فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴿٨٢﴾ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴿٨٤﴾ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ

عنك ، أى ما استتر عنك ؛ وليس من الأضداد كما زعم بعض أهل اللغة ا هـ وهو مما يستأنس به لما قلنا . ﴿غَصْبًا﴾ استلابًا بغير حق .

٨٠ ـ ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا﴾ يُوقعهُما لو بقىَ حيًّا فى الطغيان والكفر لشدّة محبتهما له ، وقد أعلمه الله أنه طُبع كافرًا [آية ٧٣ هذه السورة] .

٨١ ـ ﴿خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً﴾ أى طهارةً من الذنوب والأخلاق الرديئة . ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ أى رحمةً عليهما وبرًّا بهما .

٨٢ ـ ﴿يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ قوتهما وشدتهما وكمال عقلهما .

٨٣ ـ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِى الْقَرْنَيْنِ﴾ هو عبدٌ صالحٌ ملّكه الله الأرض . وأعطاه العِلمَ والحكمةَ والسلطان . وقيل : نبىٌّ ؛ كما يشهد له ظاهرُ قوله تعالى : «قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ» . وسُمِّىَ ذا القرنين لبلوغه المشرقَ والمغربَ ؛ فكأنه حاز قَرْنَى الدنيا . وليس هو الإسكندر المَقْدُونى تلميذ أرسطو . بل كان قبله بقرون .

٨٤ : ٨٦ ـ ﴿مِنْ كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ أى علمًا أو طريقًا يوصله اليه . ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ سَلكَ طريقًا أفضى به إلى المغرب . يقال : أَتْبَعَ واتَّبعَ بمعنًى واحد وهو السَّير . ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾ أى مُنتهَى الأرض المعمورة فى زمنه من جهة المغرب . وكذا يقال فى قوله تعالى : «حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ» . ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ أى رآها فى نظره عند غروبها كأنها تغربُ فى عَيْنٍ مظلمة وإن لم تكن كذلك فى الحقيقة ، كما أن راكب البحر يراها كأنها تطلع من البَحر وتغيب فيه إذا لم ير الشَّط . والذى فى أرض مَلْساء واسعة يراها كأنها تطلع من الأرض وتغيب فيها . و«حَمِئَةٍ» أى ذاتِ حَمْأة وهى الطين الأسود ؛ مِن حَمِئت البئر

إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾

تحمأ حَمأً : صارت فيها الحمْأة . وقُرِئ «حامية» أى حارّة . اسمُ فاعل مِن حَمِيَ يحْمَى حَمْيًا .

٨٧ ـ ﴿عَذَابًا نُكْرًا﴾ منكرًا فظيعًا ، وهو عذاب جهنم .

٩٠ ـ ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾ أى لم نجعل لهم من دون الشمس ما يستترون به من البناء أو من البناء واللباس ؛ فهم قومٌ عراةٌ يسكنون الأسرابَ والكهوفَ فى نهاية المعمورة من جهة المشرق .

٩١ ـ ﴿خُبْرًا﴾ علمًا شاملاً .

٩٣ ـ ﴿بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ الجبلَيْن . وسُمّىَ الجبلُ سَدًّا لأنه سَدّ فجًّا من الأرض . قيل : إنهما فيما يقرب من عَرْض تسعين درجة من جهة الشَّمال .

٩٤ ـ ﴿يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ قبيلتين من ذرية يافث بن نوح . ﴿خَرْجًا﴾ وقُرئ (خَراجًا) ومعناهما الجُعْلُ من المال . وقيل : الخَرْجُ المصدرُ . أطلق على الخَراج وهو اسمٌ لما يُخرج من الأموال . ﴿عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ حاجزًا يمنعهم من الوصول إلينا . والإفساد فى أرضنا .

٩٥ ـ ﴿رَدْمًا﴾ حاجزًا حَصِينًا وجدارًا متينًا . وهو أَوْثَقُ من السَّد وأحكم . يقال : ثوبٌ مُرَدَّمٌ . أى فيه رقاعٌ فوقَ رقاع . وسَحابٌ مُرَدَّمٌ : أى متكاثفٌ بعضه فوقَ بعض .

٩٦ ـ ﴿آتُونِى زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ قِطَعه العظيمة . جمعُ زُبْرَة ـ كغُرفة ـ وهى القطعة الكبيرة من الحديد . وأصلُ الزَّبْر : الاجتماعُ ؛ ومنه زُبْرة الأسد ، لما اجتمع من الشعْر على كاهله . وزَبَرْت الكتاب : أى كتبته وجمعتُ حروفه . ﴿بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ جانبى الجبلين ؛ وأصل الصَّدَف المَيْلُ فى خُفّ البعير إلى الجانب الوَحْشِىّ . وسُمّىَ

فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا (٩٧)
قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ
وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا (٩٨) * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ
يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا (٩٩)
وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا (١٠٠) ٱلَّذِينَ
كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ
سَمْعًا (١٠١) أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى
مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ
نُزُلًا (١٠٢) قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا (١٠٣)
ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ
وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
وَزْنًا (١٠٥) ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟
ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا (١٠٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧)

ربع الحزب

كلُّ واحدٍ من الجانبيْن صَدَفًا لكونه مصادِفًا ومقابلاً للآخر ؛ من قولك : صادفت الرجل ، أي لاقيته ؛ ولذا لا يقال للمُفْرد صَدَف حتى يصادفه الآخر . فهو من الأسماء المتضايفة كالزَّوْج والشَّفْع . ﴿قِطْرًا﴾ نُحاسًا مُذابًا ، أو رَصاصًا مُذابًا . وأصلُه من القَطْر ؛ لأنه إذا أُذيب قطر كما يقطر الماء .

٩٧ - ﴿أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ يعلو ظَهرَه ويرقَوْا عليه لمَلاسته وارتفاعه . ﴿نَقْبًا﴾ خَرْقًا لصلابته وثخانته .

٩٨ - ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ أرضًا مستويةً . أو مثل دَكَّاء وهي الناقةُ لا سنامَ لها . وقُرئ ﴿دَكًّا﴾ أي مدكوكًا مسوًّى بالأرض . ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ تذييلٌ من ذي القَرْنين . وهو آخر ما حُكي من قصّته .

٩٩ - ﴿يَمُوجُ﴾ يختلط ويضطرب . ﴿نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ نفخة البعث .

١٠١ - ﴿غِطَاءٍ﴾ غشاء غليظ وستر كثيف .

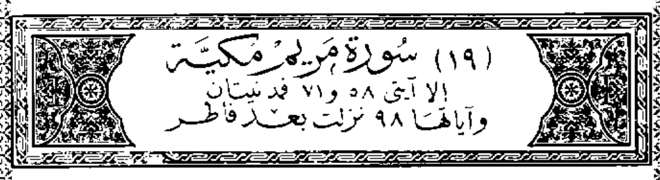
١٠٢ - ﴿نُزُلاً﴾ شيئًا لضيافتهم . وأصلُه : المنزِلُ وما يُهَيَّأ للضيف من الزاد تكْرِمةً له . وفي التعبير عن جهنم بالنُّزُل تهكُّمٌ واستهزاءٌ بهم .

١٠٥ - ﴿وَزْنًا﴾ مقدارًا واعتبارًا لحبوط أعمالهم .

١٠٧ - ﴿جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾ أفضلُ الجنّة . وهو معنى قولهم : إنّه وسطُ الجنّة ورَبْوَتُها وأعلاها وأرفعها . وهو لفظٌ عربيٌّ يُجمع على فراديس . وقيل مُعرَّب ، ومعناه : البستانُ الذي يجمع ما في البساتين . ﴿نُزُلاً﴾ ذُكِر في مقابلة ذلك النُّزُل المُعَدّ للكافرين .

١٠٨ - ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾ تَحوُّلاً ؛ لكونها أطيبَ المنازل وأعلاها . مصدرٌ سماعيٌّ لِتَحوّل كالعِوَج والصِّغَر . يقال : حال من مكانه حِوَلاً .

خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴿١٠٩﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ﴿٧﴾

١٠٩ - ﴿مِدَادًا﴾ هو المادة التى يكتب بها . ﴿لِكَلِمَاتِ رَبِّى﴾ معلوماته وحكمته تعالى . ﴿لَنَفِدَ الْبَحْرُ﴾ فَنِيَ وفرغ . يقال : نَفِد يَنْفَدُ نفادًا ونفَدًا ، فَنِيَ وذَهَب ؛ ومنه : أنفده واستنفده ، أى أفناه .. ﴿مَدَدًا﴾ عونًا وزيادة . والله أعلم .

سُورَةُ مَرْيَمَ

٢ - ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ خبرُ مبتدإٍ محذوفٍ ؛ أى المتلوُّ عليك ذِكرُ ... الخ .

٣ - ﴿نِدَاءً خَفِيًّا﴾ دعاءً مستورًا لم يسمعه أحد .

٤ - ﴿وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّى﴾ ضَعُفَ من الكِبَر . وقُرِئ «وهن» بالحركات الثلاث ؛ من الوَهْن وهو الضَّعف . وخُصّ العَظْمُ بالذِّكر لأنه عمود البَدن وبه قِوامُه ؛ فإذا وَهَن تداعَى البدنُ كلّه . وأُفرِد لأن المرادَ به الجنسُ . ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ﴾ أى بدعائى إيّاك فيما مضى من عمرى ﴿رَبِّ شَقِيًّا﴾ خائباً ، بل كنت سعيدًا بإجابته ؛ فأسعِدنى الآن بإجابته .

٥ ، ٦ - ﴿خِفْتُ الْمَوَالِيَ ..﴾ أى بَنى عَمِّى وعَصَبَتِى ، وكانوا شِرَارَ بنى إسرائيل ؛ فخاف ألا يُحسنوا خلافته من بعد موته فى أُمّته ويُبدِّلوا عليهم دينَهم . جمعُ مَوْلًى ، وهو العاصِب . ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ..﴾ ابنًا مَرْضِيًّا عندك ، ﴿يَرِثُنِى﴾ فى العلم ، ﴿وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ النبوّة ، بمعنى أنه يَصلُح لها . والولىُّ : يُطلق على النَّصير

قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَـٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَـٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾

والمعين . ﴿رَضِيًّا﴾ مَرْضِيًّا عندك قولا وفعلا .

٧ ـ ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ شريكاً فى الاسم ؛ حيث لم يُسَمّ أحدٌ قبله بيحيى . أو شبيهاً فى صفاته وأحواله .

٨ ـ ﴿أَنَّى يَكُونُ لِى غُلَامٌ﴾ كيف ؟ أو مِن أين يحدُث لى غلام !؟ استفهامُ تعجُّبٍ وسرورٍ بهذا الأمر العجيب . ﴿بَلَغْتُ مِنَ الكِبَرِ عِتِيًّا﴾ أى بلغتُ بسبب الكِبَر حالةً لا سبيل إلى إصلاحها ومداواتها ؛ وهى اليُبْسُ والصلابة فى المفاصل والعظام . يقال : عتَا الشيخُ يَعْتُو عِتِيًّا ، كَبِرَ وَوَلى . وأصلُه عُتُوٌّ ، قُلبت الواوُ الثانيةُ ياءً وأُدغمت ، ثم كسرت التاء ثم العين إتباعاً لها . وقُرئ « عُتِيًّا » .

١٠ ـ ﴿آيَةً﴾ علامة على تحقق المسئول لأشكرك . ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ أى لا تستطيعَ تكليمَهم بلسانك ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ﴾ مع أيامهن . ﴿سَوِيًّا﴾ أى حالَ كونك سَوِىّ الخَلْق سليمَ الحواسّ ، لا علّةَ بك من خَرَس أو مَرَض .

١١ ـ ﴿مِنَ الْمِحْرَابِ ..﴾ من المُصَلَّى ، أو من الغُرْفة [آية ٣٧ آل عمران ص ٧٩] . ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾ أشار إليهم ﴿أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ أى صلُّوا لله تعالى طَرَفَى النهار . أو نزِّهوه فيهما ؛ وهو كقوله تعالى : (وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ) (١) .

١٢ ، ١٣ ـ ﴿وَآتَيْنَاهُ الحُكْمَ﴾ فَهْمَ التوراةِ والعبادةَ . أو النبوَّة . ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا﴾ أى وأعطيناه من عندنا رحمةً عظيمةً عليه . أو رحمةً فى قلبه وتعطُّفًا على الناس . ﴿وَزَكَاةً﴾ بركةً ونماءً ، أو طهارةً من الذنوب ؛ أى جعلناه مباركًا نفّاعاً معلِّماً للخير ﴿تَقِيًّا﴾ مطيعاً مجتنباً للمعاصى .

١٤ ـ ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ كثير البر والإحسان إليهما . ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً﴾ مستكبرًا متعالياً ﴿عَصِيًّا﴾ ذا عصيان ومخالفةٍ لربّه .

١٦ ـ ﴿انْتَبَذَتْ ..﴾ اعتزلتْ وانفردت للتَّخلِّى للعبادة . افتعالٌ من النَّبْذ ، وهو طَرحُ الشىء وإلقاؤه كأنها ألقت بنفسها إلى جانبٍ ، معتزلةً عن الناس فى مكان بلى شرقىَّ بيت المقْدس أو شرقى دارِها ، متخذةً من دونهم ساترًا .

(١) آية ٤١ آل عمران .

قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَـٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ * فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَـٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَـٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشْرَبِي

نصف الحزب

١٧ ـ ﴿حِجَابًا﴾ سترًا . ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ أى جبريل عليه السلام [آية ٨٧ البقرة ص ٢٢] ليبشّرها بالغلام ولينفخ فيها فتحمِل به . والإضافة للتشريف ؛ كبيت الله . ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ أى فى صورة إنسان معتدِلِ الخَلْق كامل البِنْية ؛ لتستأنس بكلامه ولا تنفِر منه . ولو بدا لها فى الصُّورة الملَكيَّة لنَفَرتْ منه ولم تستطع مكالمته .. يقال : رجلٌ سويٌّ ، إذا استوتْ أخلاقُه وخِلْقَتُه عن الإفراط والتّفريط .

١٨ ـ ﴿إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ أى إن كان يُرجى منك تقوى الله فإنى عائذةٌ به منك ؛ وهو كقول القائل : إنْ كُنتَ مؤمناً فلا تظلمْنى .

١٩ ـ ﴿غُلَامًا زَكِيًّا﴾ مزكى مطهرًا بالخلقة .

٢٠ ـ ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ فاجرةً تبغِى الرجالَ ، أو يبغيها الرِّجالُ للفجور بها . يقال : بَغَت الأَمَةُ تَبغى بَغْياً ، فهى بَغِيٌّ وَبَغُوٌّ ، إذا عَهَرتْ . والبَغِيُّ : الأَمَةُ أو الحُرَّةُ الفاجرة .

٢٢ ـ ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ بعيدًا من أهلها وراءَ الجبل . يقال : قصا عنه قَصْوًا وقُصُوًّا ، بَعُدَ فهو قَصِيٌّ . وهو بمكان قَصِيّ : أى بعيد .

٢٣ ـ ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ ألجأها . يقال : أَجَاْتُهُ إلى كذا ، بمعنى ألجأته واضطررته إليه ؛ وهو تَعْدِيَةُ «جاءَ» بالهمز . والمخاضُ : وَجَعُ الولادة . يقال : مَخضت المرأة تَمْخَض ، إذا أخذها الطَّلق . والجِذْعُ : ما بين العروق ومتشعّب الأغصان من الشجرة .

﴿وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾ شيئًا متروكاً مطَّرحاً . وكلُّ شيء نُسِيَ وتُرِك ولم يُطلب فهو نَسْيٌ ونِسْيٌ . و«منسيًّا» تأكيد .

٢٤ ـ ﴿فَنَادَاهَا﴾ جبريل أو عيسى عليهما السلام . ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ إنساناً رفيعَ القَدْر . والمرادُ به عيسى عليه السلام ؛ مِن السَّرْو بمعنى الرِّفعة . يقال : سَرُوَ الرّجلُ يَسْرُو ـ كشَرُف يَشْرُف ـ فهو سَرِيّ . أو جعل قُرْبك جَدْوَلاً صغيرًا كان قد انقطع ماؤه ثم جرى وامتلأ . وسُمِّيَ (سَرِيًّا) مِن سَرَى يَسْرِى ؛ لأن الماء يسرى فيه .

٢٥ ـ ﴿رُطَبًا﴾ هو نضيجُ البُسْر . ﴿جَنِيًّا﴾ مجنيًّا ، أى صالحاً للاجتناء .

٢٦ ـ ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ طيبى نفسًا بالولد ، وارفُضِى عنك ما أحزنك ؛ أمْرٌ مِن قرَّت عينُه تقِر ـ بالكسر والفتح ـ قَرَّةً وقُرَّةً وقُرورًا : إذا رأتْ ما كانت

وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا

متشوّقةً إليه . مأخوذٌ من القَرار بمعنى الاستقرار أى السكون ؛ لأن العيْن إذا رأته سكنت إليه ولم تنظر إلى غيره .

٢٧ ـ ﴿شَيْئًا فَرِيًّا﴾ عظيماً أو عجيباً ، أو مصنوعاً مختلقاً . يقال : فلانٌ يَفْرِى الفرىَّ ، إذا كان يأتى بالعجب فى عمله . والفَرِىُّ : الأمرُ المُخْتَلَق المصنوع .

٢٨ ـ ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ هو كقولهم : يا أخَا العرب ، ويا أخَا تميم . وهارونُ : قيل هو أخُ موسى عليه السلام ؛ وكانت من نسله . وقيل : هو رجلٌ صالحٌ فى بنى إسرائيل .

٢٩ ـ ﴿مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ﴾ أى كيف نكلِّم من لم يزل فى المهد صَبيًّا ؟ [آية ٤٦ آل عمران ص ٨٠] وقد تكلّم ، فوصف نفسه بثمانى صفات ، أوّلُها ـ العبوديّةُ لله عزّ وجلّ ، وآخرها ـ تأمينُ الله له فى أخوفِ المقامات . وكلُّ هذه الصفاتِ تقتضى تبرئة أمّه .

٣٠ ـ ﴿آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ سبَق فى قضائه إيتائى الكتابَ . وكذا يقال فيما بعده .

٣٢ ـ ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ بارًّا بها مُحْسِنًا مُكْرِمًا .

٣٤ ـ ﴿قَوْلَ الحَقِّ﴾ أى حال كون عيسى كلمةَ الله ؛ بمعنى أنه خُلِق بكلمة «كُنْ» من غير أب . ﴿يَمْتَرُونَ﴾ أى يختصمون ويختلفون . يقال : ماريْت فلانًا ، إذا جادلته وخاصمته [آية ١٤٧ البقرة ص ٣٥] .

٣٥ ـ ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهاً لله عن اتخاذ الولد ؛ من التّسبيح بمعنى التّنزيه عن النقائص . ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا﴾ أى أراده [آية ١١٧ البقرة ص ٢٩] .

٣٧ ـ ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ ..﴾ فقال فريق منهم : هو ابنُ الله ، وقال فريق إنه هو الله ، وقال

لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ

فريق ثالثٌ : إنه ثالثُ ثلاثة[1] . والثّلاثةُ : اللهُ وعيسى ومريم ؛ تعالى اللهُ عمّا يقولون علوًّا كبيرًا ؟؟ .

٣٨ ـ ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ صيغتا تعجُّبٍ ، لفظُها لَفْظُ الأمْر ومعناها التّعجيبُ ، أى حَمْلُ المخاطَب على التعجُّب ، وفاعلُها الضّميرُ المجرور بالباء وهى زائدة فيها لزوماً ، كما زيدت جوازًا فى فاعل (كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا)[2] . والمعنى : ما أسْمَعَهم وما أبصَرهم فى ذلك اليوم ؛ لما يخلع قلوبَهم ويسوّد وجوهَهم ؛ وقد كانوا فى الدنيا صُمًّا وعُمياناً .

٣٩ ـ ﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ الندامة الشديدة على ما فات .

٤٣ ـ ﴿صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ مستقيماً لا اعوجاجَ فيه ، وفيه النجاةُ لك من غضب الله وَنقمته .

٤٤ ـ ﴿لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ إذْ أنَّ عبادةَ الأصنام عبادةٌ له ؛ لأنه هو الـذى يُسوِّلها ويُغْرِى بها . ﴿عَصِيًّا﴾ كثير العصيان .

٤٥ ـ ﴿وَلِيًّا﴾ قريناً تليه ويليك فى العذاب .

٤٦ ـ ﴿وَاهْجُرْنِى﴾ أى فاحْذَرْنى واتركنى ﴿مَلِيًّا﴾ أى دهراً طويلاً ؛ من المَلاوة ـ بتثليث الميم ـ وهى البُرهة الطويلةُ من الدّهر . والمرادُ : أبدَ الدّهر .

٤٧ ـ ﴿كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ بارًّا مُلطفاً ؛ فيجيب دعائى لك . يقال : حَفِىَ به حَفَاوَةً . اعتنى به وبالغ فى إكرامه ؛ فهو حافٍ السعى وحَفِىٌّ .

٤٨ ـ ﴿شَقِيًّا﴾ خائبًا ضائع السعى .

٥٠ ـ ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ ثناء حسنا فى أهل كل دين .

(١) راجع مزاعم هذه الفرق في تفسير الألوسي لآية ١٧١ من سورة النساء – والملل والنحل للشهرستاني . (٢) آية ٧٩ النساء .

مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ
مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن
رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ
إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ
أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾
وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾
وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ
عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ
وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ
إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ ۩
* فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟
ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ
وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ
شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ
إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ
وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى
نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا
بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ
وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

سجدة
ثلاثة أرباع الحزب

٥١ ـ ﴿كَانَ مُخْلَصاً﴾ أخلصه الله تعالى له واصطفاه . وقرئ بكسر اللاّم ؛ أى أخلص عبادته لله .

٥٢ ـ ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ مُناجيًا ؛ تقريبَ مكانةٍ وتشريفٍ بإسماعه كلامَنا ؛ من المناجاة وهى المُسارّةُ بالكلام .

٥٨ ـ ﴿واجْتَبَيْنَا﴾ اصطفينا واخترنا للرّسالة والوَحْى ؛ من الاجتباء بمعنى الاختيار . ﴿خرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ ساجدين وباكين ، خضوعاً وخشوعاً ، وخوفاً وحذرًا ، وتعظيماً وتمجيدًا لله تعالى . جمعُ ساجدٍ وباكٍ . وأصلُهُ بكُوىٌ ، فقُلبت الواوُ ياءً وأدغمت ، وحُرّكت الكافُ بالكسر لمناسبة الياء .

٥٩ ـ ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ عَقِبُ سوء . والمشهورُ استعمالُ الخَلْف ـ بالسكون ـ فى الشّرّكما هنا ، وبالفتح فى الخير ؛ فيقال : خَلَفٌ صالحٌ . ﴿غَيًّا﴾ ضلالاً وخُسراناً ؛ أى جزاءَ غىٍّ وهو العذابُ فى الآخرة [آية ٢٥٦ البقرة ص ٦١ ، ٦٢] .

٦١ ـ ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾ أى كان موعودُه وهو الجنّة آتياً عبادَه الذين وعدهم بها فى الدنيا . وهى غائبةٌ عنهم غيرُ حاضرة . فـ « مَأْتِيًّا » اسمُ مفعول بمعنى فاعل .

٦٢ ـ ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ أى فُضولاً من الكلام لا نفعَ فيه ، أو باطلاً وقبيحاً منه .

وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ

﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ أى فى مقدار طَرَفَى النهار فى الدنيا . والمرادُ : دوامُ الرزق فيها وعدمُ انقطاعه .

٦٤ - ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ نزلت لمّا احتبس الوحيُ عنه صلى الله عليه وسلم أيّاماً ، حين سُئل عن قصة أصحاب الكهف وذى القَرْنين والرُّوح . وشقّ ذلك عليه . ثم نزل الوحى بعد أيام ، فقال صلى الله عليه وسلم لجبريل : (أبطأتَ علىّ حتى ساءنى واشتقتُ إليك) فقال له جبريل : (إنى كنتُ أشوقَ . ولكنّى عبدٌ مأمورٌ إذا بُعثت نزلتُ ، وإذا حُبستُ احتبستُ) فأنزل الله الآية .

٦٥ - ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ نظيراً أو شبيهاً يستحقّ العبادة لربوبيّته وألوهيّته ، وكمالِ تنزُّهه عن النقائص ، واتّصافه بصفاته الجليلة .

٦٦ - ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ ..﴾ نزلت فى الوليد بن المُغِيرَة . أو أُبَىِّ بنِ خَلَف أو العاص بن وائل . فهو من العامّ الذى أريد به الخصوص . وقيل : المرادُ جنسُ منكرى البَعْث .

٦٨ - ﴿جِثِيًّا﴾ باركين على الرُّكَبِ عجزًا عن القيام ؛ لما يصيبهم من هَوْل الموقف وشدّته . يقال : جَثَا يجثُو ويَجْثِى جُثُوًّا وجِثِيًّا ، جلس على ركبتيه ؛ فهو جاثٍ وجمعُه جِثِىّ وجُثِىّ ، وبهما قُرِئ . وأصلُه جُثُووٌ بواوين ، قُلبت الثانية ياءً ثم الأُولَى كذلك وأُدغِمَت فى الياء ، ثم كُسرت الثّاء لمناسبة الياء ، والجيمُ إتباعاً لما بعدها . أو أصلُه جُثُوىٌ .

٦٩ - ﴿لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ ..﴾ ثم لَنخرجَنَّ من كل طائفة تشايعت على الكفر والباطل - الذين هم أشدُّ نبُوًّا عن طاعة الله وعصيانا - إلى أن يُحاط بهم . فإذا اجتمعوا طرحناهم فى النّار على الترتيب ، نقدِّم أَوْلاهم فأَوْلاهم بالعذاب . والشِّيعَةُ فى الأصل : الجماعةُ المتعاونون على أمر من الأمور . يقال : تشايع القوم ، إذا تعاونوا . ﴿عِتِيًّا﴾ أى نبوًّا عن الطاعة وعصياناً . يقال : عتَا عِتِيًّا وعُتِيًّا وعُتُوًّا ، استكبر وجاوز الحَدّ ؛ فهو عَاتٍ وعَتِىّ .

٧٠ - ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ﴾ أى بالأشدِّ كفرًا . الذين ﴿هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا﴾ أى مقاساة لحرّها ، أو دخولاً فيها . يقال : صَلِىَ النّارَ وبها - كرَضِىَ - صُلِيًّا وصِلِيًّا وصَلاءً ، قاسَى حَرّها ؛ كتَصَلّاها . ويقال : صَلَى اللّحْمَ يَصلِيه صَلْياً ، شَوَاه وألقاه فى النار للإحراق . وأصلاه النّار ، وصلّاه إيّاها وفيها وعليها : أدخله إيّاها وأثواه فيها . وأصلُ صِلِىّ : صُلُوىٌ ، قُلبت الواوُ ياءً وادغمت وكُسرت اللّام لمناسبة الياء .

٧١ - ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا

قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ

﴿وَارِدُهَا ..﴾ أي داخلها ، مسلماً كانَ أوكافرا ؛ فتكون بردًا وسلاماً على المؤمنين ، ثم ينجِّي الله الذين اتقَوا . أو واصلُها بالمُرور على الصراط المنصوب على مَتْنِها من غير دخول فيها . والخطابُ خاصٌّ بالذين سَبَقَت لهم الحُسْنَى . أو يُراد بالوُرود : الإشرافُ والاطِّلاعُ والقُربُ ؛ فإنهم حين يحضرون للحساب يكونون بقرب جهنم ، فيروْنها وينظرون إليها ثم ينجِّي اللهُ الذين اتقَوْا مما نظروا إليه ، ويُصار بهم إلى الجنة ، ويذر الظالمين فى النار جثِيًّا .

٧٣ ـ ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ مَجْلِسًا ومُجتمعًا ؛ يفاخرون فقراءَ المؤمنين بالمال والجاه العريض . والنَّدِيُّ والنّادِي والنَّدْوَةُ والمُنْتَدَى : مجلسُ القوم ومجتمعُهم حيث ينتدُون . يقال : ندوْتُ القومَ أنْدُوهم نَدْوًا ، إذا جمعتهم فى مجلسٍ للانتداء ؛ ومنه : دارُ النَّدْوة .

٧٤ ـ ﴿قَرْنٍ﴾ أمة ﴿أَثَاثًا﴾ متاعاً ﴿وَرِئْيًا﴾ مَنْظَرًا ومَرْءًا فى العين ؛ مِن الرُّؤية ؛ كالطِّحْن بمعنى المطحون .

٧٥ ـ ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ﴾ فلْيمهلْه وليُملِ له فى العمر والسَّعة ؛ ليزداد طغياناً وضلالاً . ﴿وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ أقل أعوانًا وأنصارًا .

٧٦ ـ ﴿وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ أى مَرْجعاً وعاقبةً .

٧٧ ـ ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِى كَفَرَ بِآيَاتِنَا ..﴾ نزلت فى العاص بن وائل ، وكان من المشركين المنكرين للبعث ؛ وقال ما قال استهزاءً وسخريةً . وقيل فى الوليد ابن المغيرة ، وكان كذلك .

٧٨ ـ ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾ أَعَلِمَ الغيب (استفهام) .

٧٩ ـ ﴿كَلَّا﴾ حرْفُ رَدْعٍ وزَجْر عن التّفوُّه بهذه العظيمة النَّكْراء ؛ أىْ لم يكن ذلك ! . ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ﴾ نزيده فوق عذاب كفره عذاباً فى جهنم على ذلك ؛ مِن المَدّ ؛ وأكثرُ ما يُستعمل فى المكروه . كما أن الإمداد أكثرُ ما يُستعمل فى المحبوب .

٨١ ـ ﴿عِزًّا﴾ شُفَعاءَ وأنصارًا يتعززون بهم .

٨٢ ـ ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ أعداءً مخالفين لهم . يقال : ضدّه فى الخصومة ـ من باب ردّ ـ غلبه

وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ

ومنعه برفْق . وضادّه خالَفه .

٨٣ - ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ تُحرّكهم تحريكاً قويًّا ، وتُغريهم إغراءً شديدًا بالمعاصى حتى يواقعوها . يقال : أزّ الشىء يَئِزّه ويؤُزّه أزًّا ، حرّكه شديدًا . وأزّه يؤُزّه أزًّا ، أغراه وهيّجه . وأزّه : حثّه . والأزُّ والأزيز والهزّ والهَزيز : بمعنى التهييج وشدّةِ الإزعاج . وأصلُه مِن أزّت القِدْر تؤُزّ وتئزّ أزًّا وأزيزًا : اشتدّ غليانُها .

٨٥ - ﴿وَفْدًا﴾ رُكباناً على نجائبَ ؛ جمعُ وافدٍ . يقال : وَفَدَ إليه وعليه يَفِدُ وَفْدًا ووُفودًا ، قَدِم وورَد . والوَفْدُ : هم الذين يَفِدون على الملوك مستنجزين الحوائج .

٨٦ - ﴿وِرْدًا﴾ عِطاشاً . والوِرْدُ : الجماعةَ يَرِدُون الماء ، ولا يَرِدُون إلّا للعَطش .

٨٧ - ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ﴾ جملةٌ مستأنَفةٌ ؛ أى لا يَملك الناسُ فى ذلك اليوم أن يشفعوا فى غيرهم ولا أن يشفع غيرهم فيهم ؛ إلا من اتّصفَ منهم بما يستأهل معه أن يشفع ، أو إلّا مَن أذن له الرحمنُ فيها ؛ كقوله تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾[1] . ﴿عَهْدًا﴾ أى أمرًا ؛ من قولهم : عَهِدَ الأميرُ إلى فلان بكذا ، إذا أمره به . ويقال : أخذت الإذن بكذا اتخذته .

٨٩ - ﴿شَيْئًا إِدًّا﴾ فظيعاً مُنْكَرًا . والإدُّ والإدّةُ - بكسرهما - : العَجَبُ والأمْرُ الفظيع ، والدّاهية والمُنْكَر ؛ كالأَدّ بالفتح . وأدّته الدّاهيةُ تؤُدُّه وتئِدُّه : دهَتْه .

٩٠ ، ٩١ - ﴿يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ يتشقّقْن منه قِطَعاً ؛ مِن التّفطير . يقال : فَطَرَه يفطُرُه ويفطِرُه ، شقّه ؛ فانفطَر وتفطّر . ﴿وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ أى تسقط مهدودةً . يقال : هدَّ الحائطَ يَهُدُّه هَدًّا ، إذا هَدَمه . ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ أى من أجل أن نسبُوا للرحمن ولدًا .

٩٦ - ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ مودّةً ومحبّةً فى القلوب لإيمانهم وعملهم الصالح . وقيل فى الآخرة ؛ إذ يكونون إخواناً على سرر متقابلين . يقال : وَدِدْته

(١) آية ١٠٩ طه .

بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

(٢٠) سُورَةُ طه مَكِّيَّة

إلا آيتى ١٣٠ و ١٣١ فمدنيتان
وآياتها ١٣٥ نزلت بعد مريم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَىٰكَ

حزب ٣٢

وودَدْتُه أوَدّه ، أحببته .

٩٧ ـ ﴿قَوْماً لُدًّا﴾ ذوى لَدَد وشدّة فى الخصومة بالباطل ؛ وهم أهلُ مكة . جمعُ ألَدّ ، وهو الخصمُ الشديدُ التأبّى [آية ٢٠٤ البقرة ص ٤٨] .

٩٨ ـ ﴿قَرْنٍ﴾ أمة . ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أحَدٍ﴾ أى هل تجد أحدًا منهم . يقال : أحَسَّ الرجلُ الشىءَ إحساساً ، علِمَ به ؛ أى لا تعلم منهم أحدًا لعدم وجوده . ﴿تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً﴾ صَوْتاً خَفِيًّا . وأصلُ الرِّكْز : الخفاءُ . يقال : رَكَزَ الرُّمْح يَرْكِزُه ، ويَرْكُزُه : غَرَزه فى الأرض ؛ ومنه الرِّكَازُ للمال المدفون . والمرادُ : أنه استأصلهم ؛ فلا عيْنَ لهم ولا أثر ؟ فكذلك عاقبة مشركى مكة . والله أعلم .

سُورةُ طـه

١ ـ ﴿طه﴾ لفظٌ استأثر الله بعلمه . أو اسمٌ للسُّورة . أو للرسول صلى الله عليه وسلم .

٢ ـ ﴿لِتَشْقَى﴾ لتَتَعنَّى وتتعب من فَرْط تأسُّفك على كفرهم به ؛ بل لتبلِّغ وتذكِّر وقد فعلت ، فلا عليك إن لم يؤمنوا بعد ذلك . وأصلُ الشَّقاء فى اللغة : العناء .

٣ ـ ﴿لِمَنْ يَخْشَى﴾ أى لمن شأنُه أن يخشى الله ويتأثّر بالإنذار . وخُصَّ الخاشى بالذكر مع أن القرآن تذكرةٌ للناس كافّةً لأنه هو الذى يَنتفع به ، وغيرُه بمنزلة العدم .

٥ ـ ﴿الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ أى استواءً يليق بكماله تعالى ؛ بلا كَيْفٍ ولا تشبيهٍ ولا تمثيلٍ [آية ٥٤ الأعراف ص ٢٠٧] .

٦ ، ٧ ـ ﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ الثّرى : الترابُ النّدِىّ . يقال : ثَرِيتِ الأرضُ ـ كرَضِيت ـ ثَرًى فهى ثَرِيَّة ؛ إذا نَدِيَت ولانت بعد الجُدُوبة واليُبْس . والمرادُ : ما واراه الثَّرى وهو تخوم الأرض إلى نهايتها . وخُصَّ بالذكْر مع دخوله فى قوله : (وَمَا فِى الأَرْضِ) لزيادة التقرير . ثم بيّن تعالى إحاطةَ عِلمه بجميع الأشياء إثْرَ بيانِ إحاطة قدرته وشمولها لجميع الكائنات بقوله : ﴿وَإنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ﴾ أى ترفع صوتك بالذكر

حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ
ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ
هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠
رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾
وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾
إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا
تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ
هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ
عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا
مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا

أو الدعاء ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ أى ويعلم أخفى من السِّر . والسِّرُّ : ما حدّث الإنسانُ به غيرَه فى خفاء . والأخفى منه : خواطرُه النّفسيّةُ التى لا يُحدِّث بها غيرَه .

٩ - ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ استئنافٌ لتقرير أمر التّوحيد الذى إليه انتهى مساقُ الحديثِ ، وبيانِ أنه أمرٌ مستمرٌ جاءت به جميعُ الرّسالات السماوية ودعا إليه كلُّ رسول .

١٠ - ﴿إِذْ رَأَى ..﴾ وهو قادمٌ من مَدْيَنَ إلى مصر ومعه زوجُه بنت شعيب عليه السلام . ﴿إِنِّى آنَسْتُ﴾ أبْصَرْتُ إبصارًا بيِّنًا لا شبهةَ فيه . ﴿لَعَلِّى آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ﴾ بجَذْوَةٍ من النار ، وهى الشُّعْلةُ التى تأخذها من النار فى طرف عُودٍ ونحوه . ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ أى أجد عندها هادياً يدلنى على الطريق ، وكانت الليلةُ مظلمةً . أو على الماء ، فإنه قد ضلَّ طريقَه . مصدرٌ سُمِّىَ به الفاعلُ مبالغةً .

١١ - ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا﴾ أى النارَ التى آنسها ، وكانت فى شجرة . قيل : إنها لم تكن نارًا ، بل كانت نورًا من نور الربّ تبارك وتعالى . ﴿نُودِىَ﴾ من حضرة ربّ العالمين : ﴿يَا مُوسَى﴾ وهذا أوّلُ المكالمة بين الله تعالى وبينه فى هذه الواقعة . وآخرُها قوله تعالى : (أنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى)(١) وقد سمع الصوتَ من جميع الجهات وبجميع الأعضاء ، فعرف أنه نداءُ ربِّ العالمين .

١٢ - ﴿الْمُقَدَّسِ﴾ المطهر أو المبارك . ﴿طُوًى﴾ اسمٌ للوادى المقدّس ، أى المطهَّر أو المبارك .

١٥ - ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ أقْرب أن أسترها من نفسى ، فكيف أُظهركم عليها ! أو فكيف يعلمها مخلوق ! جرَى الخطابُ على ما تعارفه العربُ إذا بالغ أحدَهم فى اخفاء شىء أن يقول : كِدتُ أُخفيه من نفسى ! أو أقْرب أن أخفيَها ولا أظهرها بقولى إنها آتية . ولولا أن فى الإخبار بذلك من اللُّطف وقطعِ الأعذار مالا يخفَى لما فعلت ! وقولُه : ﴿لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ متعلّق بـ «آتِيَةٌ» . وجملةُ (أَكَادُ أُخْفِيهَا) معترضةٌ بينهما .

١٦ - ﴿فَتَرْدَى﴾ فتهْلِكَ إن أنت انْصَدَدْتَ عن ذكرها ومراقبتها والتأهُّب لها . يقال : رَدِىَ - كرضِىَ - رَدًى . هَلَكَ . وأرداه غيره : أهلكه ، ومنه تَرَدَّى فى

(١) آية ٤٨ من هذه السورة .

هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ

البئر : أى سقط فيها .

١٨ ـ ﴿أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا﴾ أتحامل عليها فى المشى ونحوه . ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِى﴾ أضرب بها الشّجر اليابس ليسقط ورقُه فترعاه غَنَمِى . يقال : هَشّ الشجرَة بالعصا يَهُشُّها ويَهشُّها هَشًّا ، إذا خبطها ليتساقط ورقُها . ﴿وَلِىَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ حاجَاتٌ ومنافِعُ أُخرى غير ذلك . مفردُها مأربة ـ مثلّثة الراء ـ من قولهم : لا أرَبَ لِى فى كذا ، أى لا حاجة لى فيه .

٢٠ ـ ﴿حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ تمشى بسرعة وخفة .

٢١ ـ ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ أى إلى هيئتها الأولى التى كانت عليها قبل أن نصيّرها حيَّةً تسعَى . فِعْلَةٌ من السَّيْر ، تقال للهيئة والحالة الواقعة فيه ، ثم استُعملت فى مطلق الهيئة والحالةِ التى يكون عليها الشىء .

٢٢ ـ ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾ أى واضمم يدك اليُمنَى إلى عَضُد اليسرى بأن تجعلها تحته عند الإبْط ، وذلك بعد أن تُدخلها من طوْق مِدْرَعتِك . والجَناحُ : العَضُدُ ، وأصلُه جَناحُ الطائر ، وسُمِّيَ بذلك لأنه يجنحه أى يُميله عند الطيران ، ثم تُوسِّعَ فيه فأطلق على العَضد . ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾ نيِّرة مشرقةً . ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ أى من غيرِ عَيْب . والسُّوءُ : الرّداءَةُ والقُبح فى كل شىء ، وكُنّيَ به عن البَرَص لشدّة قُبحه . ﴿آيَةً أُخْرَى﴾ معجزةً أخرى غيرَ العصا .

٢٤ ـ ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ جاوز الحَدّ فى العُتُوّ والتَّمرُّدِ على رَبّه حتى ادّعى الرُّبوبيَّة [آية ٢٥٦ البقرة ص ٦١ ، ٦٢] .

٢٩ ـ ﴿واجْعَلْ لِى وَزِيرًا﴾ مُعِيناً وظَهيرًا فى إبلاغ رسالَتك ؛ من المُوازرة وهى المعاونة . يقال : وازرت فلاناً موازرةً ، أعنته على أمره . أو من الوَزَر وهو الملجأ ؛ وأصلُه الجَبَلُ يُتحصَّن به .

٣١ ، ٣٢ ـ ﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِى﴾ قَوِّ به ظهرى . يقال : أزَرَ فلانٌ فلاناً ، إذا أعانه وشَدّ ظَهرَه . وآزره : أعانه وقوّاه ، وأصلُه من شَدّ الإزار . ﴿وَأَشْرِكْهُ فِى أَمْرِى﴾ اجعله شريكى فى أمر الرسالة لنتعاون على أدائها .

٣٦ ـ ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ﴾ أُعطيتَ مَسْئولَكَ ، فُعْلٌ بمعنى مفعول ؛ كالأُكْل بمعنى المأكول .

٣٧ ـ ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾ ذكرَ اللهُ من المِنَن على موسى بغير سؤال ثمانياً : الأولى ـ

مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾
أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ
بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً
مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ
هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ
كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ
الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ
جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾
اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾

قولُه : «إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ» إلى قوله : «وَعَدُوٌّ لَهُ» . والثانيةُ ـ قولُه : «وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي» . والثالثة ـ قولُه : «وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي» إلى قوله : «مَنْ يَكْفُلُهُ» . والرابعةُ ـ قولُه : «فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ» إلى قوله : «وَلَا تَحْزَنَ» . والخامسةُ ـ قولُه : «وَقَتَلْتَ نَفْسًا» . والسّادسةُ ـ قولُه : «وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا» . والسّابعةُ ـ قولُه : «فَلَبِثْتَ» إلى قوله : «يَا مُوسَى» . والثّامنةُ ـ قولُه : «وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي» .

٣٩ ـ ﴿فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ فألقيه واطرحيه فى نهر النيل . ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ أى لِيُفعل بك الصّنيعةُ والإحسانُ ، وتربى بالحُنُوِّ والشّفقة ؛ وأنا مراعيك كما يراعى الإنسانُ الشىء بعينه إذا اعتنى به . يقال : صنعتُ الفرسَ صَنْعًا وصَنْعَةً ، إذا أحسنت إليه وقت بعَلَفه وتسمينه ؛ وهو استعارةٌ تمثيليّةٌ للحفظ والصَّون .

٤٠ ـ ﴿عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ﴾ على امرأة تضمّه إلى نفسها فتحفَظُه وتُرضعُه وتُربِّيه . يقال : كَفَلَه وكفّله ، إذا عاله . والكافلُ العائلُ . ﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ أى تُسرّ برجوعك إليها بعد أن قذفتْك فى اليَمّ [آية ٢٦ مريم ص ٣٩٢] . ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً﴾ أى ابتليناك ابتلاءً بالمِحَن ؛ فخلّصناك منها مرّةً بعد أخرى . والفُتُون : مصدرٌ كالقعود والجلوس . أو فتناك فتوناً وضروباً من الابتلاء ؛ جَمعُ فَتْنٍ . ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ قرية شعيب عليه السلام ، واقعة حول خليج العقبة عند نهايته الشماليّة ، وشمال الحجاز وجنوب فلسطين ، على ثماني مراحل من مصر . ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ﴾ أى وَفْق الوقت الذى قدّرناه لتكليمك واستنبائك بلا تقدّم ولا تأخّر عنه . تقول العرب : جاء فلان على قَدَر ، إذا جاء لميقات الحاجة إليه . وكانت سِنُّه إذ ذاك أربعين سنةً .

٤١ ـ ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ جعلتك محلّ صنيعتى وإحسانى ؛ لتبليغ رسالتى وإقامة حُجّتى . افتعالٌ من الصُّنع بمعنى الصَّنيعة وهى الإحسان . وقيل : هو تمثيلٌ لما خوّله الله تعالى من جلائل النّعم ؛ بتقريب الملِك مَن يراه أهلاً للتقريب ؛ فيصطنعه بالكرامة ويجعله من خواصّه وندمائه .

٤٢ ـ ﴿وَلَا تَنِيَا﴾ لا تَضعُفَا ولا تَفترَا . يقال : وَنَى فى الأمر وعن الأمر يَنِى وَنْياً ، إذا فَتَر وضَعُفَ . ﴿فِي ذِكْرِي﴾ فى تبليغ رسالتى . أو فى ذِكْرى بما يليق بى من الصفات الجليلة عند تبليغ رسالتى ، والدعاء إلى عبادتى .

٤٥ ـ ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا﴾ أى نخشَى أن يُعاجلَنا

ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا

ربع الحزب

بالعقوبة ، ولا يصبرَ إلى إتمام الدعوة وإظهار المعجزة . يقال : فَرَطَ عليه يَفْرُط ، عَجل عليه وآذاه . ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ أى يزداد طغياناً فيقولَ فى شأنك ما لا ينبغى لفَرْطِ جراءته .

٤٦ ـ ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا﴾ حافظكما وناصركما .

٥٠ ـ ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ أى وهب كلَّ شىء من الأشياء الأمرَ اللائقَ بِمَا نيط به من الخواص والمنافعَ المطابقَ له ؛ كما أعطى العيْنَ الهيئةَ التى تُطابق الإبصار ، والأُذُنَ الشّكلَ الذى يوافق الاستماع ، وهكذا . و« خَلْقَهُ » مصدرٌ بمعنى اسم المفعول ، مفعولٌ ثانٍ لـ « أعطى » . ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ أى دَلّ بذلك على وجوده وقدرته وتفضُّله .

٥١ ـ ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾ البالُ فى الأصل : الفِكْرُ ، ثم أطلق على الحال التى يُعتنَى بها . أى ما حالُ الأممِ الخاليةِ التى عَبدت غيرَ ما تدعو لعبادته ؛ مثل قومِ نوحٍ وعادٍ وثمودَ الذين عبدوا الأوثان ؛ فأجابه موسى بأن العلم بأحوالهم لا تعلّق له بمنصب الرسالة ؛ وأن علمها عند علّام الغيوب الذى أحاط بكل شىء علماً ؛ فيجازيهم على كفرهم وضلالهم .

٥٢ ـ ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي﴾ لا يغيب عن علمه شىء ما .

٥٣ ـ ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ ..﴾ ابتداءُ كلامٍ منه تعالى بعد انتهاء كلامِ موسى عليه السلام بقوله « وَلَا يَنسَى » . وقيل : هو من كلام موسى عليه السلام . ﴿مَهْدًا﴾ فَرْشاً ، وهو والمِهادُ فى الأصل : ما يُمَهَّد للصّبىّ [آية ٢٠٦ البقرة ص ٤٩] . ﴿سُبُلًا﴾ طرقًا تسلكونها لقضاء مآربكم . ﴿أَزْوَاجًا﴾ أصنافًا أو ضروبًا . ﴿مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ مختلفِ المنافع والألوان والطعوم والروائح ؛ جَمعُ شَتِيت بمعنى متفرّق ، وألِفُه للتأنيث .

٥٤ ـ ﴿وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾ ارْعَوْها فيما خلقناه لها من هذه

نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا

النباتات . يقال : رعتِ الدّابةُ ترْعَى رَعْيًا ورعايةً ، ورعاها صاحبُها إذا أسامها وسرّحها وأراحها . ﴿لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾ أي لذوى العقولِ السليمة يدركون بها أن ذلك الخلقَ العظيمَ ، والنظامَ البديع لا يكون إلا من رَبٍّ قادرٍ حكيم . جَمعُ نُهْيَة ، سُمّيَ العقلُ بها لنهْيِه عن القبائح .

٥٥ ـ ﴿نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ مَرّةً أخرى يوم البعث ، بتأليف أجزائكم المتفرّقة ، وردّ الأرواح من مقرّها إليها ، وإخراجكم إلى المَحْشر . عدّد الله عليهم هذه النعمَ تذكيرًا وإرشادًا ليؤمنوا به . والتّارَةُ : مُفردُ تاراتٍ وتِيَر ؛ وهى فى الأصل : اسمٌ للتَّوْر الواحد وهو الجريان ، ثم أُطلق على كل فعلة من الفعلات المتجدّدة : تارةٌ . ويقال : أتاره ، أعاده مرّةً بعد مرّةٍ .

٥٦ ـ ﴿وَأَبَى﴾ امتنع عن الإيمان والطاعة .

٥٨ ـ ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ مَحَلاً نَصَفًا عدْلاً بيننا وبينك . يقال : مكانٌ سُوًى وسِوًى وسَواءٌ ، أى عدلٌ ووَسط ، يستوى طرفاه بالنسبة للفريقين .

٥٩ ـ ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾ يومُ عيدٍ كان لهم فى كل عام . أو يومُ سُوقٍ كانوا يتزيّنون فيه .

٦٠ ـ ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ مكرَهُ ، وذلك بجمع سَحَرَتِه .

٦١ ـ ﴿وَيْلَكُمْ﴾ دعاء عليهم بالهلاك . ﴿فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾ فيستأصلكم ويُبيدَكم بعذابٍ عظيم ؛ مِن الإسحات ، وأصلُه استقصاءُ الحَلْق للشَّعر ، ثم استُعمل فى الإهلاك والاستئصال مطلقًا . يقال : أسحت مالَه إسحاتاً ، استأصله وأفسده ؛ كسَحَتَه سَحْتًا .

٦٢ ، ٦٣ ـ ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾ بالغُوا فى إخفاء ما يتسارُّون به عن موسى وأخيه . والنَّجْوَى : المُسارّة فى الحديث . ﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ أى قالوا بطريق التّناجى والإسرار ما استقرّ عليه رأيُهم من أنَّ موسى وهرون ساحران . و«إنْ» مخفّفةٌ مهملةٌ عن العمل ، واللّامُ فارقةٌ . و«هذان» مبتدأٌ خبرُه «ساحران» . ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ أى بمذهبكم ودينكم الذى هو أمثلُ المذاهب وأفضلُها ؛ من قولهم : فلانٌ حَسَنُ الطريقة ؛ أى المذهب . أو بمُلْكِكم الذى أنتم فيه ، وعيشِكم الذى تنعمون به .

وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَـٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَـٰيَـٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَـٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

٦٤ - ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾ فأحْكِمُوا كيْدَكم واعزموا عليه ، ولا تجعلوه متفرِّقًا . يقال : أجمعتُ الرأىَ وأزْمَعْته وعَزَمت عليه بمعنًى . ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ ...﴾ فاز بالمطلوب مَن طَلبَ العُلُوّ والغَلب وسَعى سَعْيَه .

٦٥ - ﴿يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ﴾ أى تَطْرَح ما معك قبْلَنا . والإلقاءُ فى الأصل : طرحُ الشىء حيث تلقاه أى تراه ؛ ثم تُعورِفَ فى كلّ طَرْح .

٦٧ : ٦٩ - ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً﴾ الإيجاسُ : الإخفاءُ والإضمار . والخِيفَةُ : الخوفُ ؛ أى أخفى موسى فى نفسه شيئاً من الخوف من مفاجأة ذلك بمقتضى الجبِلّة البشريَّة عند رؤية الأمر المَهُول . ولكنَّ الله ثبّته وقال له : ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ . وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا﴾ أى تبتلع بسرعة ماموَّهُوا به . يقال : لَقِفه يَلْقَفُه لَقْفًا ولَقَفاناً ؛ تناوله بسُرعةٍ وحِذْقٍ باليَدِ أو الفَمّ .

٧٢ - ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ أى ولن نؤثرك على الذى أبدعنا وأوجدنا . أو هو قَسَمٌ بالله . وفعلُه من باب نصر .

٧٦ - ﴿تَزَكَّىٰ﴾ تطهر من دنس الشرك والكفر .

٧٧ - ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ أى سِرْ بهم أوَّلَ الّليل من أرض مصرَ إلى خليج السّويس [آية ١ الإسراء

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ * وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ



ص ٣٥٨] . ﴿يَبَسًا﴾ أى يابسًا لا طين فيه ولا ماء . واليَبَسُ : المكانُ إذا كان فيه ماءٌ وذهبَ . ﴿لَا تَخَافُ دَرَكًا﴾ أى لا تخشى أن يُدركك فرعونُ وجنودُه من ورائك . والدَّرَكُ ـ محرَّكةً ـ : اللَّحاق . يقال : أدركه لَحِقه . ﴿وَلَا تَخْشَى﴾ الغرق من الأمام .

٧٨ ـ ﴿فَغَشِيَهُمْ﴾ علاهم وغمرهم .

٨٠ ـ ﴿الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ [آية ٥٧ البقرة ص ١٦ ، ١٧] .

٨١ ـ ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ تعدَّوْا حدودَ الله فيما رزقناكم بأن تكفروا به ؛ من الطُّغيان وهو تجاوُزُ الحدّ فى العصيان [آية ٢٥٦ البقرة ص ٦٢] . ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾ فيجب عليكم عقابى . يقال : حلَّ أمرُ الله عليه يَحِل حَلالاً ، وجب . وقُرِئَ بضم الحاء ، أى فينزل عليكم . يقال : حلَّ يَحُلُّ حُلولاً ، نزل . ﴿فَقَدْ هَوَى﴾ أى هَلك ؛ وأصلُه السُّقُوطُ من عُلْوٍ . يقال : هوَى يَهْوِى هَوِيًّا وهُوِيًّا وهَوَياناً ، سقط إلى أسفلَ ؛ ثم استُعمل فى الهلاك للزومه له .

٨٣ ـ ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ﴾ أمِرَ موسى عليه السلام بحضور الميقات مع قوم مخصوصين ؛ وهم النُّقباء السّبعون الذين اختارهم الله من بنى إسرائيل ليذهبوا معه إلى الطُّور لأجل أن يأخذوا التوراة ؛ فسار بهم موسى ثم عَجِل من بينهم مشوقًا إلى ربّه ، وخلّفهم وراءه وأمرَهم أن يتبعوه إلى الجبل ؛ فقال تعالى : «وَمَا أَعْجَلَكَ» ، أىْ أىُّ شىء عجل بك عنهم فتقدّمتَ عليهم . يقال : أعجله وعجّله تعجيلاً ، استَحثّه ؛ من العَجَلة وهى طلب الشىء وتحرّيه قبل أوانه .

٨٥ ـ ﴿قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾ أى ابتلينا القومَ الذين خلّفتهم مع هارون ـ وهم غير النقباء السبعين ـ بعبادة العجل ؛ إلا قليلاً منهم حيث أطاعوا موسى السامريَّ فيما دعاهم إليه ، وكان من عظمائهم ، من قبيلة تُعرف بالسّامرة ، وكان منافقًا . والفِتْنةُ : الابتلاءُ والاختبار [آية ١٠٢ البقرة ص ٢٥] .

٨٦ ـ ﴿أَسِفاً﴾ حزيناً على ما صَنع قومه . أو شديدَ الغضب . والأسَفُ : الحُزْنُ والغَضب

غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ

معاً ، وقد يُطلق على كلّ واحد منهما على الانفراد . ﴿أَنْ يَحِلَّ﴾ أي يجب ﴿عَلَيْكُمْ غَضَبٌ﴾ ﴿مَوْعِدِى﴾ وعدكم لى الثبات على دينى .

٨٧ ، ٨٨ ـ ﴿مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ أى بقدرتنا وطاقتنا ورغبتنا . يقال : مَلَكه يَمْلِكه مِلْكاً ـ بتثليث الميم ـ احتواه قادرًا على الاستبداد به ﴿حُمِّلْنَا أَوْزَارًا﴾ أى أثقالاً وأحمالاً . جمع وِزْر وهو الثِّقل . ﴿مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ أى من حَلْى القِبط . ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ فطرحناها فى النار ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِىُّ﴾ ما معه من الحَلْى . وقيل : ما معه من الحلى ومن التراب الذى وقع عليه حافرُ فرس جبريل عليه السلام . ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ﴾ [آية ١٤٨ الأعراف ص ٢٢١].

٩٥ ـ ﴿فَمَا خَطْبُكَ﴾ فما شأنُكَ وما الأمرُ العظيمُ الذى حَمَلك على ما صنعتَ ؟ [آية ٥١ يوسف ص ٣٠٩ ، ٣١٠] .

٩٦ ـ ﴿قَالَ بَصُرْتُ ..﴾ عَلِمت بالبصيرة ما لم يعلموا به . يقال : بَصُر بالشىء يَبْصُر ـ ككَرُم وفَرِح ـ أى عَلِمه . ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ رُوِىَ أنّ السامرىَّ رأى جبريلَ عليه السلام راكبًا على فرس حين جاء إلى موسى ليذهب به إلى الميقات ، ولم يره أحدٌ غيرُه من قوم موسى ، ورأى الفرَسَ كلما وضعت حافرها على شىء اخضَرّ ؛ فعَلِمَ أن للتراب الذى تضع عليه الفرسُ حافرها شأناً ، فأخذ منه حَفْنَةً وألقاها فى الحَلْى المذاب . وخُصَّ بالرؤية ابتلاءً ؛

لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾

ليقضى الله أمرًا كان مفعولا . وعِلْمُه بأن له شأنًا يجوز أن يكون لما شاهده من اخضرار الأرض ، وأن يكون بإخبار موسى عليه السلام فيما مضى . ﴿ فَنَبَذْتُهَا ﴾ ألقيتها فى الحلى المذاب . ﴿ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴾ زيّنت وحسّنت . يقال : سوّلت له الأمرَ تسويلاً ، إذا صوّرته له بالصُّورة التى تستَهْويه وتحسّنه لديه .

٩٧ ـ ﴿ لَا مِسَاسَ ﴾ أى لا أَمسّ ولا أُمسّ طول الحياة . مصدرُ ماسَّ ؛ كقِتال من قاتل . والمرادُ : أنه لا يخالط أحدًا ولا يخالطه أحد . ﴿ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِى الْيَمِّ نَسْفًا ﴾ لَنذْرِيَنَّهُ فى البحر تَذْرِيَةً ، حتى لا يبقى منه عينٌ ولا أثر . يقال : نَسَف الطعامَ يَنْسِفه بالمِنْسَف ، إذا ذَرّاه فطيّر عنه قُشورَه وتُرابَه .

١٠٠ ـ ﴿ وِزْرًا ﴾ عقوبة ثقيلة على إعراضه .

١٠٢ ـ ﴿ زُرْقًا ﴾ زُرقَ العيون من شدَّة الهَوْل . أو عُمْيًا ؛ لأن العين إذا ذهب نورُها ازرقّ ناظرها ؛ قال تعالى : (وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا)[1] . أو عِطاشًا ؛ لأن العَطَش الشديدَ يغيِّر سوادَ العَين فيجعله كالأزرق ؛ قال تعالى : (وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا)[2] . ولا منافاة بين ذلك كما هو ظاهر .

١٠٣ ـ ﴿ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ يتهامسون بينهم لشدّة هول الموقف ؛ من المخافتة وهى إسرارُ المنطق ؛ كالتّخافت والخَفْت .

١٠٤ ـ ﴿ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً ﴾ أعْدَلُهم وأَفْضلُهم رَأْيًا ومذهبًا .

١٠٥ ، ١٠٦ ـ ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ ﴾ سأل كفّارُ قريش النبىَّ صلى الله عليه وسلم عما يفعل الله يومَ القيامة بالجبال سؤالَ استهزاء ؛ لإنكارهم البَعْثَ . ﴿ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴾ يقلعها من أصولها ثم يجعلها كالرّمل ، ثم يُصيِّرها كالصوف المنفوش ، ثم تذْروها الرياحُ ، ثم يصيّرها كالهباء المنثور . ﴿ فَيَذَرُهَا ﴾ فيترك الأرض التى كانت عليها الجبال ﴿ قَاعًا ﴾ أرْضًا لا نبات فيها ولا بناء ﴿ صَفْصَفًا ﴾ مستويةً ملساءَ ؛ كأنّ أجزاءها صفٌّ واحدٌ من كل جهة . وعن ابن عباس ومجاهد : القاعُ والصَّفْصَفُ بمعنًى واحد . وهو المُسْتوى الذى لا نباتَ فيه .

١٠٧ ـ ﴿ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا ﴾ أى لا تَرَى فى الأرض مكاناً منخفضًا

(١) آية ٩٧ الإسراء . (٢) آية ٨٦ مريم .

يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ * وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ

ثلاثة أرباع الحزب

﴿وَلَا أَمْتًا﴾ أى مكانًا مرتفعًا ؛ لخلوّها من الأودية والرّوابى ، بل تراها مستوية .

١٠٨ - ﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾ لا يعوج له مدعو ولا يزيغ عنه ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ صوتاً خفيًا خافتًا ، هو صوتُ خفْق الأقدام فى سيرهم إلى المحشر . يقال : هَمَس الكلامَ يَهْمِسُه هَمْسًا ، إذا أخفاه .

١١١ - ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ﴾ أى ذلَّ الناسُ وخضَعُوا لله تعالى فى ذلك اليوم خضوعَ العُنَاة ، أى الأسارَى . ﴿لِلْحَىِّ الْقَيُّومِ﴾ [آية ٢٥٥ البقرة ص ٦١] . ﴿حَمَلَ ظُلْمًا﴾ شركًا وكفرًا .

١١٢ - ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ ولا يخاف انتقاصاً من حقه . يقال : هَضَمه حقَّه ، نقصه .

١١٣ - ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ أى ومثلَ إنزال الآيات المشتملة على ذكر القِصص المتقدمة المُنْبئة عمَّا سيقع من أحوال القيامة وأهوالها - أنزلنا القرآنَ كلَّه على هذه الوَتيرة ﴿عَرَبِيًّا﴾ مبينًا ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾ أى كرَّرنا الوعيدَ فيه ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الكفر والمعاصى . ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ اعتباراً مؤدِّياً إلى الاتّقاء ؛ لكنهم لم يلتفتوا لذلك ونَسُوه ، كما لم يلتفت أبوهم آدمُ إلى النّهى ، ونسِىَ العهدَ إليه .

١١٤ - ﴿أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ﴾ أن يفرغ ويتم إليك .

١١٥ - ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ﴾ أى وصيّناه ألّا يقرب هذه الشجرة ﴿فَنَسِىَ﴾ العهدَ ، ولم يشتغل بحفظه حتى غفَل عنه . ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ ثباتَ قدم فى الأمور . أو صبرًا عن أكلِ الشجرة .

١١٦ - ﴿أَبَىٰ﴾ امتنع عن السجود استكبارًا .

١١٧ - ﴿فَتَشْقَىٰ﴾ فتتعب بمتاعب الدنيا .

لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾

١١٨ - ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ..﴾ أى ألّا يصيبك فيها شىءٌ من الجُوع والعُرْى والظَّمَإِ . والعُرْىُ : خلافُ اللُّبس . يقال : عَرِىَ من ثيابه يَعْرَى عُرْيًا وعُرْيَةً ، إذا تجرّد من اللباس .

١١٩ - ﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾ أى لا يصيبك حَرُّ شَمْسِ الضُّحَى لانتفائها فيها . يقال : ضَحَا - كَسَعَى ورَضِىَ - ضَحْوًا وضُحِيًّا ، أصابته الشمس .

١٢٠ - ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ الوَسْوسةُ : الخَطْرَةُ الرّديئة . وأصلُها من الوَسْواس وهو صوْت الحَلْى والهَمْسُ الخَفِىّ ؛ أى أنهى إليه الوسوسة . ﴿لَا يَبْلَىٰ﴾ لا يزول ولا يفنى .

١٢١ - ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾ [آية ٢٢ الأعراف ص ٢٠١] . ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾ أخذا يلصقان ويلزقان ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ﴾ خالف نَهْيَهُ ، ولكنّه كان متأوِّلاً ؛ إذ اعتقد أن النّهْىَ عن شجرة معيّنة لا عن النّوْع كلّه ؛ وتسميةُ ذلك عصيانًا لعلوّ مَنْصبه عليه السلام . وقد قيل : حسناتُ الأبرار سيّئاتُ المقرَّبينَ . ﴿فَغَوَىٰ﴾ أى فَضَلّ عن مطلوبه ، وهو الخلود فى الجنة ، وحاد عنه ولم يظفَر به . يقال : غَوَى يَغوى غيًّا ، وغَوِىَ غَوَايةً ، ضَلّ . أو ففَسد عليه عيْشه بنزوله إلى الدنيا . والغَىُّ : الفسادُ .

١٢٢ - ﴿اجْتَبَاهُ﴾ اصطفاه للنبوة وقَرَّبَهُ .

١٢٣ - ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاىَ﴾ أى ما أبعثه بهداية الخلق من رسول أو كتاب .

١٢٤ - ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى﴾ عن الهدى ، الذاكر لى والداعى إلىّ ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ ضيّقةً شديدةً . والضَّنْكُ : ضيقٌ

وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

العَيش ، وكل ما ضاق فهو ضَنْك ؛ يستوى فيه الواحد والأكثرُ والمذكّر والمؤنّث . يقال : ضَنُك يَضْنُكُ ضَنْكاً وضناكةً وضُنوكةً ، ضاق .

١٢٨ ـ ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ أغفلوا فلم يبيِّن اللهُ لهم كم أهلك أمماً غابرةً لتكذيبها الرسل ؛ ليتّعظوا ويعتبروا ويُنِيبُوا إلى ربّهم . وأصلُ معنى «يَهْدِى» يدلُّ على الهُدَى . ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ كثرة إهلاكنا الأمم الماضية . لِأولى النُّهَى لذوى العقول والبصائر .

١٢٩ ـ ﴿لَكَانَ لِزَاماً﴾ لكان عقابُهم على جناياتهم لازماً لهم فى الدنيا ، كما فُعِلَ بالأمم السابقة . مصدر لازمه إذا لم يفارقه . وَأَجَلٌ مُسَمًّى معطوف على (كَلِمَةٌ) أى ولولا العبرةُ بتأخير العذاب عنهم ، والأجل المسمَّى لأعمارهم لما تأخر عذابُهم أصلاً .

١٣٠ ـ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ صلِّ متلبساً بحمد ربك ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ أى صلاة الفجر ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ أى صلاة العصر . ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ﴾ أى فصَلِّ المغرب والعِشاء ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ أى وصلّ فى أطراف النهار الظهر أى فى طرفى نصفَيْه ، يعنى فى الوقت الذى يجمع الطرفين وهو وقت الزوال ؛ إذ هو نهاية النّصف الأوّل وبدايةُ النّصف الثانى . وقيل : المرادُ بالتسبيح التنزيهُ عن السُّوء ، والثناءُ على الله بالجميل فى هذه الأوقات .

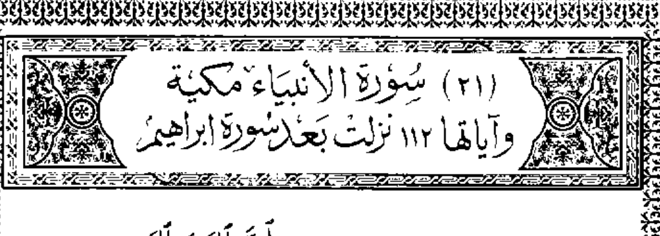
١٣١ ـ ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ نُهِىَ عن الإعجاب بالدنيا وزينتها ، والرغبةِ فيها والتعلق الشديد بها ؛ بحيث يُلهيه ذلك عن النّظر إلى الأخرى . وتكون هى الشغلَ الشاغلَ له . والخطابُ له صلى الله عليه وسلم والمرادُ أُمّتُه ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم كان أزهدَ الناس فيها . وأبعدَهم عن التطلُّع لزخارفها ، وأعلقَ بما عند الله من كل أحد . ﴿أَزْوَاجاً﴾ أصنافاً من الكفار . ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ زينتَها وبهجتَها ؛ مفعولٌ ثان لـ «متّعنا» لتضمينه معنى أعطينا ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾

لنعامِلَهم معاملةَ من يختبرهم به ، أو لنعذّبهم فى الآخرة بسببه .

١٣٣ ـ ﴿أَوَ لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِى الصُّحُفِ الأُولَى﴾ أى أجهلوا ولم يكفهم اشتمالُ القرآن على بيان ما فى الصُّحف الأُولى وهى الكتب الإلهيَّة ؛ فى كونه معجزةً حتى طلبوا غيرها ؟ فالبيِّنةُ : القرآنُ . والصُّحُفُ الأُولَى : ما سبقه من الكُتب السماوية .

١٣٤ ـ ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ من قبل الإثبات بالبينة ﴿نَذِلَّ﴾ أى بالهوان والعذاب فى الدنيا ﴿وَنَخْزَى﴾ بالافتضاح والعذاب فى الآخرة .

١٣٥ ـ ﴿مُتَرَبِّصٌ﴾ منتظر مآله . ﴿الصِّرَاطِ السَّوِىِّ﴾ الطّريق المستقيم وهو الإسلام . ﴿وَمَنِ اهْتَدَى﴾ من الضلالة . واللهُ أعلم .



(٢١) سُورَةُ الأنبياء مكيّة وآياتها ١١٢ نزلت بعد سورة ابراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ

حزب ٣٣ جزء ١٧

سُورَةُ الأَنبياء

١ ـ ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ..﴾ قَرُبَ الزمنُ الذى يحاسَب فيه المشركون على إنكارهم البَعْثَ وهو زمنُ قيامِ الساعة ؛ إذ هو آتٍ لا محالةَ ، وكلُّ آتٍ قريب . ﴿وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ تامَّةٍ عنه ، وجهالةٍ عامّة بالإيمان والحساب والجزاء ، وسائرِ ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم . ﴿مُعْرِضُونَ﴾ عن الدلائل والآيات والنُّذُر .

٢ ـ ﴿مُحْدَثٍ﴾ أى مُحْدَثٍ تنزيلُه على النبىِّ صلى الله عليه وسلم وهو لفظُ القرآن ؛ فقد كان ينزل به جبريلُ عليه السلام آيةً آيةً ، وسورةً سورةً فى وقت بعدَ وقت . أمّا معناه وهو الكلامُ النفسىُّ فقديمٌ غيرُ محدَث .

٣ ـ ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ غافلةً عنه ، لا تتأمّل فى آياته ولا تُفكّر فى حِكَمه . يقال : لهِىَ عنه ـ كرضِىَ ـ ولَهَا ـ كدَعَا ـ لُهِيًّا ولِهْيَانًا ، سلَا وغفَل وترك ذِكْره . وهو حالٌ من فاعل (اسْتَمَعُوهُ) أو (يَلْعَبُونَ) . ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى ..﴾ بالغُوا فى إخفاء تناجيهم بما يَهْدِمُونَ به أمرَ القرآن حتى لا يَفْطُن أحدٌ إلى أنهم يتناجَوْن ؛ مبالغةً فى إحكام التّدبير السّيىء . والنّجْوَى : المسارّةُ

ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ

بالحديث ؛ وقالوا : ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ فكيف تصدّقونه في دعوى الرّسالة ! والرّسولُ لا يكون إلا مَلَكاً ! ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ﴾ أي أجهلتم أنه ساحر فتحضرون عنده وتقبلون منه ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ أي تعاينون سِحره ! ؟ وقد قالوا ذلك لزعمهم أنَّ كلَّ ما يظهر على يد البَشَر من الخوارق فهو من قبيل السحر .

٥ ـ ﴿بَلْ قَالُوا﴾ في القرآن هو ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ أخلاطٌ كأخلاط الأحلام ، وأباطيل لا حقيقةَ لها [آية ٤٤ يوسف ص ٣٠٩] . ﴿بَلِ افْتَرَاهُ﴾ اختلقه من تلقاء نفسه ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ وما جاء به شعر ؛ يخيّل مالا حقيقة له .

٧ ـ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً ..﴾ ردٌّ لقولهم : (هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ) .

٨ ـ ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا ..﴾ أى وما جعلنا الرّسلَ الذين أرسلناهم قبلك أجسادًا لا يتغذّوْن بالأغذية ـ أى ملائكة ـ ولكن جعلناهم مثلك أجسادًا تتغذّى . والجسدُ : مصدرُ جَسِدَ الدمُ يَجْسَدُ : التصق . وأُطلق على الجسم المركّب لالتصاق أجزائه بعضِها ببعض ، ويُطلق على الواحد المذكّر وغيره ؛ ولذلك أُفرِد . وقيل : أُفرد لإرادة الجنس . وهو ردٌّ لقولهم : (مَا لِهَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ)[1] .

١٠ ـ ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ فيه موعظتكم ، أو فيه شرفكم وصِيتكم .

١١ ـ ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ أهلكنَا أهلَها . وأصلُ القَصْم : كَسْرُ الشيء حتى يَبين وينفصِل . يقال : قَصَم ظهره يَقْصِمُه فانقصَم ، أى كَسَره فانكسر ؛ واستُعمل في الإهلاك مجازًا . ومنه قيل للداهية المُهْلِكة : قاصمةُ الظَّهر .

١٢ ـ ﴿أَحَسُّوا بَأْسَنَا ..﴾ عاينُوا عذابَنا الشديد . وأصلُ الإحساس : الإدراكُ بالحاسّة [آية ٥٢ آل عمران ص ٨٢] . والبَأْسُ : الشّدة والمكروه . ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ يهربون مسرعين من قريتهم . وأصلُ الرَّكْضِ : ضربُ الدّابة بالرِّجل لحثّها على العَدْو ؛ ومنه (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ)[2] وكُنِّىَ

(١) آية ٧ الفرقان . (٢) آية ٤٢ سورة ص .

حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ

به عن الهَرَب السّريع .

١٣ - ﴿مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾ ما نُعّمتم فيه من العَيْش الهَنِيء ، والنِّعم الوافرة التى كانت سببَ بَطَرِكم ؛ من التُّرْفة [آية ١١٦ هود ص ٣٠١] . وقيل ذلك لهم استهزاءً .

١٤ - ﴿يَا وَيْلَنَا﴾ يا هلاكنا [آية ٣١ المائدة ص ١٤٨] .

١٥ - ﴿جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾ أى كالنّبات المحصود بالمناجل ، وكالنار الخامدة فى الهلاك والاستئصال . فعيلٌ بمعنى مفعول ، يستوى فيه الواحدُ وغيرُه ؛ وفعله من بابى نصَر وضرَب . و«خَامِدِينَ» من خَمَدت النارُ تَخمُدُ وتَخمِدُ خَمْدًا وخُمودًا : سكَن لهيبُها .

١٦ - ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ ..﴾ ما خلقنا هذه المخلوقات البديعةَ الصُّنع ، المُحْكَمةَ التدبير ، خاليةً من الحِكَم والمصالح ؛ بل خلقناها لحكَم بالغةٍ مستتبعةٍ غاياتٍ جليلةً ومنافعَ عظيمةً .

١٧ - ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً﴾ اللّهْو : التّرويحُ عن النفس بما تتشاغل به عن الجدّ ، وهو قريب من العَبث الباطل ؛ وهو محالٌ عليه تعالى ، وهو من تعليق المحال على المحال . ومنه اتّخاذُ الصّاحبة والولد ؛ أى لو أردنا اتخاذ اللّهو لكان ذلك من جهة إرادتنا ، لكن ذلك مستحيلٌ استحالةً ذاتيّةً فيستحيل أن نريده . يقال : لهوتُ به ألهو لهواً ، وتلهّيت به : أُولِعْت به .

١٨ - ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾ أى بل شأننا أن نغلّب الحق الذى من جملته الجدّ على الباطل الذى من جُمْلَتِه اللّهو . ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ فيَمْحَقُه ويُهلكه . وأصلُ الدَّمغ : كسرُ الدِّماغ . يقال : دَمَغَه يَدْمَغه ، إذا شجّه حتى بلغت الشّجّة الدِّماغ ؛ واسمُها الدّامغةُ . وإذا بلغت الشّجّةُ ذلك لم يُنتظَر للمشجوج بعدها حياةٌ . ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ ذاهبٌ هالكٌ . يقال : زَهَق الشىء يَزْهَقُ زُهوقاً ، بطل وهلك ؛ فهو زاهق وزَهوق . ﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ﴾ العذابُ والعقابُ ﴿مِمَّا تَصِفُونَ﴾ الله تعالى به ممّا لا يليق بشأنه الجليل .

١٩ - ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ لا يَكِلُّون ولا يَتْعَبُونَ ؛ مأخوذٌ من الحَسِير ؛ وهو البعير المنقطع بالإعياء والتّعب . يقال : حسر البعيرَ يَحْسُره ويَحْسِره ، أى ساقه حتى أعياه ؛ كأحسره . واستَحْسَرتْ : أعْيت وكلّت ؛ يتعدّى ولا يتعدّى . وحسرَ البصرُ يَحْسِر حسورًا ، كَلّ وانقطع من طُول مَدًى ونحوه .

٢٠ - ﴿لَا يَفْتُرُونَ﴾ لا يسكنون عن نشاطهم فى تنزيه الله تعالى وتعظيمه وطاعته . فذلك سَجيّةٌ فيهم . يقال : فتَر يفتُر ويفتِر فُتُورا وفُتارًا ، سَكَنَ بعد حِدّة ، ولاَنَ بعْدَ شدَّة . وفتَرَ الماءُ : سكَن حرُّه ؛ فهو فاتر .

لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ

٢١ ـ ﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً﴾ أى بل اتخذوا آلهةً من أجزاء الأرض وهى الأصنام والأوثان؟ والاستفهام للإنكار والتوبيخ . ﴿هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ أى أهم يَبعثون الموتى من قبورهم ؟ كلاَّ ! ؛ من أنشر اللهُ الميِّتَ فنشَرَ : أى أحياه فحَيِيَ . وقُرِئ بفتح الياء وضمّ الشين من نَشَرَ ؛ وهو وأَنْشَر بمعنى أحْيَا . وقد يجىء نشر لازما فيقال : نشر الموتى نشورًا ـ من باب قعد ـ حيُوا .

٢٢ ـ ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ أى إن هذا النّظامَ المحكمَ المستمرَّ ، والاتّساقَ البديعَ الدائمَ ، والارتباطَ بين أجزاء العالَم العُلْوىّ والسُّفْلِىّ ، والآثارَ الكونيّة المترتّبةَ على ذلك ـ لا يمكن أن يَصدر إلّا عن صانعٍ قادرٍ ، حكيم مدبِّر ، منفردٍ بالإيجاد والإبداع والتدبير ، لا شريكَ له فى فعله ، ولا مُعقِّبَ لحُكمه ولا رادَّ لأمره . إذ أنّ تعدُّدَ الآلهة يلزمه التّنازعُ والتّغالُب بينهم فى الأفعال . والتّصادمُ فى الإرادات ؛ فيختلُّ النّظام ، ويضطرب الأمرُ ويَخْرَبُ العالَم . ولما كان المشاهَدُ غيرَ ذلك . دَلَّ على وحدة الإله المتصرِّف المدبِّر القدير . أَلَا ترى أنّه لو فُرض تعدُّدُ الإله . وأراد أحدُهما حركةَ كوكبٍ وأراد الآخرُ سكونه ؛ فلا جائزَ أن يقع مرادُهما معاً للزوم اجتماع الضِّدَّين ، ولا جائزَ أن يمتنع مرادُهما معاً لأنه لا مانع من وجود مرادِ أحدِهما إلّا وجودُ مرادِ الآخر . وإذا وقع مرادُ أحدِهما دون الآخَر فهو الإله القادر . والآخرُ عاجزٌ فلا يكون إلهاً . ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ فتنزيهاً للّه وتبرئةً له من أن يكون له شريكٌ فى الألوهيّة .

٢٣ ـ ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ فى عباده من إعزازٍ وإذلال ، وهدايةٍ وإضلال ، وإسعادٍ وإشقاء ؛ لأنه الربُّ المالك المتصرّف . والخلق يُسألون يومَ القيامة عما عَمِلوا لأنهم عبيد ، وقد أعطاهم نور العقل ليستدلُّوا ويَرْشَدُوا ، ويميّزوا بين الحق والباطل ؛ فأبصر قومٌ وعَمِيَ آخرون ؛ وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .

٢٦ ـ ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ يعنُون من الملائكة ؛ حيث قال الزاعمون : هنّ بناتُ الله . ﴿سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ أى بل هم عبادٌ مخلوقون له تعالى ، مقرَّبون عنده . وقد وصفهم الله فى هذه الآية بسبع صفات . و«عبادٌ» جمع عَبْد . والعبوديّةُ لله تعالى : إظهارُ التذلُّل والخضوعِ له سبحانه . ومُكْرَمٌ : اسمُ مفعول من أكرم . وإكرامُ اللهِ للعبد : إحسانُه إليه وإنعامُه عليه .

٢٧ ـ ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾ لا يتكلّمون إلا بما يأمرهم به ، ولا يقولون شيئًا حتى يقوله .

٢٨ ـ ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ أى وهم من خوف الله

أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ * وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ

وعقابه حَذِرُون أن يخالِفُوا أمرَه ونهيَه . يقال : أشفق منه ؛ أى حَذِره .

٣٠ ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَ ..﴾ فى هذه الآية والآيتين بعدها ستّةُ أدلّة على التوحيد وكمال القدرة ؛ أى ألم يتفكّروا ويعلموا . والمرادُ : التمكّنُ منه بالنظر العقلىّ . ﴿أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً ..﴾ ملتصقتيْن ليس بينهما انفصال ففصلنا بينهما . والرَّتْقُ : مصدرٌ بمعنى الضّم والالتئام . يقال : رَتَقَ الفتقَ يرتُقُه رَتْقاً ورتُوقًا ، إذا شدّه . ورتَقْتُ الشىء فارتتق ؛ أى التأم . والفتقُ : ضدُّ الرَّتْقِ ، وهو الفصل بين المتصليْن . يقال : فَتق الشىء يفتقه ، شقّه . وعن ابن عباس : كانتا ملتصقتيْن فرفع الله السماء ووضع الأرض . وعن الحسن وقَتادة : كانتَا جميعًا ففصل الله بينهما بالهواء . وقيل : كانتا معدومتيْن فأوجدناهما . واستعمالُ الرَّتق والفَتْق فى ذلك مجاز . ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ خلقنا من الماء كلّ شىء حىٍّ ؛ أى متَّصِفٍ بالحياة الحقيقيّة وهو الحيوانُ ، أو كلّ شىء نام فيدخل النبات ، ويرادُ من الحياةِ ما يشمل النُّمُوّ . وهذا العَامُّ مخصوص بما سوى الملائكةِ والجن مما هو حىٌّ .

٣١ ـ ﴿وَجَعَلْنَا فِى الأَرْضِ رَوَاسِىَ﴾ جبالاً ثوابتَ ﴿أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾ أى كراهةَ أن تتحرّك وتضطرب بهم اضطراباً لا يعقبه تثبيت . [آية ١٥ النحل ص ٣٤٤] . ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلاً﴾ أى جعلنا فى الأرض مسالكَ طُرقاً واسعةً للسابلة ؛ جمعُ فَجّ وهو الطريق الواسع . والسُّبُلُ : جمعُ سبيل وهو الطريق ، بدَلٌ من « فجاجًا » .

٣٢ ـ ﴿سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ مصونًا من الوقوع أو التغير .

٣٣ ـ ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ أى كلُّ واحد من الشمس والقمر يسير فى فلكه بسرعة ؛ كالسابح فى الماء ؛ مِن السَّبْح وهو المرّ السريع فى الماء أو الهواء . وأتِىَ بضمير جَمْع العقلاء لكون السِّباحة المُسْنَدَة إليهما من فعل العقلاء ؛ كقوله تعالى : (رَأَيْتُهُمْ لِى سَاجِدِينَ)[1] . (قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ)[2] .

٣٤ ـ ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ ..﴾ نزلت حين قال الأعداء : (نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ المَنُونِ)[3] بُغضاً له .

(١) آية ٤ يوسف . (٢) آية ١١ فصلت . (٣) آية ٣٠ الطور .

ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ

٣٥ ـ ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالخَيْرِ﴾ نختبركم ؛ أى نعاملكم معاملة المختبر بما تحبُّون وما تكرهون ؛ لأجل إظهار شكركم وصبركم . ﴿فِتْنَةً﴾ أى ابتلاءً واختبارًا ؛ مصدرٌ مؤكِّدٌ لـ «نَبْلُوكُمْ» من غير لفظه .

٣٧ ـ ٣٩ ـ ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ العَجَلُ : طلبُ الشيء وتحرِّيه قبل أوانه . وفعلُه من باب طَرِبَ . والمرادُ : أن جنسَ الإنسان خُلِق مجبولاً مطبوعاً على العَجلة والتَّسرُّع . فيستعجل كثيراً من الأشياء وقد تكون مضرَّةً به . ومن ذلك استعجالُهم العذابَ الذى أوعِدوا به ـ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ ـ ؛ جَهْلاً مِنْهُمْ وغفلةً عن شأنه . ثم بيّن الله تعالى شدّة ما يحصل لهم منه بقوله : لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ .. أى لمَّا كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال .

٤٠ ـ ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً﴾ بل تأتيهم الساعةُ الموعودُ بها وبعذابهم فيها مفاجأةً من غير شعورٍ بمجيئها . مصدرُ بَغَتَه كمَنَعه ؛ ومنه المُباغتةُ أى المفاجأة . ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ تدهشهم وتُحيِّرهم والفعل كعَلِمَ ونَصَرَ وكَرُمَ وزُهِيَ [آية ٢٥٨ البقرة ص ٦٢ ، ٦٣] . ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يُمهلون لتوبة أو معذرة . وهو تهديدٌ ووعيدٌ .

٤١ ـ ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ ..﴾ تسلية للرَّسول صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم . ﴿فَحَاقَ﴾ أحاط أو نزل بهم . يقال : حاق به الشيءُ يحيق ، أحاط به .

٤٢ ـ ﴿مَنْ يَكْلَؤُكُمْ﴾ يَحفَظُكُمْ ويَحرُسكم . يقال : كلأه كَلْأً وكِلاءةً وكِلاءً ، حَرَسه وحفِظه . واكتلأت منه : احترست . والاستفهامُ للتقريع والتنبيه للمستهزئين كى لا يغترُّوا بما يتقلَّبون فيه من النعم ، وبالإمهال والمطاولة .

٤٣ ـ ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ﴾ أى أن هؤلاء الآلهة لا يستطيعون أن ينصروا أنفسهم ، ويدفعوا عنها ما ينزل بها ﴿وَلَا هُمْ

عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ * وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ



مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾ بنصر وتأييد ؛ فهم فى غاية العجز . أو وَلاهُمْ منا يجارون . تقول العرب : أنا لك صاحبٌ من فلان وجارٌ ، بمعنى مُجيرك ومانعك منه . وأَصْحبَ فلان فلاناً : أجاره ومنعه . فكيف يتوهمونَ فيها النصرَ لهم !

٤٤ - ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ ..﴾ هذه الآيةُ مدنيّةٌ وإن كانت السّورةُ مكيّةً ؛ أىْ أَعَمِىَ المستهزئون فلا يروْن أنّا نأتى أرضهم فننْقُصُهَا من أطرافها بتسليط المسلمين عليها وانتزاعها من أيديهم ! ؟ ﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ استفهامٌ بمعنى الإنكار ، معناه : بل نحن الغالبون وهم المغلوبون .

٤٦ - ﴿وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ ..﴾ أصابهم شىء قليل من العذاب أو طَرَفٌ منه . وفى هذا التعبير ثلاثُ مبالغات : ذِكْرُ المَسّ الذى يكفى فى تحقّقه إيصالٌ مَا . وما فى النَّفْح من النَّزارة والقِلّة ؛ يقال : نَفَحَه بعطيّة ، رَضخه وأعطاه يسيرًا . والبناء الدَّالُّ على المرة ، وهى لأقل ما يُطلَق عليه الاسم . والمرادُ : بيانُ سرعة تأثّرهم بأقلّ شىء من العذاب الذى كانوا يستعجلونه استهزاءً . وأنه إذا نالهم جَزِعوا ونادوْا بالوْيل والثُّبور .

٤٧ - ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ ...﴾ بيانٌ للعدل الإلٰهىِّ يومَ القيامة فى الجزاء على ما سَلَف من الأعمال ، وأنه تعالى لا يظلم أحدًا شيئاً ممّا له أو عليه ؛ فلا يُنقص من إحسان المحسن شىء مّا ، ولا يُزاد فى إساءة المسىء شىء ما . والقِسْطُ : العَدْلُ . والموازينُ : ما توزن به صحائف الأعمال . ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾ أى وإن كان العملُ قد بلغ من القِلّة والحقارةِ وزْنَ حبّة من خرْدَلٍ - وهى مَثَلٌ فى الصِّغَر - ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾ جئنا بصحيفته فى الموازين .

٤٩ - ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون حذرون .

٥١ - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾ هدايتَه الكاملةَ إلى وجوه الصلاح فى الدِّين والدّنيا مِن قَبل استنبائه ؛ ترشيحاً لِمَنْصِب النبوّة والدعوة إلى الحق ؛ كما هو شأننا فيمن نصطفيه لذلك من عبادنا .

٥٢ - ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ ..﴾ الأصنامُ ؛ وعُبر عنها بالتماثيل

ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا

تحقيرًا لها ؛ فإن التمثال هو الشيءُ المصنوعُ من رخام أو نُحاس أو خشب أو معْدِن أو نحو ذلك . على هيئة مخلوق من مخلوقات الله تعالى كالإنسان والحيوان والكواكب . يقال : مثّلت الشيء بالشيء ، أي شبّهته به . ﴿أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ أي أنتم لأجلها عاكفون على عبادتها ، أو ملازمون لها ومقبلون عليها ؛ وأنتم قد صنعتموها بأيديكم ؟ .

٥٦ – ﴿فَطَرَهُنَّ﴾ خلقهنّ وأبْدعهُنّ .

٥٨ – ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾ فجعل الأصنامَ قِطَعاً وكِسَرًا . واحدُه جُذَاذةٌ ، مِن الجَذّ وهو القطْع والكَسر . تقول : جَذَذت الشيء ، أي قطَعته وكَسرته .

٦١ – ﴿عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ﴾ ظاهرًا بمرأى من الناس .

٦٣ – ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ قَصد بإسناد الفعل إلى كبيرهم – ومعلومٌ عجزُهُ عنه بداهةً – إثباته لنفسه بأسلوب تعريضِيّ تهكّمِيّ ؛ إلزاماً لهم بالحُجّة .

٦٥ – ﴿نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ انقلبوا من الفكرة المستقيمة الصّالحة ، في تظليم أنفسهم بعبادة ما لا يقدر على دفْع المضرّة عن نفسه فضلاً عن غيره – إلى ما كانوا عليه من الكفر ، وعبادة الأوثان ؛ فأخذوا في المجادلة بالباطل وقالوا : ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا

لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم

﴿هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ فكيف نسألهم !؟ فِعْلٌ مبنيٌّ للمجهول ؛ مِن النَّكْس وهو قَلْبُ الشيء من حال إلى حال ، وأصلُه قلبُ الشيء بحيث يصير أعلاه أسفلَه .

٦٧ - ﴿أُفٍّ لَكُمْ﴾ اسمُ فِعْلٍ بمعنى أتضجّر . ضَجِر إبراهيمُ عليه السلام من إصرارهم على الباطل بعد وضوح الحقّ وانقطاع العُذر ؛ فتأفّف بهم . وأصلُه صوت المتضجِّر من استقذار الشيء [آية ٢٣ الإسراء ص ٣٦٢] واللّامُ لبيان المتضجَّر لأجله .

٧١ - ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً ..﴾ أخرجناه ومعه زوجُه سارة وابنُ أخيه أو ابنُ عمّه لوطٌ من العراق إلى الشام ، فنزل إبراهيم بفلَسْطين ، ونزل لوطٌ بالمؤتفكة . فبُعث نبيًّا إلى أهلها وما قَرُب منها . ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ منتهيا إلى أرض الشام .

٧٢ - ﴿وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ عَطِيّةً منّا زيادة على ما سأل ؛ إذ دعا ربَّه في إسحاق فزيد يعقوبَ بنَ إسحاق من غير دعاء ؛ من نَفَله إذا أعطاه .

٧٤ - ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ حكمةً أو نبوّةً ، أو فصلَ القضاء بالحق بين الخصوم ﴿وَعِلْمًا﴾ فقهًا في الدِّين وما ينبغي علمه . ﴿كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ﴾ فسادٍ وفِعلٍ مكروه [آية ٩٨ التوبة ص ٢٦٤] .

٧٨ - ﴿فِي الْحَرْثِ﴾ أي الزّرع ، وكان كَرْمًا قد تدلَّت عناقيدُه ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ تفرّقت وانتشرت فيه ليلاً بلا راعٍ فرعَتْه وأفسدته . يقال : نَفَشت الغنمُ والإبلُ ، أي رَعَت ليلاً بلا راعٍ ؛ من باب نصر وضَرَب وسَمِع . والنَّفْشُ اسمٌ منه .

٧٩ - ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ..﴾ ففهّمنا سليمانَ الحكومةَ . وكان داودُ قد حكم بإعطاء صاحب الحَرْث رقابَ الغنم في حرثه ، فرأى سليمان أن تُدفع الغنم إلى صاحب الحَرْث يَنتفع بثمراتها ، ويُدفع الحرثُ إلى صاحب الغنم ليقوم عليه ؛ فإذا عاد إلى ما كان

مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ

عليه في السّنة المقبلة ردّ كلٌّ واحد منهما ما لِصاحبه إليه ؛ فرجع داودُ إلى حكم سليمان عليهما السلام .
﴿يُسَبِّحْنَ﴾ يُقَدِّسْنَ الله تعالى ، وهو من المعجزات ؛ كما سبّح الحصا في كفّ الرسول صلى الله عليه وسلم وسَمِعهُ الناس معجزةً له ؛ وهو كقوله تعالى : (يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ)[1] .

٨٠ ـ ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ أي عَمَلَ الدُّروع بإلانة الحديد له . واللَّبُوسُ الدِّرْعُ . وأصلُ اللَّبُوس واللِّباس واللِّبْس والمَلْبس ـ كمَقْعَد ومِنْبَر ـ كلُّ ما يُلبس . ﴿لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ لتجعلكم في حِرْز من الإصابة بآلة الحرب من عدوّكم . يقال : أحْصَنه وحصَّنه ، جعله في حرز ومكان منيع .

٨١ ـ ﴿ولِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ أي وَسَخَّرْنَا لسليمان الرّيحَ ، شديدةَ الهبوب . يقال : عصفت الريح تَعْصِف ، اشتدّت ؛ فهي عاصفٌ وعاصفةٌ وعَصُوف ، سُمِّيتْ بذلك لتحطيمها ما تمرّ عليه فتجعله كالعَصْف وهو التِّبْن .

٨٢ ـ ﴿يَغُوصُونَ لَهُ﴾ في البحار لاستخراج نفائسها . ﴿لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ من الزيغ عن أمره أو الإفساد .

٨٣ ـ ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ هو ما يُصيب النّفْسَ من المرض والهُزال ونحوهما .

٨٥ ـ ﴿وَذَا الكِفْلِ﴾ هو إلياس أو زكريا أو يُوشَع بن نونٍ . وقيل : إنه كان عبدًا صالحاً ولم يكن نبيًّا .

٨٧ ـ ﴿وَذَا النُّونِ﴾ أي اذكر صاحبَ النُّون وهو يونس بن متّى عليه السلام . والنُّون : الحوتُ ، وجمعهُ نِينَان وأنْوان . وقيل له ذو النون لابتلاع الحُوتِ له . ﴿إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً﴾ غضبان على قومه من أجل ربِّه ؛ لكفرهم أوّلَ أمرهم . وقد فارقهم بدون أن

(١) آية ١٠ سبأ .

وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾

يأمره الله تعالى بفراقهم . ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أى أن لن نقضى عليه بعقوبة . أو أن لن نضيّق عليه ؛ عقاباً له على ترْك قومه من غير أمرنا . يقال : قَدَرت عليه الشىء أَقْدُرُه وأَقدِرُه قَدْرًا وقَدَرًا ، ضيّقته عليه . ومنه : (فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ)[1] أى ضيّقه عليه ، (اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ)[2] . ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ ظُلمةِ بَطْن الحُوت وظلمةِ البحر ، وظلمةِ اللّيل .

٩٠ ـ ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً﴾ راغبين فى نِعَمِنا ، وراهبين من نِقَمِنا . مصدران بمعنى اسم الفاعل ، منصوبان على الحال ؛ وفعلُهما من باب طَرِب . ﴿خَاشِعِينَ﴾ متواضعين خاضعين ، لا يستكبرون عن دعائنا .

٩١ ـ ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ..﴾ حَفِظت فرجَها من النكاح الحلال والحرام ؛ يعنى مَرْيَمَ بنْتَ عمران عليها السلام . ﴿مِنْ رُوحِنَا﴾ أى من جهة رُوحنا وهو جبريل عليه السلام ؛ أمرناه فنفخ فى جيْب درعها فأحدثنا بذلك عيسى عليه السلام . ﴿وَجَعَلْنَاهَا وابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ دلالةً لهم على كمال قدرتنا ؛ إذْ خلقنا ولدًا من غير أبٍ .

٩٢ ـ ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾ أى إن مِلّة التوحيد والإسلام ، وهى دين جميع الأنبياء عليهم السلام ـ دينُكم الذى يجب أن تحافظوا على حدوده وتراعُوا سائر حقوقه . ﴿أُمَّةً واحِدَةً﴾ دينًا واحداً متّفقًا عليه من جميع الأنبياء . منصوبٌ على الحال من «أُمّتُكُمْ» .

٩٣ ـ ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قِطعًا وتفرّقوا فيه شيَعًا . والمرادُ بهم : المعاندون الجاحدون .

٩٥ ـ ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ أى وممتنِعٌ على أهل قرية ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ لفرْط طغيانهم وتمرّدهم ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ فى الآخرة للجزاء .

٩٦ ـ ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ حتّى هنا : ابتدائيةٌ ، وما بعدها غايةٌ لما يدلّ عليه ما قبلها ؛ فكأنه قيل : بل يستمرُّون على هلاكهم حتى تقوم الساعة فيرجعوا إلينا ويقولوا : يا وَيْلنا قد كنا فى الدنيا فى غفلة تامّةٍ من أمر البعث والجزاء ، بل كنا ظالمين بتكذيب الآيات والنذر . ﴿وَهُمْ﴾ أى يأجوج ومأجوج . ﴿مِنْ كُلِّ حَدَبٍ﴾ مرتفع من الأرض كجبل أو أَكَمَة . ﴿يَنْسِلُونَ﴾ يُسرعون فى السَّيْر مُشاةً إلى المحشر كنَسَلان الذِّئاب ؛ من النَّسْل وهو مقاربةُ الخطْو مع الإسراع . يقال : نَسَل فى مشيته يَنْسُل ويَنْسِل نَسْلاً ونَسَلاناً ، أسرع .

(١) آية ١٦ الفجر . (٢) آية ٢٦ الرعد .

وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ (٩٧) إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ (٩٨) لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٩٩) لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ (١٠٢) لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ (١٠٣) يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ (١٠٤) وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ (١٠٥) إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ (١٠٦) وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ (١٠٧) قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٨) فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ (١٠٩)

٩٧ - ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ وهو ما بعدَ النفخة الثانية من البعث والحساب والجزاء ؛ معطوفٌ على « فتحت » . ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مرتفعةُ الأجفان لا تكاد تطرف من شدّة الهول . يقال : شَخَص بصرُ فلان يشخَصُ شُخُوصا فهو شاخص ، إذا فتح عينيه وجعل لا يَطْرِفُ ؛ جوابُ قوله : « إذا فُتِحَتْ » و « هِيَ » ضميرُ الشأن مبتدأٌ ، و« شَاخِصَةٌ » خبرٌ مقدَّم ، و« أَبْصَارُ » مبتدأ مؤخَّر ، والجملة خبرُ « هي » .

٩٨ - ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ إنكم - أيّها الكفارُ - والأصنامَ والطواغيت التى تعبدونها من دون الله وقودُ جهنم . وحصَبُ النار : ما يُرمَى فيها وتهيَّج به . يقال : حَصَبه يَحْصِبُه ، إذا رماه بالحصباء ، وهى صغارُ الحجارة . ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ حطبها ووقودها الذى به تهيج . ﴿لَهَا وَارِدُونَ﴾ فيها داخلون .

١٠٠ - ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ تنفُّسٌ شديدٌ يخرج من أقصى أجْوافِهم [آية ١٠٦ هود ص ٢٩٩] . ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ شيئاً ما لشدّة الهَوْل . أو لشدّة الزّفير .

١٠٢ - ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ أى حسيسَ النار ، وهو صوتُها الذى يُحَسّ من حركة تلهُّبها إذا نزلوا منازلهم فى الجنة . وأصلُ الحَسِيس : الصّوتُ تسمعه من شىء يمرُّ قريبًا منك .

١٠٣ - ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ﴾ يقال : حَزَنه الأمر حُزْنًا ، جعله حزينًا كأحزنه . ﴿الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ وهو أهوال يوم القيامة . أو نَفْخَةُ البَعْث . مصدرُ فَزِعَ - كفرِحَ ومَنَع - وهو انقباضٌ ونفارٌ يعترى الإنسانَ من الشىء المُخيف .

١٠٤ - ﴿يَوْمَ نَطْوِى السَّمَاءَ كَطَىِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ أى اذكر لهم

إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنۡ أَدۡرِي لَعَلَّهُۥ فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

(٢٢) سُورَةُ الحَجِّ مَدَنِيَّة

إلا الآيات ٥٢ و٥٣ و٥٤ و٥٥ فبين مكة والمدينة
وآياتها ٧٨ نزلت بعد النور

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ﴿١﴾ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ﴿٢﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ﴿٣﴾

هذا اليوم . والطَّيُّ : ضِدُّ النَشْر . والسِّجِلُّ : الصحيفةُ التى يُكتب فيها . والـكُـتُب : بمعنى المكتوبات ، أى ما يُكتب فى الصحف من المعانى الكثيرة . واللّامُ بمعنى على ؛ كما فى قوله تعالى : (وَتَلَّهُ لِلْجَبِين)[1] . أى يومَ نَطْوِى السماءَ طَيًّا مثلَ طىِّ الصحيفة على ما فيها من المكتوبات . وفى هذا التّشبيه إيماءٌ إلى أنّ ذلك من أهْون ما تتناوله يدُ القدرة الإلٰهيّة .

١٠٥ ـ ﴿كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ﴾ أى المزبور وهو المكتوب ؛ من قولهم : زَبَرْتُ الكتابَ ، أى كتبته . والمرادُ به : الجنسُ ؛ فيشمل جميعَ الكتب المنزَّلة على الرُّسُل عليهم السلام . ﴿مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ أى أمّ الكتاب الذى تُكتب فيه الأشياء قبل ذلك ، وهو اللّوح المحفوظ . وقيل : الذّكْرُ العِلم ، وهو المرادُ بأُمّ الكتاب .

١٠٦ ـ ﴿لَبَلاغًا﴾ كفايةً ، أو وصولاً إلى البغية .

١٠٩ ـ ﴿آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ أعلمتكم ما أُمِرتُ به حالَ كونكم جميعاً مستوين فى العلم به ، لا أخُصُّ أحدًا منكم دون أحد . والهمزةُ فيه للنّقل ؛ من أذِن بمعنى عَلِمَ ، وقد كثُرَ استعمالُه فى إجرائه مُجْرَى الإنذار ؛ ومنه فى قراءةِ (فَـأْذَنُـوا بِـحَـرْبٍ مِـنَ اللهِ وَرَسُولِهِ)[2] . ﴿وَإِنْ أَدْرِى﴾ وما أدرى وما أعلم . والله أعلم .

سُورةُ الحجِّ

١ ـ ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾ من أمارات السّاعة ما يَحْدُثُ فى الأرض من الزّلزلة الشديدة ، التى أخبر الله عنها بأنها شىء عظيمُ الأهوال ، ويعقُبها طلوعُ الشمس من مغربها . والزَّلْزَلَةُ : التّحريكُ الشّديدُ ، والإزعاجُ العَنِيف . مصدرُ زَلْزَلَ اللهُ الأرضَ زَلْزَلة وزلزالاً ـ حرّكها . وقيل : هذه الزّلزلةُ كنايةٌ عن أهوال يوم القيامة .

٢ ـ ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ تَنْسَى وتَترك كلُّ امرأةِ الطفلَ الذى ألقمته ثَدْيَهَا من شدة كَرْبها ودهشتها ؛ من الذُّهول ، وهو شُغْلٌ يورِثُ حُزنًا ونسيانًا . وفِعلهُ كـمَنَع . والمُرْضِعَةُ : المباشِرَةُ للإرضاع بالفعل . تقول : أرضعت المرأةُ فهى مُرْضِع ، إذا كان وَلَدٌ تُرضعه ، فإن وصفتها بإرضاع ولدِها بالفعل قلت : مُرْضِعة . ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ ولدَها قبل تمامه

(١) آية ١٠٣ الصافات . (٢) آية ٢٧٩ البقرة .

كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ

من شدة الهَوْل ﴿سُكَارَى﴾ أى كالسكارى لما شاهدوا من سلطنة الجبروت ﴿وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾ على التحقيق ؛ جمعُ سَكِرٍ وسَكْران .

٣ ـ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ ..﴾ يُنازع ويخاصِم ؛ مِن الجدال وهو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة . وأصلُه من جَدَلْت الحبل : أى أحكمتُ فتله ؛ كأن المتجادليْن يفتل كلٌّ منهما صاحبَه عن رأيه . نزلت فى النَّضْر بن الحارث . ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ متمرِّدٍ متجرِّدٍ للفساد ، مُعَرًى من الخير ، [آية ١١٧ النساء ص ١٣١] .

٤ ـ ﴿تَوَلَّاهُ﴾ اتخذه وليًّا وتبعه .

٥ ـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ..﴾ لما ذكر تعالى من يُجادل فى قدرته بغير عِلم وكان جدالُهم فى البَعْثِ ـ ذكَر دليليْن واضحيْن على صحته : أحدهما فى نفس الإنسان وابتداء خلْقه وتطوُّره فى أطواره السبعة ؛ وهى : التُّرابُ ، والنُّطْفَةُ ، والعَلَقَةُ ، والمُضْغَةُ ، والإخْراجُ طِفْلاً ، وبلوغُ الأشُدّ ، والتَّوَفِّى ، أو الرَّدُّ إلى أرْذَلِ العمر . والثانى فى الأرض التى يشاهد تنقّلها من حال إلى حال ؛ فإذا اعتبر العاقلُ ذلك تبيّن له جوازُ البعْث عقلاً ؛ فإذا وَرَد الشرعُ بوقوعه وجب التصديق به لا محالة .. ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ من مَنِيٍّ [آية ٤ النحل ص ٣٤٢] . ﴿مِنْ عَلَقَةٍ﴾ قطعةٍ من الدَّم جامدةٍ يتحوّل إليها المَنِيّ . وجمعُها عَلَق . ﴿مِنْ مُضْغَةٍ﴾ قطعةٍ قليلة من اللحم تتحوّل إليها العَلَقة . ﴿مُخَلَّقَةٍ﴾ مستبينة الخلق مصورة . ﴿لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ كمالَ عقولكم ، ونهاية قواكم [آية ١٥٢ الأنعام ص ١٩٦] . ﴿إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ أخَسِّه وأدْوَنه ؛ وهو مِثلُ زمن الطُّفولة الأُولى . ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ يابسةً لا نباتَ فيها . يقال : هَمَدت الأرضُ تَهْمُد هُمُودًا ، يَبِست ودَرست . وهَمَد الثوب بَلِيَ . ﴿اهْتَزَّتْ﴾ تحرّكت فى رأى العيْن بسبب حركة النّبات . يقال : هَزَّ الشىء ـ من باب رَدَّ ـ فاهتزّ ، حرّكه فتحرّك . ﴿وَرَبَتْ﴾ زادتْ وانتفخت لِمَا يتداخلها من الماء والنّبات . يقال : ربا الشىءُ يَرْبُو رَبْوًا ، زاد ونَمَا ؛ ومنه الرِّبَا والرَّبْوَة . ﴿بَهِيجٍ﴾ نضِرٍ حَسَنِ المَنْظَر ؛ من بَهُج ـ كظَرُف ـ بَهاجةً وبَهْجَةً أى حَسُن .

٦ ـ ﴿ذَلِكَ﴾ أى ذلك المذكور من خلق الإنسان وإحياء النبات شاهدٌ ﴿بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ .

٨ ـ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ ..﴾ هذه الآيةُ واردةٌ فى شأن المتبوعين . والآيةُ الثالثة من هذه السورة واردةٌ فى شأن أتباعهم .

يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾

٩ - ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِ ..﴾ لاوِىَ جانبه ، أى متكبّرًا شمُوخاً ، معرضاً عن الحقّ ؛ من الثّنى وهو اللّىُّ . يقال : ثَنَى الشىءَ - كسَعَى ورَمَى - رَدَّ بعضه على بعض فتثنّى . وانثنى انعطف . والعِطْفُ : الجانبُ . ويقال : هو يَنظُر فى عِطْفَيْه ، أى مُعْجَبٌ بنفسه . وثَنَى عنّى عِطفَه : أعرَض . ﴿خِزْىٌ﴾ ذُلٌّ وهوانٌ بالذّكر القبيح .

١٠ - ﴿وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [آية ١٨٢ آل عمران ص ١٠٣] .

١١ - ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ ..﴾ على طَرَف من الدِّين ، لا ثباتَ له ولا استقرار ؛ كالّذى يكون على طَرَفِ الجيش ، فإن أحسَّ بظَفَر قَرّ ، وإلّا فرّ . وحرفُ كلِّ شىء : طَرَفه وحَدّه ؛ ومنه حَرْفُ الجبلِ . وهو مَثَلٌ لاضطرابه فى أمر دِينه وتزلزُل قَدمِه فيه ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾ ابتلاءٌ بالشُّرور والآلام فى النّفْس أو الأهلِ أو المال .

١٢ - ﴿يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ﴾ أى يعبد من دونه تعالى . ﴿مَالَا يَضُرُّهُ﴾ ترك عبادته له فى الدنيا ﴿ومَالَا يَنْفَعُهُ﴾ عبادتُه له فى الآخرة وهو الأصنام .

١٣ - ﴿لَبِئْسَ المَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ أى يقول الكافر يوم القيامة برفْع صوتٍ وصُراخ حين يرى تضرُّره بمعبوده ودخولَه النار بسببه ، ولا يرى أثرًا مما كان يتوقعه منه من نفع أو دفع ضر : واللهِ لبئس الذى يُتخذ ناصرًا ، ولبئس الذى يُعاشَر ويخالَط !! .

١٥ - ﴿مَنْ كَانَ﴾ من الكفار ﴿يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ﴾ أى ينصر رسولَه محمدًا صلى الله عليه وسلم ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ أى فليَمْدُدْ حَبْلاً ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ إلى سقف بيْته ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ أى

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ۩



* هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

لِيَختَنِقْ به ؛ مِن قَطَع ، إذا اختنق . وأصلُه قَطع نَفَسَه ، وهو كناية عن الاختناق . ﴿فَلْيَنظُرْ﴾ أى فليقدِّر فى نفسه النَّظر ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ أى الذى يغيظه من النصر.

١٧ - ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾ [آية ٦٢ البقرة ص ١٨] . ﴿وَالْمَجُوسَ﴾ هم عَبَدةُ الشّمس أو القمر أو النار. أو القائلون بأن للعالَم أصليْن : النّورَ والظُّلْمَة . ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ هم عَبَدَةُ الأصنام والأوثان .

١٨ - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ﴾ [آية ١٥ الرعد ص ٣٢١] . ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ حَقّ له الثوابُ ، وهم المنقادون لله تعالى ظاهرًا وباطنًا . ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ وهم المتمرِّدون على الله تعالى ، الجاحدون لنعمه .

١٩ - ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾ أى فريقُ المؤمنين وفريقُ الكافرين خصمان فى شأنه عزّ وجلّ . ﴿الْحَمِيمُ﴾ الماءُ البالغ غاية الحرارة . أو هو النُّحاس المُذاب .

٢٠ - ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ يُذابُ به ما فى بطونهم من الشُّحوم والأحشاء . يقال : صَهرَ الشَّحْمَ يَصْهَرُه فانصهر ، أذابه فذاب ؛ فهو صَهير . أو يُصْهَر بمعنى ينضج .

٢١ - ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ مطارقُ تَضرب بها خزنةُ النار رءوسَهم إذا أرادوا الخروجَ منها ؛ جمعُ مِقْمَعَة ، وهى آلةٌ تُستعمل فى القَمْع عن الشىء والزَّجْر عنه . يقال : قَمَعه يَقْمَعُه ، وأقمعه ، إذا ضربه بها ، وقهَرَهُ وذلّهُ .

٢٤ - ﴿صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾

وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ

الإسلام الذى ارتضاه لعباده دينًا.

٢٥ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ..﴾ خبرُ «إنَّ» محذوفٌ لدلالة آخر الآية عليه، بعد قوله «وَالْبَادِ» تقديره: نُذِيقُهُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ. ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أى وعن المسجد الحرام. والمرادُ به مكّةُ؛ عُبِّر به عنها لأنه المقصود الأهمُّ منها. ﴿الَّذِى جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ..﴾ مطلقًا بلا فرق بين مكىٍّ وآفاقىٍّ. ﴿سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ﴾ المقيمُ فيه. يقال: عكف يعْكُف ويعْكِف عَكْفًا وعُكوفًا، لزم المكان وأقام فيه. ﴿وَالْبَادِ﴾ أى الطّارئُ عليه وهو الآفاقىّ. وأصلُه مَن يكون فى البادية ومسكنُه المضارب والخيام، وينتجع المناجع ولا يقيم فى مكان و﴿سَوَاءً﴾ مفعولٌ ثانٍ لـ «جعلنا»، و «الْعَاكِفُ» فاعلٌ لـ «سواءً» بمعنى مستوٍ. ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ أى ومن يُرِدْ فيه مرادًا مَا عادلاً عن القصد والاستقامة؛ فيشمل سائر الآثام، لما فيها من الميل عن الحق إلى الباطل. ومنه كما فى السنن: احتكارُ الطعام فى الحَرَم. ومنه: دخولُه بغير إحرام؛ كما رُوى عن عطاء. يقال: ألْحدَ فى دين الله، أى حاد عنه وعدل. ﴿بِظُلْمٍ﴾ أى بغير حق، وهو تأكيد لما قَبْله؛ والباءُ فيهما للملابسة. وقيل: الأولى زائدة، وأُيِّدَ بقراءة «ومن يُرِدْ إلحادَهُ بِظُلْمٍ» أى إلحادًا فيه بظلم. والآيةُ نزلت فى المشركين حين صدُّوا الرسولَ صلى الله عليه وسلم وأصحابَه عامَ الحُدَيْبِيَة عن المسجد الحرام؛ فكرِه صلى الله عليه وسلم أن يقاتلهم وكان مُحْرِمًا بعُمْرةٍ، فصالحوه على أن يعود فى العام القابل لقضاء العُمْرة.

٢٦ - ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ جعلنا مكانَ البيت - أى الكعبة المشرّفة - مباءةً له عليه السلام؛ أى مرجعًا يُرجع إليه للعمارة والعبادة [آية ١٢١ آل عمران ص ٩٣]. ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ﴾ من الأرجاس الحِسّية والمعنويّة الشاملةِ للكفر والبِدَع والضّلالات.

٢٧ - ﴿وَأَذِّنْ فِى النَّاسِ﴾ ناد فيهم وأعلمهم. ﴿يَأْتُوكَ رِجَالاً﴾ مُشاةً على أرجلهم؛ جمعُ راجل أو رَجْل. يقال: رَجِل يَرْجَلُ، فهو رَجْل وراجل، إذا لم يكن له ظَهْر يركبه. ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ أى ورُكبانًا على كلِّ بعير مهزول أنهكه بُعد الشقة. يطلق على الذَّكر والأنثى، وهو اسم فاعل من ضَمَرَ يَضْمُرُ ضمورًا، وضَمُر ضُمْرًا؛ فهو ضامرٌ فيهما. ﴿يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ صفةٌ لـ «كُلّ». والجمعُ باعتبار المعنى؛ كأنه قيل: وركبانًا على ضوامرَ من كلّ طريق بعيد. والفجُّ فى

وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ
اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ
إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ
وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ
وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ
أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ
شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا
مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾

الأصل : شُقّةٌ يكتنفُها جبلان ، ويُستعمل فى الطريق الواسع . والمراد هنا : مطلق الطّريق ، وجمعهُ فجاج . و «عميق» أى بعيد ؛ من العُمْق . وأصلهُ البُعد سُفْلاً ؛ ومنه بئرٌ عَميقةٌ . وفعلُه ككرُم وسَمِع .

٢٨ – ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ عظيمةً دينيّة ودُنيويّة . ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ أى يذكروه بالحمد والثّناء عند إعداد الهدايا ، وعند الذّبح والنحر وغير ذلك . ﴿فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ هى عشر ذى الحجّة على ما ذهب إليه جمهور المفسرين . وقيل : هى أيامُ النّحر ، أو يوم العيد وأيامُ التّشريق . ﴿بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ الإبل والبقر والضأن والمَعْز .

﴿وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ﴾ هو الذى أصابه بُؤْس ؛ أى شِدّةٌ ومكروه .

٢٩ – ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ أى يُزيلوا عنهم أدرانَهم والمرادُ به : الخروجُ من الإحرام بالحلْق أو القَصّ ، وقلم الأظفار والاستحداد ، ولبس الثياب ونحو ذلك . والتَّفَثُ : الوَسَخُ والقَذَرُ من طول الشَّعر والأظفار والشعَث . يقال : تَفِثَ يَتْفَثُ تَفَثًا فهو تَفِثٌ ، إذا ترك الأدهانَ والاستحدادَ ونحوهما فعلاه الوَسَخ . والقَضاءُ فى الأصل : القَطْع والفَصْلُ ؛ أريد به الإزالةُ مجازًا . ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا﴾ طوافَ الإفاضة ، وهو طواف الزيارة الذى هو من أركان الحجّ ، وبه تمام التحلُّلِ من الإحرام .

٣٠ – ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾ أى ما أمر الله باحترامه ، وهو جميعُ التّكاليف فى مناسك الحجّ وغيرها . وتعظيمُها بالعلم بوجوب مراعاتها والعمل بموجبه . ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ أى فاجتنبوا القَذَر الذى هو الأوثان : وهى التماثيل التى كانوا يعبدونها من دون الله تعالى . ﴿قَوْلَ الزُّورِ﴾ قول الباطل والكذب القبيح .

٣١ – ﴿حُنَفَاءَ﴾ مائلين عن سائر الأديان الباطلة إلى الدِّين الحقِّ . ﴿فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾ تستلبه جوارحُ الطّير وتذهب به . والخَطْفُ : الاختلاس بسرعة . ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ﴾ أى تُسقطُه وتَقْذِفه . يُقالُ : هَوَى يَهْوِى هُوِيًّا ، سقط إلى أسْفَل . ﴿سَحِيقٍ﴾ بعيدٍ ؛ من السُّحق . يقال : سَحُق الشىء – كبَعُد – فهو سحيق ، أى بعيد . وأسحَقه الله : أبعده .

٣٢ – ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ جمعُ شعيرة ، وهى كلُّ شىء لله تعالى فيه أمرٌ أَشْعَرَ به وأعْلَمَ . وشعائرُ الله : أعلامُ دينه فى الحج . أو الأعمالُ التى أمر بها فيه عند هذه الأعلام [آية ١٥٨ البقرة ص ٣٦] ومنها البُدْنُ التى تُهدَى للبيت المعظّم . وتعظيمُ شعائر الله : امتثالُ ما أمر به عندها ، وأداءُ أعمال المناسك على الوجه المشروع . ومن المفسرين من فسّر الشعائرَ هنا بالبُدْن الهدايا ؛ بقرينة ما بعده . وتعظيمُها : اختيارُها

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٥) وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦) لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۗ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (٣٧) * إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨) أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ



حِسانًا سِمانًا .

٣٣ - ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ أى لكم فى تلك الشعائر منافع بالأجر والثّواب الحاصل بتعظيمها . ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو انقضاء أيام الحج . ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا﴾ أى مَحِلّ الناس منها - أى من إحرامهم - مُنْتَهٍ ﴿إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ بطواف الزيارة بعد أداء تلك الشعائر .

٣٤ ، ٣٥ - ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ أى إراقة دَم وذبحَ قُربانٍ . أى شَرَعنا لكلّ أمّة مؤمنة أن يَنْسُكُوا لله تعالى ؛ أى يذبحوا لوجهه تقرُّبًا إليه . ويُطلق المنسَك - بالفتح - على موضع إراقة الدّم أو زمانها . وقُرئ بكسر السين بمعنى الموضع . ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ المتواضعين لله تعالى ، أو المطمئنين ؛ مِن الإخبات وهو فى الأصل نزولُ الخَبْت ، أى المطمئنّ من الأرض . وجمعهُ أخبات وخُبُوت . ثم استُعمل استعمالَ اللِّين والتّواضُع . ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ خافت وحَذِرت مخالفته تعالى [آية ٢ الأنفال ص ٢٣٣] .

٣٦ - ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ البُدْنُ : جمعُ بَدنة ، وهى الإبلُ ، أو الإبلُ والبقرُ المهداة إلى البيت المعظّم . وسُمِّيَتْ بُدْنًا لعظم أبدانها وضخامتها ، وكانوا يُسَمِّنُونها ثم يهدونها إلى البيت ؛ وهى من أعلام دينه تعالى فى الحج . و

﴿صَوَافَّ﴾ جمعُ صافّة ، أى قائماتٍ قد صففن أيديَهن وأرجلَهن ؛ مِن صَفّ يَصف . وقُرئَ : «صوافن» جمع صافنة ؛ من صَفن الرّجلُ يَصْفِن ، إذا صَفّ قدميْه . ﴿وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ سَقطت جنوبُها على الأرض بعد النَّحْر ؛ وهو كنايةٌ عن موتها . يقال : وجبت الشمسُ تَجب وَجباً ووُجوبًا ، غابت . ووَجَب الجدارُ : سَقَط . وظاهرهُ يؤيّد

كوْنَ المرادِ من البُدْن الإبلَ خاصّةً . ﴿وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ﴾ هو السائلُ ؛ مِن القُنوع وهو السؤالُ والتذلُّل . يقال : قَنَع يَقْنَع ، إذا سأل ؛ فهو قانع وقَنِيع . ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾ هو الذى يتعرّض لك لتُعطيَه ولا يسأل . يقال : عَرّه يَعُرُّه عَرًّا ، وعراه واعتراه واعترّه : إذا أتاه طالبًا معروفَه من غير مسألة .

٣٨ - ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بشارةٌ للمؤمنين بالنّصر

بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ
أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ
وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ
وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا
وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾
ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟
ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ
ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾
وَأَصْحَـٰبُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَـٰفِرِينَ
ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن
قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا
وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا
فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى
فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ

لتثبيت قلوبهم . ﴿خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ خائن للأمانات ، جاحد للنعم .

٣٩ - ﴿أُذِنَ﴾ أي في القتال .

٤٠ - ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ ..﴾ تحريضٌ على القتال المأذون فيه ، بإفادة أن الله تعالى أجرَى بذلك عادتَه في الأمم الغابرة ؛ لينتظم به الأمرُ ، وتقومَ الشرائعُ ، وتُصانَ المتعبَّدات من الهَدْم . فلولا دفعُ اللهِ المشركين بالمؤمنين بالإذن لهم في الجهاد لهُدمت في زمن موسى المعابدُ ، وفي زمن عيسى الصوامعُ والبِيَعُ ، وفي زمن نبيّنا عليه الصلاة والسلام المساجدُ . والذين دُفِع بهم المشركون في زمن موسى وعيسى عليهما السلام إنما هم المؤمنون من أتباعهم الذين لم يحرِّفُوا ولم يُبَدِّلُوا ، واستمرُّوا على الحق . ﴿صَوامِعُ﴾ معابدُ للرُّهبان ؛ جمعُ صَوْمعة ، وهي البناء المرتفع المحدَّدُ الطَّرف . يقال : صَمَّعَ الثريدة ، أي رفع رأسها وحدّده . ﴿وبِيَعٌ﴾ كنائسُ للنصارى ؛ جمع بِيعَة ولا تختصّ بالرهبان . ﴿وصَلَوَاتٌ﴾ كنائسُ لليهود .

٤٤ - ﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ﴾ قوم شعيب عليه السلام . ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ..﴾ أمهلتهم بالعقوبة ، ولم أعاجلْهم بها ؛ من الإملاء بمعنى الإمهال . ﴿نَكِيرِ﴾ أي إنكاري عليهم بالعذاب والهلاك . مصدرٌ من نَكِرْتُ عليه وأنكرت ، إذا فعلت فعلاً يَرْدَعُه . وهو وعيدٌ للمكذِّبين لرسوله صلى الله عليه وسلم .

٤٥ - ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ ..﴾ فكثير من القرى أهلكناها [آية ١٤٦ آل عمران ص ٩٧] . ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ خاليةٌ من أهلها لهلاكهم [آية ٢٥٩ البقرة ص ٦٣] . ﴿وَبِئْرٍ

وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ

﴿مُعَطَّلَةٍ﴾ مهجورة لهلاك أهلها ؛ من بَأَرْتُ الأرضَ أَبْأَرُهَا بَأْرًا : حفرتها ، فهى مبثورة . ﴿وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ مُجَصَّص بالشِّيد وهو الجصّ ، أخليناه من ساكنيه بإهلاكهم . يقال : شاد البناءَ يَشيدُه ، طلاه بالشِّيد .

٤٨ - ﴿أَمْلَيْتُ لَهَا﴾ أمهلتها .

٥١ - ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ مسابقين للمؤمنين ، أى معارضين لهم ؛ فكلما طلب المؤمنون إظهارَ الحقّ طلبَ هؤلاء إبطالَه . يقال : عاجزه فأعجزه ، أى سابقه فسبقه ؛ لأن كلَّ واحد منهما يطلب إعجاز الآخر عن اللِّحاق به .

٥٢ ، ٥٣ - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ ..﴾ المرادُ بالرسول : مَن بُعث بكتاب . وبالنبيِّ : من بُعث بغير كتاب . أو بالأوّل : مَن بُعث بشرع جديد . وبالثانى : مَن بُعث لتقرير شرعِ مَن قبله . والمرادُ بالتمنى : القراءةُ والتّلاوةُ . وأصلُه نهايةُ التقدير ؛ على ما قال أبو مسلم . وأطلق على القراءة لأن التالى يقدّر الحروف ويتصوّرها فيذكرها شيئًا فشيئًا . والمعنى على ما ذكره العلامة الآلوسىّ : « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إلا إذَا تَمَنَّى » أى تلا على قومه الآياتِ المرسلَ بها للدّعوة إلى التّوحيد ، ونَبْذِ ما هم عليه من الشّرك . ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ﴾ شُبَهًا وتخيُّلاتٍ باطلةً ، واحتمالاتٍ فاسدةً ﴿فِى أُمْنِيَّتِهِ﴾ فى هذه الآيـات المتـلُوّة لإغوائهم ، وحَمْلِهم على مجادلته بالباطل ؛ وقـد قـال : (لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)[1] ، كما قال تعالى : (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ)[2] ، وقال سبحانه : «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا)[3] . وهذا كقولهم عند سماع آية (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ)[4] : إن محمدًا يُحِلُّ ذبيحة نفسه ويُحرِّم ذبيحةَ الله تعالى ، وقولهم عند سماع آية (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ)[5] : إنَّ عيسى والملائكةَ عُبدوا من دون الله ، ونحو ذلك . ﴿فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِى الشَّيْطَانُ﴾ أى يزيله من بعض القلوب بإنزال ما يُبطله حتى لا يبقى فيها أثرٌ للشكّ والزَّيْغ فتؤمن بما جاء به الرسول ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ﴾ يأتى بها محكمةً مثبتةً لا تقبل الرّدَّ ؛ فلا يتطرّق إلى قلوبهم شكٌّ فيها . ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ وذلك

(١) آية ٨٢ سورة ص . (٢) آية ١٢١ الأنعام . (٣) آية ١١٢ الأنعام . (٤) آية ٣ المائدة . (٥) آية ٩٨ الأنبياء .

مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾

الإحكام ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ من تلك الشُّبَهِ ﴿فِتْنَةً﴾ ابتلاءً ﴿لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ وهم المنافقون ﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ وهم المجاهرون بالكفر من أهل العِنادِ والجُحودِ. ﴿وإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ وهم هؤلاء جميعًا ﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ أي خلافٍ شديد ومُشاقةٍ تامّة لله ولرسوله.

٥٤ ـ ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ الذين أزال الله عن قلوبهم الشَّكَّ والزَّيْغ، وحبَّبَ إليهم الإيمانَ وكرّه إليهم الكفرَ والفُسوقَ والعِصيانَ. ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي إنّ ما جاء به المرسلُون هو الحقُّ من عند الله ﴿فَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾ فيُثبّت اللهُ بذلك إيمانَهم ويزيدهم منه ﴿فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ فتخضع وتسكُن وتتطامن. ﴿وَإِنَّ اللهَ لَهَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ إلى طريق الحق الذى يَدْحَضُ الباطلَ ويَدْمَغُه. وقد ذكر كثيرٌ من المفسّرين فى تفسير هذه الآيات قصّةَ الغَرانيق المشهورة؛ وهى من وضع الزنادقة كما قال محمد بن إسحاق. وقال البَيْهَقيّ: إنها غير ثابتة من جهة النقل؛ ثم طعن فى رُواتها. وقال القاضى عِياض فى الشفاء: يكفيك فى تَوْهين هذا الحديث أنه لم يُخرّجه أحدٌ من أهل الصحة، ولا رواه ثقةٌ بسَند صحيح سليم متّصل. وهو مما أُولع به وبمثله المفسّرون والمؤرّخون المولَعون بكل غريب، المتلقّفون من الصحف كلَّ صحيح وسقيم. وشنّع عليهم الإمامُ أبو منصور الماتريدى وقال: إن حضْرةَ الرّسالة بريئةٌ من مثل هذه الرواية اهـ. والغرانيقُ: الأصنام، وهى فى الأصل: الذكور من طير الماء، واحدها غِرْنَوْق وغِرْنَيْق؛ فشبهوها بالطيور التى تعلو وترتفع فى السماء؛ لزعمهم أنها تشفع لهم.

٥٥ ـ ﴿مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾ شك وقلق من القرآن. ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ أى حتى تأتيَهم ساعة الحشر لموقف الحساب فجأةً؛ فيصيروا إلى العذاب الدّائم. ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ أى لا مِثْلَ له فى عِظَمه وشدّته. أو لا يومَ بعده وهو يوم القيامة.

٥٩ ـ ﴿لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلاً﴾ أى إدخالاً؛ من أدخل يُدْخِل، وهو مصدرٌ ميميٌّ للفعل الذى قبلَه، والمفعولُ به محذوفٌ؛ أى ليُدخلنّهم الجنةَ إدخالاً ﴿يَرْضَوْنَهُ﴾ أو هو اسمُ مكانٍ أريد به الجنة؛ فيكون مفعولاً ثانيًا.

٦٠ ـ ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ ظُلِمَ بمعاودة العقاب.

٦١ ـ ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ..﴾ يُدخل الليلَ فى النّهار



* ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ

فيزيد النّهارُ ، ويُدخل النّهار فى اللّيْل فيزيد الليلُ [آية ٢٧ آل عمران ص ٧٧] .

٦٢ ـ ﴿هُوَ الْعَلِيُّ﴾ العالى على جميع الأشياء بقدرته ؛ وكلُّ شىء دونَه ﴿الْكَبِيرُ﴾ العظيمُ الذى لا شىء أعظمُ منه سبحانه ؛ وكلُّ شىءٍ دونه .

٦٣ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ..﴾ ذكر الله فى هذه الآية والآياتِ الثلاثِ بعدَها ستّةَ أدلةٍ على قدرته تعالى ، أولها ـ إنزالُ الماء الناشئ عنه اخضرارُ الأرض بالنبات . ثانيها ـ قولُه (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) ومن جملته خلْقُ المطر والنباتِ لمنفعة الحيوان مع استغنائه تعالى عن ذلك . ثالثُها ـ تسخيرُ ما فى الأرض للإنسان كالأحجار والمعادن والنار والحيوان . رابعُها ـ تسخيرُ الفُلك بالجرْى فى البحار ؛ ولولا ذلك لكانت تغوص أو تقف . خامسُها ـ إمساكُ السماء أن تقع على الأرض إلا بمشيئته تعالى . سادسُها ـ الإحياءُ ثم الإماتة ثم الإحياءُ .

٦٧ ـ ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ بيانٌ للنعم التكليفيّة إثْر بيانِ النّعم الكونيّة ، أى ولكلّ أهل مِلّةٍ وَشَرْعٍ ـ وإنْ نُسخ ـ جعلنا شريعةً ؛ وهو كقوله تعالى : (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا)(١) . وقيل : المَنْسَكُ المكانُ المعيَّنُ ، أو الزمانُ المعيَّنُ لأداء الطاعات . فالأُمّةُ التى كانت من مَبْعث موسى إلى مَبْعث عيسى عليهما السلام مَنْسَكُها التّوراة . والتى من مَبْعث عيسى إلى مَبْعث نبيِّنا عليهما السلام مَنْسَكُها الإنجيل . والتى من مَبْعث نبيِّنا صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة مَنْسَكُها القرآنُ الكريمُ لا

(١) آية ٤٨ المائدة .

فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾



غير. والمرادُ من الآية : زجْرُ معاصريه صلى الله عليه وسلم من أهل الأديان الأخرى عن مخالفته وعصيانه.

٧١ - ﴿سُلْطَانًا﴾ حجة وبرهانًا.

٧٢ - ﴿الْمُنكَرَ﴾ الأمر المستقبح من العبوس والتجهم. ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾ يَبْطِشُون ﴿بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ من القرآن لشدّة تكرُّههم سماعَه. والسَّطوةُ : شدّةُ البَطْش. يقال : سطا به وعليه يسطو سطْوًا وسطْوَةً ، إذا بَطَشَ به.

٧٣ - ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ ..﴾ أى بيَّن الله تعالى لما يُعبَد من دونه حالةً هى فى الغرابة كالمثَل.

٧٤ - ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ما عظّموه حقَّ تعظيمه. أو ما عرفوه حقّ معرفته ؛ حيث أشركوا به العاجزين عن خلق الذبابة وما لا يقدرون على الانتصاف منها إذا سلبتهم شيئًا على ضعفها.

٧٨ - ﴿اجْتَبَاكُمْ﴾ اختاركم للذّبِّ عن دِينه ، واصطفاكم لحرب أعدائه والجهادِ فى سبيله. ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ أى لم يجعل الله فى دينه الذى تعبّدكم به ضِيقًا لا مخرجَ لكم مما ابتُليتم به ؛ بل وسّع عليكم ، فجعل التّوبةَ فى بعضٍ مخرجًا ، والكفارةَ فى بعضٍ مخرجًا ، والقِصاصَ كذلك. وشرَع اليُسْر فى كلّ شىء ؛ ومنه الرُّخَص المشروعةُ. ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ أى وسَّعَ دينَكم توْسِعَة ملّة أبيكم ؛ منصوب على المصدرية بفعلٍ دلَّ عليه ما قبله من نفْى الحرَج بعد حذف مضاف. ﴿هُوَ﴾ أى الله تعالى. ﴿سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ أى من قبل نزول القرآن فى الكتب السابقة. ﴿وَفِي هَذَا﴾ أى فى

وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ (٧٨)

(٢٣) سُورَةُ المؤمنون مكية
وآياتها ١١٨ نزلت بعد الأنبياء

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ (١) ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ (٢) وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ (٤) وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ (٧) وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ



القرآن . ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ ناصركم ومتولّى أُمُوركم . ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ اللهُ تعالى . مَنْ تولّاه لم يَضِعْ ، ومَن نصره لم يُخذَلْ . والله أعلم .

سُورَةُ المُؤْمِنُونَ

١ : ٧ ـ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أى تحقّق فوزُهم بمطلوبهم فى الآخرة ، ونجاتُهم فيها مما يكرهون . والفلاحُ : الظَّفَر بالمرام وإدراكُ البُغْية ؛ أو البقاءُ فى الخير. وقد وصفهم الله بستّ صفات فى الآيات التّالية : ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ أى متذلّلون لله تعالى بطاعته ، والقيام فيها بما أمرهم به ؛ مع خَوْفِ القلب وسكون الجوارح . ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ﴾ أى عن الباطل أو عن كل قبيح من الكلام . أو عمّا لا يُعْتَدّ به من الأقوال والأفعال . ﴿مُعْرِضُونَ﴾ فى جميع أوقاتهم . ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ﴾ أى لأجل تزكية نفوسهم ﴿فَاعِلُونَ﴾ الخيرَ ؛ وهو كما قال تعالى : (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى)[1] . (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا)[2] . ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ ممسكون لا يرسلونها على أحدٍ ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ﴾ الحرائر ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ من الإماء . وهو وصفٌ لهم بكمال العفّة . ﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَٰلِكَ﴾ أى فمن طلب خلافَ ذلك الذى أحللناه لهم ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ المعتدون المتجاوزون حدود الله تعالى .

(١) آية ١٤ الأعلى . (٢) آية ٩ الشمس .

رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾
أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ
مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ
خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا
ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ
ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾

ويدخل فى ذلك الزنا واللّواط ، والسّحاق ، ومواقعة البهائم ، والاستمناءُ باليد ؛ كما ذهب إليه الجمهور. يقال : ابتغيتُ الشيءَ وتَبَغّيتُه وبَغَيْته ، إذا طَلَبْتُه . ويقال : عدا الأمرَ وعن الأمر يعدوه عدْوًا ، جاوزه وتركه ؛ كتعدّاه فهو عادٍ .

٨ - ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ أى والذين هم قائمون بحفظ ما ائتُمنوا عليه ، مُوفون بما عاقدوا اللهَ والناسَ عليه ؛ كالتكاليف الشّرعية ، والأموال المودعة ، والأيمان والنذور والعقود ونحوها . والرَّعْىُ : الحفظُ . يقال : رَعَيْتُه حَفِظته . ورَعَى الأميرُ رعيّته رعايةً : حَفِظها . والأمانةُ والعهدُ فى الأصل مصدران أريد بهما ما ذكر .

١١ - ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ أعلى الجنّات . أو أفضلَها [آية ١٠٧ الكهف ص٣٨٨] . رُوِىَ أنّه صلى الله عليه وسلم قال : (ما منكم من أحدٍ إلّا وله منزلان منزلٌ فى الجنة ومنزلٌ فى النّار فإذا مات فدخل النارَ وَرِثَ أهلُ الجنة منزلَه) .

١٢ - ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ ..﴾ فى هذه الآية وما بعدها إلى آية ٢٢ أربعةُ أنواعٍ من الأدلّة على قدرته تعالى على البَعْث : الأوّلُ - تقلُّبُ الإنسانِ فى أطوار تسعة . والثانى - خلْقُ السماوات السبع . والثالثُ - إنزالُ الماءِ الذى به الحياة بقَدَر . والرابعُ - خلْقُ الأنعام ومنافِعها للإنسان . والسُّلالةُ : ما سُلّ من الشيء واستُخْرِجَ منه . يقال : سللت الشيء من الشيء ، استخرجتُه منه فانسلّ . ﴿مِنْ طِينٍ﴾ متعلّقٌ بـ «سُلَالَةٍ» بمعنى مسلولة منه . و«مِنْ» فى الموضعين ابتدائية . والمرادُ : أنّ نوعَ الإنسانِ خُلِق مما ذُكر ؛ باعتبار خلْق أصله منه وهو آدم عليه السلام ؛ فيكون كلُّ إنسان مخلوقًا من ذلك خلقًا إجماليًّا فى ضمن خَلْقه .

١٣ - ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾ أى ثم خلقنا نوعَ الإنسان باعتبار أفراده المغايرةِ لآدم عليه السلام من مَنِيٍّ يُمنَى [آية ٥ الحج ص٤٢٤]. ﴿فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ أى فى مستقَرٍّ متمكنٍ وهو الرَّحِم .

١٤ - ﴿عَلَقَةً﴾ أى دمًا جامِدًا . ﴿مُضْغَةً﴾ قطعةَ لحم بقدر ما يُمضغ . ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ مباينًا للخلق الأوّل بنفخ الرُّوح فيه بعد هذه الأطوار التى كان فيها جامدًا ؛ فصار إنسانًا ذا قُوًى وحواسَّ ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾ كثُرَ خيرُه وإحسانُه [آية ٥٤ الأعراف ص٢٠٧] . ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ أى أتقنُ الصانعين صنعًا . والخلقُ فى الأصل : التقديرُ المستقيمُ ، ويُستعمل فى إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء ، وفى إيجاد الشيء من الشيء بطريق الاستحالة . والأوّلُ لا يكون إلّا لله تعالى ، والثانى يُسند إلى الله

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾

تعالى ويُسند إلى الخلق ؛ قال تعالى : (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدةٍ)[1] ، (وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي)[2] . والمراد به هنا : التقدير وفى معناه تفسيرُه بالصُّنع.

١٧ - ﴿سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ سبعَ سماوات بعضهن فوق بعض. والعربُ تسمِّى كلَّ شىء فوق شىء طريقةً ، بمعنى مطروقة ؛ من طَرَق النَّعلَ : إذا وَضع طاقاته بعضَها فوقَ بعض ؛ وهو كقوله تعالى : (سَبْعَ سَمَاواتٍ طِبَاقًا)[3] .

١٨ - ﴿مَاءً بِقَدَرٍ﴾ أى تقدير لائق ؛ لاستجلابِ المنافع ودَفْعِ المَضار. أو بمقدار ما علمناه من حاجات الناس ومصالحهم ؛ ومنه : (وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ)[4] .

٢٠ - ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾ أى وأنشأنا لكم شجرةً تخرج من الجبل المعروف بهذا الاسم وهو جبل المناجاة. ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ تنبت ملتبسةً بالدُّهن ومصحوبةً به ؛ كما تقول : خرج فلان بسلاحه. والدُّهْنُ : عُصارةُ كلِّ شىءٍ ذى دَسَم ، والمرادُ به هنا : زيتُ الزَّيتون. وقرئ (تُنْبِتُ) بضم التاء ؛ من أنبت بمعنى نَبت. أو من أنبت المتعدّى بالهمزة ؛ كأنبت اللهُ الزَّرعَ ، والتقدير : تُنبت جَناها مصحوبًا بالدُّهن ﴿وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ﴾ أى وبإدام للآكلين.

والصِّبْغ والصِّباغ - بالكسر فيهما - : الإدامُ لأنه يَصبُغ الخُبزَ. وأصلُ الصِّبغ : ما يُلوَّن به الثَّوبُ ؛ فكان الزّيتُ إدامًا يؤتَدَم به كما كان دُهنًا يُدهن به ويُسرج منه. والتَّغايُر بين المعطوف والمعطوف عليه باعتبار الصفات لا باعتبار الذّات.

٢١ - ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ العِبْرَةُ : اسمٌ من الاعتبار ، وهو الحالةُ التى يُتوصَّل بها من معرفة المُشاهَد إلى معرفة ما ليس بمُشاهَد ، أى وإن لكم فى الأنعام لآيةً تعتبرون بها فتعرفون أيادِىَ الله عندكم وقدرتَه على ما يشاء ؛ وخصَّها بالذكر لأن العِبْرَة فيها أظهر.

٢٢ - ﴿وَعَلَيْهَا﴾ وعلى الإبل منها.

٢٣ - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ فى هذه الآية وما بعدها إلى آية ٥٠ خمسُ قصص : قصَّتا نوحٍ وهودٍ ، وقصَّةُ أمم أخرى بعدَهم كقوم صالح ولوطٍ وشعيب ، وقصةُ موسى وهارون ، وقصةُ عيسى وأمِّه عليهم السلام.

٢٤ - ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ﴾ أى أشرافُ القوم. وقد دلَّسُوا على أتباعهم بخمس شُبَه : الأولى - قولُهم :

(١) آية ١ النساء. (٢) آية ١١٠ المائدة. (٣) آية ٣ الملك. (٤) آية ٢١ الحجر.

فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ
مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ
مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا
رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ
ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ
بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا
مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ
مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾
فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ
ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى
مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ
قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ

(مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ). والثانيةُ ـ (وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً). والثالثة ـ (مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ). والرابعةُ ـ (إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ). والخامسةُ ـ (فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ) ولم يتعرض لردّها لظهور فسادها. ﴿أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ أي يطلب الفضل والسِّيادة عليكم فيكون متبوعًا وأنتم له تَبَع ؛ من التّفضل بمعنى طَلَب الفضْل.

٢٥ ـ ﴿بِهِ جِنَّةٌ﴾ أي جنون. أو جنٌّ يَخبلُونه فيقول ما لا يدرى. ﴿فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾ فانتظروه لعلّه يفيق مما اعتراه من الجنّة، أو إلى أن يموت.

٢٧ ـ ﴿اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأًى منّا ومَنْظَر. أو بحفظنا لك عن أن يُفسدها عليك قومُك. ﴿وَوَحْيِنَا﴾ أمْرنَا وتعليمنا إياك صنعتَها. ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ [آية ٤٠ هود ص ٢٩١]. ﴿فَاسْلُكْ فِيهَا﴾ فادْخل في الفُلْك.

٢٩ ـ ﴿مُنْزَلاً مُبَارَكاً﴾ بضم الميم وفتح الزاى ؛ أى إنزالاً، أو مكان إنزال مُباركاً. وقُرِئ «مَنْزِلاً» بفتح الميم وكسر الزاى ؛ أى مكان نزولٍ مباركاً. والمراد بالبركة هنا : النجاةُ من الغَرَق وكثرةُ النَّسل، وتتابعُ الخيرات بعد الإنجاء.

٣٠ ـ ﴿لَمُبْتَلِينَ﴾ لَمُخْتَبِرِين بالنِّقَم والنِّعم.

٣١ ـ ﴿قَرْناً آخَرِينَ﴾ قوماً غيرهم. والقَرْنُ : القومُ المجتمعون في زمان واحد ؛ وهم عادٌ على ما رجّحه أكثر المفسرين. وقيل ثمود.

٣٣ ـ ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾ أثاروا شُبهتيْن : إحداهما قولُهم : «مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ». والثانية قولُهم : «أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ». وبَنَوْا عليهما إنكارَ البعث والطعنَ في رسالته بقولهم : «إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ». ﴿وَأَتْرَفْنَاهُمْ﴾ نعّمناهم بما وسّعنا عليهم من نِعَم الدنيا حتى بَطِروا [آية ١١٦ هود ص ٣٠١].

مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣) وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ (٣٤) أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ (٣٥) * هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦) إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٧) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ (٣٨) قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ (٣٩) قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ (٤٠) فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٤١) ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ (٤٢) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ (٤٣) ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ (٤٤) ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ (٤٥) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ



٣٦ـ ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ اسمُ فعلٍ ماضٍ بمعنى بَعُدَ ؛ أى بَعُدَ بَعُدَ ما توعدون به من الخروج من القبور . والثانيةُ تأكيدٌ لفظىٌّ لها ، واللامُ زائدةٌ فى الفاعل .

٤١ ـ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ صيحةُ جبريل عليه السلام ، صاح بهم مع الريح العاتية فهلكوا عن آخرهم . وقد أهلك الله عادًا قومَ هود بالصيْحة وبالرّيح العاتية . وذِكرُ أحدهما فى الآية للإشارة إلى أنه لو انفرد لكفى فى تدميرهم . ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾ فصيّرناهم هَلْكَى هامدين كغُثَاء السَّيْل ، وهو الرَّميمُ الهامد الذى يحمله السَّيْلُ من ورق الشجر والعيدان اليابسة البالية مخالطاً لزَبَده . يقال : غثَا الوادى يَغْثُو غَثْواً فهو غاث ، إذا كثُر غُثاؤه . ﴿فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فهلاكاً لهم [آية ٤٤ هود ص ٢٩٢] .

٤٢ ـ ﴿قُرُونًا آخَرِينَ﴾ أُمَمًا أخرى .

٤٤ ـ ﴿أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى﴾ متواترين ؛ أى متتابعين واحدًا إثْر واحدٍ مع فَصْلٍ وَمُهْلَةٍ . مصدرٌ كدَعْوى ، وألفُه للتأنيث . وأصلُه : وَتْرَى فقُلِبت الواوُ تاءً ؛ من المواترة وهى التتابُعُ مع تَرَاخٍ وفَتْرةٍ . وهو منصوبٌ على الحال من «رُسُلَنَا» . ﴿وجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ أى جعلنا الأممَ المكذِّبَةَ مثلاً يَتحدّث بهن الناسُ تعجبًا وتلهيًا ؛ جمعُ أُحْدُوثة كأعجوبة ، ولا يقال ذلك إلّا فى الشّر . والمرادُ : أنهم أُهلكوا ولم يبق بين الناس إلا أخبارُهم يتلهّوْن بها كالأعاجيب . ﴿فَبُعْداً لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فهلاكا لهم لعدمِ إيمانهم .

٤٥ ـ ﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ برهان

قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَـٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَـٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ

بيِّن مُظْهِر للحق .

٤٧ - ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ خادمون .

٥٠ - ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ﴾ أسكناهما وأنزلناهما فى رَبْوة ؛ أى أوصلناهما إليها فكانت مسكنَها . والرَّبْوَةُ : المكانُ المرتفعُ ، وهى دمشق أو بيت المقْدس ، أو الرَّمْلة من فلسطين ، أو مصر . ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ يستقرُّ بها من يأوى إليها لما فيها من الثمار والزروع . ﴿وَمَعِينٍ﴾ أى ماء جارٍ ظاهرٍ للعيون . اسمُ مفعول ؛ من عانه إذا أدركه وأبصره بعينه ؛ فالميم زائدة . وأصلُه مَعْيُون كمبْيُوع ، ثم دخله الإعلال .

٥٢ - ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ جملةٌ مستأنفة . وقرئ بفتح همزة «إنَّ» بتقدير واعلموا [آية ٩٢ الأنبياء] . والمرادُ : أن شريعة الأنبياء جميعا هى شريعة الإسلام . لا تختلف فى التوحيد ولا فى العقائد المبنيّة عليه وإن اختلفت فى الأحكام الفرعية . ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ﴾ لا شريك لى فى الرُّبوبية ﴿فَاتَّقُونِ﴾ فخافوا عقابى فى مخالفة أمرى .

٥٣ - ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ أى قطّعُوا أمر دينهم وجعلوه أدياناً مختلفةً مع أنه واحدٌ فى الأصل . ﴿زُبُرًا﴾ قطعًا ، فصاروا طوائفَ وأحزاباً شتَّى . جمعُ زُبْرة - كغُرفة - بمعنى قطعةٍ ؛ أى طائفةٍ من الناس .

٥٤ - ﴿فَذَرْهُمْ﴾ الخطابُ للنبىّ صلى الله عليه وسلم ؛ أى اترك كفار مكة ﴿فِى غَمْرَتِهِمْ﴾ أى جهالتهم وضلالتهم . والغَمْرَةُ فى الأصل : الماءُ الذى يَغْمُرُ القامةَ ويسترها ، ثم استُعير لما ذُكر .

٥٥ ، ٥٦ - ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ ..﴾ أى أيظنون أن الذى نعطيهم إياه ونجعله مَدَدًا لهم فى الدنيا من مال وأولاد ، نسارع لهم به فيما فيه خيرهم وإكرامهم !؟ والاستفهامُ إنكاريٌّ بمعنى النفى . ﴿بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنه استدراجٌ لهم عاقبتُه الهلاكُ .

٥٧ - ﴿مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ أى من خشية عقابه حَذِرون خائفون .

٦٠ - ﴿يُؤْتُونَ مَا آتَوْا﴾ يعطون ما أعطوا من الصدقات . ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ خائفةٌ من ألّا يُقبلَ منهم ذلك الإيتاء ، وألّا يقعَ على الوجه اللّائق [آية ٢ الأنفال ص ٢٣٣] . ﴿أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ﴾ أى لأنهم إليه ﴿رَاجِعُونَ﴾ يومَ

هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ

القيامة ؛ فيؤاخذ كلَّ إنسان بما عَمِلَ .

٦١ - ﴿وَهُمْ لَهَا﴾ أى لأجلها ﴿سَابِقُونَ﴾ غيرَهُمْ . أوْ وهُمْ إليها سابقون . يقال : سبقتُ له وإليه بمعنًى .

٦٢ - ﴿وُسْعَهَا﴾ قدر طاقتها من الأعمال .

٦٣ - ﴿غَمْرَةٍ﴾ جهالة وغفلة وغطاء .

٦٤ ، ٦٥ - ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ﴾ أى حتى إذا عاقبنا أهلَ النّعمة والبَطَر منهم [آية ١١٦ هود ص ٣٠١] . ﴿بِالْعَذَابِ﴾ أى الجَدْبِ والقَحْطِ الذى أصابهم بمكةَ سبعَ سنين حين دعا عليهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم . أو القتلِ والأسْرِ يومَ بَدْر . ﴿إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ يصرخون ويستغيثون بربّهم . والجُؤَارُ : الصُّراخُ مطلقاً ، أو باستغاثة . يقال : جأر الثور يجأر ، إذا صاح . وجأر الدّاعِى إلى الله تعالى : ضجَّ ورفع صوته . وقيل : المرادُ بالعذاب عذابُ الآخرة . وتخصيصُ المُتْرَفين بذلك للإشارة إلى أن ما كانوا فيه من المَنَعَة فى الدنيا لم ينفعهم يومَ القيامة . وإلا فغيرُهم كذلك ؛ فيقال لهم : ﴿لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ﴾ أى يومَ العذاب ﴿إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾ أى لا ينالكم منا نصرةٌ تنجيكم مما أنتم فيه .

٦٦ - ﴿عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ﴾ ترجعون وراءكم ، مولّين عن الآيات معرضين عن سماعها أشدَّ الإعراض ؛ فضلاً عن تصديقها والعملِ بها [آية ٤٨ الأنفال ص ٢٤١] .

٦٧ - ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾ أى متكبّرين على المسلمين بالبيت الحرام أو بالحَرَم ؛ والباءُ للسببيّة . وسوّغ هذا الإضمارَ شهرتُهم بالتعاظم بالبيت والحرم ، وبقولهم : لا يَظهر علينا أحدٌ لأننا أهلُه . ﴿سَامِرًا﴾ أى تَسْمُرون باللّيل حوْلَ البيت . وكان عامّةُ سمرهم ذكرَ القرآن والطعنَ فيه بأنه شعرٌ أو سحرٌ أو أساطير . اسمُ جمع كحَاجّ . يقال : سَمُر فلانٌ يَسْمُر ، إذا تحدّث ليلاً . وأصلُ السّمَر : ظلُّ القمر ؛ وسُمّىَ بذلك لسمرته . وقيل : سوادُ اللّيل ، ثم أطلق على الحديث باللّيل . ﴿تَهْجُرُونَ﴾ تهذُون بالباطل من القَوْل فى القرآن . يقال : هَجَرَ يَهْجُرُ هَجْرًا وهُجْرًا فهو هاجر ، إذا هَذَى وتكلّمَ بغير معقول لمرض أو لغيره . و «مُسْتَكْبِرِينَ»

ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ * وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾

نصف الحزب

و «سَامِرا» و «تَهْجُرُونَ» أحوالٌ ثلاثةٌ مترادفةٌ على الواو فى «تَنْكُصُونَ» أو متداخلةٌ .

٦٨ ـ ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ أى أفعلوا ما فعلوا مما سبق ؛ فلم يتدبّروا القرآنَ ويعلموا أنه مُعْجِزٌ ودليلٌ على صدق الرّسالةِ فيؤمنوا به ! ؟ ﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ أى بل أجاءهم من الكتاب ما لم يأت أسلافَهم حتى استبعدوه وخاضوا فيه بما خاضوا من الكفر والضّلال ! مع أن مجيء الرسل بالكتب مما لا مساغ لجحوده !

٦٩ ـ ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾ بل ألم يعرفوه صلى الله عليه وسلم بالأمانة والصدق وحسن الخُلُق ! وقد كانوا قبل مَبعثه يسمُّونه الصادقَ الأمين ؛ فكيف يكذبونه فى رسالته ! ؟

٧٠ ـ ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾ أى بل أيقولون به جنون ، وقد كانوا يعرفون أنه أرْجَحُ النّاس عقلاً ، وأثقبُهم رأياً ! ﴿بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ أى ليس الأمرُ كما زعموا فى حق القرآنِ والرّسولِ ، بل جاءهم بالصّدق الثابت الذى لا مَحيد عنه . وهو التوحيدُ ودينُ الإسلام الذى تضمّنه القرآن .

٧١ ـ ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾ أى بالقرآن الذى فيه ذكرُهم وشرفُهم .

٧٢ ـ ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً﴾ أم يزعمون أنك تسألهم على تبليغ الرّسالة أجرًا وجُعْلاً ، فَنَكَصُوا على أعقابهم مستكبرين ! ؟ والْخَرْجُ والخَرَاجُ : الإتاوةُ . وجمعُ الخَرْج : أخراجٌ . وجمعُ الخَرَاج : أَخْرِجَةٌ وأخاريج .

٧٤ ـ ﴿عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾ لعادلون عن هذا الصراط المستقيم ، وهو الإسلامُ والتوحيدُ . يقال : نَكَب عن كذا يَنْكُبُ نَكْباً ونُكُوباً ، ونَكِبَ يَنْكَبُ نَكَباً ، إذا عَدَل ؛ كنَكَّب عنه وتَنَكَّب .

٧٥ ـ ﴿لَلَجُّوا فِى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ لتمادَوْا فى عُتُوِّهم وجُرأتِهم على الله تعالى عامهين متردِّدين فى الضلال ؛ من اللجاج ، وهو التمّادى والعِنادُ فى تعاطى الفعل المزجور عنه . يقال : لَجَّ فى الأمر يَلَجُّ ويَلِجُّ لَجَجًا ولَجاجاً ولَجاجةً ، إذا لازمه وواظبه ؛ ومنه اللَّجَّةُ ـ بالفتح ـ لكثرة الأصوات . ولُجَّةُ البَحْرِ ـ بالضم ـ لتردُّد أمواجه . والعَمَهُ : التردُّدُ فى الأمر تحيّرًا .

٧٦ ـ ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ﴾ فما خَضَعُوا لربّهم وانقادوا له وأطاعوه . واستكان : أى انتقل من كَوْنٍ إلى كَوْن ، ثم غلب استعمالُه فى الانتقال من كَوْن الكِبْر إلى كَوْن الخضوع . ﴿وَمَا

حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلۡ قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ

يَتَضَرَّعُونَ﴾ وما يتذللون له تعالى بالدعاء .

٧٧ ـ ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ ساكتون من شدّة الحَيْرة . أو آيسُونَ من كلّ خير . يقال : أبلس الرجلُ إبْلاساً : سكت . وأبلس : أيِسَ [آية ٤٤ الأنعام ص ١٧٥] .

٧٩ ـ ﴿ذَرَأَكُمْ﴾ خلقكم وبثّكم ﴿فِى الأَرْضِ﴾ بالتناسُل .

٨٣ ـ ﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ ما سطّروه فى كتبهم من الأحاديث الملّفقة والأخبار الكاذبة . جمعُ أُسطورة كأُحدوثة .

٨٤ ـ ﴿قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ . .﴾ أى قل لهم إلزامًا للحُجّة على أنه تعالى قادر على البَعْث ، وأنه هو الذى يستحق أن يُعبد وحدَه ، وقد ألزمهم بثلاث حُجَج .

٨٨ ـ ﴿مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ مِلْكُ كلِّ شىء ، أو خزائنه . ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ يُغيث من يشاء ويمنعُه مما يشاء ؛ ولا يُغيث أحدٌ منه أحدًا ولا يمنعه منه فيدفع عنه عذابَه وعقابَه . يقال : أجَرْتُ فلاناً على فلان ، إذا أغثته منه ومنعته ؛ وعُدِّىَ بعلى لتضمينه معنى النّصر .

٨٩ ـ ﴿فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ فكيف تُخدعون وتُصرفون عن الرّشد والحقِّ مع علمكم به ، إلى ما أنتم عليه من الغيِّ ؛ فإن من لا يكون مسحورًا مختلَّ العقل لا يكون كذلك ! من سَحَر ـ كمنَع ـ بمعنى خدَع أو أتى عَملَ السّحر . والمسحورُ : المخدوعُ أو من تأثر بعمل السِّحْر .

عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾

رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن

نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَـٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ

هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾

لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا

وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ

فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾

فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾

وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ

فِي جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا

كَـٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا

تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا

٩٣ - ﴿إِمَّا تُرِيَنِّي..﴾ أي إنْ تُرِيَنِّي ما يُوعَدُون به من العذاب، فلا تجعلني قرينًا لهم فيه فأهلكَ مثلَهم.

٩٦ - ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ﴾ إرشادٌ له صلى الله عليه وسلم إلى ما يليق بمَنْصِبه الرفيع مِن حسن الخُلُق والمكارم. وكان من دأبه صلى الله عليه وسلم مقابلةُ السيئة بالحسنة، والعفوُ عمن أساء إليه.

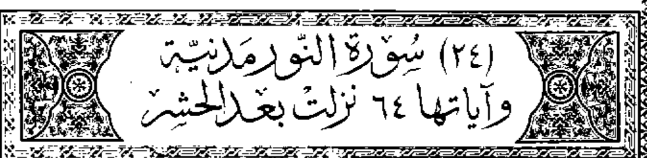
٩٧ - ﴿أَعُوذُ بِكَ..﴾ أستجير بك من وساوس الشياطين وما يخطرونه بالقلب، مما يُغرى بالمعاصي والشرور، وألجأ إليك في دفعها. يقال: عاذبه واستعاذ - لجأ إليه. وهو عِياذُه: أي مَلْجَؤه. ﴿هَمَزَاتِ﴾ جمعُ همزة، وهي النَّخْسة والغَمْزة والدَّفعة بيدٍ أو غيرها. يقال: همزه يهمُزه ويهمِزه، إذا نَخَسَه ودَفَعه وغَمَزه؛ ومنه المِهْمَازُ وهو حديدةٌ في مؤخّر خُفّ الرائض يَحُثُّ بها الدّابة على المَشْي.

١٠٠ - ﴿كَلَّا﴾ كلمةُ رَدْع وزَجْر عن طلب الرّجعة إلى الدنيا. ﴿بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي حاجز بينهم وبين الرَّجْعة إلى الدنيا إلى يوم البعث. وهو إقناطٌ لهم من الرّجعة، وتهديدٌ لهم بعذاب القبر إلى يوم البَعْث. وأصله الحاجزُ والحاجب بين الشيئين أن يصلَ أحدُهما إلى الآخر.

١٠١ - ﴿نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ هو القَرْن الذي يُنفخ فيه نفخةُ الصَّعْق ونفخةُ البَعْث. والمرادُ هنا: النفخةُ الثانية. أي إذا نُفخ في الصُّور نفخة النشور فلا تنفعهم أنسابهم شيئاً؛ لعِظَم الهَوْل واشتغال كلٍّ بنفسه، ولا يسأل أحدٌ أحدًا كما هو الشأن في الدنيا. وقيل: المرادُ النفخةُ الأولى.

١٠٤ - ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ يَحرقها لهبُ النّار. يقال: لفحته النّار والسَّمومُ بحرّها تَلْفَحُه لَفْحًا ولَفحاناً، أحرقته. ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ متقلّصو الشِّفاه عن الأسنان من أثَر ذلك اللّفح؛ مِن الكُلُوح وهو أن تتقلّص الشَّفتان وتتشمّرا عن الأسنان. يقال: كَلَح يَكْلَح كُلُوحاً وكُلاحاً، كتكلّح. وقولهم: ما أقْبَحَ

ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ



كَلَحَته ؛ يراد به الفَمُ وما حَوالَيْه .

١٠٦ - ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ ملكَتْنا لذّاتُنا وأهواؤنا التى بها شقاؤنا . والشِّقْوَةُ والشَّقاوةُ : ضدُّ السعادة . مصدرُ شَقِيَ ؛ كرَضِيَ .

١٠٨ - ﴿اخْسَئُوا فِيهَا﴾ انْزَجِروا إنزجارَ الكلاب إذا زُجرت . أو امكُثُوا فيها صاغرين أذِلّاء . [آية ٦٥ البقرة ص ١٩] .

١١٠ - ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ هُزءًا ؛ ومنهم بلالٌ وعمّارٌ وأضرابُهما من الضعفاء . مصدرٌ بكسر السين وضمّها ، كعِصيّ وعُصِيّ ؛ مِن سَخِر - كفَرِحَ - زيدت فيه ياء النّسَب للمبالغة فى قُوّة الفعل . وفى المختار : سَخِر منه وبه ، وهَزِئ منه وبه بمعنًى . والاسمُ السُّخرية وَالسُّخْرِىُّ - بضم السّين وكسرها - وبهما قُرِئ .

١١٣ - ﴿فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾ الحاسبين الذين يُحصُون أعدادَ الأشياء ؛ وهم الملائكة .

١١٦ - ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ﴾ ارتفع بعظمته وتنزه عن العبث . والله أعلم .

سُورَةُ النُّور

اشتملت هذه السُّورة على أحكامِ العَفافِ والسّتر ؛ وهما قوام المجتمع الصّالح ، وبدونهما ينحطُّ الإنسانُ إلى دَرك الحيوان . رُوى أنه صلى الله عليه وسلم قال :

مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟

(عَلِّمُوا رجالكم سُورةَ المائدةِ وعلِّموا نساءَكم سُورةَ النُّور)[(١)].

١ ـ ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا﴾ أى هذه سورةٌ. والسُّورَةُ: آياتٌ من القرآن مسرودةٌ، لها بَدْءٌ وختامٌ؛ وجمعُها سُوَرٌ؛ مأخوذةٌ من سُور البلد. وأصلُها المنزلةُ الرَّفيعة. أو كلُّ منزلةٍ من البناء، وسُمِّيَتْ بها سورةُ القرآن لرِفْعتها، أو لأنها درجةٌ إلى غيرها. ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ أَوْجَبْنَا ما فيها من الأحكام إيجاباً قطعيًّا. أو ألزمناكم العملَ بها؛ من الفَرْض بمعنى القطع، وأصلُه: قطعُ الشيء الصُّلب والتأثيرُ فيه؛ وأُطلق على الإيجاب القطعيّ للأحكام مجازًا.

٢ ـ ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِى ..﴾ أى مَن زنتْ ومَن زنى؛ فاجلدوا أيّها الحكامُ كلَّ واحد منهما مائةَ جَلْدَةٍ؛ مُحْصَناً كان أو غير مُحْصَن[(٢)]. وقد نُسخ الحكمُ فى حقّ المُحْصَن قطعاً بحكم الرَّجم الذى أمر به الرّسولُ صلى الله عليه وسلم وفعلَه فى زمنه مرارًا؛ فيكون مِن نسخ الكتاب بالسُّنّة القطعيّة. ويكفى فى تعيين الناسخ ما ذُكر من أمره وفعْلِه صلى الله عليه وسلم؛ وقد أجمع عليه الصحابةُ وسلفُ الأُمّةِ والأئمةُ. وفى حديث عمر رضى الله عنه ـ كما فى صحيح البخارى ـ: خشِيتُ أن يطول بالناس زمانٌ حتى يقولَ قائلٌ لا نجد الرَّجْمَ فى كتاب الله تعالى فيضِلوا بترك فريضةٍ أنزلها الله عزّ وجلّ. ألَا وإنّ الرجم حقٌّ على مَن زنى وقد أُحصِن إذا قامت البيّنةُ. أو كان الحَبَل أو الاعتراف. على أنه قد رُوِىَ من طُرق متعدّدة أنّ آيةَ الرَّجْم كانت مكتوبةً؛ فنُسخت تلاوتُها وبقىَ حكمُها معمولاً به. وقد نُسخ بحكم الرَّجم حكمُ إمساكِ الزّانيات المتزوّجات فى البيوت ـ كما ذهب إليه الجمهور فى تفسير آية ١٥ من النساء ـ لإحصانهنّ. كما نُسخ بحكم الجلد حكمُ الأذى لمن يأتى الفاحشةَ من الرجال والنساء وهو غير محصَن [آية ١٦ من النساء ص ١١٠]. ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ رحمةٌ ورقّةُ قلبٍ. ﴿فِى دِيْنِ اللهِ﴾ فى إقامة حَدّه الذى شرعه تعالى إذا رُفع إليكم؛ تحملكم على تعطيله بشفاعة أو بغيرها. يقال: رأَفَ به ـ مثلّثةً ـ رأفةً ورآفةً ورأْفاً. إذا رَحِمَهُ.

٣ ـ ﴿الزَّانِى لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً ..﴾ نزلت لزجْر المؤمنين عن نكاح الزّانيات بعد زجرهم عن الزّنا. أى أن الفاسق الخبيثَ الذى من شأنه الزّنا لا يرغبُ غالباً فى نكاح الصّوالح من النساء اللّاتى على خلاف صفته، وإنما يرغب فى نكاح فاسقة خبيثة مثله أو مشركة. والفاسقةُ الخبيثةُ المسافحةُ كذلك، لا ترغب غالباً فى نكاح الصُّلحاء من الرجال بل تنفِر منهم. وإنما ترغبُ فيمن هو من شكلها من الفَسَقة والمشركين؛ لأن المشاكلة علّةُ الألفة، والمخالفة سببٌ للنّفرة. وهو كقولهم: لا يفعل الخيرَ إلا تقىّ؛ فإنه جارٍ مجرى الغالب وقد يفعله من ليس بتقىّ. وحُرِّم ذلك النكاحُ على المؤمنين تحريمَ تنزيه؛ وعُبّر عنه بالتحريم مبالغةً فى الزّجر. أو حُرِّم عليهم باعتبار ما فى ضمن عقده من المفاسد، كالتعرّض للتّهمة والتّسبُّبِ لسوء القالة، والطعن فى النسب وغير ذلك؛ فلا تكون الحرمةُ راجعةً إلى نفس العقد ليكون عقدُ نكاح الزوانى والزانيات باطلاً للإجماع

(١) رواه البيهقى. (٢) يتحقق الإحصان بالإسلام والحرية والعقل والبلوغ والتزوج بنكاح صحيح والدخول. والتفصيل فى كتب الفقه.

بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَـٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَـٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَـٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَـٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَـٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ

على صحتّه . وأمّا نكاحُ المشركِ والمشركة ، فإن كانت الآيةُ نزلت قبل تحريمه ـ وقد حُرِّم بعد الحُدَيْبِيَة ـ فالأمرُ ظاهرٌ . وإن كانت نزلت بعده فتكون حرمتُه مستندةً إلى أدلّة أخرى . واختار العلّامة الآلوسِيّ : أن الآية لتقبيح أمر الزانى أشدّ تقبيح ؛ ببيان أنه بعد أن رضى بالزنا لا يليق به من حيث الزنا أن ينكح العفيفةَ المؤمنةَ . وإنما يليق به أن ينكح زانيةً مثلَه ، أو مشركة هى أسوأ حالاً وأقبح أفعالاً منه . وكذلك الزّانيةُ بعد أن رَضِيَت بالزنا والتّقَحُّب ، لا يليق أن ينكحها من حيث إنها زانيةٌ إلا من هو على شاكلتها وهو الزّانى . أو من هو أسوأُ حالاً منها وهو المشرك . ولا يُشكِل على هذا التفسير صحّةُ نكاح الزّانى المسلم الزانيةَ المسلمةَ ، وكذلك العفيفةَ المسلمةَ ، وصحّةُ نكاح الزانية المسلمةِ الزانىَ المسلمَ ، وكذلك العفيفَ المسلِمَ . كما لا يشكل عليه بطلان نكاح المشركة والمشرك ؛ لأن ذلك ليس من اللّياقة وعدمُ اللّياقة ليس من حيث الزّنا بل من حيثيّةٍ أخرى يعلمها الشارع. وجَعَلَ المشارَ إليه فى قوله : «وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ» ـ الزّنا المفهومَ مما تقدّم. ويجوز أن يكون نكاحَ الزانية. ويرادُ بالتحريم المنعُ ، وبالمؤمنين: الكاملون فى الإيمان. ومعنى منعهم من نكاح الزوانى : جعلُ نفوسهم أبيّةً عن الميْل إليه ؛ فلا يليق ذلك بهم . والآيةُ على التفسيرين خبرٌ لا نهىٌ ، والنّكاحُ فيها بمعنى العقد .

٤ ـ ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ..﴾ أى يقذفون النساء العفيفات بالفاحشة ، ويلحق الرجالُ بالنساء فى هذا الحكم اتّفاقاً . مبتدأٌ أُخبِر عنه بثلاث جُمَل ـ قولُه : «فَاجْلِدُوهُمْ» ، وقولُه : ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾ ، وقولُه : ﴿وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ . واتفقوا على رجوع الاستثناء الآتى إلى الجملة الأخيرة ؛ فلا يزول عنهم اسمُ الفِسْق إلّا بالتوبة والإصلاح . وعلى عدم رجوعه إلى الأولى ؛ فيُجلد القاذفُ وإن تاب . واختلفوا فى رجوعه إلى الثانية ؛ فعند جمهور الأئمة يرجع إليها أيضاً ؛ فلا تُقبل شهادتُهم فى أىّ شىء أبدًا ، أى ما داموا مصرِّين على عدم التوبة ، إلّا إذا تابوا وحسُنت حالتُهم . وعند أبى حنيفة لا يرجع الاستثناء إليها ؛ فلا تُقبل منهم شهادةٌ أبدًا ، أىْ طولَ الحياة وإن تابوا وأصْلَحُوا . والخلاف فى هذا مفرّعٌ على الخلاف فى عَوْد الاستثناء الواقع بعد جملٍ متعاطفة ؛ هل يعود إلى الكل ، أو إلى الأخيرة فقط . وتفصيلُ الأدلّة فى الفقه والأصول .

٧ ـ ﴿أَنَّ لَعْنَةَ اللهِ عَلَيْهِ﴾ أى حالّةٌ عليه . واللّعْنُ : الطّردُ والإبعاد على سبيل السُّخط ، وفعلُه كمَنَع ؛ ومنه المُلاعَنَةُ واللِّعانُ بين الزوجين .

٨ ـ ﴿وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ يدفع عنها العذابَ الدنيوىَّ وهو الحبس أو الحَدّ ؛ من الدّرْء وهو الدّفعُ .

٩ ـ ﴿أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا﴾

مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ

خُصَّ الغضبُ بجانب المرأة للتغليظ عليها ؛ لأنَّ النساء كثيرًا ما يستعملن اللّعن ، فربّما يتجرّأن على التفوّه به لسقوط وقعه على قلوبهن بخلاف غضبه تعالى .

١١ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ بعد أن بيّن الله تعالى قبحَ الزنا وحدَّه ، وحُكمَ قذف المحصَنات وحدَّه ، ذكر في ستَّ عشرةَ آية قصّةَ الإفْك على الصِّديقة أمّ المؤمنين عائشةَ رضى الله عنها ، وتوعّد الذى تولّى كِبْرَهُ بالعذاب العظيم ، وبرّأها الله مما افتروْه . والإفْكُ : الكذبُ . يقال : أَفك ـ كضَرَب وعَلِم ـ أَفْكاً وإفْكاً ، وأَفَكاً ، أى كَذَب . وكانت القصّةُ سنة ستٍّ فى غزوة بنى المُصْطَلِق بعد نزول آية الحجاب . ﴿عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ جماعةٌ منكم . والعُصْبَةُ : العشرة فما زاد إلى الأربعين [آية ٨ يوسف ص ٣٠٣] . ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ أى تحمّل مُعظمَه وقام بإشاعته وهو رئيسُ المنافقين : عبدُ الله بنُ أُبَىّ بن سَلُول .

١٢ ـ ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ لولا : حرفُ تحضيض بمعنى هلّا . والخطاب للمؤمنين دون من تولّى كِبْرَه منهم . وقد زُجرُوا بتسعة زواجر ، آخرُها فى آية ٢١ .

١٤ ـ ﴿فِيمَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾ أى بسبب ما خضتم فيه من حديث الإفك . يقال : أفاض فى الحديث وخاض فيه وأخذ فيه واندفع ، بمعنًى . وأصلُه من قولهم : أفاض الإناءَ ، إذا ملأه حتى فاض .

١٥ ـ ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا﴾ تظنونه سهلاً لا تبعة له .

١٦ ـ ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ أصلُ معناه التّنزيه لله من كل نقص ، ثم كثُر حتى استُعمل فى كل متعجَّب منه [آية ٣٢ البقرة ص ١٢] . والمرادُ هنا : التعجُّبُ من عِظَم

ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾



هذا الأمر وممن تفوّه به . ﴿هَذَا بُهْتَانٌ﴾ أى كَذِبٌ يبهت ويُحيّر سامعَه لفظاعته . ﴿عَظِيمٌ﴾ لا يُقدَر قدرُه لعَظَمة المبهوت عليه . يقال : بهته يَبْهَتُه بَهْتاً وبَهَتاً وبُهْتاناً : قال عليه ما لم يَفعل . والبَهْتُ ـ بفتح الباء ـ : الانقطاع والحَيْرة . وبالضم : الكذِبُ والباطلُ الذى يُتحيّر منه .

٢١ ـ ﴿لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ طرُقَه ومسالكَه ووساوسَه ؛ بالإصغاء إلى حديث الإفك والخوض فيه . جمعُ خُطْوَة ، وهى فى الأصل اسمٌ لما بين القدمين . ﴿بِالْفَحْشَاءِ﴾ ما عظم قبحه من الذنوب . ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ ما ينكره الشرع ويكرهه الله . ﴿مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ أى ما طَهُر من دَنس هذا الذّنب أحدٌ منكم إلى آخر الدّهر .

٢٢ ـ ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ..﴾ لا يَحلِف أولو الزيادة فى الدِّين والسَّعة فى المال منكم على عَدم الإحسان لمن هم موضع له . نزلت فى الصّديق ـ رضى الله عنه ـ حين حلَف ألّا يُنفق على مِسطَح ـ وهو من ذوى رَحِمِه ـ بعد أن خاض مع الخائضين فى حديث الإفك ، ونزل القرآن ببراءة الصّديقة . يقال : آلى وائتَلَى يأتلِى ، أى حلَف ؛ من الأَلِيَّة وهى اليمين ، وجمعُها ألَايَا . ﴿وَالسَّعَةِ﴾ الغنى . ﴿أَنْ يُؤْتُوا﴾ أى كراهةَ أن يُؤتوا .

٢٣ ـ ﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾ العفائفَ ، وكذلك المحصَنُون .

٢٥ ـ ﴿دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ جزاءهم الثّابتَ عليهم ؛ أى المقطوعَ بحصوله لهم .

٢٦ـ ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ..﴾

يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ

تقرير للسُّنّة الإلهيّة فيما بين الناس من إلف الشّكل لشكله ، وانجذاب كلِّ قَبيل إلى قَبيله . أى الخبيثاتُ من النساء مختصّاتٌ بالخبيثين من الرجال ، والخبيثون منهم مختصّون بالخبيثات منهنّ . وإذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيبَ الطّيبين تبيّن كونُ الصّديقة من أطيب الطيّبات بالضرورة ، واتّضح بطلانُ ما رُميَت به افتراءً ؛ كما قال تعالى : ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ والإشارةُ إلى أهل بيت النُّبوّة رجالاً ونساءً . وتدخل فيهم الصّديقة دخولاً أوّليًّا بقرينة سياق الآية . أى أولئك منزّهون مما يقوله أهلُ الإفك فى حقّهم من الأكاذيب الباطلة . وحسْبُ عائشةَ ـ رضى الله عنها ـ فضلاً تبرئةُ الله لها فى هذه الآية .

٢٧ ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ..﴾ بعد أن بيّن الله الزواجرَ عن الزّنا وعن قَذْف العفائف به ، شرع فى تفصيل الزواجر عما عسى أن يؤدّىَ إلى أحدهما من مخالطة الرّجال للنساء ، ودخولهم عليهن فى أوقات الخلَوات ، وتعليم الناس الآدابَ القويمة ؛ فنهاهم أن يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم حتى يستأذنوا ممن يملك الإذنَ بالدخول فيها ، ويسلّموا على أهلها ولو كانوا من محارِمِهمْ . والأكثرون على تـقـديم السلام على الاستئذان . ﴿تَسْتَأْنِسُوا﴾ أى تستأذنوا ؛ من الاستئناس بمعنى الاستعلام والاستكشاف ؛ مِن آنس الشىء إذا أبصره ظاهرًا مكشوفاً . والمستأنِسُ : مستعلمٌ للحال مستكشفٌ أنه هل يُراد دخولُه أولا .

٢٨ ـ ﴿أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ أطهر لكم من دنس الريبة والدناءة .

٢٩ ـ ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ هو بمنزلة الاستثناء من قوله : «لَا تَدْخُلوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ» ؛ أى ليس عليكم إثمٌ فى أن تدخلوا بغير استئذان بيوتاً غيرَ مُعَدّة لسكنى طائفةٍ مخصوصة فقط ، بل معدّة لينتفع بها من يحتاج إليها من غير أن يتّخذها مسكناً ؛ كالرّباطات والفنادق والحوانيت والحمّامات وغيرها حين تكون بهذه الحالة ؛

مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا
مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ
زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ
أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ
أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ
ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ
لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ
لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ
ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ

﴿فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ﴾ أى فيها حقُّ تمتُّعٍ لكم ؛ كالاستكنان من الحرّ والبردِ وإيواء الأمتعة والبيع والشّراء والاغتسال ، ونحو ذلك مما يليق بحال هذه البيوت وداخليها ؛ فلا بأس من دخولها بغير استئذان ممن دخلها قبلُ ، أو ممن يتولّى أمرَها .

٣٠ - ﴿يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ يكُفُّوا من نظرهم إلى ما يَحْرُم النّظرُ إليه . والغَض : إطباقُ الجَفْن على الجَفْن بحيث يمنع الرؤية . يقال : غَضَّ الرجلُ صوتَه وطَرْفه ، ومن صَوْته ومن طَرْفه غَضًّا ، خَفَضه ؛ ومنه : غَضَّ من فلان غَضًّا وغضاضةً ، إذا انتقصه . وكذلك القول فى «يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ» . و«يَغُضُّوا» جوابُ «قُلْ» لتضمُّنه معنى حرف الشّرط ؛ كأنه قيل : إنْ تَقُلْ لهم غُضوا يَغُضُّوا . ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ عمَّا لا يحلّ لهم من الزِّنـا واللّواطة والكشف والإبداء .

٣١ - ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ عمَّا لا يحلّ لهن من الزِّنا والسّحاق والإبداء . ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ الزِّينةُ : ما يُتَزَيَّنُ به ؛ كالخلخال والخضاب فى الرِّجل ، والسِّوار فى المِعْصم ، والقُرْط فى الأُذن ، والقِلادة فى العُنُق ، والوُشاح فى الصَّدر ، والإكليل فى الرأس ، ونحو ذلك . فلا يجوز للمرأة إظهارُها حال ملابستِها لمواضعها ، ولا يجوز للأجنبيّ النظرُ إليها كذلك ؛ والنّهيُ عن إظهار الزّينة حالَ ملابستها لمواضعها يستلزم النهيَ عن إظهار مواضِعها بفحوى الخطاب . ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ أى ما جرتْ العادةُ بظهوره ؛ كالخاتم فى الإصبع ، والكُحْل فى العين ، والخضاب فى الكفّ . ونحو ذلك ، فإنه يجوز للمرأة إظهارُه . وقيل : المرادُ بالزِّينة مواضعها من البدن ؛ فيحرُم إظهارُها ، وكذلك النظرُ إليها ؛ إلا ما استُثنى لدفع الحَرَج وهو الوجه والكفّان ، أو هما والقَدَمان . ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ بيانٌ لكيفيّة إخفاء بعض مواضع الزّينة بعد النّهى عن إبدائها ؛ أى ولْيُلقين خُمُرَهنّ على جيوبهن . والخُمُرُ : جمعُ خِمار ، وهو ما تُغطِّى به المرأةُ رأسها ، وتُسمَّى المِقْنَعَة . وأصلُه من الخَمْر وهو السَّتر . والجُيُوبُ : جمعُ جَيْب ، وهو فتحٌ فى أعلى القميص يبدو منه بعضُ الجسد ؛ وأصلُه من الجيْب بمعنى القطع . تقول : جبْتُ القميص أَجُوبُه وأجيبه ، إذا قوّرت جَيْبه . والمرادُ بالجَيْب هنا : محلُّه وهو العُنق . أمرَ النساء بستر شعورهنّ وأعناقهنّ ونحورهنّ وصدورهنّ بخُمُرِهِنَّ عن الأجانب ؛ لئلا يُرَى منهن شيء من ذلك . ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ..﴾ نُهِيَ النساءُ فى هذه

وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ

الآية عن إبداء مواضع الزينة الخفيّة لكل أحد ؛ إلّا من استُثنِيَ فيها ، وهم اثنا عشر نوعًا : الأزواجُ ؛ لأنهم المقصودون بالزّينة ، ولأن كلَّ بدن الزوجة حلالٌ لهم . والمحارمُ السبعة المذكورون ؛ لاحتياج النساء لمخالطتهم ، وأمن الفتنة من قِبَلهم لمَا رُكزَ فى الطّباع من النفرة من مماسّة القرائب ، ويُلحق بهم الأعمامُ والأخوالُ والمحارمُ من الرضاع . والتاسعُ – ما ذكره الله تعالى بقوله : ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ أى المختصّات بهنّ بالصّحبة والخدمة من الحرائر ، مسلماتٍ كنّ أو غير مسلمات ؛ كما اختاره الإمام الرازى . وما رُوِىَ عن السّلف من منع تكشُّف المسلماتِ للكافرات محمولٌ على الاستحباب . والعاشرُ – قولُه تعالى : ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ أى من الإماء . وأما العبيدُ فهم كالأجانب ؛ لأنهم فحولٌ ليسوا أزواجًا ولا محارمَ ؛ والشهوةُ متحققةٌ فيهم لجواز النكاح فى الجملة . والحادى عشر – قولُه تعالى : ﴿أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾ وهم الرجال الذين لا حاجة لهم بالنساء ولا يعرفون شيئًا من أمورهن ؛ بحيث لا تحدِّثهم أنفسُهم بفاحشة ولا يصفونهنّ للأجانب . والإرْبَةُ : الحاجةُ . يقال : أرِبَ الرّجلُ إلى الشىء يأرَبُ أرَبًا وإرْبَةً ومأرُبةً ، إذا احتاج إليه . والثانى عشر – قولُه تعالى : ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ أى الأطفالِ الذين لم يعرفوا ما العورة ولم يميّزوا بينها وبين غيرها ؛ من قولهم : ظهر على الشىء ، إذا اطّلع عليه . أو الذين لم يبلغوا حدّ الشّهوة والقدرة على الجماع ؛ من قولهم : ظهر على فلان ، إذا قوِىَ عليه وغلبه . ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾ نُهِىَ النساء عن أن يَضْرِبْنَ بأرجُلِهنّ فى الأرض ليَسْمع صوتَ خلاخلهن مَن يسمعه من الرجال ؛ فيدعوه ذلك إلى التّطلع والمَيْل إليهن ، وذلك سدًّا لذريعة الفساد . وفى حُكْمه إبداءُ ما يُخفين من زينتهنّ بأىّ وسيلة كانت . وأمّا صوتُهنّ فليس بعورة ؛ كما فى مُعْتَبَرات كتب الشافعية ، فلا يحرُم سماعُه ؛ إلا إن خُشِيت منه فتنةٌ أو التذاذٌ . وذهب الحنفيةُ إلى أنه عورة .

٣٢ – ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى ..﴾ جمعُ أَيِّم ، وهو كلُّ ذَكَر لا أُنثى معه ، وكلُّ أُنثى لا ذَكَر معها ، بكرًا أو ثَيِّبًا ؛ والأمرُ للأولياء والسادة وهو للنَّدب عند الجمهور . يقال : آم يَئِيم فهو أيِّم ؛ أى زوِّجوا من لا زوجَ له من الأحرارِ والحرائر ، ومن كان فيه صلاحٌ وخيرٌ من عبيدكم وإمائكم . والمرادُ من الإنكاح : المعاونةُ والتوسُّط فى النكاح والتمكين منه .

٣٣ – ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾ أى يطلبون المكاتبة منكم ليصيروا أحرارًا . وهى معاقدةٌ بين السيّد



إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ * ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾

وعبده ، يقول فيها السيّد لعبده : إذا أدّيتَ إليّ كذا من المال فأنت حرٌّ لوجه الله ، ويقبل العبد ذلك ؛ فإذا أدّى ما شرط عَتَق. ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ أى يندب لكم مكاتبتُهم كما طلبوا ؛ مسارعةً إلى تحريرهم ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ أى أمانةً وقدرةً على الكسب. ﴿وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللهِ..﴾ أمْرٌ للموالى بإعانة المكاتَبين بشىء مما أعطاهم الله على سبيل الاستحباب. ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ..﴾ الفتياتُ : الإماءُ ، وكلٌّ من الفتى والفتاة كُنْيَةٌ مشهورةٌ عن العبد والأَمَة مطلقًا. والبغاءُ : زنا المرأة خاصّةً. مصدرُ بَغَت المرأةُ تبغى بغاءً : فَجَرت ، وهى بَغِيٌّ وهنّ بغايَا. والتّحصُّنُ : التّصوُّنُ عن الزِّنا والتعففُ عنه. وكان بعض الجاهليّين يُكرِه إماءَه على الزِّنا ابتغاءَ كسْبِ المال أو الولد. وكان لرأس المنافقين جَوار يُكرِهُهنّ عليه ؛ فاشتكى بعضهنّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إكراهَه لهنّ على الزِّنا ، وهنّ يأبَيْنَه ويَسْتَعْفِفْنَ عنه فى الإسلام ؛ فنزلت الآية بالنّهى عن إكراههنّ على الزِّنا. ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ تعففًا عنه. وليست إرادتُهنّ التّحصُّنَ شرطًا فى النّهى عن الإكراه ، ولكن لمّا كان سببُ النزول ما ذُكِرَ خَرَج النّهىُ على صفة السبب ؛ وفيه من التشنيع عليهم والتقبيح لصنيعهم ما فيه.

كأنّه قيل : كيف يقع منكم إكراهُهن على البغاء وهن إماءٌ يُردن العفّة ويأبَيْن الفاحشة ؟! ألستم أحقَّ بحملهن على العفّة إذا أردْن البغاء. وقيل : إن هذا الشّرطَ خَرج مَخرج الغالب ؛ لأن الغالب أن الإكراه لا يكون إلا عند إرادة التحصُّن ، فلا يلزم منه جواز الإكراه عند عدم إرادة التحصُّن. ﴿وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ﴾ على البغاء ﴿فَإِنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ﴾ أى كونهنّ مكرَهات عليه ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لَهُنَّ لا لَهُمْ.

٣٥ ـ ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أى اللهُ نورُ العالَم كلّه ، عُلْويّه وسفْليّه ؛ بمعنى منوّره بالآيات التكوينيّة والتّنزيليّة الدّالة على وجوده ووحدانيّته وسائر صفاته ، والهادية إلى الحق وإلى ما به صلاح المَعَاش والمَعاد. أو اللهُ مُوجِدُ العالَم كلّه. أو مدبّرُ الأمر فيه وحدَه. أو منوّرُه بالشمس والقمر والكواكب ؛ فقد جعل الشمس ضياءً والقمر نورًا. والضياءُ والنورُ قد شاع إطلاقُ كلّ واحد منهما على الآخَر ؛ وناط بهذا النور مصالحَ خلقه ومعايشَهم ، حتى أبصروا وعملوا ، ولولاه لظلُّوا فى عَماءٍ وظلمة وخمود. ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ أى صفةُ نوره العجيبةُ الشأنَ فى الإضاءة ﴿كَمِشْكَاةٍ﴾ كصفة مشكاة وهى الكُوّةُ غيرُ النافذة ؛ وهى أجمع للضّوء الذى يكون فيها من مصباح أو غيره. ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ سِراجٌ ضَخْمٌ ثاقبٌ. ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ فى قِنديل من الزجاج الصّافى الأزهر. ﴿كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ شديد الإنارة ؛ نسبةٌ إلى الدُّرّ فى صفائه

فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ
لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ
وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ
يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجۡزِيَهُمُ
ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ
مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ
كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ
يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ
ٱلۡحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ

وإشراقه وحُسنه . ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ﴾ أى من زيت لشجرة ﴿مُبَارَكَةٍ﴾ كثيرة المنافع . وهو إدامٌ ودهان ، ودباغٌ ووقود ، وليس فيها شيء إلا وفيه منفعةٌ . ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ أى ليست شرقيةً فقط ، ولا غربيةً فقط ؛ بل هى شرقيّة وغربيّة ، ضاحيةٌ للشمس طولَ النهار ، تصيبها عند طلوعها وعند غروبها ؛ وذلك أحسنُ لزيتها . ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا﴾ من شدّة صفائه وإنارته ﴿يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ وقد شبّه فى الآية نورُ الله بمعنى أدلّته وآياته سبحانه — من حيث دلالتُها على الحقّ والهُدى ، وعلى ما ينفع الخلق فى الحياتين — بنور المشكاة التى فيها زجاجةٌ صافيةٌ ، وفى تلك الزجاجة مصباحٌ يتّقد بزيت بلغ الغاية فى الصّفاء والرّقة والإشراق ، حتى يكاد يضىء بنفسه من غير أن تمسّه النار . ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ أى هو نورٌ عظيم على نور . فنورُ الله متضاعفٌ لا حدّ لتضاعُفه ؛ لا كالنور الممثّل به ، فإن لتضاعفه حدًّا معيّنًا محدودًا مهما كان إشراقُه وإضاءتُه . ﴿يَهْدِى اللَّهُ لِنُورِهِ﴾ العظيم الشأن ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ هدايته من عباده ، بتوفيقهم لفَهْم آياته الدّالةِ على صفاته وحكمته ، وفَهْم كُتبه وشرائعه ، وأسرار مخلوقاتَه الدّالة على الخير وسعادة الداريْن .

٣٦ – ﴿فِى بُيُوتٍ﴾ متعلّق بـ (يُسبّح) والمرادُ بها المساجدُ كلُّها ﴿أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ أى أمرَ الله أن يُعظَّم قدرُها بصيانتها عن دخول الجُنُب والحائض والنُّفساء ، وعن تلويثها وإدخالِ نجاسات فيها ، وعن كلّ ما فيه إثمٌ ومعصيةٌ أو امتهانٌ لها . ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا ..﴾ ينزّهه تعالى فيها ، ويقدّسه عما لا يليق به فى ذاته وصفاته وأفعاله ؛ فلا يُذكر فيها إلّا بما هو شأنه عزّ وجلّ . وقيل : المرادُ من التسبيح الصّلاةُ . وفاعلُ (يسبّح) قولُه : (رجالٌ) . و (فيها) تأكيدٌ لقوله : (فى بُيوتٍ) . ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [آية ١٥ الرعد ص ٣٢١] .

٣٨ – ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آية ٢١٢ البقرة ص ٥٠] .

٣٩ – ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بيانٌ لحال الكافرين بضربِ مثلَيْن لأعمالهم ، بعد بيان حال المؤمنين ومآل أمرهم . ﴿أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ﴾ هو الشُّعاع الذى يُرَى وسَط النهار عند اشتداد الحرّ فى الفَلَوَاتِ الواسعة ؛ كأنه ماءٌ ساربٌ وهو ليس بشىء . ويسمّى الآل . ﴿بِقِيعَةٍ﴾ جمعُ قاع ، وهو ما انبسط من الأرض واتّسع ولم يكن فيه نبْت . وفيه يتراءى السّرابُ . ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ﴾ الذى اشتدّت حاجتُه إلى الماء ﴿مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ مما حَسِبه وظنّه . شُبّه ما يعمله الكافرُ من أنواع البرّ فى الدنيا

مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ

التى يظنّها نافعةً له عند الله ومنجيةً له من عقابه ـ من حيث حُبُوطُها ومحوُ أثرها فى الآخرة ، وخيبةُ أمله فيها ـ بسراب يراه الظمآن فى الفلاة وهو أشدُّ ما يكون حاجةً إلى الماء فيحسبه ماءً ؛ فيأتيه فلا يجده شيئًا فيخيب أملُه ويتحسّر. ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ﴾ أى وجد حُكْمَه تعالى وقضاءه ﴿فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾ أعطاه وافيًا كاملاً جزاءَ كفره ؛ أما أجورُهم عليها فيوفَّوْنها فى الدنيا فقط.

٤٠ ـ ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ﴾ أى أعمالهم الحسنةُ فى الدنيا من حيث خلوُّها عن نور الحق كظلمات ﴿فِى بَحْرٍ لُجِّىٍّ﴾ عميق كثير الماء ﴿يَغْشَاهُ﴾ يعلوه ويغطّيه ﴿مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ آخرُ ﴿مِنْ فَوْقِهِ﴾ أى من فوق هذا الموج الأعلى ﴿سَحَابٌ﴾ قائمٌ. ﴿ظُلُمَاتٌ﴾ هذه ظلماتٌ متراكمةٌ ﴿بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ ظلمة السحاب فوق ظلمة الموْج فوقَ ظلمة البحر. ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ﴾ مَن ابتُلِى بها ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾ مِن تراكم الظُّلمات ؛ أى لم يقرُب من رؤيتها فضلاً عن أن يراها. وقيل: (أو) للتنويع ، فشُبِّهت أعمالُهم الحسنةُ بالسّراب ، والسيئةُ بالظلمات. ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ أى من لم يشأ سبحانه أن يهديَه لنوره فى الدنيا فما له من هدايةٍ فيها من أحد.

٤١ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ..﴾ أى ألم تعلم ، بمعنى قد علمتَ علمًا يقينًا بالوَحْى أو بالمكاشفة أو الاستدلال : أن جميع الكائنات من العقلاء وغيرهم ، تنزّهه فى ذاته وصفاته وأفعاله ، عن كلّ ما لا يليق بشأنه العظيم ؛ حتى الطير صافّاتٍ ـ بدلالتها بلسان الحال على وجوده وكمال قدرته ، وأنه ليس كمثله شىء. (والطَّيْر) معطوفٌ على (مَنْ). ﴿صَافَّاتٍ﴾ باسطاتٍ أجْنِحَتَهَا فى الهواء ؛ من الصَّفِّ وهو جعلُ الشىء على خطٍّ مستقيم. وخُصّت هذه الحالةُ بالذكر لكونها أغربَ أحوالها ؛ فإن استقرارها فى الهواء مُسبِّحةً من دون تحريك لأجنحتها ولا استقرار على الأرض من أبدع صُنع الله تعالى. وفى الآية تقريعٌ للكفار حيث جعلوا من الجمادات التى من شأنها التسبيحُ لله تعالى شركاءَ له يعبدونها كعبادته.

٤٣ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ﴾ دليلٌ من الآثار العلويّة على كمال قدرته تعالى وانفراده بالخلق والتّدبير. ﴿يُزْجِى سَحَابًا﴾ يسوقه سَوْقًا رفيقًا إلى حيث يريد. يقال : زجَى الشىءَ يزْجيه تزجيةً ، دفعه برفق ؛ كزجّاه وأزْجاه. ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾ مُتراكمًا بعضه فوق بعض. يقال : رَكَمَ الشىءَ

ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ

يركُمُه رَكْمًا : إذا جمعه وألقى بعضه على بعض . وتراكم وارتكم الشيء : اجتمع . والرُّكام : الرّملُ المتراكِم .
﴿الوَدْقَ﴾ أى المطر . وهو فى الأصل مصدرُ وَدَقَ السحابُ يَدِق وَدْقًا ، إذا نزل منه المطر .
﴿خِلالِه﴾ أى فُتُوقه ومخارجه . جمعُ خَلَل ؛ كجبال وجَبَل .
﴿سَنَا بَرْقِهِ﴾ أى شدّةُ ضوْء بَرْق السّحاب ولَمعانه . يقال سَنَا يسْنُوسَنًا ، أى أضاء .

٤٤ ـ ﴿يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ دليلٌ آخر زمَنيٌّ إثْر الدليل العُلْوِىّ .

٤٥ ـ ﴿وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾ دليلٌ ثالثٌ من عجائب خلق الحيوان وبديع صَنعته .

٤٧ ـ ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا ..﴾ نزلت فى المنافقين .

٤٩ ـ ﴿يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ منقادين لحُكْمه طائعين . يقال : أذعن لفلان ، انقاد ولم يستعْص ، وأسرع فى طاعته .

٥٠ ـ ﴿أَفِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ..﴾ ترديدٌ لأسباب إعراضهم عن حُكمه صلى الله عليه وسلم ؛ أى أسبَبُ إعراضهم عن التحاكم إليه أنهم مرضى القلوب بالنفاق ! أم سببُه أنهم ارتابوا فى نُبُوّته مع ظهور حقّيّتها ! أم سببه أنهم يخافون أن يحيف الله ورسوله عليهم ! ثم أضرب عن سببيّة هذه الثلاثة بأنه ليس شيء من ذلك سببًا ، وإنما سبَبُه أنهم يريدون أن يظلموا صاحبَ الحق ، ولا يتأتّى لهم ذلك مع انقيادهم لحكمه صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه لا يحكم إلا بالحق . ﴿يَحِيفَ﴾ يَجُورُ ؛ من الحيف وهو الميل إلى أحد الجانبين . يقال : حاف فى قضائه ، مال . وتحيّفتُ الشيء : أخذتُه من جوانبه .

٥٣ ـ ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أى مجتهدين فيها [آية ٥٣ المائدة ص١٥٣] . ﴿طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾ أى هذه طاعةٌ باللّسان لا بالجَنَان ، معروفةٌ عنكم وهى دأبكم ؛ فإنكم تكذِبون وتحلِفون وتقولون مالا تفعلون .

٥٤ ـ ﴿مَا حُمِّلَ﴾ ما أُمِرَ به من



وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ

التبليغ . ﴿مَا حُمِّلْتُمْ﴾ ما أُمِرْتُم به من الطاعة والانقياد .

٥٧ ـ ﴿مُعْجِزِينَ﴾ فائتين من عذابنا بالهرب .

٥٨ ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا..﴾ أمر الله المؤمنين أن يمنعوا مماليكهم ـ عبيدًا وإماءً ـ وصبيانَهم الذين لم يبلغوا الحُلُم ـ ذكورًا وإناثًا ـ من الدخول عليهم فى مضاجعهم بغير إذن فى هذه الأوقات الثلاثة ؛ خشيةَ أن يطّلعوا على عوراتهم . وخُصَّت بالذكر لكونها الأوقات التى تغلب فيها الخَلوةُ بالأهل والتَّجرُّدُ من الثياب . والأمرُ للاستحباب . وقيل للوجوب . و ﴿الحُلُمَ﴾ بضمتين : الاحتلامُ المعروفُ فى النوم . ثَلاثَ مَرَّاتٍ أى فى ثلاثة أوقاتٍ فى اليوم والليلة ؛ منصوبٌ على الظرفيّة للاستئذان . ﴿تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ﴾ تخلعونها وتطرحونها . ﴿ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾ أى هى أوقاتُ ثلاثِ عَوْرات كائنةٍ لكم . جمعُ عَوْرَة ، وهى فى الأصل شَقٌّ فى الشيء ، ثم غَلب فى الخلل الواقع فيما يُهم حفظه ويتعيّن سترُه ، وهو السَّوءة .

٦٠ ـ ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ..﴾ أى العجائز اللَّواتى قَعَدْنَ عن الوَلد أو عن الحَيْض ، أو عن الاستمتاع لكبَرهن ، ولم يبق لهن مطمعٌ فى الأزواج . جمعُ قاعد ، بغير تاء لاختصاصها بالنساء ،

ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ
مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ
أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَـٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ
خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ
وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ
أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ أَعْمَـٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ خَـٰلَـٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ
لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم
بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَـٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ
كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

ولولاه لوجبت التاء ؛ كما في قاعدة من القعود بمعنى الجلوس . ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ﴾ حرجٌ أو إثم ﴿أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ ينزعن عنهن ثيابهن الظّاهرةَ التي لا يُفضِي نزعُها إلى كشف العورة ؛ كالقناع الذى يكون فوق الخمار ، والجلبابِ والرداءِ الذى يكون فوق الثياب ، حال كونهن ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ أى غيرَ مظهِرات زينةً مما أُمِرن بإخفائها فى قوله تعالى : (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ) أو غيرَ قاصدات بالوضع التّبرّجَ ، وهو إظهارُ المرأةِ زينتَها ومحاسنَها للرجال . رُخِّصَ لهنّ فى هذا التّخفُّف من التستُّر دفعًا للحرَج عنهن ؛ على أن استعفافهن عنه خيرٌ لهنّ .

٦١ - ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ..﴾ أى إثمٌ . والحرَجُ فى الأصل : مجتمعُ الشَّجَر ، ثم أُطلق على الضِّيق وعلى الإثم . أى لا إثم على هذه الطوائف الثلاث فى القعود عن الجهاد وغيره مما رُخِّص لهم فيه لِمَا قام بهم من الأعذار . ولا إثم على من ذُكِروا بعدَهم فى الآية فى الأكل من البيوت المذكورة . ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ حرَج ﴿أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ أى من البيوت التى فيها أزواجُكُمْ وعيالُكم ؛ فيدخل فيها بيوتُ الأولاد . ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾ أى أو البيوت التى تملكون التصرُّف فيها بإذن أربابها ؛ كما إذا كُنتم وكلاءَ عنهم أو خازنين عندهم ؛ فيباح لكم الأكلُ منها بالمعروف . ومفاتحُ جمع مِفتَح ، وهو آلة الفتح . وملْكُها : كنايةٌ عن كون الشيء تحت يد الشخص وتصرُّفه . ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ أى أو بيوت أصدقائكم وإن لم يكن بينكم وبينهم قرابة ؛ فيجوز الأكل من بيوت الأحَدَ عشرَ صِنفًا المذكورة وإن لم يحضروا ، إذا عُلِم رضاهم به بصريح اللّفظ ، أو بالقرينة وإن كانت ضعيفة ؛ كما قاله الجلال . ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا﴾ مجتمعين ﴿أَوْ أَشْتَاتًا﴾ متفرقين . وقد كان بعضهم يتحرّج أن يأكل وحده حتى يجد له أكيلاً ؛ كبنى لَيْث بن عمرو بن كنانة ، فنزلت الآية . جمعُ شَتٍّ . يقال : شتّ الأمرُ يَشِتُّ شتًّا وشَتاتًا ، تفرّق . وأمر

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾

شَتَّىً : متفرّق . ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا﴾ من هذه البيوت التى رُخّص لكم فى الدخول فيها ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ أى على أهلها الذين هم بمنزلة أنفسكم ﴿تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ أى حيُّوهم تحيةً مشروعةً من لَدُنْه تعالى ﴿طَيِّبَةً﴾ تطيبُ بها نفوسهم وتطمئن . ومعنى التحيّة فى الأصل : أن تقول : حيّاك الله ! أى أعطاك الحياة ؛ ثم عُمّم لكلّ دعاء .

٦٢ - ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ نزلت فى المنافقين الذين كان يعرّض بهم النبىُّ صلى الله عليه وسلم فى مجالسه وخطبه ، وكانوا إذا جلسوا فى مجلسه ينظرون إلى الصحابة ، فإن رأوْهم غافلين عنهم خرجوا خفيةً واستتارًا من غير استئذان . فأخبر الله تعالى أن المؤمنين الكاملين إذا كانوا مع نبيّهم فى طاعة يجتمعون عليها - كالجمعة والعيدين والجهاد - أو تشاوُرٍ فى أمرٍ جليلٍ ؛ لم ينصرفوا عنه حتى يستأذنوه ويأذنَ لهم ، وجُعل ذلك علامةً على كمال الإيمان ، وفارقًا بين الإخلاص والنّفاق . وهذا الأدب الإسلاميُّ من الآداب العامّة فى أمثال هذه المجتمَعات .

٦٣ - ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ ..﴾ أى لا تقيسوا دعاءه عليه الصلاةُ والسلام إيّاكم على دعاء بعضِكم بعضًا فى حال من الأحوال ، وأمرٍ من الأمور التى من جملتها المساهلةُ فيه والرجوعُ عن مجلسه بغير استئذان ؛ فإن ذلك من المحرّمات . وقيل : المعنى لا تجعلوا نداءَ الرسول صلى الله عليه وسلم وتسميتَه كنداء بعضِكم بعضًا باسمه أو كُنيته . فلا تقولوا : يا محمد ، ولا يا أبا القاسم ، بل نادُوه وخاطبوه بالتوقير وقولوا : يا رسول الله ، يا نبيَّ الله ، مع تواضعٍ وخفضِ صوتٍ . قال السيوطىُّ : فى هذا النّهى تحريمُ ندائه صلى الله عليه وسلم باسمه ؛ والظاهرُ استمرارُ ذلك بعد وفاته إلى الآن ا هـ . فليتّق الله وليتأدّب بالأدب القويم أقوامٌ فى هذا العصر درَجُوا على ذكر اسمه الشريف مجرّدًا دون وصْفه بالرسالة أو النبوّة ، ودون الصلاة والسلام عليه فى كتبهم وخطبهم وأحاديثهم ؛ ومنهم من يتّسِم بسِمَةِ العلماء . ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلىّ العظيم ! ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا﴾ أى يخرجون من الجماعة قليلا قليلا فى خفْية متلاوذين ، يستتر بعضُهم ببعض حتى يخرجوا جميعًا ؛ وكان المنافقون يفعلون ذلك فى خطبه صلى الله عليه وسلم . والتَّسَلُّلُ والانسلالُ : الخروجُ والانطلاقُ فى استخفاء . واللِّواذ : من الملاوذة ، وهى أن

ثلاثة أرباع الحزب

(٢٥) سُورَةُ الفُرْقَانِ مَكِّيَّة
إلا الآيات ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ فمدنية
وآياتها ٧٧ نزلت بعد يس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ

تستتر بشيء مخافةَ من يراك . أو هو الرّوغان من شيء إلى شيء فى خفية . ﴿يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ يُعرضون عنه أو يصدُّون . والمخالفةُ : أن يأخذ كلّ واحد طريقًا غيرَ طريق الآخر فى حاله أو فعله ! ﴿فِتْنَةٌ﴾ بلاء ومحنة فى الدنيا . والله أعلم .

سُورَةُ الفُرْقَانِ

اشتملتْ هذه السُّورةُ على التوحيد ؛ لأنه المقصِد الأسْنَى . وعلى شأن النبوّة ؛ لأنها الواسطةُ بين الله تعالى وخلقه . وعلى أحوال المعاد ؛ لأنه الخاتمة . وعلى حكاية أباطيل الكافرين المتعلّقة بالقرآن وبالرسول صلى الله عليه وسلم وإبطالها .

١ ـ ﴿تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ﴾ أى تعالى على كلّ شىء وتعاظم [آية ٥٤ الأعراف ص٢٠٧]. ﴿الْفُرْقَانَ﴾ أى القرآن ؛ لفَرْقه بين الحق والباطل .

٢ ـ ﴿فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ فهيّأه لما أراد به من الخصائص والأفعال اللائقة به ؛ تهيئةً بديعةً بحِكمته وَفْق إرادته .

٣ ـ ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ أصنامًا ، وقد وصفها الله بسبع صفات ، آخرُها قولُه : (وَلَا نُشُورًا) . ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا ..﴾ لا يقدرون على إماتة الأحياء ، ولا على إحياء الموتى فى الدنيا ، ولا على بعْثهم فى الآخرة .

٤ ـ ﴿إِفْكٌ افْتَرَاهُ ..﴾ كذبٌ وبهتانٌ اختلقه وتخرّصه من تلقاء نفسه [آية ١١ النور ص ٤٤٨] . ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ﴾ على افترائه ﴿قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ من أهل الكتاب . والقائلون صناديدُ المشركين ؛ كالنّضر بن الحارث وأشياعِه . ﴿ظُلْمًا وَزُورًا﴾ أى بظلم عظيم ، وكذبٍ فظيعٍ انحرفوا به عن جادّة الحقّ والإنصاف . والزُّورُ فى الأصل : تحسينُ الباطل ؛ مأخوذٌ من الزَّوَر وهو المَيْل فى الزَّوْر . وأُطلِق على الكذب زُورٌ لما فيه من المَيل عن الصدق والانحراف عن الحقّ .

٥ ـ ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾

وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ

أكاذيبُهم وأباطيلُهم التى سطّروها فى كتبهم . ﴿اكْتَتَبَها﴾ أى أمر غيرَه بكتابتها له ، أو جَمَعها . ﴿فَهِىَ تُمْلَى عَلَيْهِ﴾ أى تُلقَى عليه بعد اكتتابها ليحفظها ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ غُدوةً وعشِيًّا . ومرادُهم أنها تُملَى عليهِ خُفْيَةً .

٦ - ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ يعلم كل ما يغيب ويخفى .

٧ - ﴿وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ﴾ اشتمل قولُهم على ست قبائح ، آخرُها قولُه : (إِلَّا رَجُلاً مَسْحُورًا) . وقد ردّ الله تعالى عليها إجمالاً فى البعض وتفصيلاً فى البعض .

٨ - ﴿أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ﴾ أو ينزل عليه من السماء مالٌ عظيمٌ يُغنيه عن التماس المعاش بالأسواق كسائر الناس . وأصلُ الكَنْز : جعلُ المال بعضه على بعض وحفظُه ؛ من كَنَزَ التمر فى الوعاء : حفظه . ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ ..﴾ بستانٌ ذو شجر يُدِرّ عليه الخير ، وسُمّىَ جنّة لستره الأرضَ بأشجاره ؛ من الجَنّ وهو ستر الشيء عن الحاسّة . ﴿مَسْحورًا﴾ مغلوبًا على عقله بالسِّحر . والسحرُ عندهم معروفٌ بتأثيره فى العقول .

١٠ - ﴿إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾ أى إن شاء وهب لك فى الدنيا خيرًا مما اقترحوه من الجنة ؛ بأن يُعجِّل لك فيها مثلَ ما وعدك فى الآخرة من الجنّات والقصور المشيَّدة .

١١ - ﴿بَلْ كَذَّبُوا بالسَّاعَةِ﴾ انتقالٌ من حكاية جناياتهم السابقةِ المتعلّقةِ بأمر التّوحيد والنبوّة ، إلى حكاية نوع آخرَ من جناياتهم متعلّقٍ بأمر المَعاد ، وما يترتب عليه من فنون العذاب لكفرهم وجحودهم . ﴿سَعِيرًا﴾ نارًا عظيمة شديدة الاشتعال .

١٢ - ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ﴾ أى قابلتْهم تلك النّارُ المستعرةُ ، وهى جهنم ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا﴾ أى صوتَ غليان وفوران شديد . والتّغيُّظ فى الأصل : إظهارُ الغَيْظ ، وهو شدّة الغضب الكامن فى القلب . ﴿وَزَفِيرًا﴾ هو فى الأصل : ترديدُ النَّفَس من شِدّة الغَمّ حتى تنتفخ منه الضلوع ؛ فإذا اشتدّ كان له صوتٌ يُسمع .

١٣ - ﴿مُقَرَّنِينَ﴾ قد قُرنت أيديهم إلى أعناقهم بالأغلال . أو مقرَّنين فى السلاسل والأصفاد ، بعضهم مع بعض . أو مع الشياطين الذين أضلُّوهم . ﴿دَعَوْا

عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ

حزب ٣٧ جزء ١٩

التذكُّر لآيات ألوهيّتك ووحدتك. ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ هَلْكَى، غلب عليهم الشقاء والخذْلان. جمعُ بائر؛ مِن البَوار وهو الهلاك. وأصله فرْطُ الكساد. يقال: بارت السّوقُ، إذا خلتْ من المشترين. وبار الطّعامُ: إذا لم يكن له طالب. وأُطلِق على الهلاك لكون البائر كالهالك.

١٩ - ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا﴾ فما تملكون دَفعًا للعذاب عن أنفسكم قبل حُلُوله. وأصلُ الصَّرْف: رَدُّ الشيء من حالة إلى أخرى. ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ من أى جهة بعد حُلُوله.

٢٠ - ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ ابتلاءً وامتحانًا. كلُّ واحدٍ مختبَرٌ بضدّه؛ فالأغنياءُ امتحانٌ للفقراء؛ ليظْهَرَ هل يصبرون؟ والفقراءُ امتحانٌ للأغنياء؛ ليَظْهَرَ هل يشكرون؟ وهو تسليَةٌ له صلى الله عليه وسلم عن قولهم: ﴿أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ﴾.

٢١ - ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا..﴾ كناية عن إنكارهم البعث والحشر. أو لا يؤمّلون لقاء جزائنا بالخير؛ لإنكارهم ذلك. ﴿وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ جاوزوا الحدّ فى الظلم والطّغيان تجاوزًا بالغًا. مصدرُ عَتَا يعتو عُتُوًّا وعُتِيًّا.

٢٢ - ﴿لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ أى يقول لهم الملائكة ذلك يومَ القيامة. ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾ أى ويقول الملائكة للمجرمين: حرامًا مُحرَّمًا

هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ هلاكًا؛ فقالوا: وَاثُبوراهُ! يقال: ثبَر يثْبُر ثُبورًا. وثبَره الله: أهلكه هلاكًا لا ينتعش.

١٦ - ﴿وَعْدًا مَسْئُولًا﴾ جديرًا بأن يُسألَ ويُطلبَ لعِظَم شأنه.

١٧ - ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الملائكة وعُزَير وعيسى، وسائرِ العقلاء المعبودين الذين لم يقع منهم ضلال لأولئك الجهلة العابدين. وإطلاقُ «ما» على العقلاء حقيقةٌ أو مجاز.

١٨ - ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيهًا لك وتبرئةً مما زعمه المشركون من الأنداد لك. ﴿مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا..﴾ أى ما استقام لنا ونحن عبادُك المطيعون لك أن نتّخذ - متجاوزين إيّاك - أولياءَ نعبُدهم؛ فكيف يُتصوّر أن نحمل غيرَنا على أن يتّخذ وليًّا يعبده من دونك؟! ﴿نَسُوا الذِّكْرَ﴾ أى غَفَلوا عن ذِكرك والإيمانِ بك. أو عن

وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا

عليكم البشرى فى هذا اليوم. والحَجْر ـ بالكسر ويفتح ـ : الحرام ؛ وأصلُه المنعُ. و(مَحْجُورًا) صفةٌ مؤكِّدة للمعنى ؛ كما فى : موتٌ مائت. أو يقول المجرمون حين يَرَوْن الملائكة : حِجْرًا مَحْجُورًا ؛ أى حرامًا محرَّمًا عليكم التعرُّضُ لنا. وكان الرَّجُل فى الجاهلية يقول ذلك إذا لَقِىَ من يخافه فى شهر حرام أو فى الحَرَم فيأمن شرَّه ؛ فقالوها يومَ القيامة ظانّين أنها تنفعهم فيه كما كانت تنفعهم فى الدنيا.

٢٣ ـ ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ..﴾ وعَمَدْنَا إلى ما عمله الكافِرون فى الدنيا من أعمال الخير والبِر ؛ كصِلة رَحِم وإغاثة ملهوفٍ وقِرَى ضَيْف مع كفرهم وجحودهم ، فجعلناه يومَ القيامة باطلاً لا ثوابَ له ولا جدْوَى ؛ كالهباء المنثور. والهباءُ : ما يخرج من الكُوّة مع ضوء الشمس شبيهًا بالغُبار. والمنثورُ : المتفرّق الذاهب كلَّ مذهب ، الذى لا يتأتّى جَمْعه. شُبِّهت به هذه الأعمالُ يومَ القيامة مع الكفر فى عدم الجدوَى ؛ وتقدّم أنهم يجازون بها فى الدنيا. وهو مِثْلُ قوله تعالى : «وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ»[1] وقوله تعالى : (مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ)[2].

٢٤ ـ ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾ منزلاً ومأوًى للاسترواح. والمَقِيلُ فى الأصل : مكانُ القَيْلولَة ، وهى الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن هناك نوم ؛ ومنه (أَوْهُمْ قَائِلُونَ)[3]. والمرادُ : أنهم فى أقصى ما يكون من حسن المقيل.

٢٥ ـ ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾ واذكُر يومَ تتفتّح السماءُ عن الغمام. وهو سحابٌ أبيضُ رقيقٌ مثلُ الضّباب. فالباءُ بمعنى عن ؛ كقوله تعالى : (يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ)[4]. وهو مثل : انشقّت الأرض عن النبات ؛ أى ارتفعت تربتها عنه عند طلوعه.

٢٧ ـ ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ واذكر يومَ يندم الظالم لنفسه ـ الذى فارق طريق الرسول صلى الله عليه وسلم والحقَّ الذى جاء به ، وسلك طريق الباطل متّبعًا هواه ـ أشدَّ الندم حيث لا ينفعه ندمٌ ولا أسفٌ. وعَضُّ اليدين والأنامل وأكلُ البَنان ونحوها : كناياتٌ عن شدّة الغيظ والحسرة لحصولها عندها غالبًا ؛ وذلك شأن كلِّ ظالم. ويدخل فى ذلك عُقْبَةُ بن أبى مُعَيْط وغيرُه من الأشقياء ، وقد أطاع فى الكفر خليلَه أُبَىَّ بن خَلَف ؛ وهو المكنَّى عنه بفلان فى الآية التالية. ﴿سَبِيلاً﴾ طريقًا إلى الهدى أو إلى النجاة.

(١) آية ٣٩ النور. (٢) آية ١٨ إبراهيم. (٣) آية ٤ الأعراف. (٤) آية ٤٤ ق.

ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ

٢٨ ـ ﴿يَاوَيْلَتَا﴾ دعاءٌ بالوَيْل والثُّبور [آية ٣١ المائدة ص ١٤٨] .

٢٩ ـ ﴿لِلإِنْسَانِ خَذُولاً﴾ كثير الخذلان لمن يواليه .

٣٠ ـ ﴿اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾ متروكًا فلم يؤمنوا به ولم يرفعوا إليه رأسًا . ولم يتأثّروا بوَعْده ووعيده ؛ من الهَجْر بمعنى التَّرك ، نظيرُ قوله تعالى : (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ)[1] أى يَصُدُّون ويَبْعُدون عنه . أو قالوا فيه هُجْرًا وباطلاً من القول ؛ كما قال تعالى : (مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ)[2] .

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا﴾ تسليةٌ له صلى الله عليه وسلم ؛ أى كما جعلنا قومَك يُعادونك ويكذّبونك جعلنا ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ .

٣٢ ـ ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ لمّا قال المشركون : هلّا أُنزل القرآنُ على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ دَفْعَةً واحدةً غيرَ مُفَرَّق كما أُنزلت الكتبُ السابقة ! ـ رَدَّ الله تعالى عليهم بقوله (كَذَلِكَ) أى تنزيلاً مثلَ ذلك التنزيل الذى اقترحتم خلافَه ، نَزَّلناه فجعلناه مفرَّقًا مُنجَّمًا ؛ لِنُقَوِّىَ به قلبَك وقلوبَ المؤمنين بتيسير حفظِه وضبطِه وفَهْم معانيه ، والوقوفِ على تفاصيلِ ما رُوعِىَ فيه من الحِكَم والمصالح ، وتجدُّد عَجْز الطاعنين فيه وغير ذلك . ﴿وَرَتَّلْنَاهُ﴾ فرّقناه آيةً بعد آية ؛ كما قال تعالى : (كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ)[3] . أو قرأناه عليك بلسان جبريلَ شيئًا فشيئًا على تُؤَدة وتمهُّل ؛ من قولهم : ثَغْرٌ مُرَتَّل ؛ أى مفلَّجُ الأسنان غيرُ متلاصقها .

٣٣ ـ ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ..﴾ أى بكلام عجيبٍ هو مَثَلٌ فى البُطلان ؛ يريدون به القَدْح فى رسالتك ويجابهونك به . ﴿وأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ أى وبما هو أحسن معنًى من مَثَلهم .

٣٦ ـ ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ أهلكناهم أشدَّ الإهلاك .

٣٧ ـ ﴿وجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾ علامةً ظاهرةً على قدرتنا ، يعتبرُ بها مَن شاهدَها أو سمِعَها .

٣٨ ـ ﴿وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾ الرّسُّ : بئرٌ كانت لبقيّةٍ من ثمود ؛ وأصحابُها قومٌ كذّبوا نبيّهم ورسُّوه أى دسُّوه فى البئر ؛ فأهلكهم الله كما أهلك القرونَ السابقة . ﴿وَقُرُونًا﴾ أممًا .

(١) آية ٢٦ الأنعام . (٢) آية ٦٧ المؤمنون . (٣) آية ١ هود .

الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ

٣٩ - ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ أهلكنا إهلاكًا هائلاً ؛ لعدم تأثُّرهم بما ضربنا من الأمثال ، ولتمَاديهم فى الكفر والطغيان . والتَّتبيرُ : التَّفتيت . وكلُّ شىء فتَّتَهُ وكسّرته فقد تبَّرته . ومنه التِّبْرُ : لِفُتات الذهب والفضة .

٤٠ - ﴿أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ أى رُميت بالحجارة من السماء فَهلكت . وهى سَدُوم . أعظمُ قرى قوم لوطٍ ، وكذلك أُهلِكت سائر قراهم . والسَّوْءُ - بالفتح - : مصدر ساءهُ ؛ أى فَعَلَ به ما يَكْرَه . والسُّوءُ - بالضم - : اسمٌ منه . ﴿لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ أى لا يتوقّعون بعثًا أصلاً .

٤١ - ﴿هُزُوا﴾ مهزوءًا به .

٤٣ - ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ..﴾ أخبرنى ! مَنْ جعَل هواه إلٰهًا لنفسه معرضًا عن استماع الحجة الباهرة . ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾ حفيظًا وكفيلاً حتى تردّه إلى الإيمان . وتُخرجه من هذا الضّلال ! [آية ٤٠ الأنعام ص ١٧٤] .

٤٥ - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ﴾ ألم تنظر إلى صُنع ربِّك فتعلم ﴿كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ وقد اشتملت هذه الآية والآياتُ التّسع بعدها على ستَّة أدّلة محسوسة على توحيده تعالى ، وانفراده بالإيجاد والقدرة الباهرة والصنع العجيب - : الظِّلَالُ بَسْطًا وقَبضًا . والليلُ والنهارُ راحةً ونشورًا . والرياحُ بُشْرًا ، والأمطار حياةً ومَرْجُ البحريْن العذبِ والملحِ . وخلقُ الإنسان من نطفة مَهينة وتناسلُه .

٤٧ - ﴿...وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ أى قَطْعًا لأعمالكم . أو راحةً لأبدانكم . والسُّباتُ - كما قال الزَّجَّاج - : أن ينقطع عن الحركة والرُّوحُ فى بدنه ؛ من السَّبْت وهو القطع ، أو الراحةُ والسكونُ .

﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً﴾ ذا نُشور ، ينتشر فيه الناسُ لطلب المَعاش ؛ وهو كقوله تعالى : (وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا)[1] .

٤٨ - ﴿بُشْرًا﴾ مُبَشِّرَاتٍ بالغَيْثِ .

٥٠ - ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ..﴾ أى صَرَّفنا المطر بينهم فى البلدان المختلفة ، والأوقات المتغايرة ،

(١) آية ١١ النبأ .

ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَـٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ

ربع الحزب

وعلى الصفات المتفاوتة ؛ فنزيد منه فى بعض البلدان ، وننقص منه فى بعض آخر منها على حسب الحاجة . أو ولقد كرَّرنا هذا القول بين الناس فى القرآن وما سبقه من الكتب ، وهو ذكر إنشاء السحاب وإنزال المطر ؛ ليعتبروا ويُذعنوا بكمال قدرتنا ، فأبى أكثرهم إلَّا كفرانَ النعمة وجحودَها ﴿كُفُورًا﴾ جحودًا وكفرانًا بالنعمة .

٥٣ - ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ..﴾ أرسل البحرين : العَذْبَ والمِلْحَ فى مجاريهما متجاورَيْن ؛ كما ترسل الخيلُ فى المَرْج . يقال : مَرَج الدابة يَمْرُجُها ؛ أرسلها ترعَى . أو خلطها فأمرج أحدَهما فى الآخر وأفاضه فيه ؛ من المَرْج وأصلُه الخلْط . يقال : مَرِج أمرُهم يَمْرَج ، اختلط ؛ ومنه قيل للمرعى : مَرْجٌ ؛ لاجتماع أخلاط من الدوابّ فيه . ﴿عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ شديد العذوبة ، مائلٌ إلى الحلاوة وهو ماء الأنهار . وسُمِّىَ فراتًا لأنه يَفْرُتُ العطش ، أى يقطعه ويكسره . ﴿مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ شديدُ الملوحةِ والمرارة ، وهو ماء البحار . سُمِّىَ أُجاجا من الأجيج وهو تلهُّب النار ، لأن شربه يزيد العطش . ﴿بَرْزَخًا﴾ حاجزًا عظيمًا من الأرض ، يمنع بَغْىَ أحدِهما على الآخر ؛ لحفظ حياة الإنسان والنبات ؛ كما قال تعالى : (بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ)[1] . ﴿وحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ أى وجعل كلَّ واحد منهما حرامًا مُحَرَّمًا على الآخَر أن يفسده . والمرادُ : لزومُ كلٍّ منهما صفتَه ؛ فلا ينقلب العَذْبُ فى مكانه مِلْحًا ، ولا المِلحُ فى مكانه عذبًا .

٥٤ - ﴿فَجَعَلَه نَسَبًا وَصِهْراً﴾ أى جعل من جنس البشر ذوى نسب : ذكورًا يُنسب إليهم ، وذوات صهر : إناثاً يُصاهَر بهن ؛ كقوله تعالى : (فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى)[2] . والصِّهْرُ : يطلق على قرابات النساء ذوى المحارم وذوات المحارم ؛ كالأبوين والإخوة وأولادهم ، والأعمام والأخوال والخالات ؛ فهؤلاء أصهارُ زوج المرأة . وعلى من كان من قِبَل الزوج من ذوى قرابته المحارم ؛ فَهُم أصهارُ المرأة أيضًا .

٥٥ - ﴿وكَانَ الكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ مُعينًا للشيطان على

(١) آية ٢٠ الرحمن . (٢) آية ٣٩ القيامة .

أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ ۩ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ



معصية الله بالشّرك والعدواة . والظَّهِيرُ : المُعين

﴿وَسَبِّحْ﴾ نَزِّهْه تعالى على جميع النقائص . ﴿بِحَمْدِهِ﴾ مُثْنِياً عليه بأوصاف الكمال .

٥٩ ـ ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [آية ٥٤ سورة الأعراف ص ٢٠٧] .

٦٠ ـ ﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ تباعدًا عن الإيمان .

٦١ ـ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي ..﴾ [آية ٥٤ الأعراف ص ٢٠٧] . ﴿بُرُوجًا﴾ منازل رفيعةً ، اثنى عشر منزلاً للكواكب السيّارة . وأصلُها القصورُ العالية ؛ وسُمّيَت بها هذه المنازلُ لعلوّها وارتفاعها .

٦٢ ـ ﴿جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ يَخلُف كلٌّ منهما الآخر . والخِلْفَةُ : كلُّ شيء ؛ ومنه خِلْفَةُ النبات وهو ورق يخرج بعد الورق الأوّل فى الصيف .

٦٣ ـ ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ مشيًا ليّنًا رفيقًا . أو يمشون هيِّنين فى تُؤدة وسكينة ووقار وحُسن سَمْت . والهَوْنُ : مصدرٌ بمعنى اللِّين والرِّفق ، صفةٌ لمصدر محذوف ، أو حال من ضمير (يَمْشُونَ) . ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ أى تسلُّماً منكم ومتاركةً ، لا خيرَ بيننا وبينكم ولا شرّ ؛ فيتحمّلون ما ينالهم من أذى الجُهلاء والسُّفهاء .

٦٥ ـ ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ لازمًا دائمًا غيرَ مفارقٍ فى حقّ الكفار ، وغيرَ دائمٍ فى حقّ عُصاةِ المؤمنين . والغرامُ : الوَلوع بالشىء والشرُّ الدائمُ والهلاكُ . يقال : فلان مُغْرَمُ بكذا ، أى لازمٌ له مولَعٌ به ؛ ومنه الغريمُ لملازمته .

٦٧ ـ ﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا ..﴾ لم يضيِّقوا تضييقَ الشَّحيح ؛ من قتر بمعنى ضَيّق . يقال : قَتَرَ يقتِر ويَقْتُر قتْرًا وقتورًا . وقتر وأقتر : ضيّق فى النفقة . ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ وَسَطًا بين سيّئتَيْن . والقَوَامُ : الشىء بين الشيئين .

لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَـٰمًا ﴿٧٥﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

وقَوامُ الرجل : قامته وحُسن طوله .

٦٨ ـ ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ جزاء الإثم وهو العقوبة . يقال : أثمه الله يأثِمُه إثمًا وأثامًا ، جازاه جزاء الإثم ؛ فهو مأثوم ، أي مجزيٌّ جزاءَ إثمه .

٦٩ ـ ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِ﴾ لضمّه معصيته إلى كفره .

٧٢ ـ ﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ..﴾ لا يحضرون الباطل ، شركا أو كذبًا أو غيرهما . وأصلُ الزُّور : تحسينُ الشيء ووصفُه بخلاف صفته ؛ حتى يُخيَّل أنه خلافُ ما هو به . ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ أي بكلّ ما يجب أن يُلغَى ويُطرح من قول أو فعل لا خيرَ فيه ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾ معرضين عنه منكرين له ، لا يرضَوْنه ولا يُمالِئُون عليه ولا يجالسون أهله . يقال : تكرّم فلانٌ عما يشينه ، أي تنزّه وأكرم نفسَه عنه .

٧٣ ـ ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ لم يسقطوا عليها صُمًّا وعُميانًا ؛ بل أكبُّوا عليها سامعين مُبصرين بآذانٍ واعيةٍ ، وعيونٍ راعيةٍ ، منتفعين بها .

٧٤ ـ ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ ما تَقِرُّ به أعيُننا ، أي ما تُسَرُّ وتَفْرَحُ به [آية ٢٦ مريم ص ٣٩٢] . ﴿إِمَامًا﴾ قدوة وحجة أو أئمة .

٧٥ ـ ﴿يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ أعلى منازل الجنة وأفضلَها .

٧٧ ـ ﴿مَا يَعْبَأُ بِكُمْ..﴾ أيْ أيَّ اعتدادٍ يعتدّ بكم ربّى ، لولا عبادتكم له تعالى . يقال : ما عبأْت به ، أي ما عددتُه من هَميّ ومما يكون عِبئًا عليّ ؛ كما تقول : ما اكترثْتُ له ، أي ما عَددْتُه من كوارثي ومما يُهمُّني . ﴿دُعَاؤُكُمْ﴾ عبادتكم له تعالى . ثم خاطب الكافرين من عباده بقوله : ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ جزاءُ التكذيب ﴿لِزَامًا﴾ عذابًا دائمًا ملازمًا لكم . مصدرُ لازم ، كقاتل قتالاً . والمرادُ به هنا : اسمُ الفاعل . والله أعلم .

سُورَةُ الشُّعَراء

٣ ـ ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ﴾ قاتلُها ومهلكُها من شدّة الوَجد، لاستمرارهم على جحود ما جئت به . أى ارحمها وأشفِقْ عليها [آية ٦ الكهف ص ٣٧٥] .

٤ ـ ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ أى فتظلّ جماعاتُهم أو رؤساؤهم خاضعين لها منقادين . يقال : جاءنى عُنق من الناس ـ بضمّ فسكون وبضمّتين ـ ، أى جماعةٌ منهم ، أو رؤساؤهم والمقدَّمون فيهم . وقيل لهم أعناق كما قيل وجوهٌ وصدورٌ . أو الأعناقُ جمعُ عُنق وهو العضو المعروف . والمعنى : فتظلّ أعناقُهم خاضعين لها من الذلّة . والأصلُ : فظلوا لها خاضعين ؛ فأُقحمت الأعناقُ لبيان موضع الخضوع ، وتُرك الجمعُ بعد الإقحام على أصله . وقيل : عوملت معاملةَ العقلاء ؛ فأُخبر عنها بجمع من يعقل لمّا أُسند إليها ما يكون من فعل العقلاء وهو الخضوع .

(٢٦) سُورَةُ الشُّعَراءِ مكيّة

إلا آية ١٩٧ ومن ٢٢٤ إلى آخر السورة فمدنية وآياتها ٢٢٧ نزلت بعد الواقعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن

نصف الحزب

٥ ـ ﴿مُحْدَثٍ﴾ محدَثٍ تنزيلُه ، ومتجدّد إنباؤهم به .

٧ ـ ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا ..﴾ بيانٌ لإعراضهم عن الآيات التكوينيّة بعد إعراضهم عن الآيات التنزيليّة . أى أأصرّوا على كفرهم وتكذيبهم ، ولم ينظروا فى عجائب الأرض الزاجرة لهم عن ذلك ، والداعيةِ إلى الإيمان بالله تعالى ! ﴿زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ صنفٍ حسَنٍ كثيرِ المنافع . وأصلُ الكَرَم : الشّرفُ والفضلُ ؛ وهو فى كل شيء بحسَبه .

٨ ـ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ..﴾ أى إن فيما ذُكر من الإنبات لدليلاً على أن مُنْبتَها قادرٌ على إحياء الموتى . ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ مع عظم الآيات الموجبة للإيمان لفرط تماديهم فى الضّلال . و«كان» زائدةٌ كما ذهب إليه سيبَويْه . وكُرّرت هاتان الآيتان فى هذه السورة ثمانى مرات : الأولى ـ هذه . والباقياتُ عقِبَ قِصَص موسى وإبراهيم وقومِ نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط وقوم شعيب عليهم السلام ؛ لتنبيه كفار مكة إلى أن فى كل قصّة منها عِبرةً

يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾

توجب عليهم الإيمان ، وتزجرهم عن التكذيب والعصيان .

١٥ - ﴿كَلَّا﴾ حرفُ رَدْعٍ وزَجْر عن خوف القتل . أي كَلاَّ لن يقتلك قومُ فرعون ! وهو وعدٌ منه تعالى بدفع بليّة الأعداء عنه . ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ نسمع ما تقولون وما يقال لكم ؛ فننصركم ونَخْذُل عدوّكم . أو الخطاب لموسى وهارون ومن يتبعهما .

١٩ - ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ..﴾ قَتلَكَ القِبطيَّ حين وكَزْتَه . ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ أي الجاحدين لِلنّعمة التي سلَفت منّا إليك من التربية والإحسان .

٢٠ - ﴿فَعَلْتُهَا إِذًا﴾ أي إذ ذاك . ﴿وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ أي الجاهلين أن هذه الوَكْزة تبلغ القتل ؛ لأنى لم أتعمده ، وإنما قصدتُ بها مجرَّدَ التأديب فأدّت إليه . ويقال لمن جهل شيئاً وذهب عن معرفته : ضالٌّ .

٢٢ - ﴿أَنْ عَبَّدْتَ بَنِى إِسْرَائِيلَ﴾ اتَّخذتَهم لك عبيدًا ؛ فكان ذلك سبباً فى وجودى عندك ، فهو نعمةٌ ظاهرًا ونقمةٌ باطناً . يقال : عبّدته وأعبدته ، إذا اتَّخذتَه عبدًا .

٢٤ - ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ أى إن كنتم موقنين بشىء من الأشياء . فهذا أوْلَى بالإيقان ؛ لظهوره ووضوح دليله .

٣٠ - ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾ أى أتجعلُنى من المسجونين أن

قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ * وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ



اتخذتُ إلهاً غيرَك ولو جئتُك بشىء يتبيّن به صدقى فيما دعوتك إليه !؟ يريد به المعجزة .

٣٣ - ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ ..﴾ أخرج يدَه من جَيْبه بعد أن أدخلها فيه . ﴿هِىَ بَيْضَاءُ﴾ بياضاً نورانيًّا ، لها شُعاع يكاد يَغْشَى الأبصار .

٣٤ - ﴿لِلْمَلَإِ﴾ وجوه القوم وسادتهم .

٣٦ - ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ أخِّرْ أمرَهُما ولا تُعجل بعقوبتهما . ﴿وَابْعَثْ فِى الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ رجالاً يَجمعون لك أمْهَرَ السّحرة من أقاصى البلاد [آية ١١١ الأعراف ص ٢١٦] .

٣٩ - ﴿هَلْ أَنتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ حثٌّ على الاجتماع واستعجالٌ له .

٤٤ - ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ بقوته وعظمته .

٤٥ - ﴿تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ تبتلع بسرعةٍ ما يموِّهُون ويزوِّرون به من المخاييل والخُدَع الباطلة [آية ١١٧ الأعراف ص ٢١٧] .

٥٠ - ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾ لا ضَرَر علينا فيما يلحقنا من عذاب الدنيا لإيماننا . مصدرُ ضارَه الأمرُ يَضوره ويَضيره ضَيْرًا وضَوْرًا : أى ضرَّه .

٥٢ - ﴿أَسْرِ بِعِبَادِى﴾ سِرْ بهم ليلاً ، أو فى أوّل اللّيْل إلى البحر الأحمر من أرض مصر [آية ١ الإسراء ص ٣٥٨] . ﴿إِنَّكُم مُتَّبَعُونَ﴾ يتبعكم فرعون وجنوده .

لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾

٥٣ - ﴿حَاشِرِينَ﴾ جامعين للعساكر ليتبعوهُمْ.

٥٤ - ﴿لَشِرْذِمَةٌ﴾ طائفةٌ قليلةٌ من الناس بالنسبة إلى كثرة جيشه. أو هى السِّفلة منهم. وجمعُها شراذِم ؛ ومنه ثيابٌ شراذمُ. أي أخلاقٌ متقطعةٌ.

٥٦ - ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ وإنّا لجمْعٌ من عادتنا الحَذَر والاحترازُ والأخذُ بالحَزْم في الأمور. وقُرِئَ (حَذِرُونَ) وهما بمعنًى واحد، كما قال أبو عبيدة. يقال: حَذِر حَذراً - من باب تعِب - واحترز، بمعنًى استعدّ وتأهَّب ؛ فهو حاذرٌ وحذِرٌ، والاسمُ منه الحِذْر. وقال الزّجاج: الحاذرُ المستعدُّ، والحَذِرُ المتيقّظُ.

٦٠ - ﴿فَأَتْبَعُوهُمْ﴾ فلحِقُوهم. تقول: أَتْبَعْتُه، أى تَبِعْته ؛ وذلك إذا كان سبَقك فلحقتَه. ﴿مُشْرِقِينَ﴾ داخلين فى وقت الشروق ؛ من أشرق، أى دخل فى وقت الشروق كأصبح وأمسى.

٦١ - ﴿تَرَاءَى الْجَمْعَانِ﴾ رأى كل منهما الآخر.

٦٣ - ﴿فَانْفَلَقَ﴾ انشق اثنى عشر فرقًا.

٦٤ - ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ﴾ وقرّبنا هنالك فرعونَ وقومَه من قوم موسى حتى دخلوا على أثرهم مَداخلَهم فى البحر ؛ من الزَّلَف وهو القُرْبة. يقال: أزلفه أى قرّبه.

٧١ - ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾ أى نظلُّ لأجلها مقبلين على عبادتها.

٧٥ - ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ أتأمّلتم فعَلِمْتم أيَّ شيء تعبدونه أنتم وآباؤكم الأقدمون !.

٨٣ - ﴿هَبْ لِي حُكْمًا﴾ كمالاً فى العلم والعمل، أستعدّ به للقيام بأعباء الرسالة.

٨٤ - ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ..﴾ ثناءً حسنًا وذكرًا

أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾

جميلاً ، وصيتاً وقبولاً فى الأمم الآخرين ، باقياً إلى يوم القيامة .

٨٧ ـ ﴿وَلَا تُخْزِنِى﴾ لا تفضحنى ولا تذلنى بعقابك .

٨٩ ـ ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ برىء من مرض النفاق والكفر .

٩٠ ، ٩١ ـ ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أُدْنِيَتْ وقُرِّبت للذين اتَّقَوْا عقابَ الله فى الآخرة بطاعتهم إيّاه فى الدنيا ، بحيث يشاهدونها من الموقف فيبتهجون بأنهم من أهلها . ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ جُعلت بارزةً ظاهرةً للضّالين عن طريق الحق ، بحيث يرونها من الموقف فيوقنون أنهم مواقعوها فيتحسّرون ؛ من البروز وهو الظهور ، وأصلُه من البَرَاز وهو الأرض الفضاء الواسعة . والغاوُون : جمعُ غاوٍ أى ضال . يقال : غَوَى يَغْوِى غَيًّا وغَوايةً ، ضلَّ ؛ فهو غاوٍ وغَوٍ .

٩٤ ـ ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا﴾ أُلقُوا فيها على رءُوسهم مرّةً بعد مرةٍ إلى أن استقرُّوا فى قَعْرها ؛ من الكَبْكَبَة وهى الإلقاء على الوجه مرّةً بعد أخرى .

٩٨ ـ ﴿نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ نجعلكم وإياه سواء فى استحقاق العبادة وأنتم أعجز الخلق .

١٠١ ـ ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ يهتمّ بنا ؛ من الاحتمام وهو الاهتمام . أو من الحامّة وهى الخاصّة . والمرادُ : الصديقُ الخالص .

١٠٢ ـ ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ..﴾ رجعةً إلى الدنيا فنؤمنَ بالله .

١١١ ـ ﴿وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ أى وقد اتَّبعَكَ الأقلون جاهًا

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ * قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾

حزب ٣٨

ومالاً . أو سِفلةُ الناس أصحابُ الصناعات الدنيئة .

١١٨ - ﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ فاحكم بيني وبينهم حُكمًا من عندك تُهلك به المُبطل ، وتنتقم به ممن كفر بك ، وجَحد توحيدَك وكذّب رسولَك [آية ٨٩ الأعراف ص ٢١٣] .

١١٩ - ﴿فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ المُوقَر المملوء بالناس والدّواب والمتاع .

١٢٨ - ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ - بكسر الرّاء - جمعُ رِيعَةٍ ، وهى المكانُ المرتفع من الأرض . أو الطريقُ أو الوادى أو الجبلُ ؛ استعير الرّيعُ للزيادة والارتفاع . ﴿آيَةً﴾ أى بناءً شامخًا ، كأنه عَلَمٌ . ﴿تَعْبَثُونَ﴾ ببنائها إذ لم تكونوا محتاجين إليها ، وإنما بنيتموها للتّفاخُر بها . وقيل «آيةً» أى بُرْجَ حَمَامٍ ؛ وكانوا يبنُون البروجَ فى كل رِيعٍ للّهو بالحمام . والعَبَثُ : فعلُ ما لا فائدة فيه . وفعلُه من باب طرب .

١٢٩ - ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ وتعملون حياضاً وبِرَكاً تجمعون فيها مياهَ الأمطار كالصهاريج ؛ واحدُه مَصْنُعَةٌ . والمصانعُ أيضاً : المبانى من القصور والحصون .

١٣٢ - ﴿أَمَدَّكُمْ﴾ أنعم عليكم .

١٣٧ - ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ أى ما هذا الذى نحن عليه إلا عادةُ الأوّلين من قبلنا التى

وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ

درجوا عليها ؛ من اعتقاد أنه لا بعثَ بعد الموت ولا حساب . وقُرئ (إلّا خَلْقُ) بمعنى الاختلاق والكذب ، أى ما هذا الذى جئتنا به إلّا اختلاقُ الأوّلين وكذِبُهم .

١٤٨ - ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ الطّلْعُ : اسمٌ من الطلوع وهو الظهور . وأصلُه ثمرُ النّخل فى أول ما يطلع ، وهو بعد التّلقيح يُسَمَّى خَلالاً ثم بَلَحًا ثم بُسْرًا ثم رُطَبًا ثم تمراً . والهَضِيمُ : اليانعُ النّضيج ، أو الرّطبُ الّلينُ ، أو المذنِّبُ ، أو المتهشِّمُ الذى إذا مُسّ تفتّت ، أو الداخلُ بعضُه فى بعض ، وهو وصف للطّلع المراد به الثمر مجازًا لأَوْلِه إليه . والمقصودُ : الامتنانُ عليهم بأجودِ ما يكون عليه ثمر النخل .

١٤٩ - ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ النّحتُ : البَرْىُ . يقال : نَحَتَه نحتاً ، إذا براه . والنُّحاتةُ : البُراية . ﴿فَارِهِينَ﴾ حاذقين بنحتها ؛ من فَرُه - ككرُم - فَرَاهةً وفَراهِيَةً ، أى حَذَق ؛ فهو فارِهٌ بيِّنُ الفُروهة ، وجمعُها فُرَّه . وقُرئ «فرهين» بمعنى «فارهين» . وقيل : بمعنى أشِرين بَطِرين ؛ من فَرِه - كفرِح - أى أشِرَ وبَطِر ؛ فهو فَرِهٌ .

١٥٣ - ﴿إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ أى الذين سُحِرُوا كثيرًا حتى غَلَب على عقولهم السّحرُ .

١٥٥ - ﴿لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ

فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ

يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ أى لها نصيبٌ من الماء ولكم نصيب منه ، ليس لكم أن تشربوا فى يومها ، ولا لها أن تشرب فى يومكم الذى هو نصيبكم . وفيه دليلُ مشروعيّة قسمة المُهايأة فى الماء وغيره .

١٦٦ - ﴿أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ متعدُّون فى الظلم ، متجاوزون ما أحلّه الله لكم إلى ما حرّمه عليكم ؛ جمعُ عادٍ . يقال : عدا فى الأمر يعدو ، جاوز الحدّ وظَلَم .

١٦٨ - ﴿مِنَ الْقَالِينَ﴾ المُبْغِضِين أشدَّ البغض المنكرين فعلَه ؛ جمع قال . يقال : قلَيْته - من باب رَمَى - قِلًى وقِلاءً ، أبغضته . والقِلَى : أبلغُ البُغض ؛ كأنه يَقلى الفؤاد والكَبِد ويشويها .

١٧١ - ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ أى فى الباقين فى العذاب بعد سلامة من خرج ؛ وهى امرأته . وقد هلكت فيمن هلك من قومها لرضاها بمعصيتهم .

١٧٢ - ﴿دَمَّرْنَا الآخَرِينَ﴾ أهلكناهم أشد إهلاكٍ .

١٧٣ - ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ حجارةً من سجّيل [آية ٨٤ الأعراف ص ٢١٢] .

١٧٦ - ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ الأيكةُ : الغَيْضَةُ تنبت السِّدْر والأراك ونحوَهما من ناعم الشجر ؛ كما ذكره الخليل . وهى قُربُ مَدْين ، وأصحابُها قومٌ نزلوا بها ، وأُرسل إليهم شعيبٌ عليه السلام كما أُرسل إلى أهل مَدْين فكذّبوه فأُهلكوا بالظُّلّة [آية ٨٥



عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾
* أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾
وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ
أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُواْ
ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ
ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ
لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن
كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾
فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ
يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُۥ
لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾

الأعراف ص ٢١٣ ، آية ٧٨ الحجر ص ٣٤٠].

١٨١ - ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِيْنَ﴾ النّاقصين لحقوق الناس في الكيل والوزن . يقال : خَسَرَ الشيء - من باب ضَرَب - نقصه . وأخسره مثله .

١٨٢ - ﴿وَلَا تَبْخَسُوا﴾ لا تنقصوا ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ بالميزان السَّوِيّ الذى لا بَخْسَ فيه على من وزنتم له .

١٨٣ - ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ لا تُفسدوا فيها أشدّ الإفساد بالقتل والغارة وقطع الطريق ونحو ذلك ؛ وكانوا يفعلون ذلك [آية ٦٠ البقرة ص ١٧].

١٨٤ - ﴿وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾ الْجِبلةُ : الأُمّةُ من الخلق ، والجماعةُ من الناس ؛ ومنه قوله تعالى : (وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً)(١) . أى واتّقوا الذى خَلَق الخلائقَ والأُمَمَ الماضيةَ الذين كانوا على خِلْقةٍ وطبيعةٍ عظيمةٍ ؛ كأنها الجبالُ قوةً وصلابة ، لا سيّما عادٌ الذين قالوا : (مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً)(٢) . فأخذهم الله أخْذَ عزيزٍ مقتَدِرٍ حين عتَوْا عن أمره وأنتم أضعفُ منهم حالاً ! وأهونُ شيء عليه أن يأخذكم كما أخذهم .وتُطلق الجبلّةُ على الخِلْقة والطبيعة ؛ أى وذوى الجبلّة الأوّلين .

١٨٥ - ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ [آية ١٥٣ من هذه السورة] .

١٨٧ - ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ قِطَعَ عَذَابٍ من السماء ؛ جمعُ كِسْفة وهى القطعة من الشيء . وقرئ «كِسْفاً» بكسر فسكون بمعناه ؛ وهى جمعُ كِسْفة أيضاً .

١٨٩ - ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ وهى سحابةٌ أظلّتهم يوماً فوجدوا لها بَرْداً ونسيماً بعد أن سُلّط عليهم الحرُّ أياماً ؛ فاجتمعوا تحتها فألهبها الله عليهم نارًا ، ورجَفَتْ بهم الأرضُ فاحترقوا جميعا .

١٩٣ - ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ هو رُوحُ القُدُس الأمينُ على الوَحْى : جبريلُ عليه السلام .

١٩٦ - ﴿وَإِنَّهُ لَفِى زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ أى وإنَّ نعْتَ القرآن والإخبار عنه بأنه صدقٌ وحقٌّ ، وأنه من عند الله ، وأنه يَنْزل على محمّد

(١) آية ٦٢ يس . (٢) آية ١٥ فصلت .

عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ

صلى الله عليه وسلم لمثبت في كتب الأنبياء السابقين ؛ جمع زَبُور [آية ١٨٤ آل عمران ص ١٠٣].

١٩٨ – ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ أي ولو نزّلنا القرآنَ على رجلٍ من الأعجمين لا يقدر على التكلّم بالعربية ، ولا يُتصوَّر اتهامُه باكتسابه واختراعه لعجمته – بهذا النظم الرائق المعجز ؛ فقرأه عليهم قراءةً صحيحةً خارقةً للعادة – لكفروا به ، ولتمحّلوا لجحودهم عذرًا ، ولسمّوه سحرًا . جمعُ أعجم ، وهو الذى لا يُفصِح وفى لسانه عُجمة وإن كان عربيَّ النَّسب . أو جمعُ أعجميّ ، إلّا أنه حذف منه ياءُ النَّسب تخفيفاً ؛ كأشعرين جمعُ أشعريّ [آية ١٠٣ النحل ص ٣٥٦] .

٢٠٠ ، ٢٠١ – ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أى على مثل هذه الحال وهذه الصفة من الكفر بالقرآن والتكذيب له ، وضعناه ومكّناه فى قلوب المجرمين . فكيفما فُعل بهم وصُنِع ، وعلى أىّ وجهٍ دُبِّر أمرُهم فلا سبيل إلى أن يتغيّروا عما هم عليه من جحوده وإنكاره . وقوله : ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ..﴾ توضيحٌ لما قبله ؛ أى أنهم لا يزالون على جحوده والتكذيب به ، حتى يعاينوا الوعيد ، وعندئذٍ لا ينفعهم الإيمان به .

٢٠٢ – ﴿فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ فجأةً من غير توقُّع وانتظار .

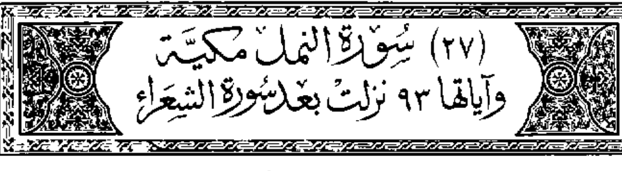
٢٠٣ – ﴿هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ ممهلون لنؤمن ؟ كلاّ .

٢٠٥ – ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ أخبِرْنى ﴿إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ طوالاً ، بطول العُمر وطيب العيش .

٢٠٦ – ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ به من العذاب .

٢٠٧ – ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُمْ﴾ أىْ أىُّ شىءٍ أغنى عنهم ﴿مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾ أىْ تمتُّعهم ذلك التمتعَ

ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ

نصف الحزب

[آية ٤٠ الأنعام ص ١٧٤] .

٢١٠ – ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ كما يزعم المشركون أن لمحمّد صلى الله عليه وسلم تابعًا من الجنّ يخبره كما تُخبَرُ الكهنة . وأن القرآن مما ألقاه إليه .

٢١٣ – ﴿فَلَا تَدْعُ ..﴾ الخطابُ له صلى الله عليه وسلم والمقصودُ أمّته .

٢١٤ – ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ جهرًا . ولما نزلت صَعِد صلى الله عليه وسلم على الصّفَا وأنذرهم كما أُمِر .

٢١٥ – ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ أَلِنْ جانبك وتواضع .

٢١٩ – ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ أى ويرى سبحانه تغيّرك من حالٍ كالجلوس والسجود ، إلى حالٍ كالقيام فيما بين المصلّين إذا أَمَمْتَهُمْ .

٢٢٢ – ﴿أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ كذّابٍ كثيرِ الإثم ؛ كالكهنة والمتنبّئين .

٢٢٤ – ﴿وَالشُّعَرَاءُ﴾ أى شعراءُ الكفار الذين كانوا يهجُون الرسول صلى الله عليه وسلم ويقولون فيه الكذب والباطل . وكذلك من على شاكلتهم من الشعراء الذين يخوضون فى الباطل ويكذبون ويمزّقون الأعراض ، وينشرون المثالِب ويقدَحون فى الأنساب ، ويُفرطون فى المدْح والقَدْح – ﴿يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ أى غواةُ الناس ؛ فيروُون أشعارَهم ويستحسنون قبائحهم ويُحسنون إليهم .

٢٢٥ – ﴿يَهِيمُونَ﴾ يخوضون ويذهبون كل مذهب . والله أعلم .

سُورَةُ النَّمْلِ

١ – ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ ..﴾ بيّن الله أن آيات هذه السورة من القرآن المنزّل والكتاب المبين : هُدًى وبشرى للمؤمنين ؛ وعَطْفُ

ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِٱلْـَٔاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ
ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ
عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا
سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ
تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ
وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ
إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا

الكتاب على القرآن كعطف إحدى الصِّفتيْن على الأخرى . ووَصَف المؤمنين بثلاث صفاتٍ جامعةٍ بين خيرى الدنيا والآخرة ، ثم بيَّن بعدها سوءَ عاقبة الكافرين .

٢ – ﴿هُدًى﴾ هادٍ من الضلالة .

٤ – ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ حبَّبنا إليهم أعمالَهم السيِّئة بما ركَّبنا فيهم من الشَّهوات حتى رأوْها حسنةً وسهَّلنا عليهم وسائلَها ومباديها . ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ أى يَعْمَوْنَ عن الرُّشد ، أو هُمْ فى تِيه الضلال يتردَّدون [آية ١٥ البقرة ص ٧] .

٧ – ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ﴾ اشتملت هذه السّورةُ على خمس قصصٍ : قِصّة موسى ، وقِصّة النمل ، وقصّة بلْقيس[1] ، وقِصّة صالح ، وقِصّة لوط . ثم على خمسةأدلّة : على التوحيد وإبطال الشرك ، ثم على التنديد بمنكرى البَعْث ، ثم على اليوم الآخر وما يصيب المشركين فيه من الهول والعذاب ، ثم على الأمر بعبادة الله وحْدَه . ﴿آنَسْتُ نَارًا﴾ أبصرت من بُعدٍ نارًا . يقال : آنس الشيءَ ، أبصره وعلمه وأحسّ به . ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ بشُعلة نارٍ مقبوسةٍ ؛ أى مأخوذة من أصلها . والشِّهابُ فى الأصل : كلُّ أبيضَ ذى نُور نحو الكوكب والعُود المُوقَد . والقَبَسُ : ما يُقبس من النار فى رأس عود أو قصبة ونحوها ، وهو بدلٌ من (شهاب) ، أو صفةٌ له على تأويله بالمقبوس . وقُرئ بالإضافة وهى بمعنى مِن ؛ كما فى خاتم فضّة . ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ رجاء أن تستدفئوا بها من البرْد . والاصطلاءُ : الدُّنُوّ من النار لتسخين البدن ، وهو الدِّفء ، يقال : اصطلى يصطلى ، إذا استدفأ ، والطاءُ فيه مبدَلةٌ من تاء الافتعال .

٨ – ﴿بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ قُدِّسَ وطُهِّرَ واختير للرّسالة مَنْ فى مكان النار ، وهو موسى عليه السلام ومَن حولَ مكانها ، وهم الملائكة الحاضرون . والمكانُ : هو البُقْعة المباركةُ المذكورةُ فى قوله تعالى : (مِنْ شَاطِىءِ الْوَادِى الْأَيْمَنِ فِى الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ)[2] . وهو تحيّةٌ من الله تعالى لموسى ؛ كما حيّا إبراهيمَ عليهما السلام على ألسنة الملائكة حين دخلوا عليه بقولهم : (رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ)[3] . وأصلُ البَرَكة : ثبوتُ الخير الإلهىّ فى الشىء . والخيرُ هنا : تكليمُ الله موسى وإرسالُه وإظهارُ المعجزات له . والنّارُ : النورُ ؛ كما رُوِىَ عن الحبر رضى الله عنه . ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ نزّه اللهُ نفسه عن كل سوء ونقص ومماثلةٍ للحوادث . وهو من تتمّة النداء ، وخبرٌ منه تعالى لموسى

(١) بلقيس – بكسر الباء والقاف – : ملكة سبأ . (٢) آية ٣٠ القصص . (٣) آية ٧٣ هود .

رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾

بالتّنزيه ؛ لئلا يَتوهّم من سماع كلامه تعالى التشبيه بما للبشر .

١٠ - ﴿تَهتَزُّ﴾ تتحرك بشدة واضطراب . ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ أي كأنها في شدّة حركتها واضطرابها مع عِظَم جُثّتِها : حيّةٌ صغيرةٌ سريعةُ الحركة . وقال الطبريّ : الجَانُّ الحيةُ العظيمة . ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ أي لم يرجع على عَقِبه ؛ من عقّب المقاتلُ : إذا كرَّ بعد الفرار .

١٢ - ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ أي أدخل يدك اليمنى في طوق قميصِك - وهو مَدخل الرأس منه المفتوحُ إلى الصدر - وضعْها تحت عَضدك الأيسر ؛ وكان الذي عليه يومئذ مِدْرَعةٌ من صوف لاكُمَّ لها . ﴿تَخرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ أي داء بَرَص [آية ٢٢ طه ص ٤٠٠] . ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾ أي آيةً معدودةً من جُملة تسع آيات [آية ١٠١ الإسراء ص ٣٧٣] .

١٣ - ﴿جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾ واضحةً بيّنةً . وإسنادُ الإبصار إلى الآيات مجازٌ ، من الإسناد إلى السبب . والمبصرُ حقيقةً هم المتأمّلون فيها ، وهم إنما يُبصرونها بسبب تأمّلهم فيها .

١٤ - ﴿ظُلْمًا﴾ للآيات حيث أنزلوها عن منزلتها الرّفيعةِ وسمَّوْها سحرًا . ﴿وَعُلُوًّا﴾ أي ترفُّعًا واستكبارًا عن الإيمان بها .

١٦ - ﴿عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾ فَهْمَ ما يريده كلُّ طائر إذا صوَّت ؛

وهو إحدى معجزاته عليه السلام .

١٧ - ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي تُحبَس أوائلُهم وتُمنَعُ من السَّير حتى يلحقَهم أواخرُهم ؛ فيكونون مجتمعين لا يتخلّف منهم أحدٌ ، وذلك للكثرة العظيمة ؛ من الوَزْع وهو الكَفُّ والمنع . يقال : وزَعَه عن الظلم وزْعًا - كوَضَعه وَضْعًا - أي كفّه عنه فاتزع ، أي فانكفّ . ومنه قولهم : لابُدّ للناس من وازِع ؛ أي سلطانٍ يكفُّهم . والوازعُ في الحرب : من يدبِّر أمورَ الجيش ، ويردُّ من شَذَّ منهم .

١٨ - ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ أي لا تكونوا حيث أنتم فيحطمنّكم جنودُ سليمانَ ؛ على حدِّ : لا

حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ
ٱدْخُلُواْ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ
أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ
صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩﴾
وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ
ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ
أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ
أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾
إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا
عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ
مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ
ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ
ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا
تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ ۩
* قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾

سجدة
ثلاثة أرباع الحزب

أَرَيْتَكَ ههنا ؛ أى لا تحضر هنا بحيث أراك . والمرادُ الحَطْم : الإهلاكُ ؛ وأصله كسر الشيء . يقال : حَطَمَهُ يَحْطِمُه : كسرَه ؛ فانحطم وتحطّم . وقد علمت النمّلةُ أن الآتى هو سليمانُ بطريق الإلهام ؛ كما علم الضّبُّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين تكلّم معه وشَهدَ له بالرسالة . ونطقت معجزةً له عليه السلام .

١٩ ـ ﴿أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ ألْهِمنى شُكرَ نعمتك بالنّبوّة والمُلْك والعلم ؛ من الوَزْع وهو الكفُّ والمنعُ . أى كفّنى عمّا يؤدّى إلى كفران النّعمة بأن تُلهمني ما به تقييدها من الشكر . أو اجعلني أَزَعُ شكرَ نعمتك ؛ أى أكفُّه وأرتبطُه بحيث لا ينفلتُ عنّى حتى لا أنفكّ شاكرًا لك . وهو مجازٌ عن ملازمة الشكر والمداومةِ عليه . أو رَغّبنى ووفّقنى إلى شكر نعمتك ؛ من أَوْزَعه بالشيء : أغراه ؛ فأُوزِع به فهو مُوزَع أى مغرًى به .

٢١ ـ ﴿بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ بحجة تبيّن عذرَه فى غيابه .

٢٢ ـ ﴿أَحَطْتُ﴾ أى بطريق الإلهام . ﴿مِنْ سَبَإٍ﴾ هو فى الأصل اسمٌ لسَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان . ثم صار اسماً لحَيّ من الناس سُمُّوا باسم أبيهم . أو اسمٌ للقبيلة . أو لمدينة تُعرف بمأْرب باليمن بينها وبين صَنعاءَ مسيرةُ ثلاث ليال . وعلى الأوّل هو اسمٌ مصروفٌ . وعلى الثانى ممنوعٌ من الصَّرف للعَلَمِيَّة والتأنيث .

٢٣ ـ ﴿امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ هى بلْقِيس بنت شراحيل من نسل يَعْرُب بن قَحْطان . وكان أبوها مِلكَ اليَمنِ كلِّها ، وكانوا مجوساً يعبدون الشمس . ﴿وَلَهَا عَرْشٌ

اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ

﴿عَظِيمٌ﴾ هو سريرُ المُلك المشارُ إليه فى قوله تعالى : «أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا» .

٢٥ ـ ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ..﴾ أى وزيّن لهم الشيطانُ أعمالهم لأجل ألّا يسجدوا لِلَّهِ عزّ وجلّ . ﴿يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾ يُظهر الشىءَ المخبوء ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ كائنًا ما كان ؛ من غيث فى السماء ، ونباتٍ فى الأرض ، وأسرارٍ فى الكائنات ، وخواصَّ فى الموجودات ؛ يَهدى إليها من يشاء من عباده ، أفرادًا وأمماً على تعاقب العصور . والخَبْءُ فى الأصل : مصدرُ خَبأتُ الشىء أخبؤه خَبْأً : أى سترته . ثم أُطلق على الشىء المخبوء ؛ كإطلاق الخَلْق على المخلوق فى قوله تعالى : (هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ)[1]

٢٨ ـ ﴿تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ تنحَّ عنهم قليلاً .

٢٩ ـ ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾ المَلأُ : أشرافُ القوم . ﴿كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ مكرَّمٌ معظَّمٌ لكونه مختوماً . وفى الأثر : كرامةُ الكتابِ خَتْمُه . وذكرتْ لهم ما تضمّنه .

٣١ ـ ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ﴾ ألّا تتكبروا علَيَّ .

٣٣ ـ ﴿وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أصحابُ نجدةٍ وشجاعةٍ وبلاء فى الحرب .

٣٤ ـ ﴿إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ أى إذا دخلوها عَنْوةً فى حرب خرّبوها وأتلفوها .

٣٧ ـ ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ أى إلى بلْقيس وقومِهَا بما أَتَيْتَ من الهَديّة . ﴿لَا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ لا قدرةَ لهم على مقابلتها ومقاومتها . وأصلُ القِبَلِ : المقابلةُ ؛ فجُعل مجازًا أوكنايةً عن القدرة . ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ ذليلون بالأسر والاستعباد .

٣٨ ـ ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾ وكان بين سَبأ وبيت المَقْدس ـ حيث مُلك سليمان ـ مسيرةُ شهرين ؛ وقد طلب سليمانُ عليه

(١) آية ١١ لقمان .

قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ

السلام إحضارَ عرشِها ليُريهَا القدرة الإلهيّة ، وبعضَ ما خصّه الله من العجائب ، ويُشهدها دلائلَ النبوّة والصدق . ﴿يأتُونى مُسْلِمِينَ﴾ مستسلمين طائعين . وقد وقع ذلك كما يدلّ عليه قوله تعالى : «وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» .

٣٩ - ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ أى ماردٌ قوىٌّ من الشياطين . وقد سُخّروا لسليمان عليه السلام تسخيرًا إلهيًّا ؛ كما يُسَخَّر الإنسان للإنسان . ويقال للشديد إذا كان فيه خُبث ودهاءٌ : عِفريتٌ وعِفْرٌ وعِفْرِيَةٌ وعُفَارِيَةٌ .

٤٠ - ﴿قَالَ الَّذِى عِنْدَه عِلْمٌ مِنَ الكِتَابِ﴾ هو رجلٌ من صُلحاء بنى إسرائيل ، آتاه الله من لَدُنْهُ علماً : اسمه آصف بن برخيا وكان وزير سليمان عليه السلام . وقيل : هو سليمان نفسُه ، قال ذلك للعفريت ؛ للدلالة على شرف العلم وفضله ، وأنّ هذه الكرامة كانت بسببه . ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ ..﴾ هو تمثيلٌ لسرعة الإتيان به على نحو خارق للعادة فى أقلّ مسافة . ﴿طَرْفُكَ﴾ نظرك . أو جفن عينك بعد فتحه . ﴿لِيَبْلُوَنِى﴾ ليختبرنى ويمتحننى . ﴿أَأَشْكُرُ﴾ نعماءه ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ أترك شكرها .

٤١ - ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ أى قال سليمان ، وقد أُتِىَ له بالعرش : غيّروه عما كان عليه من الهيئة والشّكل ، إلى حالٍ تُنْكِرُه إذا رأته ؛ من التّنكير ضدّ التعريف ، وهو جعل الشىء بحيث لا يُعرف .

٤٢ - ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا ..﴾ هو من كلام سليمان - على الأرجح - ، وآخرهُ : «مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ» ؛ قاله ثناءً على الله تعالى وتحدُّثاً بنعمه . أى أنها وإن هُديت إلى العلم بجلال الله وقدرته ، وصدق الرسالة والمعجزة وإلى الإسلام ؛ لكنّا أوتينا العلمَ مِن قبْل أن تُؤْتَى هى العلم ، وكنّا مسلمين من قبل أن تُسلم . والجملةُ معطوفةٌ على مقدّر ؛ أى فقد أصابت فى الجواب وعرفتِ الحقّ ، وأوتينا العلم من قبلها .

صَـٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَـٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾

٤٤ ـ ﴿ادْخُلِى الصَّرْحَ﴾ أى صَرْحَ القَصْرِ. والصَّرْحُ: الصَّحْنُ وَالسَّاحةُ. يقال: هذه صرحةُ الدَّار؛ أى ساحتُها وعَرْصَتُها. وكان قد صُنِعَ مستوياً أملسَ، واتُّخِذ بلاطُه من زُجاج صافٍ كالبَلُّور، يُرى ما يجرى تحته من الماء. ﴿فَلمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ ظنَّته ماءً غزيرًا كالبحر. ﴿إنّه صَرْحٌ مُمَرَّدٌ﴾ أى مُمَلَّسٌ؛ مِن قولهم: شجرةٌ مرداء، إذا لم يكن عليها وَرق. والتَّمْريدُ فى البناء: التَّمْليسُ والتّسوية؛ ومنه الأَمْرد لمَلَاسة وجهه ونعُومته لعدم وجود الشعر به. ﴿مِنْ قَوارِيرَ﴾ من زجاج لا يحجب ما وراءه؛ جمعُ قارورة.

٤٥ ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ﴾ أى إلى القبيلة، وتسمَّى عادًا الثانية. وأما عادٌ الاولَى فهم قوم هود. وبينهما على ما قيل نحو مائة عام.

٤٧ ـ ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ﴾ أى قال الكافرون من قومه لجهلهم: أصابنا الشؤم والنَّحسُ بك ﴿وَبِمَنْ مَعَكَ﴾ فى دينك؛ حيث توالت علينا الشدائد منذ جئْتَ بما جئتَ به. وكان العربُ أكثرَ النّاس طِيَرةً؛ فإذا أراد أحدهم سفرًا مثلاً زَجر طائرًا فإذا طارَ يَمنةً تيامن، وإذا طار يَسرةً تشاءم؛ فنسبوا الخير والشّر إلى الطائر، واستُعير لمَا كان سبباً لها؛ وهو قَدَرُ الله أو عملُ العبد الذى هو سبب الرحمة أو النِّقمة. وفى القُرْطبىّ: ولا شىء أضرُّ بالرأى، ولا أفسدُ للتدبير من اعتقاد الطِّيَرة؛ ومَن ظنَّ أن خُوارَ بقرةٍ، أو نَعيبَ غُراب يردُّ قضاءً أو يدفع مقدورًا فقد جَهِل. فلما قالوا ذلك ﴿قَالَ﴾ لهم صالح ﴿طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللهِ﴾ أى سببُ ما يصيبكم من الشّر قَدَرُ الله. أو عملكم السّيِّئُ مكتوبٌ عليكم عنده تعالى. ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ تُختبَرون بتعاقب السَّراء والضَّراء؛ لتتنبَّهُوا إلى أن ما ينالكم من حسَنة فبفضل الله، وما يصيبكم من سيئة فبشؤم أعمالكم. أو يَفْتِنكم الشّيطانُ بوسوسته إليكم الطِّيَرةَ.

٤٨ ـ ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ وهى الحِجْر. ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ تسعة أشخاص من رؤسائهم؛ وهم الذين سَعَوْا فى عَقْر الناقة [آية ٩٢ هود ص ٢٩٨].

٤٩ ـ ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللهِ﴾ أى قال بعضُهم لبعض: احلفوا بالله ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ لنأتينّه بغتةً فى اللّيل فنقتله هو ومن آمن معه؛ من البَياتِ وهو مباغتةُ العدوّ ليلاً. يقال: بيَّت القومُ العدوَّ، إذا أوقعوا به ليلاً. ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ ما حضرنا هلاكَهم، أى وهَلاكه؛ مصدرٌ كمَرْجِع، من هَلَك الثُّلاثى. وقُرِئَ بضم الميم وفتح اللّام؛ أى إهلاكهم وإهلاكه، من أهلك الرُّباعى.

٥٠ ـ ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ دبَّرنا لصالح ومَن آمن معه تدبيرًا محمودًا. وهو نجاتهم ومجازاةُ

فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟
يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ
تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ
ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ * فَمَا كَانَ جَوَابَ
قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ
أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ
قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ
مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ
ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا
بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ
أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ

المتآمرين عليهم من قومهم ؛ بالإهلاك والتّدمير على غِرّة وغفْلة .

٥١ - ﴿دَمَّرْنَاهُمْ﴾ أهْلَكْنَاهُمْ .

٥٢ - ﴿خَاوِيَةً﴾ خالية خربة أو ساقطة مهدمة .

٥٤ - ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ لا تبالون إظهارها مجانة .

٥٦ - ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ﴾ أى لوطاً وأهلَه ؛ كما يراد من بنى آدمَ : آدمُ وبنوه . أو المرادُ بآل لوط : مَن اتّبع دينَه ، ويُعلم منه إخراجه بالأولى . ﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾ يتنزّهون ويتباعدون عن أفعالنا . قال ذلك على سبيل الاستهزاء .

٥٧ - ﴿قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ قدّرنا كوْنَها من الباقين فى العذاب [آية ٨٣ الأعراف ص ٢١٢] .

٥٨ - ﴿مَطَرًا﴾ حجارة من السماء مهلكة .

٥٩ - ﴿آللهُ خَيْرٌ﴾ الألفُ مُنقلبةٌ عن همزة الاستفهام ؛ أى آللهُ الذى ذُكرت شئونه العظيمةُ خيرٌ ، أم الذى يُشركونه به من الأصنام !؟ أو أعبادةُ الله خير أم عبادة ما يشركونه ؟

٦٠ - ﴿أَمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ..﴾ فى هذه الآية والآياتِ الأربع التالية خمسةُ أدلّة على انفراده تعالى بالخلق والإيجاد ، والتّصرف والتدبير ؛ فلا إله غيرُه ، ولا يستحقّ العبادة سواه . وقد عقّب كلَّ دليل بقوله : «أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ» ! أى أغيرُه يُقرَن به سبحانه ! ويُجعل شريكاً له فى العبادة ، مع تفرّده تعالى بالخلق والتكوين ؟! والإنكارُ للتوبيخ والتّبْكيت . ﴿حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ بساتين ذاتَ مَنْظَرٍ حَسَن ، ورونق يسرّ الناظرين . جمعُ حديقة . وهى فى الأصل البستانُ الذى عليه حائط ، من أحدق بالشىء : إذا أحاط به . فإن لم يكن مَحُوطاً فليس بحديقة ؛ ثم تُوُسّع فيها فاستُعملت فى كل بستان وإن لم يكن مَحُوطًا بحائط . ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ أى يعدلون عمدًا عن الحقّ الواضح وهو التوحيد ،

ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ

إلى الباطل البيّن وهو الشّرك ؛ من العدول بمعنى الانحراف . أو يساوون بالله تعالى غيرَه من آلهتهم ؛ من العدل بمعنى المساواة .

٦١ ـ ﴿الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ مستقرًّا بالدَّحْو والتسوية . ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ جبالاً ثوابتَ تُمسكها من التحرّك والاضطراب . ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ بَرْزَخًا فاصلاً من الأرض بين العَذْب والمِلْح ، حتى لا يَبْغى أحدُهما على الآخر .

٦٣ ـ ﴿يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا﴾ مُبَشِّراتٍ بالغَيْث [آية ٥٧ الأعراف ص ٢٠٩] . ﴿رَحْمَتِهِ﴾ المطر الذى به تحيا الأرض .

٦٤ ـ ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ حجّتَكم على أن معه تعالى إلٰهاً آخَرَ ، أو أن صانعاً يصنع صُنعه .

٦٥ ـ ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ..﴾ سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة وألحُّوا عليه فى السؤال ، فنزلت الآية . أى لا يعلم أحدٌ ممن فى السموات والأرض الغيبَ إلا اللهُ ، أى لكن اللهُ وحده يعلمه ، فما لكم تطلبون منى علم الغيب !

٦٦ ـ ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ التَّدارُكُ : الاضمحلالُ والفَناء . وأصلُه التتابُع والتَّلاحُق . يقال : تدارك بنو فلان ، إذا تتابعوا فى الهلاك . و« فِي » بمعنى الباء ؛ أى بل تتابع علمهم فى شئون الآخرة التى منها البعث ، حتى اضمحلّ وفنىَ ، ولم يبق لهم علمٌ بشىء مما سيكون فيها قطعاً ؛ مع توافر أسبابه ومباديه من الدلائل . والمرادُ : أن أسبابَ عِلْمِهم بها مع توافرها قد تساقطت عن درجة اعتبارهم ؛ فأُجرِىَ ذلك مُجرَى تتابعها فى الانقطاع . ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾ أى بل هم فى شكٍّ عظيم من نفس الآخرة وتحققها ، فضلاً

كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ * وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾

ربع الحزب

عما سيقع فيها . ﴿بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ عُمْىٌ عن دلائلها ، أو عن كل ما يوصّل إلى الحق ومنها هذه الدلائل .

٦٧ - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وهم منكرو البعث .

٦٨ - ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أباطيلهم التى سطّروها فى كتبهم .

٧٠ - ﴿فِى ضَيْقٍ﴾ حَرَجٍ وضيق صَدْر .

٧٢ - ﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ﴾ الرِّدْفُ : ما تَبِعَ الشىءَ ولَحِقه . يقال : رَدِفتُ فلانًا ورَدِفْتُ له ، أى صِرت له رِدْفًا ؛ يتعدّى بنفسه وباللّام ، كما فى نَصَحه ونَصَح له ، وشكَره وشكَرَ له . أى عسى أن يكون لَحِقكم ووصَل إليكم بعضُ العذاب الذى تستعجلون حلولَه .

٧٤ - ﴿مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ ما تخفى وتستر من الأسرار .

٧٥ - ﴿غَائِبَةٍ﴾ شئٌ يغيب ويخفى عن الخلق .

٨٢ - ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أى دنا وقوعُ ما نطقت به الآياتُ الكريمةُ من مجىء السّاعة وأهوالها . ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ﴾ فى آخر الزمان ، وهى من أشراط الساعة الكبرى . والله أعلم بحقيقتها . والدّابّةُ لغةً : اسمٌ لما دَبَّ من الحيوانِ ، مُمَيَّزةً وغيرِ مُمَيَّزةٍ . ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ تخبرهم ﴿أَنَّ النَّاسَ﴾ المنكرين للبعث ﴿كَانُوا بِآيَاتِنَا﴾ أى بالآيات المنزَّلةِ من عند الله بمجىء الساعة لا محالةَ ﴿لَا يُوقِنُونَ﴾ بصدقها ؛ وها هى ذى قد أصبحت بأهوالها منهم قابَ قوسَيْن أو أدْنَى .

٨٣ - ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ بيانٌ لطَرف من أهوال يوم

وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

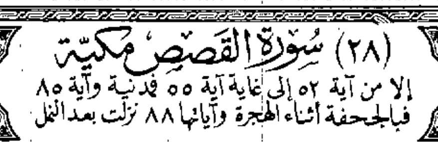
القيامة . أى واذكر يومَ نجمعُ من كل أمةٍ جماعةً كثيرةً مكذِّبةً بآياتنا ، وهم الرؤساء والقادة . وأصلُ الفَوْج : الجماعةُ المارّة بسرعةٍ ، ثم أُطلق على كل جماعةٍ وإن لم يكن مرورٌ ولا إسراعٌ ؛ وجمعُه أفواج . ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [آية ١٧ من هذه السورة] .

٨٧ - ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ واذكر هذا اليومَ العظيمَ الشأن . والصُّورُ : القَرْن الذى يُنفخ فيه نفخةَ الصَّعْق والبَعْث ؛ قال تعالى : (ونُفِخَ فِى الصُّور فَصَعِقَ مَنْ فِى السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِى الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَاهُمْ قِيَامٌ يَنْظُرونَ)[1] . ونحن نؤمن بالصُّور ونفوِّض علمَ حقيقته إلى علاَّم الغيوب . والمرادُ هنا : النّفخةُ الثانية . والفزعُ الحاصلُ فيها : هو الرُّعبُ الذى يصيب الناسَ من مشاهدة الأمور الهائلة فى ذلك اليوم . ﴿فَفَزِعَ﴾ خاف خوفًا يستتبع الموت . ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ أذلّاء صاغرين . يقال : دَخَرَ الشخصُ - كمَنَع وفَرِحَ - دَخَرًا ودُخُورًا ، صغُر وذلَّ . وأدخرته بالهمز للتّعدية . والدَّاخِرُ : الصاغِرُ الرّاغم .

٨٨ - ﴿مَرَّ السَّحَابِ﴾ أى تمرّ فى الجوّ مَرّ السحب التى تسيّرها الرياحُ سيرًا حثيثًا .

٩٠ - ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى النَّارِ﴾ أُلْقُوا بسبب شِرْكهم فى النّار على وجوههم منكوسين .

(١) آية ٦٨ الزمر .



(٢٨) سورة القصص مكية
إلا من آية ٥٢ إلى غاية آية ٥٥ فمدنية وآية ٨٥ فبالجحفة أثناء الهجرة وآياتها ٨٨ نزلت بعد النمل

بسم الله الرحمن الرحيم

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ

يقال : كبّه وأكبّه ، إذا نكسه وقلبه على وجهه . وكُبْكِبُوا : إذا فُعل ذلك بهم مرّةً بعد أخرى ؛ قال تعالى : (فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ)[1] والله أعلم .

سُورةُ القَصَص
وتُسمَّى سورةَ موسَى

٤ - ﴿عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ استكبر وتجبّر فى أرض مصرَ ، وجاوز الحدّ فى العُدوان حتى ادّعى الرُّبُوبيّة ؛ من العُلُوِّ وهو الارتفاعُ . ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ أى فِرَقًا وأصنافًا فى أنواع الخدْمة والتسخير فى الأعمال الشاقّة [آية ٦٥ الأنعام ص ١٧٨] . ﴿وَيَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ﴾ يستبقى بناتهم للخَدمة .

٦ - ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ نُسَلِّطَهُمْ عليها يتصرّفون فيها كيف شاءوا . وأصلُ التمكين : أن تجعل للشىء مكانًا يتمكَّن فيه ، ثم استُعير للتسليطِ وإطلاق الأمر ، وشاع حتى صار حقيقةً لغويّةً فيه . ﴿يَحْذَرُونَ﴾ يخافون من ذهاب مُلكهم وهلاكِهم على يد مولودٍ من بنى إسرائيل ؛ من الحَذَر وهو الاحتراز من الأمر المُخيف . يقال : حَذِره - من باب عَلِم - إذا احترز منه .

٧ - ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾ أى ألهمناها ؛ ولم تكن نبيّة بالإجماع .

٨ - ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ ليصير الأمر إلى ذلك ؛ فاللّامُ لامُ الصَّيرورة والعاقبة . والحزنُ - بالتّحريك وبضم فسكون - : نقيض السرور ؛ وفعلُه كفرِحَ . وحَزَنه الأمرُ وأحزنه : جعله حزينًا . ﴿كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ مذنبين آثمين .

٩ - ﴿قُرَّةُ عَيْنٍ﴾ أى هو قرّةُ عَيْن ﴿لِي وَلَكَ﴾ ؛ وهو كنايةٌ عن السرور به [آية ٢٦ مريم ص ٣٩٢] .

(١) آية ٩٤ الشعراء .

فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ
أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ
مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ
قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ
قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾
۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ
عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾
فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ
وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ
أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا
فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ
عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ
عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ
ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ
نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾



١٠ - ﴿فَارِغًا﴾ خاليًا من التَّفكُّرِ فى شىء سوى ابنِها موسى الذى وقع فى يد العدوِّ . ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِ﴾ أى لَتصرِّحُ بأنه ابنُها من شدّة وجْدها عليه ؛ من بَدَا يبدُو بَدْوًا وبَداءً : ظهر ظهورًا بيِّنًا . ﴿لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ ثبّتناه وقوّيناه بإلهامها الصبرَ . وبما أنزلنا فيه من السكينة . وأصلُ الرَّبط : الشدُّ للتقوية ؛ ومنه رابطُ الجأش ؛ لقوىّ القلب .

١١ - ﴿قُصِّيهِ﴾ اتَّبِعِى أثرَه وتتبَّعِى خبَره . يقال : قصَّ أثَرَهُ يقصُّه واقتصّه وتقصّصه : تتبَّعه ؛ ومنه القَصَصُ للأخبار المتتبَّعة . ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ﴾ فأبصرته عن بُعْد أو من مكانٍ بعيدٍ .

١٢ - ﴿يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ يقومون بتربيته لأجلكم .

١٣ - ﴿تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ تسر وتفرح بولدها .

١٤ - ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ نهايةَ قوّته ونموِّه ﴿وَاسْتَوَى﴾ أى وتَمَّ استحكامُه وكمُلَ عقلُه ؛ من الاستواء . وهو اعتدالُ العقل وكمالُه . والأغلبُ أن يكون ذلك فى سن الأربعين . ﴿حُكْمًا﴾ نُبُوَّةً .

١٥ ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ﴾ هى مصرُ . أو مَنْفُ . أو عَيْنُ شَمْس من بلاد القطر المصرى . ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى ..﴾ ضربه بيده مضمومةً أصابعُها فى صدره وهو لا يريد قتْله . وإنما قصد دفعَه فكانت فيه نفْسُه . والوَكْزُ : الضَّربُ بجُمْعِ الكَفّ .

١٧- ﴿ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾ مُعينًا لمن أوقع غيره فى جُرم .

١٨ - ﴿يَتَرَقَّبُ ..﴾ بترصّد

قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾

الأخبارَ هل وقفُوا على ما كان منه . يقال : ترقّبه وارتقبه : انتظره ورصَده . ﴿يَسْتَصْرِخُهُ﴾ يستغيث به من قبطيّ آخر بصوت مرتفع ؛ من الصُّراخ وهو رفع الصّوت ؛ لأن المستغيث يصرخ رافعًا صوتَه فى طلب الغَوْث . ﴿لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ ضالٌّ بيِّن الضلالة لتسبُّبك فى قتل رجل .

١٩ - ﴿يَبْطِشَ﴾ يأخذ بقوة وعنف . ﴿قَالَ يَا مُوسَى﴾ القائل هو الإسرائيليُّ الذى استصرخ موسى حيث توهَّم إرادتَه البطشَ به دون القبطيّ من قول موسى له : (إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ) وقيل : القائلُ هو القبطيّ حيث فَهِمَ من قول موسى للإسرائيلى : (إنّكَ لَغَوِيٌّ) أنه هو الذى قتل القبطيَّ بالأمس .

٢٠ - ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ..﴾ هو مؤمن آلِ فرعون ﴿يَسْعَىٰ﴾ يسرع فى المشى . ﴿إِنَّ الْمَلَأَ﴾ وجوه القوم وكبراءهم . ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ يأمر بعضُهم بعضًا بقتلك . أو يتشاورون فى شأنك ليقتلوك ؛ وسُمّيَ التَّشَاوُرُ ائتمارًا لأن كلاًّ من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر .

٢٢ - ﴿تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾ قَصَد ما يُحاذِى جهتَها . و(تلقاء) اسمُ مصدرٍ فى الأصل منصوبٌ على الظَّرفيّة . يقال : دارُه تلقاءَ دارِ فلان ، إذا كانت محاذيةً لها . و(مدين) : قريةُ شعيب عليه السلام ، ولم تكن فى سلطان فرعون ومُلكه . وبينها وبين مصر مسيرةُ ثمانِى ليالٍ . ﴿سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ الطريق الوسط الذى فيه النجاة .

٢٣ - ﴿أُمَّةً مِنَ النَّاسِ﴾ جماعة كثيرة منهم . ﴿يَسْقُونَ﴾ مواشيَهم . ﴿تَذُودَانِ﴾ تطردان أغنامَهما عن الماء ؛ حتى يفرغ الناسُ وتخلولهما البئر ؛ من الذَّوْد بمعنى الطَّرد والدّفع . ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ ما شأنُكما لا تسقيان مع الناس ؟! والخَطْبُ : الأمرُ العظيم الذى يكثُرُ فيه التخاطب . ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ أى حتى يَصرف الرُّعاةُ مواشيَهم بعدرِيّها عن الماء عجزًا

فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ
إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى
ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ
لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ
نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ
ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾
قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن
تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ
أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ
قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾
* فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن
جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا ۖ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا
لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ
تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ
فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ
رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا



عن مساجلتهم ؛ مِن أصدر الرِّباعى . وقُرِئ بفتح أوله ؛ من صَدَر الثُّلاثي . والصَّدَرُ عن الشيء : الرجوعُ والانصراف عنه ؛ ضد الورود . يقال : صَدَرَ عنه يَصْدِرُ ويَصْدُر صدْرًا ، رجع . والاسم بالتحريك . والرِّعاءُ : جمعُ الرَّعى وهو الحفظ .

٢٥ - ﴿تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ مع استحياءٍ ، قد سترتْ وجهَها بثوبها . والاستحياءُ والحياءُ : الحِشمةُ والانقباضُ والانزواء . يقال : استحيَيْته واستحيَيْت منه . واستحياه واستحيا منه .

٢٧ - ﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي﴾ نفسك ﴿ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾ أى فى ثمانِي سنين . أى على أنْ تكون لى فيها أجيرًا ؛ من أجرته أى كنت له أجيرًا ؛ مثلُ أبَوْته : أى كنت له أبًا . أو على أن تثيبَنى رَعْىَ ثمانى حِجَج ؛ أى تجعله ثوابى وأجرى على الإنكاح . يعنى بذلك المهرَ ؛ من أجره الله على ما فعل ، أى أثابه ، والمفعول الثانى (ثَمَانِيَ حِجَجٍ) بتقدير المضاف المذكور ؛ لأن العملَ هو الذى وقعَ ثوابًا لا نفسَ الزمان .

٢٩ - ﴿آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّور نَارًا﴾ أبصرها وأحسّها من الجهة التى تلى جبل الطُّور ؛ وقد ظنّها نارًا وهى من نور الله ؛ من الإيناس وهو الإبصارُ بالعْين الذى لا شُبهةَ فيه . ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ أى عودٍ من الخشب فى رأسه نارٌ . وهى القَبَس . ﴿تَصْطَلُونَ﴾ تستدفئون بها من البَرْد [آية ٧ النمل ص ٤٨٠] .

٣٠ - ﴿مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ

جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ
إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ
بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ
فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟
قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا
فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى
لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن
يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا
سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا
ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ
قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ
مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ
ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم
مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى
صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ
ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ

الْأَيْمَنِ ﴾ جانبه الذى عن يمين موسى ، وجمعه شُطآنٌ . ﴿ فِى الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ ﴾ البُقْعَةُ : القطعة من الأرض على غير هيئة التى إلى جانبها ، وجمعها بُقَع وبِقَاع . ووُصِفت بـ(المباركة) لما وقع فيها من التّكليم والرّسالة . وظهر فيها من الآيات والمعجزات . ﴿ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴾ أى من ناحيتها .

٣١ - ﴿ تَهْتَزُّ ﴾ تتحرك بشدة واضطراب . ﴿ كَأَنَّهَا جَانٌّ ﴾ حيّةٌ فى سرعة حركتها وخفّتها . ﴿ وَلَّى مُدْبِرًا ﴾ هاربًا خوفًا منها . ﴿ وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ لم يرجع على عَقِبه [آية ١٠ النمل ص ٤٨١] .

٣٢ - ﴿ اسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ ﴾ [آية ١٢ النمل ص ٤٨١] ﴿ بَيْضَاءَ ﴾ لها شعاع يغلب شعاع الشمس . ﴿ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ غير داء برص ونحوه . ﴿ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ﴾ أى إذا هالك أمرُ يدك وما تراه من شُعاعها فأدخلها فى جيبك تعُدْ إلى حالتها الأولى . أو إذا فَزِعْتَ عند معاينة الحيّة فاضمم يدك إلى صدرك يذهبْ عنك الفزع . والجَناحُ : اليدُ . والرَّهْب - بفتح فسكون ، وقرئ بفتحتين وبضم فسكون - : الخوفُ والفزع .

٣٤ - ﴿ رِدْءًا ﴾ عونًا . يقال : ردأته على عدوّه وأَرْدَأْته ، أعنته عليه . وردَأْتُ الحائطَ : دعَمْته بخشبة لئلا يسقط .

٣٥ - ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ سنقوّيك به ونُعينك . وشَدُّ العَضُد كنايةٌ عن تقويته ؛ لأن اليَد تشتدّ بشدة العَضُد - وهو من المِرفق إلى الكَتِف - والجملةُ تقوَى بشدّة اليد

ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم

على مزوالة الأمور ﴿سُلْطَانًا﴾ حجة أو تسلطًا وغلبة .

٣٦ - ﴿سِحْرٌ مُفْتَرًى﴾ مختلَقٌ . أو سحر تعلّمته ثم افتريته على الله تعالى كذبًا .

٣٧ - ﴿عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ أى عاقبةُ الدنيا وهى الجنة .

٣٨ - ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرِى﴾ أراد بنفى علمه بإلٰه غيره نفىَ وجودِه ؛ لزعمه أنه لو كان موجودًا لعَلِمَهُ ، وهو لم يعلمْه فكان غير موجود . ﴿فَاجْعَلْ لِى صَرْحًا﴾ بناءً عاليًا كالقصْر ؛ من صَرَحَ الشيءَ وصرَّحَهُ : إذا بيّنه وأظهره . ﴿لَعَلِّى أَطَّلِعُ إِلَى إِلٰهِ مُوسَى﴾ أراد به التّهكم بموسى ؛ كأنه نسب إليه القولَ بأن إلٰهه فى السماء فقال لوزيره : ابْنِ لى صرحًا أَصعَد فيه لعلّى أراه ؛ تهكمًا بموسى . ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ فى إثباته إلٰهًا غيرى . وأراد بالظن اليقين ؛ فلا يُنافى ما ادعاه أوّلاً من اليقين بعدم وجود إلٰه غيره . وكذا طلبُه بناءَ الصَّرح رجاءَ الأطّلاع على إلٰه موسى : لا ينافى يقينه بعدم وجوده ؛ لأنه على سبيل التهكُّم والسُّخرية .

٤٠ - ﴿فَنَبَذْنَاهُمْ فِى الْيَمِّ﴾ ألقيناهم وأغرقناهم فى البحر .

٤١ - ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً﴾ قُدْوَةً فى الضلال والكفر ، يتبعهم غيرُهم فيه ؛ فيكون عليهم وزرُهم ووِزْرُ أتباعهم .

٤٢ - ﴿لَعْنَةً﴾ طردًا وإبعادًا عن الرحمة . ﴿مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ المطرودين المبعَدين ؛ جمعُ مقبوح . قبحَه الله ، أى نحّاه وأبعده عن كل خير . أو من المشوَّهين فى الْخِلقة بسواد الوجوه وزرقة العيون .

٤٣ - ﴿الْقُرُونَ الْأُولَىٰ﴾ الأمم الماضية المكذّبة . ﴿بَصَائِرَ لِلنَّاسِ﴾ أنوارًا لقلوبهم تبصر بها الحقائق .

٤٤ - ﴿قَضَيْنَا﴾ عَهِدْنَا .

٤٥ - ﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِى أَهْلِ مَدْيَنَ ..﴾ أى وما كنتَ مقيمًا فى أهل مدينَ وقتَ تلاوتك على أهل مكّة قِصَّة موسى وشعيب ؛ حتى تنقلَها إليهم بطريق المشاهدة ، وإنما أتتك بطريق الوَحْى ،

مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِيَ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾

حزب ٤٠

فإخبارُك بها إنما هو عن وَحْيٍ إلهيٍّ ، ورسالة ربّانيّة . والضّميرُ في قوله : «تَتْلُو عَلَيْهِمْ» لأهل مكة . والجملةُ حاليّةٌ .

٤٦ ـ ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا ...﴾ أي لتنذرهم العقابَ الذي أتاهم من نذير قبلك ؛ أي على لسانه وبواسطته . و (ما) اسمٌ موصولٌ مفعولٌ ثانٍ (لِتُنْذِرَ) . و (مِنْ نَذِيرٍ) متعلّقٌ بـ (أتَاهُمْ) . وهذا القولُ في تفسير الآية جارٍ على ظواهر القرآن ؛ قال تعالى : (وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ)(١) ، (أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ)(٢) . وقيل : القومُ هم العربُ المعاصِرون له صلى الله عليه وسلم ؛ إذ لا يُتصوّر إنذارُه لمن سلفهم . و (ما) نافية ؛ أي لم يأتهم نذيرٌ قبلك . فإذا قيل : إنهم قد أتاهم نذير لأنهم من ذرّية إسماعيل وقد بُعث إلى العرب وذراريهم لعدم انقطاع رسالته بموته ؛ فيجب عليهم العملُ بها إلى أن يُبعث إليهم رسولٌ آخر . يقال : إنّ المُرادَ من عدم إتيان نذير إليهم أنه لم تأتهم ولم تصلْ إليهم دعوةُ رسول قبْلَه على حقيقتها . ولاشكّ أن أحكام رسالة إسماعيل قد اندرستْ ؛ لتطاوُل الأمَد بين بعثته وبعثة نبيِّنا صلى الله عليه وسلم ، ولم يقف الأكثرون في أغلب هذه الأوقات المتطاولة على حقيقتها ؛ فجعِل ذلك بمنزلة عدم إتيان النذير لهؤلاء المعاصرين . ولا يُحملُ لفظُ القوم على العرب عامّةً ، لا مع إبقاء عدم الإتيان على ظاهره لمنافاته لقوله : (وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) وقد أرسل إليهم إسماعيل ، ولا مع تأويله بما ذُكر للقطع ببلوغ دعوةِ إسماعيل إلى العرب بعده في الجملة وفي بعض الأزمنة .

٤٧ ـ ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ ...﴾ (لَوْلَا) الأولى : امتناعيّةٌ ، تدلّ على امتناع الجواب لوجود الشّرط ، وجوابُها محذوفٌ تقديره : لَما أرسلناك إليهم رسولا . و (لولا) الثانيةُ : تحضيضيّةٌ ، وجوابُها قولُه (فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ) . وحاصلُ معنى الآية : أنه أرسل رسولَه إليهم ليُبطلَ تعلّلهم عند حلول العذاب بهم بسبب كفرهم بقولهم : (لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) ؛ وهو كقوله تعالى : (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً)(٣) . ومعناها التركيبي : لولا إصابةُ المصيبةِ لهم بما اكتسبوا من الكفر المسبَّبُ عنها قولُهم المذكورُ لما أرسلناك إليهم رسولا . فجُعلت الإصابةُ سببًا للإرسال ؛

(١) آية ٢٤ فاطر . (٢) آية ١٩ المائدة . (٣) آية ١٥ الإسراء .

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ

باعتبار ترتب القولِ المذكورِ عليها ، ولذا أُدخلت عليها (لولا) ، وعُطف القولُ عليها بالفاء المفيدة للسببيّة .

٤٨ - ﴿قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾ أى قال كفّارُ مكّة : ما أُوتى موسى ومحمد سحران تعاونا بتصديق كلّ منهما الآخر ، وإنّا بكل واحد من الكتابين كافرون . وقُرِئ « ساحران » أى موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام .

٥١ - ﴿وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ أنزلنا عليهم القرآنَ إنزالاً متواصلاً متتابعًا ؛ ليكون ذلك أقربَ إلى التّذكّرِ والتّذكير ، فإنهم يَطّلعون كلَّ يوم على جديد . أو جعلناه متتابعًا فى الأنواع : وعدًا ووعيدًا ، وقَصصًا ومواعظَ ، ونصائحَ وأحكامًا ؛ إرادة أن يتّعظوا فيتعلّموا . وأصلُه من التوصيل ، وهو ضمُّ قِطع الحبل بعضها إلى بعض .

٥٢ - ﴿هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ المرادُ بهم مؤمنو أهل الكتاب .

٥٤ - ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ أى يدفعون السيئةَ والأذى من الكفار بالاحتمال والصّفح والحِلم ؛ من الدَّرْء وهو الدفع .

٥٥ - ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ﴾ أى السبَّ والشّتم من الكفار ﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ تكرُّمًا وتنزُّهًا . واللّغْو فى الأصل : السّقَطُ وما لا يُعتدّ به من كلام وغيره ؛ كاللغا واللّغْوَى . ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ سلمتم منا لا نعارضكم بالشتم .

٥٦ - ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ..﴾ نزلت فى حِرْصه صلى الله عليه وسلم على إيمان عَمّه أبى طالب .

٥٧ - ﴿وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى ..﴾ أى قال أهلُ مكّةَ للرسول صلى الله عليه وسلم : إننا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العربَ أن يتخطّفونا من أرضنا ويخرجونا من بلادنا . ﴿نُتَخَطَّفْ﴾ ننتزع بسرعة . والتّخَطُّفُ : الانتزاعُ بسرعة . ومرادُهم : التّعَلُّلُ فى عدم اتّباع الرسول بالخوف من اجتماع العرب على حرْبهم ، ولا طاقةَ لهم بهم ؛ فردّ الله عليهم بقوله : ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾ يأمنون فيه على أنفسهم وأموالهم . ﴿يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ يُحمل إليه ويُجمع فيه من كلِّ جهة ثمراتُ أشياءَ كثيرةٍ . يقال : جبَى الماء فى الحوض ، جَمَعه فيه . والاستفهامُ للتقرير ؛ والمقصودُ أنّا فعلنا ذلك معهم وهم مشركون ،

بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ

فكيف نعرِّضهم للتّخطف إذا آمنوا ؟

٥٨ - ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾ كثيرًا أهلكنا . ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ كفرت نِعمَة معيشتِها الرّافهةِ الآمنةِ ، فلم تقم بحقّ شكرها . أو تمرّدت وطَغت فى معيشتها ؛ وهو تهديد لكفار مكة . والبَطَرُ : الأشَرُ وقلّةُ احتمالِ النّعمة والطغيانُ بها . وفعله كفرِح .

٥٩ - ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى﴾ بيانٌ للسُّنّة الإلٰهية ، وأنه تعالى قد مضت سنّتُهُ ألّا يعذِّب قومًا قبلَ الإنذار إليهم ؛ إلزامًا للحجة ، وقطعًا للمعذرة ، حتى لا يقولوا : (لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ) ؛ وهو كقوله تعالى : (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً)[1] .

٦١ - ﴿مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ المشهَدين عذابَ اللهِ وأليمَ عقابه ؛ جمعُ مُحْضَر ، اسمُ مفعول من أحضره ، وأغلبُ ما يُستعمل الإحضارُ فى العذاب .

٦٣ - ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ ثبت عليهم مقتضاه وتحقّق ؛ وهو قولُه تعالى : (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)[2] ، ونحوُه من آيات الوعيد . والقائلون هم الشياطين ، أو رؤساءُ الكفر الذين اتخذهم اتباعُهم شركاءَ لله ؛ بأن أطاعوهم فى كل أمر . ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ أغْويناهم بطريق الوسوسة والتسويل ، لا بالإكراه والإلجاء ؛ فغَوُوا باختيارهم غيًّا مثلَ غيِّنا باختيارنا ؛ فنحن وهم فى ذلك سواء .

٦٤ - ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ أى لو أَنهم كانوا يهتدون لوجهٍ من وجوه الحِيَل ، يدفعون به العذاب عنهم لدفعوه به . أو لو أنهم كانوا فى الدنيا مهتدين لما رأوا العذاب .

٦٦ - ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ﴾ خفيت واشتبهت عليهم الحجج .

٦٨ - ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ تجهيلٌ للمشركين فى اختيارهم

(١) آية ١٥ الإسراء . (٢) آية ١١٩ هود ، ١٣ السجدة .

صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ * إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾



الشركاءَ واصطفائِهم إيّاهم آلهةً وشُفَعاء ؛ أى وربُّك يخلق ما يشاء خلْقَه ﴿وَيَخْتَارُ﴾ أى وهو سبحانه يصطفى ما يشاء اصطفاءه ؛ فيصطفى مما يخلقه شُفَعاءَ ويختارهم للشفاعة ، ويفضِّل بعض مخلوقاته على بعض بما يشاء . ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ أى ما استقام لهؤلاء المشركين أن يصطفُوا ما شاءوا ، ويفضِّلوا بعضَ مخلوقاتِه على بعض ! فيجعلوا منها شفعاءَ وشركاءَ لله ! فليس لهم إلّا اتّباعُ اصطفائه تعالى ؛ وهو سبحانه لم يصطف شركاءهم الذين اصطفوهم للعبادة والشفاعة على الوجه الذى اصطفوْهم عليه . والخِيَرَةُ : الاختيارُ . وجملةُ (مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ) مؤكِّدةٌ لما قبلها . أفاده الآلوسِىّ .

٦٩ ـ ﴿مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ ما تضمر من الباطل والعداوة .

٧١ ـ ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبرونى [آية ٤٠ الأنعام ص١٧٤] . وفى هذه الآية واللّتيْن بعدها دلائلُ على كمال القدرة الإلٰهية ، موجبة للتوحيد فى العبادة . ﴿سَرْمَدًا﴾ أى دائمًا لا ينقطع . والسَّرْمَدُ : دوامُ الزمان من ليل أو نهار .

٧٥ ـ ﴿يَفْتَرُونَ﴾ يختلقونه من الباطل فى الدنيا .

٧٦ ـ ﴿فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ طلبَ الفضلَ عليهم ، وأن يكونوا تحت أمره لقوّته وغناه . ﴿مَفَاتِحَهُ﴾ جمعُ مِفْتح ، وهو ما يُفتح به الباب . أو المفاتحُ : الخزائن ، جمع مَفْتح . ﴿لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ﴾ أى لَتُثقِلُ المفاتحُ العُصبةَ وتُميلهم من ثِقَلها فلا يستطيعون حملها ؛

وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ۖ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ

والباء للتعدية. يقال: ناءَ به الحِملُ: أثقله وأماله؛ كما يقال: ذهب به وأذهبه بمعنًى. والعُصْبةُ: الجماعةُ التى يتعصّب بعضُهم لبعض، وخُصّت فى العُرف بالعشرة إلى الأربعين. ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ لا تبْطَرْ ولا تأْشَرْ بكثرة المال.

٧٧ – ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ ولا تترك نصيبَك من الطيّبات التى أحلّها الله لك.

٧٨ – ﴿مِنَ الْقُرُونِ﴾ من الأمم. ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ لا يُسألون سؤالَ استعتاب؛ كما قال تعالى: (ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ)[1]، (وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ)[2]. ولكنهم يُسألون سؤالَ توبيخ؛ كما قال تعالى: (فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[3].

٧٩ – ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ أى فى زينةٍ بهرت الأنظار؛ حتى تمنّى الناظرون إليه أن يكون لهم مثلُها. وهى مظاهر الغنى الفاحشِ، والترفِ الزائد.

٨٠ – ﴿وَيْلَكُمْ﴾ كلمةٌ أصلُها الدعاء بالهلاك. منصوبةٌ بمقدَّر؛ أى ألزمكم الله الويْلَ. ثم استُعملت فى الزّجْر والبَعْث على ترك ما لا يُرْضِى. ﴿وَلَا يُلَقَّاهَا﴾ ولا يلَقّى هذه المثوبة؛ أى لا يوفّق للعمل بها. أو لا يلقّى هذه الكلمةَ التى تكلّم بها الأحبار؛ أى لا

(١) آية ٨٤ النحل. (٢) آية ٣٦ المرسلات. (٣) آيتا ٩٢، ٩٣ الحجر.

عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

(٢٩) سُورَةُ العنكبوت مكية

إلا من آية ١ إلى غاية آية ١١ فمدنية
وآياتها ٦٩ نزلت بعد الروم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ

نصف الحزب

يفهمها ﴿إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ يقال: تلقّاه أى استقبله: والضميرُ راجع ـ على الثانى ـ لمقالة الذين أوتوا العلم.

٨١ ـ ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ غيّبناهُما فيها. يقال: خَسَفت الأرضُ تَخْسِفُ، وانخسفت وخسفها الله. وخَسَف به. وخَسَف هو؛ أى غاب.

٨٢ ـ ﴿وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ...﴾ «وىْ»: اسمُ فِعْلٍ بمعنى أعجب؛ وتكون للتحسُّر والتَّندُّم. وكان المتندِّمُ من العرب المظهرُ لندمه يقول: وَىْ؟ وقد تدخل على «كأنَّ» المشدّدةِ ـ كما فى الآية ـ والمخفّفة. والقياسُ كتابتُها مفصولةً، وكُتِبت متّصلةً بالكاف لكثرة الاستعمال. وقيل: «ويْكأنَّ» كلمةٌ واحدةٌ بمعنى أَلَمْ تَرَ. ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يُضَيِّقُ. ﴿وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ﴾ ألم تر الشأن لا يفلح.

٨٥ ـ ﴿لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ إلى بلدك الذى نشأتَ فيه وهو مكة. وسُمِّىَ بلدُ الرّجُل الذى كان فيه معادًا؛ لأنه ـ عادةً ـ يتصرَّف فى البلاد ثم يعود إليه. رُوِىَ أنها نزلت بالجُحْفَة بعد أن خرج النبىُّ صلى الله عليه وسلم مهاجرًا من مكة واشتاق إليها.

٨٦ ـ ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ﴾ مُعينًا لهم على دينهم. والخطابُ فيه وفيما بعده للنبىِّ صلى الله عليه وسلم، والمقصودُ أُمّتُهُ. واللهُ أعلم.

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

٢ ـ ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا..﴾ رُوِىَ أنها نزلت فى أُناس من الصحابة قد جزعوا، أو جَزِع أهلُهم من أذى المشركين لهم. أى أظنَّ الناسُ أن يُتركوا على ما هم عليه لقولهم: آمنّا باللهِ!؟ غيرَ ممتحَنين بمشاقِّ التكاليف؛ كالمهاجرة والمجاهدة ووظائفِ الطاعات، وبفُنُون المصائب فى الأنفس والأموال؛ ليتميّز المخلصُ من المنافق، وقوىُّ الإيمان من ضعيفه، والصابرُ من الجزوع، فيعامَل كل بما يقتضيه حالُه. يقال: حَسِبه يَحْسَبُه مَحْسَبَةً وحِسْبانًا: ظنّه.

فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَـَٔاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَـٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَـٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ

والاستفهامُ للتقريع والإنكار. وجملة (أنْ يُتْرَكُوا) سَدَّتْ مسَدَّ مفعولَيْ (حَسِب). و (أَنْ يَقولوا) أى لأن يقولوا متعلّق بقوله (يُتْرَكُوا). ﴿وهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ أى لا يُمتَحنون ويُختَبرون ؛ فى موضع الحال من ضمير (يُتْرَكُوا).

٣ ـ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من أتباع الأنبياء بضروب الفتن وفنون المحَن فصبروا ؛ فما لهم لا يصبرون مثلهم ؟ والجملةُ حالٌ من (النَّاس). أى أحسِبُوا ذلك وقد علموا أن سنّةَ الله تعالى على خلافه ! ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ فى الإيمان. ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ فيه ؛ أى فليكافئن كُلاًّ بما عَمِل. ولترتُّب المكافأةِ على العلم أقيمَ السببُ مقامَ المسبَّب. أو فليُظهرنّ اللهُ الصادقين من الكاذبين حتى يوجد معلومًا ؛ لأنه تعالى عالم بهم قبل الاختبار.

٤ ـ ﴿أَنْ يَسْبِقُونَا﴾ يُعْجزونا فلا نقدر على مجازاتهم على أعمالهم السيِّئة. وأصلُ السَّبْق : الفَوْتُ ، ثم أريد منه ما ذُكر.

٥ ـ ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللهِ﴾ أى يخافه لما وراءه من الحساب والجزاء. أو يتوقّع مُلاقاةَ جزائه ، أو حُكْمِه يومَ القيامة ، أو يأمُلُ ملاقاةَ ثوابه ـ فليَعْمل عملاً صالحًا ولا يشركْ بعبادة ربّه أحدًا. ودليلُ هذا الجوابِ قولُه تعالى : ﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ﴾ أى فإن الوقت الذى عيّنه الله لذلك ﴿لَآتٍ﴾ لا محالة.

٧ ـ ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ لنُغطِّينّها عنهم بالمغفرة لهم ؛ من التّكفير وهو سَتر الشىء وتغطيته.

٨ ـ ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ﴾ أمرناه. ﴿حُسْنًا﴾ أى إيصاءً حُسْنًا أى ذا حُسْن ؛ فهو وصفٌ لمَصْدر محذوف. أو أن يفعل حُسنًا ؛ فهوَ مفعولٌ لفعل محذوف. والمرادُ : البرُّ بهما والعطف عليهما ، والإحسانُ إليهما والطاعةُ لهما فى المعروف.

١٠ ـ ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ﴾ أى ما يصيبه من أذاهم ﴿كَعَذَابِ اللهِ﴾ فى الآخرة ؛ فَجزِع منه ولم يصبر عليه ، وأطاعهم فيما يريدون منه

ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَا ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُواْ

فكفر بالله ؛ كما يطيع الله مَن يخاف عذابه فيؤمن به. نزلت فى المنافقين.

١٢ - ﴿خَطَايَاكُمْ﴾ أوزاركم.

١٣ - ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ أوزارَهم وذنوبَهم التى ارتكبوها بأنفسهم ﴿وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ وأوزارًا مع أوزارهم. وهى أوزار من أضلُّوهم من الأتباع ؛ وهو كقوله تعالى : (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ)[1].

١٤ - ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ أى الماءُ الكثير الذى طاف بهم وعلاهم فغَرِقوا [آية ١٣٣ الأعراف ص ٢١٨].

١٧ - ﴿أَوْثَانًا﴾ تماثيلَ وأصنامًا مصنوعةً بأيديكم من حجارة أو غيرها ؛ جمعُ وَثَن. وقد حَرُم بالإجماع صنعُ التماثيل لذى الرُّوح واتخاذُها ؛ سَدًّا لذريعة الشرك والغواية. ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ وتكذبون كذبًا ؛ حيثُ تسمُّونها آلهةً. وتجعلونها لله شركاءَ، وتزعمون أنها لكم عند الله شفعاءُ. أو تنحتونها وتصنعونها بأيديكم للإفك والكذب ؛ واللامُ المقدَّرة لامُ العاقبة. والإفْكُ : الكذبُ. وكلُّ مصروف عن وجهه الذى يَحِقّ أن يكون عليه.

١٩ - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ احتجاجٌ على منكرى البَعْث، واستدلالٌ على القدرة عليه بأدلةٍ واضحةٍ جليّة. أى ألم ينظروا ويعلموا كيفيّة خلْقِ الله تعالى الخلقَ ابتداءً من مادّة — كالنُّطفة والتراب — ومن غير مادّة ؛ ليستدلُّوا بذلك على قدرته على الإعادة وهى أهون عليه ؟. والاستفهامُ للإنكار وتقرير الرؤية ؛ أى قد علموا ذلك. وقوله : ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أى ثم هو يعيده. وهو إخبار منه تعالى بالإعادة.

٢٠ - ﴿قُلْ سِيرُوا فِى الأَرْضِ..﴾ أى قل لمنكرى البعث : سيحُوا فى الأرض

(١) آية ٢٥ النحل.

فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن



وتتّبعوا أحوال الخلق ؛ فانظروا كيف خلقهم ابتداءً على أطوارٍ مختلفةٍ ، وطبائعَ متغايرة ، وأخلاقٍ شتّى . والكيفيّةُ فى هذه الآية باعتبار بدء الخلق على أطوار مختلفة . وفى الآية السابقة باعتبار بدء الخلق من مادّة وغيرها . ﴿ثُمَّ اللهُ﴾ الذى أنشأ النّشْأة الأُولى وأوجد الخلق من العَدَم ﴿يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ﴾ بعد الموت ؛ فكما لم يتعذّر عليه إنشاؤهم مُبْدئاً لا يتعذّرُ عليه إنشاؤهم مُعيداً بعد الموت .

٢١ - ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ تُرجعون وتُردُّون ؛ من القَلْب وهو صرفُ الشيء عن وجه إلى وجه آخَرَ .

٢٢ - ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾ فائتين من عذابه بالهرب .

٢٥ - ﴿مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ أى للتّوَدُّد بينكم ، والتّواصُل لاجتماعكم على عبادتها ، واتفاقكم عليها ، وللخشية من ذَهاب المودة فيما بينكم إن تركتم عبادتها . منصوبٌ على أنه مفعولٌ له . ﴿وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ﴾ منزلكم الذى تأوون إليه النار .

٢٦ - ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾ وهو أوّلُ مَن آمن به .

٢٩ - ﴿وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ بالقَتل ونَهْب الأموال . أو تعترضون السّابلة بفعل الفاحشة . ﴿نَادِيكُمُ﴾ مجلسكم الذى تجتمعون فيه . ﴿أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ قرية سدُوم . وهى أكبر قُرَى قوم لوطٍ ، وأوّلُ بلد ظهرت

كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَـٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ

فيه هذه الفاحشة ؛ على ما قيل .

٣٢ - ﴿الْغَابِرِينَ﴾ الباقين فى العذاب .

٣٣ - ﴿سِيءَ بِهِمْ﴾ اعترته المَسَاءةُ والغَمُّ بسبب مجيء الرسل ؛ مخافةَ أن يتعرّض لهم قومُه بسوء ، كما هى عادتهم مع الغرباء وقد ظنهم من البشر. ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ نفِدَت طاقته [آية ٧٧ هود ص ٢٩٦] .

٣٤ - ﴿رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ عذابًا منها ؛ حجارةً أو نارًا ، أو أمرًا بالخَسْفِ ، وسُمّىَ بذلك لأنه يُقلق المعذَّبَ ويُزعجه ؛ من قولهم : ارتجز ، أى ارتَجَسَ واضطرب .

٣٥ - ﴿آيةً بيِّنةً﴾ هى آثار ديارها الخَرِبة .

٣٦ - ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ لا تفسدوا فيها إفسادًا ؛ من العُثُوّ وهو أشدّ الفساد .

٣٧ - ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ أى الزّلْزلةُ الشديدةُ التى رَجَفت منها قلوبُهم ؛ بسبب صيْحةِ جبريلَ عليه السلام ﴿فَأَصْبَحُوا فِى دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ باركين على الرُّكَب من شدّة الهَوْل ميّتين . وأصلُه من جَثَم الطائر : إذا وقع على صدره ، أو لَصِق بالأرض .

٣٨ - ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ عقلاء متمكنين من التدبر .

٣٩ - ﴿وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ فائتين من عذابنا .

أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ
كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ
الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ
مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ
الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾
خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً
لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ
الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ * وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ
الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ
وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا
وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَا
إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ
بِهِ وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا
الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا
تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ
بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا
إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ

حزب ٤١ جزء ٢١

٤٠ - ﴿أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ ريحًا عاصفةً تحصِبهم بالحجارة. وهم قومُ لوط. ﴿أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ صوت من السماء مهلك مرجف.

٤١ - ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ..﴾ أي مثَلُ هؤلاء في اتخاذهم الأصنامَ آلهةً يعبدونها ويعتمدون عليها، ويرجون نفعَها وشفاعتها؛ كمثَل العنكبوت في اتّخادها بيتًا واهيًا من نسْجها لا يُغني عنها في حَرٍّ ولا قَرٍّ، ولا في مطر ولا أذًى. والعنكبوتُ: دُوَيبَّةٌ معروفةٌ تَنسُج نسجًا رفيعًا مهلهَلاً في الهواء، وتُطلق على الواحد والجمع، والمذكَّر والمؤنّث؛ والغالبُ في استعمالها التّأنيث، والواوُ والتاءُ زائدتان؛ كما في طاغوت. وجمعُها عناكب وعناكيب.

٤٥ - ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ أي من شأنها إذا أُدِّيت كما أمر الله بالوقوف بين يديه بغاية الذلة والخضوع، ونهايةِ التعظيم والخشوع أن تكون مانعةً لفاعلها من الفحشاء والمنكر. ﴿وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾ أي من كل شيء. أو لذِكْرُ الله تعالى إيّاكم أكبرُ من ذكركم إيّاه. أو لذِكْرُ العبدِ الله تعالى أكبرُ من سائر أعماله؛ وهو أفضل الطاعات.

٤٦ - ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ شروعٌ في

قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم

إرشاد المؤمنين إلى أمثل الطرق فى مُحاجَّة أهل الكتاب . أى لا تحاجُّوهم إلّا بالطّريقة التى هى أحسنُ الطّرق وأنفعُها ؛ وهى أن تكون بالرِّفق واللِّين ، لا بالإغلاظ والمخاشنة ؛ فإنهما يحملان على المعاندة ، ويصُدّان عن اتباع الحق . ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ بالإفراط فى الاعتداء والعناد ، ولم ينفع فيهمُ الرفق ـ فأغلِظوا لهم . والآيةُ ـ على الصحيح ـ غيرُ منسوخة .

٥٣ ـ ﴿أَجَلٌ مُسَمًّى﴾ هو يوم القيامة . ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة .

٥٥ ـ ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ﴾ يجلّلهم العذابُ كالغشاء المُحيط ؛ وهو عذاب الآخرة . و «يَوْمَ» ظرفٌ لمحذوف تقديره : يكون من الأهوال ما لا يحيط به الوصف .

٥٨ ـ ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ ..﴾ لنُنزلنَّهم على وجه الإقامة قصورًا عالية بهيّة من الجنّة . يقال : بوّأت له منزلا ، سوّيته وهيّأته . ﴿غُرَفًا﴾ منازل رفيعة عالية .

٦٠ ـ ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ﴾ كم من دابّة [آية ١٤٦ آل عمران ص ٩٧] .

٦١ ـ ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ فكيف يُصرفون عن الإقرار بتفرُّده تعالى فى الألوهيّة ، مع إقرارهم بتفرُّده سبحانه فى الخلق والتّسخير؟ [آية ٧٥ المائدة ص ١٥٨] .

٦٢ ـ ﴿وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ يضيّق

مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾
وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ
لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ
دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ
يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ
مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا
جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ
جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

(٣٠) سُورَةُ الرُّومِ مَكِّيَّة

إلا آية ١٧ فمدنية
وآياتها ٦٠ نزلت بعد الانشقاق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم

عليه ؛ من قَدَرْتُ عليه الشيءَ : ضيّقته ؛ كأنما جعلته بقَدَر .

٦٤ - ﴿إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ اللّهْوُ : اشتغالُ الإنسان بما لا يعنيه ولا يهمُّه . أو هو الاستمتاع بملذّات الدنيا . واللَّعِبُ : العَبَث . وهو فعلٌ لا يُقصد به مقصدٌ صحيح . أى أنّ الحياة الدنيا فى سرعة تقضّيها ليست إلا كالشيء الذى يلهو ويَلعب به الصِّبيانُ ، يجتمعون عليه ويبتهجون به زمنًا ثم ينصرفون عنه . ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ لهى دارُ الحياة الدائمة ، التى لا يعقُبُها موتٌ ولا يعتريها انقضاء . والْحَيَوانُ : مصدرُ حيّ ، سُمّى به ذو الحياة ؛ وأطلق هنا على نفس الحياة الحقّة .

٦٥ - ﴿الدِّينَ﴾ العبادة والطاعة .

٦٧ - ﴿وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ يُختَلَسُونَ من حولهم قتلاً وسبْيًا ؛ إذ كانت العربُ حوْلَ الحَرَم فى تغاوُر وتناهُب ، وأهلُ مكة آمنون ؛ من الخَطْف وهو الأخذ بسرعة .

٦٨ - ﴿مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾ مستقرٌّ ومكانُ إقامة لهم . يقال : ثوى بالمكان ، أى أقام به طويلاً . والاستفهامُ للتقرير .

٦٩ - ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ أى من أجلنا ولوجهنا خالصًا . ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالنّصر والمَعُونة والتوفيق لسُبُل الخير . والله أعلم .

سُورَةُ الرُّوم

٢ ، ٣ - ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ ..﴾ اختربت الفرسُ والرُّومُ فيما بين أَذْرِعَاتٍ وبُصْرى من أرض الرّوم يومئذ ، وهما أقربُ أراضيها بالنّسبة إلى مكةَ . وكان ذلك قبلَ الهجرة بخمس سنين ، وقيل بسنة . فظهر الفرسُ على الرّوم ، فلما بلغ الخبرُ مكةَ شقّ على

المؤمنين ؛ لأن الفُرسَ مجوسٌ لا يدينون بكتاب . والروم أهلُ كتاب . وفَرِحَ المشركون وقالوا : أنتم والنصارى أهلُ كتاب ، ونحن والفرسُ أُميُّون . وقد ظهرَ إخوانُنا على إخوانكم . ولنظهرَنَّ نحن عليكم ؛ فنزلت الآية وفيها : أن الرومَ سيغْلِبونَ الفرسَ فى بِضع سنين . والبِضْعُ : ما بين الثلاث إلى العشرة . ﴿غَلَبِهِمْ﴾ كونهم مغلوبين .

٤ ، ٥ - ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ﴾ بإظهار صدقهم فيما أخبروا به المشركين من غَلَبة الروم . وبتغليب من له كتابٌ على من لاكتابَ له . وغيْظِ الشامتين من المشركين . ثم بعد سبع سنين وقعت الحربُ الثانيةُ بينهما ؛ فظهر الرّومُ على الفرس - كما أخبر الله تعالى - حتى بلغوا المدائن من بلاد الفرس ؛ وكانت فى السنة الثانية من الهجرة يومَ بَدْر - على القول الأوّل - أو فى السّادسة عامَ الحُدَيْبِيَة - على القول الثانى - ففرح المؤمنون . وكان ذلك من الآيات الباهرةِ الشاهدة بصدق النبوّة . ومن دلائل إعجاز القرآن ؛ لما فيه من الإخبار بالغَيْب الذى لا يعلمه إلا الله تعالى .

٦ - ﴿وَعْدَ اللهِ﴾ أى وعد اللهُ المؤمنين وعدًا بالنصر والفرح ﴿لَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ﴾ أيًّا كان مما يتعلّق بالدنيا والآخرة .

مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِى بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٍ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٧ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّىۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ۝٨ أَوَلَمۡ

٧ - ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ..﴾ بيانٌ لسبب جهلهم بشئونه تعالى ، وهو قَصْر تفكيرهم على ما يظهر من شئون الدنيا وبَلذّ لهم منها ؛ دون أن يفكروا فيما وراءها من المقاصد العليا التى هى السعادةُ الحقةُ . وكيف ينعمون بها ويحصلون عليها (وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)(1) !.

٨ - ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ..﴾ أى أقصروا النَّظر على ظاهر من الحياة الدنيا ؟ ولم يُحْدثوا التفكُّر فى قلوبهم فيعلموا أنه تعالى ما خلق هذه العوالِمَ إلا بالحق الثابت الذى يحق ثبوته ؛ لا بتنائه على الحِكَم البالغة ! ﴿وَأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ أى وبأجل معيَّن قدّره الله تعالى أزلاً لبقائها ، لا بُدَّ أن تنتهى إليه وتفنَى عنده ، وهو وقتُ قيامِ الساعةِ وتبدُّلِ الأرضِ غيرَ الأرض والسموات . والأجَلُ : يُطلق على المُدّة المضروبة للشيء . وعلى غاية وقتِ الحياة .

٩ - ﴿وَأَثَارُوا الْأَرْضَ﴾ قلبوها للزراعة ، واستنباط المياه واستخراج المعادن منها ونحوها ، وغير ذلك .

١٠ - ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ﴾ أى ثم كانت العقوبةُ السَّيِّئةُ وهى العذاب فى جهنم عاقبةَ الذين عملوا السيئات . والسُّوءَى : تأنيث الأسْوأ ؛ كالحُسْنَى تأنيث الأحسن . وقُرِئَ (عاقبةُ) بالرفع

(1) آية ٦٤ العنكبوت .

يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ
أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ
لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ
ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ
بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾
وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ
كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾
فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ
يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ
ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَٰنَ
ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾
يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ
ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ

على أنها اسمُ كان ، وخبرُها للسبيّة . أو لأنْ كذّبوا . (السُّوءى) . ﴿السُّوءى﴾ العقوبة المتناهية فى السوء (النار) ﴿أَنْ كَذَّبُوا﴾ بأن كذّبوا ، والباء للسببيّة . أو لأنْ كذّبوا .

١٢ - ﴿يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ يَسكتون وتنقطع حجتهم . وأصلُ الإبلاس : الحزنُ الناشئ من شدّة اليأس ، وأطلِق على ما ذكر مجازًا ؛ للزومه للحزن غالبًا [آية ٤٤ الأنعام ص ١٧٥] .

١٥ - ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾ هى فى الأصل : الأرضُ التى بها ماءٌ ونباتٌ ، ولها رَوْنقٌ ونضارةٌ . أو هى البستانُ الحَسَنُ النضِرُ . والمرادُ بها الجنة . ﴿يُحْبَرُونَ﴾ يُسَرُّونَ ، أو يَنْعَمُون ، أو يُكْرمُون . والحَبْر والحَبْرة والحُبورُ : السّرورُ والنّعمةُ .

١٦ - ﴿فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ أى لا يغيبون عنه أبدًا ؛ من الحضور ضدّ الغياب .

١٧ - ﴿فَسُبْحَانَ اللهِ ..﴾ فنزِّهوا الله تنزيهًا عما لا يليق به ، وصِفُوه بصفات الكمال . وهو بإطلاقه يتناول التنزيه بالقلوب والألسنة والجوارح فى هذه الأوقات المذكورة ؛ لمَا فى كلٍّ منها من النّعم المتجدّدة ، ولظهور آثار القدرة والرّحمة فيها . وقيل : التسبيحُ الصلاةُ . (حِينَ تُمْسُونَ) صلاة المغرب والعشاء . (وَحِينَ تُصْبِحُونَ) صلاة الصبح ، (وَعَشِيًّا) صلاة العصر ، (وَحِينَ تُظْهِرُونَ) صلاة الظهر . واختار الرّازى الأوّل . وهو يتضمّن الصلاة ؛ لكونها أفضلَ أعمالِ الأركان التى هى من أنواع التنزيه المأمور به .

١٩ - ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ..﴾ [آية ٢٧ آل عمران ص ٧٧] . ﴿وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ أى ومثلَ ذلك الإخراج البديع

أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ

العجيب . تُخْرَجُون من قبوركم للحساب والجزاء يوم القيامة . وهو نوع تفصيل لقوله تعالى : (اللهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) فالإبداءُ والإعادةُ يتساويان فى قدرة مَن هو قادر على إخراج الحىّ من الميّت وعكسه .

٢٠ - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ اشتملت الآيات من ٢٠ إلى ٢٥ التى بدئت بلفظ (وَمِنْ آيَاتِهِ) على اثنى عشر دليلاً على وحدانيّته تعالى وانفراده بالخلق ، وقدرته على البَعْث : خَلْقُ الإنسان من مادة التراب وصيرورته بعد تقلّبه فى أطوار التّكوين بشرًا سويًّا صالحًا للاستخلاف فى عمارة الأرض . وجعْلُه ذكورًا وإناثًا للائتلاف والتّزاوج والتّناسل ؛ حتى يبقى النّوع الإنسانىُّ إلى الأمَدِ المقدَّر له . وخَلْقُ السموات مزيّنةً بالكواكب للاهتداء بها فى ظلمات اللّيل ، وبالشمس التى سخّر ضوءها وحرارتَها لحياة الحيوان والنبات ، وبالقمر لِنعلم عدد السنين والحساب . وخلْقُ الأرض التى نستوى على ظهورها وما فيها من جبال وأنهار وبحار وخيرات عظيمة . واختلافُ الألسنة واللغات . واختلافُ الألوانِ والصِّفات مع كون الأصل واحدًا ؛ للتّمايُز وإمكان التعارف والتفاهم . وجعلُ الليل منامًا لراحة الأبدان والقُوَى . وجعلُ النهار معاشًا لابتغاء الرزق الذى به القوت والبقاء . وإراءةُ البرق المبشِّر بالمطر ليطمع الإنسانُ فى فضله تعالى ، والمنذِر بالصواعق ليخاف بطشَه وانتقامَه . وإنزالُ المطر من السماء لإحياء مَوات الأرض بالنبات والرّى للإنسان والحيوان . وقيامُ السموات . وقيامُ الأرض واستمساكُها وبقاؤهما بقدرته تعالى وتدبيره . ثم ذكر فى آية ٤٦ المبدوءة بقوله : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ دليلاً آخرَ ، وهو إرسال الرّياح مبشِّراتٍ بالرحمة ، ومنتفَعًا بها فى البر والبحر . وكلُّ ذلك ليعلمَ الإنسانُ أن بعث من فى القبور إذا نفخ الصُّور أمرٌ هيّن يسيرٌ على من هو على كل شئ قدير ؛ سبحانه ! جلّ شأنُه وعزّ سلطانه !

﴿تَنْتَشِرُونَ﴾ تتصرّفون فيما هو قَوام معاشِكم ، وتتقلّبون فى الأرض فى أسفاركم ابتغاءَ رزقكم .

٢١ - ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ لتميلوا إليها وتألفوها .

٢٢ - ﴿وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ أى لغاتكم ولهجاتكم . أو أصواتكم وأنغامكم ؛ فلا يكاد يُسمع منطقان متساويان من كلّ وجه . ﴿وَأَلْوَانِكُمْ﴾ أى ألوانِ أجسامكم . أو تخطيطات أعضائكم وهيئاتها وحُلاها ؛

أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

بحيث وقع التّمايُز بين الأشخاص ، حتى إن التوأمين مع توافق موادّهما وأسبابها والأمور الملابسة لها فى التخليق ، يختلفان لا محالةَ فى شىء من ذلك وإن كانا فى غاية التّشابه .

﴿قَانِتُونَ﴾ مطيعون طاعة انقياد ، لا يمتنعون عليه فى شىء يريد فعله بهم ، وإن عصاه بعضهم فى العبادة .

٢٧ ـ ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ أى البَعْثُ أسهل عليه تعالى من البَدْء . والأسهليّةُ على طريق التمثيل والتقريب ؛ بما هو معروف عند الناس من أن إعادةَ الشىء من مادّته الأولى أسهلُ من ابتدائه ؛ ولله المَثَل الأعلى ! فلا يقاس على خلقه فى ذلك ! فإن كلّ الممكنات بالنّسبة إلى قدرته سواء .

﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ الوصف الأعلى فى الكمال والجلال .

٢٨ ـ ﴿هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ..﴾ أى إنكم لا ترضوْن أن يشارككم فيما رزقناكم من الأموال ونحوها مماليكُكُم ؛ وهم أمثالكم فى البشريّة غير مخلوقين لكم . فكيف تشركون به سبحانه فى المعبوديّة ـ التى هى من خصائصه تعالى ـ مخلوقه ! بل مصنوعَ مخلوقه !! حيث تصنعونه بأيديكم ثم تعبدونه من دونه . وجملةُ ﴿فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ فى موضع الجواب للاستفهام الإنكارى ؛ أى فأنتم وهم مستوُون فى التصرُّف فيه !؟ وقولُه ﴿تَخَافُونَهُمْ﴾ خبرٌ ثانٍ لـ(أنتم) . وقولُه ﴿كَخِيفَتِكُمْ﴾ صفةٌ لمصدر محذوف ؛ أى خيفةً كائنةً مثل خيفتكم مَن هو من نوعكم . أى تخافون أن تستبدُّوا بالتصرُّف فيه بدون رأيهم كخيفتكم من الأحرار المساهمين لكم .

٣٠ ـ ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ أقبل على الدِّين إقبالاً كاملاً غيرَ ملتفت إلى سواه واثبُت عليه . ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً إلى الحق معرضًا عن كل باطل [آية ١٣٥ البقرة ص ٣٢] . والخطابُ له صلى الله عليه وسلم والمرادُ هو وأمّته . ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ﴾ أى الزموا فطرةَ الله بالجرْى على موجبها ، وعدم الإخلال به باتّباع الهوى ووساوس الشيطان ، والفِطْرَةُ . قابليّةُ الدِّين الحق والتهيُّؤ لإدراكه . أو هى دين الإسلام والتوحيد ﴿لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ لدينه



* مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ

الذى فطرهم عليه . ومعنى فَطْرِ الناس عليه : أن الله خلقهم قابلين له ، غيرَ نابين عنه ، منساقين إليه إذا خُلُّوا وأنفسَهم ، دون أن تعترضهُم الأهواء والوساوس . ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ أى الدِّين المأمورُ بإقامة الوجه له : هو الدِّينُ المستوى الذى لا اعوجاجَ فيه ، ولا انحراف عن الحق بحال ، وهو دين الإسلام .

٣١ - ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ راجعين إليه تعالى بالتوبة وإخلاص العمل . يقال : أناب إلى الله إنابةً ؛ رجع ؛ حالٌ من فاعل الزموا المقدَّرة . وقوله : ﴿وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا﴾ معطوفٌ على الزموا .

٣٢ - ﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾ فِرقًا مختلفةً فى الدِّين ، تشايع كلُّ فرقة كبيرَها الذى أضلَّها . .

٣٥ - ﴿سُلْطَانًا﴾ كتابًا أو حجة .

٣٦ - ﴿فَرِحُوا بِهَا﴾ بطروا وأشِروا . ﴿يَقْنَطُونَ﴾ ييئسون من رحمة الله ؛ بخلاف المؤمن فإنه يشكر ربَّه عند النعمة ، ويرجوه عند الشدّة .

٣٧ - ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أى يضيِّقه على من يشاء أن يضيِّقه ؛ ولله فى ذلك الحكمُ البالغة .

٣٨ - ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ أَحْسِنِ إليه بالصدقة والصلة والبرّ تقرُّبًا إلى الله تعالى .

٣٩ - ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا﴾ المرادُ به هنا : العطيةُ يُعطيها الرجلُ لأخيه بطلب المكافأة منه بأفضل منها ؛ ليزيد فى أموال الناس ، فإن ذلك لا يُبارَك فيه فى حكمه تعالى . ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ﴾ أى صدقة تطوُّع ، ولم تُحمل على المفروضة ؛ لأن السورة مكيّة . والزكاة لم تُفرض إلّا فى السنة الثانية من الهجرة . ﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ ذوو الأضعاف من الحسنات ؛ من أضعف : إذا صار ذا ضِعْف ؛

رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾

كأقوى وأيسر ، أى صار ذا قوّة ويَسار .

٤١ ـ ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ..﴾ كالجَدْبِ والمُوتانِ والغلاء الشديد ، وكثرة الحرْق والغَرَق ، وإخفاق الصيّادين والغاصّة ، ومَحْو البركات من كل شيء ، وقلّة المنافع فى الجملة ، وكثرة المضارّ وتسلّط الأعداء ، ونحو ذلك مما أصاب الناسَ بسبب معاصيهم عقابًا لهم حتى يتوبوا إليه تعالى . يقال : فسد ـ كنَصَرَ وكرُم ـ فسادًا ، ضدُّ صَلُح ؛ ومنه المفسدةُ ، ضدُّ المصلحة . وهى كلمةٌ جامعةٌ لكل ما ذُكر ونحوه .

٤٣ ـ ﴿لَا مَرَدَّ لَهُ﴾ لا يقدر أحد على رده . ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾ يتفرّقون فريقين : فريقٌ فى الجنة وفريقٌ فى السعير ؛ من التصدُّع وهو التفرُّق . يقال : صدعته صَدْعًا ـ من باب نفع ـ شققته فانصدع . وصدعت القوم صدْعاً فتصدّعوا ، أى فرّقتهم فتفرّقوا . وأصلهُ « يتصدعون » فقلبت تاؤه صادًا وأُدغمت .

٤٤ ـ ﴿فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ أى يوطّئون لأنفسهم منازلَ فى الجنة ؛ كما يُوطِّئُ الرجلُ لنفسه فِراشاً لئلا يصيبَه فى مضجعه ما ينغّص عليه رقاده أو يؤذيه . مأخوذ من مهّد فراشه : إذا وطّأه .

٤٨ ـ ﴿فَتُثِيرُ سَحَاباً﴾ تهيّجه وتنشره وتحرّكه ؛ من الثَّور وهو

فَانظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ج
إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ صلے وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾
وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ
يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ
ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ عَن
ضَلَٰلَتِهِمْ صلے إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾



۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ
ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ج يَخْلُقُ
مَا يَشَآءُ صلے وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ
ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ج كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾
وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ
ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ صلے فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ
وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا
ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ج وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ

الهَيَجان . ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً﴾ قِطَعاً . ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ المطر . يقال : ودَق ـ كوعد ـ قطَر [آية ٤٣ النور ص ٤٥٥] . ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ فُرَجه وَوَسَطِه .

٤٩ ـ ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ ساكتين من شدة الحزن آيسين [آية ١٢ من هذه السورة] .

٥٠ ـ ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ﴾ المترتّبة على إنزال المطر ؛ من النبات والأشجار وأنواع الثمار ـ نظرَ اعتبار واستبصار لتستدلّ بها على قدرة الله تعالى على البعث .

٥١ ـ ﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ أى رأوُا النبات الذى أصابته الريح مصفرًّا بعد خضرته ونضارته .

٥٤ ـ ﴿اللهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ ..﴾ استدلالٌ آخرُ على كمال قدرته تعالى بخلق الإنسان على أطوار مختلفة . أى بدأكم على ضعف وهو حال الطفولة ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ وهى قوّةُ الشباب . ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا﴾ عند الكِبَر والهَرَم ﴿وشَيْبَةً﴾ هى تمامُ الضّعف ونهاية الكِبَر . مصدرٌ كالشّيْب .

٥٥ ـ ﴿كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن الحق فى الدنيا بإنكار البعث [آية ٧٥ المائدة ص ١٥٨] .

٥٦ ـ ﴿فِى كِتَابِ اللهِ﴾ أى فى حُكم الله . أو فى سابق علمه وقضائه .

٥٧ ـ ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لا يُطلب منهم استرضاءُ الله تعالى وإزالةُ غضبه عليهم بالتوبة والطاعة . حيث حقّت عليهم كلمةُ العذاب ؛ من الاستعتاب : وهو طلب العُتْبى . أى الرّجوع إلى ما يُرضى الله تعالى من التوبة والعمل الصالح ؛ لانقطاع التكليف فى ذلك اليوم . والعُتْبى : اسمٌ من

قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

(٣١) سُورَةُ لُقمان مَكيّة
إلا الآيات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ فمدنية
وآياتها ٣٤ نزلت بعد الصّافات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا

الإعتاب بمعنى إزالة العَتْب ، كالعطاء والاستعطاء [آية ٨٤ النحل ص ٣٥٣] .

٦٠ ـ ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ..﴾ لا يحملنّك على الخفّة والقلق . أو لا يستفزنّك عن دينك وما أنت عليه . يقال : استخفّ فلانٌ فلانًا . أى استجهله حتى حمله على اتّباعه فى الضلال . والله أعلم .

سُورَةُ لُقمَانَ

٢ ـ ﴿الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ أى ذى الحكمة . أو الحكيم مُنْزِله .

٤ ـ ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ..﴾ [آية ٣ البقرة ص ٤] .

٦ ـ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ نزلت فى النَّضر بن الحارث ؛ اشترى قَيْنَةً فكان لا يسمع بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به إلى قَيْنته فيقول : أطعميه وَاسْقيه وغنّيه . ويقول : هذا خيرٌ مما يدعوك إليه محمد [صلى الله عليه وسلم] من الصلاة والصيام ، وأن تقاتل بين يديه ! وقيل : كان يخرج إلى فارسَ فيشترى أخبارَ الأعاجم فيرويها ويحدّث بها قريشًا ويقول لهم : إن محمدًا يحدّثكم بأحاديث عادٍ وثمودَ . وأنا أحدّثكم بحديث رُسْتم واسفنديار والأكاسرة ؛ فيستملحون حديثه ويتركون سماعَ القرآن . وكان قصدُه بذلك صدَّ الناس عن الإسلام ، جهلا منه بالحق ، أو بما يرتكب من الوِزْر . أىْ ومن الناس مَن يقصد الإغواءَ والصدَّ عن سبيل الله والهزءَ بها ؛ فيتوسّل إلى ذلك بما يستهوى عقولَ الناس ويجذب قلوبَهم ، ويُلهيهم عن الحقّ والهُدَى حتى يَضِلّوا السبيل . ولكلّ قوم وزمانٍ أُلْهيَاتٌ يعرفها الغواةُ المضلّلون . والاشتراءُ على حقيقته ، أو بمعنى الاختيار والإيثار على القرآن . وإضافةُ «لَهْوَ» إلى «الحديث»

وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ

بمعنى مِن . ﴿هُزُوًا﴾ سخرية ــ مهزوءًا بها .

٧ ــ ﴿وَلَّى مُسْتَكْبِرًا﴾ أعرض متكبرًا عن تدبرها . ﴿وَقْرًا﴾ صَمماً مانعاً من السّماع .

٩ ــ ﴿وَعْدَ اللهِ حَقًّا﴾ أى وعدهم الله ذلك وَعْدًا . وحقّه حقًّا ؛ فهما مصدران مؤكّدان .

١٠ ــ ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ﴾ استشهادٌ على عزّته سبحانه التى هى كمال قدرته ، وتمهيدٌ لقاعدة التوحيد وتقريره ، وإبطالٌ لأمر الشرك وتقريعٌ لأهله . ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ بغير دعائم [آية ٢ الرَّعْد ص ٣١٨] . ﴿رَوَاسِيَ﴾ جبالاً ثوابتَ راسخاتٍ . ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ أى لئلا تتحرّك وتضطرب بكم [آية ١٥ النحل ص ٣٤٤] . ﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾ نشَر وفَرَّق . يقال : بثّه ــ من باب رَدَّ ــ وأبثّه بمعنًى ؛ أى نَشَره . وبثَّ الريحُ الترابَ : فرّقه وأثاره . ﴿زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ صِنْفٍ حسَنٍ كثيرِ المنافع .

١٢ ــ ﴿آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ أى العقلَ والفهمَ . أو الإصابةَ فى القول والعمل . أو نورًا فى القَلْب يُدرك به الحقائقَ ؛ كنور البصر الذى تُدرَك به المبصرات . وكان رجلاً صالحاً حكيماً ولم يكن نبيًّا . قيل : إنه من بلاد النُّوبة ، أو من السودان ، أو من الحبشة ؛ وكان نجّارًا . والله أعلم بحقيقة أمره .

١٣ ــ ﴿وَهُوَ يَعِظُهُ﴾ الوَعظُ : زجرٌ مقترنٌ بتخويف . وقال الخَليل : هو التذكيرُ بالخير فيما يَرقّ له القلبُ . وقد وعظ ابنَه بعشر مواعظ .

١٤ ــ ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ كلامٌ مستأنَف ، اعتُرض به على نهج الاستطراد فى أثناء وصيّة لقمان لابنه ، مؤكّدٌ لما اشتملت عليه من النّهى عن الشرك ؛ أى أمرناه أن يبرَّهما ويُحسن إليهما ، ويطيعَ أمرهما فى المعروف . ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ أى ضَعفًا متزايدًا بازدياد ثِقل الحَمْل إلى مدّة الطلْق . أو ضَعفًا متتابعًا ، وهو ضَعْفُ الحمْل ، وضَعْفُ الوَضْع ، وضَعفُ النّفاس . مفعولٌ مطلَق لفعلٍ محذوف ، أى تَهِنُ وهْنًا . وفعلُه كوَعَد ووَرِث وكَرُم . وقُرِئ « وَهَنًا » بالتّحريك . ﴿وَفِصَالُهُ﴾ فطامه عن الرضاع . ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ أى وصّيناه بشكرنا وشكر والديه . و« أنْ » تفسيرية .

١٥ ــ ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا

بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟

﴿مَعْرُوفًا﴾ أى فى أمور الدنيا التى لا تتعلّق بالدّين ما دمتَ حيًّا ، صِحاباً معروفاً يرتضيه الشّرع ، ويقتضيه الكَرَم والمروءة . ﴿مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ أى رجع إلىّ بالتّوحيد والإخلاص مطيعًا .

١٦ ـ ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا﴾ أى الخَصلة من الإساءة والإحسان . ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ ...﴾ وزن أصغر شىء .

١٨ ـ ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ لا تُمِل صفحة وجهك عن النّاس ، ولا تُعرض عنهم كما يفعل أهل الكِبْر . يقال : صعّر خدّه وصاعره . أماله عن النظر إلى الناس تهاوناً وتكبُّرًا . والصَّعَرُ فى الأصل : داءٌ يصيب البَعير فيلوى منه عنقه ، كُنِّىَ به عن التكبُّر واحتقار الناس . ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ فرحًا وبطرًا واختيالاً . مصدرُ مَرِح ـ كفَرِح ـ فهو مَرِحٌ ومِرِّيح ؛ وقع حالاً مبالغةً . أو تمرح مَرَحًا ؛ على أنه مفعولٌ مطلَقٌ لفعل محذوف ، والجملة فى موضع الحال . وقُرِئ « مرِحًا » بكسر الراء . ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ متكبِّر يختال فى مِشيته ؛ ومنه الخُيَلاء والمَخيلة والخالُ بمعنى الكِبْر . ﴿فَخُورٍ﴾ كثير المباهاة بنحو المال والجاه . يقال : فَخَر ـ كمَنَع ـ فهو فاخرٌ وفَخورٌ ، إذا تمدح بالخصال تطاوُلاً على الناس .

١٩ ـ ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ اعتدل فيه ، وتوسّط بين البطء والإسراع ؛ من القَصْد وهو العدلُ واستقامةُ الطريق ، وضدُّ الإفراط ؛ كالاقتصاد . ﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ أُنقص فيه وأقصر ، ولا ترفعه فوق الحاجة . يقال : غضّ فلان من فلان ، نقصه ووضع من قدْره . وغضّ من طرفه غضًا وغضاضًا وغَضاضةً : خفضه واحتمل المكروه .

٢٠ ـ ﴿أَلَمْ تَرَوْا ..﴾ خطابٌ للمشركين ، وتوبيخٌ لهم على الإصرار على الشِّرك مع مشاهدتهم دلائلَ التوحيد . ﴿سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾



بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ * وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾

جعل ما فيهما مُسَخَّراً لكم بحيث تنتفعون به . ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ﴾ أوسعها وأتمّها . يقال : سَبَغتِ النّعمةُ سُبوغًا ـ من باب قعد ـ اتّسعت . وأسبغها الله : أفاضها وأتمّها . والنّعمةُ : ما يُنتفع به ويُستلَذُّ وتُحمد عاقبتُه . أو هى المنفعة المفعولة على جهة الإحسان إلى الغير . ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ ..﴾ [آية ٣ الحج ص ٤٢٣] نزلت فى النّضر بن الحارث ، وأُبىِّ بن خلف ، وكانا يجادلان النبىَّ صلى الله عليه وسلم فى التوحيد والصفات .

٢٢ ـ ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ يفوِّضْ جميع أموره إليه تعالى ويُقبلْ عليه بكلِّيّته . ﴿وهُوَ مُحْسِنٌ﴾ فى أعماله ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ أى تعلّق أقوى تعلُّقٍ بأوثق الأسباب . شُبّه المتوكلُ على الله فى جميع أموره ، المحسنُ فى أعماله ـ بمن ترقّى فى جبل شاهق ، أو تدلى منه فاستمسك بأوثق عُرْوَة من حبل متين مأمونٍ انقطاعُه . والعُرْوَةُ من الثّوب : مدخلُ زرّه . والوُثْقى : تأنيثُ الأوْثق : من وَثُق ـ ككَرُم ـ أخذ بالوثيقة فى أمره ؛ أى بالثّقة . ومنه الوثيقُ أى المحكم .

٢٤ ـ ﴿عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ شديد ثقيل (عذاب النار) .

٢٧ ـ ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ ..﴾ أى ولو أن أشجارَ الأرض كلّها أقلامٌ ، والبحرُ المحيط يمدّه ـ بعد نفاده ـ سبعةُ أبحر ، وكُتبت بتلك الأقلام وبذلك المدادِ كلماتُه تعالى ما نفدت كلماتُه ، ونفِدت الأقلام والمداد . ﴿يَمُدُّهُ﴾ يزيده ﴿سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ أى أبحرٌ كثيرةٌ ، لا خصوصُ العدد المذكور . وكلماتُه : كلماتُ علمه وحكمته تعالى ، أو مقدوراتُه وعجائبُه تعالى . ﴿مَا نَفِدَتْ﴾ ما فرغت وما فنيت . ﴿كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ مقدوراته وعجائبه أو معلوماته .

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ
وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى
فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ
دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم
مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ
وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا
تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ
عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ
وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ
أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾

٢٩ - ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِى اللَّيْلِ﴾ يُدخل كلَّ واحد منهما فى الآخر [آية ٢٧ آل عمران ص ٧٧]. وفى الآية من الدّلالة على القدرة الباهرة على البعث ما يوجب الإيمان به، كما فى الآية التالية.

٣٠ - ﴿الْعَلِىُّ الْكَبِيرُ﴾ العالى على جميع خلقه بالقَهْر، الكبيرُ عن أن يكون له شريكٌ، أو عن أن يتّصف بما لا يليق بجلاله وكماله.

٣٢ - ﴿غَشِيَهُمْ مَوْجٌ﴾ علاهم وغطّاهم موجٌ ﴿كَالظُّلَلِ﴾ جمعُ ظُلّة - كغُرْفة وغُرَف - وهى ما أظلَّ من سحاب أو جبل أو غيرهما. وقيل: هى السحابة تظِل. وأكثرُ ما تقال فيما يُستوْخَم ويُكره. ﴿مُقْتَصِدٌ﴾ سالكٌ القصد؛ أى الطريقَ المستقيمَ لا يعدل عنه إلى غيره، وهو الوفاء فى البرّ بما عاهد الله عليه فى البحر؛ وهو التوحيد والطاعة. وأصلُه استقامةُ الطريق، ثم أطلق على ما ذُكر مبالغةً. ﴿خَتَّارٍ﴾ غدّار لنقْضه العهدَ الفطرىّ؛ من الخَتْر وهو الغدر والخديعة، أو أشدُّهما؛ كالخُتُور. وفعلُه كضَرَب ونَصَر.

٣٣ - ﴿لَا يَجْزِى﴾ لا يَقْضى والدٌ عن ولده شيئًا؛ من جَزَى بمعنى قضى. ﴿الْغَرُورُ﴾ هو كلُّ ما يَغُرُّ الإنسانَ ويخدعه من نحو مال وجاه، وشهوةٍ وشيطانٍ وهو أخبث الغارّين؛ نعوذ بالله منه!

٣٤ - ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ..﴾ هذه الأمورُ الخمسةُ من المغيّبات، قد استأثر الله تعالى بعلمها اليقينى على وجه الإحاطة والشمول، لأحوال كلٍّ منها وتفصيله على الوجه الأتم المطابق للواقع؛ فلم يُطلع عليها مَلَكًا مقرَّبًا ولا نبيًّا مرسَلاً على هذا النحو من العلم. فلا ينافى أن يُطلع بعضَ أصفيائه وخواصّه على أحدها لا على هذا النحو؛ ففى الصحيح عن أنس بن مالك عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله تعالى وكَّل بالرَّحم ملَكًا يقول ياربِّ نطفةٌ ياربِّ علقةٌ ياربِّ مضغةٌ فاذا أراد الله تعالى أن يقضى خلْقَه قال: أذكرٌ أم أنثى شقىٌّ أم سعيدٌ فما الرزقُ فما الأجل فيكتب فى بطن أمّه) فحينئذ يَعلم بذلك المَلَكُ ومن شاء الله تعالى من خلقه. وليست المغيّباتُ محصورةً فى الخمسة، بل كلُّ غيب لا يعلمه إلا الله على

النحو المذكور . وما يُخبرُ به المنجّمُ والطبيبُ وعلماءُ المراصد من الأمور التي لم تتكشّف بعدُ ؛ فبناه ظنٌّ لا يقينٌ ببعض الأحوال الجزئية - ينبني على أماراتٍ أو حسابٍ قد يصيب وقد يُخطئ . والله أعلم .

(٣٢) سُورَةُ السَّجْدَةِ مَكِّيَّةٌ
إلا من آية ١٦ إلى غاية آية ٢٠ فمدنية
وآياتها ٣٠ نزلت بعد المؤمنون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ

سُورَةُ السَّجْدَةِ

٢ - ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ ..﴾ مبتدأٌ خبرُه (مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) . وجملةُ (لَا رَيْبَ فِيهِ) أي في كونه منزَّلاً منه تعالى معتَرِضَةٌ بينهما . أو حالٌ من (الكتاب) .

٣ - ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ أي بل أيقولون : اختلق القرآنَ وافتعلَه من تلقاء نفسه ! فـ (أمْ) مُنْقَطِعَةٌ ، بمعنى بل التي للإضراب وهمزةِ الاستفهام ؛ إنكارًا لقولهم وتعجُّباً منه لظهور عجز بُلغائهم عن مُعارضته . والافتراءُ : الاختلاقُ . يقال : افترى الكذبَ أي اختلقه . وأصلُه من الفَرْي بمعنى قطع الجلد ؛ وأكثرُ ما يكون للإفساد . ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ بدليل إعجازه ؛ فليس الأمر كما قالوا تعنُّتاً أو جهلاً . ﴿لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [آية ٤٦ القصص ص ٤٩٥] .

٤ - ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ أي استواءً يليق به سبحانه بلا كيفٍ ولا تمثيل [آية ٢٩ البقرة ص ١١ ، ٥٤ الأعراف ص ٢٠٧] . ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ ليس لكم إذا جاوزتم رضاه وليٌّ أي ناصرٌ ينصرُكم إن أراد بكم ضرًّا . ولا شفيعٌ يشفع لكم عنده . وأصلُ الشفاعة : الانضمامُ إلى آخرَ ناصرًا له سائلاً عنه ؛ وأكثرُ ما يُستعمَل في انضمام مَن هو أعلى حُرْمةً ومرتبةً إلى من هو أدنى .

٥ - ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ..﴾ التَّدبيرُ الإحكامُ والإتقانُ ؛ وهو هنا إرادة الأشياء على هذا النحو . والأمرُ : الشأنُ . والمرادُ شئون الدنيا كلُّها . والجارّان متعلّقان به . والعُروجُ : الارتفاعُ والصيرورةُ إليه تعالى . واليومُ : يومُ القيامة ، ويتفاوت طولُه بحسب اختلاف الشدّة . فيعادل في حالةٍ ألفَ سنة من سني الدنيا ، وفي حالة خمسين ألفًا منها . أي يُحكِمُ اللهُ شئونَ الدنيا كلَّها السماوِّيةَ والأرضيّةَ إلى أن تقوم الساعة . أي يريدها محكمةً

خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ
مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ
لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾
وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ بَلْ هُم
بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ * قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ
ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ
ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا
فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا
كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ

ربع الحزب

متقنةً حسبما تقتضيه الحكمة ، ثم تصير كلُّها إليه فى يوم القيامة . وهو اليوم الذى لا حُكمَ فيه لسواه ولا مُلكَ لغيره (لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) [1] لِيَحْكُم فيما شأنُه أن يُحْكَم فيه بما يريد . ثم وصف هذا اليوم بما يفيد الشِّدةَ وعِظَم الهَوْلِ ، وأنه إذا قيس بأيام الدنيا كان كألف سنة منها ، وقد يكون كخمسين ألفاً . وإذا كانت صيرورةُ الأمر كلِّه إليه يوم القيامة ، فكيف يكون للمشركين فيه من دون الله ولىٌّ أو شفيع ! ؟

٧ ـ ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ﴾ أَحْكَمَ وأتقَنَ كلَّ شىء خلقه ؛ أى أَوْجده مُحْكَمًا مُتْقَنًا على وَفْق ما أرادهُ سبحانه ، واقتضته الحكمة واستدعته المصلحةُ . وقُرِئَ «خَلْقَهُ» أى أحْسَنَ خَلْقَ كلِّ شىء ؛ فهو بَدَلُ اشتمالٍ منه . ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ أى خَلَقَ آدمَ من طين . فصار على أحسن صورةٍ وأبدعِ شكل .

٨ ـ ﴿مِنْ سُلَالَةٍ﴾ خُلاصة [آية ١٢ المؤمنون ص ٤٣٦] . ﴿مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ مُمتهَن ، لا يُعتنَى به وهو المَنِىّ . والمَهِينُ : الحقيرُ والضعيف والقليل .

٩ ـ ﴿سَوَّاهُ﴾ قوّمه بتصوير أعضائه وتكميلها . ﴿مِنْ رُوحِهِ﴾ إضافتها إليه تعالى للتشريف ؛ كبيت الله .

١٠ ـ ﴿وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِى الْأَرْضِ ..﴾ أى وقال منكرو البَعْث : أئذا ذهبنا وغِبنا فى الأرض ، وصِرنا ترابًا بعد الموت ، نُخلق بعد ذلك خلقًا جديدًا ! من قولهم : ضلَّ الماء فى اللبَن ، إذا غاب .

١١ ـ ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ﴾ يستوفِى نفوسَكم ولا يُبقِى أحدًا منكم ﴿الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ أى بقَبض أرواحِكم ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ تصيرون إليه أحياءً بالبعث والنشور للحساب والجزاء . وأصلُ التَّوفِّى : أخذُ الشىء وافياً تامًّا . يقال : توفَّاه الله ، أى استوفَى رُوحَه وقبَضَه . وتوفّيتُ مالى : استوْفيته . والتفعُّلُ والاستفعالُ يلتقيان ؛ تقول : تقضّيته واستقضيته ، وتعجّلته واستعجلته .

١٢ ـ ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ﴾ مُطرقوها من الخزى والحياء والنّدم فى موقف الحساب ؛ من النَّكْس وهو قلبُ الشىء على رأسه ؛ كالتَّنكيس . وفعلُه من باب نصر . وجوابُ (لو) محذوفٌ ؛ أى لرأيت العجب . ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ أى بالبعث والحساب الآن .

١٣ ـ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ أى لو شئنا إيتاءَ كلِّ نفس رشدَها وتوفيقَها إلى الإيمان لآتيناها إيّاه . ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّى﴾ أى ثبت وتحقّق قولى :

(١) آية ١٦ غافر .

مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ ۩ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ

سجدة

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ وهم الذين سبق فى علمنا أنهم يؤثرون الضّلالَ على الهدى لفساد استعدادهم ؛ فلم نشأ إعطاءَهم الهدى وأنتم منهم . وإنما شئنا إعطاءه للأبرار الذين علِمنا أنهم يختارون الهدى على الضّلال ؛ لنقاء نفوسهم وكمال استعدادهم . ومشيئتُنا لأفعال العباد منوطةٌ باختيارهم إيَّاها المعلوم لنا أزلاً . (مِنَ الْجِنَّةِ) أى من الجنّ . وسُمُّوا جِنًّا لاستتارهم عن الأنظار ؛ من الجَنّ وهو السّتر . قال تعالى : (إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ)[1] .

١٤ - ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ تركناكم فى العذاب غيرَ ملتفتٍ إليكم كالشيء المنسيّ ؛ جزاءَ نسيانكم لقاءَ هذا اليوم .

١٥ - ﴿خَرُّوا سُجَّدًا﴾ سقطوا ساجدين لله تعالى ؛ تواضعًا له وخشوعًا وخوفًا من عذابه . قال أبو حيّان : هذه السّجدةُ من عزائم سجود القرآن .

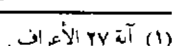
١٦ - ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ تتنحّى وترتفعُ جنوبُهم عن فِراش النّوم للعبادة . والتَّجافى : التّنحّى إلى جهة فوق . وأصلُه من جَفَا السّرجَ عن فرسه ، إذا رفعه ، كأجفاه . ويقال : تجافَى عن مكانه إذا لم يلزمه . والجُنوبُ : جمعُ جَنْب . وأصلُه الجارحةُ المعروفة أريد به الشّخص . والمضَاجعُ : جمعُ مضْجَع وهو مكان الاتكاء للنوم . والمرادُ : هجرُهم النومَ وقيامُهم ليلاً للتّهجُّدِ والعبادة .

١٧ - ﴿مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ أى مما تُسَرّ به قلوبُهم [آية ٢٦ مريم ص ٣٩١ ، ٣٩٢] .

١٩ - ﴿فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى﴾ أى الجنّاتُ التي يأوُون إليها ويسكنون . ﴿نُزُلاً﴾ ثواباً ، أو ضيافةً . وأصلُه ما يهيّأ للضّيف النازل من الطعام والشّراب والصِّلة ، ثم عَمَّ كلَّ عطاء . ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أى بسببه . وكونُ العمل سبباً إنما هو بمحض فضل الله تعالى .

٢٠ - ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ منزلهم ومسكنُهم .

٢١ - ﴿مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى﴾ أى الأقرب ، وهو عذابُ الدنيا ؛ كالأسقام والمصائب والجَدْب .



(١) آية ٢٧ الأعراف .

ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

٢٣ - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراةَ ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ﴾ شكّ ﴿مِنْ لِقَائِهِ﴾ أى لقاء موسى الكتاب بقبول ورضًا وتحمُّلٍ لشدائد الدعوة به ؛ فكن مثلَه فى ذلك .

٢٦ - ﴿أَوَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ أى أغفلوا ! ولم يُبيِّنْ لهم مآلَ أمرهم ، أو طريقَ الحق كثرةُ من أهلكنا من الأمم السّابقة المعروفة لهم بسبب كفرهم ، فكذلك هم يُهْلَكُون ؛ من الهداية وهو الدّلالة الموصِّلة للمطلوب . ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا ..﴾ كثرة إهلاكنا الأمم قبلهم . ﴿الْقُرُونِ﴾ الأمم الخالية . وجملةُ ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ حالٌ من الضمير فى (لَهُمْ) .

٢٧ - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ أى أعمُوا ولم يشاهدوا ﴿أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ أى اليابسة التى جُرِز نَبَاتُهَا وقُطِعَ ؛ إمّا لعدم الماء أو لرعْيه . [آية ٨ الكهف ص ٣٧٥] .

٢٨ - ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ أى الفصلُ فى الخصومة بيننا وبينكم . والفتحُ : القضاءُ والحُكم . [آية ٨٩ الأعراف ص ٢١٣] . قال المشركون ذلك استهزاءً وتكذيبًا .

٢٩ - ﴿يَوْمَ الْفَتْحِ﴾ أى يومَ القيامة . ﴿لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ﴾ أى لا ينفعُ الذين ماتوا على الكفر إيمانهم فى ذلك اليوم . ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ أى يُمهلون فى العذاب . واللهُ أعلم .

سُورةُ الأحـزَابِ

(٣٣) سُورة الأحزاب مدنية وآياتها ٧٣ نزلت بعد آل عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ۚ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَٰكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥﴾ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ

نصف الحزب

١ - ﴿اتَّقِ اللَّهَ﴾ دُمْ على التقوى. أو ازدد منها، وهو صلّى الله عليه وسلم أتقى المتقين. ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ ودُم على عدم إطاعتهم فيما يطلبونه منك من رفض ذكر آلهتهم، وأنْ تقول إنها تشفع وتنفع. وهو تخصيصٌ بعد تعميم؛ لاقتضاء المقام الاهتمام به.

٣ - ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ حافظًا متوليًا كلَّ أمورك.

٤ - ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ مَثَلٌ ضربه الله للمُظاهر من امرأته، والمُتبنِّي ولدَ غيره تمهيدًا لما بعده. أي كما لم يخلق الله للإنسان قلبيْن في جوْفه، لم يجعل المرأةَ الواحدةَ زوجًا للرجل وأمًّا له، والمرءَ دَعِيًّا لرجل وابنًا له. ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ بتحريمهن على أنفسكم تحريمًا مؤبَّدًا. يقال: ظاهر من امرأته وتَظَهَّرَ وظَهَّرَ، إذا قال لها أنتِ عليَّ كظَهْرِ أُمِّي؛ يريد به تحريمها عليه كأمِّه. وقد ردَّ الله تعالى عليهم في سورة المجادلة بقوله: (الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا)(1). ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ جمعُ دَعِيٍّ، وهو الذي يُدْعَى ابنًا لغير أبيه. وكان الرّجلُ يتبنَّى ولدَ غيره، ويُجرى عليه أحكام البنوّة النَّسَبيّة؛ ومنها حرمة تزوّجه بمطلّقته، كما تحرم زوجة الابن النَّسَبيِّ على أبيه. فأبطل الله بذلك حكم هذا الظِّهار وأبطل التَّبنِّي. ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي ما ذُكر منهما ﴿قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ أي مجرّدُ قولٍ باللسان لا يَحكي الواقع. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ أي القولَ الثّابتَ المحقَّق ﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ يُرْشد إلى سبيل الحق.

٥ - ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ انسبوهم لآبائهم النَّسَبيِّين دون غيرهم. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تبنَّى قبل البعثة زيدَ ابنَ حارثة بعد أن أعتقه؛ فما كان

(١) آية ٢ سورة المجادلة.

أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ
بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن
تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ
مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ
وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا
مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ
وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾

يُدْعَى إلّا زيد بن محمد . فلما نزلت الآيةُ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أنت زيد بنُ حارثة ابن شراحيل) . ﴿هُوَ أَقْسَطُ﴾ أعدل . ﴿فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ﴾ لتنسبوهم إليه . ﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾ إخوانكم ﴿فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ أى أولياؤكم فيه ؛ فادعوهم بالأخوّة والمَوْلويَّة ، وقولوا للواحد منهم : أخى ومولاى . ولذا قيل لسالم بعد نزول الآية : سالم مَوْلَى أبى حُذَيفة . وكان قد تبنّاه قبلُ .

٦ - ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ أى أحقُّ بهم من أنفسهم فى الطاعة ؛ فإذا دعاهم إلى أمر ودعتْهم نفوسُهم إلى خلافه وجب أن يُؤْثِروا ما دعاهم إليه على ما دعتهم أنفسُهم إليه ؛ لأنه لمزيد شفقته عليهم ونُصحِه لهم لا يدعوهم إلا إلى ما فيه نجاتُهم . ونفوسُهم كثيرًا ما تدعوهم إلى ما فيه هلاكهم . ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ أى كأمهاتهم فى وجوب تعظيمهنّ ، وحُرمةِ نكاحهنّ بعده صلى الله عليه وسلم حُرمةً مؤبّدةً . وأمّا فيما عدا ذلك من النّظر إليهن والخَلْوة بهنّ وإرثهن ونحو ذلك فهنّ فيه كالأجنبيّات ؛ ولذا لم يتعدّ التحريمُ إلى بناتهنّ . ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ﴾ أى ذوو القرابات مطلقًا : عصبةً وغيرَ عصبة ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ فى الإرث ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أى فيما أنزله الله فى كتابه ، وهو آية المواريث فى سورة النساء[1] . ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ بيانٌ لأولى الأرحام . وكان بالمدينة توارثٌ بين المهاجرين والأنصار بالهجرة والمؤاخاة – كما تقدم فى آية ٧٢ من الأنفال – ثم نُسخ بآية ٧٥ منها وأُكّد النسخ بهذه الآية ، وجُعل التوارثُ بحق القرابة . ﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ أى لكن إذا أوْصيتم إلى من توادُّونهم من هؤلاء بشىء من أموالكم كان ذلك جائزًا ؛ فيكون لهم بحكم الوصية لا الميراث .

٧ - ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ ..﴾ أى واذكر وقتَ أخذنا من جميع النّبيّينَ العهدَ الوثيق بتبليغ الرّسالات وإقامة الدّين الحقّ . أو بتصديق بعضِهم بعضًا فى أصول الشرائع . وخُصّ خمسةٌ منهم بالذكر ، وهم أُولو العَزْم من الرسل لفضلهم على سائرهم ؛ وقُدّم ذكرُ نبيّنا صلى الله عليه وسلم لمزيد فضله عليهم وعلى سائر النبيّين . صلواتُ الله وسلامُه عليهم أجمعين . ﴿مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ عهدًا وثيقًا قويًّا على الوفاء .

٩ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ..﴾ بيانٌ لمزيد فضله تعالى على المؤمنين فى صرفه أعداءَهم عنهم وهزمِه إيّاهم حين تحزّبوا عليهم ؛ وذلك فى شوالِ سنةَ خمسٍ أو أربع من

(1) الآيات ١١ ، ١٢ ، ١٧٦ .

إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ

الهجرة . وتُسَمَّى غَزْوَةَ الأحزاب وغَزْوَةَ الْخَنْدَق . ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ وهم قريش وبنو أسد وغطَفانُ وبنو عامر وبنو سُلَيم وقُرِيظةُ والنَّضِيرُ ، وكانوا زُهاءَ اثنى عشر ألفًا . ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بإقبالهم أمرَ بحفر خَندق حولَ المدينة بإشارة سلمانَ الفارسيّ . ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ هى ريح الصَّبَا وكانت شديدةَ البرودة . ﴿وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ هم الملائكة ، ولم يُقاتلوا فى هذه الغَزْوة ؛ وإنما ألقَوا الرُّعبَ فى قلوب المشركين .

١٠ - ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ مالت عن سَنَنِها حَيرةً ودَهْشَةً ، شاخصةً لا تلتفت إلى شىء إلّا إلى عدوِّها . يقال : زاغ يزيغ زيغًا وزيغانًا ، مال . وزاغ البصرُ : كَلَّ ؛ وكلالُهُ من استدامة شخوصه من شدّة الهَوْل . ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ نَبَتْ عَنْ أَمَاكِنِهَا من الصدور ، حتى بلغت الحلاقيم . وهو كنايةٌ عن شدّة اضطراب القلوب ووجيبها من عِظَم الفَزَع والخوف . ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ أى الظنونَ المختلفة . ظنّ المنافقون أنّ المسلمين يُستأصلون ، وأيقن المؤمنون حقًّا أنّ وَعْد الله حقٌّ وأنهم هم المنصورون .

١١ - ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أى فى ذلك المكانِ الدّحْضِ اختبر الله المؤمنين بالخوف والجوع وشدّةِ الحصار ؛ ليتبيّن المخلصون من المنافقين . ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ اضطربوا كثيرًا من شدة الفزع .

١٢ - ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ هم المُنافقون . والعطفُ لتغايُر الصّفات . ﴿غُرُورًا﴾ باطلاً من القول . يقال : غَرَّهُ غرًّا وغُرورًا وغِرّةً ، خدَعه وأطمعه بالباطل ، فاغتر هو . وكان القائلون بهذه المقالة نحوَ سبعين رجلاً من المنافقين .

١٣ - ﴿يَثْرِبَ﴾ اسم المدينة المنورة قديمًا . ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ أى لا إقامةَ أو لَا مكانَ إقامةٍ لكم ههنا ﴿فَارْجِعُوا﴾ إلى بيوتكم بالمدينة . ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ﴾ هم بنو حارثةَ بن الحارث وبنو سَلِمةَ . ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ خاليةٌ ضائعةٌ غيرُ حصينة . يقال : دَارٌ ذَاتُ عَوْرَةٍ ، ودارٌ مُعْوِرَةٌ : إذا كان يسهل دخولُها . وكلُّ مكانٍ ليس بممنوعٍ ولا مَسْتُورٍ فهو عورةٌ . والعورة فى الأصل : الخَلَلُ فى البناء ونحوه . ﴿فِرَارًا﴾ هربًا من القتال مع المؤمنين .

١٤ - ﴿مِنْ أَقْطَارِهَا﴾ جوانبها ونواحيها . ﴿سُئِلُوا الْفِتْنَةَ﴾ أى طُلب منهم مُقَاتَلَةُ المُسْلِمينَ . ﴿لَآتَوْهَا﴾ أى لأعطَوْها وفعلوها . ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾ أى ما تأخّروا بالفتنة إلا



ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟

زمانًا يسيرًا قدرَ ما يأخذون أسلحتَهم. والتَّلبُّثُ: الإبطاءُ والتأخر؛ وهو تمثيل لإسراعهم إلى القتال وهم فى أشدّ حال إذا ما دُعُوا إلى مقاتلة المسلمين، لفَرْط كراهتهم لهم. فضلاً عن تعلُّلهم باختلال البيوت مع سلامتها.

١٥ - ﴿لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ﴾ لا يَفِرُّون ولا يَنهزمون؛ كُنِّىَ عن ذلك بتولِّى الأدبار، لأنَّ المنهزمَ الفارَّ يولِّى ظهرَه مَن فرَّمنه.

١٧ - ﴿يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ يمنعكم من قدره تعالى.

١٨ - ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ﴾ المثبِّطين عن القتال، الصَّارفين الناسَ عن نُصرة الرّسول صلى الله عليه وسلم. وهم طائفةٌ من المنافقين كانوا يُخذِّلون المسلمين؛ من العَوْق وهو المنعُ والصَّرْفُ والتَّثبيط؛ كالتَّعويق والاعتياق. يقال: عاقه يعوقه عَوْقًا، وعوَّقه واعتاقه: صرفَه عن الوجه الذى يريده. ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ تعالَوْا إلى ما نحن فيه من الإقامة والأمن والدَّعَة، ولا تشهدوا مع محمد قتالاً؛ فإنا نخاف عليكم الهلاك. اسمُ فعلِ أمر [آية ١٥٠ الأنعام ص١٩٥]. ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ﴾ الحربَ والقتالَ ﴿إِلَّا قَلِيلاً﴾ أى إلا إتيانًا قليلاً حين لا يجدون منه بُدًّا؛ فيأتون رياءً وسُمْعةً لا احتسابًا عند الله تعالى.

١٩ - ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ بُخَلاءَ عليكم بالنُّصرة والنفقةِ فى سبيل الله والمعاونة فى حَفر الخَنْدق، وبكلّ ما فيه منفعةٌ لكم. جمعُ شَحيح؛ من الشُّح وهو البُخل مع الحِرْص. منصوبٌ على الحال من ضمير «يَأْتُونَ». ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ﴾ من جهة العدوِّ أو منه صلى الله عليه وسلم ﴿رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ خوفًا من القتال أو منك ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ بأحداقهم يمينًا وشمالا دون أن تَطرِف. ﴿كَالَّذِى يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ أى كدوران عينَى الذى تغشاه سكرات الموت؛ لذهوله وشدَّة خوْفه. ﴿سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ أى بَسَطُوا فيكم ألسنتَهم الذَّرِبَةَ بالأذى والسبِّ والتنقيص. يقال: سلَق البيضَ وغيره يَسْلُقُهُ، أغلاه بالنار إغلاءةً خفيفةً. وسَلَقه بالكلام: آذاه به. وأصلُ السَّلْق: بسطُ العضو ومَدُّه للقهر، يدًا كان أو لسانًا. و«حِدادٍ»: أى ماضيةٍ صارمةٍ تؤثِّر تأثير الحديد. يقال: حدَّ السِّكينَ وأحدَّها وحدَّدها، مسحها بحجر أو مِبْرد؛ فهى حديد. ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾

وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ

بُخلاءَ حَريصين على الغنيمة . يُشاحُّون المؤمنين عند قسمتها .

٢٠ - ﴿يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ يتمنّى المنافقون إذا فُرِضَ رجوعُ الأحزابِ للقتال مرّةً أخرى ، أن يكونوا غُيَّبًا عنكم فى البادية مع الأعراب حذرًا من القتل ؛ لشدّة خوفهم وجُبنهم . يقال : بدا القومُ بَدًا ، خرجوا إلى البادية . وقومٌ بُدًى وبُدًّا : بادون . والأعرابُ : جمعُ أعرابيّ وهم أهل البادية ؛ كما أن العربَ جمعُ عَرَبيّ وهم أهل الحاضرة .

٢١ - ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أى خَصْلةٌ حسنةٌ من حقّها أن يُؤْتَسَى ويُقْتَدى بها ، وهى الثّقة بالله والثباتُ فى الشدائد . والصبرُ على المكاره والقتالُ بنفسه . أو قدوةٌ صالحةٌ ؛ بمعنى المؤتسَى به أى المقتدَى به . وقُرِئَ بكسر الهمزة . والخطاب للمؤمنين الخُلّص .

٢٣ - ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾ أدّى نذرَه ، ووفَّى بعهده مع الله حتى استُشهد فى سبيله . والنَّحْبُ : النَّذْرُ . وقضاؤه : الوفاءُ به . يقال : نَحَبَ - كنصر - إذا نذر . وقيل « قَضَى نَحْبَهُ » : أى مات على ما هو عليه من الصِّدق والوفاء .

٢٤ - ﴿لِيَجْزِيَ اللهُ ..﴾ أى ابتلاهم الله برؤية ذلك الخَطْب ليجزى ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ﴾ أى فى الآخرة ﴿إِنْ شَاءَ﴾ أن يموتوا على نفاقهم ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ أى يوفِّقهم للتوبة ، أو يقبل توبتهم إذا تابوا فلا يعذبهم فيها .

٢٦ - ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ ..﴾ وأنزل يهودَ قريظةَ الذين عاونوا الأحزابَ على قتال المسلمين ، ونقضوا العهد الذى كان بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم غدْرًا وخيانةً . ﴿مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾ أى من حصونهم . جمع صِيصِيَة وهى كل ما يُتحصَّن

تَطَـُٔوهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ * وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا

حزب ٤٢ جزء ٢٢

به ؛ ومنه قيل لقَرْن الثَّور والظَّبْى وشوكةِ الديك التى فى رجله صِيصِيَّة ؛ لتحصُّنها بها . وكان ذلك إثرَ غزوة الخَنْدق فى آخر ذى القعدة . وقد حاصرهم الرسولُ صلى الله عليه وسلم خمسًا وعشرين ليلةً ، ثم طلبوا حين اشتدّ البلاءُ عليهم أن ينزلوا على حُكم سعدِ بن معاذ ورضى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحكم فيهم أن تقتل الرجالُ ، وتُقْسم الأموالُ ، وتُسْبَى الذَّرارىُّ والنساءُ ؛ فكبَّر النبىُّ صلى الله عليه وسلم وقال : (لقد حكمتَ فيهم بحكم الله من فوق سبعةِ أرْقِعة) . فكان القتلى منهم على ما قيل ستَّمائةٍ أو سبعمائةٍ مُقاتل . ﴿الرُّعْبَ﴾ الخوف الشديد .

٢٧ - ﴿وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا﴾ أى وأورثكم أرضًا لم تطئوها بعدُ بقصد القتال وهى خَيْبَرُ ، وهى مدينة كبيرةٌ محصَّنة ، بينها وبين المدينة أربعُ مراحل ، وكان فتحها فى شهر المحرّم من السنة السابعة . وتفصيل هذه الغزوات فى السِّيرة .

٢٨ - ﴿قُلْ لِأَزْوَاجِكَ ..﴾ طلب أزواجُ النبىّ صلى الله عليه وسلم - وهنّ تِسْعٌ - السَّعَة فى النفقة وثيابًا للزِّينة . فأُمِرَ أن يخيِّرَهُنَّ بين التسريح بإحسانٍ لينَلْن الدنيا ، وبين الصبر على ضيق الحال ليظفَرْن فى الآخرة بالحسنى ؛ فاختَرْنَ - رضى الله عنهن - اللهَ ورسولَه والدارَ الآخرة . وقد كافأهنّ اللهُ على ذلك بحُرمة الزيادة عليهن ، وحُرمة استبدالهن بقوله : (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ)[1] . ﴿أُمَتِّعْكُنَّ﴾ أُعْطِكُنَّ مُتعة الطّلاق ، وهى مستحبَّةٌ للمطلقات المدخول بهن اللاتى سُمِّىَ لهن مهرٌ ؛ وهى حقّ على المتقين [آية ٢٣٦ البقرة ص ٥٧] . ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ أُطَلِّقْكُنّ طلاقاً خالياً من الضِّرار أو من الخصومة ، وهو التسريحُ بإحسان .

٣٠ - ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ ..﴾ وَعْظٌ لنسائه صلى الله عليه وسلم مع عصمة الله لهن وطهارتهنّ من كل سوء . أى من يأت منكن بمعصية ظاهرةِ القُبح يضاعف عقابها ؛ فإن المعصية من رفيع الشأن أشدُّ قبحاً ؛ فناسب أن يُضاعف جزاؤها . والجملةُ الشَّرْطيَّةُ لا تقتضى وقوعَ الشرط ؛ كما فى قوله تعالى : (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ)[2] .

(١) آية ٥٢ سورة الأحزاب .

(٢) آية ٦٥ الزمر .

تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ

٣١ - ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ﴾ أى تخضع وتُطع .

٣٢ - ﴿يَانِسَاءَ النَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ..﴾ أدبٌ أدَّبَ الله به نساءَ نبيِّه صلى الله عليه وسلم ، وهنَّ فى مكان القدوة لسائر النساء ، ومن حَمَلة هدْى النبوّة للأمة . أى لستُنَّ كجماعة واحدة من جماعات النساء ؛ فإذا تُقُصِّيَتْ أمّةُ النساء جماعةً جماعةً لم توجد جماعةٌ منهن تعدلكُنَّ فى الفضل والسابقة ﴿إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ الله عزّ وجلّ كما أمركُنّ . أى إنْ دُمْتُنَّ على ما أنتنَّ عليه من التَّقوى ؛ وهو شرطٌ لنَفْى المثليَّة . ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ لا ترقِّقْنَ الكلام ولا تُلَيِّنَّه إذا خاطبتنَّ الرجالَ . والعربُ تَعُدُّ من محاسن خصال النساء - جاهليةً وإسلامًا - تنزيهَ خطابهن عن ذلك لغير الزوج من الرجال . ﴿وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفًا﴾ حسنًا محمودًا بعيدًا عن الرِّيبة والأطماع .

٣٣ - ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ الْزَمْنَها ، فلا تخرجن لغير حاجة مشروعة . ومثلُهنَّ فى ذلك سائرُ نساءُ المؤمنين .

والحكمةُ فيه : أن ينصرفْنَ إلى رعاية شئون بيوتهن ، وتوفير وسائل الحياة المنزلية التى هى من خصائصهن ولا يحسنها الرجالُ ، وإلى تربية الأولاد فى عهد الطفولة وهى من شأنهن . وقد جرت السُّنة الإلهيَّةُ بأنّ أمْر الزوجين قسمةٌ بينهما ؛ فللرجال أعمالٌ من خصائصهم لا يحسنها النساءُ ، وللنساء أعمالٌ من خصائصهن لا يُحسنها الرجال ، فإذا تعدَّى فريقٌ عملَه اختلّ النظام فى البيت والمعيشة . ومما يباح خروجهن لأجله : الحجُّ ، والصلاةُ فى المسجد ، وزيارةُ الوالديْن ، وعيادةُ المريض ، وتعزيةُ الأقارب ، والعلاجُ ونحو ذلك ؛ بشروطه التى منها التستُّر وعدمُ التبذُّل .

و « قَرْنَ » وقُرِئَ « قِرْنَ » بكسر القاف ؛ كلاهما من القرار بمعنى السكون . يقال : قرَّ بالمكان يَقِرَ - بالفتح والكسر - إذا أقام فيه وثبت . والأمْرُ من الأوّل قَرْن ، وأصلُه : اقْرَرْن - بفتح الراء الأولى - . ومن الثانى قِرْن ، وأصلُه : اقْرِرْنَ - بكسر الراء الأولى . ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ أى إذا خرجتُنَّ لحاجة فيحرُم أن تُبْدِى إحداكنَّ من زينتها ما أوجب الله عليها ستَره ؛ كالشعر والعُنُق والصَّدر والذّراعين والسّاقين ، مما شأنُه أن يُثير النظرُ إليه شهوةَ الرجال . ومن التبرُّج فى بعض الروايات : المِشْيَة بتكسُّر وحركات مثيرة ؛ كما كان يفعل نساء الجاهلية الأُولى . مأخوذٌ من البَرَج وهو سَعة العين وحسنُها . و « الْأُولَى » بمعنى المتقدّمة . يقال لكل متقدّم ومتقدّمة : أوّلُ وأُولى . أو هى بمثابة قولهم : الجاهليّةُ الجَهْلاء .

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ تعليلٌ لما تقدم من الأوامر والنّواهى . والرِّجْسُ : الإثمُ والذنبُ ، والقَذَرُ والنقائصُ . والمرادُ هنا : ذهابُ كلِّ ذلك عنهم . و « الْ » فيه للاستغراق ، ويحتمل أن تكون للجنس . ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ هم نساؤه صلى الله عليه وسلم بقرينة السياق .

٣٤ - ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِى

وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ
وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ
وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ
وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ
وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً
وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى
اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ
وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾
وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ
عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ
وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا
وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ
فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ
اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ

بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالحِكْمَةِ﴾ أى اعمَلن بما ينزل فى بيوتكن من القرآن الجامع بين كونه آيات بينات دالةً على صدق النُّبوة ، وكونه حكمةً مشتملةً على فنون العلوم والشرائع ، والحكم والمواعظ ، والآدابِ والفضائل . وفى الآية إشارةٌ إلى أنهنَّ – وقد خُصِصْنَ بنزول الوَحْى فى بيوتهنّ دون سائر الناس – أحقُّ بهذه الذكرى من سواهُنَّ .

٣٥ – ﴿والْقَانِتِينَ﴾ المطيعين الخاضعين لله .

٣٦ ، ٣٧ – ﴿وَمَا كَانَ﴾ أى ما صَحَّ ﴿لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ . والمرادُ : أنه لا يَحلُّ لأىِّ مؤمنٍ ولا لأى مؤمنةٍ ﴿إِذَا قَضَى﴾ أى أراد ﴿اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾ أى أراده رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذِكْرُ ﴿اللهُ﴾ للإشعار بأن ما يفعله صلى الله عليه وسلم إنما يفعله بأمر الله تعالى ؛ لأنه لا ينطق عن الهوى . ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ أى أن يختاروا من أمورهم ما شاءوا ؛ بل يجب عليهم أن يُذعِنُوا لأمره صلى الله عليه وسلم ويجعلوا رأيَهم تابعًا لرأيه فى كل شىء . نزلت فى زينب بنتِ جَحش الأسدية ابنة أُمَيمةَ بنت عبد المطلب عمّةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم . ذلك أنه خطبها صلى الله عليه وسلم لمولاه وحِبِّه زيد بن حارثة ، وقال لها : (إنى أُريد أن أُزوِّجَكِ زيد بن حارثة وقد رضيتُه لكِ) فأبتْ واستنكفتْ منه وقالت : يا رسول الله ، أنا خيرٌ منه حسبًا ! ووافقها أخوها عبد الله ؛ فلما نزلت الآيةُ رضيَا وسلّما . فأنكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدًا ودخل بها ومكثت عنده نحو سنة . وكانت حديدةَ الطبع ، تُخْشِنُ له القولَ وتُسمعه ما يكره ، وتفخَر عليه بحسبها ؛ فشكاها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ورغِب فى فراقها فقال له : ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ﴾ فى أمرها ، ولا تطلّقها ضِرارًا وتعلُّلاً بحدَّتها وتكبُّرها . ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا

ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً

اللهُ مُبْدِيهِ﴾ وهو ما أَوْحَى الله إليك أنّ زيدًا سيطلّقها وتكونُ إحدى نسائك بتزويج الله إيّاها لك ؛ لكيلا يكون على المؤمنين حَرَج فى التزوُّج بمطلقات أدعيائهم بعد انقضاء عدّتهن . فلم يخبره صلى الله عليه وسلم بذلك استحياءً من أن يقول : إنّ التى معك ستكون زوجتى . وَمِن أن يقول الناس : إنه يتزوّج مطلّقةَ ابْنه ؛ فعاتبه الله على إخفاء ذلك ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ واللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ أى تستحِى من قولهم . والله وحدَه أحقُّ أن تخشاه . أى تستحِى منه فى كل أمر ؛ فتفعل ما أباحه لك وأذِن لك فيه . وتُبديه ولا تخفيه . فهو عتابٌ على تَرْك الأَوْلَى به صلى الله عليه وسلم . ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا﴾ أى حاجةً . وطابت عنها نفسُه . وطلّقها وانقضت عدّتُها ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ جعلناها زوجةً لك بلا عقد ومهر وشهود ؛ لِكى لا يكون .. وهو من خصوصيّاته صلى الله عليه وسلم . وكان ذلك فى سنة خمس من الهجرة . وكانت سنّها خمسًا وثلاثين سنةً . وكانت صوّامةً قوّامةً محسنةً . ﴿أَدْعِيَائِهِمْ﴾ من تبنوهم (قبل نسخ التبنى) .

٣٨ ـ ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ﴾ أى قسَمَ له وقدَّر ؛ مِن قولهم : فَرضَ له فى الدّيوان كذا . أو فيما أَحَلّ اللهُ له وأمَرَه به مِن تزوُّج زينبَ التى طلّقها دَعِيُّه زيدُ بن حارثة رضى الله عنه . ﴿سُنَّةَ اللهِ﴾ أى سنَّ الله ذلك سُنَّةً . ﴿خَلَوْا مِن قَبْلُ﴾ مضوا من قبلك من الأنبياء . ﴿قَدَرًا مَقْدُوراً﴾ واقعًا لا محالةَ . والقَدَرُ : إيجادُ الأشياء على قَدْر مخصوص من الوجوه التى تقتضيها الحكمة والمصلحة . ويقابله القضاءُ ، وهو الإرادةُ الأزليّة المتعلقةُ بالأشياء على ما هى عليه ؛ وقد يستعمل كلٌّ منهما بمعنى الآخر . والأظهرُ أنه هنا بمعنى القضاء . و «مَقْدُورًا» وصفٌ مؤكِّد ؛ كما فى قولهم : ظلٌّ ظَلِيلٌ ، ويومٌ أَيْوَمُ .

٣٩ ـ ﴿حَسِيبًا﴾ مُحاسبًا على عزائم القُلُوب وأفعال الْجَوارِحِ ؛ فلا ينبغى أن يُخشَى غيرُه .

٤٠ ـ ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ أُبوّةً حقيقيةً تترتب عليها أحكامها من الإرث والنّفقة وحُرمةِ المصاهرة . وزيدٌ من رجالهم ، فليس النبيُّ أبًا له ؛ فلا يَحْرُم عليه التزوُّجُ بمطلَّقته . ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ أى أنهم به خُتِموا ؛ فهو كالخاتَم والطَّابَع لهم . ختم الله به النُّبُوَّةَ فطبع عليها ؛ فلا تُفتح لأحد بعدَه إلى قيام الساعة . وقرِئ بكسر التاء ؛ بمعنى أنه ختَمَهم أى جاء آخرَهم . وقيل : الخاتم ـ بكسر التاء وفتحها ـ بمعنًى واحد ؛ مثل طابِع وطابَع . والمرادُ على القراءتين : أنه صلى الله عليه وسلم آخرُ أنبياء الله ورسله ؛ فلا نبىٌّ ولا رسولَ بعده إلى قيام الساعة ؛ فمن زَعَم النبوّةَ بعده فهو كذّابٌ أفّاكٌ ، وكافرٌ بكتاب الله وسنّةِ رسوله . ولذا أفتَيْنا بكُفْر طائفة القاديانيّة ، أتباعِ المفتون غلام أحمد القاديانى الزّاعِم هو وأتباعُه أنه نبىٌّ يوحَى إليه ، وأنه لا تجوز مناكحتهم ولا دفنهم فى مقابر

وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا

المسلمين. وكذلك أفتى الآلوسيّ بكفر البابيّة، وهم عصابة من غلاة الشيعة لهم عقائدُ مكفِّرة.

٤٢ - ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ نزِّهوه عمَّا لا يليق به في وقت البُكرة والأصيل؛ أي أوّل النهار وآخره. وتخصيصُها بالذكر ليس لقصر التسبيح عليها دون سائر الأوقات؛ بل لإنافة فضلها على سائرها. وقيل: المرادُ من التسبيح فيهما صلاةُ الغداة وصلاةُ العصر.

٤٤ - ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ أي تحيّةُ المؤمنين من الله تعالى يومَ لقائهم له عند الموت أو عند البَعث أو عند دخول الجنة: هي التسليم عليهم على لسان ملائكته الدَّالُّ على السلامة من كل مكروه وآفة.

٤٩ - ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ فأعطوهن المُتْعةَ المعروفةَ وجوبًا إن لم يكن لهنَّ مهرٌ مُسَمًّى، واستحبابًا إن كان قد سُمِّيَ لهنَّ مهرٌ مع نصْفه. ويجوز أن يراد بالمُتْعة العطاءُ؛ فيعمّ نصفَ المهر المسمَّى الواجبَ للمطلّقة قبل المَسِيس، والمتعةَ الواجبةَ للمطلّقة قبل المَسِيس التي لم يسمَّ لها مهر، ويكون الأمر للوجوب لا غير [راجع آيات ٢٨ من هذه السورة، ٢٣٦، ٢٣٧ من البقرة ص ١١، ٥٧]. ﴿وسَرِّحُوهُنَّ﴾ أخرجوهن من منازلكم لعدم وجوب العِدّة عليهن. ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ إخراجًا عاريًا عن أذى ومنع واجب.

٥٠ - ﴿أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ أعطيتَ مهُورهنَّ، وهنَّ نساؤه اللَّاتي في عِصمته؛ كعائشة وحفصة رضي الله عنهما. وأُطلق على المهر أجرٌ لمقابلته الاستمتاعَ الدائمَ بالبُضْع وغيره ممَّا يحلُّ الانتفاعُ به من الزوجة؛ كما يقابلُ الأجرُ المنفعةَ. ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ أي من السَّبْي؛ كصفيَّةَ بنتِ حُيَيٍّ بن أخْطَب، من سَبْي خيْبَر. وجُوَيْرِيَةَ بنتِ الحارث، من سَبْي بني المُصْطَلِق. ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ..﴾ أي قراباتِك من جهة الأب، وقراباتك من جهة

لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ * تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ

ربع الحزب

الأمّ . وهنّ نساءُ قريش ونساءُ بنى زُهْرة . ﴿اللَّاتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ أى حصَلت منهنّ الهجرة وإن لم تقترن بهجرته صلى الله عليه وسلم . وتقييدُ إحلال الأزواج بإيتاء المهور ، والمملوكاتِ بكونهن ممّا أفاء الله عليه ، والقراباتِ بكونهن مهاجراتٍ ـ للإرشاد إلى ما هو الأفضلُ له صلى الله عليه وسلم ؛ لا لتوقُّف الحِلّ عليه . ﴿وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا ...﴾ أى وأحللنا لك امرأةً مؤمنةً إن ملَّكتك المُتْعةَ بها بأىِّ عبارة كانت بلا مَهْر وأنت تريد ذلك ؛ فتكون إرادتك قبولاً . وممّنْ وَهبْن أنفسَهن له صلى الله عليه وسلم خَوْلةُ بنتُ حَكيم . وقيل : لم تكن عنده صلى الله عليه وسلم امرأةٌ إلا بعقد نكاح أو مِلك يمين . وحِلُّ الواهبة نفسَها له مَهْرٍ من خصائصه صلى الله عليه وسلم ، فلا تحلُّ لغيره إلا بمَهْر ؛ كما قال تعالى : ﴿خَالِصَةً لَكَ﴾ أى خلَص لك إحلالُ الواهبة خالصةً ، أى خلوصًا بلا مَهْر ؛ فهى مصدرٌ كالعافية . ﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فلابُدَّ فى الإحلال لهم من مهر المِثْل . ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِى أَزْوَاجِهِمْ﴾ أى فى حق أزواجهم من شرائط العقد وحقوقه ؛ فلا يجوز لهم الإخلال به ، ولا الإقتداءُ بالرسول صلى الله عليه وسلم فيما خصَّه الله به توسعةً عليه وتكريمًا له . فلا يجوز لهم التزوُّج إلّا بعقد ومَهْر وشهود ، ولا تجوز لهم الزيادةُ على أربع .

٥١ ـ ﴿تُرْجِى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ ...﴾ بيانٌ للتَّوسِعة عليه صلى الله عليه وسلم فى ترْك القَسْم بين نسائه ، وأنه لم يُفرضْ عليه كما فُرض على أمّته ؛ فخُصّ بجعل الأمر إليه : إن شاء أن يقَسِم بينهنّ قَسَم ، وإن شاء أن يترك القَسْم ترَك . ولكنّه مع هذا كان يَقْسِم بينهن إلى أن مات ـ عَدَا سودةَ التى وهبتْ ليلتها لعائشة ـ تطييبًا لنفوسهنَّ ، وصونًا لهنَّ عما تؤدّى إليه الغَيْرَةُ مما لا ينبغى من القول. وقيل : كان القَسْمُ واجبًا عليه ثم نُسِخ وجـوبه بهـذه الآية . و «تُرْجِى» تؤخّر المضاجعة أى تتركها . و «تُؤْوِى» أى تضمّ وتضاجع . وقيل : الآيةُ فى الطلاق ؛ أى تطلِّق من تشاء منهن وتُمْسِكُ من تشاء . وقيل فى الأمرين ؛ لإطلاق الإرجاء والإيواء . ﴿وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ أى طلَبت إيواءَ من اجتنبتها . ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ فى ذلك . ﴿ذَلِكَ﴾ أى تفويضُ الأمر من الله تعالى إلى مشيئتك . ﴿أَدْنَى﴾ أقرب إلى ﴿أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾ ويرضَيْن عن طيب نفْس بما تصنع معهن ؛ فإذا سوَّيتَ بينهن وجَدْنَ ذلك تفضُّلاً منك ، وإذا رجَّحت بعضهن علِمْنَ أنه بحُكْم الله تعالى وإذنه لك فيه ، ولا حقَّ لهن قِبَلك ؛ فتطمئنُّ نفوسُهنّ به .

٥٢ ـ ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ

بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ
غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ
فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ
يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ
ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ
ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟
رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ
ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ
فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ

بَعْدُ﴾ أى من بعد التّسع اللّاتى فى عصمتك اليومَ ، وهنَّ اللّاتى اخترْنَكَ . ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ بأن تطلّق واحدةً منهنَّ وتنكح بدَلَها أخرى ؛ فحُرِّمَ عليه الزيادة عليهن والاستبدالُ بهن ؛ مكافأةً لهن على اختياره صلى الله عليه وسلم . والآية مُحكَمةٌ . وقيل : منسوخةٌ بآية «تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ» ؛ بناءً على أن معناها : تُطلّقُ من تشاء وتمسك من تشاء ؛ وأنها متأخِّرةٌ فى النزول عن هذه الآية وإن كانت متقدِّمةً فى التلاوة . وقيل : بآية «إِنَّا أَحْلَلْنَا» . وعن عائشة وأمِّ سَلَمة : ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أُحِلّ له أن يتزوّج من النساء ماشاء . ولكن لم يقع منه صلى الله عليه وسلم زيادةٌ ولا استبدالٌ ؛ لتكون المنّة له عليهن . ﴿رَقِيبًا﴾ حفيظًا ومطّلعًا .

٥٣ ـ ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ ...﴾ نزلت فى أُناس كانوا يتحيّنون طعامَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فيدخلون بيتَه قبل الطعام ، ويمكثون منتظرين نُضجَه ، ثم يأكلون ولا يخرجون ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأذّى بهم . أى لا تدخلوا بيوتَ النبىِّ إلّا وقتَ أن يُؤذن لكم إلى طعام ـ أى تُدْعَوْا إليه ـ ولا تدخلوها إلّا غير منتظرين نُضْجَه وإدراكه . فالنهيُ مخصوصٌ بمن دخل من غير دعوة ، ومَكَث منتظرًا للطّعام من غير حاجة ؛ فلا تُفيد الآيةُ النّهيَ عن الدخول بإذن لغير طعام ، ولا عَن المكْث بعد الطعام لمهمٍّ آخرَ . و «غَيْرَ نَاظِرِينَ» حالٌ من ضمير «تَدْخُلُوا» . و (إِنَاهُ) أى نُضْجَه وبلوغه . يقال : أَنَى الطعامُ يأنى أَنْيًا وإِنًى ـ كقَلَى يقلى ـ إذا نَضج وبلغ . ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ﴾ أى إلى الطعام ؛ وهو يتضمّن الإذن بالدخول . ﴿فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ﴾ أى أكلتم الطعام . يقال : طَعِمَ يَطْعَمُ طَعْمًا ، ذاق وأكل . ﴿فَانْتَشِرُوا﴾ فتفرّقوا ولا تمكثوا فى البيت . ﴿وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ أى ولا تدخُلُوها مستأنسين لحديث بعضِكم بعضًا . والظّاهرُ ـ كما قال الآلوسىُّ ـ حرمةُ المُكْث على المدعوِّ للطعام بعد أن يَطْعَمَ إذا كان فى ذلك أذًى لربّ البيت . وليس ما ذُكر مختصًّا بالمخاطبين ، ولا بالمكث فى بيت النبىِّ صلى الله عليه وسلم ؛ بل هو حكمٌ وأدبٌ عامٌّ . ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ إذا طلبتم من نسائه

ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ * لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟



صلى الله عليه وسلم ﴿مَتَاعًا﴾ شيئًا يُتمتَّع به من الماعون ونحوه . ومثله العلمُ والفُتْيا . ﴿فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ أى ستر بينكم وبينهنَّ . ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أى السؤالُ من وراء حجاب ﴿أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ من الرِّيَب وخواطر السوء . وكان نزولُ آية الحجاب فى شهر ذى القعدة من السنة الخامسة من الهجرة . وحكمُ نساءِ المؤمنين فى ذلك حكمُ نسائه صلى الله عليه وسلم . ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ أى تفعَلوا فعلاً يؤذيه نحو اللُّبْث فى بيته ، والاستئناس فيه بالحديث الذى كنتم تفعلونه ، ومكالمة نسائه من دون حجاب . ﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ أى من بعد وفاته أو فراقه ؛ لأنهنَّ أمَّهاتُ المؤمنين ، ولا يحِلُّ للأولاد نكاح الأمهات . ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾ أى إيذاءه ونكاحَ أزواجه من بعده . ﴿كَانَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ذَنبًا . ﴿عَظِيمًا﴾ جسيما .

٥٥ ـ ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ ..﴾ استئنافٌ لبيان من لا يجب عليهن ـ وكذا على غيرهن من النساء ـ الاحتجابُ عنهم ؛ ولم يُذكر العمُّ والخالُ لأنهما بمنزلة الوالديْن .

٥٦ ـ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ المرادُ بالصلاة هنا العطفُ ، وهو من الله الرحمةُ ، ومن الملائكة الاستغفارُ ، ومن الناس الدعاءُ . ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ قولوا : السلامُ عليك أيها النبيُّ ونحوه . والسّلامُ : مصدرٌ بمعنى السلامة ، أى السلامة من النقائص والآفات لك ، أى ملازمةٌ لك . ولتضمُّنه معنى الثناء عُدِّى بعلى .

٥٨ ـ ﴿بُهْتَانًا﴾ فعلاً شنيعًا . أو كذبًا فظيعًا .

٥٩ ـ ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾ يُسْدِلْنَ الجلابيبَ عليهنّ حتى يسترن أجسامهن من رءوسهنَّ إلى أقدامهن . والإدناءُ : التقريبُ ، ولتضمُّنه معنى السَّدْل أو الإرخاء عُدِّىَ بعلى . والجلابيبُ : جمعُ جلباب ، وهو ثوبٌ يستر جميع البدن يُعرف بالملاءة أو المِلْحَفة .

٦٠ ـ ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ﴾ عن نفاقهم . ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ

أُخِذُوٓاْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى

﴿مَرَضٌ﴾ هم المنافقون ؛ والعطفُ لتغاير الصفات مع اتحاد الذّات . ﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ هم المنافقون ؛ والعطفُ لما ذُكر . وقيل : هم مَن حولَ المدينة من اليهود وكانوا يَنْشُرون أخبارَ السُّوء عن سرايا المسلمين ، ويلفّقون الأكاذيبَ الضّارةَ بالمسلمين ويذيعونها ؛ من الإرجاف وهو إشاعةُ الكذب والباطل للاغتمام به . وأصلُه التّحريكُ الشديد ؛ مأخوذٌ من الرّجفة التي هي الزلزلة ، وُصفت به الأخبار الكاذبةُ لكونها في نفسها متزلزلةً غيرَ ثابتة . أو لإحداثها الاضطراب في قلوب المصدّقين . ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ لنسلطنك عليهم .

٦١ - ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوا﴾ أينما وُجدوا وظُفر بهم ﴿أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً﴾ وقد انتهى المنافقون عمّا هو المقصود بالنّهي وهو الإيذاء فلم يُقتَلوا . أما اليهود فلم ينتهُوا ووقع القتل والإجلاء لهم .

٦٨ - ﴿آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ عذابَيْن يضاعِف كلٌّ واحد منهما الآخر : عذابًا على ضلالهم في أنفسهم ، وعذابًا على إضلالهم لنا .

٦٩ - ﴿وَجِيهًا﴾ ذا جاه وقدر مستجاب الدعوة .

٧٠ - ﴿وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾ صوابًا أو صِدقًا ، أو قاصدًا إلى الحق ؛ من سدَّدَ سهمَه يُسَدِّدُه ، إذا وجّهه للغرض الْمَرْمِيِّ ولم يعدِل به عن سَمْته . والمرادُ من الأمر به : النّهيُ عن ضدّه ؛ ومنه ما قاله المنافقون في شأنه صلى الله عليه وسلم وزيدٍ وزينبَ .

٧٢ - ﴿عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ ..﴾ هي التكاليفِ والفرائض . أو كلُّ ما يؤتَمن عليه من أمرٍ ونَهْيٍ ، وشأنِ دينٍ ودنيا . وسُمِّيَتْ أَمانةً لأنها حقوقٌ أودعها الله المكلَّفين وائتمنهم عليها ، وأوجب عليهم مراعاتَها والمحافظةَ عليها ، وأداءَها من غير إخلال بشيء منها . ونقل القُرْطُبيُّ عن القفّال وغيره : أن العَرْضَ في الآية ضَرْبُ مَثَلٍ ، أي أن هذه الأجرامَ على عظمِها لو كانت بحيث يجوز تكليفُها لثقُل

عليها تقلُّدُ الشرائع ؛ لما فيها من العقاب والثواب . أى أن التكليف أمرٌ حقّه أن تَعْجز عنه السموات والأرضُ والجبالُ ، وقد حمله الإنسانُ وهو ظلومٌ جهولٌ لو عَقَل . وفى القرآن من ضَرْب الأمثال كثيرٌ . ﴿فَأَبَيْنَ﴾ امتنعن . ﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ خفن من الخيانة فيها . وقيل : الآية من المجاز ؛ أى أنا إذا قايسنا ثِقل الأمانة بقوّة السموات والأرض والجبال ، رأينا أنها لا تطيقها ، وأنها لو تكلّمت لأبتْ وأشفقتْ ؛ فعُبّر عن هذا بعرض الأمانة . كما تقول : عرضت الحِمْل على البعير فأباه ؛ وأنت تريد قايست قوّته بثقل الحِمل فرأيت أنها تقصُر عنه .

٧٣ ـ ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ..﴾ اللّامُ للعاقبة ؛ أى لتكون عاقبةُ الحمل أن يعذب الله من لم يَرْع الأمانة ولم يقم بحقها ، ويقبلَ توبة من أطاعه وراعى حقها ، وأناب إليه تعالى فى أموره . والله أعلم .

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾

(٣٤) سُورَةُ سَبَإٍ مكيّة

إلا آية ٦ فمدنية

وآياتها ٥٤ نزلت بعد لقمان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ

سُورَةُ سَبَأ

١ ـ ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِى الْآخِرَةِ﴾ أى والحمد لله الذى له خاصّةً الحمدُ فى الآخرة على ما أنعم به على المؤمنين فيها ؛ يقولون إذا دخلوا الجنّة : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ)[1] ، (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ)[2] ، (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَٰذَا)[3] .

٢ ـ ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى الْأَرْضِ﴾ أى كلَّ ما يدخل فيها ؛ كمطرٍ وكنوزٍ ودفائنَ وأمواتٍ . ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ أى كلَّ ما يخرج منها ؛ كنباتٍ وحيوانٍ وغيرهما . ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من مطرٍ وَبَرَدٍ ، وصواعقَ ، وبركاتٍ وملائكةٍ ، وكُتبٍ ونحوها . ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ أى ما يَصعَد فيها من الملائكة والأعمال ، والأرواح والدعاء ، والطّيرِ والبُخارِ ونحوها ؛ من العُروج وهو

(١) آية ٧٤ الزمر . (٢) آية ٣٤ فاطر . (٣) آية ٤٣ الأعراف .

كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ

الذّهاب فى صعود . والسّماءُ : جهةُ العُلوّ مطلقًا .

٣ ـ ﴿لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ أنكروا قيام السّاعة فأُمِر صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم : ﴿بَلَى﴾ أى ليس الأمرُ إلّا إتيانَها . وهى حرفُ جوابٍ لردّ النّفى ؛ فتُفيد إثباتَ المنفيّ قبلها . ثم أكّد ذلك بقوله : ﴿وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ . ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ لا يَغيب عن علمه وزنُ أصغر نملة . يقال : عَزَب الشيءُ يَعْزُب ويَعْزِب ، إذا غاب وبَعُد . والمرادُ : أنه لا يغيب عن علمه شىء مَا مهما دقّ وصَغُر .

٥ ـ ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِى آيَاتِنَا﴾ بالقَدْح فيها وصدِّ النّاس عن الإيمان بها ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ أى مسابقين ؛ يحسَبون أنهم يفوتوننا فلا نقدِر عليهم . يقال : عاجزه وأعجزه ، إذا غالبه وسبقه . ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ﴾ أى من سيّئ العذاب وأشدّه . ﴿أَلِيمٌ﴾ أى مؤلمٌ موجعٌ . صفةٌ لـ «عَذَابٌ» . وقُرِئ بالجرّ صفة لـ «رِجْزٍ» .

٧ ـ ﴿يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ..﴾ أى يحدّثكم أنكم ـ إذا مِتُّم وفُرّقت أجسامكم فى الأرض كلَّ تفريق ، وصِرتم رُفاتًا وعظامًا ، أو فُرّقت فى كلّ مكان ، من القبور وبطون الطّير والسّباع والبحار ونحوها ـ تُبعثون وتحاسَبُون ! . قالوا ذلك استهزاءً وتعجُّبًا . وتمزيقُ الشيء : تخريقُه وجعْلُه قِطعًا قطعًا . يقال : ثوب مَزيقٌ ومَمزوقٌ ومتمزِّقٌ ومُمَزَّقٌ ، أى مقطَّع مخرَّق .

٨ ، ٩ ـ ﴿أَفْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ الهمزةُ للاستفهام ؛ كما فى : «أَطَّلَع الْغَيْبَ» أى أختَلَقَ على الله كذبًا فيما نَسبه إليه من أمر البعث ! أم به جنونٌ فهو يتكلّم بما لا يدرى ! . ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ ..﴾ أى ليس الأمرُ كما زعموا ، بل هم فى غاية الضّلال عن الفهم وفيما يؤدى إليه ذلك من العذاب . ثم هدّدهم على ما اجترءوا عليه ، وذكَّرهم بما يشاهدونه من أدلّة القدرة فقال : ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا ..﴾ أى أعمُوا فلم ينظروا . ﴿نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾ كما فعلنا بقارون . ﴿أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا﴾ قِطعًا ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ تُهلكهم ؛ كما أسقطناها على أصحاب الأيكة لتكذيبهم وجحودهم ﴿إِنَّ فِى

مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ * وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ

ثلاثة أرباع الحزب

﴿ذٰلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ راجعٍ إلى الله تعالى بالتوبة.

١٠ - ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾ أي وقلنا: يا جبالُ رجِّعي وردِّدي معه التّسبيحَ إذا سبّح لله تعالى؛ قال تعالى: (إنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ والْإِشْرَاقِ)[1]. يقال: أوّبَ تأويبًا - إذا رجّع. وأصلُه آب أوْبًا بمعنى رَجَع؛ فيُعدَّى بالتّضعيف. ﴿وَالطَّيْرَ﴾ أي وآتيناه الطير - بمعنى سخّرناها له تُؤوّب معه. ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ صيّرناه ليّنًا في يده كالعجين: يشكّله كما يشاء - من غير إدخال نار ولا طَرْقٍ بمطْرقة.

١١ - ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾ أي ألَنّاه له لعمل دروعٍ واسعات. والسابغةُ: الدّرعُ الواسعة. يقال: سبغت الدرعُ - وسبَغَ الشيءُ سبُوغًا: طال إلى الأرض واتّسع. ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ أي أحْكِمْ نسجَ الدُّروع بحيث تُدْخِلِ الحَلَقَ بعضها في بعضٍ؛ من التقدير - وهو هنا: التّفكير في تسوية الأمر وتهيئته. والسَّرْدُ: نسجُ الدروع. يقال: سَرَد الدّرْعَ سَرْدًا - من باب نصر - نسجها. وقيل: السَّرْدُ اسمٌ جامعٌ للدروع وسائر الحلَق.

١٢ - ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ جَرْيُها في الغُدْوَة وهي من أوّل النهار إلى الزّوال مسيرةُ شهر. وفي الرّواح وهو من الزوال إلى الغروب كذلك؛ أي ما تقطعه في هذه المدة يقطع عادةً في شهر. ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ وهو النّحاس المذاب؛ من قَطَرَ يَقْطُرُ قَطْرًا وقَطَرانًا: إذا سال. أسالَه له فنَبع كما ينبع الماءُ من العين. ﴿وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ أي يَعدل من الجنّ عما أمرناه به من طاعة سليمان ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ في الآخرة. يقال: زاغ عن الأمر يزيغ زَيغًا - إذا عدل عنه.

١٣ - ﴿مِنْ مَحَارِيبَ﴾ أي قصور ومساجدَ. جمعُ محراب. وهو كلُّ موضع مرتفع. ويُطلق على مكان وقوف الإمام في المسجد. وعلى الغُرفة التي يصعَد إليها بدرَج. وعلى أشرف بيوت الدار. ﴿وَتَمَاثِيلَ﴾ أي صُور للملائكة والأنبياء والصّالحين من زُجاج أو نُحاس أو رخام؛ تقام في المساجد؛ ليراها النّاسُ فيعبدوا اللهَ تعالى وحده مثل عبادتهم.

(١) آية ١٨ سورة ص.

مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ
ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ
ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ
عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ
طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ
ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ
وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟

وكان اتّخاذُها فى شريعته جائزًا ؛ أمّا فى شريعتنا فمحرّم ؛ سدًّا لذريعة التشبُّه بمتّخذى الأصنام . ﴿ وجفَانٍ كَالْجَوَابِ ﴾ أى قصاع كبار كالحياض العظام . جمعُ جَفْنَةٍ وهى أعظم القصاع . وجابيةٍ وهى الحوض الضخم الذى يُجْبَى فيه الماء للإبل أى يجمع ؛ ومنه جَبَيْت الخَراج جِبايةً ، والماءَ فى الحوْض جَبْيًا : جمعتُه . ﴿ وقُدُورٍ ﴾ هى ما يُطبخ فيها الطعامُ من فَخّار أو نُحاس أو غيره . ﴿ رَاسِيَاتٍ ﴾ أى ثابتات على الأَثافِىّ(١) ؛ لا تُحمَل ولا تُحرّك لضخامتها وعِظَمِها . ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ ﴾ اعملوا يا آلَ داودَ بطاعة الله . ﴿ شُكْرًا ﴾ له تعالى على ما خصّكم به من النّعم ، وعلى سائر النّعم التى عمّكم بها مع سائر خلقه . وحقيقة الشكر : الاعترافُ بالنّعمة للمنعِم ، والثناءُ عليه لإنعامه ، واستعمالُ النّعم فى طاعته . و« شُكْرًا » مفعولٌ لأجله .

١٤ ـ ﴿ دَابَّةُ الْأَرْضِ ﴾ أى الدّابة التى تفعل الأَرْض وهو أكل الخشَب ؛ وتسمَّى الأَرَضَة وسُرْفَة وسُوسَةَ الخشب . يقال : أَرَضت الدّابةُ الخشَبَ أَرْضًا ـ من باب ضرب ـ أكلته ؛ وإضافة دابّة إليه من إضافة الشيء إلى فعله . ﴿ تأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ .. ﴾ أى عَصَاهُ التى كان يتوكّأ عليها . وسُمّيَتْ مِنْسَأَةً لأنه يُزجَر بها ويُساق ، وتؤخّر بها الغنم وتدفع إذا جاوزت المرعى ؛ من نَسَأَ البعيرَ ـ كمنع ـ إذا زجرَهُ وساقه . أو أخّره ودفعه ؛ كنَسّأه وأنسأه . وقد أكلت الأَرَضَةُ شيئاً منها فسقط . فعلمت الجنُّ علماً بيّنًا كذِب من يزعم منهم علمَ الغيب ؛ وإلا لعلموا بموته فى حينه ، فلم يلبثوا بعده فى هذه الأعمال الشاقة .

١٥ ـ ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ﴾ هو فى الأصل اسمُ رجلٍ ، وهو سبأُ بنُ يَشْجُبَ بنُ يَعْرُبَ بن قَحْطان بن هود ، وهو أوّل ملوكِ اليَمَن . وكان له عشرةُ أولاد ، تيامَن منهم بعد السّيْل ستّةٌ ، وهم : الأَزْدُ وكِنْدةُ ومَذْحِج والأشعريُّون وأنْمار وحِمْيَر . وتشاءم منهم بعده أربعة ، وهم : عاملةُ وغَسّانُ ولَخْم وجُذَامُ . والمرادُ به هنا : الحَىُّ أو القبيلةُ المُسمّاةُ باسمه ؛ فيُصرف على الأوّل ، ويُترك صرفه على الثانى ؛ وبهما قُرِئ ، ومسكنُهم : مَأْرِب ـ بوزن مَنْزِل ـ باليَمَن على مسيرة ثلاثِ ليالٍ من صنعاء . ويُطلق عليها سبأ ، وهى مدينة بِلْقِيس . ﴿ آيَةٌ ﴾ علامةٌ دالة على قدرته تعالى وإحسانه ووجوب شكره . أو دالّةٌ على أن مَن بَطِر النّعمةَ ولم يقم بحقّ شكرها سلبه الله إيّاها ، وبدّله بها بؤسًا وشقاءً ؛ فليتّعظ بذلك من كفر بالله وغَمِط نعمه ؛ ككفار مكة . ﴿ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴾ طائفتان من البساتين : طائفةٌ عن يمين بلدهم ، وطائفةٌ عن شماله ينعَم الناس بثمارها ويستترون بظلالها . ﴿ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ ﴾ زكية مستلذة .

١٦ ـ ﴿ فَأَعْرَضُوا ﴾ عن الشكر أو كذبوا أنبياءهُمْ . ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ

(١) الأثافي : جمع أثفية ـ بضم الهمزة وتكسر ـ : الحجر يوضع عليه القدر .

وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ

سَيْلَ الْعَرِمِ ﴾ العَرِمُ : اسمٌ للوادى الذى كان يأتى السَّيْلُ منه . وقيل : المطرُ الشديدُ . وقيل : السَّيْلُ الذى لا يطاق . وإضافةُ «سَيْلَ» إليه من إضافة الموصوف إلى الصفة مع التجريد . أى أرسلنا عليهم السَّيْل الذى لا يطاق . وقيل : العَرِم جمعٌ لا واحدَ له ، أو واحدُه عَرِمَةٌ . وهو الأحباسُ والسُّدُودُ تبنَى فى أوساط الأودية لحجز السيول . وكانت السيول تأتى المدينة من الأودية ، فبُنِىَ سدٌّ عظيم لحجزها وللانتفاع بها فى رىِّ أراضيها على الدوام ، فأخصبت ونمت الزروع وكثُرت الأموال ؛ فبَطِرُوا معيشتَهم وأعرضوا وأهملوا ـ لشدّة تَرفهم ـ إصلاحَه فتصدّع بناؤه ، ولم يقو على مقاومة السيل بعدُ . فلما جاء اجتاح أراضيهم واكتسح أموالهم ، ومزّقهم شرَّ مُمَزَّق ؛ فتشتّتوا فى البلاد . وضُرب بهم المثَلُ ، فقيل : ذهبوا أيدِى سَبَا ، وتفرّقوا أيادى سَبَا . واليَدُ : الطَّرِيقُ ؛ أى فرّقتهم طُرُقُهم التى سلكوها كما تفرق أهلُ سبأ فى مذاهبَ شتَّى . فلَحِق كلّ فرع بجهة ، ومنهم غسّان لَحِق بالشام ، والأَوْسُ والخَزْرَجُ بيَثْرِب ، والأزدُ بعُمَان ، وخزاعةُ بتهامة . وآلُ خزيمة بالعراق . ﴿ أُكُلٍ ﴾ ثمر ﴿ خَمْطٍ ﴾ بدلٌ منه ، وهو ثمرُ الأراك . أو هو نبت مُرٌّ لا يمكن أكلُه ؛ أى ثَمرُ نبتٍ مُرّ .

﴿ وأَثْلٍ ﴾ هو ضربٌ من الطَّرفاء . أو هو السَّمُرُ ، وهو نوعٌ من العِضَاه مفردُه سَمُرَة . ﴿ سِدْرٍ ﴾ هو الضَّالُ ، وهو نوع من السِّدْر لا يُنتفع به ولا يصلح ورقه للغَسُول ، وله ثمرة عَفِصَةٌ لا تؤكل . أى أن ثمار أراضيهم التى كانت طيِّبةً نافعة أصبحت بعد التبديل على العكس من ذلك ؛ جزاء إعراضهم بطرًا وكفرا .

١٨ ـ ﴿ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ قرى الشام ﴿ قُرًى ظَاهِرَةً ﴾ متواصلةً بحيث يظهر لمن فى بعضها ما فى مقابلته من الأخرى . ﴿ وقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ ﴾ جعلنا نسبة بعضِها إلى بعض على مقدار معيَّن من السير كميل أو مرحلة ؛ فلا مشقّة يتحمّلونها فى أسفارهم .

١٩ ـ ﴿ بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ طلبوا بطراً وطغياناً أن يجعل الله بينهم وبين الشام مكان تلك القرى العامرة مفاوزَ وصحارى متباعدةَ الأقطار ؛ فأجابهم إلى ما طلبوا . ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ﴾ صيّرناهم أحاديث ، يتلهَّى الناس بأخبارهم ، ويضربون بهم المثَل ، فيقولون : تفرّقوا أيدِى سبا . ﴿ وَمَزَّقْنَاهُمْ ﴾ فرقناهم فى البلاد .

٢٠ ـ ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ ﴾ أى حقّق عليهم إبليسُ بطاعتهم له وعصيانِهم

لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ * قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ



ربَّهم ما كان يظنّه ظنًّا ، من أنهم بإغوائه إياهم يتبعونه ويطيعونه فى معصية الله . وقرئ «صدَق» بالتخفيف ؛ أى صَدَق فى ظنه ، بمعنى أصاب فيه .

٢١ ـ ﴿سُلْطَانٍ﴾ تسلط واستيلاء بالوسوسة والإغواء .

٢٢ ـ ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فيما يُهمُّكم من أموركم لعلّهم يستجيبون لكم . والأمرُ للتّوبيخ والتّعجيز . ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ..﴾ أى لا يملكون شيئًا مَا من خير أو شرّ ، أو نفعٍ أو ضُرّ فى أمر من الأمور ؛ فكيف يكونون آلهةً تُعْبَد !؟ والجملةُ مستأنفةٌ فى موقع الجواب عما قبلها . ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ أى ليس له تعالى من هؤلاء الآلهة الباطلة مُعينٌ يُعينه فى تدبير أمرٍ من أمور السّموات والأرض .

٢٣ ـ ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ﴾ تعالى ﴿إِلَّا لِمَنْ﴾ أى لشافعٍ ﴿أَذِنَ لَهُ﴾ من النبيِّين والملائكة ـ ونحوهم من المستأهلين لمقام الشفاعة عنده ـ فى الشفاعة لمن يستحقّها . وظاهرٌ أنَّ الكفار لا يستحقونها ، وأن الأصنام ليست أهلاً لها ؛ ونظيره قولُه تعالى : (مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ)[1] . وقولُه تعالى : (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى)[2] . وهو تكذيبٌ لقولهم : هؤلاء شفعاؤنا عند الله . ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ أى كُشِفَ عنها الفزَع . والتّضعيفُ هنا للسَّلْب ؛ كما فى : قرّدتُ البعير ، إذا أزلتَ قُرَادَهُ . ومنه التمريض . والفزَعُ : انقباضٌ ونفارٌ يعترى الإنسانَ من الشيء المُخيف . و(حتّى) غايةٌ لما فُهِم مما قبلها من أن ثَمَّ انتظارًا وترقُّبًا من الرّاجين للشفاعة والشفعاء ، هل يؤذَن لهم أو لا يؤذَن لهم ، والكلُّ فى فزَع وخوف فى ذلك الموقف الرهيب . فكأنه قيل : يتربّصون ويتوقّفون مليًّا فزعين ، حتى إذا كُشِفَ الفزعُ وأُزيل عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمةٍ من ربِّ العزّة فى إطلاق الإذن ، تباشروا بذلك فسأل بعضُهم بعضًا : ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ﴾ أى القولَ الحقَّ ، وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى .

٢٤ ، ٢٥ ـ ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ بعد أن عُرِف مما تقدّم مَنْ هو على الهدى ومن هو على الضلال ، أخبرهم الله بأنهم على الضلال على جهة الإنصاف فى الحجة . فهو كقول المتبصِّر فى الحجة لصاحبه : أحدُنا كاذبٌ ؛ وقد عَرَف أنه الصّادقُ المصيبُ ، وصاحبَه الكاذبُ المخطئُ . ومثله فى الإنصاف بكلامٍ أبلغَ وأسلوبٍ أرفعَ : قولُه تعالى : ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا﴾ أى كسبنا ﴿وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ .

٢٦ ـ ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ أى يحكم بالعدل ، فيثيبُ المطيعَ ويعاقبُ العاصى . ﴿وَهُوَ

(١) آية ٢٥٥ البقرة . (٢) آية ٢٨ الأنبياء .

وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّا بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾

الفَتَّاحُ﴾ أى الحاكم فى كل أمر بالحق ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يتعلّق بحكْمه من المصالح .

٢٧ - ﴿كَلَّا﴾ رَدعٌ لهم عن زعم الشرك .

٢٨ - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾ أى إلّا إلى الناس جميعاً . وأصلُه من الكَفّ بمعنى المنع ، وأريد به العمومُ لما فيه من المنع من الخروج ، واشتُهر فيه حتى قُطع فيه النظر عن معنى المنع بالكليّة .

٣١ - ﴿وَلَوْ تَرَى ..﴾ أى ولو ترى حال الظالمين وقتَ وقوفهم للحساب راجعًا بعضُهم إلى بعض القولَ لرأيت حالةً فظيعةً . ﴿مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أى محبوسون عنده تعالى فى موقف الحساب .

٣٣ - ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ والنَّهَارِ﴾ بل صدَّنا مكركم بنا فى الليل والنهار ؛ وأُضيف المكرُ إليهما لوقوعه فيهما . والمَكْرُ فى الأصل : الاحتيالُ والخديعة . يقال : مَكَر به يَمْكُر ، فهو ماكِرٌ ومَكّارٌ . ﴿وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا﴾ أشباهًا ونظراءَ وأمثالاً نعبدها من دونه تعالى . جمعُ نِدّ . ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ﴾ أى أخفَوُا الندم على ما كان منهم فى الدنيا من الضلال والإضلال بالنسبة للمستكبرين ، ومن الضلال فقط بالنسبة للمستضعفين لما عاينوا العذابَ وهالتهم شدّتُه . أو أظهروا النّدم عندئذ . وأَسَرَّ من الأضداد ، تأتى بمعنى الإخفاء والإبداء ، فمعنى أسَرّه : جعله سرًّا أو أزال سِرّه ، وهمزتُها تصلح للإثبات والسّلب ؛ ونظيرُه : أشكَيْتُ .

وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾
قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ
أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ
صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ
فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا
مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ
رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ
وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾
وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ
كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم
بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾
فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ
لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا
تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟
مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ
ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾
وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ

﴿وجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ﴾ أى القيودَ ﴿فِى أَعْنَاقِ﴾ المستكبرين والمستضعفين ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جزاءَ ما كانوا يعملون.

٣٤ - ﴿قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ أغنياؤها ورؤساؤها وجبابرتُها المتّسِعُون فى النّعم فيها ، البَطِرون بها.

٣٦ - ﴿ويَقْدِرُ﴾ يُقتّر ويضيّق الرزق على من يشاء أن يُقتّر عليه. ضدُّ يبسط. والأمرُ فى كليْهما على حسب ما تقتضيه الحكمةُ الإلهيّة.

٣٧ - ﴿تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى﴾ أى قُرْبَى. منصوبٌ على المصدريّة من معنى العامل ، والتقدير: تقربكم قُرْبَى. ﴿لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ﴾ أى أن يجازيَهم الله الضّعفَ ، مصدرٌ مضافٌ لمفعوله ، أولهم الجزاء المضاعَف ؛ من إضافة الموصوف إلى الصّفة. ﴿فِى الْغُرُفَاتِ﴾ المنازلِ الرفيعةِ فى الجنةِ.

٣٨ - ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ زاعمين سبْقَهم لنا ، وعدَمَ قدرتنا عليهم. ﴿فِى الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ أى فى جهنم يُحضرهم الزّبانيَةُ فيها.

٣٩ - ﴿وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ يضيِّقه على من يشاء بحكمته.

٤١ - ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا﴾ أنت الذى نواليه. ﴿يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ أى الشياطين ؛ حيث كانوا يطيعونهم فيما يُسوِّلونَ لهم من عبادة غيره تعالى.

٤٣ - ﴿مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى﴾

قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ * قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟

ربع الحزب

أي ما هذا القرآنُ إلّا كذبٌ في نفسه ، مفترًى على الله من حيث نسبتُه إليه ؛ فـ «مفترًى» تأسيسٌ لا تأكيد .

٤٤ ـ ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَها ..﴾ أي لم نأتهم بكتب تدلّ على صحة الشرك ليُعذَروا فيه ؛ ولم نرسل إليهم قبْلك نذيرًا يدعوهم إلى الشرك ، ويُخوّفهم العقاب على تركه . وفي هذا من التهكُّم والتجهيل لهم ما لا يخفى .

٤٥ ـ ﴿مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾ عشر ما أعطيناهم من النعم . ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ فكيف كان إنكارى عليهم بالتدمير والإهلاك ؛ فليحذر هؤلاء من مثله . وأصلُ النّكير : تغييرُ المنكَر ، أي إزالته بالعقوبة في الدنيا ، إذ هي التي يحصل فيها تغييره .

٤٦ ـ ﴿إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾ أي إنمّا آمركم وأوصيكم بخَصْلة واحدة . أو أحذّركم سوء عاقبة ما أنتم فيه بكلمة واحدة . هي : ﴿أن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى﴾ أي تجتهدوا في الأمر بإخلاص لوجه الله تعالى ، متفرّقين اثنين اثنين وواحدًا واحدًا ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ في أمر محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته وما جاء به ، فيتعاضد الاثنان في التفكُّر والتأمُّل في أمره ، وينظر الواحد في أمره بعَدْل ونَصَفة ؛ فعند ذلك تعلمون أنه على الحق . ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ من جنون وخَبَل ؛ حتى يتصدَّى لهذا الأمر العظيم من تلقاء نفسه ، غيرَ مبالٍ بافتضاحه عند مطالبته بالبرهان وظهور عجزه ؛ بل هو مَن تعلمونه أرجحَ الناس عقلاً ، وأصدقَهم قولاً ، وأفضلَهم علمًا ، وأحسنَهم عملاً ، وأجمعَهم للكمالات البشريّة ؛ فما جاء كم به إنما هو وحيٌ يوحَى إليه من الله تعالى ، وما هو إلّا رسولٌ بشير ونذير .

٤٨ ـ ﴿يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ أي يُلقِي الوحيَ إلى أنبيائه بسبب الحقّ أو متلبِّسًا به . أو يقذف الباطلَ بالحق ؛ كما قال تعالى : (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ)(١) . أو يقضي ويحكم بالحق ؛ بتضمين «يَقْذِف» معنى يقضي .

٤٩ ـ ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ أي الإسلام والتوحيد ، أو القرآن . ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ أي ذهب الباطل ـ وهو الشرك والكفر ـ ولم يبق له إبداءٌ ولا إعادة . وهو كناية عن ذهابه واضمحلاله بالمرّة ؛ فإن الإبداء

(١) آية ١٨ الأنبياء .

مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾

حيل بينهم وبين ما يشتهون من ذلك في الآخرة . والأشياعُ : جمعُ شِيَع . وشِيَعٌ جمعُ شِيعة . وشِيعةُ الرجل : أتباعُه وأنصاره [آية ٦٥ الأنعام ص ١٧٨] . ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا﴾ جميعًا على نَمَط واحد ﴿فِي شَكٍّ﴾ أي من أمر الدِّين والتّوحيد والرّسل والبَعث ﴿مُرِيبٍ﴾ موقع في الرِّيبة ؛ من أرابه : إذا أوقعه في الرِّيبة والتُّهمَة . والله أعلم .

فعلُ الأمر ابتداءً ، والإعادةَ فعلُه ثانيًا ، ولا يخلو الحيُّ عنهما ؛ فعدمها كنايةٌ عن هلاكه ؛ كما يقال : فلانٌ لا يأكل ولا يشرب ، كنايةً عن هلاكه .

٥١ - ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا﴾ أي لو ترى إذا اعتراهم فزعٌ وهلعٌ في الآخرة عند البَعْث ومعاينة العذاب لرأيت أمرًا هائلاً . ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ فلا نجاةَ ولا مَهْرَب لهم يومئذ من عذاب الله . ﴿وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ أي من موقف الحساب إلى النّار .

٥٢ - ﴿وأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أي ومن أين لهم في الآخرة تناوُلُ الإيمان والتوبةُ من الكفر ؛ وقدكان ذلك قريبًا منهم في الدنيا فضيّعوه ! وكيف يقدرون على الظّفَر به في الآخرة وهي بعيدة من الدنيا ! والتّناوُشُ : التّناوُل . يقال : ناشه ينوشه نوشًا تناوله ؛ ومنه : تناوشُوا بالرِّماح ، أي تناول بعضُهم بعضاً بها .

٥٣ - ﴿ويَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾ أي وكانوا يرجُمون بالظّن ويتكلّمون بما لم يظهر لهم ؛ فينسبون إليه تعالى الشريك ويقولون : لا بعثَ ولا نشور ولا جنّة ولا نار . ويقولون في القرآن : سحرٌ وشعرٌ وأساطيرُ الأوّلين . وفي الرسول : ساحرٌ شاعرٌ كاهنٌ مجنونٌ . ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ من جهة بعيدة عن أمر مَنْ تكلَّموا في شأنه وعن الحق والصّدق . والعربُ تقول لكل من تكلّم بما لا يحقّه : هو يَقذِف ويَرْجُم بالغيب .

٥٤ - ﴿وَحِيلَ﴾ في الآخرة ﴿بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ وهو الإيمانُ المقبول والتّوبةُ المنجّية . ﴿كَمَا فُعِلَ﴾ في الآخرة ﴿بِأَشْيَاعِهِمْ﴾ أمثالهم ونظرائهم من كفار الأمم الماضية الذين كانوا ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي من قبلهم ؛ فقد

(٣٥) سُورَةُ فاطِرٍ مكيّة وآياتها ٤٥ نزلت بعد الفرقان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١) مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٢) يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٣) وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ (٤) يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا

سُورَةُ فَاطِر

١ - ﴿ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ مُوجِدِهما على غير مثال يُحتذَى [آية ١٤ الأنعام ص ١٧١] . والمرادُ بهما : العالَمُ بأسره . ﴿ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً ﴾ أى إلى الأنبياء ، يبلِّغونهم رسالاتِه بالوَحْى والإلهام والرؤيا الصادقة . أو إلى العباد بنِعَمِه أو نِقَمِه . ﴿ أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ ذوى أجنحةٍ عديدةٍ ؛ فلبعضها فى كلّ جانب اثنان ، ولبعضها ثلاثةٌ ، ولبعضِها أربعةٌ . والمرادُ : كثرةُ الأجنحةِ لا الحصرُ ؛ فلا ينافى الزيادةَ فى بعضها عن ذلك . « ومَثْنَى » اسمٌ معدولٌ به عن اثنين اثنين ، ممنوعٌ من الصَّرْف . وكذلك يقال فى « ثُلَاثَ وَرُبَاعَ » . ﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ ﴾ أى فى خلق كلِّ ما يريد خلْقَه ﴿ مَا يَشَاءُ ﴾ كلَّ ما يشاء أن يزيدَه من الأمور التى لا يُحيط بها الوصف ؛ ومن ذلك أجنحةُ الملائكة فيزيد فيها ما يشاء . وكذلك ينقص فى الخلق ما يشاء ؛ والكلُّ جارٍ على مقتضى الحكمة والتدبير .

٢ - ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ ﴾ أى ما يرسل الله للناس رحمةً ، أيَّ رحمةٍ كانت ، مطراً أو رزقًا أو نعمةً ، أو أمْنًا أو علمًا أو حكمةً ، أو نحو ذلك . ﴿ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ فلا أحدَ يقدر على منعها .

٣ - ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ ﴾ أى اذكروا بألسنتكم وقلوبكم ما أنعم الله به عليكم من النِّعم التى عدّدناها فى الآيتيْن السابقتين وغيرها . واحفظوها بمعرفة حقِّها والإقرار بها ، وطاعة مُوليها وتخصيصه بالعبادة . ثم بيّن وحْدة المنعِم بقوله : ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ ﴾ لكم ولغيركم !؟ أى لا خالقَ غيرُه سبحانه ! وهو استفهامُ تقريرٍ وتوبيخ أو إنكار . ﴿ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ رزقًا حسنًا فيه بقاؤكم . والجملةُ مستأنَفَةٌ ، أو صفةٌ لـ « خالق » . ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ جملةٌ مستأنفةٌ لتقرير النّفى المستفاد مما قبله . ﴿ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ فكيف تصرفون عن توحيد خالقكم ورازقكم إلى الشِّركِ فى عبادته ! ؟ من **الأَفْك** - بالفتح - [آية ٧٥ المائدة ص ١٥٨] . أو فكيف يقع منكم التكذيبُ بتوحيده ؛ من

تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾

الإفك — بالكسر — وهو الكذب ، وهو راجع إلى الأوّل لأنه قول مصروف عن الصدق .

٥ — ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ﴾ فلا تخدعنّكم ولا تُلهينّكم بالزخارف . ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ﴾ بسبب حلمه وإمهاله ﴿الْغَرُورُ﴾ أي المبالغُ في الغرور والخداع ، وهو الشيطان بما يُمنّيكم من الأماني الكاذبة .

٨ — ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ..﴾ أي أفمن زَيّن له الشيطانُ أو نفسُه وهواه عملَه القبيحَ فرآه حسنًا ؛ كمن لم يُزيَّنْ له ؟ لا يستويان . و(مَنْ) موصولةٌ مبتدأ . والخبرُ محذوفٌ لدلالة الكلام عليه . وقد صرّح بالجزأين في نظير هذه الآية من قوله تعالى : (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ)(1) . ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ أي لا تمض نفسُك ؛ بمعنى : لا تَهْلِك ولا تمتْ أسفًا عليهم ، وندمًا على عدم إيمانهم [آية ١٦٧ البقرة ص ٣٨] . و(عليهم) متعلّق بـ (حسرات) . ونظيرُ هذه الآية قولُه تعالى : (لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)(2)

٩ — ﴿وَاللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ﴾ مبتدا وخبرٌ . ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ تحرّكه وتُزعجه من مكانه . أو تجمعه وتجيء به . ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ أي مثلُ إحياء الموات الذي تشاهدونه — إحياءُ الأموات للحساب ؛ في كمال الاختصاص بالقدرة الإلهية ؛ من نشر [آية ٢١ الأنبياء ص ٤١٣] .

١٠ — ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾ أي الشّرف والمَنَعة ؛ من قولهم : أرضٌ عَزَازٌ ، أي صُلْبةٌ قويّةٌ . أي من كان يريد العزّةَ التي لا ذلّةَ معها فليعتزّ بالله تعالى ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ في الدنيا والآخرة ، دون ما عبدوه من الأوثان وغيرها . ومن اعتزّ بالله أعزّه الله ، ومن اعتزّ بالعبيد أذلّه الله . وكان المشركون يتعزّزون بالأصنام ؛ كما قال تعالى : (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا)(3) والمنافقون يتعزّزون بالمشركين ؛ كما قال تعالى : (الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ)(4) . ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ هو كلُّ كلام هو ذِكرٌ لله تعالى . أو هو لله سبحانه ؛ كالأمر بالمعروف

(١) آية ١٤ محمد . (٢) آية ٣ الشعراء . (٣) آية ٨١ مريم . (٤) آية ١٣٩ النساء .

وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١١) وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢)

والنّهى عن المنكر والنّصيحة والعلم النّافع . وصعودُهُ إليه : قبولُه والرّضا به . أو صعودُ صحائفه . أى إليه تعالى لا إلى غيره يصعد الكَلِمُ الطّيِّب ؛ أى يُقْبَل عنده ويكون مرضيًّا . أو تُرفع الصحف التى هو فيها فيجازى الله يوم القيامة أصحابَها بالحسنى . وهو بيانٌ لطريق تحصيل العزّة وحثٌّ على سلوك سبيلها . ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ أى يرفعه الله ويقبله من المؤمنين ؛ فالفاعلُ ضميرٌ عائدٌ إلى الله . والضميرُ المنصوبُ عائدٌ إلى العمل . ﴿وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ أى يَبطل ويَفسد فلا ينفعهم ؛ من البوار [آية ٢٨ إبراهيم ص ٣٣٠] . والمشارُ إليهم هم صناديدُ قريش الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار النّدْوة .

١١ - ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ دليلٌ آخرُ على صحة البعث والنشور وكمال القدرة عليه . ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ هى المَنِىّ [آية ٤ النحل ص ٣٤٢] . ﴿أَزْوَاجًا﴾ ذكورًا وإناثًا . ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ﴾ أى ما يُمَدُّ فى عمر أحد ﴿وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾ أى من عُمر أحد آخرَ ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ عنده تعالى ؛ أى فى اللوح المحفوظ . أو فى الصحيفة . أو فى العلم الأزلى . أو بقضائه تعالى . وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير الآية : ليس أحدٌ قُضِىَ له طولُ العمر إلّا وهو بالغٌ ما قُدّر له من العمر ، وإنما ينتهى إلى الكتاب الذى قُدّر له لا يُزاد عليه . وليس أحدٌ قُضِىَ له أنه قصير العمر ببالغ العمرَ - أى الذى بلغه الأوّل - ولكن ينتهى إلى الكتاب الذى قُدّر له .

١٢ - ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾ مَثَلٌ للمؤمن والكافر . فالبحرُ العذبُ : مثلٌ للمؤمن ، والبحرُ المِلْحُ : مثلٌ للكافر . وكما أنّ البحريْن - وإن اشتركا فى بعض الفوائد - لا يتساويان فيما هو المقصود بالذات من كل منهما . كذلك المؤمنُ والكافرُ - وإن اشتركا فى بعض الصّفات كالشجاعة والسخاء والأمانة - لا يتساويان فى الخاصّية العظمى ؛ لبقاء الأوّل على الفطرة الأصلية ومعاندةِ الآخَر لها . ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ [آية ٥٣ الفرقان ص ٤٦٦] . ﴿سَائِغٌ شَرَابُهُ﴾ سهلٌ انحدارُه فى الحلق لعذوبته ﴿أُجَاجٌ﴾ [آية ٥٣ الفرقان] . ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ أى اللؤلؤَ والأصدافَ والمَرجان . وهى إنما تُستخرج من المِلح خاصّةً . وما يفيده ظاهرُ الآية من أنها تُستخرج من كلٍّ من العَذب والمِلح غيرُ مرادٍ ؛ بل الكلام جرَى على نمط قوله تعالى : (وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ)(١) . وقولِ القائل : لو رأيتَ الحسَنَ والحَجّاج لرأيت خيرًا وشرًّا ؛ فالأوّلُ للأوّل . والثّانى للثّانى . وهنا الأوّلُ وهو اللّحمُ الطّرِىُّ من البَحريْن . والثّانى وهو الحِليةُ من الثانى وهو المِلْح . ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ شواقَّ للماء بصدورها .

(١) آية ٧٣ القصص .

يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ

نصف الحزب

يُجْرِيها اللهُ مقبلةً ومدبرةً بريح واحدة . [آية ١٤ النحل ص ٣٤٤] .

١٣ - ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ ..﴾ يُدخل أحدَهما فى الآخر [آية ٢٧ آل عمران ص ٧٧] . ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ مقدر لفنائها (يوم القيامة) . ﴿ذَٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ أى ذلكم العظيم الشأن . المتّصفُ بالصّفات المتقدّمة - من أوّل السورة إلى هنا - هو الله وهو ربُّكم . وهو الذى له التصرفُ المطلَقُ فى العالَم كله . ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ ما يملكون قشرةَ نواة فما فوقَها . ولا يقدرون على شىء . والقِطْمِيرُ : القِشرةُ البيضاء الرقيقة الملتفّة على النواة . أو هو النُّكتة فى ظهر النواة ، يُضرَب مثلاً للشىء الدّنىء الطّفيف .

١٨ - ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ ولا تحمل نفسٌ آثمةٌ إثمَ نفسٍ أخرى ، وإنما تحمل كلُّ نفسٍ إثمَ الفعلِ الذى باشرته أو تسبّبت فيه . ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا ..﴾ الحِمل - بالكسر - : ما وُضع على الظهر أو الرأس ، أى وإنْ تطلب نفسٌ مُثقَلَةٌ بالذنوب من يَحمل عنها ذنوبَها التى أثقلتها ليُخفف عنها - لا تجدْ من يستجيب لها ولوكان من أقربائها . ﴿وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ﴾ مَن تطهّر من دَنس الكفر والذنوب بالإيمان والتوبة والعملِ الصالح فإنما يتطهّر لنفسه ، وإليها يعود الأجر والثواب . وهو حثٌّ على تزكية النّفس وتطهيرها .

١٩ : ٢٢ - ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ...﴾ مَثّلَ الكافرُ فى هذه الآية بالأعمى فى عدم اهتدائه . والمؤمنُ بالبصير فى اهتدائه . والكفرُ بالظلمات ، والإيمانُ بالنُّور ، ومستقرُّهما فى الآخرة بالظلّ والحَرور . ثم مُثّل العلماء بالله بالأحياء ، والجاهلون بالله بالأموات . وزيادة «لا» فى المواضع الثلاثة التى أوّلها (وَلَا الظُّلُمَاتُ) لتأكيد نفى الاستواء . و﴿ٱلْحَرُورُ﴾ : الريحُ الحارّةُ بالليل ، كالسَّموم بالنهار . وقيل : الحَرورُ يكون ليلاً

وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ

ونهارًا . والسَّمومُ لا يكون إلا بالنَّهار . والمرادُ به : النارُ . كما أن المرادَ بالظِّل : الجنةُ .

٢٤ - ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ أى ما مِنْ أُمَّةٍ ماضيةٍ إلا مضى فيها نذيرٌ من الأنبياء . والعربُ أمةٌ قد بُعث إليهم إسماعيلُ عليه السلام . كما بُعث موسى وعيسى إلى بنى إسرائيل [آية ٤٦ القصص ص ٤٩٥ ، آية ٣ السجدة ص ٥٢١] .

٢٥ - ﴿وَبِالزُّبُرِ﴾ أى بالكتب المنزَّلة من عند الله . جمعُ زبور وهو المكتوب ؛ كصُحُف إبراهيم وموسى . ﴿وَبِالكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ أى التوراةِ والإنجيل المنزَّلَيْن ؛ وهو من عطف الخاصّ على العام .

٢٦ - ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أى إنكارى عليهم بحلول عقوبتى بهم .

٢٧ - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ﴾ خطابٌ لكل من يصلح له بتقرير دليل من أدلة القدرة الباهرة . والصَّنعة البديعة يوجبُ الإيمانَ بالله . ويَدْفَعُ فى صدور المكذبين ؛ بعد أن ذَكر أخذَه تعالى لهم عقوبةً على التكذيب والجحود . وهو اختلاف ألوانِ الثمرات والجبال . والناسِ والدوابِّ والأنعام اختلافًا بيِّنًا . ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ ..﴾ أى ذوُو طرائقَ وخُطُوطٍ تخالف لونَ الجبل : بيضٍ وحمرٍ وسودٍ . جمع جُدَّة . وهى الطريقة فى السماء والجبل . وأصلُها الخُطَّة التى فى ظهر الحمار تخالف لونَه . ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ أى أصنافها بالشدة والضّعف . ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ جمعُ غِربيب . وهو الذى أبعدَ فى السواد وأغربَ فيه . و(سُودٌ) بدلٌ من (غرابيب) . وهى معطوفةٌ على (بيضٌ) . وقيل : معطوفةٌ على (جُدَدٌ) . أى ومن الجبال مخطَّطٌ ذو جُدَدٍ . ومنها ما هو على لَوْنٍ واحد وهو السَّواد الشديد . والمرادُ : أنها مختلفةُ الألوان كثيرًا .

٢٨ - ﴿إنمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ أى إنما يخافه تعالى بالغيب العالمون به ، وبما يليق به من الصفات الجليلة والأفعال الجميلة ؛ لأن مدار الخشية معرفةُ المخشىِّ . والعلمُ بصفاته وأفعاله . أمّا الجاهلون به تعالى فلا يخشوْنه ولا يخافون عقابه . وهذه الآيةُ مكمِّلةٌ لقوله تعالى : (إنمَا تُنْذِرُ

الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠) وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ (٣١) ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (٣٥) وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ

الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ [1] بتعيين من يخشاه من الناس ، بعد بيان اختلاف طبقاتهم ومراتبهم فى الصفات .

٢٩ ـ ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً﴾ أى معاملةً مع الله تعالى لنيل الربح وهو الثواب . ﴿لَنْ تَبُورَ﴾ أى تكسُد [آية ١٠ من هذه السورة] ـ والجملةُ خبرُ «إنّ» .

٣٠ ـ ﴿شَكُورٌ﴾ أى مجازيهم على طاعاتهم أوْفَى الجزاء .

٣٢ ـ ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ ..﴾ أى ثم جعلنا القرآن الذى أوحينا إليك : ميراثًا منك لأُمّتك ـ التى اصطفيناها على سائر الأمم ، وجعلناها أُمّةً وسَطًا ليكونوا شهداء على الناس ـ ينتفعون به ، ويفهمون ما فيه من العلوم والأحكام والمواعظ والأمثال ؛ بالذات كالعلماء الراسخين ، أو بالواسطة كغيرهم . و(ثُمَّ) للتّراخي الزمانّى . والمرادُ بـ(الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا) أُمّةُ الإجابة . وفى التعبير بالاصطفاء تنويهٌ بفضلها على سائر الأمم . ثم قسمها الله تعالى إلى ثلاثة أنواع : أشار إلى الأول بقوله تعالى : ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ بارتكاب صغائر الذنوب المؤدِّى إلى نقصانه من الثواب . وإلى الثانى بقوله : ﴿وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ معتدلٌ فى أمر الدِّين ، لا يميل إلى إفراط ولا إلى تفريط . وإلى الثالث بقوله : ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وهو السابق لغيره فى أمور الدِّين . وقيل الظالمُ : من رجَحت سيئاتُه على حسناته . والمقتصِدُ : من استوت حسناتُه وسيئاته . والسابقُ : من رجَحت حسناتُه على سيئاته ؛ وكلُّهم من أهل الجنة . ﴿ذَٰلِكَ﴾ أى توريثُ الكتاب لمَن اصطفيناه .

٣٣ ـ ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ الضميرُ راجعٌ للأنواع الثلاثة .

٣٤ ـ ﴿وَقَالُوا﴾ أى ويقولون عند دخولهم الجنة . وعُبِّر بصيغة الماضى للدّلالة على تحقُّقه . ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ أى جنسَ الحَزَنِ الشاملَ لجميع أحزان الدِّين والدنيا والآخرة . والحَزَنُ والحُزْنُ : ضدُّ الفرح .

٣٥ ـ ﴿دَارَ الْمُقَامَةِ﴾ دار

(1) آية ١٨ من هذه السورة .

لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ * إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ



الإقامة الدائمة (الجنة) ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ لا يصيبنا فيها تعبٌ ولا مشقّةٌ وعناءٌ. يقال: نَصِب ـ كفرح ـ إذا تَعِب وأعيا. ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ إعياءٌ من التّعب، وكلالٌ من النّصب. يقال: لَغَبَ لَغْبًا ولُغُوبًا ولَغُوبًا ـ كمَنَع وسَمِع وكَرُم ـ أعيا أشدَّ الإعياء.

٣٧ ـ ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ يستغيثون ويضِجُّون في النار رافعين أصواتهم. افتعالٌ من الصُّراخ وهو الصياح بجَهْد ومشقة، ويستعمل كثيرًا في الاستغاثة؛ لجهد المستغيث صوته. والصارخُ: المستغيث. وأصلُه يصْترخون؛ فأُبدلت التاءُ طاءً لقُرب مخرجها من الصّاد لمّا ثَقُلت. ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ﴾ أي ألم نمهلكم ونعمِّركم العمرَ الذى يتمكن من التذكر فيه من أراد التّذكُّر!.

٣٩ ـ ﴿جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ خلفاءَ في أرضه. وملّككم منافعها ومقاليدَ التصرُّف فيها؛ لتشكروه بالتوحيد والطاعة. أو جعلكم خلفًا لمن سبقكم من الأمم الذين كذّبوا الرسل فهلكوا؛ فلم تتعظوا بحالهم وما حلّ بهم من الهلاك. جمعُ خليفة. ﴿إِلَّا مَقْتًا﴾ أي أشدَّ البغضِ والاحتقارِ والغضبِ. ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ هلاكًا وخُسرانًا في الآخرة.

٤٠ ـ ﴿أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ..﴾ أي أخبروني عن حال شركائكم! أروني أيَّ جُزء خلقوا من الأرض حتى يستحقوا الألوهية والشركة!؟ ورأى بصريّةٌ تتعدّى بالهمزة إلى مفعولين: أوّلها «شركاءكم». والثاني الجملةُ الاستفهاميّة بعدها؛ والاستفهامُ إنكاريٌّ فيه وفي الموضعين بعده. و«أَروني» أي أخبروني تأكيد لـ«أَرَأَيْتُمْ». ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ أي بل أَلَهُمْ شِركةٌ مع الله في خلق السماوات حتى يستحقوا ما زعمتم

أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى
ٱلْأُمَمِ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا
فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ
فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ
تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟
فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾
وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن
دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ
فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾

(٣٦) سورة يس مكية

إلا آية ٤٥ فمدنية
وآياتها ٨٣ نزلت بعد الجن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ

فيهم ؟ ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا﴾ بل آتيناهم كتابًا بالشركة ؟ ﴿فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ﴾ أى حجةٍ ظاهرةٍ منه ؟ ﴿إِلَّا غُرُوراً﴾ أى وعدًا باطلاً . وهو قولُهم : هؤلاء شفعاؤنا عند الله .

٤٢ - ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ غايةَ اجتهادهم فى تغليظها [آية ٥٣ المائدة ص ١٥٣] . ﴿نُفُورًا﴾ تباعدًا عن الحق والهُدَى .

٤٣ - ﴿اسْتِكْبَارًا فِى الْأَرْضِ﴾ بدلٌ من «نُفُورًا» . أو مفعولٌ لأجله . ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾ معطوفٌ على «استكبارًا» . وأصلُ التركيب : وأنْ مكروا المكرَ السيئ ، فأقيم المصدر مقام أنْ والفعلِ وأضيف إلى ما كان صفةً له . ومكرُهم : شركهُم بالله ، أو كيدُهم للنبىّ صلى الله عليه وسلم . ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ أى لا يُحيط مكروهُ ذلك المكرِ إلا بأهله الماكرين ؛ من الحَوْق وهو الإحاطة . يقال : حاق به كذا ، أى أحاط به . أو لا يصيب ولا ينزل إلّا بهم . ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾ فما ينتظرون . ﴿سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾ سنة الله فيهم بتعذيبهم لتكذيبهم . والله أعلم .

سُورَةُ يسٓ

١ - ﴿يس﴾ من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه . وقيل : اسمٌ للسورة ، أو للقرآن ، أو للرسول صلى الله عليه وسلم .

٢ : ٤ - ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ قَسَمٌ منه تعالى بكتابه المُحكم . وجوابُه ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أى على طريقة مستقيمة . واعلم أن الأقسام الواقعة فى القرآن وإن

ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ

وردت فى صورة تأكيد المحلوف عليه ، إلا أن المقصودَ الأصليَّ بها تعظيمُ المقْسَمِ به ؛ لما فيه من الدّلالة على اتصافه تعالى بصفات الكمال ، أو على أفعاله العجيبة ، أو على قدرته الباهرة . فيكون المقصود من الحَلِف الاستدلالَ به على عِظَم المحلوف عليه ، وهو هنا عِظَمُ شأن الرّسالة . كأنه قيل : إن من أنزل القرآن ـ وهو ما هو فى عِظَم شأنه ـ هو الذى أرسل رسولَه محمدًا صلى الله عليه وسلم . ومثلُ ذلك يقال فى الأقسام التى فى السُّوَر الآتية .

٦ ـ ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا﴾ وهم قريش المعاصرون له صلى الله عليه وسلم . ﴿مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾ أى لتخوّفهم العذاب الذى أُنذِرَ به آباؤهم الأبعدون على لسان إسماعيل عليه السلام . ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ أى لأنهم غافلون عنه [آية ٤٦ القصص ص ٤٩٥ ، ٣ السجدة ص ٥٢١ ، ٢٤ فاطر ص ٥٥٣].

٧ ـ ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾ أى والله لقد ثبت وتحقّق الحكم أزلاً بالعذاب ﴿عَلَى أَكْثَرِهِمْ﴾ أى أكثر المنذَرين ، وهم كفار مكة ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بإنذارك إيّاهم ؛ لسبق عِلمنا بسوء اختيارهم الموجب لإصرارهم الاختياريّ على الكفر وموتهم عليه .

٨ ـ ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالاً﴾ قيودًا عظيمةً . والغُلُّ ـ بالضم ـ : ما تُشَدّ به اليَدُ إلى العنق للتعذيب والتشديد . ﴿فَهِيَ﴾ أى الأغلال واصلةٌ ﴿إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ جمعُ ذَقَن وهو أسفل اللَّحْيين . ﴿فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ رافعون رؤوسهم مع غضّ أبصارهم ، لا يستطيعون أن يطأطئوها لوصول الأغلال إلى أذقانهم ؛ من الإقماح ، وهو رفع الرأس وغضُّ البصر . يقال : أقمحه الغُلُّ . إذا ترك رأسه مرفوعًا من ضيقه . وهو تمثيلٌ لحال هؤلاء المصرِّين على الكفر ـ الشامخين برءوسهم عن اتّباع الرسول ؛ فى عدم التفاتهم إلى الحق ، وعطفِ أعناقهم نحوَه ، وطأطأة رؤوسهم إليه ـ بحال أولئك المغلولين .

٩ ـ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾ عظيما . والسَّدُّ : الحاجزُ بين الشيئين . ﴿وَمِنْ خَلفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ جعلنا على أبصارهم غِشَاوَةً ؛ أى غِطاءً ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ لا يقدرون على إبصار شىء بسبب ذلك . وهو تمثيل آخرُ لحال هؤلاء ـ فى حبسهم فى حظيرة الجهالات ، ومنعهم عن النظر فى الدلائل والآيات ؛ لسوء اختيارهم وفساد استعدادهم ـ بحال من أحاطت بهم سدودٌ فحجبتهم عن الإبصار .

١١ ـ ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ أى إنما تنذر إنذارًا نافعاً مستتبعاً أثره مَن علم الله أنه اتّبع القرآن . متأمّلاً فيه عاملاً به وهم الأقلّون . أمّا هؤلاء المستكبرون فلا ينفع فيهم الإنذار ؛ بل

وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَالِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى

وجوده وعدمُه بالنسبة إليهم سواءٌ.

١٢ - ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾ ترغيبٌ وترهيبٌ لفريقي المنتفعين بالإنذار والمصرّين على الكفر. ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ نُحصى ما أسلفوا فى حياتهم من أعمال صالحة أو فاسدة ، وما تركوه بعدهم من أثر حَسَن أو سيِّئ ؛ فنجازيهم على ما قدّموا وما أخّروا. ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ بيّناه فى أصل عظيم يُقتدَى به ، مظهر لما كان وما يكون إلى يوم القيامة ؛ وهو اللّوحُ المحفوظُ.

١٣ - ﴿أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ هى أنطاكية من أرض الرُّوم ، وكان أصحابها من عبدة الأوثان. ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ أصحابُ عيسى عليه السلام من الحواريِّين ، أرسلهم إليهم بأمره تعالى حين رُفع إلى السماء.

١٤ - ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ فقوّيْنا الرسالةَ بثالث ؛ من التّعزيز وهو التقوية. يقال : تعزّز لحمُ الناقة إذا صَلُب. وعزّز المطرُ الأرض ، إذا لبّدَها وشدَّها.

١٨ - ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ تشاءمنا بكم ؛ فما أصابنا من بلاء فإنما هو بسببكم [آية ٤٧ النمل ص ٤٨٥].

١٩ - ﴿طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ شُؤمكم معكم ، وهو استدامتكم على الكفر. أو سببُه منكم لا منّا ؛ وهو سوء عقيدتكم وأعمالكم. ﴿أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ﴾ أئن وُعظتم وخُوِّفتم سوءَ عاقبة أعمالكم تطيّرتم ؟.

٢٠ - ﴿يَسْعَى﴾ يعدو ويُسرع فى مشيته حرصاً على نصح قومه.

٢٢ - ﴿فَطَرَنِي﴾ أوْجَدَنى

يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ * وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾

حزب ٤٥ جزء ٢٢

وخلقني بعد العَدَم بقدرته .

٢٣ - ﴿لَا تُغْنِ عَنِّي﴾ لا تدفع عني .

٢٦ - ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ بشّرته ملائكةُ الموت عند قتل أعدائه له بدخول الجنة فى الآخرة . أو بدخول روحه فيها وطوافه بها ؛ كأرواح الشهداء .

٢٩ - ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ ما كانت هَلَكتهم إلّا بصيحة واحدة من السماء ، صاح بها جبريلُ عليه السلام ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ أى كالنار الخامدة التى استحالت رَمادًا [آية ١٥ الأنبياء ص ٤١٢ ، ٤١٣] .

٣٠ - ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ يا غمًّا وتَندُّمًا على العباد المكذّبين ، أو منهم على أنفسهم فى استهزائهم بالرسل [آية ١٦٧ البقرة ص ٣٨] .

٣٢ - ﴿وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ أى ما كلُّ المخلوقات إلا مجموعون لدينا يومَ القيامة فى المحشر ، محضَرُون للجزاء والحساب .

٣٣ - ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ ..﴾ اشتملت هذه الآيةُ وما بعدها إلى آية ٤٤ على ثلاثة أدلّة على القدرة على البعث ، وعلى ما يوجب الإقرارَ له تعالى بالوحدانيّة وإفرادَه بالعبادة : أولها - دليلٌ أرضيٌّ بَرِّيٌّ . والثانى - دليلٌ سماويٌّ . والثالثُ - دليلٌ أرضيٌّ بَحْرِيٌّ . ثم ذكر ثلاثة أدلة أخرى على ذلك فى آيات ٦٦ - ٦٨ مشاهَدةٍ فى جسم الإنسان وقُواه : أوّلها - الإبقاءُ على حاسّة بصره . والثانى - الإبقاءُ على صورته الإنسانيّة . والثالث - تنكيس قواه وردُّه إلى أرذل عمره إذا عُمِّر . ثم ذكر دليلاً سابعًا فى آيات ٧١ - ٧٣ مشاهَدًا فى خلق الأنعام ومنافعها . ثم ذكر دليلاً ثامنًا فى آية ٧٧ مشاهدًا فى أطوار خلق الإنسان . ثم ذكر دليلاً تاسعًا فى آية ٨٠ مشاهَدًا فى خلْق الضدِّ من ضِدّه ؛ فكيف مع تواتر هذه الدلائل ينكرون قدرته على أن يخلق مثلَهم ! وهو الخلاق العليم ، الذى لا يتعاظم ولا يستعصى على قدرته شىء فى ملكوته !؟ .

٣٤ - ﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا﴾ شققنا فى الأرض .

٣٥ - ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ أى لم يعملوا الثمّر وإنما الفاعل له هو الله تعالى وحده ؛ والجملةُ حاليّةٌ . أو ليأكلوا مما عمِلته أيديهم ، وصنعوه بقواهم كالعصير والدِّبْس وغيرهما .

٣٦ - ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ

سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا

﴿الأَزْوَاجَ﴾ أي أسبّح سبحانه ؛ أي أنزّهه تعالى عما لا يليق به مما فعلوه . تنزيهًا خاصًّا به . حقيقًا بشأنه عزّ وجلّ . والمرادُ بالأزواج : أنواعُ المخلوقات وأصنافُها . يقال : زوجٌ لكل واحد من القرينيْن . من الذكر والأنثى في الحيوان المتزاوج ، ولكل قرينيْن فيه وفي غيره ، ولكل ما يقترن بآخرَ مماثلاً له أو مُضادًّا . وقيل : المرادُ بالأزواج خصوصُ الذّكَر والأنثى من الحيوان والنّبات .

٣٧ - ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ أي نَنزِع عنه النهار الذي هو كاللّباس الساتر فتظهر الظُّلمة . أو نُخرج منه النهار إخراجًا لا يبقى معه أثر من ضَوْئه [آية ٥ التوبة ص ٢٤٨] . والمرادُ : إزالةُ ضوء النهار من مكان اللّيل وموضعِ ظلمته ليظهر الليلُ . ﴿فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ أي داخلون في الظلام .

٣٨ - ﴿والشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ أي وآيةٌ لهم الشمس تسيرُ مسرعةً إلى مكان استقرارها كلَّ يوم في رأي العين ، وهو أفق الغرب خاصّةً . أو إلى مكان استقرارها ، وهو الحدُّ المعيَّن الذي تنتهي إليه من فلَكها في آخر السنة ؛ فهي تجري دائمًا ، كلّما انتهت من دَوْرة استأنفت أخرى لتبلغه . شُبّه بمستقرّ المسافر إذا قطع مسيره ؛ من حَيْثُ إن في كلّ منهما انتهاءً إلى موضع معيَّن ، وإن كان للمسافر قرارٌ بعد ذلك والشمسُ لا قرار لها بعده ، بل تستأنف الحركة منه كما بدأت .

٣٩ - ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ أي قدّرنا سيْره في منازل ، ينزل كلَّ ليلة في منزل لا يتخطّاه ، ولا يتقاصر عنه . على تقدير مستوٍ من ليلة المستهَلّ إلى الثمانية والعشرين . ثم يستتر ليلتين إن كان الشهر تامًّا ، وليلةً إن نقص يومًا ؛ فإذا كان في آخر منازله دقّ وتقوّس ﴿حَتَّى عَادَ﴾ أي صار في رأي العين ﴿كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ أي العتيق اليابس ، وهو عُود العِذق ما بين الشماريخ إلى منبَته من النخلة . والعِذْقُ : القِنْو من النخل وهو كالعنقود من العنب . والشماريخ : جمعُ شِمراخ وشُمْروخ ، وهو العِثكال الذي عليه البُسْر . وسُمّي عُرجونًا من الانعراج وهو الانعطاف ، شبه القمرُ به في دقّته وتقوّسه واصفراره .

٤٠ - ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ أي لا يصحّ لها أن تدرك القمر في مسيره فتجتمع معه في الليل ؛ لأنه تعالى حدّد لكلّ منهما وقتًا معيّنًا يظهر فيه سلطانه ؛ فلا يدخل أحدهما في سلطان الآخر ، بل يتعاقبان . وإلّا لاختلّ تكوُّنُ النبات وتدبيرُ عيش الإنسان والحيوان . ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ أي ولا آية الليل - وهي القمر - تسبق آيةَ النهار - وهي الشمس - ، بحيث يظهر سلطانه في وقت ظهور سلطانها . ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يَدُورُون . حكى ابنُ حَزْم وابنُ الجَوْزي وغيرُهما الإجماعَ على أن السماوات كُرويَّةٌ مستديرةٌ ،

ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ

استدلالاً بهذه الآية . وخالف فى ذلك جماعةٌ من أهل الجَدَل .

٤١ - ﴿حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أى أولادهم صغارًا وكبارًا فى السفن المملوءة دون أن يلحقهم أذًى ، وتمكينًا للكبار منهم من وسائل العيْش . وأهمُّها التجارات .

٤٣ - ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ فلا مُغيثَ لهم . أو فلا إغاثة لهم من الغَرَق . وعلى الثانى هو مصدر كالصُّراخ تُجُوِّزَ به عن الإغاثة ؛ لأن المستغيث ينادى من يستغيث به فيَصْرُخ المغيثُ له ويقول : جاءك الغَوْث والعَوْن .

٤٥ - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أى لأهل مكة ﴿اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ أى مثلَ عذاب الأمم الماضية ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ أى عذابَ الآخرة . أو اتَّقـوا ما يوجبهما - أعرضوا عن ذلك إعراضاً ؛ وحُذِف الجواب للعلم به مما بعده .

٤٨ ، ٤٩ - ﴿وَيَقُولُونَ﴾ استهزاءً وتكذيباً ﴿مَتَى هَذَا الوَعْدُ﴾ أى متى يكون البعثُ الذى تقولونه ؟! فأجابهم الله تعالى بقوله : ﴿مَا يَنْظُرُونَ﴾ أى ما ينتظرون ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ هى نفخة الصَّعْق التى يموت بها أهل الأرض ﴿تَأْخُذُهُمْ﴾ تَقْهَرُهم ﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ يتخاصمون ويتنازعون فيما انهمكوا فيه من شئون الدنيا ، غافلين عن الآخرة .

٥١ - ﴿وَنُفِخَ فِى الصُّورِ﴾ نفخةَ البعث ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ أى القبور . جمعُ جَدَثٍ . ﴿إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ يخرجون مسرعين [آية ٩٦ الأنبياء ص ٤٢١] .

فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ
مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾
سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا
ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ * أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ
أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ
ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ
جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ
ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ
تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ
أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ
نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ
يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا



٥٣ ـ ﴿مُحْضَرُونَ﴾ للحساب .

٥٥ ـ ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ﴾ أى يقال للكفار ذلك ؛ زيادة لحسرتهم . والشُّغُلُ : الشأنُ الذى يصُدُّ الإنسانَ ويشغَلُه عما سواه من شئونه ؛ لكونه أهمَّ عنده من غيره . أى هم فى شُغُل بما هم فيه من النعيم عن كل ما يخطر بالبال . ﴿فَاكِهُونَ﴾ متلذّذون فى النّعمة ؛ من الفَكَاهة ـ بالفتح ـ : وهى طيب العيش والنشاط . يقال : فكِه الرجلُ فكهًا وفكاهةً فهو فكِهٌ وفاكِهٌ ؛ إذا كان طيِّبَ العيش فَرِحًا ذا نشاطٍ من التنعُّم .

٥٦ ـ ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ على السُّرُر فى الحِجَال [آية ٣١ الكهف ص ٣٨٠] .

٥٧ ـ ﴿وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ﴾ أى ما يطلبونه ؛ من الدعاء بمعنى الطلب . أو ما يتمنّونه ؛ من الادّعاء بمعنى التَّمنِّي . تقول العرب : ادَّعِ عليَّ ما شئت ؛ أى تمنَّ .

٥٩ ـ ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ انفردُوا عن المؤمنين إلى مصيركم من النار وكونوا على حِدَةٍ . يقال : امتاز وتميَّز وامَّاز ؛ أى انفصل بعضه من بعض .

٦٠ ـ ﴿أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ أوصيكم . أو أكلفكم .

٦٢ ـ ﴿أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ أغوى منكم خلقًا كثيرًا [آية ١٨٤ الشعراء ص ٤٧٧] .

٦٤ ـ ﴿اصْلَوْهَا﴾ ادخلوها ، أو قاسُوا حرَّها .

٦٦ ـ ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾ بيانٌ لأنهم فى قبضة القدرة ، ومستحقون للعذاب لكفرهم وإنكارهم . أى فى قدرتنا إذا شئنا ـ جزاءً لهم على جناياتهم ـ أن نمحُوَ أعينَهم ونمسَحَها . أو أن نزيل ضوءها فيصيروا عُمْيًا لا يقدرون على التردد فى الطرق لمصالحهم ؛ ولكنا أبقينا عليهم نعمة البصر فضلا منّا ؛ فحقّهم أن يشكروا عليها ولا يكفروا . ﴿فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾ أى تبادروا إلى الطريق ليجُوزوه كعادتهم فلم يستطيعوا . ﴿فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ فكيف يبصرونه وقد طمسنا على أعينهم ! .

٦٧ ـ ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ ..﴾ وفى قدرتنا إذا شئنا ـ عقاباً لهم على ضلالهم ـ أن

ٱسْتَطَٰعُواْ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾

نغيِّر صُوَرَهم الإنسانيةَ إلى صُوَر حيوانيةٍ قبيحةٍ وهم فى أماكنهم ؛ فلا يقدروا على الفِرار منّا بإقبال أو إدبار ؛ ولكنا لم نفعل ذلك جَرْيًا على سَنَن الرحمة والحكمة الداعيتيْن إلى إمهالهم . ﴿عَلَى مَكَانَتِهِمْ﴾ أى فى أمكنتهم .

٦٨ ـ ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ﴾ نُطِلْ عُمرَه ﴿نُنَكِّسْهُ فِى الْخَلْقِ﴾ نَرُدّه إلى أرذل العُمُر ؛ فنبدِّله بالقوّة ضعفًا ، وبالشباب هَرَماً ، وبالعقل خَرَفًا . يقال نكسْتُه نكْسًا ـ من باب قتل ـ إذا قلبتَه فجعلت رأسه أسفله ؛ أليس ذلك دليلاً على كمال قدرتنا على البعث ! ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ ذلك !

٧٠ ـ ﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ أى عاقلاً أو مؤمنًا ؛ فهو الذى ينتفع بالإنذار .

٧١ ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا ..﴾ دليلٌ آخرُ من أدلة القدرة ، وتنديدٌ بالمشركين ، وتسليةٌ للرسول صلى الله عليه وسلم . أى ألم يتفكرُوا ولم يَرَوْا .. !؟ .

٧٢ ـ ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ صيرناها مسخرة منقادة لهم .

٧٥ ـ ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ﴾ أى وآلهتهم من الأصنام جندٌ لهم ، محضرون معهم فى النار ليعذّبوا بهم فيها ؛ على حدّ قوله تعالى : «وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ» .

٧٧ ـ ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ مبالِغٌ فى الخصومة والجَدَل الباطل ، ظاهرٌ متجاهرٌ فى إنكار البعث ، مع علمه بأصل خلقته ؛ كيف ومن قدر على أن يجعل من هذه النطفة إنسانًا سويًّا ! لا ريبَ أنه يقدر على أن يعيد خلقه كما بدأه ، بل ذلك أهون عليه !

٧٨ ـ ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً ..﴾ وضرب لنا ذلك الإنسانُ الخصيمُ المنكِرُ للبعث مثلاً . أى أورد فى شأننا قصةً هى كالمثَل فى الغرابة ، وهى إنكارُ إحيائنا العظامَ ، فقال منكرًا : ﴿مَنْ يُحْيِى الْعِظَامَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ ! ونسىَ خلْقَنا إيّاه من نطفة ، وتقليبَه فى أطوار شتّى حتى صار إنسانًا سويًّا . «رَمِيمٌ» أى باليةٌ أشدّ البلى ، بمعنى فاعل ؛ من رَمّ اللّازم بمعنى

قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّٰقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ الَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

(٣٧) سُورَةُ الصَّافَّاتِ مكيّة
وآياتها ١٨٢ نزلت بعد الأنعام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَآءَ

بَلِىَ . ولم تلحقه التّاء لصيرورته بالغلبة اسمًا لما بَلِىَ من العظام فانسلخ عن الوصفية . أو بمعنى مفعول ؛ من رمَّ المتعدّى بمعنى أبلى . يقال : رمَّه أى أبلاه ؛ فيستوى فيه المذكَّر والمؤنّث .

٨٠ - ﴿الَّذِى جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ..﴾ النَّدِىّ الرَّطب ؛ كالمَرْخ والعَفَار ؛ وهما نبتان أخضران إذا ضُرب أحدُهما بالآخر اتّقدت منهما شرارة

٨١ - ﴿بَلَىٰ﴾ هو قادرٌ على خلق مثلهم .

٨١ - ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾ [آية ١١٧ البقرة ص ٢٩] .

٨٣ - ﴿مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ أى مِلْكُ كلّ شىء مِلْكًا تامًّا . زيدت الواو والتاء فيه للمبالغة ؛ كما فى جَبَروت وَرَحموت . والله أعلم .

سُورَةُ الصَّافات

١ : ٥ - ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا..﴾ أقسم الله تعالى بجماعات وطوائفَ ثلاثٍ من خلقه ؛ ولله أن يُقْسِم بما شاء ، تنويهًا بعظَم شأن المُقْسَم به . فأقسم بالصَّافَّاتِ أنفسَها فى العبادة : صلاةً أو جهادًا أو غيرهما ، ملائكةً أو أناسىَّ أو غيرهما . فالزاجراتِ عن ارتكاب المعاصى بالأقوال والأفعال كائنينَ من كانوا . فالتالياتِ آياتِ الله على الناس للتعليم ونحوه كذلك . والترتيبُ بالفاء على سبيل الترقّى فى الصفات . فالأولى كمالٌ والثانيةُ أكمل ؛ لتعدِّى منفعتِها . والثالثة أكملُ وأكملُ ؛ لتضمّنها الأمرَ بالمعروف والنهىَ عن المنكر ، والتّخلّى عن الرذائل ، والتحلّى بالفضائل . ولا تدافُعَ بين هذه الصفات ؛ فقد تجتمع كلها فى جماعة واحدة .. و «صَفًّا» و «زَجْرًا» و «ذِكْرًا» مصادرُ مؤكِّدةٌ . وجوابُ القَسَم ﴿إِنَّ إِلَـٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ . وإثباتُ المطالب المهمّة بتقديم القَسَم طريقةٌ مألوفةٌ عند العرب . وقد عقّبه بالدليل اليقينىّ على وحدانيّته تعالى فقال : ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ فإن وجودَها وبقاءَها على هذا النمط البديع من أظهر

ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟

الأدلة على وحدانيّته تعالى. والربُّ: المالكُ. والمشارقُ: مشارقُ الشمس إذ أنّها فى كل يوم تشرُق من مَشْرِق، وتغربُ فى مَغْرب. واكتُفِيَ بذكرها عن المغارب لاستلزامها إيّاها. ولأن الشروق أدلُّ على القدرة وأبلغُ فى النعمة. وقيل: مشارق الكواكب وهى متعدّدة.

٧ - ﴿وحِفظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾ أى وحفِظنَا السماء حفظًا من كل شيطان متجرِّد عن الخير بخروجه عن طاعة الله تعالى. والماردُ والمَريدُ بمعنًى [آية ١١٧ النساء ص ١٣١].

٨ - ﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى﴾ أى الملائكةِ فى السماء. جملةٌ مستأنَفةٌ لبيان حالهم عند حفظ السماء، مع التنبيه على بيان كيفيّة الحفظ، وما يعتريهم فى أثنائه من العذاب. أى لا يُمكَّنون من التسمُّع مبالغةً فى نفى السماع. ﴿وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ أى ويُرجمون بالشهُب من كل جانب من جوانب السماء إذا حاولوا الصعود إليها لاستراق السمع.

٩ - ﴿دُحُورًا﴾ أى للدُّحور. وهو الطَّرد والإبعادُ. مصدرُ دَحَره يَدْحَرُه دَحْرًا ودُحُورًا: أبْعدَه. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ أى دائمٌ فى الآخرة غيرُ الرّجم. يقال: وصَبَ الشيءُ يَصِبُ وصُوبًا، دام وثبت؛ ومنه قوله تعالى: (وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا)[1] أى الطاعة دائمًا.

١٠ - ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الخَطْفَةَ﴾ أى لا يَسمعُ الشياطينُ إلا الشيطانُ الذى سلَب السَّلْبة من كلام الملائكة بسرعة وخفّة فيما يتفاوضون فيه مما سيكون فى العالَم قبل أن يعلَمه أهلُ الأرض. وذلك فى غير الوَحْى؛ لقوله تعالى: (إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ)[2]. والخَطْفُ: الاختلاسُ والأخذُ بخفَّة وسرعة على غَفْلَة. والاستثناء من واو (يَسَّمَّعُون)، و (مَنْ) فى محل رفع بدلٌ منه. ﴿فَأَتْبَعَه﴾ تَبِعه ولحقَه. وأتبع وتَبِع بمعنًى؛ كأردفه وردِفَه. ﴿شِهَابٌ﴾ [آية ١٨ الحجر ص ٣٣٥]. ﴿ثَاقِبٌ﴾ مضىءٌ كأنه يثقب الجوَّ بضوئه.

﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ أى لاصق بعضُه ببعض. يقال: لزَبَ الشيءُ يلزُب لزْبًا ولُزوبًا. دخل بعضُه فى بعض. ولزَب: لَصَق وصَلُب. وطينٌ لازبٌ: يلْزَق باليد لاشتداده؛ أى فليسوا أصعبَ خَلْقًا وأشقَّ إيجادًا ممن خلقنا من هذه المخلوقات العظيمة. فمن قَدَر على ذلك كيف يَعْجز عن الإعادة والبعث!؟. ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ من قدرته تعالى على هذه الخلائق العظيمة وإنكارهم البعث. ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ وهم يَسخرون من تعجُّبك وتقريرك للبعث.

١٤ - ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ يبالغون فى السخرية والاستهزاء.

١٦ - ﴿أَئِذَا مِتْنَا وكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا﴾ أى أنبعث إذا متنا وكان بعض أجزائنا تراباً وبعضُها عظامًا!؟

(١) آية ٥٢ النحل. (٢) آية ٢١٢ الشعراء.

إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ * ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾

نصف الحزب

١٧ - ﴿أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ أي أَوَ أباؤنا الذين ماتوا وصاروا ترابًا وعظامًا مَبْعُوثونَ كذلك ؟! والهمزةُ للاستفهام الإنكاري داخلةٌ على واو العطف.

١٨ - ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ أى قل تُبعثون أنتم وآباؤكم وأنتم صاغرون أذلاء [آية ٤٨ النحل ص ٣٤٧ ، ٣٤٨].

١٩ - ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ أى فإنما البَعْثةُ صيحةٌ واحدةٌ ؛ من زَجَر الرّاعى غنَمَه ، صاح عليها . وهى نَفْخةُ البعث ، وسُمِّيَتْ زجرةً لأنها طردٌ بصوتٍ ؛ كما تُزجر الإبلُ والخيلُ عند السَّوْق . ﴿فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أى فإذا هم أحياءٌ يُبصِرون كما كانوا فى الدنيا .

٢٠ - ﴿يَاوَيْلَنَا﴾ يا هلاكنا احضر . ﴿يَوْمُ الدِّينِ﴾ أى الجزاء على الأعمال .

٢٢ - ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ أمثالَهُمْ من العصاة : عابدَ الصنم مع عابد الصنم ، وعابدَ الكوكب مع عابد الكوكب ، وكذا الزُّناة مع الزُّناة ، وأصحابُ الخمر مع أصحاب الخمر ، وهكذا .

٢٤ - ﴿وَقِفُوهُمْ﴾ احبسوهم فى الموقف ﴿إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ عن العقائد والأعمال . يقال : وقف الدّابةَ وقفًا ، حبسها عن المشى .

٢٧ ، ٢٨ - ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ يتلاومون ويتخاصمون ؛ أى الأتباع والرؤساء ، يسأل بعضهم بعضًا سؤالَ تقريع ومخاصمة . ﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ قال الأتباع للرؤساء : إنكم كنتم تأتوننا من الناحية التى منها الخير وهو الدِّين ، تهوِّنون أمره

إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ (٣٨) وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ (٤٠) أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ (٤١) فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ (٤٢) فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ (٤٣) عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ (٤٤) يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (٤٥) بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ (٤٦) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ (٤٧) وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ (٤٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ

علينا، وتصرفوننا عنه، وتزيّنون لنا الضلالة. واليمينُ بمعنى الدِّين. وقد أجابهم الرؤساء بخمسة أجوبة فى الآيات ٢٩ ـ ٣٢.

٣٠ ـ ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ﴾ مجاوزين الحدّ فى العصيان؛ اختيارًا منكم لا جبرًا منّا.

٣١ ـ ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا﴾ ثبت ووجب علينا.

٣٢ ـ ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ﴾ فدعوناكم إلى الغيّ والضّلال دعوةً غيرَ مُلجئة؛ فاستجبتم لنا باختياركم الغَيَّ على الرشد. ﴿إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ فلا عَتْبَ علينا فى تعرّضنا لإغوائكم بتلك الدّعوة لتكونوا أمثالنا فى الغَواية.

٣٧ ـ ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ..﴾ بل أتى محمّدٌ بالحقّ، وهو التوحيد الذى دعا إليه جميعُ الرسل؛ فكان مصدِّقًا لهم فى الدعوة إليه. فكيف تقولون شاعر مجنون!!

٤٠ ـ ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾ الذين أخلصهم الله لطاعته.

٤٥: ٤٧ ـ ﴿بِكَأْسٍ..﴾ هو إناءٌ فيه شرابٌ؛ فإن لم يكن فيه شراب فهو قَدَح. ويُسَمَّى الشرابُ نفسُه كأسًا، فيقال: شربت كأسًا؛ من تسمية الشيء باسم محلّه. ﴿مِنْ مَعِينٍ﴾ أى من نهر معين أو شراب معين. أى خارج من العيون والمنابع؛ من عان الماءُ إذا نبع. أو ظاهر للعيون جارٍ على وجه الأرض كالأنهار؛ من عان الماءُ إذا ظهر. ووُصفت الكأس بكونها من معين لإفادة كثرة الخمر فى الجنة. ﴿بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ صفتان للكأس باعتبار ما فيه. أوله بمعنى الخمر. أى أنها بيضاءُ اللّون عند مَزْجها، لذيذةُ الطّعم والرائحة عند الشاربين. ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ ليس فيها غائلةٌ كخمر الدنيا؛ فلا أذى فيها، ولا مضرَّةَ على شاربيها فى جسم أو عقل. وحقيقتُها غيرُ حقيقة خمر الدنيا، وكذا سائرُ ما فى الجنة. والغَوْلُ: إهلاكُ الشيء من حيث لا يُحَسّ به. يقال: غاله يغوله غَوْلاً، واغتاله اغتيالاً: أهلكه وأخذه من حيث لم يَدْر. ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ أى ولا هم بشربها تُنْزَع عقولُهم، ويُذهب بها كخمر الدنيا. والنَّزْفُ فى الأصل: نزعُ الشيء وإذهابُه بالتدريج. يقال: نَزَفَ ماءَ البئر ينزِفه، إذا نزحه ونزعه كلَّه منها شيئًا فشيئًا. ونُزِف الرجلُ ـ كعُنِىَ ـ: سَكِر أو ذهب عقله؛ فكأن الشارب ظَرْفٌ للعقل فنُزع منه وأخرج. و «عن» بمعنى باء السببيّة؛ كما فى قوله تعالى: (وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي)[1]. وخُصّت هذه المفسدةُ بالذِّكر مع عموم ما قبلها لكونها من أعظم مفاسد الخمر؛ ولذا سُمِّيتْ أُمَّ الخبائث.

٤٨، ٤٩ ـ ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ قصرن أبصارهنّ على أزواجهن، لا يمدُدْنها إلى غيرهم؛ لفرط محبتهن لهم. ﴿عِينٌ﴾ أى نُجْلُ العيون حسانُها. جمعُ عَيْناء، وهى الواسعة العين فى جمال. ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ أى أنهنّ كبَيْض النّعام ـ الذى كنّه الريشُ فى العُشّ؛ فلم تمسّه الأيدى ولم يصبه الغبار ـ فى الصفاء وشوْب

(١) آية ٨٢ الكهف.

بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلۡ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوۡتَتَنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا

البياض بقليلِ صُفرةٍ مع لمعان ؛ وهو لونٌ محبوبٌ فى النساء عند العرب ، فيشبِّهون النساءَ بالبَيْض ويقولون لهن : بَيْضات الخدور .

٥٣ ـ ﴿أَئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ أى لَمَبعوثونَ ومَجْزِيُّونَ بأعمالنا بعد أنْ صرنا ترابًا وعظامًا ؛ من الدِّين بمعنى الجزاء ، أى أنه لا يصدِّقُ ذلك .

٥٤ ، ٥٥ ـ ﴿قَالَ﴾ أى ذلك المؤمنُ الذى فى الجنة ﴿هَلْ أَنْتُمْ﴾ يا أهل الجنة ﴿مُطَّلِعُونَ﴾ على أهل النار لأُريكم ذلك القرينَ الذى قال لى ما حكيْتُه لكم !. ﴿فَاطَّلَعَ﴾ على أهل النار . ﴿فَرَآهُ فِى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ فى وسط النار ؛ وسُمِّىَ الوسطَ سواءً لاستواء المسافة منه إلى الجوانب .

٥٦ ـ ﴿إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ﴾ لتُهلِكُنى بصدِّك إيّاى عن الإيمان بالبعث والجزاء . يقال : أردى فلان فلانًا ، إذا أهلكه . ورَدِىَ فلان ـ من باب رَضِىَ ـ إذا هلك .

٥٧ ـ ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ أى من الذين أحضِرُوا للعذاب مِثْلَك ومثل أحزابك . وأُحْضِر لا يُستعمل عند الاطلاق إلا فى الشرّ .

٥٨ ـ ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ..﴾ أى أنحن مخلَّدُون . فما نحن بميِّتين .. !؟

٦٢ : ٦٥ ـ ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً﴾ النُّزل : ما يُعدّ ويُهيَّأ من الطعام للنازل . ﴿أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ هى شجرةٌ لا وجود لها فى الدنيا ، وإنما يخلقها الله فى النار ، كما يخلق فيها الحيّات والعقارب وخزنَة النار ، والأغلالَ والقيودَ . ﴿فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ محنةً وعذابًا لهم فى الآخرة . ﴿أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ قعر جهنم . ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ..﴾ أى ثمرُها الذى يطلع منها ـ فى تناهى قُبحه وكراهيته ـ كأنه رءوس الشياطين فى قُبح منظَرها وبشاعتها ؛ يُكرهُ أهل النار على أكله . فهم يتزقّمونه على أشدّ الكراهة . والتشبيهُ بها على نحو ما جرى به استعمالُ المخاطبين من التشبيه بالشيطان إذا أرادوا المبالغةَ فى تقبيح الشىء . فيشبّهون كلَّ ما تناهَى فى القُبح بما يتخيّله الوَهْم وإن لم يروْه ، وهو وجه الشيطان أو رأسُه ؛ على حَدّ التشبيه بأنياب الأغوال . والمعنى : أذلك الرزقُ المعلومُ المُعَدُّ لأهل الجنة خيرٌ . أم شجرةُ الزقوم المُعَدّةُ لأهل النار ؟ !

٦٧ ـ ﴿إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا﴾ أى

فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾ * وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ

ثلاثة أرباع الحزب

إن لهم على هذه الشجرة لخلْطًا ومِزاجًا ﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾ ماءٍ شديد الحرارة. أى يُشاب طعامُهم منها الذى ملأوا منه بطونهم، بعد ما غلبهم العطش بهذا الماء الحارّ الذى تقطّع منه أمعاؤهم؛ قال تعالى: (وسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ)[1].

٧٠ - ﴿فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ أى فهم يُزعَجُون ويُحثُّون على الإسراع فى السّعى على آثار آبائهم من غير تدبّر، ومع ظهور كونهم على الباطل بأدنى تأمّل. والإهراعُ: الإسراعُ الشديد. أو إسراعٌ فيه رِعدَة. يقال: هُرِع وأُهرِع - بالبناء للمجهول فيهما - إذا استُحثّ وأُزعِج. وأقبل يُهرَع: أى يُرْعَد فى غَضب أو ضَعْف أو خَوْف.

٧٥ - ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ﴾ شروعٌ فى ذكر سبع قصص تُبيّن أحوالَ بعضِ المرسلين وحسنَ عاقبتهم، وأحوالَ المنذَرين وسوءَ خاتمتهم. وهى قصةُ نوح، وقصّةُ إبراهيم، وقصّةُ إسماعيل، وقصّةُ موسى وهارون، وقصّةُ إلياسَ وقصّةُ لوطٍ، وقصّةُ يونسَ؛ عليهم السلام. وفيها عبرٌ بالغةٌ، وإنذارٌ وتهديدٌ وتسليةٌ للرّسول صلى الله عليه وسلم.

٧٨ - ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخرينَ﴾ أبقيْنا على نوح ذكرًا جميلاً، وثناءً حسنًا فيمن بعده إلى آخر الدهر.

٧٩ - ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ دعاءٌ منه تعالى لنوح عليه السلام بالسلامة من أن يُذكر بسوء فى الملائكة والثقلَيْن جميعًا. وقيل: الجملة مفعول «تركنا»؛ أى تركنا عليه أن يسلّموا عليه إلى يوم القيامة.

٨٣ - ﴿وإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ﴾ أى وإنَّ ممَّنْ على منهاجه وسُنّته فى الدعوة إلى التوحيد والإيمان بالله تعالى ﴿لَإِبْرَاهِيمَ﴾ [آية ٦٥ الأنعام ص ١٧٨].

٨٦ - ﴿أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللهِ تُرِيدُونَ﴾ أى أتريدون إفكًا آلهةً دون الله! والإفْكُ: الكذبُ، أو أسوأُ الكذب. وهو مفعول

(١) آية ١٥ محمد.

ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ

«تريدُونَ» و «آلِهَةً» بدلٌ منه ، وجُعلت نفس الإفك مبالغةً .

٨٧ - ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أىْ أىُّ سبب حملكم على ظنٍّ أنه تعالى يترككم بلا عقاب حين عبدتم غيره ؟! والاستفهامُ إنكاريٌّ .

٨٨ ، ٨٩ - ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ . فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ كان قومُه يعبدون الكواكب ويعتقدون تأثيرها فى العالَم ، وكانوا يعبدون الأصنامَ ويتخذونها ذريعةً إلى عبادة الكواكب ، واستنزالِ رُوحانيّاتها كما يزعمون . فأراد أن يكايدهم فى أصنامهم ، ليُلزمهم الحجة فى أنها لا تجلب خيرًا ولا تدفع شرًّا ، وأن عبادتها شركٌ وضلالٌ ؛ فدبَّر أن يحطمها فى غفلة منهم ، وأن يتخلّف عن الخروج معهم فى يوم العيد كعادتهم ليتمكن من ذلك . فأَراهم أنه نظر فى النجوم ـ وكانوا يتعاطوْن علمَ النجوم ـ فاستدلّ بها على أنه مشارف للسّقم فلا يستطيع الخروج معهم .

٩٠ - ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ خشيةَ العدْوَى ؛ فمال فى غيبتهم إلى الأصنام فحطَّمها . وإنما أراهم ذلك ـ وهو لم ينظر فى النجوم إلا نظرةَ المؤمن الذى يشهد فيها الدليل على قدرة مُبدعها ووحدة صانعها ـ ليُوهمهم أنه نظر فيها على غرارهم ، فيطمئنُّوا إلى صدق اعتذاره عن الخروج ، ويتمّ له ما يريد من قمع الشرك وإقامة التوحيد . وقولُه «إِنِّي سَقِيمٌ» أى مُشارفٌ للسّقم : صدقٌ ؛ لأن كلّ إنسان لابُدَّ أن يَسْقَم . وكفى باعتلال المِزاج أوّلَ سريان الموت سَقامًا . ومَنْ شارفه السّقمُ وبدَتْ له أماراتُه وأعراضُه يقول : إنى سقيم . وقد سلك عليه السلام بنظره فى النجوم وبقوله إنى سقيم مسلكَ التّعريض الفعلى والقولى ؛ وهو ليس بكذب . وقد قيل : إن فى المعاريض لمندوحةً عن الكذب . وتسميتُه كَذِبًا فى الحديث الصحيح إنما هو بالنظر لِمَا فَهِمَ القومُ منه لا بالنظر إلى قصده عليه السلام . وجعْلُه ذنبًا فى حديث الشفاعة لِمَا يتبيّن له أنه كان منه خلافَ الأَوْلى . وكذلك يقال فى قوله : «بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ» وقوله فى زوجته سارة : هى أختى .

٩١ - ﴿فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ﴾ فمال بخفْية إلى أصنامهم ليكسرها . وأصلُ الرَّوْغ : الميلُ إلى الشىء على سبيل الاحتيال . يقال : راغ إليه ، مال نحوه لأمر يريده منه بالاحتيال . وراغ الثعلب رَوْغًا ورَوَغانًا : مال إلى جانب ليخدع مَن خلْفَه ؛ فتُجُوِّز به عما ذُكر .

٩٣ - ﴿ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ أى ضاربًا باليد اليمنى . أو بالقوّة (فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ)(١) .

٩٤ - ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾ يُسرعون ؛ مِن زَفَّ الظليمُ يَزِفّ زَفًّا وزَفِيفًا : عدا بسرعة كأنه يطير .

٩٥ - ﴿مَا تَنْحِتُونَ﴾ أى الأصنام التى تنحتونها بأيديكم .

(١) آية ٥٨ الأنبياء .

رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾

والنَّحْتُ : النَّجرُ والبَرْيُ . يقال : نحته ينحِتُه نَحْتًا ، بَراه .

٩٦ ـ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ أى وخلق عملكم . أو الذى تعملونه .

٩٧ ـ ﴿فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ أى النار الشديدةِ التأجُّج . وكلُّ نارٍ بعضُها فوق بعض جحيمٌ ؛ مِنَ الجَحْمة وهى شدّة التأجُّج والاتّقاد . يقال : جَحم النار ـ كمنع ـ أوْقدها .

٩٩ ـ ﴿ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾ أى إلى المكان الذى أمرنى ربى بالمصير إليه وهو الشام .

١٠٠ ، ١٠١ ـ ﴿هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أى هب لى ولدًا صالحًا . ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ هو ـ على الرّاجح ـ إسماعيلُ عليه السلام ، وهو الذى كان معه بمكة فى القصة التالية دون إسحاق ؛ بدليل قوله بعدُ « وبَشَّرْنَاهُ بإسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ » . وقيل : هو إسحاق وإليه ذهب أهل الكتابيْن .

١٠٢ ـ ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ أى مرتبةَ أن يسعى معه فى أعماله وحاجاته . قيل : كانت سنُّه يومئذ ثلاث عشرة سنةً .

١٠٣ ـ ﴿أَسْلَمَا﴾ استَسْلَمَا وانْقَادَا لأمره تعالى . ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ صَرَعه وأسقطه على شِقّه فوقع جبينُهُ على الأرض . وأصلُ التَّلّ : الرّمْيُ على التَّلّ ، وهو الرّمْل المجتمع ، ثم عُمّم فى كلِّ صَرْع ودَفْع . يقال : تله تَلاًّ ـ من باب قتل ـ فهو متلول وتليل ، صرعه أو ألقاه على عنقه وخدِّه . والجَبِينُ : أحدُ جانبَى الجبهة ، وللوجه جبينان ، والجبهةُ بينهما .

١٠٦ ـ ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ أى الابتلاءُ والاختبارُ المُبيِّن الذى يتميّز به المخلِصُ من غيره . أو المِحْنةُ الظاهرةُ صعوبتُها لكل أحد .

١٠٧ ـ ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ بمذبوح عظيم القدر ؛ لكونه بأمر الله تعالى . مصدرٌ بمعنى المفعول ؛ كالطِّحْن بمعنى المطحون .

١٢٣ ـ ﴿إِلْيَاسَ﴾ نبىٌّ من أنبياء

وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ * فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً

حزب ٤٦

بني إسرائيل ، من سِبْط هارون عليه السلام .

١٢٥ - ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلاً﴾ أتعبدون بعلاً ! وهو صنم سُمِّيَت باسمه بعدُ مدينتُه بَعْلَبَكّ بالشام .

١٣٠ - ﴿إِلْيَاسِينَ﴾ هو لغةٌ فى إلياس ، بزيادة الياء والنون ؛ ونظيره سيناء وسينين . وقيل : هو جمع إلياس على التّغليب بإطلاقه على قومه .

١٣٥ - ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِى الْغَابِرِينَ﴾ الباقين فى العذاب .

١٣٦ - ﴿دَمَّرْنَا الآخَرِينَ﴾ أهلكناهم .

١٣٧ ، ١٣٨ - ﴿مُصْبِحِينَ. وَبِاللَّيْلِ﴾ أى فى الصباح والمساء .

١٤٠ - ﴿أَبَقَ﴾ أى هرَب من قومه بغير إذن ربّه . يقال : أبق العبد - كضرب ومنَع وسمِع - هرَب من سيّده من غير خوْف ولا كدٍّ عمَلٍ ؛ فهو آبق . ﴿الْمَشْحُونِ﴾ المملوء .

١٤١ - ﴿فَسَاهَمَ﴾ فقارعَ مَن فى السفينة بالسِّهام . ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ أى المغلوبين بالقرعة . يقال : أدحض الله الحجّة فدحضت ؛ أى أبطلها فَبطَلت . والدَّحْضُ فى الأصل : الزّلَق فى الماء والطين .

١٤٢ - ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ﴾ ابتلعه بسرعة ؛ مِن لَقِم الشىءَ - كسَمِع - والتقمه : أكله بسرعة . وتَلَقّمه : ابتلعه فى مُهْلة . وكان ذلك فى نهر دَجْلة .

مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا

﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أى مكتسب ما يلام عليه من مفارقة قومه بغير إذن ربه . يقال : أَلامَ الرجلُ ، إذا أتى ما يُلام عليه من الأمر وإن لم يُلَمْ . وأمّا المَلُومُ : فهو الذى يُلام ، سواء أتى بما يستحق أن يلام عليه أم لا .

١٤٣ - ﴿الْمُسَبِّحِينَ﴾ الذاكرين الله كثيرًا بالتسبيح .

١٤٥ - ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ﴾ أمرنا الحوتَ بطرحه فى الفضاء الواسع من الأرض ، على شطّ النهر قُربَ نِيْنَوى من أرض المَوْصِل ، حيث لا يواريه شىء من شجر أو غيره ؛ من النَّبْذ وهو الطرح والإلقاء . والعَراءُ : الأرضُ الواسعةُ التى لا نبات بها ولا مَعْلَم ؛ مشتقٌّ من العُرْى وهو عدم السُّتْرة .

١٤٦ - ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾ أىْ من الشّجر الذى لا يقوم على ساق . ويقال لكل ما لا ساق له من النبات ونحوه : يَقطينٌ . وللقَرْعَة الرَّطْبة : يقطينة .

١٤٩ - ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾ أى فاستفت كفارَ مكة ، معطوفٌ على قوله تعالى : (فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا) .

١٥١ - ﴿إِفْكِهِمْ﴾ كذبهم على الله .

١٥٣ - ﴿أَصْطَفَى﴾ أختار ؟ (استفهام توبيخ) .

١٥٦ - ﴿سُلْطَانٌ﴾ حجة وبرهان .

١٥٨ : ١٦٣ - ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ أى جعل المشركون بين الله تعالى وبين الملائكة نسبًا ؛ بقولهم : الملائكة بناتُ الله . وسُمّيت الملائكةُ جِنّةً من الاجتنان وهو الاستتار ؛ لأنهم لا يُرَوْن بالأبصار . ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ أى علمت الملائكةُ أنَّ المشركين القائلين ذلك لَمُحْضَرون النارَ للعذاب لكذبهم فيه ، وقالت تنزيهًا لله عن ذلك : ﴿سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ . إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أى لكن عبادُ الله المخلَصون الذين نحن منهم : بَراءٌ من أن يصفوه بما لا يليق به . وهو استثناء منقطعٌ من فاعل (يَصِفُونَ) . ثم علّل الملائكة هذه البراءةَ بقولهم : ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ أى الأصنام التى تعبدونها . ﴿مَا أَنْتُمْ﴾ جميعًا ﴿عَلَيْهِ﴾ على الله تعالى ﴿بِفَاتِنِينَ﴾ بمفسدين أحدًا بإغوائكم ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ داخلُها . و (عَلَيْهِ) متعلقٌ (بِفَاتِنِينَ) . والفَتْنُ هنا :

مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُواْ بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

الإفسادُ ؛ من قولهم : فتن عليه غلامه ، إذا أفسده . وجملةُ (مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ) خبر إنَّ . و«صَالِ» بكسر اللّام معتلٌّ كقاضٍ . ثم قالت الملائكة تبيينًا لتحيزهم فى موقف العبودية وإظهارًا لقُصور شأنهم .

١٦٤ ـ ﴿وَمَا﴾ أحدٌ ﴿مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ فى المعرفة والعبادة والانتهاء إلى أمره تعالى .

١٦٥ ، ١٦٦ ـ ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ أنفسَنا فى مواقف العبوديّة والعبادة دائمًا ﴿وإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ أى المنزِّهون الله تعالى عما لا يليق به فى كل حال . ومنه ما نسبه المشركون إليه تعالى .

١٦٧ : ١٦٩ ـ ﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ﴾ أى كفارُ مكة قبل البعثة ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا﴾ أى كتابًا ﴿مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أى من جنس كتبهم ؛ كالتوراة والإنجيل ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أى لأخلصنا العبادةَ له . ولكُنّا أهْدَى منهم .

١٧٠ ـ ﴿فَكَفَرُوا بِهِ﴾ لمَّا جاءهم .

١٧٢ : ١٧٣ ـ ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ تفسير للكلمة . ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا﴾ أى حزبَنا ، وهم الرسل وأتباعُهم . والجندُ : الأنصارُ والأعوانُ . ﴿لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ والمرادُ بالنصرة والغلبة : ما كان بالحجة ، أو ما كان بها دائمًا ، وفى مواطن القتال غالبًا . على أن العاقبة المحمودة لهم على كل حال ؛ كما قال تعالى : «والْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» .

١٧٧ ـ ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ فإذا نزل بهم العذاب الذى استعجلوه . والسّاحةُ فى الأصل : الفناءُ الواسع عند الدُّور ؛ يُكنَّى بها عن القوم أنفسهم . ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ الذين أُنذِروا بالعذاب .

١٨٠ ـ ﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ الغلبة والقدرة والبطش . والله أعلم .

سورة ص

(٣٨) سُورَةُ صٓ مَكِّيَّة
وآياتها ٨٨ نزلت بعد القمر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا

سورة ص

١ - ﴿ صٓ ﴾ من المتشابه الذى لا يعلم تأويله إلا الله تعالى . وقيل : اسمٌ للسورة . أو للقرآن . ﴿ وَالْقُرْآنِ ذِى الذِّكْرِ ﴾ أى الشّرف . أو الذّكرى والموعظة . أو المذكور فيه ما يُحتاج إليه فى الدِّين من الشرائع والأحكام وغيرها . وهو قَسَمٌ جوابهُ محذوفٌ ؛ لدلالة قوله : « مُنْذِرٌ مِنْهُمْ » عليه . أى إنك لَمن المرسلين .

٢ - ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى عِزَّةٍ ﴾ حَمِيَّةٍ واستكبار عن قبول الحق . ﴿ وشِقَاقٍ ﴾ مخالفةٍ لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم .

٣ - ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ كثيرًا أهلكنا . ﴿ مِن قَرْنٍ ﴾ أمّةٍ وأقوام من الأمم الخالية ، مقترنين فى زمن واحد . ﴿ فَنَادَوْا ﴾ أى استغاثوا حين نزول العذاب بهم . ﴿ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ أى ولا تنفعهم الاستغاثة فى هذا الحين . و « لا » حرفُ نَفْى والتاءُ مزيدةٌ لتأكيد النّفي . والحِينُ : وقتُ بلوغ الشيء وحصوله ؛ وهو ظرفٌ مبهَمٌ يتخصَّص بالإضافة . والمَنَاصُ : بمعنى الفِرار والخلاص . يقال : ناص عن قِرْنه - من باب قال - نَوْصًا ومَنَاصًا ، إذا فرّ وراغ ؛ أى ليس الوقت وقت فِرار وخلاص . أو بمعنى النجاة والفَوْت . يقال : ناصه ، إذا فاته ونجا ؛ أى ليس الوقتُ وقتَ نجاةٍ وفوت .

٥ - ﴿ إِنَّ هَذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ متجاوزٌ حد العجب ، وهو أبلغ من عجيب ؛ مِثلُ قولهم للرجل الذى فيه طُول : طويلٌ . وللذى تجاوز حدّ الطُّول : طُوال . قال المشركون ذلك حين ذهبوا إلى أبى طالب يطلبون منه أن يكفّ الرسولُ عن شتم آلهتهم ؛ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لعمّه : (إنى أريدهم على كلمة واحدة يقولونها يَدِين لهم بها العرب ، وتؤدّى إليهم بها العجمُ الجزْية) فقالوا : ما هى ؟ وأبيك لنعطينّكها وعشرًا معها . قال : (لَا إِلَٰهَ إِلَّا الله) فقاموا فزعين يقولون : « أجعل الآلهةَ إلهًا واحدًا ! إنّ هذا لشىء عُجَابٌ » ! [١] .

٦ - ﴿وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا﴾ أى يقول بعضهم لبعض : امضُوا على طريقتكم ! وداوموا على سيرتكم ، ولا تدخلوا مع محمد فى دينه . ﴿وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ﴾ اثبتوا على عبادتها ، متحمِّلين ما تسمعونه فيها من القدْح . ﴿إِنَّ هَذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴾ أى لشىء عظيمٌ خطيرٌ ! يريد محمد منّا إمضاءَه وتنفيذَه لا محالة . أو لشىءٌ من نوائب الدهر يراد بنا ! فلا حيلةَ لنا إلّا تجرّعُ مرارةِ الصبر عليه ؛

(١) أخرجه الترمذي وصححه .

ٱخۡتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ﴿١٥﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا

والاستمساكُ بالرأى فيه.

٧ - ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ﴾ أى ما سمعنا بهذا التوحيد الذى يدعو إليه محمد فى ملّة العرب، التى أدركنا عليها آباءنا. ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ أى ما هذا الذى يدعو إليه إلّا كذبٌ وتخرُّصٌ تخلَّقه من نفسه. يقال: خلَق الكلامَ وغيرَه، صنعه. واختلق الإفكَ: افتراه، كتخلّقه.

٨ - ﴿أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾ ونحن السادة العظماء وهو دوننا..! يريدون إنكارَ كوْن القرآن منزلاً عليه من عند الله.

٩ - ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ..﴾ أى بل أيملكون خزائنَ رحمته تعالى فيتصرّفون فيها كما يشاءون فيتخيَّرون للنبوّة من يريدون.

١٠ - ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ أى إن كان عندهم خزائنُ الرحمة ولهم ذلك المُلكُ: فليصعَدوا فى المعارج والطُّرق التى توصّلهم إلى العرش حتى يستوُوا عليه، ويدبّروا أمر العالَم وينزِّلوا الوحى على من يختارونه، ويمنعوا إنزالَه على محمد! يقال: رَقِى يَرْقَى وارتقى، إذا صَعِد. والأسبابُ: جمع سبَب؛ وأصلُه كلُّ ما يُتوصَّل به إلى غيره من حبْل أو نحوه. والأمرُ للتهكُّم.

١١ - ﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ أى هم - والمرادُ قريشٌ - جندٌ كثيرٌ من الكفار المتحزّبين مهزومٌ مكسورٌ عما قريب؛ فمن أين لهم تدبيرُ الإلـٰهيّة والتصرّف فى الأمور الربّانية؟ فلا تكترث بهم. والهزيمةُ المبشَّرُ بها: ما وقع لهم يوم بَدْر، أو يومَ الفتح. وأصلُ الهَزْم: غمزُ الشىء اليابس حتى يَتحطَّم ويُكسَر. يقال: تهزّمت القِرْبَةُ، إ يَبست وتكسّرت. وهزمتُ الجيش: كسرته.

١٢ - ﴿وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾ أى المبانى العظيمة الضّخمة. أو الجنود الذين يُقوُّون ملكه كما تقوِّى الأوتادُ البيتَ. أو المُلْكِ الثابتِ ثبوتَ البيوت بالأوتاد.

١٣ - ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ هم قوم شعيب عليه السلام [آية ٧٨ الحجر ص ٣٤٠].

١٥ - ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ﴾ ما ينتظر كفارُ مكّةَ الذين هم أمثالُ أولئك الكفار المهلكين ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ هى نفخة البعث ﴿مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ أى من توقّف وانتظار مقدارَ فُوَاق ناقة؛ وهو الزمنُ الذى بين الحَلْبَتيْن. أو رجوعُ اللّبن فى الضرع بعد الحلْب. وقرئ بالضم بمعناه.

١٦ - ﴿عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا﴾ أى نصيبَنا من العذاب الذى تَوعَّدتنا به، ولا تؤخره إلى يوم الحساب الذى مبدؤه الصيحةُ المذكورة. والقِطُّ: النّصيبُ المفروز؛ كأنه قُطَّ وقُطع من غيره. ويُطلق على

قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ * وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ



صحيفة الجائزة ؛ لأنها كانت تخرج في صِكاك مقطوعة . أي عجِّل لنا صحيفة أعمالنا لننظر فيها . وجمعُه قطوطٌ وقِطَطَة .

١٧ - ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ﴾ قصَّ الله تعالى في هذه السورةِ قصصَ طائفة من الأنبياء عليهم السلام ؛ تسليةً للرسول صلى الله عليه وسلم . أي اذكر ما حصل لهم من المشاقِّ والمحن ؛ فصبروا عليها حتى فرّج الله عنهم . فكانت عاقبتُهم أحسنَ عاقبة . فكذلك أنت ! تَصَبَّر . وأمرُك آيلٌ لا محالةَ إلى أحسن حال . ﴿ذَا الْأَيْدِ﴾ أي القُوّة في العبادة والدِّين . يقال : آد الرجلُ يئيد أَيْدًا وإيادًا ، إذا قَوِيَ واشتدَّ ، فهو أَيِّدٌ ؛ ومنه : أيَّدك الله تأييدًا . ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ رجّاعٌ إلى ما يُرضي الله . وروى في تفسيره : أنه الرجل يَذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر الله تعالى ؛ من آب الرجلُ إلى أهله : رجع .

١٨ - ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ يقدّسن الله تعالى معه إذا سبّح ﴿بِالْعَشِيِّ﴾ أي من الزوال إلى الغروب . أو إلى الصباح . ﴿وَالْإِشْرَاقِ﴾ أي ووقت إشراق الشمس ، أي وقت ارتفاعها عن الأُفق الشرقيِّ وصفاءِ شُعاعها ؛ وهو الضَّحْوة الصغرى . يقال : شَرَقَتِ الشمسُ ، إذا طلعت . وأشرقت : إذا أضاءت وصفَت . وتخصيصُ هذيْن الوقتيْن بالذّكر لاختصاصهما بمزيد شرفٍ .

٢٠ - ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ قوّيناه بأسباب القوة كلها . ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾ النُّبوّةَ وكمالَ العلم وإتقانَ العمل . ﴿وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ فصلَ الخصام بالتمييز بينَ الحق والباطل . أو الكلامَ الفاصل بين الصواب والخطأ ؛ وهو كلامه في القضايا والحكومات ، وتدبير المُلك والمشورات .

٢١ - ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ﴾ أي المتخاصِميْن . أو الخصماء . والخَصْمُ : يطلق على الواحد والأكثر والمذكّر والمؤنّث . والمخاصمةُ : المنازعة . وأصلها : أن يتعلّق كلُّ واحد بخُصْمِ الآخر ، أي بجانبه . أو أن يَجذِب كلُّ واحد خصمَ الجوالق من جانب . ﴿تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ علوْا سُورَ غرفته التي كان يتعبّد فيها ، ونزلوا من أعلاه إليه . والسُّورُ : الحائطُ المرتفع ؛ نظيرُ : تسنَّم الجملَ ، إذا علا سَنامَه .

٢٢ - ﴿بَغَى﴾ تعدَّى وظَلم ﴿بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾ . ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ ولا تتجاوز الحقَّ في الحُكم . يقال : شطّ عليه في الحُكم يَشِطّ شَططًا . واشتطّ وأشطّ : جار وتجاوز الحدّ . ﴿واهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾



بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا

أرشدنا إلى قَصْد السبيل ، وهو الوَسط العَدْل . والمرادُ : عيْنُ الحق .

٢٣ ـ ﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾ أى اجعلنى أكفُلها . والمرادُ ملِّكْنِيها ، وانزلْ عنها حتى أكفُلَها . يقال : كَفَل عنه بالمال لغريمه . وأكفله المال : ضمّنه إيّاه . وكَفَله إيّاه ـ بالتخفيف ـ فكَفَل هو به ـ من بابى نصر ودخل ـ وكفّله إيّاه تكفيلاً مثله . وقيل : اجعلها كِفْلِى أى نصيبى . ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ غلبنى فى المحاجّة ، بأنَ أتى فيها بما لم أطق ردّه . يقال : عزّه فى الخطاب وعازّه ، غلبه .

٢٤ ـ ﴿ٱلْخُلَطَاءِ﴾ الشركاء . ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ عَلِم وأيقن أننا ابتليناه بما جرى فى مجلس الحكومة ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾ لِزَلَّته بالنسبة لمَقامه ومنزلته . ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ أى ساجدًا لله تعالى . وعُبِّر عنه بالرّكوع لأن فى كل منهما انحناءً ؛ ولذا كانت آيةَ سجدةٍ . ﴿وَأَنَابَ﴾ رجع إلى الله تعالى بالتوبة من ارتكابه خلافَ الأَوْلى فى هذه القصة . وحاصلُها كما ذهب إليه أبو حيّان وغيرُه : أن المتسوِّرين المحرابَ كانوا إنسًا ، وقد دخلوا إليه من غير المدخل المعتاد ، وفى غير وقت جلوسه للحكم ؛ ففزِع منهم ظانًّا أنهم يريدون اغتياله ، إذ كان منفردًا فى محرابه ابتلاءً منه تعالى له . فلما ظهر له أنهم جاءوا إليه فى خصومة ليحكم بينهم ، وأن ماظنّه غيرُ واقع استغفر من ذلك الظنّ ؛ حيث اختلف ولم يقع مظنونه ، وخرّ ساجدًا منيبًا إلى الله تعالى . فغفر الله له ذلك الظنّ الذى ما كان ينبغى من مِثله ؛ وحسناتُ الأبرار سيئاتُ المقرّبين . ويقرُب منه ما قيل : إنهم كانوا يقصدون قتلَه ، فوجدوا عنده أقوامًا فتصنّعوا هذه الخصومةَ ؛ فعلِم قصدَهم ، وعزَم أن ينتقم منهم ، فظنّ أن ذلك امتحانٌ من الله تعالى له : هل يغضب لنفسه أم لا ؛ فاستغفر ربّه مما عزم عليه لحقِّ نفسه لعدوله عن العفو الألْيَق به .

٢٥ ـ ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ لَقُرْبَةً منّا ومكانةً . والزُّلْفى والزُّلْفةُ : القربةُ والمنزلة . ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ أى مَرْجعٍ ومنقلَبٍ ، وهو الجنة .

٢٦ ـ ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً﴾ استخلفه الله على المُلْك فى الأرض ، والحكم فيما بين أهلها ، وأرشده لما يقتضيه منصِبُ الخلافة . وفيه إرشاد لمن سِواهُ من الحكام . ﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أى فيكونَ اتباعُ الهوى سببًا لضلالك عن الدلائل التى نصبها الله تعالى على الحق ؛ تشريعًا وتكوينًا ، عقليّةً ونقليّةً . والضلالُ عن سبيل الله يستلزم نسيانَ يوم الحساب الموجبَ للعذاب الشديد .

٢٧ ـ ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ

بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ

والأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ﴾ أى خلقًا عبثًا مجردًا عن الحكمة ؛ بل خلقناها خلقًا مشتملاً على الحِكم الباهرة ، والمصالح الجمّة ، والأسرار البالغة . وذلك أقوى دليلٍ على عظم القدرة ، وأنه لا يتعاصاها أمرُ البَعث والحساب . وعلى أنه تعالى لا يترك الناسَ سُدًى إذا ماتوا ؛ بل يعيدهم ويحاسبهم على ما قدّموا وأخّروا . ﴿ذَٰلِكَ﴾ أى خلقُها باطلاً ﴿ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أى مظنونُهم ؛ فإنَّ جحودَهم البعثَ والجزاء ذَهابٌ منهم إلى أن خلْقَها عبَثٌ خالٍ عن الحكمة . ﴿فَوَيْلٌ﴾ هلاك . أو وادٍ فى جهنم .

٢٨ – ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا ..﴾ تقريرٌ لوجوب البَعْث والجزاء ؛ إذ لو لم يجب لاستوى المصلحون والمفسدون ، والمتّقون والفُجّار ؛ وذلك محال .

٣١ – ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ﴾ متعلّقٌ بـ (اذْكُرْ) مقدَّرةً . ﴿بِالْعَشِيِّ﴾ أى من الزّوال إلى الغـروب . ﴿الصَّافِنَاتُ﴾ الصافِنُ من الخيل : القائم على ثلاث قوائم ، وقد أقام الرابعة على طرف الحافر . يقال : صَفَن يَصْفِن صفونًا ، فهو صافِن . ﴿الجِيادُ﴾ جمعُ جَوَاد ، وهو الفرسُ – ذكرًا كان أو أنثى – إذا كان سريعَ العَدو ، أو جيّدَ الرَّكْض . يقال : جاد الفرسُ يجُود جُودَةً فهو جَوَادٌ ، إذا صار رائعًا . وُصفت هذه الخيلُ بوصفَيْن محمودَيْن واقفةً وجاريةً . وقد استمرّ عرضُها حتى غابت الشمس ولم يُصلّ العصرَ .

٣٢ – ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ﴾ آثرت ﴿حُبَّ الْخَيْرِ﴾ أى الخيل . والعربُ تسمِّى الخيلَ خيرًا . ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ أى عليه . ﴿حَتَّى تَوَارَتْ﴾ أى استترت الشمس ﴿بِالْحِجَابِ﴾ بما يحجبها عن الأبصار .

٣٣ – ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ أى أعيدوا عرض الخيل مرّةً أخرى . ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ أى شرع يضرب سُوقها وأعناقها بالسيف قربةً لله تعالى ؛ وكان تقريب الخيل مشروعًا فى شريعته . وقيل : المرادُ بالمسح وَسْمُها لتُعرف أنها خيل محبوسةٌ فى سبيل الله . وقال الإمام فى تفسير الآية : إنَّ رباطَ الخيل كان مندوبًا إليه فى شريعتهم ، كما هو مندوبٌ فى شريعتنا ؛ ثم إن سليمان احتاج إلى الجهاد ، فأمر بإحضار الخيل وإعدائها ، وقال : إنى لا أحبُّها لأجل الدنيا وحَظّ النفس ، وإنما أحبُّها لأمر الله وتقوية دينه ؛ وهو المرادُ بقوله : ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ . ثم أمر بإعدائها حتى توارت بالحجاب ، ثم ردَّها إليه ؛ فلما عادت إليه طَفِق يمسح سُوقَها وأعناقها ، عنايةً بها لكونها من أعظم عُدَد الجهاد ، وإعلامًا بأن من الحزم مباشرةَ الوالى الأمورَ

كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ

بنفسه كلما استطاع ؛ لأنه كان أعلمَ الناس بأحوال الخيل ومحاسنها ، وعيوبها وأمراضِها ، فكان يمسحها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض . وقال : إن هذا الذى ينطبق عليه لفظُ القرآن ، ولا يترتّب عليه شيءٌ من المحظورات . اهـ ملخَّصًا . ونقل الآلوسيُّ عن الشّعرانيّ نحوَه ، ثم بعد أن ناقش هذا التفسيرَ قال : إنه وجهٌ ممكن فى الآية على بُعْدٍ ، إذا قطع النظرُ عن الأخبار المأثورة .

٣٤ ـ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ ..﴾ ابتليناه واختبرْناه . وسببُ ذلك على ما فى الصحيحين : أنه حلَف ليطوفَنَّ على نسائه الليلةَ ؛ لتلدَ كلٌّ واحدةٍ فارسًا يُجاهد فى سبيل الله . فقيل له : قُلْ إن شاء الله ؛ فنَسِيَ ولم يقل . فطاف عليهن جميعًا فلم تحمِل منهن إلا واحدةٌ جاءت بشقّ إنسان ، وهو الجَسَد الذى ألقته القابلةُ على كرسيّه حين عرضته عليه ليراه ؛ فكان ذلك محنتَه لأنه لم يستثن لمَا استغرقه من الحرص وغَلَب عليه من التّمنّى ؛ وذلك بالنسبة إلى مقامه خلافُ الأَوْلى . وقد عدّه ذنبًا فأناب إلى الله ورجع إليه ، وإلى ذلك ذهب المحققون كالقاضى عِياض وغيره .

٣٦ ـ ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِ رُخَاءً﴾ لينة غيرَ عاصفة . ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ أى قصد وأراد .

٣٧ ـ ﴿غَوَّاصٍ﴾ في البحر لاستخراج نفائسه .

٣٨ ـ ﴿وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى الْأَصْفَادِ﴾ مقرونـًا بعضهم ببعض بالأغلال والقيود ، وهم المردةُ من الشياطين .

٣٩ ـ ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ غير محاسب على شيء من الأمرين .

٤٠ ـ ﴿لَزُلْفَى﴾ لقربًا وكرامة .



مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّـٰتِ عَدۡنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ * وَعِندَهُمۡ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَـٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّـٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَـٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَـٰذَا فَوۡجٌ مُّقۡتَحِمٌ مَّعَكُمۡ ۖ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡ ۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡ ۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَـٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابًا ضِعۡفًا فِي ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذۡنَـٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَـٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلۡ

٤٥ ـ ﴿أُولِى الأَيْدِى وَالأَبْصَارِ﴾ أولى القوة فى الطاعة ، والبصيرة فى الدِّين . جمعُ يَدٍ بمعنى القُوة . وبَصَرٍ بمعنى بصيرةٍ مجازًا .

٤٦ ـ ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ﴾ جعلناهم خالصين لنا بخَصْلة خالصةٍ عظيمةٍ لا شَوْبَ فيها ؛ هى تذكّرهم للآخرة دائمًا . والباءُ للسببيّة .

٤٨ ـ ﴿وذَا الكِفْلِ﴾ هو رجلٌ صالحٌ من بنى إسرائيل ، تكفّل لأحد أنبيائهم بطاعات فَوَفّى بها .

٤٩ ـ ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ المذكور من محاسنهم شرفٌ لهم .

٥٢ ـ ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ حابساتٌ نظرهن على أزواجهن ؛ لشدّة محبتهنّ لهم . ﴿أَتْرَابٌ﴾ أى مستوياتٌ فى السِّنِّ والشّباب والحُسن .

٥٤ ـ ﴿مَالَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ أى انقطاعٍ وفناءٍ أبدًا . يقال : نَفِدَ نفادًا ونفَدًا : فَنِىَ وذهب .

٥٥ ـ ﴿لَشَرَّ مَآبٍ﴾ لأسوأ منقلب ومصير .

٥٦ ـ ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها أو يُقاسون حرَّها . ﴿فَبِئْسَ المِهَادُ﴾ أى ما مهّدوه لأنفسهم وهو الفِراش .

٥٧ ـ ﴿حَمِيمٌ﴾ ماءٌ بالغ أقصى الحرارة . ﴿وَغَسَّاقٌ﴾ صديدٌ يَسيل من أجسادهم ؛ من قولهم : غَسِقَ الجرْحُ ـ كضَرَبَ وسَمِع ـ غسَقانًا ، إذا سال منه ماءٌ أصفر .

٥٨ ـ ﴿وآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾ أى وعذابٌ آخرُ من مثل الحميم والغَسَّاق فى الشّدة والفظاعة : أصنافٌ وأجناسٌ . ثم يقول بعض الطّاغين لبعض عند دخولهم النارَ مع أتباعهم :

٥٩ ـ ﴿هَذَا فَوْجٌ﴾ أى جمعٌ كثيرٌ من أتباعكم فى الضلال . ﴿مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ﴾ داخلٌ معكم النار كرهًا ، مُقاسٍ فيها ما تُقاسونه ؛ فإنهم يُضرَبون بمَقامعَ من حديد حتى يقتحموها بأنفسهم خوفًا من تلك المقامع . يقال : قَحَم فى الأمر يَقْحُمُ قُحومًا ، رمى بنفسه فيه من غير رويّة : وأقحم فرسَه النّهرَ فانقحم : أى أدخله فدَخل . ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ دعاءٌ عليهم

إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾

بضيق المكان ؛ أى لا أَتوْا مكانًا رَحْبًا بل ضَيِّقًا . ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ داخلوها أو مقاسُو حرّها مثلَنا [آية ٧٠ مريم ص ٣٩٥] .

٦٠ ـ ﴿أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ أى أنتم قدّمتم الصُّلِيَّ لنا بإغوائنا وإغرائنا على ما قدّمنا من الكفر ولم نرتكبه من تلقاء أنفسنا !

٦٢ ـ ﴿وَقَالُوا﴾ أى الطّاغون بعضُهم لبعض : ﴿مَا لَنَا لَا نَرَى﴾ فى النار ﴿رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ﴾ فى الدنيا ﴿مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ أى الأراذلِ الذين لا خيرَ فيهم . يعنُون بذلك الضعفاءَ من المؤمنين كعَمّارٍ وبلالٍ وصُهيبٍ وسلمانَ وخَبّابٍ .

٦٣ ـ ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا﴾ الهمزةُ للاستفهام ، وقد سقطت لأجلها همزة الوصل . و(سِخْرِيًّا) أى هُزُءًا وسخريةً فى الدنيا . أنكروا على أنفسهم ذلك الاستسخار ، حيث لم يَروْهُم معهم فى النار . ﴿أَمْ زَاغَتْ﴾ مالت ﴿عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾ فلا نراهم وهم فيها .

٦٧ ـ ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ..﴾ أى ما أنبأتكم به من كوْنِى رسولاً منذرًا من عند الله الذى لا إله إلّا هو ـ نبأٌ جليلٌ خطيرٌ ، يجب أن تُلقُوا إليه بالاً ، وتُذْعِنُوا له إذعانًا ؛ ولكنكم قابلتموه بالإعراض والتكذيب ، لفرط غفلتكم وتماديكم فى ضلالتكم . ثم عُقّب ذلك بذكر نبأ لا يمكن أن يُعرف إلا من طريق الوَحْى ؛ ليكون دليلاً على صدقه صلى الله عليه وسلم فى أخباره ، وأنه رسولٌ من عند ربّه ، وهو قصة خلْق آدم .

٦٩ ـ ﴿بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى﴾ الملائكة . ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ فى شأن آدم وخَلْقه وخلافته .

٧٢ ـ ﴿سَوَّيْتُهُ﴾ أتممت خلقه بالصورة الإنسانية . ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ أفضت عليه ما به الحياةُ من الرُّوح التى هى من أمرى . ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ تحيةً له وتكريمًا .

٧٥ ـ ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ أى للذى خلقتُه بيدى . ومذهبُ السَّلف فيه : أن اليَدَ ـ مفردةً وغيرَ مفردةٍ ـ إذا وصف الله تعالى بها نفسَه فهى صفةٌ ثابتةٌ له على الوجه الذى يليق بكماله ، مع

قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾

(٣٩) سُورَةُ الزُّمَرِ مَكِّيَّة
إلا الآيات ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ فمدنية
وآياتها ٧٥ نزلت بعد سبأ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ

تنزُّهه تعالى عن مشابهة الحوادث فى الجسمية والجوارح ؛ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا ! ومذهبُ الخلفِ : تأويلُ اليَدِ بالقدرة أو النِّعمة . والتّثنيةُ للتّأكيد . أو أنه تمثيلٌ للاعتناء بخلقه ؛ [راجع المسألة الرابعة من المقدمة ص و] . ﴿الْعَالِينَ﴾ المستحقين للعلو والرفعة .

٧٧ ـ ﴿رَجِيمٌ﴾ مرجومٌ مطرودٌ .

٧٩ ـ ﴿فَأَنْظِرْنِى﴾ فأمهلنى .

٨١ ـ ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ المعيَّن لفناء الخلق ، وهو وقتُ النفخة الأولى لا إلى يوم البعث .

٨٢ ـ ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ أى بسلطانك وقهرك ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لأُضلّنهم بتزيين المعاصى لهم .

٨٣ ـ ﴿قَالَ﴾ الله تعالى ﴿فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ (الحَقُّ) الأولى مبتدأٌ خبرهُ محذوف ؛ أى فالحقُّ قسَمِى لأملأنّ جهنم . أقسَم اللهُ بالحق الذى هو ضدُّ الباطل تعظيمًا له . أو بالحق الذى هو من أسمائه تعالى . (والحقَّ) الثانى مفعولٌ لـ(أقولُ) قُدّم عليه لإفادة الحصر ؛ أى لا أقول إلا الحقَّ ، والجملةُ معترضةٌ بين القَسَم والمُقْسَم عليه لتقرير مضمون الجملة القَسَميّة .

٨٦ ـ ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ من المتصنّعين الّذينَ يتحلّوْن بما ليسوا من أهله ؛ حتى أنتحِلَ النبوّةَ وأتقوّلَ القرآن ، وأتخرّصَ مالم يأمرنى به الله . يقال : تكلّفْت الشيء ، إذا تجشّمتَه على خلاف عادتك . والمتكلّفُ : العرِّيضُ لما لا يعنيه .

٨٨ ـ ﴿نَبَأَهُ﴾ صدق أخباره .
واللهُ أعلم .

سُورَةُ الزُّمَرِ

١ ـ ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ أى القرآن . مبتدأٌ خبرُه : ﴿مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ فليس قولاً مفترًى كما يزعم الجاحدون .

٢ ـ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ أى متلبّسًا بالحقّ والصواب ، وذلك يوجب قبولَه والعملَ بكلّ ما فيه ، وإخلاصَ

فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم

العبادةِ لمنَ أنزله . ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ العبادةُ : غايةُ التّذلُّل للمعبود . والدّينُ هنا : العبادةُ والطّاعة . والإخلاصُ فيه : أن يَمْحَضَ العبدُ عبادتَه لله تعالى ، ولا يجعَل له شريكًا فيها ، ولا يَقصِد بعمله إلا وجهَ الله تعالى ؛ فلا يشوبه بشيء من الرِّياء .

٣ ـ ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أى آلهةً يعبدونها قائلين : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ ويشفعوا لنا عنده فيما يَنُوبُنا من أمور الدنيا . ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ وبين خصمائهم الذين هم المخلصون له الدِّينَ يومَ القيامة . ﴿فِيمَا هُم فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من التّوحيد والشّرك ؛ بإدخال الموحِّدين الجنّةَ ، والمشركين النار . فقوله (مَا نَعْبُدُهُمْ) حالٌ من فاعل (اتخذوا) ، وجملةُ (إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ) خبرُ الموصول .

٤ ـ ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ...﴾ قال المشركون : الملائكةُ بناتُ الله . وقالت اليهودُ : عُزَيْرٌ ابن الله . وقالت النصارى المسيحُ ابنُ الله . فردَّ الله تعالى عليهم بأنه لو أراد اتخاذَ الولد على ما يظنّونه ، لاختار مِن خلْقه ما يشاء هُوَ ، لا ما يختارونه هم ويشاءُونه ؛ لكنّه لم يختر أحدًا . فدلَّ ذلك على أنه لم يُرِدْ اتخاذَ الولد . وهو نظير قوله تعالى : (لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ)[1] . وإرادةُ الاتّخاذ فى الآيتيْن ممتنعةٌ ؛ لأن الإرادة لا تتعلّق إلا بالممكنات . واتخاذُ الولد محالٌ كما ثبت بالبرهان القطعيّ فتستحيلُ إرادتُه . وجعلُها فى الآيتيْن شرطًا وتعليقُ الجواب عليها ، لا يقتضى إمكانَها فضلاً عن وقوعها . وقد عُرِف فى فصيح الكلام : تعليقُ المحال على المحال جوازًا ووقوعًا .

على أن الوالديّة تقتضى التّجانُسَ بين الوالد والولد ؛ إذ هو بِضْعَةٌ منه . وقد ثبت أن كل ما سواه تعالى حادثٌ مخلوقٌ له . فيلزم بموجب التجانُس أن يكون المخلوق من جنس الخالق . وهو يستلزم حدوثَ الخالق أو قِدَمَ المخلوق . وكلاهما مُحال . ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهًا له تعالى عن اتّخاذ الولد !

٥ ـ ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أى متلبّسًا بالصواب ، مشتملاً على الحِكَم والمصالح ؛ ومَنْ كان هذا شأنه : استحال أن يكون له شريكٌ أو صاحبةٌ أو ولدٌ . وقد اشتملت هذه الآيةُ والتى بعدها على ثمانية أدلةٍ على كمال قدرته تعالى ، وعلى وحْدته وقهره ما سواه : خلْقُ السماوات والأرض بالحقّ . وتكويرُ الّليل على النّهار . وعكسُه . وتسخيرُ الشمس والقمر لمنافع الخلْق . وخلْقُ النّوعِ الإنسانى من نفس واحدة خَلَقَها وهى آدم . وخلْق حواء من آدمَ . وخلْق الأنعام ثمانيةَ أزواج . وتطورُ الأجنّةِ فى بطون الأمهات . ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ ...﴾ تكويرُ الشيء : إدارتُه وضمُّ بعضِه إلى بعض ككَوْر العِمامة . أى أن هذا يكُرُّ على هذا ، وهذا يكُرُّ على هذا كرورًا متتابعًا كتتابُع أكوارِ العِمامة بعضها

(1) آية ١٧ الأنبياء .

مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ * وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلۡ يَٰعِبَادِ



على أثر بعض . إلا أن أكوار العمامة مجتمعة وفيما نحن فيه متعاورة ؛ وقريبٌ منه قوله تعالى : ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾[1] . وقيل المعنى : يَزيدُ الليلَ على النهار ويضمُّه إليه ؛ بأن يجعلَ بعضَ أجزاءِ الليلِ نهارًا فيطولُ النهارُ عن الليل . ويَزيدُ النهارَ عن الليل ويضمُّه إليه ؛ بأن يجعل بعض أجزاءِ النهارِ ليلاً فيطولُ الليلُ عن النهار . وهو كقوله تعالى : ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾[2] . ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ هو وقتُ نهايةِ دَوْرته . أو وقتُ انقطاع حركته .

٦ - ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ..﴾ أى من كلٍّ من الإبل والبقر والضّأن والمعْز زوجين : ذكرًا وأنثى ، يتمُّ بهما التناسُل وبقاءُ النوع . وعُبِّر عن الخلق بالإنزال لأن الخلْق إنما يكون بأمرٍ من السماء . ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ : ظلماتِ البطن ، والرَّحِم ، والمَشيمَة التى بداخله ؛ وفيها يتمّ تكوينُ الجنين وتصويرُه ، ونفخُ الرُّوح فيه وتدبيرُه حتى يُولَد . وهو من أقوى الأدلة على القدرة الباهرة . ﴿فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ فكيف تصرفون عن التوحيد إلى الشّرك ؟ وتزعمون أن له شريكًا أو ولدًا مع وفور الأدلّة الصّارفة عن هذا الزعم الفاسد ؛ من الصّرْف وهو إبدال الشيء بغيره . وفعلُه من باب ضَرَب .

٧ - ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ أى لا يحمَدُ منهم الكفر ويمدحُه . أو لا يجازى الكافرَ مجازاةَ المرضيِّ عنه بل مجازاة المغضوب عليه . ثم إن الرضا غيرُ الإرادة ، فإنها تسبق الفعل ، وهو يتأخر عنه ؛ فنفيُه لا يستلزم نفيها . ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [آية ١٦٤ الأنعام ص ١٩٨] .

٨ - ﴿دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ راجعًا إليه تعالى بالدعاء ، مُنصرفًا عما كان يدعوه من دون الله وقت الرخاء . ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ﴾ أعطاهُ نعمةً عظيمةً تفضُّلاً منه سبحانه وملَّكه إياها ؛ من

(١) آية ٥٤ الأعراف . (٢) آية ٦١ الحج .

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٖ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾

التخويل ، وأصلُه إعطاءُ الخَوَل ؛ أى العبيدِ والخَدَم . أو إعطاءُ ما يحتاج إلى تعاهده والقيام عليه ، ثم عُمِّمَ لمطلق الإعطاء . ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أمثالاً ونظائرَ يعبدها من دون الله . جمعُ نِدّ ، وهو المِثل والنَّظير .

٩ - ﴿أَمَّنْ﴾ أصلُها (أمْ) التى بمعنى بل وهمزة الاستفهام . و(مَنْ) التى هى اسمٌ موصولٌ ؛ أى بَلْ أمَنْ ﴿هُوَ قَانِتٌ﴾ أى قائمٌ بواجب الطاعات ، ودائمٌ على وظائف العبادات كَمَنْ ليس كذلك !؟ من القنوت وهو لزوم الطاعة مع الخشوع ؛ وحُذِفَ المعادِلُ لدلالة الكلام عليه . ﴿آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ أى ساعاتِه .

١٠ - ﴿وَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ﴾ فسيحةٌ ؛ فمن لم يدرك التقوى والإحسانَ فى وطنه فلْيُهاجر إلى حيث يتمكّن منهما ؛ كما هو دَأْبُ الأنبياء والصالحين . ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ﴾ على مفارقة الأوطان واحتمالِ الشدائد فى طاعة الله . ﴿أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ من الحاسبين .

١٦ - ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ﴾ أى لأولئك الخاسرين أطباقٌ كثيرةٌ من النّار فوقهم كهيئة الظُّلَل . جمعُ ظُلّة ، وأصلُها السحابةُ تُظِلُّ ما تحتها ؛ وأكثر ما يقال فيما يُستوخَم ويُكره . ﴿وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ من النار . والمرادُ : أن النار محيطةٌ بهم إحاطةً تامّةً من جميع الجوانب . وإطلاقُ الظلة على ما تحتهم لكونها ظُلّةً لمن تحتهم من أهل الدَّرَكات ؛ وهو كقوله تعالى : (لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ)[1] وقولِهِ تعالى : (يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ)[2] .

١٧ - ﴿اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾ أى اجتَنَبُوا عبادةَ الطاغوت ، وهو الأصنام أو الشياطين ، وكلُّ معبودٍ من دون الله [آية ٢٥٦ البقرة ص ٦٢] . ويُستعمل فى الواحد والجمع والمذكّر والمؤنّث . ﴿أَنَابُوا إِلَى اللهِ﴾ رجعوا إلى عبادته وحده .

١٩ - ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ كان صلى الله عليه وسلم حريصًا على إيمان قومه أشدَّ

(١) آية ٤١ الأعراف . (٢) آية ٥٥ العنكبوت .

أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَـٰمًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ

الحرص ؛ فأَعلمه الله أن من سبق عليه القضاءُ بأنه من أهل النار لا يقدِر الرسولُ صلى الله عليه وسلم أن يُنقذه منها بجَعْلِه مؤمنًا . أى أأنت مالِكُ أمرِ الناس قادرٌ على التصرّف فيهم ؛ فمن حقَّ عليه كلمةُ العذاب فأنت تُنقذه ! أى لست مالكًا ولا قادرًا على ذلك . وزيدت همزة الاستفهام فى (أَفَأَنتَ) لاستطالة الكلام .

٢٠ - ﴿لَهُمْ غُرَفٌ﴾ منازل رفيعة عالية فى الجنة .

٢١ - ﴿أَلَمْ تَرَ ..﴾ تمثيلٌ للحياة الدنيا - فى سرعة زوالها وقُرب اضمحلالها - بما ذُكر من أحوال الزّرع ؛ تحذيرًا من الاغترار بها ، وتنفيرًا من التّشبُّث بأذيالها - بعد أن وُصفت الجنة بما يُرغِّب فيها ويشوِّق إليها . ﴿فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ﴾ أدخله فى عيون ومساربَ فى الأرض . جمع يَنْبوع وهو المنبعُ والمَجْرى . ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ يَيْبسُ ويَجفُّ ؛ من الهَيْج بمعنى اليُبْس والجفاف . يقال : هاج النبتُ هَيْجًا وهِيَاجًا . يَبِسَ واصْفرَّ . أو يثور ؛ من الهَيْج بمعنى الحركة . يقال : هاج الشىءُ يَهيج ، ثار لمشّقة أو ضرر . ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾ فُتاتًا متكسّرًا . يقال : حَطِمَ الشىءُ حَطَمًا - من باب تعب - إذا تكسّر . وحَطَمته حَطْمًا - من باب ضرب - كسرته . وتحطَّم العودُ : إذا تفتّت من اليُبْس .

٢٢ - ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ ...﴾ أى أكلُّ الناس سواءٌ ؟ فمن شرح الله صدره ، وخلقه مستعدًّا لقبول الإسلام فبقىَ على الفطرة النقيّة التى لم تَشُبْها العوارض المكتسبة القادحة فيها ﴿فَهُوَ﴾ بمقتضى ذلك ﴿عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ وهدايةٍ - كمن قسا قلبُه ، وحَرِج صدره بتبديل الفطرة بسوء الاختيار ، واستولت عليه ظلمات الغَىّ والضلال ؛ فأعرض عن ذكر ربه ؟ ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ هلاكٌ وخزْىٌ لهم .

٢٣ - ﴿أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ ابلغه وأصدقه وأوفاه (القرآن) . ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ يُشبه بعضُه بعضًا فى فصاحته وبلاغته ، ونظمِه وإعجازه ، وفى صحّة معانيه وأحكامه ، وصدقه

ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّـٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾
كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ
وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ
ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ
يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَـٰكِسُونَ
وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾
ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

وهدايته . وحكمته . واستتباعه مصالح الخَلْق فى المعاش والمَعاد وغير ذلك . ﴿ مَثَانِيَ ﴾ تُثَنَّى وتُكرَّر فيه القصص والمواعظُ . والأمثالُ والأحكامُ . والوعدُ والوعيدُ . وتُثَنَّى تلاوته ؛ فلا يُمَلّ على كثرة التَّرداد . جمعُ ثِنْي ؛ ومثْناةٍ وَمثْنَى ؛ من التَّثنية بمعنى التكرير والإعادة . وُصف القرآنُ كلُّه هنا بالمثانى . وسُمِّيت الفاتحةُ بالمثانى فى سورة الحجر [آية ٨٧ ص ٣٤٠] . ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ تعلوها قَشعريرةٌ ورِعدةٌ من الخوف مما فيه من الوعيد ؛ من الاقشعرار وهو التقبُّض الشديد . يقال : اقشعرّ جلدُه ، أى تقبّض تقبُّضًا شديدًا . أو قَفَّ شعرُه إذا عَرَض له خوفٌ شديدٌ من أمرٍ هائلٍ دَهَمه بغْتةً . وهو كنايةٌ عن شدّة خوفهم من الله تعالى . ﴿ تَلِينُ جُلُودُهُمْ ﴾ تسكن وتطمئن لينة غير منقبضة .

٢٤ ـ ﴿ أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ أى أكلُّ الناس سواءٌ ! فمن يتق بوجهه العذاب السّيئَ الشديدَ لكون يده التى كان يتّقِى المكاره بها مغلولةً إلى عنقه ـ كمن هو آمنٌ لا يناله مكروه ، ولا يحتاج إلى الاتقاء بوجهه من الوجوه !

٢٦ ـ ﴿ فَأَذَاقَهُمُ اللهُ الْخِزْيَ ﴾ الذُّلَّ والهوان والصَّغار .

٢٨ ـ ﴿ غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾ ليس صاحبَ عوَج . أى لا لَبْسَ ولا اختلافَ ولا اختلالَ فيه [آية ٩٩ آل عمران ص ٨٩] .

٢٩ ـ ﴿ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً ... ﴾ أى للمشرك الذى يعبد آلهةً كثيرةً : عبدًا مملوكًا لجماعةٍ متشاحنين ؛ لشكاسَةِ أخلاقهم وسوءِ طباعهم ، يتجاذبونه ويتعاورونه فى أغراضهم المتباينة ؛ فهو فى حَيْرة من أمره ، لا يدرى على أيّهم يعتمد ، ولا أيُّهم يرضَى بخدمته . وضرب للموحِّد مثلاً : رجلاً خالصًا لفردٍ واحد ، ليس لغيره سبيلٌ عليه يخدُمه بإخلاص ، وذلك الفَرْدُ يَعولُه ويعرف له صدق بلائه ، فهو فى راحة من الحَيْرةِ وتَوزُّع القلب ؛ فأيُّ الرجلين خير؟ ﴿ مُتَشَاكِسُونَ ﴾ متنازعون شرسُو الطباع . يقال : رجلٌ شكْسٌ وشكِسٌ ، أى صعبُ الخُلُق وفعُله كَكَرُم . ﴿ وَرَجُلاً سَلَمًا ﴾ أى خُلوصًا لفَرْد واحد . مصدرٌ وصُف به مبالغة . وقُرئ (سِلْمًا) بمعناه .

٣١ ـ ﴿ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ فتقيمُ عليهم الحجّةَ بأنك بلّغت الرسالة ، وهم يعتذرون بالأباطيل والتَّعِلّاتِ الكاذبة .

٣٢ ـ ﴿ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ ﴾ مأوًى ومُقامٌ لهم .



* فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ

٣٦ - ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكافٍ عَبْدَهُ﴾ أي الله تعالى كافٍ نبيَّه صلى الله عليه وسلم شرَّ من عاداه من الكافرين. أُدخلت فيه همزة الإنكار على كلمة النّفي فأفاد إثباتَ الكفاية. ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي بالأوثان التي اتّخذوها آلهةً. وقد رُوِيَ أن قريشًا قالت له صلى الله عليه وسلم: لَتكُفَنَّ عن شَتم آلهتنا أو ليصيبنّك منها خَبَل؛ فنزلت الآية.

٣٨ - ﴿أَفَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني. ﴿مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ أي الأصنامِ التي تعبدونها من دونه تعالى. ﴿حَسْبِيَ اللهُ﴾ كافِيَّ في جميع أموري من إصابة الخير ودفع الشر.

٣٩ - ﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ على حالتكم من العداوةِ التي تمكّنتم فيها. وأصلُ المكانة: المكانُ المحسوس؛ استُعيرت للحالة التي عليها الإنسان استعارةَ المحسوس للمعقول. أو على حسب تمكّنكم واستطاعتكم. والأمرُ للتهديد.

٤٠ - ﴿مَنْ يَأْتِيهِ﴾ مفعول ﴿تَعْلَمُونَ﴾ بمعنى تعرفونه. ﴿يُخْزِيهِ﴾ يذله ويهينه. ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ أي ينزل به عذابٌ دائم [آية ٨١ طه ص ٤٠٥].

٤٢ - ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ﴾ أي يقبض الأرواح حين الموت، وحين النوم؛ بأن يقطع تعلّقها

ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن

بالأجسام تعلُّقَ التصرّف ظاهرًا وباطنًا في الموت . وظاهرًا فقط في النوم . ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِى قَضَى عَلَيْهَا الْمَوتَ﴾ أى لا يردُّها إلى البدن ﴿وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى﴾ إلى بدنها عند اليقظة ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ وهو الوقت المحدودُ للموت . ومن قدَر على ذلك قدَر لا مَحالةَ على البعث .

٤٣ - ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ﴾ يَنْعَى على كفار قريش تركَهم التفكُّرَ في دلائل قدرته على البعث ، وتفرُّدِه بالألوهيّة ، واتخاذَهم الأصنامَ آلهةً تشفع لهم عند الله ؛ أى بل أتَّخذوا . ؟ وهمزةُ الاستفهام المقدّرةُ : للإنكار عليهم في اتّخاذهم إياها .

٤٤ - ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً﴾ أى أنه تعالى مالكُ الشفاعة كلِّها ، لا يستطيع أحدٌ شفاعةً عنده إلا أن يكون المشفوع مرتضًى ، والشفيعُ مأذونًا له في الشفاعة ؛ كما قال تعالى : (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى)[1] وقال تعالى : (مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ)[2] وكلاهما مفقودٌ هنا .

٤٥ - ﴿اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ أى نفرت وانقبضت من ذكره تعالى وحده دون أن تُذكر معه آلهتُهم ؛ من الشَّمْز وهو نفورُ النَّفْس مما تكره . يقال : اشمأزّ ، أى انقبض واقشعرَّ أو ذُعِرَ . وتَشمَّز وجهُهُ : تمعَّر وتقبَّض . والمشمئزُّ : النافرُ الكارهُ ، أو المذعور .

٤٦ - ﴿فَاطِرَ..﴾ يا مبدِع ومخترع .

٤٧ - ﴿وبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ ..﴾ أى ظهر لهم من فنون عذاب الله ما لم يكن في حُسْبَانهم . ﴿يَحْتَسِبُونَ﴾ يظنونه ويتوقعونه .

٤٨ - ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ أى أحاط بهم . وأنزل .

٤٩ - ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا﴾ أعطيناه إيَّاها تفضُّلاً منا . ﴿بَلْ

(١) آية ٢٨ الأنبياء . (٢) آية ٢٥٥ البقرة .

قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ * قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ

ربع الحزب

هِيَ فِتْنَةٌ﴾ محنةٌ وابتلاءٌ له ؛ ليظهر أيشكُر أم يكفُر .

٥١ ـ ﴿وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أى بفائتين من عذاب الله .

٥٢ ـ ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أى يضيِّق الرزق لمن يشاء ابتلاءً . وسَعَةُ الرزق قد تكون استدراجًا . وتقتيرُه قد يكون إعظامًا .

٥٣ ـ ﴿أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ أفرطُوا فى المعاصى جانين على أنفسهم بارتكابها . والخطابُ للمؤمنين المذنبين . والإسرافُ : تجاوُزُ الحدِّ فى كلِّ فعلٍ يفعله الإنسان ؛ وإن كان ذلك فى الإنفاق أشهَر . ولتضمُّنه معنى الجناية عُدِّى بـ «عَلَى» . ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ لا تيأسوا من مغفرته تعالى لكم . والقنوطُ : اليأسُ . وفعلُه كنَصَر وضَرَبَ وحَسِب وكرُم . ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ يستُرُها ، أو يمحوها ولا يؤاخذ بها ؛ أى لمن شاء من عصاة المؤمنين تابوا أو ماتوا من غير توبة . فإن تابوا قَبِلَ توبَتهم كما وَعد ؛ فضلاً منه . وإن لم يتوبوا فهم فى مشيئته تعالى ؛ إن شاء غفر لهم ، وإن شاء عذَّبهم ، ثم أدخلهم الجنة بفضله ورحمته . أمّا غيرُ المؤمنين : فإن تابوا من الكفر قبل الله توبتهم ؛ والإسلامُ يَجُبُّ ما قبله . وإن ماتوا مصرِّين على كفرهم فلن يغفر الله لهم ؛ كما قال تعالى : «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ» [آية ٤٨ النساء ص ١١٨] . وهذه الآيةُ أرْجَى آيةٍ فى كتاب الله . ونَضْرَع إلى الله الرءوفِ الرّحيم : أن يغفر ذنوبَنا ، ويستُر عيوبَنا بمنّه وكرمه ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ .

٥٤ ـ ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ﴾ ارجعُوا إليه بالتوبة ﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ أخلِصُوا له العبادة . وفى الآية حثٌّ على المبادرة إلى التوبة .

٥٥ ـ ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة .

٥٦ ـ ﴿أَنْ تَقُولَ﴾ أى كراهةَ أن تقول ﴿نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا﴾ أى يا حسرتى وندامتى ﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ أى بسبب تفريطى وتقصيرى فى طاعة الله . أو فى حقّه تعالى ؛ أى ما يحقّ له ويجب وهو الطّاعة . وأصلُ الجَنْب والجانِبِ : الجهةُ المحسوسةُ للشيء . وأُطلق على الطاعة مجازًا حيث شُبِّهت بالجهة ؛ بجامع التعلُّق فى كلٍّ بصاحبه . فالطاعة لها تعلُّقٌ بالله ، كما أن الجهة لها

مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى
كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى
فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾
وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ
أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ
خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا
ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ
لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾
بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ
حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

تعلّقَ بصاحبها . ﴿ السَّاخِرِينَ ﴾ المستهزئين بدينه وكتابه وأهله .

٥٨ ـ ﴿ كَرَّةً ﴾ رجعة إلى الدنيا .

٦٠ ـ ﴿ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ مأوى ومقام لهم .

٦١ ـ ﴿ بِمَفَازَتِهِمْ ﴾ أى بنجيهم بسبب فوزهم . أو بمكان فوزهم وهو الجنة .

٦٣ ـ ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ مفاتيح خزائنها . جمعُ مِقْلادٍ أو مِقْليدٍ . أو اسم جمعٍ لا واحد له ؛ من التقليد بمعنى الإلزام . أى أنه لا يملك أمرَ السماوات والأرض ، ولا يتمكن من التصرُّف فيهما غيرُه تعالى .

٦٥ ـ ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ .. ﴾ أى ولقد أوْحينا إليك وإلى كلّ رسول تقدّمك : لئن أشركتَ بالله شيئًا لَيَبْطُلَنَّ عملُك الذى عملت قبل الشِّرك . ﴿ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ ليبطلن عملك ويفسدن . ﴿ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ وهو كلام على سبيل الفرض ؛ للإعلام بغاية شناعة الشرك . وكونه بحيث يُنهَى عنه من يستحيل أن يباشرَه فكيف بمن عداه ! ويقرب منه ما قيل : إن الخطاب للرسول والمقصودُ أُمتُه [آية ٨٨ الأنعام ص ١٨٢] .

٦٧ ـ ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ ما عظموه تعالى حق تعظيمه [آية ٩١ الأنعام ص ١٨٢] . ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ بيانٌ لعظيم قدرته تعالى . وأنَّ المتولّى لإبقاء السماوات والأرض فى الدنيا هو المتولى لتخريبهما يوم القيامة ؛ فله سبحانه وحده القدرةُ التامّةُ على الإيجاد والإبقاء والإفناء فى الدّارَيْن ؛ فكيف يشركون به غيره !؟ . والقَبْضَةُ : المرّةُ من القَبْض ، وتطلق على المقدار المقبوض بالكف ؛ أى والأرض ـ مجموعةً ـ مقبوضةٌ له تعالى يوم القيامة . وخُصَّ بالذّكر وإن كانت قدرتُه شاملةً لدار الدنيا أيضًا ؛ لأن الدعاوى تنقطع فى

وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ

ذلك اليوم ؛ كما قال : (وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ) وقال : (لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ، لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) .

﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ قال الزَّمَخْشَرِيُّ : الغرضُ من هذا الكلام إذا أخذتَه بمجموعه ـ تصويرُ عظمته تعالى ، والتوقيفُ على كُنْه جلاله لا غير ؛ من غير ذهاب بالقبضة واليمين إلى جهة حقيقةٍ أو جهة مجازٍ . فهو تمثيلٌ لحال عظمته تعالى ، ونفاذ قدرته ـ بحال من يكون له قبضةٌ فيها الأرض جميعاً ، ويمينٌ بها يطوى السماوات . وقيل : هو تنبيه على مزيد جلالته وعظمته تعالى ؛ بإفادة أن الأرض كلَّها مع عِظَمها وكثافتها فى مقدوره ، كالشيء الذى يقبض عليه القابض بكفّه . فالقبضةُ مجازٌ عن المِلْك أو التصرف ؛ كما يقال : هو في يد فلان وفى قبضته ، للشيء الذى يَهُون عليه التصرّف فيه وإن لم يقبض عليه . واليمينُ : مجازٌ عن القدرة التامّة . والسَّلَفُ ـ كما ذكره الآلوسيُّ ـ يذهبون إلى أن الكلام تنبيهٌ على مزيد جلالته وعظمته ، ورمزٌ إلى أن آلهتهم ـ أرضيةً أم سماويّةً ـ مقهورةٌ لله تعالى . إلا أنهم لا يقولون بالتجوُّز بالقبضة عن المِلك أو التصرُّف ، ولا باليمين عن القدرة ؛ بل ينزِّهونه تعالى عن الجوارح والأعضاء ، ويؤمنون بما نسبه تعالى إلى ذاته بالمعنى اللائق به الذى أراده سبحانه . قال الخطّابى : ليس عندنا معنى اليد الجارحة ، إنما هى صفةٌ جاء بها التّوقيف ؛ فنحن نطلقها على ما جاءت لا نكيِّفُها ، وننتهى إلى حيث انتهى بنا الكتابُ والأخبارُ المأثورة . وقال سفيان بنُ عُيَيْنَةَ : كلُّ ما وصف الله به نفسه فى كتابه فتفسيرُه : تلاوتُه والسكوت عليه .

٦٨ ـ ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ أى فى القَرْن ، النفخةُ الأولى التى بها الموت . ﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ خَرَّ ميّتًا من كان حيًّا فيهما . ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى﴾ نفخةُ البَعْث . ﴿يَنْظُرُونَ﴾ ينتظرون ماذا يُفعل بهم .

٦٩ ـ ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ أى صحائفُ الأعمال فى أيدى أصحابها ؛ فآخذٌ بيمينه وآخذٌ بشماله .

٧١ ـ ﴿زُمَرًا﴾ جماعاتٍ متفرقةً بعضُها فى إثْر بعض . جمعُ زُمْرة وهي الجماعة القليلة ؛ ومنه شاةٌ زَمِرةٌ : أى قليلةُ الشَّعَر . ورجلٌ زَمِرٌ : أى قليلُ المروءة . ﴿حَقَّتْ﴾ وجبت وثبتت .

٧٢ ـ ﴿مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ مأوى المستكبرين عن طاعة الله .

٧٣ ـ ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ أى وقد فتحت أبوابُها . والجملةُ حاليّةٌ ، وجواب (إذَا) مقدَّر بعد (خالدين) ، أى سَعِدُوا أو

أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

(٤٠) سُورَةُ غَافِرٍ مَكِّيَّة

إلا آيتي ٥٦ و ٥٧ فمدنيتان
وآياتها ٨٥ نزلت بعد الزمر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾



فازوا . ﴿طِبْتُمْ﴾ طهُرتم من دنس المعاصي .

٧٤ ـ ﴿صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ أنجزنا ما وعدنا من النعم . ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ أي ينزل كلُّ واحدٍ منا من جنّته الواسعةِ حيث يريد .

٧٥ ـ ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ مُحدقين محيطين بالعرش ، مصطفّين بحافته وجوانبه . جمعُ حافٍّ وهو المُحدِق بالشيء . يقال : حففت بالشيء ، إذا أحطتَ به ؛ مأخوذ من الحِفَاف وهو الجانب . والله أعلم .

سُورَةُ غَافِرٍ

١ ـ ﴿حم﴾ من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه . وقيل : اسمٌ من أسمائه تعالى ، أو من أسماء القرآن . والسُّوَرُ المبتدأةُ بها سبعٌ متوالياتٌ ، كلها مكيّةٌ إلا آياتٍ . وتسمَّى آلَ حم ، أو ذوات حم ؛ أي السُّوَرُ المصحوبةُ بهذا اللفظ . كما تسمَّى الحواميم .

٣ ـ ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ ..﴾ هو وما بعدَه صفاتٌ للاسم الجليل . وكلها للترغيب إلّا الثالثةَ فإنها للترهيب . ومجموعُها للحثّ على ما هو المقصود من إنزال الكتاب ، وهو المذكور بعدُ : من التوحيد والإيمانِ بالبعث المستلزمِ للإيمان بما سواهما ، والإقبالِ على الله تعالى . و« غافر » أى ساتر ؛ من الغَفْر وهو السَّتْر

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۖ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ

والتّغطيةُ. يقال: غفر الله ذنبه يغفرُه غَفْرًا ومغفرةً وغُفرانًا وغفيرًا، غطّى عليه وعفا عنه. والذّنْبُ: كلُّ فعلٍ تُستوخَم عقباه؛ أخذًا من ذَنَبِ الشيء. وجمعُه ذنوب. والله تعالى غافرٌ وغفّارٌ وغفورٌ وذو مغفرةٍ للذنوب. ﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ أى الرجوعِ عن الذّنب والتوبة منه. مصدرٌ كالأوْب بمعنى الرجوع. أو اسمُ جمعٍ لتَوْبة. ﴿ذِى الطَّوْلِ﴾ ذى الفضل بالثّواب والإنعام. أو بهما وبترك العقاب. والطّوْلُ: السَّعَة والغنى. أو القدرةُ أو الإنعام.

٤ - ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى الْبِلَادِ﴾ أى تصرُّفهم فيها بالتجارات الرابحة، وسلامتُهم فيها مع كفرهم؛ فإنه استدراجٌ، وعمّا قريبٍ يؤخذون بكفرهم أخذَ مَن سبقهم من الأمم المكذِّبة. وهو تسليةٌ للرسول صلى الله عليه وسلم، ووعيدٌ لهم بسوء العاقبة. والتّقلُّبُ: الخروجُ من أرضٍ إلى أخرى.

٥ - ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ ليُزيلوا ويُبطلوا به الحقَّ الذى جاءهم به الرسل [آية ٥٦ الكهف ص ٣٨٣].

٦ - ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ..﴾ أى كما وجب حُكمُهُ تعالى بالإهلاك على الأمم الماضية المكذّبة، وجب على الذين كفروا من قومك فلا تحزن. وهو وعيدٌ لهم.

٧ - ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ ..﴾ أى الملائكةُ الحاملون للعرش والحافُّون به ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أى ينزِّهونه تعالى عن كل مالا يليق بجلاله، متلبّسين بالثّناء عليه. ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ إيمانًا كاملاً ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ مثلَهم، فهم مثابرون على ولاية المؤمنين ونُصرتِهم. وفى هذا تسليةٌ للرسول صلى الله عليه وسلم وتعزيزٌ للمؤمنين. ويقال لهؤلاء الملائكةِ: الكَرُوبيُّون - أى الأقربون - جمع كَرُوبيّ؛ من كَرَب بمعنى قَرُب. ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ ..﴾ أى يقولون فى استغفارهم ذلك. ﴿فَاغْفِرْ﴾ بمقتضَى سَعةِ رحمتك وعلمك ﴿لِلَّذِينَ تَابُوا ..﴾ أى علمتَ منهم التوبةَ من الذنوب. واتّباعَ سبيلِ الهُدى الذى دعوتَ إليه ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ احفظهم منه.

٨ - ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ أى إقامةٍ؛ من عدَن بالمكان يَعْدِن ويَعْدُن عَدْنًا، إذا لزمه فلم يَبْرحْ منه.

فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ

ومنه المَعْدِنُ المعروفُ لاستقراره في الأرض . ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ..﴾ أي وأدخل معهم في جنّات عدْن هؤلاء ؛ ليكمُلَ سرورُهم ، ويتضاعف ابتهاجُهم .

٩ – ﴿وَقِهِمُ﴾ أي هؤلاء الأتباعَ ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ أي جزاءَها وهو عذاب النار . ﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ﴾ أي في يوم القيامة ﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُ﴾ برحمتك الواسعة ﴿وَذَلِكَ﴾ أي وقايتُهم من جزائها ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ الذي لا مطمعَ وراءه لطامع .

١٠ – ﴿لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ..﴾ أي يقال للكفار وهم في النار ، وقد مَقَتُوا أنفسَهم الأمَّارةَ بالسُّوء التي أوقعتهم في هذا العذاب الأليم : – لمقتُ الله إيّاكم أعظمُ وأشدُّ من مقتكم أنفسَكم اليوم ؛ لأنكم قد دُعيتم إلى الإيمان به مرارًا فأبيتم وكفرتم . والمَقْتُ : أشدُّ البُغْضِ . يقال : مقتَه مقتًا ومقَّته ؛ فهو مقيتٌ وممقوت .

١١ – ﴿أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ﴾ أرادوا بالأُولَى : خلْقهم مادةً لا رُوحَ فيها وهم في الأرحام . وبالثانية : قبض أرواحهم عند انقضاء آجالهم . والإماتةُ : جعلُ الشيء عادمَ الحياة ، سُبِقَ بحياةٍ أم لا . ﴿وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ أرادوا بالأولى : نفخ أرواحهم في أبدانهم وهي في الأرحام . وبالثانية : نفخ الأرواح فيها يوم البعث والنشور . وهو نظير قوله تعالى : (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ)[1] .

١٢ – ﴿تُؤْمِنُوا﴾ تذعنوا وتقروا بالشرك .

١٣ – ﴿يُنِيبُ﴾ يرجع إلى التفكر في الآيات .

١٤ – ﴿فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ خطابٌ للمُنيبين . أي إذا كان الأمر كما ذُكر من اختصاص التذكير بمن ينيب ؛ فاعبدوه أيها المؤمنون مخلصين له دينَكم . ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ وإن

(١) آية ٢٨ البقرة .

ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ * أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿٢٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب

غاظهم ذلك منكم .

١٥ - ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ أى هو تعالى المرتفع بعظمته فى صفات جلاله وكماله ووحدانيته عن كل ما سواه . ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ أى خالقه ومالكه . ﴿يُلْقِى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ﴾ أى هو يُنزل الوَحْىَ أو الكُتبَ المنزّلةَ بقضائه . أو ينزل جبريل عليه السلام من أجل تبليغ أمره تعالى . ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ يومَ القيامة الذى يلتقى فيه الأوّلون والآخرون .

١٦ - ﴿هُمْ بَارِزُونَ﴾ خارجون من القبور ظاهرون لا يسترهم شىء . ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ..﴾ السائلُ والمجيبُ هو الله تعالى . وقيل : المجيبُ أهلُ المحشر جميعًا .

١٨ - ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ﴾ يومَ القيامة . وأصلُ معنى الآزفة : القريبةُ ؛ من أزِفَ الرَّحيلُ - كفرِح - أزَفًا وأُزوفًا : دَنَا وقَرُب ؛ ثم جُعلت اسمًا للقيامة لقربها بالإضافة إلى ما مضى من عمر الدنيا أو لما بقى . ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ إذ قلوبُهم مرتفعةٌ عن مواضعها من صدورهم ، متشبّثةٌ بحلوقهم . والحناجرُ : جمع حُنْجُور أو حَنْجرة ، وهى الحُلقوم . ﴿كَاظِمِينَ﴾ مُمسكين عليها لا تخرج مع أنفاسهم ؛ كما يمسك صاحبُ القِربة فمَها لئلا يُهراق الماء [آية ١٣٤ آل عمران ص ٩٥] . وهو كنايةٌ عن شدة الفزع وفَرْطِ الغَمّ . ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾ قريبٍ مشفقٍ . يقال : احتمّ فلانٌ لفلان ، أى احتدّ ؛ فكأنه الذى يحتدّ حمايةً لذويه . ومنه قيل لخاصّة الرجل : حامّتُه ؛ ولذا فُسِّر الحميمُ بالصديق .

١٩ - ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ أى هو تعالى يعلم النَّظْرةَ الخائنة ؛ كمُسَارقة النَّظر إلى ما نَهى الله عنه . ﴿وَمَا تُخْفِى الصُّدُورُ﴾ أى والذى تخفيه الصدور من المكنونات ؛ فيجزى كلَّ نفس بما كَسَبَت .

٢١ - ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ وَاقٍ﴾ أى من دافع يدفع عنهم عذابَ الله ويحفظُهم منه . يقال : وقاه وِقاية ، أى صانه

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ
أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾
وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ
لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ
فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ
وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ
كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ
ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ
ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ
ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ
أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ
إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ
نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا
لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾
يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن
يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ

وحفظه . ومنع عنه ما يضرّه . وهو وعيدٌ شديدٌ للمكذّبين .

٢٥ - ﴿قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ أى قال فرعون ومن معه : أعيدوا على بنى إسرائيل ما كنتم تفعلونه بهم أوّلاً من قتل الذكور من أولادهم كى تصدوهم عن مظاهرة موسى ؛ فالقتل وقع مرّتين . ﴿واسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾ أى استبقُوا الإناث من أولادهم للخدمة كما فعلتم من قبلُ . ﴿ضَلَالٍ﴾ ضياعٍ وخُسران .

٢٧ - ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ ..﴾ لجأتُ إليه واستجرتُ به من شرّ كلِّ مستكبرٍ عن الإذعان للحق ، كافرٍ بالبعث والجزاء . يقال : عاذَ به واستعاذ : لجأ إليه واستجار به .

٢٩ - ﴿ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ غالبين عالين على بنى إسرائيلَ فى أرض مصر ؛ لا يقاومكم أحدٌ فى هذا الوقت . ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللهِ﴾ أى عذابه ﴿إِنْ جَاءَنَا﴾ فلا تتعرّضوا بقتله لعذاب الله ونقمته . ﴿مَا أُرِيكُمْ ..﴾ ما أشير عليكم برأى إلا بما أرى من قتله .

٣٠ - ﴿الْأَحْزَابِ﴾ الأمم الماضيه المتحزبة على الأنبياء .

٣١ - ﴿دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ عادتهم فى الإقامة على التكذيب ؛

٣٢ - ﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾ يومَ القيامة الذى يكثر فيه نداءُ أهل الجنة أهلَ النار وبالعكس . والنداءُ بالسعادة لأهلها ، وبالشقاوة لآخرين . ونداءُ الكفار بعضهم بعضًا للاستغاثة وللتّخاصم .

٣٣ - ﴿مَا لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ مانعٍ يمنعكم من عذابه . يقال : عَصَمه الطعامُ ، منعه من الجوع . واعتصم بالله : امتنع بلطفه من المعصية .

مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ * وَيَـٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى



٣٤ - ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ ..﴾ هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام . وكان مجيئه إلى آبائهم ؛ فنُسب ما للآباء إلى الأبناء ، لاشتراكهم جميعًا فى الضلال والتكذيب . ﴿مُرْتَابٌ﴾ فى دين الله شاك فى وحدانيته .

٣٥ - ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ ..﴾ مبتدأٌ خبرُه (كَبُر) والفاعلُ ضميرٌ راجعٌ إلى الجدال المفهوم من (يجادلون) ، أى كَبُرَ جدالُهم . ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾ بغير برهان وحجةو(مَقْتًا) تميز محوَّلٌ عن الفاعل ؛ أى عظم بُغضًا جدالُهم عند الله وعند المؤمنين .

٣٦ - ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِى صَرْحًا﴾ [آية ٣٨ القصص ص ٤٩٤] . ﴿صَرْحًا﴾ قصرًا . أو بناء عاليا ظاهرا . ﴿أَبْلُغُ الأَسْبَابَ﴾ الابواب أو الطرق .

٣٧ - ﴿أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ﴾ أى طُرقها وأبوابها ؛ جمعُ سَبَب وهو كل ما يتوصَّل به إلى الشىء . ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلهِ مُوسَى﴾ فأنظر إليه . ﴿وَإِنِّى لأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ فى إثبات إله غيرى . والمرادُ بالظنّ : اليقينُ ؛ لقوله فى آية القصص : (مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرِى) مريدًا به نفىَ وجودِ إلهٍ غيره . وقد أسلفْنا فى تفسيرها : أنَّ أمرَه ببناء الصَّرْح ورجاءَه الاطلاعَ على إله موسى من ضروب التهكُّم والسُّخرية بموسى عليه السلام . ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾ وما مكرُه واحتيالُه فى إبطال آيات موسى إلا فى خُسران وهلاك . يقال : تبَّ اللهُ فلانًا ، أى أهلكه . وتبّتْ يداه : خَسِرتا . وتبَّ الشىءَ : قطعه .

٤٠ - ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ بلا نهايه من الرازق لما يعطى .

٤٣ - ﴿لَا جَرَمَ ..﴾ حقٌ وثبت أن ليس لآلهتكم دعوةٌ أصلاً ؛ فليست آلهةً حقةً [آية ٢٢ هود ص ٢٨٩] . ﴿لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ﴾ مستجابة . أو استجابة دعوة . ﴿مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ﴾ رجوعنا بعد

لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ
إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّـٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ
لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ
وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ
لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾
فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ
ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ
تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾
وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟
إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾
قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ
ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟
رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ
تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ وَمَا
دُعَـٰٓؤُا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾
يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ
سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا
بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَـٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى

الموت إليه تعالى للجزاء .

٤٥ ـ ﴿وَحَاقَ﴾ أحاط أو نزل .

٤٦ ـ ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ أى تُعرض أرواحُهم عليها فى الغُدْوة والعَشِيّ . والمرادُ : دوامُ عذابها فى البَرْزخ إلى قيام الساعة . وفى الآية إثباتٌ لعذاب القبر .

٤٧ ـ ﴿مُغْنُونَ عَنَّا﴾ دافعون . أو حاملون عنَّا .

٥١ ـ ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا ..﴾ أى شأننا دائمًا أن ننصر رسلَنا وأتباعَهم فى الدنيا بالحجّة والظَّفَر ، والانتقام لهم من المكذبين بالعقوبات القاسية . وفى الآخرة كما قال تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ الحفظةُ والأنبياءُ والمؤمنون . جمعُ شهيد أو شاهد ؛ يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب .

٥٢ ـ ﴿مَعْذِرَتُهُمْ﴾ عذرهم أو اعتذارهم حين يعتذرون .

٥٥ ـ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أى دم على التسبيح والتحميد لربّك . أوصَلِّ لربك ﴿بِالْعَشِيِّ﴾ ، وهو مِن بعد الزوال إلى الليل ﴿وَالْإِبْكَارِ﴾ وهو مِن طلوع الفجر الثانى إلى طلوع الشمس . والمرادُ الدوامُ عليه . وقيل : هو أمرٌ بالصلوات الخمس .

٥٦ ـ ﴿سُلْطَانٍ﴾ حجة وبرهان . ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ أى ما فى قلوبهم إلا تكبّرٌ عن

ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾

الحق ، وتعاظمٌ عن التعلُّم وأنَفةٌ عن الطاعة ؛ وهو الذى حملهم على التكذيب . ﴿مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ أى ببالغى مقتضى ذلك الكبر وموجبه ، وهو الرياسة أو النبوة .

٥٧ ـ ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ..﴾ أى لخلقُها أعظمُ من خلقه تعالى الإنسانَ ؛ فمن قدَرَ على الأعظم فهو على خلق مالا يُعَدُّ شيئًا بالنسبة إليه بدءًا وإعادةً أقدرُ وأقدر !

٥٨ ـ ﴿وَمَا يَسْتَوِى الأَعْمَى ..﴾ فلابُدَّ أن يكون لهم حالٌ أخرى يظهر فيها ما بين الفريقين من التفاوت . وهى فيما بعد البعث .

٦٠ ـ ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ صاغرين أذِلّاء [آية ٤٨ النحل ص ٣٤٧ ، ٣٤٨] .

٦١ ـ ﴿اللَّهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ ..﴾ ذكر فى هذه الآية وما بعدها ستّةَ أدلةٍ على قدرته تعالى على البَعْث ، توجبُ الإقرارَ به وتوحيدَه فى العبادة .

٦٢ ـ ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ فكيف تصرفون عن عبادته عزّ وجلّ إلى عبادة غيره .

٦٣ ـ ﴿يُؤْفَكُ﴾ يصرف عن التوحيد الحق .

٦٤ ـ ﴿الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ مستقرًّا تعيشون فيها . ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ كالقُبّة المضروبة على الأرض من غير عَمَد ولا حامل . ويُطلق البناء



* قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾

على ما يقيمه العربُ من القِباب للسكنى ؛ وإطلاقُه على السماء على سبيل التشبيه البليغ . ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾ تعالى بذاته وتعظّم . أو كثُر خيرُه وإحسانه .

٦٥ - ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي الطاعة .

٦٦ - ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ ..﴾ أي أسلِّم أمري له تعالى وأنقاد لحُكمه . أو أُخلصَ توحيدي له .

٦٧ - ﴿نُطْفَةٍ﴾ مَنِيّ . ﴿عَلَقَةٍ﴾ قطعة دَم جامد . ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ أي ثم يُبقيكم لتتكامل قواكم ، ويتناهى شبابُكم . ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ عن ربّكم أنه يحييكم كما أماتكم ، ويعيدكم كما بدأكم .

٦٨ - ﴿فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ [آية ١١٧ البقرة ص ٢٩] .

٦٩ - ﴿أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾ كيف يُصرفون عن آيات الله الواضحة ، الموجبةِ للإيمان بها ؛ إلى الجحود والتكذيب ، والجدالِ الباطلِ فيها .

٧١ ، ٧٢ - ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ أي فسوف يعلمون عقوبة تكذيبهم ؛ إذ الأغلال والسلاسلُ في أعناقهم يُجرّون بها في الحميم ، ثم في النار يُحرقون فيكونون وقودَها . و(الأغلالُ) : جمعُ غُلٍّ ، وهو القيْدُ يوضع في اليد والعنق فيجمعها ؛ ولذا يسمَّى الجامعة . (وَالسَّلَاسِلُ) : جمعُ سلسلة ؛ من تسلسل الشيءُ : اضطرب ؛ كأنه تُصُوِّرَ منه تَسَلْسُلٌ متردِّدٌ فرُدِّدَ لفظه تنبيهًا على تردُّد معناه . ومنه ماء سَلْسَلٌ : أي تردّد في مقرّه حتى صَفا . و﴿الْحَمِيمِ﴾ الماء البالغ غاية الحرارة . و﴿يُسْجَرُونَ﴾ توقد أو تملأ بهم من سَجَرَ التنُّورَ : إذا ملأهُ وقودًا .

فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَـٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟

٧٥ - ﴿تَفْرَحُونَ﴾ تبطرون وتأشرون . ﴿وبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ تتوسّعون فى الفرح بما أوتيتم من النِّعم حتى نسيتم الآخرة .

٧٦ - ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ فبئس مقامُهم جهنّمُ لتكبُّرهم عن الحق ؛ مِن ثَوى بالمكان : إذا أقام به .

٧٧ - ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ ..﴾ أى فإن نُرِك بعض الذى نعدهم به من القتْل والأَسْر فذاك . أو نتوفيّك قبلَ ذلك ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ يومَ القيامة فنجازيهم بأعمالهم .

٧٨ - ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِىَ بِآيَةٍ﴾ فالمعجزاتُ على تشعُّب فنونها عطايَا من الله ؛ قَسَمها بين رُسُلِه ، حسبما اقتضته مشيئته تعالى المبنيّةُ على الحِكَم البالغة ، ليس لهم فيها اختيار . فليس لِى أن آتِى بآية مما اقترحتم إلا أن يأذنَ الله بها .

٧٩ ، ٨٠ - ﴿اللهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ﴾ المرادُ بها الإبلُ خاصّةً . ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ﴾ أى أمرًا ذا بالٍ تهتمون به ؛ كحَمْل الأثقال والأسفار .

٨١ - ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ الدّالّةَ على كمال قدرته ؛ بحيث تشاهدونها فى كل شىء إذا استعملتم عقولكم ، وتجرّدتم من أهوائكم . ﴿فَأَىَّ آيَاتِ اللهِ تُنْكِرُونَ﴾ أى ليس شىءٌ من هذه الآيات يستطيع عاقل إنكارَه لوضوحها ! . والاستفهامُ للتوبيخ .

٨٢ - ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا ..﴾ أى أقعدوا فلم يسيروا فى أقطار الأرض ؛ فينظروا كيف كان عاقبةُ الأمم المكذِّبة ، كعادٍ وثمودَ قومِ لوط وأصحابِ مَدْيَنَ وغيرِهم . ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾ فما دفع عنهم وما نفعهم .

٨٣ - ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أى فرح الكفار بما لديهم من العلوم بأمور الدنيا ومعرفتِهم بتدبيرها ، واستهزأوا بعلوم الدِّين لما فيها من قمع الأهواء والحدِّ من الشهوات . واعتقدوا أنه لا علمَ أنفعُ من علومهم ففرحوا بها . ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ أحاط ، أو نزل بهم جزاءُ ﴿مَا كَانُوا بِهِ

ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ
يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ
خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

(٤١) سورة فصّلت مكيّة
وآياتها ٥٤ نزلت بعد غافر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ
فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾
بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾
وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا
وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾
قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ
وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾
ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ

يَسْتَهْزِئُونَ﴾ .

٨٤ ـ ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ عاينوا فى الدنيا شدة عذابنا . وأصلُ البأسِ : الشدّةُ والمكروه .

٨٥ ـ ﴿خَلَتْ﴾ مضت . والله أعلم .

سُورَةُ فُصِّلَتْ

وتُسمَّى حمٓ السَّجْدة

٣ ـ ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ مُيِّزت آياته : لفظًا بفواصلَ ومقاطعَ ، ومعنًى بكوْن بعضِها فى بيان صفاته وأفعاله تعالى ، وبعضِها فى عجائب خلْقه فى العوالم كلِّها ، وبعضِها فى الأحكام ، وبعضِها فى المواعظ والأخبار ، وبعضِها فى التبشير والإنذار ، وبعضِها فى رياضة النفوس وتهذيبها ، وغيرِ ذلك من الفنون والعلوم التى لا تُحصى .

٥ ـ ﴿قُلُوبُنَا فِى أَكِنَّةٍ﴾ أغطيةٍ متكاثفةٍ فلا تفقَه ما تقول . جمعُ كِنَان . ﴿وَفِى آذَانِنَا وَقْرٌ﴾ صممٌ يمنع من استماع قولك . ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ ساترٌ وحاجزٌ منيعٌ يمنع التّواصُل بيننا . وهو تمثيلٌ لنُبُوّ قلوبهم عن إدراك الحقّ وقبوله ، ومجِّ أسماعهم له ، وامتناعِ موافقتهم للرسول صلى الله عليه وسلم ؛ لتباعد ما بين المذهبين .

٦ ـ ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ فالْزَمُوا الاستقامةَ فى طريقكم إليه تعالى بالإيمان به ، وطاعته والإخلاصِ فى عبادته . ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ هلاكٌ وخزْيٌ لهم لشركهم بربهم .

٨ ـ ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ غيرُ مقطوع عنهم ؛ من مَنَنْتُ الحَبْلَ : إذا قطعته . أوغيرُ منقوص عما وعدهم الله به .

٩ ـ ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ أى أوجدها فى مقدار يومين من أيام الدنيا . وقيل : اليومُ منهما كألف سنةٍ من أيامنا . والآيةُ : تنديدٌ بالمشركين ؛ لتماديهم فى الشّرك مع ظهور الدلائل الموجبة للإيمان



مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ * قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰٓ إِلَى السَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً

بوحدانيّته تعالى وكمال قدرته. ﴿أَندَادًا﴾ أمثالاً من مخلوقاته تعبدونها.

١٠ - ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىَ﴾ جبالاً ثوابتَ ﴿مِنْ فَوْقِهَا﴾ لئلا تميد وتضطرب ﴿وَبَارَكَ فِيهَا﴾ جعلها مباركةً قابلةً للخير؛ كالإنبات وإخراج ما ينفع الناس. ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ جعل أقوات أهلِها التى يحتاجون إليها فى معايشهم على مقاديرَ معيَّنةٍ؛ بحيث جعل فى كل قُطر ما يناسب أهلَه؛ ليكون الناسُ محتاجًا بعضُهم إلى بعض فيما يرتفقون به. وهو سببُ عمارة الأرض ونظامِ العالَم. ﴿فِى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ أى خلق ما فى الأرض فى تمامِ أربعة أيام ﴿سَوَاءً﴾ مستويةً كاملةً. مصدرٌ مؤكِّدٌ لِمُضْمَر هو صفةٌ لـ «أيام»، أى استوت سواءً أى استواءً؛ وقُيِّدت به لدفع تَوَهُّم التجوُّز بإطلاقها على ما دونها بقليل. ﴿لِلسَّائِلِينَ﴾ أى قدّر فيها أقواتَها لأجل الطالبين لها، المحتاجين إليها من المُقْتاتين. فمُدَّةُ خلق كلٍّ من الأرض وما فيها مقدارُ يومين. وتمامُ المُدَّتين أربعةُ أيام كاملة.

١١ - ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ أى قصد إلى خلقها وإيجادها. وظاهرُ هذه الآيةِ وآيةِ (هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُمْ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ)[1] يدلُّ على تقدُّم خلقِ الأرض وما فيها على خلق السماء وما فيها؛ وإليه ذهب جمهورُ المفسرين. وقيل: إن خلق السماء متقدِّمٌ على خلْق الأرض؛ أخذًا بظاهر قوله تعالى فى سورة النّازعات: «بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا» أى بسطها. ووفّق بعضُهم بين ظواهر الآيات؛ كما رُوى عن ابن عباس بأن الله خلق الأرض قبل خلق السماء. ثم خلق السماءَ ثم دحا الأرضَ بعد ذلك. واعتُرض عليه بأن آية البقرة صريحةٌ فى خلْق ما فى الأرض قبل خلْق السماوات. ومعلومٌ أن خلق ما فيها إنما هو بعد الدّحْو؛ فكيف يكون الدّحْوُ متأخّرًا عن خلق السموات!؟ ولذلك رجّح الجمهورُ القولَ الأوّلَ. وأوّلُوا قولَه تعالى: «وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا» بما سيأتى بيانُه فى تفسيرها بمشيئته تعالى. ﴿وَهِىَ دُخَانٌ﴾ مكونة مما يشبه الدخان. ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا..﴾ أخرجا ما خلقتُ فيكما من المنافع لمصالح العباد. ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ فعلنا ما أمرتنا به منقادين؛ وهو تصويرٌ لانفعالها بالقدرة الإلٰهية.

١٢ - ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ ففرغ من تسويتهنّ على أبدع صورة وأحكم وضع ﴿فِى يَوْمَيْنِ﴾ أى فى مقدارها؛ فمدّة الخلق كلُّها ستةُ أيّام؛ كما قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ

(١) آية ٢٩ البقرة.

مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ)[1] . ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ أي خلق في كلٍّ منها ما اقتضت حكمتُه أن يكون فيها من الملائكة والنيّرات وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله تعالى . ﴿وَحِفْظًا﴾ أي وحفظناها حفظًا من الاختلال والاضطراب والسقوط .

١٣ ــ ﴿أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ عذابًا مُهلكًا مثلَ عذابهم . والصّاعقةُ في الأصل : كلُّ ما أفسد الشيءَ وغيَّره عن هيْئته . وتُطلق على الصَّيْحة التي يحصل بها الهلاك .

١٦ ــ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ شديدةَ السَّموم ؛ من الصَّر ــ بالفتح ــ وهو شدّةُ الحرّ . أو شديدةَ البرودة مهلكةً ؛ من الصِّر ــ بالكسر ــ وهو شدّة البرد الذي يَصِرُّ ؛ أي يجمع ظاهرَ جلد الإنسان ويُقبِّضُه . أو شديدةَ الصوت ؛ من صَرّ يَصِرُّ صَرًّا وصريرًا : إذا صوّت وصاح بشدة . والحقُّ أنها تجمع الشِّدَّتَيْن . ﴿فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾ مشائيمَ عليهم . استمرّتْ بهم حتّى أُبيدوا . جمعُ نَحِسةٍ صفة مشبَّهة ؛ من نَحُسَ ــ كفَرِح وكرُم ــ ضدُّ سَعِد . وهي أيامُ الحُسوم ، وتسمَّى أيامَ العجوز . وقُرِئَ « نَحْسَات » بسكون الحاء للتخفيف . ﴿أَخْزَىٰ﴾ أشد إذلالاً وإهانة .

١٧ ــ ﴿فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ بيّنا لهم طريقَ الضلال والرّشد . ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾ أي الهوان والذُّل ؛ وُصف به العذابُ مبالغةً . أو بمعنى المُهين .

١٩ ــ ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يُستوقَفُ سوابقُهم ليَلحَق بهم أواخرُهم حتى يجتمعوا ؛ فإذا تكاملت العدّةُ سِيقوا إلى النار . وبُدِئَ بالأكابر

(١) آية ٧ هود .

فالأكابر جُرمًا . وهو كنايةٌ عن كثرتهم ؛ من الوَزْع وهو المنع . أو يُساقون ويُدفعون إلى النار [آية ١٧ النّمل ص ٤٨١].

٢٢ - ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ ..﴾ أى تقول لهم جوارحُهم يومَ القيامة حين يلومونها على الشهادة عليهم : ما كنتم فى الدنيا تُخفون شيئًا عنّا ؛ مخافةَ أن نشهد عليكم بما ترتكبون من الكفر والمعاصى ؛ لأنكم كنتم غيرَ عالمين بشهادتنا عليكم . بل كنتم تستترون بالحيطان والحجب ؛ لاعتقادكم أنه تعالى لا يعلم خفيّات أعمالكم . وهذا هو الذى أهلككم فأصبحتم فى الآخرة من الخاسرين.

٢٣ - ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِى ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ﴾ وهو اعتقادكم أن الله لا يعلم كثيرًا مما تعملون ؛ وهو ما تُخْفُونَه . ﴿أَرْدَاكُمْ﴾ أهلككم . وهو خبرُ « ذلكم » . يقال : رَدِىَ - كصَدِىَ - هلك . وأرْداه غيرُه : أهلكه .

٢٤ - ﴿وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ وإن يطلبوا الرِّضا فما هم من المَرضىّ عنهم ؛ بل لابدّ لهم من الثّواء فى النار . أو إن يسألوا العُتْبَى وهى الرجوع إلى ما يُرضى الله تعالى جَزَعًا مما هم فيه ﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ أى المجابين إليها [آية ٨٤ النحل ص ٣٥٣] .

٢٥ - ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾ هيّأنا وسبّبنا لهم من حيث لم يحتسبُوا قُرناءَ السُّوءِ من الجن والإنس ؛ يضلّونهم بالإغواء . ويستولون عليهم استيلاءَ القَيْض على البَيْض . والقيض : قشْرُ البَيْض الأعلى . يقال : قيّض الله فلانًا لفلان ؛ جاءه به وأتاحه له . والقُرَنَاءُ : جمعُ قَرين وهو النّظير . ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ وَجب وتحقّق مقتضاه ؛ وهو قوله تعالى لإبليس : (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِين)[1] .

٢٦ - ﴿والْغَوْا فِيهِ ..﴾ ائتوا فى

وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ

ثلاثة أرباع الحزب

(١) آية ٨٥ سورة ص .

قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ (٣٢) وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ (٣٣) وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٣٦) وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٧) فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ (٣٨) ۩

سجدة

القرآن أثناء تلاوة محمدٍ [صلى الله عليه وسلم] له باللغْو، وهو ما لا معنى له؛ من نحو الصياح والـمُكَاء والتّصدية؛ لعلكم تغلبونه على القراءة. يقال: لَغِيَ يَلْغَى - كلَقِيَ يَلقَى - إذا تكلّم باللّغو.

٢٩ - ﴿الْأَسْفَلِينَ﴾ فى الدرك الأسفل من النار.

٣٠ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ﴾ شروعٌ فى بيان حُسن أحوال المؤمنين فى الدّاريْن، بعد بيان سوءِ أحوال الكافرين فيها. أى قالوا ذلك اعترافًا بربوبيّته، وإقرارًا بوحدانيّته ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ أى ثبتوا على الاستقامة فى أمر الدِّين والتوحيد.

٣١ - ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ تطلبون وتتمنّون لأنفسكم [آية ٥٧ يس ص ٥٦٢].

٣٢ - ﴿نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ أى رزقًا وضيافة مهيّأةً لكم من الله تعالى. والنُّزُل: هو القِرَى الذى يُهيّأ للضيف النازل لإكرامه.

٣٤ - ﴿كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ صديقٌ قريبٌ مضافٍ لك.

٣٥ - ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ أى ما يؤتى هذه الخَصلة الشريفةَ إلّا الذين فيهم خُلق الصّبر على المكاره، وكَظْم الغيْظ وترك الانتقام.

٣٦ - ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ ..﴾ أى وإن تعرض لك من الشيطان وسوسةٌ، تصرفك عن تلك الخَصلة الشريفة فاستعذ بالله [آية ٢٠٠ الأعراف ص ٢٣١].

٣٧ - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ ردٌّ على عَبَدة الشمس والقمر؛ كالصّابئة الذين يعبدون الكواكب.

٣٨ - ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ هُمُ الملائكة. والعنديّة: عنديّةُ مكانةٍ وتشريف، لا عنديّةُ مكان فهى على حَدّ: (أنا عند ظنّ عبدى بى). ﴿وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ لا يَمَلون تسبيحه وعبادته؛ من السآمة وهى المَلالة والضّجرُ مما

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ

يُكرَّر فعلُه [آية ٢٨٢ البقرة ص ٦٩] . يقال : سئِم الشئَ ومنه يَسْأمُ سَأمًا وسآمًا وسأمةً وسآمةً . أى مَلّه .

٣٩ ـ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ أى ومن آياته الدّالة على قدرته على البعث ﴿أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ يابسةً جامدةً ؛ من خشعَت الأرض : يبست ولم تُمْطَر. ويقال : أرضٌ خاشعةٌ ، أى متغيِّرةٌ متهشِّمةُ النبات . وبلدةٌ خاشعةٌ : أى مُغْبَرَّةٌ لا مَنْزِلَ بها . ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾ تحرّكت بالنبات قبل بروزه على سطحها وبعدَه . ﴿وَرَبَتْ﴾ انتفخت وعَلَت ؛ لأن النبات إذا دنا أن يظهر ارتفعت له الأرضُ وانتفخت ، ثم تصدّعت عنه . يقال : هزَّ الشيءَ فاهتز ، حرّكه فتحرك ؛ وبابه ردّ . وربَا الشيءُ : زاد ؛ وبابُه عدا .

٤٠ ـ ﴿يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ يَميلون عما يليق فى شأن آياتنا بالطّعن والتّحريف والتّأويل الباطل ، واللّغو فيها ؛ من الإلحاد وهو الميل عن الاستقامة [آية ١٨٠ الأعراف ص ٢٢٨] .

٤١ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾ خبرُ «إنَّ» محذوفٌ لدلالة السِّياق عليه . ويقدَّر بعد قوله : «حميدٍ» أى يخلّدون فى النار . أو يعذّبون ونحوه .

٤٤ ـ ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا﴾ أى ولو أنزلناه بلغة العَجَم ؛ كما قالوا : هلّا أنزل القرآن بلغة العجم ؟ ﴿لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ..﴾ هلّا بُيِّنت بلسان عربيّ نفهمه ! ولقالوا منكرين : أقرآنٌ أعجميٌّ ورسولٌ عربيٌّ ! قاصدين بذلك إنكارَ القرآن من أصله . فهم لا يؤمنون به لا عربيًّا ولا أعجميًّا لفرط تعنُّتهم ! . والأعجميُّ : يُطلق على الكلام



فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ * إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ

الذى لا يفهمه العربيُّ . وعلى المتكلّم به . والياءُ للمبالغة فى الوصف – كأحمرى – وليست للنّسب . ﴿فِى آذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ صَمَمٌ مانعٌ عن سماع القرآن . ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ ظلمة وشبهة مستولية عليهم .

٤٥ – ﴿لَفِى شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ مُوقِعٍ فى الرِّيبة . أو موجبٍ للقلق والاضطراب .

٤٦ – ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ أى بذى ظُلْمٍ لهم . فظَلّامٌ : صيغةُ نَسَبٍ – كتمّار وخبّاز – لا صيغةُ مبالغة .

٤٧ – ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ إرشادٌ للمؤمنين فى التّقصّى عن هذا السؤال إذا وُجّه إليهم – بتفويض العلم فيه إلى الله وحده ؛ وقد سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم عن وقت قيامها . ﴿مِنْ أَكْمَامِهَا﴾ من أوعيتها . جمعُ كِمٍّ – بالكسر – وهو وعاءُ الطلع . وغطاءُ النَّوْر ؛ كالكِمامة والكِمَّة – بالكسر فيهما – ويُجمع أيضًا على أَكِمَّة وكِمَام . ﴿قَالُوا آذَنَّاكَ . .﴾ أعلمناك بلسان الحال . وبما تعلم من قلوبنا أنه ليس منّا أحد يشهد لهم بالشّركة . يقال : آذنه الأمرَ وبه . أعلمه .

٤٨ – ﴿وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ أيقنوا ألّا مهربَ لهم من العذاب . يقال : حاص يحيص حَيْصًا ومَحيصًا . إذا هَرَب .

٤٩ – ﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ﴾ لا يَملّ ولا يَفْتر ﴿مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ أى من طلب السَّعة فى النّعمة وأسباب العيش . ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ الضِّيقُ والعسرُ . ﴿فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ فهو يئوسٌ قنوط من فضل الله ورحمته . واليأسُ : أن يقطع رجاءه من الخير . وهو من عمل القلب . والقُنُوطُ : أن يَبْدُوَ أثرُ ذلك عليه فى الصورة . وهو التضاؤل والانكسار . وفِعلُ اليأسِ من باب فَهِم . وفِعلُ القنوطِ من باب جَلَس ودَخَل وطَرِب وسَلِمَ .

٥٠ – ﴿هَذَا لِى﴾ هذا حقى أستحقه بعملى . ﴿عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ شديد لا يفتر عنهم .

٥١ – ﴿وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ أى ثَنَى عِطْفَه . وهو كنايةٌ عن الانحراف والتكبُّر والصَّلَف ؛ على أن الجانب هو العِطْف . أو ذهب بنفسه وتباعد عن شُكر النّعمة تكبّرًا واختيالاً ؛ على أن الجانب فى الأصل الناحيةُ والمكان . ثم

عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍۭ بَعِيدٖ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٖ مُّحِيطُۢ ﴿٥٤﴾

(٤٢) سُورَةُ الشُّورَىٰ مَكِّيَّة

إلا الآيات ٢٣ و٢٤ و٢٥ و٢٧ فمدنية
وآياتها ٥٣ نزلت بعد فصلت

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ

كُنِّيَ به عن الشيء نفسه . والنَّأْىُ : البُعْد . يقال : نأيته ونأيت عنه نأيًا . أى تباعدت عنه . ﴿فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ كثير مستمرّ . مستعارٌ مما له عرْضٌ متّسعٌ للإشعار بكثرته ؛ والعرب تستعمل الطول والعَرْض فى الكثرة . يقال : أطال فلان فى الكلام ، وأعرض فى الدعاء ، إذا أكثر .

٥٢ - ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبرونى عن حالتكم العجيبة [٤٠ الأنعام ص ١٧٤] .

٥٣ - ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ﴾ سنريهم آياتِ وحدانيّتنا وقدرتنا فى أقطار السموات والأرض ؛ من الشمس والقمر والنجوم ، والليل والنهار ، والرّياح والأمطار ، والرّعدِ والبرق والصّواعق ، والنباتِ والأشجار ، والجبالِ والبحار وغيرها . جمعُ أُفُق ؛ كأعناق وعُنُق . أو جمع أَفَق ؛ كأجبال وجَبَل ، وهو الناحية . يقال : أَفَق فلان يأفِقُ ، ركب رأسه وذهب فى الآفاق . والنِّسبةُ إليه أَفَقِيّ بفتحتين ، وأُفُقِيّ بضمتين ؛ وهو القياس . ﴿وَفِى أَنْفُسِهِمْ﴾ بما أودعنا فيهم من الحواسّ والقُوَى ، والعقل والرُّوح ، وبما نصيبهم به من البلايا والمِحَن ، وما نُجريه عليهم من النِّعم .

٥٤ - ﴿مِرْيَةٍ﴾ شكّ عظيم . والله أعلم .

سُورة الشُّورَى

٣ - ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ ..﴾ أى مِثْلَ ما فى هذه السورة من الدَّعوة إلى التَّوحيد والتَّصديق بالبعث والنُّبوّة - أوحَى الله به إليك وإلى الرُّسل مِن قبلك . لتبلِّغُوه للناس هدايةً وتبصيرًا ، وإنذارًا وتبشيرًا . فالكافُ مفعولُ «يُوحِي» وفاعلُه لفظ الجلالة . والمشارُ إليه ما فى هذه السّورة . وجيء بـ «يُوحِي» بدلَ أوْحَى للدّلالة على استمراره فى الماضى ، وأنّ إيحاء مثْله عادتُه تعالى .

٥ - ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ أى يتشقّقْنَ فيسقطْن مع عِظَمهن ﴿مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ من أعلاهن ، من علوِّ شأنه تعالى وعظمته ، وهيْبَته وجلاله . ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ فى السموات العُلا ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ ينزّهونه

وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

عمّا لا ينبغي له من الشريك والولد وسائر النقائص . مُتَلَبِّسين بحمده تعالى والثناء عليه ؛ إيمانًا به وإذعانًا لعظمته . ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِى الْأَرْضِ﴾ يطلبون للمؤمنين من أهل الأرض عفوَ الله وغفرانَه ؛ خوفًا عليهم من سطْوَة جبروته .

٦ ــ ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ شركاءَ وأندادًا ؛ وهم الذين جَهِلوا عظمته تعالى فنسبوا إليه ما لا يليق به . ﴿اللهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾ رقيبٌ عليهم . يُحصى أعمالهم فيجازيهم بها . ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ بموكَّل عليهم ، ولا مفوَّضٍ إليك أمرُهم ؛ بل ما عليك إلّا البلاغ ، وعلينا الحساب .

٧ ــ ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ..﴾ أى ومثلَ ذلك الإيحاء البديع البيِّن أوحينا إليك قرآنًا عربيًّا ، لا لَبس فيه عليك ولا على قومك . ﴿لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾ أى أهلَ أمِّ الْقُرَى وهى مكة ؛ وسُمِّيَتْ بذلك لأنها بالنسبة لما حولها كالأصل . ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أى وتنذر مَنْ حَوْلَهَا من العرب العذابَ على الشّرك بالله . وخُصُّوا بالذكر مع عموم الرسالة لأنهم أوّلُ المنذَرين . وأقربُ مِن سواهم إليه صلى الله عليه وسلم . ﴿وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ أى وتنذر الناسَ هوْلَ يوم القيامة الذى يجتمع فيه الخلائق للحساب ، ويُقْضَى فيه على فريق بالعذاب ولفريق بالثواب .

٨ ــ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أى على الدِّين الحق ، فلم تختلف آخرتهم . ولكنه لم يشأ ذلك لحكمته البالغة ؛ فافترق الناس على أديان شتّى . والحقُّ واحد ؛ ليقضىَ اللهُ أمرًا كان مفعولاً . وهو كقوله تعالى : (وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى)[1] . وقوله تعالى : (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا)[2] . ﴿وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِى رَحْمَتِهِ﴾ وهم الذين عرفوا الدّين الحقَّ واتَّبعوه . ﴿وَالظَّالِمُونَ﴾ لأنفسهم بجهلهم به ومعاندتهم له ﴿مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يوم الجزاء .

٩ ــ ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أى بل اتَّخذوا ــ متجاوزين اللهَ ــ أولياءَ من الأصنام وغيرها . فـ «أمْ» بمعنى بل وهمزة الاستفهام الإنكارى ؛ وهى لإنكار وقوعِ ذلك ونفيِهِ على أبلغ وجه . أى أنّ ما فَعلوا ليس من اتخاذ الأولياء فى شيء ؛ لأن ذلك فرعُ كونِ الأصنام أولياء ؛

(١) آية ٣٥ الأنعام. (٢) آية ١٣ السجدة.

وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ



وهو أظهر المحالات.

١٠ - ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ إليه أرجع فى كل الأمور.

١١ - ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خالقها ومبدعها على غير مثال سابق ؛ من فطره - من باب نصر - ابتدأه واخترعه. ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ يكثّركم بسبب هذا التّزاوج بين الذكور والإناث. يقال : ذرأ الشيء كثّره. والذَّرْءُ والذَّرُّ أخوان. والضمير المنصوبُ عائدٌ إلى المخاطبين وإلى الأنعام على سبيل التّغليب. وفى بمعنى باء السببيّة. والضميرُ المجرورُ عائدٌ إلى التّزاوج المفهوم من قوله : «جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا». ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ليس شيء مثله تعالى فى شئونه ؛ والكافُ زائدةٌ. أو ليس مثلَ صفته شيء من الصفات التى لغيره. أو ليس كذاته شيءٌ ؛ والكافُ أصليّةٌ ، والمِثْلُ بمعنى الذّات. تقول العرب : مثلُك لا يبخل. يعنُون : أنت لا تبخل ؛ على سبيل الكناية ، قصدًا إلى المبالغة فى نفى البُخل عن المخاطب بنفْيه عن مثله ، فيثبت انتفاؤه عنه بدليله. والمرادُ : تنزيهُ تعالى عن مشابهةِ شيءٍ من الخلق فى شيء ؛ ذاتًا وصفاتٍ وأفعالاً.

١٢ - ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ له مفاتيح خزائنها ؛ ومن يملك المفاتيحَ يملك الخزائن [آية ٦٣ الزُّمَر ص ٥٩٢]. ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يُضيّق ويقتّر على من يشاء.

١٣ - ﴿شَرَعَ لَكُمْ﴾ الخطابُ لأمّته صلى الله عليه وسلم. أى سنَّ لكم من الشريعة. ﴿مَا وَصَّى بِهِ﴾ ما أمر به وألزم. أرباب الشرائع من مشاهير الأنبياء ، وأمرهم به أمرًا مؤكّدًا ، وهو ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ أى توحيدَ الله والإيمانَ به ، وطاعةَ رسله فيما جاءوا به من الشرائع. والمرادُ بإقامته : قَبولُه والعملُ به. ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ أى لا تختلفوا فى الدِّين ، أى فى هذه الأصول التى أجمعتْ عليها الشرائعُ الإلهيّة. ﴿كَبُرَ﴾ عظم وشق. ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ يصطفى ويختار لرسالته من يشاء من عباده [آية ١٧٩ آل عمران ص ١٠٢]. ﴿يُنِيبُ﴾ يرجع إليه ويقبل على طاعته.

١٤ - ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا ..﴾ أى الأمم السابقةُ بعد موت أنبيائهم. ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ ظلمًا وتجاوزًا للحدّ بسبب الحِرْص على الدنيا

بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي

وزينتها . ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ هي العِدَةُ بتأخير العذاب عنهم ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو يوم القيامة . ﴿لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ باستئصال المبطلين حين افترقوا . ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ﴾ هم أهل الكتاب الذين كانوا فى عهده صلى الله عليه وسلم . ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ موقع فى الرّيبة وقلقِ النفس واضطرابها .

١٥ - ﴿فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ﴾ أى فلأجلِ هذا التفرُّق والتّشعُّب فادع إلى التوحيد ، وإلى الاتفاق على الملّة الحنيفيّة . ﴿وَاسْتَقِمْ﴾ الزم المنهجَ المستقيم ، الذى لا عِوَج فيه ولا انحراف . ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ لا احتجاجَ ولا خصومة بيننا وبينكم ؛ لأن الحق قد ظهر ، فلم يبق للاحتجاج حاجةٌ . ولا للمخالفة محمَلٌ سوى المكابرة والعِناد .

١٦ - ﴿اسْتُجِيبَ لَهُ﴾ استجاب الناس وأذعنوا لدين الله . ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ باطلةٌ زائلةٌ ؛ كالشىء الذى يَزِلّ عن موضعه [آية ٥٦ الكهف ص ٣٨٣] .

١٧ ، ١٨ - ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ أى وأنزل الميزان ، أى العدل الذى يحكم به بين الناس . وإنزالُه : أمرُهم به وتكليفُهم إقامته . وتسميتُه ميزانًا من تسمية الشىء باسم آلته ؛ لأن الميزانَ آلةُ الإنصاف بين الناس فى المعاملات . ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ لعلّ مجيئَها قريبٌ . أو لعلّ البعث قريبٌ . ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ استعجالَ استهزاءٍ وإنكار . ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ خائفون من قيامها مع اعتناءٍ بها ؛ لأنهم لا يدرون ما الله فاعلٌ بهم ؛ من الإشفاق وهو عنايةٌ مَشوبةٌ بخوف ، لأن المشفِق يحبّ المشفَق عليه ويخاف ما يلحقه . فإذا عُدِّى بمن فمعنى الخوف فيه أظهر . وإذا عُدِّىَ بفى فمعنى العناية فيه أظهر ؛ كما فى قوله تعالى : (إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ)[1] . ﴿يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ﴾ يجادلون . أو يشكّون فيها .

١٩ - ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ بارٌّ

(١) آية ٢٦ الطور .

حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟

بهم ورفيقٌ . يُفيض عليهم أجمعين من صنوف البرّ ما لا تبلغه العقول . وقيل : اللُّطفُ منْحُ الهداية . والتوفيقُ للطّاعة ؛ وهو خاصٌ بالمؤمنين . وما يُرى من النّعم على الكفّار ليس بلُطْف . وإنما هو إملاءٌ واستدراجٌ ؛ إلّا ما آلَ إلى وفاةٍ على الإسلام .

٢٠ ـ ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدَ حَرْثَ الآخِرَةِ..﴾ أى من كان يريد بأعماله ثوابَ الآخرة ـ وهو شأن المؤمن ـ نضاعفْه له . والحَرْثُ فى الأصل : مصدرٌ بمعنى إلقاء البَذْر فى الأرض . ويُطلق على الحاصل به وهو الزرع . ويُستعمل مجازًا فى ثمرات الأعمال ونتائجها ؛ تشبيهًا لها بثمرات البذور .

٢١ ـ ﴿كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾ الحكم بتأخير العذاب للآخرة .

٢٢ ـ ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ..﴾ أى تراهم يومَ القيامة خائفين خوفًا شديدًا مما كسبوه فى الدنيا من السيئات ؛ والعذابُ عليه واقعٌ بهم لا محالةَ . ﴿فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾ فى أشرف بقاعها وأطيبها وأنزهها . جمعُ رَوْضة . وهى الموضعُ النّزه الكثيرُ الماء والخضرة ؛ ولا تقول العرب لمواضع الأشجار ؛ رياض .

٢٣ ـ ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ أى لكن أسألكم أن تُوادُّونى لقرابتى منكم . وتصلُوا الرَّحِمَ التى بيني وبينكم فتحفظونى ؛ فالقرابةُ هنا : قرابةُ الرَّحِم ، و« في » للسببيّة بمعنى لام التّعليل . أو لكن أسألكم أن تَودُّوا قرابتى وأهل بيتى . و « فِى » للظّرفيّة المجازيّة ؛ أىْ إلّا مودّةً واقعةً فى قرابتى . ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾ يكتسب أىَّ حسنةٍ ؛ مِن القَرْف وهو الكسب [آية ١١٣ الأنعام ص ١٨٧] .

٢٤ ـ ﴿وَيَمْحُ اللهُ الْبَاطِلَ﴾ كلامٌ مستأنَفٌ غيرُ داخلٍ فى جزاء الشّرْط ؛ لأنه تعالى يمحو الباطل مطلقًا . وسقطت منه الواو لفظًا



ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ
عَذَابٞ شَدِيدٞ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ
لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ
بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ
بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٨﴾
وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا
مِن دَآبَّةٖۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ ﴿٢٩﴾ وَمَآ
أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن
كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم
مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٣١﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ

لالتقاء الساكنين ؛ وخطًّا حملاً له على اللفظ ؛ كما كتبوا (سَنَدْعُ الزَّبَانِيَة)[1] فهو مرفوعٌ لا مجزومٌ . ويؤيّده عطف «يُحِقُّ» المرفوع عليه .

٢٥ - ﴿يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ أى من أهل طاعته بالتّجاوز عما تابوا منه . و (عن) بمعنى من .

٢٧ - ﴿لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ أى لَطَغَوْا وعتَوْا جميعًا فيها لِغناهم ؛ من البَغْى وهو الظلمُ وتجاوُزُ الحدّ . والغِنَى : مَبطرةٌ مأشرةٌ . أو لَتَكبّروا فى الأرض . وفعلوا ما يستتبعه الكِبْرُ من العلُوّ فيها والفساد ؛ من البَغْى بمعنى الكبر . ﴿وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ﴾ بتقدير ﴿مَا يَشَاءُ﴾ وهو ما تقتضيه حكمته جلّ شأنه !

٢٨ - ﴿قَنَطُوا﴾ يئسوا من نزوله .

٢٩ - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ ..﴾ أى ومن الآيات الدّالةِ على كمال قدرته الموجبةِ لتوحيده ، وتصديقِ ما وَعد به من البعث : خلقُ السموات والأرض على هذه الصّورة العجيبة والنظام المحكَم . ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ أى وخلْقُ ما فرّق ونَشَر فيهما من دوابّ . والدّابةُ اسمٌ لكل ما دبّ على وجه الأرض أو غيرها . وظاهرهُ وجودُ دوابّ فى السموات . وجوّزه الزّمَخْشَرىّ فقال : يجوز أن يكون للملائكة مشْىٌ مع الطّيران ؛ فيوصَفون بالدّبيب كما يوصف الحيوان . وأن يخلق الله فى السموات حيواناتٍ يمشون فيها مشى الحيوانات فى الأرض . وقال الفرّاء : أراد ما بثّ فى الأرض دون السماء ؛ وهو من نسبة ما فى أحد الشيئين إليهما جميعًا ؛ إذ يصدُقُ أنه فيهما وإن كان فى أحدهما . على نمط قوله تعالى : (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ)[2] وهما إنما يخرجان من الملح . ومن قَبيل : بنو تميم فيهم شاعرٌ مجيدٌ ؛ وإنما هو فى فَخذٍ من أفخاذهم .

٣٠ - ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ﴾ فى مسند الإمام أحمد عن علىّ كرّم الله وجهه قال : ألَا أخبركم بأفضل آية فى كتاب الله حدّثنا بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر الآيةَ ثم قال : (وسأفسّرها لك يا علىّ ما أصابكم من مرض أو عقوبةٍ أو بلاءٍ فى الدنيا فبما كسبت أيديكم والله تعالى أكرم من أن يثنّى عليكم العقوبةَ فى الآخرة . وما عفا الله تعالى عنه فى الدنيا فإنه سبحانه أحلم من أن يعاقب به بعد عفوه) . وقال علىّ : هذه الآيةُ أرجَى آيةٍ فى كتاب الله . وإذا كان يكفّر عنا بالمصائب ويعفو عن كثير . فأىُّ شىء يبقى بعد كفّارته وعفوه .

(١) آية ١٨ العلق . (٢) آية ٢٢ الرحمن .

ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا

٣١ ـ ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾ بفائتين من العذاب بالهرب .

٣٢ ـ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ أى السفنُ الجاريةُ فى البحر كأنها من عظَمها أعلامٌ أى جبالٌ شاهقة . جمعُ جارية وهى السفينة . وسُمّيتْ جاريةً لجَريانها فى الماء . وجمعُ عَلَم وهو الجبل الطويل . وأصلُه الأثرُ الذى يُعلَم به الشىء ، كعَلَم الطريق وعَلَم الجيش ؛ وسُمّىَ الجبلُ عَلَمًا لذلك .

٣٣ ـ ﴿فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ﴾ فيصِرْن ثوابتَ على ظهر البحر لا يجرين . يقال : رَكَدَ الماءُ ركودًا ـ من باب قعد ـ سكن ؛ فهو راكد . وكلُّ ثابتٍ فى مكان فهو راكد .

٣٤ ـ ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا﴾ يُهلكْهن بإرسال الرّياح العاصفة المغرقة ؛ بسبب ما كسبه رُكبانُها من الذّنوب . يقال : أوْبقه ، حبسه أو أهلكه . ووبق ـ كوَعَد ووَجِل ووَرِث ـ وبُوقًا ومَوْبقًا : هَلَكَ . وهو عطفٌ على «يُسْكِن» . والأصلُ : أو يرسلْها ـ أى الريح ـ عاصفةً فيوبقْ ناسًا بذنوبهم ، ويُنْجِ ناسًا بالعفو عنهم . وبهذا ظهر وجهُ جَزْم «يَعْفُ» .

٣٥ ـ ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ ..﴾ بالنصب عطفٌ على مقدَّر ؛ أى لينتقم منهم ويعلَمَ . أو ليُظهر عظيمَ قدرته ويعلَمَ . ﴿مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ ما لَهم مهربٌ من العذاب على مجادلتهم فى آيات الله . يقال : حاص عنه حَيْصًا وحُيوصًا ومحِيصًا ومَحاصًا ، عدل وحاد .

٣٧ ـ ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ عطفٌ على «الَّذِينَ آمَنُوا» . وكبائرُ الإثم : ما رُتّبَ عليها الوعيد ، أو ما وَجب فيها الحدُّ ، أو كل ما نهى الله عنه . والفواحشُ من الذنوب : ما فَحُشَ وعَظُمَ قُبْحُه ؛ وعطفُها من عطف الخاصّ على العامّ .

٣٨ ـ ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ أى شأنُهم إذا حَزَبهم أمرٌ يحتاج إلى مراجعة الرأى : التّشاورُ فيه بينهم . والشُّورَى : مصدرُ شاورته ؛ مثلُ البُشْرَى والذِّكرى . والتّشاورُ والمشاورةُ والمشورةُ : استخراجُ الرأى بمراجعة البعض البعضَ ؛ من قولهم : شِرْت العسل ـ بكسر الشين ـ إذا أخذته من موضعه واستخرجته منه .

٣٩ ـ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾ قال القاضى أبو بكر بن العربى : «ذكر الله الانتصار فى

وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ
ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾
إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ
فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾
وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾
وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَتَرَى
ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن
سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ
ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ
ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم
مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ
فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ
يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم
مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ

البَغْى فى معرض المدح ، وذكر العفوَ عن الجُرم فى موضع آخرَ فى معرض المدح ؛ فاحتَمل أن يكون أحدهما رافعًا للآخر . واحتَمل أن يكون ذلك راجعًا إلى حالتين : إحداهما ـ أن يكون الباغى معلنًا بالفجور ، مؤذيًا للصغير والكبير ؛ فيكون الانتقام منه أفضل . وفى مثله قال إبراهيم النَّخَعِىّ : كانوا يكرهون للمؤمنين أن يُذِلّوا أنفسَهم فتجترئَ عليهم الفُسّاق . الثانيةُ ـ أن يقع ذلك

ممن لم يُعرف بالزّلة ويسأل المغفرة ؛ فالعفو ههنا أفضل . وفى مثله نزل : (وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى)[1] وقولُه : (فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهوَ كَفَّارَةٌ لَهُ)[2] . وقولُه : (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ)[3] . ومثلُه ما ذكره الكِيَا الطَّبَرىُّ فى أحكامه ؛ إلّا أنه عند الانتصار تُراعَى المماثلة لقوله تعالى : «وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا»[4] . وقوله : (فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ)[5] . ﴿يَنْتَصِرُونَ﴾ ينتقمون ممن ظلمهم ولا يعتدون .

٤٠ ـ ﴿فَمَنْ عَفَا﴾ عمن أساء إليه ﴿وأَصْلَحَ﴾ ما بينه وبين المسيئ إليه بالإغضاء عما صدر منه ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ أى فيجزيه الله أعظمَ الجزاء . والمرادُ : التحريضُ على العفو .

٤١ ـ ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ أى بعد ما ظُلِمَ ﴿فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ أى مؤاخذةٍ وملامةٍ ؛ لأنهم أتَوْا بما هو مباح لهم .

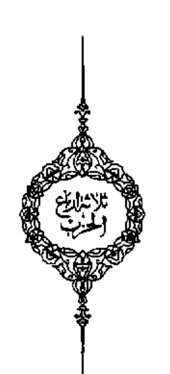
٤٢ ـ ﴿وَيَبْغُونَ فى الأَرْضِ﴾ يفسدون . أو يتجبرون فيها .

٤٣ ـ ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ﴾ على الظلم ﴿وَغَفَرَ﴾ أى تجاوز عن ظالمه ولم ينتصر ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ منه ؛ أى من الأمور التى نُدِبَ إليها .

٤٥ ـ ﴿خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ﴾ خاضعين متضائلين بسبب الذّل ؛

(١) آية ٢٣٧ البقرة . (٢) آية ٤٥ المائدة . (٣) آية ٢٢ النور . (٤) آية ٤٠ الشورى . (٥) آية ١٩٤ البقرة .

حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ * وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾



من الخشوع وهو الانكسار والتواضع . ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ أى يبتدئ نظرهم من تحريكٍ ضعيفٍ لأجفانهم بمسارقة النظر ؛ كما يُرى المصبورُ ينظر إلى السيف . وهكذا الناظرُ إلى المكاره لا يقدر أن يفتح أجفانه عليها ويملأ عينيه منها ؛ كما يفعل فى نظره إلى ما يحبّ . .

٤٧ ـ ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ أى لا تجدون يومئذ مُنكِرًا لما ينزل بكم من العذاب ؛ لاستحقاقكم له عَدْلاً .

٤٨ ـ ﴿فَرِحَ بِهَا﴾ بطر لأجلها .

٥٠ ـ ﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ لا وَلد له ؛ ذكرًا كان أو أنثى . يقال : رجل عَقِيم ، وجمعه عُقَمَاء وعِقَام . وامرأةٌ عَقِيم ، وجمعُها عقائم وعُقْم . وفعلُه كفَرِح ونَصَر وكَرُم وعُنِيَ .

٥١ ـ ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ دلّت الآيةُ على أن تكليم الله تعالى للبشر وقع على ثلاثة أنحاء : الأول ـ بالإلقاء فى القلب يقظةً أو منامًا ، ويُسَمَّى وحيًا ؛ وهو يشمل الإلهامَ والرؤيا المناميَّةَ . مصدرُ وَحَى إليه ـ كوعَى ـ وأوْحَى إليه مثلُه . تقول العرب : وحيتُ إليه وله ، وأوحيت إليه وله ؛ ولغةُ القرآن الفاشيةُ «أوْحَى» بالألف . وأصلُ الوَحْى : الإشارةُ السّريعة . يقال : أمْرٌ وحِىٌّ أى سريع ؛ ثم غَلَب استعمالُه فيما يُلقَى للمصطفَيْن الأخيارِ من الكلمات الإلهيَّة .

الثانى ـ بإسماع الكلام الإلهىِّ من غير أن يرى السامع من يكلّمه ؛ كما كان لموسى عليه السلام ، وكما كان للملائكة الذين كلمهم الله فى قصة خلق آدم ؛ وهو المراد بقوله تعالى : ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ . الثالث ـ بإرسال مَلَك تُرَى صورتُه المعيَّنةُ ، ويُسمع كلامه ؛ كجبريل عليه السلام فيوحى للنبىّ ما أمر الله أن يوحَى به إليه ؛ وهو المعنىُّ بقوله تعالى : ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ . ومعنى الآيةِ على ما اختاره الزَّمَخْشَرِىُّ : وما صحَّ أن يكلِّم الله أحدًا فى حالٍ إلا موحِيًا أو مُسمعًا من وراء حجاب ، أو

(٤٣) سُورَةُ الزُّخْرُفِ مَكِّيَّة
إلا آية ٥٤ فمدنية
وآياتها ٨٩ نزلت بعد الشورى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ

مُرسلاً رسولاً .

٥٢ - ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أى ومثلَ إيحائنا إلى غيرك من الرسل ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا﴾ أى القرآن . ﴿مِنْ أَمْرِنَا﴾ أى بأمرنا . ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ أى شرائعُه ومعالمُه وتفاصيله ، مما لا طريق إلى العلم به إلّا السمعُ ؛ لا أصلُ الإيمان . ﴿صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ دين قويم (دين الإسلام) . والله أعلم .

سُورة الزُّخرُف

٢ ، ٤ - ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ أقسم الله تعالى بالقرآن الذى أبان طريقَ الهدى من طريق الضلال ، وأبان ما يحتاج إليه الناس من الدِّين . وجوابُ القَسَم : ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ..﴾ أى أنزلناه بلسان العرب ؛ لأن كلّ نبىّ أُنزل كتابُه بلسان قومه ؛ ليفهموه ويحيطوا بما فيه . ﴿وَإِنَّهُ﴾ أى القرآنَ ﴿فِى أُمِّ الْكِتَابِ﴾ وهو اللّوح المحفوظ ؛ إذ هو أصل الكتب السماوية ، وكلُّها منقولةٌ منه ؛ قال تعالى : (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ)[1] . (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ . فِى كِتَابٍ مَكْنُونٍ)[2] . (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ . فِى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ)[3] . أو هو العلم الأزلىُّ . ﴿لَدَيْنَا﴾ أى عندنا ﴿لَعَلِيٌّ﴾ رفيعُ القَدْر ﴿حكيمٌ﴾ مُحكَمُ النظم فى أعلى طبقات البلاغة ؛ فلا يضيره تكذيبُ المكذبين ، ولا طعْنُ الطّاعنين .

٥ - ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾ أنهملكم فنُعرض عن أن نذكّركم بالقرآن إعراضًا من أجل إسرافكم على أنفسكم فى كفركم جهالةً منكم ؟ لا يكون ذلك ! يقال : ضربت عنه صفحًا ، إذا أعرضتَ عنه وتركتَه . والصفْحُ : مصدرُ صفحت عنه ، إذا أعرضت عنه ؛ وذلك أن توليَه صفحة وجهك وعنقك . ﴿أَنْ كُنْتُمْ قَوْماً مُسْرِفِينَ﴾ لكونكم مفرطين فى الجهالة والضلالة ؟ لا نتركه .

٦ - ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا﴾ كثيرًا أرسلنا . ﴿فِى الْأَوَّلِينَ﴾ فى الأمم السابقة .

٨ - ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ أى من هؤلاء المسرفين . ﴿بَطْشًا﴾ سطوةً وقوّةً . يقال : بَطش به يَبْطِش وَيَبْطُش ، أخذه بالعُنف والسّطوة . ﴿وَمَضَى﴾ سَلَفَ فى القرآن غيرَ مرّة . ﴿مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ أى ذكرُ قصصهم التى يَحِقُّ أن تسيرَ مَسيرَ المثل لشهرتها .

(١) آية ٣٩ الرعد . (٢) آيتا ٧٧ ، ٧٨ الواقعة . (٣) آيتا ٢١ ، ٢٢ البروج .

لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾

٩ – ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ..﴾ أى ولئن سألتهم عمن خلق هذا العالَمَ ليقولُنَّ: خلقَه الله المتصفُ فى نفس الأمر بالعزة والعلم، لا أنهم يصفونه تعالى بهما. وقولهم: خلقها الله؛ اعتراف منهم بأنه الخالق لكل ما سواه. وأن معبوداتِهم بعضُ مخلوقاته؛ وذلك أسوأ لحالهم وأشدُّ لعقوبتهم. ثم وصف الله نفسَه بصفات خمس، مُوجِبةٍ للإيمان به وإفراده بالعبادة، وفيها من الإلزام لهم بالحجة ما فيه.

١٠ – ﴿مَهْدًا﴾ فَرْشًا لإمكان الاستقرار عليها. وقُرِئَ «مِهادًا» أى فِراشًا. ﴿سُبُلًا﴾ طرقًا تسلكونها. أو معايش.

١١ – ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ بقدر الحاجة وحسبما تقتضيه المصلحةُ. يقال. قَدَرت الثوب فانقدر: إذا جاء على المقدار. ﴿فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا﴾ فأحيينا به بلدةً مُجْدِبَةً، لا نباتَ فيها ولا زَرْع [آية ٢١ الأنبياء ص ٤١٣]. ﴿كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ أى مثلَ ذلك الإنشار والإحياء تبعثون من قبوركم أحياءً؛ فكيف تنكرونه وتتعاظمونه!؟

١٢ – ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ وهى ما يتقلّب فيه الإنسان من خير وشرّ، وإيمانٍ وكفرٍ، ونَفعٍ وضُرّ، وغنًى وفقرٍ، وصحّةٍ وسُقْم، وغير ذلك من المتقابلات. ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ ومن الأنعام وهى الإبل.

١٣ – ﴿لِتَسْتَوُوا﴾ لتستقروا. وتستعلوا. ﴿سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾ ذلّل لنا هذا المَرْكبَ الصَّعْبَ، وجعله منقادًا لنا. ﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ أى مطيقين، من أقرن الشيء وله: أطاقَه وقوى عليه؛ كأنّه صار له قِرْنًا. أى مثله فى الشدة. أو ضابطين. يقال: فلانٌ مقرنٌ لفلان، أى ضابطٌ له.

١٥ – ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ فقالوا: الملائكةُ بناتُ الله.

١٦ – ﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ..﴾ أى بل أَتّخذ لنفسه من خلقه البناتِ، واختار لكم البنين!؟ والاستفهامُ للإنكار والتوبيخ.

١٦ – ﴿وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ أخلصكم وآثركم بهم.

١٧ – ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا..﴾ أى والحالُ أن أحدهم إذا بُشّر بولادة أنثى له، اغتمّ وتربّد وجهُه غيظًا وتأسُّفًا، وهو ممتلئٌ من الكَرْب والكآبة. ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مملوء فى قلبه غيظًا وغمًّا.

أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ * قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ

حزب ٥٠

١٨ ـ ﴿أَوَ مَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ ..﴾ أي أيجترئون ويجعلون لله مَن شأنه وطبيعتُه أن يتربَّى في الزِّينة والنّعمة ، ويستكملَ بهما ، وهو إذا احتاج إلى مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال ، ومنازلة الأقوياء كان غيرَ مبين ؛ أي ليس عنده بيان ، ولا يأتي ببرهان . «وَيُنَشَّأُ» أي يُربَّى ويَشُبّ . يقال : نشأ في بني فلان نشْئًا ونُشوءًا ، إذا شَبَّ فيهم . ونُشِّئَ وأُنْشِئَ بمعنًى .

٢٠ ـ ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ احتجّ المشركون بأن الله تعالى لم يشأ ترك عبادتهم الملائكةَ ، ولو شاء سبحانه ذلك لتحقّق ؛ بل شاء تعالى عبادتها . وتحقّقت ، فتكون مأمورًا بها أو حسنَةً ، ويمتنع أن تكون منهيًّا عنها أو قبيحة . وهي حجةٌ داحضةٌ ؛ فإن المشيئة لا تستلزم الأمرَ ولا الرّضا ، لأنها ترجيحُ بعضِ الممكنات على بعض ، حسنةً كانت أو قبيحة ، وهي تابعة للعلم . والله تعالى قد علم من سوء استعداد الكافر ، وفسادِ فطرته ، أنه لو خُلِّيَ ونفسَه لاختار الكفر دينًا ؛ فأراده منه ، وهو لا يقع في ملكه إلا ما يريد ، لكنه لم يأمره به ولا يرضاه منه ، لأنه تعالى لا يأمر بالفحشاء والمنكر ، ولا يرضى لعباده الكفر . وقد بعث الرّسلَ والأنبياء ، وأنزل الشرائعَ والكتبَ بالتوحيد والنّهي عن الشرك ، وإنذارِ المشركين ؛ فكيف يأمرهم بما نهاهم عنه ! ومن أين علموا رضاه تعالى عن عبادتهم الملائكة ؟ ﴿مَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون [آية ١١٦ الأنعام ص ١٨٨] .

٢١ ـ ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا ..﴾ أي بل آتيناهم كتابًا من قبل القرآن ينطق بصحة ما يدّعونه ، فهم به مستمسكون ؟

٢٢ ـ ﴿بَلْ قَالُوا﴾ بعد عجزهم عن الحجة من العقل أو النقل : ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ على دين وطريقة تُؤَمُّ وتُقصد ، وهي الشرك في العبادة . ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ بهم . فاعترفوا بأنهم لا مستندَ لهم سوى تقليدِ آبائهم ؛ وهم جهلةٌ أمثالُهم .

٢٣ ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي الأمرُ كما ذُكر من عجزهم عن الحجة وتمسّكهم بالتقليد الباطل . وقولُه ﴿مَا أَرْسَلْنَا ..﴾ استئنافٌ مبيِّنٌ لذلك ، دالٌّ على أن التقليدَ فيما بينهم ضلالٌ قديم ، ليس

فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَـٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا

لأسلافهم أيضًا مستنَدٌ غيرُه. ﴿قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ مُنَعَّمُوها. وهم الرؤساء والطُّغاة الذين صرفهم التَّنعُّم وحبُّ البَطالة عن النظر إلى التقليد. جمعُ مُتْرَف. يقال: تَرِف ـ كفَرِح ـ تنعَّم. وأترفتْهُ النِّعمة: أطغته.

٢٥ ـ ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ..﴾ ردٌّ عليهم. أى أتقتدون بآبائكم ولو جئتكم بدينٍ أهدى وأصوبَ مما وجدتموهم عليه من الضلال!؟.

٢٦ ـ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ..﴾ أى اذكر لهم قصة إبراهيم مع أبيه وقومِه، إذ أنكر عليهم عبادةَ الأصنام، ونهاهم عنها، ولم يقلّدهم فى جهالتهم، تمسُّكًا بالبرهان الحق؛ ليسلكوا مسلكه فى النظر والاستدلال، معرضين عن التقليد فيما لا يصح التقليد فيه. وهم لا يمارون فى حقّيَّة دينه. ولا فى أنه أعظمُ آبائهم. ﴿إِنَّنِى بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ أى برىء منهم. وهو مصدرٌ وقع موقع الصّفة وهى برىء مبالغةً. يقال: تبرّأ منه، فهو منه براءٌ ـ بالفتح والمد ـ يستوى فيه الواحد والمثَّى والجمع والمذكَّر والمؤنَّث. وأصلُ البَرَاء والبرْء والتَّبرِّى: التَّفصِّى مما يُكره مجاورته.

٢٧ ـ ﴿إِلَّا الَّذِى فَطَرَنِى﴾ أى لكن الذى خلقنى وأوجدنى ﴿فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ يرشدنى إلى دينه القويم.

٢٨ ـ ﴿وَجَعَلَهَا﴾ أى كلمةَ التوحيد. أو هذه المقالة. ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً﴾ كلمة التوحيد، أو البراءة. ﴿فِى عَقِبِهِ﴾ ذريته إلى يوم القيامة.

٣١، ٣٢ ـ ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ﴾ استعظموا أن ينزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم. وهو فى زعمهم دون عظمائهم جاهًا ومالاً، فقالوا: هلّا نُزّل هذا القرآنُ الذى يزعم محمدٌ أنه وحىٌ من عند الله على رجل عظيم من إحدى القريتين: مكَّة والطّائف! يريدون الوليدَ بنَ المُغيرة المخزومِيّ من مكّة، أو حبيب بنَ عمرو بن عمير الثَّقفِىّ من الطائف فى قول؛ فجهّلهم الله تعالى بقوله: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾ أى أبأيديهم مفاتيحُ الرّسالة فيضعونها حيث شاءوا، ويختارون لها من أرادوا؟ ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وتولّينا تدبير أسبابها بمشيئتنا المبنيَّةِ على الحِكَم والمصالح، ولم نَكِلْه إليهم لعلمنا بعجزهم عنه. ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ

لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَـٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي

﴿فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ فى الرّزق ومبادئ المعيشة ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ أى ليستخدم بعضُهم بعضًا فى حوائجهم ؛ ويسخِّر بعضُهم بعضاً فى مهامِّهم ؛ فيكون بينهم من التعاون والترافُد ما ينتظم به أمرُ المعاش والعُمران . ولو وكَلْنا ذلك إليهم لتهارجوا وتهالكوا ، واختلّ النظام ، وتقوّض العُمران . وإذا كانوا عاجزين عن تدبير أسباب معيشتهم فى الحياة الدنيا ، فما ظنُّهم بأنفسهم فى تدبير أمر الدّين ، وهو أعلى شأنًا وأبعدُ شأْوًا من أمر الدنيا ! وكيف يتحكّمون على الله فى منصب الرّسالة ، ويتخيّرون له من يشاءون ؟ إنهم لا علم لهم بالله ، ولا بحكمه وشئونه وتدبيره ، وقد اصطفى لرسالته من شاء من عباده بإرادته وحِكْمته ، ولا معقّب لحُكْمه . و«سُخريًّا» ـ بضمّ أوّله ـ من التسخير بمعنى التّذليل . يقال : سخَّر الله السفينة تسخيرًا : ذلّلها حتى جرت وطاب لها السير . وكلُّ ما ذلَّ وانقاد وتهيّأ لك على ما تريد فقد سُخِّر لك ؛ وهو سُخرِيّ . ﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ تصغيرٌ لشأن الدنيا .

٣٣ ـ ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ ..﴾ بيانٌ لحقارة الدنيا عنده تعالى . أى لولا كراهةُ أن يكفر الناس جميعاً إذا رأوا الكفار فى سَعَة من الرزق ، بسبب ميلهم إلى الدنيا وتركهم الآخرةَ ، لأعطينا الكفار فى الدنيا ما وصفنا من أسباب التنعم لهوانها علينا ؛ ولكن اقتضت الحكمة أن يكون فيهم الغنيُّ والفقير ، كما اقتضت أن يكون ذلك فى المؤمنين ؛ ليتميّز من يطلب الدنيا للدنيا ، ومن يطلبها لتكون زادًا للآخرة . ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أى مجتمعةً على الكفر . ﴿سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾ جمعُ سَقْفٍ . ﴿وَمَعَارِجَ﴾ مصاعدَ من الدّرَج من فضة . جمعُ مَعْرج . ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ يرتقون .

٣٤ ـ ﴿وَسُرُرًا﴾ من فضة .

٣٥ ـ ﴿وَزُخْرُفًا﴾ ذهبًا أو زينة . أى وجعلنا لهم زُخرفاً ليجعلوه فى السُّقُف والمعارج والأبواب والسُّرر ؛ ليكون بعضُ كلٍّ منها من فضة وبعضه من ذهب . ﴿لَمَّا مَتَاعُ﴾ إلّا متاع .

٣٦ ـ ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَـٰنِ﴾ من يتعامَ ويُعرض عن ذكر الله فلا ينظر فى حججه إلّا كنظر من عشا بصرُه ؛ فلا يخاف سطوته ولا يخشى عقابه ، متّبعاً أقاويلَ المبطلين . ﴿نُقَيِّضْ لَهُ

وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾

شَيْطَانًا﴾ أى نُتِحْ له شيطانًا يستولى عليه استيلاءَ القَيْض على البَيْض فيُغويه . يقال : عشا ـ كدعا ـ وعَشِيَ ـ كرضِيَ ـ إذا ضعُف بصره وأظلمت عينُه ، كأنَّ عليه غشاوة ؛ ومنه ناقةٌ : عَشْواء . وقُرِئ «يعشَ» بفتح الشين بمعناه . ﴿لَهُ قَرِينٌ﴾ مصاحب له لا يفارقه .

٤٤ ـ ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ أى وإن ما أُوحى إليك ـ وهو القرآن ـ لشرفٌ عظيم لك ولقومك أى لقريش . أو للعرب عامّةً . أو لأمّتك . ﴿وسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ يوم القيامة عنه . وعن القيام بحقه .

٤٩ ـ ﴿بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ من كشف العذاب عمن اهتدى .

٥٠ ـ ﴿إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ ينقضون عهدهم بالإيمان فلا يؤمنون . وأصلُه : نكثُ الأكسية والغزْل . وهو قريب من النقض ؛ فاستُعير لنقض العهد .

٥٢ ـ ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾ أى أم تبصرون . ولمّا لم تذكر جملة تبصرون أقيم مقامها جملةُ «أنا خير» ؛ لأنهم إذا قالوا ذلك كانوا عنده بُصراءَ فأقيم السبب مقام المسبّب . ﴿هُوَ مَهِينٌ﴾ ضعيف حقير . ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ أى لا يكاد يبين الكلام من لُثْغة فى لسانه .

٥٣ ـ ﴿أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ﴾ جمعُ سِوار ؛ وهو كناية عن تمليكه . وكانوا إذا سوّدوا رجلاً سوّروه بسوارَيْن ، وطوّقوه بطوق من ذهب ؛ علامةً لسيادته .

﴿مُقْتَرِنِينَ﴾ مقرونين به يصدقونه .

٥٤ ـ ﴿فاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ﴾ طلب منهم الخفّة والسُّرعة لإجابته



فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ * وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾

ومتابعته . أو حملهم على الخفة والجهل .

٥٥ ـ ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾ أسخطونا وأغضبونا أشدَّ الغضب بالإفراط في الفساد والعصيان . منقولٌ بالهمزة ؛ من أسِف أسفًا : إذا اشتدّ غضبه .

٥٦ ـ ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا﴾ قدوةً لمن بعدهم من الكفار في استيجاب مثلِ عقابهم . وهو مصدرٌ وُصف به مبالغةً ؛ ولذا يُطلق على القليل والكثير . يقال : سَلَف ـ كطلب ـ سَلَفًا : أيْ تقدّم ومضى . وسَلَف له عمل صالحٌ : أي تقدّم ؛ ومنه الأسلاف : أي المتقدّمون . وقيل : هو اسمُ جمعٍ لسالف . ﴿وَمَثَلًا﴾ أي عِظَةً وعبْرَةً ﴿لِلْآخِرِينَ﴾ .

٥٧ ـ ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ رُوِيَ أن عبد الله بن الزِّبَعْرَى قبل إسلامه قال للنبيّ صلى الله عليه وسلم وقد سمعه يقرأ ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[1] : أليست النصارى يعبدون المسيح ، وأنت تقول كان نبيًّا ! فإن كان في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه ؟ فضحك كفار قريش ، وارتفعت أصواتهم ؛ وذلك قوله تعالى : ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ . وقُرِئ بضم الصاد ومعناهما : يضجّون ويصيحون فرحًا . يقال : صَدَّ يَصِدُّ ويَصُدّ ، ضجَّ .

٥٨ ـ ﴿وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ أي عيسى ؛ فإذا كان هو في النار فلنكن نحن وآلهتنا معه . وقد أبطل الله قولَهم بقوله : ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ أي لأجل الجدل والغلبة في القول بالباطل ، لا لطلب الحق . ﴿هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ لُدٌّ شِدادُ الخصومة ، مجبولون على اللَّجاج في الباطل . جمعُ خَصِم ـ بفتح فكسر ـ وهو المجادِل .

٥٩ ـ ﴿مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي كالمثل في غرابته ، حيث خلقناه من غير أب ؛ دليلاً على كمال قدرتنا .

٦٠ ـ ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ أي بدلاً منكم . أو بدلكم .

٦١ ـ ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ أي وإن عيسى عليه السلام بنزوله من السماء لَتُعْلَمُ به الساعة . وقُرِئ «لَعَلَمٌ» أي لعلامةٌ على قربها ؛

(١) آية ٩٨ الأنبياء .

فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٦٥) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٦٦) الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (٦٧) يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٣) إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٥) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (٧٦) وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٨)

وهو من أعظم أماراتها ، وجاءت به الأحاديث الصحيحة . ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ فلا تشكُّنَّ فى قيامها .

٦٥ ـ ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ﴾ أى النصارى فيه ؛ فمنهم من قال هو الله ، ومنهم من قال هو ابن الله ، ومنهم من قال ثالث ثلاثة . وكلُّهم ظالمون ؛ إذ لم يقولوا إنه عبد الله ورسوله . ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ هلاكٌ أو عذابٌ ، أو حسرةٌ أو فضيحةٌ للذين ظلموا أنفسهم بالكفر ، وجحودِ أنه عبدُ الله ورسولُه ، وزعْمِهم فيه تلك المزاعمَ الباطلةَ .

٦٦ ـ ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ هل ينتظرون . ﴿بَغْتَةً﴾ فجأةً .

٦٧ ـ ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ﴾ أى الأصدقاء الذين تخللت المحبّة قلوبَهم فى الدنيا . ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ يوم القيامة ﴿إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ الذين تحابُّوا فى الله واجتمعوا على طاعته .

٧٠ ـ ﴿تُحْبَرُونَ﴾ تفرحون وتُسرُّون سرورًا يظهر حَباره ـ بفتح الحاء وكسرها ـ أى أثره على وجوهكم نَضْرَةً وحُسْنًا ؛ من الحَبَر ـ بفتحتين ـ وهو الأثر . أو تُزيَّنون ؛ من الحِبْر ـ بالكسر والفتح ـ وهو الزينة وحسن الهيئة .

٧١ ـ ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ أى بأطعمة وأشربة فى أوانٍ من ذهب . ولم تذكر الأطعمة والأشربةُ للعلم بأنه لا معنى للإطافة بالصحاف والأكواب من غير أن يكون فيها شيء . جمعُ صفحة وكوب ، وهو إناء لا عُرْوة له يُستعمل للشراب .

٧٥ ـ ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾ لا يُخفّف عنهم العذاب ولا يسكن [آية ٢٠ الأنبياء ص ٤١٣] . ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ آيسون من تخفيف العذاب ؛ من الإبلاس وهو الحزن المعترض من شدّة اليأس [آية ٤٤ الأنعام ص ١٧٥] .

٧٧ ـ ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ أى

أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ

باطلهم ﴿وَيَلْعَبُوا﴾ فى دنياهم ﴿حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ﴾ أى يوم القيامة .

٨٤ - ﴿وَهُوَ الَّذِى فِى السَّمَاءِ إِلَهٌ﴾ أى وهو الذى هو فى السماء معبودٌ بحقٍّ . وهو فى الأرض معبودٌ بحقٍّ .

٨٥ - ﴿وَتَبَارَكَ﴾ تعظّم . أو تزايدت بركته وخيراته [آية ٥٤ الأعراف ص ٢٠٧] .

٨٧ - ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ فكيف يُصرفون عن عبادته تعالى إلى عبادة غيره ؟ ويُشركون به مع إقرارهم بأنه خالقُهم ؟ والمرادُ : التعجيبُ من شركهم مع ذلك [آية ٧٥ المائدة ص ١٥٨] .

٨٨ - ﴿وَقِيلِهِ يَارَبِّ﴾ بجرّ اللام ، أى وقولِه . مصدرُ قال ، معطوفٌ على لفظ الساعة . أى وعنده علمُ الساعة وعلمُ قولِ الرّسول صلى الله عليه وسلم : يارَبِّ . أو الواوُ للقَسَم ؛ أى وأقسِم بقول محمد : يارَبِّ . وجوابُ القَسَم قولُه تعالى : ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ . وقُرئ بالنصب عطفًا على محل السّاعة ؛ إذ هى فى محل نصب بالمصدر المضافِ إليها على أنها مفعول له . فكأنه قيل : يعلم الساعةَ ، ويعلم قِيلَه يارَبِّ .

٨٩ - ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ فأعرض عنهم ، ولا تَطمع فى إيمانهم لشدّة كفرهم وعنادهم . ﴿وَقُلْ سَلَامٌ﴾ أى أمرى وشأنى الآن

لِيُمِتْنَا لِنَستريحَ ؛ مِن قَضَى عليه : إذا أماته .

٧٨ - ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ﴾ أى كلَّكم . وعبّر بالأكثر لأن من الأتباع من كَفر تقليدًا .

٧٩ - ﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا﴾ كلام مستأنَفٌ ناعٍ على المشركين ما دبّروا من الكيد للرسول صلى الله عليه وسلم . أى بل أحكموا أمرًا من كيدهم فى دار النَّدْوة ؛ إذ تآمروا على قتله صلى الله عليه وسلم و«بل» للانتقال من توبيخ أهل النار إلى حكاية جناية هؤلاء المشركين . وهمزةُ الاستفهام لإنكار ما وقع واستقباحِه والإبرامُ : الإتقان والإحكام وأصلُه : الفَتْل المحكَم . يقال : أبرم الحبلَ ، إذا أتقن فَتْله . ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ محكِمون كيدَنا بهم باستئصال صناديدهم يومَ بَدْر .

٨٠ - ﴿سِرَّهُمْ﴾ ماحدَّثوا به أنفسَهم من ذلك الكيد . ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾ ما تناجَوْا به ولم يطّلع عليه سواهم .

٨١ - ﴿إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ ..﴾ أى إن صحّ بالبرهان القاطع ذلك فأنا أوّلُ من يعظّم ذلك الولد ، ويسبقكم إلى طاعته ؛ كما يعظِّم الرجلُ ولدَ الملِك . واللّازمُ منتفٍ بالمشاهدة فكذا الملزومُ .

٨٣ - ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا﴾ فى

ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَـٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

(٤٤) سورة الدخان مكية وآياتها ٥٩ نزلت بعد الزخرف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ

مُشاركتُكُم بسلامتكم منّى وسلامتى منكم . والمرادُ به : الإعراضُ عنهم ، والكفُّ عن مقابلتهم بالكلام . ثم هُدّدُوا بقوله تعالى : ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبةَ كفرهم وإصرارِهم . والله أعلم .

سُورةُ الدُّخَانِ

٢ ، ٣ - ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ أقسم اللهُ بالقرآن المبين ؛ إعلاماً ببلوغه غايةَ العظمة ورفْعَةَ القدر . وجوابُ القَسَم : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ﴾ أى ابتدأنا إنزاله على محمد صلى الله عليه وسلم يقظةً ﴿فِى لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ وهى على الصحيح : ليلةُ القدر . ووصفُها بالبركة لزيادة خيرها ، ولاستتباع ما أُنزل فيها منافعَ الخلق الدِّينية والدُّنيوية . ولله تعالى أن يخُصَّ بعضَ الأزمنة والأمكنة بما شاء من الفضل والخير ؛ فيفْضُلُ ما سواه . ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ مخوِّفين ومحذِّرين ؛ أى لأن من شأننا وعادتِنا الإنذارَ بالكتب المنزَّلة . والإنذارُ : إخبارٌ فيه تخويف وترهيب ؛ كما أن التبشير إخبارٌ فيه تأمينٌ وترغيبٌ .

٤ : ٦ - ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ أى فى هذه الليلةِ يُفَصَّلُ ويُبيَّنُ كلُّ أمرٍ ملتبسٍ بالحكمة ، أو مفعولٍ على ما تقتضيه الحكمة . والجملةُ مستأنَفةٌ لبيان تخصيص الإنزال بهذه الليلة . أى وكان إنزالُنا إيَّاه فى هذه الليلة خصوصًا ؛ لأن إنزال القرآن من الأمور الحكيمة . وهذه الليلةُ مفْرِقُ كلِّ أمر حكيم ؛ إذ يُفرق ويبيَّن فيها للملائكة كلُّ أمرٍ من أرزاق العباد وآجالهم ، وجميعِ شئونهم ؛ من هذه الليلة إلى ليلة القَدْر التى تليها من السنة المقبلة . ﴿أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا﴾ منصوبٌ على الاختصاص . أى أعنى به أمرًا عظيمًا صادرًا من عندنا ؛ كما اقتضاه علمُنا وتدبيرُنا . ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ . رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ بدلٌ من قوله تعالى « إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ » ؛ أى أنزلنا القرآنَ لأن من شأننا إرسالَ الرسلِ بالكتب إلى العباد لأجل الرحمة عليهم . وحاصلُ المعنى : أنه تعالى أنزل القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم فى ليلة القدر المباركة ، التى يُبيَّن فيها للملائكة كلَّ أمرٍ حكيمٍ من الأمور المتعلّقة بعباده ، صادرٍ على وَفق علمه وتدبيره ، والقرآنُ من أجلِّها ، وقد أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم رحمة على العباد

وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ * وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾

نصف الحزب

وهدايةً وتعليما ، جريًا على سَنَنه فى خلْقه .

٧ - ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ أى إن كنتم على يقين فى إقراركم حين تُسألون عمّن خلق السموات والأرضَ وما بينهما بأنه الله - علمتم ما يقتضيه من أنه هو المنزّلُ للقرآن ، المرسِلُ لرسوله رحمةً وهدايةً ؛ لظهور اقتضائه إيّاه ظهورًا بيّنًا .

٩ - ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ إبطالٌ لإيقانهم لعدم جريْهم على مقتضاه . أى أنهم ما قالوا ذلك عن جدٍّ وإذعانٍ ، بل قالوه مختلطًا بهزء ولَعب .

١٠ - ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ ورد أنه لما استعصت قريشٌ على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأبى أكثرُهم الإسلامَ قال : (اللّهُمَّ أعنّى عليهم بسبع كسبع يوسُفَ[1] فأصابهم قحط وجَهْدٌ وبلاءٌ ؛ حتى أكلوا العظامَ والميتةَ والجلودَ ؛ ونزلت الآية . وكُنِّىَ عنه بالدُّخَان ؛ لأن الهواء يتكدّر سنةَ الجدْب بكثرة الغبار المشْبه للدُّخَان لقلّة الأمطار المسكِّنة له . ولأنّ الجوعَ الشديدَ تَعرِض فيه للبصر ظلمةٌ من شدة الضَّعف حتى يرى صاحبُه فيما بينه وبين السماء كهيئة الدُّخَان . ثم أتَوْا الرسول صلى الله عليه وسلم فطلبوا أن يستسقى لهم ، ووعدوه بالإيمان إن كشف الله عنهم العذاب بقولهم : (رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ) . فاستسقى ، فسُقُوا الغيثَ مدرارًا ؛ فأنزل الله تعالى : (إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ) . وقد تحقّق ذلك فلم يؤمنوا كما وعدوا !

١١ - ﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾ يشملهم ويحيط بهم .

١٣ - ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى﴾ من أين لهم الاتّعاظُ بشىء من ذلك !

١٤ - ﴿وَقَالُوا﴾ معرضين عنه ، تارةً : ﴿مُعَلَّمٌ﴾ يعلّمه بشرٌ ، وتارةً : ﴿مَجْنُونٌ﴾ اختلط عقلُه .

١٦ - ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ هو يوم بدر . وقيل يومُ القيامة ؛ من بطَشَ به يبطِشُ ويبطُشُ : إذا أخذه بعُنْف وقوّة .

١٧ - ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ امتحنّاهم بإرسال موسى

(١) رواه البخاري .

وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾

عليه السلام. أو أوقعناهم فى الفتنة بالسَّعة فى الرزقِ والإمهالِ حتى طَغَوْا.

١٨ - ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ﴾ أى أدُّوا إلىّ حقَّ الله من الإيمان به، وقبولِ الدّعوة إليه يا عبادَ الله. و«أنْ» مفسّرةٌ أو مخفَّفةٌ.

١٩ - ﴿لَا تَعْلُوا﴾ لا تتكبروا. أو لا تفتروا. ﴿بِسُلْطَانٍ﴾ حجة وبرهان على صِدْقى.

٢٠ - ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ اعتصمت بربّى وربّكم، واستجرتُ به منكم أن تؤذونى ضربًا أو شتمًا، أو تقتلونى. يقال: عاذ بالله عَوْذًا ومَعاذًا ومعاذةً. لجأ إليه واستجار به.

٢١ - ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ﴾ فكونوا بمعزل منّى، لا علىّ ولا لِىَ! ولا تتعرّضوا لى بسوء.

٢٣ - ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي﴾ أى سِرْ ببنى إسرائيلَ ومَن آمن بك من القبط من مِصْرَ بقِطْعٍ من الليل. وهمزتُه للقَطْع؛ من أَسْرَى يسرى إسراءً. وقُرئ بهمزة الوصل؛ من سَرَى يَسرى سُرًى. ﴿لَيْلاً﴾ تأكيدٌ له بغير اللفظ؛ إذ الإسراءُ والسُّرَى: السَّيْرُ ليلاً. ﴿إِنَّكُم مُتَّبَعُونَ﴾ يتبعكم فرعون وجنوده.

٢٤ - ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ اتركه ساكنًا على هيئته التى هو عليها بعد ضربه بالعصا؛ ليدخله القبط، فإذا حصلوا فيه أطبقه الله عليهم. يقال: رَهَا البحرُ يَرْهُو، سكن. وجاءت الخيل رَهْوًا: أى ساكنةً. أو اتركه مفتوحًا على حاله منفرجاً؛ من رَها الرّجُل رهوًا: فتح بين رجليه وفرّج بينهما. وهو حالٌ من البحر. والمرادُ به: البحرُ الأحمر. ﴿جُنْدٌ﴾ جماعة.

٢٦، ٢٧ - ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ مَحافِلَ مزيَّنةٍ، ومنازلَ حسنةٍ. ﴿وَنَعْمَةٍ﴾ أى تنعُّمٍ وترفُّهٍ. أو نضارةِ عيشٍ ولذاذته. والمرادُ بها: ما يُتَنعَّم به. ﴿كَانُوا فِيهَا﴾ أى فى تلك النّعمة. ﴿فَاكِهِينَ﴾ متنعّمين. جمعُ فاكهٍ، وهو المستمتع بأنواع اللّذة كما يتمتّع الآكلُ بأنواع الفاكهة. وقُرئ «فَكِهِينَ» وهما لغتان بمعنًى واحد؛ كالحاذر والحَذِر، والفَاره والفَرِه.

٢٩ - ﴿وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ مؤخَّرين إلى وقتٍ آخرَ فى الدّنيا؛ لتوبةٍ وتدارك تقصير. أو إلى يوم القيامة؛ بل عُجِّل لهم العذابُ فى الدنيا.

٣١ - ﴿كَانَ عَالِيًا﴾ متكبرًا جبارًا.

٣٢ - ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أى عالَمى زمانِهم؛ بدليل قوله تعالى لهذه الأمة: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)[1].

(١) آية ١١٠ آل عمران.

وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْـَٔايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ

٣٣ - ﴿بَلَاءٌ مُبِينٌ﴾ نقْمةٌ ظاهرة ، أو اختبارٌ ظاهرٌ بالرخاء والشّدة ، والنِّعَم والنِّقم ؛ لننظر كيف يعملون .

٣٤ - ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ أى مشركى مكةَ . وهو تتمّةٌ لما سبق من الكلامِ فى شأنهم . وذِكرُ قصةِ فرعونَ وقومِه فى الوسط للدلالة على أنهم أشباهٌ فى الإصرار على الضلالة وفى سوء العاقبة .

٣٥ - ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾ وما نحن بمبعوثين بعدها ؛ من أنشر الله الموتى نشورًا : أحياهم ؛ فهم منشرون .

٣٧ - ﴿أَهُمْ﴾ فى القوّة ﴿خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ هو تُبّعٌ الحِمْيَرِىُّ أبو كَرِب أسعدُ بن مليك ، أحدُ ملوكِ التَّبابعة . وكان مؤمنًا ، وإليه تُنسب الأنصارُ . وكان قومُه كفارًا فأهلكهم الله . ولم تُغن عنهم قوّتُهم من الله شيئًا . وتُبّعٌ : لقبٌ لكل مِلكٍ مَلَكَ اليمن والشَّحَر وحَضْرَمَوْت ؛ مثلُ كِسْرَى للفُرْس ، وقيْصَر للرُّوم ، وفرعونَ لمصر .

٤٠ - ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ بين المحقّ والمبطل . ﴿مِيقَاتُهُمْ﴾ أى وقت موعدِهم ﴿أَجْمَعِينَ﴾ .

٤١ - ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا﴾ لا يدفع قريبٌ عن قريبه ، ولا صديقٌ عن صديقه شيئًا من العذاب . والمَوْلَى : يُطلق على القريب ؛ كابن العمّ ونحوه . وعلى الصاحب والحَليف .

٤٣ : ٤٦ - ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ﴾ [آية ٦٢ الصافات ص ٥٦٨] . ﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ كثير الآثام وهو الكافر . ﴿كَالْمُهْلِ﴾ كالنُّحاس المذاب [آية ٢٩ الكهف ص ٣٨٠] . ﴿الْحَمِيمِ﴾ أى الماء البالغ غايةَ الحرارة .

٤٧ - ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ﴾ يقال للزّبانية : خذوا الأثيمَ الفاجر ؛ فجرُّوه بقَهْر وسُوقوه بعُنف إلى ﴿سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ وسطِها ؛ من العَتْل وهو الأخذ بمجامع الشىء وجرُّه بقَهْر . يقال : عتلتُ الرجل أعتُله وأعتِله عتْلاً . إذا جذبتَه جذْبًا عنيفاً . وسقتَه بجفاء . وقُرئ بضم التاء .

٥٠ - ﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ إن هذا العذابَ هو ما

هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

(٤٥) سورة الجاثية مكية

إلا آية ١٤ فمدنية
وآياتها ٣٧ نزلت بعد الدخان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾

كنتم فيه تجادلون وتخاصمون في الدنيا على مذهب الشك والرِّيبة . وقد كانوا في إنكار البعث صِنفين : صِنف يجحده وهم أئمة الكفر . وصِنفٌ حائرٌ فيه . يجحده إذا سمع مقالَة أولئك . ويشكّ فيه إذا سَمِع الآياتِ الدّالةَ عليه ؛ ومَنشأُ هذه الحَيْرةِ عدمُ التصديق بالرسالة ، والإيمانِ بصدْق الخبر مع الجهالة وفساد الاستعداد .

٥٣ - ﴿سُندُسٍ﴾ ماركّ من الحرير . واحده سُندسة . ﴿وإستبرقٍ﴾ ما غَلُظ منه .

٥٤ - ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أى الأمرُ كذلك . ﴿بِحُورٍ﴾ يَحار فيهن الطّرف لفَرط حسنهن ، وجمال بياضهن ، وصفاء ألوانهن ؛ جمعُ حوراء ، وهى التى يَحار فيها الطرف . أو البيضاء ؛ من الحَوَر وهو البياض . ﴿عِينٍ﴾ جمعُ عيناء ، أى واسعة العينَيْن .

٥٥ - ﴿يَدْعُونَ فِيهَا﴾ يطلبون فيها .

٥٨ - ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ سهّلنا عليك تلاوته وتبليغَه إليهم ، منزّلاً بلغتك ولغتهم . ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ كى يتّعظوا فيؤمنوا به ويعملوا بما فيها ؛ لكنهم لم يتعظوا ولم يؤمنوا .

٥٩ - ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾ فانتظر ما يحلّ بهم إنهم ينتظرون ما يحلّ بك ؛ كما قالوا : (نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ)[1] . والله أعلم .

سُورَةُ الْجَاثِيَةِ

٣ - ﴿إِنَّ فِى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ..﴾ اشتملت هذه الآياتُ الثلاثُ على ستّة أدلّة كونيّة : خلْقُ السماوات والأرض ؛ والمتأمّلُ فيهما يعلم أنه لابُدّ لهما من صانع حكيم ، فيؤمن به . وخلْقُ الإنسان وانتقالُه فى أطواره . وخلْقُ ما على الأرض من صنوف الحيوان ؛ والمتأمل فيهما وفى ارتباط تكوّنهما بالعالَم العُلْوىّ يصل بالتأمّل إلى مرتبة اليقينَ ، والحوادثُ المتجدّدةُ فى كل وقت من اختلاف الليل والنهار . ونزولُ

(١) آية ٣٠ الطور .

وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٧﴾ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ شَيۡـٔٗا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدٗىۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ۞ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ

الأمطار الذى به حياةُ الأرض بالنبات . وتقلّبُ الرياح وآثارُها فى البر والبحر ؛ والتأمّلُ فيها يؤدّى إلى استحكام العلْم وقوّة اليقين ، وذلك لا يكون إلا بالعقل الكامل ؛ ولذا ختمت كلُّ آية بما يناسب ما سبق فيها من الدليل .

٤ ـ و ﴿يَبُثُّ﴾ أى ينشر ويفرّق [آية ١٠ لقمان ص ٥١٧] .

٥ ـ ﴿وتَصْريفِ الرِّيَاحِ﴾ تقليبها من جهة إلى أخرى ، ومن حالة إلى حالة [آية ١٦٤ البقرة ص ٣٨] .

٦ ـ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ﴾ أى بعد حديثِ الله الذى يتلوه عليكم الرسول وهو القرآن . وقد جاء إطلاق الحديث عليه فى قوله تعالى : (اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِىَ)(1) . ﴿وَآيَاتِهِ﴾ دلائله وحججه ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ .

٧ ـ ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ هلاكٌ ، أو عذابٌ ، أو حسرةٌ لكل كذّابٍ كثيرِ الإثم . ويدخل فى الآية من نزلت فيه دخولاً أوليًّا : أبو جهل ؛ أو النضر بن الحارث وكان يشترى أحاديثَ الأعاجم لِيُلْهِى الناسَ بها عن سماع القرآن .

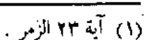
٨ ـ ﴿ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا﴾ ثم يقيم على كفره وضلاله ، مستكبرًا عن الإيمان بالآيات . والإصرارُ على الشىء : ملازمتُه وعدمُ الانفكاك عنه ؛ من الصَّرّ وهو الشدّ . ومنه صُرّة الدراهم .

٩ ـ ﴿اتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾ اتّخذ الآياتِ هزوًا وسخريةً .

١٠ ـ ﴿وَلَا يُغْنِى عَنْهُم ..﴾ لا يدفع عنهم ..

١١ ـ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ﴾ مؤلمٌ موجعٌ من أشدِّ العذاب . والرِّجْز : يُطلق على أشد العذاب وعلى العذاب . وقُرِئ « أليمٍ » بالجر على أنه صفةٌ لـ « رجْزٍ » .

١٤ ـ ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا ..﴾ حثٌّ للمؤمنين على التجاوز والصّفح عما يصدر من المشركين



(1) آية ٢٣ الزمر .

يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾

من الكلمات البذيئة المؤذية ، وعلى ترك منازعتهم بمثلها . أى قل للمؤمنين اغفروا يغفروا للمشركين الذين لا يتوقّعون وقائع الله بأعدائه . ﴿لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ لا يتوقعون وقائعه بأعدائه . ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا﴾ أى أمِروا بذلك ليجزيهم الله يومَ القيامة بما كسبوا فى الدنيا من الأعمال الصالحة ، ومنها الصبرُ على أذى الكفار ، والإغضاءُ عنهم ، واحتمالُ المكروه منهم .

١٦ - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ..﴾ أنعم الله على بنى إسرائيل بنعم كثيرةٍ ، منها هذه النعمُ المذكورةُ فى الآية فلم يشكروها ؛ بل اختلفوا فى أمر الدّين بَغيًا وحَسَدًا . فكذلك كفارُ مكة جاءهم الهدى فأصَرُّوا على الكفر ، وأعرضوا عن الإيمان عداوةً وحسدًا . والكتابُ : التوراةُ . والحُكْمُ : الفصلُ بين الناس فى الخصومات . والبيناتُ : الدلائلُ الظاهرة ؛ ومنها معجزات موسى عليه السلام .

١٧ - ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ عداوةً وحسدًا فيما بينهم . والبَغْىُ : طلبُ تجاوز الاقتصاد فيما يُتحرَّى ، والمذمومُ منه : تجاوزُ الحقّ إلى الباطل ؛ ومنه العداوة بغير حق ، والحسدُ على النّعمة .

١٨ - ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ على طريقة ومنهاج واضحٍ من أمرنا الذى أمرْنا به مَن قبلك من رسلنا ؛ من شرَعه : إذا سَنّه ليُسلك . والشّريعةُ فى الأصل : ما يَرده الناس من المياه والأنهار . وجمعُها شرائع ، واستُعيرت للدِّين ؛ لأن العباد بأخذهم به تحيا نفوسُهم كما يحيا العطاش بالماء .

١٩ - ﴿لَن يُغْنُوا عَنكَ﴾ لن يدفعوا عنك .

٢٠ - ﴿بَصَائِرُ لِلنَّاسِ﴾ بينات تبصِّرهم سبيل الفلاح .

٢١ - ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ اكتسبوا ما يسوء من الكفر والمعاصى ؛ من الاجتراح وهو الاكتساب [آية ٤ المائدة ص ١٤٣] - أى بل أَحَسِبُوا أن

وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ

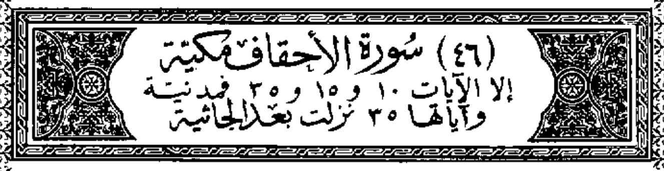
نُسوِّىَ فى الدنيا وفى الآخرة بينهم مع اجتراحهم السيئات وبين أهل الحسنات ! كلاًّ ! لا يستوون فيهما ؛ فإنّ المحسنين فى عِزِّ الإيمان والطاعةِ وشرفهما فى الْمَحْيَا ، وفى رحمة الله ورضوانه فى الممات . والمسيئين فى ذُلّ الكفر والعصيان وهوانهما فى المحيا ، وفى لعنة الله وعذابه فى الممات . ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أى بئس حُكمًا حُكْمُهم أن نسوِّىَ بين الفريقين .

٢٣ ـ ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ أى أخبرنى ! أو أنظرتَ مَن هذه حالته فرأيته .. ! فإن ذلك مما يقضى منه العجب . ﴿مَنِ اتَّخَذَ إِلَـٰهَهُ هَوَاهُ﴾ جعل هواه معْبودَه يخضع له ويطيعه ؛ كما يخضع العابد لمعبوده . ﴿وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾ فلا يتأثّر بموعظة ، ولا يتفكَّر فى آية . ﴿وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ أى غطاءً فلا يُبصر هُدًى . والكلامُ تمثيلٌ بليغ .

٢٤ ـ ﴿وَقَالُوا مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ أى ما الحياةُ إلا هذه الحياةُ الدنيا التى نعيش فيها ؛ وليس هناك حياةٌ أخرى بعد الممات ! ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ أى مرورُ الزمان . وكانوا ينسبون الأفعال إلى الدهر لا إلى الله تعالى .

٢٨ ـ ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ أى وترى يوم تقوم السَّاعة أهلَ كُلِّ ملةٍ ودينٍ عند الحساب من هوْل الموقف باركين على الرُّكب ، مستوفزين على هيئة المُذْنب المنتظرِ لما يكره ؛ من الجُثُوّ وهو

بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾



الجلوس على الرُّكَب . يقال : جثا على ركبتيه يجثو ويجثى جُثُوًّا وجُثِيًّا . ﴿تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾ إلى سِجلّ أعمالها الذى أمر الله الحَفَظَةَ بكتابته لتحاسَب عليه .

٢٩ ـ ﴿نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ نأمر حفَظَتنا بنسخ أعمالكم ، أى بكتابتها وتثبيتها عليكم فى الصُّحف ، حسنةً كانت أو سيئةً . فالمرادُ بالنسخ : الإثباتُ لا الإزالةُ .

٣٢ ـ ﴿إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ هذا قول المتحيِّرين منهم بين ما يُتلَى عليهم من الآيات فى أمر الساعة . وبين ما يسمعونه من أكابرهم وآبائهم . ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ أى بموقنين أن الساعة آتية . والكافرون بالبعث ـ كما قدمنا ـ صنفان : جاحدٌ له بإصرار ، وحائرٌ بين الجحود والشك [آية ٧ الدُّخان ص ٦٢٩ ، ٦٣٠] .

٣٣ ـ ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ نزل أو أحاط بهم .

٣٤ ـ ﴿نَنْسَاكُمْ﴾ نترككم فى النار . واستعمالُ النِّسيان فى الترك مجازٌ بعلاقة السببيّة . ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ﴾ منزلكم ومقركم النار .

٣٥ ـ ﴿اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللهِ هُزُوًا﴾ مهزوءًا بها ، ولم ترفعوا لها رأسًا . ﴿وَغَرَّتْكُمُ﴾ خدعتكم ببهرجها . ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أى لا يُطلب منهم أن يُزيلوا عَتْب ربِّهم عليهم ؛ وهو كنايةٌ عن إرضائه تعالى . أى لا يُطلب منهم إرضاؤه عزّ وجلّ فى ذلك اليوم لفوات أوانه [آية ٨٤ النحل ص ٣٥٣] .

٣٧ ـ ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ﴾ العظمة والملك . أو كمالُ الذات وكمالُ الوجود . والله أعلم .

سُورَةُ الأحْقَافِ

٣ ـ ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أى إلَّا خَلْقًا متلبِّسًا بالحقّ الذى تقتضيه المشيئةُ الإلـهيّة ، والحكمةُ الرّبانيّة . ﴿وَأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ أى وإلّا بتقدير أمَدٍ معيَّن لبقاء هذه المخلوقات تفنَى فى نهايته ؛ وذلك عند قيام

قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ

الساعة . والأجلُ : المدّةُ المضروبة للشيء . ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا﴾ من قيام الساعة وحدوثِ أهوالها والبعثِ في اليوم الآخر والجزاءِ ﴿مُعْرِضُونَ﴾ .

٤ ـ ﴿أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ .﴾ أي أخبروني . ومفعول «أرأيتم» الأوّل هو «ما تَدْعُونَ» ، وجملة «مَاذَا خَلَقُوا» سَدّت مَسَدّ مفعولها الثاني . وقولُه «أروني» تأكيدٌ لها ؛ لأنها بمعنى أخبروني . ﴿مِنَ الأَرْضِ﴾ أي العوالِم السُّفْلية تفسيرٌ لقوله «مَاذَا خَلَقُوا» . ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ أي بل ألهم شِركةٌ معه تعالى في خلق السماوات ، أي العوالم العُلْويّة . يقال : شَرِكه في البيع يَشْرَكه ـ مثلُ عَلِمه يَعْلَمه ـ شِرْكَةً ؛ والاسمُ الشِّرْك ، وجمعُه أشراك .

﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ﴾ إلهيٌّ دَالٌّ على صحة دينكم !! والأمرُ للتبكيت بعَجْزهم عن الإتيان بدليل نقليّ ، بعد تبكيتهم بالعجز عن الإتيان بدليل عقليٍّ . ﴿مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ الكتابِ ؛ أي القرآنِ الناطق بإبطال الشرك . ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾ بقيّةٍ من علم يؤثَر عن الأوّلين ويُسند إليهم ، شاهدةٍ باستحقاقهم العبادَةَ . و﴿أَثَارَةٍ﴾ ـ بفتح الهمزة ـ مصدرٌ كالسماحة ، معناها البقيّة . يقال : سَمِنَت الناقة على أثارة ، أي على عَتِيق شَحْم كان عليها قبل ذلك ؛ فكأنها حملت شحمًا على بقيّة شحمها .

٨ ـ ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ بل أيقولون اختلق القرآن وتقوّله محمّــدٌ !؟ من الافتراء وهو الاختلاق والكَذِب . والاستفهامُ للإنكار والتّعجيب . ﴿تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أي تندفعون فيه من القدح في آيات القرآن ؛ من الإفاضة ، وهي الأخذ في الشيء باندفاع . وأصلُه من فاض الماءُ : إذا سال منصبًّا . وأفاض إناءه : إذا ملأه حتى أساله .

٩ ـ ﴿مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ﴾ ما كنتُ أوّلَ الرسل الذين جاءوا بكتاب من عند الله ؛ بل كان قبلي رُسلٌ كثيرون أُرسلوا بالكتب إلى أُمَمٍ قبلكم ، فكيف تنكرون عليّ ما جئتكم به ؟ يقال : هو بِدْعٌ في هذا الأمر ، أي أوّلٌ لم يسبقه أحد . أو ما كنت بديعًا منهم ؛ أي

وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

لستُ مبتدِعًا لأمر يخالف ما جاءوا به من الدعوة إلى التوحيد . فهو صفةٌ مشبَّهة ، كخلّ بمعنى خليل ؛ من الابتداع وهو الاختراع . ﴿وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ لا أعلم من تلقاء نفسى ما سيفعله الله بى ولا بكم مما لا سبيل إلى العلم به إلا الوحى ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ أى ما أفعل إلا اتباعَ ما يوحيه الله إلىَّ ؛ فلا أعلم ما لم يوح إلىّ من الغيب ولا أُخبر به .

١٠ ـ ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبرونى ماذا حالكم . ﴿وَكَفَرْتُم بِهِ﴾ أى وقد كفرتم به ؛ أى بالقرآن المُوحَى إلىّ به . ﴿وشَهِدَ شَاهِدٌ﴾ عظيمُ الشأن ﴿مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ﴾ الواقفين على أسرار الوحى بما أوتوا من التوراة . ﴿عَلَى مِثْلِهِ﴾ أى على مثل القرآن من المعانى المنطوية فى التوراة ، من التوحيد والبعث والوعد والوعيد وغير ذلك من أصول الشرع ؛ فإنها فى الحقيقة عيْنُ ما فيه . ﴿فَآمَنَ﴾ بالقرآن ﴿وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عن الإيمان به . وجوابُ الشرط محذوف ؛ أى فقد ظلمتم . والمرادُ بالشاهد : عبدُ الله بن سَلَام من مؤمنى اليهود ، وكان من العلماء بالتوراة .

١١ ـ ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا﴾ أى لو كان القرآنُ الذى جاء به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ خيرًا . ﴿مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ أى ما سبقنا إليه أولئك الضعفاءُ الفقراء ؛ كعمّار وبلالٍ وأضرابهما ﴿فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ أى فسيقول الكافرون الذين لم يهتدوا بالقرآن : هذا القرآنُ كذب قديمٌ من أخبار الأوّلين ، نسبه محمّدٌ إلى ربّه . وهو كقولهم : (أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً)(1) . والإفكُ : الكذبُ .

١٣ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ..﴾ أى جمعوا بين التوحيد الذى هو خلاصة العلم ، وبين الاستقامة فى الدّين التى هى منتهى العمل .

١٥ ـ ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ أمرناه أن يُحسن إليهما إحسانًا ، ويَبَرَّهُما بصنوف البرّ فى حياتهما وبعد مماتهما . والإحسانُ : خلافُ الإساءة . وقُرئ «حُسْنًا» . نزلت هذه الآية إلى قوله «وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِى كَانُوا يُوعَدُونَ» فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه . وهو مَثَلٌ رفيعٌ فى الجمع بين التوحيد والاستقامة فى الدّين . ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أى ذاتَ كُرْهٍ ومشقّة أثناء ثقل الحمل والوضع ؛ منصوبٌ على الحال من الفاعل . وقُرئ بفتح الكاف ، وهما لغتان بمعنًى ؛ كالضَّعف والضُّعف . ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ﴾ مدة حمله وفطامه من

(1) آية ٥ الفرقان .

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ

الرضاع . ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ أى بلغ زمنَ استحكام القوّة وكمال العقل ، وقُدّر بثلاث وثلاثين سنة ؛ لكونه آخرَ سنِّ النُّشوء والنمّاء . ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ هو أكبر الأشدِّ وتمامُ الشباب ؛ وهو سنّ النبوّة عند الجمهور. ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ رغِّبنى ووفّقنى إلى شكر نعمتك [آية ١٩ النمل ص ٤٨٢] .

١٦ - ﴿وَعْدَ الصِّدقِ﴾ وَعَدهم الله وعْدَ الصدق ؛ أى وعدًا صادقًا .

١٧ - ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ﴾ عند دعوتهما إيّاه إلى الإيمان . والمرادُ به الجنس ؛ فهو فى معنى الجمع ؛ ولذا أخبر عنه بقوله : (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) . ﴿أُفٍّ لَكُمَا﴾ إظهارًا لتضجُّره ؛ وهو صوتٌ يصدر عند التّضجُّر . أو اسمٌ للفعل الذى هو أتضجّر . ﴿أَنْ أُخْرَجَ﴾ أُبعثَ من القبر بعد الموت . ﴿خَلَتِ الْقُرُونُ﴾ مضت الأمم ولم تُبْعَث . ﴿وَيْلَكَ﴾ أى يقولون له «ويلك» . وهى فى الأصل كلمةُ دعاء بالثّبور والهلاك ؛ وهى مصدرٌ منصوبٌ بفعل ملاق له فى المعنى الأصلى ، أى هَلَكت هلاكًا . والمرادُ بها هنا : حثُّ المخاطَب وتحريضُه على الإيمان ، لا الدعاءُ عليه بذلك . ﴿آمِنْ﴾ أمرٌ بالإيمان ، وهو من جملة مقولها ، وكذا ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ . ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ خرافاتُهم وأباطيلُهم التى سطّروها فى كتبهم .

١٨ - ﴿أُولَٰئِكَ﴾ خبرُ «وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ» كما قدّمنا . ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ هو قوله تعالى لإبليس : (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ)[1] . ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ مضت وتقدمت .

٢٠ - ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا ..﴾ أى يُعذَّبون بها ؛ من

(١) آية ٨٥ ص .

ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ * وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾

ربع الحزب

قولهم : عُرِضَ الأسرى على السيف . إذا قتلوا به . ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ﴾ أى يقال لهم ذلك . ﴿عَذَابَ الْهُونِ﴾ أى الهوان . أو الخزى .

٢١ - ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ هو هود عليه السلام ﴿إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ جمعُ حِقْف . وهو فى الأصل : ما استطال من الرّمل واعوجّ ، ولم يبلغ أن يكون جبلاً . أو جمعُ حِقَاف الذى هو جمعُ حِقْف . والمرادُ بها : منازلُ عادٍ الأُولى باليمن . وكانت فى شمال حَضْرَمَوْت ، وفى شمالها الرّبْع الخالى ، وفى شرقيّها عُمَان . وموضعُها اليومَ رمالٌ خالية ؛ وكان أهلُها من أشد الناس قوّةً .

٢٢ - ﴿لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾ لتصرفَنا عن عبادة آلهتنا إلى عبادة ما تدعونا إليه وإلى اتّبَاع قولك ! أو لتزيلنا عن عبادتها بالافك والكذب [آية ٧٥ المائدة ص ١٥٨] .

٢٤ - ﴿رَأَوْهُ عَارِضًا﴾ أى رأوه سحابًا عارضًا فى أفق السماء . والعربُ تُسَمِّى السحابَ - الذى يُرَى فى بعض آفاق السماء عشيًّا ، ثم يُصبح من الغد قد استوى وحبَا بعضه إلى بعض - : عارضًا ؛ وذلك لعَرْضه فى بعض أرجاء السماء حين نشأ .

٢٥ - ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ تُهلِكُ كلَّ شىء تمرُّ عليه ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ إيّاها بإهلاكه .

٢٦ - ﴿فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ أى فى الذى لم يُمكنكم فيه من السَّعة والبسطة والقوّة . ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ﴾ فما دفع عنهم . ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ نزل وأحاط بهم .

٢٧ - ﴿وَصَرَّفْنَا الآيَاتِ﴾ كرّرناها بأساليبَ مختلفة ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عمّا هم فيه من الكفر والمعاصى إلى الإيمان والطاعة ؛ فلم يرجعوا .

فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةَۢ بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾

٢٨ – ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ﴾ فهلا منعهم من الهلاك ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ﴾ أى الآلهة الذين اتخذوهم من دون الله ﴿قُرْبَانًا﴾ متقرَّبًا بها إلى الله فى زعمهم ؛ حيث قالوا : (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى)[1] وأصلُه : كلُّ ما يُتقرَّب به إلى الله تعالى من طاعة أو نَسِيكة ؛ وجمعُه قرابين . وهو حالٌ من (آلهةً) الواقعةَ مفعولاً ثانيًا لـ «اتَّخَذُوا» . ﴿وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ﴾ أى ضلالُ آلهتهم عنهم ، أثرُ إفكِهم وكذبهم الذى هو اتخاذُهم إيّاها آلهةً ، وزعمُهم أنها تقرِّبهم إلى الله تعالى .

٢٩ – ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ ..﴾ أى واذكر لقومك إذ وجَّهْنا إليك جماعةً من الجنِّ ، وكانوا من جنٍّ نَصيبِين من ديار بكر قُرب الشام . أو من جنٍّ نِينَوى قُرْب الموصل . وكان عليه الصلاة والسلام يصلّى بأصحابه صلاةَ الفجر بنَخلة فى طريق الطائف ، بينها وبين مكّةَ مسيرةُ ليلة ، ويقرأ سورةَ العَلق – وقيل سورة الرحمن – فاستمعوا للقرآن ، ثم عادوا إلى قومهم منذِرين . ﴿أَنْصِتُوا﴾ اسكتوا واصغوا لنسمعه . ﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾ فُرِغَ من التلاوة . وعن ابن عباس : أن النبىَّ صلى الله عليه وسلم لم يشعر بهم فى هذه الواقعة ؛ ولم يقصد إبلاغَهم القرآنَ ، وإنما صادف حضورُهم وقتَ قراءته ؛ ويؤيّدُه ظاهرُ آية «قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ»[2] . وهم المعنيُّون فى هذه الآية . ولايعارضه ماروِى عن ابن مسعود من ذهابه صلى الله عليه وسلم إلى الجن ، وإبلاغِهم القرآنَ وإنذارِهم به ؛ فإنه فى واقعة أخرى . بل دلّت الأحاديثُ على أن وفادةَ الجنّ كانت ستَّ مرّات ؛ ولتعدد الوقائع اختلفت الروايات فى عدد الجن الذين حضروا ، وفى المكان والزمان . والمقصودُ من ذكر القصة : توبيخُ كفار مكة ؛ إذ كفروا بالقرآن وجحدوا أنه من عند الله ، وهم أهل اللسان الذى نزل به القرآن ، ومع ذلك عجزوا عن معارضته ، ومن جنس الرسول الذى جاء به ؛ والجنُّ – وهم ليسوا من أهل لسانه ، ولا من جنس الرسول – استمعوه وأنصتوا إليه ، وآمنوا به بمجرّد سماعه . والنَّفَرُ – بفتحتين – : ما بين الثلاثة والعشرة ، ويطلق على ما فوق العشرة إلى الأربعين .

٣٢ – ﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ﴾ له فائت منه بالهرب .

٣٣ – ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا ..﴾ أى ألم يتفكَّروا ولم يعلموا ﴿أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أى العالَمْين العُلْوىّ والسُّفلىّ ﴿وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ لم يَتْعَب ولم يَنْصَب به ؛ من عَيِىَ بالأمر وعيَّ – كفَرِح – إذا تعب ، أو لم يعجز عنه ولم يتحيّر فيه ؛ من عَيِىَ بأمره وعيَّ : إذا لم يهتد لوجهه ، وانقطعت حيلته

(١) آية ٣ الزمر . (٢) آية ١ الجن .

وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾

(٤٧) سورة محمد مدنية
إلا آية ١٣ فنزلت فى الطريق أثناء الهجرة
وآياتها ٣٨ نزلت بعد الحديد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ

فيه . ﴿ بَلَى ﴾ أى هو قادر على إحياء الموتى .

٣٤ - ﴿ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ ﴾ أى أليس هذا العذابُ بالحق ! وقد كنتم تقولون (وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ)[1] !.

٣٥ - ﴿ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ ذَوُو الجِدِّ والثَّبات . والصبرِ على الشدائد والأذى – فى القيام بأعباء الرسالة . وأصحُّ الأقوال : أنهم نوحٌ وإبراهيمُ وموسى وعيسى ونبيُّنا محمدٌ صلّى الله عليه وعليهم وسلم . وهم أصحاب الشرائع المذكورون فى قوله تعالى : (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ)[2] . وقوله : (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا)[3] . ﴿ بَلَاغٌ ﴾ أى هذا الذى وُعظتم به كافٍ فى الوعظ إذا تدبَّرتم فيه . أو تبليغٌ من الرسول لكم . أو هذا القرآن تبليغٌ من الله لكم على لسان رسوله . واللهُ أعلم .

سُورَةُ مُحَمَّد
وتُسمَّى سورةَ القِتال

١ - ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾ أى منعوا غيرَهم عن الإسلام . ويدخل فيهم المُطْعِمُونَ يومَ بَدْر دخولاً أوّليًّا ؛ من الصَّد . يقال : صدّه عن الأمر صدًّا ، منعه وصرفه عنه ؛ كأصدَّ . أو أعرضوا عن الإسلام ؛ من الصُّدود . يقال : صدَّ عنه صُدوداً ، أعرض . ﴿ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ أبطل ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ كالإنفاق الذى فعلوه فى تلك الغَزْوَة لمحاربته – بنصرته

(١) آية ١٣٨ الشعراء . (٢) آية ٧ الأحزاب . (٣) آية ١٣ الشورى .

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾

لرسوله صلى الله عليه وسلم ، وإظهار دينه على الدِّين كُلِّه . أو جعل ما كانوا يعملونه من أعمال البر والمكارم ضلالاً ، أى غيرَ هدًى وغيرَ رَشاد ؛ لأنهم عملوه على غير استقامة . من الضلال ، وأصلُه العدولُ عن الطريق المستقيم ، وضدُّه الهداية .

٢ - ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ محَا عنهم بإيمانهم وصالحِ عملهم سيِّئَ أعمالِهم قبل الإيمان فلم يعاقبهم عليه ؛ من الكَفْر ، وأصلُه سَتر الشيء وتغطيتُه ، واستُعمل فى المَحْو مجازًا . ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ حالَهم وشأنَهم فى الدِّين والدنيا بالتَّوفيق والتَّأييد .

٣ - ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ أى مِثلَ ذلك البيان يبيِّن الله للناس أحوالَ الفريقين وأوصافَها الجارية فى الغرابة مجرى الأمثال ، وهى اتِّباعُ المؤمنين الحقَّ وفوزُهم ، واتِّباعُ الكافرين الباطلَ وخسرانهم .

٤ - ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أمرٌ بجهادهم بعد بيان خسرانهم . والمرادُ بهم : المشركون ومن لا ذِمّةَ لهم من أهل الكتاب . ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ أى فاضربوا رقابَهم ضربًا فى الحرب ؛ فحُذف الفعلُ وأقيمَ المَصْدر مقامَه مضافًا إلى المفعول به . وهو مجازٌ عن القتل ، وعُبِّر به عنه لتصوير القتل بأبشع صورةٍ ، وهو جَزُّ العنق وإطارةُ العضو الذى هو رأس البدن وأشرف أعضائه . ﴿حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ أكثرتم فيهم القتلَ ، وأوهنتموهم بالجراح ، ومنعتموهم النهوض والحركة . ﴿فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾ فأَحْكِمُوا قَيدَ مَن أسرتموهم ؛ لئلا يُفلتوا منكم . يقال : أثخن فى الأرض إثخانًا : سار إلى العدوِّ وأوسعهم قتلاً . وأثخنته : أوْهنته بالجراحة وأضعفته . والوَثاق - بالفتح والكسر - اسمٌ لما يوثَق به ؛ كالقَيْد والحَبْل ونحوه . وجمعُه وُثُق ؛ كعِناق وعُنق . ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ أى فإمّا تمنُّون عليهم بعد الأسر بالإطلاق منًّا ، وإمّا تفْدون فِداءً . والمَنُّ : الإطلاقُ بغير عِوَض . يقال : منَّ عليه ؛ إذا أثقله بالنعمة ، واصطنع عنده صنيعة . والفِداءُ : ما يُفدَى به الأسير من الأَسْر . والآيةُ محكمةٌ على ما ذهب إليه جمهورُ الأئمة . وذهب الحنفيّةُ إلى أنها منسوخةٌ بآية (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ)[1] ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ أوزارُ الحرب : آلاتُها وأثقالُها التى لا تقوم إلا بها ؛ كالسِّلاح والكُرَاع ، وغير ذلك من الآلات المعروفة فى الحروب قديمًا وحديثًا . ووضعُها كنايةٌ عن انقضاء الحرب بهزيمة العدوّ أو بالموادعة . و « حَتَّى » عند الجمهور غايةٌ للضَّرب أو للشدّ ، أو للمَنّ والفداء معًا ، أو للمجموع من قوله « فَضَرْبَ الرِّقاب » إلى آخره . بمعنى أن هذه الأحكامَ جاريةٌ فيهم ، حتى لا تبقى حرب مع المشركين بزوال شوكتهم . وعند الحنفية غايةٌ للمنّ والفداء إن حُملت الحربُ على حرب بدر ؛ أى يُمنُّ عليهم ويُفادون حتى تضع هذه الحرب أوزارها . وغاية للضرب والشّد إن حُملت على جنس الحرب ؛ أى أنهم يُقتلون

(١) آية ٥ التوبة .

سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ * أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن



ويُؤسرون حتى لا تبقى حربٌ مع المشركين ، بمعنى ألّا يبقى لهم شوكة . وتفصيل المذاهب فى الفقه . ﴿وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ أى ولكن أمركم الله بالقتال ليختبرَ بعضَكم ببعض ؛ فيمتحنَ المؤمنين بالكافرين تمحيصًا للمؤمنين . ويمتحن الكافرين بالمؤمنين تمحيقًا للكافرين . ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ فلن يبطلها بل يوفيهم ثوابها .

٦ - ﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ يهدى أهل الجنة إلى بيوتهم ومساكنهم ، لا يخطئونها كأنهم ساكنوها منذ خُلقوا ؛ وذلك بإلهام منه تعالى .

٨ - ﴿فَتَعْسًا لَهُمْ﴾ فهلاكًا لهم . يقال : تَعِسَ - من باب مَنَع وسَمِع - هَلَك . أو إذا خاطبت قلت : تَعَسْتَ ؛ كمنعْتَ . وإذا حكيتَ قلت : تَعِسَ ؛ كسَمِع . وأتعسه الله : أهلكه . و « تعسًا » منصوبٌ على المصدر بفعل مُضمَر من لفظه . واللامُ لتبيينِ المخاطَب ؛ كما فى سَقْيًا له ؛ أى أعنى له .

٩ - ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ فأبطلها لكراهتهم القرآن .

١٠ - ﴿دَمَّرَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ أهلك ما يختصّ بهم من النّفس والأهل والمال . يقال : دمَّره الله ، أهلكه . ودمّر عليه : أهلك ما يختصّ به ؛ والثاني أبلغ . وأتى بـ (على) لتضمين التّدمير معنى الإيقاع أو الهجوم ونحوه .

١١ - ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ناصرُهم على أعدائهم .

١٢ - ﴿وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ مسكنٌ لهم ومأوًى . وجمعُه مثاوى .

١٣ - ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أى وكثيرٌ من قرية [١٤٦ آل عمران ص ٩٧] .

١٥ - ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ أى صفتُها . مبتدأ خبرُه : « كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ » . أى أَمَثَلُ الجنة كَمَثَلِ جزاء من هو خالدٌ فى النار ؟

لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

وقُدّر الاستفهام فى المبتدأ لأنه مرتّبٌ على الإنكار السابق فى قوله : «أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ» . ﴿غَيْرِ آسِنٍ﴾ غير متغيِّر الطعم والرّيح ؛ لطول مُكثٍ ونحوه . وفعله من باب ضَرَبَ ودَخَل ، وفى لغة من باب طَرِب . ﴿مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ خالصٍ مما يخالطه . قيل : هو تمثيلٌ لما يجرى مجرى الأشربة فى الجنة ؛ بأنواع ما يُستطاب منها ، أو يُستلذّ فى الدنيا بالتّخلية عما يَنْقُصها ويُنَغّصها ، والتّحلية بما يوجب غزارتَها ودوامَها . ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا﴾ مفرطًا فى الحرارة ؛ مكانَ تلك الأشربةِ اللذيذة التى لأَهلِ الجنة .

١٦ ـ ﴿مَاذَا قَالَ آنِفًا﴾ أى مبتدئًا . أى ما القولُ الذى ائتنفه الآن قبلَ مفارقتنا له ؟ منصوبٌ على الحال من فاعل «قال» . ومقصودُ المنافقين بهذا : الاستهزاءُ لا الاستعلامُ الحقيقىّ . وهو اسم فاعلٍ بتجريد فعلِه من الزوائد ؛ لأنه لم يُسمع له فعل ثلاثىٌّ ، بل سُمع ائتنف يأتنف واستأنف يستأنف ، بمعنى ابتدأ . ﴿طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ ختم عليها بالكفر ؛ فلم تتّجه للخير .

١٧ ـ ﴿وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ أعانهم على تقواهم . أو أعطاهم جزاءها .

١٨ ـ ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ ..﴾ أى لم يذكّرهم بإتيان الساعة ما مضى من أحوال الأمم وما جاء من أخبارهم ، فما ينتظرون للتذكر إلا إتيان السّاعة نفسها فجأة ؛ إذ لم يبق من الأمور الموجبة للتذكُّر سوى المفاجأةِ بها ، فقد ظهرت علاماتها ولم يرفعوا لها رأسًا ؛ فيكون إتيانها بطريق المفاجأة لا محالةَ . و «أَشْرَاطُها» علاماتها ، ومنها بعثته صلى الله عليه وسلم . جمعُ شَرَط ـ بالتحريك ـ وهو العلامة ، وأصلُه الإعلام . يقال : أشرط فلانٌ نفسَه لكذا ، أعلمها له وأعدّها ؛ ومنه الشُّرْطى ـ كتُرْكى وجُهَنِى ـ والجمعُ شُرَط . سُمُّوا بذلك لأنهم أعلموا أنفسهم بعلامات يُعرفون بها ﴿فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ فكيف لهم التذكُّر إذا جاءتهم الساعة بغتةً ؟ .

١٩ ـ ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ..﴾ أى استغفر الله مما يُعَدُّ بالنسبة لمنصِبك ذنبًا ، وهو ترْك الأَوْلَى بك ، وهو الفترات والغَفَلاتُ من الذكر الذى كان شأنه صلى الله عليه وسلم الدوامَ عليه . فإذا فَتَرَ وغَفَلَ عن ذلك بالاشتغال بالنظر فى مصالح المسلمين عدَّ ذلك ذنبًا واستغفر

لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا
الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ
نَظَرَ الْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ
وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ
خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا
فِى الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ
اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ
أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم
مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ
لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ

منه ، وإن كان فى ذاته من أعظم الطاعات وأشرف العبادات ؛ وحسناتُ الأبرار سيئاتُ المقرَّبين . ﴿ واللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ أى كلَّ متقلَّب لكم وكلَّ إقامة . والمرادُ : أنه يعلم جميع أحوالكم فلا يخفى عليه شىء منها . والمتقلَّبُ : المتصرَّفُ ؛ من التَّقلب وهو التصرُّف . والمَثْوى : المسكن والمأوى .

٢٠ - ﴿ نَظَرَ الْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ أى كنظر المحتضَر الذى لا يَطرِف بصرُه . والمرادُ : أنهم يشخصون نحوه بأبصارهم ، وينظرون إليه نظرًا شديدًا من شدة كراهتهم للقتال معه ؛ إذْ فيه عزٌّ للإسلام ، ونصرٌ للرسول صلى الله عليه وسلم ، وهم لها كارهون مبغضون . ﴿ فَأَوْلَى لَهُمْ ﴾ كلمةُ توَعُّدٍ وتهَدُّدٍ . وهى فعلٌ ماضٍ بمعنى قارب ، وفاعلُه ضميرُ الهلاك بقرينة السياق ، واللام مزيدة ؛ أى قاربهم ما يهلكهم . أو اسمُ تفضيل بمعنى أحقّ وأحرَى . خبرٌ لمبتدأ محذوف . واللّامُ بمعنى الباء ؛ أى العقابُ أجدرُ بهم وأحرى .

٢١ - ﴿ طَاعَةٌ ﴾ مبتدأٌ ﴿ وقَوْلٌ مَعْرُوفٌ ﴾ عطفٌ عليها . والخبرُ محذوف ؛ أى أمْثَل بكم من غيرهما . وقيل : (أوْلى) مبتدأٌ ، و (طاعةٌ) خبرٌ و (لهم) متعلق بـ (أولى) واللّامُ بمعنى الباء ؛ أى أوْلى بهؤلاء المنافقين من النظر إليك نظر المغشِىّ عليه من الموت : طاعةٌ وقولٌ معروف . ﴿ عَزَمَ الْأَمْرُ ﴾ جد ولزمهم الجهاد .

٢٢ - ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ أى فهل يُتوقَّع منكم أيُّها المنافقون إن تولّيتم أمورَ الناس وكنتم حُكّاماً ﴿ أَنْ تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ ﴾ بما ترتكبون من المنكرات تناحُرًا على الولاية ، وتكالُبًا على الدنيا ﴿ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ بالبَغْى والظلم والقتل !. وهو من عطف الخاص على العام . والاستفهامُ للتوبيخ والتقريع .

٢٤ - ﴿ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ أى بل أعلى قلوب قاسية أقفالها ، فهى لا تقبل التدبُّر والتفكُّر فى الآيات !؟ والاستفهام للتقرير . والأقفالُ : جمعُ قُفل وهو الحديد الذى يُغلق به الباب . والمرادُ : التسجيلُ عليهم بأن قلوبَهم مغلَقةٌ ، لا يدخلها الإيمانُ ، ولا يخرج منها الكفر .

٢٥ - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ ﴾ رجعوا إلى ما كانوا عليه من الكفر والضلال ، وهم المنافقون . ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ﴾ بالدلائل الواضحة والمعجزات الظاهرة ﴿ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ ﴾ زيّن لهم ارتدادَهم ؛ من التسويل [آية ١٨ يوسف ص ٣٠٤] . ﴿ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴾ بفتح

سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ

ثلاثة أرباع الحزب

الهمزة ، أىْ مَدّ لهم فى الأمانى والآمال ، وأسبابِ الغواية والضّلال ؛ من الإملاء وهو الابقاءُ مَلاوةً من الدّهر ، أى بُرهةً منه . وقُرئ « أُمْلِى » بالبناء للمفعول ، و « لهم » نائب الفاعل ، والجملةُ مستأنفة ، أى أُمْهِلُوا ومُدَّ فى أعمارهم .

٢٦ - ﴿ذَٰلِكَ﴾ أى ارتدادهم ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أى بسبب أنهم ﴿قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا ..﴾ أى لبنى قُريظة والنَّضير من اليهود الكارهين لنزول القرآن على النبىّ صلى الله عليه وسلم ؛ مع علمهم بأنه من عند الله حسدًا وطمعًا فى نزوله على أحد منهم . ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ إخفاءهم ما يقولون . مصدرُ أسررت إسرارًا ، بمعنى كتمته .

٢٩ - ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ..﴾ أى بَل أَحسِبَ هؤلاء المنافقون الذين فى قلوبهم حِقْدٌ وعداوةٌ للمؤمنين : أن لن يُظهر الله أحقادَهم الشديدةَ للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فتبقى مستورةً ؟ والاستفهامُ للإنكار .

والأضغان : جمعُ ضِغْن ، وهو الحقد الشديد . يقال : ضَغِن صدرُه ضَغَنًا - من باب تَعِب - حَقَدَ ؛ والاسمُ الضِّغْن . ومنه تضاغَن القوم واضْطَغَنُوا ، أى انطَوَوْا على الأحقاد . وأصلُ الكلمة من الضِّغْن ، وهو الالتواء والاعوجاجُ فى قوائم الدابة والقناة وكلِّ شىء .

٣٠ - ﴿فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ أى بعلامات تَسِمُهم بها . يقال : سوّم الفرسَ تسويماً ، جعل له سِيمةً أى علامةً . ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ لحنُ القول : أسلوبٌ من أساليبه المائلةِ عن الطريق المعروفة ؛ كأنْ يعدل عن ظاهره من التصريح إلى التّعريض والإبهام . وكان المنافقون يصطلحون فيما بينهم على ألفاظ يخاطبون بها الرسول صلى الله عليه وسلم مما ظاهرُه حَسَن ويريدون به القبيح ، ومما ظاهرُه الاتّباع وهم بخلاف ذلك . يقال : لحَنْتُ له ألْحَن لَحْناً ، إذا قلتَ له قولاً يفهمه عنك ويَخفَى على غيره ؛ فلَحِنه هو - بالكسر - أى فهمه . ويقال : فهمته من لَحْنِ كلامه وفحواه ومعاريضِه بمعنىً واحد .

٣١ - ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أى ولنعاملنّكم معاملة المختبر بالأمر بالجهاد ونحوه من التكاليف الشّاقة . ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ علمًا شهوديًّا يشهده غيرُنا ، مطابقاً لما نعلمه

وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾

علمًا غيبيًّا ؛ فنستخرج منكم ما جُبلتم عليه مما لا يعلمه أحد منكم . أو عِلْماً يتعلّق به الجزاء . ﴿وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ نظهرها ونكشفها .

٣٢ – ﴿وَشَاقُّوا الرَّسُولَ﴾ أى عادوه وخالفوه – وهم بنو قُرَيْظة والنَّضير . أو قومٌ نافقوا بعد الإيمان . أو المُطْعِمونَ يومَ بَدْر . وأصلُ المشاقَّة : أن تصير فى شِقّ غير شِقّ صاحبك .

٣٣ – ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ بارتكاب المعاصى ، أو بالنفاق أو الرِّياء ، أو المنّ بالإسلام أو بالعجب .

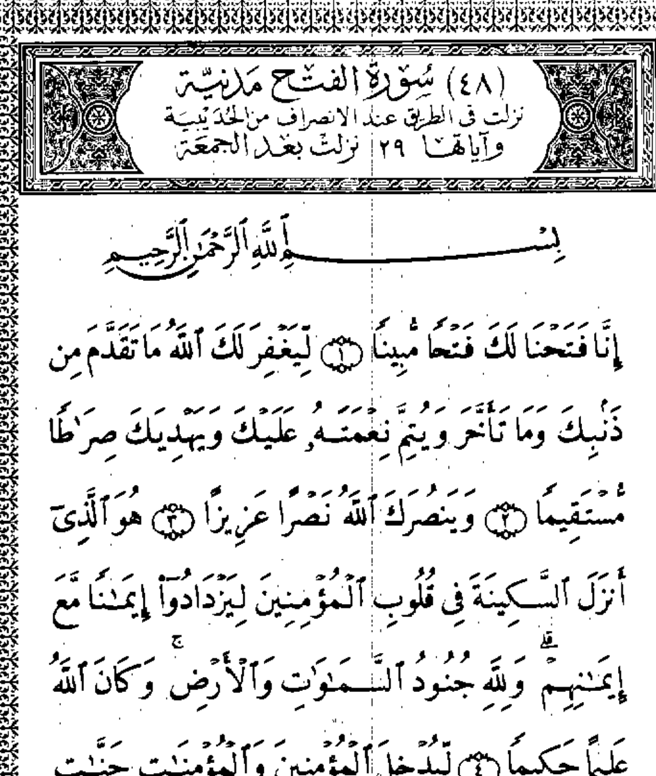
٣٥ – ﴿فَلَا تَهِنُوا﴾ لا تَضْعُفوا عن قتال الكافرين الذين يصدُّون عن سبيل الله . وفعلُه كوَعَد ووَرِث وكَرُم . ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ﴾ أى ولا تدعوهم إلى الصُّلح والمُسالمة خَوَرًا وإظهارًا للعجز ﴿وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾ فى الحُجّة ، الأغلبون بقوّة الإيمان ﴿وَاللهُ مَعَكُمْ﴾ بنصره ﴿وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ لن ينقصكم أجورَ أعمالكم . يقال : وَتَرْتُ زيدًا حقه – من باب وَعَد – نقصتُه . ووترتَ الرجل : إذا قتلتَ له قتيلاً ، أو سلبت مالَه وذهبتَ به . ومحلُّ النّهى عن الدّعوة إلى صلح الكفار ومسالمتهم إذا لم تكن بالمسلمين حاجةٌ بهما ؛ وإلا جاز الجنوح إلى السَّلْم . وهو محمل قوله تعالى : ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[1] .

٣٦ – ﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ باطلٌ وغرورٌ ، لا ثباتَ لها ولا اعتدادَ بها ، فكيف تمنعكم عن طلب نعيم الآخرة والسّعى إليه ؟.

٣٧ – ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾ أى فيُجهدْكم بطلبها كلّها ﴿تَبْخَلُوا﴾ بها فلا تعطُوها . والإحفاءُ والإلحافُ : المبالغةُ وبلوغُ الغاية فى كل شىء . يقال : أحفاه فى المسألة ، إذا لم يترك شيئًا من الإلحاح . وأَحْفَى شاربَه : استأصله وأخذه أخذًا متناهيًا . وأصلُه مِن أحْفَيْت البعيرَ : جعلته حافيًا ؛ أى مُنْسَحِجَ الخُفّ من المَشْى حتى يَرِقّ . ﴿وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾ ويُظهرْ أحقادكم ؛ لمزيد حُبّكم للمال .

٣٨ – ﴿وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ أى يبخل عن داعى نفسه لا عن داعى ربّه . أو يبخل على نفسه . يقال : بخل عليه وعنه – كفَرِحَ وكَرُمَ – بمعنًى ؛ لأن البُخل فيه معنى المَنْع والإمساك . ومعنى التّضييق على من مُنع عنه المعروف ، فعُدِّى

(١) آية ٦١ الأنفال .



بـ «عَنْ» نظراً للأوّل ، وبـ «عَلَى» نظراً للثّاني . والله أعلم .

سُورَةُ الْفَتْح

نزلت في السّفر بين مكّةَ والمدينة بعد مُنْصَرَفه صلى الله عليه وسلم من الحُدَيْبِيَة في ذي القعدة سنةَ ستٍّ من الهجرة عند كُرَاعِ الغَميم[1] أو عند ضَجْنان[2] فقرأها صلى الله عليه وسلم على الناس وهو على راحلته وقال : (لقد أُنزلت عليّ الليلة سورةٌ أحَبُّ إليّ من الدنيا وما فيها)[3] . وقد طلب المشركون من رسول الله صلى الله عليه وسلم الموادعةَ على إثر مناوشات ظهر لهم فيها أن المصلحة في الصلح . وتمّ على شروط قد تبدُو في ظاهرها مجحِفةً بالمسلمين ؛ ولكنها في الواقع كانت خيرًا عظيمًا لهم ، وشرًّا على الشِّرك والمشركين .

١ ـ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ إخبارٌ عن صُلح الحُدَيْبِيَة ؛ عند الجمهور . وسُمِّيَ هذا الصُّلحُ فتحًا لاشتراكهما في الظهور على المشركين ، فإنهم ما سألوا الصُّلحَ إلا بعد أن ظهر المسلمون عليهم ورمَوْهم بسهام وحجارة . وقيل : هو إخبارٌ عن فتح مكة ؛ والتعبيرُ عنه بالماضي قبل وقوعه لتحقُّقه . قال ابن عطيّة : والقولُ الأوّلُ هو الصحيح .

٢ ـ ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ..﴾ هو كناية عن عدم المؤاخذة . أو المرادُ بالذنب : ما فَرَط من خلاف الأوْلى بالنسبة إلى مقامه صلى الله عليه وسلم ؛ فهو من باب : حسناتُ الأبرار سيّئاتُ المُقَرَّبين . أو المرادُ بالغفران : الحيلولةُ بينه وبين الذنوب كلِّها ، فلا يصدر منه ذنبٌ ؛ لأن الغَفْر هو السَّتْر . والسَّتْرُ إمّا بين العبد والذنب ، وهو اللّائق بمقام النبوّة . أو بين الذّنب وعقوبته ، وهو اللّائق بغيره . واللّامُ في (لِيَغْفِرَ) للعلّة الغائيّة ؛ أي أن مجموع المتعاطفات الأربعةِ غايةٌ للفتح المبين ومُسَبَّبٌ عنه لا كلُّ واحد منها . والمعنى : يَسّرنا لك هذا الفتحَ لإتمام النعمة عليك ، وهدايتِك إلى الصِّراط المستقيم ، ولنصرِك نصرًا عزيزًا . ولمّا امْتَنّ الله عليه بهذه النِّعم صدَّرها بما هو أعظم ، وهو المغفرةُ الشاملة ؛ ليجمعَ له بين عِزَّي الدنيا والآخرة . فليست المغفرةُ مسبَّبةً عن الفتح .

٤ ـ ﴿أَنْزَلَ السَّكِينَةَ ..﴾ أوجد الطُّمأنينةَ والثباتَ في قلوبهم بهذا الصّلح الذي ترتّب عليه الأمنُ بعد الخوف ؛ ليزدادوا يقينًا على يقينهم . ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يدبّر أمرها كما يشاء ؛ فيسلّط بعضها على بعض تارةً ، ويوقع بينها السّلم والصُّلح أخرى ، حسبما تقتضيه مشيئته . ومن ذلك هذا الصلح العظيم .

(١) موضع على ثلاثة أميال من عسفان التي على مرحلتين من مكة . (٢) بوزن عطشان ، جبل قرب مكة . (٣) أخرجه البخاري .

تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ
سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ
ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ
ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ
ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾
وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا
حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾
لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً
وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ
ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ
وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾

٥ ـ ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ..﴾ أى دبّر ما دبّر ليشكر المؤمنون نعمته تعالى فيدخلهم الجنة . وليتغيّظ أعداؤهم فيعذبهم بالنار. ﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ يغطّيها . والمراد يمحو أثرها ولا يعاقب عليها .

٦ ـ ﴿الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ أى ظنّ الأمرِ الفاسدِ المذموم ، وهو أن الله تعالى لا ينصر رسوله والمؤمنين . وأنهم لا يرجعون إلى المدينة أبدًا لاستئصالهم بمكة . ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ دعاءٌ عليهم بأن يَحيق بهم ما تربّصوه بالمؤمنين . والدائرةُ فى الأصل : الخط المحيط بالمركز . ثم استُعملت فى النازلة المحيطة بمن نزلت به ؛ إلّا أن أكثرَ ما تُستعمل فى المكروه .

٩ ـ ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ تنصروه وتعظّموه . وقيل : التّعزيرُ : النُّصرةُ مع التّعظيم . والتّوقيرُ : التعظيمُ والإجلالُ والتفخيم . والضميران لله تعالى ؛ بقرينة قوله : ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ أى تنزّهوه عمّا لا يليق به . أو تصلُّوا له تعالى غُدْوةً وعشيًّا . والمرادُ ظاهرهما أو جميع النهار . ويُكْنَى عن جميع الشىء بطرفيه ؛ كما يقال : شرقًا وغربًا لجميع الدنيا .

١٠ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ بيعةَ الرّضوان بالحُدَيْبِيَةِ على ألّا يَفِرُّوا . ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ﴾ أى يطيعونه ؛ لأن المقصود من البَيعة طاعةُ الله وامتثالُ أمره . وعُبّر عن ذلك بالبَيْعة مشاكلةً . ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ مذهبُ السّلَف فى هذه الآيةِ ونظائرها من آيات الصفات ما بيّناه فى المقدّمة . والخَلَفُ يؤوّلون اليدَ بالقوّة ؛ أى قوّةُ الله ونصرتُه فوق قوتهم ونصرتهم ؛ كما يقال : اليدُ لفلان ؛ أى الغلبةُ والنُّصرة والقوّة له . أو يَدُ الله بالوفاء بما وعدهم من الخير فوق أيديهم ؛ كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما . ﴿فَمَنْ نَكَثَ﴾ نقض العهد بعد إبرامه ؛ كما تُنكث خيوط الصوف المغزول بعد إبرامه . وأصلُه من النّكث ـ بالكسر ـ وهو أن تُنقض أخلاق الأكسية البالية فتغزل ثانيةً . ﴿وَمَنْ أَوْفَى﴾ يقال : وَفَى بالعهد وأوْفَى به . إذا تمّمه . ﴿عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ﴾ بضم الهاء فى « عليهُ » ؛ توصُّلًا إلى تفخيم لفظ الجلالة . الملائم لتفخيم أمر العهد المُشعِرِ به الكلامُ . وقُرِئ

سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ

بكسرها لمناسبة الياء ؛ نقله العلّامة الآلوسيّ .

١١ ـ ﴿الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ أى الذين خلّفهم الله عن صُحبتك . والخروج معك إلى مكة مُعْتمرًا عامَ الْحُدَيْبِيَةِ ؛ حين استنفرتَهم ليخرجوا معك حَذرًا من قريش أن يَعرضوا لك بحرب أو يصدُّوك عن البيت . فتثاقلوا عنك وتخلّفوا ، وخافوا القتال وقالوا : لن يرجع محمدٌ وأصحابه من هذه السّفرة . ففضحهم الله بهذه الآية ، وأعلم رسولَه بقولهم واعتذارهم قبل أن يرجع إليهم ؛ فكان كذلك .

و«الْمُخَلَّفُونَ» جمعُ مُخلَّف ، وهو المتروك فى مكانٍ خَلْفَ الخارجين من البلد كالنساء والصبيان . والأعرابُ : سُكَّانُ البادية . والمرادُ بهم : غِفار ومُزَيْنَة وجُهَيْنَة وأَشْجع وأسْلم والدِّيل .

١٢ ـ ﴿لَن يَنقَلِبَ﴾ لن يعود إلى المدينة . ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ أى وكنتم فى علم الله تعالى قومًا هالكين فاسدين ، لا تصلحون لشىء من الخير ؛ من بار الشىءُ : هلك وفَسَد . وبُورٌ فى الأصل : مصدرٌ كالهُلْك ، يُوصف به المفْرَدُ والمُثنَّى والجمعُ ، والمذكَّر والمؤنَّث ؛ واستُعمل هنا مؤوّلا باسم الفاعل . وقيل : جمع بائر ؛ كحائل وحُول .

١٣ ـ ﴿سَعِيرًا﴾ نارًا مسعورةً ؛ موقدةً ملتهبةً . يقال : سَعَرتُ النارَ ـ من باب مَنَع ـ أوقدتُها وهيّجتُها ؛ كسعَّرتُها وأسعرتُها .

١٥ ـ ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ ..﴾ وعد الله أهلَ الْحُدَيْبِيَة أن يعوّضهم من مغانِم مكة مغانِمَ خَيْبَر إذا قفلوا موادعين لا يصيبون منها شيئًا . وقد رجع منها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الصلح فى ذى الحجة ، وأقام بالمدينة بقيّته وأوائلَ المُحَرَّم من سنة سبع ، ثم غزا خَيْبَر بمن شَهِدَ الحُدَيْبِيَةَ ففتحها ، وغنِم أموالاً كثيرة ؛ فخصّهم بها كما أمره الله تعالى . أى سيقول أولئك الأعراب المتخلِّفون عن الخروج معك إذا انطلقتم إلى مغانم خيبرَ لتأخذوها : ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ اتركونا نخرج معكم لخيبرودَعُونا نتبعْكم ونشهدْ معكم قتالَ أهلها . تقول : ذَرْه ، أى دَعْه . وهو يَذَرُه : أى يَدَعُه . ولم يُستعمل منه الماضى والمصدرُ واسمُ الفاعل ؛ اكتفاءً بقولهم : تَرَكه تركًا وهو تارك . ﴿كَلَامَ اللَّهِ﴾ وَعْدَه أهل الحديبية خاصّةً بغنائم خيبر ؛ كما قال تعالى : «وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا . وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا» .

قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ * لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ



١٦ - ﴿أُولِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ ذوى نَجْدة وشدّة فى الحرب ؛ وهم فارس أو الروم . أو هَوازِنُ وغَطَفانُ يومَ حُنَين . أو بنو حنيفة أصحابُ مُسَيْلمة الكذّاب .

١٧ - ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ ..﴾ ليس على هؤلاء إثمٌ فى التخلّف عن الجهاد ؛ لمَا بهم من الأعذار والعاهات المرخِّصة لهم فى التخلف عنه .

١٨ ، ١٩ - ﴿لَقَدْ رَضِىَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هم أهل الحُدَيْبِيَة ؛ إلّا جَدَّ بن قيس المنافق الذى لم يبايع . وكانت عدّتُهم أربعمائةٍ وألفًا فى قول . وتُسَمَّى هذه البَيْعَةُ بيعةَ الرّضوان ؛ أخذًا من هذه الآية . والشَّجَرَةُ كانت سَمُرَةً ؛ والمشهورُ أن الناس كانوا يأتونها فيصلّون عندها ؛ فأمر عمرُ بقطعها خشية الافتتان بها لقرب العهد بالجاهلية . ﴿يُبَايِعُونَكَ﴾ بيعة الرضوان بالحديبية . ﴿وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا . وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ هو فتح خَيْبَر وغنائمُها . وكان إثْرَ انصرافهم من الحديبية .

٢٠ - ﴿وَكَفَّ أَيْدِىَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ أى أيدىَ أهلِ خيبرَ وحلفائِهم من بنى أَسَد وغَطَفانَ حين خفُّوا لنصرتهم ؛ فقذف الله فى قلوبهم الرُّعبَ فنَكَصُوا على أعقابهم مدبرين .

٢١ - ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ أى وعجّل لكم مغانمَ

عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ

أخرى ، وهى مغانمُ هوازنَ فى غزوة حُنين ؛ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا لمَا كان فيها من الجوْلة قبل ذلك ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بهَا﴾ قدَر عليها واستولى ؛ فأظهركم عليها وأظفركم بها .

٢٤ ـ ﴿بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ أى بالحُدَيْبية . والمرادُ بمكة : الحَرَمُ والحديبيةُ منه . أو هى ملاصقةٌ له . ﴿أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ أظهركم عليهم وأعلاكم .

٢٥ ـ ﴿وَالْهَدْىَ﴾ أى وصدُّوا الْهَدْىَ وهو ما يُهدَى إلى البيت المعظَّم ، وكان سبعين بَدَنةً على المشهور . وقيل : كان مائة بدنة .

﴿مَعْكُوفًا﴾ محبوسًا . يقال : عَكَفَه يَعْكُفُه ويعكِفُه عَكْفًا : حبَسَه . وعكف عليه عُكوفًا : أقبل عليه مواظبًا . ﴿مَحِلَّهُ﴾ أى مكانَه المعهودَ . وللفقهاء فيه تفصيل . ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ ..﴾ أى ولولا كراهةُ أن تُهلكوا أناسًا مؤمنين بين ظهرانَى الكفار بمكة جاهلين بهم ، فيصيبَكم بإهلاكهم مكروهٌ لمَا كفَّ أيديَكم عنهم . وكان بمكة من ضعفاء المؤمنين تسعةُ نفر : سبعةُ رجال وامرأتان . ولو لم يكفّ اللهُ أيدىَ المؤمنين عن كفار مكة فى ذلك اليوم ، لانجرَّ الأمرُ إلى إهلاك هؤلاء بين ظهرانَيْهم فيصيب المؤمنين من ذلك مكروه . ﴿أَنْ تَطَئُوهُمْ﴾ أى تدوسوهم . والمرادُ تهلكوهم ، بدلٌ من ضمير «تعلموهم» . و﴿مَعَرَّةٌ﴾ أى مكروهٌ وأذى . والمرادُ به : السُّبَّةُ ؛ إذ يقول المشركون : إنهم قتلوا مَن هم على دينهم . يقال : عرَّه يعُرّه عرًّا ، إذا أصابه بمكروه ؛ والمعَرَّةُ مَفْعلةٌ منه . وجواب (لولا) محذوفٌ تقديرُه ما ذكرنا . ﴿لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ أى فعل ما ذُكر من الكفّ رحمةً بأولئك المستضعَفين الذين كانوا بمكة بين ظهرانَى المشركين ، فيتمّم لهم أجورَهم بإخراجهم من بينهم ، وفَكّ أسرهم ، ورفْع العذاب عنهم . ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ أى لو تميّزوا عن الكفار وخرجوا من مكة . يقال : زِلْتُه زَيْلاً ، أى مِزْتُه . وَزَيَّلَه فتزيّل : فرّقه فتفرّق . ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ بالقتل والسَّبى . و(منهم) للبيان لا للتبعيض . والجملةُ مقرِّرةٌ لما قبلها .

٢٦ ـ ﴿الْحَمِيَّةَ﴾ الأنَفَة والتكبُّر . يقال : حَمِىَ من الشىء ـ كرضى ـ حَمِيّة ، أنِفَ منه . ﴿سَكِينَتَهُ﴾ الاطمئنان والوقار . ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ أى الكلمةَ التى يُتَّقَى بها الشرك ، والعذابُ . وهى كلمة التوحيد والإخلاص . ورُوِىَ أنها : (لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا

رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾

شريك له ؛ له الملك ، وله الحمد ؛ وهو على كل شيء قدير) .

٢٧ - ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ ..﴾ أي حقّق رؤياه بالحق - وذلك في عُمْرة القضاء . وكان صلى الله عليه وسلم رأى في منامه قبل الحُدَيْبِيَة كأنه هو وأصحابُه حَلَقوا وقصّروا ؛ فأخبر بها أصحابَه ففرحوا ، وحَسِبوا أنهم سيدخلون مكة عامَهم ذلك . فلما رجعوا من الحديبية دون أن يدخلوا مكة قال المنافقون : والله ما حَلَقْنا ولا قصّرنا ولا دخلنا المسجد الحرام ؛ فأنزل الله هذه الآية . ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابُه المسجدَ الحرامَ آمنين في العام القابل ، وحَلَق بعضُهم وقصّر بعضهم بعد سَعْى العُمْرة ، ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ من المصلحة في الصّلح عامَ الحديبية وفي عدم دخولكم مكة فيه . ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ أي من قبل دخولكم الحرم ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ هو فتح خَيْبَر ، يقوّيكم به على أعدائكم . أو هو صلح الحديبية . أو هما ، ورجّحه الطبريُّ .

٢٨ - ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾ ليعليه ويقويه .

٢٩ - ﴿سِيمَاهُمْ﴾ علامتُهم ، وهو نورٌ يجعله الله يوم القيامة . أو حُسْنُ سَمْتٍ يجعله الله في الدنيا .

﴿فِي وُجُوهِهِمْ﴾ في جباههم يُعرَفون به ﴿مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ . ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ﴾ أي ذلك المذكورُ من نعوتهم الجليلة ، هو وصفُهم العجيبُ الشأن ، الجارى مجرى الأمثال ﴿فِي التَّوْرَاةِ﴾ . ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ مبتدأٌ ، خبرُه ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ والشَّطْءُ : فروخُ الزّرع ، وهو ما خرج منه وتفرّع في شاطئيه أي جانبيه ؛ وجمعُه أشْطَاءٌ وشُطوء . يقال : شَطَأَ الزرعُ وأشطأ . إذا أخرج فراخَه . ﴿فَآزَرَهُ﴾ أي فقوّى ذلك الشطءُ الزّرع . وأصلُه من شَدّ الإزار . يقال : أزرته ، اى شددت إزاره . وآزرت البناءَ - بالمدّ والقصر - : قوّيتُ أسافله . ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ فتحوّل من الدّقة إلى الغِلَظ . ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾ فاستقام على قَصَبه وأصوله . جمع ساق ؛ نحو لُوبٍ ولابَة . ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ لقوّته وغلظه وحسن هيئته ؛ وإذا أعجب أهلَ الزرع أعجب غيرَهم

(٤٩) سُورة الحُجرات مَدنيّة
وآياتها ١٨ نزلت بعد المجادلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣) إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ

ربع الحزب

بالأولى . وهو مَثَلٌ ضربه الله للصحابة رضى الله عنهم . قلّوا فى بدء الإسلام ثم كثروا واستحكموا ؛ فعَظُم أمرُهم يومًا بعد يوم ، بحيث أعجب الناسَ . وقيل : هو مَثَلٌ للنبىّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه ؛ فالزَّرعُ : النبىُّ صلى الله عليه وسلم ، قام وحدَه حين بُعث . والشَّطْءُ : أصحابُه ، قوّاه الله بهم كما يقوِّى الطاقةَ الأولى ما يحتفُّ بها مما يتولّد منها . ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ عِلّةٌ لما أفاده تشبيههم بالزَّرع ؛ من نمائهم وقوّتهم رضى الله عنهم وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . والله أعلم .

سُورَةُ الْحُجُرات

١ ـ ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ لا تقطعوا أمرًا ، وتجترئوا على ارتكابه قبل أن يحكم الله تعالى ورسولُه صلى الله عليه وسلم به ويأذنا فيه . وهو إرشادٌ عامٌّ فى كلِّ شىء . ومنعٌ من الافتئات على الله ورسوله فى أىّ أمر . و«تُقَدِّمُوا» من قدَّم المتعدّى . تقول : قدّمت فلانًا على فلان ، جعلتُه متقدّمًا عليه . وحُذف مفعولُه قصدًا إلى التعميم . و(بَيْنَ يَدَى اللهِ وَرَسُولِهِ) تمثيلٌ للتعجُّل فى الإقدام على قطعِ الحُكْم فى أمرٍ من أمور الدين بغير إذن من الله ورسوله ـ بحالة من تقدّم بين يدى متبوعه إذا سار فى طريق ؛ فإنه فى العادة مستهجَن . أو المرادُ : بين يدى رسول الله ، وذُكِر لفظُ الجلالة تعظيمًا للرسول ، وإشعارًا بأنه من الله تعالى بمكان يوجب إجلاله .

٢ ـ ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِىِّ﴾ نهىٌ عن زيادة صوتهم على صوته فى المكالمة . ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ ..﴾ نهىٌ عن مساواة أصواتهم بصوته صلى الله عليه وسلم فى المكالمة ؛ فإن ذلك شأنُ الأقران والنُّظَراء . والمرادُ بالنهيين : أن يجعلوا أصواتهم فى مخاطبته أخفضَ من صوته صلى الله عليه وسلم ، ويتعهّدوا فى مخاطبته الخفضَ القريبَ من الهمس ؛ كما هو الأدب عند مخاطبة المَهيب المعظَّم . ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾ أى خشيةَ أن يَبطُل ثوابُ أعمالِكم بفعل المنهىّ عنه .

٣ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ﴾ يخفضونها إجلالاً له صلى الله عليه وسلم . يقال : غَضّ من صوته وغضَّ طَرْفَه : خفضه . وكلُّ شىء كففْتَه فقد غَضَضته . وبابُ الكل رَدّ . ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ ..﴾ أخلصها للتقوى ، أى جعلها خالصةً لها ؛ فلم يبق لغير التّقوى فيها حقٌّ ، كأنَّ القلوب خَلَصت ملكاً للتّقوى . وأصلُه من امتحان الذهب وإذابته

ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى

لِيَخْلص إبريزُه من خَبثه ويُنَقّى . واستُعير لما ذُكر لتخليص القلوب فيه من جميع الشوائب . نزلت فى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ؛ فقد كان أبو بكر بعد نزول الآية السابقة لا يكلّم النبىَّ صلى الله عليه وسلم إلا كأخِى السِّرار . وكان عمرُ إذا تكلّم عند الرسول صلى الله عليه وسلم لم يَسمع كلامه حتى يستفهمه مما يخفض صوته .

٤ ــ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ ..﴾ أى حجرات نسائه صلى الله عليه وسلم . جمعُ حُجْرة . وهى القطعة من الأرض المحجورةُ ، أى الممنوعة من الدخول فيها بحائط أو نحوه . نزلت فى وفد بنى تميم . وكانوا أعرابًا جُفاةً . قَدِموا على النبىّ صلى الله عليه وسلم حتى أتَوْا منزله فنادوه من وراء الحجرات بصوت جاف : يا محمد ، أُخرج إلينا ! ثلاثًا . ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ لا يجرون على مقتضى العقل من مراعاة الأدب مع أعظم خلق الله تعالى . وعبَّر بالأكثر لأنَّ منهم من لم يقصد ترك الأدب ، بل نادى لأمرٍ مَا .

٦ ــ ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ﴾ وهو مَن أخلّ بشىء من أحكام الشرع بترك مأمورٍ به ، أو فعل منهىٍّ عنه . ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ أى اطلبوا البيانَ والمعرفة . وقُرئ «فتثبّتوا» وهو قريب منه . أى إن أخبركم فاسق بخبر فتعرّفوا صدقَه ، وتثبّتوا منه خشيةَ أن تصيبوا قومًا بمكروه بسبب جهالتكم الحالَ ؛ فتندمُوا على ما فعلتم بهم ، متمنّين أنه لم يقع منكم . والنّدَمُ : الغَمُّ على وقوع شىء مع تمنّى عدم وقوعه .

٧ ــ ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ أى لو يطيعكم فى كثير من الأخبار ، وهو الباطلُ منها ، فيُرتّبُ عليه أحكامَه لوقعتم فى الجَهد والتّعب ، أو فى الإثم والهلاك . ولكنه صلى الله عليه وسلم لا يطيعكم فى غالب ما تخبرونه به قبلَ التبيُّن والتثبُّت ، ولا يسارع إلى العمل بما يبلغه قبل النظر فيه . والعَنَتُ : الوقوعُ فى أمر شاقّ ، والإثمُ . يقال : عَنِت فُلان ــ من باب طَرِب ــ عَنَتًا ، إذا وقع فى أمر يخاف منه التّلف . والخطابُ لغير الكمَّل من المؤمنين . ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ﴾ والمحبَّبُ إليهم ذلك هم الكمَّلُ منهم .

٩ ــ ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ..﴾ أى تقاتلوا ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ وجوبًا بالنُّصح وإزالة الشبهة وأسباب الخصام ، والدعاء إلى حُكم الله تعالى . والخطابُ لأولى الأمر . ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى﴾ تعدّت عليها بغير حقّ ، وأبتِ الصّلحَ والإجابةَ إلى

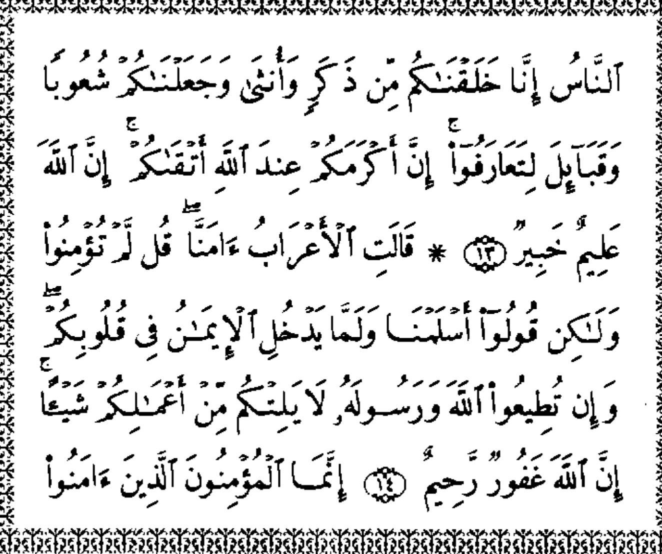
ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا

حكم الله ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ أى ترجع إلى حُكمه ﴿فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾ بفصل ما بينهما على حُكم الله ، ولا تكتفوا بمجرّد متاركتهما ؛ عسى أن يكون بينهما قتالٌ فيما بعدُ ﴿وَأَقْسِطُوا﴾ اعدلوا فى كل أمر ؛ وهو تأكيدٌ لقوله « بالعدل » . ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ العادلين ؛ فيجازيهم أحسنَ الجزاء .

١٠ ـ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ..﴾ يجمعهم أصلٌ واحدٌ ، وهو الإيمان ؛ كما يجمع الإخوةَ أصلٌ واحد وهو النسب . وكما أنّ أُخُوّةَ النَّسب داعيةٌ إلى التواصُل والتراحم والتّناصر فى دفع الشّر وجلب الخير ؛ كذلك الأخوّةُ فى الدِّين تدعو إلى ذلك ، بل هى أدعى إليه ؛ لأنها فى الله ولله عز وجل !

١١ ـ ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ لا يحتقر بعضُ المؤمنين بعضًا ، ولا يهزأ بعضُهم من بعض ؛ من السُّخرية ، وهى احتقارُ الإنسان قولاً أو فعلاً بحضرته على وجهٍ يُضحِك . يقال : سخرت منه سَخَرًا ـ من باب تعب ـ ومَسْخَرًا وسُخُرًا ـ بضمتين ـ هزأت به . والاسمُ السُّخْرِيَةُ . رُوِىَ أنها نزلت فى قوم من بنى تميم سَخِرُوا من بلال وعمّار وصُهَيْبٍ وأمثالِهم لمَا رأَوْا من رَثَّاثة حالهم . ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ لا يَعِبْ بعضُكم بعضاً بقول أو إشارة ، سواء أكان على وَجه يُضحِك أم لا ، وسواء أكان بحضرته أم لا . واللَّمْزُ : العيبُ . وفعلُه من باب ضَرَب ونَصَر . وعطْفُ هذا النّهى على ما قبلَه من عَطْف العامّ على الخاصّ . ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ لا يَدْعُ بعضُكم بعضًا بما يُسْتكرَه من الألقاب . والتَّنابُزُ : التّعايُرُ والتّداعِى بالألقاب . يقال : نَبَزَه يَنْبِزُه ، لقَّبه كنَبّزَهُ . والنَّبَز ـ بالتحريك ـ : اللّقَبُ ، محبوبًا كان أو مكروهًا . وخُصّ عُرْفًا بالمكروه . ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ أى بئس الذِّكْرُ للمؤمنين بسبب ارتكاب واحدٍ من هذه الأمور الثلاثة القبيحة ـ أن يُذكروا بالفسوق بعد اتّصافهم بالإيمان .

١٢ ـ ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ﴾ أى تباعدوا منه . نُهُوا عن ظنون السُّوء بأهل الخير من المؤمنين ، التى لا تستند إلى دليل أو أمارةٍ


النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ * قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا

نصف الحزب

صحيحة وسببٍ ظاهر ، وإنما هي مجرّد تُهَم ؛ مع كوْن المظنون به ممن شُوهدَ منه التّستر والصلاح ، وأُونست منه الأمانة في الظاهر. وفي الحديث : (إن الله تعالى حرّم من المسلم دَمَه وعرضَه وأن يُظَنَّ به ظنُّ السوء)[1]. وأمّا من يلابس الرِّيَبَ ، ويجاهرُ بالخبائث فلا يحرم سوءُ الظن فيه ؛ وإن لم يره الظانُّ متلبّسًا بها. ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ أي مؤثم. والإثمُ : الذّنبُ الذي تُستحقّ العقوبةُ عليه : يقال : أثم يأثَم إثمًا فهو آثم ؛ أي مرتكبٌ ذنبًا. وبابُه عَلِم. وهذا البعضُ هو الكثير المأمور باجتنابه. ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ أي خذوا ما ظهر ، ولا تتبعوا عوْرات المسلمين ومعايبَهم ، وما ستروه من أمورهم ؛ فإن من تتبّع عوراتِهم تتبّع الله عورته حتى يفضَحه ولو في جوْف بيته. وقُرئ «تَحَسَّسُوا» بالحاء ؛ من الحَسِّ الذي هو أثر الجَسِّ وغايتُه. وقيل : التجسس والتحسُّس بمعنًى. وهو تعرُّفُ الأخبار. ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾ نُهُوا عن الغيبة وهي ذكر العَيْب بظَهْر الغَيْب. يقال : اغتابه اغتياباً ، إذا وقع فيه. والاسمُ الغيبة ، وهي من الكبائر. ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً﴾ تمثيلٌ لما يناله المغتاب من عِرض المغتاب على أفحش وجه. ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ تقريرٌ لذلك أي فقد كرهتموه فلا تفعلوه. أو عُرض عليكم ذلك فكرهتموه.

١٣ - ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ أي من آدم وحواء فأنتم في ذلك سواء ؛ فلا محلَّ للتفاخُر بالأنساب. وقد كانوا يتفاخرون بها ويزدرون بالضعفاء والفقراء. ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾ جمعُ شَعْب. وهو الجمعُ العظيمُ المنسوبون إلى أصل واحد ، وهو يجمع القبائلَ. والقبيلةُ تجمع العمائرَ. والعمارةُ تجمع البطون ، والبَطْنُ يجمع الأفخاذَ. والفَخذُ تجمع الفصائلَ. والفصيلةُ تجمع العشائرَ. ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ ليَعرف بعضُكم بعضًا ؛ فتصِلُوا الأرحامَ وتتبيّنوا الأنساب وتتعاونوا على البرّ ؛ لا للتفاخُر والتّطاوُل بالآباء والقبائل. ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ أي إن أرفعكم منزلةً لديه عزّ وجلّ في الدنيا والآخرة هو الأتقى ؛ فإن فاخرتم ففاخروا بالتقوى. وفي الحديث : (يا أيها الناسُ ألا إن ربَّكم واحدٌ ، لا فضلَ لعربيٍّ على عجميٍّ ، ولا لعجميٍّ على عَرَبيٍّ ، ولا لأسودَ على أحمرَ ، ولا لأحمرَ على أسْودَ إلّا بالتقوى ، ألَا هل بلّغتُ - قالوا بلى يا رسول الله ! قال : - فليبلّغ الشاهدُ الغائبَ)[2].

١٤ - ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾ من الإيمان ، وهو التّصديق مع الثّقة وطُمأنينة القلب. نزلت في بني أسَد بن خُزيمة ، وقد أظهروا الإسلام نفاقًا ؛ طمعًا في المغانم ، وكانوا يَمُنُّونَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامهم. ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا﴾ بقلوبكم ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ من الإسلام ، وهو الانقيادُ الظاهريّ بالجوارح. والّذين أسلموا بظواهرهم ولم يؤمنوا بقلوبهم هم المنافقون. ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الإيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أي لم يدخل فيها ،

(١) رواه البيهقي في الشعب. (٢) رواه البيهقي.

بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

(٥٠) سُورَةُ قٓ مكيّة

إلا آية ٣٨ فمدنية

وآياتها ٤٥ نزلت بعد المرسلات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُواْ

ولكنه متوقع منكم ؛ وقد آمنوا كلُّهم أو بعضُهم . ﴿لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾ لا يَنْقُصْكم من أجور أعمالكم شيئاً من النقص . يقال : لاتَهُ حقّه ـ كباعه ـ نقصه .

١٦ ـ ﴿أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ أتخبرونه بقولكم آمنّا . والله أعلم .

سُــورَةُ قٓ

١ ـ ﴿قٓ﴾ من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه . وقيل : اسمٌ من أسمائه تعالى أقسم به . أو اسمٌ من أسماء القرآن . أو اسمٌ للسُّورة . ﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ أى أُقسم بالقرآن المجيد إنّا أنزلناه إليك لتُنذر به الناس . وحُذف جوابُ القَسَم للدلالة عليه بقوله : (بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءهمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ) . و(المَجِيدِ) : الكريم على الله . الكثير الخير . فكلُّ من طلب منه مقصودًا وجده فيه . وكلُّ من لاذ به استغنى به عن غيره ؛ وإغناءُ المحتاج غايةُ الكرم . مأخوذ من المَجْد . وهو السَّعة فى الكَرَم . وأصلُه من مَجَدَتِ الإبلُ وأمجدَتْ : إذا وقعتْ فى مرعًى كثيرٍ واسع .

٢ ، ٣ ـ ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ يخوِّفهم بالقرآن عذابَ اليوم الآخر إذا أصرُّوا على كفرهم . وهو إضرابٌ عما يدلّ عليه جوابُ القَسَم ؛ أى فلم يؤمنوا بل قابلوا المنذِر والمنذَر به بالإنكار والتعجُّب : ﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ هٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ أى البعثُ الذى أنذَر به محمّد ، أمرٌ يُتعجَّب منه . ثم قرّروا التعجُّبَ بقولهم : ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ أى أحِين نَمُوت ونصير ترابًا نرجع كما يقول !؟ ﴿ذٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ أى البعثُ بعد الموت رجعٌ بعيدٌ عن الأفهام أو العادة ، أو الإمكان . يقال : رجَعْتُه أرجعه رجْعًا . ورَجَع هو يَرجعُ رُجوعًا .

٤ ـ ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ أى ما تأكل الأرض من أجسادهم بعد الموت ؛ فكيف يستبعدون أن نُرجعهم أحياءً كما كانوا ؟ ﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ أى وعندنا مع علمنا بذلك كتابٌ حافظٌ لتفاصيل الأشياء كلِّها ، كليّاتِها وجزئيّاتها . ومنها أجزاؤهم

وعددُهم وأسماؤهم وأعمالُهم . وهو تأكيدٌ لعلمه تعالى بها بثبوتها فى اللَّوح المحفوظ عنده سبحانه .

٥ - ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ أى بل جاءوا بما هو أفظعُ من تعجُّبهم ، وهو تكذيبهم بالنبوّة الثابتة بالمعجزات الظاهرة ؛ من غير تفكُّر وتدبُّر - المستلزمُ لتكذيب أنباء البعث والتوحيد وغيرها . ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ مختلطٍ أو فاسدٍ ، أو قَلِقٍ مضطرب . يزعمون مرّةً أن النبيَّ لا يكون بشرًا ، وأخرى أن الأحقَّ بالنبوّة أهلُ الجاه والثَّراء . ويزعمون مرّةً أن النبوّةَ سحرٌ ، وأخرى أنها كهانةٌ . ويستبعدون البعث ، ويتعجبون منه مرّة ، ويجحدونه أخرى ؛ فأى اضطرابٍ أشنعُ من هذا !؟ يقال : مَرِج الدِّينُ والأمرُ - من باب طَرِب - اختلط . ومرِجت أماناتُ الناس : فَسَدت . مَرِج الخاتَمُ فى أصبعه : إذا قَلِق من الهُزال .

٦ - ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا ..﴾ شروعٌ فى بيان بعض أدلّة القدرة التَّامة على البَعْث ، ردًّا لاستبعادهم إيّاه . وهو سبعة أدلة ؛ أىْ أغفَلوا أو أعَمُوا فلم ينظروا - حين أنكروا البعث - إلى السماء فوقهم كيف أحكمنا بناءها ، ورفعناها بغير عمد ، وزيّناها بالكواكب . ﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ شُقوقٍ وفتوقٍ وصُدوعٍ . جمعُ فَرْج ، وهو الشقُّ بين الشيئين . والمرادُ : سلامتُها من كل عيب وخَلَل .

٧ - ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ بسطناها فى رأى العيْن . وهذا لا ينافى كرويّتها لمكان عِظَمها ؛ كما أسلفناه مرارًا . ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ جبالاً ثوابتَ تمنعها من المَيَدان والاضطراب ؛ جمعُ راسية . ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ من كلّ نوْع من النبات حَسَنٍ يَسُرُّ الناظرين ؛ من البَهْجة وهى الحُسْن . يقال : بَهُج - كَظَرُف - فهو بهيج ، أى حَسَنٌ .

٨ - ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ راجعٍ إلى ربّه بالتدبُّر فى بدائع صَنعته ، ودلائلِ قدرته .

٩ - ﴿مَاءً مُبَارَكًا﴾ كثيرَ المنافع . ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ أى حبَّ النبات الذى من شأنه أن يُحصد كالقمح والشعير ؛ والإضافةُ لأدنى ملابسة ، وخُصّ بالذِّكر لأنه المقصودُ بالذّات .

١٠ - ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ وأنبتنا به النخل طوالاً ؛ من البُسوق وهو الطول . يقال : بَسَق فلانٌ على أصحابه - من باب دخل - علاهم وطال عليهم فى الفضل . والنخلُ اسمُ جنس يذكَّر ويؤنَّث ويُجمع . وخُصَّ بالذكر لمزيد فضله وكثرة منافعه . ﴿لَهَا طَلْعٌ﴾ أى للنخل الباسقات طَلْعٌ وهو الكُفُرَّى[1] قبل أن ينبسق . ﴿نَضِيدٌ﴾ منضود ، أى متراكبٌ بعضُه فوق بعض ؛ من نَضَدَ المتاع ينْضِدُه : إذا وضع بعضَه فوق بعض ، كنَضَّده .

---

(١) الكُفُرَّى هى ما يطلع من النخلة ثم يصير ثمراً إن كانت أنثى .

ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾
وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ
وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ
خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ
بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾
إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾
مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ
سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾
وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ

والمرادُ : كثرةُ ما فيه من مادّة التّمر .

١١ - ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ أرضًا جَدْبة لا نماء فيها . وتذكيرُ «مَيْتًا» لكون البلدة بمعنى المكان . ﴿كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾ أى مثلُ تلك الحياة البديعة حياتُكم بالبعث من القبور .

١٢ - ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ..﴾ بيانٌ لكوْن البعث مما أجمع الرسلُ على حقّيّته . وتهديد لكفار مكة . وفيه تسليةٌ للرسول صلى الله عليه وسلم بأن شأنه مع قومه فى ذلك شأنُ الرسل السابقين مع أقوامهم ؛ والعاقبةُ للصابرين . ﴿وَأَصْحَابُ الرَّسِّ﴾ البئر التى كانوا مقيمين حولها [آية ٣٨ الفرقان ص ٤٦٤ ، ٤٦٥] .

١٤ - ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ قومُ شعيب عليه السلام [آية ١٧٦ الشعراء ص ٤٧٦] . ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ باليمن [آية ٣٧ الدخان ص ٦٣٢] . ﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ أى فوجب ونزل بهم وعيدى . وهو كلمة العذاب .

١٥ - ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ تقريرٌ لصحة البعث الذى حُكيت أحوالُ المنكرين له من الأمم المُهْلَكة . أى أقصَدْنا الخلقَ الأوّلَ فعجزنا عنه حتى يُتوهَّمَ عجزنا عن الإعادة ! أى لم نَعْيَ به ولم نعجز عنه ؛ من عَيِيَ بالأمر : إذا عجز عنه وانقطعت حيلته فيه . ولم يهتد لوجه مراده [آية ٣٣ الأحقاف ص٦٤٣] . ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ﴾ أى هم مقرّون بأنّا خلقنا الخلقَ الأوّل . فكيف ينكرون قدرتنا على إعادته ! بل هم فى خلط وشبهة ﴿مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ مستأنَف لما فيه من مخالفة العادة . يقال : لَبَس عليه الأمْرَ - من باب ضَرَب - خَلَطه . وألبسه : غطّاه .

١٦ - ﴿مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ أى ما تحدّثه به وتخطِره بباله . والوَسْوَسَةُ : الصوتُ الخفىُّ . ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ أى ونحن بعلمنا به وبأحواله كلّها أقربُ إليه من أقرب شىء إليه ، وهو عرقُ الوَريد الذى فى باطن عنقه . وهو مَثَلٌ فى فَرط القُرْب . والحبلُ : العِرْقُ . فالمرادُ القربُ بالعلم لا القربُ فى المكان لاستحالته عليه تعالى .

١٧ - ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ أى يكتب الملكان فى صحيفتى حسناته وسيئاته ما يعمله . ﴿عَنِ الْيَمِينِ﴾ قعيدٌ ﴿وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ . فأحدهما عن يمينه لكتابة الحسنات . والآخرُ عن شماله لكتابة السيئات .

١٨ - ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ﴾ مَلَك ﴿رَقِيبٌ﴾ حافظٌ يكتب قوله ﴿عَتِيدٌ﴾ مُعَدٌّ مهيّأ لذلك حاضرٌ عنده لا يفارقه .

نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ * قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾

ثلاثة أرباع الحزب

والمرادُ به : الاثنان المتلقِّيان ؛ وأن كلاًّ منهما رقيبٌ عتيدٌ . يقال : عَتُدَ الشيءُ ـ ككرُم ـ عتادةً وعتَادًا ، حضر ؛ فهو عتَدٌ وعَتِيد . ويتعدَّى بالهمزة والتضعيف فيقال : أعتدَه صاحبُه وعتَّدهُ ، إذا أعدَّه وهيَّأه .

١٩ ـ ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾ شدتُه وكرْبُه ﴿بِالْحَقِّ﴾ بحقيقة الأمر من سعادة الميّت وشقاوته أو بنفس الموت ، وهو الأمر الذى لابُدَّ أن يكون لكل حيٍّ . ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ أى الموتُ هو ما كنتَ منه أيها الإنسان تهْرب وتَفِرُّ فى حياتك فلم ينفعْك منه الهربُ والفِرار . يقال : حاد عن الشيء ، يحيد حَيْدَةً وحُيودًا . تَنَحّى عنه وبَعُد .

٢١ ، ٢٢ ـ ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ برّةٍ أو فاجرةٍ ﴿مَعَهَا سَائِقٌ﴾ مَلَكٌ يسوقها إلى المحشر . ﴿وَشَهِيدٌ﴾ مَلَكٌ يَشهد عليها بعملها . ثم يقال للكافر إذا عاين مالم يكن يصدّق به فى الدنيا لغفلته : ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِى غَفْلَةٍ مِنْ هَٰذَا﴾ الذى تعاينه . ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾ فأزلنا عنك الغفلة التى كانت تحجبك عن أمور المعاد . ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ نافذٌ قوىٌّ تُبْصِر به ما كنت تجحده فى الدنيا . يقال : هو حديدُ النظر وحديدُ الفهم ، إذا كان نافذًا .

٢٣ ، ٢٤ ـ ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ أى قال شيطانه المُقَيَّض له فى الدنيا : هذا ـ أى الكافرُ ـ الذى عندى وفى مَلكتى مهيَّأٌ لجهنم بإغوائى وإضلالى . أو قال المَلك الموكَّل بكتابة السيئات : هذا الذى فى صحيفته من السيئات مكتوبٌ عندى عتيدٌ مهيَّأ للعرْض ؛ فيقال للمَلَكين من خزنة النار ، أو للسائق والشهيد : ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ إطرحا فى جهنمَ كلَّ مبالغٍ فى الكفر ، شديدٍ فى العناد وإباء الانقياد للحق .

٢٥ ـ ﴿مُعْتَدٍ﴾ ظالم متجاوز للحد . ﴿مُرِيبٍ﴾ شاكٌّ فى الله وفى دينه .

٢٧ ـ ﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾ أى الشيطان ؛ ردًّا لقوله ربَّنا أطغانى شيطانى . ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِنْ كَانَ فِى ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ فأعنته عليه بالإغواء والتزيين من غير قَسْرٍ له ولا إلجاء .

٢٨ ـ ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾ على الكفر فى دار العمل فى كتبى وعلى ألسنة رسلى ؛ فلا تطمعوا فى الخلاص مما أنتم فيه بالمعاذير الباطلة .

٢٩ ـ ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ إذ آخُذهم بما قدَّموا ، وأعاقبُهم بما أسلفوا ؛ فعذابُهم عَدْلٌ لا شائبةَ للظلم فيه .

٣١ ـ ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ



هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ
الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ
ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا
مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم
بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾
وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾
وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ
يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ

لِلْمُتَّقِينَ ..﴾ أُدْنِيَتْ وقُرِّبت للذين اتّقَوْا ربّهم بأداء فرائضه واجتنابِ معاصيه في مكان غير بعيد منهم . يقال : أزلفه ، إذا قرّبه ؛ ومنه الزُّلْفةُ والزُّلْفَى ، بمعنى القُرْبة والمنزلة .

٣٢ – ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ لكلّ رجّاعٍ إلى الله حافظٍ لحدوده ؛ بدلٌ من « المتقين » .

٣٣ – ﴿بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ راجع إلى الله تعالى مخلصٍ في طاعته .

٣٦ – ﴿مِنْ قَرْنٍ﴾ قوم و« مِنْ » زائدة . ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ قوّةً . أو أخذًا شديدًا في كل شيء ؛ كعادٍ وقوم فرعون . والبَطْشُ : السَّطوةُ ، أو الأخذ بالعُنف . ﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ﴾ طوّفُوا فيها وساروا في نُقوبها طلباً للهرب ؛ فلم يَسلموا من الهلاك . يقال : نَقَب في الأرض ، ذهب ؛ كأنقب ونقَّب . وأصلُ النَّقْب : الخرقُ والدّخولُ في الشيء ؛ ومنه نَقَبَ الجدارَ . وجمعُه نُقوب . ﴿هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ معدِل ومهربٍ منه . يقال : حاص يَحيص حَيْصًا ومَحِيصًا ، عَدَل وحاد .

٣٨ – ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ ..﴾ أي خلقنا السماوات في يومين ، ومنافعَها في يومين . ولو شاء الله لخلق الكلَّ في أقلّ من لمح البصر ؛ ولكنه تعالى من فضله علّمنا بذلك التأنّي في الأمور . ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ تَعَب وإعياء . مصدرُ لغَب – من باب دخل – أي أعيى . وهو رَدٌّ على اليهود في قولهم : إن الله استراح يومَ السبت .

٣٩ – ﴿وَسَبِّحْ﴾ أي نَزِّه ربَّك عما لا يليق به . أو صَلِّ له تعالى ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ وهما وقتا الفجر والعصر .

٤٠ – ﴿وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ أي وسبّحه أعقابَ الصلوات . وهو ما ورد في حديث (من سبّح لله في دُبُر كلِّ صلاة ثلاثًا وثلاثين ، وحَمِد الله ثلاثا وثلاثين ، وكبّر الله ثلاثا وثلاثين ؛ فتلك تسعةٌ وتسعون . وتمامُ المائة : لا إله إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شريك له ، له المُلْكُ وله الحَمْدُ ، وهو على كلِّ شيء قديرٌ ، غُفِرَتْ خطاياه وإن كانت مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ)[1] . وقيل التسبيح « أدْبَارَ السجود » : النوافلُ بعد المكتوبات .

٤٢ – ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ أي يسمعون النفخةَ الثانية مُتلبِّسة بالحقّ ، وهو البَعْث والنُّشُور . ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ

(١) رواه أحمد ومسلم .

بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

(٥١) سُورَةُ الذَّارِيَاتِ مَكِّيَّة
وآياتها ٦٠ نزلت بعد الأحقاف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ

﴿الْخُرُوجِ﴾ من القبور .

٤٤ ـ ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ ..﴾ أي يخرجون يومَ تنفلق عنهم الأرضُ سِرَاعاً إلى المحشر .

٤٥ ـ ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ أي بمسلَّط عليهم تجبُرهم على الإسلام ؛ وهو كقوله تعالى : «لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ»[1] . و«جبّار» صيغةُ مبالغةٍ ؛ من جَبَر الثلاثيّ . يقال : جبره على الأمر . أى قهره عليه كأجبره . والله أعلم .

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

١ : ٤ ـ ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ..﴾ أقسم تعالى بالرّياح التى تذْرُو الترابَ وغيرَه لقوّتها . ثم بالسُّحب الحاملات للأمطار ، ثم بالسُّفن الجاريات جريًا سهلاً فى البحار ، ثم بالملائكة المقسِّماتِ الأمورَ المقدَّرةَ بين الخلق على ما أُمِرت به ـ على أن ما وُعدوا به من البعث موعودٌ صادقٌ . وأن الجزاءَ يومَ القيامة محقَّقٌ واقعٌ . وقد رُتّبت هذه الأقسامُ باعتبار تفاوتها فى الدلالة على كمال قدرته تعالى ؛ وإن كانت كلها من أعظم دلائل القدرة على البعث . والمقصودُ بها : أن من قدَر على هذه الأمور العجيبة . يَقدِر على إعادة ما أنشأه أوّلاً . (وَالذَّارِيَاتِ) من ذَرت الرّيحُ الترابَ تذرُوه ذَرْوًا . وتَذْريه ذَرْيًا ـ من بابَى عَدَا ورَمَى ـ سَفَتْه وطيّرته . و(ذَرْوًا) مصدرٌ مؤكد . وِقْرًا أى حِملاً وثِقْلاً . مفعولٌ به . يُسْرًا أى جَرْيًا ذا يُسْرٍ وسهولةٍ إلى حيث سُيِّرت ؛ صفةُ مصْدر محذوفٍ بتقدير مضاف . (أَمْرًا) مفعولٌ به .

٦ ـ ﴿وَإِنَّ الدِّينَ﴾ الجزاء بعد الحساب .

٧ ، ٨ ـ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ ثم أقسم تعالى بالسماوات ذوات الطرُق التى تسير فيها الكواكب ؛ وهى من بدائع الصُّنع . جمعُ حَبيكة ؛ كطريقة وزْنًا ومعنًى . أو حِباكٍ ؛ كمُثُل ومِثال . والحَبيكةُ والحِباك : الطريقةُ فى الرّمل ونحوه . ويقال : حُبُك لما يُرَى فى الماء أو الرّمل إذا مرّت به الرّيح اللّينة من التكسُّر والتثنّى . أو ذات الخَلْق السَّوىّ الجيّد ؛ من قولهم : حَبَكَ الثوبَ يَحْبِكه حَبْكًا . أجاد نسجَه . وكلُّ شىء أحكمته وأحسنت عمله فقد احتبكْته . وجوابُ القَسَم :

(١) آية ٢٢ الغاشية .

مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾

﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ أي متخالفٍ متناقضٍ في أمره تعالى حيث تقولون : إنه خالقُ السماوات والأرض ؛ وتعبدون الأصنام من دونه . وفى أمْر الرسول صلى الله عليه وسلم فتقولون تارةً : مجنون . وأخرى ساحر . وفى أمر الحشر فتنكرونه تارةً . وتزعمون أخرى أن أصنامكم شفعاؤكم عند الله يومَ القيامة . والنُّكتةُ في هذا القَسَم : تشبيهُ أقوالِهم في اختلافها وتنافى مناحيها بطرائق السماوات في تباعدها واختلاف هيئاتها .

٩ - ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ يُصرف - عن الإيمان بما كُلِّفوا الإيمانَ به . ومنه البعث والجزاء أو عن القرآن - مَن صُرِفَ الصرفَ الذى لا أشدّ منه ولا أعظمَ ؛ مِن الأفْك ، وهو صرف الشيء عن وجهه الذى يَحِقّ أن يكون عليه .

١٠ - ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ لُعن الكذّابون أصحابُ القول المختلف ؛ وهو دعاءٌ عليهم بذلك . وأُطلق على اللّعن قَتْلٌ ؛ لأن الملعون بمنزلة المقتول الهالك . جمع خَرّاص وهو الكذاب . يقال : خَرَص يَخْرُص خرْصًا . أى كذَب ؛ كَخَلَق واختلق . وأصلُ الخَرْص : الظّنّ والتّخْمين . ثم تُجُوِّز به عن الكذب ؛ لأنه ينشأ غالبًا عن الظّن .

١١ - ﴿فِي غَمْرَةٍ﴾ في جهالة تغمرُهم كالماء الذى يَغْمُرُ ما فيه . ﴿سَاهُونَ﴾ غافلون عما أُمِروا به

والغَمْرةُ : ما ستَر الشيء وغطّاه ؛ ومنه نهرٌ غَمْرٌ : أى يغمر من دخله . والسَّهْو : الغفلةُ عن الشيء .

١٣ - ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ جوابٌ لقولهم (أَيَّانَ يَوْمُ الدِّين) أى يقعُ يومُ الدِّين والجزاء يومَ يُحرقون بالنار ؛ من قولهم : فَتَنْتُ الذهبَ . أى أذبتُه ليُختبر ويظهر خَبَثه ؛ ثم استُعمل في الإحراق والتعذيب . وعُدِّىَ الفعل بـ(على) لتضمُّنه معنى يعرضون . أو على بمعنى في .

١٧ - ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ أى كانوا يَنامون من الليل زمانًا قليلاً ويقُومون أكثرَه . والهُجُوعُ : النومُ ليلاً ؛ وقيّده بعضُهم بالقليل . وبابه خَضَع . و(ما) زائدةٌ .

١٨ - ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ جمع سَحَر . وهو الجزء الأخير من الليل [آية ١٧ آل عمران ص ٧٥] . أى هم دائمًا مع هذا الاجتهاد يَعُدُّون أنفسهم مذنبين . ويطلبون من الله المغفرة ؛ لوفور علمهم بالله . وأنهم لا يستطيعون أن يَقْدُروه حقَّ قَدْره مهما اجتهدوا في العبادة والطاعة . وقيل معناه : يصلُّون بالأسحار لطلب المغفرة .

١٩ - ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ ..﴾ أى يوجبون على أنفسهم في أموالهم حقًّا للسائل والمحروم . تقرُّبًا إلى الله عز وجل بمقتضى كَرَم النفس وجودها ؛

وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ * قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾



يَصِلُون به الأرحامَ والفقراءَ والمساكين. والحقُّ هنا: غيرُ الزّكاة المفروضةِ؛ إذ السورةُ مكيّة، والزكاةُ إنما فُرضت بالمدينة. والسائلُ: هو من يسأل الناسَ لفاقته. والمحرومُ: هو المتعفف عن السؤال مع الحاجة؛ فيُحْرَمُ الصدقةَ من أكثر الناس لظنهم فيه الغِنَى.

٢٠ – ﴿آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ دلائلُ للموحِّدين الذين سلكوا الطَّريقَ السَّوِيَّ الموصِّلَ إلى اليقين. وخُصُّوا بالذكر لأنهم هم المنتفعون بالنظر فيها.

٢١ – ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ ..﴾ فى نشأتها وأطوارها وسائرِ أحوالها آياتٌ للمتبصّرين.

٢٢ – ﴿وَفِي السَّماءِ رِزْقُكُمْ﴾ أى سَبَبُ رزقكم وهو المطر.. والسماءُ: السحابُ ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ أى وفى السماء مكتوبٌ ما توعدون به من الثواب والعقاب، والبعثِ والخيرِ والشرِّ.

٢٣ – ﴿إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ أى إن جميع ما ذُكر من أوّل السورة إلى هنا لحقٌّ ثابتٌ لا مِرْيةَ فيه. ﴿مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ أى كمثل نطقكم المعلومِ لكم ضرورةً.

٢٤ – ﴿ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ وهم الملائكة الذين نزلوا عنده. والضَّيْفُ فى الأصل: مصدرٌ بمعنى المَيْلِ؛ ولذلك يُطلق على الواحد والأكثر.

٢٥ – ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ أى هؤلاء قومٌ غرباءُ لا نعرفهم. قال ذلك فى نفسه.

٢٦ – ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ﴾ عَدَلَ ومال إليهم فى خفْية. يقال: راغ فلان إلى كذا، مال إليه لأمر يريده منه بالاحتيال. وراغ الثّعلب رَوْغًا ورَوَغانًا: ذهب يَمنةً ويَسرةً فى سُرعة وخَديعة؛ فهو لا يستقرّ فى جهة.

٢٨ – ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أحسّ منهم فى نفسه خوْفًا حين رأى عليه السلام إعراضَهم عن طعامه. ﴿بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ هو هنا اسحاق عند الجمهور.

٢٩ – ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ﴾ فى صيْحة وضَجّةٍ تعجُّبًا من هذه البشرى؛ من الصَّرير وهو الصوت. ومنه صريرُ الباب: أى صوته. ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ لطمَتْه بيدها تعجُّبًا، وهو فِعلُ النساء إذا تعجّبن من شىء. والصَّكُّ: الضَّربُ الشديدُ

فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا

بالشيء العريض .

٣١ ـ ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ ما حالُكم وشأنُكم الخطير ، الذى لأجله أرسلتم سِوَى هذه البشرى !

٣٤ ـ ﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾ مُعَلَّمةً عند الله قد أعدّها لرجم مَن قضى برَجْمه من المسرفين فى العصيان ؛ من السُّومَة وهى العلامة .

٣٥ ـ ﴿مَنْ كَانَ فِيهَا . .﴾ لوطًا وابنتيه .

٣٨ ـ ﴿وَفِى مُوسَى﴾ وتركنا فى قصة موسى آيةً . وكذلك يقال فى (وَفِى عَادٍ) وفى (وَفِى ثَمُودَ) .

٣٩ ـ ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ﴾ أى أعرض فرعونُ عن الإيمان بموسى . وهو مِثْلُ نأى بجانبه وثَنَى عِطْفَه . والرُّكْنُ : جانبُ البَدَن وعِطْفُه . أو أعْرض بجنوده عن الإيمان ، وهم الرُّكن ؛ لأنه يركن إليهم وَيتقوّى بهم . أو تولّى معرضًا بقوّته وسلطانه ؛ والرُّكْنُ : العِزَّة والمَنَعة .

٤٠ ـ ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ آتٍ بما يُلام عليه من الكفر والطّغيان ؛ مِن ألام : إذا أتى ما يُلام عليه ؛ كأغرب : إذا أتى أمرًا غريبًا .

٤١ ـ ﴿الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ الشديدة التى لا خيْرَ فيها من إنشاء مطر أو إلقاح شجر ؛ وهى ريحُ الهلاك . وَرُوِىَ أنها الدَّبُور . وُصِفت بالعُقْم لأنّها لمّا أهلكتهم وقطعَت نَسلَهم أشبهت الإهلاكَ بعدم الحمل ؛ لما فيه من إذهاب النَّسل .

٤٢ ـ ﴿كَالرَّمِيمِ﴾ كالهَشِيم المُفتَّت . يقال للنَّبت إذا يَبِسَ وتفتَّت : رميمٌ وهشِيمٌ . ورَمّ العظمُ : بَلِىَ . ويقال للبالِى : رُمام ؛ كغُراب .

٤٤ ـ ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ فاستكبروا عن طاعة ربّهم . ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ أهلكتهم . وكلُّ صاعقةٍ فى القرآن فهى العذاب المهلك .

٤٧ ـ ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ أى ملتبسةً بقوّة وقدرة . يقال : آدَ الرجلُ يئيدُ ـ من باب باع ـ اشتدَّ وقوىَ . ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ لقادرون ؛ مِن الوُسْع بمعنى الطاقة . يقال : أوسَعَ الرجُلُ : أى صار ذا وُسْع ؛ كأوراق الشجر : أى صار ذا وَرَق .

٤٨ ـ ﴿فَرَشْنَاهَا﴾ مهّدناها كالفِراش للاستقرار عليها . ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ المسوون المصلحون .

٤٩ ـ ﴿زَوْجَيْنِ﴾ نوعيْن متقابليْن كالليل والنهار ، والسماءِ

بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

والأرضِ ، والهدى والضلالِ ، إلى غير ذلك .

٥٠ - ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ فاهربوا من عقابه إلى ثوابه .

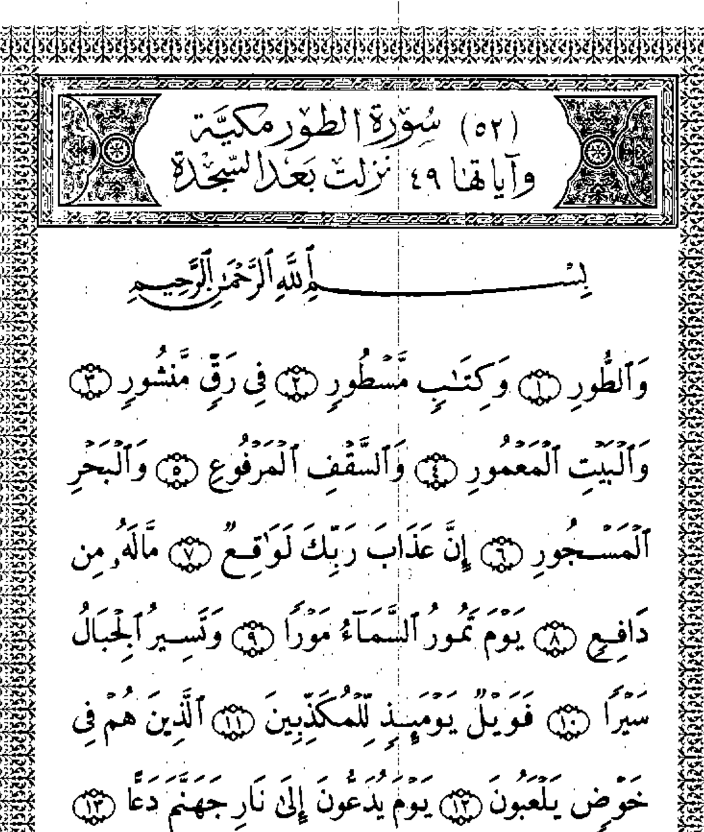
٥٣ - ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ﴾ أجَمعهم على هذا القول الشنيعِ وصيّة بعضِهم بَعضًا به حتى قالوه جميعًا ؟ ثم أضرب عن ذلك وبيَّن أن الجامع لهم عليه هو طغيانُهم جميعًا فقال : ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ .

٥٥ - ﴿وَذَكِّرْ﴾ دُمْ على التذكير والوَعْظ .

٥٦ - ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أى لم أخلق الثقلَيْن إلا مهيّئِين لعبادتى بما رَكّبتُ فيهم من العقول والحواسّ والقُوَى ؛ فهم على حالة صالحةٍ للعبادة مستعدّةٍ لها ، فذكِّرْهم بوجودى وتوحيدى وعبادتى . فمن جرى على موجَب استعداده وفطرته آمن بى وعبدنى وحْدى . ومن عاند استعدادَه وفطرتَه واتّبع هواه ، سلك غير سبيلِ المؤمنين . وفى جعْل الخلْقِ مُغَيًّا بالعبادة مبالغةٌ ؛ بتنزيل استعدادِهم للعبادة منزلةَ العبادة نفسِها . أو أنه تعالى ما خلقهم إلا لغايةٍ كماليّةٍ وهى عبادته ؛ وتَخلُّفُ بعضِهم عن الوصول إليها لا يمنع كونهَا غايةً كماليّةً للخلق . وقيل : المراد بالجن والإنس : المؤمنون ؛ واللام للغاية .

٥٩ - ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾ أى حَظًّا ونصيبًا من العقابَ نازلاً بهم ؛ مثلَ نصيبِ مَن سبَقهم من الكفار . والذَّنوبُ فى الأصل : الدَّلْوُ العظيمة المملوءةُ ماءً . ولا يقال لها ذَنوب إذا كانت فارغةً . وجمعُها ذنائب ؛ كقَلُوص وقلائص ، وكانوا يستقون الماء فيقسمونه بينهم على الأنصباء ؛ فيكون لهذا ذَنوبٌ ولهذا ذنوبٌ . ومِن ثَمَّ فُسِّر الذَّنوبُ بالنّصيب .

٦٠ - ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ..﴾ هلاكٌ . أو حسرةٌ فى يوم بَدْر . أو فى يوم القيامة . واللهُ أعلم .



(٥٢) سُورَةُ الطُّورِ مَكِّيَّة
وآياتها ٤٩ نزلت بعد السجدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ (١) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (٣) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤) وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (٥) وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (٦) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ (٨) يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (٩) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا (١٠) فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١١) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (١٢) يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (١٣)

سُورَةُ الطُّور

١ : ٧ - ﴿وَالطُّورِ..﴾ أقسم الله فى مُفْتَتَح هذه السورة بخمسة من أعظم المخلوقات، دلالةً على عظيم قدرته تعالى وبديع صنعته؛ لتأكيد وقوع العذاب بالكافرين يومَ البعث والجزاء. فأقسم بجبل طُورِ سيناء، الذى كلَّم الله عليه موسى عليه السلام تكريمًا له وتذكيرًا بما فيه من الآيات. وبكتبه المنزَّلة على أنبيائه بالهُدَى والحقّ. وببيْته الحرامِ المعمورِ بالطَّائفين والقائمين والرُّكعِ السُّجودِ، الذى جعَله للناس مثابةً وأمْنًا. وبالسماء المرفوعةِ بلا عمد؛ وفيها من عجائب الصنْعة مالا يقادَرُ قدْرُه. وبالبحار المحيطةِ التى تسير فيها السُّفُن كالأعلام، وفيها عجائبُ شتَّى. وجوابُ القَسَم: (إنَّ عذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ) بالمكذِّبين. ﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾ أى مكتوبٍ متَّسِق الكتابة بسطور مصفوفة فى حروف مرتَّبةٍ جامعةٍ لكلماتٍ متَّفقة. وقيل: المرادُ به التوراة، أو القرآن، أو صحائفُ الأعمال. ﴿فِي رَقٍّ﴾ هو كلُّ ما يُكتب فيه من ألْواح وغيرها. وأصلُه: الجلدُ الرقيق يُكتب فيه. ﴿مَنْشُورٍ﴾ مفتوحٍ غيرِ مطوىٍّ. والمرادُ: أنه معرَّضٌ لكل ناظر. وفيه إلماعٌ إلى سلامته من العيوب؛ شأنُ ما يُعرَّض للناس عامَّة. ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ هو البيتُ الحرام. وقيل: هو بيتٌ فى السماء، مُسامِتٌ للكعبة تطوف به الملائكة. ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ السماء.. ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ أى المملوءِ ماءً. يقال: سَجَرَ النهر: ملأه. وهو البحر المحيط؛ والمرادُ الجنسُ. وقيل: الموقَد نارًا عند قيام الساعة؛ كما قال تعالى: (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ)[1]. أى أُوقدت نارًا؛ مِن سَجَر التَّنورَ يسجُرُه سَجْرًا، أحماه. وُصف البحرُ بذلك إعلامًا بأن البحار عند فناء الدنيا تُحمَى بنار من تحتها فتتبخّر مياهُها، وتندلع النار فى تجاويفها وتصير كلّها حُمَمًا. ﴿إِنَّ عَذَابَ..﴾ جواب القسم بما سبق.

٩ - ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ أى أن هذا العذاب لواقعٌ يومَ تضطرب السماء وتدور كالرَّحىَ، وتتداخل وتختلف أجزاؤها وتتكفّأ بأهلها؛ وذلك عند خراب العالَم وانقضاء الدنيا. والمَوْرُ: الحركة والاضطراب والدّوران، والمجىء والذهاب، والتموّج والتكفُّؤ.

١٠ - ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ تزول عن أماكنها وتَطير كالسحاب، ثم تتفتّت كالرمل، ثم تصير كالعِهْن المنفوش، ثم تطيّرها الرياح فتكون هباءً منْبثًّا.

١١ - ﴿فَوَيْلٌ﴾ هلاكٌ وحسْرةٌ.

١٢ - ﴿فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ فى

(١) آية ٦ التكوير.

هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِيٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ



اندفاع فى الباطل يلهُون ، لا يذكرُون حسابًا ، ولا يَخْشَوْنَ عقابًا [آية ١٤٠ النساء ص ١٣٥] .

١٣ - ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ يُدفعون إليها دفعًا بعُنف ؛ ويُطرَحون فيها ؛ مِن الدَّعّ وهو الدّفع العنيف . يقال : دَعّه يدُعُّه دَعًّا ، دفعه فى جَفْوة ؛ ومنه (فَذَلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ)[1] .

١٦ - ﴿اصْلَوْهَا﴾ أدخلوها ، أو قاسوا حرها [آية ١٠ النساء ص ١٠٨] .

١٨ - ﴿فَاكِهِينَ﴾ ناعمين . وقُرِئَ (فَكِهِين) وهو بمعناه [آية ٥٥ يس ص ٥٦١ ، ٥٦٢] .

٢٠ - ﴿عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ﴾ موضوعةٍ على صَفٍّ وخطٍّ مستوٍ . ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ قرَنّاهم بهنّ [آية ٥٤ الدخان ص ٦٣٣] .

٢١ - ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ ..﴾ بيانٌ لحال طائفة من أهل الجنة ، وهم الذين شاركتهم ذرّيتُهم - الأقلّ منهم عملاً - فى الإيمان . والذرّيةُ : تصدق على الأبناء والآباء ؛ أى أن المؤمن إذا كان عملُه أكثرَ ، أُلحق به مَن دونه فى العمل ، إبنًا كان أو أبًا ، سواء كان الأبناء صغارًا أم كبارًا . رُوِىَ عن ابن عباس رضى الله عنهما : إن الله ليرفع ذريَّةَ المؤمنِ معه فى درجته في الجنة وإن كانوا دونه في العمل ؛ لتقرَّ بهم عينُه[2] . وعنه مرفوعًا : (إذا دخل الرجلُ الجنةَ سأل عن أبويه وزوجته وولده فيقال له : إنهم لم يبلغوا درجتك وعملك ؛ فيقول : يا ربِّ قد عملت لى ولهم ، فيؤمَر بإلحاقهم به)[3] وقولُه (وَالَّذِينَ آمَنُوا) مبتدأ خبرُه جملةُ (أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) أى فى الدرجة ، (وَاتَّبَعَتْهُمْ) عطفٌ على (آمَنُوا) . و (بِإِيمَانٍ) متعلّقٌ به ، والباء للسببية أو الظرفية ؛ أى اتّبعتهم بسبب الإيمان أو فيه . ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أى وما نقصنا المتبوعين من ثواب أعمالهم شيئًا بإلحاق ذرّيتِهم بهم فى الدّرجة ؛ بل أعطيناهم ثوابَهم كاملاً ، ورفعنا ذرّيتَهم إلى درجتهم فضلاً وإحسانًا . يقال : ألَته حقَّه يأْلِته - من باب ضَرَب - نقصه . ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أى كلُّ امرئٍ مرهونٌ عند الله بكسبه وعمله ؛ فإن كان عملُه صالحًا فكّ نفسَه وخلّصها ؛ كما يَخلّص المرهون من يد مرتهنه ؛ وإلّا أهلكها .

٢٣ - ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ أى

(١) آية ٢ الماعون . (٢) أخرجه الحاكم والبيهقي . (٣) أخرجه البزار والطبراني .

غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا
مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾
إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ
فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ
يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ
تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ
أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ
تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن

يتجاذبون للمداعبة ، أو يتعاطون فيها إناءً فيه الشراب المسمّى خمرًا . أو نفسَ الشّراب الذى فى الإناء . ﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ أى لا يصدر منهم فى شربها كلامٌ ساقطٌ لا خيرَ فيه ، ولا يأتون ما يؤثّم به فاعله ؛ وإنما يتحدّثون بأحاسنِ الكلامِ ، لا كما يحصل بين ندامَى الخمرِ فى الدُّنيا .

٢٤ ـ ﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ أى كأنهم فى الصّفاء والبياض : لؤلؤٌ محفوظٌ فى الصّدَف ، لم تنله الأيدى . يقال : كنَنْتُ الشىءَ كنًّا وكُنونًا ، جعلتُه فى كِنٍّ ، وسترْتُه بنحو بيت أو ثوبٍ ؛ فهو مكنون .

٢٦ ـ ﴿مُشْفِقِينَ﴾ أى مُعتَنين بطاعته تعالى ، خائفين من عصيانه . والإشفاقُ : عنايةٌ مختلطةٌ بخوْف . وإذا عُدِّىَ بمِن فمعنَى الخوفِ فيه أظهر . وإذا عُدِّىَ بفى ـ كما هنا ـ فمعنَى العنايةِ فيه أظهر .

٢٧ ـ ﴿وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ عذابَ النارِ النّافذة فى المَسَامّ نفوذَ السَّموم . وهى الريحُ الحارّة التى تتخلّل المسامّ ، وتؤثّر فى الأجسام تأثيرَ السّم .

٢٨ ـ ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ﴾ المحسنُ على عباده .

٢٩ ـ ﴿فَذَكِّرْ﴾ فاثبُت على ما أنت عليه من التذكير ، ولا تكترث بما يصفونك به من الأوصاف القبيحة . ﴿فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ أى فما أنت بسبب إنعام الله عليك ﴿بِكَاهِنٍ﴾ تخبر بالغيب من غير وحى من الله ﴿وَلَا مَجْنُونٍ﴾ تقول ما لا تقصد .

٣٠ ـ ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ﴾ أى بل أيقولون هو شاعر ! ﴿نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ ننتظر به حوادثَ الدّهر وصروفَه المهلكة ! والرَّيْبُ : مصدرُ رابه إذا أقلقه . والمَنُون : الدهرُ ؛ من المنّ بمعنى القطع ؛ لأنه يقطع الأعمار وغيرها أريد به حوادثُ الدهر مجازًا ؛ لأنها تُقلق النفوس كما يُقلقها الشكّ ، وعُبِّر عنها بالمصدر مبالغةً . أو ننتظر به نزول المَنِيَّة . والمنونُ : المنِيَّةُ ؛ لأنها تَنْقُص العَدَدَ وتقطع المَدَد . والرَّيْبُ : النزولُ ؛ من راب عليه الدّهر : أى نزل . والمرادُ بنزولها الهلاكُ . وذُكرت «أمْ» فى هذه السورة خمسَ عشرةَ مرةً ، وكلها إلزامات للمخاطبين ليس لهم عنها جواب . وقال الخليل : إنَّ كلَّ ما فى سورة الطُّور من «أمْ» فهو استفهامٌ لا عطفٌ . وإنما استفهم تعالى مع علمه بهم توبيخًا لهم ؛ على نَمطِ قول الإنسان لغيره : أجاهلٌ أنت ! مع علمه بجهله .

٣٢ ـ ﴿أَحْلَامُهُمْ﴾ عقولُهم . جمعُ حِلم ـ بالكسر ـ وهو فى الأصل : ضبطُ النَّفْس عن هيجان الغضب . وإطلاقُه على العقلِ لكونه منشئًا له . ﴿قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ مجاوزون الحدَّ فى المكابرة والعناد .

كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ

٣٣ - ﴿تَقَوَّلَهُ﴾ اختلق القرآن وافتراه من تلقاء نفسه. والتَّقَوُّلُ: تكلُّفُ القولِ، ويُستعمل غالبًا في الكَذِب. يقال: تقوّل عليه، أي كَذَب. وقوّلتَني ما لم أقل: ادّعيتَه عليّ.

٣٦ - ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ بأنه الخالق وإلا لما أعرضوا عن عبادته تعالى؛ فإيقانُهم به كالعَدَم.

٣٧ - ﴿خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ مقدوراته. ﴿هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ الأَرْبَابُ القاهرون المتسلّطون، حتى يدبّروا أمرَ الربوبيّة على إرادتهم ومشيئتهم! والمُسَيْطِرُ: القاهرُ الغالبُ؛ من سَيْطَرَ عليه: إذا قهره. والمسلَّطُ على الشيء ليُشرف عليه ويتعهّد أحوالَه ويكتب أعمالَه.

٣٨ - ﴿لَهُمْ سُلَّمٌ﴾ مَرْقًى إلى السماء يصعدون به.

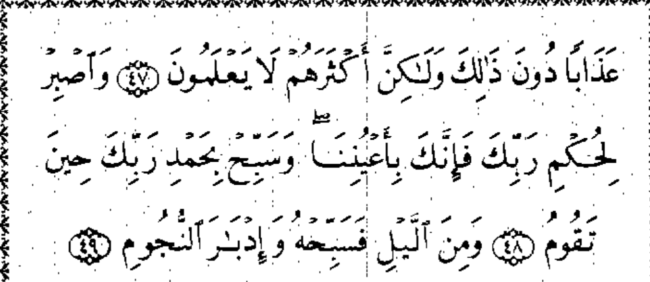
٤٠ - ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ أي فهم من ثِقَل ما حمَّلتَهم من الغُرْم مُتْعَبُونَ مُجْهَدُون؛ فلذلك لا يتّبعونك! يقال: أثقله الحِملُ، أتعبه. والمَغْرَمُ والغُرْمُ: ما ينوب الإنسانَ في ماله من ضَرر لغير جنايةٍ منه أو خيانةٍ.

٤٢ - ﴿هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾ هم المغلوبون الذين يحيق بهم كيدُهم، ويعود عليهم وبالُه. اسمُ مفعولٍ من الكَيْد، وهو المكر والخُبْث والحيلة والحَرْب. وهو إشارة إلى ما دبّروه في دار النَّدْوة بمكة من الفتك به صلى الله عليه وسلم؛ فعصَمه الله منهم وردَّهم خائبين. وقُتلوا يومَ بَدْر في السنة الخامسةَ عشرةَ من البعْثة. وقد كُرِّرت «أم» - كما قدمنا - خمسَ عشرةَ مرّةً؛ بعدد هذه السنين. ولذا قالوا: إنه من معجزات القرآن؛ وكم له من معجزات وغرائبَ وأسرارٍ!!

٤٤ - ﴿كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ قطعةً عظيمةً نازلةً من السماء. أي أنهم لفرط طغيانهم إن عاينوا ذلك ﴿يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ أي هو سحابٌ متراكِمٌ، ملقى بعضُه على بعض يسقينا؛ ولم يصدّقوا أنه كِسْفُ عذاب.

٤٥ - ﴿فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ يُهْلَكون؛ وذلك يومَ بَدْر.

٤٧ - ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي غيرَ ذلك العذاب الذي وقع يوم بدر، وهو عذاب القبر وعذاب الآخرة.



عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾

(٥٣) سُورَةُ النَّجْمِ مَكِّيَّة
إلا آية ٣٢ فمدنية
وآياتها ٦٢ نزلت بعد الإخلاص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ

٤٨ - ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ مذهبُ السّلف في هذه الآية : ما بيّناه في أمثالها . والخلفُ يقولون : المعنى فإنك بمرأى منّا . أو كما قال ابن عباس : نَرَى ما يُعمَل بك . أو فإنك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون إليك بمكروه ؛ فالعَينُ مجازٌ عن الحفظ . ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أى سبّحه متلبّسًا بحمده تعالى . ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ من مجلسك أو من منامك ، أو حين تقوم إلى الصلاة . وقيل : التسبيحُ الصلاةُ إذا قام من نومه .

٤٩ - ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ نزّهه بقولك : سبحان الله وبحمده . أو صَلِّ له النوافلَ ، أو صلاةَ المغرب والعشاء . ﴿وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ أى وقتَ إدبارها وغروبها آخرَ الليل . والتسبيحُ فيه : التنزيه ، أو صلاةُ ركعتي الفجر ، أو صلاةُ فريضةِ الصبح . والله أعلم .

سُورةُ النَّجْم

نزلت حين قال المشركون : إن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] يختلق القرآن .

١ - ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ أقسم الله تعالى بالنجم وقتَ غروبه على أن محمدًا صلى الله عليه وسلم مُنَزَّهٌ عن شائبة الضلال والغواية . والنجمُ : اسمُ جنسٍ لكل كوكب ؛ فالمُقْسَمُ به جنسُ النجم المعروفِ إذا هَوَى ، أى سقط وغَرَب . يقال : هَوَى يَهْوِى هُوِيًّا . سَقَط من فوق إلى أسفَلَ . وقيل : المصدرُ بالضمّ إذا سَقَط ، وبالفتح إذا صَعِد ، وقيل بالعكس . وتقييدُ المُقْسَم به بوقت هُوِيِّه لأنه إذا كان في وَسَط السماء يكون بعيدًا عن الأرض فلا يَهتدِى به السارى ؛ لأنه لا يعلم به المَشْرِقَ من المغرب . ولا الجَنوبَ من الشَّمال . فإذا هَبَط من وسط السماء تبيّن بهبوطه جانبُ المغرب من المشرق . والجَنوبُ من الشَّمال .

٢ : ٤ - ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ ما عدل عن طريق الحق في أقواله وأفعاله . ﴿وَمَا غَوَى﴾ أى ما اعتقد باطلاً قطُّ . والغَيُّ : جهلٌ ناشئٌ من اعتقاد فاسد . ويقابله الرّشد ؛ وهو مَن تعرفون - لطول صحبتكم له - اتصافه بغاية الهدى والرشاد . ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ أى لا يصدر نطقه فيما يأتيكم به عن هوَى نفسه ورأيه . ﴿إِنْ هُوَ﴾ أى ما الذى ينطق به من ذلك ﴿إِلَّا وَحْيٌ﴾ أى مُوحًى به . ﴿يُوحَى﴾ إليه من الله تعالى . والجملة صفةٌ مؤكِّدة لـ «وحيٌ» رافعةٌ لاحتمال التجوُّز به .

٥ - ﴿عَلَّمَهُ﴾ علّم النبيَّ صلى الله عليه وسلم الوحيَ أو القرآنَ ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾ جبريلُ عليه

قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾
مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾
وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾

السلام . فقد بلغَ من شدّة قوّته أن اقتلع قُرى قوم لوطٍ ، ورفعها إلى السماء ثم قلَبها ، وصاح بثمودَ صيحةً أهلكتهم . وكان هبوطُه على الأنبياء وعروجُه إلى السماء فى أسرعَ مِن رجْعِ الطَّرْف .

٦ : ٩ - ﴿ذو مِرَّةٍ﴾ ذو حَصَافةٍ واستحكامٍ فى عقله ورأيه . وهو كنايةٌ عن ظهور آثاره البديعةِ وأفعالِه العجيبة . أو ذو منظَرٍ حسَنٍ . ﴿فَاسْتَوَى﴾ فاستقامَ وظهر فى صورته الملائكيّةِ فى ناحية المشرق ؛ وكان النبىّ صلى الله عليه وسلم عند حِراءَ فى مبادئ النبوّة . ﴿وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى﴾ بالجهة العليا من السماء ؛ فسدَّ الأُفقَ إلى المغرب . وكان يأتى النبىَّ صلى الله عليه وسلم فى صورة آدميّةٍ ؛ فسأله أن يُريَه نفسَه على صورته التى جُبِل عليها . فأراه نفسَه مرّتين : مرّةً فى الأرض ، ومرّةً فى السماء . ولم يره أحدٌ من الأنبياء على صورته التى خلق عليها إلا نبيُّنا صلى الله عليه وسلم ، وهذه المرّة أُولاهما ؛ فخرَّ مغشيًّا عليه . فنزل جبريلُ متمثّلاً فى صورة آدميّةٍ وضمَّه إلى نفسه حتى أفاق وسكن رَوْعُه ؛ وذلك قولُه تعالى : ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ أى قَرُب جبريلُ عليه السلام من النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فزاد فى القُرب حتى كان أقربَ شىءٍ إليه ؛ كما قال تعالى : ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ منه . أى فكان من النبىّ صلى الله عليه وسلم قدر قوْسين من الأقواس العربيّة المعهودة بل أقرب . والقابُ : القَدْرُ ؛ وقد جاء التقديرُ للأطوال بالذِّراع والباعِ والرُّمْح والسَّوطِ والقَوْس ، وربما سمَّوا الذراعَ قوسًا ؛ والمعنى عليه : كمقدار ذراعين بل أقرب . وقيل القابُ : ما بين وَتَرِ القَوْس ومَقْبِضها . وكان العرب فى الجاهلية إذا تحالفوا يُخرجون قوسين ويُلصقون إحداهما بالأخرى ، فيكون قابُ إحداهما ملاصقًا للآخر حتى كأنهما قابٌ واحد ، ثم ينزعونهما معًا ويرمون بهما سهمًا واحدًا ؛ فيكون ذلك رمزًا إلى أن رضاءَ أحدهم رضاءُ الآخر ، وسخطَه سخطُه . فكان جبريلُ ملاصِقًا له صلى الله عليه وسلم كما يلاصق القابُ القابَ من القوسين . وهذا المعنى ألْيَقُ برواية : (ضمَّه إلى نفسه) .

١٠ - ﴿فَأَوْحَى﴾ جبريلُ بأمر الله تعالى ﴿إِلَى عَبْدِهِ﴾ عبدِ الله محمدٍ صلى الله عليه وسلم ﴿مَا أَوْحَى﴾ وأُبهم الموحَى به للتفخيم ؛ كما فى قوله تعالى : (فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ)[1] . أو ما أوْحَى إليه ربُّه .

١١ - ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ أى ما كذب فؤادُ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ما رآه ببصره من صورة جبريلَ ؛ أى ما قال فؤاده لمَّا رآه ببصره : لم أعرفْك . ولا يمكن أن يقول ذلك ! لأنه عرفه بقلبه كما رآه ببصره .

١٢ - ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾ أتكذّبونه فتجادلونه فيما يراه من الصُّوَر التى يأتى بها إليه جبريلُ عليه السلام بعد ما رآه قبلُ وحققه ؛ بحيث لا يشتبه عليه بأىّ صورة أتى . أو فيما رآه من صورة جبريل عليه السلام على خلقته الأصلية . يقال : ماراه يُماريه مُماراةً ومِراءً ، جادله . مشتقٌّ من مَرَى النَّاقةَ يَمْريها ، إذا مَسَح ضَرعها ليخرج لبنها وتدرّ به . فشبّه به الجدال ؛ لأن كلاً من المتجادلين يَمْرى ما عند صاحبه ، أى يسعى لاستخراجه ليُلزمه الحجّة . وعُدّىَ الفعل بـ (عَلَى) لتضمُّنه معنى المغالبة .

١٣ ، ١٤ - ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ أى رأى النبىُّ صلى الله عليه وسلم جبريلَ فى صورته التى

(١) آية ٧٨ طه .

عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَـٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْـَٔاخِرَةُ

خُلق عليها نازلاً من السماء نزلةً أخرى ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ ليلةَ المعراج . وهذه هى المرّة الثانيةُ ، وكانت قبل الهجرة بسنة وأربعةِ أشهر . وقيل بثلاث سنين ؛ فكان بين الرؤيتين نحوُ عشر سنين . والسِّدْرةُ فى الأصل : شجرةُ النَّبق ؛ وخلقُ شَجرةٍ فى السماء كخَلْق شجرة الزَّقُوم فى أصل الجحيم . وعدمُ رؤيتها بالأرصاد لا يدل على عدم وجودها لفرط بعدها . وقيل : إطلاق السِّدرة عليها مجازٌ ؛ لأن الملائكة تجتمع عندها كما يجتمع الناس فى ظلّ السِّدرة المعروفة . والمنتهَى : إسمُ مكانٍ ، أو مصدَرٌ ميمىٌّ بمعنى الانتهاء ، وإضافةُ السِّدْرَة إليه من إضافة الشيء إلى مكانه ؛ كأشجار البستان . وقيل لها : سدرةُ المنتهى لانتهاء علوم الخلائق إليها ؛ وما وراءها لا يعلمه إلا الله تعالى .

١٥ ـ ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ التى يأوى إليها المتّقون يومَ القيامة . أو هى جنةٌ تأوى إليها أرواحُ الشهداء أو الملائكةُ .

١٦ ـ ﴿يَغْشَى السِّدْرَةَ﴾ يغطيها ويسترها .

١٧ ـ ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ ما مال بصرُه صلى الله عليه وسلم عما أُذن له فى رؤيته وما تجاوزه ، إلى ما لم يُؤذن له فيها ؛ بل أثبته إثباتًا صحيحًا مستيْقِنًا ؛ من الزَّيْغ : وهو المَيْل عن الاستقامة . والطغيان : وهو تجاوز الحدّ .

١٩ ، ٢٠ ـ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى ..﴾ اى أَعُقَيْبَ ما سمعتم من آثار كمال عظمته تعالى ؛ وأحكام قدرته ونفاذ أمره ، رأيتم هذه الأصنامَ مع غاية حقارتها بناتِ الله سبحانه !! وكانوا يقولون لها وللملائكة : بناتُ الله . واللّاتُ : صخرةٌ لثقيف بالطائف . والعُزّى : سَمُراتٌ بنَخْلة لغَطَفان ، وهى التى قطعها خالدُ بنُ الوليد بأمره صلى الله عليه وسلم . وَمَناةُ : صخرةٌ لهُذيل وخُزاعَةَ أو لثقيف . وقيل : إن الثلاثة كانت أصنامًا بالكعبة . ﴿الثَّالِثَةَ﴾ وصفٌ للتأكيد . ﴿الأُخْرَى﴾ صفةُ ذمٍّ للثالثة بأنها متأخِّرةٌ فى الرتبة . وَضِيعَةُ القدر ، وكانت عندهم أعظمَ الثلاثة . وتتضمّن ذم السابقتين أيضًا .

٢٢ ـ ﴿قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ وقُرِئ «ضِئْزَى» أى جائرةٌ أو منقوصةٌ حيث جعلتم له تعالى ما تستنكفون منه . يقال : ضاز فى حكمه ، جار . وضازه حقّه يضيزه ويَضُوزه ضَيْزًا : نقصه وبخسه . وضأزه ـ كمنَعَه ـ بمعناه .

٢٤ ـ ﴿أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ أى بل أللإنسان كلُّ ما يتمنّاه وتشتهيه نفسه . والمرادُ : أنه ليس له كلُّ ما يتمنَّاه ، ومنه شفاعةُ الآلهة لهم ، والظَّفَرُ بالحسنى عند الله يومَ القيامة ، ونزولُ القرآن على رجل عظيم من إحدى القريتيْن .



وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ * وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ

٢٥ ، ٢٦ - ﴿فلِلَّهِ الآخِرَةُ والأُولَى﴾ فهو سبحانه لا يُعطى جميعَ الأمانى فيها لأحد . ولكنه يُعطى فيها ما يشاء لمن يريد . وليس لأحد أن يتحكّم عليه فى شىء منها . ثم ردّ الله عليهم فى زعمهم أن الأصنام تشفع لهم بقوله : ﴿وكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ ..﴾ أى أن الملائكة مع قربهم وعُلُوّ منزلتهم لا تنفع شفاعتهم . إلا إذا شفعوا من بعد أن يأذن الله لهم فى الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له ويرضاه . ويراه أهلاً لأن يُشفع له ؛ فكيف تشفع الأصنام لكم ؟! .

٣١ ، ٣٢ - ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ خلقًا ومِلْكًا لا لغيره . وقد خلق ما فيهما ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ أى بسببه ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ أى بسبب الأعمال الحسنى . أو بالمثوبة الحسنى . ثم وصف المحسنين بقوله : ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ﴾ ما كَبُر عقابه من الذنوب . ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾ ما عَظُم قُبحه من الكبائر . ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ ما صَغُر من الذنوب ؛ كالنظرة والغمزة والقبلة من قولهم : ألمّ بالمكان . إذا قلّ لُبثُه فيه . وألمّ بالطعام : إذا قلّ أكله منه . وقيل : هو مقاربة الذنب من غير مواقعته . فهو الهَمُّ به دون أن يفعله . من قولهم : ألمّ الشىءُ : قَرُبَ . وألمَّ بكذا : قاربه ولم يخالطه . والجمهور على أن الذنوب منقسمة إلى كبائرَ وصغائرَ . وضابطُ الكبيرةِ ما لحق صاحبَها عليها بخصوصها وعيدٌ شديدٌ فى الكتاب أو السنّة وقيل : كل جريمة تؤذن بقلّة اكتراثِ مرتكبها بالدين ورقَّة الديانة . وقيل غير ذلك واعتمد الواحدى أنه لا حدّ لها يحصرها ويعرفها العباد به وقد أخفى الله أمرها ليجتهدوا فى اجتناب المنهِيّ عنه رجاء أن تُجتنب الكبائرُ وعرّفها بعضهم بالعدّ . ومنها الموبقات السبع [تُراجع الزواجر لابن حجر] . ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ ...﴾ أى يعلم أحوالكم ، إذ أنشأكم فى ضمن إنشاء أبيكم آدم من تراب . ﴿إِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ فيعلم أطواركم فيها ، وحاجتكم إلى الغذاء ، ويعلم العددَ والذكورةَ والأنوثة ، ووقتَ الانفصال عن الأم ، ومدّةَ المُكث فى الرَّحِم ، وغيرَ ذلك من شئونها . ﴿فَلَا تُزَكُّوا

إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ

أَنفُسَكُمْ﴾ أي إذا كان عدم المؤاخذة باللَّمم مع كونه من الذنوب ، إنما هي لمحض مغفرته تعالى مع علمه بصدوره منكم ؛ فلا تمدحوا أنفسكم بالطهارة من الذنوب بالكلية ، بل اشكروه تعالى على فضله وواسع مغفرته .

٣٣ - ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ أي أخبرني . ومفعولُها الأوّلُ الموصولُ . والثاني جملةُ (أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ) .

٣٤ - ﴿وَأَعْطَى قَلِيلاً﴾ أعطى شيئًا قليلاً من المال . ﴿وَأَكْدَى﴾ قَطعَ العطاء ؛ من قولهم : أكدى الحافِرُ ، إذا بلغ حفْرُه الى الكُدْيَة - وهي حجر صُلْب - فلم يمكنه الحفر فانقطع عنه . وكَدِيَتْ أصابعُه : إذا كلّت من الحفر فلم تعمل شيئًا . نزلت في الوليد بن المُغيرة حين همّ بالإسلام بعد أن سمع قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وشهد تلاوة القرآن ، وجَلسَ إلى الرسول ووعظه ؛ فعاتبه أحد المشركين ، وضمن له أن يتحمّل عنه عذاب الآخرة إذا أعطاه كذا وكذا من المال ؛ فرجع عما هَمَّ به وأعطى الذى ضمِن له بعضَ المال ثم منعه تمامَه .

٣٧ - ﴿ٱلَّذِى وَفَّى﴾ أتم وأكمل ما أمر به .

٣٨ - ﴿أَلَّا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [آية ١٦٥ الأنعام ص ١٩٨] .

٣٩ - ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ أي أم لم يُنبّأ بما في صحف موسى وإبراهيم أن ليس للإنسان إلا سعيه !؟ فلا يُثاب بعمل غيره ، كما لا يؤاخذ بذنب غيره . أمّا في شريعتنا فقد ثبت بالكتاب والسُّنة والإجماع انتفاعُ الإنسان بعمل غيره . ونقل العلّامة الجَمَل في حاشيته على الجلالين بحثًا نفيسًا لشيخ الإسلام تقيِّ الدين أحمد ابن تَيْمِيَة . ننقل خلاصته لمزيد فائدته . قال : (من اعتقد أن الإنسان لا ينتفع إلا بعمله فقد خرق الإجماعَ ، وذلك باطلٌ من وجوه : أحدها - أن الإنسان ينتفع بدعاء غيره . ثانيها - أن النبيّ صلى الله عليه وسلم يشفع لأهل الموقف في الحساب ، ثم لأهل الجنة في دخولها . ثالثها - يشفع لأهل الكبائر في الخروج من النار ، وهذا انتفاعٌ بسعْي الغير . رابعها - أن الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الأرض ؛ وذلك منفعةٌ بعمل الغير . خامسها - أن الله تعالى يُخرِج من النار من لم يعمل خيراً قط - أي من المؤمنين - بمحض رحمته ؛ وهذا انتفاعٌ بغير عملهم . سادسها - أنَّ أولادَ المؤمنين يدخلون الجنّة بعمل آبائهم ؛ وذلك انتفاعٌ بمحض عمل الغير . سابعها - قال تعالى في قصة الغلامَيْن اليتيميْن : (وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا)[1] ؛ فانتفعا بصلاح أبيهما وليس من سعيهما . ثامنها - أنَّ الميّت ينتفع بالصدقة عنه وبالعتق ، بنص السنّة والإجماع ؛ وهو من عمل الغير . تاسعها - أن الحجَّ المفروضَ يسقط عن الميت بحَجِّ وَليّه بنصّ السُّنة ؛ وهو انتفاعٌ بعمل الغير . عاشرها - أنَّ الحج المنذورَ أو الصومَ المنذورَ

(١) آية ٨٢ الكهف .

يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾

يَسقط عن الميت بعمل غيره بنصّ السنة ، وهو انتفاعٌ بعمل الغير. حادى عشرها ــ المدينُ قد امتنع صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليه حتى قَضَى دينَه أبو قتادةَ . وقضى دينَ الآخر عليٌّ بن أبي طالب وانتفع بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وهو من عمل الغير. ثانى عشرها ــ أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال لمن صلّى وحدَه : (ألا رجلٌ يتصدّق على هذا فيصلّى معه) ؛ فقد حصل له فضلُ الجماعة بفعل الغير. ثالثُ عشرها ــ أن الإنسان تبرأ ذمّتُه من ديون الخلق إذا قضاها عنه قاضٍ ؛ وذلك انتفاعٌ بعمل الغير. رابعُ عشرها ــ أن من عليه تَبِعاتٌ ومظالمُ إذا حُلِّل منها سقطت عنه ؛ وهذا انتفاعٌ بعمل الغير. خامسُ عشرها ــ أن الجار الصالح ينفع فى المحيا والمات ــ كما جاء فى الأثر ــ ؛ وهذا انتفاعٌ بعمل الغير. سادسُ عشرها ــ أن جليسَ أهلِ الذِّكر يُرحم بهم ؛ وهو لم يكن منهم ، ولم يجلس لذلك بل لحاجة عرضت له ، والأعمال بالنيات ؛ فقد انتفع بعمل غيره. سابعُ عشرها ــ الصلاةُ على الميّت والدعاءُ له فى الصلاة ، انتفاعٌ للميّت بصلاة الحيّ عليه ؛ وهو عمل غيره. ثامنُ عشرها ــ أن الجمعة تحصل باجتماع العدد ، وكذا الجماعةُ بكثرة العدد ؛ وهو انتفاعٌ للبعض بالبعض. تاسعُ عشرها ــ أن الله تعالى قال لنبيّه صلى الله عليه وسلم : (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ)[1] . وقال تعالى : (وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ)[2] فقد رفع الله تعالى العذاب عن بعض الناس بسبب بعض ؛ وذلك انتفاعٌ بعمل الغير. عشروها ــ أن صدقة الفِطْر تجب على الصغير وغيره ممن يَمُونه الرجلُ ؛ فإنه ينتفع بذلك من يُخْرَجُ عنه ولا سعْيَ له فيها . ومن تأمّل العلمَ وجَدَ من انتفاع الإنسان بما لم يعمله مالا يكاد يحصَى ؛ فكيف يجوز أن نتأوّل الآيةَ الكريمةَ على خلاف صريح الكتاب والسُّنة وإجماع الأمة !؟) اهـ . فإمّا أن يقال : إن الآية عامّةٌ قد خُصِّصت بأمور كثيرة مما ذُكر . أو يقال : إنها مخصوصةٌ بقوم موسى وإبراهيم ؛ لأنها حكايةٌ عمّا فى صحفهما . وأما هذه الأمّةُ فلها ما سعَتْ هى وما سعى لها غيرها ؛ بدليل ما ذُكر . وبدليل قوله تعالى : (أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ)[3] حين أدخل الأبناء الجنةَ بصلاح الآباء . أو يقال : إن سَعْيَ غيرِه لمّا لم ينفعه إلّا مَبْنِيًّا على سَعْيِ نفسِه وهو بكونه مؤمنًا كان كأنه سعيُ نفسِه . أو يقال : إنّ المراد بالإنسان الكافرُ . والمعنى : أنه ليس له من الجزاء إلا ما عمل هو ، وهذا هو العدل . أما من باب الفضل فجائز أن يزيده الله من فضله ما يشاء . وفى الحديث الصحيح : (إذا مات ابنُ آدمَ انقطع عملُه إلاّ من ثلاث ــ وفيه ــ : أو ولد صالح يدعو له)[4] . وهذا كله تفضُّلٌ منه تعالى، كما أن تضعيف الحسنات فضلٌ منه تعالى . هذا وقد نقل الخازن فى تفسيره الأحاديثَ الصحيحة الواردةَ فى الحج عن الغير ، ثم قال : وفى الحديثيْن الآخريْن دليلٌ على أن الصدقة عن الميت تنفع الميّتَ ويصل ثوابها إليه ؛ وهو إجماع العلماء . وكذلك أجمعوا على وصول الدعاء وقضاء الدّين ؛ للنّصوص الواردة فى ذلك . ويصح الحجُّ عن الميت

(١) آية ٢٣ الأنفال . (٢) آية ٢٥ الفتح . (٣) آية ٢١ الطور . (٤) رواه البخاري .

وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ﴿٦٢﴾ ۩

سجدة لغير مالك

حجّة الإسلام . وكذا لو أوصى بحجّ تطوّعٍ على الأصح عند الشافعى . واختلف العلماء فى الصوم عنه ، والراجحُ جوازُه عنه . والمشهورُ من مذهب الشافعى أن قراءة القرآن لا يصلُ ثوابها للميت . وذهب أحمد وجماعةٌ من العلماء ومن أصحاب الشافعى إلى أنها تصلُ ؛ فالاختيارُ أن يقول القارئ بعد فراغه : اللّهُمَّ أوْصل ثوابَ ما قرأته إلى فلان ، ونحو ذلك . وأمّا الصلواتُ وسائرُ التّطوّعات فلا يصل ثوابُها عند الشافعى والجمهور . وقال أحمد : يصله ثواب الجميع . اهـ وقد أشبعنا الكلام فى هذا المقام فى فتوى الأربعين . والله أعلم .

٤٦ - ﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ أى تُدفق فى الرَّحم . يقال : أمنى الرجلُ ومَنَى بمعنًى واحد . أو بمعنى تُقدّر . يقال : مَنَى لك المانى ، أى قدّر لك المقدّر . وما يُدفق فيه مكوّنٌ مما يُسمَّى ماء الرجل وماء المرأة ، أو منيّهُما ؛ ولا حجرَ فى التسمية .

٤٧ - ﴿ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ الاحياء بعد الإماتة كما وعد .

٤٨ - ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى﴾ أغنى النـاسَ بالأموال . ﴿وَأَقْنَى﴾ أعطى القِنْيَةَ ، وهى المال الذى تأثّلته وعزمتَ ألا تخرجه من يدك . يقال : أقناه اللهُ مالاً وَقَنَّاهُ إيّاه ، أى أكسبه إيّاه . وقيل : (أَقْنَى) أرضى . وتحقيقه أنه جعل له قنية من الرِّضا والطاعة . وقيل : «أقنى» أفقر ؛ لأن الهمزة فيه للسلب والإزالة ، كما فى أشكى .

٤٩ - ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾ هى الكوكب المضىء الذى يطلُع بعد الجوْزاء فى شدّة الحَرّ ، وتسمَّى الشعرى اليمانيّة . وخُصّت بالذّكْر - وإن كان اللهُ ربًّا لسائر المخلوقات - لأن بعض العرب كان يعبدها ؛ فأعلمهم الله تعالى أن الشِّعْرَى مربوبةٌ وليست بربٍّ كما يزعمون .

٥٠ - ﴿عَاداً الأُولَى﴾ قوم هود .

٥١ - ﴿ثَمُودَ﴾ قوم صالح .

٥٣ - ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ﴾ أى والقرى التى ائتفكت بأهلها - أى انقلبت - وهى قرى قوم لوط . ﴿أَهْوَى﴾ أسقطها إلى الأرض بعد أن رفعها على جناح جبريل إلى السماء . يقال : أفكه عن كذا يأفِكُه ، أى قلبه وصرفه . وهَوَى يهوِى - كرمى يرمى - : سقط . وأهوى : أسقط .

٥٤ - ﴿فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾ ألبسها ما ألبسها من الحجارة المنضودة المسوَّمة ؛ كما قال تعالى : (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ . مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ)[1] . ويجوز عوْدُ الضمير لجميع الأمم المذكورة ؛ أى غشّاها من العذاب ما غشّاها .

٥٥ - ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾ فبأىّ نِعم ربِّكَ تتشكّك أيها الإنسان ! . والمرادُ

(١) آية ٨٢ ، ٨٣ هود .

بالنعم : ما عُدّ فى الآيات قبلُ ، وسُمِّىَ الكلُّ نِعماً مع أن منه نِقَمًا لما فى النِّقَم من العبر والمواعظ للمعتبرين ؛ فهى نِعمٌ بهذا الاعتبار .

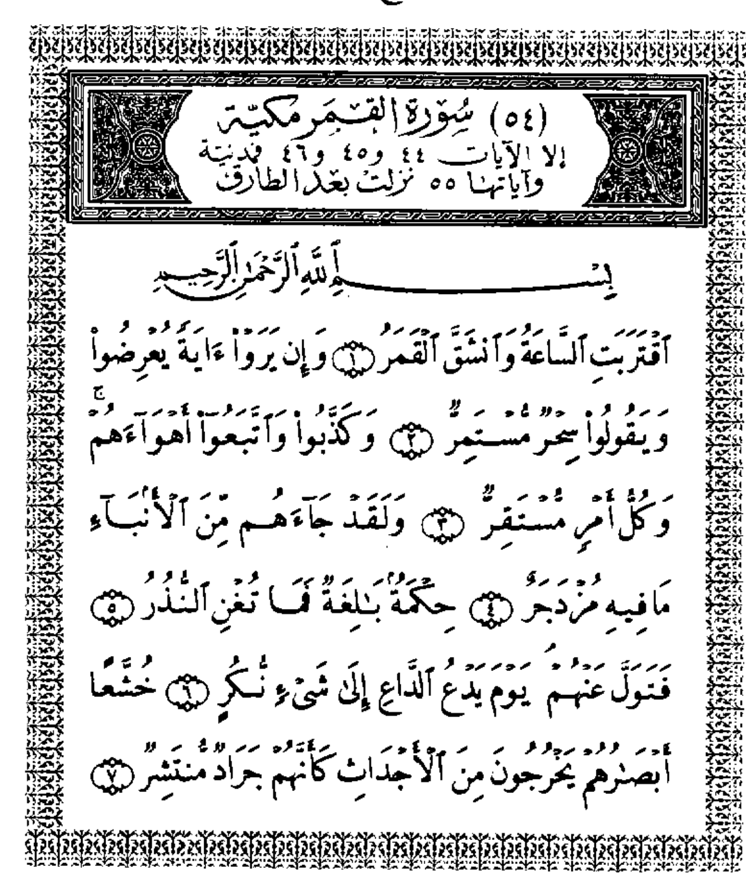
٥٦ - ﴿هَذَا نَذِيرٌ ..﴾ أى هذا القرآن إنذارٌ من جنس الإنذارات الأُولى التى أُنذِرَ بها مَن سبقكم من الأمم وسمعتم عواقبها .

٥٧ - ﴿أَزِفَتِ الآزِفَةُ﴾ أى قَرُبت السّاعةُ ودَنَت القيامةُ . يقال : أزف التَّرَحُّلُ - كفَرِح - أَزَفًا وأُزوفًا ، دنا وقَرُب ؛ وهو كقوله تعالى : «اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ» وقد وُصفت بالقرب فى غير آية من القرآن .

٥٨ - ﴿كَاشِفَةٌ﴾ نفس تكشف أهوالها وشدائدها .

٥٩ - ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ﴾ أى القرآن .

٦١ - ﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾ أى وأنتم لاهون معرضون . يقال : سَمَد يسْمُد - من باب دخل - إذا لَهَا وأعرض . أو وأنتم رافعون رؤوسكم تكبّرًا . يقال : سَمَد سُمُودا ، رفع رأسَه تكبّرًا وعلا . وكلُّ رافعٍ رأسَه فهو سامِدٌ ؛ ومنه بعيرٌ سامِدٌ فى سيره : أى رافعٌ رأسَه . واللهُ أعلم .



(٥٤) سُورَةُ القَمَرِ مكية
إلا الآيات ٤٤ و٤٥ و٤٦ فمدنية
وآياتها ٥٥ نزلت بعد الطارق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٧﴾

سُورَةُ القَمَر

١ - ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ قَرُبت القيامةُ جدًّا . ﴿وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ وانفلق فلقَتَيْن معجزةً له صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قبل الهجرة بنحو خمس سنين ؛ حين سأله أهلُ مكة أن يُريَهم آيةً تدلّ على صدقه ، فأراهم القمر فلقتَيْن حتى رأوا جبلَ حِراء بينهما ؛ فقال صلى الله عليه وسلم اشهدوا !! وقد رآه كثيرٌ من الناس ؛ والأحاديثُ الصحيحة فى هذه المعجزة كثيرة . وقيل : اقتربت الساعة ، فإذا جاءت انشق القمر بعد النفخة الثانية .

٢ - ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً ..﴾ أى وإن يرَوْا كلَّ آيةٍ يُعرضوا عن التّأمل فيها والإيمان بها ﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ مارٌّ ذاهبٌ زائل عما قريب ؛ من قولهم : مرّ الشىءُ واستمرّ ، إذا ذهب . أو دائم ، أو مُحكَمٌ قوىٌّ شديدٌ ؛ من المِرَّة بمعنى القوّة ؛ وهى فى الأصل من إمرار الحَبْل ، وهو شدّةُ فَتْله .

٣ - ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾ أى وكلُّ أمر لابُدّ أن يصيرَ إلى غاية يستقرّ عليها لا محالةَ ، وكذلك أمرُه صلى الله عليه وسلم سيصير إلى غاية يتبيّن عندها أنه حقٌّ ؛ كما أن أمر هؤلاء المكذِّبين سيصير إلى وبال محقَّق . وهو إقناطٌ لهم مما أمَّلوه من عدم استقرار أمره صلى الله عليه وسلم حيث قالوا «سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ» .

٤ - ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ﴾ أى جاءهم فى القرآن من أخبار الأمم المهلكة لفرط عنادها ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ ازدجارٌ وانتهارٌ لهم عما هم عليه من القبائح . وأصلُه مُزْتَجَر ؛ من الزّجر بمعنى المنع والانتهار . يقال : زجره وازدجره فانزجر وازدجر بمعنًى ؛ فأبدلت



مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ * كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ

تاء الافتعال دالاً .

٥ ـ ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ أى ذلك الذى جاءهم حكمةٌ واصلةٌ غايةَ الإحكام . ﴿فَمَا تُغْنِى النُّذُرُ﴾ فما تنفع فيهم الأمورُ التى أُنذروا بها . أو فأىَّ غنًى تُغنى النذر إذا استمروا على ما هم عليه من الكفر . و (ما) نافيةٌ أو للاستفهام الإنكارى . و(النُّذُر) جمعُ نذير ؛ كجُدُدٍ وجديد ، بمعنى منذر . أى محذِّر مخوِّفٍ من وقوع العذاب بهم .

٦ ـ ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ ظرفٌ لـ (يَخْرُجُونَ) . والداعى : إسرافيل عليه السلام . وحُذفت الواوُ من (يَدْعُ) لفظًا لالتقاء الساكنين . ورسمًا تبعًا للفظ . وحُذفت الياء من (الداع) تخفيفًا . ﴿إِلَى شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾ إلى أمر فظيع عظيم ، تُنكره النفوسُ وتكرهه ؛ لعدم العهد بمثله وهو هوْلُ القيامة . أو لشدته وهو الحساب . والنُّكر ـ بضم الكاف وسكونها ـ : المُنْكَر ؛ كالنُّكراء . والأمرُ الشّديد .

٧ ـ ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ﴾ ذليلة خاضعة من شدة الهول . ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ أى القبور أذلّة أبصارهم من شدّة الهَوْل . ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ فى الكثرة والتموّج والانتشار فى الأقطار حين يتوجّهون إلى المحشر .

٨ ـ ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ مسرعين مادّى أعناقهم إليه ؛ من الإهطاع ، وهو الإسراعُ فى المشْى مع مَدِّ العنق إلى الأمام . يقال : أهطع فى عَدْوه ، أسرع . وأهطع : مدَّ عنقَه وصوَّب رأسه ؛ فهو مُهْطِع . ﴿يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ صعبٌ شديدٌ ؛ لما يعاينون من أهواله ، ويتوقعون فيه من سوء العاقبة

٩ ـ ﴿وَازْدُجِرَ﴾ أى وزجروه ومنعوه عن تبليغ رسالة ربّه بأنواع الأذى والتخويف .

١٠ ـ ﴿مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ مقهور فانتقم لى منهم .

١١ ـ ﴿أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾ السحاب . ﴿بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ منصبٍّ بقوّة فى كثرةٍ وتتابعٍ . يقال : هَمَره يهمِره ويهمُره ، صبّه ؛ فهَمَر هو وانهمَر .

١٢ ـ ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ﴾ شققناها . ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ أى اجتمع ماءُ السماء وماءُ الأرض . ﴿عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ أى قد قدّره الله وقضاه أزلاً ؛ وهو هلاكهم بالطوفان . و (على) تعليليّةٌ .

١٣ ـ ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ أى على سفينة ذاتِ ألواحٍ من الخشب ومسامير تُشَدُّ بها ألواحُها . جمعُ دِسار أو دَسْر ، وهو المسمار . وأصلُ الدَّسْر : الدَّفع الشّديدُ بقَهْر فسُمّىَ به المسمار ؛ لأنه يُدقُّ فيُدفع بقوّة .

١٤ ـ ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منّا . أى بكلاءة وحفظٍ منّا .

١٥ ـ ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا﴾ أى أبقينا

عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾

هذه الفَعلَة التى فعلناها بهم ﴿آيَةً﴾ عبرةً وعِظةً لمن يعتبر ويتّعظ بها . ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ فَهَلْ مِنْ معتبرٍ يعتبر بها ؟ استفهامٌ بمعنى النّفى ؛ أى لا معتبر ولا متّعِظَ بها . وأصلُه مُذتكر من الذكر . أُبدلت التّاءُ دالاً مهملةً وكذا الذالُ المعجمةُ وأدغمت فيها ؛ ومنه : (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ)[1] أى تذكّر بعد نسيان .

١٦ - ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ أى وإنذارى إياهم ؛ أى كانا على كيفيةٍ هائلة لا يُحيط بها الوصف .

١٧ - ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ..﴾ أىْ واللهِ لقد سهّلنا القرآنَ لقومك بأن أنزلناه بلغتهم عربيًّا مبينًا . وشحَنّاهُ بأنواع المواعظ والعِبر . وصرَّفنا فيه من الوَعْد والوعيد ؛ فهل من معتبر ومتّعظ !؟ وقد وردت هذه الجملةُ القَسَميّةُ فى آخر قِصّةِ قومِ نوحٍ . وقصّةِ عادٍ . وقصّةِ ثمودَ . وقصّةِ قومِ لوطٍ ؛ تقريرًا لمضمون ما سَبق من قوله تعالى : (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ . حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِي النُّذُرُ) . وتنبيهًا على أن كلَّ قصةٍ منها مستقلّةٌ بإيجاب الادّكار . كافية فى الازدجار ؛ ومع ذلك لم يحصل منهم اعتبار .

١٨ - ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ أى إنذارى لهم بالعذاب قبل وقوعه . وكُرّرت فى قصص السورة لتفظيع أمر العذاب والإنذار به ، ولتجديد الاتّعاظ عند سماع كل قصّة .

١٩ - ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أى باردةً . أو شديدةَ الصَّوت [آية ١٦ فصلت ص ٦٠٦] . ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾ شُؤْمٍ وشرٍّ . ﴿مُسْتَمِرٍّ﴾ أى دائِم الشُّؤْم . استمرَّ عليهم بنُحُوسَتِه . واستمر فيه العذاب إلى الهلاك .

٢٠ - ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ﴾ تقلَعهم من أماكنهم . رُوِىَ أنهم دخلوا الشِّعابَ والحُفَر . وتمسّك بعضهم ببعض ؛ فقلَعَتْهم الرّيح وصرعتهم موتى . ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ الأعجاز : جمعُ عَجُز . وهو مؤخّر الشىء . وأعجازُ النخل : أصولها . والمرادُ بها : النخلُ بتمامه ماعدا الفروع . و «مُنْقَعِرٍ» صفةٌ لـ «نَخْلٍ» أى منقلع من أصله . يقال : قَعَر النخلَةَ - كمَنَع - قلعها من أصلها ؛ فانقعرت . وقَعَر البئر : وَصَل إلى قَعْرها . أى كأنهم حين تقلعهم الريحُ من الحفر وترميهم صرعى . أعجازُ نخلٍ منقلعٍ من مغارسه . ساقطٍ على الأرض . وشبِّهوا بها لأن الريح كانت تقلع رءوسهم فتبقيهم أجسادًا بلا رءوس . وكانوا ذوى أجسادٍ عظامٍ طوالٍ .

٢٤ - ﴿إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ﴾ أى إنّا إذا اتبعناه لفى خطأ وذهاب عن الحق والصواب . ﴿وَسُعُرٍ﴾ جنونٍ . يقال : ناقةٌ مسعورة . إذا كانت تُفْرط فى سيْرها كالمجنونة . أو نيرانٍ ؛ جمع سعير وهو النار .

(١) آية ٤٥ يوسف.

فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم

٢٥ - ﴿هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ أى بَطِرٌ متكبِّر ، يريد أن يتعظّم علينا بادعاءِ النبوّة وأنه يُوحَى إليه ؟ والبَطَر : دَهَشٌ يعتري الإنسانَ من سوء احتمالِ النّعمة وقلّةِ القيام بحقّها ، وصرفها إلى غير وجهها.

٢٧ - ﴿فِتْنَةً لَهُمْ﴾ ابتلاءً وامتحانًا لهم ؛ ليظهر للناس هل يؤمنون أم يكفرون. ﴿فَارْتَقِبْهُمْ﴾ فانتظر ما هم صانعون وما يُصْنَعُ بهم.

﴿وَاصْطَبِرْ﴾ اصبر على أذاهم حتى يأتيَ أمرُ الله.

٢٨ - ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ أى مقسومٌ بينهم وبين النّاقَةِ : لهم يومٌ لا تشاركهم فيه ، ولها يوم لا يشاركونها فيه ؛ كما قال تعالى : (لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ)[1] . ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ﴾ أى كلُّ نصيبٍ من الماء يحضره مَن هو له . فالناقةُ تحضر الماءَ يومًا ، وهم يحضرونه يومًا آخر.

٢٩ - ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ قُدار ابن سالف ، أُحَيْمِر ثمود. ﴿فَتَعَاطَى﴾ فتناول السيف. ﴿فَعَقَرَ﴾ الناقةَ.

٣١ - ﴿صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ من السماء صاح بهم جبريلُ عليه السلام في طَرَفِ منازلهم. عندما يعمل المحتظِرُ حظيرةً لماشيته ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ أى ما تَهَشّم وتفتّتَ من الشجر اليابس منه . والهَشِيمُ : يابسُ كلِّ كلأٍ وكلِّ شجر ؛ من الهَشْمِ وهو كسر الشيء اليابس أو الأجوف . والمحتَظِرُ : الذى يعمل الحظيرة ، وهى الزَّرِيبة التى يصنعها العربُ وأهلُ الباديةِ للمواشي والسكنى من يابس الأغصان والأشجار ؛ من الحَظْر وهو المنع.

٣٤ - ﴿حَاصِبًا﴾ أى ريحًا شديدةً ترميهم بالحصباء ، وهى الحجارة الصغيرة. ﴿بِسَحَرٍ﴾ أى فى سَحَرٍ ، وهو الوقتُ الذى يختلط فيه سواد آخر الليل ببياض أوّلِ النهار ، وهو قُبيل الصبح.

٣٦ - ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا﴾ خوّفهم أخْذَنا الشديدةَ لهم بالعذاب. ﴿فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ فكذبوا بها متشاكين.

٣٧ - ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ﴾ أرادوا منه تمكينَهم من أضيافه ليخبُثُوا بهم . يقال : راودته على كذا مُرَاوَدَةً ورِوَادًا ، أى أردته . وعُدِّيَ بـ (عن) لما فيه من معنى البعد ؛ أى أن يبعد عن الأضياف بألّا يمنعهم عنهم. ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ فحجبنا

(١) آية ١٥٥ الشعراء.

بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ

أبصارَهم ؛ فدخلوا المنزل فلم يروْا شيئًا . وكُنِّيَ عن ذلك بالطمس ، وهو المَحْوُ وإذهابُ الأثر .

٣٨ ـ ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ﴾ أتاهم وقت الصباح ﴿بُكْرَةً﴾ أى فى البُكرة وهى أوّل النهار . وهو كالتأكيد لما يفيده ﴿صَبَّحَهُمْ﴾ . ﴿عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾ دائمٌ لا ينفكُّ عنهم ؛ إلى أن يُفْضِيَ إلى عذاب الآخرة .

٤٢ ـ ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾ أخْذَ غالبٍ فى انتقامه ؛ من العِزّة بمعنى الغَلَبة . قادرٍ على إهلاكهم ، لا يُعجزه شيءٌ .

٤٣ ـ ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ﴾ أى أكفّارُكم يا أهل مكّة أقوى وأشدُّ وأقدر ! أو أقلُّ كُفرًا وعِنادًا من أولئك الكفار الماضين ؛ ليكون ذلك سببًا لأمْنِكم من حلول مثل عذابهم بكم ؟ ليس الأمر كذلك ! فلِم لا تخافون أن يَحِل بكم مثلُ ما حلّ بهم من العذاب !؟ والخطابُ لهم على ضربٍ من التجريد ؛ فكأنه جُرِّد منهم كفارٌ وأضيفوا إليهم مبالغةً فى كفرهم . ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ أى بل ألكفّاركم براءةٌ فيما نزل من الكتب من العذاب على الكفر فلذلك لا تخافون ؟! ليس الأمر كذلك !

٤٤ ، ٤٥ ـ ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أى بل أيقول هؤلاء الكفارُ واثقين بشوكتِهم : ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ﴾ أى نحن يدٌ واحدة ، على من خالفنا ﴿مُنْتَصِرٌ﴾ أى ممتنعٌ على من عادانا فلا نُغلب . يقال : نصره الله فانتصر ، أى منعه فامتنع . أو معانٌ على عدوِّه ؛ من النصر بمعنى العَوْن . وقد ردّ الله تعالى عليهم بقوله : ﴿سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ وقد كان ذلك يومَ بدر . وهو من أعلام النبوّة ، فإن الآية مكيّةٌ ، وقد نزلت قبل فرض الجهاد .

٤٦ ـ ﴿وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ أى وعذابُ الساعة أعظمُ داهيةً ، وأشدُّ مرارةً مما سيصيبهم من عذاب الدنيا . «وأدْهَى» من الدّاهية ، وهى الأمر المنكَر الفظيعُ الذى لا يُهتدَى للخلاص منه . يقال : دهاه أمرُ كذا ، أى أصابه . و (أَمَرُّ) من مَرَّ الشىءُ : إذا صار مُرًّا .

٤٧ ـ ﴿فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ نيران مسعرة أو جنونٍ . [آية ٢٤ من هذه السورة] .

٤٨ ـ ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ أى يقال لهم : قاسُوا ألَمَها وعذابَها . و «سَقَرُ» عَلَمٌ على جهنم ؛ من سَقَرتْه الشمس وصَقَرته : إذا لوحَتْه وأذابته . وهو ممنوعٌ من الصَّرْف للعلميّة والتأنيث .

٤٩ ـ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ أى مقدَّرًا محكمًا ، مستوفًى فيه ما تقتضيه الحكمةُ التى عليها مدارُ التكوين ؛ وهو كقوله تعالى : (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا)[1] . والقدَرُ : اسمٌ لما صدر عن القادر مقدَّرًا . يقال : قَدَرْتُ الشىء وقَدَّرْتُه ـ بالتخفيف والتثقيل ـ بمعنًى واحد . أو المعنى : خلقناه مقدَّرًا مكتوبًا فى اللوح قبل حدوثه ؛ فهو بالمعنى المشهور الذى يقابل القضاء . وقال النَّوَوىّ : القدرُ تقديرُ الله الأشياءَ فى القِدَم ، وعِلْمُه تعالى أنها ستقع فى أوقاتٍ معلومةٍ عنده سبحانه ، وعلى صفات مخصوصة ؛ فهى تقع على حسب ما قدّرها الله تعالى . ا هـ . وفى شرح المواقف : قضاءُ الله هو إرادتُه الأزليّةُ المتعلقةُ بالأشياء على ما هى عليه فيما لا يزال . وقدَرُه :

(١) آية ٢ الفرقان .

فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾

(٥٥) سُورَةُ الرَّحْمَن مَدَنِيَّة
وآياتها ٧٨ نزلت بعد الرعد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾

حزب ٥٤

إيجادُه إياها على قدَر مخصوصٍ وتقديرٍ معيَّن في ذواتها وأحوالها. وقد ناقشه محشّيه المولى حسن جلبي - واختار : أن القضاء هو الفعل مع الإتقان ؛ بحيث يأتي على ما تقتضيه الحكمة . والقدَر : تحديدُ كلٍّ محدود بحدّه الذى يوجد به .

٥٠ - ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ وما أمرُنا فى خلق الأشياء إلا كلمةٌ واحدةٌ ، وهى قول : (كُنْ) ؛ فتوجد كلمح البصر فى السّرعة . وهو نظير قوله تعالى : (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)[١] . والمرادُ : التقريبُ للعقول فى سرعة تعلُّق القدرة بالمقدور على وَفْق الإرادة الأزلية . واللَّمْحُ : النَّظرُ بالعجلة . يقال : لمح الشيءَ . إذا أبصره بنظر خفيف ؛ والاسمُ اللّمحة . أو وما أمرُنا فى قيام الساعة إلا كلمةٌ واحدةٌ فتقوم كلمح البصر ؛ فهو كقوله تعالى : (وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ)[٢] .

٥١ - ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ أشباهكم فى الكفر من الأمم السابقة ؛ فاحْذَروا أن يصيبكم مثلُ ما أصابهم . وأصلُ الأشياعِ : الأتباعُ ؛ أريد به ما ذُكر مجازًا .

٥٢ - ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ أى مكتوبٌ ومحفوظٌ فى كتب الحفَظة . فلا مَفرَّ منه .

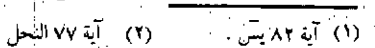
٥٣ - ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾ أى وكلُّ صغيرٍ وكبيرٍ من الأمور والأعمال ، ومنها الذنوب : مسطورٌ عندنا ؛ ومحصِيٌّ على صاحبه . يقال : سَطَرَ يَسْطُرُ سطرًا ، كتب . واستَطَرَ مثله . وهو تأكيدٌ لما قبله .

٥٤ - ﴿فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ أى وأنهار ؛ فالمرادُ به الجنسُ ، وأفرد فى اللفظ لموافقة رؤوس الآى .

٥٥ - ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ فى مكانٍ مَرْضِيٍّ . أو مجلس حقٍّ لا لغوٌ فيه ولا تأثيمٌ ، وهو الجنة . ﴿عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ أى مقرَّبين عند مليكٍ عظيمِ المُلك ، قادرٍ عظيمِ القدرة ؛ تعالى أمرُه فى الملك والاقتدار ! بحيث أبهم على ذوى الأفهام . والله أعلم .

سُورَةُ الرَّحْمَن
وتُسمَّى عروسَ القرآن

١ ، ٢ - ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ بدأ سبحانه فى معرض الامتنان على عباده بجلائل النِّعم - بأعظمها شأنًا ، وأرفعها مكانًا ؛ وهو تعليم رسوله صلى الله عليه وسلم وأمّته القرآنَ . وهو هدًى وشفاءٌ ، ورحمةٌ وعصمةٌ . وأمانٌ ونورٌ للناس فى دينهم ودنياهم . وهو أعْظم وحْيِ الله إلى أنبيائه ، وأشرفهُ منزلةً عند أوليائه ، وأكثرُه ذكرًا . وأحسنُه فى أبواب الدِّين أثرًا . والرحمنُ : من أسمائه تعالى ؛ وتخصيصُه بالذِّكر هنا للتَّنبيه إلى أن تعليمَ القرآن من آثار رحمته الواسعة .


(١) آية ٨٢ يس . (٢) آية ٧٧ النحل .

وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾

٣ ، ٤ - ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ أى خلق النّوعَ الإنسانيَّ على أبدع صورةٍ . ومكّنه من بيان ما فى نفسه بالمنطق الفصيح . ومن فَهْم بيان غيره ؛ فتميّز بذلك عن الحيوان . واستعدّ لتلقّى العلوم والخلافة فى الأرض . وهذه نِعَمٌ عظمَى توجب الشكرَ والتعظيمَ لله تعالى .

٥ - ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ أى يجريان بحساب معلومٍ مقدّرٍ فى بروجها ومنازلها ؛ لا اختلالَ فيه ولا اضطراب . وبذلك تُعلَم الشهورُ والسّنون والفصول . ويُعرف الحساب . وتتّسق أمور الكائنات الأرضية . وهذه نعمٌ أخرى تستوجب الحمدَ والإقرارَ له تعالى بالربوبية . وهو مصدرٌ كالغُفْران . أو جمع حساب ؛ كشهاب وشُهبان .

٦ - ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ النّجمُ هنا : النباتُ الذى ينْجُم ؛ أى يظهر ويطلُع من الأرض ولا ساقَ له . والشّجرُ : النباتُ الذى له ساق . وسجودُهما : انقيادُهما له تعالى فيما يريد بهما طبعًا ؛ كانقياد السّاجد لخالقه .

٧ : ٩ - ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾ خلَقها مرفوعةً ، مسموكةً فوقَ الأرض بلا عمد . ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ شرع العدلَ وأمر به ؛ ليستقيمَ أمرُ العالم . أو خلق الآلةَ المعروفةَ التى تُعرف بها مقاديرُ الأشياء ؛ ليتوصّل بها الناسُ فى الأرض إلى الإنصاف والانتصاف فى المعاملات . ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِى الْمِيزَانِ﴾ أى لئلا تتجاوزوا الحقَّ فيه . ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ قوِّمُوا وزنكم بالعدل . والمرادُ : حثُّ الإنسانِ على مراعاته فى جميع أقواله وأفعاله . ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ أى لا تَنْقُصوه ، فإن من حقّه أن يُسَوَّى . أمَرَ اللهُ تعالى بالتّسوية ، ونَهَى عن الطغيان فيه الذى هو اعتداءٌ وزيادةٌ . وعن الخُسران فيه الذى هو تطفيف ونقصان ؛ وكلاهما ظلمٌ . وكرَّر لفظ « الميزان » للتّوصية به ، وتقويةً للأمر باستعماله والحثّ عليه .

١٠ - ﴿الْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ خلقها مخفوضة عن السماء . ﴿لِلْأَنَامِ﴾ للحيوان كلّه . أو للإنس والجن ؛ للانتفاع بها .

١١ - ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ أى الأوعيَة التى يكون فيها الثمر وهو الطَّلْعُ . جمعُ كِمّ . بالكسر . أو ذاتُ سبائب اللِّيف . وهى التى فى أعناق النخلِ .

١٢ - ﴿وَالْحَبُّ﴾ أى وفى الأرض الحَبُّ ؛ كالبُرّ والشّعير مما يُتَغَذَّى به . ﴿ذُو الْعَصْفِ﴾ أى التّبنِ أو القِشر الذى يكون على الحَبّ . وسُمِّىَ عصفًا لعصْف الرّياح به لخفّته . ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ أى وفيها الريحانُ : وهو كلُّ مشموم طيّبِ الرائحة من النبات . امتَنّ اللهُ على عباده بما خلقه لهم من الفاكهة للتلذُّذ . ومن النّخل للتلذُّذِ والغذاءِ . ومن الحبّ لغذاء الإنسان والحيوان . ومن الريحانِ للتلذذ بطيب رائحته . وقُرئ بالجرّ عطفًا على « العصْف » وفسِّر باللبّ ؛ فكأنه قيل : والحبُّ ذُو العصْف الذى هو رزق دوابّكم . وذُو اللُّبّ الذى هو رزقكم .

١٣ - ﴿فَبِأَىِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الخطابُ للمكلّفين من

وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾

الأنام . وهم الإنس والجنّ . أى فبأىّ فردٍ من أفراد نِعم ربّكما تكفران وتجْحَدَان !؟ أبتلك النِّعم المذكورةِ هنا أم بغيرها ؟ مع أن كل نعمةٍ ناطقةٌ بالحقّ . شاهدةٌ بالصّدق !. والاستفهامُ للتقرير بالنِّعم وتأكيدها فى التذكير. وقيل : للتوبيخ والإنكار.

* وقد عدّد الله تعالى فى هذه السورة كثيرًا من نَعْمائه . وذَكّر خلقَه بعظيم من آلائه . ثم أتبع كلَّ خَلّة وَصَفَها ، ونعمةٍ وَضَعها بهذه الآية الكريمة ؛ فذكَرها فى واحد وثلاثين موضعًا . وجعلها فاصلة بين كل نعمتيْن ؛ لينبّههم على النّعم . ويقرّرهم بها . ويقيمَ عليهم الحجّةَ عند جحودها .

* ولهذا الأسلوبِ البديع فى العربية الفصحَى شواهدُ كثيرةٌ ؛ فذكر ثمانيةً منها عَقِبَ آياتٍ فيها تعدادُ عجائب خلق الله . ومبدأ الخلق ومعادُهم . ثم سبعةً منها عقِبَ آياتٍ فيها ذكرُ النار وشدائدِها ؛ بعدَد أبوابِ جهنّم . وحَسّن ذكرَ الآلاء عقِبَها ؛ لأن من جملة الآلاء : رفعَ البلاء وتأخيرَ العذاب . ثم ثمانيةً فى وصف الجنّتيْن وأهلِها ؛ بعدد أبواب الجنة . وثمانيةً أخرى فى الجنّتيْن اللّتيْن هما دون الجنتيْن الأوليين ؛ فمن اعتقد الثمانية الأُولى . وعَمِل بموجبها استحقّ هاتين الثمانيتيْن من الله ووقاه السبعة السابقة .

١٤ - ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ﴾ طين يابسٍ غير مطبوخ ﴿كَالْفَخَّارِ﴾ أى الخَزَفِ المجوَّف الذى طُبخ .

١٥ - ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ﴾ أى جنس الجنّ . ﴿مِنْ مَارِجٍ﴾ من لَهَب خالصٍ لا دُخَانَ فيه . أو مما اختلط بعضُه ببعض من اللَّهَب الأحمر والأصفر والأخضر ، الذى يعلو النار إذا أُوقدت . ﴿مِنْ نَارٍ﴾ بيانٌ لـ «مارج» .

١٧ - ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ مَشرق الشمس فى الشتاء والصَّيف. ﴿وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ مغربها فيهما . وفى هذا التدبير المحكَم منافعُ عظمَى للإنسان والحيوان والنبات .

١٩ ، ٢٠ - ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ..﴾ أرسل الله المياهَ العذْبةَ والمِلْحَةَ فى مجاريها أنهارًا وبحارًا على سطح الأرض ، متجاورةً متّصلةَ الأطراف ، ومع ذلك لم تختلط ؛ لاقتضاءِ حكمته تعالى إقامة حَواجزَ بينها من أجرام الأرض تمنعها من الاختلاط ؛ ولولاها لبَغَى أحدُ النوعيْن على الآخر ؛ فَبِقِيَ العذبُ على عذوبته ، والمِلحُ على ملوحته ؛ لِيُنْتَفَع بكلّ منهما فيما خُلق لأجله . ومن بدائع الصَّنعة ودلائل القدرة : إبقاءُ الأنهار والبحار الهائلةِ المحيطةِ فى مجاريها على سطح الأرض على ما نشاهده مع كُرويّتها ، وإمساكُها عن الطُّغيان على اليابس وهو دونها بكثير ؛ وإلّا لغَرِق الناس ، وفَنِيَ العالمَ ، والله على كل شيء قدير ؟ و (مَرَجَ) أَرْسَلَ ؛ من مَرَج الدابةَ - من باب نصر - : أَرْسَلَها ترعى فى المَرْج . (يَلْتَقِيَانِ) يتجاوران . أو تلتقى أطرافُها . ﴿بَرْزَخٌ﴾ حاجزٌ من أجرام الأرض ؛ وذلك بقدرته تعالى . ﴿لَا يَبْغِيَانِ﴾ لا يطغى أحدُهما على الآخر بالممازجة . أو لا يتجاوزان حدّيهما بإغراق ما بينهما .

٢٢ - ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ

وَالْمَرْجَانُ﴾ أى يخرج من أحدهما وهو المِلْح : اللؤلؤ والمرجان المعروفان . وإنما قيل (منهما) لأنهما لمّا التقيا وصارا كالشيء الواحد جاز أن يقال يخرجان منهما ؛ كما يقال : يخرجان من البحر ، وهما لا يخرجان من جميعه . ولكن من بعضه . وكما تقول : خرجت من البلد ، وإنما خرجت من محلّة من محالّاته . وقد يُنْسَب إلى الاثنين ما هو لواحد ؛ كما يُسند إلى الجماعة ما صدر من أحدهم . والعربُ تجمع الجنسيْن وتريد أحدَهما . وجاء على هذا الأسلوب قولُه تعالى : (يَا مَعْشَرَ الجنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ)[١] وإنما الرّسل من الإنس دون الجنّ . وقولُه تعالى : (أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً . وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً)[٢] والقمرُ في سماء الدنيا ؛ ولكنه أجمل ذكرَ السماوات السّبع ، فساغ أن يجعل ما في إحداهن فيهنّ .

٢٤ - ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ أى وله السُّفن الجارياتُ في البحار ، المرفوعاتُ القُلوع كالجبال الشاهقة . جمعُ جاريةٍ ، وهى السفينة . ومُنْشأَةٍ : أى مرفوعةِ الشِّراع وهو القِلْع ؛ من أنشأه : أى رفعه . وعَلَم وهو الجبل الطويل [٣٢ الشورى ص ٦١٦ ، ٦١٧] .

٢٦ - ﴿فَانٍ﴾ هالك .

٢٧ - ﴿ذُو الْجَلَالِ﴾ ذو العَظَمة والاستغناء المطلق . ﴿وَالْإِكْرامِ﴾ الفضلِ التامّ بالتجاوز والإحسان والإنعام . يقال : جَلَّ الشيء يَجِلُّ ، أى عَظُم . وأجللته : أعظمته .

٢٩ - ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ جميعًا ما يحتاجون إليه في كل شأن ؛ بلسان المَقال أو بلسان الحال . ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ أى كلَّ وقت ولحظة يُحدث أمورًا ، ويجدّد أحوالاً ، حسبما تقتضيه مشيئتُه المبنيّةُ على الحِكَم البالغة . فيغفر ذنوبًا ، ويُفرِّج كروبًا ، ويرفع أقوامًا ، ويضع آخرين ، ويحيى ويُميت ، ويُعزّ ويُذلّ ، ويخلق ويرزق ، ويَشفى ويُمرض ، ويُعافى ويَبْتلى ؛ وكلها شئونٌ يُبديها ولا يبتديها ، لا يَشغله شأنٌ عن شأن .

٣١ - ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ الفراغُ هنا : القصدُ إلى الشيء والإقبالُ عليه يقال : فرغ له وإليه - كمَنَع وسَمِع ونَصَرَ - قصد . وسأفرُغ لفلان :

(١) آية ١٣٠ الأنعام . (٢) آيتا ١٥ ، ١٦ نوح .

ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ

سأجعله قصدى. والثَّقَلان: الإنسُ والجنُّ؛ تثنيةُ ثَقَل - بفتحتين. وأصلُه: كلُّ شىء له قدْرٌ ووزنٌ يُنافَس به؛ وأطلق عليهما لعِظَم قدرهما. أو لأنهما أُثقلا بالتكاليف. أى سنقصِد يومَ القيامة إلى محاسبتكم ومجازاتكم على ما قدمتم من الأعمال؛ وسيكون ذلك شأننا فى هذا اليوم فحسب!

٣٣ - ﴿لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ أى لا تقدرون على الخروج من أمرى وقضائى إلّا بقوّة وقهر وأنتم بمعزل عن ذلك.

٣٥ - ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا﴾ يُصبُّ عليكما ﴿شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ﴾ لَهبٌ خالصٌ من الدخان ﴿وَنُحَاسٌ﴾ صُفْرٌ مذابٌ. وقيل النحاسُ: الدُّخانُ الذى لا لَهَبَ فيه. أى أنه يُرسل عليهما هذا مرّةً وهذا مرّةً.

٣٧ - ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ تصدَّعت فى يوم القيامة. وجوابُ (إذا) محذوفٌ تقديرُه: رأيتَ ما يُذهل ويُفْزِع. ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ فكانت حين تصدُّعها كالوردة فى الحمرة أو حمراء كلَوْن الفَرَس الوَرْد. وهو الأبيض الذى يَضرب إلى الحمرة فى الشتاء. ﴿كَالدِّهَانِ﴾ أى كدُهن الزيت فى الذوبان من حرارة جهنم. أو محمرَّة كالدِّهان - أى الأديم الأحمر.

٣٩ - ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ﴾ أى فى حين خروجهم من القبور لا يُسألون عن الذنوب، ولكنهم يُسألون فى موقف الحساب؛ كما قال تعالى: (فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)[1]. وقال: (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ)[2] فلترك السؤال موطن غيرُ موطن السؤال.

٤١ - ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ أى بسواد الوجوه، وزُرقة العيون. أو بما يعلوهم من الكآبة والحزن. ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ فتأخذ الملائكة بنواصيهم - أى بشعور مقدّم رؤوسهم - مجموعة إلى أقدامهم فتقذفهم فى النار.

٤٤ - ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا﴾ يتردّدون بين التصلية بنارها الشديدة. ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ﴾ ماءٍ حارٍّ. ﴿آنٍ﴾ بالغٍ فى الحرارة أقصاها. يقال: أَنَى الحميمُ. أى انتهى حرُّه إلى غايته؛ فهو آنٍ. وبلغ هذا أناه - ويكسر - غايتَه، أو نضجَه وإدراكَه.

٤٦ - ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ ولمن خاف قيامَ ربّه وهيْمنَته عليه ومراقبتَه له. أو قيامَه بين يدى ربّه للحساب. ﴿جَنَّتَانِ﴾ ينتقل من إحداهما إلى الأخرى؛ لتتوفّر دواعى لذّته. وتظهر ثمارُ كرامته.

٤٨ - ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ صفة

(١) آية ٩٢ الحجر. (٢) آية ٢٤ الصافات.

رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥١) فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ (٥٢)
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٣) مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ
بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (٥٤) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٥) فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ
إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ (٥٦) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٧)
كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ (٥٨) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ (٥٩) هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ (٦٠)
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦١) وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (٦٢)
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٣) مُدْهَآمَّتَانِ (٦٤) فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٥) فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (٦٦)
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٧) فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ
وَرُمَّانٌ (٦٨) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٩) فِيهِنَّ
خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ (٧٠) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧١)
حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ (٧٢) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا

لـ(جنّتان) أي صاحبتا أنواع من الأشجار والثمار ؛ جمعُ فَنٍّ ـ كدَنٍّ ـ بمعنى النَّوْع . أو صاحبتا أغصانٍ ؛ جمع فَنَن ـ كَطَلَل ـ وهو ما دَقَّ ولَانَ من الأغصان .

٥٢ ـ ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ صِنفان : معروفٌ ، وغريبٌ غير مألوفٍ ؛ وكلاهما حُلْوٌ يُستَلَذ به .

٥٤ ـ ﴿بَطَائِنُهَا﴾ جمعُ بِطَانةٍ . وهي ما قابل الظِّهارة من الثياب . ﴿مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ ديباجٍ غليظ . ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ ما يُجْنَى ويُؤْخذ من ثمارها قريبٌ من المتناول ؛ من الدُّنُو بمعنى القُرْب .

٥٦ ـ ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ نساءٌ قاصراتٌ أبصارَهنّ على أزواجهنّ ، لا ينظرنَ إلى غيرهم . ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ أي أنهن أبكارٌ . لم يَفْتَضَّهُنَّ قبلَ أزواجِهنّ أحدٌ . يقال : طَمَثَ الرجل امرأته ـ من باب ضَرَب وقَتَل ـ افتضّها . وأصلُ الطَّمْث : الجماعُ المؤدِّي إلى خروج دم البِكْر ؛ ثم أُطلق على كل جماعٍ وإن لم يكن معه دمٌ .

٥٨ ـ ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ كأنهنّ الياقوتُ في صفاء اللّون ، والمرجانُ في الحُمْرة .

٦٢ ـ ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ أي ومن دون تينِكَ الجنَّتين في المنزلة والقَدْر ـ وهما اللتان للسابقين المقرَّبين ـ : جنّتان أخريان لمن هم دونهم من أصحابِ اليمين .

٦٤ ـ ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ أي هما شديدتا الخُضرة ؛ والخضرةُ إذا اشتدَّت ضَربت إلى السّواد من كثرة الرِّيّ من الماء . أو سوداوان من شدّة الخضرة من الرِّيّ ؛ مِن الدُّهْمَة . وهي في الأصل : سوادُ اللّيل ؛ ويُعبَّر بها عن الخضرة الكاملة اللون . يقال : ادهامَّ يدهَامُّ فهو مُدْهَامٌّ . إذا اسْوَدَّ أو اشتدّت خضرتُه .

٦٦ ـ ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ فوّارتان بالماء لا تنقطعان . والنَّضْخُ ـ بالخاء المعجمة ـ فوقَ النَّضح ـ بالحاء المهملة ـ وهو

تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

(٥٦) سُورَةُ الوَاقِعَةِ مَكِّيَّة

إلا آيتي ٨١ و ٨٢ فمدنيتان
وآياتها ٩٦ نزلت بعد طه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا

ربع الحزب

الرّشُّ بالماء.

٧٢ - ﴿حُورٌ﴾ أى فيهن نساءٌ حُورٌ [آية ٥٤ الدخان ص ٦٣٣]. ﴿مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ أى مخدَّراتٌ. يقال: امرأةٌ مقصورةٌ وقصيرةٌ ملازمةٌ لبيتها لا تطوف فى الطرُق. والنّساءُ تُمدحْن بذلك لدلالته على صيانتهنّ. والخيام: البيوتُ. قيل: هى فى الجنة من لؤلؤ ؛ كما جاء فى الأحاديث الصحيحة.

٧٦ - ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ أى على الوسائد. أو الفُرُشِ المرتفعة. أو الرقيق من ثياب الدِّيباج. ذاتِ اللّون السُّندسيِّ الأخضر. أو على ثيابٍ خُضرٍ. تتّخذ منها الستور التى تُبسطُ على وجه الفراش للنوم عليه. واشتقاقُه من رَفّ: إذا ارتفع. وهو اسمُ جمعٍ واحدُه رَفْرفة. أو اسمُ جنس جمعِيٌّ. ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ طنافسَ: وهى أبسطةٌ لها أهدابٌ رقيقة. أو هو الثياب الموشّاة ؛ وكلُّ ثوبٍ وُشِيَ فهو عند العرب عَبْقَرِى. أو هو الديباج الغليظُ. والعَبْقَرِيُّ فى الأصل: الكاملُ من كل شىء. أو الجليل النّفيس الفاخر من الرجال وغيرهم ؛ وياؤه كياء كرسىّ وبُخْتِيّ. والمرادُ الجنسُ. أو هو اسمُ جمعٍ. أو جمعٌ واحده عبقريَّة ؛ ولذا وُصف بالحسان.

٧٨ - ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ تعالى اسُمه الجليل. وارتفع عمّا لا يليق بشأنه العظيم ! أو تعالت صفته. أو كثُرت خيراتُه [آية ٥٤ الأعراف ص ٢٠٧]. ﴿ذِي الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [آية ٢٧ من هذه السورة] والله أعلم.

سُورَةُ الْوَاقِعَة

١ : ٣ - ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ أى اذكر لهم إذا نزلت القيامة ؛ فإن فى ذكر أحوالها وأهوالها عظة ؛ من وقع الطائرُ: نَزل عن طيرانه. والواقعةُ من أسماء القيامة ؛ وسُمِّيَتْ بذلك للإيذان بتحقُّق وقوعها. ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ أى لا تكون حين تقع نفسٌ تكذِبُ على الله. وتكذب فى تكذيبه سبحانه فى خبره بها ؛ كما كان ذلك من المنكرين لها فى الدنيا. بل كلُّ نفسٍ حينئذٍ مؤمنةٌ. صادقةٌ مصدِّقةٌ بها لتحقُّق وقوعِها بالمشاهدة. واللّامُ للتوقيت ؛ كما فى: كتبته لخمسٍ خلَون من كذا. ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ أى هى خافضةٌ للأشقياء إلى الدّرَكات. رافعةٌ للسُّعداء إلى الدّرجات. والرفعُ والخفضُ يُستعملان عند العرب فى المكان والمكانة. والعزّ والإهانة ؛ ونسبتُهما إلى القيامة مجازٌ.

٤ : ٦ - ﴿إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ

رَجًّا ﴾ أى زُلزلت وحُرِّكت تحريكًا شديدًا . يقال : رجَّه يَرُجُّه رجًّا ، حرّكه وزلزله ؛ فارتجَّ . ومنه : ارتجَّ البحر وغيره ، اضطرب . والرَّجرجة للاضطراب . و(إذا) بدلٌ من (إذا) الأولى . أو منصوبة بـ(خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ) . ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴾ فُتِّتتْ تفتيتًا حتى صارت كالسَّويق الملتوت ؛ من بسَّ السَّويقَ : إذا لتَّه . ﴿ فَكَانَتْ هَبَاءً ﴾ فصارت غبارًا . أو كالهباء ، وهو ما يثور مع شُعاع الشمس إذا دخل من كُوّة . أو ما يتطاير من النار على هيئة الشرَر إذا أضرمت . ﴿ مُنْبَثًّا ﴾ متفرّقًا .

٧ ـ ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً ﴾ أى وصرتم فى ذلك اليوم بما كان فى جِبِلَّاتكم وطبائِعكم . وما كان من أعمالكم فى الدنيا أصنافًا ثلاثةً . صنفان سُعداء . وهم السابقون وأصحابُ الميمنة . والثالث أشقياء ، وهم أصحاب المشأمة . والخطابُ للأمّة الحاضرة والأممِ السابقةِ على سبيل التغليب . وقيل للأمة الحاضرة فقط . والزَّوجُ : يُطلق على كل ما يَقترن بآخر مماثلاً له أو مضادًّا ؛ كما يُطلق على كل واحد من القرينين من الذكر والأنثى فى الحيوان المتزاوج . وعلى كل قرينين فيه وفى غيره كالخُفِّ والنَّعْلِ .

٨ ـ ﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ أى ناحية اليمين . وهم الذين يؤخَذ

ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّوۡضُونَةٖ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾

بهم ذات اليمين إلى الجنة . أو يُؤتَوْنَ صحائفهم بأيمانهم . ﴿ ما أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ أى أىُّ شىء هم فى أحوالهم وصفاتهم ! والجملةُ مبتدأٌ وخبر . وهى خبرُ قوله (فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ وُضع فيها الظاهر موضعَ الضمير للتفخيم . ومثلُه يقال فى : (وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ) وقد وُضعَ فيها الظاهرُ موضعَ الضمير للتفظيع . والمقصودُ فيهما : تعجيبُ السّامعين من شأن الفريقَيْن فى الفخامة والفظاعة .

٩ ـ ﴿ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾ أى ناحيةِ الشِّمال . وهم الذين يؤخَذ بهم ذات الشِّمال إلى النار . أو يُؤتَوْن صحائفهم بشمائلهم .

١٠ ـ ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ هم الصنْف الثالثُ من الأزواج الثلاثة . وهم الذين سارعوا إلى كلّ مادعا الله إليه . والجملةُ مبتدأ وخبرُ ؛ على حَدّ : « أنا أبو النَّجم وشِعْرى شِعْرى » أى والسابقون هم الذين اشتهرت أحوالهُم وعُرفت فخامتهم .

١٣ ، ١٤ ـ ﴿ ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ ﴾ أى أولئك السابقون المقرَّبون جماعةٌ كثيرةٌ من الأمم الماضية . وهم الذين عاصروا الأنبياء وآمنوا بهم . ﴿ وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ ﴾ وهم الذين عاصروا النبىَّ صلى الله عليه وسلم وآمنوا به . ولا شكّ أن جملةَ الذين عاصروا الأنبياء السَّابقين وآمنوا بهم : أكثرُ ممن عاصروا نبيَّنا صلى الله عليه وسلم وآمنوا به ؛ ولذلك عُبِّر عن الأوّلين بالثُلّة وهى الجماعة الكثيرة . وقوبلت بالقليل من الآخرين . وهذا لا ينافى كون أُمَّته صلى الله عليه وسلم على الإطلاق أكثرَ من الأمم الماضية كذلك . وقيل ـ بناءً على أن الخطاب لهذه الأمة خاصَّةً ـ : إن الثلّة والقليلَ : منها ؛ أى السابقون المقرَّبون ثُلَّةٌ من صدر هذه الأمة وقليلٌ ممن بعدهم . رُوِىَ عن الحسن أنه قال فى هذه الآية : أمّا السّابقون فقد مضَوْا ،

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾

ولكن اللّٰهمّ اجعلنا من أصحاب اليمين.

١٥ - ﴿عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ أى مُستقرِّين على سُرُر منسوجة بالذهب نسجًا مُحكمًا للرَّاحة والكرامة. يقال: وضَنَ الغَزْل يَضِنُه، نسجه. ودرعٌ مَوضونة: أى منسوجةٌ أو متقاربةُ النَّسج، أو منسوجةٌ حلقتيْن حلقتين.

١٧ : ٢٣ - ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ أى يدور حولهم للخدمة غِلمانٌ مُبقَوْنَ أبدًا على شكل الولدان وحدِّ الوصافة. ﴿بِأَكْوَابٍ﴾ بأقداح لاعُرَالها. ﴿وَأَبَارِيقَ﴾ أوانٍ ذات عُرًا وخراطيمَ. ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ إناءٍ من خمر جارية من العيون [آية ٤٥ الصافات ص٥٦٧].

﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ لا يصيبهم صداعٌ بسبب شربها. و(عن) بمعنى باء السببيّة. ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ بضم الياء وكسر الزاى، أى لا تُذهب الخمر عقولهم من السكر كما فى خمر الدنيا؛ من أَنْزَفَ الشاربُ: إذا ذهب عقله. وقرئ بفتح الزاى؛ من نُزِف الشاربُ - كعُنِيَ -: ذهب عقله [آية ٤٧ الصّافات ص٥٦٧] ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ [آية ٥٤ الدخان ص٦٣٣]. ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ أى هنّ فى صفاء بياضهنّ وحسنهنّ كاللُّؤلؤ الذى صِين فى أصدافه فلم تمسسه الأيدى، ولم تقع عليه الشَّمسُ والهواء؛ فكان فى نهاية الصَّفاء.

٢٥ - ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ لا يسمعون فى الجنة مالا يُعتَدُّ به من الكلام، أو كلامًا قبيحًا، ولا نسبةً إلى الإثم [آية ٢٣ الطور ص٣٦٠].

٢٨ : ٣١ - ﴿فِي سِدْرٍ﴾ هم فى سِدْر هو شجر النَّبِق واحدُه سِدْرة. ﴿مَّخْضُودٍ﴾ خُضِدَ شوكه. يقال: خضَدَ الشجرَ - من باب ضرب - قطع شوْكَه؛ فهو خضيدٌ ومَخضود. أو مُوقر حمْلاً حتى تَثنَّتْ أغصانه؛ من خضدتُ الغصن: ثنيتُه. ﴿وَطَلْحٍ﴾ هو شجر المَوْز، واحدُه طلحة. ﴿مَّنضُودٍ﴾ متراكبٍ بعضُه فوق بعض، قد نُضِّد بالحمل من أسفله إلى أعلاه؛ فليست له ساقٌ بارزةٌ؛ من النَّضْد، وهو الرَّصُّ. يقال: نَضَد متاعه - من باب ضرب - وضع بعضَه على بعض؛ فهو نَضِيدٌ ومَنضودٌ. ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ ممتَدّ منبسطٍ لا يزول، وهو ظل أشجارها. والعربُ تقول لكل مالا انقطاع له: ممدود. والجنّةُ كلُّها ظِلٌّ لا شمسَ معه. ﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ مصبوبٍ يجرى على وجه الأرض من غير حَفْر بالليل والنهار حيث شاءوا. يقال: سكبه سَكْبًا: صبه. وأعرفُ الناس بهذه النعمة أهلُ البوادى والبلاد الحارّة.

٣٤ - ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ على الأسرَّة أو منضدةٍ مرتفعة.

٣٥ - ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ ..﴾ أى نساءَ الدنيا، أو الحورَ العين.

وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ﴿٣٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتۡرَابٗا ﴿٣٧﴾ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ﴿٤٢﴾ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلۡحِنثِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ

٣٧ ـ ﴿عُرُبًا﴾ متحبِّبات إلى أزواجهن ، يحْسِنَّ التَّبعُّل . جمعُ عَرُوب ؛ كرُسُل ورَسول . مِن أعرب إذا بيّن . ﴿أَتْرَاباً﴾ مستويات في سِنٍّ واحدة ؛ كأنهنّ أشبهْنَ في التساوى الترائبَ ، وهى ضلوعُ الصَّدْر . جمعُ تِرْب ؛ كشِبْهٍ وأشْباهٍ .

٣٩ ، ٤٠ ـ ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ . وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾ أى أصحاب اليمين ـ وهم دون السابقين منزلةً ـ جماعةٌ كثيرةٌ من الأمم الماضية . وجماعةٌ كثيرةٌ من هذه الأمة . وإذا قيل إن الثُّلَّتَيْن من هذه الأمة فالمعنى : أن أصحاب اليمين جماعةٌ ممن شاهد النبىَّ صلى الله عليه وسلم وآمن به ، وجماعةٌ ممن لم يشاهده وآمن به .

٤٢ ـ ﴿فِي سَمُومٍ﴾ ريح حارّةٍ تدخل فى مسامّ البَدَن ، وتفعل فيه فِعلَ السُّم . ﴿وَحَمِيمٍ﴾ ماء متناهٍ فى الحرارة .

٤٣ ، ٤٤ ـ ﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾ أى دُخانٍ شديدِ السّواد . والعربُ تقول لكل شىء وصفتْه بشدّة السَّواد : أسودُ يحموم ؛ من الأَحَمِّ أو من الحَمَم ، وهما الأسود من كل شىء ؛ كما فى اللسان وتسميتُه ظِلاًّ على سبيل التَّهكُّم . ﴿لَا بَارِدٍ﴾ كسائر الظلال يُسْتَرْوَحُ به . ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ نافعٍ لمن يأوى إليه من أذى الحرّ .

٤٥ ـ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ متنعّمين بَطِرين ، متّبعين هوى أنفسِهم ، ليس لهم رادعٌ عن معاصى الله ؛ من التُّرْفَة [آية ١١٦ هود ص ٣٠١] .

٤٦ ـ ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ﴾ يداومون على الذّنب العظيم البالغ الغايةَ فى العِظم ؛ وهو الشرك . وقيل : على القَسَم على إنكار البَعْث المشار اليه بقوله : (وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ)(١) .

٤٧ ـ ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ ..﴾ بيان لاستدلالهم الفاسد على عدم البعث .

٤٨ ـ ﴿أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ﴾ [آية ١٧ الصّافات ص ٥٦٦] .

٥٢ : ٥٥ ـ ﴿مِنْ شَجَرٍ مِنْ

(١) آية ٣٨ النحل .

شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ

زَقُّومٍ ﴾ أى لآكلون من شجر ، أو شجرًا هو الزَّقُّوم ؛ فـ «مِن» الأولى ابتدائيةٌ أو زائدة ، والثانيةُ بيانيّة . والزَّقُّومُ : تقدّم فى [آية ٦٢ الصّافات ص ٥٦٨] . فطعامُهم الزّقومُ ، وشرابُهم الحميمُ ؛ كما قال تعالى : ﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ﴾ أى الماء البالغ نهايةَ الحرارة . ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ الإبلِ العطاشِ التى لا تُرْوَى بالماء ؛ لداء يصيبها يشبه الاستسقاء يُسَمَّى الهُيَامَ ؛ فلا تزال تشرب حتى تهلك ، أو تَسْقَم سقمًا شديدًا . جمعُ أَهْيَمَ للمذكَّر ، وهَيْمَاءَ للمؤنّث .

٥٦ ـ ﴿هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ هذا المذكورُ من أنواع العذاب هو ما أُعِدَّ لهم أوّلَ قدومِهم يومَ الجزاء ؛ كالنُّزل الذى يُعَدّ للضيف أولَ نزوله تكرمةً له ؛ وتسميتُهُ نُزُلاً تهكمٌ بهم .

٥٧ ـ ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ أى فهلّا تصدّقون بالخلق . ولمّا كان إقرارُهم بأنّ الخالق هو الله مقترنًا بما يُنبئُ عن خلافه وهو الشرك والعصيان ـ كان بمنزلة العَدم والإنكار ؛ فحُضُّوا على التصديق بذلك . وقيل : إنه حثٌّ على التصديق بالبعث وترك إنكاره . ثم ذكر فى الآيات التالية أربعة أدلّة على القدرة على البعث : الأوّلُ ـ خلقُه الإنسان . والثانى ـ خلقُه النبات . والثالث ـ خلقُه الماء العذب ، وهو سبب حياتها . والرابع ـ خَلقُه النارَ وهى ضد الماء ، وفيها الإنذار والنفع العظيم .

٥٨ ، ٥٩ ـ ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ..﴾ أخبرونى ؟ مَا تقذفونه من النُّطَف فى الأرحام ؟ أأنتم تقدِّرُونَه وتصوِّرونه بشرًا سويًّا ! بل أنحن لا غيرنا المقدِّرون المصوِّرون له ؟ يقال : أمْنَى النطفةَ ومَنَاها ـ من باب رمى ـ قذفها . ومفعولُ «أرأيتم» الأوّلُ الاسمُ الموصول ، والثانى الجملةُ الاستفهاميّة بعدَه . و«أمْ» منقطعةٌ لوقوع جملة بعدها ، وتقدّر ببل وهمزة الاستفهام التقريريّ ؛ فيكون الكلام مشتملاً على استفهامَيْن : الأوّلُ ﴿أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ﴾ ؟ وجوابُه لا . والثانى مأخوذٌ من «أم» ؛ أى بل أنحن الخالقون ؟ وجوابه نعم . وكذا يقال فى نظائره بعدُ .

٦٠ ، ٦١ ـ ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ . عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ﴾ أى وما نحن بمغلوبين عاجزين عن إهلاككم وأن نبدِّل منكم أشباهكم .

٦٣ ـ ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ..﴾ أخبرونى ! البَذْر الذى تلقُونه فى الأرض : أأنتم تُنبتونه وتُنشئونه حتى يشتدّ ويقومَ على سُوقه ، بل أنحن المنبِتون له !؟ وأصلُ الحَرْث : تهيئةُ الأرض للزراعة وإلقاءُ البَذْر فيها . والمناسبُ هنا : حمله على البَذْر الذى يُلقَى . والزرعُ : الإنباتُ . يقال : زرعه الله ، أى أنبته .

نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِى تَشۡرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا تَذۡكِرَةٗ وَمَتَٰعٗا لِّلۡمُقۡوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ * فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾

نصف الحزب

٦٤ ـ ﴿تَزۡرَعُونَهُۥٓ﴾ تنبتونه حتى يشتد ويبلغ الغاية .

٦٥ ـ ﴿لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ﴾ أى لجعلنا ذلك الزرعَ متكسِّرًا متفتِّتًا لشدّة يُبسه ، لا نفعَ فيه بعد ما أنبتناه ؛ فأنتم بسبب ذلك تتعجّبون من سُوء حاله بعد خضرته ونضارته . أو تندَمُون على ما تعبتم فيه وأنفقتم عليه من غير طائل . وأصلُ التّفكُّه : التنقلُ بصنوف الفاكهة ، ثم استُعير للتنقُّل بالحديث ؛ وهو هنا ما يكون بعد هلاك الزرع . وكُنِّىَ به فى الآية عن التعجُّب أو النَّدم .

٦٦ ـ ﴿إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ﴾ أى تقولون إنا لمهلكون بهلاك أقواتنا ؟ ، مِن الغَرام وهو الهلاك . أو لملزمون غرامةً بنقص رزقنا ، من الغُرْم وهو ذهاب المال بلا عَوض .

٦٧ ـ ﴿مَحۡرُومُونَ﴾ ممنوعون الرزق بالكلية .

٦٩ ـ ﴿مِنَ ٱلۡمُزۡنِ﴾ أى السحابِ أو أبيضه . جمعُ مُزْنة .

٧٠ ـ ﴿جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا﴾ مِلحًا زُعاقًا ، لا يُطاق لشدّة مرارته [آية ٥٣ الفرقان ص ٤٦٦] .

٧١ ـ ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾ أخبرونى ! النار التى تقدحونها وتستخرجونها من الشجر الرَّطب ، أأنتم خلقتم شجرتهَا التى منها الزِّناد . واخترعتم أصلها ، بل أنحن الخالقون لها بقدرتنا !؟ والعربُ تقدح بعودين ، يُحَكُّ أحدهما على الآخر . ويسمُّونَ الأعلى الزَّند والأسفل الزَّندة ؛ تشبيهًا بالفحل والطُّروقة فيُورى . يقال : وَرَى الزَّندُ ـ كوَعَى وولِىَ ـ يَرى وَرْيًا . خرجت نارُه . وأوْراه غيرُه : استخرج نارَه . وجمعُه زِناد ؛ كسَهْم وسِهام .

٧٣ ـ ﴿نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا تَذۡكِرَةٗ﴾ لنار جهنم الكبرى ؛ ليعتبر بها الناس ، ويحذروا ما أُوعِدوا به من عذاب الآخرة . ﴿وَمَتَٰعٗا لِّلۡمُقۡوِينَ﴾ أى ومنفعةً للمسافرين ؛ من أقوى الرَّجلُ : دخل فى القَواء ـ بالمد والقصر ـ وهو القفر الخالى من العمران . وإطلاقُ المقوين على المسافرين لأنهم كثيرًا ما يسلكون القفراء والمفاوز ؛ وتخصيصُهم بالذكر لأن منفعتهم بها أكثر من المقيمين ، وخاصّةً فى البوادى ليلاً . أو منفعةً للمحتاجين ، ينتفعون بها فى سفرهم وإقامتهم وسائر شئونهم ، كأنه تُصُوِّرَ من حال الحاصلِ فى القَفْر : الفقرُ ، فقيل : أقوى فلان ، أى افتقر . كقولهم : أترب وأرمل ؛ ثم أريد منه مطلقُ المحتاج إليها بعلاقة اللزوم .

٧٤ ـ ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ أى وإذ قد علمتَ ما عُدِّد من بدائع الصَّنعة وجلائل النعم ، فدُمْ على التسبيح بذكر اسم ربِّك . أو بذكر ربك العظيم ؛ منزِّهاً له تعالى عما يقول الجاحدون لوحدانيته وقدرته ،

تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ

الكافرون بنعمه مع عظمها وكثرتها . أو شاكراً له على تلك النعم . أو متعجباً من غَمْط هؤلاء الكفار لها مع جلالة قدرها . وأقبل على إنذارهم بالقرآن والاحتجاج عليهم به ؛ فأقسم إنه لَقرآنٌ كريم .

٧٥ : ٧٩ ـ ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ أى فأُقسم بمواقع النُّجوم . و« لا » مزيدةٌ للتأكيد فى قول أكثر المفسرين ؛ مثلُها فى قوله : (لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ) . وقيل : زيدت جريًا على سَنَن العرب من زيادتها قبل القَسَم . كما فى : لا وأبيك ! كأنهم ينفُون ما سوى المُقْسَم عليه فيفيد التأكيد . وقيل : هى للنَّفى ؛ أى لا أقسم بها ، إذ الأمرُ أوضح من أن يحتاج إلى قسم ؛ أى أنه لا يحتاج إلى قسَم أصلاً فضلاً عن هذا القسَم العظيم . ومواقعُ النجوم : مساقطها ومغاربُها فى السماء . جمعُ موْقع ؛ من الوقوع بمعنى السقوط والغروب . وأقسم بها لما فيها من الدلالة على وجود مؤثِّر دائم لا يزول تأثيره . وجوابُ القَسَم : ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ أى نفّاعٌ جَمُّ الفوائد والمنافع ؛ لاشتماله على أصول العلوم المهمة فى إصلاح المعاش والمعاد . ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ مصونٍ عن غير المقرَّبين من الملائكة ، لا يطلع عليه سواهم ؛ وهو اللوحُ المحفوظ . أو مصونٍ عن التبديل والتغيير ؛ وهو المصحف . ويتضمّن ذلك الإخبارَ بالغيب ؛ لأنه لم يكن إذ ذاك مصاحف . ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ أى لا يطّلع عليه قبل نزوله إلا الملائكةُ المقرَّبون ؛ وكنّى عن ذلك بالمسّ للزومه له . أو لا يَمَسّ القرآنَ إلا المطهَّرون من الأحداث ؛ وهو خبر بمعنى النهى . أو لا يجد طَعمه وحلاوته ونفعه وبركته إلا المؤمنونَ به . الذين طهّروا أنفسهم من الشرك والنفاق . ورذائلِ الأخلاق .

٨١ ـ ﴿أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾ أتعرضون ! فَبِهذا القرآن العظيم الذى ذُكرتْ نعوته الجليلةُ أنتم متهاونون ! كمن يُدْهِن فى الأمر ؛ أى يُلينُ جانبَه ولا يتصلَّبُ فيه تهاونًا به . والإدهانُ فى الأصل : جعلُ الأديم ونحوه مدهونًا بشىء من الدُّهن ليَلين ؛ ثم صار حقيقةً عرفيّةً فى المداراة والملاينة . ثم تُجوِّز به هنا عن التهاون ؛ لأن المتهاون فى الأمر يُلينُ جانبَه ولا يتصلَّب فيه . أو أنتم مكذِّبون ! إذ التكذيبُ من فروع التهاون . أو منافقون . والمدهِنُ : المنافقُ يُلين جانبَه ليُخفى كفره ؛ فهو شبيهٌ بالدُّهن فى سهولة ظاهره .

٨٢ ـ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ شكرَ رزقكم إذا مُطِرْتُمْ وسُقيتم . ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ بكونه من الله تعالى ! فتقولون : مُطرنا بنَوْء كذا ، وهو سقوط النَّجْم فى المَغْرب مع الفجْر . أو وتجعلون شكرَكم لنعمة القرآن التكذيب به .

٨٣ : ٨٧ ـ ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ..﴾ توبيخٌ لهم على تكذيبهم الآياتِ الدالةَ على أنهم تحت سلطانه وقهره سبحانه ، من حيثُ ذواتُهم وطعامُهم وشرابُهم وسائرُ أسبابِ معايشهم . أى إن

كنتم أيها الجاحدون لآياتنا ، المكذِّبون لرسولنا ، المنكرون لقدرتنا على سائر شئونكم - غيرَ مربوبين لنا ، ولا مقهورين بسلطاننا ، وكنتم صادقين فى اعتقادكم ذلك ؛ فهلّا تردُّون إلى المحتَضَر رُوحَه إذا بلغت حلقومَه ، وشارفت الخروجَ من جسده !؟ وأنتم تشاهدون ما يقاسيه من هول الفَزَع وسكرات الموت ! وتحرصون كلَّ الحِرص على إنجائه منه ؟ ونحن أقربُ إليه منكم بعلمنا وقدرتنا ، حيث لا تعرفون كُنهَ حالته ، ولا تفقهون أسبابَها الحقيقية ، ولا تقدرون على دفعها . ونحن العالِمون بها ، المسيطرون عليها ، النازعون لرُوحه من هيكلها الجسمانى . ولكنكم لا تدركون ذلك لفرط جهالتكم بربكم ؟ وحاصلُ المعنى : أنكم إن كنتم غيرَ مربُوبين كما تقتضيه أقوالُكم وأعمالُكم ، فما لكم لا تَرجعون الرُّوح إلى البدن إذا بلغت الحلقوم ! وتردُّونها كما كانت بقدرتكم وسلطانكم ! و(لَوْلَا) حرفُ تحضيض بمعنى هلّا . و(لَوْلَا) الثانيةُ تأكيدٌ لها . و(إذا) ظرفٌ لقوله : (تَرْجِعُونَهَا) أى تردُّونها ، وهو جواب الشرطيْن : (إنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِين - إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) . و(غَيْرَ مَدِينِينَ) أى غيرَ مربوبين لنا ؛ من دان السلطانُ الرعيّة : إذا ساسهم وتعبّدهم . وجملةُ (وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) حالٌ من فاعلِ (بَلَغَتْ) . وجملةُ (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إلَيْهِ) مستأنَفةٌ لتأكيد توبيخهم على صدور ما يدلّ على سوء اعتقادهم فى ربّهم .

وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

٨٨ - ﴿فَأَمَّا إنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ أى فأمّا إن كان المتوفَّى الذى بُيِّنَ حالُه من السابقين .

٨٩ - ﴿فَرَوْحٌ﴾ أى فله رحمةٌ أو فرحٌ وسرورٌ . ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ استراحةٌ ، أو طيبُ رائحةٍ عندَ قبض روحه وفى قبره ، وعند بعثه ، وجنّةٌ ذاتُ تنعُّم فى آخرته .

٩١ - ﴿فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ أى فيقول الملائكة للمتوفَّى من أصحاب اليمين عند قبض رُوحه وفى قبره وفى الجنة : سلامٌ لك يا صاحبَ اليمين من أصحابِ اليمين ؟!

٩٣ ، ٩٤ - ﴿فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ . وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ أى فله قِرًى وإكرامٌ عذابٌ شديدٌ فى البرزخ بحرارة النار ودخانها ، وإدخالٌ فى النار فى الآخرة ، ومقاساةٌ لألوان عذابها .

٩٥ - ﴿إنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ أى إن الذى قصصناه عليك فى هذه السورة لهو الحق الثابتُ من اليقين . واليقينُ : هو العلم المتيقَّن الذى لا شكَّ فيه . والله أعلم .

(٥٧) سُورَةُ الْحَدِيدِ مَدَنِيَّة وآياتها ٢٩ نزلت بعد الزلزلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي
وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ
وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى
الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا
يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ

سُورَةُ الْحَدِيد

١ ـ ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ نزّه الله تعالى عمّا لا يليق به جميعُ العوالم. فتنزيهُ الملائكة والمؤمنين من الثقلَيْن بلسان المقال. وتنزيهُ باقى الخلق بلسان الحال؛ بمعنى دلالتها على وجوده وتنزيهه. فإن كلّ الموجودات دالةٌ بإمكانها وحدوثها على الصانع القديم. المتّصف بكل كمال. المُنزّه عن كلّ نقص. خاضعةٌ لسلطانه وتصرفه؛ وهو المراد من قوله تعالى: (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ)[1]؛ من سَبَح فى الأرض والماء يسْبَح: ذهب وأبعدَ فيهما. واللّامُ للتأكيد؛ كما فى شكرتُ له. وعُبِّر هنا وفى الحَشْر والصَّف بالماضى. وفى الْجُمعة والتَّغابُن بالمضارع. وفى الأعلى بالأمر. وفى الإسراء بالمصدر؛ استيفاءً للجهات المشهورة لهذه المادّة. وإعلامًا بتحقُّق تسبيح الكائنات لخالقها فى جميع الأوقات. ﴿الْعَزِيزُ﴾ القادر الغالب على كل شىء.

٣ ـ ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ أى السابق على جميع الموجودات، من حيثُ إنه موجدُها ومحدِثُها؛ فهو موجودٌ قبلَ كلِّ شىء بغير حدٍّ ولا بداية. ﴿وَالآخِرُ﴾ أى الباقى بعد فنائها. وجميعُ الموجوداتِ الممكنة إذا نُظِر إليها فى ذاتها، وقُطع النظر عن مُبقِيها ـ فانيةٌ؛ والله تعالى هو الباقى بعدَ كلِّ شىء بغير نهاية. ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ أى الظاهرُ وجودُه بالأدلة الواضحة. أو الغالبُ العالى على كلّ شىء. ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ أى المحتجب بكُنه ذاته عن إدراك الأبصار والحواسّ والعقول. أو العالِم بما بَطَن ـ أى خَفِيَ ـ من الأمور. يقال: أنت أبطنُ بهذا الأمر، أى أخْبَرُ به وأعلمُ.

٤ ـ ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ..﴾ [آية ٥٤ الأعراف ص ٢٠٧]. ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ استواءً يليق به سبحانه! بلا كيْفٍ ولا تمثيلٍ ولا تشبيهٍ [آية ٥٤ الأعراف]. ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ..﴾ ما يدخل من مطر وغيره [آية ٢ سبأ ص ٥٣٩]. ﴿مَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ ما يصعد إليها من الملائكة والأعمال. ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ بعلمه المحيط بكل شىء، أى عالمٌ بكم أينما كنتم. فالمعيّةُ مجازٌ عن العلم بعلاقة السببيّة، والقرينةُ السِّباق واللّحاق مع استحالة الحقيقة.

(١) آية ٤٤ الإسراء.

وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ

وقد أوّل السّلفُ هذه الآيةَ بذلك ؛ كما أخرجه البَيْهقِيُّ عن ابن عباس والثّوْرى . وفى البحر : أن الأمة مجمعةٌ على هذا التأويل فيها ، وأنها لا تُحمَل على ظاهرها من المعيّة بالذات لاستحالتها .

٦ - ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهَارِ . .﴾ يدخله [آية ٢٧ آل عمران ص ٧٧] . ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أى بمكنوناتها من نيّات ومعتقَدات وخير وشر .

١٠ - ﴿ولِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أى يرث كلَّ شىء فيها ، ولا يبقى لأحد مالٌ ولا ملك . والجملةُ حال من فاعل (لا تنفقوا) . أو من مفعوله المعلوم مما تقدم . ﴿لَا يَسْتَوِى مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ . .﴾ هم السابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار .

١٠ - ﴿قَبْلِ الْفَتْحِ﴾ فتح مكة أو صلح الحديبية . ﴿الْحُسْنَى﴾ المثوبة الحسنى (الجنة) .

١١ - ﴿يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ حثٌّ من الله تعالى على الإنفاق فى سبيله ، مؤكِّدٌ للأمر السابق به وللتوبيخ على تركه . والقرْضُ الحسنُ : الإنفاقُ من المال الحلال ، مع صدق النية وطيبِ النفس ، وابتغاءِ وجهِ الله تعالى به ؛ دونَ رياء أو سُمعة ، أو مَنٍّ أو أَذًى ، ومع تحرّى أكرمِ الأموال وأفضلِ الجهات . والعربُ تقول لكل من فعَل فِعلا حسنًا : قد أقرض ؛ وسُمّىَ قرضًا لأن القرضَ إخراجُ المال لاسترداد البدل . والله تعالى يُبْدله أضعافًا .

١٢ - ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أى أمامهم . ﴿وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ أى عنها . والمرادُ فى جميع جهاتهم ؛ وذُكرت الأَيمان لشرفها .

١٣ - ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ أى انتظرونا لنَلحقَ بكم نصِبْ شيئًا من نوركم نستضىءُ به . وذلك أنه يُسْرَعُ بالخلّص إلى الجنة على نُجُب فيقول المنافقون : انتظرونا لأننا مشاةٌ لا نستطيع

يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ * أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا

ثلاثة أرباع الحزب

لحوقكم. وقُرِئ (أَنْظِرُونا) بفتح الهمزة وكسر الظاء؛ من الإنظار بمعنى الانتظار؛ أي انتظرونا. والاقتباسُ في الأصل: طلبُ القَبَسِ. أي الجذْوَة من النار؛ وتُجُوِّز به عما ذُكر. ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ أي فضرب بين المؤمنين والمنافقين سُورٌ حاجزٌ. قيل: هو الحجاب المذكور في سورة الأعراف.

١٤ - ﴿يُنَادُونَهُمْ﴾ ينادي المنافقون المؤمنين. ﴿فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ محنتموها وأهلكتموها بالنّفاق. ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ أي انتظرتم بالمؤمنين الحوادثَ المهلكة. يقال: تربَّصَ بفلان: انتظر به خيرًا أو شرًّا يَحِلّ به. والمرادُ هنا الثاني. ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾ خدعتكم أطاعُكم الفارغة، وآمالُكم الكاذبة؛ فصدّتكم عن سبيل الله وأضلّتكم. ﴿وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ خدعكم الشيطانُ بسبب سَعَة رحمة الله تعالى؛ فأطمعكم في النجاة من العقوبة بنحو قوله: إنَّ اللهَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ لا يعذِّبكم، وإن الله محسِنٌ وحليمٌ. ولا يزال الشيطان بالإنسان يَغُرُّه حتى يوقعه في الهَلَكة.

١٥ - ﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ أي النارُ أَوْلَى بكم. والأصلُ: هي مكانكم الذي يقال فيه هو أَوْلَى بكم؛ كما يقال: هو مَئِنَّةُ الكَرَم. أي مكانٌ لقول القائل: إنه لَكَرِيم. أو ناصرُكم؛ من باب قولهم: * تحيَّةُ بينِهم ضربٌ وجيعُ. * أي لا ناصرَ لكم إلا النار. والمرادُ: نفيُ النّاصر قطعاً بعدَ نفْي أخذِ الفِدْيـة وخلاصهم بها من العذاب. ونظيرُه قولُه تعالى: (وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ)[1]

١٦ - ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا..﴾ عتابٌ لطائفة من المؤمنين على الفتور والتّكاسُل فيما نُدبوا إليه، بعد أن أصابوا من لين العيش ما أصابوا. أي ألم يأت الوقت الذي تلين فيه قلوبُهم فتخضع وتذِلّ لذكر الله والقرآنِ!؟ مضارعُ أَنَى الشيءُ - كرَمَى - أَنْيًا وأَنَاءً - بالفتح - وإِنًى - بالكسر -، حان أناه أي وقته؛ فهو معتَلٌّ حُذفت منه الياء للجازم. وقُرِئ (يَئِنْ) كَيَبِعْ، بمعنى يَحِنْ وَيَقْرُبْ؛ مضارعُ آن أَيْنًا - من باب باع - أي حان. ﴿أَنْ تَخْشَعَ﴾ وقت أن تخضع وترق وتلين. ﴿الْأَمَدُ﴾ الاجل او

(١) آية ٢٩ الكهف.

قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ۖ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۖ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾

الزمان .

١٧ - ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ ..﴾ تمثيلٌ لإحياء القلوب القاسية بذكر الله وآياته وتلاوة كتابه - بإحياء الأرض المَواتِ بالغَيث ؛ للترغيب فى الخشوع ، والتحذيرِ من القساوة والغلظة .

١٨ - ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ ..﴾ أى والذين أقرضوا ؛ وحُذِفَ الموصولُ لدلالة ما قبلَه عليه .

١٩ - ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ..﴾ أى هم فى حكمه تعالى بمنزلة الصِّديقين والشُّهداءِ المشهورين بعلوِّ الرُّتبة ، ورفعةِ الدّرجة . ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ أى لهم مثلُ أجرهم ونورهم يومَ القيامة . وناهيك بما للصِّدِّيقين والشهداء من الأجر والنور فى ذلك اليوم ! . وحُذفَ ما يفيد التشبيه فى الجملتين ؛ للتنبيه على قوّة المماثلة وبلوغِها حدّ الاتحاد .

٢٠ - ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ..﴾ بيانٌ لحال الحياة الدنيا التى رَكَن إليها الكفارُ المكذِّبون ، واطمأنّوا بها ، وقصَرُوا همّهم عليها ، ولم يبالوا ما وراءها بأنها من المحقّرات التى لا يركن إليها العقلاء . إذ هى لَعِبٌ لا ثمرةَ له سوى التّعب ، ولهوٌ شاغلٌ عما يَعنى وَيَهُمّ ، وزينةٌ لا يحصل منها شرفٌ ذاتىٌّ ؛ كالملابس الجميلة والمراكب البهيّة . وتفاخرٌ بالأنساب والعظام البالية ، وتكاثرٌ بالعَدَد والعُدَد . ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ..﴾ تقريرٌ لما وُصفت به الدنيا ، وتمثيلٌ لها فى سرعة تقضِّيها وذهاب نعيمها وقلّة جدواها ؛ للتنفير عن العكوف عليها ، وجعلِها الغايةَ والمقصِدَ الأعلى - بحال نباتٍ أنبته الغيثُ فاستوى وأُعْجِبَ به الحرّاثُ ، ثم هاج - أى يبس - بعاهة بعد نضارته ، أو ثار ونما إلى أقصى ما يتأتّى له ؛ فاصفرّ بعد الخضرة ، ثم صار حُطامًا هشيمًا من اليُبْس . و (كَمَثَل) خبرُ مبتدإ محذوف ؛ أى مَثَلُها كمثل . و (الْكُفَّارَ) الزُّراعَ الذين يحرثون الأرض ويَبذرون فيها البَذْر . وسُمُّوا كفارًا مِن الكَفْر وهو السَّتْر ؛ لستَرهم البَذْر فى الأرض للإنبات . وقيل : هم الكافرون بالله سبحانه . وخُصُّوا بالذكر لأنهم

مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٤) لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٦)

أشدُّ إعجابًا بزينة الدنيا واغترارًا بها . و ﴿يَهِيجُ﴾ ييبس في أقصى غايته [آية ٢١ الزمر ص ٥٨٧] . ﴿يَكُونُ حُطَامًا﴾ فتاتاً هشيماً متكسّراً بعد يبسه .

٢١ — ﴿سَابِقُوا﴾ سارعوا مسارعة المتسابقين في المضمار . ﴿عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [آية ١٣٣ آل عمران ص ٩٥] .

٢٢ — ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ ..﴾ أي نائبةٍ من نوائب الدنيا التي تعرض للأرض ؛ كالجَدْبِ والعاهة والزلزال والطُّوفان . وللنّاس ؛ كالمرض والآفات والآلام . ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ أي إلا مكتوبةٌ في اللّوح المحفوظ ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ أي نخلُقَها . وقيل في علم الله تعالى ؛ وأطلق عليه كتابٌ للتنبيه إلى أنه لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها وأثبتها ؛ كما يُثبَت الشيءُ في الكتاب .

٢٣ — ﴿لِكَيْ لَا تَأْسَوْا﴾ أي أخبرناكم بذلك لكي لا تحزنوا ؛ من الأسى وهو الحُزن . يقال : أسِيَ على كذا — بالكسر — يأسَى أسًى ، حَزِن فهو أسيٌّ . وأسِيتُ عليه — كرَضِيت — أسًى : حزنْت . ﴿عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ من نعم الدنيا حُزْنَ قنوطٍ ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ منها فرحَ بَطَرٍ وأشَر ؛ فإن من علم أنّ ذلك مقدّرٌ أزلاً من الله تعالى رَضِيَ واطمأنّ ، وصَبَرَ أو شكر . ﴿مُخْتَالٍ﴾ متكبِّرٍ عن تخيّل فضيلةٍ تراءت له من نفسه ﴿فَخُورٍ﴾ على الناس يباهيهم بنحو المالِ والجاه .

٢٥ — ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ أي وأنزلنا معهم الميزان ؛ أي العدلَ في كل الأمور بإنزال الكتب الإلهيّة المتضمّنةِ له . أو هو ما يوزَن به ويُتعامل . وإنزالُه : أمرُ الناس باتّخاذه مع تعليم كيفيّته . ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ أي بالعدل في كل شئونهم . أو في معاملاتهم . ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ أي خلقناه لكم ؛ كقوله تعالى (وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ)(١) . أو هيّأناه لكم وأنعمنا به عليكم ، وعلّمناكم استخراجه من الأرض وصَنعتَه بإلهامنا . ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ أي فيه قوّةٌ وشدّةٌ ، فمنه جُنّةٌ وسلاحٌ ، وآلاتٌ للحرب وغيره . وفي الآية إشارةٌ إلى احتياج الكِتاب والميزان إلى القائم بالسيف ؛ ليحصُل القيامُ بالقسط . ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ في معاشهم ومصالحهم . وما من صنعة إلّا والحديدُ آلتُها ؛ كما هو مشاهد ، فالمِنّة به عظمى . ﴿إِنَّ

(١) آية ٦ الزمر .

ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ

اللهَ قويٌّ عَزِيزٌ﴾ قويٌّ فى أخذه ، عزيزٌ فى انتقامه ، منيعٌ غالبٌ .

٢٧ - ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا ..﴾ ثم أرسلنا بعدهم رسولاً بعد رسول ، حتى انتهينا إلى عيسى عليه السلام [آية ٨٧ البقرة ص ٢٢] . ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ وهم الحواريُّون وأتباعُهم الذين آمنوا بأنه عبدُ الله ورسوله ، وبالكتاب الذى جاءهم به ؛ ولم يغيِّروا ولم يبدِّلوا شريعتَه وكتابه . ﴿رَأْفَةً﴾ لِينًا وخفضَ جَناح . ﴿وَرَحْمَةً﴾ شفقةً . أما الذين جاءوا بعدهم فغيَّروا وبدَّلوا ، وغلَوْا فى عيسى حتى جعلوه إلهًا ، أو جُزْءَ إله ؛ فهم بمعزل عن الحق ، وعن الرأفة والرحمةَ اللتيْن أودعهما الله فى قلوب الذين اتّبعوه . وقد تغالى أولئك الذين اتّبعوا عيسى عليه السلام فى العبادة ، وحمَّلوا أنفسهم المشاقَّ الزائدة فيها وفى ترك النكاح ، واستعمالِ الخَشِن فى المطعم والمشرب والملبس ، مع التقلّل منها ؛ وحبسوا أنفسهم فى الصوامع والأديِرة والكهوف والغيران ! ! وكان ذلك ابتداعًا من تلقاء أنفسهم ؛ لم يؤمَروا به ، ولم تجئ به شريعتُهم ، ولكنهم التزموه ابتغاءَ مرضاةِ الله تعالى ؛ وذلك قوله تعالى : ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ﴾ ثم جاء أخلافهم فغيَّروا وبدّلوا فى دين الله ، وزعموا فى عيسى ما لا يَرضاه ولا يُرضى الله ، وسلكوا فى العبادة الباطلةِ مسلَكَ الرَّهْبنة الأُولى ؛ فجمعوا إلى الكفر بالله المبالغةَ فى التعبُّد الباطل ؛ وذلك قوله تعالى : ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ فما رعاها أخلافهم الذين أتَوْا بعدهم . ﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ وهم أسلافُهم الذين كانوا على الحقّ . ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ وهم أخلافهم ولخروجهم عن طاعة الله ، وكفرهم به بزعم التثليث ، أو ألوهيّة عيسى ، أو أنه ابنُ الله ؛ تعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ! وهم فى الواقع على دين غير دين عيسى عليه السلام .

٢٨ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ ..﴾ أى اثبتوا على التقوى والإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم . يؤتكم نصيبيْن من الأجر : نصيبًا على الإيمان به ، ونصيبًا على الإيمان بالرسل السابقين . كما أعطى الله مؤمنى أهل الكتاب نصيبيْن من الأجر : أحدُهما للإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ، والآخرُ للإيمان بالرسول السابق الذى نُسِخَت شريعته بالشريعة المحمديّة . نزلت حين افتخر مؤمنو أهلِ الكتاب على الصحابة بأن لهم أجريْن ؛ كما قال تعالى فى حقهم : (أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ)[1] وأن المؤمنين من غيرهم لهم أجرٌ واحدٌ . فجعل الله لهؤلاء أجريْن مثلَهم ، وزادهم النّورَ يمشون به يوم القيامة . والْكِفْلُ : النصيبُ [آية ٨٥ النساء ص ١٢٤] .

(١) آية ٥٤ القصص .

عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

(٥٨) سورة المجادلة مدنية
وآياتها ٢٢ نزلت بعد المنافقون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ

٢٩ - ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ..﴾ أى أعلمناكم بذلك ليعلموا أنهم ليسوا مُلَّاكَ فضله سبحانه! فيَزْوُوهُ عن المؤمنين، ويستبدُّوا به دونهم. ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ وقد أعطى الله المؤمنين من غيرهم أجرين كما أعطاهم أجرين. والله أعلم.

سُورَةُ المُجادلة

١ - ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِى تُجَادِلُكَ..﴾ تراجعك الكلامَ فى شأن زوجها وظهاره منها؛ من المجادلة وهى المفاوضة على سبيل المنازعة والمُغالبة. وأصلها من جَدَلْتُ الحَبْلَ: إذا أحكمتَ فَتْلَه. ﴿وَتَشْتَكِى﴾ تُظهر بَثَّها وحزنَها وتضرعُ ﴿إِلَى اللهِ﴾ فى أمرها؛ من الشَّكْو. وأصلُه فتحُ الشَّكْوَة وإظهارُ ما فيها؛ وهى سِقاءٌ صغيرٌ يُجعل فيه الماء، ثم شاعَ فيما ذُكر. نزلت فى خَوْلةَ بنتِ ثَعلبةَ، وزوجِها أوْسِ بن الصَّامت، حين ظاهر منها بقوله: أنتِ علىَّ كظَهْر أمِّى. وكان ذلك فى الجاهلية تحريمًا مؤبَّدًا؛ كما قدمنا أوَّلَ سورة الأحزاب، وهو أوَّلُ ظِهار فى الإسلام؛ فشكتْ أمرَها إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال لها: (ما أراكِ إلا قد حَرُمْتِ عليه)[1]. فما زالتْ تُجادله حتى نزلت الآياتُ الأربعُ. والسَّماعُ: كنايةٌ عن الإجابة والقَبول. ﴿وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ تراجُعَكما الكلامَ. يقال: حاورته، راجعتُه الكلامَ. وأحار الرَّجلُ الجوابَ: ردّه. وما أحارَ جوابًا: ما ردَّه.

٢ - ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ..﴾ أى يقولون لنسائهم: أنتُنَّ علينا كظهور أمهاتِنا؛ قاصدين بذلك تحريمَهن على أنفسهم كتحريم أمهاتهم. ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِم﴾ أى ليس نساؤُهم، أمهاتِهم على الحقيقة؛ فهو كذبٌ محضٌ. ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ﴾ يُنكره الشَّرعُ والعقلُ والطبع. ﴿وَزُورًا﴾ كذبًا وباطلاً. منحرفًا عن الحق.

٣ - ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُون﴾ تفصيل لحكم الظِّهار شرعًا. ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ يرجعون عمّا

(1) رواه ابن أبي حاتم.

مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ

قالوا فيريدون الوطء . أو يرجعون لتحليل ما حرَّموه على أنفسهم بالظِّهار . ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ فعليهم إعتاقُ رَقَبةٍ . ﴿مِنْ قَبلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ أي يستمتع أحدهما بالآخر . فيحرمُ عليهما الجماعُ ودواعيه قبل التكفير . وتفصيلُ أحكام الظِّهار في الفقه .

٥ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ..﴾ نزلت في غزوة الأحزاب بشارةً للنبيّ صلى الله عليه وسلم والمؤمنين . أي إن أعداءكم المتحزِّبين القادمين عليكم سيُكْبَتون ويذلُّون ، ويتفرّق جمعُهم فلا تخْشَوْا بأسَهم . والمُحَادَّة : المُعاداةُ . وأصلُها أن تكون في حدٍّ يخالف حدَّ صاحبك ؛ فيُكنَى بها عن المُعاداة لكونها لازمةً للمعاداة . ﴿كُبِتُوا﴾ أي سيُكبتون ويَذِلُّون . أو يُهلكون . يقال : كبت الله العدوَّ كَبْتًا ـ من باب ضرب ـ أهانه وأذلَّه . وكبَتَهُ : كبّه . أي صرعه لوجهه .

٦ ـ ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ﴾ أحاط بأعمالهم عَدَدًا . ولم يَفُتْهُ سبحانه منها شيءٌ . والمرادُ : أنه أحاط بها علمًا . ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ مطّلِع لا يغيب عنه أمرٌ من الأمور أصلا .

٧ ـ ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ ..﴾ أي ما يقع من تناجي ثلاثة . أي مُسارَّتهم بالحديث بحيث لا يسمعه غيرُهم ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ أي إلا هو تعالى يعلمه كما يعلمه الرابع يكون مَعَهُم في التّناجي . أي ما يكونون في حالٍ من الأحوال ثلاثةً . إلا في حال تصيير الله تعالى لهم أربعةً ؛ حيث إنه سبحانه يطّلع على نجواهم . فالاستثناءُ مفرَّغ من أعم الأحوال . وكذلك يقال في كأنه حاضر معهم . مشاهدٌ لهم ؛

فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ

قوله : (إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ) ، (إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ) . وخُصَّ الثلاثةُ والخمسةُ بالذكر لأن قومًا من المنافقين تخلَّفُوا للتناجي فيما بينهم مغايظةً للمؤمنين . وكانوا مرَّةً ثلاثةً ، ومرَّةً خمسةً ؛ فنزلت الآية تعريضًا بالواقع .

٨ - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ..﴾ تعجيبٌ للرَّسول صلى الله عليه وسلم من اليهود والمنافقين . فقد كانوا يتناجَوْنَ فيما بينهم ، ويتغامَزُونَ بأعينهم على المؤمنين ليَغيظوهم ؛ ويُوهموهم بذلك أن أقاربهم قُتلوا فى الغزْو ليُحزنوهم . فنهاهم الرّسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك ؛ فعادوا لما نُهُوا عنه ، فنزلت الآية . ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ ..﴾ وكان اليهودُ إذا جاءُوا للنبيّ صلى الله عليه وسلم يحيُّونه بقولهم : السَّامُ عليك . يُوهمون السلامَ ظاهرًا ، ويَعنُون الموتَ باطنًا . فيقول النبىّ صلى الله عليه وسلم : (وعليكم)[1] وهو يعلم ما يعنون ؛ فنزلت الآية . ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ إذا خرجوا من عنده صلى الله عليه وسلم ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللهُ بِمَا نَقُولُ﴾ هلَّا يُعَذِّبُنَا الله بسبب ذلك القول لو كان محمد نبيًّا ؟ أى لو كان نبيًّا حقًّا لعذبنا الله بما نقول له ! وأُسند فى الآية فعلُ البعض إلى اليهود والمنافقين جميعًا لرضاهم به . ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ كافيهم جهنم عذابًا . ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها ، أو يقاسون حرَّها .

٩ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم . وهم المنافقون .

١٠ - ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى﴾ المعهودةُ منكم فيما بينكم ومع اليهود ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ أى من تزيينه ووسوسته ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ليُوقِعَهم فى الحُزن بما يحصل لهم من توهُّم أنهم فى نكبة أصابتهم . والحُزْنُ : الهَمُّ . يقال : حزَنه - من باب قتل - جعل فيه حُزْنًا ؛ فهو محزون وحزين ، كأحْزنه . ﴿وَلَيْسَ﴾ الشيطانُ . أو التناجى ﴿بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ﴾ بقضائه وقدره .

١١ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا ..﴾ أمر الله المؤمنين بما هو سببٌ للتوادِّ والتوافُق ، إذا اجتمعوا فى أىِّ مجلس للخير والأجر ؛ كحرب أو درس علم أو صلاة جُمعة ، أو عيدٍ أو نحو ذلك ؛ ومنه مجلسُه صلى الله عليه وسلم . أى إذا قال لكم قائل : توسَّعُوا فى المجالس ؛ ليُفسح بعضُكم لبعض ، ولا تتضامُّوا

(١) رواه البخاري ومسلم .

صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا

ربع الحزب

فيها . يقال فَسَحْتُ له فى المجلس فسْحًا ـ من باب نفع ـ فَرَجْتُ له عن مكان يَسعه . وتفسَّح القومُ فى المجلس : توسَّعُوا فيه . ﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا﴾ وقُرئ بكسر الشين فيهما ، وهما بمعنًى واحد . أى وإذا قيل : ارتفعوا عن مواضعكم فى المجالس للتوسعة على المقبلين ، فارتفعوا ولا تتثاقلوا . يقال : نَشَزَ يَنْشُزُ وينشِزُ ـ من بابى نصر وضرب ـ إذا ارتفع عن مكانه .

١٢ ، ١٣ ـ ﴿إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ﴾ أى أردتم مسارَّته فى أمر ما ﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ للفقراء . رُوى عن ابن عباس أن الناس سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم وأكثروا حتى شق عليه ؛ فأراد الله أن يخفف على نبيّه فأمرهم أن يقدموا صدقةً على مناجاته . وعن مُقاتِل : أن الأغنياء كانوا يأتون النبىّ صلى الله عليه وسلم فيُكثرون مناجاته ، ويَغلبون الفقراء على مجالسه ؛ حتى كره عليه الصلاة والسلام طولَ جلوسهم ومناجاتِهم . فنزلت الآية ، ولم يُبيَّنْ فيها مقدارُ الصدقة الواجبة ؛ ولعلّه ما يُعَدُّ فى العُرْف صدقةً تسدُّ حاجة الفقير . وقد أُمِر بها الواجدُ لها دون الفقير . واستمرّ الحكم زمنًا قيل عشرةَ أيام ، ثم نُسخ بعدَ العملِ به زمنًا بقوله تعالى فى الآية التالية :

١٣ ـ ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ أخفتم الفقر والعيلة . ﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ حينَ شقّ الأمرُ على الأغنياء ، وظهر منهم الخوف من الفقر إذا استمرَّ الحكم ؛ وهم حريصون على المناجاة لشدة حاجتهم إليها . والآيةُ الناسخةُ متأخّرة فى النزول ، وإن كانت تالية للآية المنسوخة فى التّلاوة . والظاهر ـ والله أعلم ـ أن الحادثة من باب الابتلاءِ والامتحان ؛ ليظهر للناس محب الدنيا من محبِّ الآخرة ؛ والله بكل شىء عليم .

١٤ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا ..﴾ تعجيبٌ من حال المنافقِين الذين اتخذوا اليهود أولياء ، يُناصِحُونهم وينقلون إليهم أسرارَ المؤمنين . أى ألم تنظر إلى هؤلاء المنافقين الذين وَالُوا اليهود المغضوبَ عليهم ؛ ما هم من المؤمنين ولا من اليهود ، بل هم مذبذبون بين هؤلاء وهؤلاء . ﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ هم اليهود .

١٦ ـ ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ الفاجرة ﴿جُنَّةً﴾ وقايةً وسُترةً يدفعون بها عن أنفسهم وأموالهم ؛ من الجَنّ وهو ستر الشىء عن الحاسّة .

١٧ ـ ﴿لَنْ تُغْنِيَ ..﴾ لن تدفع ..

فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

(٥٩) سُورَةُ الحَشْرِ مَدَنِيّة
وآياتها ٢٤ نزلت بعد البيّنة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ

١٩ - ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ استولى عليهم وغلبهم بوسوسته وتزيينه حتى اتّبعوه ؛ من الحَوْذِ . وهو أن يتبع السائق حاذِيَى البعير . أى أدبارَ فخذَيه فيَعْنُفَ فى سَوْقه . يقال : حاذَ الإبلَ يحوذُها ، أى ساقها سوقًا عنيفًا . أو من قولهم : استحوذ العيرُ على الأتان ، أى استولى على حاذِيَيْها ، أى جانِبَىْ ظهرِها ؛ ثم أطلق على الاستيلاء .

٢٠ - ﴿يُحَادُّونَ﴾ يعادون ويُشَاقُّون . ﴿فِى الأَذَلِّينَ﴾ أى فى عِداد أذلِّ خلق الله تعالى ؛ وهم حزب الشيطان . أمّا المؤمنون فلا يوادُّون إلا أحبابَ الله .

٢١ - ﴿عَزِيزٌ﴾ غالب على أعدائه غير مغلوب .

٢٢ - ﴿بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ بنور يقذفه فى قلوبهم . أو بالقرآن ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ . والله أعلم .

سُورَةُ الْحَشْرِ
وتُسَمَّى سورةَ بنى النَّضِير

١ - ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَاوَاتِ ..﴾ نزّه الله تعالى عمَّا لا يليق به جميعُ العوالم [آية ١ الحديد ص٧٠٠]. نزلت هذه السورة فى بنى النَّضير . وهم رهطٌ من اليهود من ذرّية هارون بقرب المدينة . وكانوا قد صالحوا الرسول صلى الله عليه وسلم على ألّا يكونوا عليه ولا له ؛ فلما هُزم المسلمون فى غزوة أُحُدٍ أظهروا العداوة له . ونقضوا العهد ، وحالفوا قريشًا على أن يكونوا يدًا واحدةً عليه

ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ

صلى الله عليه وسلم . وكان أشدَّهم حربًا على الإسلام ، وفُحْشًا فى الرسول صلى الله عليه وسلم زعيمُهم : كعبُ بن الأشرف ، الذى اغتاله محمَّدُ بنُ مَسلمة ، فحاصرهم النبىُّ صلى الله عليه وسلم إحدى وعشرين ليلةً . ولما قَذَفَ الله فى قلوبهم الرُّعب وأيسوا من نصرة المنافقين لهم كما وعدهم عبد الله بن أُبىّ رأسُ المنافقين بالمدينة ـ طلبوا الصلح فأبى عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلا الجلاء ، على أن لهم ما أقلّت الإبلُ من الأمتعة والأموالِ ، إلا السلاحَ . فجلوْا إلى خيبَر والحِيرة ، وأريحاء وأذرعاتٍ بالشام . وكانوا أوّلَ من أُجلى من أهل الذِّمة من الجزيرة . وكان جلاؤهم أوّلَ حَشْرٍ من المدينة . ثم أُجلى آخرُهم فى عهد عمرَ بنِ الخطاب رضى الله عنه ؛ وهو آخر حَشْرٍ لهم منها . وقد دبَّروا أثناء الحصار الغَدْرَ بالرسول صلى الله عليه وسلم والفتكَ به ؛ فأطلعه الله على كيدهم .

٢ ـ ﴿هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ﴾ أى بنى النَّضير . ﴿مِن دِيَارِهِمْ﴾ قربَ المدينة على ميليْن منها . ﴿لِأَوَّلِ الحَشْرِ﴾ أى عند أوّلِ حَشْرٍ ؛ أى إخراجٍ إلى الشام وغيرها . والحشْر : إخراجُ الجماعة عن مقرّهم ، وإزعاجُهم عنه إلى الحرب وغيرهـــا . واللّامُ للتوقيت ؛ كما فى قوله تعالى : (لِدُلُوكِ الشَّمْسِ)(1) . ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾ لعزّتهم ومنَعتهم . ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ﴾ أى من بأسه ونقمته . ﴿فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ فأخذهم الله من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم أنهم يؤخذون . وكانوا يظنون بالمسلمين الضعفَ فى ذلك الوقت . ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ ألقى فيها الخوفَ والفَزَعَ الشديد . وأصلُ القذْف : الرَّمىُ بقوّة أو من بعيد . والرُّعْبُ : الانقطاعُ من امتلاء القلب بالخوف . ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِى الْأَبْصَارِ﴾ فاتعظوا بما نزل بهم ، واحذروا أن تفعلوا مثلَ فعلهم ؛ فتُعَاقبوا مثلَ عقوبتهم . والاعتبارُ : من العُبور والمجاوزة من شىء إلى شىء ؛ ومنه العَبرةُ لانتقالها من العين إلى الخدِّ ، واعتبارُ القائِس لانتقاله من الأصل إلى الفرع .

٣ ـ ﴿كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾ قدَّر وقضى عليهم الخروج أو الإخراج من وطنهم على هذه الصورة اللائقة بهم جزاءَ خيانتهم . يقال : جَلَا عن وطنه وجَلَاه عنه جَلاءً ، خرج . وأَجلاه عنه إجلاءً : أخرجه . والواحدُ جالٍ ، والجماعةُ جاليةٌ .

٤ ـ ﴿شَاقُّوا اللهَ﴾ عادُوه وخالفوه ؛ فكانوا فى شِقٍّ وجانبٍ غيرِ شِقّهِ وجانبه . ومشاقَّتهم للرسول صلى الله عليه وسلم

(1) آية ٧٨ الإسراء .

مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن

مشاقَّةٌ لله تعالى .

٥ - ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ ﴾ واحدةُ اللين ، وهو النخل كله . أو إلَّا العجوة . أو هو كِرامُ النخل . أو واحدةُ اللَّوْن ، وهو جميع ألوان التمر سوى البُرْنِيّ والعجوة ؛ ويُسمّيه أهل المدينة الألوانَ . وأصلُ لينة لِوْنة ، فقُلبت الواو ياء لكسر ما قبلها . نزلت حين اختلف الصحابة في قطع نخل لبنى النَّضير كان موضعًا للقتال ؛ فمِنهم من قطع ، ومنهم من أمسك . أي أيَّ شيء قطعتم منه أو تركتم على ما هو عليه فبأمر الله تعالى ؛ فلا جناحَ عليكم في شيء منهما ولا لومَ ﴿ عَلَى أُصُولِهَا ﴾ على سوقها .

٦ - ﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ ... ﴾ الفَيْءُ : الرجوعُ . يقال : فاءَ عليه ، إذا رجع . وأفأته عليه : إذا رددته عليه . والإيجافُ : الإسراع في السير . يقال : أَوْجفْتُ البعيرَ ، أسرعته . والركابُ : الإبلُ . نزلت حين طلب الصحابةُ منه صلى الله عليه وسلم أن يَقْسِم بينهم أموالَ بنى النَّضير قسمةَ الغنائم ؛ فبيَّن الله تعالى أنها فَيْءٌ لا غنيمةٌ إذ أنهم لم يقطعوا لها شُقَّةً ، ولم يَلْقَوْا فيها مشقّةً ، ولم يلتحموا فيها بقتال شديد ؛ بل ذهبوا إلى قُراها رجالاً ، وكانت على ميلَيْن من المدينة ، وفُتحت صُلْحًا . فهي للرسول صلى الله عليه وسلم خالصةً ، يتصرّف فيها كما أمره الله تعالى في الآية التالية ، حيثُ جعل فيها خُمْس الفَيْء من أموال الكفار عامَّةً مقسوماً على خمسة أسهم لمن ذكرهم الله فيها ؛ لا على ستّة لأن سهمه سبحانه وسهمَ رسوله سهم واحدٌ . وذكرُه تعالى افتتاحُ كلامٍ للتيمّن والتبرُّك ؛ فإن لله ما في السماوات وما في الأرض . وفيه تعظيمٌ لشأن رسوله صلى الله عليه وسلم . وجَعَل أربعةَ أخماسه الباقيةَ لمصالح المسلمين على ما يراه صلى الله عليه وسلم ، وله أن يَعُمَّ بها وأن يخصَّ . ولذلك احتبس صلى الله عليه وسلم من أموال بنى النَّضير شيئًا لنوائبه وما يَعْرُوه . وقسم أكثَرها بين فقراء المهاجرين ، ولم يُعطِ الأنصارَ منها شيئًا سوى ثلاثة نفر أعطاهم لفقرهم . وقال للأنصار : (إن شئتم قسمتُ أموالَ بنى النَّضير بينكم وبينهم وأقمتم على مواساتهم في ثمارِكم . وإن شئتم أعطيتُها للمهاجرين دونكم وقطعتم عنهم ما كنتم تعطونهم من ثماركم) ؟ فقالوا : بل تعطيهم دوننا ، ونقيم على مواساتهم ؛ فأعطى المهاجرين دونهم . فاستغنى القوم جميعاً[1] المهاجرون بما أخذوا ، والأنصارُ بما رجع إليهم من ثمارهم . و«أَهْلِ الْقُرَى» هم أهلُ قُرَى الكفار عامّةً ، الذين نِيلت أموالُهم صلحاً بغير إيجاف خيْلٍ ولا ركاب . (وَلِذِي الْقُرْبَى) هم بنو هاشم وبنو المطَّلِب .

٧ - ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ ﴾ الفَيْءُ الذى حقّه أن يكون للفقراء يعيشون به . ﴿ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ خاصّة ، أى حظًّا بينكم ؛ تتكاثرون به . أو مُتداولاً تتعاوَرُونه فيما بينكم فلا يصيب الفقراء . والدُّولة - بالضم

(١) رواه الضحاك .

دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ



وبالفتح ـ اسمٌ لما يدور من الجَدّ والحظّ . أو لما يتداول فى الأيدى ؛ فيحصل فى يد هذا تارةً ، وفى يد هذا تارةً . وقال ابن العلاء : الدُّولة ـ بالضم ـ فى المال . وبالفتح فى الحرب . وظاهرُ التعليل : اعتبارُ الفقر فى الأصناف الأربعة الأخيرة . ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ أى يجب عليكم الإذعانُ والعملُ بكل ما جاءكم به الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ ومنه ما يأمر به فى الفَىْء . ولتأكيد التعميم عقّبه بقوله : ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾ أى فى كل أمرٍ ونهْى . وفى الآية دليلٌ على وجوب الأخذ بالسُّنن الصحيحة فى كل الأمور . وعن أبى رافعٍ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا أُلْفِيَنَّ أحدَكم متّكئًا على أريكته يأتيه أمرٌ مما أمرتُ به أو نهيتُ عنه فيقول لا أدرى ! ما وجدنا فى كتاب الله اتّبعناه) . أخرجه أبو داود ، والترمذىُّ وقال : هذا حديث حَسن .. وهو من أعلام النبوة ؛ فقد وقع ذلك بعدُ من الجاهلين بكتاب الله ومنصِبِ الرسالة . ومن الزنادقة الصادين عن سبيلِ الله !

٨ـ ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ بدلٌ من «وَلِذِى الْقُرْبَى» أو متعلق بفعلٍ محذوف ، والجملةُ استئنافٌ بيانىٌ . وذلك أنهم كانوا يعلمون أن الْخُمس يُصرف لمن تضمَّنَه قولُه تعالى : «فَلِلَّهِ وللرَّسُول وَلِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ» ولم يعلموا مصرفَ الأربعة الأخماس الباقية ؛ فكأنهم قالوا : فلِمَن تكون هذه ؟ فقيل : تكون للفقراء المهاجرين والأنصار ومن جاء بعدهم ؛ فهى للمسلمين عامّةً ، وهو صلى الله عليه وسلم يتصرف فيها تخصيصاً وتعميماً كما يشاء .

٩ ـ ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾ نزلوا المدينة وأقاموا بها ؛ معطوفٌ على المهاجرين . ﴿وَالْإِيمَانَ﴾ أى وأخلصوا الإيمان . ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أى من قبل تبوُّءِ المهاجرين لها . وقيل : الجملةُ مستأنَفةٌ لمدح الأنصار بخصال حميدة ؛ منها : محبتهم للمهاجرين ، ورضاهم باختصاص الفَىْء بهم . ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ أى شيئًا محتاجًا إليه ﴿مِمَّا أُوتُوا﴾ مما أُعطى المهاجرون من الفىء وغيره ﴿خَصَاصَةٌ﴾ حاجةٌ وأصلُها : من خَصَاص البيت ، وهو ما يبقى بين عيدانه من الفُرَج والفتوح . ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ أى يُوق بتوفيق الله شُحّها حتى يخالفَها فيما يغلب عليها من حُبّ المال وبُغْضِ الإنفاق . والشحُّ : البخلُ مع الحرص .

١٠ ـ ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أى من بعد هؤلاء إلى يوم القيامة . وقيل : المرادُ بهم الذين هاجروا حين قوىَ الإسلام . معطوفٌ على المهاجرين . وقيل :

لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ

مبتدأً ، خبره (يَقُولُونَ رَبَّنَا) . ﴿ غِلاًّ ﴾ حِقدًا . والحاصلُ : أن الآية الأولى أفادت اختصاصه صلى الله عليه وسلم بفَيْء بنى النَّضير . والآية الثانية أفادت تعميم الحكم فى كل فىء من أموال الكفار ، وبيّنت مصارفَ خمس الفيء . وقوله : (لِلْفُقَرَاءِ ...) بيانٌ لمصرف الأربعة الأخماس الباقية منه . وقد خصّه الرسول صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين ؛ لاقتضاء مصلحة المهاجرين والأنصار هذا التخصيص . وبهذا يخالف الفيءُ الغنيمةَ ؛ فإن أربعة أخماسها حق للمقاتلين دون سواهم من المسلمين ، كما فى آية الأنفال .

وفى الآية أقوالٌ أخرى لعلّ ما ذكرناه أوضحها . والله أعلم بأسرار كتابه .

١١ - ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا .. ﴾ حكايةٌ لما جرى بين المنافقين - وعلى رأسهم عبدُ الله ابن أُبيّ - وبين بني النَّضير أثناء حصارهم . ﴿ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ ﴾ أى فى قتالكم ﴿ أَحَدًا أَبَدًا ﴾ من الرسول أو المسلمين . ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ فى وُعودِهم المؤكدة بالأَيمان لبنى النَّضير . وصفهم الله فى هذه الآية بالكذب وفى الآية التالية بالجُبْن ، وهكذا حال المنافقين دائماً .

١٣ - ﴿ لَأَنتُمْ ﴾ أيُّها المؤمنون . ﴿ أَشَدُّ رَهْبَةً ﴾ أى مرهوبيّةً ﴿ فِى صُدُورِهِمْ ﴾ أى صدور المنافقين . ﴿ مِنَ اللَّهِ ﴾ من رهبتهم من الله ؛ فقد كانوا يظهرون لكم خوف الله ؛ وأنتم أهيب فى صدورهم من الله .

١٤ - ﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾ أى اليهودُ والمنافقون . وقيل : اليهود . أى لا يقدرون على قتالكم ﴿ جَمِيعًا ﴾ أى مجتمعين متفقين فى موطن واحد . ﴿ إِلَّا فِى قُرًى مُحَصَّنَةٍ ﴾ بالخنادق والحصون ونحوها . ﴿ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ ﴾ يتستَّرون بها دون أن يَصْحَرُوا لكم ويبارزوكم ؛ لفرط رهبتهم منكم . جُدُرٌ جمع جدار . ﴿ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ﴾ أى إذا لم يلقَوْا عدوًّا نسبوا أنفسَهم إلى الشدة والبأس ، ولكن إذا لقوا العدوَّ انهزموا . ﴿ وَقُلُوبُهُمْ

نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

شتّى ﴾ أهواؤهم متفرّقةٌ فيما بينهم .

١٥ ـ ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيباً ﴾ أى مثلُ يهودِ بنى النَّضير كمثل اليهود الآخرين ، وهم بنو قَيْنُقَاع الذين غزاهم الرسول صلى الله عليه وسلم وأجلاهم قبل غزوة بنى النضير . ﴿ ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ ﴾ سوءَ عاقبةِ كفرهم [آية ٩٥ المائدة ص ١٦١] .

١٦ ـ ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ أى مثلُ المنافقين فيما صنعوه مع بنى النضير كمثل الشيطان .

١٩ ـ ﴿ نَسُوا اللهَ ﴾ تركوا ذكره ، ولم يراعوا حقوقه . ﴿ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾ فلم يسعَوْا بما ينفعها ، ولم يعملوا ما يخلّصها .

٢١ ـ ﴿ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا ﴾ متذلّلاً متشقّقًا ﴿ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ﴾ وخوفه . وهو تمثيل لعلوّ شأن القرآن وقوة تأثيره فى القلوب . وتوبيخٌ لقساة القلوب ، ومتحجّرى الضمائر ، الذين أعرضوا عنه وكفروا به ، ولم ينتفعوا بما جاء فيه .

٢٢ ـ ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ السرِّ والعلانية . أو ما لا يُرَى ولا يُحَسّ ، أو ما سيكون وما قد كان .

٢٣ ـ ﴿ الْمَلِكُ ﴾ المالك لكل شىء . أو المتصرف فى كل شىء . أو الذى لا مَلِكَ فوقَه ولا شىءَ إلا دونه . ﴿ الْقُدُّوسُ ﴾ البليغ فى الطهارة والتنزّه عما لا يليق به سبحانه من جميع النقائص والعيوب ؛ من القُدْس وهو الطهارة . وأصلُه القَدَس ـ بالتحريك ـ وهو السَّطْل ؛ لأنه يُتطهَّر به . ومنه القادوس المعروف . ﴿ السَّلَامُ ﴾ ذو السّلامة من النقائص والعيوب ؛ فهو صفةُ ذاتٍ . أو ذو السلام على عباده فى الجنة . أو الذى سلِم الخلقُ من ظلمه ؛ وعليهما يكون صفةَ فِعل . ﴿ الْمُؤْمِنُ ﴾ المصدِّقُ لرسلِه بإظهار المعجزات على أيديهم . أو مصدِّق المؤمنين ما وعدهم به من الثواب ، والكافرين ما أوعدهم به من العقاب ؛ من الإيمان وهو التصديق . أو الذى يأمن أولياؤه من عذابه . ويأمن عبادُه من ظلمه . يقال : آمنه ؛ من الأمان الذى هو ضدُّ الخوف . كما قال تعالى : (وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)[1] . ﴿ الْمُهَيْمِنُ ﴾ الرّقيبُ الحافظُ لكل شىء ؛ من الأمن بقلب همزته هاءً . أو الشهيدُ . أو القائم على خلقه برزقه . أو الأمين . أو العَلِيُّ .

(١) آية ٤ قريش .

(٦٠) سُورَةُ المُمتحنَة مَدَنيّة
وآياتها ١٣ نزلت بعد الأحزاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ

﴿ الْعَزِيزُ ﴾ القويُّ الغالب الذى لا يُعجزه شىء . ﴿ الْجَبَّارُ ﴾ العظيمُ الشأنِ فى القدرة والسلطان ؛ فهو صفةُ ذاتٍ . أو المصلحُ أمورَ خلقِه . المصرِّفُ لهم فيما فيه صلاحُهم . أو القهّار الذى يجبُر الخلق على ماشاء من أمره ؛ فهو صفةُ فِعل . وهو فى حق الله صفة مدح ، وفى حق الخلق صفةُ ذمٍّ . ﴿ الْمُتَكَبِّرُ ﴾ المتعظِّمُ عما لا يليق بجماله وجلاله من صفات المحدَثين . أو المتكبِّر عن ظلم عباده .

٢٤ ـ ﴿ الْبَارِئُ ﴾ المبدعُ المخترعُ للأشياء ، والمبرزُ لها من العدم إلى الوجود . ﴿ الْمُصَوِّرُ ﴾ مُصوِّرُ الأشياء ومركِّبها على هيئات مختلفة وصور شتَّى كيف شاء ؛ من التصوير وهو التخطيط والتشكيل . ﴿ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ التى سَمَّى بها نفسه . والتى هى أحسن الأسماء ؛ لدلالتها على معان حسنة ، من تحميد وتقديس وغير ذلك . والْحُسْنَى : تأنيثُ الأحسن . واللهُ أعلم .

سُورَةُ الْمُمْتَحِنَةِ

١ ـ ﴿ لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ .. ﴾ نزلت فى حاطب بن أبى بَلْتَعَةَ . وكان من المهاجرين وممن شهد بدراً ، وكان له فى مكة قرابةٌ قريبةٌ ، وليس له فى قريش نسبٌ ؛ إذ هو مَولًى . فأرسل كتابًا إلى أناس من المشركين بمكة ، يخبرهم ببعض أمرِ النبى صلى الله عليه وسلم فى شأن غزوهم . ليتَّخذَ عندهم يدًا فيحمُوا بها أقاربه ـ مع مولاةٍ تُسَمَّى سارة . فأوحى الله تعالى إلى نبيِّه صلى الله عليه وسلم بما كان منه ؛ فأرسل فى أثرها عليًّا ـ كرَّم الله وجهه ـ ومعه آخرون فأحضروا الكتاب ، واعتذر حاطبٌ ؛ وقَبِل الرسول صلى الله عليه وسلم عذرَه . نهى الله تعالى المؤمنين عن موالاة أعدائه وأعدائهم ، وفسَّرها بقوله تعالى : ﴿ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ﴾ أى ترسلون إليهم أخبارَه صلى الله عليه وسلم بسبب ما بينكم وبينهم من المودّة ، وبقوله : ﴿ تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ﴾ . والحكمُ عامٌّ ولا عبرة بخصوص السبب . وقد ورد النَّهْىُ عن موالاتهم واتخاذهم بطانة ووليجة من دون المؤمنين فى غير آية ، وبُيِّنَتْ حِكمةُ النَّهى فى هذه الآية وفى غيرها بما يشهد به الواقع . ﴿ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾ أى لأجل إيمانكم بربِّكم ؛ فهو العلةُ لإخراج الرّسول والمؤمنين من

أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ * عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ



مكة ، وهو العِلّة دائماً فى كراهة الكفار للمسلمين . ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ .. ﴾ أى ومن يتّخذهم منكم أولياء فقد أخطأ طريق الحق والصواب .

٢ ـ ﴿ إِنْ يَثْقَفُوكُمْ ﴾ أى يظفروا بكم ويتمكّنوا منكم [آية ١٩١ البقرة ص ٤٥] . ﴿ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً ﴾ أى يظهروا لكم ما فى قلوبهم من العداوة ويرتّبوا عليها أحكامها . ﴿ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ .. ﴾ بما يسوءكم من القتل والأسر والأذى . ﴿ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ أى ويُظهروا وَدَادتَهم أن تكونوا مثلَهم كافرين ، ويُرتّبوا على ذلك آثاره . وهو معطوف على ﴿ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً ﴾ .

٣ ـ ﴿ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ ﴾ قراباتكم ، ﴿ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ﴾ الذين توالُون المشركين من أجلهم ، وتتقرّبون إليهم محاماةً عنهم بشيء من النفع . ﴿ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ الذى يفرّ المرءُ فيه من أخيه وأمّه وأبيه . ثم قال تعالى : ﴿ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ﴾ أى يفرّق بينكم وبين أرحامكم وأولادكم بما يكون فيه من الهول الموجب لفرار كل منكم من الآخر . ويجوز أن يتعلق (يومَ القيامة) بالفعل بعده .

٤ ـ ﴿ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ خصلةٌ حميدةٌ ، جديرةٌ أن يُقتدَى بها ﴿ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ .. ﴾ إذ أعلنوا براءتهم من الكفار ومن آلهتهم التي يعبدونها . و ﴿ بُرَءَاءُ ﴾ جمعُ بريء . يقال : بَرِئَ من الأمر يَبْرَأُ بَراءً وبراءةً وبُروءًا ، وتبرّأ منه وتفصّى لكراهته . ﴿ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ .. ﴾ أى اقتدُوا به فى جميع أموره إلا فى الاستغفار لأبيه المشرك ؛ فلا تتأسَّوا به فيه . وكان قد استغفر له لمَوْعدة وعدها إيّاه ؛ فلما تبيّن له أنه عدوٌّ لله تبرّأ منه . ﴿ إِلَيْكَ أَنَبْنَا ﴾ إليك رجعنا تائبين .

٥ ـ ﴿ لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً .. ﴾ أى مفتونين معذَّبين لهم ؛ بأن تسلّطهم علينا فيَفْتِنونا بعذاب لا نحتمله ؛ من فَتَن الفضةَ : إذا أذابها ؛ فهى مصدرٌ بمعنى المفتون ، أى المعذَّب .

٧ ـ ﴿ عَسَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ .. ﴾ وعدٌ للمؤمنين الذين تشدّدوا فى معاداة آبائهم وأبنائهم وسائر

فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا
إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ
اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ
وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ
الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ
فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ
لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا
وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا
مَا أَنفَقُوا ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ

أقاربهم المشركين ، وفى مقاطعتهم إياهم بالكلية ـ بأنه تعالى سيجعل من هؤلاء من يوافق المؤمنين فى الدِّين ويؤمن بعد الكفر ؛ فيتَّصل حبلُ المودة بينهم بعد الإيمان .

٨ ـ ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ ..﴾ ترخيصٌ للمؤمنين فى البرّ والصِّلة ـ قولاً وفعلاً ـ للكفار الذين لم يقاتلوهم لأجل الدِّين ، ولم يلحقوا بهم أذًى ؛ فهو فى المعنى تخصيصٌ للآية أوّل السورة . روى أنها نزلت فى أسماء بنت أبى بكر ، وكانت لها أمٌّ فى الجاهلية تدعَى قُتيلة بنت عبد العُزَّى ، فأتتها فى عهد قريش بهدايا فقالت لها أسماء : لا أقبل لك هديةً ! ولا تدخلى علىّ حتى يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فذكرت ذلك عائشةُ للرسول صلى الله عليه وسلم فأنزل الله الآية . ﴿تَبَرُّوهُمْ﴾ تحسنوا إليهم وتُكرِمُوهم . ﴿وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ أى تُفضُوا إليهم بالعدل .. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ أى المنصفين الذين يُنصفون الناس ، ويعطونهم العدلَ من أنفسهم ؛ فيبَرُّون مَنْ بَرَّهم ، ويُحسنون إلى مَنْ أحسن إليهم .

٩ ـ ﴿وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ﴾ عاونوا عليه ؛ كمشركى مكة . يقال : ظهر عليه ، غلبه وتظاهروا : تعاونوا . ﴿أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ أن تتخذوهم أولياء .

١٠ ـ ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ..﴾ لمّا وقع صلحُ الْحُدَيْبِيَة مع المشركين على أنَّ من أتى النبىّ صلى الله عليه وسلم منهم يردّه إليهم وإن كان مسلمًا ـ جاءت سُبَيْعة بنتُ الحارث إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم وهو فى الْحُدَيْبِية بعد الفراغ من الكتاب مظهرةً الإسلام ، فأقبل زوجها وكان مشركًا وطلب ردَّها إليه . فنزلت الآيةُ بيانًا لخروج النساء المسلمات من العموم ؛ للفرق الظاهر بينهن وبين الرجال . فإن الرجل لا يُخشى عليه من الفتنة فى الردّ ما يُخشى على المرأة من إصابة المشرك إياها ، وتخويفها وإكراهها على الرِّدة ؛ فلم يردها النبىّ صلى الله عليه وسلم إليه واستحلفها . وعن ابن عباس فى كيفيّة امتحانهنَّ : كانت المرأة إذا جاءت النبىَّ صلى الله عليه وسلم حلَّفها عمر بالله ما خرجتُ من بُغض زوج ـ وبالله

ما خرجتُ رغبةً عن ارض إلى أرض ، وبالله ما خرجت التماسَ دنيا . وبالله ما خرجتُ إلّا حبًّا لله ولرسوله [1] . ﴿اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ أى هذا الامتحان لكم . أمّا سرائرُهن فموكولةٌ إلى علّام الغيوب . ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ﴾ أى ظننتموهن ظنًّا قويًّا يُشبه العلم بعد الامتحان . ﴿مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ ثم عُلِّل ذلك بقوله . ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ ثم أمر الله تعالى أن يُعطَى الأزواجُ المشركون الذين هاجرت نساؤهم مؤمناتٍ إذا عُلِم إيمانُهن بالامتحان ـ ما دفعوا فى نكاحهن من الصّداق بقوله : ﴿وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا﴾ وذلك إذا كـــان الأزواج معاهَدين ، أمّا إذا كانوا حَربيِّين فلا يُعطَوْن ما أنفقـوا اتفـاقًا . ﴿أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن . ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ جمعُ كـافرة . والمرادُ : المشركـاتُ البـاقيات بدار الحرب ، أو اللاحـقـاتُ بها مـرتـدات . والعِصمُ : جمعُ عِصمة . وهى ما يُعتصَم به من عقد وسبب . والمراد هنا : عقدُ النكاح . أى لا يكن بينكم وبين هؤلاء الزوجات المشركات عُلقةُ زوجيّة ؛ لانقطاع العصمة باختلاف الدارَيْن .

١١ ـ ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ ..﴾ أى وإن انفلت أحدٌ من أزواجكم إلى الكفار ، ولم يؤدُّوا إليكم ما دفعتم لهن من

فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

المهور . ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ أى فأصبتموهم فى القتال بعقوبة حتى غنمتم منهم . ﴿فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ﴾ من الغنيمة . ﴿مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾ وقد كان النبىّ صلى الله عليه وسلم يُعطى الذى ذهبت زوجته مـن الغنيمة ـ قبـل أن يخمّسها ـ المهرَ ولا ينقص من حقه شيئًا . وروى عن مجاهد وقتادة وعطاء : أن هذا الحكم منسوخ . وقيل غير منسوخ .

١٢ ـ ﴿يُبَايِعْنَكَ﴾ يعاهدنك . وأصلُ المبايعةِ : مقابلةُ شىء بشىء على جهة المعاوضَة . وسُمِّيتِ المعاهدةُ مبايعةً تشبيهًا لها بها ؛ فإن الناس إذا التزموا قبولَ ما شُرط عليهم من التكاليف الشرعية ـ طمعًا فى الثواب وخوفًا من العقاب ـ وضَمن لهم عليه الصلاة والسلام ذلك فى مقابلة وفائهم بالعهد ـ صار كأنّ كلَّ واحد منهم باع ما عنده بما عند الآخر . ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ المرادُ به وأْدُ البنات . وكان ذلك فى الجاهليّة يقع تارةً من الرجال ، وأخرى من النساء ؛ فكانت المرأة إذا حانت ولادتها حفرت حُفرة فتمخَّضَت على رأسها ؛ فإذا وَلدت بنتًا رمتْ بها فى الحُفرة وردّت التراب عليها ، وإذا ولدت غلامًا أبقته . ويستفاد من هذا النّهى حكمُ إسقاطِ الحملِ بعد نفخ الروح فيه . ﴿وَلَا يَأْتِينَ

(١) رواه الطبراني وابن المنذر .

(٦١) سُورَةُ الصَّفِّ مَدَنِيَّة
وآياتها ١٤ نزلت بعد التغابن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ

بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ .. ﴾ ولا يأتين بأولادٍ يلتقطْنهم وينسبْنهم كذبًا إلى الأزواج ؛ وليس المراد به الزّنى لتقدّم ذكره . ﴿ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ﴾ أى فى أىّ أمر معروف ، ومنه ألّا يَنُحْنَ وَلَا يَشْقُقْنَ جيبًا ، ولا يَخدِشنَ وجهًا ، ولا يَدْعُنَّ بوَيْلٍ عند موت أو مصيبة . ﴿ فَبَايِعْهُنَّ ﴾ ورَد أن النبىّ صلى الله عليه وسلم بايع النساء بغير مصافحة ؛ وكان عددهُن أربعمائة وسبعًا وخمسين امرأةً .

١٣ ـ ﴿ لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ لا تتخذوهم أولياءَ وأنصارًا لكم . نزلت نهيًا عن موالاة اليهود ؛ فقد كان أناسٌ من فقراء المسلمين يواصلونهم بأخبار المسلمين ليصيبوا من ثمارهم . والحكم عامٌّ فيهم وفى سائر الكفار الذين يقاتلون المسلمين لأجل الدّين ، ويؤذونهم بما فيه ضررهم وضررُ الإسلام . ﴿ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ ﴾ أى قد ترك هؤلاء اليهودُ العملَ للآخرة ، وآثروا عليها الحياة الفانية ؛ فكانوا بمنزلة اليائسين منها يأسًا تامًّا ، شبيهًا بيأسهم من موتاهم أن يعودوا إلى الدنيا أحياءً . أو بيأس الكفار الذين ماتوا على الكفر وعاينوا العذاب فى القبور من نعيم الآخرة . والله أعلم .

سُورَةُ الصَّف
وتُسَمّى سورةَ عيسى وسورةَ الحواريِّين

١ ـ ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ ﴾ نزهه ومجده تعالى ودل عليه . [آية الحديد ١ ص ٧٠٠] .

٢ ـ ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ استفهامٌ على جهة الإنكار والتوبيخ ، على أن يقول الإنسان عن نفسه من الخير ما لم يكن قد فعله ، أو ما لا يفعله ؛ فهو إمّا كذبٌ وإمّا خُلفٌ وكلاهما مذموم . وحُذفت ألف ما الاستفهامية مع حرف الجر تخفيفًا لكثرة استعمالها معًا نحو : بمَ ، مِمَّ ، عمَّ ، فيمَ . رُوِىَ أن نفرًا من المسلمين قالوا : لو علِمنا أحبَّ الأعمال إلى الله تعالى لبذلنا فيه أموالَنا وأنفسَنا ؛ فلما نزل الأمر بالجهاد كرهوه . فنزلت الآية توبيخاً لهم على إخلافهم ما وعدوا .

٣ ـ ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ عَظمَ قولكُم ما لا تفعلون مقتًا عند الله . والمقتُ : أشدُّ البغض ، و « مَقْتًا » تمييزٌ محوَّلٌ عن الفاعل ، والأصلُ : كَبُرَ مقتُ قولكم ؛ أى المقتُ المترتّب على قولكم المذكور .

٤ ـ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ .. ﴾ بيانٌ لما هو مرضى عنده تعالى ، بعد بيان ما هو ممقوتٌ عنده . أى أنه تعالى يرضى عن الذين يقاتلون فى سبيل مرضاته تعالى ، صافّين أنفسَهم فى

لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ

القتال . أو مصفوفين صفوفاً متراصّةً ؛ كأنهم فى التحامهم وتماسكهم واتحادهم بنيانٌ محكَمٌ ، لا فُرجةَ فيه ولا خَلَلَ ، حتى صار شيئًا واحدًا ؛ وهذا شأنُ الصادقين فى الجهاد . يقال : رصصت البناء ـ من باب رد ـ لأمْتُ بين أجزائه ، وألزَقْتُ بعضها ببعض حتى صار كالقطعة الواحدة ؛ ومنه : التّراص للتّلاصُق . ﴿ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ متلاصق محكم لا فرجة فيه .

٥ ـ ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ .. ﴾ أى حين ندبهم إلى قتال الجبابرة فعصوْه وقالوا : (إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا)[1] . وقالوا : (فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ)[2] . وأصرُّوا على ذلك وآذوْه عليه السلام كلَّ الأذى . ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ فلما أصرُّوا على المَيْل عن الحق والانحراف عنه أمال الله قلوبَهم عن قبوله ؛ لصرفهم اختيارَهم نحو العمَى والضلال . أو فلما زاغوا عن الطاعة أزاغ الله قلوبهم عن الهداية ؛ من الزيغ ، وهو الميل عن الحق . يقال : زاغ يزيغ زيغاً وزيغاناً ، مال . وأزاغه : أماله .

٦ ـ ﴿ اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ هو علمٌ لنبيِّنا صلى الله عليه وسلم ، ومعناه : أحمدُ الحامدين لربّه . بَشّرتْ به وبرسالته الخاتمة للرسالات السماويّة : التوراةُ والإنجيلُ ، اللّذان لم يُحرَّفا ولم يبدّلا على لسان موسى وعيسى عليهما السلام . ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ ﴾ أى عيسى ، أو محمّد عليهما الصلاة والسلام .

٨ ـ ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ .. ﴾ أى يريدون أن يطفئوا دينَه ، أو كتابه ، أو حجَّته النيِّرةَ بطعنهم فيه . أو هو تمثيلٌ لحالهم فى إبطال الحق ـ بحال من ينفخ فى نور الشمس بفمه ليطفئه ؛ تهكُّماً بهم وسخريةً .

(١) آية ٢٢ المائدة . (٢) آية ٢٤ المائدة .

تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

(٦٢) سُورَةُ الجمعة مدنية وآياتها ١١ نزلت بعد الصف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ



٩ - ﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ محمدًا صلى الله عليه وسلم ﴿بِالْهُدَى﴾ بالقرآن أو بالمعجزة ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾ أى الملّةِ الحنيفيّة . ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ أى ليُعليَه على جميع الأديان المخالفة له .

١٣ - ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا﴾ أى ولكم إلى ما ذكر من النعم العظيمة نعمةٌ أخرى تحبونها ، وفسّرها بقوله : ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ أى عاجلٌ ، وهو فتح مكة ، أو فارسَ والروم .

١٤ - ﴿لِلْحَوَارِيِّينَ﴾ أصفياء عيسى عليه السلام وخواصه . وكانوا اثنى عشر رجلاً ، وهم أوّلُ من آمن به من بنى إسرائيل [آية ٥٢ آل عمران ص ٨٢] . ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ مَن جُنْدى متوجهاً إلى نصرة الله . ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ أى نحن الذين ينصرون دين الله . ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا ..﴾ أى قوّينا الذين آمنوا بعيسى ، وأنه عبد الله ورسولُه . ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ غالبين مؤيَّدين بالحجج والدلائل بعدَ مبعثه صلى الله عليه وسلم على الكافرين بالله ، الزاعمين أن عيسى هو الله ، أو ثالثُ ثلاثة ؛ تعالى الله عما يقولون عُلُوًّا كبيرًا ! والله أعلم .

سُورَةُ الْجُمُعَة

١ - ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ..﴾ ينزّهه تعالى عما لا يليق به جميعُ العوالم [آية ١ الحديد ص ٧٠٠] ﴿الْمَلِكِ﴾ مالك الأشياء كلها . ﴿الْقُدُّوسِ﴾ البليغ فى الطهارة والنّزاهة عن جميع النقائص والعيوب [آية ٢٣ الحشر ص ٧١٥] . ﴿الْعَزِيزِ﴾ القادر الغالب القاهر .

٢ - ﴿فِي الْأُمِّيِّينَ﴾ أى فى العرب المعاصرين له صلى الله عليه وسلم ؛ لأن أكثرهم لا يكتُبون ولا يقرأون [آية ٧٨ البقرة ص ٢١] . ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهِّرهم من دنس

فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾

الكفر. أو يحملهم على ما يصيرون به أزكياء طاهرين من خبائث العقائد والأعمال. ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ الفقه فى الدِّين. أو السُّنة.

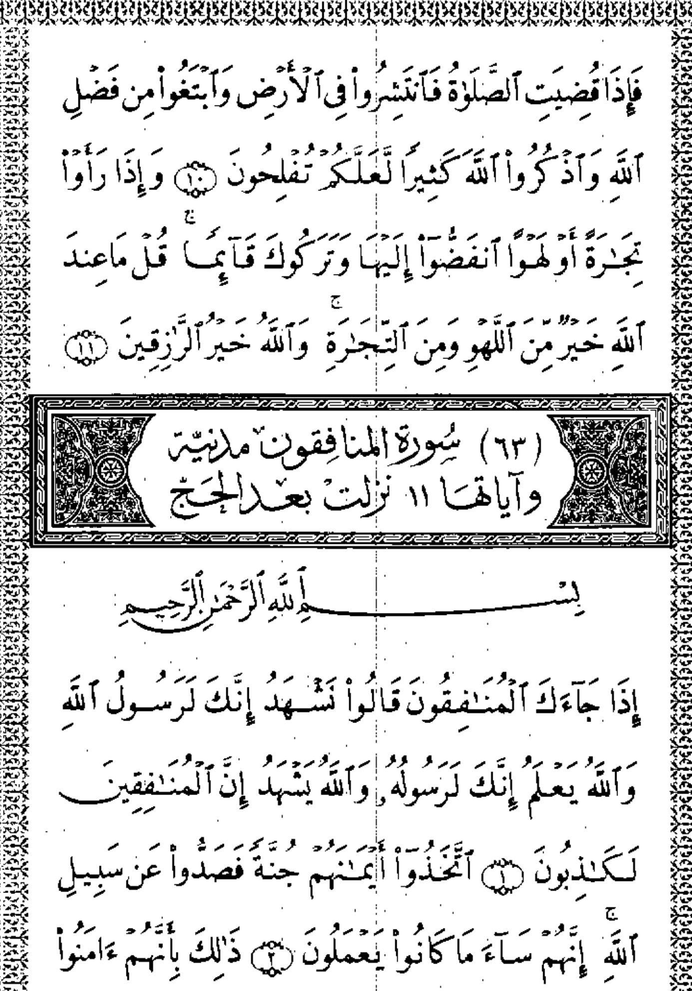
٣ – ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ أى وبعث فى آخرين من الأُمِّيين. ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ أى لم يجيئوا بعدُ، وسيجيئون؛ وهم الذين جاءوا من العرب بعد الصحابة إلى يوم الدِّين. وجميعُ العرب: قومُه صلى الله عليه وسلم الذين بُعث فيهم. وأمّا المبعوثُ إليهم وهم الثقلان كافّةً فلم تتعرّض له هذه الآية. وقد تعرّضت لإثباته آياتٌ أُخر.

٥ – ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ..﴾ ضرب الله هذا المثلَ لليهود الذين أُوتوا التوراة وكُلِّفوا العمل بها؛ فأعرضوا عنها ولم ينتفعوا بها. وكذَّبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، وقد أُمروا فيها بتصديقه واتّباعه؛ فشبّههم بالحمار يحمل على ظهره أحمالاً من كُتب العلم لا ينتفع بها، ولا يعقل ما فيها، وليس له إلا ثِقْلُ الحِمْل من غير فائدة.

٦، ٧ – ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا﴾ نزلت لما ادّعت اليهود الفضيلة، وقالوا: «نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وأَحِبَّاؤُهُ» وزعموا أن الدّار الآخرةَ لهم خالصةٌ، وأنه لا يدخل الجنةَ إلا من كان هودًا؛ فأمر الله نبيّه أن يُظهر كذبَهم بأن يقول لهم: ﴿إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ وللأولياء عند الله كرامةٌ ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ﴾ لتنتقلوا من دار البليّة إلى محل الكرامة ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فى زعمكم؛ فإن من أيقن أنه من أهل الجنة أحبَّ أن يتخلّص إليها من هذه الدّار المليئة بالأكدار. ثم أخبر سبحانه عن حالتهم المستقبلة بقوله: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا﴾ قيل: هو خاصٌّ بمن كانوا فى عهده صلى الله عليه وسلم من اليهود.

٨ – ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [آية ٢٣ الحشر ص ٧١٥].

٩ – ﴿نُودِيَ لِلصَّلَاةِ﴾ أُذِّن لها ﴿مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ أى فيه. والمرادُ به: الآذانُ على باب المسجد عند جلوس الخطيب على المنبر؛ إذ لم يكن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفتيْن بعدَه غيرُ هذا الأذان. ثم استحدث عثمانُ رضى الله عنه أذانًا قبلَه بالزَّوْراء؛ لكثرة المسلمين وتباعُدِ منازلهم، حتى إذا سمعوه أقبلوا للصلاة. فإذا جلس الخطيبُ على المنبر أذّن المؤذّن ثانيًا ذلك الأذانَ الذى كان على عهده صلى الله عليه وسلم – وأقرّ



فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠) وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ (١١)

(٦٣) سُورة المنافقون مدنيّة وآياتها ١١ نزلت بعد الحج

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ (١) ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ

الصحابةُ عثمانَ رضى الله عنهم على ذلك ؛ فكان إجماعًا . ﴿فَاسْعَوْا﴾ فامْضُوا ﴿إِلَى ذِكْرِ اللهِ﴾ هو عِظةُ الإمام فى خطبته . وصلاةُ الجمعة . ﴿ذَرُوا الْبَيْعَ﴾ اتركوه وتفرغوا لذكر الله .

١٠ ـ ﴿فَانْتَشِرُوا﴾ تفرقوا للتصرف فى حوائجكم .

١١ ـ ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ عن جابر رضى الله عنه ؛ أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائمًا يوم الجمعة ، فجاءت عيرٌ من الشام ؛ فانفتل الناس إليها حتى لم يبق بالمسجد إلا اثنا عشر رجلاً ؛ فنزلت الآية . وكانت العيرُ تحمل طعامًا إلى المدينة . والوقتُ وقتُ غلاءٍ وشدّةٍ . وكان من عادتهم إذا أقبلت العيرُ استقبلوها بالطبل والتصفيق ؛ وهو المراد باللّهو فى الآية . ويروى أن هذه الحادثة وقعت ثلاثَ مرات . وأنه صلى الله عليه وسلم قال بعد الثالثة : (والذى نفسى بيده لو اتبع آخرُكم أوّلكم لالتهب عليكم الوادى نارًا) . (انْفَضُّوا إليها) تفرّقوا عنك إليها ؛ مِن الفضِّ ، وهو كسر الشيء والتفريقُ بين أجزائه ؛ كفَضّ ختْم الكتاب . وقيل : إن الذى سوّغ لهم الخروجَ وتركَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ، أنهم ظنُّوا أن الخروج بعد تمام الصلاة جائز ، لانقضاء المقصود وهو الصلاة . وقد كان صلى الله عليه وسلم أوّلَ الإسلام يصلّى الجمعة قبل الخطبة كالعيدَيْن ، فلما وقعت هذه الواقعةُ ونزلت الآية قدّم الخطبةَ وأخّر الصلاة . ﴿وَتَرَكُوكَ﴾ على المنبر ﴿قَائِمًا﴾ تخطب . ثم وعظهم اللّهُ بقوله : ﴿مَا عِنْدَاللّهِ﴾ من الثواب على الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ﴾ مما يُلهيكم عن الطاعة ، وعن البقاء مع الرسول ﴿وَمِنَ التِّجَارةِ﴾ التى تبتغون منها الرّبحَ والمنافعَ العاجلةَ ، ولن يفوتَكم ما قُدِّر لكم من الرزق والنفع إذا أقمتم على طاعته . ﴿وَاللّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ . واللهُ أعلَم .

سُورَةُ المُنَافِقون

١ ـ ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقونَ﴾ نزلت هذه السورة فى عبد الله بنِ أُبَىٍّ بن سَلُول وأتباعِه ، وكان رأسًا فى النفاق والكفر ، والأذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والكيد للمسلمين والضغينةِ لهم ، والتكبُّرِ على الله والناس ؛



ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ * وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ

والكذبِ ، وإشاعةِ الفاحشة فى المؤمنين ؛ وقد استمر على ذلك حتى هلك [1] . ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ أى فى قولهم (نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ) لأنهم أضمروا خلافَ ما أظهروا . وحقيقةُ الإيمان : أن يواطئ القلب اللّسانَ ؛ فمن أخبر عن شىء وهو يُضمر خلافَه فهو كاذب .

٢ - ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ وقايةً من القتل والسّبْى ونحوهما ، يستترون بها كما يستتر المستجنُّ بجُنّته فى الحرب . وهى التُّرسُ ونحوُه . ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ فأعرضوا عن الإسلام . أو صَرفوا عنه من أراد الدخول فيه . أو صَرفوا المؤمنين عن الجهاد وطاعةِ الرسول ؛ أى أن دأبهم ذلك ؛ من الصّدّ وهو الصرف عن الشىء والمنعُ منه .

٣ - ﴿ذَٰلِكَ﴾ أى ما ذكر من حالهم الذى دأبوا عليه ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿آمَنُوا﴾ فى الظاهر ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ فى الباطن . و «ثُمَّ» للترتيب الإخبارىّ لا الإيجادىّ . ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ ختم عليها بالكفر فلا يدخل فيها الإيمان . ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ لا يعرفون حقية الإيمان .

٤ - ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾ ذمٌّ لهم ؛ أى كأنهم - فى جلوسهم مجالس الرسول صلى الله عليه وسلم مستندين فيها ، فارغةً قلوبهم من الإيمان والخير - خُشُبٌ منصوبةٌ مُسَندةٌ إلى الحائط ، لا تحسّ ولا تعقل ولا تتحرّك ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أى واقعةً عليهم ، ضارّةً لهم ؛ لجُبْنهم وهَلَعهم . إذ كانوا على وَجَل من أن يُنْزِل الله تعالى فيهم ما يَهْتِك أسْتَارَهم ، ويبيحُ دماءَهم وأموالَهم . ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾ أى الكاملون فى العداوة الراسخون فيها . ﴿فَاحْذَرْهُمْ﴾ واتّق شرّهم ، ولا تغترّ بظواهرهم . ﴿قَاتَلَهُمُ اللهُ﴾ لعنهم وطردهم من رحمته . ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ كيف يُصرفون عن الحق والرّشد إلى ما هم عليه من الكفر والضلال !

٥ - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾ نزلت فى عبد الله بن أُبىٍّ حين افتضح أمرُهُ ، وطُلب منه أن يذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر له ؛ فأعرض واستكبر . وجميعُ الضمائر فى الآية من باب : بنو تميم قتلوا فلانًا ، والقاتل بعضُهم . أو لأن أتباعه مثلُه فى ذلك . ﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ عطفوها وثنوْها وهو كنايةٌ عن التكبُّر والإعراض ؛ ونظيرُه قوله

(١) رواه قتادة .

لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

(٦٤) سُورة التغابن مدنيّة
وآياتها ١٨ نزلت بعد التحريم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ

تعالى : (ثَانِىَ عِطْفِهِ)[1] . أو حرّكوها وأمالوها استهزاءً برسول الله صلى الله عليه وسلم وباستغفاره ؛ إذ يستوى عندهم استغفارُه وعدمُه . وقد أخبر الله تعالى أنه لن يغفر لهم ؛ لانهماكهم فى الكفر والفسق والقبائح . يقال : لَوَى رأسه وبرأسه : أماله ؛ ونظيره : (فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ)[2] أى يحرّكونها استهزاءً .

٧ ـ ﴿حَتَّى يَنْفَضُّوا﴾ أى كى يتفرّقوا عنه صلى الله عليه وسلم ولا يصحبوه .

٨ ـ ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ قائل ذلك هو عبد الله بن أُبَىّ . ويعنى بالأعزّ ـ أى الأقوى ـ : نفسَه ومن معه من المنافقين . وبالأذلّ ـ أى الأضعف والأهون ـ : من عداهم من المؤمنين ؛ من العِزة ضد الذِّلة . فرد الله عليهم بقوله : ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾ أى الغلبة ﴿وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ لا لغيرهم .

٩ ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا..﴾ نهىٌ للمؤمنين عن التشبه بالمنافقين فى الاغترار بالأموال والأولاد . والله أعلم . ﴿لاَ تُلْهِكُمْ﴾ لا تشغلكم وتصرفكم .

١٠ ـ ﴿لَوْلاَ أَخَّرْتَنِى﴾ هلا أمهلتنى وأخرت أجلى .

سُورَةُ التَّغَابُن

١ ـ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَاوَاتِ ..﴾ ينزهه ويمجده ويدل عليه . [آية ١ الحديد ص ٧٠٠] . ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ التصرف المطلق فى كل شىء .

٢ ـ ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ بيانٌ لبعض آثار قدرته تعالى العامة . أى أوجدكم وأنشأكم كما أراد .

(١) آية ٩ الحج . (٢) آية ٥١ الإسراء .

فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾

﴿ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ﴾ أى فبعضٌ منكم كافرٌ به ، وبعضٌ منكم مؤمنٌ به ؛ فالفاءُ لتفصيل الإجمال فى « خَلَقَكُمْ » كالفاء فى قوله تعالى (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ)(1) الآية . أو هو الذى خلقكم خلقًا بديعًا ، حاويًا للكمالات العلميّة والعمليّة ؛ ومع ذلك فنكم مختارٌ للكفر ، كاسبٌ له على خلاف ما تقتضيه الفِطرة . ومنكم مختارٌ للإيمان ، كاسبٌ له حسبما تقتضيه الفِطرة وكان الواجب عليكم جميعًا أن تكونوا مختارين للإيمان ، شاكرين له نعمةَ الخلق والإيجاد ، وما يتفرّع عليهما من سائر النعم ؛ فلم تفعلوا ذلك مع تمام تمكنكم منه ؛ بل تفرّقتم شِيعًا ! فالفاءُ للترتيب لا للتفصيل ؛ كالفاء فى قوله : (وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ)(2) .

٣ – ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ بالحكمة البالغة . ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ أتقنها وأحكمها على وجه لا مثيلَ له فى الحسن والمنظر . ومن ذلك خلقُه إيّاكم مستوى القامةِ غير منكبّين ، وجعْلُكم أنموذجَ جميع مخلوقاته فى هذه النشأة .

٥ – ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ .. ﴾ استفهامُ توبيخٍ أو تقرير . والخطابُ لأهل مكة . ﴿ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ ﴾ سوءَ عاقبةِ كفرهم ، فى الدنيا من غير مهلة [آية ٩٥ المائدة ص ١٦١] .

٦ – ﴿ تَوَلَّوْا ﴾ اعرضوا عن الإيمان بالرسل .

٨ – ﴿ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا ﴾ هو القرآنُ ؛ فإنّهُ بإعجازه بيّنٌ بنفسه ، مبيّنٌ لغيره ؛ كما أن النور كذلك .

٩ – ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ﴾ أى لَتُنَبَّؤُنَّ بما عملتم ، يومَ يجمعكم فى اليوم الذى يجتمع فيه الأوّلون والآخرون للحساب والجزاء . وهو يوم القيامة . ﴿ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾ أى يومٌ غَبَن فيه بعضُ الناس بعضًا ؛ بنزول السُّعداء منازلَ الأشقياء التى كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء ، ونزول الأشقياء منازلَ السُّعداء التى كانوا ينزلونها لو كانوا أشقياء . مستعارٌ من تغابنَ القومُ فى التجارة : إذا

(1) آية ٤٥ النور . (2) آية ٢٦ الحديد .

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

غَبَنَ بعضُهم بعضًا فيها ؛ وفعلُه من باب ضَرَب. وفيه تهكُّمٌ بالأشقياء ؛ لأنهم بنزولهم منازلَهم من النار لا يَغْبِنُون السعداء.

١١ - ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ..﴾ هى الرزيّة. وما يسوء العبدَ فى نفس أو مالٍ أو ولدٍ، أو قول أو فعل. أى ما أصاب أحدًا مصيبةٌ إلّا بعلمه تعالى وتقديره وإرادته. ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ عند المصيبة للصبر والتسليم لأمر الله والرضا بقضائه وقدره. أو لليقين ؛ فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليُخطئه، وما أخطأه لم يكن ليُصيبه.

١٤ - ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ﴾ يحولون بينكم وبين الطّاعات. وقد يحملونكم على السَّعى فى اكتساب الحرام وارتكاب الآثام ؛ لفرط محبتهم وشدّة التعلّق بهم. ﴿فَاحْذَرُوهُمْ﴾ ولا تأمنوا غوائلهم. ﴿وَإِنْ تَعْفُوا﴾ عمّا يقبل العفو من ذنوبهم. ﴿وَتَصْفَحُوا﴾ بترك التثريب والتعيير لهم. ﴿وَتَغْفِرُوا﴾ تستُروا عيوبَهم، وتمهِّدُوا لهم الاعتذار. ﴿فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ نزلت فى قوم من أهل مكّةَ أسلموا وأرادوا أن يهاجروا ؛ فأبى أزواجُهم وأولادُهم أن يدعوهم. فلما أتَوْا للرسول صلى الله عليه وسلم فرأَوْا الناسَ قد فَقِهوا فى الدِّين هَمُّوا أن يعاقبوهم ؛ فأنزلَ اللهُ الآية.

١٥ - ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ بلاءٌ ومِحنةٌ، وقد يحملونكم على كسب الحرام ومنه حقّ الله تعالى، والوقوعِ فى العظائم ؛ فلا تطيعوهم فى معصية الله تعالى.

١٦ - ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ابذلوا فى تقواه جهدَكم وطاقتكم. ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ أى من يكْفِهِ اللهُ شُحَّ نفسه فيفعل فى ماله جميعَ ما أمر الله به، طيِّبَ النفس به. ﴿فَأُولَئِكَ

هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون [آية ٩ الحشر ص ٧١٣].

١٧ - ﴿قَرْضاً حَسَناً﴾ احتساباً بطيبة نفس وإخلاص [آية ١١ الحديد ص ٧٠١] ﴿وَاللهُ شَكُورٌ﴾ ذو شكر لأهل الإنفاق فى سبيله ؛ بحسن الجزاء ومضاعفةِ الثواب. ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعجَل بعقوبة المسىء ، بل يُمهل طويلاً ؛ ليتذكّر العبدُ الإحسانَ مع العصيان فيتوب.

١٨ - ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ السرّ والعَلَن [آية ٢٢ الحشر ص ٧١٥]. ﴿الْعَزِيزُ﴾ الغالبُ ، الشديدُ فى انتقامه ممن عصاه. ﴿الْحَكِيمُ﴾ فى صُنعه وتدبيرِ خلْقه. والله أعلم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا (١) فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ

نصف الحزب

سُورَةُ الطّلاق

١ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ خُصَّ صلى الله عليه وسلم بالنداء ، وعُمَّ الخطابُ بالحُكْم لكونه إمامَ أمّتِه ؛ إظهارًا لتقدُّمه واعتبارًا لترؤُّسه فكان هو وحده فى حكمهم كلهم ؛ كما يقال لرئيس القوم : يا فلانُ ، افعلوا كَيْتَ وكَيْتَ. أو المعنى : قل للمؤمنين ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ أى أردتم تطليقَ نسائكم المدخولِ بهنّ من المعتدّاتِ بالحيْض ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ أى مستقبلات لعدّتهن. والمرادُ : أن يُطلَّقن فى طُهرٍ لم يُجامعنَ فيه ، ثم يُتركن حتى تنقضى عدّتهن ؛ وهذا أحسن الطلاق. وفى الآية نهىٌ عن الطلاق فى الحيض ، وهو طلاقٌ بِدْعِيٌّ محرَّمٌ. وتفصيلُ أحكامِ الطلاق فى الفقه. وقد اشتملتْ هذه السورةُ على الطلاق المسنون ، وعلى حُرمة الإخراجِ والخروجِ من مسكن العدّة ؛ وعلى الأدبِ الشرعىِّ فى الإمساك والفِراق ، وعلى ندب الإشهاد على الرَّجعة والطّلاق ، وعلى عدّة الآيسَة والصغيرةِ التى لم تَحِض وعدّة الحاملِ ، وعلى وجوب إسكان المعتدّة والإنفاق على المعتدّة بالحمل ، وعلى حُكم أُجرة الرَّضاع. ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ اضبطوها وأكملوها ثلاثة قُروء كوامل. ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ إلى أن تنقضى عدّتهنّ. ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ بأنفسهن. ﴿إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ أى بأمرٍ ظاهرِ القُبْح ، وهو ما يوجب حدًّا ، كالزنا أو السرقة فتُخرِجُوهُنَّ لإقامة الحدّ عليهن. وقيل : هو البَذاء على الزوج أو على الأحماء. وقيل : هو النشوز فتُخرِجُوهنَّ من البيت لذلك ؛ فهو استثناءٌ من قوله : «لَا تُخرِجُوهُنَّ».

٢ ، ٣ - ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ..﴾ أى قارَبْن انقضاء العدّةِ فراجعوهن بحُسن معاشرة ، أو فارقوهن بإيفاء الحقوق من غير

يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ
ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ
وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ
قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَٱلَّـٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ
ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَـٰثَةُ أَشْهُرٍ
وَٱلَّـٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَـٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ
حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾
ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ
سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ
سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ
وَإِن كُنَّ أُو۟لَـٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ
فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم
بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ
ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ
ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ
ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ

مضارّة لهن ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ عند الرجعة أو عند الفرقة . والأمر للنّدب . ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ أدُّوها على وجهها عند الحاجة أداءً خالصًا لوجه الله تعالى . ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ أى من يخف الله ، فيعمل بما امره الله ، ويجتنب ما نهاه عنه ﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ من الضّيق ، وفرجًا من الكرب فى أمره ﴿وَيَرْزُقْهُ﴾ ويهيّىء له أسباب الرزق ﴿مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ أى من وجه لا يخطر بباله . ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ كافيه ما أهمه فى جميع أموره . ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾ تقديراً قبلَ وجوده أو توقيتاً .

٤ - ﴿يَئِسْنَ﴾ انقطع رجاؤهن لكبرهن .. ﴿إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ شككتم فى عدّتهن . أو جهلتموها ﴿وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ وهنَّ الصغيراتُ من النساء ؛ أى فعدتُهُنّ ثلاثةُ أشهرٍ كالآيسات . ﴿أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ ولو نحوَ مضغةٍ أو عَلَقةٍ ؛ سواء كنَّ مطلقاتٍ أو متوفّى عنهن أزواجُهنَّ . ﴿يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ يُسَهّلْ عليه أمرَه ويوفقْه للخير .

٦ - ﴿أَسْكِنُوهُنَّ ..﴾ أسكنوا المعتدّاتِ بعضَ مكانِ سكناكم . ﴿مِنْ وُجْدِكُمْ﴾ من وُسْعِكم وطاقتكم . والوُجْدُ - مثلّثة الواو - : السَّعَةُ والقدرةُ . ﴿وَائْتَمِرُوا ..﴾ أى تشاوروا . والمعنى : ليأمُر بعضُكم بعضًا بجميلٍ فى الأجرة والإرضاع ؛ فلا يكن من الأب مماكسةٌ ، ولا من الأمّ معاسرةٌ . ﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ﴾ أى تضايقتم بالمشاحّة فى الأجرة فأبَتِ الأمُّ الإرضاعَ ، والأبُ دفعَ الأجرة لها ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُ﴾ أى للأب ﴿أُخْرَى﴾ غير أمّه المبانة .

٧ - ﴿ذُو سَعَةٍ﴾ غنى وطاقة .

رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ



﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُه﴾ أى ضيق عليه . ﴿إلاّ مَا آتَاها﴾ أى إلا بقدر ما أعطاها من الطاقة ، أو من الأرزاق .

٨ - ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أى كثير من أهل قرية [آية ١٤٦ آل عمران ص ٩٧] . ﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا ..﴾ تكبّرت وتجبّرت ، معرضةً عن أمر ربّها ورسله ؛ من العُتُوّ عن الطاعة . يقال : عتا يعتو عُتُوًّا وعُتِيًّا . إذا تجبّر وظلم . ﴿عَذَابًا نُكْرًا﴾ منكرًا فظيعًا ، وهو عذاب الآخرة . والنُّكْرُ : الأمرُ الصَّعبُ الذى لا يُعرف .

٩ - ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ سوءَ عاقبةِ عتوّها وكفرها [آية ٩٥ المائدة ص١٦١] . ﴿عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ خسارًا لا يقادَرُ قدْرُه . وأصلُ الخُسْرِ : انتقاصُ رأسِ المال .

١٠ ، ١١ - ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أى أعنى بـ «أولى الألباب» الذين آمنوا . ﴿أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا . رَسُولاً﴾ أى أنزل إليكم قرآنًا . وأرسل رسولاً وهو محمد صلى الله عليه وسلم . وقيل الذِّكْرُ : هو الرسول صلى الله عليه وسلم . و (رسولاً) بدلٌ منه ؛ وأُطلق عليه ذِكْرٌ لمواظبته على تلاوة القرآن وهو ذِكر . أو على تبليغه والتّذكير به . وعُبّر عن إرساله بالإنزال لأن الإرسال مسبّبٌ عن إنزال الوحى إليه .

١٢ - ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ أى فى العَدَد . فهى سبعٌ . والتعدُّدُ باعتبار أصول الطبقات الطينيّة والصخرية والمائيّة والمعدنية ونحو ذلك . ﴿يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ يجرى أَمرُ الله وقضاؤه وقدرُه بينهنّ . وينفُذ حكمُهُ فيهنّ . والله أعلم .

سُورَةُ التَّحْرِيم
وتُسَمَّى سورةَ النبىِّ ﷺ

١ - ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ رُوى فى الصحيح أن النبىّ صلى

تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾

الله عليه وسلم كان يمكث عند زوجه زينبَ بنتِ جَحْش ويشربُ عندها عسلاً ، وكان يُحبُّ الحلواءَ والعسلَ ؛ فتواصت عائشةُ وحفصةُ – لما وقع في نفسيهما من الغيْرة من ضرَّتهما – أن أيَّتها دخل عليها النبيّ صلى الله عليه وسلم فلتقل : إنّي أجد منك ريحَ مَغَافِيرَ ! أكلتَ مغافيرَ ؟ [هو صَمْغٌ حُلْوٌ يَنْضَحه شجر العُرْفُط يؤخذ ثم يُنْضَح بالماء فيشرب وله رائحةٌ كريهةٌ] فدخل صلى الله عليه وسلم على حفصة فقالت له ذلك . فقال : (لا بل شربتُ عسلاً عند زينب بنت جحش) . فقالت : جَرَسَتْ نَحلُهُ العُرْفُطَ – أي أكلت ورعت – ، فحرّم العسلَ وقال : (لن أعود . وقد حلفتُ فلا تخبرى أحدًا) . فأخبرت عائشةَ بذلك كلِّه ، فأطلعه الله تعالى على إفشائها القصة لعائشة . فأعلم حفصة ببعض الحديث الذى أفشته وقد استكتمها إيّاه ، ولم يخبرها بباقيه تكرُّمًا لما فيه من مزيد خجلتها . والكريمُ لا يستقصى . فظنَّت حفصةُ أن عائشةَ هى التى أخبرته بالقصة ؛ فقالت له صلى الله عليه وسلم : ﴿مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا﴾ ؟ فقال : ﴿نَبَّأَنِىَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ وقد عاتب الله نبيّه – رفقًا به ، وتنويهًا بقدره ، وإجلالاً لمنصبه – أن يراعى مرضاةَ أزواجه بما يشقّ عليه . وذلك جريًا على ما أَلِف من لطف الله به ، وشرَع له ولأمَّته التحلُّلَ من اليمين بالكفارة رأفةً ورحمةً . وعاتب حفصةَ وعائشةَ إذ مالتا عن الواجب عليهما من مخالفته صلى الله عليه وسلم بحبّ ما يحبه ، وكراهة ما يكرهه ، إلى مخالفته وتدبير ما عساه يشقّ عليه . ﴿تَبْتَغِى﴾ تطلب .

٢ – ﴿تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ أى تحليلَها بالكفَّارة المذكورة فى سورة المائدة . وأصلُها تحلِلة ، مصدرُ حلَّل المضاعفُ ؛ كتكرِمة من كرَّم . ﴿اللَّهُ مَوْلاَكُمْ﴾ ناصركم ومتولى أموركم .

٣ – ﴿نَبَّأَتْ بِهِ﴾ أخبرت به غيرها . ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أطلعه عليه ، أى على إفشائه . ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ﴾ وهو قولُه لها : (كنت شربت عسلاً عند زينب ولن أعود) . ﴿وأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ وهو قوله (وقد حلفت) .

٤ – ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ مالت عن الواجب . يقال : صَغَا يَصْغُو ويَصْغى صَغْوًا . وصَغِيَ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾

صَغاً وصُغِيًّا : مال . وصَغت الشمس : مالت للغروب . ولم يقل «قلباكما» لكراهة اجتماع التثنيْن فيما هو كالكلمة الواحدة مع ظهور المراد . والجملةُ تعليلٌ لجواب الشرط المحذوف ؛ أى إن تتوبا فلتوبتكما سببٌ فقد صغت قلوبكما . ﴿وإنْ تَظَاهَرا عَلَيْهِ﴾ تتعاونا عليه بما يسوؤه من الإفراط والغيرة وإفشاء سرّه . ﴿فَإنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاَه﴾ ناصرُه ومُعِينُه . ﴿ظَهِيرٌ﴾ معين . أى جبريلُ وصالحُ المؤمنين : أبو بكر وعمرُ ، والملائكةُ بعد نصرة الله تعالى له مظاهِرون له .

٥ - ﴿مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ﴾ منقادات لله ورسوله بظواهرهنّ ، مصدّقاتٍ بقلوبهنّ . ﴿قَانِتَاتٍ﴾ مطيعاتٍ لله خاضعاتٍ له . ﴿سَائِحَاتٍ﴾ ذاهباتٍ فى طاعة الله أىَّ مذهب ؛ من ساح الماءُ : إذا ذهب . أو مهاجرات . أو صائماتٍ ؛ تشبيهًا لهنّ بالسائح الذى لا يصحب معه الزادَ غالبًا ؛ فلايزال مُمْسِكًا حتى يجدَ ما يُطعمه . ﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ جمعُ ثيّب ؛ بوزن سيّد . يقال : ثاب يثوب ثَوْبًا ، إذا رجع . وسُمِّيَت الثَّيِّبُ به لأنها ثابتْ إلى بيت أبويها . والأبكارُ : جمعُ بكر ، وهى العذْراء التى لم تُفْتَرَعْ . وسُمِّيَتْ بكرًا لأنها لاتزال على أول حالتها التى خُلقت بها .

٦ - ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ بترك المعاصى وفعل الطاعات . ﴿وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ بحملهم على ذلك بالنصح والتأديب . أمْرٌ مِن وَقَى يقى ؛ كضرب يضرب . ﴿عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ﴾ أى موكَّلٌ عليها ملائكةٌ وهم الزبانية ﴿غِلاَظٌ﴾ قُسَاةٌ فى أخذهم أهلَ النار ؛ من الغِلْظة وهى ضدُّ الرِّقة . والفعلُ ككرُم وضرَب . ﴿شِدَادٌ﴾ أقوياءُ عليهم . يقال : فلانٌ شديدٌ على فلان ، أى قوىٌّ عليه يعذّبه بأنواع العذاب .

٨ - ﴿تَوْبَةً نَصُوحاً﴾ بالغةً فى النُّصح ، وهى أن يندَم العبد على الذّنب الذى أصاب ؛ فيعتذر إلى الله تعالى ثم لا يعود إليه ؛ كما لا يعود الماء إلى الضَّرْع . أو توبةً ترفُو خُروقَه فى دينه ، وترُمّ خَلَلَه ؛ من نصح الثوبَ : أى خاطه ؛ فكأن التّائبَ يرقّع ما مزّقه بالمعصية . أو توبة خالصةً ؛ من قولهم : عسلٌ ناصح ، إذا خلَص من الشمع . ﴿لَا يُخْزِى اللهُ النَّبِىَّ﴾ لا يذله بل يعزه ويكرمه .

٩ - ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ استعمِلِ الخشونةَ على الفريقين فيما تجاهدهم به إذا بلغ الرّفق مداه .

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

(٦٧) سُورَةُ المُلْكِ مَكِّيَّة
وآياتها ٣٠ نزلت بعد الطور

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ



١٠ ـ ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ فكانت امْرَأَةُ نوح تقول للناس : إنه مجنون . وكانت امرأةُ لوطٍ تدُلّ قومها على الأضياف لِيَخْبَثوا بهم .

١٢ ـ ﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ حفظتْه وصانته من أن يَصل إليه أحدٌ . وهو كنايةٌ عن عِفّتها . ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ فنفخ رسولُنا جبريلُ عليه السلام فى جيْب دِرعها روحًا من أرواحنا هى روح عيسى . ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ من عداد المواظبين على الطاعة . و (مِن) للتبعيض ، والتذكيرُ للتغليب . أو من نَسْلهم . و (من) لابتداء الغاية . واللهُ أعْلم .

سُورةُ المُلْك

١ ـ ﴿تَبَارَكَ﴾ تعالى وتعاظم جلّ وعلا . أو كثُر خيرُه ودام [آية ٥٤ الأعراف ص٢٠٧] ﴿المُلْكُ﴾ بالضّم : السلطانُ والقدرةُ . ونفاذُ الأمر .

٢ ـ ﴿الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ أى خلق بقدرته موتَ من شاء وما شاء موته ، وحياةَ من شاء وما شاء حياته من الممكنات المقهورة بسلطانه . والحياةُ صفةٌ وجوديّةٌ تقتضى الحسَّ والحركة . والموتُ : صفةٌ وجوديةٌ تضادُّ الحياةَ . أو هو عدمُ الحياة عما هى من شأنه . وخلْقُه على المعنى الأول : إيجادُه . وعلى الثانى : تقديرُه أزلا . ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبرَكم . أى يعاملكم معاملةَ من يختبرُكم . وإلاّ فهو سبحانه أعلم بكم ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ أسرعُ فى طاعة الله ، وأوْرعُ عن محارم الله ، وأتمُّ فهمًا لما يصدُر عن الله ، وأكملُ ضبطًا لِما يؤخذ من خطابه سبحانه . والجملةُ مفعولٌ ثانٍ «لِيَبْلُوَكُمْ» لتضمُّنه معنى العِلمِ ؛ فإن الاختبارَ طريقٌ إليه .

٣ ـ ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً﴾ أى بعضَها فوقَ بعضٍ . مصدرُ طَابَق مطابقةً وطِباقًا ؛ من طابق النّعلَ : أى جعله طبقةً فوقَ أخرى . وُصف به للمبالغة . أو بتقدير مضافٍ ، أى ذات طِباق . قال البقاعِىّ : بحيثُ يكون كلُّ

إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ

جزءٍ منها مطابقًا للجزء من الأخرى ، ولا يكون جزءٌ منها خارجًا عن ذلك . وهى لا تكون كذلك إلا أن تكون الأرض كريةً ، والسماءُ الدنيا محيطة بها إحاطَة قِشر البَيْضة من جميع الجوانب ، والسماءُ الثانية محيطة بالسماء الدنيا ، وهكذا إلى أن يكون العرش محيطًا بالكلّ ، والكرسيُّ الذى هو أقربُها بالنّسبة إليه كحلْقة فى فلاة ؛ فما ظنك بما تحته ! وكلُّ سماء من التى فوقها بهذه النسبة . وقد قرر أهلُ الهيئة أنها كذلك ، وليس فى الشرع ما يخالفه ، بل ظاهره يوافقه . ا هـ

﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾ ما ترى فى خلق السموات السّبْع ، شيئًا من الاختلاف وعدمِ التناسب ، فلا عيبَ ولا نقصَ ، ولا اعوجاجَ ولا اضطرابَ فى شىء منها . بل كلها مُحكَمةٌ جاريةٌ على مقتضى الحكمة . يقال : تفاوت الشيئان تفاوتًا ، تباعد ما بينهما ؛ من الفَوْت ، وأصله الفُرجةُ بين أصبعين . والجملةُ صفةٌ لسبع سماوات . ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾ أى إن كنتَ فى شكٍّ من ذلك ، فكرّرِ النّظر فيما خلقنا حتى يتّضحَ لك الأمر ، ولا يبق عندك شُبهة فيه . ﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ أى خَلَلٍ ووَهن . وأصلُ معنى الفُطُور : الشقوقُ والصدوعُ ؛ جمعُ فَطْر . يقال . فَطره فانْفطر . وتفطر الشىء : تشقّق ؛ وبابه نصر . أريد منه ما ذَكرنا لعلاقَة اللُّزوم .

٤ - ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ أي رجعتيْن أخريَيْن . والمرادُ : كرِّره مرةً بعد أخرى ؛ فانظر هل ترى فيها خللاً أو وَهْنًا أو عيبًا . والكرّةُ : المرّةُ من الكرّ ، وهو العطفُ على الشىء بالذات أو بالفعل ، والرجوعُ إليه . ﴿يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ يَعُدْ إليك البصرُ صاغرًا مبعَدًا من إصابة ما التمسه من العيْب والخَلَل [آية ٦٥ البقرة ص ١٩] . يقال : خسأْتُ الكلبَ ، أبعدته وطردته . وخسأ الكلبُ بنفسه - من باب قطع - فانخسأ . ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ كليلٌ منقطِعٌ من كثرة المراجعة والمعاودة ، لم يدرك ما طلب ؛ مِنْ حسَرَ بصرُه يحسِرُ حُسُورًا : إذا كَلَّ وانقطع من طول المَدَى .

٥ - ﴿زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ بكواكبَ مضيئةٍ كإضاءةِ الصُّبْح ، ليست كمصابيحكم التى تعرفونها .

﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ أى جعلنا منها مراجم للشياطين بانقضاض الشُّهب المنبعثةِ عنها على مسترقى السّمْع منهم . جمعُ رَجْم ، وهو فى الأصل مصدرُ رَجَمه رجمًا - من باب نصر - : إذا رماه بالرِّجام أى الحجارة ؛ سُمّىَ به ما يُرجَم به . ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ عذابَ النار المُشْتَعِلةِ فى الآخرة ، بعدَ الرَّجم فى الدنيا بالشُّهُب . يقال : سَعَر النارَ - كمَنَع - ألهبها ؛ كسعّرها وأسعرها ، فهى مسعورةٌ وسعيرٌ .

٧ - ﴿سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾ صوتًا منكرًا عند إلقاء الكفار فيها ؛ كصوْت الحمير وهو أنكر الأصوات . ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ تَغْلى بهم غليانَ المِرْجل بما فيه . والفَوْرُ : شدّةُ الغَليان ؛ ويقال ذلك فى النار إذا هاجت ، وفى القدر إذا غَلت .

٨ - ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾

قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ
أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ
نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ
فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم
بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ
ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ
خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ
وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ
ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن
يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ
كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ

تتميّز ، أي تتقطّع وينفصل بعضها من بعض من شدّة الغضب عليهم . والغيظ : أشدُّ الغضب . ﴿فَوْجٌ﴾ جماعةٌ من الكفار .

١١ - ﴿فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ فبُعْدًا لهم من رحمة الله ؛ وهو دعاءٌ عليهم . والسُّحقُ : البُعْدُ . يقال : سَحُق - ككَرُمَ وعَلِم - سُحْقًا ؛ أي بَعُد بُعدًا ، فهو سحيق . وأسحقه الله : أبعده ، وهو مصدرٌ ناب عن فعله في الدّعاء ؛ أي أسحقهم الله سُحقًا . واللامُ في «لِأَصحاب» للتبيين ؛ كما في : سَقْيًا لَكَ ، وجَدْعًا له وعَقْرًا .

١٣ - ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ ..﴾ أي إسرارُكم بالنَّيل من محمدٍ [صلى الله عليه وسلم] وجهرُكم به سيّان ، فلا يخفى علينا منه شيء ؛ فهو من تتمّة الوعيد . نزلت في المشركين الذين كانوا ينالون من النبيّ صلى الله عليه وسلم ؛ فلما أطلعه الله على أمرهم قال بعضهم لبعض : أسِرُّوا قَوْلَكم كيلا يسمعه ربُّ محمد .

١٥ - ﴿ذَلُولًا﴾ سهلةً مذلَّلةً مسخَّرَةً لما تريدون منها ؛ من مَشْيٍ عليها ، وغرسٍ فيها ، وبناءٍ فوقها ؛ من الذِّلّ وهو سهولة الانقياد واللّين . ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ جوانبها ، أو طرقها وفجاجها أو أطرافها ، وهو مَثَلٌ لفَرط التّذليل ومجاوزته الغايةَ ؛ وليس أمرًا بالمشي حقيقةً . ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ إحياءُ الموتى يومَ القيامة ؛ فيسألكم هل شكرتم له نعمَه أم كفرتم !؟

١٦ - ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ..﴾ أي أأمنتم من في السماء وهو الله تعالى أن يُذهب الأرض إلى سُفلٍ ملتبسةً بكم . والآيةُ من متشابه القرآن . وقد أجمعت القرون الثلاثةُ على إجراء المتشابهات على مواردها مع التّنزيه بلَيْسَ كمثْله شيءٌ ؛ وقد أوضح الآلوسيُّ هذا غايةَ الإيضاح في تفسير هذه الآية . ﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ تضطّرب وتتحرّك ، فتعلو عليهم وهم يُخسفون فيها إلى أسفل سافلين ؛ من المَوْرِ ، وأصلُه التردّد في الذهاب والمجيء . يقال : مار يمور ، تحرّك وجاء وذهب .

١٧ - ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ..﴾ أي بل أأمِنْتُم !؟. وهو إضرابٌ عن وعيدٍ شديدٍ بعذاب أرضيٍّ وقع مثلُه لقارونَ ، إلى وعيدٍ بعذابٍ سماويٍّ وقع مثله

يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَـٰٓفَّـٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَـٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنِ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ بَل لَّجُّواْ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ

لقوم لوطٍ وأصحابِ الفيلِ. والحاصِبُ: الرِّيحُ فيها حجارةٌ. أو هى الحجارة المرسَلةُ من السماء. ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ أى كيف إنذارى عند مشاهدتكم للمنذَر به؟ ولكن لا ينفعكم العلم.

١٨ - ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ..﴾ تحذيرٌ لهم مما وقع للأمم الماضية من العذاب حين أصرُّوا على الكفر ليعتبروا به. ﴿كَانَ نَكِيرِ﴾ انكارى عليهم بالهلاك.

١٩ - ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ﴾ تصويرٌ لقدرته تعالى. وأنّ مَنْ قَدَرَ على إمساك الطير فى السماء عند الصَّف والقَبْض. قادرٌ على أن يَخسف بهم الأرض. ويُرسِل عليهم الحاصبَ. ﴿صَافَّاتٍ﴾ باسطاتٍ أجنحتَهنّ فى الهواء عند الطيران. ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ يضمُمْنَها إذا ضربن بها جُنوبَهن حينًا فحينًا للاستظهار بها على التحرك. ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ فى الجوِّ فى الحالين ﴿إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾ الذى وَسِعت رحمتُهُ كلَّ شىء. ووهب كلَّ شىء خاصَّتَهُ.

٢٠ - ﴿أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِى هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ..﴾ تبكيتٌ لهم بنَفْى أن يكون لهم ناصرٌ غيرُ الله إذا أراد أن يَخسف بهم الارض. ﴿غُرُورٍ﴾ خديعة من الشيطان وجنده.

٢١ - ﴿أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِى يَرْزُقُكُمْ..﴾ تبكيتٌ آخرُ بنَفْى الرّازقِ لهم إن أمسك رزقَه عنهم؛ فلم يُرسِل لهم المطر. وأرسل بدلَه حاصبًا من السماء. ﴿بَلْ لَجُّوا﴾ تمادَوْا فى اللَّجاج. وهو تقحُّمُ الأمرِ مع كثرة الصَّوارف عنه. ﴿فِي عُتُوٍّ﴾ استكبار وطغيانٍ ﴿وَنُفُورٍ﴾ شرودٍ وتباعدٍ عن الحق.

٢٢ - ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ..﴾ المُكِبُّ: الساقطُ على وجهه. يقال: كبّه وأكبّه، قلبه وصرعه. وهو مثَلٌ ضربه الله للكافر والمؤمن؛ أى أفمن يمشى وهو يعثُر فى كل ساعة ويخِرّ على وجهه فى كلّ خطوة؛ لتوعُّر طريقه واختلافِه بانخفاض وارتفاع - أهدَى وأرشدُ إلى المقصِد الذى يؤمُّه. أم من يمشى قائمًا سالمًا من الخبط والعِثار على طريقٍ مستوٍ لا اعوجاجَ فيه ولا انحرافَ!

٢٤ - ﴿ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ خلقكم وبثّكم وكثّركم فيها.

٢٥ - ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ أى الموعودُ وهو الحشر.

أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾

(٦٨) سُورَةُ القَلَمِ مَكِّيَّة

إلا من آية ١٧ إلى غاية آية ٣٢ ومن آية ٤٨ إلى غاية آية ٥٠ فمدنية
وآياتها ٥٢ نزلت بعد العلق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ



٢٧ ـ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ فلما رأوا العذابَ يومَ القيامة قريبًا منهم ﴿سِيئَتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ساءت رؤيتُه وجوهَهم ، بأن غَشِيَتْها كآبةٌ وذِلة . و « زُلْفَةً » حالٌ من مفعول « رأوْهُ » وهو اسم مصـــدر لأزلف إزلافًـــا . ﴿تَدَّعُونَ﴾ تطلبونه فى الدنيا وتستعجلونه إنكارًا واستهزاءً ؛ من الدعاء بمعنى الطلب . ويؤيّده قراءةُ « تَدْعون » بسكون الدال .

٢٨ ـ ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبرونى ﴿إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ﴾ أى أماتنى كما تتمنّون ! ﴿يُجِيرُ ٱلْكَافِرِينَ﴾ ينجيهم . أو يمنعهم أو يؤمِّنهم .

٣٠ ـ ﴿غَوْرًا﴾ غائرًا ذاهبًا فى الأرض لا تناله الدِّلاءُ . وكان ماؤهم من بئر زَمْزَم وبئر ميمون بن الحضرمى . يقال : غار يغور غورًا ، إذا نَضَب . مصدرٌ وُصِف به للمبالغة ، أو مُؤَوَّلٌ باسم الفاعل . ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ جارٍ . أو ظاهرٍ تراه العيونُ ، وتنالُه الأيدى والدلاءُ كمائكم . والله أعلم .

سُورَةُ الْقَلَم
وتُسَمَّى سُورَةَ نٓ

١ ـ ﴿نٓ﴾ من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه . أو هى اسمٌ للسورة . أو للقرآن . ﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أقسم الله تعالى ـ على براءة النبىِّ صلى الله عليه وسلم مما نسبه إليه المشركون من الجنون ؛ حسدًا وعداوةً ومُكابرةً . وعلى ثبوت الأجر الدائم له على قيامه بأعباء الرسالة ، وعلى كونه على دين الإسلام والتوحيد ـ بجنس القلم الذى يخطّ به فى السماء فى اللَّوح المحفوظ . وفى صُحف الملائكة والحفظة ، وفى الأرض بما ينفع الناس . وأقسم بما يكتبه الكاتبون مما هو خيرٌ ونفعٌ .

٢ : ٤ ـ ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ ردٌّ لقولهم : (يَا أَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ)[١] . أى لا تكون مجنونًا وقد أنعم الله عليك بالنبوّة والحكمة . ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أى غير منقوص ولا مقطوع على صبرك وتحمُّلك أعباء الرسالة ؛ من مَنَنْتُ الحبلَ : إذا قطعتُه . أو غيرَ ممنونٍ به عليك . ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ دين عظيم ؛ لا دينَ أَحَبُّ إلَىّ ولا أرضى عندى منه وهو دينُ الإسلام . وقيل : آدابُ القرآن . وعن عائشة رضى الله عنها : كان خُلُقُه القرآنَ ، يرضَى لرضاه ويَسخط لسخطه[٢] .

(١) آية ٦ الحجر . (٢) رواه ابن المنذر .

وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ

٥ ـ ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾ وعدٌ له صلى الله عليه وسلم ، ووعيدٌ لأهل مكة.

٦ ـ ﴿بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ أىْ فى أىّ فريق منكم الذى فُتِنَ بالجنون. أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين؟ أىْ فى أيِّها يوجد من يستحق هذا الوصف. والباءُ بمعنى فى ؛ وهو تعريضٌ بغُلاَة المشركين الذين وصفوه صلى اللهِ عليه وسلم بهذا الوصف القبيح.

٨ ، ٩ ـ ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ أى لا تداهنهم ولا تُدارهم استجلابًا لقلوبهم. ثم علّلَ ذلك بقوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ﴾ أى أحبُّوا لو تُلاينهم وتُسامحهم فى بعض الأمور بترك ما لا يرضَوْنه مُصانعةً لهم. ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾ فهم الآن يُدهنون بترك بعض ما لا ترضَى به ؛ فجوابُ التَّمنِّى المفهومُ من «وَدُّوا» جملةٌ اسميّةٌ. والإدْهانُ: اللِّينُ والمصانعةُ والمقاربةُ فى الكلام.

١٠ : ١٣ ـ ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ كثيرِ الحَلِف فى الحق والباطل. ﴿مَهِينٍ﴾ حقيرٍ ذليلٍ وضيعٍ. ﴿هَمَّازٍ﴾ عيّابٍ. أو مُغتابٍ للناس ؛ مِن الهَمْز ، وهو واللّمزُ الضربُ طعنًا باليد أو العصا ونحوها ؛ ثم استُعير للذى ينال الناسَ بلسانه وبعينه وإشارته ، ويقع فيهم بالسُّوءِ. ﴿مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ نقّالٍ للحديث للإفساد بين الناس. والنَّميمُ والنَّميمَةُ: مصدران بمعنى السِّعاية والإفساد. يقال: نمَّ الحديثَ ـ من بابى قَتَل وضَرَبَ ـ سعَى ليُوقع به فتنةً أو وَحشةً ؛ فالرَّجلُ نَمٌّ ونَمَّام. وأصلُها الهَمْسُ والحركة الخَفيفةُ ؛ ثم استُعملت فيما ذُكر مجازًا. ﴿عُتُلٍّ﴾ جافٍ غليظٍ ؛ مِن عَتَلَهُ يَعْتِله ويعتُله: إذا جرّه بعنفٍ وغِلْظة. أو شديدِ الخصومة بالباطل. ﴿زَنِيمٍ﴾ مُلْصَقٍ بالقوم ، دَعِىٌّ فيهم ؛ كأنه فيهم زَنَمَةٌ ، وهى ما يتدلَّى من الجلد فى حَلْق المَعِز تحت لِحْيَتِها. وقيل: الزَّنيمُ هو الذى يُعرف بالشر أو باللؤْم بين الناس ؛ كما تُعرف الشاة بزَنمتِها. أو هو الفاجر. وقيل: العُتُلُّ الزَّنيمُ: الفاحشُ اللئيمُ.

١٥ ـ ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أباطيلُهم وخرافاتُهم التى سطّروها فى كتبهم السابقة. جمعُ أسطورة.

١٦ ـ ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ سنبيِّن أمرَه بيانًا واضحًا ، حتى يعرفَه النّاسُ فلا يخفى عليهم ؛ كما لا تخفى السِّمةُ على الخُرطوم. أو سنُلحق به عارًا لا يفارقه. تقول العربُ للرجل يُسَبُّ سُبَّةَ سُوءٍ قبيحةٍ باقيةٍ: قد وُسِم مِيسَمَ سوءٍ ، أى أُلصق به عارٌ لا يفارقه ؛ كما أن السِّمة وهى العلامة لا يُمحى أثرُها. والخُرْطُومُ: الأنفُ من الإنسان ، والوسْمُ عليه يكون بالنار ، وكُنِّىَ به عما ذُكر.

١٧ ، ١٨ ـ ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾ أى امتحنّا أهلَ مكةَ بالقحط والجوع ؛ حتى أكلوا الجيَفَ

وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْاْ
مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ
صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن
لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ
قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ
نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا
تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾
فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ
إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ
إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ

بدعوته صلى الله عليه وسلم . ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ المعروف خبرُهم عندهم ، وهم أصحابُ بستان بأرض اليمن قريبًا من صنعاءَ وَرِثُوه عن أبيهم ، وكان يؤدّى للمساكين حقَّ الله فيه ؛ فلما مات بخلوا به فكان من أمرهم ما قصّه الله فى هذه السورة . ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ ليقطعُنّ ثمارَها بعد استوائها داخلين فى وقت الصباح الباكر قبل أن تخرج المساكين ؛ مِن الصَّرم وهو القطع . يقال : صَرم النخلَ ـ من باب ضرب ـ جَزَّه ؛ ومنه الانصرامُ ، أى الانقطاع . ويقال : أصبح ، أى دخل وقت الصباح . ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ حصّةَ المساكين كما كان يفعل أبوهم . والجملة عطفٌ على « لَيَصْرِمُنَّهَا » ومُقسَمٌ عليه .

١٩ ـ ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ ..﴾ نزلَ بها بلاءٌ محيطٌ من عند الله تعالى . والطائفُ غلب فى الشّر .

٢٠ ـ ﴿كَالصَّرِيمِ﴾ كالبُستان الذى صُرمت ثمارُه ؛ بحيث لم يبق منها شىءٌ .

٢١ ـ ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾ نادى بعضهم بعضاً حين أصبحوا .

٢٢ ـ ﴿اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ﴾ باكروا مقبلين على ثماركم ﴿صَارِمِينَ﴾ قاصدين قطعها .

٢٣ ، ٢٤ ـ ﴿وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾ يتسارُّون بالحديث فيما بينهم ، يقول بعضهم لبعض : ﴿لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ﴾ . يقال : خفت يخفِت خفوتاً ، إذا سكت ولم يبين .

٢٥ ـ ﴿وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ ساروا إلى جنّتهم غُدوةً على أمر قد قصدوه واعتمدوه ، واستسرُّوه بينهم قادرين عليه فى أنفسهم ، وهو حرمان المساكين . والْحَرْدُ : القصدُ ؛ من قولهم : حَرَد فلانٌ حَرْدَ فلانٍ ـ من باب ضرب ـ أى قصدَ قصدَه . أو غَدَوْا إلى جنّتهم منفردين عن المساكين ليس أحد منهم معهم ، قادرين على صرامها ؛ مِن حَرَد عن قومه : إذا تنحَّى عنهم ونزل منفردًا ؛ ومنه رجلٌ حَريد : أى وحيد .

٢٦ ، ٢٧ ـ ﴿قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ..﴾ أى عن طريق جَنّتنا وما هى بها ، ثم قالوا بعد التأمُّل : لسنا ضالّين عنها ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ حُرمنا منفعتَها بذهاب حرثها ؛ جزاءَ حرمانِنا المساكينَ من حظّهم منها .

٢٨ ـ ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أعدلُهم وأرجحهم رأيًا . ﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ أى هَلّا تذكرون الله وتتوبون إليه من خُبث نيّتكم . وكان قد قال ذلك لهم من قبلُ فعَصَوْه .

أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ

٣٠ ـ ﴿يَتَلَاوَمُونَ﴾ يلوم بعضهم بعضًا على القَسَم . وقصْدِ حِرمان المساكين .

٣٢ ـ ﴿إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ طالبون منه الخير والعفو .

٣٣ ـ ﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ﴾ أى مِثْلُ الذى بلوْنا به أصحابَ الجنة من إهلاك حَرْثهم وهم فى غاية القدرة عليه والثقة به ـ عذابُ من خالف أمرَنا من كفار مكة وغيرهم .

٣٥ : ٤١ ـ ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ لمّا سمع المشركون قولَه تعالى : «إِنَّ لِلْمُتَّقِين عِنْدَ رَبِهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيم» قالوا : إن الله فضّلنا عليكم فى الدنيا . فإن صحَّ أن هناك بعثاً فلابُدَّ أن يُفضّلَنا عليكم فى الآخرة ، وإن لم يحصل تفضيلٌ فلا أقلَّ من المساواة ؛ فنزلت الآية . أى أنحيف فى الحُكْم فنجعلُ الذين خضعوا لنا بالطّاعة والعبادة . كالذين اكتسبوا المآثِمَ وارتكبوا المعاصى ؟ كلا ! وقد وبَّخهم الله باستفهامات سبعةٍ : [أوّلُها ـ هذا . والثانى ـ ﴿مَالَكُمْ﴾ . والثالثُ ـ ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ . والرابعُ ـ ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ﴾ . والخامسُ ـ ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ﴾ . والسادسُ ـ ﴿أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ . والسابعُ ـ ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾] ـ ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ أى تقرأون فيه . ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ أى إن لكم فى حُكمه لَلّذى تختارونه . وهذه الجملة حكايةٌ للمدروس على ما هو عليه . ﴿أَيْمَانٌ﴾ عهودٌ مؤكّدةٌ بالأيمان ﴿بَالِغَةٌ﴾ متناهيةٌ فى التّوكيد . ﴿لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ للذي تحكمون به لأنفسكم . ﴿أَيهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ كفيلٌ بأنَّ لهم فى الآخرة ما للمسلمين . والزَّعِيمُ : الضامنُ والمتكلّمُ عن القوم .

٤٢ ـ ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ اذْكر لهم يومَ يشتدُّ الأمرُ ويَعْظُم الخطبُ . . وهو يومُ القيامة . وكشْفُ الساق والتّشميرُ عنها : مَثَلٌ فى ذلك . وأصلُه فى الرّوع والهزيمة . وتشميرِ المخدّرات عن سُوقهنّ . وإبداءِ خِدامهنّ عند الهرب واشتداد الخطْب . فكُنِّيَ به عمّا ذُكِر ؛ فلا ساقَ ولا كشفَ ثَمَّةَ . وهو كما يقال للأقطع الشحيح : يدُه مغلولةٌ . ولا يَدَ ثَمَّةَ ولا غُلَّ ؛ وإنما هو كنايةٌ عن البخل . ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ توبيخًا لهم وتحسيرًا على تفريطهم فى طاعة الله فى الدنيا . ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ لصيرورة أصلابهم عظمًا واحدًا .

٤٣ ـ ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾ ذليلةً أبصارُهم . ونسبةُ الخشوع للإبصار لظهور أثره فيها . ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ تغشاهم ذِلّةٌ

سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾

شديدةٌ من عذاب الله . يقال : رَهِقَه ، غشِيَه ؛ وبابُه طَرِب . وأرهقه طغيانًا : أغشاه .

٤٤ – ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ كِلْ إليّ مَن يُكذِّب بالقرآن ! وخَلِّ بيني وبينه ! فإنى عالمٌ بما ينبغى أن يُفعل به مطيق له ، وسأكْفِيكَه ؛ ففرِّغ بالك ، وخَلِّ همَّك منه ، وتوكّل عليّ فى الانتقام منه . وهو من بليغ الكلام ، وفيه تسليةٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتهديدٌ للمكذِّبين . ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ سنستنْزِلهم إلى العذاب درجةً درجةً ، بالإمهال والإحسان وإسباغ النعم ؛ حتى يظنُّوا ذلك تفضيلاً لهم على المؤمنين ، فيتمادَوْا فى الطغيان والكفر ، ثم نأخذهم أخذَ عزيزٍ مقتدِرٍ [آية ١٨٢ الأعراف ص ٢٢٩] .

٤٥ – ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ أمهلهم وأنسِئُ فى آجالهم مدة طويلةً على كفرهم وتمرّدهم ؛ لتتكامل الحجج عليهم . ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ إنَّ إنعامى عليهم – استدراجًا لهم – كيدٌ قويٌّ شديدٌ لا يُدْفع ولا يُطاق . وتسميتُه كيدًا لكونه فى صورته حيث كان سببًا فى هلاكهم .

٤٦ – ﴿فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ أى فهم من غُرم ذلك الأجر مثقلون ، قد أثقلهم القيامُ بأدائه فتحامَوْا قَبولَ دعوتك ؛ وتجنَّبوا الدخول فى دينك .

٤٨ – ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ ..﴾ أى لا يوجدْ منك ما وُجد من يونس عليه السلام ، من الضَّجر والغضب على قومه الذين لم يؤمنوا ؛ إذ دعا ربّه فى بطن الحوت وهو مملوء غيظًا عليهم ؛ حتى لا تبتلى بنحوِ ما ابْتُلِيَ به . بل ادَّرِع الصبر حتى يقضى الله أمرًا كان مفعولاً . وكان قد همَّ صلى الله عليه وسلم أن يَدْعُوَ على ثَقيف . ﴿مَكْظُومٌ﴾ مملوء غيظاً فى قلبه على قومه .

٤٩ – ﴿لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ﴾ لطُرح من بطن الحوت بالأرض الفضاء الخالية من النبات والأشجار والجبال . ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ ملومٌ مؤاخَذٌ بذنبه . وهو ترك الأفضل بالنسبة لمنصب النبوّة .

٥٠ – ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾ أى اصطفاه فردَّ عليه الوحيَ بعد انقطاعه ، وشفّعه فى نفسه وقومِه ، وقَبِل توبته . ﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الكاملين فى الصّلاح لأداء رسالة ربّه إلى قومه .

٥١ – ﴿لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ ليُهلكونك . أو يُزلُّون قدمَك . أو يصرعونك بأبصارهم من شدّة نظرهم إليك شزرًا بعيون العداوة والبغضاء . وقُرئ بفتح الياء ، وهما لغتان بمعنًى واحد . يقال : زَلَقه يَزْلِقه . وأزلقه يُزلقه إزلاقًا : نحّاه وأبعده . والباءُ للتَّعدية أو للسَّببيّة . واللهُ أعلم .

(٦٩) سُورةُ الحَاقَّة مكيّة
وآياتها ٥٢ نزلت بعد الملك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً

سُورةُ الحَاقَّة

١، ٢ـ ﴿الْحَاقَّةُ﴾ أى السّاعةُ التى تَحِقُّ وتثبت فيها الأمورُ الحقّةُ التى كانوا ينكرونها من البعث والحساب والجزاء ؛ مِن حقّ الشيءُ يَحِقُّ ـ من بابى ضَرَب وقَتَل ـ ثبت . أو التى تُحَقُّ فيها الأمورُ ، أى تُعرف على الحقيقة ؛ من حققتُه أحُقُّه : إذا عرفتَ حقيقتَه . وإسنادُ الفعل إليها من الإسناد إلى الزمان ؛ على حدِّ : نهارُهُ صائمٌ . وقال الأزهريُّ : الحاقّةُ القيامة ؛ من حاققْتُه أُحاقُّه فحققتُه : أى غالبتُه فغلبتُه ؛ فهى حاقّة ، لأنها تَحُقّ كل مُحاقٍّ ـ أى مخاصم ـ في دين الله بالباطل فتغلبه . و(الْحَاقَّةُ) مبتدأ ، خبرُه جملةُ (ما الْحَاقَّةُ) .

٣ـ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ أى أىُّ شيء أعلمك ما الحاقّةُ . أى لا علم لك بكنهها ومدَى عِظَمِها ؛ إذ هى من الهَوْل والشدّة بحيث لا تبلغه درايةُ أحدٍ ولا وَهْمُه . وكيفما قُدّرت حالُها فهى وراء ذلك وأعظم !. وجملةُ (ماالحاقّةُ) فى محلّ نصب سادّةٌ مسدّ المفعول الثانى لـ (أدْرَاكَ) .

٤ ـ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ أى القيامة التى تَقْرَع القلوبَ بشدة أهوالها وأفزاعها ، والسماواتِ والأرضَ والجبالَ بالانحلال ؛ مِن القَرْع ، وهو صَكُّ جسم صُلب بآخرَ صُلبٍ بعُنف . يقال : قرع البابَ ـ كمَنَع ـ طَرَقه ونَقَر عليه ؛ ومنه قوارعُ الدهر : أى شدائدُه وأهوالُه .

٥ ـ ﴿فأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ بالواقعه التى تجاوزت الحدَّ فى الهَوْل ، وهى الصَّيْحة ؛ لقوله تعالى : (وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ)(١) . وبها فُسِّرت الصاعقة فى حم السجدة . وأمّا قولُه تعالى فى شأنهم : (فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ)(٢) ـ وهى الزلزلة ـ فلكونها مسبَّبةً عن الصيحة .

٦ ـ ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ [آية ١٦ فصّلت ص٦٠٦] . ﴿عاتِيَةٍ﴾ متجاوزةِ الحدّ فى شدتها ؛ فلم يقدروا عليها مع شدّتهم وقوّتهم .

٧ ـ ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾ سلطها عليهم بقدرته تعالى ﴿حُسُوماً﴾ أى متتابعة الهبوب حتى استأصلتهم ؛ من حَسَمْتَ الدّابةَ : إذا تابعتَ كَيَّها على الداء مرّةً بعد أخرى حتى ينحسم . أو نَحِسات مشئومات . ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾ كأنهم أصول نخل بلا رؤوس ، وهى الجذوع ﴿خَاوِيَةٍ﴾ ساقطةٍ ؛ مِن خَوَى النجم : إذا سقط للغروب . أو فارغةِ الأجواف بلًى وفسادًا ؛ مِن خَوَت الدارُ تخوى خَواءً : خلَتْ من أهلها ، فهى خاويةٌ .

٩ ـ ﴿والْمُؤْتَفِكَاتُ﴾ قُرَى قوم

(١) آية ٦٧ هود . (١) آية ٧٨ الأعراف .

رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَـٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَـٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَـٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَـٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ

لوطٍ التي اقتلعها جبريلُ عليه السلام ، ثم قلَبها فجعل عاليَها سافِلَها ؛ من ائتفك : أى انقلب . والمرادُ أهلُها . ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾ أى جاءوا بالفَعلات الخاطئة . وإسنادُ الخطأ إليها مجازٌ ؛ وإنما هو من أصحابها .

١٠ - ﴿أَخْذَةً رَابِيَةً﴾ زائدةً فى الشدَّة على الأَخذات للأُمم المهلكة ؛ من ربا الشيءُ يربو : إذا زاد وتضاعف . ومن الرِّبا .

١١ - ﴿الْجَارِيَةِ﴾ سفينةِ نوحٍ عليه السلام .

١٢ - ﴿تَذْكِرَةً﴾ عبرة وعظة . ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ تحفظها أُذُنٌ من شأنها أن تحفظ ما يجب حِفظُه ؛ من الوَعْى بمعنى الحِفظ فى النَّفْس . يقال : وَعَى الشيءَ يَعِيه ، حفظه .

١٣ - ﴿نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ هى نفخةُ الصَّعْق .

١٤ - ﴿حُمِلَتِ الْأَرْضُ﴾ رفعت من أماكنها بأمرنا . ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ كُسِّرتا وفُتِّتَا حتى صارتا غبارًا بضرب بعضها ببعض ضربةً واحدةً إثْر رفعها .

١٥ - ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ وُجدت القيامةُ وحصَلت .

١٦ - ﴿انْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ تفطرت وتصدعت من الهول . ﴿فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ أى فالسماءُ يومئذ ضعيفة مسترخيةٌ ، ساقطةُ القوّة . يقال : وَهَى البناءُ يَهى وهْيًا فهو واهٍ ، إذا ضَعُف جدًّا . أو منشقَّةٌ متصدِّعةٌ .

١٧ - ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ أى الملائكة واقفون على جوانب السماوات وحافاتها حين تشقّق ؛ لينظروا أمرَ الله لهم لينزلوا فيحيطوا بالأرض . جمعُ رَجًا ، بالقصر . ﴿ثَمَانِيَةٌ﴾ من الملائكة . أو من صفوفهم .

١٨ - ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ بعد النفخة الثانية للحساب والجزاء .

١٩ - ﴿هَاؤُمُ﴾ أى خذوا ؛ اسمُ فعلِ أمْر . والهاءُ فى ﴿كِتَابِيَهْ﴾ و(حسابيه) وما ماثلها للسَّكْت ؛ لتظهر فتحةُ الياء .

٢٠ - ﴿ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ علمت أنى سيُحاسبنى ربِّى حسابًا يسيرًا ، وقد حاسبنى كذلك ؛ فأنا اليومَ فرِحٌ مسرورٌ .

٢١ - ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ أى فى حياةٍ ذاتِ رِضًا ؛ أى ثابت لها الرِّضا ودائم لها . فهى صيغةُ نَسَب ؛ كلابن وتامِر لصاحب اللّبن والتمر . أو مرضيّةٍ يرضَى بها صاحبُها ولا يَسخَطها ؛ فهى فاعلٌ بمعنى مفعول . على حدّ : ماءٌ دافق ؛ بمعنى مدفوق .

كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَّلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾

٢٣ - ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ ثمارُها قريبةٌ من المتناول ، يَقطِفها كلمّا أراد . جمعُ قِطْف بمعنى مقطوف ؛ وهو ما يَجتنيه الجانى من الثمار . و(دانيةٌ) اسمُ فاعل ، من الدُّنُوّ بمعنى القُرب .

٢٤ - ﴿هَنِيئًا﴾ أكلا غير منغص ولا مكدر .

٢٧ - ﴿يَالَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ ياليت الموْتةَ التى مِتُّهَا فى الدنيا كانت القاطعةَ لأمرى ؛ فلم أبعث بعدها ! ولم ألقَ ما أَلْقى !

٢٨ - ﴿مَا أَغْنَى عَنِّى﴾ ما دفع العذاب عنى . ﴿مَالِيَه﴾ الذى كان لى من مال ونحوه .

٢٩ - ﴿سُلْطَانِيَهْ﴾ حجتى أو تسلطى وقوتى .

٣٠ : ٣٢ - ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ فاجمعوا يديه إلى عنقه فى الغُلّ . والخطابُ للزَّبانية . ﴿ثمَّ الجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ أى ثم لا تُدخلوه إلّا الجحيمَ . وهى النارُ العظيمةُ الشديدةُ التأجُّج ؛ لعِظَم ما ارتكَب من الذنب ، وهو الكفر بالله العظيم . ﴿ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ كنايةٌ عن عِظَم طولها . وليس المرادُ بالعَدَد التحديدُ ؛ كما قيل فى قوله تعالى : (إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ)[1] وقولِهِ (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ)[2] . ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ أدخلوه فيها ؛ كأنه السِّلْك الذى يدخل فى ثقب الخرزات بعُسْر لضيق الثَّقْب .

٣٤ - ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ ولا يَحُثُّ على إطعام المسكين فضلاً عن أن يُطْعِمَه .

٣٥ - ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ صديقٌ ، أو قريب مشفِقٌ يحميه ويدفع عنه .

٣٦ ، ٣٧ - ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ هو شجرٌ يأكله أهلُ النار ؛ فيغسِل بطونَهم ؛ أى يُخرج أحشاءَهم . أو ما يسيل من أجسام أهل النار . أو شرُّ الطعام وأخبثُه وأبشعه . ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ الكافرون ؛ من خطِئَ الرَّجُل : إذا تعمَّد الذنبَ .

٣٨ ، ٣٩ - ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ أى فلا أقسم لظهور الأمر واستغنائه عن التحقيق والتأكيد بالقَسَم . أو فأُقْسم و(لا) مزيدةٌ . أو فلا رادّ لكلام سبق من المشركين ؛ أى ليس الأمرُ كما تقولون . ثم استأنف فقال أقسم : ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَالَا تُبْصِرُونَ﴾ أى بالمشاهدات والمغيَّبات ؛ فهو عامٌّ فى جميع مخلوقاته تعالى .

٤٠ - ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾

(1) آية ٨٠ التوبة . (2) آية ٣ القدر .

لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

(٧٠) سُورَةُ المعَارِج مكيّة
وآياتها ٤٤ نزلت بعد الحاقة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ

تبليغًا عن ربّه .

٤١ - ﴿قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ أى لا تؤمنون ألبتّة .

٤٤ - ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ ..﴾ افترى القول . والأقاويلُ : الأقوالُ . أي لو نسب إلينا قولاً لم نقله . أو لم نأذنْ له فى قوله .

٤٥ - ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ أى لأخذنا منه باليد اليمنى من يديه . وهو كنايةٌ عن إذلالِه وإهانته . أو لأخذناه بالقوّة ؛ وعبّر عنهما باليمين لأن قوّة كلِّ شىء فى ميامنه .

٤٦ - ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ ثم لقطعنا بضرب عُنُقِهِ وتينَه ، وهو النُّخاع المعروف . أو نياطَ القلب الذى إذا انقطع ماتَ صاحبُه . وهو كنايةٌ عن الإهلاك بأفظع ما يفعله الملوك بمن يعاقبونه .

٤٧ - ﴿عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ مانعين الهلاك عنه .

٥٠ - ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أى وإن القرآن لحسرةٌ وندامةٌ عظيمةٌ على الكافرين عند مشاهدتهم ثوابَ المؤمنين به .

٥١ - ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ لَلْيَقِينُ الحقُّ الذى لا شكّ فى أنه من عند الله ؛ لم يتقوّله محمد صلى الله عليه وسلم . فهو من إضافة الصّفة للموصوف . وحقُّ اليقين : فوقَ علم اليقين . قيل : مراتبُ العِلم ثلاثةٌ : حقُّ اليقين ، ودونه علمُ اليقين . فالأولُ - كعِلْم العاقل بالموت إذا ذاقه . والثانى - كعِلْمه به عند معاينة ملائكته . والثالث - كعلمه به فى سائر أوقاته .

٥٢ - ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ نزّه اسمَ ربِّكَ العظيم عمّا لا يليق به . أو نزّه ربك العظيمَ عن السُّوء والنقائص . واللهُ أعلم .

سورة المعارج

١ ، ٣ - ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ دعَا داعٍ ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ أى سيقع لا محالة ﴿لِّلْكَافِرِينَ﴾ أى عليهم ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ يدفعه عنهم ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ أى من عنده وجهته تعالى . والسائلُ : هو النَّضْر بن الحارث ، حيث قال استهزاءً : (إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)[1] فنزل ماسأله . وقُتل يومَ بدرٍ صَبْرًا[2] هو وعُقبةُ بنُ أبى مُعَيْط ؛ ولم يُقتل صبرًا غيرهما . وقيل : السائلُ غيرُه . وعبّر بـ(واقع) بدلَ يقع للدّلالة على تحقُّق وقوعه . إمّا فى الدنيا وهو عذاب بَدْر . وإمّا فى الآخرة وهو عذاب النار . ﴿ذِى الْمَعَارِجِ﴾ أى المصاعد . وهى السماوات تعرُج الملائكةُ فيها من سماء إلى سماء .

٤ - ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ

(١) آية ٣٢ الأنفال . (٢) صبر الإنسان وغيره على القتل : أن يحبس ويرمى حتى يموت .

وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا (٦) وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا (٧) يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ (٩) وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (١٠) يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ (١٣) وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ (١٤) كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ (١٥) نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ (١٦) تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ (١٧)

﴿إِلَيْهِ﴾ أي تَصْعَد الملائكةُ وجبريلُ عليه السلام إليه تعالى . ومُعظمُ السّلف على أنه من المتشابه ، مع تنزيهه تعالى عن المكان والجسميّة ، ولوازم الحدوث التي لا تليق بشأن الألوهيّة . وقيل : معنى (إليه) إلى عرشه . أو إلى محل برّه وكرامته . ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ بيانٌ لغاية ارتفاع تلك المعارج وبُعْد مَدَاها على سبيل التمثيل . أي أنها من الارتفاع بحيثُ لو قدِّر قطعُها في زمانٍ لكان ذلك الزمانُ مقدارَ خمسين ألفَ سَنَةٍ من سِني الدنيا . أو بيانٌ لسرعة العُروج ؛ أي أنهم يقطعون فيه في يوم من أيامكم ما يقطعه الإنسان في خمسين ألفَ سَنَةٍ لو فُرض سَيْره فيها .

٥ - ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً﴾ لا شكوَى فيه لأحد غير الله تعالى . أمره الله بالصبر على استهزاء النَّضْر وأضرابه وتكذيبهم ، وأن لا يَضْجَر ولا يَحزن ؛ لأن العاقبةَ للمتقين .

٦ ، ٧ - ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ﴾ أي يومَ القيامة ﴿بَعِيدًا﴾ من الإمكان . أو من الوقوع ؛ ولذلك كذّبوا ما جئت به ، واستهزأوا بأخباره . ﴿وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ كائنًا لا محالةَ .

٨ - ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ كدُرْدِيِّ الزَّيتِ . وهو ما يبقى في أسفله . أو ما أُذيب من المعادن على مهَلٍ . والمرادُ : يومَ تكون السماء واهيةً . و(يَوْمَ) بدلٌ من الضمير في (نَرَاهُ) .

٩ - ﴿وتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ كالصُّوف المصبوغ ألوانًا ؛ لاختلاف ألوان الجبال . فإذا بُسَّتْ وطيِّرت في الجوِّ أشبهت العِهْنَ المنفوشَ إذا طيّرتْه الرِّيحُ . قيل : أولُ ما تتغيّر تصير رَمْلاً مَهيلاً ، ثم عِهنًا منفوشًا ، ثم هَباءً مُنْبَثًّا .

١٠ - ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ ولا يسأل قريبٌ قريبًا عن شأنه لشُغله بشأن نفسه (لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) (١) .

١١ - ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ يعرَّفون أقرباءهم ، فيعرَّف كلُّ إنسانٍ قريبَه ؛ فذلك تبصيرُ الله إيّاهم . ولكنهم لا يتساءلون لا شتغال كلٍّ واحدٍ بحال نفسِه . يقال : بصّرتُه بالشيء ، إذا أوضحتَه له حتى يَبْصُرَه ؛ ثم ضُمِّن معنى التّعريف . ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ﴾ أي إن اشتغالَ كلِّ مُجرم بنفسه في ذلك اليوم بلغ إلى حيث يتمنَّى أن يفتدَى بأقربِ الناس إليه وأعلقِهم بقلبه ؛ فضلاً عن أن يهتمَّ بحاله ويسألَ عنها .

١٣ - ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ أي عشيرته التي تضمُّه انتسابًا إليها . أو لياذًا بها في الشدائد . ﴿تُؤْوِيهِ﴾ تضمه في النسب . أو عند الشدة .

١٤ - ﴿ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ ذلك الافتداءُ ؛ أي يَوَدُّ لو يفتدِى ثم لو ينجيه ذلك الافتداء .

١٥ ، ١٦ - ﴿كَلاَّ﴾ رَدْعٌ للمُجرم عن هذه الودادة .

(١) آية ٣٧ عبس .

وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾
إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾
إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾
وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾
وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ
رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾
وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ
وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ
لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ
قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾
أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ
إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ
وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا

وتيئيسٌ له من الإنجاء . ﴿إنّها لظَى﴾ أى إن النّار لظَى ؛ وهى اسمٌ من أسمائها . أو اسمٌ لطبق من أطباقها . والّلظَى : اللّهب الخالص . ﴿نزّاعةً للشّوى﴾ قلّاعةٌ لجلدة الرأس وأطراف البدن ؛ كاليد والرجل . ثم تعود كما كانت ، وهكذا أبدًا . جمعُ شَواةٍ ، وهى من جوارح الإنسان مالم يَكن مقتلاً . يقال : رَمَى فأشوى ، إذا لم يُصب مقْتلاً .

١٨ ـ ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ جمع المالَ ، فأمسكه فى وعائه وكَنَزَه ، ولم يؤدِّ منه حقَّ الله تعالى فيه ، وتشاغل به عن دينه .

١٩ ، ٢٢ ـ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ أى الكافرَ ﴿خُلِقَ هَلُوعًا﴾ والهلعُ : شدّةُ الجَزَع مع شدة الحرص والضَّجَر ؛ وقد بيّن الله تعالى ذلك بقوله : ﴿إِذَا مَسَّه الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ أى إذا مسَّه الفقرُ أو المرضُ ونحوهما كان مبالغًا فى الجزع ، مكثرًا منه ، لا صبرَ له على ما أصابه . وإذا مَسّه الغنى أو الصحة كان مبالغًا فى المنع والإمساك ، لا ينفقه فى طاعة ، ولا يؤدِّى منه حقَّ الله فيه . و(جَزُوعًا) و(هَلُوعًا) خبران لكان مضمرةً . وقيل : حالان من الضمير فى (هلوعًا) . ثم لمّا وصف سبحانه من أدْبر وتولّى معلّلاً بهلَعه وجزَعه استثنى ما يقابله فقال : ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ ، ووصفهم بما يُنبئ عن كمال تنزههم عن الهلَع من الاستغراق فى طاعة الله ، والإشفاق على الخلق ، والإيمان بالجزاء ، والخوف من العقوبة ، وكسر الشهوة ، وإيثار الآخرة على الأولى . ﴿مَنُوعًا﴾ كثير الجزع والأسى .

٢٥ ـ ﴿وَالْمَحْرُومِ﴾ الفقير المتعفِّف عن السؤال ، فيُظَنُّ استغناؤه لتعففه فيُحرَمَ العطاء .

٢٧ - ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون على أنفسهم مع مالَهُم من صالح الأعمال ، استقصارًا لها واستعظامًا لله تعالى .

٣١ - ﴿هُمُ العَادُونَ﴾ المجاوزون الحلالَ إلى الحرام [آية ٧ المؤمنون ص ٤٣٥] .

٣٦ - ﴿فَمَا لِلَّذِين كَفَرُوا .. ﴾ فأيُّ شيء ثبت لهم حال كونهم مسرعين نحوك ، مادِّى أعناقِهم إليك ؛ ليظفروا باستماع ما يجعلونه هُزُوًا . أو مسرعين إليك مديمى النّظرِ الشَّزرِ إليك [آية ٨ القمر ص ٦٨٢] .

٣٧ - ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ أى جماعات متفرّقين عن يمينك وعن شمالك ، وكانوا يجتمعون حلقًا عند الكعبة ؛ فإذا صلى أو قرأ يستهزئون به ، فنزلت . جمعُ عِزةٍ ، وهى الجماعة . وأصلُها عِزْوة من العَزْو ؛ لأن كل فرقة تعتزى إلى غير من تعتزى إليه الأخرى ؛ فلامُها واوٌ . وقيل : لامُها هاءٌ ، والأصل عزهة و(عن اليمين) متعلق بـ(عِزين) .

٣٩ - ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ أى أنهم يعلمون أنا أنشأناهم إنشاءً من مادةٍ ضعيفة ؛ وهو حجّةٌ بيّنةٌ على قدرتنا على إهلاكهم ، لكفرهم بالبعث والجزاء ، واستهزائهم بالرسول والقرآن ، وادّعائهم دخولَ الجنة بطريق السخْرية ، وعلى أن نُنشىء بدلَهم قومًا آخرين خيرًا منهم .

نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَٰقُوا يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

(٧١) سُورَةُ نوح مكيّة
وآياتها ٢٨ نزلت بعد النحل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ

٤٠ - ﴿فَلَا أُقسِمُ بِرَبِّ الْمَشارِق وَالمَغَارِبِ﴾ أقسم . و«لاَ» مزيدة . [آية ٣٨ الحاقة ص ٧٤٥] ، والمَشَارِقُ والمغاربُ : مشارقُ الشمس والقمر والكواكبِ ومغاربُها .

٤١ - ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أى بمغلوبين . أو عاجزين عن أن نأتىَ بقوم آخرين خيرٍ منهم .

٤٣ - ﴿مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ القبور . جمعُ جَدَثٍ . ﴿سِرَاعًا﴾ مسرعين إلى الداعى . ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ النُّصُب - بضمتين - : حجارةٌ كانوا يعظِّمونها [آية ٣ المائدة ص ١٤٢] . وقيل : هى الأصنام . (يوفِضُون) يسرعون . يقال : وفَضَ يَفِض وفْضًا ، عدَا وأسرع ؛ كأَوْفض واستوفض . أى يخرجون من القبور يُسرعون إلى الدَّاعى مستبقين إليه ؛ كما كانوا يستبقون إلى نُصُبِهم ليستلموها .

٤٤ - ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾ ذليلةً خاضعةً ؛ لا يرفعونها لما هم فيه من الخِزْيِ والهوان . ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ يَغْشَاهُم الهوان الشديدُ . يقال : رهقَه الأمرُ يَرْهقه رَهَقًا ، غَشِيَهُ بقهر ؛ كأرهقه . واللهُ أعلم .

لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ
ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى
دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا
فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ
فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟
ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ
لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ
إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾
وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل
لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ
خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ
سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ
ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ

سُورةُ نوح

١ - ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ هو ابن لَمْك بن مَتُّوشَلَح بن أخنوخ ، وهو إدريس عليه السلام . ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ قيل : هم سُكّان جزيرة العرب ومن قَرُب منهم . والمشهورُ : أنه كان يسكن أرضَ الكوفة ، وهناك أُرسِل . ﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾ بأن أنذرهم وحذّرهم عاقبةَ كفرهم ؛ من الإنذار ، وهو إخبارٌ فيه تخويفٌ . يقال : أنذره يُنذره إنذارًا ؛ فهو منذِر ونذير ، وهم منذَرون .

٤ - ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ أى يغفر لكم ذنوبكم ، أو بعضَ ذنوبكم وهو ما سلف قبل الإيمان مما لا يتعلّق بحقوق العباد . ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾ وقت مجيء عذابه إن لم تؤمنوا ﴿لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أى لو كنتم من أهل العلم لسارعتم إلى ما أمركم به . أو لو علمتم أنَّ أجلَ الله إذا جاء لا يؤخَّر - لأنبتم إلى طاعة ربكم .

٦ - ﴿فِرَارًا﴾ تباعُدًا من الإيمان وإعراضًا عنه . والفِرارُ : الرَّوَغانُ والهَرَب . يقال : فَرّ يَفِرُّ فِرارًا فهو فَرُور . وأصلُه الكشفُ عن سِنّ الدّابة ليُعرف ؛ واستُعمل فيما ذُكر لما فيه من الكشف عن مكنونات الصدور .

٧ - ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ سدُّوا مسامعَهم عن استماع الدَّعوة ؛ فهو كنايةٌ عما ذُكر . ﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ بالغُوا فى التغطّى بها . كأنهم طلبوا من ثيابهم أن تغشاهم ؛ لئلا يروْه كراهةً له من أجل دعوته . أو ليُعرِّفوه إعراضَهم . وقيل : هو كنايةٌ عن العداوة ؛ كما يقال : لَبِس لى فلانٌ ثيابَ العداوة . ﴿وَأَصَرُّوا﴾ أقاموا على كفرهم ؛ من الإصرار ، وهو التعقد فى الذَّنب والتشدُّدُ فيه ، والامتناعُ من الإقلاع عنه . وأصلُه من الصَّرة بمعنى الشدة .

١١ - ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ ينزل المطرَ عليكم متتابعًا غزيرًا ؛ وفى ذلك الخصبُ ورغدُ العيش [آية ٦ الأنعام ص ١٦٩] .

١٣ - ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ أى لا تعتقدون له عظمةً . أو لا تخافون عظمته تعالى ؛ فتطيعونه وتخشون عقابه . والاستفهامُ إنكارٌ لوقوع ذلك

نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ

منهم . والرّجاءُ بمعنى الاعتقاد أو الخوف . والوقارُ : العظمة .

١٤ ـ ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ أى وأنتم تعلمون أنه تعالى خلقكم مُدَرَّجًا لكم فى أدوار متعاقبة ، وحالاتٍ مختلفة . والإخلالُ بتوقير مَن هذا شأنه مع العلم به مما لا يكاد يصدر عن عاقل ! جمعُ طَورٍ ، وهو المرَّةُ والتّارة . ويطلق على ما كان على حدّ الشىء وعلى المقدار . وكل ذلك مناسبٌ للمعنى المراد .

١٥ ـ ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ﴾ بيانٌ لآياتٍ آفاقيّة بعد بيان آياتِ الأنفس ؛ للاستدلال بها على ما يوجب عليهم توقيرَ الله وتعظيمَه عزّ شأنه . ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ مُطَابقةً ؛ بعضها فوق بعض ـ كالقِبَابِ ـ من غير مماسّة [آية ٣ الْمُلك ص ٧٣٤] .

١٦ ـ ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ جعله فى سماء الدنيا نورًا للأرض ومن فيها . وإنما قال (فيهن) لأنها محاطةٌ بسائر السماوات ، فما فيها يكون كأنه فى الكلّ . أو لأن كلِ واحدةٍ منها شفافةٌ ؛ فيُرَى الكُلُّ كأنه سماءٌ واحدةٌ ؛ فساغ أن يقال : (فيهن) . والمرجّح الإيجاز والملابسة بالكلية والجزئية ، وكونها طباقًا شفّافة . ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ يُزيل ظلمةَ الليل ، ويبُصِر أهلُ الدنيا فى ضوئها كلَّ شىء ؛ وهى فى السماء الرابعة .

١٧ ـ ﴿أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأرْضِ﴾ أنشأكم من طينتها .

١٩ ـ ﴿الأَرْضَ بِسَاطاً﴾ فراشاً مبسوطاً للاستقرار عليها .

٢٠ ـ ﴿سُبُلاً فِجَاجًا﴾ طُرقًا واسعاتٍ . جمعُ فَجٍّ ، وهو الطريق الواسعُ . وقيل : هو المسلك .

٢١ ـ ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ ضلالاً وذهابًا عن مَحَجّة الصواب . مصدرُ خَسِرَ ـ كفرِح وضَرَب ـ أى ضلّ . ويُطلق على الهلاك .

٢٢ ـ ﴿مَكْرًا كُبَّارًا﴾ عظيمًا بالغ الغايةِ فى العِظَم . يقال : كبيرٌ وكُبَارٌ وكُبَّارٌ ؛ والمشدَّدُ أبلغُ .

٢٣ ـ ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ وهذه الخمسةُ أكبر الأصنام والصور التى كان قوم نوح يعبدونها ، ثم عبدتها العرب من بعدهم كما عبدت غيرها ؛ فكان وَدٌّ لكَلْبٍ بدُومَة الجَنْدَل . وسُوَاعٌ لهُذَيل بساحل البحر أو لهَمْدان . ويَغُوثُ لبنى غُطَيْف من مراد بالجُرْف من سبأ . أو لمراد ثم لغَطَفان . ويَعُوقُ لهَمْدان باليمن ، أو لمراد . ونَسْرٌ لذى الكَلَاع من حمْير .

٢٤ ـ ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ أى أضلَّ الرؤساءُ بهذه الأصنام كثيرًا من الناس فعبدوها من دون الله ! ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالاً﴾ هلاكًا . والجملتان من كلام نوحٍ عليه السلام .

ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾

(٧٢) سُورَةُ الجِنّ مكيّة
وآياتها ٢٨ نزلت بعد الأعراف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ

٢٥ ـ ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾ أى من أجل خطيئاتهم أغرقوا بالطوفان ، لا من أجل أمر آخرَ ؛ فـ(مِنْ) تعليليةٌ و(ما) زائدةٌ .

٢٦ ـ ﴿دَيَّارًا﴾ مَن يسكن دارًا . أو من يدور ويتحرك فى الأرض ذهابًا وجيْئة ؛ من الدّار أو من الدّوَران . وهو التحرُّك . والمرادُ : لا تذر منهم أحدًا . والدَّيّارُ من الأسماء التى لا تُستعمل إلا فى النّفى العام . يقال : ما بالدار ديّار . والمرادُ : ما بها أحدٌ .

٢٨ ـ ﴿تَبَارًا﴾ هلاكًا أو خسارة ودمارًا . يقال : تَبَرهُ يَتْبُرُهُ ـ إذا أهلكه . ويتعدّى بالتضعيف فيقال : تبرّ الله تتبيرًا ومنه : ﴿إنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ﴾ [1] . والله أعلم .

سُورَةُ الجِنِّ

* عالَمُ الجنِّ من العوالِم الكونيّة كعالَم الملائكة ؛ وقد أخبر الله تعالى أنه خلقه من مارجٍ من نار . أى أن عُنْصُرَ النارِ فيه هو الغالب ـ وأنه يَرَى الأناسىَّ وهم لا يروْنه ـ أى بصورته الجِبلّيّة ؛ وإن كان يُرَى حين يَتشكّل بأشكال أخرى ؛ كما رُئى جبريل تشكّل بشكلِ آدمىّ . وأخبر تعالى بأنه قادر على الأعمال الشاقّة . وأنّه سخر الشياطين لسليمانَ يعملون له ما يشاء ـ من محاريبَ وتماثيل وجفَانٍ كالجوابِ . وأخبر بأن من الجن مؤمنين ـ ومنهم شياطين متمرِّدين ؛ ومن هؤلاء إبليسُ اللعينُ . ولم يختلف أهلُ المِلَل فى وجودهم ـ بل اعترفوا به كالمسلمين ـ وإن اختلفوا فى حقيقتهم . ولا تلازمَ بين الوجودِ والعلمِ بالحقائق ـ ولابينه وبين الرؤيةِ بالحواسّ . فكثيرٌ من الأشياء الموجودةِ لا تزال حقائقُها مجهولةً ـ وأسرارُها محجبةً ؛ وكثيرٌ منها لا يُرَى بالحواس . ألا ترى الرُّوحَ ـ وهى مما لا شكّ فى وجودها فى الإنسان والحيوان ـ لم يُدرك كُنْهَها أحدٌ ـ ولم يَرَها أحدٌ ؛ وغايةُ ما عُلِم من أمرها بعضُ صفاتها وآثارها . وكم فى العوالم من أسرار ؛ وفى الكوْن من حُجُب وأستار ـ تشهد بأن وراء علمِ الإنسان علومًا أحاط بها خالقُ الكوْن ومبدعُه ؛ ومنها ما استأثر بعلمه ، ولم يُطلع عليه أحدًا من خلقه .

* وقد بُعث النبىُّ صلى الله عليه وسلم إلى الجنّ ؛ كما بُعث إلى الإنس . فدعاهم إلى التوحيد ، وأنذرهم وبلّغهم القرآن . وسيحاسَبون على الأعمال يومَ الحساب كما يُحاسب الناس ، فمؤمنهم كمؤمنهم ، وكافرُهم ككافرهم . وكلُّ ذلك جاء صريحًا فى القرآن والسُّنة .

١ ـ ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ ..﴾ أوْحَى الله إلى نبيِّه صلى الله عليه وسلم أن

(١) آية ١٣٩ الأعراف .

بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا

جماعةً من الجن ـ وكانوا من جنِّ نَصِيبين ـ استمعوا إليه وهو يقرأ القرآن فى صلاة الفجر فى بَطْن نخلة [وهى فى طريق الطائف على مسيرة ليلة من مكة] فعادُوا إلى قومهم فأخبروهم بما سمعوا، وآمنوا بالله، وكذَّبوا ما دعا إليه سَفِيهُهُمْ من الكفر والضلال [آية ٢٩ الأحقاف ص ٦٤٢]. ﴿قُرْآنًا عَجَبًا﴾ بديعًا مباينًا لما سبقه من الكتب فى خصائصه وعلومه. ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾. داعيًا إلى الرشد والهدى، فى نظم محكم، وأسلوبٍ حكيم. ﴿فَآمَنَّا بِهِ﴾ فصدّقناه وأذْعنَّا له، ومحوْنا من قلوبنا الشِّركَ والضلالَ، وعلمنا ما ينبغى لربِّنا من الكمال. ﴿وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ فى عبادته.

٣ ـ ﴿وَأَنَّهُ﴾ أى الحالَ والشأنَ. ﴿تَعَالَى﴾ تعاظم. ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ عظمتُه وجلالُهُ. أى تعاظمت عظمته، وجلَّ جلالُه عن أن يُنسب إليه ما ينافى ربوبيّته. أو تعاظم ملكُه وسلطانُه عن أن يكون له شريك، أو يكونَ له صاحبةٌ أو ولدٌ كما يزعم المشركون. وقولُه: ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ بيانٌ وتفسيرٌ لما قبله. وقولُه: (وأنّه) ـ بفتح الهمزة ـ معطوفٌ على الضمير فى (به) أو على محل الجار والمجرور فى (فآمنّا به)؛ كأنه قيل: فصدّقناه وصدّقنا أنه تعالى جَدُّ ربِّنا. وكذلك يقال فى توجيه القراءة بالفتح فى الإحدى عشرة آيةً التاليةِ لهذه الآية التى آخرها آية ١٤. وأما قراءتها بالكسر فلعطفها على المحكيّ بعد القول.

٤ ـ ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ إبليسُ اللّعينُ ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ قولاً ذا شَطَط. أى بُعْدٍ عن القَصْد، ومجاوزةٍ للحَدّ؛ إذ نَسب إليه الصاحبةَ والولدَ! أى آمنا بأن قوله ذلك غيٌّ وضلالٌ بعد أن سمعنا القرآن، الدّالَ على الرّشد والحق.

٥ ـ ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ قولاً مكذوبًا، وهو ذلك القولُ الشَّطَط؛ أى حَسِبْنا أن الإنس والجنَّ لا يكذبون على الله بنسبة الشريك والصاحبة والولد إليه، ولذلك صدقناهم فى ذلك حتى سمعنا القرآن؛ فعلمنا بُطلانَ قولِهم وبطلانَ ما كنا نظنّه بهم من الصدق، وآمنا بالحق. فهو اعتذار منهم عن تقليدهم لسفيههم.

٦ ـ ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ..﴾ أى وأنه كان فى الجاهلية رجالٌ من الإنس يستعيذون برجال من الجن حين ينزلون فى أسفارهم بمكان مُوحِشٍ، ويقول قائلهم: أعوذ بسيّد هذا الوادى من شرّ سفهاء قومه؛ فيبيت فى جواره حتى يُصبح. وأوّل من فعل ذلك قومٌ من أهل اليمن، ثم من بنى حنيفة، ثم فشَت هذه الجهالةُ فى العرب؛ فلما جاء الإسلام عاذوا بالله تعالى، وتركوا العَوْذ بالجن ﴿فَزَادُوهُمْ﴾ فزادَ الإنسُ الجنَّ بهذا العَوْذ ﴿رَهَقًا﴾ طغيانًا وسفهًا وجراءةً عليهم. أو إثمًا واستحلالاً لمحارم الله. وأصلُ الرَّهَق: غَشَيانُ المحظور. ومرادُ هذا النّفر: أنهم لمَّا سمِعوا القرآنَ أيقنوا بخطأ الإنس فى هذا العَوْذ،

شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن
يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ
أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾
وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ
قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن
نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن
يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا
ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟
رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾

وبضلال الجن فى الطغيان والإثم.

٧ - ﴿وأنّهُمْ ظنّوا﴾ أى وأن الإنس ظنّوا ﴿كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ أيها الجنُّ على أنه كلامُ بعضِ الجن لبعض ﴿أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ بعد الموت، فأخطأوا وأخطأتم، إذ جاء القرآن بالبعث والحساب والجزاء فآمنا بأنه الحق.

٨ - ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ طلبنا أخبارها كما هى عادتنا؛ وكانوا يستَرقون السَّمع من الملأ الأعلى، ليخبروا به الكهَّان إضلالاً للناس. واللَّمْسُ: المَسُّ؛ فاستُعير للطلب، لأن الماسّ طالبٌ مُتعرِّف. ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾ حُرَّاسًا أقوياءَ من الملائكة يحرسونها من استراق السمع. اسمُ جَمْعٍ لحارس.

﴿وَشُهُبًا﴾ تنْقضُّ على مستَرِق السَّمع [آية ١٨ الحجر ص ٣٣٥].

٩ - ﴿مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ مواضعَ فى السماء نقعد فيها لاستراق السمع. ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ﴾ بعد نزول القرآن الذى بُعث به الرسول صلى الله عليه وسلم. ﴿يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ مُرْصَدًا؛ أى مُعَدًّا ومُهيّأً له، يَنْقضُّ عليه فيصيبه؛ فمُنع الاستراقُ بعد المبعث ونزول القرآن. والصحيحُ أن الرّجْم كان موجودًا قبل المبعث؛ فلما بُعث صلى الله عليه وسلم كثُر وازداد، كما مُلِئت السماء بالحُرّاس. وليس فى الآية دلالةٌ على أن كلَّ ما يحدث من الشُّهُب إنما هو للرَّجْم؛ بل إنهم إذا حاولوا استراقَ السّمع رُجموا بالشُّهب. وإلّا فالشُّهبُ الآن وفيما مضى قد تكون ظواهرَ طبيعيّةً، ولأسبابٍ كوْنيّة.

١٠ - ﴿رَشَدًا﴾ خيراً وصلاحاً ورحمة.

١١ - ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ﴾ أى الموصوفون بصلاح الحال واستقامته، وهم الأخيار. ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أى غير ذلك، وهم الأشرار. ﴿كُنَّا﴾ قبلَ استماعِ القرآن. ﴿طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ أى مذاهبَ متفرقة مختلفة. جمعُ طريقة، وهى الحالةُ والمذهبُ. وجمع قِدّةٍ، وهى الفِرقةُ من النّاس هَوَى كلٍّ واحدٍ على حِدَة. والجملةُ بيانٌ لسابقتها.

١٢ - ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا ..﴾ تيقّنا الآن بعد سماعِ القرآن أننا فى قبضته تعالى وسلطانه، لن نفوته بهرب ولا غيرِه إن طَلَبنا.

١٣ - ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ﴾ أى القرآن. ﴿آمَنَّا بِهِ﴾ صدّقنا أنه من عند الله ﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا﴾ نقصًا من ثوابه. ﴿وَلَا رَهَقًا﴾ ظلمًا يلحقه بزيادة فى سيئاته. أو غَشيانَ ذِلّةٍ بحمل سيّئات غيره عليه.

١٤ - ﴿وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ الجائرون العادلون عن الإسلام وقَصْدِ السبيل. جمعُ قاسِطٍ،

وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾

أى عادل عن الحق . اسمُ فاعلٍ من قَسَط الثلاثى بمعنى جار . بخلاف المُقْسِط ، فإنه العادل إلى الحق ؛ من أقسط الرباعى بمعنى عدل . وحقيقةُ أقسط : أزال القِسْط وهو الجور ؛ فالهمزةُ فيه للسَّلب . ﴿تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ قَصدوا طريقَ الحق والهدى ، وتَوَخَّوْه باجتهاد . يقال : حرَى الشيءَ يَحْرِيه ، أى قصد حَرَاه أى جانبه . وتحرَّاه كذلك . والرَّشَدُ : خلافُ الغَىّ ، ويُستعمل استعمالَ الهداية .

١٥ - ﴿حَطَبًا﴾ وقودًا توقد به .

١٦ - ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ .﴾ هو من قول الجن . مَعْطُوفٌ على قوله (أنَّه استَمَعَ) واسمُ (أنْ) المخففة ضميرُ الشأن . ﴿لَأَسْقَيْنَاهُمْ ماءً غَدَقًا﴾ كثيرًا غزيرًا . يقال : غَدِقَت العينُ - كفَرِح - ، كثُر ماؤها فهى غَدِقَةٌ . والمرادُ أن الإنس والجن لو استقاموا على الإسلام لوسَّعنا عليهم الأرزاقَ ، ومتَّعْناهم بالعيش الرغيد . وخُصَّ الغَدَقُ بالذكر لأنه أصلُ المعاش والسعَة .

١٧ - ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لنختبرهم فيه ؛ أى لنعاملهم معاملةَ المختبِر ؛ ليظهر للخلائق كيف شكرهم فيما خوَّلناهم من النعم . ﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ يُدخله عذابًا شديدًا شاقًّا . والصَّعَدُ : المشقّةُ . يقال : فلانٌ فى صَعَدٍ من أمره ، أى فى مشقَّة . وهو مصدر صَعِدَ - كفَرِح - صَعَدًا وصعودًا . وُصف به العذابُ مُؤَوَّلاً باسم الفاعل .

١٨ - ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ أى وأُوحِىَ إلىَّ أنَّ المساجدَ - وهى المواضعُ المعَدَّةُ للصلاة والعبادة - مختصَّةٌ بالله تعالى وعبادتِه وحدَه . وكان اليهود والنصارى يشركون بالله فى كنائسهم وبِيَعهم ؛ فأمر الله المؤمنين أن يُفردوه فى المساجد بالعبادة ، ولا يدعوا فيها أحدًا دونه .

١٩ - ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ﴾ محمدٌ صلى الله عليه وسلم ﴿يَدْعُوهُ﴾ يعبد الله فى صلاة الفجر بنخْلَة . ﴿كَادُوا﴾ أى الجن ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ أى متراكمين من الازدحام عليه ؛ تعجُّبًا مما شاهدوه من صلاته ، وسَمِعوه من قراءته ، ومن كمال اقتداء أصحابه به فى الصلاة قيامًا وركوعًا وسجودًا ؛ إذ لم يكن لهم عهدٌ بذلك من قبلُ . وقيل : الضمير فى (كادوا) لكفار قريش والعرب ؛ أى وأنه لمّا قام يدعو لربِّه وحدَه ، ويُنذر من أشرك به ؛ كادوا لتظاهرهم عليه يزدحمون عليه متراكمين ليطفئُوا نوره ، ولكن الله أبى إلّا أن يُتمَّ نوره وينصرَ رسولَه . و(لِبَدًا) جمع لِبْدة - ككِسْرة وكِسَر - : وهى الجماعة ؛ شُبِّهت بالشىء الملبَّد بعضه على بعض .

٢١ - ﴿رَشَداً﴾ نفعاً أو هداية .

٢٢ - ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِى مِنَ اللهِ أَحَدٌ﴾ أى لن يمنعنى منه تعالى أحدٌ من خلقه إن أرادنى بسوء ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ ملجأً يُركَن إليه . يقال : الْتَحَدَ إلى كذا ، مال إليه .

إِلَّا بَلَـٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَـٰلَـٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

(٧٣) سُورَةُ المزمّل مكيّة

إلا الآيات ١٠ و ١١ و ٢٠ فمدنية
وآياتها ٢٠ نزلت بعد القلم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ

٢٣ ـ ﴿إِلَّا بَلَاغًا﴾ أى لا أملك لكم شيئًا إلا بلاغًا إليكم .

٢٤ ـ ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ إذا حلّ بهم العذاب فى الآخرة ﴿مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ أجندُ الله الذين آمنوا به ، أم هؤلاء المشركون به !

٢٥ ـ ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّى أَمَداً﴾ غايةً بعيدةً . والمرادُ : أنكم ستعذَّبون حتمًا ، ولكن لا أدرى ! أهو حالٌّ أم مُؤَجَّلٌ إلى أمدٍ بعيد !

٢٧ ـ ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ..﴾ فإنه يُظهره على ما شاء من غيبه ؛ ليكون إخبارُه عنه معجزة له دالة على صدقه ، وليخبر الناس بما يتعلق منه برسالته وشئون الآخرة من البعث والحساب والجزاء والخلود . فإذا أراد سبحانه إظهارَه عليه يسلك من جميع جوانبه حَرَسًا من الملائكة يحرسونه من تعرّض الجن لما يريد إظهاره عليه ؛ لئلا يسترقوه ويهمسوا به إلى الكهنة قبل أن يبلّغه الرسول . وليحفظوه من وساوس الجن وتخاليطهم حتى يبلّغ رسالة ربه إلى الناس .

٢٨ ـ ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا ..﴾ أى أخبرناه صلى الله عليه وسلم بحفظنا الوحى ؛ ليعلم أن الرسل قبله كانوا على حالته من التبليغ بالحق والصدق ، وأنه حُفِظ كما حُفظوا من الجن . ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أى وقد أحاط الله بكل ما عند الرسل والملائكة ، وعلِم عدد الأشياء كلّها ، فلم يخف عليه شىء منها . ﴿أَحْصَى﴾ ضبط ضبطاً كاملاً ، والله أعلم .

سُورَةُ الْمُزَّمِّل

* روى البخارى فى صحيحه عن جابر بن عبد الله قال : سمعت النبىَّ صلى الله عليه وسلم وهو يحدِّث عن فَتْرة الوحى فقال فى حديثه : (.. فبينا أنا أمشى إذ سمعت صوتًا من السماء فرفعت رأسى فإذا المَلَك الذى جاءنى بحراء جالسٌ على كُرسىٍّ بين السماء والأرض فَجَئِثْتُ [فَزِعْتُ] منه رُعْبًا فرجعتُ فقلت زَمِّلُونى زَمِّلُونى فدثّرونى ـ وفى رواية ـ فَزَمَّلُونى) فأنزل الله تعالى (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّر) إلى (والرُّجْزَ فاهْجُر) . وقال المفسِّرون : وعلى أثرها نزلت (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّل) .

١ ـ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ أى المتزمِّل

أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ

فى ثيابه ، المتلفِّفُ فيها ؛ نودِى بذلك تأنيسًا له وملاطفةً ؛ على عادة العرب فى اشتقاق اسمٍ للمخاطَب من حالته التى هو عليها . يقال : زمَّلته بثوبه تزميلاً ؛ مثلُ لففته فتلفّف .

٢ : ٤ - ﴿قُمِ اللَّيْلَ﴾ للصلاة والعبادة . ﴿إِلَّا قَلِيلاً﴾ منه ﴿نِصْفَهُ﴾ بدلٌ من (قليلاً) ؛ أى فلا تقم هذا النصف للصلاة واتّخذْه للنوم والراحة . ووُصف بالقِلّة للإشارة إلى أن النصف الآخَرَ العامرَ بالقيام للصلاة بمنزلة الأكثر فى الثواب والفَضِيلة بالنسبة لهذا النصف الخالى منه . ﴿أَوِ انْقُصْ مِنْهُ﴾ أى من هذا النصف الخالى من القيام ﴿قَلِيلاً﴾ حتى يصيرَ ثُلُثًا ، وتكون مدّة القيام الثلثين ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ أى على هذا النصف قليلاً حتى يصير ثلثين ؛ فتكون مدّةُ القيام ثلثًا . فأوجب الله تعالى على نبيّه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته قيام الليل ، وخيَّره بين قيامِ النّصف تامًّا ، وبين قيام الثلثين ، وقيام الثلث ؛ فصار هو وأصحابه يقومون كلَّ الليل خشيةَ الإخلال بشىء من المقدار المعيَّن لعدم التمكن من ضبطه . واشتدَّ ذلك عليهم حتى انتفخت أقدامهم ؛ فرحمهم الله تعالى بالتخفيف عنهم ، فنسخ وجوب قيام هذا المقدار المعيّن فى حقّه وحقِّ أُمّته بقوله فى آخر السورة : (فَتَابَ عَلَيْكُمْ فاقرأوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ) أى فصلوا بالليل ما تيسّر لكم دون تحديدٍ بالمقادير المعيَّنة . ثم نُسخ وجوبُ القيامِ فى حقه صلى الله عليه وسلم وحق الأمة بفرض الصلوات الخمس مع ضَميمة قوله صلى الله عليه وسلم للأعرابى حين سأله عن الصلوات الخمس بقوله علىّ غيرها يا رسول الله ؟ قال : (لا إلاّ أن تطوّع)[1] . وقيل : فى حق الأمة فقط . وبقى الوجوب فى حقّه صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى : (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ)[2] أى فريضةً زائدةً على الصلوات الخمس خاصّةً بك . وكان بين النّاسخ والمنسوخ نحوُ سنةٍ - كما روى فى الصحيح - بناءً على أن السورة كلَّها مكيّةٌ ، وهو الراجح . وقيل : نحوُ عشر سنين ؛ بناءً على أن آخرَها مدنىٌّ . وقيل : كان القيام فرضًا على النبىّ صلى الله عليه وسلم وحده ؛ لتوجُّه الخطاب له . وهو قولٌ قوىّ . ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ أى بيِّنه تبيينًا . وفصِّلْه تفصيلاً أثناء ما ذكر من القيام ؛ لأن ذلك أعونُ على تأمُّله . وأثبتُ لمعانيه فى القلب ؛ من قولهم : ثَغْرٌ رَتْلٌ ، أى مُفَلَّجُ الأسنان لم يتّصل بعضها ببعض .

٥ - ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ . .﴾ أى لا تُبال مشقّةَ هذا القيامِ الذى أوجبناه عليك ؛ لأنه مهما بلغ ، أسهلُ مما سيَرِد عليك فى الوحى المنزَّل من التكاليف الكثيرة ، فانهض به . ومرِّن به نفسَك على تحمُّل المَشاقّ . والمرادُ من القول : وَحْىُ القرآن . وثقيلاً أى على المكلّفين ما فيه من الفرائض والحدود ومنها الجهاد . أو شديدًا عليك تحمُّله ؛ وقد كان صلى الله عليه وسلم يلَقى من الوحى شدّة عظيمةً .

٦ - ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ أى إن العبادة التى تحدث فى الليل ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْأً﴾ ثباتًا فى القلب ورسوخًا فيه . ﴿وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ أبينُ قولاً ، وأشدُّ مقالاً ، وأصوبُ قراءةً من عبادة النهار ؛ لحضور القلب ، وهدوء الأصوات والحركة بالليل ؛ وذلك أجمعُ للفكرة ، وأبعث على التأمُّل والاستفادة . وقيل

---

(١) رواه البخاري . (٢) آية ٧٩ الإسراء .

تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُولِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾

الناشئةُ : النفسُ المتهجِّدةُ التي تنشأ من مضجعها - أي تنهض - إلى العبادة ؛ من نشأ من مكانه ونشر : إذا نهض . أو هي ساعاتُ اللّيل وأوقاتُه ؛ لأنها تنشأ واحدةً بعد واحدة . أي متعاقبةً . والمرادُ : الحثُّ على الاستدامة على هذه العبادة الليليّة . والترغيبُ فيها بذكر مزاياها وآثارها في ترويض النفوس وشحْذِ القوى ؛ استعدادًا للقيام بما سيشرع من التكاليف .

٧ - ﴿سَبْحًا طَوِيلاً﴾ تقلّبًا وتصرُّفًا في مُهمّاتك . واشتغالاً بأعباء الرسالة ؛ فلا تستطيع أن تتفرّغ للعبادة تفرُّغًا تامًّا إلا في الليل . فعليك بها فيه - من السَّبْح . وأصله المرُّ السريعُ في الماء . واستُعير لما ذُكر .

٨ - ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ أي دُمْ على ذكره تعالى ليلاً ونهارًا بالتّسبيح والتّحميد والصّلاة وتلاوة القرآن وغير ذلك ؛ فهو تعميم بعد التخصيص . ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ انقطعْ إليه تعالى في العبادة والدّعاء انقطاعًا . وجرِّد نفسَك من كلّ ما سواه ؛ من التَّبتُّل ؛ وهو الانقطاع إلى عبادة الله عز وجل . ومنه بَتَلْتُ الحَبْلَ : أي قطعتُه .

١٠ - ﴿وَاهْجُرْهُم هَجْرًا جَمِيلاً﴾ أي لا جزعَ فيه . قيل : هو منسوخ بآية القتال .

١١ - ﴿ذَرْني وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ دعني وإياهم فسأكفيكهم ﴿أُولي النَّعْمَةِ﴾ أهل التَّنعُّمْ والتَّرفُّه وغضارة العيش في الدنيا .

﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً﴾ أي زمانًا قليلاً هو مدة الدنيا . أو المدّة الباقيةُ إلى يوم بَدْر . ثم يعذَّبون أشدّ العذاب .

١٢ - ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً﴾ قيودًا شديدة . واحدها نِكْل - بكسر أوّله - وهو القَيْد الشديدُ يوضع في الرِّجْل لمنع الحركة . وسُمّيت القيودُ أنكالاً لأنها يُنْكَلُ بها أي يُمنع .

١٣ - ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ يَنْشَبُ في الحلوق ، لا هو نازلٌ ولا هو خارجٌ . وهو الزَّقُوم [آية ٦٢ الصافات ص ٥٦٨ وآية ٤٣ الدخان ص ٦٣٢] والغِسْلين [آية ٣٦ الحاقة] والضّريع [آية ٦ الغاشية] وسيأتي بيانه . والغُصَّة : ما يَنْشَب في الْحَلْق من عَظْم أو غيره وجمعها غُصَص .

١٤ - ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ أي استقرَّ ذلك العذابُ لدَينا يوم تضطرب الأرض والجبال وتتزلزل بما عليها وهو يوم القيامة ؛ من الرَّجْف ، وهو الاضطراب الشديد . ومنه الرَّجفةُ ، والإرجافُ ، وبحرٌ رجّافٌ . ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا﴾ أي وتكون الجبال رملاً مجتمعًا ، بعد أن كانت أحجارًا صُلبةً عظيمةً ؛ من كَثَب الشيءَ يَكْثُبه ويَكْثِبه : جَمعه من قُرْب وصبَّه . وجمعُه كُثُبٌ وأكثِبةٌ وكُثْبانٌ ؛ وهي تِلالُ الرَّمل . ﴿مَهِيلاً﴾ سائلاً مُتناثرًا بعد اجتماعه . والمَهيلُ : الذي يحرّك أسفله فينهال عليه من أعلاه ويتتابع .

فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ * إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

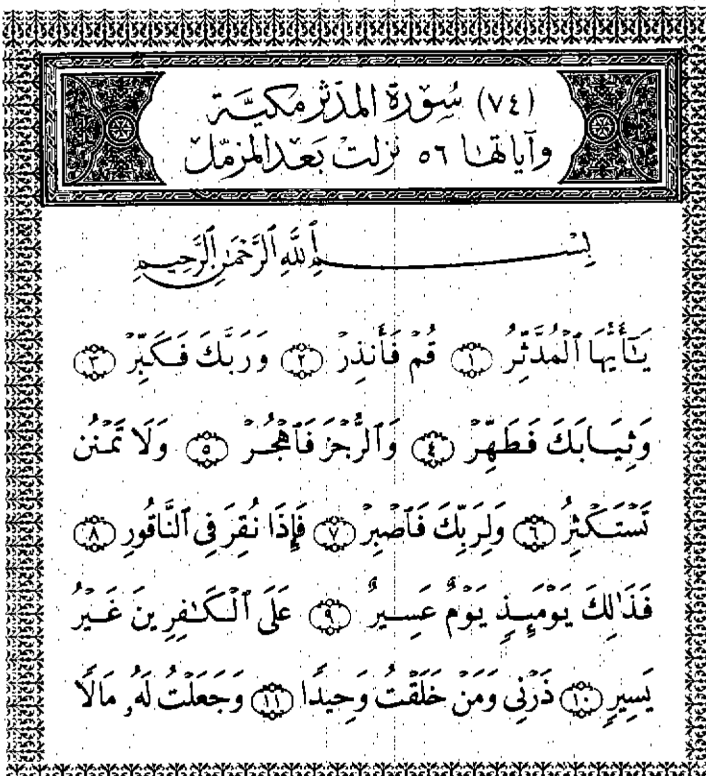
ربع الحزب

١٦ - ﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً﴾ ثقيلاً شديدًا ، ردىء العُقْبى. يقال : ضَرْبٌ وبيلٌ ، أى شديدٌ. وكَلأٌ وَبيلٌ : أى وَخِم لا يُستمرأُ لثقله. واستوبل فلانٌ كذا : لم يحمد عاقبته.

١٨ - ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ أى السماء مع عظمها شىءٌ منشقٌ فى ذلك اليوم ؛ لشدّته وهَوْله. وقيل : التذكيرُ لتأويل السّماء بالسّقف. أو لأنّ السماءَ اسمُ جنسٍ واحده سماوَة ؛ فيجوز فيه التذكيرُ والتأنيث. والباءُ فى (بِهِ) بمعنى فى ، والضميرُ عائدٌ إلى اليوم.

٢٠ - ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ﴾ شروعٌ فى بيان النّاسخ للقيام المأمور به فى أوّل السورة وحكمةِ نسخه. ﴿أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَىِ اللَّيْلِ﴾ أى زمنًا أقلَّ منهما بيسير. أفعلُ تفضيل ؛ من دنا : إذا قَرُبَ. واستُعمل فى القلة مجازًا للزومها للقُرْب ؛ لأن المسافةَ بين الشيئين إذا دنت قلَّ ما بينهما من الأحياز. ﴿وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾ أى وتقوم نصفه وتقوم ثلثه ؛ فهو عطفٌ على (أدنى). وقُرِئ بالجرِّ عطفًا على ﴿ثُلُثَىْ﴾ أى أقلَّ من نصفه وأقلّ من ثُلثه ﴿وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ أى وتقوم معك طائفةٌ من أصحابك. والباقون يقومون فى منازلهم. ﴿وَاللهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ فلا يعلم ساعاتها كما هى إلّا هو سبحانه. ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ﴾ تأكيدٌ لما قبلَه ؛ أى علِم أن لن تستطيعوا ضبطَ الساعات التى يستغرقها القيام المأمورُ به. إلا أن تأخذوا بالأوْسع والأحْوط ؛ وذلك شاقٌ عليكم. ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ أى بالتّرخيص لكم فى ترك القيام المقدَّر بتلك المقادير الثلاثة ، ورفع التَّبِعة عنكم فى تركه. ﴿فَاقرأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ أى فصلوا ما تيسّر لكم من صلاة اللّيل دونَ تقدير بجزء معيَّن منه. وسُمِّيَت الصلاةُ قرآنًا كما فى قوله تعالى : (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ)[1] أى صلاته ؛ تسميةً لها باسم رُكنها ، كما سُمِّيَت قيامًا وركوعًا وسجودًا. وقدَّمنا أوّل السُّورة ما يتعلق بنسخ هذا الناسخ. ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى..﴾ بيانٌ للأسباب الدّاعية إلى النسخ ، بعد أن امتحنهم الله بالقيام وقاموا به لوجهه تعالى كما أمرهم ؛ بقدر طاقتهم مدَّةً من الزمن ليست بالقصيرة. ﴿وَيَضْرِبُونَ﴾

(١) آية ٧٨ الإسراء.



يسافرون للتجارة ونحوها . ﴿ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ المفروضة ﴿ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ قيل : المفروضة ؛ فتكون مدنيّة والراجح أن الآية مكيّة ، والمرادُ بالزكاة الصدقاتُ التي بها طُهْرةُ النفوس . أو الزكاة المفروضة من غير تعيين ؛ فقد قيل : إن الزكاة فُرضت بمكة من غير تعيين لأنصباء ، والذي فُرض بالمدينة تعيينُها . ﴿ قَرْضاً حَسَناً ﴾ احتساباً بطيبة نفس . والله أعلم .

سُورَةُ الْمُدَّثِّر

١ - ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ أي المتلفِّفُ بثيابه ؛ مِن تدثّر : أي لبس الدِّثار ، وهو ما كان من الثياب فوقَ الشِّعار الذي يلي البدَن . نُودِيَ صلى الله عليه وسلم باسمٍ مشتقٍّ من صفته التي كان عليها ؛ كما قدّمنا في أوّل سورة المزّمل .

٢ : ٦ - ﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ انهضْ فخوِّف عشيرتك الأقربين العذابَ ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾[1] . أو جميعَ الناس ، وبلِّغهم رسالةَ ربك ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[2] ؛ من الإنذار ، وهو إخبارٌ معه تخويف . ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ أي اخْصُص ربَّك بالتكبير والتعظيم . ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ أي ونفسَك فطهِّرْ عما تُذَمُّ به من الأفعال . أو فطهِّرْ من الذنوب والآثام . وهو كما يقال : فلانٌ طاهرُ الثياب ، ونقيُّ الثياب : إذا وصفوه بالنّقاء من المعايب أو من الآثام . والنبيُّ صلى الله عليه وسلم مأمورٌ بالدوام على الطهارة الحسِّيّة والمعنوية في كل شئونه ؛ وقد طبعه الله عليها ، وكمّله بها تكميلاً . ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ اتركِ الأصنامَ والأوثانَ . أو المآثمَ والمعاصي المؤدية إلى العذاب ، ولا تتخلّق بأخلاق هؤلاء المشركين . أي دُمْ على ترك ذلك واثْبت عليه . والرُّجز - بالضم والكسر - : العذاب ؛ كالذُّكر والذِّكر . والمرادُ : هجرُ ما يؤدِّي إليه . وقيل : المضمومُ بمعنى الصَّنم أو عبادة الأوثان . والمكسورُ بمعنى العذاب ، أو النقائص والفجور . ﴿ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴾ لا تُعْطِ أحدا شيئًا طالبًا للكثير عِوَضًا عنه ؛ فهو نهيٌ عن الاستعواض نهيَ تحريم ، فيحرُم عليه أن ينتظر العِوَضَ عما أعطَى . وهو خاص به صلى الله عليه وسلم ؛ لأن الله تعالى اختار لنبيّه أشرفَ الآدابِ وأحسنَ الأخلاق . أمّا بالنسبة لأمته فهو جائز . وقيل : النّهيُ للتّنزيه بالنسبة له صلى الله عليه وسلم ولأمته . أو لا تُنعِم على أحد بشيء رائيًا ما أنعمت به كثيرًا ؛ لأن ذلك لا يليق بك .

٨ - ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴾ أي نُفخ في الصُّور النَّفخةُ الثانيةُ ؛ من النَّقر بمعنى التّصويت . وأصلُه : القَرْعُ الذي هو سببه .

١١ - ١٥ - ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا .. ﴾ أي اتركني وهذا

(١) آية ٢١٤ الشعراء . (٢) آية ٢٨ سبأ .

مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا

الذى خلقته وحيدًا فريدًا ، لا مالَ له ولا ولد . وهو الوليد بنُ المغيرة المخزومّى . ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدودًا﴾ كثيرًا يمُدُّ بعضُه بعضًا ، دائمًا غيرَ منقطع . ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ حضورًا معه بمكة لا يغيبُون عنه ؛ لعدم احتياجهم للغياب فى طلب الكسب . ﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا﴾ بسطتُ له الجاه والرياسة . وأصلُ التمهيد : التسويةُ والتهيئةُ ؛ ومنه مَهْدُ الصبى ، وتُجوِّز به عما ذُكر. ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ أى ثم لشدّة حرصه وطمعه يطمع فى زيادة ما أنعمتُ به عليه ؟! . دَعْنى وإياه فأنا أكفيكَهُ ، وأغنيك فى الانتقام منه ـ لشدة كفره وطغيانه ـ عن أىّ منتقم .

١٦ ـ ﴿كَلَّا﴾ كلمة ردع وزجر عن الطمع الفارغ . ﴿إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً﴾ جحوداً ، أو معانداً ، أو مجانباً للحق [آية ٥٩ هود ص ٢٩٤ ، ١٥ إبراهيم ص ٣٢٩] .

١٧ ـ ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ سأُغْشيه عقبةً شاقّةَ المَصْعد . وهو مَثَلٌ لما يُلقى من العذاب الشاقّ الصَّعْب الذى لا يُطاق ، ولا راحة منه . يقال : رَهِقَه الأمرُ يَرْهَقُه ، غشيَه بقهر .

١٨ ، ٢٢ ـ ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ﴾ أى ردّدَ فِكرَه وأداره تابعًا لهواه فيما يقوله طعنًا فى القرآن . ﴿وَقَدَّرَ﴾ أى وهيّأ ما يقوله فى نفسه فقال : (إنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ) . يقال : قدرتُ الشىء أُقَدِّرُهُ ، إذا هيأتُه . وتقدّر ـ بالتشديد ـ : تهيأ . ﴿فَقُتِلَ﴾ أى فلُعِنَ ؛ أو عُذِّب ؛ وهو دعاء عليه . ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾ استفهامُ تعجيبٍ من تقديره ، وإنكار وتوبيخ . ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ قطّب ما بين عينيه لمّا لم يجد فى القرآن مطعنًا ، وضاقت عليه مذاهبُ الحِيَل فيما يقوله فيه . يقال : عَبَس يعْبِس عَبْسًا وعُبُوسًا ، إذا قطّب جبينَه وكَلَح وجهه . وأصلُه من العَبَس ، وهو ما تعلّق بأذناب الإبل من أبوالها وأبعارها وقد جَفَّ عليها . وباعتبار اليُبس والتَّقَبُّض أُطلِق على ما ذُكر عبوسٌ . ﴿وَبَسَرَ﴾ إتباعٌ لما قبله أو تأكيد له ؛ أى كَلَحَ وجهُه . يقال : بَسَرَ يَبْسُرُ بَسْرًا وبُسُورًا ، إذا قَبَض ما بين عينيه كراهيةً للشىء ، واسوَدَّ وجهُه منه . ومنه وجه باسرٌ : أى منقبضٌ أسودُ . أو أظهر العُبوس قبل أوانه ؛ من البَسْر بمعنى الاستعجال بالشىء . يقال : بسَرَ الرجلُ الحاجة ، طلبها فى غير أوانها . وبَسَر الفحلُ الناقة : ضربها قبل أن تَطْلُب .

٢٤ ـ ﴿سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ يروى ويتعلم من السحرة .

٢٦ ـ ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ أى سأُدخله سَقَر ليذوقَ حرَّها ؛ وهى طبقٌ من أطباق جهنم . والجملة بدل من (سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً) .

٢٩ ـ ﴿لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ هى مُغيِّرةٌ للبَشَرات ، مسوِّدَةٌ للجلود ، تلفحُها لفحةً فتدعُها أشدَّ سوادًا من الّليل فى أوّل الملاقاة ثم تهلكها . صيغةُ مبالغةٍ ؛ من لوّحته

أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً
لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ
مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ
وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ
إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾
وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا
لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ
نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾
فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ
فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ
ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ

الشّمسُ : إذا سودّت ظاهرَه وأطرافَه . والبَشَرُ : جمعُ بَشَرة ، وهي ظاهر الجلد . وجمعُ البَشَر أبشار .

٣٠ ـ ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ مَلَكًا يَلُون أمرَها .

٣١ ـ ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ أي ما أخبرنا بعدّتهم هذه ﴿إِلَّا فِتْنَةً﴾ ابتلاءً ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لاستبعادهم تولى تسعةَ عشر مَلَكًا تعذيبَ أكثر الثَّقَلَيْن ، واستهزائهم بذلك وأصلُه إنكارُهم البعث . ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ﴾ أي ليكتسب أهْلُ الكتابيْن اليقينَ بنبوّته صلى الله عليه وصدق القرآن لموافقته لها في عدَّتهم . ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً﴾ أى بهذا العَدَد المستغرب استغرابَ المَثَل . يريدون بذلك نَفْيَ أن يكون من عند الله تعالى . ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ أىْ وما يَعْلَمُ خلائقه الذين منهم هؤلاء الملائكة من حيث العدد والقوة والتسخير إلّا هو عزَّ وجلَّ ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾ أى وما سَقَر وصفتُها إلا تذكرةٌ وموعظةٌ للناس . أو وما هذه العدّة إلا تذكرةٌ وعظةٌ ؛ من جهة أنّ في خلقه ما هو في غاية العِظم والقوّة حتى يكفى القليلُ منهم لإهلاك الكثير الذي لا يُحصَى .

٣٣ ـ ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ وَلَّى ذاهبًا . وقرىء (دَبَرَ) وهما لغتان بمعنًى واحد .

٣٤ ـ ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ أضاء وانكشف .

٣٥ : ٣٧ ـ ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾ إنَّ سَقَر لإحدى الدَّواهى الكُبَر . أى إنها من بين البلايا العظيمة لَواحدةٌ في العظم لا نظيرَ لها . ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ أى إنذارًا لهم ، وهو تمييز (لإحدى الكبر) أو منذرةً لهم . ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ ..﴾ أى نذيرًا للذين إن شاءوا تقدّموا للخير ففازوا ، وإن شاءوا تأخروا عنه فهلكوا . أو منذرةً للمتمكّنين من السعى إلى الخير والتخلّف عنه .

٣٨ ـ ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ أى مرهونةٌ بكَسْبها عنده تعالى . مأخوذةٌ بعملها ؛ فإمّا خلّصها وإمّا أوبَقَها .

٣٩ ـ ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ وهم المؤمنون المخلصون ؛ فإنهم فاكُّون رقابَهم بما أحسنوا من

بَيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

(٧٥) سُورَةُ القِيَامَةِ مَكِّيَّة وآياتها ٤٠ نزلت بعد القارعة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ



الأعمال ، كما يفكُّ الراهن رهنَه بأداء الدِّين .

٤٢ - ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ أى شىء أدخلكم ؟

٤٥ - ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الخَائِضِينَ﴾ كنّا نشرع فى الباطل مع الشارعين فيه ، لا نتورّع عن شىء منه [آية ١٤٠ النساء ص ١٣٥] . وأكثر ما استُعمل الخوض فى القرآن فيما يُذَمُّ الشروعُ فيه .

٤٦ - ﴿بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ بيوم البعث والحساب والجزاء

٥٠ : ٥١ - ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنفِرَةٌ﴾ كأنّ هؤلاء الكفارَ فى إعراضهم عن القرآن حُمُرٌ وحشيّةٌ نافرةٌ ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ هَرَبت من أسد ؛ من القَسْر بمعنى القهر ؛ لأنه يقهر السّباع . أو من جماعةِ الرُّماة الذين يصطادونها .

٥٢ - ﴿صُحُفاً مُنَشَّرَةً﴾ كُتُباً مفتوحةً غيرَ مطوية ، يقرؤها كلُّ من يراها . وهو كقولهم : (وَلَنْ نُؤمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرَؤُهُ)[1] . والله أعلم .

٥٦ - ﴿أَهْلُ التَّقْوَى﴾ أهلٌ أن يتقيه عباده

سُورَةُ القِيَامَةِ

١ : ٢ - ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ..﴾ أى أُقسِم به . وأُقسِم بالنَّفْس اللّوامة . (ولا) زائدةٌ فى الموضعين ؛ كما فى قوله تعالى : (لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ)[2] ، (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ)[3] ، وقولهم : لا وأبيك . إذ لا فرْقَ بين زيادتها أوّلَ الكلام أو وسَطه . وقيل : هى نفىٌ وردٌّ لكلامٍ مضى من المشركين ؛ حيث أنكَروا البعث والجزاء . كأنه قيل (لا) ! أى ليس الأمرُ كما زعموا . ثم قيل : أُقسِم بيوم القيامة الذى يُبعث فيه الخلقُ للجزاء . وأقسم بالنُّفوس اللّوامة ، المتّقية التى تلوم أنفسها على ما فات ، وتَنْدَمُ على الشر لِمَ فعلته ! وعلى الخير لِمَ لَمْ تستكثِر منه ! فهى على الدّوام لائمةٌ لأنفسها . وجوابُ القَسَم محذوفٌ لدلالة ما بعده عليه ؛ أى لتُبعَثُنّ وتُحاسَبُنّ على ما عملتم .

٣ ، ٤ - ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ بعد التفرُّق والبِلَى !؟ استفهامُ تقريعٍ وتوبيخ . والمرادُ بالإنسانِ جنسُه ، أو الكافرُ المنكرُ للبعث . وخُصّ العِظام بالذكر لأنها قالبُ الخلق . ﴿بَلَى﴾ نجمعها ونؤلّف بينها ونردّها إلى أماكنها من الجسم كما كانت ؛ بعد تفرّقها وصيرورتها

(١) آية ٩٣ الإسراء . (٢) آية ٢٩ الحديد . (٣) آية ٦٥ النساء .

عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ

رميمًا ورُفاتًا حيثما كانت. ﴿قَادِرِينَ﴾ حالٌ من فاعل الفعل المقدَّر بعد (بَلَى) أي نجمعها قادرين. ﴿عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ أي نجعلها مستويةَ الخلْق. يقال: سوَّى الشيءَ: أي جعله سَويًّا أي مُستويًا. والبَنَانُ: الأصابع أو الأنامل، جمع بَنَانة. ويقال لكل مِفصل منها: بَنَانةٌ. أي قادرين على أن نجعل أصابعَه أو أنامله بعد جمعها وتأليفها خلْقًا سويًّا كما كانت قبلَ الموت. وخُصّت بالذكر لأنها آخرُ ما يتمُّ به الخلْق؛ فذكرُها يدلُّ على تمام خلق سائر الأعضاء. أو قادرين على أن نُسوِّيَ ونضُمَّ سُلامياتِه، مع صغرها ولطافتها؛ كما كانت في الحياة الأولى فكيف بالعظام الكبار!؟

٥، ٦ - ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ أي بل أيريد أن يمضِيَ قُدُمًا في الفجور فيما بين يديه من الأوقات وما يستقبله من الزمان ويدوم عليه! لا يثنيه عنه شيء ولا يتوب منه؛ ومن ذلك إنكارُه البعثَ وسؤالُه عنه سؤالَ استهزاءٍ بقوله: ﴿أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ أي متى يكون!

٧: ١٠ - ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ وقرئ بفتح الراء، وهما لغتان بمعنًى واحد. أي تحيَّر فزَعًا ودهشًا من رؤية ما كان يكذّبه. وأصْلُه من بَرِق الرّجل - كفَرِح ونَصَر -: إذا نظر إلى البرق فدَهِشَ ولم يُبْصِرْ. وقيل: المفتوح من البريق؛ أي لَمعَ من شدّة شخوصه. ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ ذهب ضوءُه. ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ..﴾ أي قُرِن بينهما في الطلوع من المغرب. ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ..﴾ أي يومَ إذ تقع هذه الأمور، وهو يومُ القيامة: أَيْنَ الفِرارُ من الله؟ أو من العذاب؟.

١١ - ﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ عن طلب المَفَرّ وتمنّيه. ﴿لَا وَزَرَ﴾ لا ملجأ ولا منجَى لكم. وأصلُه: الجبلُ المنيعُ، من الوِزْر وهو الثِّقْل، ثم شاع وصار حقيقةً لكل مَلْجَأ من جبل أو حِصْن أو غيرها.

١٣ - ﴿يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ..﴾ أي بما عمِل وما ترك، أو بما قدّم قبل موته من عمل صالح أو سيِّئ. وما أخّر من سُنّة حسنة أو سيئةٍ يُعمل بها بعد موته.

١٤، ١٥ - ﴿عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ حجّةٌ بيِّنةٌ على نفسه، شاهدةٌ بما كان منه من الأعمال السيئة. أو بل جوارحُه على نفْسه بصيرةٌ، أي شاهدة. ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ ولو أدْلَى بأيَّة حُجَّةٍ يعتذر بها عن نفسه، ويدافع بها عنها - لم ينفعه ذلك؛ وهو كقوله تعالى: (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ)[1] جمع مَعذِرة بمعنى العُذْر. وهو تحرِّي الإنسانِ ما يمحو به ذنوبَه.

١٦ - ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ..﴾ الخطابُ له صلى الله عليه وسلم، والضميرُ للقرآن. وقد كان عند نزول الوحي وقبلَ الفراغ منه يحرّك

(١) آية ٥٢ غافر.

وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾

سكتة لطيفة على النون

به لسانه وشفتيه مخافة أن ينفلت منه ، يريد أن يحفظه ؛ فأنزل الله تعالى الآية . فكان بعد ذلك إذا أتاه جبريلُ بالوحى أطرق ، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله تعالى .

١٧ : ١٩ - ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ فى صدرك ؛ بحيث لا يذهب عنك شيء منه . ﴿وَقُرْءانَهُ﴾ أى إثباتَ قراءته فى لسانك ؛ بحيث تقرؤه متى شئت . فالقرآنُ مصدرٌ كالغُفْران بمعنى القراءة ؛ مضافٌ إلى المفعول بتقديرِ مضافٍ . ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ أتممنا قراءتَه عليك بلسان جبريل المبلِّغ عنّا ﴿فَاتَّبِعْ قُرْءانَهُ﴾ فاتّبع بذهنك قراءتَه ؛ أى فاستمع وأنصت حتى يَرْسَخ فى قلبك ، ثم اقرأ . ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ أى بيانَ ما أشكل من معانيه وأحكامه .

٢٠ ، ٢١ - ﴿كَلَّا﴾ إرشادٌ له صلى الله عليه وسلم لترك العجلة . وترغيبٌ له فى الأناة ﴿بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ خطابٌ لمن تتأتّى مخاطبته . كأنه قيل : بل أنتم أيها الناسُ لأنكم خُلقتم من عَجَل ، وجُبلتم عليه ، تعجَلون فى كلّ شيء ! ولذا تحبُّون العاجلةَ ، وتذَرُون الآخرة أو إنَّ الذى دعاكم إلى إنكار البعث والجزاء ، إنما هو محبَّتُكم الدنيا العاجلَة ، وإيثارُكم لشهواتِها على آجل الآخرة ونعيمها ! فأنتم تؤمنون بالعاجلة وتكذّبون بالآجلة !

٢٢ ، ٢٣ - ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ..﴾ حسنةٌ مشرقةٌ ، جميلةٌ من النّعيم والغِبْطة ، وهى وجوه المؤمنين المخلصين ؛ من النَّضْرة وهى الحسن . ناظرةٌ إلى ربِّها يومَ القيامة ، تراه على ما يليق بذاته سبحانه ! وكما يريد أن تكون الرؤية له عز وجل ، بلا كيفيّة ولا جهة ، ولا ثبوت مسافةٍ .

٢٤ ، ٢٥ - ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ كالحةٌ شديدةُ العبُوس ، وهى وجوه الكفار ؛ وذلك قبلَ الانْتِهاء بها إلى النار ؛ من البَسْر [آية ٢٢ المدثر ص ٧٦١] . ﴿تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ توقن أو تتوقّع تلك الوجوه - والمرادُ أربابُها - أنْ يُفعل بها فعلٌ هو فى شدَّته وفظاعته داهيةٌ عظيمةٌ ، تَقْصِمُ فَقَار الظَّهْر . يقال : فقَرَتْه الفاقِرة ، أى كسرت الداهيةُ فَقَار ظهْرِه . وأصلُ الفَقْر : الوَسْمُ على أنف البعير بحديدة أو نار حتى يخلُص إلى العظم ، أو ما يقرب منه .

٢٦ : ٣٠ - ﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ عن إيثار العاجلة . كأنه قيل : ارتدعوا عن ذلك ! وتنبّهوا للموت الذى تنقطع عنده العاجلة ، وتنتقلون به إلى الآجلة . ﴿إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ بلغت الرُّوحُ التراقِى - أى أعالى الصدر - وهى العظام المكتنفةُ ثُغْرَةَ النّحر عن يمين وشمال ، وهى موضع الحَشْرَجة ؛ جمع تَرْقُوة وهو كناية عن الإشفاء على الموت . وجواب (إذا) محذوفٌ تقديره : وَجَد الإنسانُ ما عَمِله من خير أو شر . أو انكشفت له حقيقةُ الأمر . ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ قال من حضر صاحبَها : هل من طبيب يَرْقِيه ويَشفيه ويُداويه !

فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

ويُنجيه مما هو فيه برُقْيته ودوائه !؟ من الرُّقْية ، وأصلُها : ما يستشفى به الملسوعُ والمريضُ من القول الذى يُظنُّ أنه نافع فى ذلك. والمرادُ مَن يَطِبُّه بالقول أو بالفعل حتى ينجُوَ. وهو استفهامُ استبعادٍ وإنكار ؛ أى قد بلغ حدًّا لا يستطيعُ معه أحدٌ أن ينجيَه من الموت . وفى رواية حَفْص عن عاصم سكتةٌ لطيفةٌ بين (مَن) و(رَاق) . ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ أيقن المحتضَر ، أو توقَّع أنه الموت الذى يفارق به الدنيا ونعيمَها ؟ أو تفارق فيه الرُّوحُ الجسد . وسُمِّيَ اليقينُ ظنًّا لأن الإنسان مادامت رُوحُه متعلقةً ببدنه فإنه يطمع فى الحياة ، ولا ينقطع رجاؤه منها لشدة حُبِّه لها . ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ الْتَوَتْ سَاقُه بساقه عند هَلَع الموت وقَلَقه . أو يَبِستا ولم تتحرّكا بالموت فكأنهما ملتفتان . أو هو كنايةٌ عن الشدّة ؛ كما فى قوله تعالى : (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ)[1] . أى التفّت شدّة فراق الدنيا بشدّة إقبال الآخرة . والعربُ لا تذكر السَّاق إلا فى المِحَن والشدائد العِظام ؛ ومنه قولهم : قامت الحربُ على ساق . ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ إلى حُكم الله تعالى سَوْقُه لا إلى غيره . مصدرٌ ميمِيٌّ كالمقال .

٣١ - ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى﴾ أى فلا صدّق ذلك الإنسانُ الذى حَسِب أن لّن نجمع عظامه بما يجب التصديقُ به ، ولا صلّى ما فُرض عليه . والجملةُ معطوفةٌ على قوله (يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ) أى يسأل عنه ، وما استعد له بما يجب عليه ؛ بل بما يوجبُ دمارَه وهلاكه .

٣٣ - ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾ يتبختر افتخارًا بذلك ؛ من المَطّ بمعنى المَدّ . وأصلُه يتمطَّط ، قلبت فيه الطاء حرفَ علة ؛ كما قالوا : تظنَّ من الظنّ ، وأصلُه تظنن . أطلق على التَّبَخْتُر ، لأن المتبختر يمدّ خُطاه .

٣٤ - ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾ كلمةُ دُعاء وتهديد . أى قاربَكَ ما يُهلكك ؛ أى نزل بك [آية ٢٠ القتال ص ٦٤٧] وكُرِّر للتأكيد . وذهب الجَلال إلى أن المعنى : وَلِيَك ما تكره ! فهو أوْلَى بك ! والجملةُ الأولى للدعاء عليه بقرب المكروه . والثانيةُ للدعاء عليه بأن يكون أقربَ إليه من غيره .

٣٦ - ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ ..﴾ أى أيظنّ أنْ يُترك مهمَلاً فلا يُكلَّف ولا يُجزَى ! أو أن يُترك فى قبره فلا يُبعث ! . يقال : إبلٌ سُدًى ، أى مهملةٌ بلا راعٍ . وأسْدَى الشيءَ : أهملَه . والاستفهامُ إنكاريٌّ .

٣٧ : ٣٩ - ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً﴾ أى كيف يحسب ذلك ويَجحدُ قدرتنا على بعثه ! ألم يك قطرةَ ماءٍ تُصبُّ فى الرَّحِم وتُراق فيه !؟ ﴿ثُم كَانَ عَلَقَةً﴾ قطعةَ دم متجمِّد !؟ ﴿فَسَوَّى﴾ فسوّاهُ اللهُ بقدرته تسويةً ، وعدله تعديلاً بنفخ الروح فيه ، بعد تصويره فى أحسن صورةٍ . ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ﴾ الصِّنفين ﴿الذَّكَرَ

(١) آية ٤٢ القلم .

وَالْأُنْثَى﴾ بدلٌ من الزوجين .

٤٠ ـ ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ﴾ الربُّ العظيمُ الشأن والقدرة ، الذى أبدع هذا الإبداعَ ﴿بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ ويبعثَهم نشأةً أخرى . وكان صلى الله عليه وسلم إذا قرأ هذه الآية قال : (سُبحانك اللّهمَّ وبَلَى) . والله أعلم .

(٧٦) سُورَةُ الإنسَانِ مَدَنيّة وآياتها ٣١ نزلت بعد الرحمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا

سُورَةُ الإنْسَانِ

وتسمَّى سورةَ الدَّهر . وهل أتى

١ ـ ﴿هَلْ أَتَىٰ ..﴾ أى قد أتى على نوْع الإنسانِ . والمرادُ بنو آدم . ﴿حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾ طائفةٌ محدودةٌ من الزمان الممتدِّ غير المحدود . والدَّهرُ : يطلق على كل زمان طويل غير معيَّن . وعلى مدَّة العالَم كلِّه . ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ بالإنسانيّة بل كان نطفةً ، ثم عَلَقَةً ، ثم مُضْغةً .

٢ ـ ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ من مَنِىٍّ ، وهو ماءُ الرّجُل وماءُ المرأة ، ممتزجٌ أحدهما بالآخر ؛ كما قال تعالى : ﴿أَمْشَاجٍ﴾ أى أخلاط بمعنى مختلطٍ ممتزجٍ من الماءيْن . أو من عناصرَ شتَّى . يقال : مشَج بينهما ـ من باب ضرب ـ خلط ومَزج . وهو جمعُ مَشَج كسَبَب ، أو مَشِج كَكَتِف ، أو مَشِيج كنصير . وقيل : مختلطة ، وأمشاجٌ مفردٌ جاء على أفعال ؛ كأعشار فى قولهم : بُرمةٌ أعشارٌ ، أى متكسِّرة . ﴿نَبْتَلِيهِ﴾ مبتلين له ؛ أى مريدين ابتلاءه واختبارَه بالتكاليف حين يتأهّل لذلك . ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ليتمكّن من الاستماع للآيات التّنزيليّة ، والنظر فى الآيات التكوينية .

٣ ـ ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ..﴾ أى دَللناه على ما يوصله إلى البُغْيَة ؛ بإنزال الآيات ، ونَصْب الدلائل فى حالتَىْ شكرِه وكفرِه . أو دللناه على الهداية والإسلام ؛ فنهم مهتدٍ مسلمٌ ، ومنهم ضالٌّ كافرٌ . فقولُه : ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ حالان من مفعول هدينا . و(إمّا) للتفصيل ؛ باعتبار تعدُّد الأحوال مع اتحاد الذّات . أو للتقسيم للمهدىّ باختلاف الذّوات والصفات .

٤ ـ ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ﴾ بها يُقادون ﴿وَأَغْلَالًا﴾ تجمع أيديهم إلى أعناقهم ؛ بها يُقيَّدون . ﴿وَسَعِيرًا﴾ نارًا مستعرةً ؛ بها يُحرَقون .

٥ ـ ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ بيانٌ لجزاء الشاكرين إثْرَ بيان جزاءِ الكافرين . والأبرارُ : جمعُ بَرٍّ . والبَرُّ : المطيعُ المتوسِّعُ فى فِعْل الخير . وقد ذكر الله من أوصافهم التى استحقُّوا بها هذه الكرامةَ : أنهم يُوفون بالنَّذْر ، ويخافون الآخرة ، ويُوَاسون المساكين

تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ

واليتامى والأسْرى . وبيّن جزاءهم في الآيات التالية التي آخرُها آية

٥ - ﴿يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾ أي من خمر . أو من إناء فيه خمرٌ . وإطلاقُ الكأس على الثاني حقيقةٌ ، وعلى الأوّل مجازٌ وهو المراد هنا ؛ لقوله تعالى : ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً﴾ والكافور : لا يُمزج بالإناء ، وإنما يُمزج بالخمر التي فيه . والمِزاجُ : ما يُمزَج به . والكافورُ : طِيبٌ معروف فيه بياض وبرودة ، وله رائحةٌ طيِّبةٌ . والمرادُ : كان شَوْبُها ماءً يُشبه الكافورَ في أوصافه . أو أنه تعالى جعل في خمر الجنة الأوْصافَ المحمودةَ في الكافور . وعبّر عن ذلك بالمِزاج على سبيل التجوّز . وعن ابن عباس : كلُّ ما ذُكر في القرآن مما في الجنة وسمّاه ليس له من الدنيا شبيهٌ إلا في الاسم . فالكافورُ والزَّنجبيلُ ، والأشجارُ والقصورُ ، والمأكولُ والمشروبُ ، والملبوسُ والثمارُ . لا يُشبه ما في الدنيا إلا في مجرّد الاسم . والله سُبحانه وتعالى يُرغّب الناس ويطمعهم بأن يذكر لهم أحسنَ شيء وألذَّه وأطيبَه مما يعرفونه في الدنيا ؛ لأجل أن يَرغبوا ويسعوْا فيما يوصّلُهم إلى هذا النّعيم المقيم .

٦ - ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ..﴾ بدلٌ من (كأس) على المحل بتقدير مضاف ؛ أي يشربون كأسًا أي خمرًا خمرَ عينٍ يشرب منها المؤمنون . ﴿يُفَجِّرُونَهَا﴾ يجرونها حيث شاءوا من منازلهم بسهولة .

٧ - ﴿كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ كان عذابُه فاشيًا منتشرًا غايةَ الانتشار ، من استطار الفجرُ : إذا انتشر ضوءُه . واستطار الغبارُ : انتشر في الهواء وتفرّق ؛ كأنه طار في نواحيه .

٩ - ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ﴾ أي قائلين ذلك لمن أعْطوهم الطعام ، بلسان الحال أو بلسان المقَال .

١٠ - ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنا يَوْماً عَبُوساً﴾ أي قائلين : إنّا نخاف من ربنا عذابَ يوم شديدِ الهولِ ، عظيمِ الأمر ، تَعْبَسُ فيه الوجوه وتكْلَح لهوله ؛ من شدة مكارهه وطول بلائه ووَصْفُ اليوم بالعُبوس - وهو وصْفٌ لأهله - مجازٌ في الإسناد ؛ من باب : نهارُه صائمٌ . ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ شديدًا كريهًا . يقال : اقْمَطَرّ يومنا ، اشتَدّ . ويومٌ مُقْمَطِرٌّ وقمطريرٌ : إذا كان شديدًا غليظًا . أو شديدًا في العبوس ، يقبِّض ما بين العينين لشدته .

١١ - ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ أعطاهم حُسنًا وبهجةً في الوجوه ، وسرورًا في القلوب ؛ بدلَ عبوسِ

مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾

ثلاثة أرباع الحزب

الكفار وحزنهم .

١٣ ، ١٤ - ﴿مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ على السُّرُر فى الحِجال . أو على ما يُتكأُ عليه من سرير أو فِراش ونحوه [آية ٣١ الكهف ص ٣٨٠] . ﴿وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ بردًا مفرطًا ؛ ومنه زَمْهَرَ اليومُ : اشتدّ بردُه . والمرادُ : أن هواء الجنة معتدلٌ ؛ وفى الحديث : إن هواءَ الجنة سَجْسَجٌ لا حرٌّ ولا بردٌ[1] . والسَّجْسَجُ : الظلُّ الممتدُّ ما بين الفجر وطلوع الشمس . ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾ عطفٌ على الجملة قبلها الواقعة حالاً من الضمير فى (متكئين) أى أن ظلالَ الأشجار قريبةٌ منهم ، مظلّةٌ عليهم ؛ زيادةً فى نعيمهم . ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا﴾ سُخِّرت لهم ثمارُها تسخيرًا ، وسُهِّل تناولُها لهم تسهيلاً ؛ بحيث يتناولها القائمُ والقاعدُ والمضطجعُ . لا يردُّ أيديهم عنها بُعْدٌ ولا شوْكٌ ؛ من قولهم : ذُلِّلَ الكرْمُ - بالضم - أى دُلِّيَتْ عناقيده . وأصلُه من الذُّلّ - بالضّم والكسر - ضدُّ الصعوبة . والقُطوفُ : جمعُ قِطف - بكسر القاف - وهو العُنقود حين يُقطف . أو الثمارُ المقطوفةُ .

١٥ ، ١٦ - ﴿وَأَكْوَابٍ﴾ أقداح بلا عُرًى . أى من فضة ؛ فيسهل الشُّرب منها من كل موضع ، فلا يحتاج عند التناول إلى إدارتها . ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا .. ﴾ جُعلت هذه الأكوابُ جامعةً بين صفاء الزجاج وشفيفه وبريقه ، وبياضِ الفضة وحسنها ولينها وشرفها ؛ بحيث يُرَى ما فيها من خارجها : جمعُ قارورة ، وهى فى الأصل : إناءٌ رقيقٌ صافٍ من الزجاج ، توضع فيه الأشربةُ ونحوُها وتستقرُّ فيه . وعن ابن عباس : ليس فى الجنة شىء إلّا أعطيتم فى الدنيا شبَهَه إلّا قواريرَ من فضة . ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ قدّر الطّائفُون بها شرابهَا على مقدار ريّ الشاربين من غير زيادة ولا نقصان ؛ وذلك ألذُّ وأشهَى .

١٧ - ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ أى كان مزاجُ الخمر التي يُسْقَوْنَهَا زنجبيلاً ؛ والعربُ تستلذّ الشرابَ الممزوجَ به . أو ماء يُشبه الزَّنجبيلَ فى طيب رائحته [آية ٥ من هذه السورة] .

١٨ - ﴿عَيْنًا فِيهَا .. ﴾ بدلٌ من (كأس) بتقدير مضاف ، أى خمرِ عَيْن فى الجنة تسمَّى سلسبيلاً ؛ أى توصف بأنها سَلِسةٌ فى الانسياغ ، سهلةُ المذاق . وأصلُ السَّلْسبيل : ماكان من الشراب غايةً فى السَّلاسة ، وسهولة الانحدار فى الحلق . فيشربون تارةً خمرًا ممزوجةً بما يُشبه الكافور . وتارةً خمرًا ممزوجة بما يُشبه الزنجبيل فى غاية السلاسةِ والسهولة .

١٩ - ﴿وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ دائمون على ما هم عليه من الطَّراوة والبَهاء . ﴿حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا .. ﴾ ظننتَهم من حُسنهم ، وصفاءِ ألوانِهم ، وإشراق وجوههم ، وإنبثاثِهم فى مجالسهم - دُرًّا مفرَّقًا فى عَرَصات المجالس . واللؤلؤُ إذا

(١) رواه ابن أبي شية .

إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

نُثِر على البساط كان أصفى منه منظومًا .

٢٠ ـ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ أي هناك ؛ يعني في الجنة .

٢١ ـ ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ ..﴾ أي فوقهم ثيابٌ مخضرّةٌ من سُنْدس : وهو مارَقّ من الديباج . ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ وهو ما غَلُظ منه . وهما لفظان معرَّبان . ﴿شَرَابًا طَهُورًا﴾ أي نوعًا آخر من الشّراب بالغًا في الطهر غايته . أو أن الخمر التي سيُسقَوْنها في الجنة شرابٌ طاهرٌ ، ولا نجاسةَ فيه ولا قذارة كخمر الدنيا التي وصفها الله تعالى بأنها رِجْسٌ .

٢٤ ـ ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ..﴾ أي لا تطع منهم داعيًا إلى الإثم ، ولا داعيًا إلى الكفر . ولم يُؤْتَ بالواو لاحتمال الكلام عليه النّهيَ عن المجموع ، ويحصل الامتثالُ بالانتهاء عن واحد دون الآخر . قال الزجاج : إنَّ (أو) ههنا أوْكد من الواو ؛ لأنك إذا قلت : لا تطع زيدًا وعمرًا ؛ فأطاع أحدهما كان غيرَ عاصٍ . فإذا أبدلتها بأو فقد دَلّت على أن كلَّ واحدٍ منهما أهلٌ لأن يُعصَى ، ويعُلَم منه النّهيُ عن إطاعتهما معًا .

٢٥ ـ ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ ..﴾ أي دُمْ على ذكره في جميع الأوقات . أو دُمْ على الصلاة في البُكرة وهي صلاة الفجر ، وفي صلاة الظهر والعصر . ومن الليل وهي صلاة المغرب والعشاء . وإطلاقُ السجود على الصلاة مجازٌ ؛ من إطلاق اسم الجزء على الكلّ .

٢٦ ـ ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾ وتهجدْ له هزيعًا طويلاً من الليل . والأمرُ للوجوب على القول ببقاء وجوبِ قيامِ الليل عليه خاصّةً وعدمِ نسخه . وللنَّدْب على القول بنسخه في حقه صلى الله عليه وسلم ؛ كما نُسخ عن أمته بفرضيَّة الصلوات الخمس . فالمرادُ به : نافلةُ الليل .

٢٧ ـ ﴿يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ..﴾ أي الدنيا ولذائذها . ويَنْبذون وراء ظهورهم ﴿يَوْمًا ثَقِيلاً﴾ شديدَ الهَوْل ـ وهو يومُ القيامة ـ فلا يحسبون له حسابًا .

٢٨ ـ ﴿وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ قوينا وأحكمنا خَلْقَهم بإعطائهم جميعَ القُوَى . ومنها رَبْطُ مفاصِلهم وأوصالهم بعضِها ببعض بالعُروق والأعصاب . يقال : أسره الله ، خلقه ؛ وبابُه ضرب . وفرسٌ شديدُ الأسر : أي الخَلْق . والأَسْرُ : القُوَّةُ ؛ مشتقٌّ من الإسار ـ بالكسر ـ وهو القِدُّ الذي تُشَدُّ به الأقتاب . يقال : أَسرت القَتَبَ أسْرًا ، شددتُه وربطته ؛ ومنه الأسير لأنه يُكتف بالإسار والمرادُ : الامتنانُ عليهم بأن الله

تعالى سوّى خلقهم وأحكمه ؛ ثم كفروا به .

٢٩ - ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ .. ﴾ إن هذه الآياتِ التى اشتملت عليها هذه السورة : موعظةٌ بالغة ؛ فمن شاء أن يتّخذ إلى الله تعالى وسيلةً يتقرّبُ بها إليه اتخذها . وما تشاءون شيئًا إلّا وقتَ مشيئةِ الله لمشيئتكم . واللهُ أعلم

سُورَةُ المُرْسَلات

* نزلت بمكّةَ على النبىّ صلى الله عليه وسلم ليلةَ الجنّ . وهو بغار فى منًى يُعرف بغار المرسلات . وقد شُدِّد فيها النكيرُ على منكرى البعث . والتهديدُ لهم بالوَيْل والهلاك . وأقيم لهم من الأدلّة ما يجعل إنكارَهم له فى حيِّز المكابرة والعناد . وهى من أقوى السُّوَر صدعًا لقلوبهم ، وإنذارًا بسوء عاقبتهم . قد أقسم الله تعالى فى صدرها على أن الساعة آتيةٌ . والبعثَ واقعٌ لا محالةَ - بخمسة أشياءَ عظيمةٍ من خلقه . ذُكرت صفاتُها ولم تُذكر هى ؛ فاختلف المفسرون فى تعيينها اختلافًا كثيرًا . والظاهرُ : أن المقسَم به شيئان ؛ فُصل بينهما بالعطف بالواو المشعِر بالمغايرة . وأنه تعالى أقسم أوّلاً بالرياح المرسَلة لعذاب المكذّبين ، من الإرسال وهو التسليط والتوجيه . ووصْفُها بالعَصْف وهو الشدّة ؛ لإهلاكها مَنْ تُرسل إليهم . أو لسرعتها فى مُضيّها لتنفيذ أمره تعالى . يقال :

(٧٧) سُورَةُ المرسلاتِ مكيّة

إلا آية ٤٨ فمدنية

وآياتها ٥٠ نزلت بعد الهُمَزة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾

عَصَفت الرِّيحُ - من باب ضَرَب - اشتدّت . وعصفت الحربُ بالقوم : إذا ذهبت بهم . وناقةٌ عصوف : تعصِف براكبها فتمضى به كأنها ريح فى السرعة . والعطفُ بالفاء هنا يُؤْذن بأنه من عطف الصفات . وأقسم ثانيًا بالملائكة ، وهى من أعظم خلق الله قوةً ، طوعًا لأمره ، وإسراعًا إليه . فوصفها بالناشرات ؛ لنشرهنّ أجنحتَهنّ فى الجوّ لنزولهن بالوحى . أو لنشرهنّ النفوسَ الموتى بالكفر والجهل بما يوحين للأنبياء والرسل . وبالفارقات ؛ لفرقهن بين الحق والباطل بنزولهن بالوحى . وبالمُلقيات ذكرًا ؛ لإلقائهن الذِّكرَ إلى الأنبياء والرسل ليبلِّغوه للأمم للإعذار والإنذار . ومن المفسرين مَن جعل الأوصافَ الخمسةَ للرياح . ومنهم من جعلها كلَّها للملائكة ، ومنهم من غاير بينها .

١ - ﴿عُرْفًا﴾ متتابعة متلاحقةً حين إرسالها . يقال : طار القَطَا عُرْفًا عُرْفًا ؛ أى بعضُها خلفَ بعض ، والمعنى على التشبيه . أى حال كونها فى تتابعها وتلاحقها كعُرْف الفرس ونحوها ، وهو مَنْبتُ الشَّعْر والرِّيش من العنق .

٥ ، ٧ - ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾ أى وحيًا إلى الأنبياء والرسل ، يذكّر الناسَ ويَعِظُهم . ﴿عُذْرًا﴾ أى للإعذار ، بمعنى إزالة أعذار الخلق ؛ على حد قوله تعالى : (رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ)[1] ﴿أَوْ نُذْرًا﴾ أى للإنذار والتخويف بالعقاب عند العصيان . ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ أى إن الذى توعدون به من قيام الساعة لواقع لا محالة ! وهو جوابُ القسَم .

٨ : ١٢ - ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ مُحِقَتْ . أو ذهب

(١) آية ١٦٥ النساء.

فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ

ضوءُها فلم يكن لها نورٌ. يقال: طَمَستُ الشيء ـ من باب ضَرَب ـ محوتُه واستأصلتُ أثَرَه. وجوابُ (إذا) وما عُطف عليها محذوفٌ تقديرُه: وقع ما توعدون. أو بان الأمرُ. وقيل: هو (لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ) بإضمار القول. أي يقال لأي يوم أجّلت. ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ شُقَّتْ أو فتحت؛ كما قال تعالى: (إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ). (وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا)[1]. والفُرْجَةُ: الشّقُّ بين الشيئين؛ كفُرْجة الحائط. ومنه: (وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ[2]) أي شُقوق وفُتوق. ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ اقتُلِعتْ وأزيلت من أماكنها. يقال: نَسَف البناء يَنْسِفُه، قلعه من أصله. أو دُكّت وذُرِّيَتْ في الهواء، كما تُذرِّى الرياحُ التّبن. ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ بلغت ميقاتَها الذى كانت تنتظره؛ وهو يوم القيامة للفصل بينهم وبين المكذّبين؛ من التّوقيت وهو جعل الشيء منتهيًا إلى وقته المحدود. ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ أى أُخِّرَتْ الأمور المتعلقةُ بالرّسل؛ من تعذيب الكفار وإهانتهم. وتنعيم المؤمنين ورعايتهم. وظهور أهوال الآخرة.

١٣ ـ ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ بين الخلائق أو الحق والباطل.

١٥ ـ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ هلاكٌ أو عذابٌ يومَ القيامة للمكذبين به وبأخباره. وهو وعيدٌ شديدٌ. تكرّرت هذه الآيةُ في هذه السورة عشرَ مرّات. عَقِبَ كُلِّ آية كذّب بها الجاحدون. وكأنّ الويْلَ قُسّمَ بينهم على قدر تكذيبهم؛ فلكل مكذّب بشيء نوعٌ من العذاب غيرُ النّوع الذى لتكذيبه بآخر.

١٦، ١٧ ـ ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ من الأمم المكذّبة ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ أى أهلَ مكة. وهو وعيدٌ لهم؛ لأنهم مِثْلُ السابقين.

٢٠ : ٢٣ ـ ﴿مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ من نطفةٍ حقيرةٍ ضعيفة. وفي القُرْطُبيِّ: إن هذه الآيةَ أصلٌ لمن ذهب إلى أن خلق الجنين إنما هو من ماء الرجل وحدَه. اهـ. وليس كذلك! فإن المرادَ بالماء جنسُه الصادقُ بالماءيْن؛ كما تشير إليه آياتٌ أخرى. وكلاهما يُطلَق عليه نطفةٌ ومَنِيٌّ. ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ مَقَرٍّ يتمكّن فيه. وهو الرَّحِم. ﴿إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ أى مؤخّرًا إلى وقت معلوم عند الله تعالى لخروجه منه. ﴿فَقَدَرْنَا﴾

(١) آية ١٩ النبأ. (٢) آية ٦ ق.

مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَـٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَـٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَـٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَـٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَـٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ

على ذلك . ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ عليه نحن ! وقُرِئَ (فقدَّرْنا) بالتشديد ؛ أى فقدّرنا ذلك الوقتَ المعلومَ تقديراً محكماً ، لا يتقدّم الانفصال عنه ولا يتأخّر ؛ فهو كقوله تعالى : (مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَه)[1] . وقيل : القراءتان بمعنى التقدير .

٢٥ ـ ﴿كِفَاتاً أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً﴾ الكِفَاتُ : الموضعُ الذى يُكْفَتُ فيه الشيء ، أى يُضم ويقبض . يقال : كفتَ الشيء يكفِته كفْتاً ، ضمّه وقبضَه ؛ فهو اسم آلةٍ . و (أَحْيَاءً وأَمْوَاتاً) مفعولٌ لفعلٍ محذوف ؛ أى تَكفِتُ أحياءً كثيرةً على ظهرها ، وأمواتاً كثيرة في بطنها ؛ بمعنى تجمع وتضمّ . وقيل : هو جمع كِفتٍ وهو الوعاء ، والأرض أوعيةٌ ـ باعتبار أقطارها ـ للأحياء والأموات . و (أحياءً وأمواتاً) منصوبان على المفعولية لـ (نجعل) بتقدير مضاف ؛ أى ذاتَ أحياء وأمواتٍ . ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ جبالاً ثوابتَ ﴿شَامِخَاتٍ﴾ مرتفعاتٍ . جمعُ شامخ ، وهو المرتفع جداً . ﴿مَاءً فُرَاتاً﴾ عذْباً من الأنهار الجارية ، والآبار والعيون والأمطار ؛ تشربون منه أنتم ودوابّكم ، وتسقون زرعكم .

٣٠ ، ٣٣ ـ ﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ..﴾ أى إلى ظلٍّ من دخان جهنم الذى يتصاعد من وَقودها ، ثم يتفرّق ثلاث فرق ؛ شأن الدخان العظيم إذا ارتفع . ﴿لاَ ظَلِيلٍ﴾ لا مظلِّلٍ لهم من حرّ ذلك اليوم . وهو تهكّمٌ بهم ، وردٌّ لما أوهمه لفظُ الظل . ﴿وَلاَ يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾ ولا يدفع عنهم شيئاً من حر اللّهب . وعُدّى (يُغْنِي) بـ (مِن) لتضمنه معنى يُبْعِدُ . ﴿إِنهَا﴾ أى جهنم ﴿تَرْمِي بشررٍ﴾ هو ما يتطاير من النار في كل جهة . واحدُه شَرَرَة . ﴿كَالْقَصْرِ﴾ أى كلّ واحدة منه فى عِظَمِها وارتفاعها كالقَصْر وهو البناء العالى . وقيل : هو الغليظ من الشجر . أو هو قِطَعٌ من الخشب نحو الذراع أو أقل او أكثر يستعد به للشتاء ، مفرده قصْرة . ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ﴾ جمعُ جَمَل ؛ كَحِجارة وحَجَر . وجمعها جمالاتٌ ـ بتثليث الجيم ـ وهي الإبل السود . وقيل : لها صُفْر وهى سودٌ لأن سوادَ الإبل يضرب إلى الصفرة ؛ كما قيل للظباء البيض : أُدْمٌ ، لِما يعلو بياضها من الكُدْرة . شبه الشَّرر حين ينفصل من النار فى عِظَمه بالقَصر ، وحين يأخذ فى الإرتفاع والانبساط لانشقاقه وتشعّبه عن أعدادٍ غير محصورةٍ بالجمالة الصُفْر فى اللون ، وسُرعة الحركة ، والكثرة والانشقاق والتّتابُع ؛ إذ كان ذلك شأنَ هذه الإبلِ عند اجتماعها وتزاحمها واضطراب أمرها .

٣٦ ـ ﴿وَلاَ يُؤْذَنُ لَهُمْ﴾ فى الاعتذار والتنصُّل ﴿فَيَعْتَذِرُونَ﴾ فيتنصّلون مما أجرموا فى حق الله . يقال : اعتذرت إليه ، أَتيتُ

(١) آية ١٩ عبس .

فِى ظِلَـٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

(٧٨) سُورَةُ النَّبَإِ مَكِّيَّة
وآياتها ٤٠ نزلت بعد المعارج

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا



بعُذْر . والعُذْرُ : هو تحرِّى الإنسانِ ما يمحو به ذنوبَه وإساءتِه .

٣٩ ـ ﴿ لَكُمْ كَيْدٌ ﴾ حيلة لاتقاء العذاب .

٤١ ، ٤٢ ـ ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ ﴾ شروعٌ في ذكر أحوال المؤمنين ، بعد الإطناب في ذكر أحوال الكافرين . أى إن المتقين متقلّبون فى فنون التّرفّه وألوان التّنعُّم فى الجنة . ﴿ فِى ظِلَالٍ ﴾ أى ظلال الأشجار وظلال القصور . جمعُ ظِلّ : ضدُّ الضُّحَى ، ويقال لكل موضع لم تصل إليه الشمس : ظِل . والجنّةُ لا شمسَ فيها . ﴿ وعُيُونٍ ﴾ من ماء وعَسَل ولَبَن وخمر . ﴿ وَفَوَاكِهَ ﴾ وهى ما يُتَفكَّه به ويُتَنعَّم . جمعُ فاكِهة .

٤٨ ـ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا .. ﴾ أى صلوا مع محمد وأصحابه لا يصلُّون . وسُمِّيَت الصلاة ركوعًا باسم رُكْنها . أو اخْشعوا واخضعوا وتواضعوا لِلّهِ تعالى لا يقبلون ، عُلُوًّا واستكباراً .

٥٠ ـ ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ ﴾ أى بعد القرآن الناطق بأخبار النشأتيْن على نَمَط بديع معجز ، مؤسّس على حُجَج قاطعة . ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾ إذا لم يؤمنوا به ؛ أى لا يؤمنون بشىء بعده . واللهُ أعلم

سُورَةُ النَّبَأ

* لما بُعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأَنذَر المشركين بالبعث فى اليوم الآخر للجزاء ـ استبعدوا ذلك ؛ فمنهم من جَحَده وعدّه من المحال وقال : (إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ)[1] . ومنهم من ارتاب فيه وقال : (مَا نَدْرِى مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ)[2] . وأخذوا يتساءلون فيما بينهم سؤالَ استهزاءٍ وإنكار ؛ فأنزل الله تعالى تقريعًا لهم ووعيدًا :

١ : ٣ ـ ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ عن أىِّ شىء يسأل هؤلاء الجاحدون بعضهم بعضًا . أو يسألون الرسولَ صلى الله عليه وسلم والمؤمنين استهزاءً . و(عَمَّ) أصلُها : عن ما ؛ فأُدغمت النون فى ما الاستفهاميّة ، وحذفت ألفها للتخفيف . وفى هذا الاستفهام وإبهامِ المستفهَم عنه إشعارٌ

(١) آية ١٣٧ المؤمنون . (٢) آية ٣٢ الجاثية .

سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾

بفخامة أمره ، وتشويقٌ للسامعين إلى معرفة شأنه ؛ فبيّنه الله تعالى بقوله : ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ أى يتساءلون عن الخبر العظيم الشأن الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، ونطق به القرآن . ﴿الَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ أى الذى هم عريقون فى الاختلاف فيه ؛ فمنهم الجازمُ باستحالته ، ومنهم الشاكُّ فيه . وجميعُهم ينكرون الرسالةَ ، ويكذِّبون الرسولَ ، ويجحدون القرآنَ مكابرةً وعِنادًا ؛ وإلّا فآياتُ صدقِه ، وتواترُ معجزاته التى أعظمُها وأبينُها القرآنُ المبينُ ـ كافيةٌ فى تصديقه ! ودلائلُ قدرة الله تعالى على البعث فى اليوم الآخر ـ ناطقةٌ بإمكانه لمن عَقَل وتبصَّر !

٤ ، ٥ ـ ﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ وزجْرٌ عن ذلك التساؤل . ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ وعيدٌ لهم وتهديدٌ . أى ليرتدِعوا عمّا هم عليه من التساؤل استهزاءً عن البعث ؛ فإنهم سيعلمون عمّا قليلٍ حقيقةَ الحال إذا حلّ بهم النَّكال . ثم أكّد ذلك الرَّدعَ والوعيدَ بقوله : ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ثم أقام الله لهم من دلائل قدرته على البعث عشرةَ أدلّة ، لا يسعهم إنكارُها ، ولا مناصَ لهم من الإقرار بها ؛ فكيف ينكرونه أو يشكُّون فيه بعد ذلك !؟

٦ ، ٧ ـ ﴿مِهَادًا﴾ فِراشًا موطَّأً كالمَهْد ؛ لتمكينكم من الاستقرار عليها والتقلُّب فى أنحائها ، والانتفاع بما أودعناه لكم فيها . والمِهاد : مصدرٌ بمعنى ما يُمَهَّد ؛ وجُعِلت به الأرضُ مِهادًا مبالغةً فى جعلها موطِئًا للناس والدوابِّ يُقيمون عليها . أو بتقدير مضاف ؛ أى ذاتَ مِهاد . ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ كالأوتاد للأرض ؛ أى أرسيناها بالجبال لئلا تَميد وتضطرِب ؛ كما يُرسَى البيت بالأوتاد لئلا تَعصِفَ به الرِّياحُ . جمعُ وتِد بفتح التاء وكسرها ـ وفعلُه كوَعَد .

٨ ـ ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ مزدَوجين ذكرًا وأنثى ، ليتأتّى التناسُل وحفظُ النّوع ، وتنظيمُ أمرِ المعاش فى الأرض . أو أصنافًا فى اللّوْن والصُّورة ، واللُّغة والقُوَى ، والمواهبِ والطبائع ؛ لاقتضاء الحكمةِ هذا الاختلافَ بين بنى الإنسان .

٩ ـ ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ أى قطعًا لأعمالكم . وهو إشارةٌ إلى ما قاله تعالى فى صفة الليل : ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ لتستريحوا فيه من عناء العمل طول النهار ؛ من السَّبْت وهو القطع . يقال : سبَتَ الشىءَ سَبْتًا ، قطعه . وسبَتَ شعرَه وسلَتَه : حلَقه ؛ والفعلُ كضَرَب ونَصَر . أو جعلناه نومًا خفيفًا غير ممتدٍّ حتى لا يختل أمرُ معاشكم ؛ من السَّبْت بمعنى الراحة والسكون . يقال : سَبَتَ يسبُت ، استراح وسكن .

١٠ ، ١١ ـ ﴿اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ سترًا لكم بما يغشاكم من ظُلمته ؛ كما يغشَى اللّبَاسُ لابسَه ويستره . ﴿وَالنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ وقتَ معاش لكم تتقلّبون فيه لتحصيل ما تعيشون به .

١٢ ـ ﴿سَبْعًا شِدَادًا﴾ سبعَ سموات قويّاتٍ محكَمات ، لا يتطرّق إليهنّ فُطورٌ ولا شقوقٌ على مرّ الدهور ، إلى أن يأتى أمرُ الله فيها من عجائب الخلق وبديع الصُّنع ما يشهد بقدرة العليم الحكيم .

لِنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّـٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾

١٣ - ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا﴾ أنشأنا في السماء مصباحًا زاهرًا مُضيئًا ، وهو الشمس . ﴿وَهَّاجًا﴾ بالغًا في الحرارة ؛ من الوَهْج وهو الحرارة من بعيد ، ومنه توهَّجت النارُ : توقَّدت . والشمسُ جامعةٌ بين الإضاءة التي أشير إليها بالتعبير عنها بالسِّراج ، وبين الحرارة التي أشير إليها بوصفه بالوهّاج . امتنّ الله على الخلق بإبداعها مضيئةً حارّةً ؛ لما في ذلك من المنافع العظمى التي لا يحيط بها الوصف ، والتي تتوقف عليها الحياة على سطح الأرض .

١٤ : ١٧ - ﴿مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ من السحائب التي قد آن لها أن تُمطر لامتلائها بالماء . أو التي تتحلّب بالمطر قليلاً ، ولمَّا تصبّه صبًّا . جمعُ مُعْصِر . ﴿مَاءً ثَجَّاجًا﴾ منصبًّا بكثرة . يقال : ثَجَّ الماءُ - من باب ردّ - إذا انصب بكثرة . وثَجّه : صبّه كذلك . ومطرٌ ثجّاجٌ : شديد الانصباب جدًّا . ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا﴾ ما يقتات به الناس كالحنطة والشعير . ﴿وَنَبَاتًا﴾ ما تعتلف به الدواب كالتِّبن والكلأ . ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ بساتين ملتفّةَ الشجر لتقارب أغصانها . و(ألفافًا) اسمُ جمعٍ لا مفرد له ؛ كالأوزاع للجماعات المتفرقة . وقيل : جمعُ لفيف ؛ كأشراف وشريف . وبعدَ أن بين الله لهم بهذه الدلائل المشاهدةِ قدرتَه ليُلزمهم الحجّةَ في أمر البعث حتى لا يجدوا سبيلاً إلى جحوده . هدَّدهم أشدَّ التهديد ببيان أن الساعة آتيةٌ لا محالةَ ، وفيها فصْلُ القضاء بين الحق والباطل ، والحسابُ والجزاءُ فقال : ﴿إِنَّ يَوْمَ الفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ ميعادًا لبعْث الأوّلين والآخرين ، وما يترتّب عليه من الجزاء ثوابًا وعقابًا ، لا يتقدّم ولا يتأخر .

١٨ - ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ للبعث من القبور ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ أُممًا مع كل أمة إمامُها ؛ كما قال تعالى : (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ)(١) ؛ أو زُمَرًا أو جماعاتٍ مختلفةَ الأحوال حسب اختلاف الأعمال . جمع فَوْج .

١٩ - ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ ..﴾ شُقّت وفُرجت لنزول الملائكة ، فصارت شقوقها لسعتها كالأبواب ؛ وهو كقوله تعالى : (إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ) وقوله (إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ) وقوله : (وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلاً)(٢) . ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾ في الجوّ على هيئتها بعد تفتيتها ، وقلعها من مقارّها . ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ أي فصار بعد تسييرها كالسَّراب ، فتُرَى بعد تفتُّتها وارتفاعها في الهواء كأنّها جبالٌ وليست جبالاً ؛ وإنما هي غبارٌ يتكاثف ويتراكم ، يُرى من بُعْدٍ كأنه جبلٌ ؛ كالسَّراب يُرَى من بُعْد كأنه بحرٌ وليس به .

٢١ : ٢٨ - ﴿كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ كانت معدَّةً مهيّأةً ﴿لِلطَّاغِينَ﴾ ؛ من قولهم : أرصدت له ، أي أعددت له ،

(١) آية ٧١ الإسراء . (٢) آية ٢٥ الفرقان .

فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ

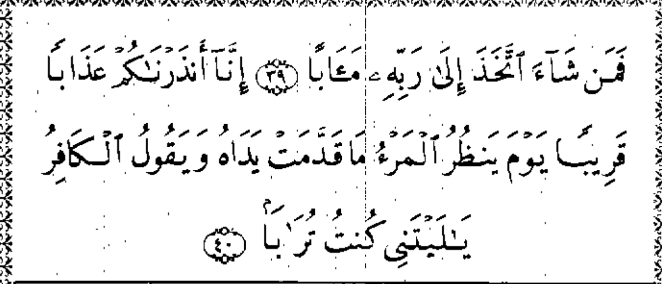
وكافأته بالخير أو بالشر. أو موضعَ رَصْدٍ وترَقبٍ؛ ترْصدهم فيه خزَنة النار لتعذيبهم. ﴿مَآبًا﴾ مرجعًا يرجعون إليها ويأوون فيها؛ بدلٌ من (مِرْصَادًا). ﴿لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ ماكثين فيها دهورًا متتابعةً لا نهايةَ لها، كلما مضى دهرٌ تبعَه دهرٌ. جمعُ حُقْب ـ بضمّ فسكون وبضمّتين ـ وهو الدهر. ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ أى شيئًا من الرَّوح والراحة ينفِّس عنهم حرّها. ﴿وَلَا شَرَابًا﴾ أى شيئًا من الشراب يُطفِئ غُلَّتهم، ويخفِّف عطشهم. ﴿إِلَّا حَمِيمًا﴾ أى ولكن يذوقون فيها حميمًا، وهو الماءُ البالغُ نهايةَ الحرارة. ﴿وَغَسَّاقًا﴾ وهو ما يسيل من جلودهم من القَيح والصَّديد. يقال: غَسَقَ الجُرح ـ كضَرَب وسَمِع ـ غَسَقَانًا، سال منه ماءٌ أصفرُ. ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾ أى جُوزُوا بذلك جزاءً موافقًا لأعمالهم؛ كما يقتضيه العدل والحكمة. مصدرٌ بمعنى اسم الفاعل. ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا﴾ تكذيبًا مفرِطًا. ومجيءُ فِعَّال بمعنى تَفْعيل فى مصدر فَعَّل، شائعٌ فى الفصيح.

٢٩ ـ ﴿أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ أى إحصاءً؛ مصدرٌ مؤكِّد من معنى أحصيناه. والإحصاء: التحصيل بالعدد، وأصْلُه من لفظ الحصا، واستُعمل فيه من حيث إنهم كانوا يعتمدون على الحصا فى العدد؛ كاعتمادنا فيه على الأصابع.

٣١، ٣٦ ـ ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ بيانٌ لمحاسن أحوال المؤمنين إثْرَ بيانِ سوءِ أحوال الكافرين. و(مَفَازًا) أى نجاة من العذاب. أو ظفرًا بما طلبوا من النّعيم. أو موضعَ فوْز وهو الجنة. والفَوْز: الظَّفَرُ بالخيرِ مع حصول السلامة. ﴿حَدَائِقَ﴾ بساتينَ فيها ماءٌ وأشجارٌ مثمرةٌ، ورياضٌ وأزاهير. جمعُ حديقة؛ سُمِّيَت بذلك تشبيهًا لها بحدَقة العين فى الهيئة وحصول الماء فيها. ﴿وَكَوَاعِبَ﴾ جمعُ كاعبٍ، وهى الفتاة التى تَكَعَّبَ ثدياها؛ أى استدارَا مع ارتفاع يسير؛ وذلك يكون عند البلوغ. يقال: كَعَبت الجارية ـ من باب دخل ـ بدا ثديُها للنُّهود؛ فهى كَعَابٌ وكاعِب. ﴿أَتْرَابًا﴾ أى لِداتٍ يَنشأنَ معًا فى سِنّ واحدةٍ؛ تشبيهًا لهن فى التساوى والتماثل بالترائب، وهى ضلوعُ الصدر. ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ أى مُترعةً مليئة. يقال: دَهَق الحوضَ ـ كجعَل ـ وأدهَقَهُ، ملأه. وأصلُه من الدّهق، وهو ضغط الشيء وشدُّه باليد؛ كأنه لامتلائه انضغط ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ أى مالا يُعتَد به من الكلام، وهو الذى يصدر لا عن فكر ورَوِيّةٍ. أو كلامًا قبيحًا. ﴿عَطَاءً﴾ إحسانًا وتفضّلاً. ﴿حِسَابًا﴾ كافيًا. مصدرٌ أقيم مقام الوصف؛ من قولهم: أحْسَبَهُ الشيءُ، إذا كفاه حتى قال حسبى.

٣٧ ـ ﴿خِطَابًا﴾ إلاَّ بإذنه.

٣٨ ـ ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ ..﴾ يوم يقوم جبريلُ عليه السلام بين يدى



فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا (٣٩) إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا (٤٠)

(٧٩) سُورَةُ النَّازِعَاتِ مَكيّة
وآياتها ٤٦ نزلت بعد النبأ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ غَرْقًا (١) وَٱلنَّـٰشِطَـٰتِ نَشْطًا (٢) وَٱلسَّـٰبِحَـٰتِ سَبْحًا (٣) فَٱلسَّـٰبِقَـٰتِ سَبْقًا (٤) فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ (٧)

الجبّار ، ترتعد فرائصه فَرَقًا من عذابه تعالى ؛ وقد عُبّر عنه فى آيات كثيرة بالرُّوح . ويقوم الملائكةُ صافّين أنفسهم صفوفًا ، وذلك يومَ القيام .

٣٩ ـ ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ﴾ أى فمن شاء أن يتّخذ مرجعًا إلى ثواب ربّه ، فعَل ما يوجبه من الإيمان والطّاعة فى الدنيا .

والطاعة في الدنيا . ﴿مَآبًا﴾ مرجعاً بالإيمان والطاعة .

٤٠ ـ ﴿يَالَيْتَنِى كُنْتُ تُرَابًا﴾ يتمنّى الكافُر أن لوكان فى الدنيا ترابًا ؛ فلم يُخلق بشرًا ولم يُكلَّف . أو أن لوكان فى الآخرة ترابًا ؛ فَلَمْ يُبعث ولم يحاسَب ، ولم يُجازَ بكفره . واللهُ أعلم

سُورَةُ النَّازِعَات

وتُسَمَّى سورةَ السَّاهرةِ والطَّامّة

١ ـ ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ أقسَم الله تعالى فى الآيات الخمس بطوائفَ من الملائكة موكّلين بأعمالٍ جسام بأمره تعالى ـ على أن الخلق لابُدَّ أن يبُعثوا ويحاسبوا فى اليوم الآخر . وحُذِف جوابُ القَسَم لدلالة مابعده عليه ، والتقديرُ لتبعثُنَّ . فأقسم الله تعالى بالملائكة التى تَنزِع أرواحَ الكفار من أقاصى أجسامهم نزعًا بالغَ الغايةِ فى الشدة ؛ من النَّزْع ، وهو جذب الشيء من مقرّه بشدة ، كنزع القَوْس عن كَبده . « وَغَرْقًا » أى اغراقًا ونزعًا شديدًا . يقال : أغرق فى الشيء يغرق فيه إذا أوْغَل وبلغ أقصى غايته . ومنه قولهم : نزع فى القوس فأغرق . أى بلغ غاية المدّ حتى انتهى إلى النَّصْل . منصوبٌ على المصدريّة ، وكذلك « نَشْطًا » و « سَبْحًا » و « سَبْقًا » .

٢ ـ ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ ثم أقسم بطائفة أخرى من الملائكة تنْشِطُ أرواح المؤمنين برفق ولين ، دون تلك الشدّة التى تُنْزَع بها أرواحُ الكفار نزعًا ؛ من النّشط ، وهو الإخراج برفق وسهولة . يقال : نشطتُ الدَّلوَ من البئر ـ من باب ضرب ـ إذا نزعتها بلا بَكَرة ؛ ومنه بئرٌ أنشاط : قريبةُ القَعْر يخرج منها الدلو بجذبة واحدة .

٣ ـ ﴿وَالسَّابحَاتِ سَبْحًا﴾ ثم أَقسم بطائفة أخرى من الملائكة تنزل من السماء مسرعةً بما أُمِرت به لتدبيره ؛ كالفَرَس الجواد إذا أسرع فى جرْيه يقال له : سابح .

٤ ـ ﴿فَالسَّابقَاتِ سَبْقًا﴾ صفة للنّازعات والنّاشطات ؛ أى المسرعاتِ بأرواح الكفار التى نزعتها إلى النار . وبأرواح المؤمنين التى نشِطتْها إلى الجنّة . والعطفُ بالفاء للدلالة على ترتيب ما بعدها على ما قبلها بغير مُهلة .

٥ ـ ﴿فَالْمُدبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ صفة للسّابحات . و « أمرًا » مفعول به .

قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾

ونسبةُ التَّدبير إلى الملائكة مجازٌ ؛ فإن كلَّ المحدَثات بقضاء الله وتقديره وتدبيره . وللمفسرين أقوالٌ أخرى فى تفسير هذه الأقسام .

٦ : ٩ ـ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ أى لتبعثُنّ يومَ النَّفخةِ الأولى التى تضطرب الأرضُ بها فيموت كلُّ شىء عليها بأمره تعالى . وسُمِّيَتْ راجفةً من الرَّجْف ، وهو الاضطراب الشديد ؛ لأن بها يضطرب الأَمرُ ويختلُّ النظام . ﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ هى النفخةُ الثّانية التى تردُف الأولى ويُبعث فيها الموتى بأمره تعالى . يقال : رَدِفَه ـ كسَمِعَه ونَصَرَه ـ إذا تَبِعه ؛ كأردفه . وسُمِّيتْ رادفةً لمجيئها بعد الأولى . والجملةُ حالٌ من «الرّاجفة» . ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ أى قلوبٌ فى ذلك اليوم شديدةُ الاضطراب من الخوف والفزع . يقال : وَجَفَ القلبُ يَجِف وجْفًا ووجيفاً ، إذا اضطرب من شدة الفزع ، وأصلُ الوَجْف : سرعةُ السير . يقال : أوجفتُ البعيرَ ، أى أسرعته ؛ واستُعمل فيما ذُكر مجازاً لعلاقة اللُّـزوم . ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ أى أبصارُ أهلها ـ وهم منكـرو البعث ـ ذليلةٌ مما قد علاهم من الكآبة والحزن ؛ لمَا يَرَوْن من عظيمِ الهَوْل . والجملةُ خبرُ «قُلُوبٌ» و «وَاجِفَةٌ» صفةٌ لها .

١٠ ، ١١ ـ ﴿يَقُولُونَ أَئِنَّا ..﴾ أى يقولون إذا قيل لهم إنكم تُبعثون ـ منكرين له ومتعجبين منه ـ : أنردُّ إلى الحياة التى كنا فيها بعد أن نموت ونفنَى !؟ يقال : رجع فلان فى حافرته وعلى حافرته ، أى طريقه التى جاء فيها فحفرها بمشيه ؛ ثم كُنِّىَ به عن الرجوع إلى الأحوال التى كان عليها الإنسان من قبل . ﴿فِي الْحَافِرَةِ﴾ إلى الحالة الأولى (الحياة) . ثم أكّدوا ذلك بقولهم : ﴿أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً﴾ أى أئذا صِرْنا عظامًا باليةً : نردُّ ونُبعث مع كونها أبعدَ شىء من الحياة ؟! والاستفهامُ بمعنى الإنكار ؛ مِن نَخِر العظمُ ـ من باب تعب ـ بَلِى وتفتّت . وقُرِئَ «نَاخِرَة» بمعنى نَخِرة . أو بمعنى فارغةً جوفاء ، يجىء منها عند هبوب الريح نخير ، أى صوت .

١٢ : ١٤ ـ ﴿كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ رجعةٌ خائبةٌ غيرُ رابحة ! والكرَّةُ من الكرّ ، أى الرجوعِ . وجمعها كَـرّات . والـخُسران : ضـدُّ الرِّبح ، ونسبته إليها مجاز . والأصلُ خاسرٌ أصحابُها . وهو استهزاءٌ منهم . ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ أى لا تحسَبوا هذه الكرة صعبةً على الله ! فإنما هى حاصلةٌ بصيحة واحدة وهى النفخة الثانية ، وهى أهونُ شىء ؛ من قولهم : زَجَر البعيرَ ـ من باب نَصَر ـ إذا صاح عليه . ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ فإذا هم حضورٌ بالموقف فى الأرض المستوية الخالية من النبات . وسُمِّيَتْ ساهرةً لأن السَّراب يجرى فيها ؛ من قولهم : عينٌ ساهرة ، أى جاريةُ الماء . وفي ضِدّها : عينٌ نائمة . وقيل الساهرةُ : وَجْهُ الأرض . والعربُ تُسَمِّيه ساهرةً ؛ لأن فيه نومَ الحيوان ؛ وسهرَه ، فوُصِف بصفةِ ما فيه . وقيل الساهرةُ : أرض الشام .

١٥ : ١٨ ـ ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ..﴾ تسليةٌ للرسول صلى

اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ
أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾
فَأَرَىٰهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ
أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ
الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ
السَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ
لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾

الله عليه وسلم ، وتهديدٌ لقومه أن يصيبَهم بتكذيبهم مثلُ ما أصاب من كان أقوى وأعظم منهم . أى أليس قد أتاك حديثه ! ﴿ طُوًى ﴾ اسمٌ للوادى المقدّس بأرض الشام . ﴿ إِنَّهُ طَغَى ﴾ جاوز الحدَّ فى الطُّغيان والضلال ، بالتكبُّر على الله ، والتجبُّر على الخلق واستعبادِهم . ﴿ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ﴾ هل لك ميلٌ إلى التزكية وتطهيرِ النفس من الرِّجْس والعناد . وهو طلبٌ ودعاءٌ إلى التزكية فى تلطُّف ورفق ؛ كما يقال : هل لك فى الخيرِ ! وهل لك إلى الخير ! أى ميلٌ إليه وانعطاف .

٢٠ ـ ﴿ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ﴾ هى قلب العصا حيّةً . أو هى واليَدُ البيضاء . وأُطلق عليهما آيةٌ لاتحادهما مقصِدًا .

٢٢ ـ ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى ﴾ ثم تولّى وأعرض عن الإيمان والطاعة ، مُجدًّا فى إبطالِ أمره ومعارضة آيته .

٢٣ ـ ﴿ فَحَشَرَ ﴾ فجمَع السحرةَ من المدائن . أو الْجُندَ . أو هما ؛ من الحَشْر ، وهو إخراج الجماعة من مقرّهم ، وإزعاجُهم عنه إلى الحرب ونحوه .

٢٥ ـ ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ .. ﴾ أى نَكَّلَ الله به نَكالَ الآخرةِ بالإحراق ، والأُولى بالإغراق . والنَّكالُ : مصدرٌ بمعنى التّنكيل ، وهو التعذيب الذى ينكل من رآه أو سمعه ، ويمنعه من تعاطى ما يُفضِى إليه . يقال : نكّل فلانٌ بفلان ، إذا أثخنه عقوبةً . وهو منصوبٌ على أنه مصدرٌ مؤكِّدٌ لـ « فَأَخَذَهُ » لأن معناه نكّل به .

٢٧ : ٢٩ ـ ﴿ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا ﴾ أى أَخلقكم بعدَ موتكم أصعب وأشق ! ﴿ أَمِ السَّمَاءُ ﴾ نبّههم فيه إلى أمرٍ معلوم بالمشاهدة ، وهو أن خَلْقَ السماء أعظمُ وأبلغُ فى القدرة . وإذا كان الله قادرًا على إنشاء العالم الأكبر ، فيكون على خلق العالَم الأصغر بل على إعادته أقدَر . ثم أشار إلى كيفية خلق السماء بقوله : ﴿ بَنَاهَا ﴾ بهيئة بديعة محكمة . ﴿ رَفَعَ سَمْكَهَا ﴾ أى جعل مقدارَ ارتفاعها عن الأرض مديداً رفيعاً . يقال : سمكتُ الشىء : رفعتُه فى الهواء . وسمكَ الشىءُ سُمُوكًا : ارتفع . وبناءٌ مسموكٌ : عالٍ . ﴿ فَسَوَّاهَا ﴾ جعلها ملساءَ مستويةً ، ليس فى سطحها ما يحول دون الاستقرار عليها . أو جعلها متشابهة الأجزاء والشكل . ﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا ﴾ أظلمه بمغيب شمسِها . يقال : غَطَش الليلُ ـ من باب ضرب ـ ، أظلم . وأغطشه الله ؛ من الغَطَش وهو الظلْمة . ﴿ وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴾ أبرز نهارَها . والضُّحى فى الأصل : انبساط الشمس وامتدادُ النهار ؛ ثم سُمّى به الوقتُ المعروف ، وشاع فى ذلك وتُجوِّز به عن النهار بقرينة مقابلته بالليل . وعُبِّر عن النهار بالضحى لأنه

أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾

أشرفُ أوقاته وأطيبُها . وأضيف الليلُ والضّحى إلى السماء لأنهما يحدثان بسبب غروب شمسها وطلوعها .

٣٠ ، ٣١ - ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾ أى ودحا الأرض - بمعنى بَسَطها - وأوسعها ، بعدَ ذكرِ ذلك الذى ذكرهُ من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وإغطاش ليلها وإظهار نهارها . وقد بيّن الله الدَّحْو بقوله : ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا﴾ بتفجير العيون ، وإجراء الأنهار والبحار العظام . ﴿وَمَرْعَاهَا﴾ أى جميع ما يقتات به الناس والدواب بقرينة قوله بعدُ : « مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ » .

٣٢ ، ٣٣ - ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ أى وأرسى الجبالَ ، أى أثبتها فى الأرض كيلا تميد وتضطرب . وقوله : « أَرْسَاهَا » تفسير للفعل المضمَر قبلَه . ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ أى تمتيعًا لكم ولأنعامكم . والآيةُ تقريعٌ لكفار مكةَ المنكرين للبعث ، زاعمين صعوبته ، بعد أن بين الله كمال سهولته بالنسبة إلى قدرته بقوله : « فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ » . وبيانٌ لدليلَيْن مشاهدَيْن ، وهما : السماءُ وما فيها والأرض وما فيها ، لا يسعهم إنكارهما ؛ ناطقين بكمال قدرته سبحانه ! فأخبر الله بأنه هو الذى بنى السمواتِ السبعَ ورفعَها وسوَّاها ، وخلق ظلمةَ الليل ، وأبرز النهارَ ، وأخبرنا بعد ذلك بأنه هو الذى بسط الأرض ، ومهّدها لسكنى أهلها ومعيشتِهم فيها . وقدّم الخبر الأوّل لأنه أدلّ على القدرة الباهرة لعظم السماء ، وانطوائها على الأعاجيب التى تحار فيها العقول . فبعديّة الدَّحْو إنما هى فى الذكر لا فى الإيجاد ، وبجْعل المشار إليه هو ذكر المذكورات من البناء وما عُطف عليه لاأنفسها ، لا يكون فى الآية دليل على تأخر الدَّحْو عن خلق السموات وما فيها ، ويكون الترتيب بين خلق الأرض وخلق السموات مستفادًا من دليل آخر . وقد ذهب جمهور المفسرين إلى تقدُّم خلْق الأرض وما فيها على خلق السماء وما فيها ؛ أخذاً بظاهر آيتى البقرة وفصلت[1] بناء على تفسير الخلق فيهما بالإيجاد ، وهو معناه الظاهر ، وتفسير ما عُطف عليه من الأمور الثلاثة فى آية فُصّلت بمعانيها الظاهرة ، وعلى أن « ثم » للتراخى فى الزمان . وأمّا إذا فُسِّر الخلقُ فيهما بالتقدير ، أو بالإيجاد مع تقدير الإرادة وكذلك ما عطف عليه . أو حُملت « ثم » فيهما على التّراخى فى الرُّتبة فلا يكون فيهما أيضًا دليلٌ على الترتيب فى الإيجاد .

٣٤ - ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ﴾ بيانٌ لأحوالهم فى المعاد إثْر بيان أحوالهم فى المعاش . والطَّامَّةُ : الدّاهية التى تَغْلِب وتعلو على ما سواها من الدواهى ؛ من طَمّ الشىءَ يطُمُّه طمًّا : غَمَره . وكلُّ ما كثُر وعلا حتى غلب فقد طمَّ . وهى كالعَلَم على القيامة ؛ بل رُوِىَ أنها اسمٌ من أسمائها . وقيل : هى النفخة الثانية . وجوابُ الشرط محذوفٌ تقديره : وقع مالا يدخل تحت الوصف . وقوله : « فأمّا » تفصيلٌ له .

٣٦ - ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ﴾ أُظهرت إظهاراً بيّنًا لا خفاء فيه على أحد .

(١) آية ٢٩ البقرة . وآيات ٩ - ١٢ فصلت .

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

(٨٠) سُورَةُ عَبَسَ مَكِّيَّة
وآياتها ٤٢ نزلت بعد النجم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ



٣٩ ـ ﴿هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ هيَ المرجع والمُقَام له لا غيرها .

٤٠ ـ ﴿خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ أى عظمتَه وجلالَه . أو قيامَه بين يدى ربِّه عزّ وجلّ للحساب يومَ الطّامة الكبرى . ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ ..﴾ زَجَرها وكفّها عن المَيْل إلى الشهوات المردِيَة وضبَطَها بالصبر . ولم يغترَّ بزهرة الدنيا وزينتها ؛ لعلمه بوخامة عاقبته . وأصلُ الهوى : مطلقُ المَيْل ؛ وشاع فى المَيْل إلى الشهوات وسُمّىَ هوًى لأنه يهوى بصاحبه فى الدنيا إلى كل داهية . وفى الآخرة إلى الهاوية .

٤٢ ـ ٤٥ ـ ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ متى يقيمها اللّه ويثبتها [آية ١٨٧ الأعراف ص ٢٢٩] . ﴿فِيمَ أَنْتَ ..﴾ فى أىّ شىء أنتَ من أن تذكر لهم وقتَها وتُعْلمهم به حتى تُسأل عن بيانه ! وهو مما استأثر الله بعلمه ؛ كما قال تعالى : ﴿إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾ والاستفهامُ للإنكار . ﴿مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا﴾ أى من يخاف أهوالها . وظيفتُكَ امتثالُ ما أُمرتَ به من بيان اقترابها وتفصيل أهوالها ، لا تعيين وقتها الذى لم يفوَّض إليك ؛ فما لهم يسألونك عما لم تُبْعَثْ له ! ولم يُفوَّض إليك أمره ! وتخصيصُ الإنذار بمن يخشى مع عمومه للناس كافّةً لأنه هو الذى يُنتفع به .

٤٦ ـ ﴿عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ العشِيَّةُ : من الزَّوال إلى الغروب . والضحَى : البُكرةُ إلى الزّوال . والمرادُ : كأنهم يومَ يرونها لم يلبثوا بعد الإنذار إلا ساعةً من نهار . واللهُ أعلم .

سُورَة عَبَسَ

١ ـ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ..﴾ رُوِىَ أن ابنَ أمِّ مكتُوم ـ عمرو بن قيْس ـ وكان أعمى وأسلم قديمًا بمكة ـ أتى النبىَّ صلى الله عليه وسلم وعنده صناديدُ قريش ؛ يناجيهم ويدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يُسلم بإسلامهم خلقٌ كثير ؛ فقال : يارسول الله ، أقرئنى وعلّمنى مما علّمك الله . وكرّر ذلك ، وهو لا يعلم تشاغله صلى الله عليه وسلم بالقوم . فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعَه لكلامه ، وعبَس وأعرض عنه . فنزلت هذه الآيات معاتبةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد انقضاء نجواه معهم وذهابه إلى أهله . وقيل : فى أثنائها . فكان الرسول بعد ذلك يُكرمه إذا رآه ويقول : (مرحبًا بمن عاتبنى فيه ربى) ! ، ويبسُط له رداءهُ . واستخلفه على المدينة مرّتين[1] وكان من المهاجرين

(١) رواه ابن عبد البر فى الاستيعاب .

أَسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ

الأوّلين . قُتل شهيدًا بالقادسيّة . والعُبوس : قُطوبُ الجبين من ضيق الصدر . والتَّوَلّى إذا عُدِّىَ بعن لفظًا أو تقديرًا فعناه الإعراضُ بالجسم ، أو بترك الإصغاء .

٣ - ﴿وَمَا يُدريكَ لَعلَّهُ يَزَّكَّى﴾ أى أىّ شىء يجعلك داريًا بحال هذا الأعمى الذى عَبَستَ فى وجهه ! لعلّه يتطهّر بما يتعلّمه منك من الشرائع من دنس الجهل ؟ أو يتعظ فتنفعَه ذكراك وموعظتُك ! مِن الزكاة بمعنى الطهارة والنَّماء .

٤ - ﴿يَذَّكَّرُ﴾ يتّعظ .

٥ : ٧ - ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى﴾ عن الإيمان ، وعما عندك من العلوم التى ينطوى عليها القرآن بما عنده ممّا لا خيرَ فيه . ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ أى تتعرّض له بالإقبال عليه والإصغاء لكلامه ! والاهتمام بإرشاده واستصلاحه ، رجاء أن يُسلم ويُسلم بإسلامه غيرُه . يقال : تصدّى له ، أى تعرّض . وأصلُه تصَدَّد من الصَّدَد ، وهو ما استقبلك وصار قُبالتَك . يقال : دارى صَدَدُ داره ، أى قُبالتُها ؛ فأُبدلت الدالُ حرفَ علّة للتخفيف ، نحو تقضَّى البازى . ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى﴾ أى أىّ شىء عليك فى ألّا يتطهَّر من كفره فيُسلم حتى يبعثك الحرصُ على إسلامه إلى الإعراض عمن أسلم وتطهّر ؟ أى لا بأسَ عليك فى بقاء هذا الذى استغنى على كفره وضلاله .

٨ : ١٠ - ﴿وَأَما مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ أى مسرعًا فى طلب ما عندك من العلم والخير . ﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾ اللهَ ويتّقيه . أو يخشى فواته . ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ تُعرض وتتشاغل . يقال : لَهِىَ عنه - كرَضِىَ - وتلهى ، سلا عنه وترك ذكره .

١١ : ١٦ - ﴿كَلَّا﴾ أى ما الأمر كما تفعل ! وهو مبالغةٌ فى إرشاده صلى الله عليه وسلم إلى عدم معاودة ما عُوتب عليه . رُوى أنه صلى الله عليه وسلم ما عَبَس بعد ذلك فى وجه فقير قطُّ ، ولا تصدَّى لغنىّ قطُّ ! . وعن سفيان الثَّورىِّ : أن الفقراء كانوا فى مجلسه أمراء . ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ أى إن آيات القرآن موعظةٌ يجب أن يُتّعظ بها ويعمل بموجبها . وفيه تعريضٌ بمن استغنى عنها . ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ أى ذكر هذه التذكرة ، وذكّر الضمير لأن التذكرة بمعنى التذكير والوعظ . والجملةُ معترضةٌ للترغيب فى وَعْى هذه الآيات والاتّعاظ بها . ثم وصف التذكرة بقوله تعالى : ﴿فِي صُحُفٍ﴾ أى مثبتةٌ فى صحف منتسَخة من اللوح المحفوظ . ﴿مُكَرَّمَةٍ﴾ عنده تعالى . ﴿مَرْفُوعَةٍ﴾ ذات منزلة رفيعة . ﴿مُطَهَّرَةٍ﴾ منزهة عن مساس أيدى الشياطين ، أو عن كل دَنس ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾ هم الملائكة الذين جعلهم الله سُفَراء بينه وبين رسله . جمعُ سافر بمعنى سفير ، أى رسول وواسطة . أو هم كَتَبة من الملائكة يَنْسَخون الكتب من اللَّوح المحفوظ ، جمع سافر ، أى كاتب . يقال : سفر الكتاب ، يَسْفِره كتبه ؛ ومنه السِّفْر للكتاب ، وجمعه أسفار . ﴿كِرَامٍ﴾ مكرَّمين معظَّمين عنده تعالى ؛ من الكرامة بمعنى التوقير . ﴿بَرَرَةٍ﴾ أتقياء . أو مطيعين . أو

خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾

صادقين . جمعُ بَرّ .

١٧ : ٢٢ – ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ﴾ لُعن . أو عُذّب الكافرُ بالله . وعن مجاهد : ما كان فى القرآن قُتل الإنسان ، فإنما عُنِي به الكافر . وهو دُعاءٌ عليه بأفظع الدُّعاء . ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾ ما أشدَّ كفره بالله . مع معرفته بكثرة إحسانه إليه . وهو تعجيبٌ من فَرْط كفره . وبيانٌ لاستحقاقه الدعاء عليه بأشنع دعاء . ثم بيّن نعمه الكثيرةَ عليه الموجبةَ للشكر بدل الكفر فقال : ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ أىْ من أىّ شَىْءٍ خلق الربُّ تعالى هذا الكافرَ الجحودَ ، حتى يتكبّر ويتعظّم عن طاعته . والإقرار بتوحيده . ثم بيّن سبحانه ذلك بقوله : ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ مهينة حقيرة ﴿خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ فهيّأه لما يصلح له . ويليق به من الأعضاء والأشكال . أو فقدّره أطوارًا من حال إلى حال ، إلى أن تمّ خلقُه وتكوينُه . ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ أى يسّر الله له سبيلَ النّظر القويم المؤدّى إلى الإيمان – بما وهبه من العقل . ومكّنه من النظر . وهيأ له من أسبابه . أو يسّر له سبيلَ الخير وسبيلَ الشر ، وبيّن له المسلكيْن ، وأقدره على كلٍ منهما . وهو مثلُ قوله تعالى . (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وإِمَّا كَفُورًا)[1] وقوله : (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ)[2] . أو يسّر له مخرجَه من بطن أمّه . ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ جعله ذا قبر تُوارَى فيه جيفته تكرمةً له . ولم يَدَعْه مطروحًا على وجه الأرض يستقذره الناسُ كافّةً . وتنوشه الطيرُ والسباعُ إذا ظفرت به كسائر الحيوان . والمرادُ أنه تعالى أمر بدفنه . يقال . قبرَ الميتَ يَقْبُره ويَقْبِرُه ، إذا دفنه بيده ، فهو قابر . وأقبره : إذا أمر بدفنه ، أو مكّن منه . وفى الآية إشارةٌ إلى مشروعيّة دفن الإنسان . أما حرقُه بعد موته كما يفعل بعضُ الوثنيّين فمنافٍ للتّكْرمة ، ومنابذٌ للسُّنة الإسلامية ، فضلاً عما فيه من البشاعة والشناعة . ﴿أَنْشَرَهُ﴾ أحياه بعد الموت للجزاء إذا جاء الوقت المقدّرُ للبعث فى علمه تعالى . يقال : أنشر الله الميتَ ونشره . بمعنًى

٢٣ ، ٢٤ – ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ للإنسان عما هو عليه من الكفران البالغ حدَّ الطغيان . ﴿لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ لم يقض ذلك الإنسان المستغنى المتكبِّرُ شيئًا مما أمره به ربُّه ! من ترك التكبُّر ومن التأمل فى الآيات ، والإيمان بالله ، مع ما يتقلّب فيه من النعم الجليلة . ثم بعد أن ذكر خلْقَ الإنسان ذكرَ رزقَه ليعتبر ويقابل هذه النعمة بالشكر فقال : ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ كيف دبّر .

٢٥ ، ٣١ – ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ أنزلنا له الغيْثَ من السماء إنزالاً . ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ شققناها بالنّبات شقًّا بديعًا ، لائقًا بما يشقّها منه صِغرًا وكِبرًا ، وشكلاً وهيئةً . ﴿حَبًّا﴾ ما يَقتات به الإنسانُ ويدّخره ؛ من نحو الحنطة والشّعير والذّرة . ﴿وَعِنَبًا﴾ يتفكّه به . ﴿وَقَضْبًا﴾ علَفًا رَطْبًا للدواب . ويسمّى الفِصْفِصة . وإذا يَبس يسمّى القَتّ . وسمى قضبًا لأنه يُقضب أى يقطع بعد ظهوره مرة بعد أخرى ؛ كالكلأ والبرسيم .

---

(١) آية ٣ الدهر . (٢) آية ١٠ البلد .

مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

(٨١) سورة التكوير مكية
وآياتها ٢٩ نزلت بعد المسد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾

وقيل : القضب ما يُقضب من النبات ليأكله الإنسان غضًّا طريًّا ؛ كالبقول التي تقطع فينبت أصلها . ﴿وَحَدَائِقَ﴾ بساتينَ محوطةً . جمعُ حديقة . وهي ما أحيط من النخل والشّجر ؛ فإذا لم يُحَط فليس بحديقة ، بل هو بستان ؛ ومنه : أحدقوا به ، أى أحاطوا به . ﴿غُلْبًا﴾ عظامًا ؛ جمعُ أغلب وغلباء . والغلباءُ . الحديقة الغليظةُ الأشجار المْلتفَّة . وأصلُها من الغَلَب ـ بفتحتين ـ بمعنى الغِلَظ . يقال : غَلِب ـ كفرح ـ أى غلُظ عنقُه ؛ ومنه : الأغلبُ للغليظ الرقبة . وهَضْبَةٌ غلباءُ : أى عظيمة مشرِفة . ﴿وَأَبًّا﴾ الأبُّ : الكلأ والمرعى . وهو ما تأكله البهائم من العُشْب ؛ من أبَّهُ : إذا أمَّه وقصده ؛ لأنه يُؤم ويُقصد . أو من أبَّ لكذا : إذا تهيأ له ؛ لأنه متهيِّىء للرَّعى . أو ما تأكله البهائم من العشب والنبات . رطبًا كان أو يابسًا . فهو أعم من القَضْب . أو هو التِّبْن خاصّةً .

٣٣ ـ ﴿الصَّاخَّةُ﴾ الداهيةُ العظيمةُ ؛ من صَخَّ بمعنى أصاخ أى استمع . والمرادُ بها : نفخة البعث ؛ لأن الناس يَصُخون لها . أى يستمعون فجعلت مستمعةً مجازًا . أو من صخّه بالحجر : أى صَكَّه . وأصلُ الصّخ : الصّك الشديد . وجوابُ إذا محذوفٌ لظهوره ؛ تقديرُه : شُغِل كلُّ إنسانٍ بنفسه .

٣٧ : ٤١ ـ ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ ..﴾ أى لكل واحد منهم شغلٌ شاغلٌ يكفيه فى الاهتمام به . يقال : أغناه عن كذا ، جعله فى غُنْيَة عنه . ثم بيّن تعالى مآلَ الناس يومئذ وأنّهم فريقان : سعداء ، وأشقياء . فقال : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ﴾ مضيئةٌ مشرقةٌ ؛ من أسفر الصبح : إذا أضاء . ﴿ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ مسرورةٌ بما أعطاها الله من النعيم ، راجيةٌ المزيد ؛ وهى وجوه المؤمنين . ثم أخبر عن وجوه الكافرين بقوله : ﴿عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ غبارٌ . وهو كناية عن تغيّرها للغَمِّ والكآبة . ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ تغشاها ظلمةٌ وسوادٌ . أو ذِلةٌ وَشِدَّةٌ من الهَمِّ . يقال : رَهِقه . أى غشيه . وقيل : الغَبَرَةُ والقَتَرَةُ بمعنًى ؛ إلّا أن الغَبرة ما انحط من الغبار إلى الأرض . والقَترةُ ما ارتفع منه إلى السماء . والله أعلم

وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾

سُورَة التَّكْوِير

فى هذه السورة تصويرٌ للقيامة ومباديها . ومنها هذه الأحداثُ العظامُ فى السماوات وفى الأرض ، التى بيّن الله أنها إذا حَصلت علمت كلُّ نفسٍ فى ذلك اليوم – علم مشاهَدةٍ – ما قدّمته من العمل فى الدنيا ، خيرًا كان أو شرًّا ، وحُوسبت عليه . فإذا عَلِم الإنسان ذلك الآن ارْعَوى عن غيّه ، وأناب إلى ربّه فقال تعالى :

١ – ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ أزيل نورها بعد انبساطِه وانتشارِه ؛ فأظلمت . وأصل التَّكوير : التّلفيف على جهة الاستدارة ؛ من كَوَّرت العِمامةَ إذا لففتها . تُجوِّزَ به عما ذُكر لعلاقة اللزوم ؛ لأن الشّىءَ الذى يُلفّ يذهب انبساطه وانتشاره ، وتختفِى آثارُه .

٢ – ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ أى انقضّت وتناثرت . يقال : انكدر ؛ إذا أسرع وانقضَّ . وانكدر عليهم القوم : إذا جاءوا أرسالاً حتى يَنْصَبُّوا عليهم . أو تغيّرت وانطمس نورها ؛ من كدرتُ الماء فانكدر : جعلته كَدِرًا ، أى مائلاً نحو السواد والغُبرة .

٣ : ٦ – ﴿وَإِذَا الجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ أُزيلت عن أماكنها من الأرض ؛ كما قال تعالى : (وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا)[1] . أو سيِّرت فى الجوّ ؛ كما قال تعالى : (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ)[2] . ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ﴾ جمعُ عُشَراء كنُفَساء ، وهى الناقةُ التى أتى على حملها عشرةُ أشهر . وتُسمَّى بهذا الاسم إلى أن تضع لتمام السنة ﴿عُطِّلَتْ﴾ أهملت بلا راع كأنها غير موجودة . وهو تمثيل لما يصيب النَّاس فى يوم القيامة من الذهول لشدة الهَوْل ، حتى لو كانت لهم فيه عِشار – وهى أنْفَسُ الأموال عندهم وأعزُّ شئ عليهم – لَذُهِلُوا وشُغلوا بأنفسهم عنها . ﴿وَإِذَا الوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ جُمعت من أوكارها ، وخرجت من أجحارها فى ذهول عما تقتضيه طبائعُها من التوحُّش والتَّعادي ؛ لشدّة الاضطراب والفَزع مما نزل بالأرض والسماء . يقال : حَشَرهم يحشُرُهم ويحشِرهم حشرًا ، جمعهم . وقيل أُهلكت ؛ من قولهم : حَشَرتْ السَّنَةَ مال فلان ، أهلكتُه . وعن ابن عباس : جُمعت بالموت فلا تُبعث ؛ ولا يَحضُر فى القيامة غيرُ الثَّقلين . ﴿وَإِذَا البِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ أُحميت بالنار حتى تبخّرت مياهُها . وظهرت النارُ فى مكانها ؛ من قولهم : سَجَر التنُّورَ ، أحماه . وقريبٌ منه قولُ الحسن : يذهب ماؤها حتى لا يبقى فيها قطرة . وقيل : مُلئت بسبب التفجير وانسياب مياهها حتى اختلط عذْبُها بمِلْحها ، وصارت بحرًا واحدًا ؛ من قولهم : سَجَر الحوضَ ، إذا ملأهُ فهو مسجور ؛ قال تعالى : (والْبَحْرِ المَسْجُورِ)[3] . وذلك بسبب زلزلة الساعة التى وصفها الله بغاية العظم .

٧ : ٩ – ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ أى قُرنت الأرواحُ بالأبدان ، وأحيا الله الناسَ للحساب والجزاء . أو قُرنت كلُّ نفسٍ بكتابها أو بعملها ، أو قُرن كلُّ إنسانٍ بشَكْله . ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ﴾ أى المدفونةُ حيَّةً ﴿سُئِلَتْ . بِأَىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾

(١) آية ٢٠ النبأ . (٢) آية ٨٨ النمل . (٣) آية ٦ الطور .

فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ

وكان الرجل فى الجاهلية يئِدُ بنته فيدفنها حيَّةً ، ويَهيل عليها الترابَ حتى تموتَ خشيةَ العار أو الإملاق ؛ فجاء الإسلام بتحريم ذلك تحريمًا قاطعًا .

١٠ : ١٤ - ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ بُسطت بعد أن كانت مطويّة ، وهى صحفُ الأعمال التي كَتبت الملائكة فيها ما فَعل أهلُها من خير أو شر ؛ تطوَى عند الموت وتُنشر عند الحساب . أو هو كنايةٌ عن إعلامِهم بأعمالِهم . ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ قُلعت وأزيلت ، فلم تبق سماءٌ تغطِّى ما تحتها ، كما يُكشط الإهاب عن الذبيحة . والكَشْطُ : قلعٌ عن شدّة التصاق . يقال : كشَطتْ البعير كشطًا ، نزعت جلده . ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ أُوقدت إيقادًا شديدًا للكفار . ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ أُدْنِيَت وقُرِّبَتْ من المتقين ؛ كقوله تعالى : (وأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ لِلْمتَّقِينَ غيرَ بَعيدٍ)[١] ؛ من تزلّف فلان : أى تقرّب . ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ ..﴾ تبيّن لكل نفس جميعُ ما عملته من خير وشر بإحضار صحفها ؛ قال تعالى : (يَوْمَ تَجِدُ كلُّ نفسٍ ما عمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ)[٢] وهو جوابٌ (إذَا) فى الآيات السابقة . والمرادُ بها : زمانٌ ممتدٌّ يسع الأمور المذكورة ، مبدؤه النفخةُ الأولى ، ومنتهاه فصلُ القضاء بين الخلائق . وعلمُ النفوسِ : ما عملته وإن كان فى جزء منه وهو وقت نشر الصحف . إلاّ أنه لما كان بعضُ هذه الأمورِ من مباديه وبعضُها من روادفه نسب علمها بذلك إلى زمان وقوع هذه الأمور كلها ؛ تهويلاً للخطب ، وتفظيعًا للأمر .

١٥ ، ١٦ - ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ شروعٌ فى بيان شأن القرآن والنبوّة ، بعد إثبات المعاد ؛ أى أقْسِمُ بما ذكر [آية ٧٥ الواقعة ص ٦٩٧ ، آية ١ القيامة ص ٧٦٣] . وجوابُ القَسَم «إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كريم» وما عُطف عليه . ﴿بِالْخُنَّسِ﴾ كرُكَّع . جمعُ خانس ؛ من الخُنوس ، وهو الانقباض والاستخفاء . يقال : خَنسَ إبهامَه - كنصر وضرب - وخُنُوسًا ، قبضها . وبفلان : غاب به ؛ كتخنَّس به . ﴿الْجَوَارِ﴾ جمعُ جارية ؛ من الجَرْى وهو المَر السريعُ . ﴿الْكُنَّسِ﴾ كرُكَّع ، جَمعُ كانس ؛ من كنسَ الظَّبْىُ - من باب نزل - دخل كِنَاسه ، وهو بيته الذى يتّخذُه من أغصان الشجر ؛ لأنه يَكْنِس الرّمل حتى يصل إليه . أقسم تعالى بالنجوم التى تخنِس بالنهار ، أى يغيب ضوءُها فيه عن الأبصار مع كونها فوق الأُفُق ، ويظهر بالليل . وتكنِس ، أى تستتر وقت غروبها ، أى نزولها تحت الأفق ؛ كما تكنِس الظباء فى كُنُسِهَا . وإنما أقسم بها لدلالتها بهذه الأحوال المختلفة والحركات المتّسقة - على عظيم قدرة مبدعها ومصرِّفها . وكذلك فى القَسَمَيْن الآخرين . ومن ذلك خلقُه ذلك المَلَكَ الكريمَ القويَّ الأمينَ ، وإنزاله بالوحى على رسوله العظيم .

١٧ ، ١٨ - ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ أدبر ظلامه ، أو أقبل ؛ وهو من الأضداد . وقيل : العَسْعَسَةُ رِقّةُ الظلامِ وذلك فى طرفى الليلِ ؛ فهو من المشترك المعنوىّ وليس من الأضداد . والمَعنى : أقبل وأدبر معًا . ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ أضاء وتبلَّج . وأَصلُ التنفُّس : خروج النَّفَس من الجوْف ؛ فجُعل الرَّوحُ والنَّسيمُ الذى يُقبل بإقبال الصُّبح نَفَسًا له .

١٩ - ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ جوابُ القسَم . أى إن القرآن

(١) آية ٣١ ق . (٢) آية ٣ آل عمران .

مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾

(٨٢) سُورَةُ الانفِطَارِ مكية وآياتها ١٩ نزلت بعد النازعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا

نصف الحزب

المبينَ لِمَا ذكر في هذه السورة وغيرها لقولُ رسولٍ كريم ، مرسَلٍ من الله تعالى إلى نبيّه محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، وهو جبريل عليه السلام ؛ ونسبةُ القول إليه لأنه الواسطةُ في تبليغ الوحى .

٢٠ : ٢٢ - ﴿مَكِينٍ﴾ أى ذى مكانةٍ رفيعةٍ ومنزلةٍ عظيمة عند الله تعالى . ثم عُطف على المُقسم عليه قولُه : ﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾ أى محمدٌ صلى الله عليه وسلم ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ وقد نعته كفار مكة بذلك افتراءً عليه ، وهم أعلم الناس برجاحة عقله ، وكمال صفاته .

٢٣ - ﴿وَلَقَدْ رَآه ..﴾ هو من المُقْسَم عليه أيضا . أى لقد رأى صاحبُكم محمّدٌ صلى الله عليه وسلم جبريلَ عليه السلام بصورته التى خلقه الله عليها بالأُفق الأعلى من ناحية المشرق بمكة . والمرادُ بها : الرؤيةُ الاولَى الواقعةُ بغار حراء .

٢٤ : ٢٥ - ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ وما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ببخيل بالوَحْى ، مقصِّرٍ فى تبليغه لكم ، وتعليمكم إيّاه ؛ من الضَّنِّ - بالكسر والفتح - بمعنى البُخْل . و «على» بمعنى الباء . وقُرئ «بظَنِين» أى بمتَّهم على الغيب ، بل هو صادقٌ فى كل ما أخبر به عن الله تعالى ؛ من الظِّنَّة بمعنى التُّهَمَة . و«على» بمعنى فى . ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ أى ليس القرآنُ المنَزَّلُ عليه بقول شيطان مسترق للسَّمع من الملأ الأعلَى ؛ حتى تقولوا إنه كهانة !

٢٦ - ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ أى فأىَّ طريق تسلكون أبْيَنَ من هذه الطريقة التى بيّنت لكم !؟ والله أعلم .

سُورةُ الانْفِطَار

اشتملت هذه السورة على طائفةٍ من أهوال السّاعة . وأقسم اللهُ بها لِعظَمها على أن النفوس ستعلم يومَ القيامة كلَّ ما عملته فى الدنيا . وفى ذلك تأكيدٌ للبعث والحساب والجزاء ؛ فقال تعالى :

١ : ٥ - ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ انشقّت لنزول الملائكة ؛ من الفَطْر وهو الشقُّ ؛ قال تعالى : (إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ) وقال : (وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنْزِيلاً)[1] . ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ تساقطتْ وتهاوَت

(١) آية ٢٥ الفرقان .

ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

متفرّقةً ؛ وهو كقوله تعالى : (وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ)[1] أى تناثرت . يقال : نَثَر الشىء ينثُره وينثِره نَثْرًا ونِثارًا ، رماه متفرّقًا ؛ فانتثر وتناثر . ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ شُقّقت جوانبُها فزالت الحواجز التى بينها ، واختلط عذْبُها بمِلْحها وصارت بحرًا واحدًا ؛ وهو كقوله تعالى : (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ)[2] على أحد المعنيين السابقين ؛ من الفَجْر ، وهو شقُّ الشىء شقًّا واسعًا . يقال : فجّره فتفجّر . وتفجّر الماءُ : سال . ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ قُلب ترابُها ، وأثير ما فيها من الموتى فبُعثوا للجزاء . يقال : بَعْثر الشىء ، فرّقه وبدّده وقَلَب بعضَه على بعض ، واستخرجه فكَشَفه وأثار ما فيه . ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ ما أسلفتْ من خيرٍ أو شرّ ، وما أخّرت من سُنّة حسنةٍ أو سيّئةٍ يُعملُ بها بعدها . أو ما عملت مما كُلّفت به ، وما لم تعمَل منه . وهو جوابُ (إذا) فى الآيات الأربع .

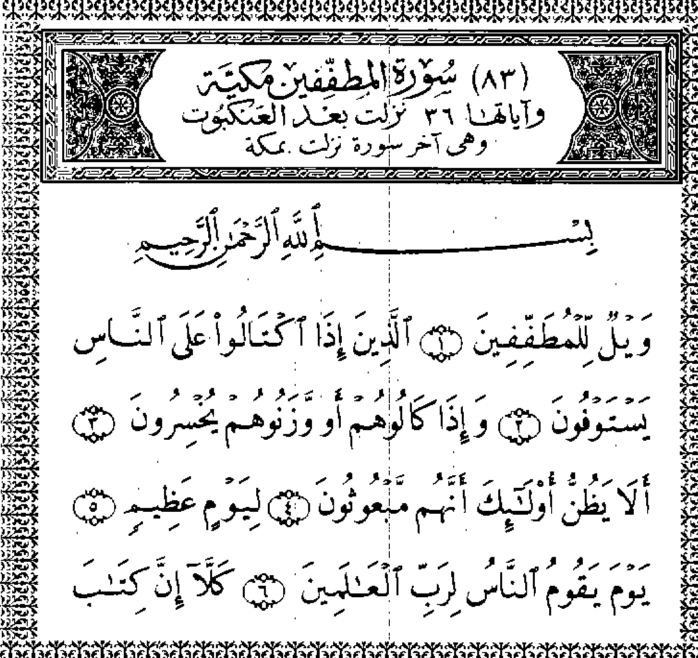
٦ – ﴿مَا غَرَّكَ ..﴾ أىُّ شىء خدَعك ؟ وجرّأك على عصيانه وارتكاب ما لا يليق بشأنه عزّ وجلّ ! . يقال : غَرّه غرًّا وغُرورًا ، خدعه وأطمعه بالباطل ؛ فاغترّ هو . والخطابُ للكافر والمؤمن العاصى .

٧ ، ٨ – ﴿فَسَوَّاكَ﴾ جَعَل أعضاءَك سويّةً سليمةً ، مهيّأةً لمنافعها ، على حسب ما تقتضيه الحكمة ؛ من التّسوية ، وهى فى الأصل جعلُ الأشياء على سَواء . ﴿فَعَدَلَكَ﴾ عدَل بعضَها ببعض ؛ بحيث اعتدلتْ ولم تتفاوت ؛ مِن عَدَل فلانًا بفلان : إذا ساوى بينهما . أو صَرَفها عن خلْقة غيرِ ملائمةٍ لها وجعلَها حسَنةً ؛ من عدَل بمعنى صَرَف . وقُرِئ بالتشديد بمعنى صيّرك معتدلاً متناسبَ الخَلْق من غير تفاوت فيه ؛ فلم يجعل إحدى اليدين أطولَ ولا إحدى العينين أوسعَ ، ولم يخالف بين الأعضاء فى الألوان والهيئات . وعن بعضهم : أى المخفّف والمشدّد بمعنًى واحِد ، ولا عِبرةَ بشذوذ الخلقة فى قِلّة من الأفراد . ﴿فِى أَىِّ صُورَةٍ ..﴾ أى ركّبك فى أىّ صورة من الصُّوَر المختلفة اقتضتْها مشيئتُه تعالى .

٩ – ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ ..﴾ أى ليس هناك شىءٌ يقتضى غرورَكم بالله ، ولكن تكذيبُكم بالبعث والجزاء ، أو بدين الإسلام اللذيْن هما من جُملة أحكامه هو الذى حملكم على ما ارتكبتموه .

١١ – ﴿كاتِبِينَ﴾ يكتبون أعمالكم كلّها ويُحصونها عليكم . والظواهرُ دالّةٌ على أن الكَتْب حقيقىٌّ ؛ لإقامة الحُجّة على العباد يومَ الحساب . وأما العلمُ بآلة الكتابة وما يُكتب فيه فمفوّضٌ إليه تعالى .

(١) آية ٢ التكوير . (٢) آية ٦ التكوير .



١٣ - ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ ..﴾ بيانٌ لنتيجة الحفظ والكتْب من الثواب والعقاب . والأبرارُ : هم المؤمنون الذين برُّوا وصدَقوا فى الإيمان . جمعُ بَرّ - بالفتح - وهو المتّصفُ بالخير .

١٤ ، ١٥ - ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ ..﴾ هم المكذِّبون رسولَ اللهِ والقرآنَ والمكذبون بيوم الدِّين المنكرون للبعث والجزاء ؛ من الفجور وهو شَقُّ سِتْر الدِّيانة . يقال : فجرَ فجورًا فهو فاجر ، وهُم فُجَّر وفَجَرَةٌ . وأصلُه الفَجْرُ ، وهو شقُّ الشيء شقًّا واسعًا . ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها . أو يقاسُون حرّها .

١٩ - ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ ..﴾ بيانٌ ليوم الدِّين . وأنّه يومُ الجزاء لا تنفع فيه نفسٌ نفسًا أخرى ، ولا ينفع فيه إلا العملُ ؛ والأمرُ فيه لله وحده ، لا سلطان لسواه ! . واللهُ أعلم

سُورَةُ المُطَفِّفِين

رُوِىَ أنه لما قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ ، كان أهلُها من أخبث الناس كَيْلاً ؛ فأنزل الله هذه السورة . أو قرأها عليهم فأحسنوا الكَيْلَ بعد ذلك . ومِثْل الكيل الوزنُ والذَّرْعُ .

١ ، ٢ - ﴿وَيْلٌ﴾ عذاب أو هلاك أو واد فى جهنم [آية ٧٩ البقرة ص ٢١] . ﴿لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ الذين يَبْخَسون حقوقَ الناس فى الكيْل والوزن عن الواجب لهم من الوفاء . جمعُ مطفِّفٍ ؛ من الطَّفيف ، وهو التّافه القليل ؛ لأن ما يَبْخَسه المطفِّفُ شىءٌ نزْرٌ حقير . وهو وعيدٌ شديدٌ لمن يأخذ لنفسه وافيًا ، ويُعطى لغيره ناقصًا ، قليلاً كان أو كثيرًا . وقد عظّم الله أمرَ الكيلِ والوَزْن ؛ لابتناء المعاملات عليهما ، والناسُ لا يستغنُون عنهما . والتَّطفيفُ فيهما خيانةٌ واعتداءٌ على الحقوق ؛ ومبْنىَ التعامُل على الأمانة والمعادلةِ فيها . وقد كان قومُ شعيبٍ عليه السلام من المطفِّفين [آية ٨٥ الأعراف ص ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٨٤ هود ص ٢٩٧] . ﴿إِذَا اكْتَالُوا ..﴾ أى إذا أخذوا من الناس ما لَهم قِبَلَهم من حق بحكم الشراء ونحوه ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾ لأنفسهم ؛ فيكتالونه منهم وافيًا وافرًا . و (عَلَى) و (مِن) يتعاقبان ؛ فيقال : اكتلْتُ عليه ، أخذتُ منه ما عليه كَيْلاً . واكتلْتُ منه : استوفيتُ منه . وكال المعطِى ، واكتالَ الآخذ . وعُبِّر بـ(عَلَى) بدلَ (مِن) لتضمين الاكتيال معنى الاستيلاء ، أو للإشارة إلى أنه اكتيال ضارٌّ بالناس ؛ لاحتيالهم فيه على الأخذ الوافر بما تيسّر لهم من الحِيَل ، وكانوا يفعلونه بكَبْس المكيل أو تحريك المكيال ، ونحو ذلك . ومثلُ الاكتيال : الاتّزانُ فيما يُوزن ، والذَّرْعُ فيما يُذرع .

٣ - ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ ..﴾ أى وإذا كالوا لهم المكيل ، أو وزنوا لهم الموزون للبيع ونحوه ، يَنْقُصون فى الكيل أو الوزن . يقال : كاله وكال له . ويقال : خَسَرَ الميزانَ وأخسَرَه ، نَقَصَه .

٤ - ﴿أَلَا يَظُنُّ ..﴾ أُدخِلت

ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ﴿٨﴾ كِتَٰبٞ
مَّرۡقُومٞ ﴿٩﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ
يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ
أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾
كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾
كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمۡ
لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ
تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾
وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٢٠﴾ يَشۡهَدُهُ
ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ
يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾

سكتة لطيفة على اللام

همزةُ الاستفهام على (لا) النافية توبيخًا وإنكارًا وتعجُّبًا من اجترائهم على التَّطفيف ؛ كأنهم لا يخطر ببالهم ولا يُخمِّنون تخمينًا أنهم مبعوثون ليومٍ عظيم الأهوال ، مسئولون فيه عن مقدار الذَّرة ! . فإن من يظنّ ذلك ولو ظنًّا ضعيفًا لا يكاد يجترئ على بخس الحقّ !؟ .

٦ ـ ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لأمره وحكمه .

٧ ـ ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ ..﴾ أى إن ما يُكتب من أعمالهم السيئة ـ لمُثْبَتٌ فى ديوان الشرِّ الجامع لأعمال فُجَّار الثقلَيْن . والمرادُ بهم هنا : الكفّارُ والفَسَقة الذى منهم المطفِّفون . وأصلُ سجِّين : وصفٌ من السَّجْن بمعنى الحبْس ؛ مصدرُ سَجَنه يَسْجُنُه سَجْنًا : أى حبسه . أُطلق على هذا الكتاب لأنه سبب الحَبْس والتضييق فى جهنم . وقيل : هو شرُّ موضعٍ فى جهنَّم .

٩ ـ ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ أى هو كتاب بيِّنُ الكتابة ؛ مِن رَقَم الكتابَ : إذا أعْجَمه وبيّنه . أو مُعْلَمٌ ، يعْلَم من رآه أنه لا خير فيه ؛ مِنْ رَقَم الكتابَ : إذا جعل له رَقْمًا ؛ أى علامةً يُعرف بها . وهو بيانٌ لـ «كتابٌ» .

١١ ـ ﴿يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ باليوم الذى يَدين اللّٰه فيه العبادَ ؛ فيجزيهم بأعمالهم .

١٣ ـ ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ما سطّره السابقون فى كتبهم من الأباطيل والخرافات .

١٤ ـ ﴿كَلَّا﴾ ردع وزجر عن قولهم الباطل . ﴿رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ..﴾ غلب وغطّى على قلوبهم ما كسبوه من أعمالهم السَّيِّئة . يقال : ران ذَنْبُه على قلبه ـ من باب باع ـ رَيْنًا ورُيُونًا ، غلب عليه وغطّاه . وكلُّ ما غلبَك فقد رَانَ بك ، ورَانَكَ ورَانَ عليك .

١٦ ـ ﴿إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ﴾ لَداخلون النارَ . أو لمُقاسُون حرَّها الشديدَ .

١٨ ـ ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ ..﴾ أى إن ما يُكتب من أعمالهم الحَسَنةِ ـ لمثبتٌ فى ديوان الخير الجامع لأعمال صلحاء الثَّقلَيْن . وعلِّيِّين : اسمٌ لذلك الديوان ؛ فهو مفردٌ كقِنِّسْرين . منقولٌ من جَمْع عِلِّيٍّ بصيغة فِعِّيل من العُلُوِّ ؛ لأنه سبب الارتفاع إلى أعالى الدرجات فى الجنة . أو أن ما يكتب من أعمالهم لفى أعلى الأماكن وأرفعها لشرفها .

٢١ ـ ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ يحضره جمعٌ من الملائكة .

يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِى
ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن
تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا
مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ
ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ
لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾
فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى
ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟
يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

٢٣ - ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ أى الأسرّةِ فى الحجال [آية ٣١ الكهف ص ٣٨٠].

٢٤ - ﴿نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ بهجةَ التَّنعُّم ورَوْنقه وغضارته.

٢٥ - ﴿مِنْ رَحِيقٍ﴾ من خَمْرٍ طيبةٍ بيضاءَ لذيذةٍ. خالصةٍ مما يكدِّرُها حتى من الغَوْل الذى فى خمر الدنيا. ﴿مَخْتُومٍ ..﴾ أوانيه وأكوابُه. وختامُها المِسْكُ بدلَ الطِّين. أو هو تمثيلٌ لكمال نفاسته؛ وإلّا فليس هناك غبارٌ أو ذبابٌ أو خيانة؛ ليُصان الرّحيق عن ذلك بالختم. أو المعنى: أن شاربه يجد فى نهاية شُربه رائحةَ المسك؛ ولا يجد تلك الرائحةَ الكريهةَ التى يجدها شارب الخمر فى الدنيا.

٢٦ - ﴿وَفِى ذَلِكَ ..﴾ أى وفى ذلك الرّحيق النفيسِ، أو النعيمِ العظيم فَلْيَرغبِ الراغبون. ولْيتسابَقِ المتسابقون فى الخير. وذلك إنما يكون بالمبادرة إلى الأعمال التى تقرِّب منه تعالى. وأصلُ التّنافُسِ: التغالُبُ فى الشيء النَّفيس. وهو الذى تَحرِص عليه النفوس، ويريده كلُّ أحدٍ لنفسه. يقال: نَفِس عليه الشيءَ - كفَرِح - نفاسة - ضَنَّ به عليه - ولم يره أهلاً لهُ.

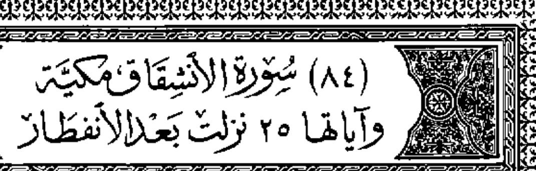
٢٧ - ﴿وَمِزَاجُهُ ..﴾ أى مزاجُ ذلك الرّحيق ماءٌ من عينٍ فى الجنة - منصبٌّ من عُلْو. اسمُها التَّسْنيم؛ وهو مصدرُ سنّمه: إذا رفعه؛ لأن شرابها أرفع شراب فى الجنة يشرب منه المقرَّبون.

٣٠ - ﴿يَتَغَامَزُونَ﴾ يُشيرون إليهم بالأعين استهزاء.

٣١ - ﴿انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ رجعوا إلى منازلهم متلذّذين باستخفافهم بالمؤمنين، والسخريةِ منهم.

٣٤ - ﴿مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ أى يضحكون من الكفار حين يروْنهم أذلاء مُهانين، بعد أن كانوا أعزّاء مستكبرين؛ كما كان الكفار يضحكون فى الدنيا من المؤمنين.

٣٦ - ﴿هَلْ ثُوِّبَ ..﴾ أى هل جُوزِىَ الكفارُ ثوابَ ما كانوا فى الدنيا يفعلون بالمؤمنين؛ من سخريتهم بهم، وضحكهم منهم، بضحكِ المؤمنين منهم فى الآخرة؟ والاستفهامُ للتقرير؛ أى قد فعلنا ذلك. والتّثويبُ والإثابة: المجازاة. يقال: ثوّبه وأثابه؛ إذا جازاه. وأكثرُ ما يُستعمل فى الخير؛ على أنّ المراد التّهكُّمُ بهم. واللهُ أعلم.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾

ثلاثة أرباع الحزب

سُورةُ الانْشِقَاق

١ ، ٥ ـ ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ انصدعت وتفطّرت بالغمام حتى فسدتْ واختلَّ نظامُها ؛ قال تعالى : (وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ)[1] وجوابُ الشَّرط وما عُطف عليه فى الموضعيْن محذوفٌ ، تقديره : لاقى الإنسانُ ربّه فوفّاه حسابَه . ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ استمعتْ لأمر ربِّها بالانشقاق . يقال : أذِن له أى استمعَ ؛ وبابه طَرِب . والمرادُ : أنها انقادت وأذعنت لتأثير قدرته تعالى ، حين تعلّقت إرادتُه بانشقاقها ؛ انقيادَ المأمور المطيع إذا ورد عليه أمرُ الآمر المطاع . ﴿وَحُقَّتْ﴾ أى جُعلت حقيقةً وجديرةً بالاستماع والطاعة . يقال : حُقَّ له أن يفعل كذا ، أى حقيقٌ به وخليقٌ أن يفعله . ﴿مُدَّتْ﴾ بُسطت بدَكِّ جبالِها وآكامِها وتسويتِها ؛ حتى صارت قاعًا صفصفًا لا ترى فيها عوَجًا ولا أمتًا . ﴿وَأَلْقَتْ ..﴾ طرحتْ ما فى جوفها من الموتى ، وخلَت عنه غايةَ الخُلُوّ . وذلك أثرُ الزّلازلِ التى تصيبها . وصيغةُ التَّفعُّل للمبالغة ؛ كما فى قولهم : تكرّم الكريم ، إذا بلغ غايةَ جهدِه فى الكرَم ، وتكلّف فوقَ ما فى طبعه . ﴿وَأَذِنَتْ ..﴾ أى فى الإلقاء والتخلّى . وهى حقيقةٌ بذلك بالنسبة لقدرته تعالى .

٦ ـ ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ ..﴾ جاهدٌ ومجدٌّ فى السير إلى لقاء ربِّك . تَجْهَدُ نفسَك . وتكدُّ فى عملك طوَل حياتك إلى مماتك ؛ حيث تلاقى ربَّك بعملك فيجازيك عليه ، إنْ خيرًا فخيرٌ ، وإنْ شرًّا فشرٌّ . والكَدْحُ : جَهْدُ النفس فى العملِ والعَنَاء ؛ من كَدَح جِلْدَه : إذا خدَشه .

٨ ـ ﴿حِسَابًا يَسِيرًا﴾ هو عرضُ جميع الأعمال ، ثم التجاوزُ عن المعصية ، والإثابةُ على الطاعة ؛ دون مناقشة أو مطالبة بعذر أو حجة .

١١ ، ١٥ ـ ﴿يَدْعُو ثُبُورًا﴾ يطلب هلاكًا بقوله : واثُبوراه . ﴿وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ يدخلها . أو يقاسى حرّها . ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ..﴾ أي أيقن أن لن يرجع إلى ربه حيًّا مبعوثًا فيحاسب . يقال : حار

(١) آية ٢٥ الفرقان .



لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ ۩ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

(٨٥) سُورَةُ البُرُوجِ مَكّيّة وآياتها ٢٢ نزلت بعد الشمس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾

يحور حَوْرًا ، إذا رجع . ﴿بَلَى﴾ أى لَيحُورَنّ ولَيُحاسَبَنّ .

١٦ ، ٢٢ - ﴿فَلَا أُقْسِمُ ..﴾ أى أُقسِم بالشفق [آية ٧٥ الواقعة ص ٦٩٧] . والشَّفَقُ : الْحُمرة التى تظهر فى الأُفق الغربى بعد الغروب ، أو البياض الذى يليها ؛ وسُمِّىَ شفقًا لرقّته . ومنه الشَّفَقةُ لرقّة القلب . ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ أى وما جمعه وضمّه مما كان منتشرًا فى النّهار ؛ من الخلق والدوابّ وغيرها . يقال : وَسَقَ الشىءَ يَسِقُه ؛ فاتسق واسْتَوْسَق : جمعه فاجتمع . ومنه إبلٌ مستوْسِقةٌ : أى مجتمعةٌ . وأمرٌ مُتَّسِق : مجتمعٌ على ما يسرّ .

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ اجتمع وتمَّ نورُه وصار بدْرًا ؛ من الوَسْق وهو الجمعُ والضّمُّ . أقسم الله تعالى بهذه الثلاثة ، وهى حوادثُ متغيِّرةٌ طارئةٌ على الأفلاك والعناصر ؛ فإن الشَّفَق حالةٌ مخالفةٌ لضوء النهار وظلمة الليل . واللّيلُ حالةٌ مخالفةٌ لانبساط ضوْء النهار . وما وَسَقه ؛ فيه تغيير حالته من تفرّق إلى اجتماع ، ومن يقظة وحركة ، إلى نوم وسكون . واتّساقُ القمر بدرًا حالةٌ حادثةٌ بعد نقصان ؛ وكلها دلائلُ على القدرة توجب الإيمان . وقد أقسم الله بها على أنهم يركبون المشاقّ والأهوالَ من وقت الموت فما بعده ؛ كما قال تعالى : ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا ..﴾ جمعُ طبقة ، وهى المرتبة . أى لَتُلاقُنّ أيّها الكفار أحوالاً بعد أحوال ، هى طبقاتٌ ومراتبُ فى الشدّة بعضُها أرفعُ من بعض ، وهى الموت وما بعده من مواطن القيامة . والمرادُ بالركوب : الملاقاة . و(عن) بمعنى بَعْد ، وهو فى المعنى قَسمٌ على صحة البعث وما وراءه من أهوال وشدائد . ﴿فَمَا لَهُمْ ..﴾ أى إذا كان شأنُه تعالى كما ظهر من كمال القدرة وبداعة الصّنعة ، فأىُّ شىء يمنعهم من الإيمان به وبالبعث ، مع تعاضد أدلة القدرة عليه !؟ . ﴿وَإِذَا قُرِئَ ..﴾ أى ومالَهم إذا سمعوا آياتِ الذِّكْر الحكيم ، وهى هُدى ونور ، لا يخضعون ولا يذعنون ! . أنكر عليهم عتوَّهم وكبرياءهم وإباءَهم الخضوعَ للحق مكابرةً وعنادًا . ﴿بِمَا يُوعُونَ﴾ أى بالذى يُضمرون فى صدورهم من الكفر والبغضاء فيجازيهم عليه . وأصلُ الإيعاء : حفظُ الأمتعة فى الوعاء . يقال : أوعى الزادَ والمَتاعَ ، جعله فى الوعاء . واستُعمل فى الإضمار المذكور مجازًا .

٢٤ - ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ غيرُ مقطوع ؛ مِن مَنّ : إذا قطع . أو غيرُ مُعْتَدّ به ومحسوبٍ عليهم ؛ مِن مَنّ عليه : إذا اعتدّ بالصنيعة وحَسَبِها . والله أعلم .

وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ

سُورَةُ البُرُوج

نزلت تثبيتًا للمؤمنين على ما هم عليه من الإيمان ، وتصبيرًا لهم على ما يلقَوْنه من أذى المشركين . وإعلامًا بما نال مَن سبقهم من المؤمنين من أذى العُتاة الظالمين ؛ ليردُّوهم عن الإيمان . وبما كان منهم من الثبات على الإيمان ، والصبر على العذاب فى سبيل الله . أىْ فكونوا مثلَهم ؛ وسيحيق بكفار مكة ما حاق بأمثالهم من الكفار السابقين . والعاقبةُ للمتقين !.

١ - ﴿وَالسَّمَاءِ﴾ (أقسم) الله بها وبما بعدها . ﴿ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ ذات المنازل والطُّرق الإثنى عشر التى تسير فيها الكواكب ، شُبهت بالقصور لنزول الكواكب بها ؛ كما ينزل الأكابرُ والأشارفُ بالقصور . جمعُ بُرْج ، وهو القصر العالى .

٢ - ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ هو يومُ القيامة الذى وَعد الله به الخلقَ .

٣ - ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ مَن يحضر ذلك اليوم من الخلائق المبعوثين . وما يحضر فيه من الأهوال والعجائب ؛ من الشهادة بمعنى الحضور . أو من يَشْهَد فى ذلك اليوم على غيره ، ومن يُشْهَد عليه فيه ؛ من الشهادة على الخصم . أوّلُه . أقسَم الله بالسماء ذات البروج لما فيها من الدَّلالة على القدرة . وبيوم القيامة وما فيه

تعظيمًا له ، وإرهابًا لمنكريه . وجوابُ القَسَم قولُه : ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ بتقدير اللاّم وقد . أى لقد قُتلوا ؛ أى لُعنوا أشدّ اللّعن . والجملةُ خبريّةٌ . وقيل : هى دعاءٌ عليهم بالإبعاد والطرد من رحمة الله تعالى . وجوابُ القَسَم محذوفٌ لدلالتها عليه ؛ كأنه قيل : أُقسِم بهذه الأشياء إن كفار مكةَ لمَلْعُونون كما لُعن أصحابُ الأخدود . والأُخْدُودُ : الخَدُّ ، وهو الشَّقُّ العظيم المستطيل فى الأرض كالخَنْدق ؛ وجمعه أخاديد . وأصحاب الأخدود : قوم كافرون ذوو بأسٍ وشدة ، نَقِمُوا على المؤمنين إيمانَهم بالله ونكّلوا بهم ؛ فحفروا لهم أُخدودًا فى الأرض ، وأسعروا النّار فيه ، وألقَوْهُم فيه لإبائهم الارتدادَ إلى

الكفر . ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ بدلُ اشتمالٍ من الأخدود ؛ أى النار فيه . ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ أى لُعنوا حين أحدقوا بالنار قاعدين حولها ، مشرفين عليها من حافات الأخدود ، يقذفون فيها المؤمنين ، ويشهدون تعذيبَهم هذا العذابَ المهلك . ﴿وَمَا نَقَمُوا ..﴾ ما عابوا عليهم ، أو ما كرهوا منهم إلا إيمانهم بالله . يقال : نَقَم الأمرَ - من باب ضرب - كرِهَه . وفى لغة كفَهم .

٩ - ﴿فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ ..﴾ محَنُوهم فى دينهم بالأذى والتعذيب بالنار ؛ ليرتدُّوا عن الإيمان . والفَتْنُ : تقدّم فى [آية ١٠٢ البقرة ص ٢٥] . ﴿لَمْ يَتُوبُوا﴾ من فتنتهم ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ بسبب فتنتهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ وهو نارٌ أخرى

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

(٨٦) سُورة الطّارق مكيّة
وآياتها ١٧ نزلت بعد البلد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾

زائدةٌ فى الإحراق .

١١ ـ ﴿إِنَّ بَطْشَ ..﴾ إن أخذ اللهِ الجبابرةَ والظلمةَ لأليمٌ عنيفٌ . والبَطشُ : الأخذُ بقوّة وعُنف .

١٢ ـ ﴿هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ أى يبدئُ البطش بالكفار فى الدنيا ، ثم يعيده عليهم فى الآخرة ؛ فبطْشُه بهم شديد .

١٣ ـ ﴿وَهُوَ الغَفُورُ﴾ لمن تاب وآمن . ﴿الوَدُودُ﴾ كثيرُ المحبة لمن أطاعه .

١٤ ـ ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ خالقُه أو مالكُه . ﴿الْمَجِيدُ﴾ العظيمُ فى ذاته وصفاته .

١٥ ـ ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ لا يتخلّف عن إرادته مرادٌ من أفعاله تعالى وأفعال غيره .

١٧ ـ ﴿حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾ الجموعِ القويّةِ الطاغيةِ من الأمم الخالية ، الذين عُرفوا بالشدّة وقوّةِ البَأس ، وتجنّدوا على الأنبياء وكفروا بهم ، واجتمعوا على أذاهم . أى قد أتاك حديثُهم وعرفتَه ، وعرفتَ وبالَ أمرهم ؛ فذكّر قومك بشئونه تعالى ، وأنذرهم مثلَ ما أصاب أولئك الطاغين .

١٩ ـ ﴿بَلِ الذِينَ كَفَرُوا﴾ أى من قومك أشدُّ كفرًا من أولئك ، واستيجابًا للعذاب ؛ لاستقرارهم على التكذيب عنادًا .

٢١ ، ٢٢ ـ ﴿بَلْ هُوَ ..﴾ أى بل الذى كذّبوا به قرآنٌ مُتناهٍ فى الشَّرفِ والرِّفعةِ . ﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ من التغيير والتبديل ، ووصولِ الشياطين إليه ؛ وهو أمُّ الكتاب . واللهُ أعلم .

سُورةُ الطارق

١ ، ٣ ـ ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطارِقِ﴾ أقسم الله بالسماء وبالطارق . والمرادُ به هنا : النّجمُ البادى باللّيل ، وأصلُه : الآتى ليلاً ؛ لأنه فى الأكثر يجد الأبواب مغلقةً فيطْرُقها ؛ ثم اتُّسع فيه فأُطلق على كل ما يأتى ليلاً ، ومنه النجم الطالعُ بالليل . وفى الإقسام بهما تفخيمٌ لشأنهما ؛ لدلالتهما ـ فى عِظم الشكل ، وبداعة الصُّنع ـ على عَظيم قدرته تعالى . وزاد النجمَ المُقسَمَ به تفخيمًا قولُه ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ أى أىُّ شىء أعلمك ما هو ؟ ثم فسّره

بقوله : ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ أى المضيئ . كأنه يثقُب الظلامَ بنوره فينفذ فيه . والمرادُ به الجنسُ ؛ فإن لكل كوكب ضوءًا ثاقبًا . أو معهودٌ وهو الثُّريَّا . أو النجمُ الذى يقال له : كوكب الصباح . وجوابُ القَسَم قولُه :

٤ - ﴿إنْ كُلُّ نفسٍ ..﴾ أى ما كلُّ نفس إلا عليها مهيْمِنٌ قائمٌ عليها فى إيجادها وبقائها ؛ وهو الله سبحانه . أو مَن يحفظ عملها من الملائكة ، ويُحصِى عليها ما تكسب من خير أو شرّ . وعُدِّىَ «حافِظٌ» بعلى لتضمُّنه معنى القيام والإحصاء . وقُرِئ «لَمَا» بالتخفيف . «وما» زائدةٌ لـلتوكيد . «وإنْ» مخفَّفةٌ من الثقيلة واسمُها محذوف ؛ أى إنَّهُ . ولمّا ذكَر الله تعالى أن كلَّ نفس عليها حافظٌ أتبع ذلك بوصية الإنسان بالنظر فى أول نشأته ؛ حتى يعلمَ أن من أنشأه قادرٌ على إعادته وجزائه . فيعمل لذلك ما يسرُّه فى عاقبته فقال :

٥ ، ٦ - ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ ثم بيّن جوابَ الاستفهام بقوله : ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ أى من ماء ذى دَفْق . وَالدَّفْقُ : صبٌّ فيه دفعٌ وسيلانٌ بسرعة . وكلٌّ من مَنِىِّ الرجل ومَنِىِّ المرأة اللّذيْن يتخلّق منهما الجنين ذو دَفْق فى الرَّحِم .

٧ - ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ الصُّلْبُ : الظَّهرُ . والترائبُ : جمعُ تَرِيبة ، وهى ما

فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾

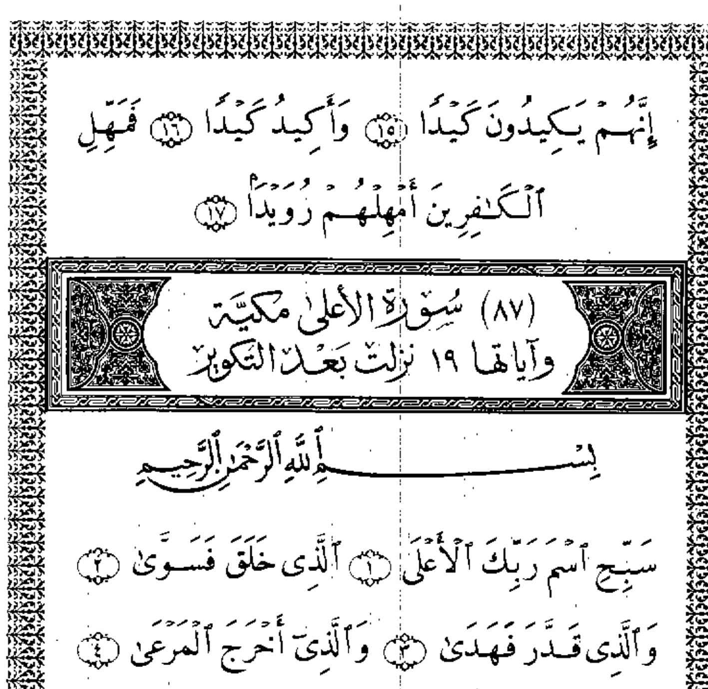
بين الثدييْن . أو أطرافُ المرء : يداه ورجلاه وعيناه . وهما كنايةٌ عن البدن كلِّه . والجملةُ صفةُ «ماء» . أى يخرج هذا الماء الدّافقُ من بين صُلبِ كلٍّ واحدٍ من الرجل والمرأة وترائب كلٍّ منهما . أى أن أعضاء وقُوى كلّ منهما تتعاون فى تكوين ما هو مبدأ لتوالد الإنسان : ماءُ الرجل وهو المَنِىّ . ومادَّةُ المرأة وهى البُوَيْضة المصحوبة بالسائل ؛ المنصبَّان بدفع وسَيلان سريع إلى الرَّحِم عند الاتّصال الجنسىّ . ويُسَمِّى الفُقهاءُ هذه المادةَ منيًّا وماءً .

٨ - ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ ..﴾ إنَّ الله تعالى الذى قدَر على خلق الإنسان من ماء مَهِين دافق ، لبيِّنُ القدرة على إعادة خَلْقه بَعد موته ؛ بل ذلك أهونُ وأيسر .

٩ - ﴿يَوْمَ تُبْلَى ..﴾ يومَ تُكشف المكنوناتُ . وتبدو ظاهرةً للعِيان . وهى ما أُسِرَّ فى القلوب من العقائد والنيات وغيرها ، وما أُخْفِىَ من الأعمال ، ويميّز بين الطيّب منها والخبيث . وهو يوم القيامة . وأصلُ الابتلاء : الاختبارُ والامتحانُ ؛ وإطلاقُه على الكشف والإظهار إطلاقٌ على اللّازم .

١٠ - ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ ..﴾ أى فما للإنسان فى ذلك اليوم قوّةٌ فى نفسه يمتنع بها ، ولا ناصرٌ ينتصر به .

١١ ، ١٢ - ﴿والسَّماءِ﴾ أى المظلّة ﴿ذاتِ الرَّجْعِ﴾ أى المطر . وسُمِّىَ رَجْعًا لأن السحابَ يحمل الماء من بِخار البحار والأنهار ، ثم يرجعه إلى الأرض مطرًا . أو لأنه يعود ويتكرّر ؛ من رَجَع : إذا عاد . ولذا يُسَمَّى أَوْبًا ؛ لرجوعه وتكرُّره . ﴿ذاتِ الصَّدْعِ﴾ ذاتِ النبات ؛ لتصدُّعها وانشقاقِها عنه . وأصلُ الصّدع : الشق ، وأطلق على النبات مجازًا . والنباتُ فى الأرض إنما يكون بسبب المطر النازل من


إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

(٨٧) سُورَةُ الأعلى مكيّة
وآياتها ١٩ نزلت بعد التكوير

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾

حزب ٦٠

السماء . أقسم الله بهما على حقيّة القرآن الناطقِ بالبعث فقال :

١٣ ـ ﴿إِنَّهُ﴾ أى إن القرآن الذى من جملته هذه الآياتُ المتلوّة فى هذه السورة المشتملة على دلائل القدرة على البعث ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ فاصلٌ بين الحق والباطل ، والهدى والضلال . وقد بلغ الغاية فى ذلك ؛ حتى كأنه نفسُ الفصلِ ، وهو جوابُ القَسم . ومن تتمته وصفُه بقوله تعالى :

١٤ ـ ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ ليس فى شىء منه شائبةُ الهزل ؛ وهو اللّعِبُ والباطل ، بل هو جِدٌّ كلُّه ، فيجب أن يُهتدَى به ، وأن يكون مهيبًا فى الصدور ، معظَّمًا فى القلوب ، يترفَّع به قارئُهُ وسامعُهُ عن أن يُلِمَّ بهزل ، أو يتفكّه بمزاح لا يناسب جلالَ القرآن وعظمته . ويتصوّر أن جبارَ السماوات والأرض يخاطبه ؛ فيأمره وينهاه ، ويَعِده ويَتوعّده ، ويُبشّره ويُنذره .

١٦ ، ١٧ ـ ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ أجازيهم ، وأقابل كيدَهم بكيد متين ، لا يستطيعون له دفعًا ؛ فَأَسْتَدْرِجُهُمْ من حيث لا يعلمون ، ثم آخذهم أخذَ عزيز مقتدر . ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ﴾ أمهلهم ، ولا تستعجل عقابَهم ، وانتظر تدبير الله فيهم . يقال : مهِّلْ وَأَمْهِل ، بمعنى أَنْظِرْ ؛ والاسمُ منه المُهْلة . والاستمهالُ : الانتظار . وهو وعيدٌ شديدٌ لهم . ﴿رُوَيْدًا﴾ أى أمهلهم إمهالاً قريبًا أو قليلاً حتى آمرك بقتالهم . مُصَغَّر رُود ، بوزن عُودٍ ؛ من قولهم : فلانٌ يمشى على رُود ، أى على مَهَل . وأصلُه : من رادت الريحُ تَرُودُ ، إذا تحرّكت حركةً ضعيفةً . والله أعلم .

سُورَةُ الأعْلى
وتُسمَّى سورةَ سبِّحْ

١ ، ٥ ـ ﴿سَبِّحِ ..﴾ نزِّه أسماءه تعالى عن كلّ ما لا يليق بها ؛ فلا تُلْحِد فيها بالتأويلات الزائغة ، ولا تطلقها على غيره بوجه يُشعر بتشاركها فيها ، ولا تَسِم بها غيرَه تعالى إذا كانت مختصةً به ؛ كلفظ الجلالة ، والرحمن ، ولا تذكرها فى موضع لا يليق بها ، أو على وجه ينافى التعظيم والإجلال . أو نَزِّهْ ربَّك عما لا يليق به سبحانه فى ذاته وصفاته ، وأفعاله وأحكامه وأسمائه ، وعمّا يصفه به المُلْحِدُون . أو قل : سبحان ربِّىَ الأعلى . ﴿خَلَقَ فَسَوَّى﴾ خلَق الأشياء كلها ، فجعلها سواءً فى الإحكام والإتقان حسبما اقتضته حكمته ؛ قال تعالى : (مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ)[1] . ﴿قَدَّرَ فَهَدَى﴾ جعلَ الأشياءَ على مقاديرَ مخصوصةٍ فى أجناسها وأنواعها وأفرادِها ، وصفاتِها وأفعالِها ، وآجالها . فوجّه كلّ واحدٍ منها إلى ما يَصدُر عنه ، وينبغى له طبعًا واختيارًا ، ويسّره لما خُلق له بخَلْق الميول والإلهامات ، ونَصْبِ الدلائل

(١) آية ٣ الملك .

فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

وإنـزال الآيـات . ﴿أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ أنبتَ ما ترعاه الدّوابُّ أخضرَ غضًّا رطبًا . ﴿فَجَعَلَهُ﴾ بعد ذلك ﴿غُثَاءً﴾ يابسًا جافًّا . وأصلُه : الهالك البالى من ورق الشجر ، ومنه غُثاءُ السَّيْل [آية ٤١ المؤمنون ص ٤٣٩] . ﴿أَحْوَى﴾ أسود من القدم والعتق ، من الحُوَّة . وهى سوادٌ إلى الخضرة . أو حُمرةٌ تضرب إلى السواد . وُصف به الغُثاءُ ؛ لأن الغثاءَ إذا قَدُم وأصابته المياهُ أسوَدّ وتعفّن فصار أحوَى .

٦ ، ٧ - ﴿سَنُقْرِئُكَ ...﴾ بيانٌ لهدايته صلى الله عليه وسلم لتلق الوحي ، وحفظِ القرآن الذى هو هدًى للعالمين ، وتوفيقِه لهداية الناس أجمعين . أى سنقرئك القرآن على لسان جبريل ، فتحفظه ولا تنساه فى وقتٍ من الأوقات ، إلا وقتَ مشيئة الله أن تنساه كلَّه ؛ لكنه سبحانه لا يشاء ذلك ، بدلالة قوله : (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ . إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ)[١] . وقوله : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[٢] . والمقصود من هذا الاستثناء : بيانُ أنه تعالى لو أراد أن يُصَيِّره ناسيًا للقرآن لقَدَر عليه ؛ كما قال تعالى : (وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ)[٣] إذ هو على كل شيء قدير ، ولكن لم يشأ ذلك فضلاً منه وإحسانًا . أو المعنى : فلا تنسى مما سنقرئك إيّاه شيئًا ، إلّا ما شاء الله أن تنساه ؛ فيذهب به عن حفظك برفع حُكْمه وتلاوته .

٨ - ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ نوفّقك توفيقًا مستمرًّا للطريقة اليُسرى فى كل باب من أبواب الدِّين : علمًا وعملاً ، واهتداءً وهدايةً . ومن ذلك تيسير تلقّى الوَحْى ، والإحاطةُ بما فيه مما يتعلّق بتكميل نفسه وتكميل غيره . وقيل : اليسرى هى الأمور الحسنَةُ فى الدِّين والدنيا والآخرة .

٩ - ﴿فَذَكِّرْ ..﴾ فذكِّر الناسَ - حسبما يسّرناك له - بما يوحَى إليك ، واهدهم إلى ما فيه خيرُهم . وحذِّرهم من متابعة أهوائهم . وخُصَّ بالتذكير - بعد أن ذَكَّرت الناسَ عامَّةً وبالغت فى ذلك - مَن يُرجَى منه التذكُّر ، ولا تُتعب نفسَك فى تذكير من لا يورثه التذكيرُ إلّا عُتُوًّا ونفورًا . وهو كقوله تعالى (فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ)[٤] وقوله سبحانه : (فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا)[٥] أى بعد أن ذكَّرت وبلَّغتَ ، كرِّر التذكيرَ لمن يخاف الوعيدَ . ولا تكرره لمن أعرض عن ذكرنا .

١٠ - ﴿سَيَذَّكَّرُ ..﴾ سينتفع بتذكيرك من فى قلبه خشيةٌ من الله تعالى ، وخوفٌ من عذابه ، وهم المؤمنون .

١١ - ١٣ - ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ..﴾

(١) آية ١٧ القيامة . (٢) آية ٩ الحجر . (٣) آية ٨٦ الإسراء . (٤) آية ٤٥ ق . (٥) آية ٢٩ النجم .

(٨٨) سُورَةُ الغَاشِيَةِ مَكِّيَّة
وآياتها ٢٦ نزلت بعد الذاريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ

ويتحامى الذّكرى ولا ينتفع بها الكافرُ المصِرُّ على العناد وإنكار المعاد ، الذى خلا قلبُه من خشية الله ؛ فكان أشقى الناس ! ﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ وهى الطبقةُ السُّفلى من أطباق جهنم . ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح بالموت . ﴿وَلَا يَحْيَا﴾ فيها حياةً طيبةً يتلذّذ بها .

١٤ ، ١٥ ـ ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ قد ظَفِر بالمقصود ، ونجا من المكروه مَن تطهَّر من الشرك والمعاصى ، واتّعظ بالذكرى وانتفع بالموعظة . ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ أى ذكر ربَّه بقلبه ولسانه . أو كبَّر لافتتاح الصلاة . ﴿فَصَلَّى﴾ الصلوات الخمس . أو هى وما تيسّر من النوافل .

١٦ ـ ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ﴾ أى بل تؤثرون أيُّها الكفارُ ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ وترضوْن بها ، وتعرضون عن الآخرة إعراضًا كليًّا . والالتفاتُ فيه لتشديد التوبيخ . وقيل : الخطابُ للناس عامّة . وإيثارُهم الدنيا : ترجيحُها على الآخرة فى السعى وترتيب المبادئ . والالتفاتُ فيه لتشديد التوبيخ فى حق الكفار ، وتشديدِ العتاب فى حق المؤمنين .

١٧ ـ ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ ..﴾ لأن لذائذ الدنيا مشوبةٌ بالآلام . والآخرةُ ليست كذلك . والدنيا فانيةٌ . والآخرةُ باقية .

١٨ ـ ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ أى إنّ المذكورَ من قوله تعالى : «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى» إلى قوله : (وَأَبْقَى) لثابتٌ بمعناه فى الصُّحف الأُولى . واللهُ أعلم

سُورةُ الْغَاشِيَةِ

١ ـ ﴿هَلْ أَتَاكَ ..﴾ استفهامٌ أُريد به التّعجيب من حديث القيامة ، والتشويق إلى استماعه . وسُمّيتِ القيامةُ غاشيةً ؛ من غَشِيَه الأمرُ : غطّاه ؛ لأنها تَغْشَى الخلق بأفزاعها وتجلّلهم فتعمُّهم .

٢ ـ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ وجوهٌ يومَ إذ غَشيت القيامةُ الخلقَ ذليلةٌ لما اعترض أصحابَها من الخزى والهوان ، وهم الكفار . يقال : خَشَع فى صلاته ، إذا تذلّل ونكّس رأسه . وخَشَع الصوتُ : خَفِىَ .

٣ ـ ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ عاملةٌ فى ذلك اليوم فى النار عملاً تنصَبُ فيه وتتعب ، وهو جرُّ السلاسلِ وحملُ الأغلالِ . والخوضُ فى النار خوضَ الإبل فى الوَحَل ، والصعودُ والهبوطُ فى تِلالها ووهَادِهَا ؛ جزاءَ تكبُّرها عن طاعة الله ، والإيمانِ به فى الدنيا . والمراد أصحابها . والنَّصَبُ : التَّعبُ والإعياء .

٤ ـ ﴿تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾ تدخل نارًا متناهيةً فى الحرارة ، قد أُحْمِيَتْ وأُوقِدَ عليها مدةً طويلة . يقال : حَمِىَ التَّنُّورُ حَمْيًا ، اشتدّ حرُّه .

٥ ـ ﴿مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ بلغت أَنَاها ، أى غايةَ حرِّها [آية ٤٤ الرحمن ص ٦٩٠] .

٦ ـ ﴿إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ هو شجرٌ

وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

فى النار يشبه الشوك ، أمرُّ من الصَّبِر ، وأنتن من الجيفة ، وأشدُّ حرارةً من النار . وهو فى الدنيا يَبيس الشِّبْرِق ، وهو أخبث طعام وأشنعُه ؛ لا تقربه دابّةٌ ؛ وهو سُمٌّ قاتل . والمعذَّبون من الكفار طبقاتٌ : فمنهم مَن طعامُه فى النار الضّريعُ . ومنهم من طعامُه الغِسْلِينُ . ومنهم من طعامُه الزَّقُّوم . ومنهم من شرابُه الحميم . ومنهم من شرابُه الصديد ، لكل باب منهم جزءٌ مقسوم . نسأل الله العفوَ والعافية ؛ بمنّه وكرمه .

٧ - ﴿لَا يُغْنِى مِنْ جُوعٍ﴾ لا يدفع عنهم جوعاً .

٨ - ﴿نَاعِمَةٌ ..﴾ ذاتُ بهجة وحُسْن ؛ من النعومة . أو متنعِّمةٌ فى الجنة ؛ من النعيم ، وهم المؤمنون جزاءَ إيمانهم وطاعتهم لله تعالى .

١٠ - ﴿لَاغِيَةً﴾ أى كلمة ذاتَ لَغْوٍ ، أو نَفْسًا لاغيةً . واللَّغْوُ : بُيِّنَ فى [آية ٣ المؤمنون ص ٤٣٥] .

١٣ - ﴿سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ مرتفعة السمك أو رفيعة القدر .

١٤ - ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ كيزانٌ لا عُرًا لها موضوعةٌ بين أيديهم . أو على حافات العيون للشرب بها .

١٥ - ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ وسائدُ صُفَّ بعضُها إلى جانب بعض فوق الطنافس للاتكاء عليها . جمعُ نُمْرُقَة . وهى الوسَادَةُ الصغيرة .

١٦ - ﴿وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ بُسُطٌ عِرَاضٌ فاخرةٌ . أو هى الطنافس التى لها خَمْل[1] رقيقٌ ، مبسوطةٌ أو مفرَّقَةٌ فى المجالس . واحدتها زُرْبِىّ ؛ بالكسر ويضمّ .

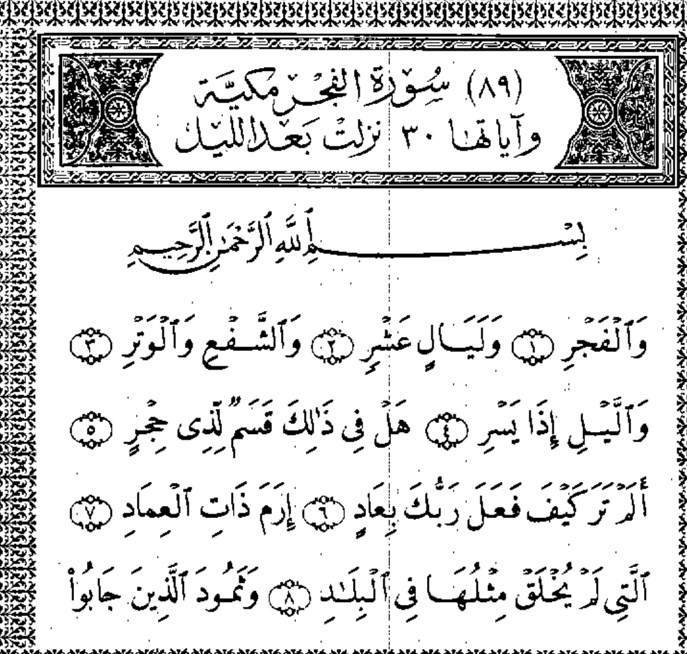
١٧ - ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ ..﴾ فى الآية استدلالٌ على القدرة على البعث بأربعة أدلة مشاهَدَةٍ لا يستطيعون إنكارها . أى أينكرون البعثَ ويستبعدون وقوعَه ، فلا ينظرون إلى الإبل وهى نصبُ أعينهم يستعملونها كل حين ، كيف خُلقت خلقًا بديعًا ، معدولاً به عن سَنَن خلْق أكثر الحيوان ؛ فى عِظَم جسمها ، وشدة قوّتها ، وعجيب هيئاتها اللائقة بتأتّى ما سُخّرت له من الأعمال الشّاقة ، وغريب أحوالها وصفاتها .

٢٠ - ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ جُعل لها سطحٌ لإمكان الاستقرار عليها . وهذا لا ينافى القولَ بأنها قريبة من السكُرَة الحقيقية لمكان عظمها .

٢٢ - ﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾ أى مُسلَّط عليهم قاهرٍ لهم ، تجبرهم على ما تريد [آية ٣٧ الطور ص ٦٧٣] .

٢٥ ، ٢٦ - ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ..﴾ أى إنّ إلينا رجُوعَهم

(١) الخمل - بفتح فسكون - هدب القطيفة ونحوها مما ينسج وتفضل له فضول كخمل الطنفسة ؛ أي البساط .



بعد الموت لا إلى أحدٍ سوانا . وإنّ علينا حسابهم في المحشر لا على غيرنا ، ونجازيهم جزاءً وفاقًا . مصدرُ آب : إذا رجع . وهو تهديدٌ ووعيدٌ للكفار . والله أعلم .

سُورَةُ الفَجْر

١ – ٥ – ﴿وَالْفَجْرِ﴾ أقسم الله تعالى بهذه الأقسام الخمسة لشرفها وعظمِها ، ولما فيها من الفوائد الدِّينيّة والدُّنيوية . فأقسم بالفجر وهو الصُّبح ؛ لما يحصل به من ظهور الضَّوء وانتشار الناس ابتغاءَ الرزق . وقيل : هو صلاة الفجر ؛ لأنها مشهودةٌ ، يشهدها ملائكةُ اللّيل وملائكةُ النهار . وجوابُ هذا القَسَم وما بعده محذوفٌ . يدلُّ عليه قولُه «أَلَمْ تَرَ» إلى قوله «فَصَبَّ عَلَيْهِم رَبُّكَ» تقديرُه : ليعذبنَّ . أي الذين كفروا بالله وأنكروا البعث . ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ وأقسم بعشرِ ذي الْحِجَّة ، أو بالعشر الأواخر من رمضان ، أو بالعشْر الأوائل من المُحرَّم . ﴿والشَّفْعِ والْوَتْرِ﴾ وأقسم بيوم النَّحْر ويوم عَرَفة . أو بالصلاة المكتوبة شفعِها ووترها . وقرئ بكسر الواو . ﴿واللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ وأقسم بالليل وقت أن يُسرَى فيه . وإسنادُ السُّرَى إليه مجاز ؛ على حَدِّ : ليلٌ نائم ، أي يُنَام فيه . وحُذفت ياؤه عند الجمهور وصلاً ووقفًا اكتفاءً عنها بالكسرة ؛ للتخفيف ولتوافق رءوس الآى . وأقسم به في هذه الحالة لما فيه من السَّتر الذى قد يقتضيه الحال . ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ الحِجْر – بكسر أوّله – : العقل ؛ لأنه يَحْجُر صاحبه ويمنعه من التّهافُت فيما لا ينبغى . قال الفَرّاء : يقال إنه لذو حِجْر ، إذا كان قاهرًا لنفسه ضابطًا لها . والمشار إليه بـ «ذلك» هو الأمور الخمسةُ المقسَمُ بها . والاستفهامُ للتقرير ؛ أي هل فيما ذُكر من هذه الأمور مُقْسَمٌ به لذى عَقْل يراه حقيقًا بأن يُقْسِمَ به إجلالاً وتعظيمًا . والمرادُ : تحقيقُ أن الكل كذلك ، وتقريرُ فخامة شأنها ، وكونها أمورًا جليلةً خليقةً بالإعظام والإجلال عند العقلاء ؛ توصُّلا إلى أن الإقسامَ بها أمرٌ معتدٌّ به ، خليقٌ بأن تؤكَّد به الأخبار ؛ فيدلّ ذلك على تعظيم المقسَم عليه وتأكيده بطريق الكناية . وفائدةُ هذا القول بعد القَسَم بما ذكر : زيادةُ التأكيد والتحقيق للمقسَم عليه ؛ كمن ذكَر حجةً باهرةً ثم قال : أفيما ذكرتُه حجّة ؟

٦ ، ٨ – ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ..﴾ ذكر الله تعالى في هذه الآية ثلاثَ أُمَم متمرِّدةٍ طاغيةٍ ، كذَّبت الرسلَ فأهلكها الله تعالى ، وجعلها أحاديثَ عبرةً لأمثالها من المكذِّبين . وعادٌ هو : عاد بن عوص بن إرَم بن سام بن نوح عليه السلام ، سُمِّيَ أولادُه باسمه ؛ كما سُمِّيَ بنو هاشم هاشمًا . وقيل لأوائلهم – وهم الذين أُرسل إليهم هود عليه السلام – : عادٌ الأولَى تسميةً لهم باسم أبيهم ، وإرَم تسميةً لهم باسم جَدِّهم ؛ والتسميةُ باسم الأب والجَدّ شائعةٌ مشهورةٌ . وقيل لمن بعدهم عادٌ الآخرة . و«إرَمَ» بدلٌ أو عطفُ

الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى

بيانٌ لـ «عادٍ» ومُنع من الصّرْف باعتبار القبيلة ، وصُرف عاد باعتبار الحيّ . وقيل : إن «إرم» قبيلةٌ من عاد وهي بيت ملكهم ؛ فهي بدلٌ من «عاد» بدلُ بعضٍ من كُلٍّ . ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ صفةٌ لقبيلة «إرم» ؛ أي ذاتِ الأعمدة التي تُرفع عليها بيوت الشَّعْر ؛ إذ كانوا أهلَ خيام وعَمَد ، ينتجعون الغيوث ويطّلبون الكلأ حيث كان ؛ ثم يعودون إلى منازلهم . وقيل : ذات الرفعة والعزة . ﴿لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا ..﴾ صفةٌ أخرى لها ؛ أي لم يخلق في بلادهم مثلُها في الأيْدِ والشّدة وعِظَمِ الأجسام ، وهم الذين قالوا : (مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً)[1] وامتنَّ الله عليهم بقوله : (وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً)[2] .

٩ - ﴿جَابُوا الصَّخْرَ ..﴾ قطعوا صخرَ الجبال واتخذوا فيها بيوتًا بوادى القُرَى بالحِجْر بين الشام والحجاز ؛ كما قال تعالى : (وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ)[3] ؛ من الجَوْب ، وهو القطعُ والخَرْق .

١٠ - ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ ذي الجنودِ والعساكرِ الذين يَشُدُّون مُلكَه ، كما تَشُدُّ الأوتادُ الخيامَ . وقيل لهم ذلك لكثرتهم وكثرة خيامهم التي يضربون أوتادها في معسكراتهم . أو ذي الأبنية العظيمة الشاهقة التي تُشبه الجبال .

١٣ - ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ ..﴾ أنزل بكل منهم نوعًا ولونًا من العذاب عقوبةً لهم . والسَّوْطُ في الأصل : مصدرُ ساط يسوط ، إذا خلط ، ثم شاع استعمالُه في الجلْد المضفور الذي يُضرب به . وعبَّر عن إنزالَ العذاب بالصّبّ وهو الإفراغ والإلقاء ؛ للإيذان بكثرته وتتابعه . وسُمِّي ضروبُ العذاب النازلة بهم سوطًا تسميةً للشيء باسم آلته .

١٤ - ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ المِرْصَادُ في الأصل : المكانُ الذي يقوم به الرَّصَد ويترقّبون فيه . والمرادُ : أنه تعالى يرقُب عملَ كلِّ إنسانٍ ويُحصيه عليه ، ويُجازيه بالخير خيرًا ، وبالشرّ شرًّا ؛ ولا يفوته من الناس أحدٌ ولا من أعمالهم شيء . ومنهم أولئك الجبابرة الطغاة الذين أفسدوا في الأرض أكثر إفسادٍ ، وأضرابُهم في ذلك ككفار مكة .

١٥ - ﴿ابْتَلَاهُ رَبُّهُ﴾ اختبره وامتحنه بالنِّعم . ﴿فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ ..﴾ بالمال الوفير ، والجاهِ العريض ، وأسباب القوّة والعزّة ، فيقول : ربي فضّلني بذلك ؛ لمزيد استحقاقي له ، وكوْني له أهلاً . ولا يخطر بباله أنه فَضْلٌ تفضَّل به الله عليه ؛ ليبلوَه أيشكر أم يكفر .

١٦ - ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ ..﴾ أي اختبره بالحاجة وضيق الرزق ؛ ليُرى هل يصبر أم يجزَع . ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ ولا يخطر بباله أن ذلك اختبارٌ وليس من الإهانة في شيء ؛ بل التقتير قد يؤدّي إلى كرامة الدّارَيْن ، والتّوْسعة قد تُفضي إلى خسرانها .

١٧ ، ٢٠ - ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ

(١) آية ١٥ فصلت . (٢) آية ٦٩ الأعراف . (٣) آية ١٤٩ الشعراء .

طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾

ربع الحزب

للإنسان عن قوليْه المحكيّين عنه ؛ وتكذيبٌ له فيهما ؛ فإن الإكرامَ والإهانةَ لا يدوران على سَعة المال وضِيقه . فقد يُوسَّع على الكافر وهو مهانٌ ، وقد يُضَيَّق على المؤمن وهو مُكرَمٌ ؛ للاختبار والامتحان حسبما تقتضيه الحكمة الإلهية . والواجبُ على الإنسان في حالَتى السَّعة والضِّيق أن يَحمَدَ اللهَ تعالى على سائر نعمِه التي لا تُحصى ، ويشكر عند الغنى ، ويصبر عند الفقر . ﴿بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ التفاتٌ إلى كفار مكةَ الداخلين فيما سبق دخولاً أوّليًّا ؛ لتشديد التَّقريع والتوبيخ . أى بل لكم أحوالٌ أشدُّ شرًّا مما ذُكر ؟ وأدَلُّ على تهالككم على المال وشُحِّكم به ؛ فلا تبَرُّون به أشدَّ الناسِ حاجةً إليه ، وهم فقراء اليتامى . ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ ..﴾ أى لا يَحُثُّ بعضكم بعضًا على إطعام المساكين ؛ ومِن لازم ذلك أنهم لا يُطعمونهم مَن أموالهم . والحضُّ على الشيء : الترغيبُ فيه . ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ﴾ أى المالَ الموروثَ . ﴿أَكْلًا لَمًّا﴾ أى شديدًا لا تتركون منه شيئًا ، لا فرق بين حلال وحرام ، ولا بين ما يُحمَد وما لا يُحمد . والمرادُ : أنكم تجمعون في أكلكم بين نصيبكم من الميراث ونصيب غيركم . وكانوا لا يُورِّثُونَ الصغار والنساء . ﴿حُبًّا جَمًّا﴾ كثيرًا مع حِرْص وشرَه . يقال : جَمَّ الماء في الحوض ، إذا كثر واجتمع ؛ ومنه الْجَمُوم للبئر الكثيرة الماء .

٢١ ـ ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ وزجرٌ عن أفعالهم المذكورة . ﴿إِذَا دُكَّتِ ..﴾ أى إذا دكّت الأرض دكًّا متتابعًا ؛ حتى انكسر وذهب كلُّ ما على وجهها من أبنيةٍ وجبالٍ ، حين زُلزلت المرّةَ بعد المرّة ، فصارت هباءً منثورًا ؛ من الدّك بمعنى الكسر والدّق . أو سُوِّيت تسويةً بعد تسوية ، ولم يبق على وجهها شيء ؛ حتى صارت ملساء لا ارتفاعَ فيها ؛ من الدَّك بمعنى حطِّ المرتفِع من الأرض بالبَسْط والتسوية .

٢٢ ـ ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ هذه الآيةُ من آيات الصفات التى يجب الإيمان بها كما جاءت ؛ من غير تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ؛ على ما ذهب إليه جمهور السلف . ورُوِىَ عن الحسن : جاء أمرُه وقضاؤه . وقيل : هو تمثيلٌ لظهور آيات قدرته وسلطانه . ﴿وَالْمَلَكُ﴾ ملائكة كل سماء . ﴿صَفًّا صَفًّا﴾ مُصطفِّين . أو ذوى صفوف .

٢٣ ـ ﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ ومن أين له الانتفاعُ بالذِّكْرى . أو الاتعاظُ والتوبةُ ، وقد فرّط فيها فى الدنيا وأطاع نفسه وهواه .

٢٤ ـ ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِى ..﴾ أى يقول حين يرى العذابَ تندُّمًا على تفريطه فى الدنيا : يا ليتنى قدَّمت أعمالاً صالحة لأجل حياتى هذه فى

الآخرة . أو وقتَ حياتى فى الدنيا ؛ لأنتفع بها اليوم . واللامُ على الأول تعليليّة . وعلى الثانى توقيتيّة

٢٥ ـ ﴿لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ ..﴾ أى لا يعذِّبُ كعذاب الله أحدٌ . ولا يوثِقُ كوثاقه أحدٌ . والضميرُ عائدٌ إلى الله تعالى . وقُرِئ بفتح ذال (يُعذب) وثاء (يُوثق) ؛ أى لا يعذَّبُ أحدٌ فى الدنيا كعذاب الله الكافرَ يومئذ . ولا يوثَق كما يُوثَقُ الكافر .

٢٧ . ٢٨ ـ ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ ..﴾ أى يقول الله تعالى على لسان ملائكته إكرامًا للمؤمنين عند تمام الحساب : يَا أَيَّتها النفس الساكنة . الموقنةُ بالإيمان والتوحيد . الناعمةُ برَوْح اليقين ؛ بحيث لا يخالطها شكٌّ ، ولا يعتريها ارتياب . أو المطمئنةُ إلى ما وعد الله . المؤمنةُ بصدقه . ﴿ارْجِعِي﴾ بالثواب الذى أعطاك الله ﴿مَرْضِيَّةً﴾ عنده عز وجل .

٢٩ ـ ﴿فَادْخُلِي فِي﴾ زمرة ﴿عِبَادِي﴾ الصالحين المرضيّين .

٣٠ ـ ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ معهم للنّعيم المقيم . والله أعلم .

(٩٠) سُورَةُ البَلَدِ مَكيّة وآياتها ٢٠ نزلت بعد ق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾

سورة البلد

١ ـ ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [آية ١ القيامة ص ٧٦٣] أقسم سبحانه بالبلد الحرام وهو مكة ؛ لشرفها وحُرْمتها بالبيت المعظَّم ـ على أن الإنسانَ خُلِق مبتلى بالعمل . يكابِد فيه المشاقَّ ، ويعانى الشدائد ؛ فلابُدَّ له من العَزْم والجَلَد . وجوابُ القَسَم قولُه : (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ) . والمقصودُ تسليتُه صلى الله عليه وسلم .

٢ ـ ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ ..﴾ أى وأنت حلالٌ به ؛ أى فى حِلٍّ مما تصنع فيه فى سبيل الله . تقتلُ إن شئت من أشرك بالله وأبى إلّا المحادّة والمُشاقّة . وتدع قتْله إن شئت . وقد حرّم الله مكة يومَ خَلق السموات والأرضَ إلى أن تقوم الساعة . ولم يُحِلَّهَا إلّا لنبيّه صلى الله عليه وسلم ساعة من نهارِ يومَ الفتح . ولن تحلَّ لأحدٍ بعدَه . يقال : هو حِلٌّ وحلال ؛ وهو حِرْمٌ وحرامٌ . وهو مُحِلٌّ وهو مُحْرِم . وفى هذه الجملة المعترضة بين القَسَم وجوابه بشارةٌ للنبىّ صلى الله عليه وسلم بفتح مكة على يديه . وحِلِّها له فى القتال ؛ وأنَّ عاقبة الاحتمال الفتحُ والظَّفَر . وقد أنجز اللهُ ذلك يوم الفتح .

٣ ـ ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ ثم أقسم بآدم عليه السلام وما تناسل منه ؛ لأنّهم أعجبُ خلق الله على وجه الأرض ؛ لمَا ركّز فيهم من العقل والإدراك . وقوّةِ النُّطق والبيان ، وكسب العلوم بالاجتهاد . وقد استخلف الله تعالى آدَم أبا البشر فى الأرض . وأمر الملائكةَ بالسجود له تكرمة له . وقيل : هو قسمٌ بآدمَ والصالحين من سُلالته . وقيل : بإبراهيمَ وإسماعيلَ ومحمدٍ ؛ صلى الله وسلم عليهم أجمعين .

٤ ـ ﴿فِي كَبَدٍ﴾ فى تعب ومشقة من مكابدة الهموم والشدائد فى الدنيا . لا فرقَ فى ذلك بين الصالحين وغير الصالحين . ولا بين أن تكون المشاقُّ والمتاعبُ فى خير أو شرّ . فالأنبياء والعُبَّادُ والمجاهدون فى سبيل الله فى كَبَد فى الدنيا . ولهم النعيم فى الآخرة .

أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾

والجاحدون للنبوّة ، والحاقدون والمفسدون فى الأرض فى كَبَد فى الدنيا ، ولهم وراء ذلك كَبَدٌ فى الآخرة . والكَبَدَ : المشقةُ ؛ من المكابدة للشىء وهى تحمُّل المشاقّ فى فعله . وأصله من كبد الرجل ــ من باب طَرِب ــ فهو أكبَد : إذا وجعته كَبِدُه ؛ ثم استُعمل فى كل تعب ومشقة .

٥ ــ ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ ..﴾ أيحسب ذلك الإنسانُ الذى كان يكابدُ منه الرسول صلى الله عليه وسلم ما يكابدُ ؛ وهو على ما قيل : الوليدُ بنُ المغيرة ــ أن لن يقدر على الانتقام منه أحد .

٦ ــ ﴿يَقُولُ﴾ مفاخرًا مباهيًا . ﴿أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَداً﴾ أنفقت مالاً كثيراً . يريد كثرة ما أنفقه فيما كانوا يعدُّونه فى الجاهلية مكارمَ . أو فى عَداوة محمد [صلى الله عليه وسلم] . يقال : مالٌ لُبَدٌ ، أى كثير لا يخاف فناؤه ؛ كأنه التَبَد بعضه على بعض والتصق ؛ من تلبَّدَ الشىء : إذا اجتمع .

١٠ ــ ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ بيّنا له طريقَى الخير والشرّ ؛ وهو كقوله : (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا)[1] . أو ألهمناه التمييزَ بينهما ، ثم وهبناه الاختيارَ لأيهما . والنَّجْدُ : الطريقُ المرتفع ، وجمعُه نجود ؛ ومنه سُمِّيت نجدٌ ؛ لارتفاعها عن انخفاض تِهامة . ووصْفُ طريق الشر بالرفعة إنما هو على سبيل التغليب . وقيل النجدان : الثديان . وهما كالطريقين لحياة الولد ورزقه .

١١ ، ١٣ ــ ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ أى فلا اكتسب ذلك الإنسانُ بمالِه الكثير الأعمالَ العظيمةَ التى لها عند الله رفعةٌ ومنزلَةٌ ؛ وهى فك رقبةٍ أو إطعامُ يتيم أو مسكينٍ ، بدلَ إنفاقها رياءً وسُمْعةً فيما لا يُعتدُّ به من الأعمال . أو فى عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم ــ ولا آمن بالله . والاقتحامُ فى الأصل : الدخولُ فى الشىء بسرعةٍ وشدّةٍ من غير رويّة . يقال : قَحَمَ فى الأمر قُحُومًا ــ من باب نَصَر ــ ، رمى بنفسه فيه من غير رويّة . والعَقَبةُ فى الأصل : الطريقُ الوعْرُ فى الجبل ؛ استُعيرت للأعمال المذكورة لصعوبتها على النفوس . واقتحامُها : فعلُها وتحصيلُها والدخولُ فيها . وقيل : العقبةُ النار أو جبلٌ فيها . واقتحامُها : مجاوزتها بمجاهدة النَّفْس فى طاعة الله فى الدنيا . أو هى الصّراط على مَتْن جهنم ؛ واقتحامُها : المرورُ والجوازُ عليه بسرعةٍ . أى فَلَا فعل ما ينجو به ويجوز بسببه العقبةَ الكئودَ يومَ القيامة . ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ أى أىُّ شىء أعلمك ما اقتحام العقبة ؟

١٣ ــ ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ أى هو ــ أى اقتحامها ــ إعتاقُ رقبةٍ وتخليصُها من إسار الرقّ والعبودية . والفَكُّ : تخليصُ الشىء من الشىء .

١٤ ، ١٨ ــ ﴿ذِى مَسْغَبَةٍ﴾ أى مجاعة . مصدرٌ ميمىٌّ بمعنى السّغَب . يقال : سَغِبَ الرجل ــ كفَرِح ونَصَرَ ــ إذا جاع . ووُصف اليومُ بذلك على حدّ : نهارُهُ صائمٌ .

(١) آية ٣ الدهر .

أُولَـٰٓئِكَ أَصۡحَـٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَـٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ﴿٢٠﴾

(٩١) سورة الشمس مكية وآياتها ١٥ نزلت بعد القدر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفۡسٖ وَمَا

١٥ - ﴿ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ أى قرابة . مصدرٌ ميمىٌّ ؛ مِن قَرُب فى النّسب . يقال : فلان ذو قرابتى وذو مقربتى ؛ بمعنى أن نسبى يتّصلُ بنسبه .

١٦ - ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ أى حاجةٍ وافتقارٍ شديدٍ . مصدرٌ ميمىٌّ ؛ مِن تَرِب الرجل - من باب طَرِب - إذا افتقر ؛ كأنه لَصِق بالتُّراب من الفقْر ، وليس له مأْوًى سوى التُّراب . وأمّا أترب فمعناه استغنى ؛ كأنه صار له مال كالتراب فى الكثرة ؛ كما قيل فى أثْرى .

١٧ - ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ عطفٌ على «اقْتَحَمَ» المنفىّ . فكأنه قيل : فلا اقتحم ولا آمن ؛ فتكون (لا) مكررةً فى المعنى . ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ أى بالرحمة على عباده تعالى .

١٨ - ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بهذه الصفات الجليلة : ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ أى جهة اليمين التى فيها السعداء . أو جهة الذين يؤتَوْن كتبهم بأيْمانهم .

١٩ - ﴿أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ أى جهة الشِّمال التى فيها الأشقياء . أو جهة الذين يؤتَوْن كتبهم بشمائلهم .

٢٠ - ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾ أى مُطْبَقَةٌ مُغلقةٌ أبوابُها عليهم ؛ تشديدًا فى عذابهم . وقرِئ بالواو ؛ من آصدت الباب وأوصدته : إذا أغلقتَه وأطبقته . والاسمُ فيها الإصادُ والوِصاد . والمرادُ : أنه لا ضوء فيها ولا فُرَج ، ولا خروج منها أبدًا . واللهُ أعلم .

سورة الشمس

فى هذه السورة ترغيبٌ فى تزكية النفوس وتطهيرها بالإيمان والطاعة . وترهيبٌ من خسرانها بالكفر والمعاصى . وإنذارٌ لكفار مكة وأضرابهم . أن يصيبَهم من النَّكال ما أصاب ثمودَ حين كذّبوا رسولَهم ، وعقروا الناقة ، وهى آيةُ الله على صدقه فى رسالته . وقد أقسم الله تعالى فيها بكائنات عظيمةِ النفع والآثارِ فى العالَم العُلْوِىّ والسُّفْلِىّ ؛ دالّةٍ بوجودها واختلاف أحوالها على كمال قدرته تعالى ووحدانيّته . وأقسم بنفسه تعالى ؛ إذ كان سبحانه الموجِد والمبدع والمدبِّر لها . أو بفعلَه الحكيم المتقَن فقال :

١ ، ٣ - ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ أقسم بالشّمس ، وهى من العِظَم والنّفع للخلق بالمكان الذى لا يخفَى . وبضُحاها أى ضوئها ، إذا أشرقت وارتفعت . ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ أى تبعها وخلَفها فى الإضاءة ؛ بأن يطلُع مضيئًا بعد غروبها آخذًا من نورها ، سواء كان ذلك من غير تراخٍ ، وهو فى النصف الأول من الشهر ، أو بعد مدّةٍ وهو فى النصف الثانى منه . ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ أى جلى الشمسَ وأظهرَها ؛ فإنها تنجلى إذا انبسط النهارُ ومضت منه

سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

مدةً ، وهو وقتُ الضحى والضَّحاء . وقيل : جلّى الدنيا ؛ أى وجه الأرض وما عليه .

٤ ، ٦ – ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ أى يغشَى الشمسَ فيغطّى ضوءها ، أو يغشَى الدنيا بظلمته . ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ أى ومن أوجدها وأنشأها بقدرته . وإيثار «ما» على «مَنْ» لإرادة الوصفية تفخيمًا وتعظيمًا ؛ كأنه قيل : والقادر العظيم الذى بناها . ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ أى ومن بسطها من كل جانب ، ووطّأها للاستقرار عليها ؛ كدَحَاها .

٧ : ١٠ – ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ أى والنفوس ومَن أنشأها وأبدعها مستعدةً لكمالها ؛ وذلك بتعديل جميع قواها وأعضائها . وقيل : إن «ما» فى الآيات الثلاث مصدريةٌ ؛ فيكون القَسَم ببناء السماء وطَحْو الأرض وتسويةِ النفوس فى الخِلْقة . ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ عرّفها ما ينبغى لها أن تأتى أو تَذَر من خير أو شر ، أو طاعة أو معصية ؛ بحيث تميّز رشدَها من غيِّها . ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ جوابُ القَسَم ، وحُذفت منه اللّامُ لطول الكلام المقتضِى للتخفيف . أى لقد فاز بالمطلوب ، ونجا من المكروه مَن أنْمى نفسَه وأعلاها بتطهيرها من الكفر والمعاصى ، وأصلحها بالصالحات من الأعمال . ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ أى خَسِر . ﴿مَن دَسَّاهَا﴾ نقصها وأخفاها بالفجور ؛ جهلا وفسوقًا . وأصلُ دَسَّى : دَسَّسَ ، مبالغةً فى دَسَّ بمعنى أخفى .

١١ ، ١٥ – ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ نبيَّها . ﴿بِطَغْوَاهَا﴾ أى بسبب طغيانها وتجاوزها الحدَّ بالكفر . مصدرٌ كالطغيان ؛ واختير التعبير به لأنه أشبه برؤوس الآى . ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ أى قام مسرعًا أشقَى ثمود ، وهو قُدار بن سالف ومن معه من الأشقياء لعقر الناقة . وانبعث مُطَاوِعُ بَعَث ؛ تقول : بعثت فلانًا على الأمر ، إذا أرسلتَه ؛ فانبعث له . ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ أى احذرُوا عَقْرَ ناقةِ الله ، واحذروا سُقياها ؛ أى شِرْبَها الذى اختصّها الله به فى يومها ، فلا تمنعوها عنه فى نَوْبتها ولا تستأثروا به عليها ؛ منصوبٌ على التحذير . والسُّقْيَا : مصدرٌ كالرُّجْعَى . ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾ أهلكهم وأطبق عليهم العذاب ﴿بِذَنْبِهِمْ﴾ وهو الكُفرُ والعَقْر . يقال : دَمْدَمَ عليه القبرَ ، أى أطبقه . أو أتمَّ العذاب عليهم . والدَّمْدَمَةُ : إهلاكٌ باستئصال . ﴿فَسَوَّاهَا﴾ جعل الدَّمدمة عليهم سَواءً ؛ فلم يفلت منهم أحد إلا من آمنَ مع صالح عليه السلام . ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ أى ولا يخاف اللهُ من أحد تَبِعةَ إهلاكهم ؛ كما يخاف المعاقِبُون من الملوك تَبِعة ما يفعلون . وفى ذلك غايةُ الاحتقار لهم . واللهُ أعلم .

سورة الليل

أقسم الله تعالى بأقسام ثلاثة . على أن أعمالَ الناس مختلفةٌ : بعضُها هُدًى . وبعضُها ضلالٌ ؛ كما أن أحوالَ الليلِ والنهارِ والمخلوقاتِ مختلفةٌ . فقال :

(٩٢) سُورَةُ الليل مكيّة وآياتها ٢١ نزلت بعد الأعلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ

١ ، ٣ - ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ أي أقسم بالليل كلّه حين يُغطّى النهارَ بظلمته فيذهب ضوءه ؛ كقوله تعالى : (يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ)[1] . أو حين يغطّى كلَّ شيء بظلمته ؛ من التَّغشِيَةِ بمعنى التَّغطية . وإنما أقسم به تعالى لِعظَم فائدته ؛ إذ يأوى فيه كلُّ حيوان إلى مأواه ، ويسكن فيه الخلقُ عن الحركة . ويغشاهم النومُ الذى جعله الله راحةً للأبدان . وغذاءً للأرواح . ﴿والنَّهارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ وأقسم بالنهار حين ينكشف ويظهر بزوال ظلمة الليل ؛ مِن الجلاء بمعنى الظهور . إذ به ينكشف ما كان مستورًا بظلمة الليل ؛ وفيه الحركة والعمل . ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ وأقسم بمن خلق الصِّنفَيْن : الذكَرَ والأنثى فى الإنسان والحيوان والنبات لبقاء النوع ؛ يعنى نفسَه عزّ وجلّ . وعبّر بـ «مَا» لقصد الوصف ؛ كأنه قيل : والقادرِ العظيم القدرةِ ، الذى خلَق صِنْفَى الذكر والأنثى . وقيل : المُقْسَمُ به خلْقُ الصِّنفَيْن . وجوابُ القَسم على القولين قولُه تعالى :

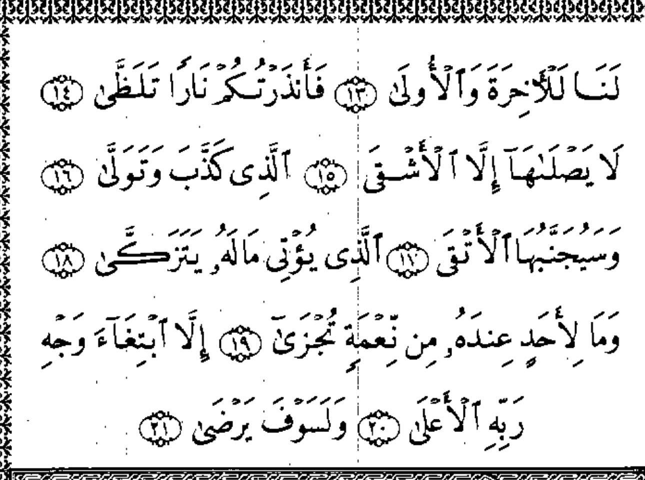
٤ - ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ أى إن مساعيكم لمختلفةٌ متباعدة ؛ فإن منكم المؤمنَ والكافرَ ، والمطيعَ والعاصي ، والساعى فى فكاك نفسِه من النار ، والقاذفَ بنفسِه فيها . و«سَعْيَكُمْ» مصدرٌ مضافٌ فيفيد العموم ؛ فهو فى معنى الجمع ؛ أى مساعيكم . و«شَتَّى» أى متفرّقة . جمعُ شتيت ؛ مِن شَتَّ يَشِتُّ أى تفرَّق . والاسمُ الشَّتَاتُ .

٥ ، ٦ - ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى﴾ حقّ الله تعالى ، أو أنفق فى سبيله مما عنده من الفضل . ﴿واتَّقَى﴾ محارمَه ومعاصيه . ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ أى أيقن بالخَصْلَةِ الْحُسْنَى وهى الجنة . أو الخَلَف فى الدنيا مع المضاعفة عما أنفق .

٧ - ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ فسنهيِّئه للخَصْلة التى تؤدِّى إلى يُسر وراحة ، وهى الأعمال الصالحة التى تُورث الخيرَ والفلاح فى الدنيا والآخرة .

٨ : ١١ - ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾ بماله فلم يؤدّ حقّ الله فيه . أو لم ينفق منه فى سبيله . ﴿وَاسْتَغْنَى﴾ زَهِد فيما عند الله ؛ كأنه مستغنٍ عنه سبحانه ! فلم يتّقِه . أو استغنى بنعيم الدنيا عن نعيم العُقبَى . ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ وهى ما أسلفنا بيانَه . ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ فسنهيِّئه للخصلة التى تؤدّى إلى عُسْر وشدّة ، وهى الأعمال السّيئةُ التى تورث الخُسران فى الدنيا

(١) آية ٥٤ الأعراف . آية ٣ الرعد .



والآخرة . وأصلُ التيسير : التهيُّؤ والتَّسهُّل . يقال : تيسَّر للقتال واستيْسَر له الخروج : أى تهيَّأ له . وتيسَّر واستيسر : تسهّل . وتكون فى الخير والشرّ ؛ ومنه ما فى الحديث : (اعملوا وسَدِّدُوا وقاربوا فكلٌّ ميَسَّرٌ لما خُلق له) (١) أى مهيَّأٌ مصروف مُسَهَّلٌ . وقيل المعنى : فأمَّا من أعطى فسنلْطُف به ونوَفِّقه حتى تكون الطاعةُ أيسرَ شىء عليه . وأمَّا من بَخِل فسنخذُله ونمنعه الألطافَ حتى تكون الطاعةُ أعْسرَ شىء عليه . ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ﴾ أى أىُّ شىء يُغْنى عنه ماله الذى بَخِل به إذا سقط يومَ القيامة فى الهاوية . والتردِّى : السقوط .

١٢ - ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ أى لَبيَانَ الحقِّ من الباطل ، وطريقَ الأوّل لاتّباعه ، وطريقَ الثانى لاجتنابه .

١٣ - ﴿وَإِنَّ لَنَا ..﴾ أى وإن لنا التَّصرّفَ الكامل فيهما كيفما نشاءُ ، فنفعل فيهما ما نشاء . ومن ذلك ما ذكَرنا فيمن أعطى وفيمن بَخل .

١٤ - ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ تتلهّب وتتوقّد . وأصلُه : تتلظّى ؛ من اللظَى وهو اللَّهبُ الخالص .

١٥ - ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ..﴾ لا يُعذَّب بين أطباقها . ولا يقاسِى حرَّها على وجه الأشدِّيَّة إلا الكافرُ الذى كذب بالحق ، وأعرض عن الطاعة . قيل : نزلت فى أُمَيَّة بن خَلف ونظرائه من المكذّبين .

١٧ - ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ وسيُبعد عنها بالكلّية المبالغ فى اتّقاء الكفر والمعاصى .

١٨ - ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ أى يتطهّر به من الذنوب . أو يطلب به أن يكون عند الله زاكيًا ، إذ لم يؤته رياءً ولا سمعةً . نزلت فى الصّديق رضى الله عنه .

١٩ - ﴿وَمَا لِأَحَدٍ ..﴾ لا يفعل الخير ذلك الأتقى جزاءً على نعمةٍ سلفت إليه من أحد ، لكنّه يفعله ابتداءً خالصًا لوجه الله تعالى .

٢١ - ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ وعدٌ من الله لأبى بكر بنَيْل جميع ما يبتغيه على أكمل الوجوه وأجملها . والله أعلم .

سُورةُ الضُّحَى

نزلت هذه السورةُ على الرّسول صلى الله عليه وسلم ؛ تكذيبًا لقريش فى قولهم لما أبطأ عليه الوَحْىُ أيامًا : قد ودَّع محمدًا ربُّه وقَلاه . فقال تعالى :

١ - ٣ - ﴿وَالضُّحَى﴾ أقْسَمَ بالضحَى . وهو وقتُ ارتفاع الشمس وإشراقِها ، وهو وقت نشاط الحركة . والإقبال على العمل . ﴿واللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾

(١) رواه عبد الله بن الإمام أحمد بسند حسن .

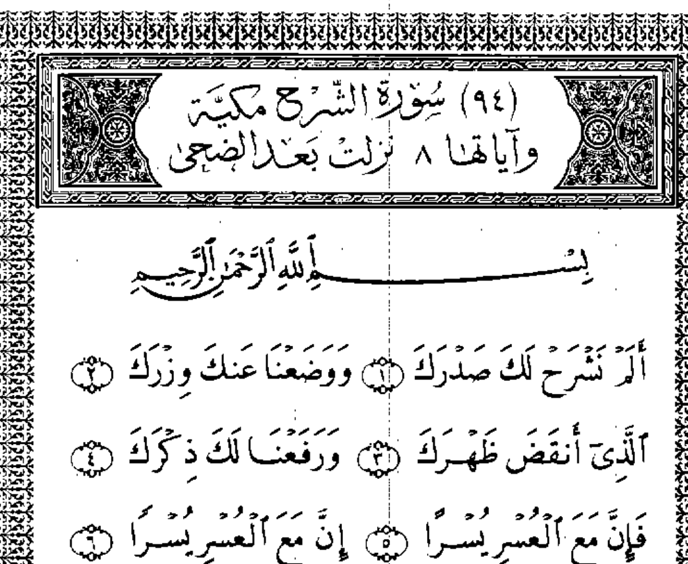
يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾
وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾
فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾
وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

وأَقْسَمَ بـالّليل حين يسكن. يقال: سجا الّليلُ وغيرُه يَسْجُو سُجُوًّا وسَجْوًا، سكن ودام؛ ومنه ليلةٌ ساجية: إذا كانت ساكنة الرّيح. أو أقسم به حين يمتدُّ بظلامه، وذلك وقت السكون وانقطاع الحركة. وجوابُ القَسَم قولُه تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ ما تركك منذ اختارك؛ من التوديع وهو فى الأصل: الدعاءُ للمسافر ببلوغ الدَّعة وخَفْض العيْش. ثم تُعُورف فى تشييع المسافر وتركه، ثم استُعير للتَّرك مطلقًا. وقُرِئَ (وَدَعَك) بالتخفيف بمعناه. ﴿وَمَا قَلَى﴾ ما أبغضَك ربُّك منذ أحبّك؛ من القِلَى وهو شدّةُ البُغْض. يقال: قلاه يَقْليه قِلًى وقَلاءً، أبغضه وكَرِهَه غايةَ الكراهة. كما تقول: قَرَيْتُ الضَّيْفَ أقريه قِرًى وقَراءً.

٤: ٨ - ﴿وَلَلْآخِرَةُ ..﴾ بشارةٌ من الله لنبيّه صلى الله عليه وسلم بأنه مع مواصلته إيّاه بالوَحْى والكرامة، وتخصيصه بمنازلَ رفيعةٍ لم يدركها مَن قبْلَه، سيؤتيه فى الآخرة ما هو أجلُّ وأعظم مما أعطاه فى الدنيا. ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ من خيرى الدنيا والآخرة كلَّ ما فيه رضًا لك، من نصرٍ وتمكينٍ وفتوحٍ، وإعلاءٍ لكلمة الله على لسانك، وبدعوتك وجهادك، وتكثيرٍ لأتباعك، وتفضيلٍ لأمّتك، ومقاماتٍ وكراماتٍ لا يحيط بها إلا المنعِمُ المنّان. ﴿فَتَرْضَى﴾ بما أعطاك. ثم عدّد الله من فنون النّعم العظيمة التى أفاضها على رسوله صلى الله عليه وسلم من أوّل أمره إلى وقت النزول، ثلاثَ نعمٍ جزيلةٍ؛ تقويةً لقلبه، وشرحًا لصدره. والبداياتُ دلائلُ النهايات، والسوابقُ شواهدُ على اللّواحق - فقال: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ حين مات أبوك، ولم يخلّف لك مالاً ولا مأوًى. ﴿فَآوَى﴾ فآواك وضمَّك إلى من يقوم بأمرك؛ حيث كفَلَك جدُّك عبدُ المطلب، ثم من بعده عمُّك الشقيق أبو طالب فأحسن تربيتك. ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاًّ﴾ غافلاً عن معالم النبوّة وأحكام الشريعة التى لا تهتدى إليها العقول وحْدَها؛ كما قال تعالى: (مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ)(١). ﴿فَهَدَى﴾ فهداك إلى مناهجها فى تضاعيف ما أُوْحَى إليك من الكتاب المبين، وعلّمك ما لم تكن تعلم. أمّا أصلُ الإيمانِ بالله فإنه عليه الصلاة والسلام ما كفر بالله قط! ولا أشرك به قطُّ! فلم يَعْبُدْ وثنًا، ولم يؤلّهْ صنمًا، ولم يشهد لذلك رسْمًا. وقد عَصَمه ربُّه من ذلك قبل النبُوّة. واهتدى إلى الإيمان بالله بفطرته، ولم تغب عنه إلا تفاصيلُ شريعته؛ حتى جاءه الحقُّ من ربّه، فعلّمه منها ما لم يكن يعلم، وكان فضل الله عليه عظيمًا. ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً﴾ فقيرًا لا مالَ لك. ﴿فَأَغْنَى﴾ فرضّاك بما أعطاك من الرزق. وذلك حقيقة الغِنى؛ وفى الحديث (ليس الغِنَى عن كَثْرة العَرَض، ولكن الغِنَى غِنَى النفْس). مِن عال الرجُلُ يعيل عَيْلةً، إذا افتقر واحتاج. وإغناؤه صلى الله عليه وسلم: إعطاؤه الكَفاف من العيْش.

٩ - ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ فلا تستذلّه ولا تحتقرْه، ولا تظْلِمْه ولا تغلبْه على ماله، ولا تؤذِه بأى نوع من أنواع الأذى؛ فقد كنت يتيمًا. وفى الحديث (أنا وكافلُ اليتيم فى الجنة هكذا) وأشار

(١) آية ٥٢ الشورى.





بالسبّابة والوسطى وفرّج بينهما ؛ أى إذا أحسن كفالته واتّقى الله فيه . والخطاب له ولأمته .

١٠ ـ ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ﴾ ذا الحاجة إلى مال أو علم ﴿فَلَا تَنْهَرْ﴾ فلا تزجُره ولا تُغلِظ له القولَ ولا تعبس فى وَجهه ؛ بل اسْعفْه بمطلوبه ما استطعت . يقال : نهره وانتهره ، إذا استقبله بكلام يزجره .

١١ ـ ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ أى بما أنعم عليك من النعم العظيمة ﴿فَحَدِّثْ﴾ أى فاذكرها وأذِعْها ؛ وذلك شكرها . والخطابُ له ولأمّته . وإنما يجوز لغيره صلى الله عليه وسلم التحدُّثُ بما عمِله من الخير إذا أمِن على نفسه الفتنةَ ، وقصَدَ اقتداءَ الناسِ به . ونُدب التَّكبيرُ عند خاتمة هذه السورة وما بعدها إلى آخر القرآن العظيم ، بلفظ : لا إله إلّا اللهُ ، واللهُ أكبر . أو ذلك مع زيادة : ولله الحمد . واللهُ أعلم .

سُورةُ الشَّرْح

كما عدّد الله لنبيّه صلى الله عليه وسلم بعضَ نِعَمه العظيمةِ عليه فى السورة السابقة ، ذَكَر له فى هذه السورة نِعمًا أخرى جليلةً ، حاثًّا له بذلك على شكره على ما أنعم ؛ ليستوجبَ بذلك المزيد منه ، فقال :

١ ـ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ألم نُوَسِّعْ صدرَك بما أودعْنا فيه من الهدى والمعرفة والإيمان والفضائل والعلوم والحِكَم . ونُفْسِحْهُ بتيسير تلقِّى ما يوحَى إليك بعد ما كان يشقُّ عليك !؟ والشَّرْحُ فى الأصل : التَّوسعة . يقال : شرح الشىء ، وسَّعه . وإذا تعلّق بالقلب أو الصدر يرادُ منه بَسْطُه بنورٍ إلهىّ وسكينةٍ من الله وَرَوْحٍ منه . والاستفهامُ للتقرير ؛ أى قد شرحنا .

٢ ـ ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ . .﴾ خفَّفْنا عنك ما أثقل ظهرك من أعباء النبوّة والرسالة ؛ حتى تقوم بها وتبلِّغ رسالةَ ربّك . والوِزْرُ : الْحِمل الثقيل .

٣ ـ ﴿الَّذِى أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ أى أثقَله وأوْهنه حتى سمع له نقيضٌ ، وهو الصوت الخفى الذى يُسمع من الرَّحْل فوق البعير . يقال : أنقض الْحِملُ ظهر البعير ، إذا سُمع له صَريرٌ من شدّة الحمل . وسمعت نقيض الرَّحْل : أى صريره ؛ والفِعلُ كنَصَر . أو عصمناك من الذنوب ، وطهّرناك من الأدناس التى تنقُض ظهرك لو وقعتْ . وعُبِّر عن ذلك بالوضع مبالغةً فى انتفاء الذنوب عنه ؛ كما يقول القائل لمن لم يزره : رفعتُ عنك مشقةَ الزيارة ؛ مبالغةً فى انتفاء الزيارة منه له .

٤ ـ ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ نوّهْنا باسمك ، وجعلناه مذكورًا على لسان كلِّ مؤمن فى المشارق والمغارب ، مقرونًا باسمنا فى كلمتَى الشهادةِ والأذان والإقامة والتشهُّد والخطبة وغير ذلك . وقد جعل الله طاعتَه طاعتَه ، وصَلَّى عليه فى ملائكته ، وأمر المؤمنين بالصلاة عليه ، وخاطبه بالألقاب وذكره فى كتب الأوّلين .

٥ ، ٦ ـ ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾

أى خوّلناك ما خوّلناك من الفضل والكرامة ؛ فلا تيأس من فضل الله تعالى . فإن بعد الشدة التى أنت فيها من مُقاساة بلاء المشركين يسرًا عظيمًا ؛ أى فرجًا وسَعَةً بإظهارك عليهم . ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ أى إن مع ذلك العُسْرِ يُسْرًا آخرَ ، ولن يَغلب عسرٌ يُسْرَيْن !

٧ ـ ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾ لمّا عَدَّدَ الله نعمَه السابقةَ ، ووعده بالنِّعم الآتية : بعثه على الشكر والاجتهاد فى العبادة ، والنَّصَب فيها . وألاّ يُخلِى وقتًا من أوقاته منها ؛ فإذا فرغ من عبادةٍ أتبعها بأخرى . والنَّصَبُ : التعبُ والإعياءُ .

٨ ـ ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ اجعل رغبتك ـ أى ضراعتك ـ ومسألتك إلى ربّك ، لا إلى غيره ؛ فهو وحدَه القادرُ على إجابتك وإسعافك . يقال : رَغِبْتُ إلى فلان فى كذا ، سألته إيّاه . والله أعلم .

(٩٥) سُورَةُ التِّينِ مَكيّة
وآياتها ٨ نزلت بعد البروج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾

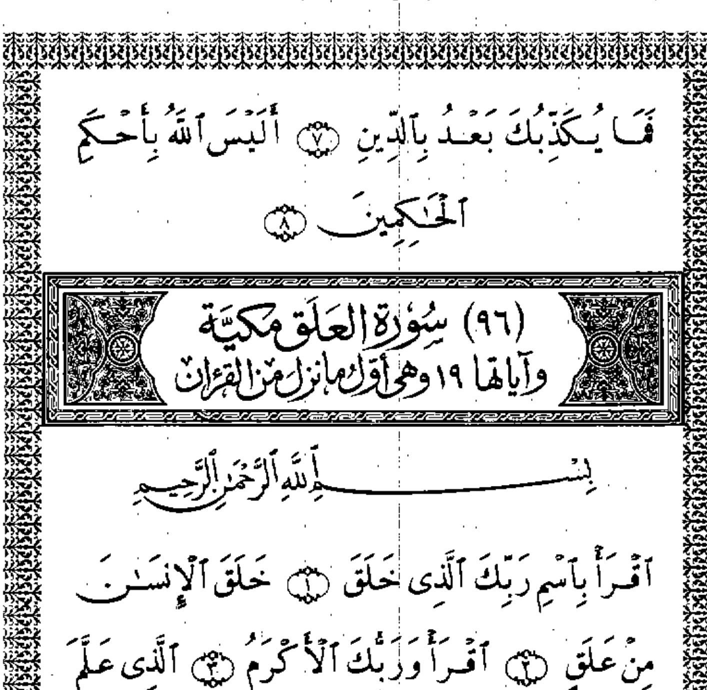
سُورَةُ التِّين

١ ـ ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ..﴾ أقسَم الله تعالى بِبقاعٍ مباركةٍ عظيمةٍ ، ظهَر فيها الخيرُ والبركةُ بسُكنَى الأنبياء . فالتِّينُ والزَّيتُون : مجازٌ عن منابتِها بالأرض المباركةِ ، وفيها مُهاجَرُ إبراهيم ، ومولدُ عيسى ومسكنُه عليه السلام . وطُورُ سينين : الجبلُ الذى كلَّم الله عليه موسى عليه السلام . والبلدُ الأمينُ : مكّةُ المشرَّفةُ التى فيها البيتُ المعظَّم ، وفيها وُلد وبُعث أشرفُ الخلْق محمَّدٌ صلى الله عليه وسلم . وسِينين وسِيْناءُ ـ ويفتح ـ وسِينًا : اسمٌ للبقعة التى فيها الجبل . أو معناه : المبارَكُ الحَسَن ؛ وإضافة (طُور) إليه من إضافة الموصوف إلى الصِّفة . ويجوز فى إعرابه أن يُجرى مُجرى جمع المذكّر السالم ، وأن يَلزم الياء وتُحرّك النون بحركات الإعراب .

٣ ـ ﴿الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ أى الآمِن فى الداريْن داخلُه مؤمنًا بالله ؛ مِن أَمُنَ الرجلُ أمانةً ـ ككرُمَ ـ فهو أمين . أو المأمونِ فيه من الغوائل ؛ مِن أمِنَه : أى لم يُخفْه .

٤ ، ٥ ـ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ..﴾ جوابُ القَسَم ؛ أى لقد خلقنا جنسَ الإنسان فى أعدل قامة . وأحسنِ صورةٍ . مكمَّلاً بالعقل والمعرفة ، ومتّصفًا بالحياة والعلم ، والإرادةِ والقدرة ، والسمعِ والبصرِ والكلام ، والتّدبير والحكمة . والتقْويم : التَّثْقيفُ والتّعديلُ . ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ ..﴾ أى رددناه أقبحَ مَنْ قَبُح صورةً ، وأشوهَهُ خَلقةً ؛ لعدم جَرَيانه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات التى لو عمل بمقتضاها لكان فى أَعْلَى عِلِّيِّين . والمراد به أهلُ النار . وقيل : رددناه بعد ذلك التقويم أسفل مَنْ سَفَل صورةً وشكلاً ؛ بالهَرَم بعد الشباب ، والضّعف بعد القوّة . والعجز بعد القدرة ؛ كما قال تعالى : (وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ)[1] . وقال : (وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ)[2] .

(١) آية ٧٠ النحل . (٢) آية ٦٨ يس .


فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

(٩٦) سُورَةُ العَلَقِ مَكِّيَّة
وآياتها ١٩ وهى أول ما نزل من القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ

والسافلون : هم الضُّعفاءُ والزَّمْنَى والأطفالُ . وأسفَلُهم : الهَرِم . والمردُودُ على المعنيين : بعضُ أفرادِ الجنس .

٦ - ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ..﴾ وجرَوْا على موجَب تلك الصفاتِ التى منحهم الله إيّاها ، وأنشأهم عليها . ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أى غيرُ مقطوعٍ عنهم . أو غيرُ ممنونٍ به عليهم جزاءَ إيمانهم ، واستمساكِهم بالحق ، وقيامِهم بما تقتضيه تلك الصفات . ولا تَقْبُحُ صورُهم يومَ القيامة ؛ بل يزدادون بهجةً وحسنًا . والاستثناءُ متصل من ضمير (رَدَدْنَا) العائدِ على الإنسان ، فإنه فى معنى الجمْع . أو لكن الذين كانوا صالحين من الهَرْمَى لهم أجرٌ غيرُ ممنونٍ ؛ لصَبْرهم على ما ابتُلُوا به من الهَرَم المانع لهم عن النهوض لأداء وظائفهم من العبادة . والاستثناءُ منقطع بمعنى لكن ؛ لدفع ما يُتَوَهَّمُ من أن التّساوى فى أرذل العمر يقتضى التّساوى فى غيره .

٧ - ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ ..﴾ خطابٌ للإنسان الكافرِ على طريق الالتفات ؛ لتَشديد التّوبيخ والتّقريع . والاستفهامُ إنكاريٌّ ؛ أى فأىُّ شىء يضطّرك بعد ما بيّنا من الدليل القاطع على القدرة على البعث والجزاء ، إلى أن تكون كاذبًا بسبب تكذيبك بالجزاء الذى يكون بعد البَعْث والحساب !؟ فإنَّ كلَّ مكذِّبٍ للحق فهو كاذب .

٨ - ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ﴾ الذى فعل ما أنبأناك ﴿بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ أى أتقنِهِمْ صُنعًا وتدبيرًا . أو أحكَمِهم قضاءً بالحق وعدلاً بين الخلق ؟؟ والاستفهامُ للتقرير بما بعد النّفى . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا قرأها قال : (بلى ! وأنا على ذلك من الشاهدين) . والله أعلم .

سُورةُ العَلَقِ

١ - ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ..﴾ فى الحديث الصحيح : أنّ أوّلَ ما نَزل به جبريلُ عليه السلام من القرآن على النبىّ صلى الله عليه وسلم وهو يتحنّث بغار حِرَاء فى شهر رمضان - صدرُ هذه السورة إلى قوله (مَا لَمْ يَعْلَمْ) . ثم نزل آخرُها بعدَ ذلك بما شاء الله تعالى . وبعد نزول صدرها فَتَرَ الوحىُ ، ثم فاجأه المَلَكُ الذى جاءه بحراء ؛ فرَعَب منه صلى الله عليه وسلم ، فرجع إلى أهله يقول : (زَمِّلُونى زَمِّلُونى) وفى رواية (دَثِّرونى) . فأنزل الله «يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ - ثم - يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ» ثم حَمِىَ الوَحْىُ وتتابع ؛ أى اقرأ ما يوحَى إليك من القرآن ، مفتتحًا باسم ربِّك الذى له الخلق . أو الذى خلق كلَّ شىء .

٢ - ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ أى جنسَ الإنسان من بنى آدم . وخصّه بالذكر لكونه أشرفَ المخلوقات ، وفيه من بدائع الصُّنع والتدبير ما فيه . ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ دم جامد . وهو الطَّوْر الثانى من أطوار تَخَلُّق

ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ

المادّةِ الإنسانية . والمرادُ : التنبيهُ إلى ما بين حالتيْه الأولى والآخرة من التباين البيِّن . وأن الذى خلقه من هذه المَادَّة ثم سوّاه بشرًا فى أحسن تقويم . قادرٌ على كل شىء .

٣ . ٥ - ﴿اقْرَأْ﴾ امْضِ لما أمرتُك به من القراءة ﴿وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ الذى زاد كرمُه وفضلُه على كلّ كَرم وفضل . ﴿الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ أى علّم الإنسانَ الكتابةَ بالقلم ولم يكن له علمٌ بها ؛ فضبط بها العلومَ . وعرَف بها أخبارَ الماضين وعلومَهم . وكانت أداةَ التفاهُم والمعرفة . ولولاها ما استقام أمرُ الدِّين والدنيا ؛ فلم يقم دينٌ ولم يَصْلُح عَيْش . ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ ..﴾ أى كما علّمه بالقلم علّمه بدونه ما لم يعلمه من الأمور على اختلافها . فهو سبحانه مفيضُ العلم على الإنسان . ومعلِّمُه البيانَ بالقلم واللسان ؛ ومن ذلك تعليمُكَ القراءةَ والعلومَ التى لا تُحيط بها العقول . وأنت أُمِّيٌّ لا تكتب ! وقد صَرَف الله نبيّه عن الكتابة ليكون ذلك أثبتَ لمعجزته . وأقوى لحجّته .

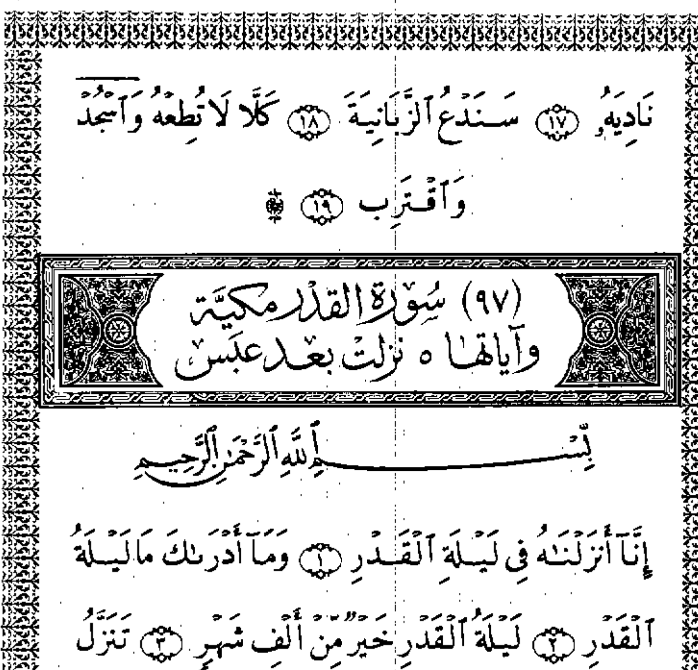
٦ . ٧ - ﴿كَلَّا﴾ ردْعٌ للإنسان الكافر . الذى قابل تلك النِّعم الجليلة بالكفر والطغيان . قيل : نزلت هذه الآيةُ إلى آخر السورة فى أبى جَهْل بعد زمن من نزول ما قبلها . وفى الحديث الصحيح : أن أبا جَهْل حلَف باللات والعُزّى لئن رأى محمَّدًا [صلى الله عليه وسلم] يصلى ليطأنّ على رقبته وليَعْفِرَنَّ وجهه . فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلِّى ليفعل ؛ فما فاجأهم منه إلّا وهو يَنْكُص على عقبيْه . ويتّقى بيديه . فقيل له : مالكَ ؟ فقال : إن بينى وبينه لخندقًا من نار ! وهولاً وأجنحةً ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لو دَنَا منّى لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا) فأنزل الله هذه الآية إلى آخر السورة . وقيل «كَلّا» بمعنى أَلَا الاستفتاحيّة . ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى ..﴾ أى لَيُجاوز الحدَّ ويستكبر على ربِّه ويكفر به ! من أجل رؤية نفسِه ذا غنًى وثراء . وقوّة وقدرة !

٨ - ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ﴾ يا محمد ﴿الرُّجْعَى﴾ أى رجوعَ هذا الطّاغى وأضرابه بالبَعْث . فذائقون من أليم عقابه ما لا قِبَل لهم به . مصدرٌ بمعنى الرجوع . يقال : رجع إليه رُجوعًا ومَرجعًا ورُجْعًى بمعنًى واحد .

٩ . ١٠ - ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِى يَنْهَى ..﴾ نهى أبو جهل النبىّ صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فى المسجد الحرام ؛ فلما رآه يصلى فيه قال : ألم أنهك عن هذا ؟ ألم أنهك عن هذا ! فانتهره النبىّ صلى الله عليه وسلم . فقال أبو جهل : أتهدّدنى وأنا أكثر أهل الوادى ناديًا ! أى أخبرنى يا من يصلح للخطاب : هذا الطاغى الذى ينهى عبدَ الله عن الصَّلاة لربّه ؟ ألم يعلم بأن الله يراه ويطّلع عليه فيجازيه على هذا الفعل المنكر !؟ ورأى تتعدَّى لمفعولَيْن أوّلها «الَّذِى» . وثانيهما محذوف دل عليه قوله تعالى : «أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللّهَ يَرَى» .

١١ . ١٢ - ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾ أى أخبرنى ! هذا





المصلّي إن كان على الهُدَى أو أمر بالتقوى ! أَلَمْ يعلم ناهيه بأن اللهَ يَـراهُ ! والمفعولان محذوفان تقديرهما ما ذكرنا . وجوابُ الشّرط محذوفٌ دلّ عليه قولُه تعالى : «أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى» .

١٣ ، ١٤ ـ ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ أخبرنى ! هذا النّاهى عن الصلاة إن كذّب الرسولَ وأعرض عن الإيمان ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى﴾ فمفعولُ «أَرَأَيْتَ» الأوّلُ وجوابُ الشرط محذوفان . والمفعولُ الثانى : الجملةُ الاستفهامية المذكورة .

١٥ ، ١٦ ـ ﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ للناهى اللّعين . ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ﴾ عما هو عليه وينزجر . ﴿لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ﴾ لنأخذنّ بناصيته ، ولنَسحبَنّه بها إلى النار . ولنُذلّنّه بـذلك الإذلالَ الشـديـدَ . والسَّفْعُ : القبضُ على الشيء وجذبُه بشدة . يقال : سفعت بالشيء ، إذا قبضتَ عليه وجذبته جذبًا شديدًا . وقيل : هو الاحتراق ؛ من قولك : سفعَتْه النار ، إذا غيّرت وجهَه إلى حال تسويده . والنّاصِيَةُ : شعرُ مقدّم الرأس . ﴿خَاطِئَةٍ﴾ الخاطىءُ : هو الذى يأتى الذّنْبَ متعمّدًا ، وهو الذى يُؤخذ بالعقاب . والمخطِئُ : هو الذى يأتيه غير عامد . ووَصفُ الناصيةِ بالخاطئة على حدّ : نهارٌ صائمٌ ؛ أى صائم صاحبُه .

١٧ ، ١٨ ـ ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ أى عشيرتَه لنصرته فى إيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومنعِه من الصلاة فى المسجد إن قدروا على ذلك . وهو أمرُ تعجيزٍ ردًّا لتهديده النبيَّ صلى الله عليه وسلم . والنَّادِى والنَّدِىُّ : المجلسُ الذى ينتدِى فيه القومُ ؛ أى يجتمعون للحديث . يقال : ندا القومُ نَدْوًا ـ من باب غزا ـ اجتمعوا . ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ الملائكةَ الغلاظَ الشِّدادَ الموكَّلين بالعذاب لإلقائه فى النار . والزَّبانِيَةُ فى كلام العرب : الشُّرَط ؛ جمع زِبْنِيَةٍ ؛ مِن الزَّبْنِ وهو الدفع . وقيل : اسمُ جمعٍ كأبابيل .

١٩ ـ ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ ..﴾ فيما دعاكَ إليه من تركِ الصلاة . وصلِّ لله تعالى ما أمركَ به . وتقرّبْ إلى ربِّك بطاعته والدعاء له ؛ أى دُمْ على ذلك . والله أعلم .

سُـورَةُ القَـدْرِ

١ ، ٣ ـ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ أى ابتدأنا إنزالَ القرآن العظيم على محمد صلى الله عليه وسلم ﴿فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وهى على الأرجح ليلة سبعٍ وعشرين من شهر رمضانَ . وقد نَزل مُنَجَّمًا على حسب الوقائع والمصالح فى ثلاث وعشرين سنةً . وأوّلُ ما نزل من الآيات «اقْرأ» وسُمِّيَتْ ليلةَ القدر لعظم قدرها وشرفها ؛ من قولهم : لفُلانٍ قَدْرٌ عند الأمير ، أى منزلةٌ وشرفٌ . وشرَفُها لأنه أنزل فيها كتابٌ ذو قدْر ، بواسطة مَلَك ذى قدْر ، على رسول ذى قدْر ، لأمّة ذات قدْر . أو لأن للطاعات فيها قدْرًا عظيمًا وثوابًا جزيلاً منه

وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

فى النار يشبه الشوك ، أمرُّ من الصَّبر ، وأنتن من الجيفة ، وأشدُّ حرارةً من النار . وهو فى الدنيا يَبيس الشِّبْرِق ، وهو أخبث طعام وأشنَعُه ؛ لا تقرَبه دابّةٌ ؛ وهو سُمٌّ قاتل . والمعذَّبون من الكفار طبقاتٌ : فمنهم مَن طعامُه فى النار الضَّريعُ . ومنهم من طعامُه الغِسْلِينُ . ومنهم من طعامُه الزَّقُّوم . ومنهم من شرابُه الحميم . ومنهم من شرابُه الصديد . لكل باب منهم جزءٌ مقسوم . نسأل الله العفوَ والعافية ؛ بمنّه وكرمه .

٧ – ﴿لَا يُغْنِى مِنْ جُوعٍ﴾ لا يدفع عنهم جوعاً .

٨ – ﴿نَاعِمَةٌ ..﴾ ذاتُ بهجة وحُسْن ؛ من النعومة . أو متنَعِّمةٌ فى الجنة ؛ من النعيم ، وهم المؤمنون جزاءَ إيمانهم وطاعتهم لله تعالى .

١٠ – ﴿لَاغِيَةً﴾ أى كلمة ذاتَ لَغْوٍ ، أو نَفْسًا لاغيةً . واللَّغْوُ : بُيِّنَ فى [آية ٣ المؤمنون ص ٤٣٥] .

١٣ – ﴿سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ مرتفعة السمك أو رفيعة القدر .

١٤ – ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ كيزانٌ لا عُرًا لها موضوعةٌ بين أيديهم . أو على حافات العيون للشرب بها .

١٥ – ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ وسائدُ صُفَّ بعضُها إلى جانب بعض فوق الطنافس للاتكاء عليها . جمعُ نُمْرُقَة . وهى الوسَادَةُ الصغيرة .

١٦ – ﴿وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ بُسُطٌ عِرَاضٌ فاخرةٌ . أو هى الطنافس التى لها خَمْل(١) رقيقٌ ، مبسوطةٌ أو مفرَّقَةٌ فى المجالس . واحدتها زُرْبِىّ ؛ بالكسر ويضمّ .

١٧ – ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ ..﴾ فى الآية استدلالٌ على القدرة على البعث بأربعة أدلة مشاهَدَةٍ لا يستطيعون إنكارها . أى أينكرون البعثَ ويستبعدون وقوعَه ، فلا ينظرون إلى الإبل وهى نصبُ أعينهم يستعملونها كل حين ، كيف خُلقت خلقًا بديعًا ، معدولاً به عن سَنَن خلْق أكثر الحيوان ؛ فى عِظم جسمها ، وشدة قوّتها ، وعجيب هيئاتها اللائقة بتأتّى ما سُخّرت له من الأعمال الشّاقة ، وغريب أحوالها وصفاتها .

٢٠ – ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ جُعل لها سطحٌ لإمكان الاستقرار عليها . وهذا لا ينافى القولَ بأنها قريبة من السكُرَة الحقيقية لمكان عظمها .

٢٢ – ﴿بِمُسَيْطِرٍ﴾ أى مُسلَّط عليهم قاهر لهم ، تجبرهم على ما تريد [آية ٣٧ الطور ص ٦٧٣] .

٢٥ ، ٢٦ – ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ..﴾ أى إنّ إلينا رجُوعَهم

(١) الخمل – بفتح فسكون – هدب القطيفة ونحوها مما ينسج وتفضل له فضول كخمل الطنفسة ؛ أي البساط .

(٨٩) سُورَةُ الفَجْرِ مكيّة
وآياتها ٣٠ نزلت بعد الليل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟

بعد الموت لا إلى أحدٍ سوانا . وإنّ علينا حسابهم فى المحشر لا على غيرنا ، ونجازيهم جزاءً وفاقًا . مصدرُ آب : إذا رجع . وهو تهديدٌ ووعيدٌ للكفار . والله أعلم .

سُورَةُ الفَجْـر

١ ـ ٥ ـ ﴿وَالْفَجْرِ﴾ أقسم الله تعالى بهذه الأقسام الخمسة لشرفها وعظمِها ، ولما فيها من الفوائد الدِّينيّة والدُّنيوية . فأقسم بالفجر وهو الصُّبح ؛ لما يحصل به من ظهور الضَّوء وانتشار الناس ابتغاءَ الرزق . وقيل : هو صلاةُ الفجر ؛ لأنها مشهودةٌ ، يشهدها ملائكةُ اللّيل وملائكةُ النهار . وجوابُ هذا القَسَم وما بعده محذوفٌ ، يدلُّ عليه قولُه «أَلَمْ تَرَ» إلى قوله «فَصَبَّ عَلَيْهِم رَبُّكَ» تقديرُه : ليعذبنّ . أى الذين كفروا بالله وأنكروا البعث . ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ وأقسم بعَشْرِ ذى الْحِجَّة ، أو بالعشر الأواخر من رمضان ، أو بالعشْر الأوائل من المُحرَّم . ﴿والشَّفْعِ والْوَتْرِ﴾ وأقسم بيوم النَّحْر ويوم عَرَفة ، أو بالصلاة المكتوبة شفعِها ووترِها . وقرئ بكسر الواو . ﴿واللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ وأقسم بالليل وقت أن يُسرَى فيه . وإسنادُ السُّرَى إليه مجاز ، على حَدِّ : ليلٌ نائم ، أى يُنَام فيه . وحُذفت ياؤه عند الجمهور وصلاً ووقفًا اكتفاءً عنها بالكسرة ؛ للتخفيف ولتوافق رءوس الآى . وأقسم به فى هذه الحالة لما فيه من السّتر الذى قد يقتضيه الحال . ﴿هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ﴾ الحِجْر ـ بكسر أوّله ـ : العقلُ ؛ لأنه يَحْجُر صاحبه ويمنعه من التّهافُت فيما لا ينبغى . قال الفَرَّاء : يقال إنه لذو حِجْر ، إذا كان قاهرًا لنفسه ضابطًا لها . والمشار إليه بـ « ذلك » هو الأمور الخمسةُ المقسَمُ بها . والاستفهامُ للتقرير ؛ أى هل فيما ذُكر من هذه الأمور مُقْسَمٌ به لذى عَقْل يراه حقيقًا بأن يُقْسِمَ به إجلالاً وتعظيمًا . والمرادُ : تحقيقُ أن الكل كذلك ، وتقريرُ فخامة شأنها ، وكونها أمورًا جليلةً خليقةً بالإعظام والإجلال عند العقلاء ؛ توصُّلا إلى أن الإقسامَ بها أمرٌ معتدٌّ به ، خليقٌ بأن تؤكَّد به الأخبار ؛ فيدلّ ذلك على تعظيم المقسَم عليه وتأكيده بطريق الكناية . وفائدةُ هذا القول بعد القَسَم بما ذكر : زيادةُ التأكيد والتحقيق للمقسَم عليه ؛ كمن ذَكَر حجةً باهرةً ثم قال : أفيما ذكرتُه حجّة ؟

٦ ، ٨ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ..﴾ ذكر الله تعالى فى هذه الآية ثلاثَ أُمَم متمرِّدة طاغيةٍ ، كذَّبت الرسُلَ فأهلكها الله تعالى ، وجعلها أحاديثَ عبرةً لأمثالها من المكذِّبين . وعادٌ هو : عاد بن عوص بن إرَم بن سام بن نوح عليه السلام ، سُمِّيَ أولادُه باسمه ؛ كما سُمِّيَ بنو هاشم هاشمًا . وقيل لأوائلهم ـ وهم الذين أُرسل إليهم هود عليه السلام ـ : عادٌ الأولَى تسميةً لهم باسم أبيهم ، وإرَم تسميةً لهم باسم جَدِّهم ؛ والتسميةُ باسم الأب والجَدّ شائعةٌ مشهورةٌ . وقيل لمن بعدهم عادٌ الآخرة . و«إرَمَ» بدلٌ أو عطفُ

ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ

بيانٌ لـ «عاد» ومُنع من الصَّرْف باعتبار القبيلة ، وصُرف عاد باعتبار الحيّ . وقيل : إن «إرم» قبيلةٌ من عاد وهي بيت ملكهم ؛ فهي بدلٌ من «عاد» بدلُ بعضٍ من كُلٍّ . ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ صفةٌ لقبيلة «إرم» ؛ أي ذات الأعمدة التي تُرفع عليها بيوت الشَّعْر ؛ إذ كانوا أهلَ خيام وعَمَد ، ينتجعون الغيوث ويطّلبون الكلأ حيث كان ؛ ثم يعودون إلى منازلهم . وقيل : ذات الرفعة والعزة . ﴿لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا ..﴾ صفةٌ أخرى لها ؛ أي لم يخلق في بلادهم مثلُها في الأيْدِ والشّدة وعِظَم الأجسام ، وهم الذين قالوا : (مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً)[1] وامتنّ الله عليهم بقوله : (وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً)[2] .

٩ - ﴿جَابُوا الصَّخْرَ ..﴾ قطعوا صخرَ الجبال واتخذوا فيها بيوتًا بوادي القُرَى بالحِجْر بين الشام والحجاز ؛ كما قال تعالى : (وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ)[3] ؛ من الجَوْب ، وهو القطعُ والخَرْق .

١٠ - ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ ذي الجنودِ والعساكرِ الذين يَشُدُّون مُلكَه ؛ كما تَشُدُّ الأوتادُ الخيامَ . وقيل لهم ذلك لكثرتهم وكثرة خيامهم التي يضربون أوتادها في معسكراتهم . أو ذي الأبنية العظيمة الشاهقة التي تُشبه الجبال .

١٣ - ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ ..﴾ أنزل بكل منهم نوعًا ولونًا من العذاب عقوبةً لهم . والسَّوْطُ في الأصل : مصدرُ ساط يسوط ، إذا خلط ، ثم شاع استعمالُه في الجلْد المضفور الذي يُضرب به . وعُبّر عن إنزالَ العذاب بالصّبّ وهو الإفراغ والإلقاء ؛ للإيذان بكثرته وتتابعه . وسُمّي ضروبُ العذاب النازلة بهم سوطًا تسميةً للشيء باسم آلته .

١٤ - ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ المِرْصَادُ في الأصل : المكانُ الذي يقوم به الرّصَد ويترقّبون فيه . والمرادُ : أنه تعالى يرقُب عملَ كلِّ إنسانٍ ويُحصيه عليه ، ويُجازيه بالخير خيرًا ، وبالشرّ شرًّا ؛ ولا يفوته من الناس أحدٌ ولا من أعمالهم شيء . ومنهم أولئك الجبابرة الطغاة الذين أفسدوا في الأرض أكثر إفسادٍ ، وأضرابُهم في ذلك ككفار مكة .

١٥ - ﴿ابْتَلَاهُ رَبُّهُ﴾ اختبره وامتحنه بالنّعم . ﴿فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ ..﴾ بالمال الوفير ، والجاهِ العريض ، وأسباب القوّة والعزّة ، فيقول : ربي فضّلني بذلك ؛ لمزيد استحقاقي له ، وكوْني له أهلاً . ولا يخطر بباله أنه فَضْلٌ تفضّل به الله عليه ؛ ليبلوَه أيشكر أم يكفر .

١٦ - ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ ..﴾ أي اختبره بالحاجة وضيق الرزق ؛ ليُرى هل يصبر أم يجزَع . ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ ولا يخطر بباله أن ذلك اختبارٌ وليس من الإهانة في شيء ؛ بل التقتير قد يؤدّي إلى كرامة الدّارَيْن ، والتّوْسعةُ قد تُفضي إلى خسرانها .

١٧ ، ٢٠ - ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ

(١) آية ١٥ فصلت . (٢) آية ٦٩ الأعراف . (٣) آية ١٤٩ الشعراء .

طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾

ربع الحزب

للإنسان عن قوليْه المحكيّيْن عنه ، وتكذيبٌ له فيهما ؛ فإن الإكرامَ والإهانةَ لا يدوران على سَعة المال وضِيقه . فقد يُوسَّع على الكافر وهو مهانٌ ، وقد يُضيَّق على المؤمن وهو مُكرَمٌ ؛ للاختبار والامتحان حسبما تقتضيه الحكمة الإلٰهية . والواجبُ على الإنسان في حالَتي السَّعة والضِّيق أن يَحمَدَ اللهَ تعالى على سائر نعمِه التي لا تُحصى ، ويشكر عند الغنى ، ويصبر عند الفقر . ﴿بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ التفاتٌ إلى كفار مكةَ الداخلين فيما سبق دخولاً أوّليًّا ؛ لتشديد التَّقريع والتوبيخ . أي بل لكم أحوالٌ أشدُّ شرًّا مما ذُكر ؟ وأدَلُّ على تهالككم على المال وشُحِّكم به ؛ فلا تَبرُّون به أشدَّ الناسِ حاجةً إليه ، وهم فقراء اليتامى . ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ ..﴾ أي لا يَحُثُّ بعضكم بعضًا على إطعام المساكين ؛ ومِن لازم ذلك أنهم لا يُطعمونهم من أموالهم . والحضُّ على الشيء : الترغيبُ فيه . ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ﴾ أي المالَ الموروثَ . ﴿أَكْلًا لَمًّا﴾ أي شديدًا لا تتركون منه شيئًا ، لا فرق بين حلال وحرام ، ولا بين ما يُحمَد وما لا يُحمد . والمرادُ : أنكم تجمعون في أكلكم بين نصيبكم من الميراث ونصيب غيركم . وكانوا لا يُورِّثُونَ الصغار والنساء . ﴿حُبًّا جَمًّا﴾ كثيرًا مع حِرْص وشَرَه . يقال : جَمَّ الماء في الحوض ، إذا كثر واجتمع ؛ ومنه الْجَمُوم للبئر الكثيرة الماء .

٢١ - ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ وزجرٌ عن أفعالهم المذكورة . ﴿إِذَا دُكَّتِ ..﴾ أي إذا دكَّت الأرض دكًّا متتابعًا ؛ حتى انكسر وذهب كلُّ ما على وجهها من أبنيةٍ وجبالٍ ، حين زُلزلت المرّةَ بعد المرّة ، فصارت هباءً منثورًا ؛ من الدّك بمعنى الكسر والدّق . أو سُوِّيت تسويةً بعد تسوية ، ولم يبق على وجهها شيء ؛ حتى صارت ملساءَ لا ارتفاعَ فيها ؛ من الدَّك بمعنى حطِّ المرتفِع من الأرض بالبَسْط والتسوية .

٢٢ - ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ هذه الآيةُ من آيات الصفات التي يجب الإيمان بها كما جاءت ؛ من غير تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ؛ على ما ذهب إليه جمهور السلف . ورُوِيَ عن الحسن : جاء أمرُه وقضاؤه . وقيل : هو تمثيلٌ لظهور آيات قدرته وسلطانه . ﴿وَالْمَلَكُ﴾ ملائكة كلِ سماء . ﴿صَفًّا صَفًّا﴾ مُصطفِين . أو ذوى صفوف .

٢٣ - ﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ ومن أين له الانتفاعُ بالذِّكْرى . أو الاتعاظُ والتوبةُ ؛ وقد فرّط فيها في الدنيا وأطاع نفسه وهواه .

٢٤ - ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي ..﴾ أي يقول حين يرى العذابَ تندُّمًا على تفريطه في الدنيا : يا ليتنى قدّمت أعمالاً صالحة لأجل حياتى هذه في

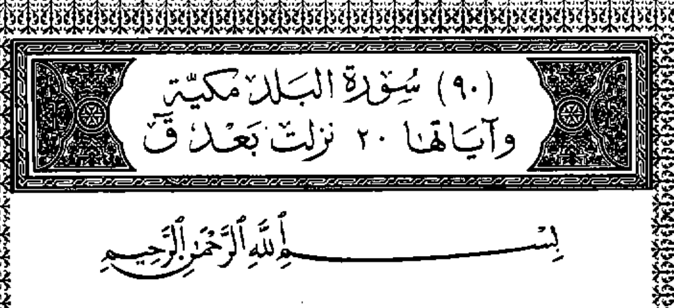
الآخرة . أو وقتَ حياتى فى الدنيا ؛ لأنتفع بها اليوم . واللّامُ على الأول تعليليّة . وعلى الثانى توقيتيّة

٢٥ - ﴿لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ ..﴾ أى لا يعذِّبُ كعذاب الله أحدٌ . ولا يوثقُ كوثاقه أحدٌ . والضميرُ عائدٌ إلى الله تعالى . وقُرئ بفتح ذال (يُعذب) وثاء (يُوثق) ؛ أى لا يعذَّبُ أحدٌ فى الدنيا كعذاب الله الكافرَ يومئذ . ولا يوثَق كما يُوثَقُ الكافر .

٢٧ ، ٢٨ - ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ ..﴾ أى يقول الله تعالى على لسان ملائكته إكرامًا للمؤمنين عند تمام الحساب : يَا أَيّتها النفس الساكنة . الموقنةُ بالإيمان والتوحيد . الناعمةُ برَوْح اليقين ؛ بحيث لا يخالطها شكٌّ ، ولا يعتريها ارتياب . أو المطمئنةُ إلى ما وعد الله . المؤمنةُ بصدقه . ﴿ارْجِعِي﴾ بالثواب الذى أعطاك الله ﴿مَرْضِيَّةً﴾ عنده عز وجل .

٢٩ - ﴿فَادْخُلِي فِي﴾ زمرة ﴿عِبَادِي﴾ الصالحين المرضيّين .

٣٠ - ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ معهم للنّعيم المقيم . والله أعلم .



سُورة البَلَدِ

١ - ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [آية ١ القيامة ص ٧٦٣] أقسم سبحانه بالبلد الحرام وهو مكة ؛ لشرفها وحُرْمتها بالبيت المعظَّم - على أن الإنسانَ خُلق مبتلى بالعمل . يكابد فيه المشاقَّ ، ويعانى الشدائد ؛ فلابُدَّ له من العَزْم والجَلَد . وجوابُ القَسَم قولُه : (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ) . والمقصودُ تسليتُه صلى الله عليه وسلم .

٢ - ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ ..﴾ أى وأنت حلالٌ به ؛ أى فى حِلٍّ مما تصنع فيه فى سبيل الله . تقتل إن شئت من أشرك بالله وأبى إلّا المحادّة والمُشاقَّة . وتدع قتْله إن شئت . وقد حرّم الله مكة يومَ خَلق السموات والأرضَ إلى أن تقوم الساعة . ولم يُحِلَّها إلّا لنبيّه صلى الله عليه وسلم ساعة من نهارِ يومَ الفتح . ولن تحلَّ لأحدٍ بعده . يقال : هو حِلٌّ وحلال ؛ وهو حِرْمٌ وحرامٌ ، وهو مُحِلٌّ وهو مُحْرِم . وفى هذه الجملة المعترضة بين القَسَم وجوابه بشارةٌ للنبىّ صلى الله عليه وسلم بفتح مكة على يديه . وحِلِّها له فى القتال ؛ وأنَّ عاقبة الاحتمال الفتحُ والظّفَر . وقد أنجز اللهُ ذلك يوم الفتح .

٣ - ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ ثم أقسم بآدم عليه السلام وما تناسل منه ؛ لأنّهم أعجبُ خلق الله على وجه الأرض ؛ لمَا ركّز فيهم من العقل والإدراك . وقوّةِ النُّطق والبيان . وكسب العلوم بالاجتهاد . وقد استخلف الله تعالى آدم أبا البشر فى الأرض . وأمر الملائكةَ بالسجود له تكرمة له . وقيل : هو قسمٌ بآدمَ والصالحين من سُلالته . وقيل : بإبراهيمَ وإسماعيلَ ومحمدٍ ؛ صلى الله وسلم عليهم أجمعين .

٤ - ﴿فِي كَبَدٍ﴾ فى تعب ومشقة من مكابدة الهموم والشدائد فى الدنيا . لا فرقَ فى ذلك بين الصالحين وغير الصالحين . ولا بين أن تكون المشاقُّ والمتاعبُ فى خير أو شرّ . فالأنبياء والعُبّادُ والمجاهدون فى سبيل الله فى كَبَد فى الدنيا . ولهم النعيم فى الآخرة .

أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا
لُّبَدًا (٦) أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ (٧) أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ
عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ (١٠)
فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ (١١) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ (١٢)
فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ (١٤)
يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ (١٧)

والجاحدون للنبوّة ، والحاقدون والمفسدون فى الأرض فى كَبَد فى الدنيا ، ولهم وراء ذلك كَبَدٌ فى الآخرة . والكَبَدَ : المشقةُ ؛ مِن المكابدة للشىء وهى تحمُّل المشاقّ فى فعله . وأصله من كبد الرجل — من باب طَرِب — فهو أكبَد : إذا وجعته كَبِدُه ؛ ثم استُعمل فى كل تعب ومشقة .

٥ — ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ ..﴾ أيحسب ذلك الإنسانُ الذى كان يكابدُ منه الرسول صلى الله عليه وسلم ما يكابدُ ؛ وهو على ما قيل : الوليدُ بنُ المغيرة — أن لن يقدر على الانتقام منه أحد .

٦ — ﴿يَقُولُ﴾ مفاخرًا مباهيًا ﴿أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَداً﴾ أنفقت مالاً كثيراً . يريد كثرة ما أنفقه فيما كانوا يعدُّونه فى الجاهلية مكارمَ . أو فى عَداوة محمد [صلى الله عليه وسلم] . يقال : مالٌ لُبَدٌ ، أى كثير لا يخاف فناؤه ؛ كأنه التَبَد بعضه على بعض والتصق ؛ مِن تلبَّدَ الشىء : إذا اجتمع .

١٠ — ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ بيّنا له طريقَى الخير والشرّ ؛ وهو كقوله : (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) (١) . أو ألهمناه التمييزَ بينهما ، ثم وهبناه الاختيارَ لأيهما . والنَّجْدُ : الطريقُ المرتفع ، وجمعُه نجود ؛ ومنه سُمِّيت نجدٌ ؛ لارتفاعها عن انخفاض تِهامة . ووصْفُ طريق الشر بالرفعة إنما هو على سبيل التغليب . وقيل النجدان : الثديان ، وهما كالطريقين لحياة الولد ورزقه .

١١ ، ١٣ — ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ أى فلا اكتسب ذلك الإنسانُ بماله الكثير الأعمالَ العظيمةَ التى لها عند الله رفعةٌ ومنزلةٌ ؛ وهى فك رقبةٍ أو إطعامُ يتيم أو مسكين - بدلَ إنفاقها رياءً وسُمْعةً فيما لا يُعتدُّ به من الأعمال . أو فى عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم — ولا آمن بالله . والاقتحامُ فى الأصل : الدخولُ فى الشىء بسرعةٍ وشدّةٍ من غير رويّة . يقال : قَحَمَ فى الأمر قُحُومًا — من باب نَصَر — ؛ رمى بنفسه فيه من غير رويّة . والعَقبةُ فى الأصل : الطريقُ الوعْرُ فى الجبل ؛ استُعيرت للأعمال المذكورة لصعوبتها على النفوس . واقتحامُها : فعلُها وتحصيلُها والدخولُ فيها . وقيل : العقبةُ النار أو جبلٌ فيها . واقتحامُها : مجاوزتها بمجاهدة النَّفْس فى طاعة الله فى الدنيا . أوهى الصّراط على مَتْن جهنم ؛ واقتحامُها : المرورُ والجوازُ عليه بسرعةٍ . أى فلا فعل ما ينجو به ويجوز بسببه العقبةَ الكئودَ يومَ القيامة . ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ أى أىُّ شىء أعلمك ما اقتحام العقبة ؟

١٣ — ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ أى هو — أى اقتحامها — إعتاقُ رقبةٍ وتخليصُها من إسار الرقّ والعبودية . والفَكُّ : تخليصُ الشىء من الشىء .

١٤ ، ١٨ — ﴿ذِى مَسْغَبَةٍ﴾ أى مجاعةٍ . مصدرٌ ميمىٌّ بمعنى السَّغَب . يقال : سَغِبَ الرجل — كفَرِح ونَصَر — إذا جاع . ووُصف اليومُ بذلك على حدّ : نهارُهُ صائمٌ .

(١) آية ٣ الدهر .

١٥ ـ ﴿ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ أى قرابة . مصدرٌ ميميٌّ ؛ مِن قَرُب فى النّسب . يقال : فلان ذو قرابتى وذو مقربتى ؛ بمعنى أن نسبى يتّصلُ بنسبه .

١٦ ـ ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ أى حاجةٍ وافتقار شديدٍ . مصدرٌ ميمىٌّ ؛ مِن تَرِب الرجل ـ من باب طَرِب ـ إذا افتقر ؛ كأنه لَصِق بالتُّراب من الفقْر ، وليس له مأوًى سوى التُّراب . وأمّا أترب فمعناه استغنى ؛ كأنه صار له مال كالتراب فى الكثرة ؛ كما قيل فى أثْرى .

١٧ ـ ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ عطفٌ على «اقْتَحَمَ» المنفىّ ، فكأنه قيل : فلا اقتحم ولا آمن ؛ فتكون (لا) مكررةً فى المعنى . ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ أى بالرحمة على عباده تعالى .

١٨ ـ ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بهذه الصفات الجليلة : ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ أى جهة اليمين التى فيها السعداء . أو جهة الذين يؤتَوْن كتبهم بأيْمانهم .

١٩ ـ ﴿أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ أى جهة الشِّمال التى فيها الأشقياء . أو جهة الذين يؤتَوْن كتبهم بشمائلهم .

٢٠ ـ ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾ أى مُطْبَقَةٌ مُغلقةٌ أبوابُها عليهم ؛ تشديدًا فى عذابهم . وقرئ بالواو ؛ من آصدت الباب وأوصدته : إذا أغلقتَه وأطبقته .

أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾

(٩١) سُورة الشمس مكيّة وآياتها ١٥ نزلت بعد القدر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا

والاسمُ فيها الإصادُ والوِصاد . والمرادُ : أنه لا ضوء فيها ولا فُرَج ، ولا خروج منها أبدًا . واللهُ أعلم .

سُورة الشمس

فى هذه السورة ترغيبٌ فى تزكية النفوس وتطهيرها بالإيمان والطاعة . وترهيبٌ من خسرانها بالكفر والمعاصى . وإنذارٌ لكفار مكة وأضرابهم ، أن يصيبَهم من النَّكال ما أصاب ثمودَ حين كذّبوا رسولَهم ، وعقروا الناقة ، وهى آيةُ الله على صدقه فى رسالته . وقد أقسم الله تعالى فيها بكائنات عظيمةِ النفع والآثار فى العالَم العُلْوىّ وَالسُّفْلىّ ؛ دالّةٍ بوجودها واختلاف أحوالها على كمال قدرته تعالى ووحدانيّته . وأقسم بنفسه تعالى ؛ إذ كان سبحانه الموجد والمبدع والمدبّر لها . أو بفعله الحكيم المتقَن فقال :

١ ـ ٣ ـ ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ أقسم بالشّمس ، وهى من العِظَم والنّفع للخلق بالمكان الذى لا يخفَى . وبضُحاها أى ضوئها ، إذا أشرقت وارتفعت . ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ أى تَبعها وخلَفها فى الإضاءة ؛ بأن يطلُع مضيئًا بعد غروبها آخذًا من نورها ، سواء كان ذلك من غير تراخٍ ، وهو فى النصف الأول من الشهر ، أو بعد مدّةٍ وهو فى النصف الثانى منه . ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ أى جلى الشمسَ وأظهرَها ؛ فإنها تنجلى إذا انبسط النهارُ ومضت منه

سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾

مدةٌ ، وهو وقتُ الضحى والضَّحاء . وقيل : جلَّى الدنيا ؛ أى وجه الأرض وما عليه .

٤ : ٦ ــ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ أى يغشَى الشمسَ فيغطِّى ضوءها ، أو يغشى الدنيا بظلمته . ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ أى ومن أوجدها وأنشأها بقدرته . وإيثار «ما» على «مَنْ» لإرادة الوصفية تفخيمًا وتعظيمًا ؛ كأنه قيل : والقادرِ العظيم الذى بناها . ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ أى ومن بسطها من كل جانب ، ووطّأها للاستقرار عليها ؛ كدَحَاها .

٧ : ١٠ ــ ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ أى والنفوس ومَن أنشأها وأبدعها مستعدةً لكمالها ؛ وذلك بتعديل جميع قواها وأعضائها . وقيل : إن «ما» فى الآيات الثلاث مصدريةٌ ؛ فيكون القَسَم ببناء السماء وطَحْو الأرض وتسويةِ النفوس فى الخلْقة . ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ عرّفها ما ينبغى لها أن تأتى أو تَذَر من خير أو شر ، أو طاعة أو معصية ؛ بحيث تميِّز رشدَها من غيِّها . ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ جوابُ القَسَم ، وحُذفت منه اللّامُ لطول الكلام المقتضِى للتخفيف . أى لقد فاز بالمطلوب ، ونجا من المكروه مَن أنْمى نفسَه وأعلاها بتطهيرها من الكفر والمعاصى ، وأصلحها بالصالحات من الأعمال . ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ أى خَسِر . ﴿مَنْ دَسَّاهَا﴾ نقصها وأخفاها بالفجور ؛ جهلا وفسوقًا . وأصلُ دَسَّى : دَسَّسَ ، مبالغةً فى دَسَّ بمعنى أخفى .

١١ : ١٥ ــ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ نبيَّها . ﴿بِطَغْوَاهَا﴾ أى بسبب طغيانها وتجاوزها الحدَّ بالكفر . مصدرٌ كالطغيان ؛ واختِير التعبير به لأنه أشبه برؤوس الآى . ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ أى قام مسرعًا أشقَى ثمود ، وهو قُدار بن سالف ومن معه من الأشقياء لعقر الناقة . وانبعث مُطاوعُ بَعَث ، تقول : بعثت فلانًا على الأمر ، إذا أرسلتَه ؛ فانبعث له . ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ أى احذرُوا عقْرَ ناقةِ الله ، واحذروا سُقياها ؛ أى شِرْبَها الذى اختصَّها الله به فى يومها ، فلا تمنعوها عنه فى نَوْبتها ولا تستأثِروا به عليها ؛ منصوبٌ على التحذير . والسُّقْيا : مصدرٌ كالرُّجْعَى . ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾ أهلكهم وأطبق عليهم العذاب ﴿بِذَنْبِهِمْ﴾ وهو الكُفرُ والعَقْر . يقال : دَمْدَمَ عليه القبرَ ، أى أطبقه ، أو أتمَّ العذاب عليهم . والدَّمْدَمةُ : إهلاكٌ باستئصال . ﴿فَسَوَّاهَا﴾ جعل الدَّمدمة عليهم سَواءً ؛ فلم يفلت منهم أحد إلا من آمنَ مع صالح عليه السلام . ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ أى ولا يخاف اللهُ من أحد تَبِعةَ إهلاكهم ؛ كما يخاف المعاقِبُون من الملوك تَبِعة ما يفعلون . وفى ذلك غايةُ الاحتقار لهم . واللهُ أعلم .

سورة الليل

أقسم الله تعالى بأقسام ثلاثة ، على أن أعمالَ الناس مختلفةٌ : بعضُها هُدًى ، وبعضُها ضلالٌ ؛ كما أن أحوالَ الليلِ والنهارِ والمخلوقاتِ مختلفةٌ . فقال :

١ : ٣ - ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ أى أقسم بالليلِ كلِّه حين يُغطِّى النهارَ بظلمته فيذهب ضوءه ؛ كقوله تعالى : (يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ)[1] . أو حين يغطِّى كلَّ شيء بظلمته ؛ من التَّغشِيَةِ بمعنى التَّغطية . وإنما أقسم به تعالى لِعظَم فائدته ؛ إذ يأوى فيه كلُّ حيوان إلى مأواه ، ويسكن فيه الخلقُ عن الحركة ، ويغشاهم النومُ الذى جعله الله راحةً للأبدان ، وغذاءً للأرواح . ﴿والنَّهارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ وأقسم بالنهار حين ينكشف ويظهر بزوال ظلمة الليل ؛ مِن الجلاء بمعنى الظهور . إذ به ينكشف ما كان مستورًا بظلمة الليل ؛ وفيه الحركة والعمل . ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ وأقسم بمن خلق الصِّنفَين : الذكَر والأنثى فى الإنسان والحيوان والنبات لبقاء النوع ؛ يعنى نفسَه عزّ وجلَّ . وعبَّر بـ «مَا» لقصد الوصف ؛ كأنه قيل : والقادرِ العظيمِ القدرةِ ، الذى خلَق صِنفَى الذكر والأنثى . وقيل : المُقسَمُ به خلْقُ الصِّنفَيْن . وجوابُ القَسم على القولين قولُه تعالى :

٤ - ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ أى إن

(٩٢) سُورة الليل مكيّة
وآياتها ٢١ نزلت بعد الأعلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ

مساعيكم لمختلفةٌ متباعدة ؛ فإن منكم المؤمنَ والكافرَ ، والمطيعَ والعاصي ، والساعى فى فَكاكِ نفسِه من النار ، والقاذفَ بنفسِه فيها . و«سَعْيَكُمْ» مصدرٌ مضافٌ فيفيد العموم ، فهو فى معنى الجمع ؛ أى مساعيكم . و«شَتَّى» أى متفرّقة . جمعُ شتيت ؛ مِن شَتَّ يَشِتُّ أى تفرَّق . والاسمُ الشَّتَاتُ .

٥ ، ٦ - ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى﴾ حقّ الله تعالى ، أو أنفق فى سبيله مما عنده من الفضل . ﴿وَاتَّقَى﴾ محارمَه ومعاصيه . ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ أى أيقن بالخَصْلَةِ الْحُسْنَى وهى الجنة . أو الخَلَفَ فى الدنيا مع المضاعفة عما أنفق .

٧ - ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ فسنهيِّئه للخَصْلة التى تؤدِّى إلى يُسر وراحة ، وهى الأعمال الصالحة التى تُورث الخيرَ والفلاح فى الدنيا والآخرة .

٨ : ١١ - ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾ بماله فلم يؤدّ حقَّ الله فيه . أو لم ينفق منه فى سبيله . ﴿وَاسْتَغْنَى﴾ زَهِد فيما عند الله ؛ كأنه مستغنٍ عنه سبحانه ! فلم يتَّقِه . أو استغنى بنعيم الدنيا عن نعيم العُقبَى . ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ وهى ما أسلفنا بيانَه . ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ فسنهيِّئه للخَصلة التى تؤدِّى إلى عُسْر وشِدّة ، وهى الأعمال السَّيِّئةُ التى تورث الخُسران فى الدنيا

(١) آية ٥٤ الأعراف . آية ٣ الرعد .

لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾
لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾
وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾
وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ
رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

(٩٣) سُورَةُ الضُّحَى مكيّة
وآياتها ١١ نزلت بعد الفجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ
وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ

والآخرة . وأصلُ التيسير : التهيُّؤ والتسهُّل . يقال : تيسَّر للقتال . واستيْسَرَ له الخروج : أى تهيَّأ له . وتيسّر واستيسر : تسهّل . وتكون فى الخير والشرّ ؛ ومنه ما فى الحديث : (اعملوا وسَدِّدُوا وقاربوا فكلٌّ ميَسَّرٌ لما خُلق له) (1) أى مهيَّأٌ مصروف مُسَهَّلٌ . وقيل المعنى : فأَمّا من أعطى فسنلْطُف به ونوَفّقه حتى تكون الطاعةُ أيسرَ شىء عليه . وأمَّا من بَخِل فسنخذُله ونمنعه الألطافَ حتى تكون الطاعةُ أعْسَرَ شىء عليه . ﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُ﴾ أى أىُّ شىء يُغنى عنه ماله الذى بَخِل به إذا سقط يومَ القيامة فى الهاوية . والتردِّى : السقوط .

١٢ - ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ أى لَبيَانَ الحقِّ من الباطل ، وطريقَ الأوّل لاتّباعه ، وطريقَ الثانى لاجتنابه .

١٣ - ﴿وَإِنَّ لَنَا ..﴾ أى وإن لنا التَّصرّفَ الكامل فيهما كيفما نشاءُ ، فنفعل فيهما ما نشاء . ومن ذلك ما ذكرنا فيمن أعطى وفيمن بَخل .

١٤ - ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ تتلهّب وتتوقّد . وأصلُه : تتلظّى ؛ من اللظَى وهو اللَّهَبُ الخالص .

١٥ - ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ..﴾ لا يُعذّب بين أطباقها . ولا يقاسِى حرَّها على وجه الأشدِّيّة إلا الكافرُ الذى كذب بالحق ، وأعرض عن الطاعة . قيل : نزلت فى أُمَيَّة بن خَلف ونظرائه من المكذّبين .

١٧ - ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ وسيُبعد عنها بالكلّية المبالغ فى اتّقاء الكفر والمعاصى .

١٨ - ﴿الَّذِى يُؤْتِى مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ أى يتطهّر به من الذنوب . أو يطلب به أن يكون عند الله زاكيًا ، إذ لم يؤته رياءً ولا سمعةً . نزلت فى الصّدّيق رضى الله عنه .

١٩ - ﴿وَمَا لِأَحَدٍ ..﴾ لا يفعل الخير ذلك الأتقى جزاءً على نعمةٍ سلفت إليه من أحد ، لكنّه يفعله ابتداءً خالصًا لوجه الله تعالى .

٢١ - ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ وعدٌ من الله لأبى بكر بنيْل جميعِ ما يبتغيه على أكمل الوجوه وأجملها . والله أعلم .

سُورةُ الضُّحَى

نزلت هذه السورةُ على الرّسول صلى الله عليه وسلم ؛ تكذيبًا لقريش فى قولهم لما أبطأ عليه الوحْىُ أيامًا : قد ودَّع محمدًا ربُّه وقَلاه . فقال تعالى :

١ - ٣ - ﴿وَالضُّحَى﴾ أقْسَمَ بالضحى ، وهو وقتُ ارتفاع الشمسِ وإشراقِها ، وهو وقت نشاط الحركة ، والإقبال على العمل . ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾

(1) رواه عبد الله بن الإمام أحمد بسند حسن .

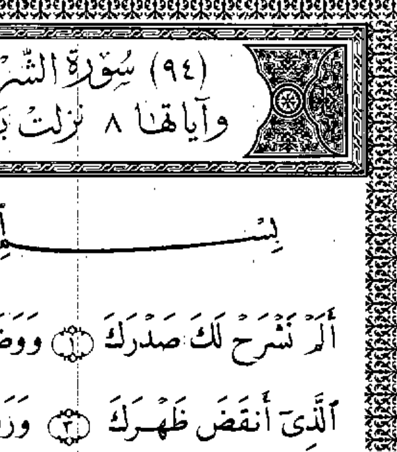
يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾
وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾
فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾
وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

وأَقْسَمَ بالّليل حين يسكن. يقال: سجا الّليلُ وغيرُه يَسْجُو سُجُوًّا وسَجْوًا. سكن ودام؛ ومنه ليلةٌ ساجية: إذا كانت ساكنة الرّيح. أو أقسم به حين يمتدُّ بظلامه. وذلك وقت السكون وانقطاع الحركة. وجوابُ القَسَم قولُه تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ ما تركك منذ اختارك؛ من التوديع وهو فى الأصل: الدعاءُ للمسافر ببلوغ الدَّعة وخَفْض العيْش. ثم تُعُورف فى تشييع المسافر وتركه. ثم استُعير للتّرك مطلقًا. وقُرئ (وَدَعَك) بالتخفيف بمعناه. ﴿وَمَا قَلَى﴾ ما أبغضك ربُّك منذ أحبّك؛ من القِلَى وهو شدّةُ البُغْض. يقال: قلاه يَقْلِيه قِلًى وقَلاءً. أبغضه وكَرِهَه غايةَ الكراهة. كما تقول: قَرَيْتُ الضَّيْفَ أقريه قِرًى وقَراءً.

٤: ٨ - ﴿وَلَلْآخِرَةُ..﴾ بشارةٌ من الله لنبيّه صلى الله عليه وسلم بأنه مع مواصلته إيّاه بالوَحْى والكرامة. وتخصيصه بمنازلَ رفيعةٍ لم يدركها مَن قبْلَه، سيؤتيه فى الآخرة ما هو أجلُّ وأعظم مما أعطاه فى الدنيا. ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ من خيرى الدنيا والآخرة كلَّ ما فيه رضًا لك، من نصر وتمكين وفتوح، وإعلاء لكلمة الله على لسانك، وبدعوتك وجهادك، وتكثير لأتباعك، وتفضيلٍ لأُمّتك، ومقاماتٍ وكراماتٍ لا يحيط بها إلا المنعمُ المنّان. ﴿فَتَرْضَى﴾ بما أعطاك. ثم عدّد الله من فنون النِّعم العظيمةِ التى أفاضها على رسوله صلى الله عليه وسلم من أوّل أمره إلى وقت النزول. ثلاثَ نعم جزيلةٍ؛ تقويةً لقلبه. وشرحًا لصدره. والبداياتُ دلائلُ النهايات. والسوابقُ شواهدٌ على الّلواحق - فقال: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ حين مات أبوك. ولم يخلّف لك مالاً ولا مأوًى. ﴿فَآوَى﴾ فآواك وضمَّك إلى من يقوم بأمرك؛ حيث كفلَك جَدُّك عبدُ المطلب. ثم من بعده عمُّك الشقيق أبو طالب فأحسن تربيتك. ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاًّ﴾ غافلاً عن معالم النبوّة وأحكام الشريعة التى لا تهتدى إليها العقول وحْدَها؛ كما قال تعالى: (مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ)(1). ﴿فَهَدَى﴾ فهداك إلى مناهجها فى تضاعيف ما أُوْحَى إليك من الكتاب المبين، وعلّمك ما لم تكن تعلم. أمّا أصلُ الإيمانِ بالله فإنه عليه الصلاة والسلام ما كفر بالله قط! ولا أشرك به قطُّ! فلم يَعْبُدْ وثنًا. ولم يؤلّهْ صنمًا. ولم يشهد لذلك رسْمًا. وقد عَصَمه ربُّه من ذلك قبل النبُوّة. واهتدى إلى الإيمان بالله بفطرته، ولم تغب عنه إلا تفاصيلُ شريعته؛ حتى جاءه الحقُّ من ربّه. فعلّمه منها ما لم يكن يعلم، وكان فضل الله عليه عظيمًا. ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً﴾ فقيرًا لا مالَ لك. ﴿فَأَغْنَى﴾ فرضّاك بما أعطاك من الرزق. وذلك حقيقة الغنى؛ وفى الحديث (ليس الغِنَى عن كثْرة العَرَض. ولكن الغِنَى غِنَى النفْس). مِن عال الرجُلُ يعيل عَيْلةً، إذا افتقر واحتاج. وإغناؤه صلى الله عليه وسلم: إعطاؤه الكَفاف من العيْش.

٩ - ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ فلا تستذلّه ولا تحتقرْه، ولا تظْلمْه ولا تغلبْه على ماله، ولا تؤذِه بأى نوع من أنواع الأذى؛ فقد كنت يتيمًا. وفى الحديث (أنا وكافلُ اليتيم فى الجنة هكذا) وأشار

(1) آية ٥٢ الشورى.



نصف الحزب

بالسبّابة والوسطى وفرّج بينهما ؛ أى إذا أحسن كفالته واتّقى الله فيه . والخطاب له ولأمته .

١٠ – ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ﴾ ذا الحاجة إلى مال أو علم ﴿فَلَا تَنْهَرْ﴾ فلا تزجُره ولا تُغلِظْ له القولَ ولا تعبس فى وَجهه ؛ بل اسْعِفْه بمطلوبه ما استطعت . يقال : نهره وانتهره ، إذا استقبله بكلام يزجره .

١١ – ﴿وأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ أى بما أنعم عليك من النعم العظيمة ﴿فَحَدِّثْ﴾ أى فاذكرها وأذِعْها ؛ وذلك شكرها . والخطابُ له ولأمّته . وإنما يجوز لغيره صلى الله عليه وسلم التحدُّثُ بما عمله من الخير إذا أمِن على نفسه الفتنةَ ، وقصَدَ اقتداءَ الناس به . ونُدب التّكبيرُ عند خاتمة هذه السورة وما بعدها إلى آخر القرآن العظيم ، بلفظ : لا إله إلّا اللهُ ، واللهُ أكبر . أو ذلك مع زيادة : ولله الحمد . واللهُ أعلم .

سُورةُ الشّرْح

كما عدّد الله لنبيّه صلى الله عليه وسلم بعضَ نِعَمه العظيمةِ عليه فى السورة السابقة ، ذَكَر له فى هذه السورة نِعمًا أخرى جليلةً ، حاثًّا له بذلك على شكره على ما أنعم ؛ ليستوجبَ بذلك المزيد منه ، فقال :

١ – ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ألم نُوَسِّعْ صدرَك بما أودعْنا فيه من الهدى والمعرفة والإيمان والفضائل والعلوم والحِكَم . ونُفْسِحْهُ بتيسير تلَقّى ما يوحَى إليك بعد ما كان يشقُّ عليك !؟ والشَّرْحُ فى الأصل : التّوْسعة . يقال : شرح الشيء ، وسّعه . وإذا تعلّق بالقلب أو الصدر يرادُ منه بَسْطُه بنورٍ إلهىّ وسكينةٍ من الله ورَوْحٍ منه . والاستفهامُ للتقرير ؛ أى قد شرحنا .

٢ – ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ ..﴾ خفّفْنا عنك ما أثقل ظهرك من أعباء النبوّة والرسالة ؛ حتى تقوم بها وتبلّغ رسالةَ ربّك . والوِزْرُ : الحِمل الثقيل .

٣ – ﴿الَّذِى أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ أى أثقله وأوْهنه حتى سمع له نقيضٌ . وهو الصوت الخفى الذى يُسمع من الرَّحْل فوق البعير . يقال : أنقض الحِملُ ظهر البعير ، إذا سُمع له صَريرٌ من شدّة الحمل . وسمعت نقيضَ الرَّحْل : أى صريرَه ؛ والفعلُ كنَصَر . أو عصمناك من الذنوب ، وطهّرناك من الأدناس التى تنقُض ظهرك لو وقعتْ . وعُبّر عن ذلك بالوضع مبالغةً فى انتفاء الذنوب عنه ؛ كما يقول القائل لمن لم يزره : رفعتُ عنك مشقةَ الزيارة ؛ مبالغةً فى انتفاء الزيارة منه له .

٤ – ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ نوّهْنا باسمك ، وجعلناه مذكورًا على لسان كلّ مؤمن فى المشارق والمغارب ؛ مقرونًا باسمنا فى كلمتَى الشهادةِ والأذان والإقامة والتشهُّد والخطبة وغير ذلك . وقد جعل الله طاعتَه طاعتَه ، وصَلّى عليه فى ملائكته ، وأمر المؤمنين بالصلاة عليه ، وخاطبه بالألقاب وذكره فى كتب الأوّلين .

٥ ، ٦ – ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾

أى خوّلناك ما خوّلناك من الفضل والكرامة ؛ فلا تيأس من فضل الله تعالى . فإن بعد الشدة التى أنت فيها من مُقاساة بلاء المشركين يسرًا عظيمًا ؛ أى فرجًا وسَعةً بإظهارك عليهم . ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ أى إن مع ذلك العُسْرِ يُسْرًا آخرَ ، ولن يَغلب عسرٌ يُسْرَيْن !

٧ - ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾ لمّا عَدَّدَ الله نعمَه السابقةَ ، ووعده بالنِّعم الآتية : بعثه على الشكر والاجتهاد فى العبادة ، والنَّصب فيها . وألاّ يُخلِى وقتًا من أوقاته منها ؛ فإذا فرغ من عبادةٍ أتبعها بأخرى . والنَّصَبُ : التعبُ والإعياءُ .

٨ - ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ اجعل رغبتك - أى ضراعتك - ومسألتك إلى ربّك ، لا إلى غيره ؛ فهو وحدَه القادرُ على إجابتك وإسعافك . يقال : رَغِبْتُ إلى فلان فى كذا ، سألته إيّاه . والله أعلم .

(٩٥) سُورَةُ التِّينِ مَكيَّة
وآياتها ٨ نزلت بعد البروج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾

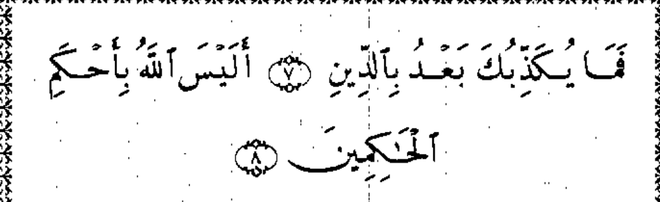
سُورَةُ التِّين

١ - ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ..﴾ أقسم الله تعالى ببقاعٍ مباركةٍ عظيمةٍ ، ظهر فيها الخيرُ والبركةُ بسُكنَى الأنبياء . فالتِّينُ والزَّيتون : مجازٌ عن منابتِها بالأرض المباركةِ ، وفيها مُهاجَرُ إبراهيم ، ومولدُ عيسى ومسكنُه عليه السلام . وطُورُ سينين : الجبلُ الذى كلَّم الله عليه موسى عليه السلام . والبلدُ الأمينُ : مكّةُ المشرَّفةُ التى فيها البيتُ المعظَّم ، وفيها وُلد وبُعث أشرفُ الخلْق محمَّدٌ صلى الله عليه وسلم . وسِينين وسِيْناءُ - ويفتح - وسِينًا : اسمٌ للبقعة التى فيها الجبل . أو معناه : المبارَكُ الحَسَن ؛ وإضافة (طُور) إليه من إضافة الموصوف إلى الصِّفة . ويجوز فى إعرابه أن يُجرى مُجرى جمعِ المذكّر السالم ، وأن يَلزم الياء وتُحرّك النون بحركات الإعراب .

٣ - ﴿الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ أى الآمِن فى الداريْن داخلُه مؤمنًا بالله ؛ مِن أَمُنَ الرجلُ أمانةً - ككَرُمَ - فهو أمين . أو المأمونِ فيه من الغوائل ؛ مِن أمِنَه : أى لم يُخفْه .

٤ ، ٥ - ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ..﴾ جوابُ القَسَم ؛ أى لقد خلقنا جنسَ الإنسان فى أعدل قامة ، وأحسنِ صورةٍ ، مكمَّلاً بالعقل والمعرفة ، ومتّصفًا بالحياة والعلم ، والإرادةِ والقدرة ، والسمعِ والبصرِ والكلام ، والتّدبير والحكمة . والتقْويم : التَّثْقيفُ والتّعديلُ . ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ ..﴾ أى رددناه أقبحَ مَنْ قَبُح صورةً ، وأشوهَهُ خلقةً ؛ لعدم جَرَيانه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات التى لو عمل بمقتضاها لكان فى أَعْلَى عِلِّيِّين . والمراد به أهلُ النار . وقيل : رددناه بعد ذلك التقويم أسفل مَنْ سَفَل صورةً وشكلاً ؛ بالهَرَم بعد الشباب ، والضّعف بعد القوّة ، والعجز بعد القدرة ؛ كما قال تعالى : (وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ)[1] . وقال : (وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ)[2] .

(١) آية ٧٠ النحل . (٢) آية ٦٨ يس .



فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

(٩٦) سُورَةُ العَلَق مَكِّيَّة
وآياتها ١٩ وهي أول ما نزل من القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ

والسافلون : هم الضُّعفاءُ والزَّمْنَى والأطفالُ . وأسفَلُهم : الهَرِم . والمردُودُ على المعنيَيْن : بعضُ أفرادِ الجنس .

٦ – ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ..﴾ وجرَوْا على موجَب تلك الصفاتِ التي منحهم الله إيَّاها ، وأنشأهم عليها . ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي غيرُ مقطوعٍ عنهم . أو غيرُ ممنونٍ به عليهم جزاءَ إيمانهم ، واستمساكِهم بالحق ، وقيامِهم بما تقتضيه تلك الصفات . ولا تَقْبُحُ صوَرُهم يومَ القيامة ؛ بل يزدادون بهجةً وحسنًا . والاستثناءُ متّصل من ضمير (رَدَدْنَا) العائدِ على الإنسان ، فإنه في معنى الجَمْع . أو لكن الذين كانوا صالحين من الهَرْمَى لهم أجرٌ غيرُ ممنونٍ ؛ لصَبْرهم على ما ابتُلوا به من الهَرَم المانع لهم عن النهوض لأداء وظائفهم من العبادة . والاستثناءُ منقطع بمعنى لكن ؛ لدفع ما يُتَوَهَّمُ من أن التَّساوى في أرذل العمر يقتضى التَّساوى في غيره .

٧ – ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ ..﴾ خطابٌ للإنسان الكافرِ على طريق الالتفات ؛ لتَشديد التَّوبيخ والتَّقريع . والاستفهامُ إنكاريٌّ ؛ أي فأيُّ شيء يضطرّك بعد ما بيَّنا من الدليل القاطع على القدرة على البعث والجزاء ، إلى أن تكون كاذبًا بسبب تكذيبك بالجزاء الذى يكون بعد البَعْث والحساب !؟ فإنَّ كلَّ مكذِّبٍ للحق فهو كاذب .

٨ – ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ﴾ الذى فعل ما أنبأناك ﴿بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ أى أتقنِهِمْ صُنعًا وتدبيرًا . أو أحكَمِهم قضاءً بالحق وعدلاً بين الخلق ؟؟ والاستفهامُ للتقرير بما بعد النّفى . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا قرأها قال : (بلى ! وأنا على ذلك من الشاهدين) . واللهُ أعلم .

سُورةُ العَلَق

١ – ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ..﴾ في الحديث الصحيح : أنّ أوّلَ ما نَزل به جبريلُ عليه السلام من القرآن على النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو يتحنّث بغار حِرَاء في شهر رمضان – صدرُ هذه السورة إلى قوله (مَا لَمْ يَعْلَمْ) . ثم نزل آخرُها بعدَ ذلك بما شاء الله تعالى . وبعد نزول صدرها فَتَرَ الوحيُ ، ثم فاجأه المَلَكُ الذى جاءه بحِراء ؛ فرَعَب منه صلى الله عليه وسلم . فرجع إلى أهله يقول : (زَمِّلُونى زَمِّلُونى) وفي رواية (دَثِّرُونى) . فأنزل الله «يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ – ثم – يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ» ثم حَمِىَ الوَحْىُ وتتابع ؛ أى اقرأ ما يوحَى إليك من القرآن ، مفتتِحًا باسم ربِّك الذى له الخلق . أو الذى خلق كلَّ شيء .

٢ – ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ أى جنسَ الإنسان من بنى آدم . وخصّه بالذكر لكونه أشرفَ المخلوقات ؛ وفيه من بدائع الصُّنع والتدبير ما فيه . ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ دَم جامد . وهو الطَّوْر الثانى من أطوار تخلّق

ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ

المادّةِ الإنسانية . والمرادُ : التنبيهُ إلى ما بين حالتيْه الأولى والآخرة من التباين البيِّن . وأن الذى خلقه من هذه المادّة ثم سوّاه بشرًا فى أحسن تقويم . قادرٌ على كل شىء .

٣ - ٥ - ﴿ٱقْرَأْ﴾ امْضِ لما أمرتُك به من القراءة ﴿وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ الذى زاد كرمُه وفضلُه على كلّ كَرم وفضل . ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ أى علّم الإنسانَ الكتابةَ بالقلم ولم يكن له علمٌ بها ؛ فضبط بها العلومَ . وعرَف بها أخبارَ الماضين وعلومَهم . وكانت أداةَ التفاهُم والمعرفة . ولولاها ما استقام أمرُ الدِّين والدنيا ؛ فلم يقم دينٌ ولم يَصْلُح عَيْش . ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ ..﴾ أى كما علّمه بالقلم علّمه بدونه ما لم يعلمه من الأمور على اختلافها . فهو سبحانه مفِيضُ العلم على الإنسان . ومعلِّمُه البيانَ بالقلم واللسان ؛ ومن ذلك تعليمُك القراءةَ والعلومَ التى لا تُحيط بها العقول . وأنت أُمِّىٌّ لا تكتب ! وقد صَرَف الله نبيّه عن الكتابة ليكون ذلك أثبتَ لمعجزته . وأقوى لحجّته .

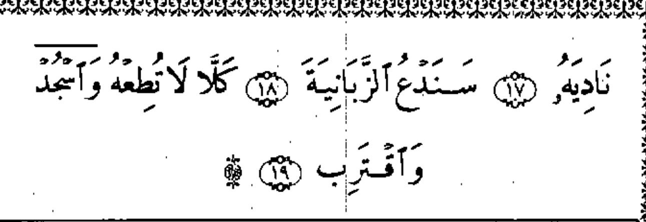
٦ - ٧ - ﴿كَلَّآ﴾ ردْعٌ للإنسان الكافر . الذى قابل تلك النِّعم الجليلة بالكفر والطغيان . قيل : نزلت هذه الآيةُ إلى آخر السورة فى أبى جَهْل بعد زمن من نزول ما قبلها . وفى الحديث الصحيح : أن أبا جَهْل حلَف باللات والعُزّى لئن رأى محمَّدًا [صلى الله عليه وسلم] يصلى ليطأنّ على رقبته وليُعفِّرَنَّ وجهه . فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلِّى ليفعل ؛ فما فاجأهم منه إلّا وهو يَنْكُص على عقبَيْه . ويتّقى بيديه . فقيل له : مالكَ ؟ فقال : إن بينى وبينه لخندقًا من نار ! وهولاً وأجنحةً ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لو دَنَا منّى لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا) فأنزل الله هذه الآية إلى آخر السورة . وقيل «كَلّا» بمعنى أَلَا الاستفتاحيّة . ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ..﴾ أى ليَجاوز الحدَّ ويستكبر على ربِّه ويكفر به ! من أجل رؤية نفسِه ذا غنًى وثراء . وقوّة وقدرة !

٨ - ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ أى رجوعَ هذا الطّاغى وأضرابه بالبَعث . فذائقون من أليم عقابه ما لا قِبَل لهم به . مصدرٌ بمعنى الرجوع . يقال : رجع إليه رُجوعًا ومَرجعًا ورُجْعَى بمعنًى واحد .

٩ - ١٠ - ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ..﴾ نهى أبو جهل النبىّ صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فى المسجد الحرام ؛ فلما رآه يصلى فيه قال : ألم أنهك عن هذا ؟ ألم أنهك عن هذا ! فانتهره النبىّ صلى الله عليه وسلم . فقال أبو جهل : أتهدّدنى وأنا أكثر أهل الوادى ناديًا ! أى أخبرنى يا من يصلح للخطاب : هذا الطاغى الذى ينهى عبدَ الله عن الصَّلاة لربِّه ؟ ألم يعلم بأن الله يراه ويطّلع عليه فيجازيه على هذا الفعل المنكر !؟ ورأى تتعدَّى لمفعولَيْن أوّلهما «الّذى» . وثانيهما محذوف دل عليه قوله تعالى : «أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى» .

١١ - ١٢ - ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾ أى أخبرنى ! هذا





نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾ ۩

(٩٧) سُورَةُ القَدْرِ مَكِّيَّة
وآياتها ٥ نزلت بعد عبس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ

المصلّى إن كان على الهُدَى أو أمر بالتقوى ! أَلَمْ يعلم ناهيه بأن الله يَراهُ ! والمفعولان محذوفان تقديرهما ما ذكرنا ، وجوابُ الشّرط محذوفٌ دلّ عليه قولُه تعالى : « أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى » .

١٣ ، ١٤ – ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ أخبرنى ! هذا النّاهى عن الصلاة إن كذّب الرسولَ وأعرض عن الإيمان ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى﴾ فمفعولُ « أَرَأَيْتَ » الأوّلُ وجوابُ الشرط محذوفان . والمفعولُ الثانى : الجملةُ الاستفهامية المذكورة .

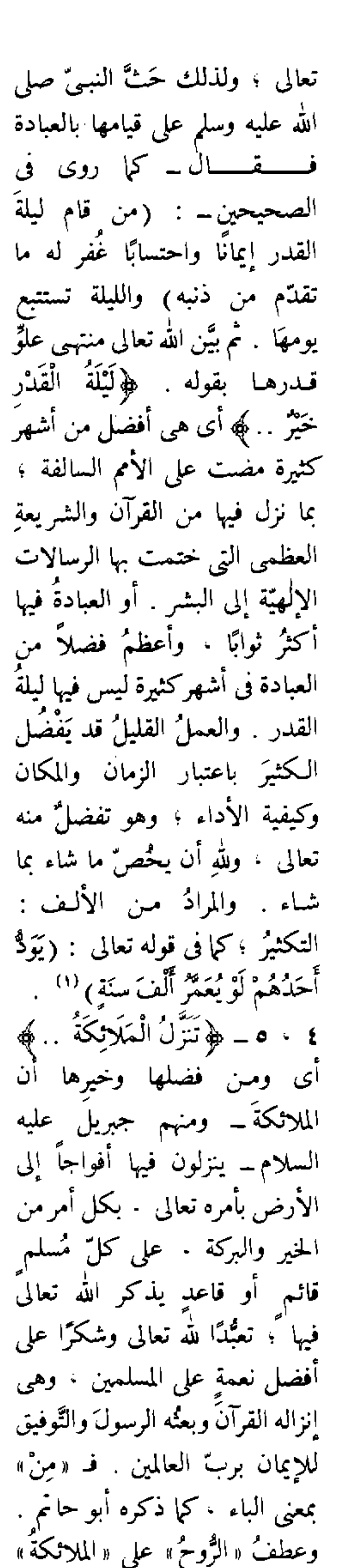
١٥ ، ١٦ – ﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ للناهى اللّعين . ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ﴾ عما هو عليه وينزجر . ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ لنأخذنّ بناصيته ، ولنَسحبّنه بها إلى النار ، ولنُذلنّه بذلك الإذلالَ الشديدَ . والسَّفْعُ : القبضُ على الشيء وجذْبُه بشدة . يقال : سفعت بالشيء ، إذا قبضتَ عليه وجذبته جذبًا شديدًا . وقيل : هو الاحتراق ؛ من قولك : سفعَتْه النار ، إذا غيّرت وجهَه إلى حال تسويده . والنّاصِيَةُ : شعرُ مقدّم الرأس . ﴿خَاطِئَةٍ﴾ الخاطئُ : هو الذى يأتى الذّنْبَ متعمّدًا ، وهو الذى يُؤخذ بالعقاب . والمخطِئُ : هو الذى يأتيه غير عامد . ووَصفُ الناصيةِ بالخاطئة على حدّ : نهارٌ صائمٌ ؛ أى صائم صاحبُه .

١٧ ، ١٨ – ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ أى عشيرتَه لنصرته فى إيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومنعِه من الصلاة فى المسجد إن قدروا على ذلك . وهو أمرُ تعجيز ردًّا لتهديده النبىَّ صلى الله عليه وسلم . والنّادِى والنَّدِىُّ : المجلسُ الذى ينتدِى فيه القومُ ؛ أى يجتمعون للحديث . يقال : ندا القومُ نَدْوًا – من باب غزَا – اجتمعوا . ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ الملائكةَ الغلاظَ الشِّدادَ الموكَّلين بالعذاب لإلقائه فى النار . والزَّبانِيَةُ فى كلام العرب : الشُّرَط ؛ جمع زِبْنِيَةٍ ؛ مِن الزَّبْنِ وهو الدفع . وقيل : اسمُ جمعٍ كأبابيل .

١٩ – ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ ..﴾ فيما دعاك إليه من ترك الصلاة . وصلّ لله تعالى ما أمرك به ، وتقرَّبْ إلى ربِّك بطاعته والدعاء له ؛ أى دُمْ على ذلك . والله أعلم .

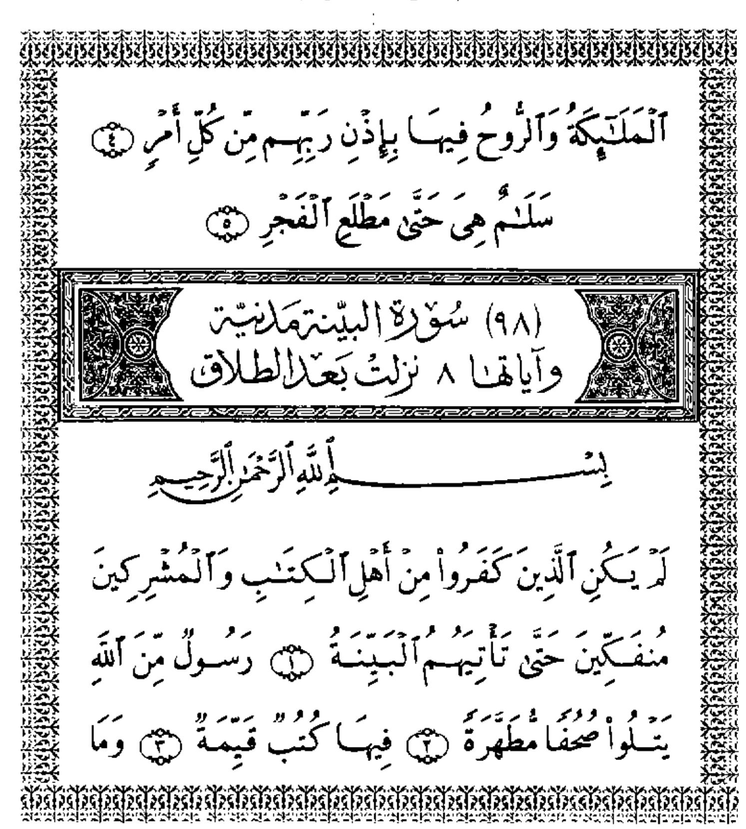
سُورَةُ القَدْر

١ – ٣ – ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ أى ابتدأنا إنزالَ القرآن العظيم على محمد صلى الله عليه وسلم ﴿فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وهى على الأرجح ليلة سبع وعشرين من شهر رمضانَ . وقد نزل مُنَجَّمًا على حسب الوقائع والمصالح فى ثلاث وعشرين سنةً . وأوّلُ ما نزل من الآيات « اقْرأ » وسُمِّيَتْ ليلةَ القدر لعِظم قدرها وشرفها ؛ من قولهم : لفُلانٍ قَدْرٌ عند الأمير ، أى منزلةٌ وشرفٌ . وشرَفُها لأنه أنزل فيها كتابٌ ذو قدْر ، بواسطة مَلَك ذى قدْر ، على رسول ذى قدْر ، لأمّة ذات قدْر . أو لأن للطاعات فيها قدْرًا عظيمًا وثوابًا جزيلاً منه



تعالى ؛ ولذلك حَثَّ النبيّ صلى الله عليه وسلم على قيامها بالعبادة فـــقـــال ـ كما روى فى الصحيحين ـ : (من قام ليلةَ القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدّم من ذنبه) والليلة تستتبع يومهَا . ثم بيَّن الله تعالى منتهى علوِّ قدرها بقوله . ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ ..﴾ أى هى أفضل من أشهر كثيرة مضت على الأمم السالفة ؛ بما نزل فيها من القرآن والشريعةِ العظمى التى ختمت بها الرسالات الإلٰهيّة إلى البشر . أو العبادةُ فيها أكثرُ ثوابًا ، وأعظمُ فضلاً من العبادة فى أشهرٍ كثيرة ليس فيها ليلةُ القدر . والعملُ القليلُ قد يَفْضُل الكثيرَ باعتبار الزمان والمكان وكيفية الأداء ؛ وهو تفضلٌ منه تعالى ، ولله أن يخُصّ ما شاء بما شاء . والمرادُ من الألـف : التكثيرُ ؛ كما فى قوله تعالى : (يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ)[1] .

٤ ، ٥ ـ ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ ..﴾ أى ومن فضلها وخيرها أن الملائكةَ ـ ومنهم جبريل عليه السلام ـ ينزلون فيها أفواجاً إلى الأرض بأمره تعالى ، بكل أمرٍ من الخير والبركة ، على كلّ مُسلمٍ قائمٍ أو قاعدٍ يذكر الله تعالىٰ فيها ؛ تعبُّدًا لله تعالى وشكرًا على أفضل نعمةٍ على المسلمين ، وهى إنزاله القرآنَ وبعثُه الرسولَ والتّوفيق للإيمان بربِّ العالمين . فـ «مِنْ» بمعنى الباء ، كما ذكره أبو حاتم . وعطفُ «الرُّوحُ» على «الملائكةُ»



عطفُ خاصٍّ لشرفه وتقدمه . ﴿سَلَامٌ هِيَ ..﴾ أى ليلةُ القدر ﴿سَلَامٌ هِيَ ..﴾ على أولياء الله وأهل طاعته ، أي ليلة القدر سلامٌ ؛ أى تسليم دائم إلى وقت طلوع الفجر من الملائكة على المؤمنين القائمين فيها لوجهه تعالى . أو سببُ سلامةٍ ونجاةٍ من المهالك يوم القيامة لمن قامها إيمانًا واحتسابًا . أو سلامةٌ من السوء والأذى ووسوسةِ الشيطان لكل مؤمنٍ ومؤمنة متحقّقين بما يوجبه الإيمانُ حتى طلوع الفجر . والله أعلم .

سُورَةُ البَيِّنَةِ

١ ـ ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله تعالى وكذّبوا رسولَه محمدًا صلى الله عليه وسلم بعد بعثته . ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ وهم اليهود الذين كانوا حولَ المدينة . ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾ وهم عَبَدةُ الأصنام من العرب . ﴿مُنْفَكِّينَ﴾ مزايلين ما كانوا عليه قبل بعثته من الوعد باتباع الحقّ والإيمانِ به متى بُعث . ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ أى إلى أن بُعث ؛ فانْفكُّوا عمّا كانوا عليه ، وافترقوا فى أمره . وكان اليهود يستفتحون على المشركين ويقولون : اللّٰهُمَّ افتح علينا وانصرنا بالنبىّ المبعوثِ فى آخر الزمان . وذلك لما يجدونه فى التوراة والإنجيل من نُعوته وأمَارات بعثته . وكان المشركون يسمعون ذلك منهم ؛ فاعتقدوا

(١) آية ٩٦ البقرة .

تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

صحّته حتى سمّى بعضهم ولدَه محمدًا رجاءَ أن يكون هو النبيّ الموعودَ. وكانوا يسألون اليهود عنه قبل بعثته هل هو النبيُّ الموعود؟ و«البَيِّنَةُ» هي محمدٌ صلى الله عليه وسلم؛ لأنه مبيِّن للحق، وحجةٌ ناطقةٌ به، ظاهرةُ الدلالة على صدقه؛ لما جرَى على يديه من المعجزات الباهرة، ولمَا جاء به من القرآن، وهو أكبر معجزة وأبينُها، وأقواها وأدْوَمُها. وقد بيّن الله ذلك بقوله:

٢، ٣ ـ ﴿رَسُولٌ مِنَ اللهِ﴾ أي مبعوثٌ من عنده إلى الخلق. ﴿يَتْلُو﴾ يقرأ عليهم من حفظه. ﴿صُحُفًا﴾ من القرآن. ﴿مُطَهَّرَةً﴾ منزَّهةً عن الباطل والكفر والزُّور، والاختلافِ والشُّبُهات. ﴿فِيهَا كُتُبٌ﴾ مكتوباتٌ أو أحكام ﴿قَيِّمَةٌ﴾ مستقيمةٌ لا عِوَجَ فيها، ناطقةٌ بالحق والعدل والصدق والصواب.

٤، ٥ ـ ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ في نبوّته وصدق رسالته والإيمانِ به؛ فآمن بعضٌ وكفر بعضٌ. ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ أي إلا من بعد أن بُعث فيهم، وهم على علم من كتابهم بنعوته ونبوّته؛ فكان ذلك ممن لم يؤمن مجرّدَ عِنادٍ وحسَدٍ. ولم يُذكر المشركون في هذه الآية لأنهم لم يكن لهم كتاب كأولئك؛ فكان التفرُّقُ ممن لهم كتاب أعجبَ وأغربَ. ﴿وَمَا أُمِرُوا﴾ أي والحال أن أهلَ الكتاب ما كُلِّفوا في كتابهم بما كُلِّفوا به ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ﴾ أي لأجل عبادة الله تعالى وطاعته فيما أمرَ به، وتصديقِه فيما أخبر عنه على لسان رسله. ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ جاعلين دينَهم له تعالى خالصًا. ﴿حُنَفَاءَ﴾ مائلين عن الأديان الباطلة إلى الدِّين الحق، مؤمنين بجميع الرّسل؛ إذ كانت ملّتُهم جميعًا التوحيدَ، وهي الملّة الحنيفيّة الحقة؛ من الحَنف وهو المَيْل. ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ كما أُمِرُوا في شريعتهم. ﴿وَذَلِكَ﴾ أي عبادةُ الله بالإخلاص، وإقامةُ شرائع الله التي أمر بها ﴿دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ أي دينُ الملةِ المستقيمةِ. أو الكتبِ التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، التي بَعث بها رسُله.

٦ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا..﴾ بيانٌ لِحالهم في الآخرة، إثْرَ بيان حالِهم في الدنيا، وأنهم صائرون إلى النار يومَ القيامة. ﴿شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ أي الخليقة. والمرادُ أنهم شرُّ الناس أعمالاً لكفرهم، مع علمهم بصحة رسالته، ومشاهدتهم لمعجزاته، وصدِّهم الناسَ عن سبيل الله، واجْترائهم

على الله بالكذب والافتراء والتّحريف . ومحاربتهم لرسوله ؛ مِن بَرَاه الله يبروه بَرْوًا : أى خلقه . وأصلُه من البَرَى . وهو التراب لخلْقهم فى الأصل منه . وقرئ بالهمز ؛ من برأ الله الخلق يَبْرَؤُهم . أى خلقهم .

٨ ـ ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ إقامةٍ خالدةٍ فى الآخرة فى نعيمٍ مقيم . ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ قَبِل أعمالَهم وكافأهم عليها . ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ فرحوا بما أعطاهم من أنواع الكرامة والنعيم الدائم . والله أعلم .

(٩٩) سُورَةُ الزَّلزَلةِ مَدَنِيَّة
وآياتها ٨ نزلت بعد النساء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

سُورَةُ الزَّلْزَلَة

١ ، ٢ ـ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ حرّكت حركتها الهائلة التى لا غايةَ وراءها . أو العجيبةَ التى لا يُقادَر قدرُها ؛ وذلك عند نفخة البعث ؛ لقوله تعالى : ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ لفظت بسبب الزلزال ما فى بطنها من الموتى أحياءً للحساب والجزاء ؛ جمعُ ثِقْل ـ بكسر فسكون ـ وهو الحِمل الثقيل . أو لَفظت كنوزَها ؛ جمعُ ثَقَل ـ بالتحريك ـ وهو كل نفيس مَصُون .

٣ ـ ﴿وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا﴾ وقال الكافرُ عند بعثه ـ وقد كان ينكره ـ ما للأرض زُلزلت ، أو أخرجت أثْقَالَهَا . أو هو كل فرد من أفراد الإنسان ؛ على أن المؤمن يقول ذلك بطريق الاستعظام . والكافر بطريق التعجب .

٤ ـ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ أى فى هذا اليوم تبيّنُ الأرضُ أخبارَها بالزلزلة والرجّة ، وإخراجِ الموتى أو الكنوز من بطنها إلى ظهرها ، بوحى الله إليها وإذنه بذلك . وقيل : تُخبر بأمر الله تعالى مَن على ظهرها بما عَمِلوا من خير أو شرّ .

٥ ـ ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾ جعل فى حالها دلالة على ذلك .

٦ ـ ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا ..﴾ يخرجون من قبورهم إلى موقف الحساب متفرّقين بحسب أعمالهم ، آمنين وفزعين ، سعداءَ وأشقياءَ ؛ لِيُبصَرُوا جزاءَ أعمالهم . وقيل : ينصرفون من موقف الحساب متفرّقين ؛ فآخذٌ جهةَ اليمين إلى الجنة ، وآخذٌ جهةَ الشمال إلى النار ؛ ليُبصِرُوا جزاء أعمالهم . يقال : صدر الناسُ عن الوِرْد ، انصرفوا عنه . و« أَشْتَاتًا » جمعُ شَتِيت ؛ أى متفرق ؛ ومنه شتَّت اللهُ جمعهم : أى فرّق أمرهم .

٧ ، ٨ ـ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ..﴾ تفصيلٌ للرائين وما يرَوْنه . و (مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) أى مقدارَ وزن أصغرِ نملةٍ . أو ما يُرَى من الهَباء فى شُعاع الشمس الداخل من الكُوّة ؛ وهو مَثَلٌ فى القلّة . وعن ابن عباس : ليس مؤمنٌ ولا

(١٠٠) سُورَةُ العَادِيَاتِ مَكِّيَّة
وآياتها ١١ نزلت بعد العصر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ * أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾

ثلاثة أرباع الحزب

كافرٌ عَمِل خيرًا أو شرًّا فى الدنيا إلا أراه الله إيَّاه يومَ القيامة ؛ فأمّا المؤمن فيرى حسناته وسيئاته فيَغفر له سيئاته ويُثيبه بحسناته . وأما الكافرُ فيرَى حسناته وسيئاته فيردُّ حسناته ويعذّبه بسيئاته . وقولُه : (فيردُّ حسناته) أى لا يثيبه عليها ؛ لِكُفْره وهو محبِط للعمل . وإن خفّف عنه العذاب بسببها ؛ للأحاديث الصحيحة الواردة فى ذلك . والله أعلم .

سُورَةُ العَادِيَات

١ ـ ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ أقسم الله تعالى بخيل الغُزاة فى سبيل الله تعالى ؛ تنبيهًا على فضلها وفضل رباطها ، ولما فيها من المنافع الدينيّة والدنيويّة ، والأجرِ والغنيمة . ووصفَها بثلاث صفات فقال : «وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا» أى والخيلِ التى تعدو فى سبيل الله نحو العدوّ بسرعة وهى تَضْبَح ؛ وضَبْحُها صوتُ أنفاسها عند عَدْوها أو حَمْحَمَتُها . و«ضَبْحًا» مصدرٌ منصوبٌ بفعله المقدَّر ؛ أى يَضْبَحْنَ ضَبْحًا . والجملةُ حالٌ من «العاديات» .

٢ ، ٥ ـ ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ أى فالخيلِ التى تُورى النارَ من صَكّ حوافرها بالحجارة لشدة العَدْوِ نحو العَدُوِّ ؛ من الإيراء وهو إخراج النار . والقَدْحُ : الضرب والصّكُّ المعروف لإخراجها . يقال : وَرَى الزَّنْدُ ـ من باب وَعَدَ ـ وَرْيًا ، إذا خرجت نارُه . وقَدَحَ فأَوْرَى : إذا أخرج النار . ومنه القَدَّاحةُ والقَدَّاحُ : للحجر الذى يُورِى النارَ . وأصلُ القَدْحِ : الاستخراج ؛ ومنه قدحْتُ العينَ : إذا أخرجت ماءَها الفاسد . و«قَدْحًا» منصوبٌ بفعلٍ محذوف تقديره : تقْدَحْن قَدْحًا . ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ أى فالخيلِ التى تغِير على العدُوِّ وقت الصباح . وكانوا إذا أرادوا الغارةَ سَرَوْا ليلاً فى غفلة الناس وباغتُوا العدُوَّ صُبْحًا . يقال : أغار على القوم غارةً وإغارةً ، دفع عليهم الخيلَ . وأغار الفرسُ إغارةً : اشتدّ عدْوُه . و«صُبْحًا» منصوبٌ على الظرفيّة . ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ﴾ أى فهيّجن فى ذلك الوقت الذى تقع فيه الإغارة ﴿نَقْعًا﴾ أى غبارًا من شدّة العدْو . والإثارةُ : التَّهييجُ وتحريكُ الغبار ونحوه . ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ﴾ فتوسَّطْن فى ذلك الوقت . ﴿جَمْعًا﴾ من جموع الأعداء ، ففرّقنها وشتَّتْنها . يقال : وسطت القوم أسِطُهُمْ وَسْطًا ـ من باب وعد ـ وسِطَة ، أى صِرت وسَطَهم .

٦ : ٨ ـ ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ جوابُ القَسَم . أى إن الإنسان لكفورٌ جَحُودٌ لنعم ربّه عليه ؛ أى إنه مطبوع على ذلك إلا من عَصَمه الله . يقال : كَنَدَ

النعمة ـ من باب دخل ـ جحدها ولم يشكرها . وكَنَدَ الحَبْل : قطعه ؛ فكأنه يقطع ما ينبغى أن يواصله من الشكر . وقيل : المرادُ بالإنسان الكافرُ . ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ أى وإن الإنسان على كُنوده لشهيدٌ بلسان الحال ؛ لظهور أثره عليه فى أعماله . ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ أى وإنه فى حبّ المال وإيثار الدنيا لَقَوِىٌّ مُطِيقٌ ، مجدٌّ فى طلبه ، متهالكٌ عليه . وهو فى حُبّ عبادة الله وشكر نعمه ضعيفٌ متقاعِسٌ . تقول : هو شديدٌ لهذا الأمر وقوىٌّ له ؛ أى مطيق له ضابط . واللّامُ فى (لِحُبِّ) بمعنى فى .

٩ : ١١ ـ ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ ..﴾ أى أيفعل ما يَفعل من القبائح فلا يعلم مآله ، إذَا أُثِير وقُلِبَ مَا فى القبور من الموتى فبُعثوا للجزاء ؟ . يقال : بعثرت المتاع ، جعلتُ أسفلَه أعلاه . وهو تهديدٌ ووعيدٌ . ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ أى جُمع ما فى القلوب من خير وشرّ ، مما يظن مضمِرُه أنه سِرٌّ لا يعلمه أحد ، وأُظهر مكتوبًا فى صحائف الأعمال . أو مُيِّز خيرُه من شرّه . وأصلُ التحصيل : إخراجُ اللُّب من القِشر ، ومِن لازمه التمييزُ بينهما . ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ أى إن ربّ المبعوثين لعليمٌ بأحوالهم الظاهرة والباطنة فى ذلك اليوم ، الذى يُبعث فيه من فى القبور ، ويُحَصَّلُ فيه ما فى الصدور ؛ علمًا موجبًا للجزاء ؛ وإلّا فعلمه تعالى محيطٌ بما كان وما سيكون فى كل وقت وحال . واللهُ أعلم .

(١٠١) سُورَةُ القَارِعَةِ مَكِّيَّة
وآياتها ١١ نزلت بعد قريش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾

سُـورَةُ القَارِعَة

١ ، ٢ ـ ﴿الْقَارِعَةُ﴾ القيامةُ ، ومبدؤها النفخةُ الأولى ، ومنتهاها فصلُ القضاء بين الخلائق ؛ من القَرْع وهو الضربُ بشدة بحيث يحصل منه صوتٌ شديد . سُمِّيت القيامةُ بها لأنها تَقرع القلوبَ بأهوالها . تقول العرب : قَرَعتهم القارعة ، وفَقَرتهم الفاقرةُ : إذا وقع بهم أمرٌ فظيع . وقيل : هى صوتُ النفخةِ يَقرَع الأسماعَ ويَصُكها . ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ أى أىّ شىء هى القارعةَ ؟ والمرادُ تعظيمُ شأنها ، والتعجُّبُ من حالها . والجملةُ خبرُ « القارعة » .

٣ ، ٤ ـ ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ﴾ أى اذكر يومَ يكون الناس كالفراش وهو الطير الرقيق الذى يقصد النار ، ولا يزال يتقحّم على المصباح ونحوه حتى يحترق . واحدُه فَراشة . ﴿الْمَبْثُوثِ﴾ أى المنتشر المتفرِّق . شبّه اللهُ يومَ القيامة ـ فى كثرتهم وانتشارهم وذِلّتهم وضعفهم واضطرابهم وتطايرهم إلى الداعى حين يدعوهم إلى المَحْشَر ـ بالفَراشِ المنتشر المتطاير إلى النار . ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ كالصُّوف الذى يُنفَش ويفرّق باليد ونحوها . أوكالصوف

(١٠٢) سُورَةُ التَّكَاثُرِ مَكِّيَّة
وآياتها ٨ نزلت بعد الكوثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾

المصبوغ بالألوان المختلفة الذى يُندَف بالمِنْدَف فى خفّة طيرانه .

٦ ، ٧ ـ ﴿ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ أى رجَحت موزوناته ، وهى أعمالُه الصالحةُ المرضيّةُ التى لها وزنٌ وخطرٌ عند الله . وقيل الوزنُ : القضاءُ السّوىُّ ، والحكمُ العادل . ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ أعطت الرّضا من نفسِها ، أو ذات رضًا ، أو راضٍ صاحبُها ؛ وهى العيشة الهنيئة .

٩ : ١١ ـ ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ فمأواه جهنّم . وسُمِّىَ المأوَى أمًّا لأن الإنسان يأوى إليه كما يأوى إلى أمّه . وسُمّيَت جهنمُ هاويةً لغاية عمقها وبُعد مهواها . أو من قولهم إذا دَعَوْا على الرجل : هوَتْ أمُّه ؛ لأنه إذا هَوَى ـ أى سقط وهَلَك ـ فقد هَوَتْ أُمُّهُ ثُكلاً وحُزْنًا عليه . ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾ الهاء للسَّكت . ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ بالغةٌ النهايةَ فى الحَرَارة ؛ من الحَمْى وهو اشتداد الحرّ . يقال : حَمِيَتِ الشمس والنار حَمْيًا وحُمُوًّا ، اشتدّ حرُّها . والله أعلم .

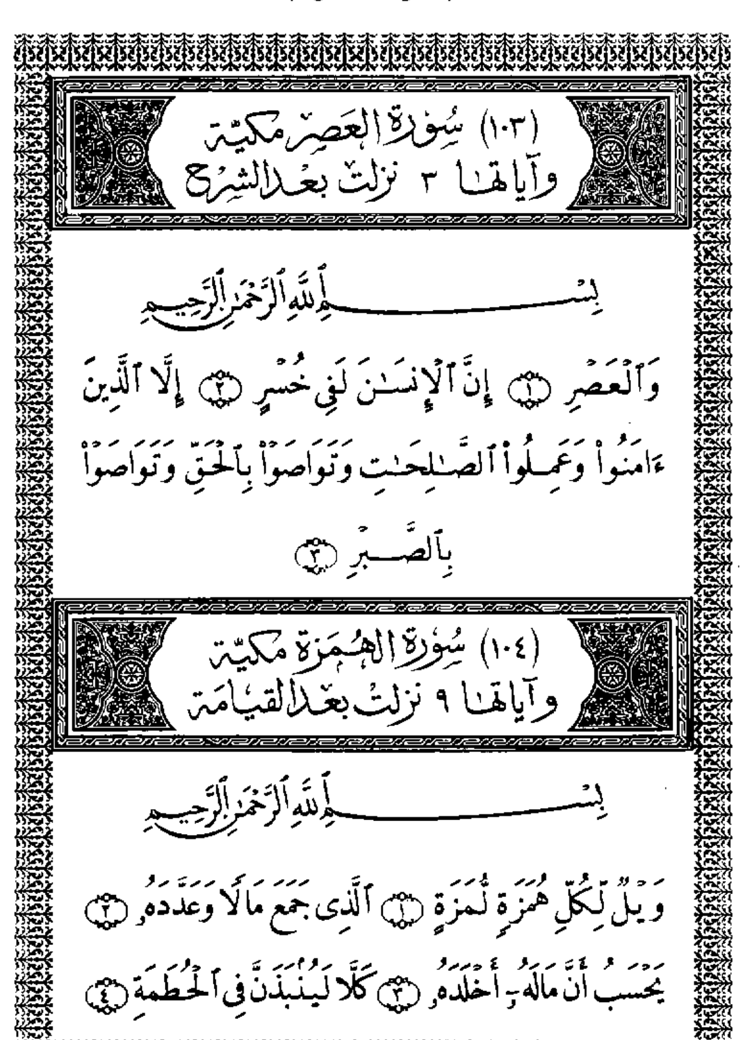
سُورَةُ التَّكَاثُرِ

١ ، ٢ ـ ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ..﴾ الخطابات فى آيات هذه السورة عامّةٌ ؛ تشمل الكفار وغيرَهم . أى شغَلَكم التّباهى والتّفاخُر بكثْرة الأموال والأولاد والعشيرةِ ، والتهالكُ على الدنيا ـ عن القيام بما فُرِض عليكم من الأعمال التى بها سعادتكم فى الآخرة ؛ حتى أتاكم الموت ، ودُفنتم فى القبور وأنتم على ذلك !! واللَّهْوُ : ما يشغلك عما يعنى ويهمّ . والمقابرُ : جمع مَقْبُرة ، بفتح الباء وضمّها .

٣ : ٥ ـ ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ..﴾ (كلّا) فى المواضع الثلاثة كلمةُ ردْع وزجْر عن التشاغل بالدنيا عن الآخرة ، وكرّرت لتأكيده . أى كلاّ سوف تعرفون سوء عاقبة ما أنتم عليه فى الدنيا ! ثمّ كلاّ سوف تعرفونه ! ثم كلّا ! وفيه شدّة تهديد ووعيد . ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ جوابُ «لو» محذوفٌ ؛ أى لو تعلمون اليومَ سوءَ عاقبةِ أمركم فى الآخرة ، كعلمكم ما تستيقنونه من الأمور لشغلكم ذلك عما أنتم عليه من التكاثر والتهالك على الدنيا . وعلمُ اليقين : هو العلمُ الجازمُ المطابقُ للواقع الذى لاشكّ فيه ؛ وإضافةُ «عِلْمَ» إليه من إضافة العامّ إلى الخاص .

٦ ، ٧ ـ ﴿لَتَرَوُنَّ الجحيمَ﴾ جوابُ قَسَم مقدَّر لتأكيد الوعيد والتهديد ، وبيانٌ أن المهدَّد به رؤيةُ الجحيم فى الآخرة . والتفسيرُ بعد الإبهام يدلّ على التهويل والتعظيم ؛ كأنه قيل : وما عاقبةُ الأمر ؟ فقيل : إنها والله رؤيةُ الجحيم عِيانًا . والمرادُ العذابُ بها . ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ ثم لترَوُنّ الجحيم رُؤيَةً هى ذاتُ اليقين ونفسُه ؛ وهو تأكيدٌ لما قبله . والعيْنُ بمعنى النّفْس والذات . تقول : جاء زيد عينُه ؛ أى نفسُه وذاتُه . وقيل : رُؤيةُ الجحيم فى الآية الأُولى بالبصر إذا وردوها ، وفى الثانية بالذّوْق إذا دخلوها .

٨ - ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ ثم لتسألُنّ يومَ القيامة فى موقف الحساب عما تقلّبتم فيه من النِّعم الوافرة فى الدنيا التى تتباهون بها وتتفاخرون . هل أدّيتم حق الله فيها ، وقمتم بواجب شكره على الإنعام بها ، واستعملتموها فيما أُعِدّت له ؟ . فإن كنتم من المقصّرين فى ذلك ، أو الجاحدين له جوزيتم جزاءً وفاقًا . وما ذُكر فى تفسير النعيم إنّما هو من باب التّمثيل . والأَوْلى عمومُه . والله أعلم .



(١٠٣) سُورَةُ العَصْرِ مكيّة وآياتها ٣ نزلت بعد الشرح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

(١٠٤) سُورَةُ الهُمَزَةِ مكيّة وآياتها ٩ نزلت بعد القيامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾

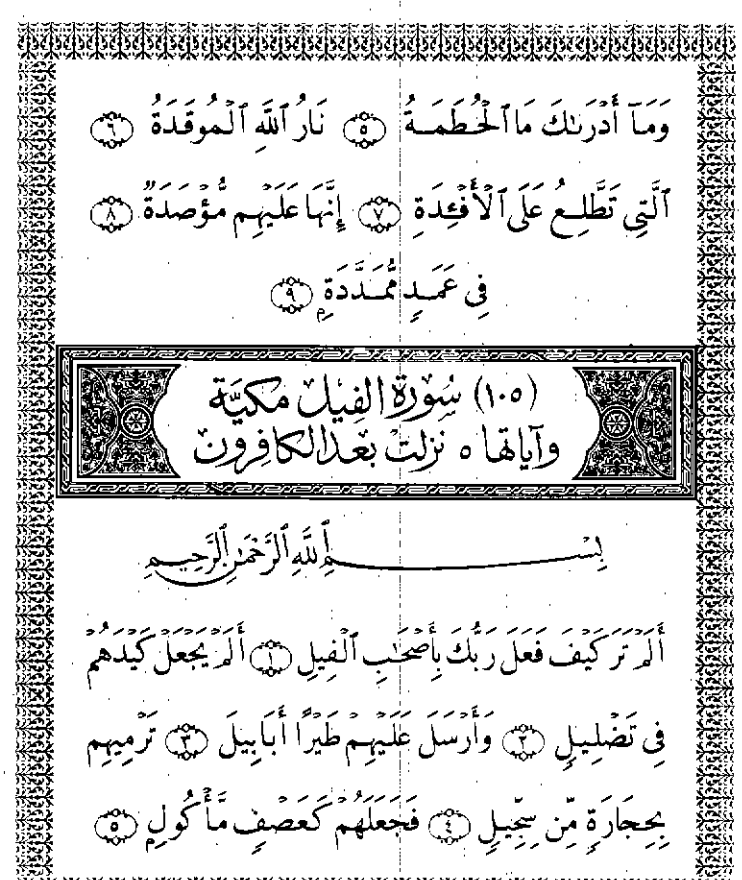
سُورَةُ العَصْر

١ - ﴿وَالْعَصْرِ﴾ أقسم الله بصلاة العصر لفضلها ؛ لأنها الصلاةُ الوُسْطى عند الجمهور . أو بوقتها ؛ لفضيلة صلاته ، كما أقسم بالضحَى . أو بعصر النبوّة ؛ لأفضليّته بالنّسبة لما سبقه من العصور أو بالزمان كله ؛ لما يقع فيه من الأقدار الدّالة على عظيم القدرة الباهرة . وجوابُ القَسَم .

٢ ، ٣ - ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ أى إن جنسَ الإنسان لا يَنفكُّ عن خُسران ونُقصانٍ فى مساعيه وأعماله وعمره . أو إن الكافر لفى خُسر ، أى هَلَكة أو شر أو نقص . ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ..﴾ استثناءٌ متّصلٌ إذا أريد بالإنسان الجنس . ومنقطعٌ إذا أريد به خصوصُ الكافر . والأعمالُ الصّالحات تشملُ جميعَ ما يعملَه الإنسانُ مما فيه خيرٌ ونفعٌ وبِرّ . ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ أوصى بعضهم بعضًا بالتمسك بالحق ؛ ومنه الثبات على الإيمان بالله وكُتبه ورُسله ، والعملُ بشريعته فى كل عَقْد وعَمَل ؛ وذلك هو الأمر الثابت الذى لا سبيلَ إلى إنكاره ، ولا زوالَ فى الداريْن لمحاسن آثاره . ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ أى أوصَى بعضهم بعضًا بالصبر عن المعاصى ، التى تميل إليها النفوس بالطبيعة البشريّة . والصبرِ على الطاعات التى يشقُّ على النفوس أداؤها ؛ ومنها الجهاد فى سبيله ـ وعلى البلايا والمصائب التى تصيب الناسَ فى الدنيا ، ويصعب على النفوس احتمالها . والله أعلم .

سُورَةُ الهُمَزَة

١ - ﴿وَيْلٌ﴾ عذابٌ وهَلكةٌ . أو وادٍ فى جهنم . ﴿لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ أى مكثرٍ من الهَمْز واللّمْز ، وهو الذى دأْبُه أن يَعيب الناسَ ، ويَثلِمَ أعراضَهم ، ويطعنَ فيهم ، ويمشى بينهم بالنميمة والإفساد . فالهُمَزَةُ واللُّمَزَةُ بمعنًى واحد ، وهما من



وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ﴿٩﴾

(١٠٥) سُورَةُ الفِيلِ مَكِّيَّة وآياتها ٥ نزلت بعد الكافرون

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ﴿٢﴾ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ﴿٥﴾

باب ضَرَب ونَصَر . وقيل : الهُمَزَةُ الذى يعيب فى الحضور . واللُّمَزَةُ الذى يعيب فى الغيبة وقيل بالعكس . وقيل : الهُمَزَةُ الذى يضرب باليد ويغمزُ بالعين . واللُّمَزَةُ الذى يلمز باللسان . ومرجعُ هذه الأقوال إلى أصل واحد ، وهو الطعنُ وإظهار العيب . وأصلُ الهَمْزِ : الكسْرُ والعضُّ على الشىء بعُنف . وأصلُ اللَّمْزِ : الطعنُ ، ثم خُصَّا بما ذكر . نزلت فى الوليد بن المغيرة وأضرابه من طُغاةِ قريش ، وكانوا يهمزون النبىّ صلى الله عليه وسلم ويعيبونه .

٢ ، ٣ ـ ﴿الَّذِى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ﴾ أى عدّه مرّة بعد أخرى ، حبًّا له وشَغَفًا به . أو أحصاه وحافظ على عدده حتى لا ينقص ، فمنعه من فعل الخيرات . أو أعدّه وادّخره لنوائب الدهر ؛ مثلُ كرّم وأكرم . ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ أى يعمل عملَ من يظنّ أن ماله يخلّده فى الدنيا فلا يموت . والخُلْدُ ـ بالضم ـ : البقاء والدوام ؛ وبابه دخل .

٤ ، ٩ ـ ﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ له عن هذا الحُسبان الباطل . أو عن كلِّ ما تضمّنته الآيات السابقة من الصفات القبيحة . ﴿لَيُنبَذَنَّ فِى الْحُطَمَةِ﴾ جوابُ قَسَم محذوفٍ ، أى والله لَيُطْرَحَنَّ بسبب أفعاله الفاسدةِ فى النار التى تحْطم كلَّ ما يُلقَى فيها ؛ من الحَطْم ، وهو كسْرُ الشىء كالهشْم . وفُسِّرت بقوله تعالى : ﴿نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ﴾ أى المسعَرة . الشديدةُ اللَّهب التى لا تخمُدُ أبدًا . ﴿الَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ﴾ أى تعلو أوساطَ القلوب وتغشاها وتحيط بها . والقلوبُ ألطفُ ما فى الأجسام وأشدّها تألمًا بأدنى أذًى يمسّها ؛ ولذا خُصَّتْ بالذِّكر . ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤْصَدَةٌ﴾ مطَبقةٌ مغلقةٌ لاخلاصَ لهم منها أبدًا . يقال : آصدت الباب ، أى أغلقته [آية ٢٠ سورة البلد] . ﴿فِى عَمَدٍ﴾ بفتحتين ، وقُرئ بضمتين . جمع عَمود . أو اسمُ جمع له . أو جمعُ عِماد ، وهى أوتاد الأطباق التى على أهل النار . ﴿مُّمَدَّدَةٍ﴾ مُطوّلةٍ ، أى أن الأبوابَ طبقت عليهم ثم شُدّت بأوتاد من حديد من نار ، حتى يرجع عليهم حرُّها فلا ينفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم رَوْح . وقانا الله شرها ، وأجارنا منها . والله أعلم .

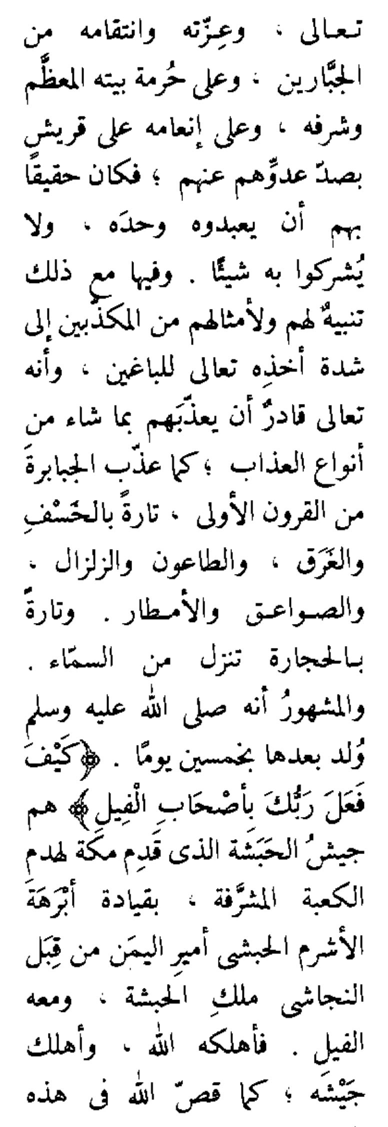
سُورَةُ الفِيلِ

١ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تعلمْ . والخطابُ له صلى الله عليه وسلم . والاستفهامُ للتقرير بما تواتر نقله . وقد نزلت هذه السورةُ منبِّهةً على العِبرة فى قصة الفِيل ، التى وقعت بمكة فى عام مولدِه صلى الله عليه وسلم ؛ إرهاصًا لبعثته على كيفية هائلة دالَّةٍ على عظم قدرة الله

(١٠٦) سُورة قريش مكية وآياتها ٤ نزلت بعد التين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾



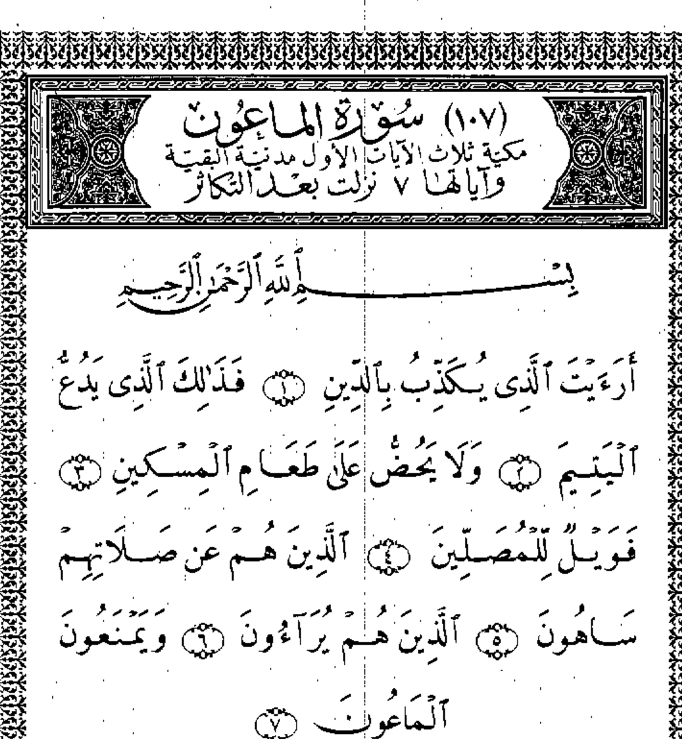
تعالى ، وعزّته وانتقامه من الجبّارين ، وعلى حُرمة بيته المعظّم وشرفه ، وعلى إنعامه على قريش بصدّ عدوِّهم عنهم ؛ فكان حقيقًا بهم أن يعبدوه وحدَه ، ولا يُشركوا به شيئًا . وفيها مع ذلك تنبيهٌ لهم ولأمثالهم من المكذّبين إلى شدة أخذِه تعالى للباغين ، وأنه تعالى قادرٌ أن يعذّبهم بما شاء من أنواع العذاب ؛ كما عذّب الجبابرةَ من القرون الأولى ، تارةً بالخَسْفِ والغَرَق ، والطاعون والزلزال ، والصواعق والأمطار . وتارةً بالحجارة تنزل من السماء . والمشهورُ أنه صلى الله عليه وسلم وُلد بعدها بخمسين يومًا . ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ هم جيشُ الحَبَشَة الذى قَدِم مكة لهدم الكعبة المشرَّفة ، بقيادة أبْرَهَةَ الأشرم الحبشى أميرِ اليمَن من قِبَل النجاشى ملكِ الحبشة ، ومعه الفيل . فأهلكه الله ، وأهلك جَيْشَه ، كما قصّ الله فى هذه السورة .

٢ - ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ أى قد جعل الله مكرَهم وسعيَهم لتعطيل بيت الله وتخريبه فى تضييع وإبطال وتخسير ، بأن دمرّهم أشنعَ تدمير . وأصلُ التّضليل : من ضلّ عنه إذا ضاع ؛ فاستُعير هنا للإبطال .

٣ ، ٥ - ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ سَلّطَ عليهم طيرًا من جهة السماء جماعاتٍ عظامًا ، متتابعةً بعضُها فى إثر بعض ، تجىء من كل ناحية ، وكانوا قُرب عرفَةَ قبل دخول الحَرَم على الأصح . وأبابيلُ : اسمُ جمعٍ لا واحد له من لفظه . وقيل : واحده إبّالَة ، وهى حُزمة الحطب الكبيرة ؛ شُبّهت بها الجماعةُ من الطير فى تضامّها . وقيل : إبّوْل كعِجَّوْل . أو إبِّيل كسِكّين . ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ من طين متحجّرٍ محرق . أو بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدوَّن فى السجّيل ، وهو الدِّيوان الذى كُتِب فيه عذاب الكفار ؛ كما أن السّجين هو الديوان الذى كُتبت فيه أعمالهم . واشتقاقُه من الإسجال بمعنى الإرسال . وعن عكرمة : كانت ترميهم بحجارة معها كالحِمّصة ؛ فإذا أصاب أحدَهم حجرٌ منها خرج به الجُدَرىّ ، وكان أوّلَ يوم رُئى فيه الجدرىّ بأرض العرب . وقال ابن عباس : كان الْحَجَرُ إذا وقع على أحدهم نَفِط جلدُه ؛ فكان ذلك أوّلَ الْجُدَرىّ . وقيل : إن أوّلَ ما رئيت الحصبةُ والجدرىُّ بأرض العرب ذلك العام . وقال ابن جُزَىّ فى تفسيره : إن الحجر كان يدخلُ من رأس أحدهم ويخرج من أسفله ، ووقع فى سائرهم الْجُدَرىُّ والأسقامُ ، وانصرفوا وماتوا فى الطريق متفرّقين . وتقطّع أبْرَهة أنملةً أنملةً . ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ كتِبْن أكلته الدّوابّ وراثَتْه . والمرادُ : كرَوْث ؛ فشبّه تقطُّعُ أوصالهم بتفرّق أجزاء الرَّوْث . والعَصْفُ : قِشر البُرّ ؛ أى الغلاف الذى يكون فيه حَبُّ القَمْح . والله أعلم .

سورة قريش

١ ، ٢ - ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ كانت لقريش بمكة رحلتان للامتيار والاتّجار كلَّ عام . رحلةٌ فى الشتاء إلى اليمن ، ورحلةٌ فى



الصيف إلى بُصْرَى بالشام . وكانوا فيهما آمنين ؛ إذ كانوا أهلَ حَرَم اللهِ ، ووُلَاةَ بيْته المعظّم ، فلا يتعرّض لهم فيهما أحد بسوء ، والناسُ بين متخطَّف ومنهوب . فذكرهم بهذه النعمة ليُخلصوا له العبادةَ . ونبّههم إلى أنه تعالى هو ربُّ هذا البيت المعظّم الذى يعتزُّون به ؛ وبسببه نالوا الشرفَ والرفعةَ والأمنَ والخير . وإيلاف : مصدرُ آلفت فلانًا الشىء ، إذا ألزمته إياه . وهو هنا مضافٌ لمفعوله ، والفاعلُ هو الله تعالى . و (رِحْلَةَ) مفعولٌ ثانٍ ، وهى بالكسر اسم مصدر ؛ من ارتحل بمعنى الارتحال أى الانتقال . و (إيلافِهِمْ) بدل من لِـ (إيلاف) . واللّامُ فى (لِإيلافِ) للتعليل . والجارُّ والمجرور متعلّق بقوله : (فَلْيَعْبُدُوا) . وزيدت الفاء لما فى الكلام من معنى الشرط ؛ إذ المعنى : أنّ نعمَ الله على قريش لا تحْصَى ؛ فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لأجل إيلافه إيّاهم الرحلتيْن أى جعْله تعالى لهم آلفينَ لها مسترزقين بهما ؛ فإنهما أظهر نعمِه تعالى عليهم . وقريشٌ : هم وَلَدُ النَّضْر بن كِنانة على الأصح . والنَّضْرُ : هو الأبُ الثالثَ عشرَ للنبىّ صلى الله عليه وسلم . وقيل : هم وَلَدُ فِهْر بن مالك بن النضر بن كِنَانة . واسمه قريش ، وفِهْرٌ لقبُه . وكُنْيتُه أبو غالب .

٣ ، ٤ - ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ هو الكعبة المشرَّفةُ التى حماها الله من أصحاب الفيل ؛ وشرُفت قريشٌ بها على سائر العرب . ﴿الَّذِى أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ شديدٍ كانوا فيه من قبلُ ؛ فشبعوا بسبب تيْنك الرحلتيْن اللّتيْن تمكّنوا منهما بواسطة كونهم من جيران البيت المعظّم . ﴿وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ عظيم ، وهو خوف التّخطُّفِ فى بلدهم بدعوة إبراهيم عليه السلام إذ قال : (رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا) (١) . أو فى أسفارهم حيثما ارتحلوا . أو خوف أصحاب الفيل . واللهُ أعلم .

سُورَةُ المَاعُون

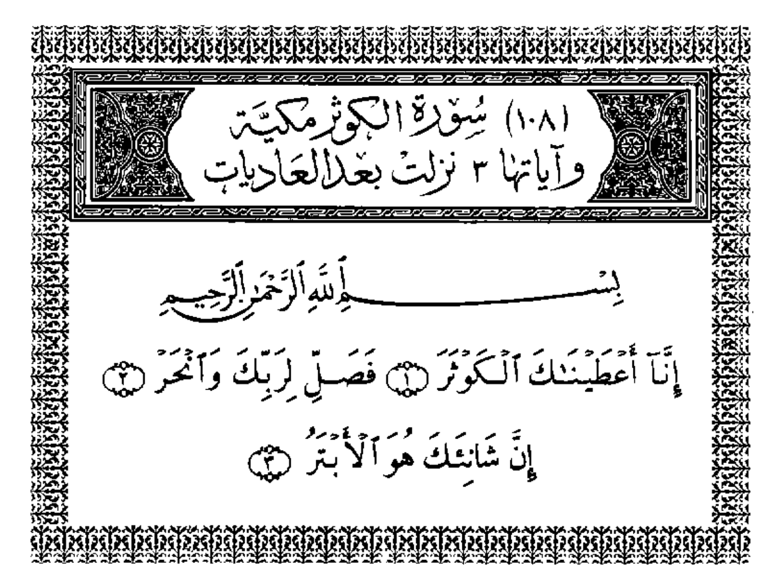
١ - ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ أى أعرفتَ الذى يكذب بالجزاء ؟ أو أخبرْنى عن المكذِّب بالجزاء أو بالإسلام مَنْ هو !؟ وتتعدَّى الرؤيةُ إلى مفعولَيْن : أولهما الموصول ، وثانيهما الجملة الاستفهاميّة المحذوفة . والاستفهامُ للتشويق إلى معرفته ، وفيه تعجيبٌ من أمره . والخطابُ للرسول صلى الله عليه وسلم ، أو لكل من يصلح له ؛ وقد بيّنه الله تعالى بقوله :

٢ ، ٣ - ﴿فَذَلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ أى إنْ أردتَ أن تعرف هذا المكذِّب بالدِّين فذلك هو الذى شأنُه وديدَنُه أن يدفع اليتيم دفعاً عنيفًا ، ويزجره زجرًا قبيحًا عن حقه وماله ؛ من الدَّعِّ ؛ وهو الدفع الشديد . وأصلُه أن يقال

(١) آية ١٢٦ البقرة .

للعاثر : دَعْ دَعْ ؛ كما يقال له : لَعًا . ﴿وَلا يَحُضُّ﴾ أى ولا يَحثُّ أهْلَه وغيرَهم من الموسرين . ﴿عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ أى على بذْل الطعام إليه لشدة حرصه ؛ والذى لا يحثُّ غيرَه على ذلك لا يطعِمُه فى العادة .

٤ ، ٧ - ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ أى فهلاكٌ وعذاب لمن جَمَعَ هذه الخلالَ الثلاثَ ، بعد ما ذُكر من دَعِّ اليتيم والبُخل بإطعام المسكين الاولى : السَّهْوُ عن الصلاة ، بمعنى الغفلة عنها ، وعدم المبالاة بها ؛ وذلك بتركها أو بتأخيرها عن أوقاتها ، أو بالإخلال بأركانها . وعن ابن عباس : هم المنافقون ، يتركون الصلاة إذا غابوا عن الناس ، ويصلونها فى العلانية إذا حضروا معهم . وقيل : هم الذين لا يرجون لها ثوابًا إن صلّوْا ، ولا يخافون عليها عقابًا إن تَرَكُوا . والثانيةُ : المراءاة بالأعمال طلبًا للثناء والمِدْحة . والثالثةُ : ما أشير إليه بقوله تعالى : ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ أى يمنعون عن الناس المعروف كله ، أو ما يتعاورونه بينهم من أمتعة البيوت ؛ كالمِلح والماء ، والقِدْرِ والفَأس ، والأوانى ، ونحو ذلك . وهو يختلف باختلاف الزمان والمكان . ثم المنعُ يكون محظورًا إذا استُعير عن اضطرار ، وقبيحًا فى المروءة إذا كان عن غير اضطرار . والمرادُ : الزّجْرُ عن البخل بهذه الأشياء القليلة الحقيرة . والماعون : اسمُ مفعول ؛ من أعان يُعين . والعَوْنُ : هو الإمدادُ بالقوة والآلات والأسباب الميسِّرة للأمر . واللهُ أعلم .



سُورَةُ الكَوْثَر

وتُسَمَّى سُورَةَ النَّحر

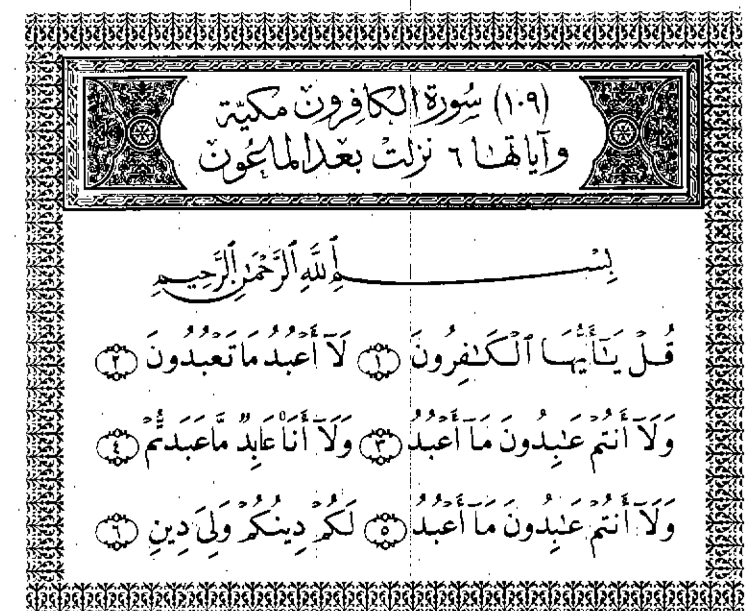
وهي أقصر سورة في القرآن

١ - ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ امتنَّ الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بإعطائه الكَوْثَرَ ؛ أى بتخصيصه به وبأمّته يومَ القيامة . وهو كما فى صحيح البخارى : نهر فى الجنّة . وقيل : هو حوضهُ صلى الله عليه وسلم فى المَحْشر . وقيل : هو امتنانٌ بإعطائه الخيرَ الكثيرَ ، والنِّعمَ الدُّنيوية والأخروية من الفضائل والفواضل . فيندرج فى ذلك : النهْرُ والحوْضُ ، والنبوّةُ والحكمةُ ، والقرآنُ وسائرُ المعجزاتِ ، والْخُلُقُ العظيم ورفعةُ الذكر ، والنّصْرُ على الأعداء وكثرةُ الفتوحات ، وإظهارُ الإسلام على الأديان ، وكثرة الأصحابِ والأتباع ، والمقامُ المحمودُ وهو الشفاعة العُظمَى يومَ القيامة . وتفسيرهُ فى الحديث بالنهر إنما هو من باب التمثيل . والكوْثَر : فَوْعَلٌ من الكثرة ؛ مثل النّوْفل من النّفْل ، ومعناه : الشىءُ البالغُ فى الكثرة حدَّ الإفراط ، والعربُ تُسَمِّى كلَّ شىء كثير فى العدد ، أو كثيرِ القَدْر والْخَطَرِ : كَوْثرًا .

٢ - ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ أى وإذ أعطاكَ اللهُ ما لم يُعط أحدًا من العالَمين ، فَدُمْ عَلَى جَعْل صلاتِك كلِّها لربِّك خالصاً لوجهه دون ما سواه من الأنداد والآلهة ، وانحرْ البُدْنَ التى هى خيار الأموال له تعالى دون الأوثانَ ؛ شكرًا له تعالى على ما أعطاك من الكرامة ، وخصّك به من الخير

الكثير ؛ خلافًا لما يفعله من كفر بالله من عبادة غيره والنحر للأوثان . والمرادُ : النَّحْرُ للنسك في يوم الأضحى . وعن ابن عباس تفسير «وانحر» بـ«استقبل» القبلة في الصلاة بنَحْرِك . ورُوِيَ تفسيرُها بـ «ارفعْ» يديك إذا كبَّرتَ في الصلاة إلى نحْرِك .

٣ ـ ﴿إنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ الشَّانِئُ : المبغض . يقال : شنأه ـ كَسَمِعَه ومَنَعه ـ شَنْئًا ـ ويُثَلَّث ـ أبغضه . والأَبْتَرُ في الأصل : مقطوعُ الذَّنَب ، ثم أُجْرِيَ قَطعُ العَقِب مُجراه ؛ فقيل : فلانٌ أبترُ ، إذا لم يكن له عَقِبٌ يخلُفه . ورجل أبتر : أي انقطع ذِكْره عن الخير ؛ من البَتْر وهو القطع . يقال : بَتَرت الشيء بترًا ، إذا قطعته قبل الإتمام . والمعنى : أن مبغضك هو الأبتر المنقطع عن كل خير . أو الذى لا يبقى له عَقِبٌ ونَسْلٌ ، ولا حُسْنُ ذِكْر . وأمّا أنت فتبقى ذريّتُك وحسنُ ذِكرك ، وآثارُ فضلك إلى يوم القيامة . وقد حقّق الله ذلك في شانئيه صلى الله عليه وسلم . قيل : نزلت في العاص بن وائل ، سَمَّى النبيَّ صلى الله عليه وسلم أبتر حين مات ابنُه القاسم ، وهو أوّلُ مولودٍ له قبل النبوّة في قول . وعمَّمَ شيخُ الإسلام ابنُ تَيْمِيَة كُلاًّ من الشانئ والأبتر فقال : إنه سبحانه يَبْتُر شانِئَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من كلّ خير ؛ فيَبْتُر أهلَه ومالَه ، ويَبْتُر حياته فلا ينتفع بها ، ويَبْتُر قلبَه فلا يَعِي الخير ، ولا يؤهّله لمعرفته تعالى ومحبّته ، ويَبْتُر أعمالَه فلا يستعمله في طاعته ، ويَبْتُره من الأنصار فلا يجد له ناصرًا ، ويَبْتُره من جميع القُرَب فلا يذوق لها طعمًا ، ولا يجد لها حلاوةً . والأوْلَى التعميم . والله أعلم .



سُورَةُ الْكَافِرُون

١ ـ ﴿قلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ خطابٌ لرهطٍ من مشركي قريش ؛ طلبوا من النبيِّ صلى الله عليه وسلم أن يعبد آلهتهم سَنَةً ، ويعبدوا إلهه سنةً . فقال عليه الصَّلاة والسلام : (مَعَاذَ الله أن أُشرك به غيره !) ثم نزلت السورة ؛ فغدا إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريشٍ فقام صلى الله عليه وسلم على رُؤوسِهم فقرأها عليهم فأيسوا[1] . وقد علم الله من أمرهم أنهم لا يؤمنون أبدًا ؛ فأمره تعالى أن يقول لهم :

٢ ـ ﴿لَا أَعْبُدُ﴾ الآن ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ من الأوثان والآلهة الباطلة .

٣ ـ ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ أبدًا ﴿ما أَعْبُدُ﴾ دائمًا وهو الإله الحق .

٤ ـ ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾ أبدًا ﴿مَا عَبَدْتُمْ﴾ من هذه الأوثان .

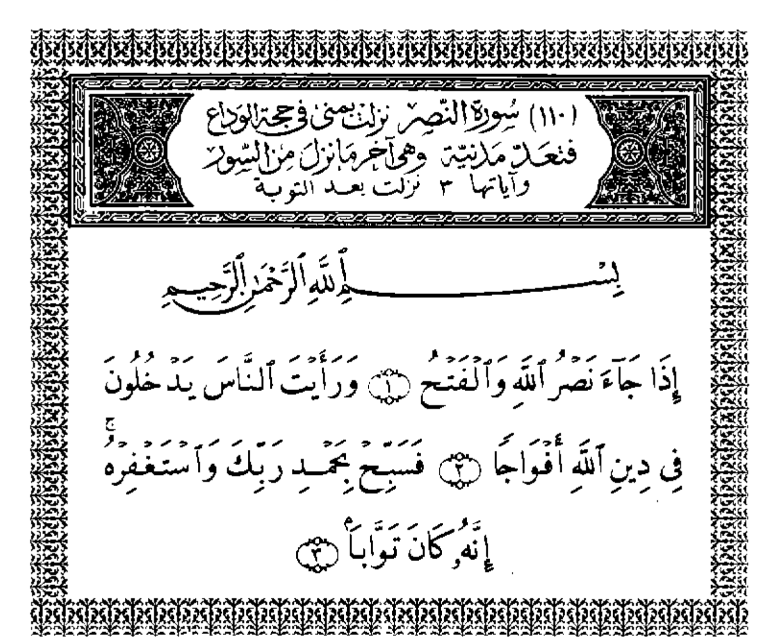
٥ ـ ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ فيما يُستقبَل أبدًا ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ فأيأسهم من الذى طمِعوا فيه ، وأخبرهم أنه غيرُ كائن منه في وقت من الأوقات . وأيْأَسَ نبيَّه من الطمع في إيمانهم ؛ وقد تحقّق ذلك بموت بعضِهم على الكفر ، وقتل باقيهم يومَ بدْر . وللمفسرين أقوالٌ كثيرةٌ في تفسير هذه القرائن الأربع ؛ فمنهم من حَمَل الأُوليَيْن على الاستقبال ، والأخريَيْن على المُضِيِّ أو على الحال ، ومنهم من

(١) أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم .

حمَل الأُوليْن على المُضِيّ والأخريْن على الاستقبال . ومنهم من جعل القرينة الثالثةَ المنفيّة توكيدًا للأولى ، والرابعة توكيدًا للثانية . وقيل غير ذلك . كما اختلفوا فى (مَا) فى القرينة الثانية والرابعة ؛ فحملها بعضهم على الصفة . كأنه قيل : ولا أنتم عابدون ما أعبد من المعبود العظيم الشّأن الذى لا يُقادَر قدْرُه . واختار أبو مسلم : أنها فى القرينتيْن الأوليَيْن موصولةٌ ، وفى الأخريْن مصدريّةٌ ؛ أى لا أعبد المعبودَ الذى تعبدون ، ولا أنتم عابدون المعبودَ الذى أعبد ، ولا أنا عابدٌ مثلَ عبادتكم المبنيّة على الشّرك المخرِج لها عن كونها عبادةً حقيقيّة . ولا أنتم عابدون مثلَ عبادتى المبنيّة على التوحيد والإخلاص . وقيل غير ذلك .

٦ - ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ ﴾ وهو الشّرك ؛ أى هو مقصور عليكم ، ومحالٌ أن يكون لى كما تطمعون ! فلا تعلّقوا أمانيكم بحصوله منّى ! وهو تقرير للقرينتيْن الأولى والثالثة . ﴿ وَلِىَ دِينِ ﴾ أى دينى وهو التوحيد ؛ أى هو مقصورٌ عَلَىَّ . ومحالٌ أن يكون لكم ؛ لأن الله قد ختم على قلوبكم . وعَلِم من سوء استعدادكم . وفساد فِطَرِكم أنكم لا تؤمنون . وهو تقريرٌ للقرينتيْن الثانية والرابعة . أو لكم حسَابُكم أو جزاؤكم على عَمَلِكم . ولى حسابى أو جزائى على عملى .

والدِّينُ : يُطلق على الحساب والجزاء . والآية على التفسيرين محكمةٌ غيرُ منسوخة . وتفسيرُها بما لا تكون عليه منسوخة أَوْلى ؛ لأن النسخ خلافُ الظّاهر ، ولا يصار إليه إلّا عند الضرورة ، واقتضاء الدليل إيّاه . والله أعلم .



سُورَةُ النصْر
وتسمى سورة التوديع

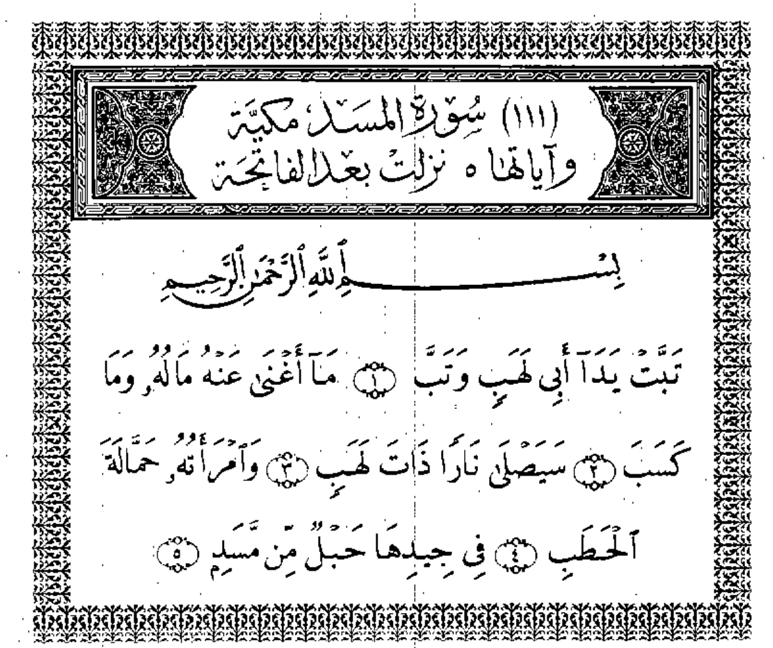
رُوِىَ أنها حين نزلت قال صلى الله عليه وسلم : (نُعِيَتْ إِلَىَّ نَفْسِى)(1) وقال فى خطبته : (إنّ عبدًا خيّره الله تعالى بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله تعالى) فقال أبو بكر : فديناك بأنفسنا وأموالنا ! وآبائنا وأولادنا !! . وفى ذكر حصول النّصْر والفتْح ودخولِ الناسِ فى الدِّين أفواجًا - دليلٌ على حصول الكمال والتمام . وذلك يعقبه الزوال والنّقصان . كما أن أمره صلى الله عليه وسلم بالتسبيح والحمد والاستغفار مطلقاً واشتغاله بذلك . لمّا كان مانعًا له من اشتغاله بأمر الأمة كان كالتنبيه على أن أمر التبليغ قد تمّ وكمُلَ . وذلك يقتضى قُربَ انقضاء الأجل .

١ - ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ ﴾ أى إذا حصل عونُ الله لك وللمؤمنين على أعدائك . ﴿ وَالْفَتْحُ ﴾ أى فتوح مكة وغيرها من القرى وصيرورتها بلاد إسلام .

٢ - ﴿ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ اللهِ ﴾ أى فى ملّة الإسلام ، التى لا دِينَ لله تعالى يضاف إليه غيرُها . ﴿ أَفْوَاجًا ﴾ جماعاتٍ كثيرةً من غير قتال لا أحادًا كما كان قبل فتح مكة .

٣ - ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ فنزّهه عمّا لا يليق به ، بكلّ ذِكْرٍ يدلُّ على التّنزيه ، حامداً له على أنْ صدَق وعدَه زيادة فى عبادته والثناء عليه لزيادة إنعامه عليك . أو فصلِّ له تعالى حامدًا على

(١) رواه البيهقي .



نعمه . و(إذا) منصوبٌ بـ (سبّحْ) والفاءُ غيرُ مانعة منه على ما عليه الجمهور . ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ اطلب مغفرته . وأمره به لأنه صلى الله عليه وسلم كان دائمَ الترقّي ؛ فإذا ترقّى إلى مرتبة استغفر لما دونها . أو استغفاره مما هو خلاف الأولى في نظره الشريف . أو لتعليم أمّته أو مما كان يعرض له بمقتضى البشرية من الضجر والقلق عند إعراض قومه عنه ، وإبائهم السماعَ والقبولَ منه ، وإبطاء نصر الله له وللحق الذي جاء به . وقال القرْطبيّ : إنه عليه الصلاة والسلام كان يستقصر نفسَه لعِظَم ما أنعم الله به عليه ، ويرى قصورَه عن القيام بحقّ ذلك ذنوباً فيستغفر منها . وقيل : الإستغفارُ تعبدٌ يجب إتيانه في ذاته لا للمغفرة ؛ فإنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخَّر .

﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾ كثيرَ القبول لتوبة كثير من عباده التائبين . والجملةُ تعليلٌ لما قبلها . وأخرج الإمام أحمد من حديث ابن عباس : (من أكثر من الإستغفار جعل الله تعالى له من كل هَم فرجاً) . وأنا أقول كما قال العلاّمة الآلوسيّ هنا : سبحانَ الله وبحمده ، أستغفر الله تعالى وأتوب إليه . وأسأله أن يجعل لي من كل هَمّ فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ؛ بحُرمة كتابه الكريم ، وسيّد أحبابه العظيم ، صلى الله عليه وسلم . والله أعلم .

سُورَةُ المَسَد

وتسمَّى سورة تبَّت

رُوِيَ أنه لما نزل (وأنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ)[1] رقِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم الصَّفَا ، وجمع أقاربَه فجاء أبو لهب وقريش فقال صلى الله عليه وسلم : (أرأيتكُم لو أخبرتكُم أنَّ خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدّقيّ) ؟ قالوا : نعم ! ما جرّبنا عليك إلا صدقاً . قال : (فإني نذير لكم بين يدَيْ عذابٍ شديد) . فقال أبو لَهَب ؛ تبّاً لك ! ألهذا دعوتنا ! وأخذ بيديه حجراً ليرميَه عليه السلام به ؛ فنزلت السورة[2] وأبو لهب هو عبد العُزّى بن عبد المطلب ، وذُكِر بكُنيته لاشتهاره بها . أو لكراهة ذكر اسمه القبيح في التنزيل . وكان شديد المعاداة والمناصبة له صلى الله عليه وسلم .

١ - ﴿تَبَّتْ﴾ هلكت أو خسرت ﴿يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ ؛ من التَّباب بمعنى القَطع المُفضِي إلى الهلاك . وهو دعاءٌ عليه بهلاكه كله . واليَدَان : كناية عن الذات والنفس ؛ كما في قوله تعالى : (بِمَا قَدَّمَتْ يدَاكَ)[3] وقولهم : أصابته يدُ الدهر ، ويدُ المنايا : يريدون أصابه كلُّ ذلك . ﴿وَتَبَّ﴾ أي وقد تَبَّ وهلك . فهو إخبار بحصول هلاكه بعد الدعاء عليه به : كما يقال : أهلكه الله وقد هلك . ويؤيّده قراءةُ «وَقَدْ تَبَّ» . وقد نزلت السّورةُ قبل هلاكه ؛ فالتَّعبيرُ بالماضي لتحقُّق الوقوع .

٢ - ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ لم ينفعه مالُه الذي وَرِثه ولا مالُه الذي كسَبَه بنفسه . أو لم ينفعه مالُه الموروث . ولا الذي

(١) آية ٢١٤ الشعراء . (٢) الحديث متفق عليه . (٣) آية ١٠ الحج .

كسبَه من الأرباح والمنافع والجاه والأتباع حين حَلَّ به الهلاك . أو لم يُفِدْهُ ماله ولا الذي كسبه من عمله الخبيث ، وهو كيدُهُ في معاداة الرسول صلى الله عليه وسلم طلباً للجاه والعلوّ ، والظهور بين كفار قريش . ويجوز أن تكون (ما) الأولى استفهامية . و(ما) الثانية موصولةً ، أو استفهاميةً ، أو مصدريّةً .

٣ ، ٤ – ﴿سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ . وامْرَأَتُه﴾ سيدخل هو وامرأته العَوْراء أمّ جميل بنت حَرْب أختُ أبي سفيانَ بن حَرْب – ناراً ذاتَ اشتعالٍ وتوقُّدٍ عظيم ، وهى نار جهنم . ﴿حَمَّالَةَ الحَطَبِ﴾ منصوبٌ على الذمّ . وكانت شديدةَ العداوةِ لرسول الله صلى الله عليه وسلم . تحمل بنفسها حُزمَةَ الشَّوْك والحَسَك والسَّعْدان فتنشره باللّيل فى طريقه صلى الله عليه وسلم لتُؤْذيه بذلك . وقُرئ بالرفع صفة لـ «وامرأته» أو خبرُ مبتدإٍ محذوفٍ ؛ أى هى حَمّالة الحطب . وقيل : كانت تمشى بالنّميمة ، وتُلقى العداوةَ بين الناس ، وتُوقِدُ نارَها كما يوقد النارَ الحطبُ . وهى من كبائر الذنوب ؛ فاستُعير الحطب للنميمة . يقال : فلان يحطِبُ بفلان . إذا كان يُغْرى به . وقيل : حمالةَ الخطايا والذّنوب ؛ من قولهم : فلان يحْطِب على ظهره . إذا كان يكتسب الآثام والخطايا ؛ فاستُعير الحَطَب للخطايا . لأن كلا منهما مبدأٌ للإحراق .

٥ – ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ الْجِيدُ : العُنُق . والمَسَدُ : ما مُسِد . أى فُتِل فتْلاً شديدًا من الحبال من ليفٍ أو جلدٍ . أو من لحاءِ شجرٍ باليَمَن يُسَمَّى المَسَد ؛ أى فى عنقها حبْلٌ ممّا مُسِد من الحبال . وهو تصويرٌ لها بصورة الحطّابة التى تحمل الحُزمة وتربطها فى عُنُقها بحبل ؛ تحقيرًا لها لتمتعض من ذلك هى وزوجُها ، إذ كانا فى بيت العزّة والشّرف ، ومَنْصِب الثرْوَة والجدَة . ويحتمل أن يكون المعنى : أنها تكون فى جهنم على الصُّورة التى كانت عليها فى الدنيا ؛ حين كانت تحمل حُزمةَ الشَّوْك لتلقيها فى طريقه صلى الله عليه وسلم إيذاءً له ؛ فلا تزال على ظهرها فى النار حزمة من حطَب شجرةِ الزَّقُّوم ، أو من الضَّريع . وفى جيدها حبلٌ ممّا مُسِد من سلاسلَ النار ؛ كما يُعذَّب كلُّ مجرم بما يجانس حالَه فى جُرمه . وقد هلكت هى وزوجُها كافريْن . والله أعلم .

(١١٢) سُورَةُ الإخلاص مكيّة وآياتها ٤ نزلت بعد الناس

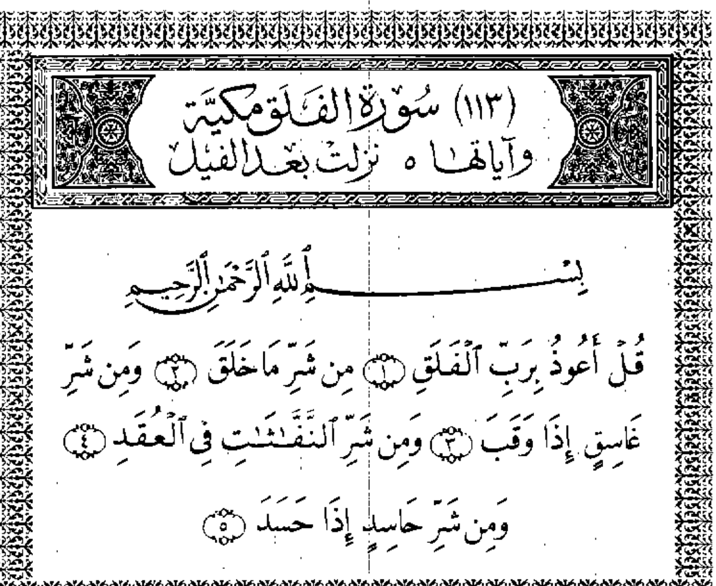
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)

سُورَةُ الإخْلَاص

١ – ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ سأل اليهودُ أو كفارُ مكةَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يصف ربَّه الذى يدعو إلى الإخلاص فى عبادته ؛ كما قال فرعون لموسى : (وَمَا رَبُّ العَالَمِينَ)[1] ؟ فنزلت السُّورةُ . أى الذى سألتمونى عنه اللهُ الموجودُ الحقُّ ، الجامعُ لصفات الألُوهيّة ، المنعوتُ بنعوت الرُّبوبيّة ، المنفردُ بالوجود الحقيقىِّ . وهو (أحدٌ) أى واحدٌ فى الألوهيّة والرُّبوبيّة ، وحدةً كاملةً ؛ فهو منزّهُ الذّات عن أنحاء التركيب والتعدُّد خارجًا وذِهنًا ، وما يستلزم أحدهما كالجسميّة والتحيّز والمشاركة فى الحقيقة والخواصّ . فليس مركّبًا من

(١) آية ٢٣ الشعراء .


(١١٣) سُورَةُ الفَلَقِ مَكِّيَّة
وآياتها ٥ نزلت بعد الفيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

جواهرَ مادّية . ولا من أصلين . ولا من أصُول غير مادّية كما يزعم أهلُ الأديان الأخرى . ولا شريك له كما يزعم المشركون . فالضمير مبتدأٌ ، ولفظُ الجلالة خبره . و (أحدٌ) خبرٌ بعد خبر . أو خبرُ مبتدأ محذوفٍ تقديره : هو أحد ، بمعنى واحد ؛ على ما رُوِىَ عن ابن عباس واختاره أبو عبيدة .

٢ - ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ أى السيّد الذى ليس فوقَه أحد ، الذى يَصْمُد إليه الخلق فى الحوائج ، ويقصِدونه فى المطالب . فَعَل بمعنى مفعول ؛ من صَمَد إليه بمعنى قصده . أو هو الغنىُّ المطلق . الذى لا يحتاج إلى أحد ويحتاج إليه كلُّ أحد . وتعريفُه باللّام لإفادة الحصر فى الواقع ونفس الأمر . فإن قصدَ الخلق إليه فى الحوائج أعمُّ من القصد الإرادى . والقصدِ الطبيعى ، والقصدِ بحسب الاستعداد الأصلى الثابت لجميع الماهيات ، إذ هى كلها متّجهة إلى المبدئ تعالى فى طلب كمالاتها منه عزّ وجلّ .

٣ - ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لم يصدر عنه وَلدٌ ؛ لأن الولادة تقتضى انفصالَ مادة منه ، وذلك يقتضى التركيب المنفى للأحدية والصَّمديَّة . أو لأن الولدَ من جنس أبيه ، ولا يجانسه تعالى أحد ؛ لأنه واجب وغيرُه ممكن . ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ لم يصدر هو عن شىء ؛ لاقتضاء المولوديّة المادة فيلزم التركيب المنافى للأحدية والصمدية . أو لاقتضائها سبقَ العدم ولو بالذات . أو لاقتضائها المجانسة ، وكلٌّ منهما مستحيل عليه تعالى ؛ إذ هو واجب الوجود لا أوّلَ لوجوده ، ولا مجانسَ له من خلقه .

٤ - ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ لم يكن أحدٌ من خلْقه مكافئًا ولا مشاكلاً ولا نظيراً ، ولا شبيهاً له فى ذاته وصفاته وأفعاله ؛ (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) . وفى الحديث الصحيح : (أن هذه السورة تعدِل ثلث القرآن) . ومعناه على ما ذكره الإمام ابن شُريح : أن القرآن أنزل على ثلاثة أقسام : ثلثٌ منها الأحكام ، وثلثٌ منها وعدٌ ووعيدٌ ، وثلثٌ منها الأسماء والصفات . وهذه السورة جمعت الأسماء والصفات . والله أعلم .

سُورَةُ الْفَلَقِ

وتُسمّى هى وما بعدَها بالمعوِّذَتَيْن

١ - ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ أعتصم وأستجير ﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ أي الصبح . وسُمِّي فلقاً لانفلاق اللّيل وانشقاقِه عنه ؛ ومنه (فَالِقُ الْإِصْبَاحِ) [1] أى شاقُّ ظلمة آخر الليل عن بياض الصبح ، ومخرجُ له منها كما يخرج الشاة من إهابها . ويُطلق الفَلَق على جميع المخلوقات ، لأنه تعالى فلَق عنها ظلمةَ العَدم فأخرجها إلى نور الوجود .

٢ - ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أى من شَرِّ كل ذى شرٍّ من المخلوقات ؛

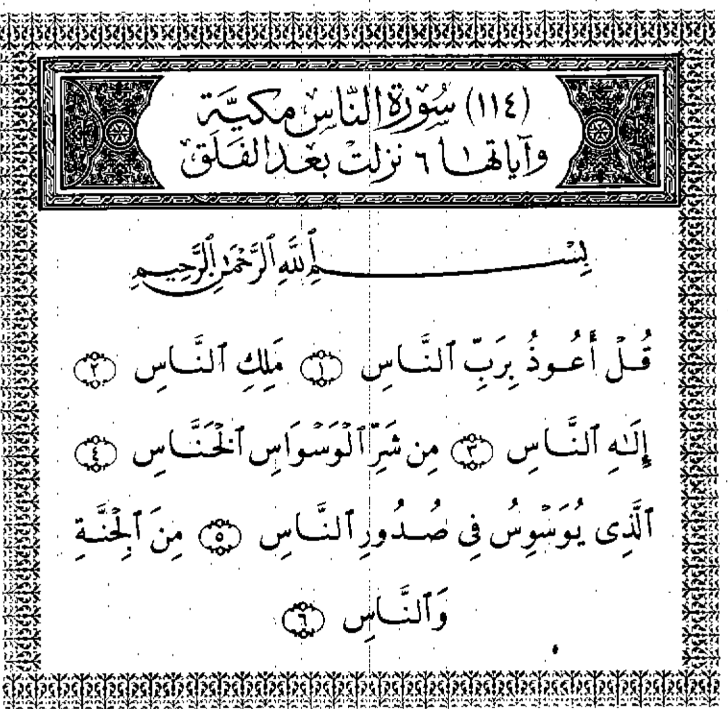
(١) آية ٩٦ الأنعام .

فلا عاصمَ من شرّها إلاّ الربُّ سبحانه ، الذي هو المالك لها . والمدبرُ لأمرها ، والقابضُ على ناصيتها ، والقادر على تغيير أحوالها وتبديل شؤونها . ويَنْدرج في الشر المستعاذ منه شرُّ الذنوب ، وشرُّ النفوس ، وشرُّ الهوى ، وشرُّ النِّيات والأعمال .

٣ - ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ أى وأعوذ به تعالى من شر الليل إذا دخل ظلامُه في كل شيء ؛ لأن حدوث الشر فيه أكثر ، والتحرّز منه أصعبُ وأعْسر . والغاسقُ : الليلُ إذا اعتكر ظلامُه . وأصلُ الغَسَقِ : الإمتلاء . يقال : غَسَقَت العينُ ، إذا امتلأت دَمعاً . أو السيلان . يقال : غَسَقَت السماءُ انصبت . وغَسَقَ الليلِ : انصبابُ ظلامه . والوقوبُ : الدخول . وأصلُ الوَقْبِ : النُّقرة والحفرة ؛ ثم استعمل في الدخول . وقيل : الغاسقُ القمرُ إذا امتلأ نوراً . ووقُوبُه : دخولُه في الخُسوف واسودادُه ، أو محاقُه في آخر الشهر ؛ والإشتقاقُ اللُّغوىُّ لا يأباه .

٤ - ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِى الْعُقَدِ﴾ النفثُ : شبيهٌ بالنفخ . وقيل : هو النفخ مع ريق قليل . والنفّاثات : النفوس أو الجماعات السَّوَاحِرُ اللاّتي يَعْقِدْن عُقداً فى خيوطٍ وينْفُثْن عليها ويرقين . قال ابن القيِّم : إنهم إذا سَحَروا استعانوا على تأثير فعلهم بنفثٍ يُمازجُه بعضُ أجزاء أنفاسهم الخبيثة ؛ أى أعوذ بالله من شر هؤلاء المفسدين . وقيل النفاثات : جمعُ نَفَّاثة ؛ كعلاَّمة ونسّابة ، يُستعمل للمذكّر والمؤنّث . والعُقَدُ : جمع عُقْدة ؛ من العَقْد ضد الحلّ . وهيَ اسمٌ لكلّ ما رُبط وأُحكِم ربْطُه . أى أعوذ به تعالى من شر النفوس المفسِدة التى تسعَى بين الناس لإفساد ذاتِ بينِهم ؛ كما يفعل أولئك السَّحرةُ الذين ينفُثُون للتفريق بين المرء وزوْجه ؛ وهم أخبثُ الناسِ نفوسًا ، وشرُّهم عملاً . وجمهورُ العلماء على إثبات السحر ، وأنه حقيقةٌ واقعةٌ ، وسببٌ عادىٌّ للتأثير فى المسحور . وقد عُرف قديمًا فى بابل ومصر ، وورد ذِكرُه فى آيات كثيرة من القرآن [راجع ما قدمناه فى تفسير آية ١٠٢ من سورة البقرة] . وقال القُرْطبىُّ فى شرح صحيح مسلم : دلّ القرآنُ فى غير ما آيةٍ ، والسُّنّةُ فى غير ما حديثٍ : على أن السحر موجودٌ ، وله أثرٌ فى المسحور . وهو حِيَلٌ صناعيّةٌ - يتوصّل اليها بالاكتساب ؛ غير أنها لدقّتها لا يتوصَّل إليها أحادُ الناس . وأكثرُه تخييلاتٌ بغير حقيقةٍ ؛ كعِلم السِّيمياء - وهو ما يفعله المشعوذون - فيعظُم عند من لا يعرف ذلك . ولبعضِ أصناف السِّحر تأثيرٌ فى القلوب كالحُبّ والبُغض ، والتفرقةِ بين المرء وزوجه ، وفى الأبدان بالألم والسقم .

٥ - ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ أى إذا أظهر ما فى نفسه من الحسد ؛ بترتيب مقدّمات الشرّ ، ومبادئ الإضرار بالمحسود قولاً أو فعلاً . والحسَدُ : حقيقةٌ واقعةٌ ، وأثرُه لاشكّ فيه . وأصله : أنفعالُ نفس الحاسد عند رؤية نعمة على المحسود انفعالاً شريرًا يدفعه إلى مباشرة أسباب المضرّة ، سواء أكان ذلك فى حضور المحسود أم فى غيبته . وذكر العلامة الآلوسىُّ : أن الحاسد إذا وجّه نفسَه الخبيثةَ نحوَ المحسودِ على وجهِ الغضب تتكيّف نفسُه بكيفية خبيثةٍ ، ربما تؤثّر فى المحسود بحسب ضعفه وقوّة نفس الحاسد ، وقد تصل إلى حد الإهلاك . والحسَدُ من الكبائر ، وهو أوّل ذنب عُصِي الله به فى السماء . وأوّلُ ذنب عُصِى به فى الأرض ؛ فحسد إبليس آدمَ ، وحسَد قابيلُ هابيل . وفى الحديث الصحيح : (لا تحاسَدُوا) والنهى عنه نهىٌ عن مباشرة أسبابه ومباديه ، ومتابعة النفس وطواعيتها فيه ، وتوجيهها إليه وإلى المحسود . وقانا الله شرّه . والله أعلم .



سُورَةُ النَّاسِ

١ : ٣ ـ ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ ألتجئ وأستجير ﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾ مربِّيهم ومُصلحِ أمورِهم . ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ مالِكهم مِلْكًا تامًّا ، والمتصرِّف فيهم تصرُّفًا كاملاً . ملوكًا وعبيدًا . ﴿إِلَٰهِ النَّاسِ﴾ معبودِهم ، القادرِ قدرةً تامّةً على التصرُّف الكاملِ فيهم إيجادًا وإعدامًا ، المتّصفِ بجميع صفاتِ الكمالِ والجلال . وأضيف الربُّ إلى الناس خاصّةً ، وإن كان تعالى ربًّا لجميع المخلوقات تشريفًا لهم ؛ ولأن الاستعاذةَ وقعت من شرّ الموسوس فى صدور الناس . فكأنه قيل : أعوذ من شرّ الموسوس إلى الناس ، بربّهم ، المالِك لأمورِهم ، الذى هو إلٰههُم ومعبودُهم .

٤ ـ ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾ أى الشيطان الموَسْوِس . ﴿الْخَنَّاسِ﴾ الذى يخْنِس ، أى يتأخّر إذا تيقّظ له الإنسان واستعان عليه بالله تعالى .

٥ ـ ﴿الذى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ﴾ يُلقِى فيها فى خُفية ما يُضلّها عن سبيل الحق ، ويكون سببَ شقائها .

٦ ـ ﴿مِنَ الْجِنَّةِ والنَّاسِ﴾ بيانٌ للشيطان الذى يوسوس للإنسان . وأنه كما يكون من الجن يكون من الإنس ؛ وكل من يفعل ذلك منهما يقال له شيطان . إذ هو لغةً كلُّ عاتٍ متمرِّدٍ من الجنّ والإنس والدواب . وعن قَتادة : أن من الجن شياطين ، ومن الإنس شياطين ؛ فنعوذ بالله من شياطين الإنس والجن . ويشير إلى ذلك قولُه تعالى : (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا)[1] . وعن عائشةَ رضى الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا آوى إلى فراشه كلَّ ليلة جمَع كفَّيْه ثم ينفُثُ فيهما فيقرأ : (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) و (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) و (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) ثم يمسح بهما ما استطاع من جَسَده ، يبدأ بهما على رأسه ووَجْهه وما أقبل من جسده . يفعل ذلك ثلاثَ مرّات . ونختِم القول بما رُوِىَ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قيل : يارسول الله . أىُّ الأعمال أحبّ إلى الله تعالى ؟ قال : (الحالُّ المرتحِلُ) . قيل : وما الحالُّ المرتحل ؟ قال : (الذى يضرب من أوّل القرآن إلى آخره كلما حلّ ارتحل) أخرجه الترمذى . واللهُ سبحانه أعلمُ بمرادِهِ وأسرارِ كتابه . ربَّنا لا تؤاخذنا إن نَسِينا أو أخطأنا . ربّنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان . ولا تجعل فى قلوبنا غِلًّا للذين آمنوا . ربَّنا إنك رؤوف رحيمٌ . وصلى الله على سيّدنا محمد سيّد المرسلين . وعلى آله وأصحابه . ومن دعا بدعوته وقام بنشر سُنّته إلى يوم الدِّين .

(١) آية ١١٢ الأنعام .

هذا ، وقد أتمّ الله تعالى النعمةَ ، وأعظمَ المِنّة ، بالتوفيق لإتمام هذا التفسير في صبيحة يوم السبت السادس من شهر ربيع الأوّل من سنة ١٣٧٥ (ألف وثلاثمائة وخمس وسبعين هجرية .) الموافق للثانى والعشرين من شهر اكتوبر سنة ١٩٥٥ (ألف وتسعمائة وخمس وخمسين ميلادية) بالقاهرة .

على يد جامعه الفقير إلى الله تعالى : حسنين محمّد مخلوف العدوِيّ الأزهريّ ، مفتى الدّيار المصرية السابق ، وعضو جماعة كبار العلماء بالأزهر الشريف ، ورئيس لجنة الفتْوَى به ؛ عفا الله عنه بمَنّه وكرمه . ابن العلّامة المحقِّق شيخ الشيوخ بالأزهر : الشيخ محمد حسنين مخلوف العَدوِيّ المالِـكيّ . ابن العلاّمة الشيخ حسنين محمد علي مخلوف العدوِيّ المالِـكيّ الأزهريّ ؛ رحمهما الله تعالى .

التعريف بهذا المصحف الشريف

كُتِب هذا المُصحَفُ وضُبِط على مايوافق رواية حَفْص ٱبن سليمان بن المُغيرة الأَسَدِىّ الكُوفى لقراءة عاصم بنِ أبى النَّجُود الكُوفىّ التابعىّ عن أبى عبد الرحمن عبدِ الله بنِ حَبيب السُّلَمىّ عن عثمانَ بنِ عفَّانَ وعلىّ بن أبى طالب وزيدِ ٱبن ثابت وأُبَىّ بنِ كَعْب عن النبىّ صلى الله عليه وسلم .

وأُخِذَ هجاؤه مما رواه علماءُ الرَّسْم عن المصاحف التى بعث بها عثمانُ بن عفَّانَ إلى البَصْرة والكُوفة والشَّام ومكَّة والمُصحفِ الذى جعله لأهل المدينة والمصحفِ الذى ٱختصّ به نَفْسَه، وعن المصاحف المنتَسَخة منها .

أما الأحْرُفُ اليسيرةُ التى ٱختلَفَت فيها أهْجِيةُ تلك المصاحف فاتُّبِع فيها الهجاءُ الغالب مع مراعاة قراءة القارئ الذى يُكتَب المصحفُ لبيان قراءته، ومراعاةِ القواعد التى ٱستنبطها علماءُ الرَّسْم من الأَهْجِية المختلفة على حَسَب ما رواه الشيخان : أبو عمرو الدانىُّ وأبو داود سليمانُ بنُ نَجَاح مع ترجيح الثانى عند الٱختلاف .

وعلى الجملة كلُّ حرفٍ من حروف هذا المصحف موافقٌ لنظيره فى مصحف من المصاحف الستة السابق ذِكْرُها .

والعمدةُ فى بيان كلِّ ذٰلك على ماحققه الأُستاذ محمدُ ٱبن محمد الأُمويّ الشَّريشى المشهور بالخَرَّاز فى منظومته "مَوْرِدالظمآن" وما قرّره شارحُها المحقّق الشيخ عبد الواحد ٱبن عاشر الأَنصاريّ الأَندَلُسيّ .

وأُخِذَت طريقة ضَبْطه مما قرّره علماءُ الضبط على حَسَب ماورد فى كتاب " الطّراز على ضبط الخَرَّاز" للإمام التَّنَسِيّ مع إبدال علامات الأَندَلُسيين والمغاربة بعلامات الخليل ٱبن أحمد وأتباعِه من المَشارِقة .

وأُتبِعَتْ فى عدّ آياته طريقةُ الكوفيين عن أبى عبد الرحمن عبدالله بن حَبيب السُّلميّ عن علىّ بن أبى طالب على حَسَب ما ورد فى كتابَ " ناظمة الزُّهر " للإمام الشاطبىّ وشرحها لأَبى عيدٍ رِضوانَ المخَلِّلاتى . و" كتاب أبى القاسم عمر بن محمد ٱبن عبد الكافى " وكتاب " تحقيق البيان " للأُستاذ الشيخ محمد المتولّى شيخ القُرّاء بالديار المصرية سابقا . وآيُ القرءان على طريقتهم ٦٢٣٦

وأُخِذَ بيانُ أوائل أجزائه الثلاثين وأحزابِه الستين وأرباعها من كتاب "غيث النَّفع" للعلامة السَّفاقُسِىّ و "ناظمة الزُّهر وشرحها " و " تحقيق البيان " و " إرشاد القرّاء والكاتبين " لأَبى عيدٍ رِضْوانَ المخلّلاتى .

وأُخِذَ بيان مَكِّيِّه ومَدَنِيِّه من الكتب المذكورة، و "كتاب أبي القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافى" ، و "كتب القراءات والتفسير" على خلاف فى بعضها .

وأُخِذ بيان وقوفه وعلاماتها مما قرّره الأستاذ (محمد بن على ابن خلف الحسينى) شيخُ المقارئ المصرية على حَسَب ما اقتضته المعانى التى تُرْشِد إليها أقوالُ أئمة التفسير .

وأُخِذَ بيانُ السَّجَدات ومواضعها من كتب الفقه فى المذاهب الأربعة .

وأُخِذَ بيانُ السَّكَتات الواجبة عند حفص من "الشاطبية وشُرَّاحها" والتلقِّى من أفواه المشايخ .

اصطلاحاتُ الضَّبْط

وَضْع الصِّفْر المستدير فوق حرف عِلَّة يدل على زيادة ذلك الحرف فلا يُنْطَقُ به فى الوصل ولا فى الوقف، نحو : قَالُواْ . يَتْلُواْ صُحُفًا . لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ . وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ . إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ . أُوْلَٰٓئِكَ . أُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ . مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ . بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ .

ووضْع الصِّفر المستطيل القائم فوقَ ألِف بعدها متحرّك

يدلُّ على زيادتها وصلاً لا وقفـا ، نحو أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ .
لَّـٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى . وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ هُنَالِكَ .
كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ . وأُهملت الألف
التى بعدها ساكن ، نحو : أَنَا ٱلنَّذِيرُ من وضع الصفر
المستطيل فوقهـا و إن كان حكمها مثل التى بعدها متحرك
فى أنها تسقُط وصلا وتثبُت وقفا لعدم توهم ثبوتها وصلا .

ووَضْع رأسِ خاءٍ صغيرة (بدون نقطة) فوقَ أيِّ حرف
يدُلُّ على سكون ذلك الحرف وعلى أنه مُظْهَر بحيث يقرَعه
اللسانُ ، نحو : مِنْ خَيْرٍ . وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ . بِعَبْدِهِۦ . قَدْ سَمِعَ .
فَقَدْ ضَلَّ . نَضِجَتْ جُلُودُهُم . أَوَعَظْتَ . وَخُضْتُمْ .
وَإِذْ زَاغَت .

وتعرِيَةُ الحرف من علامة السكون مع تشديد الحرف
التـالِى يدُلُّ على إدغام الأوّل فى الثانى إدغاما كاملا ، نحو :
أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا . يَلْهَث ذَّٰلِكَ . وقالت طَّآئِفَةٌ :
ومَن يُكْرِههُّنَّ . أَلَمْ نَخْلُقكُّم .

وتعرِيتُـه مع عدم تشديد التـالِى يدُلُّ على إخفاء الأوّل
عند الثـانى فلا هو مُظْهَر حتى يقرَعه اللسان ولا هو مُدْغَم
حتى يُقلَب من جنس تاليه ، نحو : مِن تَحْتِهَا . مِن ثَمَرَةٍ .
إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ . أو إدغامه فيـه إدغاما ناقصا ، نحو :
مَن يَقُولُ . مِن وَالٍ . فَرَّطتُمْ . بَسَطتَ .

ووَضْعُ ميم صغيرة بدَلَ الحركة الثانية من المنوّن أو فوقَ النون الساكنة بدَلَ السكون مع عدم تشديد الباء التالية يدُلُّ على قلب التنوين أو النون ميمًا، نحو: عَلِيمُۢ بِذَاتِ الصُّدُورِ . جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ . كِرَامِۭ بَرَرَةٍ . مِنۢ بَعْدِ . مُنۢبَثًّا .

وتركيبُ الحركتين: (ضمتين أو فتحتين أو كسرتين) هكذا ٌ ً ٍ يدُلُّ على إظهار التنوين، نحو: سَمِيعٌ عَلِيمٌ . وَلَا شَرَابًا إِلَّا . لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ .

وتتابُعُهما هكذا ٌ ً ٍ مع تشديد التالي يدُلُّ على إدغامه، نحو: خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ . غَفُورًا رَّحِيمًا . وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ .

وتتابُعُهما مع عدم التشديد يدُلُّ على الإخفاء، نحو: شِهَابٌ ثَاقِبٌ . سِرَاعًا ذَٰلِكَ . بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ . أو الإدغامِ الناقص، نحو: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ . رَحِيمٌ وَدُودٌ . فتركيب الحركتين بمنزلة وضع السكون على الحرف . وتتابعهما بمنزلة تَعْرِيته عنه .

والحروفُ الصغيرة تدل على أعيان الحروف المتروكة في المصاحف العُثْمانية مع وجوب النطق بها، نحو: ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ . دَاوُۥدَ . يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم . يُحْيِۦ وَيُمِيتُ . أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا . إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ . إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ .

إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ . إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا . كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ . وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ .

وكان علمـاء الضبط يُلحِقُون هذه الأَحرف حمراء بقدر حروف الكتابة الأَصلية ولكن تعَسَّر ذٰلك فى المطابع فاكتفى بتصغيرها فى الدلالة على المقصود .

وإذا كان الحرفُ المتروكُ له بدلٌ فى الكتابة الأَصلية عُوِّل فى النطق على الحرف الملْحَق لا على البدل، نحو : ٱلصَّلَوٰة . كَمِشۡكَوٰةٍ . ٱلرِّبَوٰاْ . مَوۡلَىٰهُ . ٱلتَّوۡرَىٰةَ . وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ . لَقَدۡ رَأَىٰ ، ونحو : وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ . فِى ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةً . فإن وضعت السـين تحت الصاد دلّ على أن النُّطق بالصاد أشهر ، نحو : ٱلۡمُصَۣيۡطِرُونَ .

ووضع هذه العلامة (~) فوق الحرف يدل على لزوم مدّه مدًّا زائدا على المدّ الأَصلى الطبيعى ، نحو : الٓمٓ . ٱلطَّآمَّةُ . قُرُوٓءٍ . سِيٓءَ بِهِمۡ . شُفَعَٰٓؤُاْ . تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ . لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ . بِمَآ أُنزِلَ . على تفصيل يُعْلَم من فنّ التجويد . ولا تستعمل هذه العلامة للدلالة على ألف محذوفة بعد ألف مكتوبة مثل آمنوا كما وُضع غلطًا فى كثير من المصاحف بل تكتب ءَامَنُواْ بهمزة وألف بعدها .

والدائرةُ المحلاة التى فى جوفها رقم تدل بهيئتها على انتهاء الآية وبرقمها على عدد تلك الآية فى السورة، نحو : إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ

ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣

ولا يجوز وضعها قبل الآية البتة . فلذلك لا توجد فى أوائل السُّوَر، وتُوجد دائمًا فى أواخرها .

وتدل هذه العلامة (۞) على ٱبتداء رُبُع الحزب . وإذا كان أوّلُ الربع أوّلَ سورة فلا توضع .

ووضْعُ خَطٍّ أُفُقِىٍّ فوق كلمة يدل على مُوجِبِ السَّجْدة ، ووضع هذه العلامة ۩ بعد كلمة يدل على موضِع السجدة، نحو : وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٤٩ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٥٠ ۩

وَوضْعُ النقطة الخالية الوسط المُعَيَّنة الشكل تحتَ الراء فى قوله تعالى : بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا يدُلُّ على إمالة الفتحة إلى الكسرة، وإمالة الألف إلى الياء . وكان النُّقَّاط يضعونها دائرةً حمراء فلما تعسر ذلك فى المطابع عُدِل إلى الشكل المعَيَّن .

ووضع النقطة المذكورة فوق آخر الميم قُبَيْل النون المشدّدة من قوله تعالى : مَالَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ يدل على الاشمام (وهو ضم الشفتين) كمن يريد النطق بضمة إشارة

إلى أن الحركة المحذوفة ضمة (من غير أن يظهر لذلك أثر في النطق) .

ووضع نقطة مدورة مسدودة الوسط فوق الهمزة الثانية من قوله تعالى : ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ يدل على تسهيلها بين بين أى بين الهمزة والألف .

علامات الوقف

مـ علامة الوقف اللازم، نحو : إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ .

لا علامة الوقف الممنوع، نحو : ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ۙ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ .

ج علامة الوقف الجائز جوازا مستوى الطرفين، نحو : نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ .

صلى علامة الوقف الجائز مع كون الوصل أَوْلَىٰ، نحو : وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ .

قلى علامة الوقف الجائز مع كون الوقف أَوْلَىٰ، نحو : قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ .

∴ ∴ علامة تعانُق الوقف بحيث إذا وُقِف على أحد الموضعين لا يصح الوقف على الآخر ، نحو : ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ .

في ١٠ ربيع الثاني ١٣٣٧ هجرية

محمد علي خلف الحسيني
شيخ المقارئ المصرية

حفني بك ناصف
المفتش الأول للغة العربية
بوزارة المعارف (كان)

مصطفى عناني
المدرّس بمدرسة المعلمين
الناصرية

أحمد الإسكندري
المدرّس بمدرسة المعلمين
الناصرية

هذه الطبعة الثانية

من صفوة البيان لمعاني القرآن المتوج بالقرآن الكريم

تم بحمد الله تعالى وتوفيقه إخراج تفسير «صفوة البيان» الذي قامت بطباعته اللجنة الوطنية لتنظيم الاحتفالات بمقدم القرن الخامس عشر الهجري في دولة الامارات العربية المتحدة في شهر ربيع الأول من عام ١٤٠٢ هـ الموافق يناير ١٩٨٢ م .

وذلك بعد أن تفضل سماحة المفسِّر الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف بالموافقة على إعادة طباعته بهذا النسق البديع .

هذا وقد روعي في هذه الطبعة أن تكون متميزة بما يأتي :

١ – تمّ اعتماد النص القرآني العظيم نقلاً عن «نموذج» المصحف الشريف لدار الشروق المصحح والمعتمد من لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف مبيِّناً فيه الأجزاء والأحزاب والأرباع وآيات السجدة في إطار زخرفي جميل .

٢ – تمّ تنسيق طباعة التفسير وفقاً لوجود الآيات بأعلى الصَّفحة ، وإيرادِ تفسيرِها على مساحةِ الهامش في بقية الصَّفْحةِ ، مصحوباً بأرقام الآيات المفَسَّرة ، وذلك ليسهل على التالي المتابعةُ المنتظمةُ لتفسير الآيات التي يتلوها .

٣ – كتبت الآيات التي في ثنايا الشرح بالرسم الإملائي مع الضبط والتشكيل والإشارة إلى اسم السورة ورقم الآية اكتفاء بورود آيات النصّ القرآني التي في أعلى الصَّفْحة مكتوبةً بالرسم العثماني .

٤ – تمّ إخراج هذا التفسير في مجلد واحد ليكون سهل المحمل جامعاً للفائدة وافياً بالغرض .

٥ – تمّ استكمال تفسير بعض الآيات التي لم يرد تفسيرها بالطبعة الأولى وذلك من كتاب «كلمات القرآن» لفضيلة المفسر الشيخ حسنين محمد مخلوف .

٦ – قام فضيلة الشيخ محمد سليمان فرج ، من علماء الأزهر الشريف بتخريج الأحاديث النبوية الشريفة التي أوردها فضيلة المفسر في ثنايا التفسير .

٧ – شارك في التصويبات الطباعية على التفسير ـ السيد / صلاح حجازي ـ بديوان رئيس الدولة .

٨ – التدقيق العام والإشراف الفني ـ الأستاذ سعد غزال ، خبير الإعلام والثقافة ، وعضو اللجنة الوطنية للقرن الهجري الخامس عشر .

٩ – الإشراف العام ـ الأستاذ أحمد ناصر النعيمي ، مدير المكتبات والعلاقات الثقافية بجامعة الإمارات ، ورئيس لجنة الإشراف والمتابعة لبرامج القرن الهجري الخامس عشر .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه .

اللجنة الوطنية لاحتفالات
القرن الخامس عشر الهجري

فهرس السّوَر

بتوفيق الله ومعونته
تمّ طبع هذا المصحف الشريف
على مطابع الشروق
١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م